إلياذة هوميروس

معرّبة نظماً

وعليها شرح تاريخي أدبي

وهي مصدَّرة بمقدمة في هوميروس وشعره

وآداب اليونان والعرب

ومذيَّلة بمعجم عامّ وفهارس



بقلم

سليمان البستاني



L'ILIADE D'HOMÈRE

TRADUITE EN VERS ARABES

AVEC UNE INTRODUCTION HISTORIQUE ET LITTÉRAIRE
SUR L'AUTEUR ET SON ŒUVRE EN REGARD DE LA LITTÉRATURE
ARABE ET DES USAGES DE L'ORIENT.
LE TEXTE EST ACCOMPAGNÉ DE NOTES
ET SUIVI D'UN VOCABULAIRE

PAR

Sulaïman al-Bustány

« طبع بمطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٠٤ »

إهداء الكتاب



خَطَّار سَلُّوم نادر البستاني

(١٨٣٠ — ١٨٨٦)

إِلَيك يا والدي أُهدِي كتابي هذا فأَنتَ أَولى به من كل حيٍّ وميْت . وما هو الا ذرَّةٌ من فضلك وجزءٌ من عنايتك ببنيك وتفانيك بنفع ذويك وبني جلدتك . فان عجزت عن اداء واجب الوفاء بحياتك فلا اقلَّ من أَن أُشهد الملأَ على عرفاني جميلك وانت في عالم الارواح

ديباجة الكتاب

هذه إلياذة هوميروس ازفّها إلى قرّاء العربية شعرًا عربيًّا . ولقد استنفدت وسعي في نظمها وإحكامها راجياً أن تكون مُحكَمة التعريب خليّةً من شوائب اللُّكنة والعُجْمة

وقد صدَّرتها بمقدَّمةٍ أتيت فيها على سيرة صاحب الالياذة واشرتُ إلى منظوماتهِ ومنزلتهِ عند القدماء ورأْي المتأَخرين فيه واقوال العرب في شعره . — وبحثت في الإلياذة وموضوعها وطرُق تناقلها قبل الكتابة ثم في جمعها وكتابتها وسلامتها من التحريف مع ما فيها من قليل الدَّخيل والساقط والمكرَّر والمُغلق . وأَتيت على تحليلها وتشريحها و بسط ما فيها من الفائدة للأَدَب والتاريخ وسائر العلوم والفنون والصنائع . وأَوْضحت ما كان من الأَسباب الداعية في صدر الاسلام إلى إغفال العرب نقلها إلى لغتهم . — وتطرَّقت الى التعريب فقصصت حكاية المعرِّب في وضع هذا الكتاب . وذكرت مناهج العرب في نقل الكتب الأَعجمية والطُرق التي يجدر بالنَّقَلَة التعويل عليها . وساقني ذلك الى النظر في التعريب الشعري ثم الى النظم على الاطلاق وأَوزان الشعر وقوافيه ووَقع كلٍّ منها في معانيه . وجوازات الشعر من مأْنوسٍ ومكروهٍ الى غير ذلك مما يُعدُّ من خصائص هذه الصِّناعة . — وانتقلت الى المقارنة بين الالياذة والشعر العربي . فوطَّأْتُ لذلك بالشعر القديم وَأَصلهِ وسبب

طُمُوسهِ ومُناشدات سوق عُـكاظ وشأن لغة قُرَيش فيها وفضل القرآن في جمع اشتات اللغة وتوحيدها وإحكام بلاغتها في النظم والانشاء . وقابلت بين لغة قُرَيش المُضَرِية ولغة الإلياذة اليُونيَّة . وفصَّلت اطوار الشعر العربي مميزًا بين طبقات الشعراء من عهد الجاهليين حتى يومنا . وأثبتُّ مزايا كل طبقةٍ منها مع تعيين مدَّتها واسماء فحولها وايراد ما اتسع لهُ المقام من نفيس شعرهم . ثم أشرتُ الى مغامز الشعر العربي ومناهج المولَّدِين في أبواب الشعر وفنونه وأساليبه وعلوم الأدَب العرَبية وتاريخها . وانتهيت الى أسباب الضعف والانحطاط في شعر المُحدَثين وجنوح النوابغ من أبناء هذا العصر إلى سدّ الخلل وتعديل الخطّة . وأَفردت باباً للملاحم او منظومات الشعر القصصي مما يماثل الإلياذة فأَشرت الى ضروب الشعر عند الافرنج وقابلت بين ملاحم الأَعاجم والملاحم العرَبية من الشعر الجاهلي وجمهرة أشعار العرب . واستطرَدت من ذلك إلى القاء نظرةٍ على الجاهليتين جاهلية العرب وجاهلية اليونان ثم الى ملاحم المولَّدِين . ورجعت بعد هذا الى الحقيقة والمجاز وما يلصق بالمعاني الشعرية من التشبيه والكناية والاستعارة والبدِيهيات وما يتنابها من النقل والسرقة وتوارد الخاطر وما قد يطرأُ عليها من التغيُّر بفعل الحضارة . وألْمَعت إلى مسالك الأَعاجم في ذلك مبيّناً مزية العربية على لغاتهم في بعض الأَحوال . — وذيلت المقدمة بخاتمة في الشعر واللغة عارضت فيها بين العربية واليونانية وبحثت في اتساع العربية وثروتها

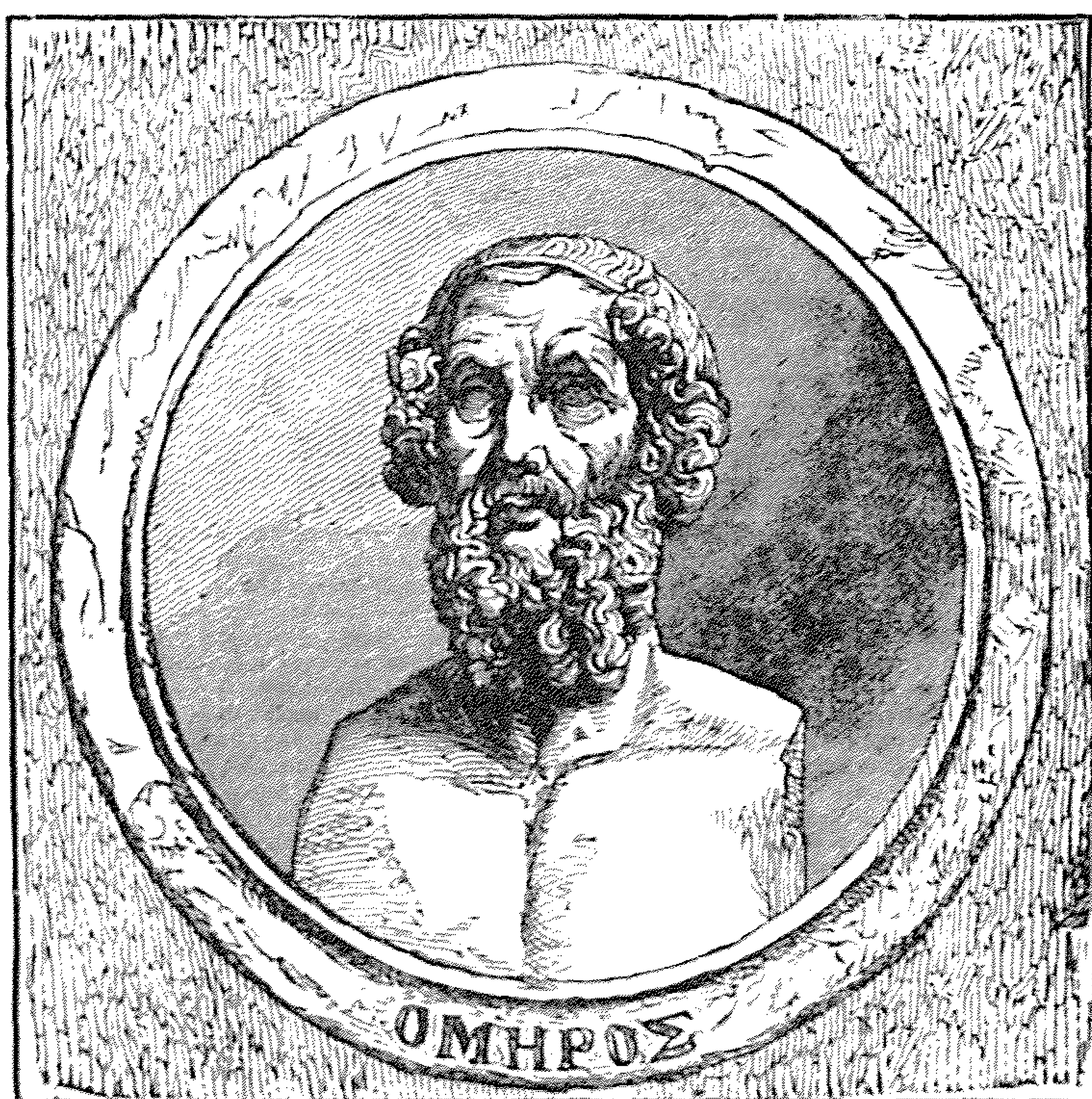
القديمة وكثرة مترادفاتها وتعدُّد المعاني فيها للفظ الواحد مع ايضاح فائدة ذلك وضرره وايراد اسباب الضَّعف في تأدِية ما استُحدِث من المعاني العصرية . واشرت الى نهج العرب بالتوسع في اللغة والاصطلاح . وختمت بخلاصةٍ موجزةٍ في ما تراءى لي من الدَّاء والدَّواء والنهضة الحديثة ومستقبل اللغة والشعر

وقد علَّقت على الكتاب شرحاً توخَّيت فيه الفائدة والتفكيه . ورصَّعته بزهاء ألف بيتٍ مما قالهُ العرب في مثل معاني الالياذة او حوادثها . وضمَّنته كل ما تجدر معرفته من اخلاق الامة العربية « في جاهليتها وبداوتها وحضارتها والمشهور من اساطيرها وعباداتها والمأثور من آدابها وعاداتها ومناهج شعرائها وادبائها ومواقف ملوكها وامرائها وساستها وزعمائها » الى غير ما هنالك مما اوضحته في باب حكاية المعرِّب (ص : ٧٢)

وقد مثَّلت المتن الشعري مطبوعاً بالشكل الكامل واودعت الشرح كثيراً من رسوم الآلهة وغيرهم مما يحسن الاطلاع عليه

واضفت فهرساً لتلك الرسوم وآخر للقوافي ومعجماً للالفاظ اللغوية ومعجمين آخرين لجميع موادّ الكتاب من اعلامٍ وتاريخ وعلمٍ وصناعةٍ وخُلُقٍ وعادةٍ وهلمَّ جرًّا

تلك هي على الجملة محتويات الكتاب « فان أَحسنت وفيه منتهى جهدي فذلك من حسنات الاجتهاد والا فحسبي ان افتحه باباً يلجهُ من وفقهُ الله الى سبيل السداد »



هومیروس

هوميروس

اسمهُ ولقبهُ

اختلف المؤرخون في اسم صاحب الالياذة ولكنهم متفقون على ان « هوميروس » لقبٌ لُقِب به لامر جللٍ تخلّل حياته نعرف به وأُهمل اسمه على نحو ما اتفق لكثيرين من شعرائنا الذين غلبت القابهم وكناهم على اسمائهم كطَرَفة ابن العبد والشمّاخ والنابغة والفرزدق والاخطل والمتنبي وابي العلاء . وللكتّاب اقوالٌ مختلفة في ذلك اللقب نظير ما لكتّابنا من المذاهب المتضاربة في اصل تلك الالقاب والكنى . ولهذا حاموا حول اللفظة اليونانية وجعلوا يستنبطون من معانيها ما شاؤوا فوضعوا لكل معنى يُستخرج منها حديثاً مما يمكن وقوعه لشاعرنا . فمن قائل انه لما كانت كلمة هوميروس (ὅμηρος) بمعنى الرهينة غلب عليه هذا اللقب لوقوعه اسيرًا في حربٍ فكان من جملة الرهائن . على ان الذاهبين هذا المذهب ليسوا على بيّنةٍ من تلك الحرب . فمنهم من يجعلها بين ازمير وساقس وهو مذهب فروكلوس وعندهُ ان الشاعر اعتُقل في ساقس . ومنهم من يقول بل أُخذ الى كولوفون . وقال آخرون بل وقع اسيرًا في قبضة الفرس — ومن قائل ان اللفظة منحوتة من كلمتي (ὁμῶς εἴρειν) ومعناها « المتكلم في المجلس » اي الخطيب او المشير وهو قول سويداس وكل ما يُستخرج من هذا النحت يصح ان يتفق لصاحبنا — ومن قائل انها مشتقة من لفظة (ὁμηρεῖν) بمعنى التابع او اللاحق اخذًا من قول فلوطرخوس انه لحق بالليديين من مدينة ازمير — وهناك اقوالٌ اخرى اجدرها بالذكر قول هيرودوتس وايفوروس ان اللفظة مركبة من ثلاث كلمات (ὁ μὴ ὁρῶν) بمعنى الكفيف البصر وهو تخريجٌ حسنٌ يصحُّ التعويل عليه لانه لم يثبت في الاثر شيءٌ مما يؤيد الاقوال السابقة ولكنه ثابتٌ ان بصرهُ كُفَّ وهو لم يكد يتجاوز سن الشباب وقد اشار الى ذلك

في ابيات من منظومته « الاوذيسية » · وفي مُعجم الكسندر « ان لفظة هوميروس مفردةً كان يراد بها « الاعمى » في مدينة كومة وبها لُقب الشاعر »

واما اسمه فأشهر ما قيل فيه انه كان ميونيذِس اي ابن ميون لان ميون ملك ليديا تزوَّج امهُ كريثيس والطفل على يدها فدعاهُ باسمه وهو يعتقد ان ابا ذلك الطفل من الجنّ · وقيل بل كان والد هوميروس داماسوغوراس ووالدته أثرا ومسقط رأسه مصر · وقيل بل كان اسم هوميروس ميليسجينيس وهي رواية هيرودوتس وعليها المعوَّل كما سيجيء

نَسَبُهُ

لا يُعلم شيءٌ ثَبْتٌ عن نسب هوميروس وحسبه · وان لدينا مما استبقاه المتقدمون اقوالاً متباينة لا يمكن الاخذ بشيء منها · وصفوة ما عوَّل عليه الكتبة منها سيرتان كتبهما هيرودوتس وفلوطرخوس ثم وجد المتأخرون بعد التمحيص انهما لا تخلوان من تناقض يؤدي الى الظن انهما لُفقتا بعد حين كقول هيرودوتس ان هوميروس نبغ في القرن السابع اي قبل حملة الفرس الكبرى على بلاد اليونان وقولهِ في تاريخه ان هوميروس تقدمهُ باربعمائة سنة مع انه كان يدوّن بنفسه سير تلك الغزوة تدوين الشاهد الحي · وليس في ما بين ايدينا من منظوم هوميروس ما يشير الى أُسرته وعترته مع انه كان احرص الناس على تدوين الانساب كما يتضح لمن يتصفح الالياذة · ولا اخاله الا آتياً على تلك النسبة في شيء مما فقد من شعره اذ ليس في محفوظ اشعاره ذكرٌ لابيه · واما امه فيزعم بعض الشراح انها هي المعنية بقوله في النشيد الثاني عشر (ص : ٦٨٩)

كمرأةٍ عالت الاطفال عادلةٍ　　قد امسكت عود ميزانٍ تعادلهُ
لا تخسر الصوف مثقالاً تضنُّ به . . .

وعلى هذا فلا يمكن استخلاص شيء من كُتْبه عن نسبه · وجميع ما لدينا

من رواية السلف عنه لايتجاوز حد الحِدْس ولا سيما ان شهرته النامية ومنزلته السامية حبَّبتا الى كَتَبة كل قبيلة من اليونان ان تدَّعيه فتنازعته مدائنهم واتى كلٌّ منهنَّ ببرهان . واشهر تلك المدائن ثمان وهي ازمير وسلاميس (وتدعى اليوم كولوري) ويوس (نيو) ورودس وخيوس (ساقس) وكولوفون وارغوس واثينا . ولعله اقام زمناً في كلٍ منهنَّ واخلف فيها اثرًا من شعرهِ فكان داعياً الى تلك الدعوى . وان رجلاً هذا شأنه لابدع ان يدَّعيه كلُّ فريق من قومه بعد ان ادَّعاه الاجانب . فقد ذكر افستاثيوس روايةً اسندها الى اسكندر بافيوس زعم فيها ان هوميروس ولد في مصر قال : « كان ابوه يدعى داماساغوراس وامهُ اثرا فلما وُلد عنيت بتربيته نبيَّةٌ من ولد اوروس الكاهن وكان يتحلَّب الشهد من ثديها الى فم الطفل فكان اذا اقبل الليل يتغنى بصوتٍ كصوت تسعةٍ من الطير مختلفة الاجناس واذا لاح الفجر يصيح وهو يلاعب تسعاً من الوِرْق . واوعز الى ابيه ان يبني هيكلاً للقيان منشدات السماء فبناه وقص الخبر على ابنه لما بلغ اشدَّه فكانت تهيجه ذكرى الحمام وترنم به في شعرهِ »

ومهما يكن من الخبط في تلك الاقاويل فانَّا نتبع الفريق الاعظم من الكتبة في التعويل على النسبة التي كتبها هيرودوتس واليك مجملها :

مولدهُ ونشوؤُه

هو ابن كريثيس ابنة ميلانوفوس ولدته امُّه على ضفة نهر ميليس في ضاحية ازمير ودعته ميليسيجينيس اي ابن النهر ميليس . وكان في ازمير اذ ذاك معلِّم كُتَّاب يدعى فيميوس فاستأجرها لغزل الصوف الذي كان يتقاضاهُ اجرةً من تلامذته . وكانت كريثيس صَناع اليدين ذات رجاحة وسكينة فأُعجب بها فيميوس وخطبها لنفسه . وما زال يمنّيها بالوعود حتى اجابته الى طلبه . وكان جلُّ ما استمالها به قولهُ لها انه توسم في الغلام من الفطنة والذكاء ما جعله واثقاً انه سيكون نابغة عصره اذا عُهد اليه بتربيته فاذا رضيت به بعلاً لها فهو يتبنَّى

ابنها و يعكف على تهذيبه وتثقيفه · و برّ فيميوس بوعده فعُني به فاذا به قد فاق جميع اقرانه ثم ما انقضت بضعة اعوام الا وهو يكاد يظهر على استاذه

مدرستهُ

وتوفي فيميوس ولا وارث له الا هوميروس ثم ما لبثت ان توفيت كريثيس فخلت المدرسة لهوميروس فأقام مقام استاذه فأُعجب به بنو ازمير وطارت شهرته فقصدهُ الداني والقاصي واصبح مجلسه ديوان الادب وكعبة الحكمة · وكانت ازمير لذلك العهد محطًّا لرحال التجار تستورَد اليها الحبوب من تلك البقاع الخصبة فتمتار منها المدن المجاورة · فأصبح الغريب القادم اليها اذا فرغ من عمله او سنحت له فرصةٌ يهرع الى مجلس الاستاذ الفتى ليلتقط درر حكمته · وممن كان يختلف اليه ربَّان سفينة من ذوي العلم والدهاء اسمه منتِس يحمل الحبوب الى ازمير من لوقاديا فشغف بحديث ميليسيجينيس وجعل يحسّن له الاسفار و يزين له مشاهدة الامصار وهو في عنفوان الصبا قبل ان يدركه العجز ليزداد حكمةً واطّلاعًا ووعده ان يحمله على سفينته فيتخذه خدنًا عزيزًا وإلفًا كريمًا وما زال به حتى حملهُ على مغادرة المدرسة والتدريس واللحاق به رحّالةً على متن البحار

أسفارهُ

وكان ميليسيجينيس شديد المراقبة كثير البحث لايقع بصرهُ على شيء الا تحرَّاه ولا طرق مسمعهُ خبرٌ الا استجلاهُ فطالت الرّحلة وهو في اثنائها يختزن الفوائد و يجمع الاخبار حتى انتهى به التَّطواف الى ايبيريا (اسبانيا) واقلعت منها السفينة الى ازمير فعرَّجت على ايثاكة (ثياكي) في الارخبيل اليوناني وهناك رمدت عينا ميليسيجينيس فاضطرَّ منتِس على كرهٍ منه ان يستبقيهُ فيها لدى صديقٍ له حميم من اهل تلك الجزيرة يدعى منطور · فأنزلهُ منطور في دارهِ وكان مضيافًا طيب العنصر رحب الصدر كريم الخلق ليس في بلاده من يضاهيه شهرةً بتلك الخلال

ولم تكن العلة لتمنع الفتى من البحث والتحرّي فظل وهو على فراش المرض يلتقط شوارد الفوائد ومن جملتها اخبار اوذيس (اوذيسس) واسفاره (فكانت له اساساً بنى عليه منظومته الاوذيسية وجعل فيها اسم منطور مرادفاً للحكمة والبر تخلد بها ذكره ابد الدهر) .

وبقي ميليسجينيس نزيل منطور الى ان عاد الربّان منتس الي ايثاكة فانزله الى سفينته واستأنفا الاسفار الى ان بلغا كولوفون فاشتد عليه الرمد حتى فقد بصرهُ جملةً وظلَّ كفيفاً الى ان مات

شروعه في قرض الشعر

ولما كُفَّ بصرهُ قصد ازمير واقام فيها زمناً ينظم الشعر فضاقت ذات يده وبرَّحت به الحاجة فعوَّل على الشخوص الى كومة وسار يقطع هرمُس (وهو نهر كديز او سرابات) الى ان بلغ به السير الى نيونتيخوس وهي بلدة من مستعمرات الكوميين . قيل انه وقف فيها الى حانوت تاجر جلد فأنشد ابياتاً شكا فيها بؤس الغريب الشريد المتضور فاقةً وجوعاً وكان ذلك اول عهده بالانشاد على مسمع الناس . فأصابت تلك الابيات موضع رفق وعطف من فؤاد ذلك التاجر فرحب به وآواه اليه فجلس في الحانوت وانشد علي مسمع جماعةٍ ممن حضر مقاطيع من شعره في وصف حملة امفياراوس على ثيبة وبضع ترانيم دينية . فأجلَّه القوم واكرموا مثواه فأقام بينهم وصناعته الانشاد

قال هيرودوتس : « ولا يزال اهل تلك البلدة حتى يومنا يفتخرون بالاشارة الى المجلس الذي كان ينتابهُ فينشد فيه ولذلك الموضع عندهم حرمةٌ ومنزلةٌ سامية وفيه شجرة صفصاف يزعمون انها زُرعت يوم قدم ميليسجينيس فأقام بين ظهرانيهم »

تتمة اسفاره

اقام الشاعر بضعة اعوام في نيونتيخوس ثم قلَّ رزقه فيها فبرحها الى كومة

وقصد الموضع الذي كان يجتمع فيه مجلس الشيوخ وانشد ما تيسر فارقص الحضور طرباً فطابت نفسهُ وعظمت امانيه فسألهم ان يقوموا بنفقته على ان يقول فيهم من الشعر ما يُطير شهرة مدينتهم في الافاق ويخلد لها جميل الذكر . فلم يكن في من حضر الا من استصوب السؤال واوعزوا اليه ان يقول قوله هذا في المجلس وهو ملتئم وهم من ورائه يعضدون . فعمل باشارتهم ولما اجتمع الشيوخ أُدخل الى قاعة الاجتماع فانتصب خطيباً واعاد الكلام الذي القاه على عامة الناس وخرج ينتظر الجواب . فخلوا الى شورام وكان معظمهم ممن يرغب في موافقته فاذا بواحدٍ منهم قد قام فاعترض وقال لئن جنحنا الى القيام بنفقات عميان الشعراء لتُلقينَّ على عواتقنا زُمَرًا منهم لا قِبَلَ لنا بهم . فأدَّى بهم ذلك الى الانقلاب عن عزمهم

ومن ثم لُقب ميليسجينيس بهوميروس ومعناها اعمى بلغة الكوميين وتنوسي اسمه . فنقم هوميروس على كومة واهلها ونظم قصيدةً رثى بها حالهُ واستنزل اللعنة على من يتغنى بمدحها ومدحهم من الشعراء وغادرها الى فوقيا على مقربة من ازمير وجعل يطرق منتدياتها فينشد فيها الاشعار

وكان في تلك البلدة معلّم كتّاب ذميم الخلق يسمّى تستوريذس . فلما رأى ما كان من رواج بضاعة الشعر دعاه الى منزله يقيم فيه ضيفاً كريماً على ان يلقّنه كل ما نظم وما سينظم من الشعر فما وسع هوميروس الا القبول فرارًا من الفقر . فأكب تستوريذس على النسخ حتى استتم كل منظومات هوميروس فأقفل ابواب مدرستهِ وسار الى جزيرة ساقس واقام فيها ينشد شعر نزيله ويدّعيه . فبلغ هوميروس امره فعزم على تعقّبهِ ولم يبال بما اعترضه من المشاق فوصل الجزيرة بعد معاناة الاهوال ونزل في بلدة من ثغورها تدعى بوليسوس فاتخذهُ بعض وجهائها معلمًا لاولاده فأقام عنده وعكف على نظم الشعر ثم اذاع منظوماتٍ خلّابة « كحرب الزرازير » و « حرب الضفادع والفيران » و « الكركوفة » فتناشدها الناس وتناقلها الركبان . وكان تستوريذس كلما علم بحلول

هوميروس في مكان فرَّ منه الى مكانٍ آخر

ولما رسخت شهرة هوميروس في ثغور الجزيرة سأل صاحب منزله ان يذهب به الى عاصمتها فشخص اليها وفتح مدرسةً يعلم فيها النظم وطرائقه فعظمُ امره وعلت منزلته واكبر الناس قدرهُ فطاب عيشه واتسعت حاله بينهم . فازوجوه بنتاً فولدت له ابنتين . وجادت قريحته فنظم وابدع وكان وفيًّا ذكَّارًا للجميل فأودع شعرهُ كل خلّةٍ محمودة خلَّد بها ذكر المحسنين اليه ولا سيما منطور الذي عُني به اثناء رمدهِ في ايثاكة . قال هيرودوتس « جعل هوميروس منطور في منظومته الاوذيسية رفيقاً لاوذيس وابرزه بمظهر من الصدق والوفاء عظيم حتى ان ملك ايثاكة استخلفهُ على بيته وعياله عند ما شخص في من شخص الى طروادة »

فلهج الناس في كل قطر بذكر هوميروس حتى ملأت شهرته بلاد يونيا وبلغت هيلاذة فأوعز اليه ان يقصد اغريقيا فطرب لذلك الايعاز فأقلع الى ساموس وقضى فيها فصل الشتاء يتكسَّب بالانشاد في منازل الاغنياء

مرضهُ ووفاتهُ

ولما انقضى الشتاء عوَّل على السفر الى اثينا فركب سفينةً مع جماعة من اهل ساموس فبلغوا جزيرة يوس وارسوا في مضيق على مقربة من الثغر ففاجأ هوميروس الداء فنزل الى البر وانطرح على الجرف . ولم تقوَ السفينة على مواصلة السير لشدة الانواء فأقاموا اياماً في مكانهم واهل الجزيرة يتهافتون افواجاً لمحادثة هوميروس وقد بلغ بهم الاعجاب منتهاه لما كان ينثر عليهم من غرر الاقوال ودرر الامثال . ولكنه ما لبث ان توفي لاشتداد الداء فاجتمع رفاقه واهل الجزيرة ودفنوهُ قرب الشاطئ

ولما مرَّت السنون وذوت نضارة الشعر وانحطت منزلته اجتمع اهل الجزيرة الى قبر هوميروس فنقشوا عليه بيتين من الشعر معناهما : ان من هذا النبات

الاخضر غطاء للرأس المقدس رأس الشاعر هوميروس شبيه الآلهة الذي كان يتغنى بمدح الملوك والابطال

فذلكة ما تقدّم

تلك خلاصة ترجمة هوميروس بنص هيرودوتس . وهي وان كانت لجلائها وصراحتها وتقدم عهدها احرى بالثقة مما سواها فانها لم تخلُ من مظانّ اعتراض رماها بها المتقدمون فضلاً عن المتأخرين . ولكن جلّ ما يعترض به مقصورٌ على العرَض لايكاد يتناول الجوهر بشيء . قال هيرودوتس ان تسوريدس عكف على نسخ منظوم هوميروس مع انه لم يثبت قط ان اليونان كتبوا لعهد هوميروس لان الحروف الفينيقية لم تشع عندهم الا بعد حين . على ان هذا القول لايعبث باساس الرواية اذ المراد اثبات انّ تسوريدس كان سارقًا فسيّان اذًا ان يكون ناسخًا او مستظهرًا . وزعم بعضهم ان تلك السيرة كُتبت بعد زمن هيرودوتس وعُزيت اليه . فعلى فرض ثبوت هذا الزعم فلا ريب انها كتبت بيد خبير فنسبتها الى هيرودوتس لاتنقض حقائقها . واما اغفال هيرودوتس امورًا مما أُثر عن هوميروس كرحلته الى مصر وما اشبه فليس مما يفسد الحوادث التي اثبتها اذ قلما تجد مترجمًا او مؤرخًا يلمّ باحوال مترجمه واعماله بكلياتها وجزئياتها . بل ربما حصل التفاوت في نصوص كتبة الوحي والمحدّثين . فان في كلٍّ من الاناجيل شيئًا مما أُغفل في غيره وما كان ذلك لينقض شيئًا من الحقائق المسطرة فيه ويقال مثل ذلك في السيَر النبوية والاحاديث

وحاصل القول انه كان للقدماء مزاعم كثيرة في هوميروس مما اسند الى السلف وتنوقل بالتواتر او استنبط من فقرات من اناشيده . ولقد أوغل بعضهم في البحث او الاستنباط حتى وضع سلسلة نسبةٍ رواها سويداس وغيرهُ تتصل من افلّون الى كريثيس والدة هوميروس . قالوا : كانت كريثيس ابنة ميون بن فرسيس وفوكميذا ابنة افلون . وكان فرسيس اخا هسيودس الشاعر وكلاهما من ولد

ذيوس بن ميناألفس بن ايفرادِس بن اوفيمس بن فيلو ترْبس بن هرمونيذِس بن أرفيوس بن واغروس من القَينة قليوبة . وكان واغروس ابنًا لفيروس من الحوراء ميثونة . وفيروس ابنًا للينوس الشاعر . ولينوس هذا من ولْد افلون وثو وسة ابنة فوسيذ — تلك نسبةٌ لا يثبت منها مع ما هو متواتر من اقوال المتقدمين الا ان اسم والدة هوميروس كان كريثيس ولا علم لهم بأبيه . ولعل هوميروس نفسه لم يكن يعرف اباه وهو شأن كثيرين من نوابغ الاعصر الخالية ومن جملتهم ڤرجيليوس نابغة شعراء اللاتين . اما سائر حلقات السلسلة فاذا استُجلي كنهها اتضح منه انه يُرمى به الى إعظام قدر الشاعر وإلصاقه بأعلى نسب يُفتخر به ووصفه بأجلّ وصف يزين عظام الرجال . فما في تلك السلسلة الا الشاعر والحكيم والملك والعظيم فضلاً عن الآلهة كأفلون صاحب القيثار وفوسيذ رب البحار والمطربات القيان والحور الحسان . واذا أضفنا الى ذلك معاني سائر الاسماء كهرمونيذس من رقة النغم وحسن الايقاع وفيلوتربس من حب السرور وايفراذس من الذكاء وفوكيذا من الحكمة علمنا ان واضع تلك السلسلة رمى بها مرمى الاقدمين من التعبير عن الحقيقة بالرمز واللغز وتجسيم الصفات . فكأنه قال تلك هي اوصاف هوميروس الشاعر الحكيم المطرب العظيم الرحَّالة الفهَّامة والمؤرخ العلاَّمة الى آخر ما هنالك من صفات الاجلال والتبجيل !

واما سائر الروايات المخالفة لترجمة هيرودوتس فاكثره موضوعٌ لاسباب قد يمكن استجلاء بعضها بالتحرّي والمقابلة . ولنتخذ مثالاً على ذلك زعم بعضهم انه وُلد في مصر . فاذا علمنا ان مصر كانت لذلك العهد مورد العلم ومنهل الحكمة ومحط ركاب الطلبة من كل فجٍ سحيق وعرفنا ان رجلاً كهوميروس لا بد من ان يحثه الشوق اليها فيقيم فيها زمنًا طويلاً ويخالط عامتها وسوقتها فيختبر الخُلق والعادة ويتصل بالكهّان والاحبار فيدّخر ويستفيد . وثبتت لدينا صحة ذلك من كثرة مآخذه عن المصريين مما نبهنا عليه في مواضعه . ورأينا تهافت القدماء على انتحال نسبة هوميروس اليهم . اذا تبينا كل هذا ذهبت عنا غرابة هذا الزعم .

ثم اذا تطرقنا الى النظر في قولهم انه ربي في حجر بنت عظيم الكهنة على ما تقدم فلا يصعب علينا ان نرى في تلك الرواية تحريفاً لنص التوراة في نشأة موسى الكليم . وكم من رواية على هذه الشاكلة وضعت لنبيٍّ او عظيم فنقلت فنسبت الى غيره في كل بلاد الله وتغيرت الاسماء وتحولت الماجريات الى ما يلائم المكان والزمان والاصل واحد

فلا غرابة بعد هذا في تشعب الاقوال عن شاعر يلهج الناس بذكره منذ نحو ثلاثين قرناً وأن تتباين المزاعم في اسمه ولقبه ونشأته واسرته وسيرته في صباه وشيخوخته . فاذا وُلد اختلفوا في ابيه . واذا دبَّ اختلفوا في ربيبه . واذا شب تنازعته الامصار . واذا شرع في السياحة قالوا رحل فقيراً على نفقة غيره او غنياً على نفقة نفسه . واذا أنشد الشعر ذهب فريقٌ الى انه أنشده مترنماً متكسباً كامرىء القيس وعبد يغوث في الجاهلية وابن المعتز وابي فراس في الاسلام وقال الاكثرون بل تغنّى به مستجدياً مكتسباً كزهير ولبيد والحطيئة ومتنبي المشرق ابي الطيب ومتنبي المغرب ابن هاني . وهكذا ظلّوا يتقولون في مناحي حياته الى ان تناولوه ميتاً فأماته بعضهم كمداً ميتة نحوينا سيبويه . قالوا كان شاخصاً الى ثيبة فعرج على يوس واذا بفتية يصطادون سمكاً فسألهم عن مقدار صيدهم فقالوا : « افلتنا بعدد ما امسكنا واصطدنا بعدد ما لم نصطد » فأُغلق عليه فهم المراد وعظم عليه الامر فمات قهراً

والخلاصة ان الترجمة المعزوّة الى هيرودوتس هي لدى التحقيق اصدق ما كُتب عن سيرة حياته . وليس في ما كتبه ارسطوطاليس واسطرابون ما يندُّ عنها كثيراً . واما المدن اليونانية التي ادعته فلكثير منهن نصيبٌ من صحة الدعوى . قال غينيو في مقدمة معجم هوميروس لثيل وهاليزداروس (1): احق البلاد بهوميروس ازمير باعتبار مولده وصباه وكومة باعتبار شروعه في قرض الشعر وساقس باعتبار نبوغه في النظم ويوس بالنظر الى بقاء رفاته فيها

(1) Guignaut. Dict. d'Homère et des Homérides par N. Theil et Hipp. Hallez-d'Arros. Paris 1841.

تاريخ ظهوره

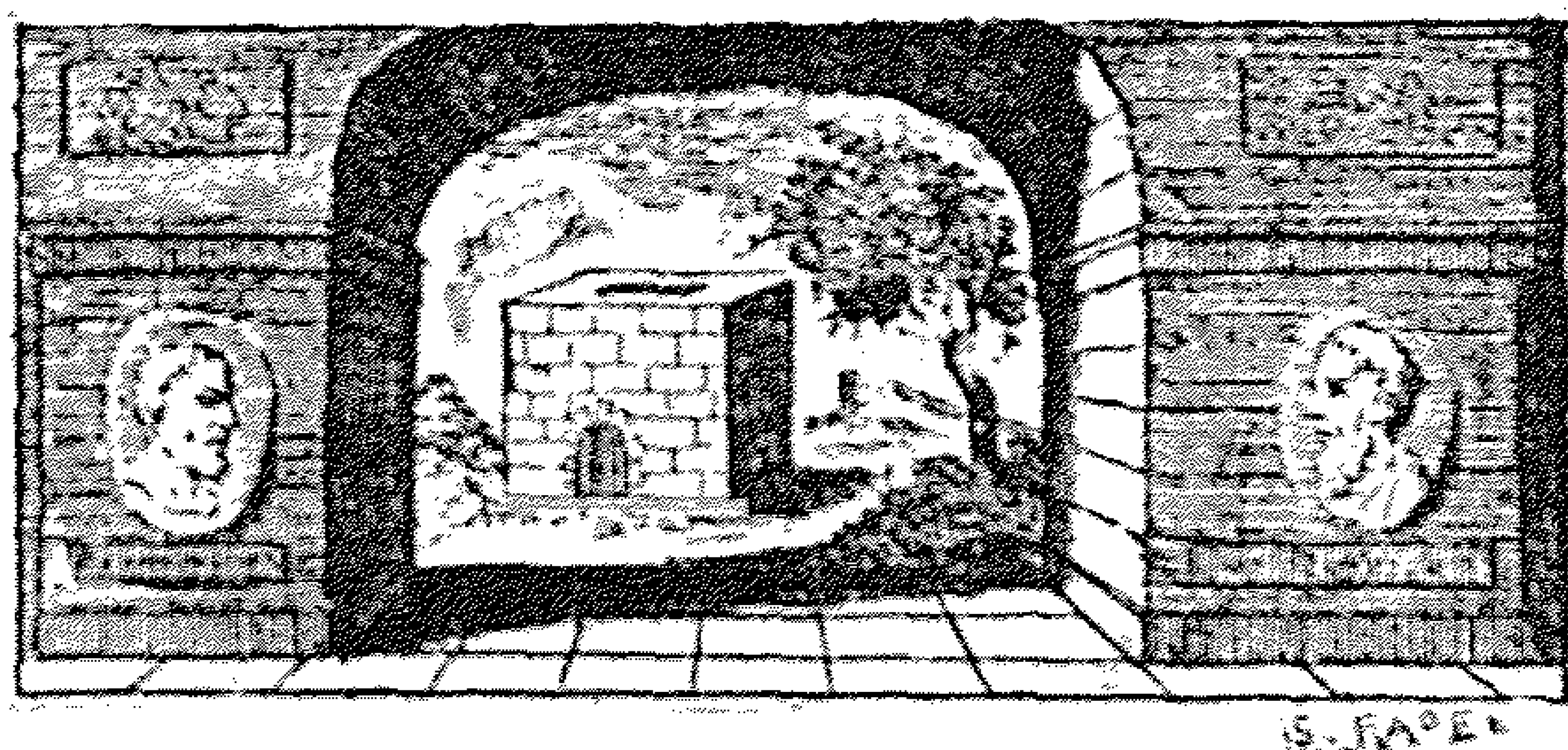
للمؤرخين اقوالٌ مختلفة في تعيين الزمن الذي ظهر فيه شيخ الشعراء وهي تتراوح بين بدء القرن الثاني عشر والقرن السابع قبل الميلاد . ورواية هيرودوتس القائل ان هوميروس تقدمهُ باربعمائة سنة ما زالت اجدرهنَّ جميعاً بالثقة لانطباقها على منقول الثقات من قدماء المؤرخين والاثر المتصل اليهم بالتواتر . فعلى هذا يكون نبوغ هوميروس في منتهى القرن العاشر او بدء التاسع قبل الميلاد او نحو سنة ٩٠٠ لان مولد هيرودوتس كان في اوليات القرن الخامس ق . م . يؤيد ذلك ١ً . ان مؤرخي الرومان مجمعون على ان هوميروس نبغ قبل بناء رومية بقرن ونصف فاذا اضفنا ذلك الى ٧٥٣ وهي السنة التي بنيت فيها رومية كان نبوغ هوميروس نحو سنة ٩٠٣ ق . م . — ٢ً . ان من مرويات شيشرون الروماني ان هوميروس كان معاصرًا لليكرغس الشارع اللقدموني وقد أيَّد اسطرابون تلك الرواية وقال ان ليكرغس قصد ساقس طمعاً بمحادثة هوميروس والاخذ عنه وعهد ليكرغس بين القرنين التاسع والعاشر . ولا يجرح تلك الرواية قول فلوطرخوس الذاهب الى ان ليكرغس انما اخذ شعر هوميروس عن حفيد الشاعر فقد يمكن ان يكون ذلك في حياة الشاعر او بعدها بقليل — ٣ً . يؤخذ من الانساب المنقولة على قطع المرمر التي وجدت في اوائل القرن السابع عشر في جزيرة فاروس في الارخبيل الرومي والمحفوظة في مكتبة اكسفرد ان هوميروس كان حيًّا سنة ٩٠٧ ق . م . ولا غرو ان تكون تلك النقوش موضع ثقة لانها كتبت باعتناء حكومة اثينا ودوِّنت فيها اشهر حوادث اليونان من سنة ١٥٨٢ الى ٢٦٣ ق . م .

فاذا ثبت لدينا ان نبوغ هوميروس كان في أُخريات القرن العاشر رجح في الظن ان بينه وبين دمار اليون التي سمي الالياذة باسمها نحوًا من اربعمئة سنة وانه كان معاصرًا لاحاب ملك اسرائيل وسوا ثاني ملوك الدولة الخامسة والعشرين

في مصر . وكلٌّ من مصر وفلسطين في ذلك الحين كان في معامع الاضطراب والانقلاب كما كانت بلاد اليونان في ابَّان سكونها بعد ان ماجت بالجالية المتدفقة اليها تدفق السيل وهو ولا ريب زمن احتكاك الافكار وانفجار القرائح بنفيس الاشعار

منزلته عند القدماء

قال اسطرابون (في الكتاب الاول والفصل الثاني من جغرافيته) اذا قيل الشاعر عُني به هوميروس . وقد لقبه في اول صفحة من الكتاب المذكور بالفيلسوف ووضعه في مقدمة الجغرافيين . وقال في موضع آخر ان رائد هوميروس انما كان الحقيقة واما الخيال فانما اتخذه حليةً وشّى بها شعرهُ فبهر بها النواظر فعلقت بها الخواطر وهذا هو السرُّ في شغف ناشئة اليونان كافةً بمطالعة شعره (١) وقال في وصف ازمير ان من خططها ما يدعى بالوميريوم وفيه هيكل ونُصب لهوميروس . وللازميريين اعجابٌ به لايفوقه اعجاب ولهذا صكُّوا نقوداً صُفرِيَّة يتداولونها وعليها اسمه ورسمه (٢)

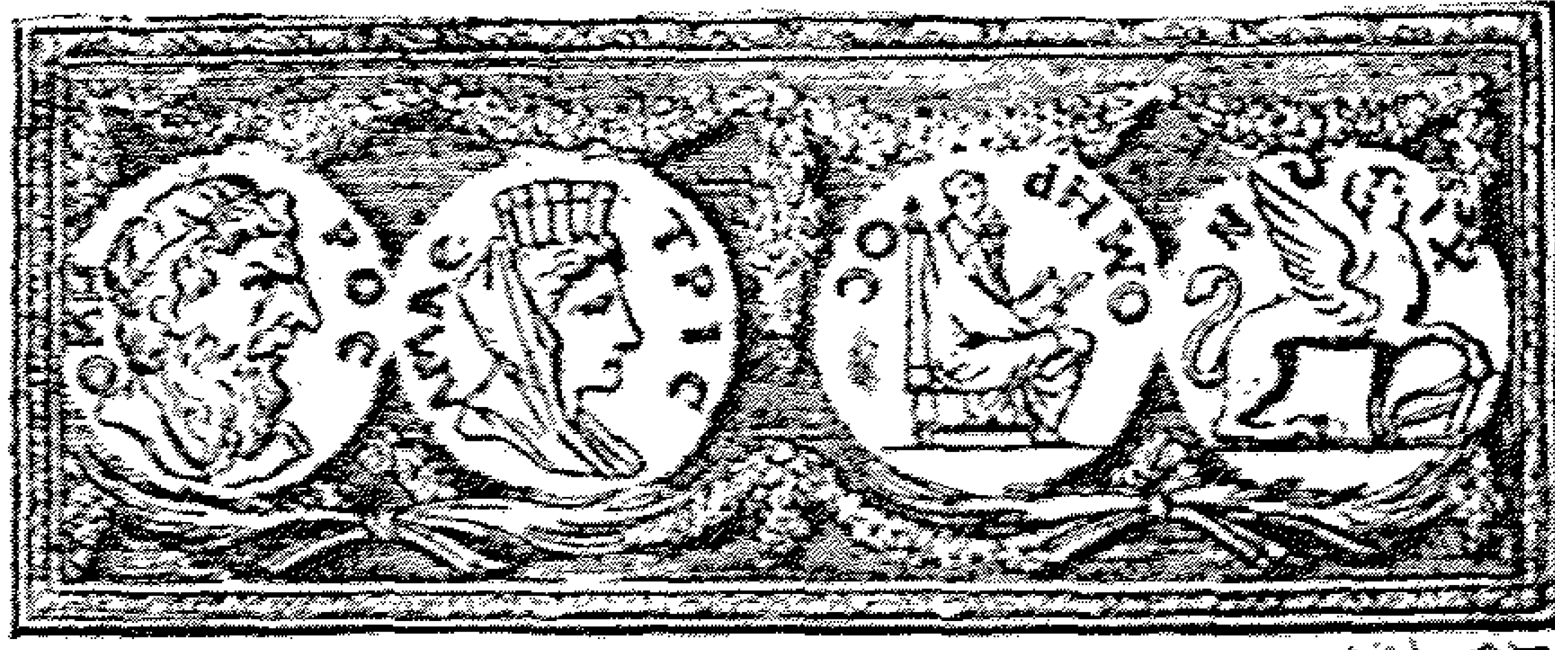


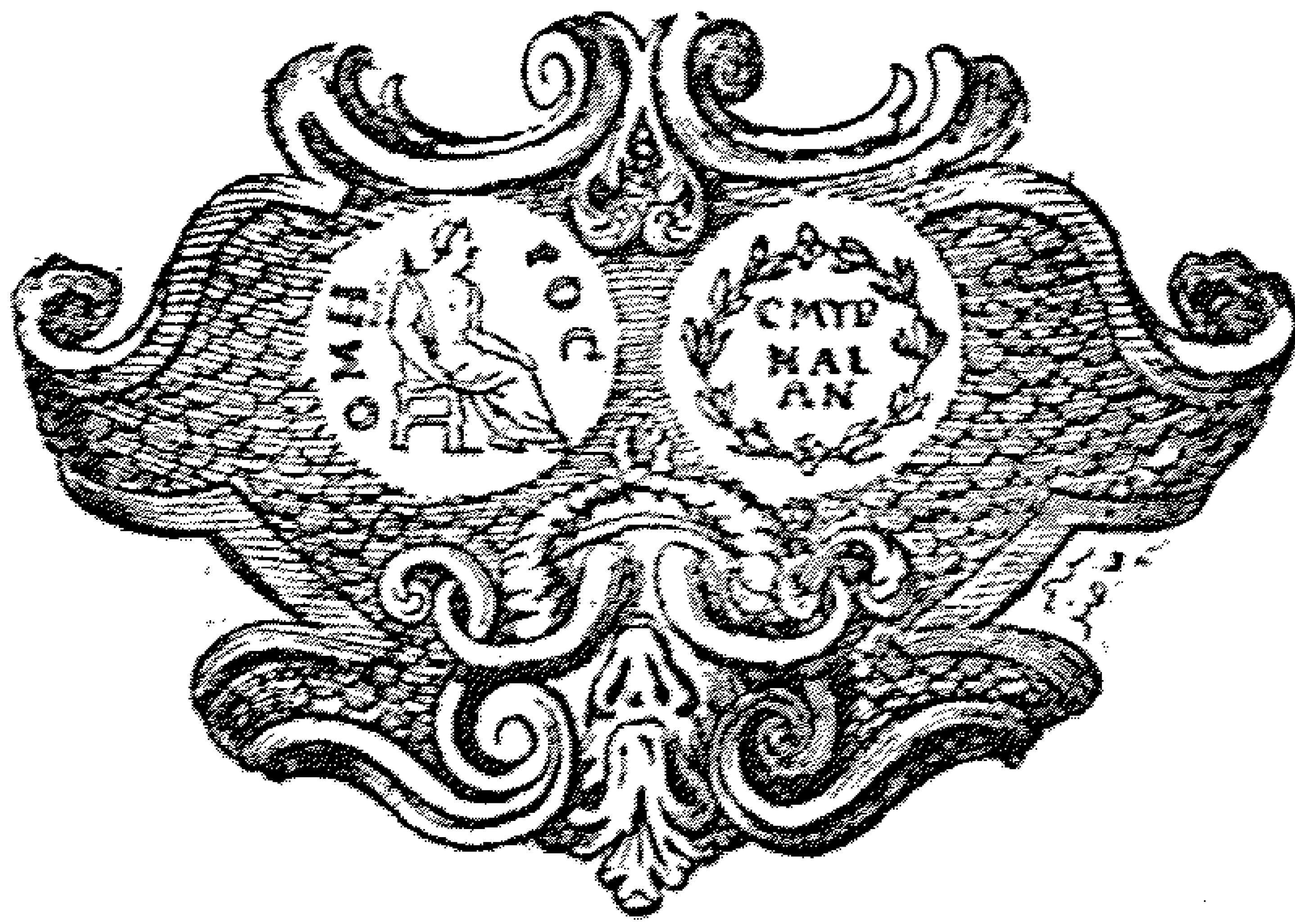
الوميرويوم او هيكل هوميروس .

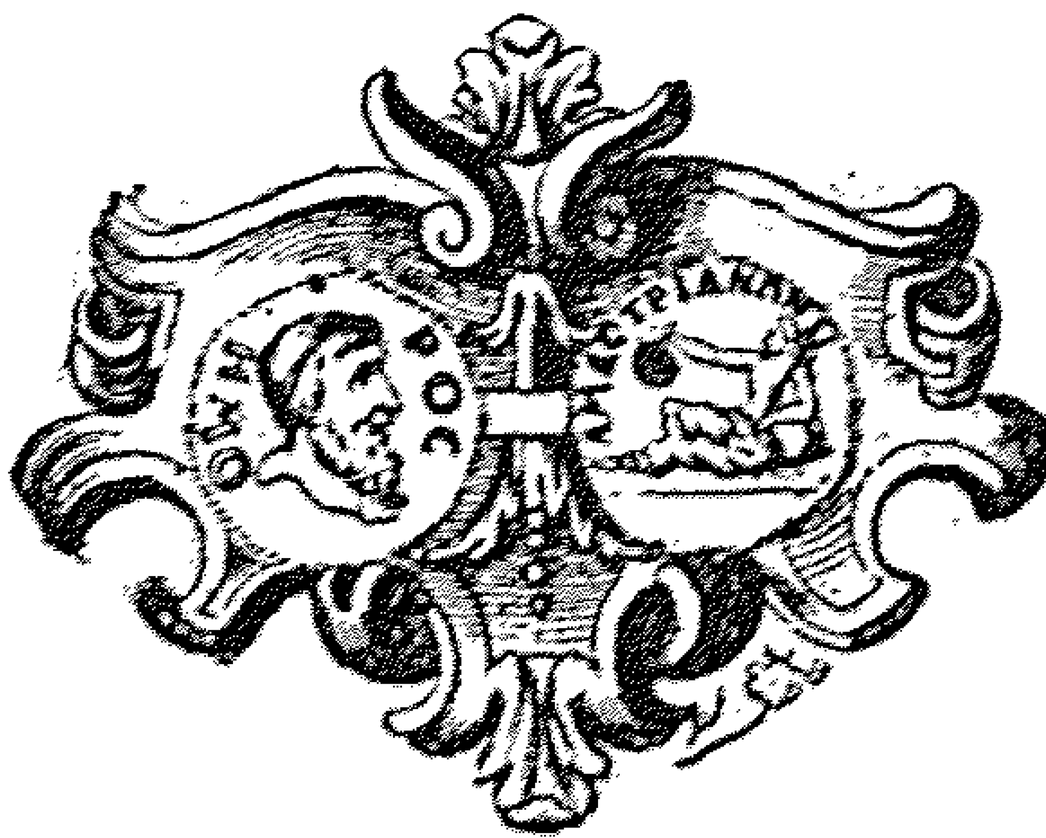
(١) اسطرابون كتاب ١ فصل ٢

(٢) اسطرابون كتاب ١٤ فصل ١

وان في مؤلفات هيرودوتس وفلوطرخوس وبلينيوس وشيشرون وسائر مؤرخي اليونان والرومان ممن نبغ قبل اسطرابون وبعده ما يؤيد كلام اسطرابون اويربو عليه · وقد روى سيمونيذس وتيوكريذس ان اهالي ساقس شادوا له معبدًا وعبدوه وتداولوا نقوده كما فعل اهل ازمير · وزعموا ان الطائفة المعروفة بالهوميرية انما كانت من نسله قالوا ذلك تأييدًا لدعواهم فيه كما قال غيرهم بل هي طائفة من الشعراء تحدّت هوميروس في النظم والانشاد







نقود هوميروس

وكان ارسطوطاليس في مقدمة المعجبين بهوميروس وقد الصق نسبه بالآلهة فقال : سطت طائفة من قرصان ازمير اثناء الجلاء اليوني على فتاة من جزيرة يوس وهي حبلى من احد الآلهة فسبوها واحتملوها الى بلدتهم فولدت الشاعر

وكان الاسكندر المكدوني كلفاً بمطالعة منظومات هوميروس واستكتب منها نسخة نقحها له استاذه ارسطوطاليس كان يحملها معه حيثما توجه ثم اتخذ لها غلافاً خوذةً مرصعة من اسلاب دارا ملك الفرس فكانت جليسهُ في حلهِ وانيسهُ في ترحالهِ يتحدى نهج مواقعها ويترنم بيدائعها و يتمثل بها في كل ما عنَّ لهُ من الاقوال والافعال ولطالما كانت تعروهُ هزة الطرب اذا أنشد بعض ابياتها ولا سيما بيته القائل بوصف اغاممنون :

مليكٌ بأحوال السياسة عارفٌ عزومٌ بصمّاء المعامع جبّارُ

ومن مأثور اقواله وهو واقف الى قبر أخيل بطل الالياذة : « طوباك فقد أوتيت منتهى السعادة بقيام شاعر كهوميروس يخلّد ذكرك »

وانك لانكاد تتصفح كتاباً من كتب الادب والتاريخ مما كان يوثق به عند قدماء الغرب الا رأيتهُ مشحوناً بالشواهد المنقولة عن شاعرنا مشفوعةً بالإطراء والإكبار . وكانوا يقتبسون من اقواله على نحو ما يقتبس اليهود من التوراة والنصارى من الانجيل والمسلمون من القرآن والحديث . كل ذلك مما مهّد سبيل إجلاله عندهم ذلك المحل الرفيع حتى تنازعته البلاد وشغفت به العباد وعني الملوك والعلماء بجمع شتات قريضه وعكف الرفيع والوضيع على ادخاره كنزاً لا ينفد

وكان فقهاء اليونان ومشترعوها يتجشمون الاسفار لجمع ما تفرق من تلك الغرر في اطراف البلاد فينظمون عقدها و يلقونها على العامة تهذيباً لاخلاقهم وتثقيفاً لعقولهم والملوك يبذلون لهم المال عوناً لهم على بلوغ تلك الغاية . قالوا واول من فعل ذلك ليكرغس لعهد هوميروس او بعده بقليل وحذا صولون حذوهُ ففعل في اثينا فعل ليكرغس في اسبارطة حتى لقد كان يضطر الشعراء ان ينشدوا قطعاً

متوالية من هوميروس حفظًا لها في ذهن الامة واستبقاءً لانتساقها على السياق الذي نظمها به الشاعر . وان لفيسيستراتوس ملك اثينا يدًا مشكورة في تبويب تلك المنظومات على النمط الذي اتصلت به الينا فاتخذ جماعةً من كبار العلماء ووسّع عليهم في الرزق ليتفرغوا لتلك المهمة . ومن جملة مرويّات الاعصر الغابرة انهُ تألفت طائفةٌ من ادباء اليونان صرفت همها الى النظر في الشعر الهوميري فنقحته ونبذت منه الدخيل والقته الى الخلف على ما نراهُ عليه اليوم . وكانت تلك الطائفة مؤلفة من سبعين عالمًا مثلما تألف المجمع السبعيني الذي نقل التوراة من العبرية الى اليونانية لعهد بطليموس فيلادلفوس . واما العامة فانها تلقت تلك الفرائد تلقيها للآلي المنزلة فكانت فكاهتها في مجالسها ومرجعها في مباحثها ومرماها في تثقيف احداثها وقبلتها في غدوها وآصالها . وما انتشر فن الكتابة حتى انتشرت في النوادي والمنازل فوق انتشارها في اذهان الخلق فكان الساقط السافل عندهم من خلا رأسه او منزله من شيءٍ من منظومات هوميروس . وهم يتنافسون بحفظها ويتناشدونها كما تتناشد خاصة الفرس والجمّ الغفير من عامتهم اقوال الفردوسي صاحب الشهنامة وسعدي صاحب الكلستان لعهدنا هذا او كما يتناشد ادباؤنا الحكم والامثال المقتطعة من اقوال نوابغ الشعراء . ومما يروى في هذا الصدد ان الكيبياذس القائد اليوناني لم يتمالك وهو فتى ان انهال على استاذه بالشتم ثم بلغت به الحدّة ان ضربه لانهُ لم تكن عنده نسخة من شعر هوميروس وهو ذنبٌ في ذلك العصر عظيم . ومن هذا القبيل ايضًا ما يقال عن زويلوس الكاتب اذ تصدى لانتقاد هوميروس في القرن الرابع ق . م . فقامت الامة وقعدت وقبضت على المنتقد وصلبتهُ ثم رجمتهُ رجمًا . ومهما يكن من صحة هاتين الروايتين ففيهما من المعنى ما لا يخفى على اللبيب

ولا يظننّ المطالع ان هوميروس انما نال تلك الحظوة عند قومه وبني ملته . بل كانت هذه منزلته عند الرومان ومن وليهم من امم المغرب . فاللاتين كانوا يترنمون بأقواله ترنمهم بشعر نابغتهم فرجيليوس وما فرجيليوس الا نابغة من

مريدي هوميروس شغف بتلاوة شعره وكان شاعرًا بليغًا فنظم الانياذة على نسق الالياذة واجاد في تحدّي استاذه · واما امم اوروبا فانها اقبلت على ذلك الشعر منذ نشأتها ولم يتخلل اقبالها فتورٌ الا عقودَ اعوامٍ معدوداتٍ في بدء النصرانية كما سنبين في باب نقل الالياذة الى العربية · وفي ما سوى ذلك كانت منظومات هوميروس ولا تزال عندهم في المنزلة الاولى بين منظومات البشر اجمعين · وكان بعض العامة من الافرنج في القرون الوسطى يتخذون منها الاحراز والتعاويذ · ويلجأُون الى استخراج المغيبات مما يستنبطون من معاني الابيات التي تبدو لهم اذا فتحوا كتابه ايًّا كانت · وابلغ من كل ذلك ان لفيفًا من الاطباء المشهود بعلمهم كانوا يعالجون بعض المرضى بالشعر الهوميري فاذا استُوصفوا علاجًا للحمى الرباعية أَمروا بوضع نسخة من النشيد الرابع من الالياذة تحت رأْس العليل

تلك كانت منزلة هوميروس عند اليونان والرومان ومن وليهم من امم اوروبا

رأي المتأخرين فيه

لم يزل الشعر الهوميري في المنزلة الاولى بين منظومات الشعراء · وليس بيْن كتب الادب والتاريخ والشعر كتاب تداولته الايدي وتناقلته الالسن واستشهد به الادباء والكتبة والمؤرخون ونُقل مرارًا متوالية الى معظم لغات الحضارة نثرًا وشعرًا كديوان هوميروس حتى لقد جُعل تدريسه فرضًا في كثير من مدارس القوم تلقّنه الفتية اصلاً وترجمةً · ومما يُذكر في هذا الصدد اعتراض بعضهم على انفاق الساعات الطوال في القائه على طلبة جامعة برلين · فلما بلغ ذلك الاعتراض ولهلم الاول قيصر المانيا قال : « دعوا الاساتذة يكثروا من تلقين شعر هوميروس فان الامة التي يرسخ في ذهنها وصف صبا الامم على ما يبسطه هوميروس لا يسارع اليها العجز والهرم » · ومن اقوال رينان الفيلسوف الفرنسي الحديث : «اذا مر على عهدنا الف عام انقرضت جميع التآليف التي بين ايدينا ولم يبق منها الا كتابٌ واحد وهو ديوان هوميروس » · واذا كان المتقدمون قد اطلقوا عليه

لقب « الشاعر » فقد لقبهُ المتأخرون « بأمير الشعراء » وما انتقاد بعض الكتّاب فقراتٍ متفرقة من شعره الا مَدعاةً لزيادة انتشاره واتساع شهرته

فما سام شمس العُلى حطةً غمامٌ يستّر اذيالها

واما بنو الشرق فهم وان جهل معظمهم اسم هوميروس فضلاً عن وجود منظوماتٍ له الا ان ذوي الاطلاع من متأخريهم قدَروه حق قدره كما ان بعض علمائهم في الزمان الغابر اعظموا شأنه واجلّوهُ . وانّ صفوة ادبائنا في هذا العصر شاعرون بالحاجة الماسّة الى نقله الى العربية . ويذكرني هذا حديثاً مع منيف باشا ناظر المعارف العثمانية قال في اثنائه « لو ان الشاعر العربي القائل :

كأني أُميروسٌ لدين محمدٍ . . . عملَ حقيقةً للشرق ما عمل هوميروس للغرب لما تعدّانا الغرب هذا الشوط البعيد » . وقد غاب عنه وعني عرفان ذلك الشاعر . ومما قاله لي السيد جمال الدين الافغاني في محضرٍ من الادباء : « انه ليسرنا جدًّا ان نفعل اليوم ما كان يجب على العرب ان يفعلوا قبل الف عام ونيفٍ . وياحبذا لو ان الادباء الذين جمعهم المأمون بادروا باديءَ بدء الى نقل الالياذة ولو الجأهم ذلك الى اهمال نقل الفلسفة اليونانية برمتها » وسأذكر في باب « الالياذة » سبب اغفال نقلها الى العربية .

ذلك قول عامة المتقدمين والمتأخرين وخاصتهم في هوميروس وشعره . اما الشعر فلا سبيل الى انكاره لانه موجودٌ يُتلى . واما هوميروس نفسه فقد قامت طائفة من الباحثين في اواخر القرن الثامن عشر بزعامة وُلف الالماني وتألبت على انكار وجودهِ بتاتاً . وما لبث مذهبهم ان انتشر انتشار الشرار ثم ما لبث ان خبا خَبْوَهُ على ما سنبسطهُ في الكلام على الالياذة

قول العرب فيه

ليس في ما بين ايدينا من التآليف العربية ما يشير الى ان ديوان هوميروس نُقل الى لغة العرب . فهو بلا ريب لم يُعرَّب وان كان معروفاً عند خاصة

العلماء في بغداد لعهد العباسيين اذ كان يتناشده الادباء من نقلة الكتب المقربين من الخلفاء بأصله اليوناني ونقله السرياني . والظاهر ان الالياذة كانت منتشرة بين الخاصة في بلاد الفرس والكلدان في زمن الدولة العباسية لان ثاوفيلس الرهاوي الذي نظمها بالسريانية كان منجم المهدي ثالث خلفائهم كما اثبتنا في حواشي الالياذة (ن ٢ : ص ٢٦٢) . قال ابن ابي أُصيبعة في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » نقلاً عن يوسف بن ابرهيم في ترجمة حنين بن اسحق اثناء تنكُّر حنين وهو عاكفٌ على درس الطب [1] « فتبنَّت خرشي (جارية الرشيد الرومية) ذلك الغلام (وهو اسحق المعروف بابن الخصي) وادَّبته بآداب الروم وقراءة كتبهم فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رئاسة فكنا نجتمع في مجالس اهل الادب كثيرًا فوجب لذلك حقه وذمامه . واعتل اسحق بن الخصي علةً فاتيته عائدًا . فاني لفي منزله اذ بصرت بانسان له شعرة قد جللته وقد ستر وجهه عني ببعضها وهو يتردد وينشد شعرًا بالرومية لأُوميرس رئيس شعراء الروم فشبهت نغمته بنغمة حنين وكان العهد بحنين قبل ذلك الوقت بأكثر من سنتين فقلت لاسحق بن الخصي هذا حنين فأنكر ذلك انكارًا يشبه الاقرار فهتفت بحنين فاستجاب لي »

فيؤخذ مما تقدم ان اليونانية كانت معروفة لذلك العهد في بغداد تُقرأ وتُدرَّس حتى في بيوت الخلفاء وان منظومات هوميروس كانت معروفة فيها بين المشتغلين بلغات الاجانب ومعظمهم اذ ذاك من النصارى

واما سائر ماذُكر عن هوميروس في كتب العرب فليس الا شذرات مقتطعة من كتب اليونان المعربة برعاية العباسيين والمؤلفات التي وضعها كبار المعربين والمؤلفين من الكلدان كابن ماسويه وابن الخصي وحنين بن اسحق . مثال ذلك قول ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء : « وكان الشعراء في ذلك

---

(١) عيون الانباء جزء ١ ص : ١٨٥

الزمان على ما ذكره حنين بن اسحق اوميرس الخ »[1] وقوله في ترجمة ارسطوطاليس « ومن كتبه كتاب في مسائل من عو يص شعر اوميرس في عشرة اجزاء[2] وقوله في ترجمة جالينوس عند ذكر الكتب التي اعترض حنين بن اسحق على نسبتها اليه « ومنها كتاب الطب على رأي اوميرس »[3] ومن هذا القبيل قول البيروني « اميروس المتقدم عند اليونانيين كامرئ القيس عند العرب[4] ومثله قول ابن خلدون في مقدمته[5] « ان الشعر لا يختص باللسان العربي بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق اوميروس الشاعر واثنى عليه » ومثله قول ابن ابي أُصيبعة[6] « قال افلاطون وقد كان ماريتون (اغاممنون) ملك اليونانيين الذي يذكره اوميروس الشاعر باسمه وجبروته وما تهيأ لليونانيين في سلطانه رُمي بشدائد في زمانه وخوارج في سلطانه » . ويدرج في هذا الباب قول الشهرستاني[7] « أُوميرس الشاعر من القدماء الكبار الذي يجريه افلاطون وارسطوطاليس في أعلى المراتب ويستدلُّ بشعره لما كان يجمع فيه من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ » واما الشواهد التي اوردها الشهرستاني من كلام هوميروس في كتاب الملل والنحل والبهاء العاملي في الكشكول فلا شك ان فيها اختباطاً واقتضاباً على نحو ما جرى

(١) عيون الانباء جزء ١ ص ٣٦

(٢) « « « ١ « ٦٩

(٣) « « « ١ « ١٠١

(٤) الآثار الباقية عن القرون الخالية لابي الريحان محمد البيروني الخوارزمي . طبع باريز ص : ٨٦

(٥) ابن خلدون . باب اشعار العرب واهل الامصار

(٦) عيون الانباء جزء ١ : ١٨٥

(٧) كتاب الملل والنحل جزء ٢ : ١٥

لكتّاب العرب في اكثر ما استشهدوا به من كلام الاعاجم

وقد اكثر ابو الفرج الملطي المعروف بابن العبري من ذكر هوميروس في تاريخه حتى دون حكايته مع ماجنٍ سأله ان يهجيه طمعاً في الشهرة من وراء ذلك الهجو فأبى هوميروس فتهدده بالشكوى الى رؤساء اليونانيين فضرب له هوميروس مثل الكلب الذي نكل الاسد عن مبارزته فقال الكلب « سأمضي الى السباع فأشعرهم بضعفك » فأجاب الاسد « لئن تعيرني السباع بالضعف احب اليَّ من ان الوّث شاربي بدمك »[1]

وخلاصة القول ان هوميروس كان له شأنٌ مذكور عند نقلة الكتب من بطانة الخلفاء ولكن المام ادباء العرب بأقواله كان الماماً ناقصاً بقي محصوراً في افرادٍ معدودين من كبار الكلدان . واما منظوماته فالثابت انها لم تعرَّب

منظوماته

نقصر الكلام في هذا الباب على الالماع الى ما نُسب لصاحب الالياذة من الشعر مما ثبت له ومما لم يثبت . واما البحث في شعره من حيث هو واساليبه وطرائق نظمه وتشابيهه واستعاراته وفائدة ذلك للعلم والتاريخ والآداب فنستبقيه الى الكلام على الالياذة بعيد هذا

ان لهوميروس منظوماتٍ كثيرة لاغرو ان يكون المفقود منها شيئاً كثيراً . فان العلماء ما زالوا حتى الآن يعثرون حيناً بعد حين على قطع مبعثرة في عاديّات القدماء من تلك القطع المختزنة في دفائن الارض . وان العهد لقريب بالعثور على مقاطيع مكتوبة على ورق البردي في عاديات مصر مما لم يدرج في ديوانه . على ان درة تلك القلادة انما هي الالياذة بلا خلاف . بل هي كانت ولا تزال درّة عقد ما نظم الشعراء في كل عصر وبلاد مما تقدم زمن هوميروس وما تأخر عنه

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري طبع بيروت ص: ٦١

الاوذيسية

ويتلوها الاوذيسية وهي ملحمةٌ تقصر عن الالياذة بضعة آلاف من الابيات يغلب على الظن ان الشاعر نظمها في شيخوخته وموضوعها رحلة اوذيس اثناء عوده الى بلاده بعد انتهاء حرب طروادة والقصة بأجمعها لاتتناول الا اربعين يوماً ولكن فيها من الحقائق وتنوع المباحث ما يكاد يعادل الالياذة. وهي كشقيقتها في اربعة وعشرين نشيداً ولكنها باعتبار وقائعها تقسم الى اربعة اقسام يشتمل القسم الاوّل منها على ما حصل لاوذيس في منتهى المدة الطويلة التي نزل بها على الالاهة كاليبسو فى جزيرة اوجيجيا وعشاق امرأته ساعون اذ ذاك في تبديد ثروته وتقويض دعائم ملكه وابنه تليماخوس وهو فتى يافع مهتمٌّ في احباط مساعيهم حتى اذا اعيته الحيلة شخص بايعاز آثينا الاهة الحكمة الى فيلوس واسبارطة مستطلعاً اخبار ابيه. وفي القسم الثاني وصف مغادرة اوذيس لجزيرة اوجيجيا وبلوغه بلاد الفاقيين حيث نزل وقص عليهم خبره ثم غادرهم الى ايثاكة مقر حكمه. وفي القسم الثالث تفصيل الخطة التي اختطها هو وابنه تليماخوس في منزل خادمه الامين الراعي افميوس للضرب على ايدي اولئك البغاة. وفي القسم الرابع وصف انتقامه منهم واستقراره في ملكه

معارضة الاوذيسية بالالياذة

ان بين الاوذيسية والالياذة شبهاً كثيراً في النهج والسياق مما يدل على ان الناظم واحد فكلتاهما قائمةٌ على اساسٍ بسيط مرجعه الى موضوعٍ واحد. ففي الالياذة «كيد اخيل» وفي الاوذيسية «رحلة اوذيس» وعلى هذين الامرين مدار جميع حوادث الروايتين بما تخللهما من القصص والتاريخ وما وراء الطبيعة ودونها. وكل واحدة من الروايتين منحصرة الوقائع في ايامٍ قليلة في منصرم اعوامٍ طوال. فالالياذة لاتتناول سوى ستة وخمسين يوماً من حصار عشر سنين والاوذيسية لاتتجاوز في مدتها الاربعين يوماً من رحلة اوذيس. وكما ان مطالع

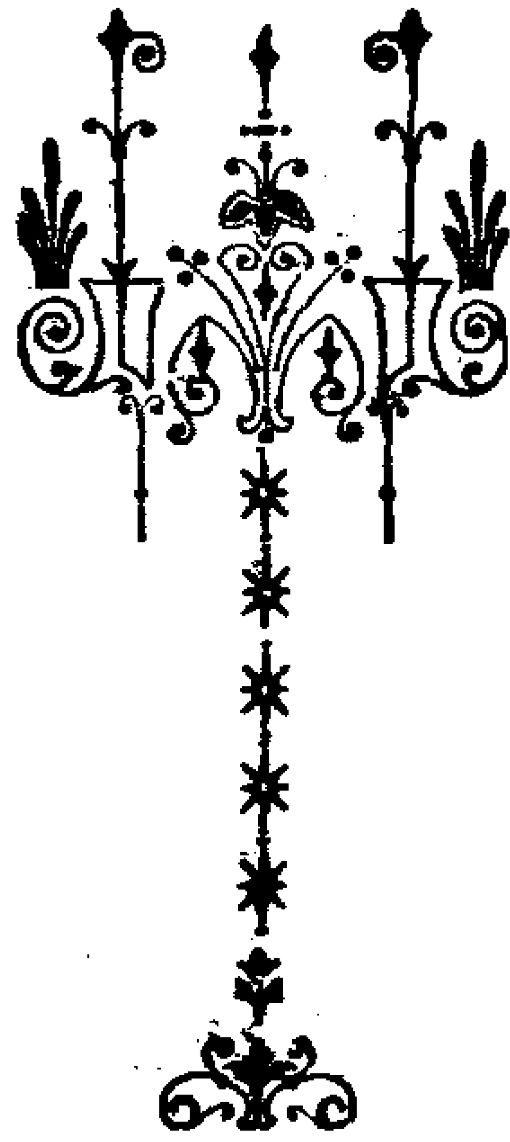
الالياذة يلمُّ استطراداً بتاريخ ذلك الحصار وما تقدمه وما وليهُ ويتمثل حالة البلاد بالنظر الى التاريخ والجغرافية والدين والآداب والاخلاق والعادات فكذلك يحيط مطالع الاوذيسة علماً بما لقي اوذيس في تلك الرحلة منذ نزل بكاليبسو فشغفت به وامسكته في جزيرتها سبعة اعوام ويقف على حالة البلاد التي القتهُ الاقدار اليها وينزل الى اعماق الجحيم ويصعد الى اعالي السماوات ويطوف حول الارضين تطواف الشاهد البصير · وكلتاهما متماسكة الاجزاء متراصة المعاني لا تقرأ نشيداً منهما الا انست به نفس سائر الاناشيد · ومع هذا فقد يُعترض على وحدة الناظم بما بين الملحمتين من التباين في قوة التركيب وحدة التصور وجزالة اللفظ فان الالياذة في كل ذلك فوق شقيقتها · وانما هو اعتراض مردود بثبوت ان الالياذة متقدمة على الاوذيسية نظمها الشاعر في ابّان عمره وتخيلته على نضارتها ومادّته بمعظم غزارتها ولكن في الاوذيسية من اصابة المرمى وسداد الرأي ورسوخ الحكم وسعة العلم ما لا يقصر عما في الالياذة

سائر منظومه

واما سائر المنظومات المعزُوَّة الى هوميروس فسواءٌ ثبتت له او لم تثبت فلا تزيدهُ رفعةً وشأناً بل خيرٌ له ان لا تكون له · والراجح عند اهل التحقيق انها من غير نظمه وان نسب اليه هيرودوتس بعضها « كحرب الضفادع والفيران » و « حرب الزرازير » وجماعة « الكركوفة » وهي قصائد لا تتجاوز المئات من الابيات وليس فيها شيءٌ مما يدل على انها من نتاج تلك القريحة السيالة والذهن المتوقد · ونسبتها الى الالياذة والاوذيسية كنسبة بعض قصائد المتنبي المنظومة في صباه والمثبتة في اول ديوانه الى سائر قصائده الرائعة · وقد ذهب ارسطوطاليس الى ان هوميروس نبغ في الشعر الهزلي نبوغه في الشعر القَصصي · واستدلوا على ذلك بالمنظومة « مَرْجِيتِس » وهي قصيدةٌ يصف فيها الناظم رحلة مرجيتس الغني المتغطرس ولم يبق منها الا اجزاء متقطعة

وممّا ينسب اليه ايضاً ثلاثة وثلاثون مزموراً ترنم فيها بمدح الآلهة وقص فيها بعض اخبارهم وترسّل بالابتهال الى ابولون وعطارد (هرمس) والزهرة وذيميتير والمريخ (آريس) واثينا وهيرا وهرقل قلب الاسد واسقليبيوس الاه الطب وهيفست الاه النار وفوسيذ وزفس والشمس والقمر والارض وهلمّ جرّا

وقد نسبوا اليه ايضاً بعض مقاطيع واهاجي في ابيات قليلة والأظهر ان تلك المقاطيع والزبور واشباهها مما أُلحق بديوان هوميروس لجهل رواتها اسماء اصحابها ٠



الالياذة

تمهيد

الإلياذة او الإلياس نسبةٌ يونانية الى إليون عاصمة بلاد الطرواد وهي الملحمة التي نحن بصددها وضعها هوميروس على اسلوبٍ بسيط وبناها على موضوع واحدٍ هو « غيظ اخيل او احتدامه » ونهج بها نهجاً متناسقاً قص في اثنائه حوادث متسلسلة لاتتشعب وقائعها بتعدد الاشخاص مهما كثروا وكثرت . فهي بهذا المعنى سلسلة واحدة من اولها الى آخرها وهو مذهب معظم الرواة والقصّاصين من القدماء ولا سيما الشرقيين لميلهم الى البسيط من القَصص بخلاف رواة الاوروبيين في الاعصر الحديثة فانهم يفرّعون الحوادث ويكثرون من تدخل الاشخاص بوقائع متشعبة مما يُأول في نظرهم الى زيادة تفكهة القارىء ولعل المتاخرين مصيبون برأْيهم هذا في الزمن الحاضر وخصوصاً لانهم بعد انتشار فن الطباعة اصبحوا في غنىً عن استظهار اقاصيصهم على نحو ما كان القدماء يحفظون رواياتهم حرفاً حرفاً عن ظهور قلوبهم . ومعلومٌ ان البسيط المتناسق اسهل حفظاً من المركب المتشعب

ولا بد لنا قبل بسط موضوع الالياذة من الالماع الى حرب طروادة تلك الحرب التي خلد هوميروس ذكرها باقتطاع شذرة منها موضوعاً لاناشيده

كانت مملكة طروادة اثناء تلك الحرب ممتدة من جنوبي اسيا الصغرى الى الهلسبنْطس وهو مضيق الدردنيل وملكها فريام وقاعدتها اليون وتدعى ايضاً طرويا (او طروادة) وقد عفت اثارها منذ قرون ولكنه قد يؤخذ مما تُوصِّل اليه بالبحث انها كانت واقعة في سفح الجبل القائمة عليه الآن قرية بونار باشي

اما بلاد الاغريق فكانت ممالك صغيرة تتحالف احيانًا وتتشاق اخرى وبينها وبين بلاد الطرواد صلة تجارة ونَسب . وحدث ان منيلاوس ملك اسبارطة غاب عن عاصمته في مهمَّة وان فاريس بن فريام أُوفد برسالة الى اسبارطة فنزل ضيفًا على منيلاوس وهو غائب وما زال بهيلانة امرأَة فاريس حتى استهواها فأَحبته ووافقته على الفرار معه الى بلاده . فقامت الاغريق وقعدت لذلك النبأ . ولما أَعيتهم الحيلة في استخلاص هيلانة تأَهبوا للحرب واستصرخوا جميع قبائلهم ففزع اليهم القاصي والداني وعقدوا لاغاممنون اخي منيلاوس وملك ميكينيا . فكانت الرئاسة اليه منذ نشوب الحرب الى ان خبت جذوتها بدمار اليون . فساروا جيشًا كثيفًا يعيثون في بلاد الطرواد يخربون المدائن ويقتلون الرجال ويسبون النساء وينهبون الاموال الى ان بلغوا اليون العاصمة فحصروها واقاموا على حصارها عشر سنين . فساءت حال الفريقين ونفدت الارزاق وبادت المقاتلة وكاد الاغريق ينثنون الى اهلهم ويقنعون بسلامة من بقي منهم لو لم يوافهم داهيتهم اوذيس بخدعةٍ مكَّنتهم من فتح اليون

موضوعها

تناول هوميروس ايامًا قلائل من السنة العاشرة لحصار اليون وبنى عليها منظومته وشرع فيها بقوله :

ربَّةَ الشعر عن إخيل بن فيلا   أَنشدينا وأَروي احتدامًا وبيلا

اشارةٌ منه الى انه سيدور حول ذلك الاحتدام منذ اتقد الى ان خمد . وهو موضوعٌ يكاد يحسبه شعراؤُنا تفهًا لبساطته ويعجبون لقريحةٍ علقت به فأَنتجت نحوًا من ستة عشر الف شطرٍ او شعر مع ان معلقة امرىء القيس ومطلعها ينبىء بمجموع اوسع وموضوع اجمع تقصر بجملتها عن مئة بيت . وانك مع هذا اذا طالعت الالياذة كلها لاتكاد ترى فيها حشوًا ولغوًا بل لاتتمالك ان تستزيد منها في مواضع كثيرة

ومُجمل القصة انه كان في جملة السبايا فتاةٌ جميلةٌ وقعت في سهم اخيل عنترة الاغريق فانتزعها منه اغاممنون زعيم الزعماء واستخلصها لنفسه فعظم الامر على اخيل وكاد يبطش باغاممنون لولا ان اثينا الاهة الحكمة هبطت من السماء وصدَّته قسرًا . فانكفأ عنه واعتزل القتال هو وعشائرهُ . فحمي وطيس الحرب بين الاغريق والطرواد واخيل في عزلته يتحرق غيظًا . فاشتدت عزيمة الطرواد لاحتجاب اخيل فنكَّلوا بالاغريق في مواقع كانت الغلبة في معظمها لهم . فلما ثقلت الوطأة على الاغريق اوفدوا الوفود استرضاءً لاخيل فما زاد الا عتوًّا وكِبرًا . فوقعت هيبة هكطور زعيم الطرواد وابن ملكهم فريام في قلوب الاغريق وما زالت تتوالى له الغلبة بعد الغلبة حتى كاد يحرق سفائنهم ويردهم خائبين . وكان لاخيل صديقٌ حميم هو فطرقل فتىً جمع بين كرم الخلال وبسالة الابطال صحب اخيل في معتزله وهو مع هذا يتلظى اسىً لنكبة قومه ويستفز اخيل للاخذ بيدهم واخيل كالحجر الاصم لا يرقُّ ولا يلين . ولما اشتدت الازمة على الاغريق وكاد يقضى عليهم جعل فطرقل ينتحب كالطفل فأذن له اخيل ان يتقلد سلاحه ويحمل على الطرواد بجند المرامدة قوم اخيل . فحمل عليهم حملةً مزقت شملهم وردَّتهم على اعقابهم واذا به خرَّ قتيلاً امام هكطور فدارت الدائرة بموته على قومه فولّوا مدبرين وهكطور يضرب في اردافهم . ولما علم اخيل بموت فطرقل قتيلاً تسعَّر حزنًا على حليف وده والتهب حقدًا على الطرواد وتحول غضبه من عن الاغريق اليهم ونهض للاخذ بالثار فصالح اغاممنون واغار على الطرواد فبطش بهم بطش الاسود بالحملان فلاذوا بالفرار وتحصنوا في معاقلهم ما خلا هكطور فانه برز له فقتله اخيل ومثَّل به . ولكنه ما لبث ان سكن جأشه وخبا غيظه فانقلب ذلك الغيظ رفقًا وعطفًا اذ رقَّ لشيبة فريام فألقى اليه بجثة ابنه وسيَّرهُ آمنًا فانتهت القصة بسكونٍ وسلام

نظمها وتناقلها

اذا لزم من تماسك اجزاء الالياذة ان تكون منظومةً واحدة فلا يلزم ان تكون نظمت وأُنشدت جزءًا واحدًا . ولا يؤثّر على مجموعها ان تكون أُنشدت في قطرٍ واحد او اقطارٍ مختلفة فهذا نقلها العربي وما هو بالشيء المذكور ازاء الاصل اليوناني وقد نُظم في اربعٍ من قارّات الارض . ولا فرق ان يكون الشاعر نظمها تطرُّبًا بمعانيها او تطلُّبًا بأغانيها . تلك جميعها مباحث لا فعل لها في جوهر الالياذة فليس لنا هنا ان نطيل النظر فيها . وانما يجب النظر في طريقة اتصالها على سعتها من السلف الى الخلف

ذهب برتلمي سنت ايلير [1] الى ان اليونان كانوا يكتبون لعهد هوميروس وهو قولٌ لم يؤيده أثرٌ حتى الساعة . ومع هذا فعلى فرض صحة هذا المذهب فان الكتابة عندهم كانت في زمن طفولية لاتكاد تتسع الا لتدوين ما عظم من حوادث التاريخ والا لخلفت ولو أثرًا ضعيفًا كما خلّفت في مصر وبابل . فلا ريب اذًا انها انما حُفظت اولاً في اذهان الرواة فتناقلوها جيلاً عن جيل

وقد يُستغرب تناقل الالياذة في اول امرها استظهارًا على ما فيها من كثرة الابيات واتساع المباحث وتنوع الاحاديث . على انه يتضح لدى التروّي ان ذلك الاتساع كان من مسهّلات حفظها وعلوقها في ذاكرة المنشدين . وهو ثابتٌ ان الانشاد مهنةٌ كانت ولا تزال شائعة بين اجيالٍ شتى من الناس . وكان للرواة والمنشدين منزلةٌ يُحسدون عليها ولهذا تطالّ اليها كل ذي علم واسع وذاكرةٍ نيّرة . وكثيرًا ما كانت باب رزق لكل ضرير كُفّ نظره فتحوّل نور بصره الى بصيرتهِ فادخرت في محفوظها ما تقصر عن رسمه اقلام الخطّاطين

ذكر سقراط وافلاطون وغيرهما ان المنشدين كانوا يتهافتون الى مجتمعات الناس في اثينا وسائر مدن اليونان فينشدون ما حفظوه من الالياذة وغيرها

(1) Barthélemy Saint-Hilaire, Iliade d'Homère traduite en vers français.

وكان قيام هؤلاء المنشدين بين العامة والخاصة من لوازم كل احتفال وطني وعيدٍ ديني . فتُقام لهم في اثينا وساقس وتيوس وأُرخمينا ومدائن اخرى اسواق كسوق عكاظ ومربد البصرة يتناظرون فيها وتُعدُّ لهم الجوائز السنية فيحرزها المبرّز منهم ويحرص عليها حرص الفائز باكليل الغار بعد الانتصار . ولطالما كان يجنح الواحد منهم الى التغني ببطلٍ معين او روايةٍ مخصوصة فيفني العمر بالقائها حيناً بعد حين على ما هو اليوم شان القصَّاصين في مصر وبر الشام والاقطار العجمية . ويؤخذ على ذلك دليلٌ من نفس هوميروس اذ انطق أُوذيس في الاوذيسية (ن ٩ — ١٢) بما يربو على الفين ومئتي بيت نفَساً واحداً . على انه لايلزم مما تقدَّم ان راوياً واحداً ينشد الالياذة كلها او يحفظها لهذا الغرض

وقد اسهب متفُرد [1] وغروت [2] وغيرهما في ذكر الادلة الساطعة على امكان بقاء الالياذة محفوظة في الاذهان قبل شيوع الكتابة مما لا متَّسع لنا لنقله . وحسبنا ايراد شيءٍ من الادلة الحديثة منها وما يتصل بأَزماننا مما يرتاح اليه قراؤنا ولا سيما العرب منهم

العميان وانشاد الشعر

بحث فورْيل [3] في الاغاني اليونانية في الاعصر الاخيرة فقال في مقدمته « انها لاتزال على ما كانت عليه في سالف الزمن والغريب انها بقيت مهنة العميان وهي مهنةٌ تحببهم الى الناس بل تجعل لهم مقاماً ذا نفعٍ بالنظر الى حالة الامَّة واخلاقها وتصوراتها وشأْنهم التنقل من بلدٍ الى آخر فيطوفون اطراف بلاد اليونان وجزرها وهمُّهم استظهار جميع ما وسعه ذهنهم من الاشعار والاناشيد القديمة والحديثة . فكلهم يعرف منها شيئاً كثيراً ويبلغ ما يحفظه بعضهم الى حد الغرابة والاعجاز . فاذا ذخروا هذه الاغاني فانما ادخروا كنزاً ثميناً

(1) Mitford, History of Greece p. 135.
(2) Grote, History of Greece Vol. II p. 145.
(3) Fauriel, chants populaires de la Grèce moderne. 1824.

يطوفون به فيلقونه بضاعةً ذات قيمة وحيثما حلوا اجتمعت الناس اليهم فيأخذون في الانشاد بما وافق المقام ويتعيشون بما ينفحهم به مستمعوهم . وهم في الغالب يؤثرون الانشاد بين عامة الناس لان العامة اكثر اقبالاً عليهم واقلُّ تعنتاً في انتقاء المواضيع — ولا يزالون كما كانوا لعهد هوميروس يتغنون على نغم القيثارة او الكنَّارة وهم فئتان فئة تنشد محفوظها من شعر الشعراء وهي الفئة الكبرى وفئة قليلة تنشد من محفوظها ومنظومها وهي ارفع منزلةً واوسع جاهاً . وهكذا فان هؤلاء المطربين هم الآن كما كانوا في القدم رواة الاخبار والتواريخ وشعراء الامة »

حفَّاظ الشعر عند سائر الامم وخصوصاً العرب

قال غرِمّ [1] « ان الالمان كانوا يسلكون هذا المسلك وان الاناشيد الجرمانية كانت تنشد كاناشيد اليونان على نغم القيثار »

ومن قول فوريل ايضاً [2] « ان الروايات والقصص كانت تنشد في فرنسا على هذا النمط في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان الراوي اذا اراد الانشاد دعا الجماعة الى استماع اغنية تاريخ جميلة (une belle chanson d'histoire) ثم يتغنى على نغم شبَّابة عربية ذات ثلاثة اوتار واذا اخذ فيه العياء ظل ينغم زمناً بلا انشاد . تلك كانت الوسيلة المثلى لالقاء الروايات والاقاصيص »

ونقل الكسندر شدزكو [3] « ان حفَّاظ العجم يتلون لك من شعر شعرائهم ما لا تكاد تصدق ان ذاكرةً تعيه لكثرته فقد يظل المنشد يتغنى باشعار الشهنامة (وهي الياذة الفرس) نهاراً كاملاً » وما ادراك كم بيتاً يقال في نهار

(1) Grimm, Deutshe Heldensage, p. 373
(2) Romans de chevalerie, Revue des deux mondes, XIII p. 559
(3) Alexander Chodzko, specimens of the popular poetry of Persia, London 1842. Introd. p. 13

اما العرب فلم يكن في أُمَّة من امم الارض شأنٌ للانشاد ارفع منه عندهم وهذه اخبار عكاظ والمربد تملأُ الاسفار بصرف النظر عن اخبار الشعراء المنبثين في كل اصقاع البلاد العربية لامهنة لهم الا انشاد الشعر . وهذه اخبار الخلفاء وقد كان ما يجيزون به الشعراء من ابواب النفقة الطائلة مما لا يبقى معه ريب ان انشاد الشعر كان الضالَّة المنشودة والمفخرة التي يتسابق اليها الرفيع والوضيع

واذا طالعت اخبار الشعراء المُترجمين في كتاب الاغاني وغيره رأَيت بعضهم كهوميروس اميين لا يقرأُون ولا يكتبون بل ربما احتاج ابلغهم الى قارئٍ صغير كما فعل طَرَفة ابن العبد والمتلمس اثناء شخوصهما الى عمرو بن هند ملك الحيرة اذ اضطرّا الى استرضاء غلامٍ حدَث ليقرأَ لهما كتاباً وكلاهما من فحول الشعراء (شرح الالياذة ص : ٤٤٩) وهؤُلاء اصحاب المعلقات والمجمهرات والملحمات كان فريقٌ كبيرٌ منهم أُميّاً

واما مبلغ الذاكرة عندهم فما لايفوقه شيءٌ في اخبار اليونان والرومان والافرنج . وفي اخبارهم ما لو حُذف منه شيءٌ كثير لربا باقيه على مرويَّات اليونان قديمهم وحديثهم . فاذا علمت ان ابا العلاء المعرّي سمع محاورة اسرائيليَّين بالعبرية وهو في شأن غير شأنهما ثم طُلب بعد مدة مديدة للشهادة فأَعاد تلك المحاورة وهو لايفقه من العبرية حرفاً — اذا علمت ذلك فما ظنك تعي ذاكرته من الشعر لو توخَّى الحفظ — واذا قيل لك ان الالياذة مؤَلفة من زهاء ستة عشر الف بيت فيصعب الاخذ بقول القائلين انه امكن استظهارها فما بالك لو سمعت ما ذكروا عن غرائب حافظة حمَّاد الراوية اذ امتحنه الوليد بن يزيد ووكَّل به من يسمع انشاده فأَنشد تباعاً الفين وتسعمائة قصيدة من شعر الجاهلية . او لو قيل لك ان الاصمعي كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزةٍ كاملة ما خلا القصائد والمقاطيع واخبار العرب بدوهم وحضرهم . وهذا قولٌ مهما أُنس فيه من المبالغة لا يخلو من صحةٍ بعضها كافٍ لاثبات ما نتوخاه

هذا واني ممن يعتقدون انحطاط قوى الذاكرة وارتقاء قوى المخيلة في

ازماننا هذه بناء على الناموس القاضي بترقي القوى البشرية وانحطاطها بكثرة المزاولة وقلتها . ومع هذا فالحافظة مهما وُلدت خاملة لاتلبث ان تقوى بالمثابرة على الاستظهار فمثلها في تدرُّجها من الضعف الى القوة مثَلُ يد النجار والحداد وقلم الكاتب . وفي عصرنا هذا من حفَّاظ التوراة والانجيل والقرآن مئاتٌ والوف عرفتُ بعضهم بالذات . ولقد طالما اضطررت في حينٍ من الزمن الى مراجعة خبرٍ او آية في التوراة والى جانبي المرحوم المعلم داود الحاج فكنت اذا ذكرت لهُ طرفاً مما أُريد اشار فوراً الى السفر والفصل وكثيراً ما كان يعيّن العدد فأتصفح الكتاب فاذا هو كما قال . وحفَظَة القرآن منتشرون في كل صقع من بلاد الاسلام ومنهم الجم الغفير من كفيفي البصر كرواة سائر الامم . ويقال مثل ذلك في حفَظَة الانجيل من المسيحيين ولا سيما وعَّاظ الانجيليين

اما رواة الشعر فهم في البلاد الشرقية اكثر منهم في اقطار الغرب حيث قضت الكتابة على الاستظهار القديم . وقد شهدت بنفسي مصداق قول شدزكو في منشدي الفرس . فاذا جلست الى الواحد منهم وهو ينشد شعر الفردوسي او جلال الدين الرومي او قصص كلستان سعدي شعراً ونثراً لظننته يتلو كتاباً يتصفحه حرفاً حرفاً

واذا جلت في بادية العرب وسمعت منشديهم ينشدون على نغم ربابتهم الوفاً من الاشعار قلت تلك كنارة هوميروس وهؤلاء لا اولئك هم المنشدون الذين ذكرهم سقراط وافلاطون ومِثفرد وغروت وفوريل وغرمّ وشدزكو

ولقد تيسر لي اثناء تجولي بينهم ان التقطت منهم قصائد شتى جمعتها في ديوان سامثّل منتخباتهِ بالطبع وكثيراً ما كنت اسمع القصيدة من غير راوٍ فاذا هي هي

وليس بالامر اليسير بإزاء ما تقدم محفوظ زجّالي مصر وقوّالي لبنان وشعراء اهل الارياف في اسبانيا والبرتوغال . فقد استبقت الذاكرة بضع قصائد بل مطالع من معنّى اللبنانيين مما علق بها في الصغر منذ بضعة عقود من السنين فاستنشدتها بعضهم في الصيف الماضي فاذا هي عندهم على حالها لم تزد ولم تنقص

وقد ذكر كتاب الافرنج كثيرين ممن عُنوا بحفظ كتابٍ او منظومةٍ فما

لبثوا ان ادركوا بغيتهم كما كولي (Macauly) الذي أنشد نصف منظومة ملتن الانكليزية في الفردوس الغابر . واذا ساغ لي ان اذكر لنفسي ولرفاقي في الصغر مثلاً من ذلك قلت اننا كنا نتسابق الى حفظ ملحمة ملتن المذكورة حتى تيسر لي مرةً سرد نشيدٍ كاملٍ منها ونصف الثاني مع قسمٍ غير يسير من منظومة سيدة البحيرة لولتر سكت . وكان استاذنا العم المرحوم المعلم بطرس البستاني يشوقنا الى حفظ الفية ابن مالك وما زال بي حتى استظهرتها واستنشدني منها مائتي بيت تباعاً في حفلة امتحان

وليس ما اذكرهُ في هذا الباب على سبيل الاستطراد شيئاً مذكوراً بازاء محفوظ الرواة الذين لا همَّ لهم الا اختزان الشعر والقصص في حوافظهم فالمنظومات فيها كالمتاع المنضود في حانوتٍ حافل بأصناف المنسوجات ينشرون منها ماشاؤا ايَّان شاؤا على نية ان يطووه الى موضعه . وكلما نشروه مرةً زاد زهاءً ورواءً واذا تلقَّاه احدٌ عنهم فانما يتلقى رسمه والاصل باقٍ في ملكهم لاتبلغه يد مشترٍ او سارق . فأمثال هؤلاء هم الذين استبقوا للخلف منظومات هوميروس الى ان كُتبت

جمعها وكتابتها

اذا علمت كيف تهافت الحكماء والعظماء على تلقي الالياذة وتلقينها للناس يومَ لم يكونوا يكتبون وعرفت كيف اكبَّ الحفَّاظ على ادّخارها تبادر الى ذهنك انه لم تكد الكتابة تنتشر في بلاد القوم حتى اقبلوا على جمعها وتدوينها . وان لنا في الاثر امثلةً اخرى مما تُلي وانتشر قبل ان يجمع في كتاب ليحفظ ويُنقل او نُبذ فأُهمل . وليس هذا خاصاً بالشعر بل قد تُنوقل الحكَم والروايات النثرية قروناً طوالاً . وهكذا حُفظت تواريخ الجرمان والسكندينافيين ومنظوماتهم قروناً قبل ان يدوَّن منها شيءٌ في كتاب (1)

(1) Grote, History of Greece Vol. II p. 149
Mariners accounts Vol. II p. 377

وهو معلومٌ ايضاً ان القرآن على غزارة مادّته وتشابه آياته انتشر ورسخ في حوافظ الصحابة كاتبهم واميّهم بل ربما كان ارسخ في ذهن الاميّ

وليس لدينا شيءٌ مما يمكن معه تعيين الزمن الذي بوشر فيه بكتابة الالياذة . ولا شك ان فيسيستراتُس كان من صفوة المشتغلين بهذا العمل الخطير كما تقدم (ص : ٢٣) حتى لقد عثروا في بعض مخطوطات رومية على اسماء اربعة من الشعراء استعان بهم على ضبط منظومات هوميروس وهم أُونومَكْرِيتُس و زوفيرُس. وأُرفيوس وكُنْكِيلوس . ولكن الظاهر ان نسخة فيسيستراتس لم تكن النسخة الاولى وانه شُرع في كتابة تلك المنظومات منذ اواسط القرن السابع ق . م . اي قبل نحو قرن كامل . ولا ريب ان من ولي صولون الى زمن فيسيستراتس جمعوا منها نسخاً مما ذكره علماء مدرسة الاسكندرية أَو اغفلوه . بل لعل الكتابة في زمن صولون نفسه كانت تتسع الى مثل هذه الغاية . وان جميع معاصري فيسيستراتس اثنوا الثناء الجميل على ما فعل . ولكن الغريب ان علماء الاسكندرية لم يذكروا نسخته في جملة ما حسبوه من النسخ التي كانت بين ايديهم . فاما انها لم تتصل اليهم وهو محالٌ مع شهرتها . واما انهم كانوا يعلمون انها انما كانت نسخةً تقدمتها نسخٌ كثيرة فأُغفلت في جملة ما أُغفل وهو الاظهر . وكانت في الاسكندرية اذ ذاك نسخٌ شتى نُقلت عن مجموعات ارُغس وخيوسَ (ساقس) واكريت وقبرس وغيرها من مدائن اليونان مما يدل على سعة الانتشار . فعمد علماء الاسكندرية الى تلك النسخ ومن جملتها النسخة التي كتبها ارسطوطاليس للاسكندر وقابلوها بعضاً على بعض ثم وضعوا النسخة التي تداولتها الايدي الى هذا الزمن . وكانوا رهطاً من فحول العلماء بل كانوا اعلم ابناء زمانهم كزينودوتُس الافسي وأُرسْطوفانِس البيزنطي واعلمهم طرّاً أُرِسطرَخُس السامُثراقي وهو الذي قسم كلاً من الالياذة والاوذيسية على ما قيل الى اربعة وعشرين نشيداً [1] على عدد حروف الهجاء عندهم

(1) American Cyclopaèdia Vol. VIII p. 780.

القول في سلامتها من التحريف والتصحيف

لم يُعن البشر في زمن من الازمان بنسخ كتاب وتمحيصه وحفظه ونشره عنايتهم بالالياذة واختها الاوذيسية ولا يستثنى من هذا الاطلاق الا الكتب التي رُفعت عليها أُسس الاديان كالتوراة والانجيل والقرآن . ومع هذا فلست ممن يقول بسلامة الالياذة بجميع اجزائها من كل تحريف وتصحيف او زيادة ونقصان وايُّ كتاب اجمع الناس على انه لم تعبث به قطُّ يدُ كاتب ولم تنتبهُ جائحة زمان . أَفليس في بعض نسخ التوراة عباراتٌ تختلفاتٌ عنها في نسخ اخرى . وانَّ منها أَسفارًا كاملة يعدُّها فريقٌ قانونيـة وينكر ذلك فريقٌ آخر . أَوَليس من يقول بضياع بضعة اناجيل واختلاط اسفارٍ اخرى من العهد الجديد . ومن ينكر عناية الخليفتين ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب في جمع اجزاء القرآن في صحفٍ مكتوبة ومبلغ جهدهما وجهد الخليفة عثمان بعدهما في ضبط قراءته والنظر في كل ايةٍ من آيه حتى اذا رأَى عمر ان آخر سورة التوبة مفقود ظل يبحث عنها حتى وجدها مع ابي خزيمة الانصاري وفعل فعله عثمان اذ فقدت آية من الاحزاب فالتمسها ووجدها مع خزيمة بن ثابت الانصاري . وهل سد ذلك افواه المعترضين من بعض فرق الغُلاة والمعتزلة . أَو لم يتواتر ايضًا ان بعض كتبة الوحي لنبي الاسلام كعبد الله بن ابي سرح في اول اسلامه كانوا يعمدون الى تبديل كلامٍ بآخر

ولكن النبي كان حيًّا فأَثبتوا انه كان يضرب على ايدي اولئك المحرّفين ويردُّ الكلم الى مواضعه . اما الالياذة وقد تناشدها الرواة نحوًا من قرنين ولا ضابط لها سوى اذهان المنشدين فلم تكن ثَمَّ قوةٌ بشرية قادرة على حفظها من اولها الى آخرها على ما نطق بها هوميروس مهما بُذل في سبيل ذلك من العناية والهمة . بل ربما لو بُعث هوميروس نفسهُ وانشدها مرة اخرى لما تمالك عن تغيير حرفٍ وتبديل شعر . على انه لا ريب ان التحريف والتصحيف قليلان جدًّا في جميع

ما اتصل بنا منها لما رأيت من عناية القوم بها اللهمَّ الا أن تكون هناك اجزاء مفقودة برمَّتها مما لا يدخل تحت هذا الحكم . ومع هذا فارتباط اجزائها بلا انقطاع يدل على انه ان كان ثمة مفقود فهو قليل . واننا الآن موردون استجلاء لهذا البحث امثلة مما ذكره الشراح وما لم يذكروه من الدخيل والساقط والمكرَّر والمُغلق

الدخيل

ذكر هوميروس في النشيد الثامن انه عند غروب الشمس تحاجز الجيشان فانكفأ كلٌّ الى معسكره والطروادبون على بيّنة من الفوز في غدهم لما أُوتوه من انباء الغيب فاقاموا ليلهم ينتظرون بزوغ الفجر لينقضُّوا على اعدائهم . ثم وصفهم ووصف نيرانهم وقال : (ص : ٥٤٧)

فبين السَّفينِ الراسياتِ وزَنْثُسٍ   لوامعُ نيرانٍ بذاك المعرَّسِ
تؤجَّجُ لدى إليونَ في الف مَقبِسٍ   يؤجِّجها خمسون في كل مَقبِسِ
ودونهمُ بين العجال جيادهم   وقوفٌ لدى ذاك القَضيمِ المُكَدَّسِ

وهنا في بعض النسخ اربعة ابيات مفادها انهم ضحَّوا بالضحايا فلم تقع لدى الآلهة موقع قبول لما استقر في نفوسهم من كراهة اليون عاصمة الطرواد وملكها وملته . فذهب بعض الشراح وذهبنا مذهبهم الى ان هذه الابيات دخيلة فاغفلوها واغفلناها لان فوز الطرواد في ما يلي يدل على انها في غير موضعها بل هي مناقضة للمعنى على خطٍّ مستقيم لان زفس كبير الآلهة كان في زمن موالاة للطرواد

وفي النشيد الثالث عشر يوعز فوليداماس الى هكطور زعيم الطروادبين ان يجمع اليه زعماء الجيش و يشاورهم في الامر فيقول الشاعر :

تَلقاهُ هكطور قولاً مُصيبا   وقال لِفولِيدَماسَ مجيبا

وهنا في بعض النسخ بيت يقول ان هكطور وثب الى الارض من مركبته وهو لا شك دخيلٌ من غير نظم الشاعر لان سياق الحديث يدل على ان الطرواد غادروا مركباتهم و زحفوا مشياً على الاقدام

هذا وان في الالياذة بضعة أبيات لا أرى لها محلاً اصلاً ولو خُيّرت لحذفتها ولكنه لا سبيل الى ذلك لانها مثبتة في كل النسخ · مثال ذلك قول إيريس اذ انفذها زفس برسالةٍ الى هيرا واثينا فبعد ان بلّغتهما قوله كجاري العادة قالت لاثينا : (ن ٨ : ٥٤١)

وأنتِ ايا شرَّ الكلاب وقاحةً   أتلقَين بالرمح الثقيل ابا الورى

فانها تجاوزت حد مهمتها وفاهت بكلام بذيء لم يفُهْ به زفس ولم يتفق للشاعر ان اتى بامثاله فضلاً عن انه كلامٌ لايجوز ان يوجَّه الى اثينا ربَّة الحكمة وحيثما ذكرها هوميروس فانه يذكرها بالتعظيم والتبجيل

ومثل ذلك قوله بلسان فطرقل في النشيد السادس عشر (ص : ٨٥٢) متهكماً على قبريون وهو يهوِ قتيلاً من مركبته الى الارض :

وهكطور صاح بهِ قائلاً :   فيا للباقتــه كيف يجـري
فلو من سفينتــه واثباً   الى اليمّ غاص لِلجّة بحـرِ
لصاد حلزًا ولو صـدع النّو   ء يكفي الجماهير شرَّ الطوى

وفطرقل هذا على بسالته وعزته مثال الحلم والحصافة والدعة فلا يصح ان ينطق بمثل هذا التهكم على قتيل انقضي امره · ولا سيما انه قبل ابيات انتهر صاحبه مريون لمخاطبته عدوًّا بكلام فظٍّ فقال له : (ص : ٨٤٥)

علامَ اخي ذا الكلامُ المهينُ   وأنت بلوتك سامي النُّهى

أتزعمُ أن حديد الكلامْ   يصدُّ الطراودَ يوم الصِّدامْ
فما ذا بدافِعِهم عن قتيلٍ   حوالَيه تَصْطَكُّ لامٌ بِلامْ
ولن يرجعوا عنه حتى يضافَ   صريعًا لذاك الهُمام هُمامْ
فللحربِ فعلٌ وللسِّلمِ قولٌ   وهذا اوانُ الوغى لا اللُّغا

الساقط

ويقابل هذه الزيادة نقصانٌ قليل في ايراد بعض الروايات مثال ذلك قصة

بليروفون فانها مبتورة بترًا فسواءٌ التقطها هوميروس من التوراة فمثّل به يوسف الصدّيق او تناولها من مصدر آخر فلا يأتي المطالع على آخرها الا وهو متطلع الى اسباب انحراف الآلهة عن ذلك الرجل البار وقد افضنا بهذا البحث في موضعه (حاشية ص : ٤٥٣)

المكرَّر

وهناك ابياتٌ مكررة قد يمكن وضعها في ثلاث مراتب :

١ً ما كان واجب التكرار كالبلاغ الذي يلقى الى الرسول فيؤديه كما أُلقي اليه وهو كثير

٢ً ما كان جائزهُ وهو اما مقصود من الشاعر لبلاغته واما دخيلٌ بقلم النسّاخ في احد موضعيه لكثرة تغني الناس به وانطباقه على المعنى في الموضعين . مثال ذلك وصف اصطدام الجيشين في النشيد الرابع اذ يقول : (ص : ٣٧٥)

تدفقتِ الاجناد أيَّ تدفُّقِ ... الى الحرب تجري فيلقًا إِثر فيلقِ
كثائر امواج البحار تهيجُها ... من اللجِّ انواءٌ بغيرِ ترفقِ
يدفّع بعضًا بعضُها فوق لُجّها ... الى حيث فوق الجرف بالعُنف تلتقي

فبعض ابيات هذه القصيدة مكررٌ في مثل هذا الموقف في النشيد الثامن (ص : ٥٢٠)

ومثل ذلك قوله في وصف هكطور وهو مقبل على الاعداء : (ن ١٥ : ص ٧٨٧)

افلوّن هاتيك العزائم مانحٌ ... وهكطور للابلاء والحرب جانحُ
كمهرٍ عتيٍّ فاض مطعمهُ على ... مرابطهِ بيتّها وهو جامحُ
ويضرب في قلب المفاوز طافحًا ... الى حيث وجه الارض بالسيل طافحُ
يروّض فيه إِثرَ ما اعتادَ نفسهُ ... ويطربُ ان تبدو لديه الضحاضحُ
ويَشمخُ مختالاً بشائق حسنه ... يطير واعراف النواصيّ سوابحُ
وتجرى به من نفسها خُطَواتُه ... الى حيث غصّت بالحجور المسارحُ

فهذه الايات بعينها واردة بوصف فاريس في النشيد السادس (ص : ٤٨١)
٣ً ما كان مكروهًا والاجدر به ان يُعدّ من باب الدخيل كقول هيرا وهي تستمدّ رأفة زوجها زفس بالاغريق : (ن ٨ : ٥٤٣)

ولكننا نرثي لحال الاغارقِ يُبيدهمُ المقدور تحت اليلامقِ
اطعنا فلا نأتي الكفاح وانما نمدُّهمُ بالرأي خوف البوائقِ

فهذا كلام سبقت اثينا فخاطبت به زفس في نفس النشيد (ص : ٥١٨) فما بقي محل لاعادته

واغرب من هذا تكرار خطاب اغاممنون في النشيد التاسع وهو الذي يقول في مطلعهِ

أحبَّايَ والاقيال والصِّيد خلتُني رمانيَ زفسٌ في حبائل آتيا

فهو خطاب القاه بنفسه في النشيد الثاني (ص : ٢٥٢) وقصد به هنا غير ما قصد هناك ولعل ما قاله في هذا الموضع مما فُقد اصلهُ فعوَّض النسَّاخ عنه بابيات سابقة حسبوها تليق بالمقام

المُغْلَق

ولقد أُغلق عليَّ فهم المراد من مخالفة اثينا لابيها زفس مخالفةً بلغت حد العصيان وهي ربَّة الحكمة والسداد تعرف انها لا قِبَل لها به و يشقُّ عليها الخذلان فلا تأتي امرًا يورثها الندم . فكيف قامت بعد هذا تتهدد وتتوعد بكلام ملؤه العتوُّ ثم ما لبثت ان استلأمت وتدججت بالسلاح لتنخرط في سلك مقاتلةٍ نهاها زفس عن الاخذ بيدهم فصدعت بالامر وقالت « اطعنا فلا نأتي النزال » ثم خالفت قولها وانتقضت عليه انتقاضًا كاد يودي بها (ص ٥٣٧ وما بعدها) — وحبذا لو كانت هذه الرواية في بضعة ابيات اذًا ليتيسر لي ان التمس للشاعر عذرًا فاجزم بكونها دخيلة ولكنها مندمجة في الرواية اندماجًا ولاسبيل الى افرازها منها الا اذا اختل نظام سياق الحديث فلا بد اذًا من ان تكون من نظم الشاعر ادرجها هنا لامرٍ غمضت عليَّ حكمته .

وخصوصاً ان الشاعر يتوخي الحقيقة في كل اقواله صريحةً كانت او رمزية ويرمي في كل معانيه الى بث حكمةٍ ونشر فضيلةٍ وليس في هذه الرواية شيءٌ من ذلك . على انه اذا صحَّ انتقادنا فليس بعجيب ان يشذَّ الشاعر هذا الشذوذ في مظنَّةٍ واحدة من منظومة تملأُ هذا المجلد الضخم

وعلاوةً على ما تقدم ربما لاتخلو الالياذة من الفاظٍ بل من ابياتٍ لعبت بها ايدي النسَّاخ ولكنه ليس في شيء منها ما يشوّه وجه تلك الخريدة العذراء فلا يزيدها تقادم العهد الا بهاءً ورواءً فهي كزُهَرة هوميروس وقومه تتوالى عليها الاعقاب وتنقضي الاحقاب وهي هي تلك الفتيَّة العذراء ربَّة الجمال الخلاَّب

الرأْي الوُلفي

او القول في كونها منظومةً واحدة او منظومات شتى

توالت الاحقاب على الالياذة والناس يتناشدونها ويتناقلونها وهم مُعجَبون ببلاغتها واتساقها مُكبرون ذكاء تلك القريحة السيالة التي تفجَّر منها ذلك المنهل العذب . فلما كان القرن الثامن عشر قامت عصابةٌ من العلماء وانكرت على هوميروس انشاء الالياذة وما يتبعها من سائر شعره وقالت بل هي قصائد متفرقة لشعراء كثيرين رواها الرواة وعني بجمعها المشغفون بمطالعة الشعر وكان من نتيجة قولهم هذا ان هوميروس رجلٌ وهمي خلقته مخيلات الشعراء

ذلك ما يُدعى في عرف الافرنج بالرأْي الوُلفي نسبةً الى وُلف العالم الالماني وان لم يكن هو السابق الى بثّ ذلك المذهب . وانما نُسب اليه لانه كان اشدَّ دعاتِهِ وتيسر لهُ نشرهُ في زمن ثوران افكار وانتقاضٍ على كل كبير . وقد سبقه اليه افراد ذوو شأْن في عالم الادب فلم يكن لكلامهم شيءٌ من الوقع

بدأَ الخوارج على هوميروس والياذته وسائر منظوماته بنشر دعوتهم في اواخر القرن السادس عشر وفي مقدمتهم كازوبون (١) الفرنسي فانكر وجود هوميروس

(1) Casaubon, 1559-1614.

وكون الالياذة من نظم شاعر واحد فلم يكد يعبأ بقوله احد الى ان مات فدُفن مذهبهُ معهُ ثم بُعث ذلك المذهب على يد هيدلين قسّ اوبنياك (١) فكان اشد من سلفه · وكأنه نبَّه افكار العلماء الى بحثٍ جديد فحذا بعضهم حذوه واشهرهم مواطنه پيرو (٢) وودُ (٣) وبنتْلي (٤) الانكليزيان وتبعهم ڤيكو الايطالي (٥) فأربى بكتابته على جميع من تقدمهُ · ولكن صاحب القدح المعلَّى في هذا المضمار انما كان وُلْف الالماني (٦) فشدد الحملة وما كاد ينشر مقدمته على الشعر الهوميري في اخريات القرن الثامن عشر (٧) حتى فشا مذهبه في المانيا وانتشر منها الى اقطار اوروبا فهدم اركان عظمة هوميروس من أُسسها وعمَّ القول بين جميع المشتغلين بآداب اليونان ان هوميروس انما هو حيّ بن بيّ الاغريق راويةٌ لم تلدهُ انثى وانما ولدته قصائد الشعراء المندرسة اسماؤُهم في غوامض الغيب · وانَّ ما ينسب اليه من المنظوم ليس الا مجموع قصائد عني بجمعها في زمن فيسيستراتُس في القرن السادس قبل المسيح · واشتد أَزر ولف والذاهبين مذهبه بروح ذلك العصر المتطلع الى التشبث بكل رأيٍ جديد والرامي الى تقويض كل مذهبٍ تقادم عليه العهد من اصول الدين الى اصول التاريخ حتى قواعد الانشاء · فنسج على منواله بعض العلماء كهين الالماني في مقدمته على الالياذة (٨) وشايعه نيبهْر الدانمركي (٩) وهردَر (١٠) وغدْفري هرمن (١١) وولهلم ملَّر وكثيرون غيرهم ومعظمهم من الالمان مع ان

(1) Hédelin, Abbé d'aubignac, 1604-1672.
Conjectures académiques sur l'Iliade, Paris 1715.

(2) Perrault, 1615-1688.

(3) Wood, 1632-1695.

(4) Bentley, 1661-1742.

(5) Vico, 1668-1744-Milan 1837.

(6) Wolf, 1757-1824.

(7) Prolegomena, 1795.

(8) Heyne, Leips. 1802.

(9) Niebuhr, 1776-1831.

(10) Herder, 1744-1803.

(11) Hermann, 1806.

الناخين في ذلك البوق كانوا في بدء الامر من الفرنسيس وكأنهم ارادوا ان ينكروا على رجل فردٍ الاستئثار بتلك السلطة الفكرية فوزعوها على عامة الشعراء كما أنكروا على الملوك والحكام الاستئثار بالسلطة الحاكمة فنهضوا الى توزيعها على الامَّة

ولم ينقضِ العقدان الاوَّلان من القرن التاسع عشر حتى خمدت ثورة الافكار وانثنى العلماء الى اعادة البحث وامعان النظر ثم ما لبث ذلك المذهب ان تلاشى او كاد على يد جماعةٍ من فطاحل العلماء وفي مقدمتهم أُتفرِد مُلَّر (١) فانه لم يقصر بحثه على الفلسفة والخيال بل تعهد بنفسه جميع المواقع المذكورة في شعر هوميروس وغيره من كتبة الاقدمين وكتب تاريخاً مطولاً لآداب قدماء اليونان توفي سنة ١٨٤٠ وهو يشتغل فيه · وقد اثبت بما جمع من الادلة وجود هوميروس وان الالياذة من نظمه · ولم يكن ولكر بأقل من مُلَّر تضلعاً في هذا البحث فانه كتب الاسفار الطوال بتاريخ اليونان ووصف آدابهم وافاض في الشعر الهوميري (٢) فتداعت على يدهِ ويد ملر دعائم المذهب الولفي · ولكن الذي قوَّضها تقويضاً انما كان غريغور نِتْشِش وله في تاريخ اليونان المجلدات الضخمة والحجج المسندة الى البينات (٣)

وهكذا فان الالمان الذين شنُّوا هذه الغارة اثاروا من جماعتهم من تصدَّى لدفعها بسواعد اشد وادلَّةٍ اقوى · ومع هذا فلم يزل بينهم من يقول بالرأي الولفي مع ان معظم علمائهم ومحققي الانكليز والفرنسيس ومُشايعي ڤيكو الايطالي قد نبذوه منذ طويل · وان المقام ليضيق عن ذكر اسمائهم جميعاً فضلاً عن ايراد ادلتهم فنجتزيء بالاشارة الى بعضهم ممن اشتهر بولوج هذا الباب كالاستاذ

(1) Ottfried Muller, 1797-1840.
(2) Welker, der epische Cyklus, 1835-1849.
(3) Gregor Nitzsch, 1790-1861.

بلاكي [١] في كتابه « هوميروس والالياذة » والاسقف ثرول [٢] وغروت [٣] في « تاريخ اليونان » . وغلادستن [٤] في كتابه « هوميروس وعصره » . وغينيو في مقدمة المعجم الهوميري [٥] ولوبريفوست في حواشي ترجمة الالياذة [٦] وبرتين في « المسألة الهوميرية » [٧]

وليس لنا في هذا المقام الضيق ان نفصل الادلة التي اوردوها . ومع هذا فلا بد من القاء نظرةٍ مجملة على الالياذة لاستجلاء ما اذا كان يصح القول بكونها من نظم غير واحد من الشعراء

علمنا مما تقدم في فذلكة سيرة هوميروس ورأي المتقدمين والمتأخرين فيه انه لم يبق محلٌ للريب في نظر المحققين ان شاعرًا يلقب بهوميروس نبغ في القرون الغابرة ونظم الالياذة والاوذيسية وقد اجمعت النصوص التاريخية والاثار العاديَّة على انه كان بمنزلةٍ يقصر عن ادراك شأوها سائر الشعراء فما بقي من ثمَّ سبيل الى انكار وجوده وانما بقي علينا ان نعلم ما اذا كانت الالياذة كلها من نتاج تلك القريحة الوقَّادة

وحدتها

لقد علم المطالع اللبيب من سياق كلامنا ولا سيما من بحثنا في سلامة الالياذة من التحريف والتصحيف والزيادة والنقصان اننا اذا انكرنا على ولف مذهبه لانتطرَّف في الانكار الى حد الاخذ بمذهب الدكتور شليمن الالماني [٨] الذاهب الى اثبات حقيقة الكلي والجزئي فيها واسناد كل ذلك الى

(1) Professor Blackie, Homer and the Iliad.
(2) Bishop Thirwall, History of Greece.
(3) George Grote, History of Greece.
(4) Gladstone, Treatise on Homer and the Homeric age, 1883.
(5) Guignault, Notice sur Homère.
(6) Leprévost, Notes sur l'Iliade.
(7) G. Bertin, la question Homérique 1897.
(8) Heinrich Schliemann, Ithaque, le Péloponnèse et Troie, Paris 1869;
Trojanishe Alterthümer 1874;
Atlas Trojanischer Alterthümer 1875.

المكتشفات الاثرية . فاعتقادنا اذاً مقصور على ان هوميروس هو ناظم الالياذة وانه هو ناسج بردها وناظم عقدها من اولها الى آخرها بصرف النظر عن الحقائق التاريخية البحتة وعما قد يتخللها من ساقط ودخيل

قال غروت في « تاريخ اليونان » : [1] « ان تعداد القبائل في النشيد الثاني لا يمكن الا ان يكون جزءا من كلٍّ اي انه لابد ان تكون فيه اشارةٌ الى حوادث مقبلة والاّ فاذا أُخذ منفصلاً فلا لذة فيه للسامع والاذن لاشك تملّ توالي تلك الاسماء والاعلام ما لم تكن النفس مرتاحة الى انه يُرمى بها الى الاشارة الى وقائع تعقبها على الاثر . وان في آثار القوم ما يثبت ان ذلك الجدول الجغرافي كان حتى في ايام صولون شائعاً شيوعاً عامًّا حتى قيل ان صولون نفسهُ عمد الى تحشية شطرٍ فيه ليتسنى له ربح الخطَر الذي عُقد رهانه بينهُ وبين الميغاريين كما ان الميغاريين اضافوا اليه شطرًا يقوّي حجتهم . ومن ثم يتضح ان اليونان كانوا قد أَلِفوا قبل فيسيستراتوس بزمنٍ طويل سماع الالياذة منظومةً واحدةً متناسقة الاجزاء متتابعة المباني »

وهو قولٌ لاشك سديدٌ في بابه ولكنه لايدفع حجة القائلين انه اذا صح ان تكون الالياذة على سلامتها في ذلك الزمن قد لايصحّ ان تكون اتصلت الينا على تلك السلامة . فدفعاً لهذا الاعتراض حسبنا ان نوجه نظر المطالع الى ما اسلفنا عن عناية الاقدمين بحفظها نقيةً من الشوائب ولا سيما في باب « جمعها وكتابتها »

واننا موردون في ما يلي تحليلاً موجزًا لتلك المنظومة بل تشريحًا لذلك الجسم المتماسكة فقراته المترابطة عضلاته يتضح منه انه لا بد من ان تكون منظومة واحدة لشاعر واحد . وهو بحثٌ لم يتصل بنا نظيره في ما طالعناه من كتب القوم

تحليلها وتشريحها

الاشخاص

خذ الالياذة وتصفح اية صفحة شئت منها واقرأْ حتى يقع بصرك على بطلٍ من

(1) Grote, History of Greece, Vol II p. 157.

ابطالها . سواءٌ كان من مغاوير الكماة او من عُرض الجند ثم انتقل الى معجم الاعلام وانظر في الصفحات التي ورد فيها ذكر ذلك الرجل واقرأ ما وُصف به فيهن جميعاً فتتبين انه هو هو حتى تكاد تنطق باسمه قبل ان تبلغه مهما تباينت المواقع وتباعدت الاناشيد

فهذا اخيل يبدو لك لاول وهلة قرماً عنيداً وشهماً حقوداً ووليّاً ودوداً وصارماً عتيّاً ترتسم حسناته وسيئاتهُ في مخيلتك من تلاوة اول جزء من اول نشيد وتعلم انه الفتى الغضوب بُنيت الالياذة على وصف غضبه فلا تقرأ نشيداً منها سواءٌ ظهر فيها ذلك البطل او لم يظهر الا وتشعر انه لايزال محتدماً بسعير الحقد والغيظ الى ان يتيسر للشاعر تهيئة الاسباب المؤدية الى اخماد تلك الجذوة في آخر الكتاب فاذا به كما تستلزم دواعي السيادة والكرامة ساكن الجاش على رفعة نفسه وقد جمع في صدره من كرم الخلال ما يكاد يضيق عنهُ ارحب الصدور وليس في الكتاب كلهِ عبارةٌ واحدة يشذُّ بها الناظم عن هذا المرمى وهيهات ان يتفق هذا التناسب لغير ناظم واحد

ثم انظر الى هكطور فهو حيثما رأَيتهُ حامي الذمار دفَّاع العار عزوماً حزوماً مقداماً عن غير طيش ورِعاً عن صدق عقيدة ذا ذكاء ونيّرة يتمسك من دينه بما لصق بمعبوداته وينبذ ما دون ذلك من خرافات القوم . يعلم انه عماد قومه فيسير سير الزعيم الهمَّام ويحسن الذود والكر والابلاء ولا ينتأ على المثال الذي صورهُ به الشاعر حتى يذهب شهيد الدفاع ويموت ميتةً يُحسد عليها

واذا انتقلت من هذين الزعيمين الى سائر ابطال الالياذة وتأَملت كل رجالها ونسائها رأَيت ان الشاعر رسم لكلٍ رسماً لاينحرف فيه بشيءٍ عن الوضع الذي وضعه له سيّان ذلك في اول الكتاب وآخره

فاغاممنون الامير الخطير والقائد الكبير
وانياس البطل الورِع والحليف الباسل
واياس رب بأْس فعَّال غير قوَّال

وذيوميذ الفتى المحام يهوّن له نزق الشباب ركوب الاهوال
ونسطور الشيخ الحكيم حنّكته صروف الايام
واوذيس الداهية الدهاء والبلية الصمّاء
وفطرقل الفتى الكريم والخل الحميم
وفريام الملك الصبور والهرم الوقور
وفاريس العاشق المتأنق
واندروماخ الزوجة الامينة
وايقاب الام الحنون
وهيلانة الفتاة الغالب هواها على قواها الشاعرة بسوء المصير

واذا نظرت بعد ذلك الى غير من تقدم ممن كثر ذكره او قلّ تهيأت لك النتيجة نفسها

فاغينور في النشيد الرابع هو نفسه ذلك المحراب في النشيد الحادي والعشرين

وانطيلوخ في النشيد الرابع هو نفسه ذلك الشاب العزوم المتسرّع في النشيد الثالث والعشرين

وقل مثل ذلك في ماخاوون وطبّه وهيلينوس وعرافته وفينكس وصداقته ومريون وامانته وهلمّ جرًّا ٠ وقد تأتي على تلاوة اسمٍ ذكر بطريق العرض فلا ترى له شأنًا خاصًّا ثم اذا أُعيد ذكرهُ بعد مئات او آلاف من الابيات رأَيته على صفته لم يتغير بشيء عما ذكر به للمرة الاولى وقد لايرد ذكره سوى مرتين او ثلاث ٠ مثال ذلك أَذميت وافريذون وافروطسيلاس وافغياس واقطور واقلونيُس واكاس والقميذ وامفياخُس وثرسيلوخ وثواس وامثالهم كثيرون

الاعلام الجغرافية

ثم اذا تناولت البلدان والجبال والوهاد والبحار والانهار رأَيت انه اتبع تلك الخطة فما ناقض نفسه بكلمة مما وصف به بلدةً او علمًا جغرافيًّا ودونك

بعض الامثلة :

فآرسبة لاصقٌ ذكرها بنهر سليس وزعيم جندها اسيُس بن هرطاقس في النشيد الثاني وفي الالف الاولى من ابيات الالياذة وهي هي ونهرها وزعيمها بعد اربعة آلاف بيت في النشيد الثاني عشر

وبفراسا هي البلدة الكثيرة الانعام وهي موصوفة بذلك في النشيد الحادي عشر في منتصف الكتاب ويتكرر ذكرها بنفس الوصف في النشيد الثالث والعشرين اي بعد نحوٍ من خمسة آلاف بيت عربي او ثمانية آلاف شعر يوناني

وتينيذس البلدة المقدسة الموالية لآفلون وهي كذلك في غير موضع

وان المجال ليضيق عن امثلة ما تقدم فانها تفوق الحصر وقد توخينا في الامثلة الثلاثة السالفة الذكر بلاداً قليلة الشهرة فاذا كانت وحدة المرمى فيها هذه فما بالك بالمدن الشهيرة كإليون

وقل مثل ذلك في البحار والانهار كالاوقيانس وزنثُس والاسكمندر وكل ما في الالياذة من يبس وماء

واذا اردت اجمالاً سهلاً لهذا التفصيل فخذ القسم الجغرافي في النشيد الثاني واقتطع منه اية مملكة شئت من ممالكهم واسماء زعمائها ثم تصفَّح المعجم فاذا رأيت تلك الاسماء قد تكرر ذكر شيء منها فانما يتكرر بما لا يشذ عما مرَّ امامك هذا اذا لم ينطبق عليه كل الانطباق ولو فصلت بين الموقعين الاناشيد الطوال

ارتباط اجزائها

ثم اذا تأملت تماسك اجزاء الالياذة وارتباطها بعضها ببعض رأيت ان ناظم النشيد الاول انما هو ناظم النشيد الاخير فكأنما هي مرقاة يصعد بك صاحبها درجةً بعد اخرى حتى تستقرَّ في آخرها وأنت متبين كل ما وراءك فاذا بدأت بخصام اخيل واغاممنون تطلعت الى ما وراء ذلك الخصام فيبسطه لك الشاعر بسطاً يزيد ايضاحاً كلما خطوت خطوة . فهناك جدال وخشية فقتال وحنقٌ واعتزال

ووساطة رجال وينتهي الامر بما ترتاح اليه نفسك شأن القصّاص الذي يروي لك خبرًا واحدًا بنفسٍ واحد

واذ امعنت في توادّ اخيل وفطرقل بدا لك من خلال الفصول الكبار صديقان حميان يتوادّان فيترافقان فيغضب احدهما لغضب الآخر فيتواليان في السرّاء والضراء واذا مات احدهما فلا تنقضي احزان الآخر حتى انقضاء حياته وكل ذلك بحديثٍ طويل تتخلله احاديث اطول تكاد تشطُّ بقائلٍ واحد عن تلك الخطة المرسومة فما الظن لو تعدد القائلون

وقس على ذلك جميع حوادث الالياذة

واذا رجعت بعد هذا الى اعظم مظنّةٍ لاعتراض المعترضين وهي الصاق النشدين الاخيرين بالالياذة رأيت انهم انما اتوا باوهن الحجج كما اثبتنا مسهبين في مقدمة النشيد الثالث والعشرين (ص: ١٠٥٣) فلا نسوق البحث هنا الا في ما لم يسبق لنا ذكره في ذلك الموضع

خذ الالعاب في ذلك النشيد وانظر الى ارباب كل ضربٍ من ضروبها ترَ انها لم تُلصق بالالياذة الا لكونها جزءًا طبيعيًّا منها . وان المتبارزين فيها لم يكن يصح سواهم لوقوف كلٍّ منهم موقفه

ففرسان السباق افميل وهو الذي قيل في خيله في النشيد الثاني (ص: ٣٠٣):

أجودُ الخيل عندهم تلك اجيا ... رٌ لدى أبن أبن فيرسٍ افميلِ
قد تساوت قدًّا وسنًّا ولونًا ... وجرت كالطيور فوق الطلولِ

وذيوميذوله مطهّما آنياس وقال عنهما الشاعر في النشيد الخامس (ص: ٣٩٩):

وامضِ واقتدْ مطهّمي آنياسِ ... خير ما في الدنيا من الافراسِ

والحق نسبتها هناك بجياد زفس ابي الآلهة . ثم لما ابرز الشاعر ذيوميذ في حلبة السباق اعاد تلك الذكرى

ومنيلاوس وهو زوج هيلانة واخو اغاممنون والمتسبب بحرب طروادة

وانطيلوخس بن نسطور الفتى الباسل صديق اخيل

ومريون الحوذي الماهر . وهم جميعاً اجدر الفرسان بخوض ذلك الميدان

وانَّ ما قيل في السباق يمكن اطلاقه على النضال والطعان والحُضر والصرّاع وغيرها

فلسفتها وآدابها

واذا امعنت النظر في فلسفة الشاعر وخلائقه وآدابه رأيت انه رمى فيها كلها الى امورٍ خاصة برجل واحد فهو وان جارى ابناء زمانه في كثير من عاداتهم ومعتقداتهم فقد خالفهم في امورٍ اخرى لسلامةٍ في ضميره ونظرٍ بعيد في ترقيتهم . وهو حيثما جاراهم فلا ينحرف في مجاراته وحيثما خالفهم فقد راعى ما انطبع عليه من آداب النفس التي جعلته ارقى اهل زمانه : — فعصرهُ عصر فسق وفجور وقد شجبهما حتى في نفس الآلهة (ص : ١١٠٧) وزمنه زمن بطش بالاسرى وقد طعن بقتلتهم (ص : ١٠٦٦) وحسبك في هذا الباب ان تتصفح المواضع التي افاض بها بمدح المرأة وأتى على اطراء صفات الامهات والزوجات والبنات والاخوات حتى السبيّات في قرنٍ كانت المرأة فيه من جملة المتاع وسلعةً تشرى وتباع

وهناك ادلَّة كثيرة افاض بها الشراح بالنظر الى التاريخ واللغة مما يضيق دونها المقام

سبب الريب

ولا بد لنا في ختام هذا الفصل من كلمة بشأن منشإِ الارتياب في آراء كثيرين من الكتبة والمؤرخين

ان مظان الريب كثيرة في الكتب القديمة التي بين ايدينا ووجوه الاعتراض دامغةٌ في بعضها حتى يتعذر في بعض الاحايين ارجاعها الى اصلٍ معلوم او مؤلفٍ معيَّن . وعندنا من امثال ذلك كتاب الف ليلة وليلة وقصة عنترة العبسي واشباههما ولهذا تطرفت زمرة من المشتغلين في التاريخ والآداب الى انكار كل

قديم وبث الريب حتى في وجود مسمّيات واشخاص تكرر ذكرها في التاريخ وثبت وجودها ثبوت الشمس في رائعة النهار · فهل نعجب بعد هذا اذا تصدت فئةٌ منها الى انكار هوميروس وقد انطوت عليه آلاف الاعوام وهذا فوريل [1] الباحث في آثار القدماء ينكر على الفردوسي هوميروس الفرس نظم الشهنامة والفردوسي ابن الامس بالنسبة الى هوميروس وشهنامتهُ قبلة الفرس في غدوّهم وآصالهم واذا سألت اصغر صغيرٍ فيهم فصَّل لك تفصيلاً كيف نُظمت ولمن نظمت وما كان من امر ناظمها بحياته وبعد مماته

الالياذة ومعارف عصرها

اذا قال الشعراء ما احرى هوميروس ان يكون امير الشعراء قال العلماء وما احرانا ان نتخذ ديوانه خزانةً نضّد فيها معارف عصره من علمٍ وادبٍ وصناعةٍ وتاريخٍ فقد صرف الادباء نظرهم عن جميع من تقدم من شعراء امته ولقّبوه ابا الشعر واتخذ العلماء والمؤرخون اقواله حجةً يرجعون اليها في استقصاء علوم القدماء

وليس في الامكان بسط الكلام على جميع ما افاضوا به في هذا الباب وانما نلمُّ به الماماً موجزاً مع ايراد امثلة يسيرة نظنها وافية بالمرام · ونترك البحث في الشعر وادبه الى ما يلي من الفصول

الالياذة والتاريخ

لا شك ان هوميروس استقى من موارد طمس الزمان ذكرها فنقل ولا نعلم عمن نقل ودوّن حوادث كثيرة مما اثبتها الاثر وما لم يثبتها ولكن ثبوت البعض يرجح في الظن ثبوت الكثير مما بقي · وقد اشرنا في الشرح الى نبذٍ من الحوادث التاريخية التي لم يذكرها المؤرخون · فهو بهذا الاعتبار اول

(1) Fauriel, l'origine des épopées chevaleresques, 1836.

المؤرخين في قومه . وان هيرودوتس الملقب بابي التاريخ يستمد من معارفه ويستشهد بقوله كلما أُغلق عليه امرٌ واضطرُ الى اثبات حجة . واذا رجعت الى مؤلفات جميع المؤرخين من اليونان والرومان والافرنج رأيتها مرصَّعة ترصيعاً بالشواهد الهوميرية مما يثبت لك علوّ مكانته في التاريخ

الالياذة والجغرافية

اذا قيل ان هوميروس هو اول مؤرخ قيل ايضاً ان قدمه في الجغرافيا ارسخ ومنزلته ارفع فهو واضع هذا العلم وعَلَمُهُ الاسنى اذ تعهد بنفسه معظم المواقع التي ذكرها ووصفها وصفاً لم يسبقه اليه المتقدمون ويكاد المتأخرون يقصرون عن الاتيان بمثله . وحسبك الرجوع الى القسم الجغرافي لتعلم انه لم يكن لجغرافيٍ ان يلمّ المامهُ بهذا الفن حتى اليوم . وان اسطرابون ابا الجغرافيا بعدهُ يعترف له بالفضل والسبق [1] وجميع مباحثه مؤيدة بشواهد من الشعر الهوميري حتى لقد يمكن اعتبار جغرافيته شرحاً لمتنٍ ثلاثة ارباعه في الالياذة واكثر باقيه في الاوذيسية . وقد حداني حبُّ الاستطلاع يوماً الى عدّ الشواهد التي اخذها اسطرابون من منظومتي هوميروس فاذا بها مئتان وتسعة واربعون بيتاً من الالياذة ومئة واثنا عشر بيتاً من الاوذيسية ما خلا الابيات المكررة في عدة مواضع وما ادراك ما يمكن ان يُكتب من الشرح على هذا المتن الطويل

الالياذة وسائر العلوم

أفردت في معجم الالياذة باباً لكلٍ من العلوم التي طرق هوميروس ابوابها والحقته بهذا الكتاب وعيَّنت فيه الصفحات التي ورد فيها ذكر العلم المراد ارشاداً للمطالع

وسترى منه ان الالياذة اشبه بدائرة معارف جمعت بين سطورها جميع

(١) اسطرابون الكتاب الاول

علوم العصر

الطب

فاذا اخذت الطبّ مثلاً رايت هوميروس ألمّ بجميع علومه من جراحة وتشريح وفسيولوجيا وبحث في النبات والعقاقير والصيدلة والعلاج ووصف الامراض والاوبئة

الفلك

واذا طلبت الفلك وعلم الهيئة ذكر لك كلّما بلغه منهما علم زمانه فوصف السماء والابراج وتطرق الى التنجيم فبحث في تأثير طوالع النجوم . وذكر الظواهر الجوّية وفعلها في الاحياء

الحرب

واذا تطلعت الى الحرب والفنون والعسكرية افاض لك بتفصيلها افاضةً تُدهَش لها ففصَّل لك مواقف الجيوش وحركاتها بهجومها ودفاعها وزحفها وتعبئتها . وابان لك اسباب الظفر ووجوه الاندحار . ووصف اركان الحرب والتمرين العسكري والحرس والكمين والمبارزات . وبحث في الاسرى والاسلاب والبدل العسكري والتتريس والجواسيس وديوان القضاء في المعسكر والعيون والارصاد والطلائع . وبيّن احوال الحصار واقامة الحصون وحفر الخنادق . ولم يغفل عن ذكر الخيم والمضارب وارزاق الجند واطعامه . ولم يغادر شاردة الا قيدها حتى الراية والنيران والرقص الحربي والالعاب العسكرية

ثم فصَّل لك انواع القتال واصناف الاسلحة والدروع فوصف الشكّة والخوَذ والمغافر والتروس والرماح والسيوف حتى الفؤوس والمخاذف والحجارة

السياسة والحكومة

واذا تطرقت الى السياسة بحث لك في الحكومة والملوك وسلطتهم وما يعرض

لهم وعليهم · وموقفهم تجاه الرعية وبالعكس · وحذَّر من الفوضى · وذكر خدَع السياسيين وحيَلهم · واشار الى الشرائع والمجالس والخراج والاقطاعات · واحاط باحوال الوفود والسفراء والتحالف والتعاهد والخطابة في الرعية

الدين

واذا رغبت في الوقوف على دين القوم اسهب لك بذكر معبوداتهم ونسبتهم الى العباد ونسبة الخالق اليهم · ووصفهم فرداً فرداً بين ذكرٍ وانثى واوضح صفة كلٍّ منهم بنفسه وبالنسبة الى زملائه وهيأ لك مزاياهم كباراً وصغاراً · وقسمهم الى طبقات ودرجات مع بيان منزلة كل طبقة على حدة · واتى على ذكر العبادات والصلوات والضحايا والادعية · ووصف الروح ومصيرها وبحث في عالم الارواح وسائر ما يتطلع اليه الراغب في الوقوف على احوال العبادة في ذلك الزمان

الفنون وسائر الاعمال

وقل مثل ذلك في الفنون الجميلة من نقشٍ وغناء وموسيقى وتصوير وكل منقول ومعقول من معارف الانسان واعماله كالحراثة والزراعة والتجارة والمعاملات حتى العرافة والعيافة والكهانة وتفسير الاحلام

الالياذة والصنائع

وكأن هوميروس عني عناية خاصة بصناعات زمانه فاسهب بوصف الكثير منها اسهاباً تخال اذا قرأته انه كان ينتمي الى كل فريقٍ من الصنَّاع

فبينا تراه وشَّار سفن اذا به صانع مركبات وبينا هو نجَّار حاذق اذا به بنَّاء ماهر ومهندس · ثم تخاله صيقلاً وحدَّاداً وحفَّاراً ونقَّاشاً وخرَّاطاً وصبَّاغاً وصائغاً · وليس هو باعمال النساء اقل الماماً منها باشغال الرجال وحسبك من هذا تطريزه وغزله ونسجه وحياكته

سبب حياتها وخلودها

لم يكن هوميروس اول من نظم الملاحم او منظومات الشعر القصصي ولا مبتدعاً لطرق انشادها واساليب ترصيعها بشواهد العلم والتاريخ . فتلك سليقةٌ الِفتها امته واكثر الامم في غوامض ايام البداوة والجاهلية . وقد حسبوا لمن تقدم من شعراء اليونان سبعين منظومة كملحمتيه منهما الياذتان الكبرى والصغرى واوذيسية واحدة وقد بادت جميع تلك المنظومات ولم يقوَ على مكافحة الزمان سوى تينك المنظومتين فقد بقيتا كلؤلؤتين برَّاقتين في قلادة الادب وكسفتا باشعتهما سائر ما بقي من نظائرها وخلَّدتا لليونان مجداً لا يمحوه تقادم العصور وكرور الدهور

ولم يشع شيوعهما بين البشر شيءٌ من المنظوم والمنثور الا كتب الدين ولا تزالان كما كانتا منذ ثلاثة آلاف عام في المقام الاول بين نتاج القرائح

وليس ما تقدَّم من ايداعهما خلاصة العلم والسياسة وتوابعهما من اسباب ذلك البقاء في شيءٍ فان طلاَّب العلم ولا سيما في العصور الغابرة فئةٌ ضعيفة تطلب العلم من ابوابٍ اخرى تتلقنها من كتبٍ وضعت لها . والعلم كل يوم في شأن يتقلب ويتغير وينحط ويرتقي فما صلح منه في الامس لا يصلح في الغد وما كان منه في اليوم صواباً ساطعاً اصبح بعده خطأً فادحاً . فلا بد من ان تكون ثمَّة اسبابٌ ثابتة مغرسها في النفس ومنبتها في القلب لا تتغير بتغير زمان ولا تتأثر بترقٍ وحضارةٍ

فان هوميروس انما نقر على اوتار الافئدة فأثارها . ونفخ في بوق الارواح فاطارها . ومزج الحقيقة بالخيال مزجاً يخيل لك انهما تآلفا فتحالفا . وسبر اعماق النفس في سذاجتها . وتحرَّى الفطرة في بساطتها . وهاج العواطف والشعائر وتكلم بجلاء لا تشوبه مسحة التكلف فأسهب موضع الاسهاب واوجز موضع الايجاز ومثَّل تمثيلاً ناطقاً وفصَّل تفصيلاً صادقاً عن عقيدةٍ واخلاص

واذا اضفنا الى ذلك بلاغة الشعر وتناسق النظم ودقة السبك ورقة المعنى والسهولة والانسجام ذهبت عنك غرابة ذلك الخلود

قال غيزو [1] « وان ما يرى في شعر هوميروس من مزج الخير بالشر والضعف بالقوة · واتحاد الافكار والمشاعر بمظاهر مختلفة · وتنويع الافكار والاقوال· وبسط احوال الطبيعة والاقدار على انماطٍ متباينة كل ذلك يبث الاميال الشعرية بما لا يماثله مثيل لان فيه اسّ كل اساس وحقيقة الانسان والعالم » ـ وعندي ان من اقوى عوامل البقاء في الالياذة والاوذيسية مع استجماع ما تقدم من الاسباب ان بذورها وقعت من كفتٍ صالحة على ارضٍ صالحة اذ نظمتا بلغةٍ سهلة في عصرها فلم يكن يغلق فهم شيء من معانيهما على اقل الناس علماً فشغف بهما القوم وتناولوها وتناقلوها وحرصوا على ادّخارها لانهما مستودع الجمال والمرء حريص على استبقاء كل جميل

انتشارها ونقلها من اليونانية الى سائر اللغات

اللاتينية

كان انتشار الالياذة بين اليونان كانتشار نور الشمس عند بزوغها فما كان يبرق منها بارق من فم الشاعر حتى يتهافت عليه كل رفيع ووضيع · ثم ما لبث ان تطرق هذا التهافت الى الرومان فنقلوها الى لغتهم وترنموا بانشادها وشد شعراؤهم على التقاط دررها وتحدّي معانيها حتى اقاموا على تلك المعاني دعائم منظوماتهم الكبرى وفي مقدمتهم ڤرجيليوس كبير شعراء اللاتين

الهندية والفارسية

وقد روى اليانوس المؤرخ [2] ان الهنود نقلوها الى لغتهم وان ملوك الفرس كانوا يتغنون بها بالفارسية · ولعل الفردوسي استمد منها كثيراً من معاني الشهنامة واتخذ الالياذة مثالاً لمنظومته الغراء

(1) Guizot, Cours d'Histoire moderne, 7me Vol. I p. 285.
(2) Aelian, l. 12 Cap. 48.

السريانية

ولم تكن سائر الامم اقل شغفاً بها فعلق بها السريان كغيرهم ونقلها ثاوفيلس الرهاوي الى لغته شعراً (انظر ص : ٢٦٥)

لغات الافرنج

ولا تسل عما كان من علوق الافرنج بها فقد نقلت مراراً شعراً ونثراً الى كل لغة من لغاتهم حتى صارت اشهر كتاب عندهم جميعاً وطبعت كل ترجمة منها مراراً عديدة

واشهرها ترجمة چيزارُتّي [1] ومنْتي [2] الى الايطالية · ومُنبيل [3] الى الفرنسوية · وفُوس [4] الى الالمانية وپوپ وچاپمن وكوپر [5] الى الانكليزية · واصدق هؤلاء النقلة منتي وهو وپوپ ابلغهم شعراً

اغفال العرب نقلها الى لغتهم

كان العرب من احرص الملل على علوم الادب واحفظهم للشعر واشغفهم بالنظم ومع هذا فلقد يأخذك العجب لبقاء الالياذة محجوبةً عنهم وهي منتشرة هذا الانتشار بين قبائل الارض ومنظومة بلغة ساميَّة كلغتهم يتناشدها الادباء المقيمون بين ظهرانيهم في مقر الخلافة العبَّاسية

وان لذلك اسباباً اذا تبينَّاها زال العجب لاغفالها في ما سلف مع وضوح الحاجة الماسَّة الى تعريبها في هذا العصر · وان مرجع تلك الاسباب الى ثلاثة : الدين واغلاق فهم اليونانية على العرب وعجز النقلة عن نظم الشعر العربي

(1) Cesarotti.
(2) Monti.
(3) Monbel.
(4) Voss.
(5) Pope, Chapman, William Cowper.

الالياذة والنصرانية

اشرنا فيما مرَّ الى اقبال أُمم اوروبا على الشعر الهوميري وقلنا (ص : ٢٤) لم يتخلل اقبالهنَّ فتورٌ الا عقود اعوامٍ معدودات في بَدء النصرانية . فاذا خذل المسيحيون هوميروس وهو معروف عندهم ونبذوا شعرهُ وهو متلوٌّ في مجالسهم فما احرى المسلمين في اوائل الاسلام ان يطَّرحوه ولا اثر له في اذهانهم ويعرضوا عن اقواله وهم لا يعرفون منها شيئًا

كان هوميروس في ذروة مجده في الممالك الرومانية عند انتشار الدين المسيحي فكان لا بد من تقويض اركان الوثنية وهي ممثَّلة اصدق تمثيل في الشعر الهوميري فبات اغفال ذلك الشعر ضربة لازب لحداثة عهد المسيحيين بدينهم ولزوم اخذهم به موردًا صافيًا لا تشوبه اساطير السلف من عبدة الاوثان. ولكن بعض الدُّعاة غالَوا في اتخاذ الطرق المؤدّية الى تلك الغاية فاتَّهموا هوميروس بابتداع البدع وتحريف آي التوراة ليصوغ منها ما وافق مذاهب قومه من القصص المستنبطة منها كعصيان الطيطان وطردهم من الجنة وتلبُّس فرسيُس بصورة موسى في أُول امره . ومماثلة بليروفون ليوسف الصدّيق . وامثال ذلك مما اشرنا اليه في الشرح . ولهذا كانوا ينادون بتحريمها خشيةً من ان تفسد عقيدة الناشئة المتنصرة . وكان من لوازم قولهم ان هوميروس لم يكن الناقل لخرافات الاولين بل الواضع لها المنادي بها

تلك كانت الحال بين عامَّة المسيحيين . واما علماؤهم كالقديس ايرونيمس [1] فما زالوا مكبّين على تلاوة اشعار هوميروس معجبين ببلاغتها وسموّ معانيها

وما رسخت قدم النصرانية في البلاد حتى افرجوا عن هوميروس والياذته وسائر منظوماته فانطلقت تلك الخرائد من عقالها وبرزت بحللٍ قشيبة فعادت الى اختلاب الالباب في مجالس الآداب

(1) Saint Augustin, Confess. l. I. cap. 140.

الالياذة والاسلام

وانَّ ما قيل عن النصرانية في نشوءها يصدق على الاسلام في قرونه الاولى اذ لا ريب ان ائمة الامَّة لو فرضنا وقوفهم ذلك الحين على محتويات الالياذة لما ارتاحوا الى بثها بين العامة لئلا تكون من مفسدات الايمان

وزد على ذلك ان العرب لم يكادوا يخرجون من مهامه البداوة حتى ملكوا الامصار وانتشروا في سائر الاقطار واسسوا الممالك الكبار . وما استقر الملك للامويين في الشام حتى بدت لهم الحاجة الى استخراج كتب العلم . وما توطدت دعائم الدولة العباسية في العراق حتى نظَّم الخلفاء مجالس النقلة لتعريب علوم المتقدمين من الفرس والهنود واليونان . فلاح لهم انهم احوج الى العلوم منها الى الشعر والادب وكانت حاجتهم الكبرى الى علم الطب ثم الى علم الكلام للمناضلة عن الدين فعمدوا الى تعريب طب ابقراط وجالينوس وفلسفة ارسطوطاليس ونظائرها واغفلوا الالياذة وجميع ما يجري مجراها من كتب الشعر والادب

ثم انه ليس في لغات الارض لغةٌ يربو شعرها على الشعر العربي ويزيد شعراؤُها عدداً على شعراء العرب وهم جميعاً مخلصو الاعتقاد في شعرهم ورعين في تعبُّده فلا يخالون في الامكان وجود شعرٍ أعجمي يجاري قصائدهم بلاغةً وانسجاماً ودقةً واحكاماً

فهذا ايضاً كان من دواعي تقاعدهم عن الاقبال على شعر الاعاجم اكتفاءً بما لديهم من درر ذلك البحر الزاخر

على انني اعتقد انه لو طال زمن عظمة الدولة العباسية او لو تأخر زمن تبوُّء المأمون اريكة الخلافة جيلين لكانت بعض مقاطيع الالياذة تتلى الآن في اندية الادب . ولا يطعن بهذا القول قيام دولة الاندلس بعد حين واشتغالها في الادب فان الامويين الاندلسيين تفننوا بآداب العرب ورقوا درجاتٍ في مرقاة الشعر ولكنهم لم يضاهوا العباسيين في بغداد بشيءٍ من اقبالهم على التقاط فلسفة

الاعاجم وتعريب كتبهم

وبعد هاتين الدولتين لم تقم للعرب دولةٌ حريصة نظيرهما على اختزان العلوم من مخابئها وادخار الاداب من مناشئها . فان كلاً من دولة الفاطميين بمصر ودول المغرب كانت منصرفة الى مشاغل اخرى فضلاً عن قلّة النقلة في ازمانها من المتضلعين في لغات الاعاجم فوق لغتهم

نقلَة العرب

وهناك ايضاً حاجزان طبيعيان وقفا عقبةً صماء في وجه تعريب الالياذة شعرًا في القرون الاولى ولعلهما لايقلاَّن شأْنًا عن حواجز الدين او يزيدان وهما

اولاً ان معرّبي الخلفاء كابن الحصي وابن حُنَين وآل بختيشوع لم يكونوا عربًا وان تفقهوا بالعربية على اساتذتها فلم يكن يسهل عليهم نظم الشعر العربي وهم انما كانوا بنظر العرب علماء اكثر منهم ادباء وان كانوا حريصين على اداب لغاتهم حتى حلّوا جيد السريانية بقلادة الالياذة منظومةً شعرًا كانوا يترنمون به في مجالسهم . ولا يشذ عن هذه القاعدة الا قليلون معظمهم من الفرس الذين تفرغوا لاداب العرب فبرّزوا فيها كابن المقنع وهؤُلاء ايضاً لم يكونوا في عداد الشعراء

وثانيًا ان شعراء العرب انفسهم لم يكونوا يحسنون فهم اليونانية فلم يكن فيهم من يصلح لتلك المهَمَّة

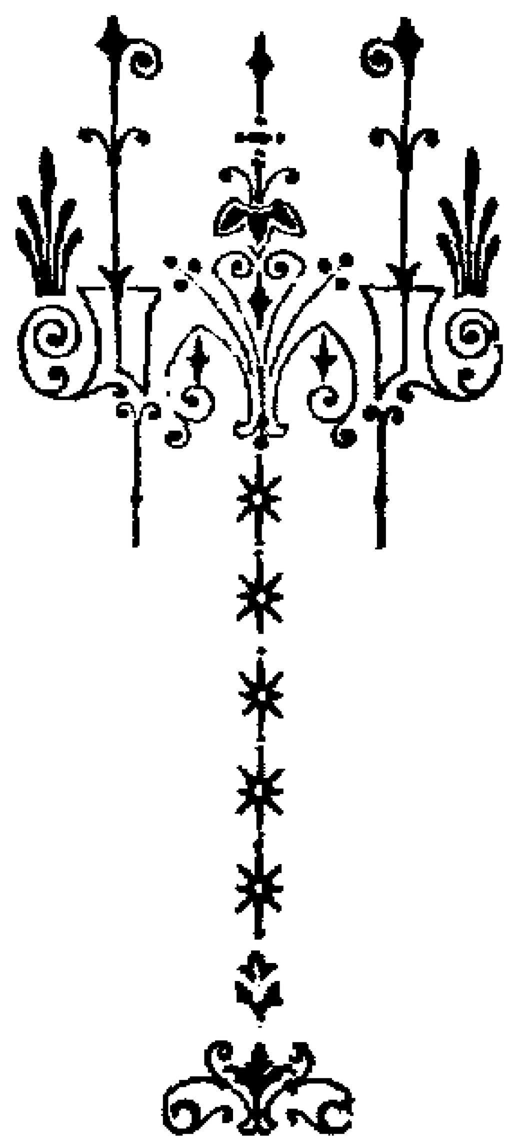
وان قيل ان عجز النقلة عن الاجادة في نظم الشعر العربي لم يكن مانعًا من تعريب الالياذة نثرًا كما عُرّبت شهنامة الفردوسي قلنا ان الارتباط بين الفرس والعرب كان اكثر منه بين العرب واليونان وشتان بين ناظم الالياذة وناظم الشهنامة . فذلك من عبدة الاصنام وهذا من ادباء الاسلام . ومع ذلك فلم يقم بين العرب من تجرد لتعريب الشهنامة الا بقيام ملك يحسن فهم العربية والفارسية طرب بتلاوة الاصل فأراد ان يطرب امته بتلاوة التعريب فوسَّع بالرزق على

رجل توسَّم فيه الكفاءة وهيهات ان يتيسر ذلك في غير تلك الحال [1]

ثم انه لايخفى ان الشعر اذا تُرجم نثرًا ذهب رونقه وبُهت رواؤه . والظاهر ان هذا الحكم انطبق على تعريب الشهنامة فأهملها الناس والا فما ذهبت ضياعًا وبقيت اثرًا بعد عين نقرأ عنها في كتب التاريخ وليس في الادباء من روى لنا منها حديثًا مذكورًا

وخلاصة القول انه مهما يكن من الحوائل التي كانت تصد الادباء عن نقل الالياذة وتحول دون ابرازها للعامة فما بقي لتلك الحوائل اثرٌ في زمننا بل صار من لوازم العصر إلباسُها حلَّةً عربيةً تجاري بها لغتنا لغات ابناء الحضارة وخصوصًا انَّ ما فيها من اساطير دين الوثنية قد باد اثرهُ فصار من المحتوم ان يبقى خبرهُ عبرةً للمعتبر

(١) نقل شهنامة الفردوسي الى العربية الفتح بن علي البغدادي الاصبهاني نثرًا للملك المعظم عيسى بن العادل ابي بكر الايوبي واتم ترجمتها سنة ٦٧٩ (كشف الظنون)



التعريب

حكاية المعرِّب في تعريب الالياذة

سألني الجمُّ الغفير من اصدقائي الادباء كيف عرَّبتُ الالياذة وما حداني الى تعريبها فكتبت الفصل الآتي ولعله لا يخلو من فائدة لمن قُضي عليه ان يسير في مثل هذه العقبة

كلفت منذ الصغر بمطالعة الشعر القصصي ولا سيما ما تعلق منه بالخياليَّات وعبادات الاقدمين . ولما كانت لغتنا تكاد تكون خلوًّا من ذلك الشعر وفروض الدروس تستنزف الوقت ولا تبقي معها بقية لقراءة ما شذَّ من مثل ذلك عن معيِّناتها فتحول دون استقاء المياه من مواردها كنت التقط ما سقط عرضًا من افواه الاساتذة او ورد شاهدًا في كتب التدريس . فاجتمعت لديَّ نبذ ضمَّنتها بعض قصائد لفَّقتها ولم أُتم العقد الثاني من اعوام الحياة . ولا يطالبنَّني المطالع اللبيب بامثلةٍ من تلك القصائد فحسبي هزءُ نفسي بي دون هزئه اذ لا اتمالك من الضحك كلما خطر على البال شيءٌ مما علق في الذاكرة . فهنالك يمٌّ تخبطٌ اختلطت فيه آلهة الكلدان بآلهة اليونان والرومان وأُنزلت معبودات مصر موضع معبودات الهند والصين واشتبه الذكور بالاناث والتبست الاعلام الافرنجية بالاسماء اليونانية على نحو ما دوّن الكتبة في كثيرٍ من اخبارهم عن امم القرون الخالية . وهذا ولا بدع شأن كل كاتب تطاول الى فنٍّ دخله من غير ابوابه

فلما حكمت نفسي واصبحت متصرفًا مطلقًا في استعمال اوقات العطلة ادركت انني لم اعرف شيئًا مع سابق الظن بسعة الاطلاع فانتهيت الى حيث كان يجب ان ابتدىء . فعمدت الى تلك المنظومات ولم اكن بعد قرأت شيئًا منها قراءةً صحيحة ما خلا « الفردوس الغابر » لِملتُن وقرأت جميع ما وصلت اليه كلَّ كتابٍ بلغته اذا كنت من قرائها والا فبترجمته الى لغةٍ اعرفها

وكنت كلما قرأت منظومةً من المنظومات القديمة والحديثة زاد اعجابي بالالياذة لانها وان كانت اقدمهنّ عهداً فهي لا تزال احدثهنّ رونقاً وابهرهنّ رواءً واكثرهن جلاءً واوسعهن مجالاً وابلغهنّ جميعاً . نسج صفوة الشعراء على منوالها فلم يبلغوا شأوها واستقوا من بحرها فملأُوا بجارهم ولم ينقصوها شيئاً

فقلت ما احرى لغتنا العربية ان تحرز مثالاً من هذه الدرة اليتيمة فهي اولى بها ممن تناولها من مال الحضارة . فليس في شعر الافرنج ولغاتهم ما يوفّر لها اسباب البروز بحلةٍ اجمل مما تهيئه معدّات لغتنا . فالشعر اليوناني بلغةٍ قريبةٍ الى الفطرة كلغتنا والبحث في جاهلية قوم كجاهليتنا . وليس في شعراء ملّةٍ من الملل من انطبقت معانيهم على معاني الالياذة بالحكمة والوصف الشعري كالمتقدمين من شعرائنا

فناجتني النفس بتعريبها مع علمي بخطورة الموقف ووعورة المسلك وطول الشقة وقلت تلك مَلهاة نقضي بها اوقات الفراغ . فاذا فتح الله وفسح في الاجل زففتها الى القراء . والا فلا اقلّ من ان اروّض نفسي بها وهي خير ما تروّض به النفوس . وعزمت منذ نظمت اول بيت منها على ان لا اغادرها حتى آتي على آخرها

تعريب الاصل

تخططت لنفسي خطّةً وقلت لانظمنّ منها امثلةً من حيث اتفق لي واعرضها على الادباء فاتنسم ما يكون من وقعها في النفوس واتبين مواطن الخلل تخيرٌ لي ان اتبينها قبل التوغل في العمل . فتوكلت على الله وعمدت الى ترجمةٍ فرنسية منها كانت بين يديّ والقيتها الى جانب ترجمة انكليزية واخرى ايطالية وفتحت الكتاب الفرنسي من ثلثهِ الاول فاذا باخيل واغاممنون يتخاصمان واخيل ينهال على اغاممنون بالسباب والشتيمة فنظمت الابيات التي مطلعها :

يا مليكاً بنشوة الراح مُثقَلْ . . . (ص ٢٢٢) فعربتها على الطريقة المألوفة في النظم وكانت اول ما نظمت من الالياذة . وذلك في اخريات سنة ١٨٨٧ بمصر القاهرة . ثم فتحت الكتاب من ثلثه الثاني فاذا بي في معتركٍ عنيف في اول النشيد الخامس عشر فنظمت القصيدة التي مطلعها :

تجاوزتِ الطرواد حدَّ الخنادقِ يصلّمهم فيها حسام الاغارقِ

فكانت قصيدةً طويلة توثّقت بها من اتساع اللغة للمعاني والقوافي ونهجت فيها نهجاً جديداً مما كنت اعددته في ذهني وستراه مفصلاً في باب « النظم في التعريب »

ثم فتحت الكتاب من ثلثه الاخير فاذا بي في الصفحة الثالثة من النشيد الثالث والعشرين فرجعت الى اوله ونظمت منه نحو مئة بيت رجزاً مصرّعاً ومقفّى على أُسلوبٍ استحسنته وحسبته وافياً بمرامي لتعريب كل النشيد على سياقه

فحملت جميع ما تجمّع لديَّ من القصائد الثلاث بمسوّداتها وجعلت اعرضها على من زارني وزرته من الادباء والشعراء ممن أَلِف الشعر العصري ومن نشأ على انتهاج الشعر القديم فاستحسنوا وجاملوا فزدت بمجاملتهم نشاطاً . وانست من بعضهم ريبةً وخشية عليَّ من الملل والقنوط لوفرة ما يتبع هذا العمل الشاق من العناء الفادح وكثرة ما يستلزم من النفقات لو مُثّل بالطبع وليس قرّاء العربية وطلاّب امثال هذا الكتاب ممن ينشّط على المجازفة بمثل تلك النفقات وشق النفس وضياع الاوقات : — على ان ذلك كان اقل ما تجزع له نفسي اذ اقدمت وليس بي جشع للربح من وراء هذا العمل بل انا راضٍ بالخسارة لو حصلت ليس ذلك ترفعاً عن الكسب ولكن لغرامٍ في النفس تستسهل الصعب في سبيله

فقلت لقد حان اذاً اوان الشروع فرجعت الى اول نشيد واخذت في النقل تباعاً حتى اكملته ونظمت نصف النشيد الثاني . وكنت اثناء النظم اقابل الترجمات بعضاً ببعض فارى فرقاً يصعب عليَّ معه تبيُّن الرجحان لنسخة دون اخرى . فاوقفت النظم وقلت لا بد اذاً من الرجوع الى الاصل اليوناني اذ لا يصلح النقل من غير اصله

وكانت معرفتي باليونانية قاصرةً اذ ذاك لا تكاد تتجاوز القراءة البسيطة وبعض اصولٍ ومفردات لا تشفي غليلاً . فاخذت ابحث عن استاذ يروي غلّتي فأرشدت الى عالمٍ من الآباء اليسوعيّين وأُبلغت انه متضلعٌ باليونانية

تضلُّعه بالفرنسية . وكنت اعلم ان الآباء اليسوعيين لا يسعهم التفرغ لالقاء دروس خاصة خارج مدارسهم فكان لا بد اذاً من رضاء الاستاذ واذن الرئيس فوفقني الله الى الحصول على الامرين فشكرت لهما هذه المنة وجعل استاذي يلقنني اصول اللغة ويفسر لي فصولاً من الالياذة وانا مُكبٌّ على الدرس متفرغ للاستفادة . وبعد ان قضيت معه اشهراً وعلمت منه انه يسعني ان استتم الدرس وحدي وان اتناول تعريب الالياذة من اصلها مع الاستعانة بكتب اللغة وتفاسيرها فارقته شاكراً ولبثت مدةً اجهد النفس بالمطالعة ثم استأنفت التعريب

وكان بنفسي شيء مما عرَّبته من النشيد الاول والثاني فرجعت الى امعان النظر فيه ومقابلته على اصله فرأيت خللاً الجأني الى التنقيح والتصحيح فكنت لا احجم عن تغيير البيت والبيتين وربما اعدت نظم مقاطيع برمتها . ولم يقع لي شيء من هذه الاعادة في سائر الاناشيد الا ان يكون في استبدال فقرةٍ او شطر بغيرها او تغيير قافية بأُخرى مما يقع لكل ناظم . وفي ما سوى ذلك كنت اجهد النفس باحكام البيت على قدر الاستطاعة قبل كتابته

ولم اكد استقر في مصر حتى حدا بي حادي الاسفار التي الفتها منذ الصبا فبرحت القاهرة سنة ١٨٨٨ وفي النفس شغفٌ بها وحنينٌ اليها . فانتهى بي التَّطواف الى العراق بعد ان طرقت الهند واطراف العجم فأَقمت فيها زهاء سنتين اضطررت الى طي الالياذة في معظمها ولم يتسنَّ لي العود اليها الا بضعة اسابيع . على انني لم اجتمع بأَديب منها الا عرضت عليه شيئًا من منظومها وادباء العراق مولعون بسماع الشعر

ثم شخصت الى الاستانة واتخذتها مقاماً طيباً لبثت فيه سبع سنوات كنت كثير التنقل في اثنائها بين الشرق والغرب فيومٌ بسوريا وسنة باوروبا وامركا والمرجع الى الاستانة . وكانت الالياذة رفيقي حيثما توجهت اختلس الاوقات خلسةً فلا تفرغ اليد من عمل الا عدت اليها . ولطالما مرت الاسابيع والاشهر وهي طي الحجاب ثم هببت بها من رقدتها وعاودت العمل وكثيرًا ما حصل

ذلك في رؤوس الجبال وعلى متون البواخر وقطارات سكك الحديد فهي بهذا المعنى وليدة اربع اقطار العالم

وكنت حيث حللت إتوخى الاستفادة من اهل ذلك المحل ولا سيما في الاستانة حيث هيأ لي حسن التوفيق ان اتصلت ببعض ادباء اليونان عشّاق هوميروس والياذته كاستافريذس ترجمان السفارة الانكليزية وكاروليذس احد اساتذة كلية خلكي اليونانية بالاستانة وبعضهم من قراء العربية فكنت اشاورهم في بعض ما التبس وأُغلق وهم لا يضنّون واقرأُ لهم اجزاءً من المنظوم العربي فتهزوهم هزة الطرب مستبشرين بتعريب اعظم منظومة لاعظم شعرائهم

وهكذا ظللت بين وقوف ومسير الى اول صيف سنة ١٨٩٥ فخرجت بعائلتي الى مصيف فنار باغچه في ضواحي الاستانة وظللت فيها اربعة اشهر فرغت في نهايتها من عناء التعريب

كتابة الشرح

على انني منذ شروعي في النظم كنت اطمح الى ما وراء ذلك اذ لو عرضت الالياذة على قراء العربية عارية من الشروح لما خالوها الا هيكلاً شعرياً لا تربو فائدته على شيء مما بين ايديهم من الدواوين وما اكثرها في لغتنا

فرأيت ان اعلق عليها شرحاً انتهج فيه اسلوباً جديداً لم ينتجعه احد من الشرّاح بغية ان يأنس القارىء العربي بالرجوع في نظره الى اخلاق امته في جاهليتها وبعض حضارتها والمشهور من اساطيرها وعباداتها والمأثور من آدابها وعاداتها ومناهج شعرائها وادبائها ومواقف ملوكها وامرائها وساستها وزعمائها والاعجاب باتساع لغته في الوضع لكل معنى من المعاني الفطرية مع عجزها في الحال عن تأدية بعض الاوضاع العصرية وجميع ما يتناول وصف حالة العرب ولغتهم وحالتهم الاجتماعية . كل ذلك بالمقارنة والمقابلة مع ما كان من نظيره في الامم الغابرة ولا سيما في امم اليونان . ويرتاح المطالع الافرنجي من قراء لغتنا الى الولوج في باب لا اظن احداً ولجه من قبل فيبحث وينقّب ويسترشد فيرشد على ما جرى عليه

في سائر الشؤون ونحن عن معظم ذلك غافلون

ولهذا لم يكن لي بدٌّ من مطالعة الاسفار الطوال والمجلدات الضخمة من كتب العرب والاعاجم في الادب والشعر والتاريخ · واذا القيت نظرك على باب الشواهد في المعجم في ذيل الكتاب ورأيت انني اضطررت الى الاستشهاد بمئتي شاعر عربي بين جاهلي ومخضرم ومولَّد فضلاً عما نقلته من شعر الاعاجم عذرتني على ما اضعت من الوقت في شرح الكتاب اذ ربما قرأت ديوان الشاعر كله طمعاً ببيت واحد : — ولو جمعت الزمن الذي صرفتهُ في النظم لما زاد عن نصف مثله مما صرفته في تدوين الشرح

وفي اوليات سنة ١٨٩٦ دعاني داعٍ حثيث الى القاهرة والنفس تشتاقها فانتهزتها فرصةً وانتقلت بعائلتي اليها ولكن اموراً هامَّة حالت دون تمثيل الكتاب بالطبع اخصها اشتغالي بعمل شاقٍ آخر هو « دائرة المعارف » · ولكنني كنت اختلس اوبقاتٍ يسيرة ارتّب الشرح في اثنائها حتى انتهيت منه عام ١٩٠٢ فباشرت الطبع

ولست بمعتذرٍ لابناء وطني عن انقضاء كل هذا الزمن قبل نجاز العمل الاخير فقد أَلفنا التأَني والمطل وان الواحد منا ليشرع في طبع مئتي صفحة فتمر الاعوام ولا يتمها · على ان ابن الغرب تعتريه الدهشة لمثل هذا التراخي وهو في بلاده لايكاد يسمع بتأْليف كتاب حتى يراهُ مطبوعاً تتداوله الايدي · فلمثل هذا اللائم اقول ان الحالة عندنا على خلاف ما تعهد فليس في بلادنا شركات تأْخذ على نفسها طبع الكتب على نفقتها فتعد المال والرجال · بل لابد عندنا وان توفرت النفقات ان يتولى المؤَلف في مثل هذه الاحوال طبع كتابه بنفسه · وان استعان بصديق او غيره على مراجعة مسوَّدة فلا يغنيه ذلك عن ان يكون هو المصحح المنقح · واذا زدت على هذا ان دواعي صحة الجسم تلجئني كل سنة الى ايقاف العمل بضعة اشهر اذ اضطرُّ ان ابرح مصر الى لبنان اوغيرها من بلاد الله اتَّضح اني اسرعت في طبع الالياذة مع ابطائي في إِعدادها

المعجم والمقدمة

وفي منصرم ربيع السنة الماضية (١٩٠٣) كان الفراغ من طبع الالياذة وشرحها فحملت الكتاب معي الى لبنان حيث قضيت الصيف وانتهزت فرصة الفراغ والراحة لكتابة المعجم . وحالما وصلت القاهرة في آخر الصيف اخذت في انشاء هذا الفصل وسائر فصول المقدمة :— وهكذا فقد كان الفراغ من هذا الكتاب حيث كان الشروع فيه اي في قاهرة مصر . واراني كما اسلفت لك لم اذخر وسعاً في تحبير تعريبه وتنميقه ولم آل جهداً في تطبيق شرحه وتنسيقه فان احسنت وفيه منتهى جهدي فذلك من حسنات الاجتهاد والا فحسبي ان افتحه باباً يلجه من وفقه الله الى سبيل السداد

اصول التعريب

لقد جرى الكثيرون من نقلة لغات الافرنج الى العربية على اصول ابتدعوها لانفسهم فشطُّوا باكثرها عن منهج الصواب . فاجروا قلمهم بل هو جرى بهم مُطلق العنان يحبّر ما يريد دون ما اراد الواضع . فمن متصرفٍ بالمعنى يزيد وينقص على هواه فيفسد النقل ويضيع الاصل . ومن متسرّعٍ يضنُّ بدقائق من وقته للتثبت من مراد المؤلف فيلتبس عليه فهم العبارة فينقلها على ما تصورت له لاول وهلة فتنعكس عليه المعاني على كُرهٍ منه . ومن ماسخٍ يلبس الترجمة ثوباً يرتضيه لنفسه فيتقلب بالمعاني على ما يطابق بغيته ويوافق خطته حتى لا يبقى للاصل اثراً . ومن عاجزٍ يجهد النفس ما استطاع وهو وان اجهدها ما شاء غير كفوء لخوض هذا العباب

ثم يقوم هؤلاء الكتّاب ويسمّون ما كتبوا تعريباً واولى بهم ان يسمّوه تضميناً او اختصاراً او معارضةً او مسخاً

ولكنهم جميعاً اولى بالعذر والعفو من فئة اخرى يأتي الواحد منها على الكتاب فينقله كله او بعضه ثم يعرضه على الناس تأليفاً من نتاج قريحته . وهؤلاء هم

السرَقة الدجّالون

على ان لدينا والحمد لله رهطاً من ذوي الذمة والعلم يتوخّون الصدق ويتحرّون الضبط والاحكام ويجيدون الرسم فيأتي مثالاً صادقاً . فاذا نقلوا قالوا نقلنا واذا تصرفوا قالوا لغرضٍ تصرفنا وان ضمّنوا قالوا لامرٍ ضمّنّا وان عارضوا قالوا لسببٍ عارضنا فهؤلاء اذا صحت كفاءتهم هم الذين يجب ان يصدق خبرهم ويقتفى اثرهم

معرّبو العرب

واذا رجعنا الى النَّقَلَة الاوائل رأينا ان زمرةً كبيرة منهم كانوا من هذا الفريق الاخير وهم على تفاوت اجادتهم في تأدية المراد ممن قصد الفائدة الحقّة وتوخى الصدق والدقة

وقد سلكوا في التعريب مسلكين نقلهما البهاء العاملي في الكشكول عن الصلاح الصفدي قال :

« وللترجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لاتطابق نظيرها من لغة اخرى دائماً . وايضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات . الطريق الثاني في التعريب طريق حنين ابن اسحق والجوهري وغيرهما وهو ان يأتي الجملة فيحصّل معناها في ذهنه ويعبّر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الا في العلوم

الرياضية لانه لم يكن قيّماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه منها لم يحتج الى اصلاح »

وان هذين الطريقين اللذين اشار اليهما الصلاح الصفدي منذ زهاء ستة قرون هما المذهبان المعوّل عليهما في النقل حتى يومنا وليس وراءهما مذهب ثالث في التعريب الصحيح . اما الطريقة الاولى فهي كما قال رديئة اذا أُريد بها استجماع تحصل المعاني وهي ايضاً انها تذهب بطلاوة التركيب فلا تبقي لها اثرًا ولا تصلح للكتب التي تتداولها الايدي من الخاصة والعامة ولا ترتاح اليها نفس مطالع . وقلما تجد قارئاً يقوى على استتمام صفحة منها . ولكنها مع هذا مفيدة لطالب اللفظ دون المعنى ولهذا جرى عليها بعض كتّاب الافرنج في بعض التآليف المراد بها تعليم اللغات وانتهجوها في نقل كثير من كتب الادب والشعر كمنظومات هوميروس وفرجيليوس اذا أُريد بها افادة طلاّب اليونانية واللاتينية دون طلاب الالياذة والانياذة . ويشترط لصحة فائدتها امران اولهما ان يكتب الاصل بلغته ومردفاً في اللغة المنقول اليها . — والثاني ان يكون بازائها ترجمة اخرى على الطريقة الثانية التي هي طريقة حنين لاستجلاء المعنى والاّ اختلطت المعاني على المطالع وغاب عنه فهم قوة العبارة لان الجمل على الطريقة الاولى تأتي مختلة التركيب مقلوبة الوضع فما يجب تقديمه في لغة يجب تأخيره في اخرى وما يجب اثباته في الاصل يجب تقديره في النقل وهلمّ جرًّا . فلا طلاوة ولا احكام ولا اعراب ولا انسجام

اما الطريقة الثانية فهي التي عوّل عليها الجمهور لحصول الفائدة فيها من الوجه المطلوب وهو نقل المعاني ورسمها رسماً صحيحاً ينطبق على لغة النقل ومشرب قرّائها . فاذا قرأ المطالع فيها كتاباً معرّباً فانما هو يقرأه عربيًّا ولا يقراه أعجميًّا كما يحصل في الطريقة الاولى ولهذا يصح ان يقال ان طريقتنا انما هي طريقة حنين بن اسحق والجوهري

مسلك المعرّب في تعريب الالياذة

علمت مما تقدم ان المعرّب تحرّى الصدق في النقل مع مراعاة قوام اللغة وعسى ان يكون ممن كُتب لهم التوفيق . واقول زيادةً للايضاح اني وطنت النفس علي ان لا ازيد شيئًا علي المعنى ولا انقص منه ولا اقدّم ولا أؤخر الا في ما اقتضاه تركيب اللغة . فكنت اعمد الى الجملة سواء تناولت بيتًا او بيتين او اكثر او اقل واسبكها بقالب عربي اجاو رواءهُ على قدر الاستطاعة ولا انتقل الى ما بعدها حتى يخيَّل لي اني احكمتها .

ولما كان الشعر العربي يختلف طولاً وقصرًا باختلاف اوزانه كان لا بد من حصول التفاوت في النسبة بين عدد ابيات الاصل وعددها في النقل . وليس في اليونانية شطرٌ وبيتٌ كالعربية فكل شطر منها بيتٌ تامٌّ كالرجز في عرف بعض العروضيين اذ يعتبرون كل شطرٍ منه بيتًا كاملاً . ثم انه كثيرًا ما يحصل الترابط فيها بين بيتين واكثر بما لا يجوز اتيان نظيره في العربية . ولهذا لم يكن في دائرة الامكان ان يُنقل البيت اليوناني بيتًا او شطرًا عربيًا . اذ كلما كثرت اجزاء بحر الشعر العربي زاد اتساعه لاستيعاب المعاني فالطويل والبسيط مثلاً يستوعب البيت منهما ما لا يتسع له السريع والمنسرح . وهذان تامَّين يستوعبان ما لا يتسع له المجزوء من سائر الابحر . فبهذه النسبة يمكن اعتبار كل بيت من الطويل والبسيط بمثابة زهاء بيتين من الاصل اليوناني ويقرب منهما الكامل التامُّ وكل بيتين من الخفيف والسريع والمنسرح والرجز والمتقارب والمتدارك والوافر والرمل واحَذّ الكامل مقابل ثلاثة ابيات من اليونانية . فجاءت الابيات العربية بين العشرة والاحد عشر الف بيت نقلاً عن أصلٍ عددهُ بين الستة عشر والسبعة عشر الف بيت

وكنت اثناء مطالعتي ترجمات الافرنج انكر امورًا كرهت ان ينكرها غيري عليَّ فاجتنبتها . مثال ذلك تصرف البعض منهم تصرفًا غريبًا فيبدلون معنى

بآخر ولفظة بغيرها ولهم في ذلك اعذارٌ تافهة اشرنا اليها في مواضعها . واغرب من هذا ما يقدمون عليه من الحذف والاضافة فقد رأيت في بعض المواضع ابياتاً كثيرة قضوا عليها بالحذف وابياتاً كثيرة حسنّت لهم انفسهم اضافتها حتى ان احدهم حاك من اربعة ابيات اربعة وثلاثين بيتاً ضمّنها معاني لم تخطر على بال هوميروس

المحافظة على الاصل

فكان معظم همي ان لا اجحف مثل هذا الاجحاف فلم اتصرف بشيءٍ من المعاني وحافظت على الالفاظ ما امكن فان حذفت لفظة فهي اما من مكررات الاصل التي يحسن تكرارها في لغتها ولا يحسن في لغتنا واما من الالفاظ التي يمكن استخراجها من المعنى وقد يمكن ان تكون من الالقاب والكنى التي يستغنى عن ايرادها كل حين . وان زدت لفظة فهي اما مما يقتضيه سياق التعبير العربي واما قافية لا تزيد المعنى ولا تنقصه . وان قدمت او اخَّرت فكل ذلك في فسحة قصيرة يقتضيها السبك العربي وكان هذا اعظم قيدٍ قيدت به نفسي

اجتناب الوحشي والحوشي

ثم اني اجتنبت ما امكن حوشيَّ الكلام ووحشيَّه طمعاً بان لا تحقره الخاصة ولا يغلق فهمه على العامة . واذا اضطُررت الى اثبات كلمة لغوية فتلك اما لفظةٌ وضعية لا يمكن استبدالها بغيرها واما قافيةٌ لا يمكن العدول عنها واما تعبيرٌ ليس ما يفضله في الكلام المأنوس

الالفاظ التي لا مرادف لها في العربية

وليت هذا منتهى الاشكال في تعريب الالياذة فقد اعترضت لي الفاظ وتراكيب وصنية بعضها غير مألوف في العربية وبعضها لا يقابله مرادفٌ اصلاً فاضطررت الى انتقاء الفاظ يمكن اطلاقها على المعنى المراد ونبهت عليها . والى نهج اسلوب في التركيب الوصفي لا يختل معه نظام العربية ودونك امثلةً يسيرة من ذلك :

لآلهة اليونان طعامٌ وشرابٌ يعبَّر عنهما بلفظتين. لا مرادف لهما في العربية فعبَّرت عن الشراب بالكوثر والسلسبيل كما اوضحت في الشرح (ص : ٩٣٥) وعبَّرت عن الطعام بالعنبر لان هذا لفظها باليونانية (Αμβροσια) وهو عندهم طعامٌ وطيب بآن واحد كما اوضحت (ص : ٧٤٧)

وعند القوم آلهة وشبه آلهة كثيرون لا شبيه لهم عند العرب فلم توضع لهم اسماء خاصة بهم . فحيثما اتيت على لفظة من مثل هذا رجعت الى معنى اللفظة اليونانية وعربتها بما رادف ذلك المعنى او قاربه فدعوت ربات الغناء ومنشدات الآلهة « القيان » والقينة في العربية الجارية المغنية . ودعوت ربات اللطف البهجات والخرائد فاللفظة الاولى اخذاً عن مفاد المعنى واللفظة الثانية تشبيهاً بالكلمة اليونانية التي تماثلها في اللفظ (Χαριτες) كما اوضحت في الشرح (ص : ٧٥٦)

واما الموصوفات العلوية الموضوعة لمعنى معيَّن فقد سميتها باسمائها التي تنطبق عليها في العربيـة فسميت الاهة الفتنة « فتنة » ورب الهول « هولاً » والاه الشقاق « شقاقاً » والساعات « ساعاتٍ » والصلوات « صلواتٍ » وهلمَّ جرًّا

التراكيب الوصفية

وفي الالياذة تراكيب وصفية ملازمة لكثيرٍ من اعلامها وقد يكثر تكرارها فيها الى حيث يُكره ذلك في العربيـة كوصف اخيل بخفة القدم ووصف هكطور بهز الخوذة والقول في نسـطور انه راعي الشعب وفي زفس انه ابو الآلهة والبشر . ففي مثل هذه الاحوال خففت التكرار وانتقيت الفاظاً حسبتها خفيفةً على المسمع العربي فقلت طيَّار الخطى وهيَّاج التريكة وما اشبه

تعريب الاعلام

ثم انهُ لم يكن بالامر السهل تعريب الاعلام بما لا يمجُّهُ الذوق العربي وخصوصاً اني اعلم ان قارىء امثال الالياذة لا بد ان يستثقل في اول الامر توالي

اعلام اعجمية لم يألف سمعه شيئًا منها · ولكنه اذا نفر من تلاوتها اولاً لا يلبث ان يألفها بعد تلاوة قصيدةٍ او بعض قصيدة

وقد كانت لي هذه الاعلام في النشيد الاول عثرةً في سبيل احكام النظم فكان لابد من وضع اصولٍ اعتمد عليها في سائر الاناشيد وليس في كتب العرب ما يماثل هذه الاصول · وان في كتاب سيبويه بابًا للتعريب ولكنه اقتصر في في معظمه على تتبُّع بعض الالفاظ مما استعمله العرب من اعلام الاعاجم وغيرها والنظر في ما الحق منها بالبناء العربي كَبَهْرَج وَجَوْرب ودينار وديباج و يعقوب واسحق وما لم يلحق به كَكُرْكُم وخُرَّم وخُراسان

وجميع ما كتب الخفاجي في شفاء الغليل وابو حيَّان في ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب والثعالبي في فقه اللغة والسيوطي في المزهر وغيرهم ممن طرق هذا الباب لايكاد يتعدَّى الالفاظ الفارسية وقليلاً من غيرها ومحصله ايضًا انه لم يضع العرب قواعد مطرّدة يمكن الرجوع اليها في مثل هذه الحال · واذا اردنا القياس على ما جاء في الكتب العربية من الاعلام اليونانية زادت المعضلة اشكالاً فان ايدي النساخ قد لعبت بها كل ملعب هذا فضلاً عن انهم لم يجروا بها على نمطٍ معلوم في زمن من الازمنة الا في احوال محصورة واسماء مشهورة · وزد على هذا ان اكثر اعلام الالياذة غير مذكور في كتب العرب · ولا ريب عندي ان المعربين والمؤرخين توخوا ما امكن حسن التطبيق في تعريب الاعلام ولكن عدم جريهم على خطة واحدة وسَنَنٍ معلوم ذهب بذلك الجهد ضياعًا فقالوا مثلاً ارسطاطاليس وارسطوطاليس وارسطاليس وارسطوليس و بتروه ايضًا فقالوا ارسطو · وقالوا اسقليبيوس واسكولابيوس واسكليب واسقولاب وامثال ذلك كثيرة في النثر فما بالك لو نظمت شعرًا

تلاعب النسّاخ

واما تحريف النساخ وتصحيفهم فمما لا يدركه حصر فكثيرًا ما نقرأ فيلقوس

وفيلثوس وفيلنوس وقيلبوس وقنلتوس ويكون المراد فيلبُّس ابا الاسكندر . ونقرأ بودنطه وتيرنطه وبيريظه وبورنطا والمراد البيزنطية . وخذ اي كتاب شئت من كتب التاريخ من البيروني والمسعودي الى ابن الاثير وابن خلدون حتى المقريزي وانظر فيه الى الاعلام اليونانية فيشكل عليك ارجاعها الى اصلها

وكثيرًا ما ترى الاسم الواحد مكررًا في صفحات وهو في كل صفحة بهجاء تختلف عما قبله وما بعده فاذا فتحت القرماني طبع بغداد صفحة ٢٣٦ وقرأت انطياقوس ثم رأيت ابطيحش بالباء والحاء ص: ٣٦٩ فما ادراك ان المراد بهما انطيوخوس اذا لم تكن هناك قرينة ترشدك

ومن بلاء النسخ ايضًا تحويل الفكر من علمٍ مشهور الى علَم مشهور فتضيع فائدة الرواية بجملتها كقولهم في يوليوس قيصر بولس او بولوس واين بولس من يوليوس

ولا يصح ارجاع اللوم في خطأ النساخ الى المؤلفين والمؤرخين الا حيث اجتزأوا بالنقل من نسخ مصحفة والا فلا ريب ان القاضي الفاضل مثلاً لم يفسد شيئًا من الاسماء الافرنجية في ما كتب عن الصليبيين فلم يقل الاستبارية والاستنارية كما نقل ابن الاثير وابن خلدون بل قال الاسبتالية على لفظها الافرنجي (hospitaliers)

عودٌ الى تعريب الاعلام

بقي عليّ ان اذكر الاصول التي جريت عليها في تعريب الاعلام :

جرت للافرنج عادةٌ في نقل كثير من الاعلام اليونانية عن الاصل اللاتيني دون اليوناني ولا سيما في اسماء المعبودات . فاذا ارادوا اثينا الاهة الحكمة قالوا مينرفا بلفظها اللاتيني واذا ارادوا فوسيذ او فوسيذون الاه البحار قالوا نبتون . والسبب في ذلك ان معبودات الرومان كانت تماثل معبودات اليونان من اوجهٍ شتى . ولها عند كلٍّ من الفريقين اسماءٌ توافق روح لغته

ومعانيها · واذ كان الافرنج اقرب عهداً بالرومان وقد تناولوا اسماء معبوداتهم عن اللاتينية على ما دوّنها ڤرجيليوس وغيره من الشعراء والكتّاب اطلقوا تلك الاسماء على الاعلام اليونانية ايضاً لمماثلتها لها في المفاد · على ان كثيرين من محققيهم قد اخذوا يرجعون الى الاصل ويذكرون كل علَمٍ باسم لغته

وهكذا فعلت في تعريب المعبودات فسميت كل معبودٍ باسمه اليوناني وان كان لبعضها ذكرٌ في كتب العرب · فقلت زفس ولم اقل زاويش كما قال ابو نواس ولا المشتري وان ورد بهذا اللفظ في كتب العرب · وقلت هرمس ولم اقل عطارد وقلت آرس ولم اقل المريخ كما قال العرب او بهرام كما قال العرب والفرس · وذلك لان مشتري العرب وعطاردهم ومريخهم وبهرامهم هم غير امثالهم عند اليونان وليس لهم في كتبنا وصفٌ معيَّن ينطبق على المفاد اليوناني · ولم اتوسع في شيءٍ من هذا الباب الا باسم عفروذيت فقد أُطلق عليها اسم الزهرة لقرب الشبه بين الزهرتين في اساطير القومين

وفي سائر الاعلام حفظت الاصل اليوناني مع مراعاة صحة اللفظ العربي على قدر الامكان

وتابعت العرب في الاسماء الشائعة فابقيتها على حالها فلم اقل أَلِكْسَنْدَر او الكسندروس على ما يقتضيه اللفظ اليوناني بل قلت الاسكندر لاجماع العرب على كتابته بهذا الهجاء

وجاريت الافرنج وكثيرين من كتاب العرب بزيادة حرف الهاء في اوائل الاسماء المبتدئة بحرف علة ثقيل فقلت هوميروس وهَلِّيس وهيرا وهيبا كما قالوا هيرودس وهيرودوتس وهِرَقل وهيلانة مع انه لو روعي رسم الحروف اليونانية وعلم انهُ لا هاء فيها لوجب ان يقال ايرودس وايرودوتس وارقل وايلانة · على ان العرب لم يراعوا ذلك في كل الاحوال ولهذا قالوا اوميروس واسيودس بدل هوميروس وهسيودس

ومثل ذلك يقال في زيادة العين في اوائل نحو عشرة اسماء فان ذلك يقرّبها

الى اللهجة العربية فاخف علينا ان نقول عسقلاف من ان نقول اسقلاف وعفروذيت بدل افروذيت

وجاريت الافرنج و بعض العرب ايضاً في بتر بعض الاسماء ولا سيما الطويل منها فقلت طرطار بدل طرطاروس وطفطام بدل طفطاميوس ومريون بدل مريونس واسكمندر بدل اسكمندريوس وفوسيذ بدل فوسيذون كما قال العرب هرقل بدل هرقليس وتيوفيل بدل ثيوفيلوس وخصوصاً ان ملازمة هذه السين للاعلام اليونانية كملازمة الحركة والتنوين للمعرفة والنكرة ففي الحركة العربية غنى عنها

الحروف التي لا مقابل لها في اليونانية

وليس في اليونانية طاء ولا قاف ومع هذا فهما كثيران جدًّا في الاعلام اليونانية واللاتينية المعرَّبة فقالوا انطيغونس وانطيوخس وقبرس وقسطنطين وقيصر بدلاً من انتيغونس وانتيوخس وكبرس وكنستنتين وكيسار . واخالهم احسنوا بالنظر الى انطباق تعريبهم على اللهجة العربية . فجاريت من سلك هذا المسلك وقلت بالطاء طروادة وطرنا وطيطان وامثالها . وبالقاف قرونس وقبريون وقليارُس . وربما اجتمع الحرفان كما في طفقير

و يقال مثل ذلك في الصاد فهي ليست من حروف اليونانية ومع هذا فقد قلت صوقوس كما قالوا صولون وصوفيًا

واليونانية خلوٌ من حرف الدال فكل دالٍ فيها ذالٌ فراعيت في هذا الباب جودة اللفظ وحافظت على ابقاء معرَّبات المتقدمين على حالها فقلت الاسكندر والاسكمندر وداماس ودردانيا بالدال وذريون وذيتر وذيفوب بالذال

الحروف التي لا مقابل لها في العربية

وفي اليونانية حروف ليست في الهجاء العربي كالفاء B فهي في مقام الباء في الحروف الساميَّة وموقعها موقع هذه اي ثانيةً في الحروف فكما عبَّر اليونان بها

عن بائنا لخلو لغتهم منها يجب ان نعبر عنها بالباء لخلو لغتنا من حرفهم ويشمل هذا التعريف جميع الالفاظ التي يدخل هذا الحرف بهجائها وهي كثيرة كباتيا وبريسا وبورس وبرياس

وفيها حرف آخر لا مقابل له في العربية وهو الپاء الفارسية Π فقد اخترت لها الفاء لقرب مخرجها اليها فقلت فريام وفطرقل وفوذالير كما قالوا فرسيُس وافلون وفيداس . ومن معربي القدماء من اختار لهذا الحرف الباء العربية فقالوا بطرس بخلاف كثيرين من معربي السريان الذين يقولون فطرس فعولت على هذا الوجه الا حيثُ وقع تكرار الحرف او ثقل اللفظ بالفاء فأرجعته الى الباء وقلت فِينُبْس وبفلغونة وأُولِمْب ولم اقل فينفس واولمف وففلغونة

ولا فرق في اليونانية بين الجيم والغين فيعبر عنهما فيها بحرف واحد Γ مخرجه بين الغين العربية والجيمين اي الجيم المصرية والجيم السورية فقد اخترت ان اعبر عنها بالغين فقلت غلاطيا وغرطينة الا في احوال قليلة رأيت فيها الجيم اوقع في الاذن سواء كان مصرياً او سورياً كجيربنيا ومجيس

تنافر السين والثاء

والثاء والسين كثيرتان في الالفاظ اليونانية وقد تجتمعان معاً فيشكل على العربي لفظها اذا كان اولهما ساكناً . ففي مثل هذا قلبت الثاء تاء فكتبت اغستين بدل اغسثين . واثقل من ذلك اللفظ اذا وقعت الثاء بين سينين نحو مِنِسْثِس فكتبتها منستس . واما اذا كان الساكن الثاني فاني ابقيته على حاله لسهولة لفظه اذ لا يصعب مثلاً ان يقال ثسطور

الپاء والڤاء

ومع اني تحاشيت الپاء الفارسية والڤاء اليونانية في النظم فلم اتحاشها في الشرح فالعربية واليونانية لغتان قديمتان وللنقلة فيهما اوضاع رأيت ان لا اتعدَّاها في الشعر الا فيما لم يطرقوا بابه رغبةً في استبقاء الصبغة الفطرية على حالها .

واما الشرح فهو بلسان عصري وقد اضطررت فيه الى ايراد اعلام قديمة وحديثة وقع فيهما هذان الحرفان فأبقيتهما على حالها دفعاً للبس كما يفعلون مثلاً في اليونانية الحديثة اذا اوردوا علماً افرنجياً احد حروفه الباء وهي ليست موجودة في لغتهم فيعبرون عنه بحرفين MΠ وليس من ذلك شيء في اليونانية القديمة

طريقة ابن خلدون

وقد تعرض للقارىء اثناء مطالعته كتب الاعاجم حروف كثيرة لا نظير لها في العربية فكان قدماء الكتّاب من العرب يكتبونها بما يقارب لفظها من حروفهم وهو نقص غير خاصٍ بالعربية ولكنه يتطرق الى كل لغة من سائر اللغات ومنشأه من التباين في النطق بالحروف بين لغةٍ واخرى . فمهما كانت الصور التي يرسم بها الافرنجي اكثر حروف الحلق وبعض الحروف العربية كالحاء والعين والقاف والضاد فليس بالامر السهل عليه ان يتلفظ بها على وضعها العربي . ومع هذا فقد اتخذ لها بعض الكتّاب الحديثين صوراً فارقة تميزها بالرسم دفعاً للاشكال كأن يضعوا نقطة فوق حرف k ليشيروا انها في الاصل قاف وليست كافاً . ونقطة فوق حرف h او تحته ليشيروا انها حاء وليست هاء . و d منقوطةً يعبَّر بها عن الضاد . واذا اربد بها الطاء الحقوا بها حرف h . والعين ساكنةً يعبَّر عنها بضمة . ومتحركةً بحرف حركتها مع الضمة المذكورة وهلمَّ جرًّا

وليس كتّاب العصر باول من انتبه الى هذا البحث فقد قال ابن خلدون في مقدمته :

« ليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامّة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم . ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء الى آخر

الثانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليه من لغتنا قبله او بعده وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغيير للحرف من اصله . ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير وافٍ بالدلالة عليه فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ليتوسط القارئ بالنطق بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته . وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قراءة خلف فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف واحدة من فوق او ثنتين [1] فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر . وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ليعلم القارئ انه متوسط فينطق به كذلك فنكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكنا قد صرفناه من مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمنه وفضله »

ذلك ما أشار به ابن خلدون منذ خمسة قرون وهو مقتبس من كتابة اهل

---

(١) قال ابن خلدون « بنقطة الكاف واحدة من فوق » لانه مغربي واهل المغرب ينقطون القاف بنقطة واحدة من فوق والفاء بنقطة من اسفل . واردف ذلك بقوله « او ثنتين » للدلالة على نقط القاف في غير بلاد المغرب

المصحف فلم يعبأ الكتّاب بكلامه او هم لم يشعروا بحاجة ماسّةٍ اليه اذ كادت تنطوي صحف التعريب في الاعصر المتأَخرة · على ان ابناء العصر اخذوا يشعرون بتلك الحاجة فجعل بعضهم يميز بين رسم الحروف الاعجمية البحتة

وليس عسيرًا علينا ان نستمد من الفرس كثيرًا من الحروف التي ليست في اوضاع العربية فتسدُّ مسدَّ ما نقص عندنا من حروف الافرنج لان الفارسية على ما لايخفى اقرب بوضعها ومنشإِها الى لغات الغرب منها الى اللغات الساميَّه · فلما عدل الفرس بعد الاسلام عن حروفهم البهلوية الى الحروف العربية رأَوا ان حروفها لاتؤَدي جميع منطوق اللفظ بلسانهم فزادوا من عندهم حروفًا لما نقص عن مدلول لفظهم في لغة العرب فرسموا الپاء والچيم وفرقوا بين الجيم والژيم وبين الكاف والگاف وزاد الترك الكاف الخرساء

ولا يفوتنَّ المطالع اللبيب اننا اذا اشرنا باستعمال هذه الحروف فانما نشير بها في الاعلام الاعجمية المعرّبة ليس الا · وهي على كل حال لاتصلح في الشعر اذ يجب ان يبقى على صبغته العربية · ولهذا استعملتها في الشرح دون المتن

على ان النقص ليس كله في الحروف الصحيحة ولكنه يتمشى ايضًا الى الحركات او حروف العلة الافرنجية فالحركات العربية ثلاث فقط يقابلها ثلاثة حروف علة وليس منها شيءٌ ينطبق على لفظ é, و o و u و eu و è وامثالها ما هو شائع في لغات الغرب

ولبعض كتّاب الترك طريقةٌ حسنة في الدلالة على حركات الفاظهم التي لا يمكن التعبير عنها بالحركات العربية · ذلك انهم يتخذون من الفتحة فتحتين ثقيلةً وخفيفة · وكذلك من الكسرة كسرتين · ومن الضمة اربع ضمّات اثنتين ثقيلتين واثنتين خفيفتين يسمُّون واحدةً من كل من الثقيلتين والخفيفتين مبسوطة والاخرى مقبوضة · وباختلاف رسم هذه الحركات قائمةً او منحيةً او مقلوبةً فوق الحرف او تحته تجتمع لديهم ثماني حركات يستتمون بها التعبير عن جميع ما يقتضيه منطوق لسانهم

وليست العربية في حاجة الى شيء من ذلك للدلالة على منطوق الفاظها بحركاتها كافيةٌ وافية . ولكن الحاجة فيها الى ما يمثّل بعض منطوق اللغات الاعجمية كما تقدم

ولقد وضع الشيخ ابراهيم اليازجي منذ بضع سنوات اربع حركات تمثل بعض الحروف الفرنسية وهي ـَـ ـُـ ـَـ ـُـ ترسم فوق الحروف فتدل على لفظ ai, é و o و u و eu . وقد جرى فيها على الجمع بين حركتين او ثلاث مراعياً بذلك مخارج الحركات كما راعى ابن خلدون مخارج الحروف

وان في استعمال هذه الحركات مع الحروف الفارسية مسهّلاً كبيرًا للدلالة على اصل كثيرٍ من الحروف الاعجمية . وقد لايصعب مع التوسع بها قليلاً والاصطلاح على اوضاع لسائر حروف الاعاجم التي لانظير لها في العربية والفارسية ان يتوصل كتاب العرب الى الدلالة على منطوق جميع الحروف في سائر اللغات وان كان النطق ببعضها يظل مستحيلاً على من لم يألف قراءة اللغة المعرَّبة اعلامها والتلفظ بحروفها الاصلية . وعلى كل حال لايجوز الاكثار من هذه الاصطلاحات ولا يسوغ استعمالها الا في احوالٍ خاصة

النبر

وقد راعيت النَّبر اي موقع المدّ في اللفظة (accent) ما امكن فقلت مثلاً آرس ولم اقل اريس الا حيث اضطرتني ضرورة الشعر ورجائي ان يكون ذلك قليلاً

التصرف بالحروف والحركات

ولم اتصرف في الحروف والحركات الا فيما ندر ووجهتي في ذلك تقريب اللفظة لمسمع القارىء العربي دون ان اعبث بمادة الاصل كما قلت مثلاً صفيَّة تعريبًا لاسم انثى اصلها صِفيُو او سفيو

واما حروف العلة التي نعبر عنها بحركاتٍ فقد تحاشيت تغييرها عن مواضعها كما وقع في كثيرٍ من كلام العرب في الشعر ولا سيما المولدين منهم كقول ابن هاني :

ونحتَ بنو العباس منك عزيمةً ... قد كان يعرفها المليك الهرقلُ

وكان حقه ان يقول هِرَقْل فغلبته القافية وامثال هذا كثيرة في شعر المتنبي وابي تمّام وغيرهما

الالفاظ المعرّبة من اليونانية

وقد نبهت على الكلمات اليونانية الاصل كالاسطول والمينا والليمان والنوتي . وما يشتبه في كونه يونانياً كالعفريت والعنبر وما يشابه اليونانية كالخريدة

هذا جلُّ ما توخيته احكاماً لتعريب الالياذة وحاشا ان ازعم الفلاح بكل ما توخيت او ادعي الصلاح بكل ما تحريت . ولكنه لا يريبني ان ادّعي اخلاص النية وصدق الاجتهاد فقد اتيت ما اتيت وانا واثقٌ من نفسي انها لم تدخر جهداً في هذا السبيل

النظم في التعريب

لا بد للشارع في تعريب منظومة كالالياذة او نظم ملحمةٍ على مثالها من ان يقف طويلاً ويتردد برهة قبل ان يعيّن اوزان منظومته وقوافيها . وليس لنا في اوضاع السلف اصولٌ نرجع اليها في مثل هذه الحال . وهيهات ان يتسنى وضع مثل هذه الاصول فينقيد كل بحر من بحور الشعر بباب من ابوابه او تعين كل قافية من القوافي لمعنى من المعاني . فقد نظم العرب كل معنى على كل بحر وكل قافية واجادوا . والقريحة الجيدة نقّادةٌ خبيرة اذا طرقت باباً انفتح لها ملءُ رغبتها فتقع على البحر والقافية وهي لا تعلم من اين تأتّى لها ان تقع عليهما وانما هو الشعور الشعري يدفعها الى حيث يجب ان تندفع

فالشاعر المجيد اذا تصوّر امرًا فانما يتصور له ذلك الامرُ على كماله فتهيء له السليقة جمال الشكل كما هيأت له جمال المعنى فيجتمع له احكام التناسب بين اللفظ والمعنى والوزن والقافية . فكلّ بيت بني عليه قصيدته فهو الاساس

الذي يصح ان يستند اليه و يبني عليه

ولا يخرج عن هذه القاعدة الا الشعر المنظوم لاغراض معلومة ودعت الحاجة الى تقييده بقيود لا مناص لهُ منها كالاراجيز المنظومة في العلوم وبعض الموشحات والاغاني المربوطة بانغامٍ معينة فالشاعر مقيد فيها بنمطٍ لا يتيسر له العدول عنه الى غيره

وفي ما سوى ذلك فالشاعر مطلق اليدين يتصرف بالشعر كيف شاء ولهُ ان يرتضي ما تيسر له من الاوزان والقوافي وهي في الغالب تبرز له من نفسها بشكلها الانيق وقوامها الرشيق

على ان قريحة الشاعر وان كان مجيدًا ليست كيد النسَّاج تنطلق في العمل ايَّان حركها العامل · فقد يضطرب الجنان وينحبس اللسان والذهن وقَّاد · وقد يكون القلم سيالاً فيجف فيه المداد · فالامساك عن النظم في مثل هذا الاعتقال خيرٌ من اجهاد النفس فلا يلبث العقال ان ينحل من نفسه · واذا طال الخمول فليشحذ الشاعر قريحته بتلاوة جيد الشعر فهو كالجلاء للسيف الصديء

ولكنه قد يحصل خلاف ما تقدم فتتراكم المعاني وصورها وتتدفق التخيلات تدفقًا يكاد يذهب بها شتاتًا فيتهيأُ للشاعر رسم مطلعه ببيتين او اكثر على ابحر مختلفة فيحار في الاختيار ويميل الى الاسترشاد

اوزان الشعر وابوابه

ولهذا رأَيت ان اذكر في ما يلي ما تيسر لي استخراجه من شعر العرب بالنظر الى ترابط بحور الشعر بمواضيعهِ وابوابه · فقد راعيت هذا الترابط في بعض الاناشيد فادَّت تلك المراعاة الى فائدةٍ بحسن التعويل عليها في بعض الاحوال

ولا شك ان العروضيين نظروا الى ابحر الشعر من هذه الوجهة ولكنهم لم يزيدوا على تسميتها باسماء تنطبق توسعًا على مسميات مواضيع القصائد المنظومة عليها فقالوا هذا طويل وذاك بسيط وذلك خفيف أو سريع وهلمَّ جرًّا ووقفوا عند هذا الحد

ولكنه يستفاد من هذه التسمية ان لكل بحر ساحلاً يقف عنده ويرشد اسمه اليه فاذا قلنا هذا بحرٌ طويل علمنا انه لا يسوغ ان ننظم عليه الاهازيج والموشحات والاغاني واذا قلنا هذا بحرٌ مقتضب او مجتثّ علمنا انهما لا يصلحان للمنظومات على اطلاقها ولا يصح فيهما تدوين الروايات والتواريخ

ولو اردنا ان نضع اصولاً وافية لهذا البحث لوجب ان نرجع الى منظوم نوابغ الشعراء ونقابل بين ابوابه وبحوره فتظهر لنا اغلبية كل وجه في كل بحر . وهو بحث طويل لا يتسع له هذا المجال

فحسبنا اذًا فتحًا لهذا الباب ان ننبه اليه ونذكر موجزين خلاصة ما اتضح لنا بالتطبيق والمقابلة

فالطويل بحرٌ خضمٌ يستوعب ما لا يستوعب غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والتشابيه والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الاخبار ووصف الاحوال ولهذا ربا في شعر المتقدمين على ما سواه من البحور لان قصائدهم كانت اقرب الى الشعر القصصي من كلام المولدين . خذ مثالاً لذلك معلقات امرىء القيس وزهير وطرفة ولامية الشنفرى وقصيدة عبد يغوث الحارثي التي مطلعها :

أَلا لاتلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

والبسيط يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والالفاظ مع تساوي اجزاء البحرين . وهو من وجه آخر يفوقه رقةً وجزالة ولهذا قلَّ في شعر ابناء الجاهلية وكثر في شعر المولدين . مثال الشعر الجاهلي قول تأَبَّط شرًّا :

يا عيد ما لك من شوق وايراقِ ومن خيالٍ على الابواب طرَّاقِ

وقول عبدة بن الطبيب :

هل حبل خولةَ بعد الهجر موصولُ ام انت عنها بعيد الدار مشغولُ

ومثال شعر المولدين قول ابن زريق :

لاتعذليه فانّ العـذل يوجعهُ قد قلت حقًّا ولكن ليس يسمعهُ

وقول ابي تمّام :

السيف اصدق انباءً من الكتبِ　　في حدّهِ الحدّ بين الجدّ واللّعبِ

والكامل اتمّ الابحر السباعية وقد أحسنوا بتسميه كاملاً لانه يصلح لكل نوعٍ من انواع الشعر ولهذا كان كثيرًا في كلام المتقدمين والمتأخرين وهو اجود في الخبر منه في الانشاء واقرب الى الشدة منه الى الرقة ومنهُ معلقتا عنترة ولبيد . وقصيدة الحادرة قطبة بن جرول :

بكرت سُميّة بكرةً فتمتعِ　　وغدت غدوّ مفارقٍ لم يربعِ

واذا دخلهُ الحذذ وجاد نظمهُ بات مطربًا مرقصًا وكانت به نبرةٌ تهيج العاطفة كقولهم :

يادميةً نُصبت لمعتكفِ　　بل ظبيةً اوفت على شرفِ

بل درّةً زهراء ما سكنت　　بحرًا ولا اكتنفتورا صدفِ

وهو كذلك اذا اجتمع فيه الحذذ والاضمار كقول المخبل السعدي :

ذكرَ الرّباب وذكرها سقمُ　　فصبا وليس لمن صبا حلمُ

وقول الحارث اليشكري :

لمن الديارُ عفون بالحبسِ　　آياتها كمهارق الفُرسِ

والوافر ألين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته واكثر ما يجود به النظم في الفخر كمعلقة عمرو بن كلثوم وفيه تجود المراثي ومنها كثير في شعر المتقدمين والمتأخرين كقول الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخرًا　　واذكرهُ لكل طلوع شمسِ

وقول المهلهل :

اهاج قذاء عينك الادّكارُ　　هدوًّا فالدموع لها انحدارُ

وحسبك من شعر المولدين مرثية ابي الحسن الانباري :

علوٌّ في الحياة وفي المماتِ　　لعمرك تلك احدى المعجزاتِ

ومرثية المتنبي :

نعدُّ المشرفية والعوالي وتقتلنا المنون بلا قتالِ

والخفيف اخف البحور على الطبع واطلاها للسمع يشبه الوافر ليناً ولكنه اكثر سهولةً واقرب انسجاماً · واذا جاد نظمهُ رأيتهُ سهلاً ممتنعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور وليس في جميع بحور الشعر بحرٌ نظيره يصح للتصرف بجميع المعاني ومنه معلقة الحارث بن حلّزة اليشكري

والرمَل بحر الرقة فيجود نظمه في الاحزان والافراح والزهريات ولهذا لعب به الاندلسيون كل ملعب واخرجوا منه ضروب الموشحات وهو غير كثير في الشعر الجاهلي واكثره في مثل ما تقدم ومع هذا فلعنترة فيه شيءٌ من الحماسة وللحارث اليشكري قصيدةٌ وصفية اخبارية ابدع فيها ومطلعها :

عجبٌ خولة اذ تنكرني ام رأت خولة شيخاً قد كبرْ

والسريع بحرٌ يتدفق سلاسة وعذوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ومع هذا فهو قليلٌ جداً في الشعر الجاهلي ومنه قول الخنساء :

وصاحبٍ قلت له صالحٍ انك للخيـل بمستمطرِ

والمتقارب بحرٌ فيه رنّةٌ ونغمة مطربة على شدةٍ مأنوسة وهو اصلحُ للعنف منه للرفق ومنه قصيدة بشامة بن عمرو :

هجرتَ أُمامةَ هجراً طويلا وحمّلك النأي عبأً ثقيلا

وقصيدة ربيعة بن مقروم :

من آل هند عرفت الرسوما بجُمران قفراً أبت ان تريما

والفرس يصرّعونهُ كالرجز وعليه نُظمت شهنامة الفردوسي

والمُحدَث اومتدارَك الاخفش بحرٌ اصابوا بتسميته الخبَب تشبيهاً له بخبب الخيل فهو لا يصلح الا لنكتة او نغمة او ما اشبه وصف زحف جيش او وقع مطر او سلاح وهو قليل في الشعر القديم والحديث

والرجَز ويسمّونه حمـار الشعر بحرٌ كان اولى بهم ان يسموهُ عالِم الشعر لانه لسهولة نظمه وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المتون العلمية كالنحو والفقه

والمنطق والطب فهو اسهل البحور في النظم ولكنه يقصر عنها جميعاً في ايقاظ الشعائر واثارة العواطف فيجود في وصف الوقائع البسيطة وايراد الامثال والحكم

تلك هي الابحر العشرة التي نظمتُ عليها الالياذة فقد ترى النشيد كله بحراً واحداً وقصيدة واحدة وقد تتعدد فيه الابحر والقصائد على مقتضى ما تراءى لي من سياق الكلام

واما الابحر الستة الباقية وهي المضارع والمقتضب والمجتث والهزج والمديد والمنسرح فالاربعة الاولى منها لاتصلح لقصرها لمثل الالياذة ولا يجود نظمها في ماخلا الاناشيد والتواشيح الخفيفة · والمديد قل من ينظم عليه وهو ثقيل على السمع · والمنسرح لم يتفق لي نظمهُ في الالياذة لغير سبب مقصود

القوافي

القوافي والاوزان اليونانية والافرنجية

اذا سمع العربي لفظة « شعر » علم فوراً ان المراد به بالنظر الى اللفظ الكلام المقفى الموزون ورسخت في ذهنه القافية رسوخ الوزن · وليس الامر على هذا الاطلاق في سائر اللغات اذ ليس في اليونانية ولغات الافرنج ابحر وتفاعيل فانما هذه من خصائص لغة العرب ومن حذا حذوهم من ابناء الشرق كالسريان والفرس والترك · واما بنو الغرب فلهم اقيسة واوزان خاصةٌ بهم · فالقياس عبارة عن عدّ الاجزاء او المقاطع التي يتألف منها الشطر او البيت والغالب فيها ان تكون اثني عشر مقطعاً وهو ما يسمونهُ بالاسكندري نسبة الى اسكندر دوبرناي وهو اشبه شيء برجز العرب · وهذا القياس البسيط يقوم عند الافرنج مقام جميع ابحر الشعر وتفاعيله عند العرب · واما الالياذة وما جرى مجراها من الشعر اليوناني ففيه الوزن تزيد اجزاؤهُ وتنقص بحسب التفاعيل فهناك اسباب خفيفة وثقيلة تتألف منها اوتاد مجموعة ومفروقة تقوم مقام التفاعيل العربية والاساس في كل ذلك طول المقطع او قصره وكون حرف العلة القائم مقام الحركة في العربية

ممدودًا او غير ممدود · و بعبارة اخرى يراعى في المقام الاول موضع النبرة من اللفظة

واما القافية فليست من لوازم الشعر في كل اللغات فالفرنسوية لا يصلح شعرها بدون قافية والانكليزية فيها الشعر المقفّى وغير المقفى ومثلها الايطالية والالمانية · فبهذا الاعتبار نُقلت الالياذة الى لغات الافرنج بالشعر المقفى كترجمة پوپ والشعر غير المقفى كترجمة منتي · واما الاصل اليوناني فهو موزون غير مقفى وقافية كل بيت قائمة بنفسها لا تراعي فيها المماثلة لاية قافية كانت من القصيدة او النشيد

القوافي في لغة العرب

والعربية لا يصلح شعرها بدون قافية لانها لغةٌ قياسية رنّانة يجب ان يراعى فيها القياس والرنة · وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات فلا يسوغ لها ان تبرز عُطُلاً مع توفّر ذلك الحلي الشائق · فاذا اقتصر الافرنجي على صوغ شعره كالرجز العربي لكل شطرين قافيتان متناسبتان ينتقل منهما الى غيرها واضطرَّ الى تكرارها بعدَ حين او لو اختار ان يعرّي شعره من القوافي بتاتًا فعذره في ذلك ان لغته هكذا خُلقت · بل لو اجهد نفسه في مواضع كثيرة لتعذر عليه تعزيز قافيتين بثالثة · والشاعر العربي بخلاف ذلك فان كثيرًا من ضروب القوافي تنهال عليه انهيال الغيث واذا انحبست فلا تنحبس الا لقصر باع او لقرع بابٍ ضيّق او لتجاوزه الحدّ في اطالة القصيدة المنظومة على قافية واحدة

تناسب القوافي والمعاني

وقوافي الشعر كبحوره يجود بعضها في موضع ويفضله غيره في موضع آخر وحسبك دليلاً ان جميع قراء الشعر يطربون لبعض القوافي دون البعض الآخر واذا نظم شاعرٌ واحد قصيدتين على بحرٍ واحد بمعنى واحد ونَفَس واحد فلا ريب ان القافية الغناء تميل بالسامع الى ايثارها على اختها · ولا ريب ان

اختيار قافية القصيدة ابعد منالاً من اختيار بحرها وذلك بنسبة ما يربو عدد القوافي على عدد البحور والمرجع في ذلك الى سلامة الذوق وغزارة المادة . فالقريحة الجيدة في غنى عن اصول توضع لها بهذا المعنى لو فرضنا من الممكن وضع مثل هذه الاصول فهي من نفسها تقع على القافية والبحر بلا جهد ولا تردد . ومع هذا فلا بأس من ايراد بعض ملاحظات تتراءى للناظم اثناء النظم وللقارىء اثناء المطالعة

الشعر كالنغم الموسيقي والقافية رسته او قراره فحيثما جاد النغم وتناسق الى منتهاه حسُن وقعه في الاذن وانشرح له الصدر وطربت له النفس . فكل نغم اطرب ارباب الصناعة وذوي الاذن السمّاعة فهو الحسن وهكذا الشعر فلا يحسن وقعه في نفوس قرائه وسامعيه ما لم يكن جيداً وقد يستهان بالمعنى البليغ لضعف قافية او وقوعها في غير موضعها

القوافي الضيقة والثقيلة

واول ما يجدر بالشاعر اجتناب القوافي الصعبة الضيقة فانه يُضطر معها الى استعمال الكلام المنبوذ والوحشي المهمل ويضيق في وجهه باب التصرف بالمعاني على ما يتصورها فيعضل عليه النظم وعلى قارئه الفهم . ولنضرب لذلك مثلاً نابغة من نوابغ الشعراء ابا الطيب المتنبي . نخذ قصيدته التي مطلعها :

أَمُساوِرٌ ام قرن شمسٍ هذا ام ليث غاب يقدم الاستاذا

وقابلها بمعظم شعره فيبدو لك من استغلاق العبارة والتكلف ما يحملك على الظن انها ليست من نظمه لو لم تكن مثبتة في ديوانه . وان اردت برهاناً اقرب فانظر في محبوكات صفي الدين الحلي وكلها منظومة في باب واحد واقرأ الثائية والخائية والظائية وان كنت صبوراً جلْداً فأتم قراءتها من اولها الى آخرها وقل لي بعد ذلك رأيك فيها

ففي مثل هذا المأزق الضيق يضطر الشاعر الى اتخاذ جميع البيت تتمة للقافية مع ان الغرض من القافية ان تكون تتمةً للبيت مندمجةً في معناه . فاذا كُره في القافية

وهي كلمةٌ واحدة ان تكون حشوًا للبيت فكم يُكره ان يكون جميع البيت حشوًا للقافية ما لم يكن مبنيًّا عليها لغرض مقصود

رنّة القافية

وكما ان العرب نظموا جميع المعاني على جميع البحور فقد كان هذا شأنهم في القوافي فلم يقيدوا قافيةً بباب من الابواب وخيرٌ للقوافي ان تبقى مطلقة يتخير منها الشاعر ما شاء فتأتيه ارسالاً . فان سلِم ذوقه جاءته منقادة طوعاً فحلّت محلّها والا فلا يسلم الذوق كرهاً

ولكنه يجوز للباحث ان يلقي نظره على منظومات الشعراء ويمحّصها بالنقد والمقابلة . فاذا فعلنا ذلك بدا لنا مثلاً : ان القاف تجود في الشدة والحرب . والدال في الفخر والحماسة . والميم واللام في الوصف والخبر . والباء والراء في الغزل والنسيب . وانما هو قولٌ اجمالي اذا صح من باب التغليب فلا يصح من باب الاطلاق . لان مناحي التحول من نغمةٍ الى اخرى في قافية الحرف الواحد اكثر من ان تحصى . فنغمة الراء مضمومةً تختلف عنها مكسورةً ومفتوحة . وهي وما قبلها متحرك غيرُها وما قبلها ساكن او ممدود بحرف علة . ورنّتها في بحرٍ تختلف عنها في بحر آخر وهكذا الى ما لا نهاية له

وغاية ما يقال في هذا الباب ان المعاني الشعرية كاللآلئ المنثورة لا مرشد الى احسان نظمها في سِمطها خيرٌ من سليقة الناظم فان جادت الصناعة بهرت البصر والا جاءت ركامًا بعضها فوق بعض وذهب خلل بنائها بنضارة روائها

جوازات الشعر

ليس المقام مقام بحثٍ في بيان اللغة وعروضها ومع هذا فلا بد لي من ايراد نبذةٍ يسيرة في ما رأيت اجتنابه واتيانه من الجوازات الشعرية استتمامًا لبيان النهج الذي نهجته في التعريب

لو اراد الشاعر ان يحتجَّ لكل خطاء يرتكبه في النظم بشاردةٍ من شوارد

شعر العرب لما عدم سبيلاً الى التخلص من معظم ما يتورط فيه عجزًا وجهلاً · على ان الطويل الباع القويم اليراع تأبى نفسه ان يتورّك على شذوذٍ فارط وقدحٍ ساقط ولو كان صاحبهما من شيوخ الشعراء كامرىء القيس وزهير بن ابي سلمى · — فايُّ شاعر مجيد يرتضي جزم المضارع بغير جازم بناءً على ورود ذلك في معلقة زهير بقوله :

وانَّ سفاه الشيخ لا حلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلمِ

ومن يُقبل على ايراد المتنافرات في شعرهِ اقتداءً ببيت فذٍّ لامرىء القيس اذ قال :

غدائرها مستشزراتٌ الى العُلى تضلُّ العقاص في مثنًّى ومرسلِ

بل من يقدم اليوم على قبض مفاعيلن الاولى من احد شطري الطويل كما جاء في الشطر الثاني من بيت امرىء القيس بآخر لفظة «عقاص» — ومثله قول طرفة :

أَمونٍ كالواح الاران نصأْتها على لاحبٍ كأَنه ظهر برجدِ

وقول الشنفرى وقد قبضها في الشطر الاول :

غدا طاوياً يعارض الريح هافياً يخوت باذناب الشعاب و يعسلُ

ولا تخلو قصيدة من شعر الجاهليين من مثله · جاز لهم ذلك لنغمةٍ كانت لهم في تلاوة الشعر يضيع معها الفرق في الطويل بين مفاعيلن ومفاعلن · وليست للمولدين تلك النغمة الا في شيء من انشاد اهل العراق و يضارعهم بها الفرس في انشاد الشعر العربي والفارسي اذ يمرُّون على ياء مفاعيلن مرًّا خفيفاً فلا يُشعر بحذفها اذا ُحذِفت وقد يسكنون اللام ولا حرج

وقد ضبط العروضيون جوازات الشعر ولكنَّ لكل ناظم ضعفاً من وجه فتكثر استباحتهُ في ضروبٍ لا يستبيحها غيره ويمتنع الواحد عما لا ينكره الآخر · ولهذا رأَيت ان اذكر ما انكرت وما لم انكر من تلك الجوازات :

استبحت صرف ما لا ينصرف حيث اقتضاه الوزن بلا تكلف الى منعه

قصرت الممدود قليلاً ولم استبح مد المقصور مطلقاً

لم اصل المقطوع الا بهمزة انْ بعد لو ولم اقطع الموصول الا في اول الشطر وهذا قليل جدًّا

لم اشدد المخفف . ولم اخفف المشدَّد الا اذا كان حرف قافية

لم اسكن المتحرك الا في ضمير الغائب والغائبة بعد الواو كما في « وَهْوَ » وَ « هْيَ » ولم احرك الساكن الا حيث وجب تحريكهُ في الدرج لالتقاء الساكنين او في القافية لاطلاقها . او ما جاز تحريكهُ على الاطلاق كالميم اللاحقة بالضمير نحو « هُمْ » و « كُمْ »

لم اجتنب تحريك العلَم المنادى اذا اقتضاه الوزن

لم استجز اخـلاس حرفٍ في ما سوى « انا » وحروف العلة الساقطة طبعاً بدرج الكلام قبل الساكن كالواو والياء في « اولو الحكمة » و « ذوي العلم »

لم أُشبع الا ما جاز اشباعه كهاء الضمير الغائب الساكن ما قبلها نحو منه او وجب كالهاء المذكورة المتحرك ما قبلها نحو « به »

سكَّنت في موضع او موضعين السين الواقعة في آخر العلَم الاعجمي نحو اوذيس مجاراةً لمن يحسب ان هذا الحرف مع ملازمته لاكثر تلك الاعلام يصح اعتباره حركةً بنفسه

واما ما فرط في كلام العرب من غريب المسوّغات كمنع صرف المنصرف وتذكير المؤنث وتأنيث المذكَّر وفك المدغم فيجب ان يعتبر شاذًّا ولا يجوز ان يقتدى بشيءٍ منه

عيوب القافية وسنادها

لاحاجة بي الى تقبيح عيوب القافية كالاكفاء والاجازة والاقواء والاصراف فان صغار الطلبة لايجمعون في قوافي القصيدة الواحدة بين « فالج وشانج » او « كمين وعميد » او « رجلُ وحملِ » او « راسُ ونَفسا » وانما اقول كلمةً في السِّناد

فمنه ما يجب نبذهُ مطلقاً كسناد التأسيس في الجمع بين المؤسَّس وغير المؤسَّس كأن تكون قافيةٌ « يتصبَّر» واخرى « يتظاهر » . ومنه المكروه وان ورد قليلاً في شعر البلغاء كسناد الاشباع اي الجمع في القوافي بين نحو «مكارِم» و« تفاقَم » باختلاف حركة الدخيل

ويقرب من هذا سناد الرّدف وهو ان يكون بيت مردفاً بحرف علة وآخر غير مردف كالجمع بين « قوم » و « حلْم » وهو اكثر وروداً في الشعر الصحيح

ومنه الجائز الشائع وهو سناد الحذو وسناد التوجيه اي اختلاف حركة ما قبل الرويّ بين الفتحة والضمة والكسرة نحو « قَدُم » و « قَدَم » و « قَدِم »

وهذا النوع الاخير كثيرٌ في كلام النوابغ من المتقدمين والمتأخرين ومع هذا فقد اجتنبت في تعريب الالياذة جميع انواع السناد جائزها ومكروهها

تكرار القافية

واما تكرار القافية فليس من مذهبي وان اجازه العروضيون . فلم استبحه في النظم ولم اكرر قافيةً واحدة في كل الالياذة بلفظها ومعناها طالت القصيدة او قصرت . ولا يستثنى من ذلك الا حيث تكررت الابيات في الاصل ووجب اعادة العبارة بنصها او حيث كان النظم رجزاً او متقارباً مصرَّعاً فهنالك كل بيت قائم بنفسه تنقطع القافية بانتهائه فاذا اتفق تكرارها بعد ابيات فكأنما هي واقعة في قصيدة اخرى

التجنيس

لم أتوخَّ التجنيس في شيءٍ من النقل بل ربما نبذته اذا ظهر منه ثقل او تكلف فانهُ اسمج شيء في الشعر اذا تسقَّطه الشاعر تسقُّطاً

قال لي صديقٌ من علية الادباء وقد جرى امامه ذكر البيت القائل:

بالدُّنا لا تطمعنْ في مَصْرِفي عنهما فضلاً بما في مِصْرَفَيْ

هذا بيتٌ لشاعرٍ نفاخر به الشعراء فوالله لو خُيِّرت بين ان أُشنق أو

يُنسب لي هذا البيت لاخترت الشنق · ينبئك هذا بمبلغ الانقباض الذي تحدثه في النفس امثال هذا التكلف · ومع هذا فقد أثبتُّ ما جاء عفوًا في الكلام بلا تلمُّس مثال ذلك : (ص : ٧٦٢)

بهما النَّوْرُ عن الارض ارتفعْ   وغمامُ التبر بالنُّور سَطَعْ
وحُباب القَطر في أكنافهِ   كحُبوب الدرِّ للارض وقعْ

ذلك هو النهج الذي آليت على نفسي ان انهجهُ في كل الكتاب واني ابرأُ الى الله من العصمة فاذا فرطت مني فارطةٌ على خلاف ما ذكرت فانما تلك هفوةٌ زلَّ بها القلم وجلَّ ربك ولي العصمة والسداد

ضروب النظم في التعريب

بقي عليَّ تتمةً لهذا الباب ان اذكر ضروب النظم التي جريت عليها في تعريب الكتاب : —

رُبَّ من ترجو به دفع الاذى   عنك يأْتيك الاذى من قبلهْ

فقد يأتي الضرر من حيث يُرجى النفع فان اتساع القوافي في اللغة العربية من جملة اسباب التضييق على الشعراء اذ مهما طال الشاعر باعًا فلا يأْتي على عددٍ معلوم من الابيات حتى يكاد يستنزف القوافي السائغة ولهذا كان من المستحيل نظم الالوف المؤَلفة على قافية واحدة · وهذا من جملة اسباب ضعف الشعر القصصي في العربية · واذا فرضنا وجود قافية تتسع لمثل هذا المجال فالاذن تملُّ توالي النغمة الواحدة لاطيب الالحان · فهذه تائية ابن الفارض الكبرى وقلَّ من يقرأُها مع ان حفَّاظ شعره يعدُّون بالالوف كما ابنَّا في موضعٍ آخر · واذا لجأْنا الى الرجز في مثل هذا السياق الطويل فلدينا من سائر البحور ما يفوقهُ جزالةً في بعض المواقف وقوةً في مواقف اخرى

زارني صديقٌ من نوابغ شعراء العصر وقال بودّي نظم الحادثة التاريخية الفلانية وهي تستغرق نحو خمسمائة بيت في سياق واحد وانه ليعز عليَّ ان التزم

قافيةً لمثل هذا العدد ولا احب ان انظمها رجزًا والمقام لا يؤذن بتقطيعها قصائد . قلت وما قولك لو جعلتها نشيدًا مسبّعًا او مثمّنًا لا تستعيد القافية فيها الا مرةً كل بضعة ابيات فتتخللها قوافي اخرى تطيب لها نفس القارىء فلا يملّها و يتسع لك المجال فتتخلص من العَسْف والتكلف فاستحسن واظنه فعل

ولهذا نوّعت النظم على طرقٍ شتى متبّعًا الخطة التي تقدم بسطها ومراعيًا لكل ضرب من ضروب النظم مقامًا حسبته ينطبق عليه فربما قطعت النشيد قصائد مختلفة و ربما نظمته قصيدةً واحدة . ووسّعت لنفسي في استنباط ضروبٍ غير مطروقة ولكنني لم اخرج بشيءٍ منها عن اصول الشعر واللغة

فاستعملت النظم الشائع من قصائد وتخاميس واراجيز وسلكت مسالك اخرى دعوتها باسماء رأيتها تنطبق عليها وهي :

المثنّى

وفيه تبنى القصيدة على قافية يُرجع اليها في كل بيتين مرة . وعروض البيت الثاني فيه مطلقة من القافية على نحو ما اصطلح عليه المتأخرون في الرباعي او الدوبيت الاعرج ومثاله : (ص : ٣٨٩)

لو تربّصتَ والعجاج استطارا ونجيعُ الدماء سال وفارا
وتبصّرت بابن تيـذيسٍ لم تدرِ ايُّ الجيشين منه اغارا
مستشيطًا ينقضُّ فوق الاعادي ينهب السهل بين عادٍ وغادِ
كخليجٍ يضيق بالسيل مجرا هُ فيستأصل الجسور الكبارا

وهكذا الى آخر القصيدة

والمربّع

ومثاله : (ص : ٥١٥)

كسا الفجرُ وجهَ الارض ثوبًا مزعفرا وزفس ابو الاهوال في ارفع الذرى
على قمّة الأولمب تُصغي مهابةً لمنطقِهِ الاربابُ ألّفَ مَحضرا

فقال : « ليعلم كلُّ ربٍّ وربَّةٍ ... بما اليوم في صدري فؤادي اضمرا
فلا ينبذنَّ الأمرعاصٍ بل اذعنوا ... لأنفذ ما ابرمتُ امرًا مقدَّرا

لنصرة ايّ القوم من يجرِ منكمُ ... يأوبنّ منكوبًا يخضّبهُ الدمُ
والا فمن شمّ الأُلمب براحتي ... الى الظلمات الدُّهم يلقى ويُرجمُ
الى حيث ابواب الحديد قد استوت ... على عتب الفولاذ والقعرُ مظلمُ
الى هوّةٍ بين الجحيم وبينها ... مجالٌ كأقصى الجوّ عن اسفل الثرى

والمثمّن او المربّع المسمّط

ومثاله : (ص : ١٠١٤)

فضيض الجيش مذ ذُعرا ... هزيمًا كالظبا نفرا
الى إليون حيث هناك خلف حصاره انحصرا
يجفّف في ظلال قلاعهِ عرقًا به سجت
كتائبه ويروي غلّةً فيها قد استعرا
وراءهمُ الاخاءة والجواشن في عواتقهم
جرَوا لكنّ هكطورًا تربّص يرقب القدَرا
لدى ابواب إسكيًا قضاء الشُّؤم ثبّطه
وبأبن أياك آفلّونُ احدق يصدق الخبرا :

« علامَ وانت من بشرٍ ... جريت تجدُّ في اثري
أتجهل أنني ربٌّ ... فثُرتَ بلاهب الشررِ
تركتَ هناك طروادًا ... تفرُّ الى معاقلها
وجئتَ هنا فلا لا ان ... تفوز تعستَ بالظفرِ
فلستُ بمائتٍ ابدًا » فقال أخيل متقدًا :
« أزجّاج السهام وشرَّ آل الخلد والكبَرِ
ارى أنأيتني عن سورهم مكرًا والاّ كم

فتىً عضَّ الحضيض قُبَيل ما بحصاره استترا

والموشَّح المسبَّع

ومثاله : (ص:٩٣٣)

ما اشتمل الفجر بثوب الجسادْ من يمّه يبرز فوق البلادْ
يرمقه معبودها والعبادْ
حتى انبرت دون الخلايا ثتيسْ في تحف الرب هنسْتٍ تميسْ
فابصرت آخيل فوق الثرى معانقاً فطرْقل واري الفؤادْ

يشهق بالعبرة هامي الجفونْ وحوله اصحابه يندبونْ
وسطهمُ حلّت بتلك الشجونْ
ويده اجترّت وقالت : « ألا مهما طما الخطب وطمّ البلا
دع ثمّ فطرْقل على الترب اذ في قدر الارباب بالغيب بادْ

والموشح المثمَّن

ومثاله : (ص : ٤٥٧)

سار هكطور حثيثاً وأتى باب إسكيَّة والزّان ظليلْ

فتلقّته نساءٌ وبناتْ منه علماً تتقصّى سائلاتْ
عن بنيهنّ واخوانٍ ثقاتْ
وبعولٍ وأخلاّ فامرْ ان يبادرن على ذاك الاثرْ
ويصلّين لارباب البشرْ
علّها تدفع عنهن الاذى ولزاهي قصر فرْيام مضى
هو صرحٌ شيدَ بالنحت الجميلْ فوق ابواب رواقٍ مستطيلْ

ضمنهُ صفٌّ بديع المنظرِ غرفٌ قد بنيت بالمرمرِ
كلها خمسون مُلس الحجرِ

لبني فريام شيدت مضجعا وثَوت ازواجهم فيها معا
ويحاذيهن صفٌّ رُفعا
فيه بالايناس والرغد ثوى مع كل ابنةٍ الصهر الحليل

وفيه المنظومة مبنية على قافيتين وهما هنا الالف المقصورة واللام كما ترى وله لازمة في اوله يبنى عليها وتؤسَّس قافيته في ختام الدور الاول ببيتين واما في سائر الادوار فببيت واحد

والموشح المُردَف

ومثاله : (ص : ٧٣٥)

كان نسطورُ لدى كأسِ الشرابْ مُصغيًا يسمعُ عجًّا واصطخابْ
فلماخاوُونَ قال : « أَفكِرْ فما علّةُ ينجمُ عن قرْع الحرابْ
حولَ تلك الفُلك فِتيانُ الوحى نقعُهم يعلو مهٍ لا تبرَحا
واشربِ الخمرة صرفًا ريثما هِيكَميذا لك تحمي المِسبحا
وتنقّي الجرْح من هذا الخضابْ

وانا ماضٍ أرى ماذا جرى بالسُّرى واقتال تُرْسًا اكبرا
كان ثرْسيميذُ قد غادرهُ مؤثرًا تُرْسَ أَبيهِ نسطُرا
وعلى رُمحٍ طويلٍ قبضا بسنانٍ قاطعٍ صُفرًا اضا
والى البابِ عدا مُستشرفًا فلهُ لاحَ القضا اسوأُ قضا
بني الاغريقِ قد جلَّ المصابْ

والمستطرَد

وهو ما تبنى القصيدة فيه على قافيتين فاكثر يُرجع الى كل واحدة منها كلما استُطرِد الى الموضوع الذي قيلت في اوله · مثال ذلك محاورة اخيل وفينكس (ص : ٥٦٨) فخطاب اخيل بقصيدة سينية من المثنى :

قال آخيل: «يا أُذيسُ المؤانسْ لِيَ فاسمعْ فانني لا أُلابسْ
لِي مقالٌ فلن احولنَّ عنه فعِهِ واطرَحنَّ عنك الوساوسْ
من يقلْ غيرَ ما تيقَّنَ فِكْرًا كان عندي من الجحيم اشرَّا
فالذي قد اسررتُ هاكم جهارًا لجميع الاغريق لستُ بناكسْ

وجواب فينكس بقصيدة رائية من المثنَّى ايضًا :

فاستتمَّ الحديث والقومُ طرًّا بوُجومٍ خالوا التصلُّبَ مرًّا
ثم فِينكسُ والدموعُ هوامٍ لاشتدادِ الوبالِ قال مُصرًّا
«ان تكنْ عن تحدُّم واحتدادِ راغبًا عن لقاء جيش الاعادي
وطلبتَ المآبَ يا ابني المُفدَّى كيفَ القى على بعادِك صبرا

وهكذا فكلما تكلم احدهما رجع الى قافيته · وقد يقع هذا الاستطراد في غير الخطاب والجواب كان يكون بين الخبر والانشاء او غير ذلك مما يقتضيه المقام

مصرّع المتقارب

وعلاوةً على ذلك استحسنت تصريع المتقارب كما فصَّلت في الفقرة الاولى من النشيد السادس بعد المطلع الآتي :

خلَتْ ساحة الحرب من كل ربّ فعجَّ العجاجُ بطعنٍ وضربِ
فمن سِيمُويسٍ الى زَنْثُسٍ قِراعُ السيوفِ ومدُّ القِسِي

مصرَّع الرجز ومقفَّاه

وجمعت في النشيد الثالث والعشرين بين مصرَّع الرجز ومقفاهُ التصريع للانشاء والتقفية للخطاب واتَّبعت هذا النسق في كل النشيد المذكور



الالياذة والشعر العربي

الشعر القديم

لقد يُعجز الباحث في تاريخ الشعر العربي ان يرجع ببحثه الى ما وراء قرنٍ قبل الهجرة . وان مُعظم ما عزاهُ بعض الكتَّاب الى من تقدم ذلك العهد ليس الا من باب التخرُّص فلا يصحُّ وضعهُ موضع ثقة بل يجب نبذهُ والحكم بانهُ انما وُضع لتتمة حديث او تميق رواية . وكأَن فطرة العرب الشعرية تدفعهم الى ترصيع كل روايةٍ من رواياتهم بابياتٍ ينقلونها من حيث تيسر لهم النقل وان اعياهم ذلك عمدوا الى وضع شيء مما تجود به قرائحهم . ولذلك كانت جميع تآليفهم مشحونةً بالشواهد الشعرية مما يجوز الحكم بصحة نقله وما لا يجوز . فاذا ساغ لنا الآن ان نقول بصحة مآخذ الشعر الجاهليّ الحديث من المهلهل بن ربيعة الى زهير بن ابي سلمى فانه قيل في زمنٍ كان فيه الشعر في ابّانه وسوق عكاظ في ريْعانها والحفَّاظ والرواة منبثون كاسلاك البرق يدوّنون وينقلون ويحرصون على ادّخار مسموعهم ومحفوظهم والقراءَة مأْلوفة والكتابة معروفة والشعر بمنزلةٍ يُحسد عليها فيُختزَن اختزان الدرّ المنضود . ومع هذا فان بعضهُ لايخلو من النقد والشُّبهات . ولكن من لنا بدليلٍ واحد يثبت صحة اسناد الشعر المرويّ عن شعراء القبائل البائدة وكهَّانها من طسم وجديس وعاد وثمود . ومن ذا الذي يثق اليوم مثلاً ان مهدًا الكاهنة هي القائلة يوم انذرت قوم عاد بالهلاك :

اني ارى وسط السحاب نارا ... تنثر من ضرامها الشرارا
يسوقها قومٌ على خيولِ ... تهتف بالاصوات والصهيلِ
وهي عذابٌ يالَ عادٍ فاعلموا ... فوحّدوا الله لكي ما تسلموا
ثم استجيروا بالنبيّ هودِ ... نبيِّ ربٍّ واحدٍ معبودِ
فقد اتاكم عن قريبٍ داهيه ... فليس تبقي منكمُ من باقيه

واقلُّ ما يقال في هذه الابيات انها بلغةٍ ما قطُّ نطق بمثلها قوم عادٍ بل هي دون لغة بني الجاهلية المشهور شعرهم بيننا

وليست امثال هذه الرواية بالشيء المذكور ازاء الشعر العربي المنسوب الى قدماء الاعاجم ثم الى آدم ابي البشر وامّنا حواء ثم الى الملائكة وابليس واشباه هذا مما هو غير خليق بالذكر ولا يجدر بالكاتب ان يتكلف عناء الاشارة باطّراحه . على انه يجب التنبيه ان جهابذة كتاب العرب عموماً قد انكروا على العامة القول بصحة اسناد هذه الروايات . ومن كلام ابن عباس « من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله »

اصلهُ

لكن الكتّاب كسائر الناس يندفعون بسائقة الطبيعة الى التطلع الى اصل كل مجهول . فلما بحث كتّاب العرب في الشعر بحثوا في اصله وجعل كلٌّ منهم يستخرج حجّةً مما يحسّنه لهُ اجتهادهُ . فقال قائلٌ منهم اوّلُ من هذّبه عديٌّ ابن ربيعة واستنبط من لقبه دليلاً فقال انه لُقّب بالمهلهل لانه اوّل من هلهل الشعر وقصد القصائد وقال الغزل . وذهب بعضهم الى ان اول شعراء العرب هو ربيعة . وقيل بل هو مضر . وصعد آخرون الى ما وراء ذلك الزمن باحقاب فقالوا بل هو عادٌ ابو القبيلة المشهورة وقيل بل ثمود وقيل بل حمير وامثال هذه الاقوال مما لايتجاوز الاساطير الموضوعة ويأباه العقل ويعجز النقل عن اثبات شيءٍ منه

على انه اذا ثبت لدينا فساد هذه الروايات فلا يثبت مطلقاً ان العرب لم يقولوا الشعر قبل القرن الخامس للميلاد . فان طبيعتهم وطبيعة بواديهم وحواضرهم كانتا لعهد الهجرة وقبلها بقرنٍ على ما كانتا عليه قبل عشرات من القرون . فقد يصحُّ الفرض ان النهضة الشعرية كانت تتفاوت ارتقاءً وارتخاءً بين زمنٍ وزمن ولكنه لا يصح القول ان جذوتها لم تلتهب الاّ لهذا العهد القريب . فارتقاء بلاغة الشعر متقدمٌ على ارتقاء بلاغة النثر لملازمة الافكار الشعرية

للفطرة البشرية . واذا كان الشعر مدوّنًا قبل الالياذة بعصور في لغات الهنود والمصريين وبلادهم معتقلة بقيود الحضارة فما بالك بالعرب وهم في بداوتهم وجاهليتهم يطوفون في عالم الخيال فلا قيد ولا عقال يطرقون البوادي والقفار فينقرون فيها على ماشاؤا من الاوتار و يسامرون النجوم فلا يستر الجوّ عنهم شيئًا من بهائها وهم جميعًا بين هائم وهاجع وهاجٍ ومدافعٍ ومنافر ومفاخر وكل تلك الاحوال تهيج السليقة الشعرية حتى في الافئدة الخاملة . وهم هم اليوم في باديتهم اولئك الرعاة الغزاة منذ الني عام والشعر على تغير لغته وزوال اعرابه ما زال انيسهم وسميرهم في الحل والترحال وسيظل كذلك الى ما شاء الله

طموسه

لا ريب بعد ما تقدم ان الشعر العربي القديم دَرَس اثره وطَمَس خبره وان ما يُنقل منه لايامنا حديث الوضع من مخترعات الكتّاب . ولعله يأتي زمن يتوصل فيه الباحثون في عاديات الايام الخوالي الى اكتشاف شيءٍ مما قد يكون عُلّق منه لغَرض . ولكن افتراض حصول ذلك قليل الجدوى بالنظر الى لغة الشعر العربي من عهد شعراء الجاهلية المعروفين حتى يومنا . لانه اذا وجد شيء من الشعر الراقي الى ما فوق القرن الرابع للميلاد فانما يكون بلغة غير لغة امرىء القيس واذا كانت لغة اصحاب المعلقات ونظائرها يُشكل فهمها على معظم قرّاء العربية مع جميع القيود التي قيّدت بها اللغة من عهدهم فما يكون مبلغ فهمنا من لغة تلك العصور ولا ضابط لها ولا قيد

عُكاظ

وهو معلومٌ ايضًا ان منطوق لغة العرب كان يختلف و يتباعد بتباعد القبائل ولهذا كثرت المترادفات في اللغة العربية الى ما لا نظير لهُ في لغةٍ اخرى . ولو طال الامد على تلك الفوضى ولم تقم سوق عكاظ لبانت لغة العرب لغاتٍ لا يتفاهم اصحابها وانفصلت كلٌّ منها عن الاخرى انفصال العربية عن شقيقتيها العبرية

والسريانية . فلما اعظمُ شأن السوق العكاظية واخذ الشعراء يؤمّونها من اطراف البلاد يتناشدون فيها و يتنافسون كان معظم همهم انتقاء الالفاظ الفصيحة المشهورة عند اكثر القبائل طمعاً بكثرة المستحسنين لشعرهم فاشتركت الالفاظ وعمت التعابير المألوفة بين الجميع فاتّقت اللغة شر التفرق وامنت الفاظها من التبعثر بين شتيت القبائل

وقد كان ذلك شأن العرب في اختيار الفصيح من الكلام في نظائر عكاظ كذي المجاز في الجاهلية ومِربَد البصرة في الاسلام

القرآن ولغة قريش

اذا ثبت ان لعكاظ ونظائرها فضلاً في تمحيص الفاظ اللغة فالفضل العظيم في استحيائها واستبقائها انما هو للقرآن فهو الذي احكم تراكيبها وابدع في تنسيق اساليبها وصعد بالبلاغة الى أوج مراقيها . بل هو الذي جمع جامعتها وهذّب عبارتها . ولما ارتفع منار الدين الاسلامي كانت اللغة العربية تنتشر بانتشاره على وتيرةٍ واحدة في مشارق الارض ومغاربها . ولا عبرة بما كان يعتور لغة العامة من الركّة واللكنة بمخالطة الاعاجم وبُعد عهد الجم الغفير من الجالية العربية بالانقطاع عن اصولها . فان القرآن كان ولا يزال رائد الكتّاب يرجعون اليه في مواضع الاشكال ويتمثلون بعبارته و يتفقهون ببلاغته فكان من مُعجزه حفظ اللغة العربية الفصحى على اسلوبٍ واحد منذ ثلاثة عشر قرناً مع تفرق حَفَظتها وتشتت المتكلمين بها

وفضل القرآن على الشعر العربي يكاد يضاهي فضله على لسان العرب لان بلاغة التعبير تهيج الفطرة الشعرية سواء كانت العبارة نثرًا او شعرًا . ولهذا كثر لغط القائلين في اوائل الاسلام ان القرآن كلامٌ شعري . فجاءت الآية بتكذيبهم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكرٌ وقرآن مبين) فلذلك اجمع ائمة العرب على ان الشعر لا يُعدُّ شعرًا ما لم يكن مقصودًا بالوزن . فان جاءت العبارة

موزونةً على غير قصد فليست من الشعر في شيء · وامثال ذلك كثيرة في القرآن والحديث. فمن الآيات القرآنية « من كان منكم مريضًا او على سفرٍ » و « واخرجت الارض اثقالها » و « لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون » ومن الحديث « هل انت الا اصبعٌ دُميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ »

وانَّ للافرنج اسلوبًا نثريًّا في الكتابة يتعمدون فيه تنميق العبارة بما لا يجوز اتيان مثلهِ في النثر البسيط ويتوخَّون فيه اثارة العواطف والخوض في عالم الخيال ومذهبهم فيه بخلاف مذهب العرب اذ يعدُّونه من فنون الشعر وان تجرَّد من القالب الشعري ولم يقصد به الوزن والتقفية

واذا كان اللسان العربي خلوًا بعرف العرب من هذا النوع من الشعر فان في القرآن من البلاغة ما لم يجتمع لهُ نظير في نثرٍ ولا في شعر · فلا غرو اذًا ان يكون هو الناهض بهذا اللسان تلك النهضة التي وطّدت اركان فصاحته وهذَّبت مقول الشعراء حتى أربت بلاغة التركيب وجزالة اللفظ في شعر المخضرمين والمولَّدين ممن اكثروا من تلاوته وسماعه على مثلهِ في شعر من تقدمهم من فحول الشعر الجاهلي — قال ابن خلدون « وكلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقةً في البلاغة من كلام الجاهلية لانهم سمعوا القرآن وحفظوه وهو في اعلى طبقةٍ من البلاغة وحفظوا الحديث ايضًا · ولذلك تجد شعر حسَّان والحطيئة وجرير والفرزدق وذي الرمَّة والاحوص وبشَّار ابلغ من شعر امرىء القيس والنابغة وعنترة وابن كلثوم و زُهَير ونحوهم »

وخلاصة القول ان لغــة الأَعراب في البادية ومنطوق سائر العرب في حواضرهم ما زالا يتراوحان بين الصعود والهبوط والتقارُب والتباعُد حتى هذَّبهما شعراء عكاظ واتى القرآن فكان فيه القول الفصل والمنهج القويم والحجة الكبرى والاساس الوطيد

واذ كانت عكاظ بين نخلة والطائف في الحجاز ولقُرَيش الحجاز منزلةٌ

لاتعادلها منزلةٌ بين العرب ولهم سدانة الكعبة كان الشعراء الوافدون من اليمن و بادية الشام وهضاب نجد وبُرَق تهامة وسائر اطراف البلاد العربية يتشبهون جهدهم بلغة قريش المُضَرية وكانت اذ ذاك اللغة المعوَّل عليها بين اكثر قبائل الحجاز ونجد فقويت وما لبثت ان فازت بالغلبة في منظوم الشعراء · ثم جاء القرآن فأحكمها ذلك الاحكام الذي يُدهش له الاعجمي فضلاً عن العربي وهُجر ما سواها من لغات سائر القبائل في النثر والشعر الا بقية من الاصول النحوية والاصطلاحات التركيبية

وكانت لغة قريش تزداد رسوخاً في اذهان الشعراء وشيوعاً بين العرب كلما دانت قبيلةٌ منهم بالدين الاسلامي بعد سماع آي القرآن ولا سيما بعد ان قام الشعراء القُرَشيون فأَخذوا باطراف البلاغة فكان لهم القِدح المعلَّى في الشعر كما كان لهم من قبل في رفعة القدر

وهو غير خاف انه كان لقريش بصرٌ في الشعر في الجاهلية ومع هذا فلم تكن لهم فيه مقامات عالية ولم يرتفع شعراؤهم بطبقتهم الى طبقة نوابغ الشعراء من سائر القبائل لان العرب كانت تقر لهم بالتقدم في كل شيء الا الشعر · ولما استنهضتهم بلاغة القرآن واقبلوا على النظم واجادوا فيه ايما اجادة ونبغ منهم الفحول كعمرو بن ابي ربيعة كبيرهم والحارث بن خالد المخزومي والعرجي وابو دهبل وعبيد الله بن قيس الرقيات اقرَّت لهم العرب بالشعر ايضاً

واما سائر قراء العربية والمتكلمين بها بعد حين من ملل الاعاجم ممن دان بالدين الاسلامي او انتشرت بينهم قبائل العرب فما عرفوا الا لغة القرآن والحديث وما تبعهما من كتب الفقه وعلم الكلام مما استُمدَّ جميعاً منهما ومعظم ذلك من لغة قُريش · واذا رجعنا الى علم النحو الذي يقوم عليه عماد التركيب والتعبير في اللغة راينا انه انما نشأ بفضل القرآن لانه وُضع قبل كل شيء لضبط القراءات القرآنية · ثم لما كُتبت اسفار اللغة وسائر العلوم العربية وغير العربية كان القرآن والحديث مرجعاً للاستدلال على صحة التعبير وإِحكام التركيب وضبط

المفردات فكانت لغة قريش في كل ذلك هي اللغة السائدة لحفظها الشعراء واصبحت في شعر المخضرمين والمولَّدين انقى منها في شعر ابناء الجاهلية اذ قلَّ الخليط فيها من سائر لغات العرب وهكذا صارت لغة جميع كتَّاب العربية من عربٍ واعاجم ولا عبرة بما طرأ عليها من الخلل والانحطاط وزوال الاعراب بين عامَّة المتكلمين بها فان الفساد يتطرَّق بمرور الزمان الى كل لسان . وحسب العربية مزيَّةً على سائر اللغات الحيَّة انه ليس بينهنَّ لغةٌ غيرها حُفظت اصول شعرها وكتابتها منذ اربعة عشر قرنًا و بقيت واحدةً في جميع اطراف الارض بين العرب وغير العرب والمسلمين وغير المسلمين

مقابلة

بين لغة قريش المُضَرية ولغة الالياذة اليونيّة

وكيف عاشت الاولى وتلاشت الثانية

قد يُفهم من عنوان هذا الفصل اننا لا نقصد فيه المقابلة بين لسانَي العرب واليونان بالنظر الى ما بينهما من الصلة او الشبَه والاختلاف في المنشإ والوضع والاشتقاق والتركيب فتلك امورٌ ليس هذا موضع البحث فيها . ولكنه لا بدَّ لنا من النظر الى سبب تلاشي لغة الالياذة لزمن يسيرٍ من استحكامها و بقاء لغة قريش حيةً طول هذا الدهر

ان سنَّة النموّ والتحول وتفرّع الاصل الواحد الى اصولٍ شتَّى تشمل اللغات كسائر المخلوقات . فقد قلنا ان لسان العرب في الجاهلية تفرق الى فروع كاد كلٌّ منها يقوم لغةً بنفسه ويمتنع التفاهم بين اصحابه فجاء القرآن وازال الخلاف واوثق عرى الارتباط فسادت اللغة القرشية . وهكذا كانت لغة قدماء اليونان فروعًا كثيرة مرجعها الى فرعين كبيرين الدُّوريّ واليونيّ يتكلمهما سكان قلب بلاد اليونان ومستعمراتهم في صقلّية وبعض بلاد ايطاليا وغيرها فهما بمثابة

لغة نجد عند العرب مع ما يتبعها من اطراف الحجاز · ويلحق بهما فرعٌ ثالث هو الايولي وكان لغة فريق من سكان اسيًّا الصغرى وتساليا وتوابعها · فمنشآت فنداروس وثيوكريتُس كانت باللغة الدورية ومنظومات هوميروس وهسيودس كانت باللغة اليونيّة · وان بين اللغتين على تقاربهما فرقًا يضاهي نظيره بين لغات جنوبي الحجاز ونجد واليمن · وكلما كانت تمتد فتوحات اليونان ويكثر الاختلاط كان يطرأُ على تينك اللغتين تغيرٌ يبعدها عن وضعهما وكان كلٌّ من الشعراء والكتّاب ينطق بلغة زمانه ومكانه حتى باتت لغة كلٍّ من بني الفرع الواحد تُتميز عن الاخرى بالتعبير والتركيب · فاللغة اليونيّة مثلاً هي التي نطق بها هوميروس في أُخريات القرن التاسع للميلاد · وهي التي كتب بها ثوكيذيذِس وهيرودوتُس في القرن الخامس وديموستينِس في القرن الرابع ومع هذا فالفرق بين لغتهم ولغته غير يسير بل قد تجد فرقًا بين لغة ابناء كل قرنٍ وآخر حتى لقد ذهب كُرتيوس في تاريخ اليونان الى انه في زمن الاسكندر لم يكن يحصل التفاهم بين المكدونيين واليونان · وقال فلوطرخوس ان فيلبس وابنه الاسكندر جنحا الى ايثار لغة جيرتهما على لغة قومهما فعدلا اليها في بلاطهما وبطانتهما

وعلى الجملة فقد ظلّ هذا التغيُّر يتعاظم حتى باتت اللغة اليونانية الحديثة لغةً قائمةً بنفسها ولها اصولٌ بعضها اقرب الى اللغات الحديثة منها الى لغة الالياذة · ولهذا ترى نوابغ كتّاب اليونان العصريين مع شدة ما بهم من الغيرة على احياء اللغة اليونانية القديمة والتشبه بها في بعض ما ينشئون لم يغنهم كل ذلك عن نقــل الياذة هوميروس واشباهها بالترجمة الى اللغة اليونانية الحديثة فكأَنهما لغتان منفصلتان

واما العربية فليس هذا شأْنها فان اصول اللغة ما زالت على ما نطق به شعراء الجاهلية وغاية ما يشكل فهمه على قرّائها مفرداتٌ لم تأْلفها العامّة ومترادفاتٌ متشابهات وتعابير غير مأْنوسة في عصرنا

ولكن التباعد بين لغات العامة محصورٌ في الكلام العامي · فالحجازي واليمني

والنجدي والعراقي والمصري والسوري والمغربي وان اختلفت مصطلحاتهم في كل قطر من اقطارهم فهم جميعاً يكتبون بلغةٍ واحدة على اصولٍ لا تختلف شيئاً بين اقليمٍ واقليم · وجميع هذه الاصول مبنيةٌ على اصول لغة القرآن

وان اختلاف منطوق العامة غير خاصٍ بالعربية بل هو يتناول جميع اللغات الحية حتى اذا نظرت الى ارقاهنّ كالفرنسية والانكليزية رأيت فرقاً بيّناً في كلام العامة بين منطوق ابناء قُطرٍ وقُطر وان اتحدت اصول اللغة الفصيحة بين جميع الناطقين بها من ابناء تلك اللغة وغير ابنائها · واذا رجعنا بالتخصيص الى اليونانية الحديثة رأيناها على توحُّد لغتها الكتابية متشعّبةً فروعاً بمنطوق عامَّة ابنائها فلغة اثينا غير لغة اكريت وكلتاهما تختلفان عن لغات ساقس وقبرس وجزر الارخبيل واسيا الصغرى

وخلاصة ما تقدم ان اللغة العربية اطول اللغات الحيَّة عمرًا واقدمهن عهداً والفضل في كل ذلك للقرآن · فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهسيودس على علوّ منزلتهما لم تُقم للغة اليونية دعامةً ثابتة حتى في بلادها ولم تقوَ على مقاومة التيار الطبيعي ولكن القرآن وطَّد اركان لغة قريش في بلادهم واذاعها في جميع البلاد العربية وسائر البلاد التي طال فيها عهد الاحتلال الاسلامي او كثرت مخالطة العرب الضاربين في اقطار الارض للجهاد والتجارة

اطوار الشعر العربي

او طبقات الشعراء بالنظر الى ازمانهم ومزيَّة كل طبقة منهم

هذا بحثٌ لو تعمَّدنا الافاضة فيه لاضطررنا الى التثبُّت من احوال كل عصرٍ من عصور العرب والنظر في شؤون الشعراء وطرائقهم وفنونهم ومناحي نظمهم والرجوع الى مراميهم في شعرهم وطرق معائشهم وبيان انواع اقتباسهم من الاعاجم واقتباس الاعاجم منهم بالنقل والملابسة الى غير ذلك مما يؤدي الى تدوين سفرٍ طويل · ومع هذا فلا بد من ان نلمّ بالموضوع الماماً اجمالياً لئلاَّ

بنوتنا استجماع اطراف الحديث الذي توخَّيناه · وعسى ان يكون لنا في مستقبل الزمن متَّسعٌ لاعادة النظر فيه او ينهض اليه باحثٌ من ادبائنا فيلجه من جميع ابوابه و يوفّيه حقه بمالا يتيسر في هذا المقام

من الكتَّاب من يقسم الشعراء بالنظر الى ازمانهم الى ثلاث طوائف او طبقات اولها شعراء الجاهلية ثم المخضرمون وهم الذين ادركوا الجاهلية والاسلام· ثم المولَّدون وهم سائر الشعراء · ومنهم من يزيد طبقةً رابعة وهي طائفة المحدَثين فيحصر المولدين في فئة قليلة من ابناء اوائل الاسلام كالفرزدق وجرير والاخطل ويجعل جميع من اتى بعدهم في عداد المحدثين

واننا ناحون في بحثنا نحو اصحاب التقسيم الاخير بالتسمية دون الترتيب ومستدركون ما يجب استدراكه لاختلاط الطبقات الثلاث الاولى بعضها ببعض وواضعون حدًّا فاصلاً بين كل طائفةٍ واخرى وباحثون في تماسك هذه الحلقات واسباب ترقي الشعر العربي حيناً من الدهر ثم انحطاطه في كلام المحدثين حتى ايام النهضة الاخيرة غير مغفلين في كل ذلك اوجه المقابلة مع منظوم صاحب الالياذة

النهضة الجاهلية

ليس بالامر السهل تعيين الزمن الذي بدأت فيه نهضة الجاهليين لاندثار منظوم الشعراء مما تقدم على الشطر الاخير من القرن الخامس للميلاد او ما تقدم على الهجرة بقرنٍ ونصف قرن · على انه لا ريب ان النهضة الجاهلية المتصلة بالاسلام بدأت قبل الهجرة بقرنين او اكثر لاننا اذا قرأنا شعر المهلهل والشنفرى والمتقَّب العبدي والبراق بن رَوحان وغيرهم ممن تقدم على الهجرة زهاء قرن وربع او ما يُنيف رأينا فيه من البلاغة وحسن الانسجام ما لا يجوز الحكم معه انهم كانوا في طليعة شعراء العرب بل لا بد من ان يكونوا نسجوا على منوال نوابغ سبقوهم · ولكن لنا من وجه آخر مساغاً للحكم ان تلك النهضة لم تستحكم الا

في القرن الاول قبل الهجرة ولم تبلغ أوج علاجها الا في بضعة عقودٍ من السنين الملاصقة للاسلام . ودليلنا على ذلك ان شعر معظم المتأخرين في الجاهلية كلبيد ابن ربيعة وزهير بن ابي سلمى وعنترة العبسي والاعشى والنابغة الذبياني ارقى من شعر معظم المتقدمين عليهم في الزمن كالبراق وابي دؤاد والحارث بن عباد وامثالهم . ولا يضعف هذا الحكم نبوغ بعض المتوسطين بين الفريقين كامرىء القيس وطرَفة بن العبد والحارث بن حلِّزة اليشكري وعمرو بن كلثوم وغيرهم ممن لاصق الاوَّلين ونبغ في منتصف القرن السادس للميلاد فكانوا نبراس تلك النهضة وقادة زمامها اذ يتيسر لنا بهذا الاعتبار ان نعين زمن استحكام النزعة الشعرية في نحو ذلك العهد اي سنة ٥٣٢ للميلاد او قبل الهجرة بتسعين عاماً وهو زمن نبوغ امرىء القيس اول ابناء الفريق المتوسط بين متقدمي الجاهليين ومتأخريهم

ومما يؤيد هذا القول ان كتَّاب العرب قسموا الشعراء الى طبقات باعتبار جودة الشعر كما قسموهم الى طبقات بالنظر الى التاريخ فجعلوا اصحاب الطبقة الاولى من متأخري الجاهليين ومتوسطيهم كاصحاب المعلقات جميعاً والنابغة والاعشى الاسدي وعديّ بن زيد وعبيد بن الابرص وامية بن ابي الصلت . وعدُّوا سائر من تقدمهم في الطبقة الثانية الا المهلهل فانهم اختلفوا بين ان يكون من الثانية او الاولى

الحدُّ الفاصل

بين شعراء الجاهلية والمخضرمين

اذا حسبنا لاستحكام النزعة الشعرية الجاهلية تسعين عاماً وجعلنا طليعتها امرأ القيس فاننا نحسب لطَور الشعر الجاهلي بأسره مئةً وخمسين عاماً اولها سنة ٤٧٢ للميلاد وآخرها سنة الهجرة النبوية وزعيم جنده عديُّ بن ربيعة الملقَّب بالمهلهل . وهو معلومٌ ان بعض شعراء الجاهلية ادركوا صدر الاسلام وماتوا

في زمن النبي كزهير وهو الذي قيل فيه ان النبي نظر اليه يوماً وعمره مئة سنة فقال اللهمّ اعذني من شيطانه قيل فما قال بعد ذلك شيئاً من الشعر . ومنهم من مات في زمن الخلفاء الراشدين كعمرو بن معدي كرب . ومنهم من عمّر حتى انقضت دولة الراشدين وقامت دولة بني امية كلبيد المتوفى في خلافة معاوية وعمره على ما قيل مئة وخمس واربعون سنة . فامثال هؤلاء يحصل الاشكال في تعيين طبقتهم فتلتبس بين طائفتي الجاهليين والمخضرمين

وقد قيل في تفسير المخضرم هو من ذهب نصف عمره في الجاهلية ونصفه في الاسلام . او هو من ادرك الجاهلية والاسلام على الاطلاق تشبيهاً بالناقة المخضرمة التي قُطع طرف اذنها كأَن ما ذهب من عمره في الجاهلية ساقطٌ لا يعتدُّ به . وقلّ من ينطبق عليه القول الاول من فحول شعراء الجاهلية كلبيد العامري الذي عمّر طويلاً في الجاهلية والاسلام . واما الذين ادركوا الجاهلية والاسلام فكثيرون كزهير والخنساء والحطيئة ممن نبغ في الجاهلية وابي ذؤيب العجلي وكعب بن زهير وحسّان بن ثابت ممن نبغ في الاسلام . ولهذا نظر البعض في تعيين الطبقة الى القرب والبعد من الاسلام فكان زهير عندهم جاهليا ولبيد مخضرماً وربما وضعوا لبيد في طبقتين فقالوا هو جاهلي ومخضرم . وعندنا انه اذا صح احد هذين القولين بالنظر الى الشاعر وصفته فلا يصحُّ شيءٌ منهما بالنظر الى الشعر وصبغته والا لوجب ان نجعل معظم المخضرمين في طبقة الجاهليين ايضاً فتختلط الطبقتان مع ان لكل منهما مزيّةً خاصّةً بها على ما سنبينه في ما يلي

فلذلك وجب اعتبار الصبغة الشعرية في اقوال امثال هؤلاء فمن قال الشعر قليلاً في الاسلام او لم يقله عُـدَّ جاهلياً كزهير ومن ربا قوله في الاسلام بعد ان اسلم وحفظ القرآن ككعب ابنه فهو مخضرم . ويقال مثل ذلك في حسّان ابن ثابت شاعر النبي فهو زعيم المخضرمين وان قضى نصف عمره في الجاهلية وقال فيها الشعر الحسن

على انني لا اعلم بايّ مساغ يُعدُّ لبيد والخنساء من المخضرمين . فاما لبيد

فان جميع شعره ولا سيما معلقته من لباب الشعر الجاهلي ولم يرووا له في الاسلام الا بيته القائل :

الحمد لله اذ لم يأتني اجلي   حتى لبست من الاسلام سربالا

وقيل ان الخليفة عمر استنشده ايام خلافته من شعره فانطلق وكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها وقال : ابدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر فسُرَّ عمر بجوابه واجزل عليه العطاء

واما الخنساء فجميع شعرها قبل الاسلام وبعده فخرٌ ورثاءٌ ونَفَسه واحدٌ وصبغته واحدة وكله جاهليٌّ ولا وجه لعدّها بين المخضرمين الا ان نحسب من الشعر حماسياتها النثرية المسجَّعة كقولها لابنائها يوم وقعة القادسية : يا بنيَّ انكم اسلمتم طائعين . وهاجرتم مختارين . والله الذي لا اله الا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة . ما هجنت حسبكم . ولا غيَّرت نسبكم . واعلموا ان الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية . اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها . وجلّلت نارًا على ارواقها . فتيمموا وطيسها . وجالدوا رئيسها . تظفروا بالمغنم والكرامة . في دار الخلد والمقامة

فان في هذا الكلام مسحةً من بلاغة المخضرمين ولكننا قد قدمنا ان العرب لا تعد هذا الكلام من الشعر في شيءٍ لانه غير مصوغ في القالب الشعري وان كانت معانيه شعرية . فالخنساء ولبيد وامثالها في عرفنا يجب ان يعدوا من شعراء الجاهلية بالنظر الى شعرهم وان صح ان يُحسبوا من المخضرمين بالنظر الى امتداد حياتهم

وهو ثابتٌ ايضاً انه في اوائل الاسلام حصلت فترةٌ في الشعر فاسكتت الشعراء ثم هبُّوا اليه هبَّةً جديدة والبسوه ثوبًا قشيبًا . قال ابن خلدون : « ان الشعر كان ديوانًا للعرب فيه علومهم واخبارهم وكان رؤساء العرب ينافسون فيه وكانوا يقفون في سوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم ديباجته على فحول الشبان واهل البصر حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت الحرام

ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القرآن ونظمه فسكتوا عن الخوض فيه زمانًا ثم استقر ذلك واونس الرشد في الملة ولم ينزل الوحي في تحريمه وسمعه النبي واثاب عليه فرجعوا الى ديدنهم منه »

فهذه الفترة التي ذكرها ابن خلدون وغيره من مؤرخي العرب هي الحدُّ الفاصل بين الطَّور الاول والطور الثاني من اطوار الشعر العربي . فجميع ما تقدمها شعرٌ جاهليّ ويلحق به قليلٌ مما تاخر عنها من قول شعراء الجاهلية الذين ادركوا الاسلام واسلموا وبقي شعرهم على صبغته الجاهلية الصرفة كعبدة بن الطبيب كما سنثبت في الفصل التالي بايراد مثالٍ من شعره في الاسلام

الطبقة الاولى

او شعراء الجاهلية

خاض العرب في الجاهلية عباب بحر الشعر وولجوا كلَّ بابٍ من ابوابه فوصفوا وترسّلوا وتغنَّوا وتغزَّلوا ومدحوا وهجوا ورثَوا ودونوا الاخبار وضربوا الامثال ووضعوا الحكم وتنافَروا وتفاخروا وشاعرهم مندفعٌ في كل ذلك بسائقة الطبيعة يفكر في محسوسٍ بين يديه . ومنظورٍ امام عينيه . وعاطفةٍ بين جنبيه . وشعيرةٍ تختلج في صدره . وصورةٍ مرسومةٍ في مخيلته منعكسةٍ عن طُرُق معيشته وفطرته . لا يتطلّع الى ما وراءها ولا يتكلف الزخرف والتنميق

وكانوا يسدّدون قولهم نحو كبد الحقيقة فلا يخطئونها ويقولون الشعر عن شعورٍ حيّ ولا يتخطَّون الى ما وراء مشهودهم ومعقولهم فجاء شعرهم مثالاً صادقًا لبداوتهم وحضارتهم . حتى لو اندثرت جميع اخبارهم وآثارهم وما بقي الا شيء من شعرهم لتيسر للباحث ان يستخرج منه وصفًا كاملاً لجميع احوالهم كما استخرج الباحثون كثيرًا من غوامض جاهلية اليونان من شعر هوميروس

ويسري هذا الحكم على جميع شعراء الجاهلية من عبدة الاوثان واليهود والنصارى ومن ادرك الاسلام واسلم او لم يسلم . وهم في ذلك سواء في اليمن ونجد والحجاز والعراق وبوادي الشام وسائر اطراف بلاد العرب . فالشاعر منهم إما بدويٌّ عريقٌ في البداوة واما حضريٌّ لاصقٌ بابناء البادية وكلاهما متخلقٌ باخلاق الجاهلية ينزع الى رسم الحقيقة رسماً ناطقاً . فاذا روى حادثةً بسطها بسطًا جليًّا والمَّ بها الماماً واضحاً يغنيك عن التخرص والتنقيب نظير ما فعل هوميروس في ايراد كل حوادثه . واليك مثالاً قول المهلهل بعد وقعة السلاَّن اذ حضرها مع اخيه كُليب وفرَّ ابن عنق الحية من وجههما :

لو كان ناهٍ لابنِ حيَّةَ زاجرًا ... لنهاهُ ذا عن وقعةِ السُّلاَّنِ
يومٌ لنا كانت رئاسةُ اهلهِ ... دونَ القبائل من بني عدنانِ
غضبت معدٌّ غثُّها وسمينُها ... فيهِ مُمالاةً على غسَّانِ
فأزالهم عنَّا كُليبُ بطعنةٍ ... في عمرِ بابلَ من بني قحطانِ
ولقد مضى عنها ابن حيَّةَ مُدْبرًا ... تحتَ العجاجةِ والحُتوفُ دوانِ
لمَّا رآنا بالكُلابِ كأنَّنا ... أسدٌ ملاوثةٌ على خفَّانِ
تركَ التي سحبتْ عليه ذُيولَها ... تحت العجاجِ بذِلَّةٍ وهوانِ
ونجا بمهجتهِ وأسلمَ قومَهُ ... مُتسربلينَ رواعفَ المرَّانِ
يمشون في حلقِ الحديدِ كأنَّهم ... جربُ الجمال طُلينَ بالقطرانِ
نِعمَ الفوارسُ لا فوارسُ مذحجٍ ... يومَ الهياجِ ولا بنو همْدانِ
هزموا العداةَ بكل اسمرَ مارنٍ ... وبهنَّدٍ مثل الغديرِ يمانِي

واذا وصف شيئاً فانه يستجليه على علَّته ويستتم تبيان حالته على طبيعته كقول عبدة بن الطبيب يصف ناقته ويشبهها بالثور الوحشي المتذعّر امام الكلاب:

ترى الحصى مُشفنترًا عن مناسمها ... كما تجلجلُ بالوغلِ الغرابيلُ (١)

(١) المشفنتر المتفرق . ويجلجل يُحرّكُ فيذهب دقاقه ويبقى جُلاله . والوغل الرديء

كأنها يوم وِرْدِ القوم خامسةً   مسافرٌ أشعبُ الرَّوقين مكحولُ(١)
مجتابُ نصعٍ جديد فوق نُقْبتِهِ   وللقوائم من خالٍ سراويلُ(٢)
مُسفَّعُ الوجه في ارساغهِ خدَمٌ   وفوق ذاك الى الكعبين تحجيلُ(٣)
باكرَهُ قانصٌ يسعى بأكْلُبهِ   كأنه من صلاء الشمس مملولُ(٤)
يأوي الى سَلفعٍ شعثاء عاريةٍ   في حجرها تَولَبٌ كالقرد مهزولُ(٥)
يُشْلي ضواريَ أشباهًا مجوَّعةً   فليس منها اذا أمكنَّ تهليلُ(٦)
يتْبعْن اشعثَ كالسِّرحان مُنصلتًا   له عليهنَّ قيدَ الرمحِ تمهيلُ(٧)
فضمهنَّ قليلاً ثم هاج بها   سُفْعٌ بآذانها شَيْنٌ وتنكيلُ(٨)
فاستثبت الرَّوعَ في انسان صادقةٍ   لم تجرِ في رَمدٍ فيها الملاميلُ(٩)

---

(١) الخامسة واردة الخمس . والمسافر الخارج في ارض الى اخرى واراد به الثور الوحشي . واشعب الروقين الذي انشعب قرناه

(٢) المجتاب اللابس . والنصع الابيض . شبه الثور لبياضه بلابس ثوب ابيض . ونقبته لونه . والخال برود فيها خطوط سود وحمر

(٣) السفعة سواد يضرب الى الحمرة . والخدم جمع خدمة وهي الخلخال

(٤) مملول اي كأنه منشوٍ في مَلَّةٍ وهي الرماد الحار

(٥) يأوي اي الصائد الى امرأته . والسلفع الجرئية البذئة . والتولب ولد الحمار شبَّه ابنها به

(٦) يشلي يدعو . والضواري الكلاب المضرَّاة . والتهليل ان لا يصدق الحملة يقال قد هلَّ الفارس اذا قصَّر

(٧) يعني الكلاب . واراد بالاشعث القانص . والسرحان الذئب . والمنصلت المجرد في امره . وقيد الرمح قدره

(٨) السفع السود . قوله بآذانها شين اي آذانها مقطعات ببراثنها وذلك لقولهم ان الكلب اذا عدا فاجتهد في عدوه قطع اذنه بمخالبه لدنوها منها

(٩) اي لما نظر الثور الى الكلاب قد هاجت به ثبت الرَّوع في عينه لما عاينه .

فانصاعَ وانصعن يهفو كلها سَدِكٌ ... كأنهن من الضُّمرِ المزَاجيلُ (١)
فانقضَّ ينفض مدْرِيَّيْنِ قد عنقا ... مُخاوِضٌ غمرات الموت مخذولُ (٢)
شروى شبيهين مكروباً كعوبهما ... في الجنبتين وفي الاطراف تأْسيلُ (٣)
كلاهما يبتغي نهك القتال به ... ان السلاح غداة الرَّوْع محمولُ (٤)
يخالس الطعن إيشاغاً على دهش ... بسلهبٍ سِنْخُهُ في الشأْن ممطولُ (٥)
حتى اذا مضَّ طعناً في جواشنها ... ورَوْقهُ من دم الاجواف معلولُ (٦)
ولّى وصُرِّعنَ من حيثُ التبسنَ به ... مضرَّجاتٌ باجراحٍ ومقتولُ
كأَنه بعد ما جدَّ النجاءُ به ... سيف جلا حدَّه الاصناعُ مسلولُ

وقوله صادقة اي صلبة صحيحة النظر لا تكذبه · والملاميلُ جمع ململ وهو المِكحالُ يريد انه لم يكن بعينه رمد يجري له فيها ململ

(١) يهفو اي كانه يطير فوق الارض من الخفة · وانصاع اخذ ناحيةً · والسدك الملازم · يقول كل الكلاب ملازم للثور لا يفارقه · والمزاجيل المزاريق يُزجل بها

(٢) اي فاهتز الثور حميةً وانفاً من الفرار من الكلاب · والمدريان القرنان · وعنقا صلبا · ومخذول اي لا عون له

(٣) شروى الشيء مثله · وقوله شبيهين يعني القرنين شبههما بالرمحين · والمكروب الشديد الفتل واصل ذلك في الحبل ثم قيل لكل ممتلىء شديد مكروب · واراد بالجنبتين الجنبين · والتأْسيل الاستواء والطول

(٤) كلاهما اي كلا القرنين · والنهك الشدة والاستقصاء

(٥) اي يطعنها مخالسةً لكثرتها · والايشاغ الخفة · والسلهب الطويل · وسنخ الشيء اصله · والشأْن ملتقى كل قبيلتين من قبائل الرأْس الاربع · والممطول الممدود

(٦) مض اوجع واحرق · والجواشن الصدور · والمعلول الذي سقي الدم مرة

مُستقبلَ الرّيح يهفو وهو مُبترِكٌ لسانه عن شمال الشدق معدولُ (١)
يخفي الترابَ باظلاف ثمانيةٍ في اربع مسُّهنَّ الارضَ تحليلُ (٢)
له جنابانِ من نَقْعٍ يُثوّرُه ففرجه من حصى المَعْزاء مكاولُ (٣)

وهذا الشعر وان كان مقولاً في اوائل الاسلام فقائلهُ جاهليٌّ وليس في شعر ابناء الجاهلية ما يفوقه تمثيلاً لنزعتهم الشعرية · ومثله قول بشر بن عوانة في الاسد :

افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبْتٍ وقد لاقى الهِزَبرُ أخاكِ بشرا (٤)
إذًا لرأيتِ ليثًا زار ليثًا هزبرًا أغلبًا لاقى هزبرا (٥)
تبهنسَ ثم احجم عنهُ مُهري محاذَرةً فقلتُ عُقِرْتَ مُهرا (٦)
أنل قدميَّ ظهر الارضِ إني رأيتُ الأرضَ اثبتَ منكَ ظهرا
وقلتُ له وقد ابدى نِصالاً محدَّدةً ووجهًا مكفهرّا

بعد مرة أُخذ من العلل وهو الشربة الثانية وانما قال دم الاجواف لان الثور تعمد مقاتل الكلاب

(١) المبترك المعتمد في سيره لا يترك جهداً · وقوله مستقبل الريح يستروح بها جوفه لحرارة التعب

(٢) يخفي التراب يستخرجهُ لشدة عدوه · وقوله مسهنَّ الارض تحليل اي على قدر تحلّة اليمين كأنه اقسم ليمسن الارض

(٣) الجنابان الناحيتان يقول قد ارتفع له من جانبيه غبار من شدة عدوه · والمعزاء الارض ذات الحصى اي انه لشدة عدوه يرد الحصى على فرجه فكأنه اكليل له وهذا غاية شدة العدو

(٤) الخبت المطمئن من الارض وفيه رمل · والهزبر الاسد

(٥) الاغلب من صفات الاسد للمبالغة في الغلب

(٦) تبهنس بتختر

يكفكفُ غيلةً إحدى يديهِ ويبسطُ للوثوبِ علىَّ اخرى
يدلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمرا
وفي يمناي ماضي الحدِّ أبقى بمضربهِ قراعُ الموتِ اثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباهُ بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عمرا
وقلبي مثلُ قلبك ليس يخشى مصاولةً فكيف يخافُ ذعرا
وأنت ترومُ الاشبالِ قوتًا واطلبُ لابنةِ الاعمامِ مهرا
ففيمَ تسومُ مثلي أن يولّي ويجعلَ في يديك النفس قسرا
نصحتكَ فالتمس ياليثُ غيري طعامًا ان لحمي كانَ مرًّا
فلما ظن أنَّ الغشَّ نصحي وخالفني كأني قلتُ هُجرا
مشى ومشيتُ من أسدين راما مرامًا كانَ اذ طلباهُ وعرا
هززتُ لهُ الحسام فخلتُ أني سللتُ بهِ لدى الظلماء فجرا
وجُدت له بجائشةٍ أرته بأن كذبتهُ ما منّتهُ غدرا (١)
واطلقتُ المهندَ من يميني فقدَّ له من الاضلاع عشرا
فخرَّ مجدَّلاً بدمٍ كأني هدمتُ به بناءً مشمخرًّا
وقلتُ لهُ يعزُّ عليَّ أني قتلتُ مُناسبي جلدًا وفخرا
ولكن رمتَ شيئًا لم يرمهُ سواك فلم أطق ياليث صبرا
تحاولُ أن تعلمني فرارًا لعمر ابيك قد حاولت نكرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرًّا يحاذر ان يعاب فمتَّ حرًّا
فان تكُ قد قُتلت فليس عارًا فقد لاقيت ذا طرفين حرًّا

وهذا هو بالنفس نسق هوميروس في استتمام مزايا موصوفاته . وان هذه الافاضة في التمثيل ضعفت كثيرًا في شعر المخضرمين ومن وليهم

(١) الجائشة النفس . يتهكم على الاسد ويقول اظهرت لهُ اني جدت له بنفسي ولكن نفسي كذبته تلك الامنية وفتكت به

وقد كان ذلك اسلوب الجاهليين في جميع ما مثّلوه بشعرهم مما يتناول احوال الحرب والسلم والعادة والخلق والمعيشة في الاقامة والتسيار

واذ كان محسوسهم خشناً ومطالعاتهم غير ممتدّة كثيراً الى ماوراء الحروب واخبار القبائل كان معظم شعرهم في ما وافق ذلك المحسوس وتلك المطالعات فأفاضوا في وصف البوادي والقفار واكثروا من وصف معيشتهم واحوالها ومدح الكرم والوفاء وقِرى الضيف واسهبوا في ذكر ما لديهم وحواليهم من سلاحٍ وخيلٍ وابلٍ وما اشبه من معدّات زمانهم ومكانهم

ومع هذا فان لغتهم وان كان فيها شيءٌ كثيرٌ من خشونة معيشتهم فقد كانت متسعة للغرام والحكَم الرائعة والحماسة ووصف الشعائر والاخلاق فتلك جميعها امورٌ منطبعة في فطرة الجاهلي انطباعها في نفوس اعرق الخلق في الحضارة . بل ربما كانت اصفى وانقى في اذهان ابناء البادية . فايُّ شعر في الفخر والحماسة اسمى من قول السموءَل :

اذا المرءُ لم يدنس من اللؤم عرضهُ ... فكل رداءٍ يرتديه جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها ... فليس الى حسن الثناء سبيلُ
تعيرُنا انَّا قليلٌ عديدنا ... فقلت لها ان الكرامَ قليلُ
وما قلَّ من كانت بقاياه مثلنا ... شبابٌ تسامى للعلى وكهولُ
وما ضرَّنا انَّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الاكثرين ذليلُ
لنا جبلٌ يحتله مَن نجيرهُ ... منيعٌ يرد الطرف وهوَ كليلُ
رسا أَصله تحت الثرى وسما به ... الى النجم فرع لا ينالُ طويلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ ... يعزُّ على من رامه ويطولُ
وانَّا لقومٌ لا نرى القتل سبةً ... اذا ما رأَته عامرٌ وسلولُ
يقرب حب الموت آجالنا لنا ... وتكرههُ آجالهم فتطولُ
وما مات منا سيدٌ حتف أَنفه ... ولا طُل يوماً حيث كان قتيلُ
تسيلُ على حد الظبات نفوسنا ... وليست على غير الظبات تسيلُ

صفونا ولم نكدُرْ واخلص سرَّنا ... اناثٌ أَطابت حملنا وفحولُ
علونا الى خير الظهورِ وحطنا ... لوقتٍ الى خير البطون نزولُ
فنحن كماء المزن ما في نصابنا ... كهامٌ ولا فينا يعدُّ بخيلُ
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقولُ
اذا سيّد منا خلا قام سيدٌ ... قؤول لما قال الكرام فعولُ
وما أُخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ ... ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ
وايامنا مشهورةٌ في عدوّنا ... لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ
واسيافنا في كل شرقٍ ومغربٍ ... بها من قراع الدارعين فلولُ
معوَّدةٌ ان لا تسل نصالها ... فتغمد حتى يستباحَ قتيلُ
سلي ان جهلتِ الناسِ عناوعنهمُ ... فليس سواءً عالمٌ وجهولُ
فان بني الريان قطب لقومهم ... تدورُ رَحاهم حولهم وتجولُ

واي قول في الحكمة احسن من قول زهير :

وأَعلم ما في اليوم والامسِ قبلهُ ... ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عمِ
رأَيت المنايا خبط عشواء من تصبْ ... تمته ومن تخطىء يعمرْ فيهرمِ
ومن لا يصانعْ في أُمورٍ كثيرةٍ ... يضرَّس بأَنيابٍ ويوطأْ بمنسمِ
ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ ... يفرْهُ ومن لا يتق الشتمَ يشتمِ
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلهِ ... على قومه يستغنَ عنه ويذْمِ
ومن يوف لا يذْممْ ومن يهدَ قلبهُ ... الى مطمئنّ البرِّ لا يتجمجمِ
ومن هابَ اسبابَ المنايا ينلنهُ ... وان يرقَ اسبابَ السماء بسلَّمِ
ومن يجعل المعروف في غير اهلهِ ... يكن حمدهُ ذمًّا عليهِ ويندمِ
ومن يعص اطراف الزجاجِ فانهُ ... يطيع العوالي ركّبت كل لهذَمِ
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحهِ ... يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلمِ
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ... ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومن لم يزل يسترحلُ الناس نفسهُ ... ولا يعفها يومًا من الذل يندمِ

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تعلمِ
وكائنْ ترى من صامتٍ لك مُعجبٍ زيادتهُ او نقصهُ في التكلمِ
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يبقَ الا صورةُ اللحم والدمِ
وانَّ سفاهَ الشيخ لاحلمَ بعدهُ وانَّ الفتى بعد السفاهة يحلمِ
سألنا فأعطيتم وعدنا وعدتمُ ومن اكثر التسآلَ يوماً يُحرمِ

واليك مثالاً في الغزل من يتيمة سوَيد بن ابي كاهل اليشكري :

بسطتْ رابعةُ الحبلَ لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسعْ (١)
حُرَّةٌ تجلو شتيتاً واضحاً كشعاعِ الشمس في الغيم سطعْ (٢)
صقلتهُ بقضيب ناضرٍ من أراكٍ طيّبٍ حتى نصعْ (٣)
ابيض اللون لذيذاً طعمهُ طيِّبَ الريق اذا الريق خدعْ (٤)
تمنح المرآةَ وجهاً واضحاً مثلَ قرن الشمس في الصحو ارتفعْ
صافيَ اللون وطرفاً ساجياً أكحلَ العينين ما فيه قمعْ (٥)
وقروناً سابغاً اطرافها غلَّلتها ريح مسك ذي فنعْ (٦)
هيجَ الشوق خيالٌ زائر من حبيبٍ خفرٍ فيه قدعْ (٧)
آنس كان اذا ما اعتادني حال دون النوم مني فامتنعْ
وكذاك الحبُّ ما اشجعهُ يركب الهول و يعصي من وزَعْ

(١) الحبل تعني الوصل او العهد والميثاق . وما اتسع اي بقدر امتداده
(٢) الشتيت الثغر المفلج
(٣) اراد بالقضيب الناضر المسواك
(٤) يقال خدع ريقه اذا تغير
(٥) الساجي القليل التحرك . والقمع كدر في لحم الموق
(٦) القرون الذوائب . وغللتها دخلت فيها . والفنع الكثرة
(٧) الخفر الحياء . والقدع الرد يقال قدعته اي رددته

فأَبيت الليـل ما أَرقبـهُ وبعينيَّ اذا نجمٌ طلعْ [1]
واذا ما قلت ليـل قد مضى عطفَ الاوّلُ منـه فرجعْ
يسحب الليـل نجوماً ظُلَّعاً فتواليهـا بطيئات التبـعْ
ويزجّيهـا عـلى ابطائهـا مُغربَ اللون اذا اللون انقشعْ [2]
فدعاني حبُّ سلمى بعد ما ذهب الجِدَّةُ مني والرَّيعْ [3]
خبلتـني ثم لما تشـفني ففؤادي كل أوبٍ ما اجتمعْ
ودعتـني برُقاها انهـا تُنزلُ الاعصمَ من رأْس اليفعْ
تُسمعُ الحـدّاثَ قولاً حسناً لو أَرادوا غـيره لم يُستمعْ
كم قطعنا دون سلمى مهمهاً نازحَ الغوْرِ اذا الآلُ لمعْ
في حَرورٍ ينضج اللحمُ بها يأْخذ السائرَ منها كالصقعْ [4]

وهم وان لم يبلغوا في الغزل رقة المتأَخرين فلهم بوصفه سذاجةٌ تقول كثيراً من المعنى في الكلام القليل ولا سيما اثناء مزجه بذكر الحروب كقولهم في ما ينسب الى عنترة :

ولقد ذكرتكِ والرماح نواهلٌ مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددتُ تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسمِ

تلك كانت على الجملة منازعهم في شعرهم وذلك هو نتاج قرائح الجاهلية وانت ترى ان اصحاب تلك القرائح لم يكونوا ابناء جاهليةٍ جهلاء من الجهل بل ما احراهم ان يكون أُطلق عليهم ذلك لشيوع عبادة الاوثان بينهم ولعلَّ هذا هو المراد بما جاء في سورة المائدة « افحكم الجاهلية يبغون » اذ قالوا في تفسيرها

(١) ويروى ويعنّيني اي يتعبني يقول انه ساهرٌ ليس ينام فهو يراعي النجوم
(٢) المغرب الابيض يعني بياض الصبح · وانقشع ذهب · ويزجيها يسوقها
(٣) الربع اول الشباب
(٤) الحرور الريح الحارة · والصقع حرارة تصيب الرأْس

الملة الجاهلية

وقد اوردنا من قولهم فضلاً عما تقدم امثلةً شتى من مرادفات اقوال هوميروس في شرح الالياذة

ومدة هذا الطور الشعري زهاء مئة وخمسين عاماً . ومن صفوة فحوله امرؤ القيس وطرفة بن العبد والحارثة بن حلِّزة وعمرو بن كلثوم وعنترة العبسي وزهير ابن ابي سلمى ولبيد بن ربيعة وهؤلاء هم اصحاب المعلقات والنابغة الذبياني والمهلهل والاعشى الاسدي وعديُّ بن زيد وعبيد بن الابرص وبشر بن ابي حازم وامية ابن ابي الصلت والسموأل والشنفرى ودريد بن الصمَّة

ومزيته البساطة والبداهة واقتفاء الفطرة وتمثيل الحقيقة في رسم الطبيعة . فهو في جميع ذلك اعلى طبيعةً من شعر المتاخرين من العرب ولا يفوقه شيءٌ من شعر المتقدمين من سائر الامم حتى اليونان والرومان

الطبقة الثانية

او شعراء المخضرمين وشعراء الدولة الاموية

علمتَ ان النهضة الشعرية كانت في رَيعانها عند ظهور الاسلام فجاء القرآن واسكت الشعراء . وما اسكتهم الا ليزيد نهضتهم استحكاماً ويملأ حوافظهم ببلاغته الخلاَّبة . فاندفعوا اندفاع السيل المنهمر واذهانهم ملأًى بما ادَّخرت من الشعر الجاهلي وما ضمَّت اليه من البلاغة القرآنية فاجتمعت لهم بداهة الفكر وسموّ التصوّر ودقة التعبير

وقد أُلحقتُ شعراء الدولة الاموية بالمخضرمين اولاً — لان النفحة القرآنية اثارت نفوسهم إثارتها للمخضرمين لقرب عهدهم بها . فنفَس حسَّان ونفَس الفرزدق واحد . وجرير يماثل كعب بن زهير ومثله الاخطل وان كان نصرانياً . بل ربما علت طبقة شعراء الدولة الاموية عمن تقدمهم من المخضرمين في البلاغة لشبوبهم عليها وتأصُّلها في نفوسهم

وثانياً — لان الشعراء كانوا اعزَّ نفساً وارفع شأناً في الدولة الاموية منهم في الدولة العباسية وما وليها · وسببه ان الدولة الاموية قامت على كُره من الفريق الاعظم من المسلمين فكانت في حاجة الى استمالة الشعراء فدلُّوا وعزُّوا ولم يهينوا كما هانوا بعد ذلك الزمن اذ باتوا يطلبون الزلفى تقرُّباً من الخلفاء وبطانتهم طمعاً بمال وجرًّا لمغنم وشتان ما كرامة المتزلّف والمترفع · فحسَّان مدح النبي ولكنه مدحه شغفاً بمناقبه · وتصح المشاكلة بينه وبين الفرزدق في مدح زين العابدين عليّ بن الحسين ولكنها لاتصحُّ بينهما وبين مُدَّاح معظم المولَّدين والمحدثين

وثالثاً — لان شعراء العرب حتى اواخر الدولة الاموية لم يألفوا ترف الحضارة المتسرّب اليهم من الرومان والفرس بالمخالطة فبقيت مسحة الفطرة الجاهلية ظاهرةً في شعرهم فهم والمخضرمون طبقةٌ واحدة لا يتخللها فاصل

ثم انه بالنظر الى معنى لفظة المخضرم في عُرف كتَّاب العرب لا ينكر اطلاقها على شعراء الدولة الاموية لانهم قد يعنون بها كل متوسط بين عصرين كما اطلقوها على مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية يريدون بهم الذين ادركوا الثانية من شعراء الاولى · فلا بأس علينا بهذا الاعتبار ان نطلقها توسعاً على شعراء الدولة الاموية لتوسط كثيرين منهم بين الخلفاء الراشدين ودولة بني امية والتصاق الباقين بهم

فيبقى علينا النظر في المتأخرين من شعراء بني امية الذين ادركوا دولة بني العباس · فامثال هؤلاء يقال فيهم ما تقدم في متأخري الجاهليين الذين ادركوا الاسلام · فمن ربا شعرهُ في دولة الامويين وبقيت فيه صبغة المخضرمين كان مخضرماً ومن ربا شعره في دولة العباسيين فكان قولهُ اميل الى الرقة منه الى البلاغة كان مولَّدًا · ولا يخرج عن هذا التعريف الا نوابغ قليلون كبشَّار بن بُرْد الذين عاصر الدولتين ولبس الحلتين وفصَّل من الشعر ما شاء لما شاء فكان من ابلغ المخضرمين بقوله :

ابى طللٌ بالجزع ان يتكلما وما ذا عليه لو اجاب متيَّما

و بالجزع آثار بقينَ و باللوى ملاعب لايعرفن الا توهُّما

ومن ارقّ المولَّدين شعرًا بقوله :

لمستُ بكفي كفهُّ ابتغي النَّدى ولم أَدرِ ان الجود من كفهِ يعدي
فلا انا منه ما افاد ذوو الغنى أَفدتُ واعداني فاتلفتُ ماعندي

ومثَل بشّار في المخضرمين مثل النابغة الجعدي في الجاهليين فللنابغة شعرٌ جاهليّ عريقٌ في البداوة · وهو القائل ايضًا :

الحمـد لله لاشريك لهُ من لم يقلها فنفسه ظلما
المولج الليل في النهار وفي الليـ ـل نهارًا يفـرّج الظلما
الخافظ الرافع السماء على الار ض ولم يبن تحتها دعما
الخالق البارئُ المصوّر في الأَر حام ماءً حتى يصـير دما

وليس في شعر المخضرمين شيءٌ ينطبق على المعاني القرآنية و يمثّل بلاغتها كهذه الابيات

وقد كان شعر المخضرمين آيةً في علو الطبقة ومتانة السبك يربو بهما على ما تقدم عنه وما تأَخر من سائر الشعراء · ولكن مبلغهم من الرقيّ في الحضارة اضعف فيهم نزعة المتقدمين الفطرية فقصروا فيها عن المتقدمين · ولم يمكّنهم من التأَنق في المعيشة بما استتب للعرب بعدهم من مزيّنات العمران فلم يدركوا شأو المولدين بالرقة والتصرف بالمعاني · وفي ما سوى ذلك كان شعرهم غاية الغايات

ولا فرق في ذلك بين شعراء النبي والخلفاء الراشدين كحسان بن ثابت وكعب بن زهير وشعراء الدولة الاموية كذي الرمة وعبيد الراعي بل ربما كان شعر الدولة الاموية أَعرق في البلاغة كما تقدم · وفي ما يلي من امثلة شعرهم ما يؤيد هذا القول

قال حسان يمدح النبي ويفتخر:

الله اكرمنا بنصر نبيــهِ وبنا اقام دعائم الاسلامِ
وبنا اعزّ نبيــهُ وكتابهُ واعزّنا بالضرب والاقدامِ

في كل معتركٍ تطير سيوفنا فيه الجماجم عن فراخِ الهامِ
ينتابنا جبريل في ابياتنا بفرائض الاسلام والاحكامِ
يتلو علينا النور فيها محكماً قسماً لعمرك ليس كالاقسامِ
فنكون اول مستحلّ حلاله ونحرّمٍ لله كل حرامِ
نحن الخيار من البرية كلها ونظامها وزمامُ كل زمامِ
الخائضو غمرات كل منيةٍ والضامنون حوادث الايامِ
سائل ابا كربٍ وسائل تُبّعاً عنا واهل العتر والازلامِ
انا لنمنع من اردنا منعه ونجود بالمعروف للمعتامِ
وترد عادية الخميس سيوفنا ونقيم رأس الاصيد القمقامِ
فلئن فخرت بهم لمثل قديمهم نخر اللبيب بهِ على الاقوامِ

ودونك مثالاً من مشوبة كعب بن زهير التي مطلعها : بانت سعاد . . . وقد وجّهها الى النبي يعتذر اليه فامّنه بعد ان كان اهدر دمه

تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتولُ
وقال كل خليل كنت آمله لا أُلهينك اني عنك مشغولُ
فقلت خلوا سبيلي لا أباً لكمُ فكل ما قدر الرحمن مفعولُ
كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمولُ
انبئت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هداك الذي اعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوال الوشاة ولم اذنب وان كثرت فيّ الاقاويلُ
لقد اقوم مقاماً لو يقوم به ارى واسمع ما لو يسمع الفيلُ
لظل يرعد الا ان يكون له من النبي باذن الله تنويلُ

فقد جمع في هذه الابيات القليلة بين الاعتذار والحكمة والمدح والفخر بأبدع اسلوب وابلغ عبارة

ومن قول الاخطل في الهجو :

وكنت اذا لقيتُ عبيد تيمٍ وتيماً قلتُ ايُّهمُ العبيدُ
لئيم العالمين يسود تيماً وسيدهم وان كرهوا مَسودُ

وقد زعم الاخطل انه اهجى العرب بهذين البيتين

ومن امثلتهم في النسيب قول ذي الرمة :

الا يا أسلمي يادار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ
لها بشرٌ مثل الحرير ومنطقٌ رخيم الحواشي لاهراءٌ ولا نزرُ
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمرُ

ومَن ابلغ من الامام علي بن ابي طالب اذ قال مبتهلاً لله تعالى :

لك الحمد ياذا المجد والجود والعلا تباركت تعطي من تشاء وتمنعُ
الهي وخلاّقي وحرزي وموئلي اليك لدى الاعسار واليسر افزعُ
الهي لئن خيبتني او طردتني فمن ذا الذي ارجو ومن اتشفعُ
الهي لئن جلّت وجمت خطيتي فعفوك عن ذنبي اجلُّ وأوسعُ
الهي لئن اعطيت نفسيَ سؤْلها فها انا في روض الندامة ارتعُ
الهي ترى حالي وفقري وفاقتي وانت مناجاتي الخفية تسمعُ
الهي فلا تقطع رجائي ولا تزِغْ فؤادي فلي في باب جودك مطمعُ
الهي أجرني من عذابك انني أسيرٌ ذليلٌ خائفٌ لك اخضعُ
الهي فآنسني بتلقين حجتي اذا كان لي في القبر مثوًى ومضجعُ
الهي لئن عذّبتني الف حجةٍ فحبل رجائي منك لا يتقطعُ
الهي اذا لم ترعني كنت ضائعًا وان كنت ترعاني فلست أُضيعُ
الهي اذا لم تعفُ عن غير محسنٍ فمن لمسيءٍ بالهوى يتمتعُ
الهي لئن قصرت في طلب التقى فلست سوى ابواب فضلك اقرعُ
الهي اقلني عثرتي وامح حوبتي فاني مقرٌّ خائف اتضرّعُ
الهي لئن خيبتني او طردتني فما حيلتي يا رب أم كيف أصنعُ
الهي حليف الحب بالليل ساهرٌ يناجي ويبكي والمغفل يهجعُ

وكلهم يرجو نوالك راجيًا لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمعُ
الهي يمنيني رجائي سلامةً وقبح خطياتي عليَّ يشنعُ

وان من اصدق الامثلة على علو طبقة هذه الطائفة من الشعراء قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين التي قيل ان اهل البيت لم يمدحوا بمثلها ولهذا اوردناها بطولها وهي : [1]

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرمُ
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ
اذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمى الى ذروة العزّ التي قصرت عن نيلها عرب الاسلام والعجمُ
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلمُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسمُ
من جدُّه دان فضل الانبياء له وفضل امته دانت له الامُ
ينشقُّ نور الهدى من نور غرّته كالشمس ينجابُ عن اشراقها الظلمُ

(١) قال الفرزدق هذه القصيدة يوم حج هشام بن عبد الملك الاموي وطاف بالبيت واراد ان يستلم الحجر الاسود فلم يصل اليه لكثرة الزحام فنُصب له منبر فجلس عليه وحوله جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين يريد الطواف فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى الناس له حتى استلم الحجر فقال رجل من اهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فقال هشام لا أعرفهُ مخافة ان يرغب فيه اهل الشام وكان الفرزدق حاضرًا فقال انا اعرفه وانشد بعد ذلك هذه القصيدة . فغضب هشام وحبس الفرزدق بعسفان فعلم زين العابدين وارسل اليه اربعة آلاف درهم فردّها الفرزدق وكتب اليه انما مدحتك بما أنت اهل له فأعادها زين العابدين وقال تعاون بها على دهرك فانّا اهل بيت النبي اذا وهبنا شيئًا لا نستعيده . وقالوا كفى بالفرزدق ان يكون قال هذه القصيدة حتى يدخل الجنة

مشتقة من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله بجدّه انبياء الله قد ختموا
الله فضله قدماً وشرّفه جرى بذاك له في لوحهِ القلمُ
وليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من انكرت والعجمُ
كلتا يديه غياثٌ عمَّ نفعهما يستوكفان ولا يعروهما العدمُ
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والكرمُ
حمال اثقال اقوامٍ اذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعمُ
ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد كانت لاءه نعمُ
لا يخلف الوعد ميمونٌ نقيبته رحب الفناء اريبٌ حين يعترمُ
عمَّ البرية بالاحسان فانقصلت عنه القتارة والاملاق والعدمُ
من معشرٍ حبهم دينٌ وبغضهم كفرٌ وقربهم منجىً ومعتصمُ
ان عدَّ اهل التقى كانوا أئمتهم او قيل من خير اهل الارض قيل هُمُ
لا يستطيع جواد بُعد غايتهم ولا يدانيهم قومٌ وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمةٌ ازمت والاسد اسد الشرى والبأس محتدمُ
لا ينقصُ العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
يُستدفعُ السوء والبلوى بحبهم ويُستزاد به الاحسان والنعمُ
مقدَّمٌ بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدءٍ ومختومٌ به الكلمُ
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خيم كريم وأيدٍ بالندى عصمُ
ايُّ الخلائق ليست في رقابهم لاوليّة هذا او له نعمُ
من يعرف الله يعرفْ اوَّلية ذا والدين من بيت هذا ناله الامُمُ

هذا جلُّ ما يمكن ايراده في مثل هذا الموضع من شعر ابناء هذه الطبقة ومزيته كما ترى بلاغةٌ في المعنى ومتانةٌ في التعبير واحكام في التركيب مع ميلٍ الى الرقة. وتلك ايضاً من مزايا الالياذة. فان بلاغة الاصل لا تفوقها بلاغةٌ في الكلام اليوناني. فان ظهر تقصيرٌ في التعريب فتبعتهُ على المعرب دون

المنشيء . وان فيها من متانة التعبير ما لا يفوقه شيءٌ في شعر جميع الامم ولا سيما في مشاكلة الالفاظ للمعاني وحكاية الاصوات مما اشرنا اليه في مواضعه

ومدة هذا الطور الشعري مئة وخمسة وثلاثون عاماً تبتدىء من الهجرة وتنتهي بقيام الدولة العباسية

وعروة وصله مع الطور الاول او طبقة الجاهليين النابغة الجعدي وامثاله . ومع الطور الثاني او طبقة المولدين بشَّار بن بُرْد

وفحوله في صدر الاسلام حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة ومالك بن نُوَيره والعباس بن مرداس والنمر بن تولب وابو ذؤيب الهجلي . وفي عصر الدولة الاموية القطامي والاخطل النصرانيان وجرير الخطفي والفرزدق وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت بن زيد وارطاة بن سمية والاعشى ابن ربيعة والاعشى التغلبي

الطبقة الثالثة

المولَّدون او شعراء عصر العباسيين

قامت الدولة العباسية سنة ١٣٢ للهجرة (٧٥٠ م) والسلطنة الاسلامية موطدة الدعائم مشيدة الاركان وغزاة العرب ضاربون في المشارق والمغارب يقوضون ما تداعى من مباني الفرس والرومان فينبذون الانقاض البالية و يشيدون على اسس الحزم دولةً قيض الله لها ان تكون دولة العزَّة والسلطان في ذلك الزمان . فامتلأَت خزائن الخلفاء بكسب المجاهدين وجباية الاموال وتسرَّب ما فاض منها الى بيوت المقرَّبين وصنائعهم من اميرٍ وفقيرٍ وعميد وشريد . فذاقوا حلو حضارة الدولتين الهاويتين وتبدلوا مرقعة عمر ذلك الدثار الرثّ الذي ضمَّ بين رُدينه عماد الاسلام والمسلمين ببزَّة الخزّ والديباج . وعُلالته من لبنٍ وتمرٍ وايسر الادام بشهيّ طعامٍ لُماظته الفالوذ والسكباج . وذلك الرَّحل على بعيرٍ قارح يمتطيه الخادم والمخدوم وهما سواءٌ في شرع الاسلام بالسروج الموشَّاة على الجياد المطهمة تحفُّ بها مواكب الحشم والغلمان . فعلت القصور

ووُشّيت الخدور وزها الرياش وانبسط المعاش . والشعراء من افراد تلك الامة يرقون رُقيّها في معارج العمران

زعموا ان شاعرًا بدويًّا من رعاة الماشية ممن دبَّ وشبَّ بين الكباش والنعاج قدم حاضرةً عامرة فاكرمه صاحبها فمدحه بهذين البيتين :

انت كالدَّلو لا عدمناك دلوًا   من كثير العطا قليل الذنوبِ
انت كالكلب في الحفاظ على الو   دّ وكالتيس في قراع الحروبِ

فهمَّ بعض اعوان الامير بقتله فقال الامير خلِّ عنه فذلك ما وصل اليه علمه ومشهوده . ولقد توسمت فيه الذكاء فليقم بيننا زمنًا وقد لانعدم منه شاعرًا مجيدًا . فما اقام بضع سنين في سعة عيش وبسطة حال حتى قال الشعر الرقيق الآخذ بمجامع القلوب وهو في زعم بعضهم صاحب الابيات التالية :

يا من حوى ورد الرياض بخدّه   وحكى قضيب الخيزران بقدّهِ
دع عنك ذا السيف الذي جرّدته   عيناك امضى من مضارب حدّهِ
كلُّ السيوف قواطع ان جردت   وحسام لحظك قاطعٌ في غمدهِ
ان رمت تقتلني فانت مخيرٌ   من ذا يعارض سيدًا في عبدهِ

ومهما يكن قدر الصحة من هذه القصة المرويَّة على اساليب مختلفة فان فيها اشارة بيّنة الى تأثير الاحوال بافكار الرجال وفعل الحضارة بقرائح الشعراء

وهذا كان شأن الشعراء في زمن الدولة العباسية فانهم رتعوا في ارجاء ذلك الملك الفسيح متربعين بعد شظف العيش على الطنافس الوثيرة في المنازل الانيقة امام الحدائق الغناء . وخلفاؤهم يصعدون بالامة في سلم المدنية يحرصون على استثمار ذلك الفتح المبين فيدّخرون ما تلقّوه عمن تقدمهم ولا يألون جهدًا في احكامه واتقانه حتى بهروا الغرب بما تجمع لديهم من ذخائر السلف النفيسة . وان التحف الغراء التي كان هارون الرشيد ينفح بها شارلمان من غرر تلك الكنوز ومن جملتها ساعته التي تلقاها سلطان المغرب آيةً من الآيات لا تبقي مجالاً للريب في مبلغ الثروة العباسية واستحكام النهضة وسريانها من العراق

الى مصر والشام والاندلس وسائر البلاد التي طرقها المسلمون

فلا بدع وكل ذلك مشهود الشعراء ان تتثقف اذهانهم وتتروَّض نفوسهم وتتسع مداركهم ويرق تصوُّرهم ويمرحوا في روضٍ من الشعر اريض يجولون فيه جولةً لم تتوفر اسبابها لسلفائهم

ولهذا لم يكن لشاعرٍ جاهليّ او مخضرم ان يبدع ابداع الرقاشيّ بقوله :

نبهت ندماني الموفي بذمته ... من بعد اتعاب طاساتٍ واقداحِ
فقال خذ واسقني واشرب وغنّ لنا ... يا دار مثواي بالقاعين فالساحي
فما حسا ثانياً او بعض ثالثةٍ ... حتى استدار وردَّ الراح بالراحِ

او يرقّ رقّة ابي نُواس بقوله :

ومستطيلٍ على الصهباء باكرها ... في فتية باصطباح الراح حذّاقِ
فكل شيءٍ رآه ظنه قدحاً ... وكل شخص رآه قال ذا الساقي

فلا ريب ان هذين القولين اوقع في النفس من قول عنترة :

ولقد شربت مع الندامى بعد ما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ
بزجاجة صفراء ذات اسرّةٍ ... قرنت بازهر بالشمال مفدمِ

فاذا ابدع عنترة بهذا الوصف في زمانه بين قوم يهيمون في الفلوات على ظهور الابل بين مضارب البادية فانه لا يطرب جلساءَ ابي نواس والرقاشي في محافل الانس ومغاني التأنق والعيش الرغيد

وقد بلغ المولدون الدرجة القصوى من التصرف بالمعاني وجزالة اللفظ ودقة السبك فصعدوا بالشعر درجةً لم يبلغها المتقدمون وهيهات ان يدركها المتأخرون . وكان هذا ديدن الفريق الاعظم منهم في جميع الابواب التي طرقوها . فايُّ غزلٍ ارق من قول ابي نواس :

حامل الهوى تعبُ ... يستخفه الطربُ
ان بكى يحق له ... ليس ما به لعبُ
تضحكين لاهيةً ... والمحبُّ ينتحبُ

كلما انقضى سببٌ منك جاءني سببُ
تعجبين من سقمي صحتي هي العجبُ

وقول البحتري: كيف اغدو من الصبابة خلوًا بعد ما راحت الديار خلاء
قف بها وقفةً تردُّ عليها أدمعًا ردَّها الهوى انضاء
ان للبين منَّةً لا تؤدّى ويدًا في تُماضرٍ بيضاء
حجبوها حتى بدت لفراقٍ كان داءً لعاشقٍ ودواء
اضحك البين يوم ذاك وابكى كلَّ ذي صبوةٍ وسرَّ وساء
فجعلنا الوداع فيه سلامًا وجعلنا الفراق فيه لقاء
ووَشت بي الى الوشاة دموع الا عين حتى حسبتها اعداء

واي تشبيه ابدع من قول ابن المعتزّ في القلم:

قلمٌ ما اراهُ ام فلكٌ يجـ ري بما شاء قاسمٌ و يسيرُ
راكعٌ ساجدٌ يقبّل قرطا سًا كما قبّل البساط شكورُ

وقولهُ: من لي بقلبٍ صيغ من صخرةٍ في جسدٍ من لؤلؤٍ رطبِ
جرحتُ خدَّيه بلحظي فما برحتُ حتى اقتصَّ من قلبي

ومثله قول ابن الرومي في قوس الغمام:

وساقٍ صبيحٍ للصبوح دعوته فقام وفي أجفانه سنةُ الغمضِ
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍّ علينا ومنفضِّ
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفًا على الجوّ دُكنًا والحواشي على الارضِ
يطرّزها قوس السحاب بأخضرٍ على احمرٍ في اصفرٍ اثر مبيضِّ
كاذيال خودٍ اقبلت في غلائلٍ مصبَّغةٍ والبعض اقصر من بعضِ

واي كلامٍ في المدح اطلى من قول ابن هانئ:

قد طيَّب الاقطار طيب ثنائه من اجل ذا تجد الثغور عذابا
لم تدنني ارضٌ اليك وانما جئتُ السماء ففتّحت ابوابا
ورأيت حولي وفدَ كلِّ قبيلةٍ حتى توهّمت العراق الزابا

ومن تُرى اعلى كعباً بالحكمة والزهد من ابي العلاء وهو القائل :

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنّم شادِ
وشبيهٌ صوتُ النّعيّ اذا قيـ ـس بصوت البشير في كل نادِ
أبكتْ تلكمُ الحمامةُ أم غنّـ ـت على فرع غصنها الميّـادِ
صاح هذي قبورنا تملأُ الرّحـ ـب فأين القبورُ من عهدِ عادِ
خفِّف الوطءَ ما اظنُّ أديمَ الـ ـارض الا من هذهِ الاجسادِ
وقبيحٌ بنا وان قدُمَ العهـ ـدُ هوانُ الاباء والاجدادِ
سِرْ إنِ اسطعتَ في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفاتِ العبادِ
ربَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحمِ الاضدادِ
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الازمان والآبادِ
فاْسأَل الفرقدين عمَّن احسَّا من قبيلٍ وآنسا من بلادِ
كم اقاما على زوال نهارٍ وانارا لمدلجٍ في سوادِ
تعبٌ كلُّها الحياةُ فما اعـ ـجبُ الا من راغبٍ في ازديادِ
انَّ حزناً في ساعة الموت اضعا ف سرورٍ في ساعة الميلادِ
خُلقُ الناس للبقاء فضلَّت أُمـة يحسبونها للنفادِ
انما يُنقلون من دار اعما لٍ الى دار شقوةٍ او رشادِ
ضجعة الموت رقدةٌ يستريح الـ ـجسم فيها والعيش مثل السهادِ

ومن ابدع ابداع ابي الطيب بالتصرف بالمعاني وجمع شتاتها ويكفيك قولهُ :

غابَ الاميرُ فغاب الخيرُ عن بلدٍ كادت لفقد اسمهِ تبكي منابرهُ
قد اشتكتْ وحشةَ الاحياءِ اربعهُ وخبَّرت عن اسى الموتى مقابرهُ
حتى اذا عُقدتْ فيه القبابُ لهُ أهلَّ للّهِ باديه وحاضرُهُ
وجدَّدت فرحاً لا الغمُّ يطرُدُهُ ولا الصبابةُ في قلب تجاورهُ
اذا خلت منك حمصٌ لا خلت ابداً فلا سقاها من الوسميّ باكرهُ
دخلتَها وشُعاع الشمسِ متقدٌ ونورُ وجهكَ بين الخلق باهرُهُ

في فيلقٍ من حديدٍ لو قذفتَ به صرفَ الزمان لما دارت دوائرهُ
تمضي المواكبُ والابصارُ شاخصةٌ منها الى الملكِ الميمونِ طائرهُ
قد حرنَ في بشرٍ في تاجهِ قمرٌ في درعه اسدٌ تدمى اظافرهُ
حلوٍ خلائقهُ شوْسٍ حقائقهُ تحصي الحصى قبل ان تحصى مآثرهُ
تضيق عن جيشه الدنيا ولو رحُبت كصدره لم تبنْ فيها عساكرهُ
اذا تغلغل فكرُ المرءِ في طرفٍ من مجدهِ غرقتْ فيه خواطرهُ
تحمي السيوف على اعدائه معهُ كأنهنَّ بنوهُ او عشائرهُ
اذا انتضاها لحرْب لم تدع جسداً الاَّ وباطنهُ للعينِ ظاهرهُ
فقد تيقَّنَّ ان الحق في يده وقد وثقن بأنَّ الله ناصرهُ
تركن هام بني عوفٍ وثعلبةٍ على رؤوس بلا ناسٍ مغافرُهُ
فخاض بالسيف بحر الموت خلفهمُ وكان منه الى الكعبين زاخرهُ
حتى انتهى الفرسُ الجاري وماوقعت في الارض من جيفِ القتلى حوافرهُ

واي حنين اوقع في النفس واعظم ايثاراً للعاطفة واصدق رسماً لرقة شعر المولدين من فراقية ابي الحسن عليّ بن زريق البغدادي . وان لنا من سموّ معاني القصيدة التالية وجزالة الفاظها عذراً على ايرادها كلها مثالاً على شعر النوابغ من ابناء هذه الطبقة : [١]

لا تعذليه فان العذل يولعهُ قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعهُ

(١) كانت له ابنة عمٍّ كلف بها اشد الكلف ثم ارتحل عنها من بغداد لفاقةٍ علتهُ فقصد ابا الخيبر عبد الرحمن الاندلسي في الاندلس ومدحهُ بقصيدة بليغة فاعطاه عطاءً قليلاً . فقال ابن زريق انا لله وانا اليه راجعون سلكت القفار والبحار الى هذا الرجل فاعطاني هذا العطاء . ثم تذكر فراق ابنة عمه وما بينهما من بعد المسافة وتحمل المشقة مع ضيق ذات يدهِ فاعتل غمَّاً ومات . قالوا واراد عبد الرحمن بذلك ان يختبره فلما كان بعد ايام سأل عنه فتفقدوه في الخان الذي كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه رقعةٌ مكتوبٌ فيها هذه القصيدة

جاوزت في نصحهِ حدًّا اضرَّ بهِ — من حيث قدّرتِ انَّ النصح ينفعهُ
فاستعملي الرّفق في تأديبه بدلاً — من عنفه فهو مضنى القلب موجعهُ
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله — فضلّعت بخطوب البين اضلعهُ
يكفيه من لوعة التشتيت ان له — من النوى كل يومٍ ما يروّعهُ
ما آب من سفرٍ الاّ وأزعجه — عزمٌ الى سفرٍ بالرغمِ يزمعهُ
تأبى المطالب الاّ ان تكلفه — للرزق سعياً ولكن ليس يجمعهُ
كأنما هو في حلٍّ ومرتحلٍ — موكلٌ بفضاء الله يذرعهُ
اذا الزمان اراه في الرحيل غنىً — ولو الى السند اضحى وهو يقطعهُ
وما مجاهدة الانسان واصلةٌ — رزقًا ولا دعة الانسان تقطعهُ
قد قسم الله بين الناس رزقهمُ — لا يخلقُ الله من خلق يضيعهُ
لكنهم كلفوا حرصاً فلست ترى — مسترزقًا وسوى الغايات يقنعهُ
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت — بغيٌ ألا انَّ بغي المرء يصرعهُ
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه — عفوًا ويمنعه من حيث يطمعهُ
أستودع الله في بغداد لي قمرًا — بالكرخِ من فلك الازرار مطلعهُ
ودعته وبودي لو يودعني — صفو الحياة واني لا أودعهُ
وكم تشفع بي ان لا أفارقهُ — وللضرورات حالٌ لا تشفعهُ
وكم تشبث بي يومَ الرحيل ضحىً — وادمعي مستهلاّتٌ وادمعهُ
لا اكذبُ اللهَ ثوبُ العذر منخرق — مني بفرقته لكن ارقعهُ
اني اوسع عذري في جنايته — بالبين عنه وقلبي لا يوسعهُ
أعطيت ملكاً فلم احسن سياسته — وكل من لا يسوس الملك يخلعهُ
ومن غدا لابساً ثوب النعيمِ بلا — شكرٍ عليه فعنه الله ينزعهُ
إعتضت من وجه خلّي بعد فرقته — كأساً تجرع منها ما اجرّعهُ
كم قائل ليَ ذقت البين قلت له — ألذنب والله ذنبي لست ادفعهُ
هلاّ اقمت فكان الرشد اجمعهُ — لو انني حين بان الرشد اتبعهُ

لو انني لم تقع عيني على بلد في سفرتي هذه الاَّ وأَقطعهُ
يا من اقطع ايامي وانفدها حزنًا عليه وليلي لست اهجعهُ
لا يطمئنُّ بجنبي مضجعٌ وكذا لا يطمئنُّ به مذ بنت مضجعهُ
ما كنت احسب ان الدهر يفجعني به ولا ان بي الايامَ تفجعهُ
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيدٍ غبراء تمنعني حقي وتمنعهُ
وكنت من ريب دهرٍ جازعًا فرقًا فلم اوقَّ الذي قد كنت اجزعهُ
بالله يامنزل القصر الذي درست آثاره وعفت مذ بنت اربعُهُ
هل الزمانُ معيدٌ فيك لذتنا ام الليالي التي امضته ترجعهُ
في ذمة الله من اصبحت منزله وجاد غيث على مغناك يُمرعهُ
من عنده ليَ عهد لا يضيع كما عندي له عهد صدق لا اضيعهُ
ومن يصدع قلبي ذكرهُ واذا جرى على قلبه ذكري يصدعهُ
لاصبرنَّ لدهرٍ لا يمتعني به ولا بيَ في حال يمتعهُ
علمًا بان اصطباري معقبٌ فرجًا فاضيق الامر ان فكرت اوسعهُ
علَّ الليالي التي اضنت بفرقتنا جسمين تجمعني يومًا وتجمعهُ
وانْ تغلْ احدًا منا منيَّته لا بد في غده الثاني سيتبعهُ
وان يدم ابدًا هذا الفراق لنا فما الذي بقضاء الله نصنعهُ

وان المقام ليضيق عن الاستزاده من هذه النفائس فان ما اوردناه منها ليس الا ذرَّة من دُرَّة

نظرةٌ في شعر المولَّدين

لم يكن لفريقٍ من الناس ان يدعي الكمال حتى الشعراء . والمولّدون مع بلوغهم من البلاغة واحكام الصنعة اقصى الدرجات فانهم يؤاخذون ولا سيما المتأَخرين منهم على مغامز ترجع الى خلالٍ اربع :

الخلَّة الاولى . اقتضاب الوصف الشعري فلا تبرز الحقيقة جليَّة على فطرتها في كثيرٍ من شعرهم ويستثنى من ذلك الحكَم والامثال وكذلك الابحاث العلمية التي ليست من لُباب الشعر . ويندر ان شاعرًا يعمد الى وصفٍ فيستتمهُ ويرسمهُ

رسماً جلياً كاملاً كما رأيت في اسد بشر وثور عبدة · فترى الافكار متزاحمة والمعاني متلازّة في منظوماتهم فتختلُّ اللُّحمة بينها وتأتي متراكمة فيفوت السامع شيءٌ كثير مما تصوّروه وقصّروا في تصويره · فهم بهذا الاعتبار قد عدلوا عن منزع الفطرة وابعدوا عن البداهة الجاهلية وتحولت معهم المقاصد الشعرية اذ بات مرماهم فيها جرَّ المغانم ودفع المغارم

وان كلامنا في كل ذلك اجماليٌّ لا يؤخذ منه خلو شعر المولدين جميعاً من بدائع الوصف التامّ واجادة التصوير فقد تجد في شعر المولدين ما يضاهي منحى الجاهليين وان رمت مثالاً لذلك فاقرأْ قصيدة المتنبي التي مطلعها :

في الخدّ ان عزمَ الخليط رحيلا مطرٌ تزيد به الخدود محولا

الخلة الثانية · تبذُّلهم في المديح حتى جعلوا الشعر صناعة للتكسب ومهنةً للاسترزاق فكاد يمتهن الشعر وتنحطُّ طبقة الشعراء في عيون عظماء الامة · ولو تتبعت اقوال فحولهم كالبحتري وابي تمام والمتنبي لما رأيته يتعدّى المدح للمحسن اليهم والهجاء للممسك عنهم · بل ربما هجوا ممدوحيهم ومدحوا مهجوّهم طمعاً وتشفيّاً كما كان شأن المتنبي مع كافور

ولا يستثنى منهم سوى افرادٍ خرجوا ترفُّعاً عن موقف الذلّة والمسكنة اما لسعةٍ في حالهم ورفعة في درجتهم الموروثة كابن المعتز وابي فراس فذلك من ابناء الخلفاء وهذا من نسل الامراء · واما لحكمة فطروا عليها وأَنَفة في طباعهم وزُهد في نفوسهم كالمعرّي وما اقل امثاله بين المتقدمين والمتأخرين · ولهذا كان المعرّي يرجح كثيرًا في ميزان الرجال على المتنبي وامثاله مع ان الرُّجحان بيّن للمتنبي في ميزان الشعراء

الخلّة الثالثة · ابتذال الغزل ووصف الغرام حيث لاتحرّك اليه الا التوطئة للمديح · فجاء اكثر ما نُظم من هذا القبيل غير مثير للعاطفة ولا مؤثر في النفس وان كثُر فيه الحنين والانين بخلاف ما يقصد به شخص معيّن كما رأيت في قصيدة ابن زُريق

وهو ثابتٌ ان التوطئة بالغزل ليست من بدَع المولَّدين بل هي خطَّةٌ درج عليها الشعراء من ايام الجاهلية · على ان الجاهليين لم يبتذلوها ولم يتعمدوها الا في احوال مخصوصة كان يزدان بها شعرهم · ولم يصف شاعرهم في اكثر المواقف الا غراماً برّح به كما ترى في غزليات امرىء القيس وعنترة · واذا تعدَّى تلك الخطة فلم يتعدَّها الا قليلاً · بخلاف المولدين اذ كانوا يتكلفون الغزل تكلفاً كأنه من لوازم الاستهلال

والظاهر ان كثيرين من ذوي الرويَّة والنقد كانوا ينكرون تلك الطريقة حتى في ابَّان الزمن العباسي

قال الابشيهي : مدح ابو العتاهية عمرو بن العلاء [1] فأعطاه سبعين الفاً وخلع عليه خلعاً سنية حتى انه لم يستطع ان يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما اشد حسد بعضكم لبعض ان احدكم يأتينا ليمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره · وقد تشبب ابو العتاهة بابيات يسيرة ثم قال :

انّي أمنتُ من الزمان وصَرفهِ لمـا علقتُ من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله جعـلوا له حرَّ الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها قطعت اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً واذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا .

واذا اردت دليلاً محسوساً على صحة هذا النقد فخذ قصيدتين من مختار شاعرٍ واحدٍ وطأ الشاعر بالغزل في احداها وولج الموضوع توًّا في الاخرى فتبدو لك فوراً مزية مطلع الثانية على الاولى

فمن مختار ابن هانىء قصيدته في مدح المعزّ ومطلعها :

فمَن في مأتمٍ على العشاقِ ولبسن الحداد في الاحداقِ
وبكين الدماء بالعنم الرطـ ـب المقنّى وبالخدود الرقاقِ

(١) المستطرف ص : ٢٧١

وقصيدته في المعزّ ايضاً ومطلعها :

ما شئت لا ما شاءَت الاقدارُ فاحكم فانت الواحد القهارُ
وكانما انت النبي محمدٌ وكانما انصارك الانصارُ

ومن مختار المتنبي قوله في سيف الدولة مستهلاً :

لعينيكِ ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشقِ

وقوله في مطلع آخر قصيدة قالها وهي في سيف الدولة ايضاً :

فدىً لك من يقصّر عن مداكا فلا ملكٌ اذًا الا فداكا
وان قلنا فدىً لك من يساوي دعونا بالبقاء لمن قلاكا

افلا تُراك تؤثر مطلع رائية ابن هانئ وكافية المتنبي على قافيتيهما

ولا يجب ان يستفاد مما تقدم اننا ننكر التوطئة على الاطلاق فانها اذا جادت ووقعت في موضعها ووافقت موضوعها فانها تشق شغاف القلب وتذكي شرارة النيرة فتهيم بها البصائر كما يقع لسامع قصيدة ابي تمام التي مطلعها :

السيف اصدق انباءً من الكتب في حده الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنّ جلاء الشك والريبِ

فقد اراد مدح المعتصم العباسي على اثر فوزه ذلك الفوز المبين وتنكيله بجيوش الروم وفتحه عمُّورية فوطأ لمدحهِ توطئة استهلها بما تقدم وما اجملها توطئة لمثل ذاك المديح

ومما يُحمد عليه المولدون بهذا المعنى توطئتهم للرثاء بالزهد واشباهه

الخَلَّة الرابعة . تجاوزهم في المجون وبذاءَة التعبير الى ما لا يستبيحه ادب المجالس ويغضُّ من قدر الشعر ومنزلة الشعراء . وهذا ايضاً ليس من بدع المولدين بل سبقهم اليه شعراء الجاهلية والمخضرمون حتى اودعه امرؤُ القيس معلقته . وفي اهاجي جرير والاخطل والفرزدق ما لا يُعد مفخرة لامثال اولئك الفطاحل . ولكن الجاهليين كانوا يأْتونه عفواً على البداهة فاستمسك به المخضرمون واوغلوا فيه ايغالاً

ادى بالمولدين الى التفنن به تفننهم في سائر ضروب الشعر وفحشوا فيه فحشاً فاضحاً · ومن ذا الذي يقرأُ اهاجي ابي تمام لمقران والمتنبي لابن كيغلغ ومجونيات الصفي الحلي ولا يتكر ان تشان بدائع منظوماتهم بتلك السفاسف الهجينة · واغرب من هذا ان كثيرًا من تلك البذاءات ممتزجٌ بدررٍ من المعاني تضيق عنها ارحب القرائح · فاذا قرأْت قصيدة المتنبي التي يستهلها بقوله :

لهوى النفوس سريرة لا تُعلم   عرضاً نظرت وخلت أَني أَسلمُ

فانك ترى فيها من غرر المعاني وابكار الافكار ما جرى اكثره مجرى الامثال وتنوقل جيلاً بعد جيل في اندية الادب وحسبك منها قوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   واخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
والناس قد نبذوا الحفاظ فمطلق   ينسى الذي يولى وعافٍ يندمُ
لا يخدعنك من عدوٍّ دمعه   وارحم شبابك من عدوٍّ ترحمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبه الدمُ
والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفـة فلعلة لا يظلمُ
ومن البلية عذل من لا يرعوي   عن جهله وخطاب من لا يفهمُ

ومع هذا فانك لا تتمالك من الانكار على الشاعر خلط هذه النفائس بتلك الخسائس

واقبح من كل ذلك تشببهم بما لم يشرعه الله ولم يسق اليه الطبع ولم يفش قبلهم في شعر الجاهليين وانما هو بدعةٌ اقتبسوها بملابسة المدنية الجديدة فما اوغل امامهم ابو نواس في ذلك النهج البذيء حتى هبوا الى تحدّيه

والظاهر ان ذلك التراخي كان مندمجًا بروح العصر فانتهجه الشعراء وسلك مسالكهم صفوة الادباء كالبديع الهمذاني والحريري وسمَّوه احماضاً كأنه فكاهةٌ مستملحةٌ يتطلبها كل اديب اريب · ولهذا قال الحريري في مقدمة كتابه : « وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قارئيه »

ذلك ما يعاب عليه المولدون ماخلا رهطًا منهم سما ادبًا و تهذب عقلاً ونفساً

اما الياذة هوميروس فهي على ما وصلت الينا نقيَّةٌ من تلك المغامز لا يؤاخذ صاحبها على شيء من هذه الخلال الاربع . اما الخلة الاولى فلأن الشاعر جاهليّ وحيثما تصفحت شعره رأيته ابدع في الوصف ورسم الحقائق . واما الثانية والثالثة فلانهما مخالفان لطبعه وذلك بادٍ في كل منظومه . واما الرابعة فقد تحاشاها الشاعر لسموٍ في ادبه مع ما كان فاشياً في عصره من الاستسلام للشهوات كما اثبتنا في ترجمته ولهذا جاءت الياذته نقية لا يتخللها شيء مما تحظر قراءته حتى على الغادة العذراء

مناهج المولدين

في ابواب الشعر وفنونه واساليبه

لم يقتصر المولدون من الشعر على نظمه بل نظروا فيه ونحَّصوه وانتقدوه وعارضوه بعضاً ببعض وبحثوا فيه بحثاً علميًّا ووضعوا اصوله وبوّبوا فصوله وجمعوا مختاره وعينوا فنونه ووازنوا بين الشعراء وكتبوا في كل ذلك الاسفار الطوال بين نثرٍ وشعرٍ مما لا يتسع له بحثنا

وقد جعلوا الشعر بالنظر الى معناه ابواباً حصرها ابو تمام في عشرة وابلغها ابن ابي الاصبع العدواني الى ثمانية عشر وهي الغزل والوصف والفخر والمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والادب والزهد والخمريات والرثاء والبشارة والتهاني والوعيد والتحذير والملح والسؤال والجواب . وزادوا عليها الزهريات والحكم والمجون والحماسة وهي اشرفها عندهم واجادوا في كل ذلك

وتفننوا في الشعر تفنناً لم يعرفه الاوائل الا قليلاً فأفاضوا في التشطير والتخميس والمعمى والاحجية واللغز والدوبيت الفارسي الذي خالفوا فيه اوزان الشعر العربية

واكثر من كلف منهم بذلك متأخروهم كالحريري وابن الفارض وصفيّ الدين الحليّ . وان تخميس الصفيّ لحماسية السموأل من اجود ما قيل بهذا

الباب ومطلعها :

قبيحٌ بمن ضاقت عن الرزق ارضُهُ وطولُ الفلا رحبٌ عليه وعرضُهُ
ولم يُبلِ سربالَ الدجى منه ركضُهُ اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضُهُ
فكل رداءٍ يرتديهِ جميلُ

وفي ديوان ابن الفارض كثير من الدوبيت واللغز كقوله :

ياليلة وصلٍ صبحها لم يلحِ من اوّلها شربتهُ في قدحي
لما قدُرتْ طالت وطابت بلقا بدرٍ يحني في حبهِ من مِنحِي

وقوله ملغزًا في بقله :

ما اسمُ قوتٍ لأهلهِ مثل طيبٍ تحبهُ
قلبهُ ان جعلتهُ اولاً فهو قلبهُ

وللحريري الغاز واحاجي ومعميات واحسنها بل احسن ما قيل بهذا المعنى بائيتهُ الطويلة التي مطلعها :

عندي اعاجيبُ ارويها بلا كذبِ عن العيان فكنُّوني ابا العجبِ

واما التاريخ الشعري فلا نعلم لهُ شيوعًا عند المولدين وانما هو من فنون المحدثين او المتأخرين ولكنه بلا ريب مأخوذ عن اصلٍ قديم جدًّا لان الحساب بالحروف اقدم من جميع الشعر العربي المعروف وقد استعمله اليونان والعبريون والرومان قبل العرب ولكنهم لم يلصقوه بالشعر · على ان جميع هذه الفنون ليست الا من فكاهات الشعر ولا يجب ان تعد من بدائع النظم

اما الموشح الاندلسي فهو من محاسن الاستنباط الشعري · قيل اخترعه مقدم ابن معافر شاعر الامير عبد الله بن محمد المرواني في اواخر القرن الثالث للهجرة وقيل في اصلهِ اقوال اخرى لامحل لذكرها · كانوا ينظمونه على اساليب شتى اشهرها جعل اللازمة بيتين وكل دور بعدها خمسة ابيات كقول الخطيب الاندلسي :

جادكَ الغيث اذا الغيث هما يازمان الوصل بالاندلسِ
لم يكن وصالك الا حُلما في الكرى او خلسة المختلسِ

دور

اذ يقول الدهر اسباب المنى   تنقلُ الخطوَ على ما ترسمُ
زمرٌ بين فرادى وثُنا   مثلما يدعو الوفود الموسمُ
والحيا قد جلّل الروض سَنا   فسنا الازهار فيه تبسمُ
وروى النعمان عن ماء السما   كيف يروي مالكٌ عن أَنسِ
فكساه الحسن ثوباً مُعلما   يزدهي منهُ بابهى ملبسِ

كانوا ينهجون هذا النهج في طوال الموشّحات . ولهم في ما سوى ذلك طرقٌ كثيرة تغنّوا عليها وخالفوا فيها اوزان الشعر المشهورة وتراهم ينقرون في بعضها على اوتار الافئدة كما ترى في قول ابن ابي بكر الابيض في مطلع موشح :

مالذّ لي شرب راحِ   على رياض الاقاحِ
لولا هضيم الوشاحِ   اذا اسى في الصباحِ
او في الاصيلْ   اضحى يقولْ   ما للشمولْ
لطمت خدّي
وللشمالْ   هبّت فمالْ   غصن اعتدالْ
ضمه بردي
مما اباد القلوبا   يمشي لنا مستريبا
يالحظهُ ردَّ ثوبا   ويالماه الشنيبا
برّدْ غليلْ   حبٍّ عليلْ   لا يستحيلْ
فيه عن عهدي
ولا يزالْ   في كل حالْ   يرجو الوصالْ
وهو في الصدِّ

وقول عبادة القزّاز :

بدر تم . شمس ضحا   غصن نقا . مسكُ شم
ما اتم . ما اوضحا   ما اورقا . ما انم

لاجرم · من لحا قد عشقا · قد حرم

ومما يذكر للمولدين استطراداً ضروبٌ كثيرةٌ من الشعر العاميّ كالمواليا وفي اصله اقوالٌ اشهرها ان هارون الرشيد امر بعد نكبة البرامكة ان لا يرثيهم احدٌ بشعر فرثت احدى جواريهم جعفراً بشعر غير معرَّب حتى لا يُعدّ شعراً وجعلت تقول بعد كل شطر ياموالیا قالت :

يادار اين ملوك الارضْ اين الفرسْ اين الذين حموها بالقنا والترسْ

قالت تراهم رمم تحت الاراضي الدرسْ سكوت بعد الفصاحه ألسنتهم خرسْ

هذا الذي يقوله المؤرخون في اصل الشعر العامي والذي نراه انه اقدم من ذلك العهد بل نخاله معاصراً للشعر الجاهلي · وللبغداديين ايضاً من هذا النوع القُوما قيل كانوا ينشدونه عند السحور في رمضان سمي بذلك من قول المغنين « قوما نسحر قوما » وجعلوه على وزن هذه الكلمات الثلاث وتفرع عنه فروع دعوها الزهري والخمري وغيرها · ولهم غير ذلك من الشعر العامي مما لامحل لذكره

وللاندلسيين كثيرٌ من هذا النوع مما تفرع عن الموشح ومما تغنت به العامة كالزجل وفروعه عروض البلد والمزدوج والكاري والملعبة والغزل ولا تزال بقايا كل ذلك في جميع البلاد التي غلبت فيها العربية · واخصها الزجل المصري والزهيري البغدادي والمعنّى السوري · ولا يدخل في عدادها القصيد البدوي لانه من بقايا الشعر الجاهلي الفصيح

واحرز المولدون ايضاً قصب السبق في الحكم والمواعظ وجمع شوارد الامثال واول رافعٍ منهم لذلك اللواء ابو العتاهية فانه نظم فيها ارجوزة طويلة قيل انه ضمنها اربعة آلاف مثل وهي من بدائع نظمه ومنها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوتُ ما اكثر القوت لمن يموتُ

الفقر في ما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

هي المقادير فلمني او فذرْ ان كنت اخطأت فما اخطا القدرْ

لكلِّ ما يؤذي وان قل ألم ما اطول الليل على من لم ينم

من جعل النَّمَّام عيناً هلكا مُبلغك الشرَّ كباغيه لكا
ان الفراغ والشباب والجده مفسدةٌ للمرء اي مفسده
ما زالت الدنيا لنا دار اذى ممزوجة الصفو بألوان القذى
الخير والشر بها ازواجُ لذا نتاجٌ ولذا نتاجُ
من لك بالمحض وليس محضُ يخبثُ بعضٌ ويطيب بعضُ
لكل انسانٍ طبيعتانِ خيرٌ وشرٌّ وهما ضدانِ

وجرى كثيرون من شعراء المولدين مجرى ابي العتاهية في جمع الحكم والامثال في القصائد الغرّاء. فمنهم من نظمها مجرَّدةً عما سواها من المقاصد كأبي الفتح البُستي في النونيَّة المعروفة التي مطلعها:

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ وربحهُ غير محض الخير خسرانُ
وكلّ وجدان حظٍّ لا ثبات لهُ فان معناه في التحقيق خسرانُ

ومثلها لاميَّة ابن الوردي:

اعتزل ذكر الاغاني والغزلْ وقل الفصل وجانب من هزَلْ
ودعِ الذكر لأيام الصبا فلأيام الصبا نجمٌ أفلْ

ومنهم من اودعها قصائد قيلت لمقاصد معلومة كما فعل ابن دُرَيد في منظومته المعروفة بالمقصورة الدريدية وقد اراد بها مدح الشاه ابن ميكال وولديه ومطلعها:

ياظبيةً اشبه شيءٍ بالمها ترعى الخزامى بين اشجار النقا
إمَّا ترَي رأسيَ حاكى لونهُ طرَّة صبح تحت اذيال الدجى ....
فكلّ ما لاقيتهُ مغتفرٌ في جنب ما اسأره شحط النوى

ومن هذا القبيل قصيدة الطغرائي المعروفة بلاميَّة العجم اذ قالها لغرضٍ في نفسه ومزج فيها الحكَم بالفخر كما ينبئك مطلعها:

اصالة الرأي صانتني عن الخطلِ وحِلية الفضل زانتني لدى العطَلِ
مجدي اخيرًا ومجدي اوّلاً شرَعٌ والشمس رأدَ الضحى كالشمس في الطفلِ

وابناء هذا الفريق الاخير من الشعراء يتجاوزون حد الحصر. ويندر ان ترى

شاعرًا لم يودع شعره شيئًا من الحكم والامثال بل كان كثيرون منهم يوطّئون بها للمدح والهجاء والوصف والرثاء فتقوم لديهم مقام التوطئة بالغزل

ويقال في الجملة ان المولّدين مع تبذُّلهم في المدح طرقوا جميع ابواب الشعر مما تقدم ذكره ولكنهم قلّما اقتصر الشاعر منهم في القصيدة الواحدة على باب واحد بل كانوا يمزجون مزجًا يُملّ احيانًا ولكنه يُطرب احيانًا كثيرة ولا سيما في القصائد الطويلة التي لابد من تفكيه سامعها بما يثنيه هنيهةً عن مرمى الشاعر . وربما جمع شاعرهم بين الغزل والحكَم والامثال والزهريّات والفخر والمدح في قصيدةٍ واحدة واطربك في كل ما قال لبلاغته وطلاوة شعره وحسن تصرفه وحسبك مثالاً من ذلك قصيدة ابن الرومي المسماة حديقة الشعر وهي التي مدح بها اسمعيل بن بلبك في ما ينيف على مئتي بيت . فبينا تخاله مستهلاً بزهريةٍ فيقول :

اجنت لك الوجد اغصانٌ وكثبانُ — فيهن نوعان تفاحٌ ورمانُ
وفوق ذلك اعنابٌ مهدّلةٌ — سودٌ لهنّ من الظلماء الوانُ
وتحت هاتيك عنّابٌ تلوح به — اطرافهنّ قلوب القوم قنوانُ

اذا بك تراه متغزلاً فيقول :

غصون بانٍ عليها الدهرُ فاكهةٌ — وما الفواكه مما يحمل البانُ
ونرجسٌ بات ساري الطلّ يضرِبه — والحوانٌ منيرُ النّور ريّانُ
أُلِفن من كل شيءٍ طيّبٍ حسنٍ — فهنّ فاكهة شتى وريحانُ

فاذا اسكرك بنشوة تلك الصهباء وقف خطيبًا واعظًا فقال :

ثمار صدقٍ اذا عاينت ظاهرها — لكنها حين تبلو الطعم خطبانُ
بل حلوة مرّةٌ طورًا يقال لها — شهدٌ وطورًا يقول الناس ذيفانُ

. . . .

تلك الغصون اللواتي في اكمّتها — نعمٌ وبؤسٌ وافراحٌ واحزانُ
يبلو بها الله قومًا كي يبين لهُ — ذو الطاعة البرُّ ممن فيه عصيانُ
وما ابتلاهم لإعناتٍ ولا عبثٍ — ولا لجهلٍ بما يطويه ابطانُ

لكن ليثبت في الاعناق حجنهُ ويحسن العفو والرحمن رحمنُ

ثم اذا تخلص الى المدح اودعهُ المعاني الشائقة والحكم الرائعة . واذا انتقل منه الى العتاب وطلب النوال البس ذلك جلباباً بهيّاً . واختتم بما لا يصلح سواه ان يكون تاجاً لتلك الغادة الهيفاء فقال :

وان أَبيت فحسبي منك عارفةٌ ان امتداحك عند الله قربانُ
والحر يسغب دهرًا وهو ذو سعةٍ والعتقُ يطوي زمانًا وهو سغبانُ
وللبلاء انفراج بعد ازمته ورعبة الدهر اعجاف واسمانُ
وللاله سجالٌ من فواضله كل امرئٍ ناهلٌ منه وعلاّنُ
ان لا يُعنّي على دهري اخو ثقةٍ من العباد فانّ الله معوانُ
او يبطل الحق عند الناس كلهم فليس للحق عند الله بطلانُ
خذها ابا الصقر بكرًا ذات اوشيةٍ كالروض نادى عراراً فيه حوذانُ
واسلم لراجيك مسعودًا وان تربت ممن يعاديك آنافٌ واذقانُ

وهكذا فانه يظل يرتقي بك درجةً بعد اخرى وهو يهيجك طربًا حيثما وقف بك ويحوم حول مطلبه حتى يلجئك الى استتمام سماعه فلا تشعر الا وقد اتيت على قصيدته برمّتها وانت مشغوف بطلاوتها فقلت هلاّ زادني منها رحمه الله

وهذا المنزع بعينه هو منزع هوميروس في الياذته ولو لم تكن حديقة ابن الرومي خليةً من اخبار الشعر القصصي لقلت هي شطر من تلك الملحمة التي خلب بها هوميروس عقول رواته وقرّائه . وكاني بابن الرومي وفيه لمحةٌ من كنيته التي كان يعيَّر بها في زمانه الى جرثومةٍ في اصله او عرفانه كانت تحمله على تحدّي هوميروس في كثيرٍ من اساليبه ومعانيه وتشبيهاته

وللمولّدين اقوالٌ ساحرةٌ في التشابيه والكنايات والاستعارات وكانوا كلما ابعدوا عن الحقيقة فقصروا فيها عن الجاهليين اوغلوا في الخيال ففاقوا المتقدمين بسعة التصوُّر وضروب المجاز

علوم الادب

عند المولَّدين

ليس من شأننا هنا التعرض لجميع ما تنطوي عليه علوم الادب في عرف بعض العلماء من نحوٍ وتصريفٍ ولغةٍ واشتقاق وامثالها بل نقصر الكلام على ما كان منها خاصًّا بالشعر كالعروض او ملازمًا له كالبديع والبيان

فالمولَّدون هم الذين فتحوا باب البحث في صناعة الشعر وقيَّدوا شوارده وفصّلوا قواعده وشاركهم في ذلك النحاة والادباء وعلماء اللغة فضبطوا الاوزان ووزنوا المعاني وصيروا قرض الشعر علمًا بعد ان كان ملكةً لا ضابط لها الاّ القياس السماعي

وقد كان ذلك القياس يكفل استبقاء تلك الملكة ايام كان العرب في معتصمهم يتخالطون في البوادي والحواضر وتجمعهم سوق عكاظ كل عام فتقوّم ما اعوجّ من منطقهم ولا يخالطهم الاعاجم مخالطةً تعبث بلسانهم . على ان ايغالهم في اطراف المعمور وانتشار لغتهم انتشارًا لم يكن انتشار اليونانية واللاتينية بازائه شيئًا مذكورًا وامتزاجهم بسائر الملل كل هذا احدث انقلابًا ألجأهم الى تقييد اصول الشعر على اثر تقييد اصول اللغة

العروض

فكان اول ما استلفت نظرهم ضبط الاوزان فوضع الخليل بن احمد علم العروض نحو سنة ۱٥۰ للهجرة اي في اوائل العصر العباسي عصر المولّدين . ويقول بعض المتقدمين من كتَّاب العرب ان العروض علمٌ خاصٌّ بالعربية وان الخليل استنبطه ولم يسبقه اليه احدٌ في لغةٍ اخرى مع ان ارسطوطاليس ضبط قواعده للغة اليونان وله فيه تأليفٌ يعوّل عليه . ولأكثر اللغات قواعد ضابطة لاصول الشعر وعروضه . ويؤخذ من قول ابن خلكان في ترجمة الخليل انه المّ باليونانية وفك معمّى أُرسل اليه فيها . ولكنه لا يثبت من كل ذلك ان الخليل

وقف على كتاب ارسطوطاليس في العروض واعتمد عليه وخصوصاً ان العروض العربي تختلف في جميع اوضاعه عن عروض اليونان ومن جرى مجراهم . وعلى كلٍّ فان للخليل فضلاً على الشعر العربي يضاهي فضل ابي الاسود الدؤلي على نحو اللغة بل يربو عليه لانه لم يكن للخليل مرشدٌ الى استنباطه ولا شريكٌ فيه . ولا يكبُر على الخليل ان يكون مستنبطاً بلا دليلٍ سابق يسترشد به لان الاستنباط كان في طبعه وله مما خلا العروض استخراجاتٌ كثيرة تدلُّ على سعة عقل لم يَقدِرْها ابن المقفّع قدرها اذ قال « علم الخليل اكبر من عقله »

والغريب انه كاد يبلغ بهذا العلم حد الكمال منذ فكر في وضعه اذ قيّد جميع البحور التي انتهجها العرب ولم يُزَد عليها من بعده الا بحرٌ واحد هو المُحدَث او الخبَب ويقال له المتدارَك ايضاً لان الاخفش تداركه على الخليل . ولا عبرة بما استعمل المولدون من الاوزان الفارسية كمنقول الفاريابي والدُوبَيت وما عدلوا به عن الاوزان المألوفة في الموشحات والاغاني وما زادوا فيه من تقييد العلة والزحاف فذلك عرضٌ ينفسح للتوسع فيه مجالٌ رحب . ولهذا يصحُّ ان يقال ان علم العروض خُلق كاملاً لان الخليل احكم تمثيل جميع القوالب الشعرية وتطبيقها على جميع منظوم العرب في الجاهلية

البديع

رأيت ان المولّدين تفننوا في الصناعة الشعرية ونهجوا مناهج لم يسبقهم اليها الجاهليون والمخضرمون وتلاعبوا بالالفاظ والمعاني فمست الحاجة بعد صوغ تلك القوالب الى توشيتها والنظر في إحكام زخرفها فوضعوا علم البديع بفرعيه اللفظي والمعنوي فكان اللفظيُّ ألصق بالشعر منه بالنثر والمعنوي يتناول جميع فنون الانشاء من شعرٍ ونثرٍ على حدٍّ سواء

واول من كتب في البديع فيما نُقل الينا شاعرٌ كلِفَ بأنواع التشابيه والاستعارات فكان قوله فيهما حجة الكتّاب والشعراء ألا وهو ابن المعتز العباسي . ولم يكن بين المولّدين من هو اولى منه بوضع هذا الفن فكتب في صنعة الشعر ووضع

رسالةً في البديع كانت اساس هذا العلم وذلك في اوائل الشطر الاخير من القرن الثالث للهجرة اي بعد ان وضع الخليل علم العروض باكثر من قرن

ولا بدع ان يكون واضع هذا العلم شاعرًا وان كان العلم بنفسه غير خاصٍّ بالشعر كالعروض فالعلماء والشعراء يتعاونون على احياء الادب . فالشاعر صنَّاجة جيش العلماء والعالم نبراس جند الشعراء

وهكذا فاننا نعدُّ من مآثر المولدين وضع علمين عربيين استنبطاهما استنباطًا بالنظر الى العربية وهما العروض والبديع اللفظي

البيان

اما البيان بما يشمل من علم المعاني والبديع المعنوي فليس من وضع العرب بمحصر المعنى وان كانوا طبقوه على التراكيب العربية . فقد استمدُّوا اصوله من اليونان والسريان والفرس كما استمدوا المنطق من كتاب ارسطوطاليس وغيره من علماء المتقدمين وكان للفرس في البيان اليد الطولى — ولجعفر البرمكي كلامٌ فيه ما زال يُنقل عنه . على ان للمولدين فيه النظر العالي والفضل الواسع بما أَحسنوا في تبويبه واحكموا في ترتيبه حتى أَلبسوه حلةً عربية . ومع هذا فلم يبلغ حتى يومنا درجة الكمال التي بلغها العروض والبديع اللفظي

فهذه علومٌ ثلاثة وضعها المولدون احكامًا للصناعة الشعرية واساليب الانشاء . وليس من شأننا ان نتطالَّ الى ذكر سائر العلوم التي لها علاقةٌ بالشعر قريبةٌ او بعيدة فهي كثيرة ولا سيما في هذا العصر حيث لا غنى للشاعر عن الالمام ولو قليلاً بكثيرٍ من العلوم

اطوار شعر المولدين ومزاياه

كانت مخالطة المسلمين للاعاجم في عصر العباسيين على خلاف ما كانت عليه لعهد الدولة الاموية . فان الامويين كانوا لاغراضٍ ليس من شأننا البحث فيها يترفعون في اغلب الامور عن الاجانب فظلوا على قربهم منهم بعيدين عنهم

بالمجالسة والمحادثة والامتزاج نخفي عنهم كثيرٌ مما كانت معرفته غير ضارّة . واما العباسيون فاختلطوا بالاعاجم اختلاطًا مكّنهم من استطلاع خفاياهم وقرّبوا اليهم كلّ ذي جاهٍ وسياسةٍ وعلمٍ وادب واجزلوا العطاء لكل عضوٍ مفيد في ذلك الملك الواسع سواء كان عربيًا مسلمًا او يهوديًا عبرانيًا او نصرانيًا سريانيًا او فارسيًا او يونانيًا فأحاطوا بكل معارف زمانهم وأَلِف ابناء دولتهم انواع معيشة البشر . فاتسعت على اثر ذلك معارف الشعراء وتفننوا في صناعتهم على وجوه لاعهد للمتقدمين بها

وهذا كان شأنهم في جميع البلاد التي ملكوها والشعراء على مذهب ملوكهم يقتبسون من كل وادٍ وناد فعمّت النهضة الشعرية وكانوا جميعًا فيها سواء

ولكن زمن تلك النهضة طال كثيرًا واتسع نطاقها اتساعًا عظيمًا فظهر فرقٌ في منظوم الشعراء بالنسبة الى الزمان والمكان وهو ما نريد اجمال الاشارة اليه

على انه لايجب ان يؤخذ من قولنا ان المولّدين يُقسمون بالنظر الى الازمنة والامكنة الى طبقاتٍ تنفرد كلٌّ منها بمزية خاصة بها اذ قد ترى شاعرين بينهما قرون ونهجهما واحد واساليبهما متفقة ومعانيهما متقاربة وقد نشأ كلٌّ منهما في بلاد . فانما نحن ناظرون اذًا الى النزعة الغالبة في كل عصرٍ وقُطر

فاذا امعنت في شعر المولّدين بالنظر الى الزمان رأيت شعار المتقدمين منهم الرقة والرواء وظل هذا شأنهم حتى اواخر القرن الثالث للهجرة اي نحو ١٧٠ عامًا . والباعث الاعظم لذلك ولوجهم في ترف العيش ونضارة الحضارة . وهم وان ظلّ كثيرون منهم في عيشٍ خشن الا ان من لم يتمتع منهم فقد نظر وخبر وقد يفضل وصف الرقيب وصف الحبيب . — واول من مهّد ذلك السبيل مخضرمو الدولتين كبشّار بن بُرْد ومروان بن ابي حفصة وتابعهم خلفاؤهم كأبي العتاهية وابي نواس والبحتري وما زالوا على ذلك حتى قام ابن المعتز وابن الرومي وبهما خُتم ذلك العصر الزهيّ عصر الرونق والبهاء . فاذا قرأت شعر جميع من تقدم ذكرهُ منهم رأيته يسيل عذوبةً وسلاسةً وقد تميز برقته وانسجامه

وتبعتهم الطبقة الثانية من المولدين وكانت ادمغة الشعراء قد امتلأت حكمةً وفلسفةً مما نضج من ثمار العلم فأوغلوا في المعاني الدقيقة وتطلبوا الافكار السامية وصاغوا للتشبيه قوالب شائقة من الكناية والاستعارة فوسعوا ابواب المجاز واخذوا بناصية الخيال فقربوه من الحقيقة . وشعارهم في كل ذلك سموّ التصور وكان هذا ديدنهم من المتنبي وابي فراس الحمداني وابن هاني وابي العلاء المعرّى وابي اسحق الصابي وابي اسحق البستي والشريف الرضي حتى الخفاجي وابن زيدون الاندلسي في مدة زهاء ١٧٠ عاماً كمدة الطبقة الاولى

ثم اتت الطبقة الثالثة في اواخر القرن الخامس للهجرة والشعر محكم البناء موطّد الاركان والعلوم البيانية مفصلة القواعد فعمدوا الى تنميق الشعر والتفنن بزخرفه وتوشيته بانواع البديع . والمجيدون منهم يحكمون رصف المعنى الدقيق باللفظ الرشيق ولكن بعضهم افسدوا بهجة المعاني بتوخي التجنيس ومع هذا فقد كان منهم نوابغ لا يكادون يحطّون منزلةً عمن تقدمهم كالطغرائي (وهو متوسط بين هذي الطبقة والطبقة الثانية) وابن خفاجه الاندلسي وابن قلاقس الاسكندري وابن النبيه المصري وابن الفارض والبهاء زهير المصري والشاب الظريف وصفي الدين الحلي خاتمتهم . وطالت مدة هذه الطبقة من المولدين نحو ٢٦٠ عاماً اي الى حوالي سنة ٧٣٠ ﻫ . فكان عصر المولدين جميعاً ستمائة عام

واما بالنظر الى المكان فابناء البلاد العربية ظلوا جانحين الى البساطة الجاهلية لانطباع تلك الاخلاق في نفوسهم . وبرّز المصريون في الرقة والعذوبة لدماثةٍ في خلقهم ورقةٍ في طبعهم . وغلبت البلاغة والمتانة في العراقيين لشدّةٍ في فطرتهم وملابستهم لاهل البادية . ومال الاندلسيون وسائر اهل المغرب الى التفنن باساليب الشعر ووصف الغياض والرياض لنضارة ارضهم . ووقف السوريون بين المصريين والعراقيين فجمعوا بين رقة الاولين وبلاغة الآخرين ولكنهم لم يبلغوا مبلغ فريقٍ منهم في احكام صنعته



طبقة المُحْدَثين او المتأخرين

ليس في عصر المتأخرين ما يستوقف النظر فهو عصر الانحطاط والتقليد فان الدول العربية كانت قد دالت وتغلب الاعاجم على ممالك الاسلام ولولا القرآن لبادت لغة قريش المضرية كما تقدم وباتت في عداد اللغات الميتة وقامت علي اثرها لغاتٌ لا يتفاهم اصحابها . والعباسيون وهم اصحاب ذلك اللواء الخافق بين المشرقين كانوا قد هبطوا من سماء مجدهم لقرونٍ خلت . ولكن أُسس العلم ارسخ من أُسس الدول . فالدول تدول وملكها يزول وتبقى معالم حضارتها وعرفانها . ولولا ذلك لانطفأت جذوة النهضة العباسية في اواخر القرن الثالث للهجرة حين لم يبق للعباسيين من حقيقة السلطان الا طيف خيال . ولكان شاعرهم ابن المعتز آخر من اسلم تلك الراية البيضاء بيد الجلاَّد الذي تولى قتله . ولكن قاهر الدول ومبيدها يذلُّ دون ابادة معارفها . ولهذا تعاقبت الاحقاب وشرارة النهضة العباسية لاهبة تتضرَّم في افئدة الشعراء تضرُّمها في عقول العلماء ولم تخمد الا بعد ان بلغت الحدّ المقضيّ لكلّ مفطورٍ ومنظور

ومع هذا فان تلك الجذوة ما زالت ترسل قبسًا تذكو به قريحة شاعرٍ حينًا بعد حين حتي لاتخلو الارض في زمنٍ من شعراء العرب . وحسبك النظر الى ابن نُباتة المصري في القرن الثامن وابن حجر العسقلاني في القرن التاسع وعبد الباقي المعروف عند الترك بملك شعراء الروم في القرن العاشر وابن معتوق الشهاب الموسوي في القرن الحادي عشر وعبد الغني النابلسي في القرن الثاني عشر

ويقال مع ذلك اجمالاً ان الانحطاط في الشعر العربي اخذ يظهر قبل انقضاء عصر المولدين وبات التقليد شعار المتأخرين . وحبذا لو كان تقليدًا صحيحًا بل هو شوَّه وجه الشعر ولا سيما في القرنين الاخيرين اذ بات شاعرنا ولا المام له باحوال عصره فضلاً عن احوال المتقدمين يتحدَّى امرأ القيس فيضرب في البوادي والقفار وهو في بيتٍ موصد الابواب . ويسوق الظعن وهو على متن

قطار البخار . ويترنم ببهجة الرقمتين وينيلهما من كرمه صفات جنة عدن ولا يدري انهما مطمئنان من الارض في بادية قفرة تقتله اشعة الشمس اذا وقف اليهما ساعةً واحدة . وهو لو فطن يتنقل في موطنه في روضٍ اريض وجنانٍ تجري من تحتها الانهار . حتى لو اردت ان تستدل من شعرهم على شيء من حالة مجتمعهم لاعياك ذلك . وغاية ما يرتسم في ذهنك صورٌ مشوّهة لايُعلم لها رأسٌ من ذيل

ولما كانت الكنانة فارغة من سهام المعاني عمدوا الى قذف الالفاظ مزوّقة بحليةٍ يتسترون من ورائها وما هم بمتسترين . حتى كأنَّ قدماء العروضيين كانوا ينظرون اليهم عند ما وضعوا للشعر ذلك التعريف الناقص فقالوا هو الكلام المقفّى الموزون ولم يزيدوا

الشعر العصري

لم يبق للشعر بعد تلك الرقدة الطويلة الا ان يهبَّ هبةً جديدة بطورٍ جديد وروح حيَّة . وفي الامة والحمد لله بقيةٌ متأهبةٌ لولوج ذلك الباب الرحب وهي شاعرةٌ منذ نصف قرن بوجوب مجاراة الزمان وعالمةٌ ان التصدّي لمصادمة تيَّار الترقي غرورٌ عاقبته الزّيغ والخذلان . ولهذا شرع النوابغ من ابناء هذا العصر في تعديل الخطة فكانت لهم اليد البيضاء واسفر جهدهم عن ابراز الشعر الرقيق بالثوب الانيق . وما هو الا قبَسٌ فاض من غرّة هلالٍ سيتكامل بفضلهم بدرًا ان شاء الله

الملاحم

او منظومات الشعر القصَصي

بحث العرب في ابواب الشعر وضروبه وفنونه ودعوها جميعًا باسماء تنطبق عليها . ولكنه لم يتصل بنا انهم وضعوا اسماً لمنظومات الشعر القصصي من نظائر الالياذة الا ان يكون ذلك ما استحدثه اهل المغرب وسمّاه بعضهم بالملاحم وهو عندهم

كالملاعب بالشعر العامّي ما تضمن من المنظوم احوال امةٍ او قومٍ وفُصّلت فيه وقائع الحروب والتاريخ . ولعلهم اخذوا ذلك من التحام القتال . والملحمة في اللغة الوقعة العظيمة وربما ُقصد بها الإِحكام من لَحَمَ الامر بمعنى احكمهُ لأَن من القاب صاحب الشريعة الاسلاميَّة « نبيُّ الملحمة » وقالوا في تفسيرها نبيُّ القتال او نبي الصلاح وتأْليف الناس كأَنه يؤَلّف امر الامَّة

ويقول العرب ايضاً أَلحم فلانٌ الشعر وحاكه بمعنى نظمه تشبيهاً لبيت الشِّعر ببيت الشَّعر وبالثوب المَحُوك كأَنهم يريدون الاشارة الى تأْليف اجزائه بإِحكام اللُّحمة بينها ومنه المُلحمات لمختاراتٍ سبعٍ من قصائدهم سيأْتي ذكرها

ومهما يكن من النسبة المعنوية بين لفظ المُلحمات والشعر القصصي فالنسبة بينه وبين الملاحم اظهر ولهذا سمَّينا الياذة هوميروس واشباهها بالملاحم تفادياً من استحداث لفظة لم يسبق لها استعمال بين الكتَّاب

ضروب الشعر عند الافرنج

قلنا (ص : ١٤٩) ان العرب قسموا الشعر من حيث المعنى الى ابوابٍ كالغزل والمدح والهجاء والرثاء الى آخر ما هنالك من ابواب الشعر . وهو معلومٌ ان في شعر جميع الامم شيئاً من هذه المعاني . ولكن الافرنج ينهجون في تقسيم ابواب الشعر نهجاً آخر يجارون فيه العرب بالبحث في اكثر هذه الابواب وغيرها مما لم يذكره العرب ويخالفونهم بالرجوع الى حصرها جميعاً في بابين : الشعر القصصي وهو الذي عبَّرنا عن منظوماته بالملاحم والشعر الموسيقي وهو ما نُعبر عن منظوماته بالقصائد او الاغاني . ويسمون الاول « إِپيك » والثاني « لِيريك » . وكلا اللفظين يونانيُّ الاصل فالاول من ابوس (ἔπος) بمعنى الغناء او (ἔπω) ابو بمعنى الكلام . والثاني من ليرا (λύρα) بمعنى القيثارة او الكنَّارة او آلة طرب اخرى تشبه العود المعروف عندنا . ومعناهما بحصر المعنى واحد كما ترى اذ يُرجع بهما في الاصل الى المقصود من الشعر في اقدم ازمانه وهو التغني بالحانه والتطرب بمعانيه والتلهّي بانشاده . ولكنهم فصلوا في الاصطلاح بين البابين وجعلوا لكلٍّ منهما مزايا خاصة

به وضمّنوها سائر انواع الشعر · ذلك انه لابد في الشعر من ان يُرمى به الى احد امرين · اما بسط احوال العالم بمظاهره البارزة واما التعبير عن شعائر النفس الخافية عن الابصار وابراز التصورات الكامنة في الصدور · ومُعظم ما يقال من الشعر لا يخرج عن احدى هاتين الحالتين · فالشاعر القصصي بهذا الاعتبار يعبّر عن شعائر غيره والشاعر الموسيقي انما يعبر عن شعائر نفسه

فاذا نظرنا على هذا القياس الى الاصل الشعري في بعض اسفار التوراة واتخذناها مثالاً جاز لنا ان نُلحق سفر ايوب بالشعر القصصي ونعتبره ملحمةً من صفوة الملاحم · ونلحق الزبور ونشيد الانشاد بالشعر الموسيقي وهما من ابدع الاغاني والقصائد التي نطق بها البشر

وقد الحقوا بهذين البابين باباً ثالثاً دعوه « دراما » من لفظة ذراما اليونانية (δραμα) بمعنى العمل او الصنعة وهو ما نستحسن التعبير عنه بالتمثيلي لانهم يقصدون به غالباً منظوم الروايات التمثيلية · وهو متوسط بين القسمين السابقين · ولكل من هذه الاقسام الثلاثة فروعٌ لامحلّ لايرادها

الا انه لايترتب على ما تقدّم ان منظومات الشعراء يجب ان ينتمي كلٌّ منها الى قسمٍ من هذه الاقسام ويلصق به غير متجاوزٍ الى ما سواه · بل قد يكثر التداخل بينها ولا سيما في منظوم البلغاء · فالياذة هوميروس ملحمةٌ من الشعر القصصي بالنظر الى ما تضمنته من سرد الوقائع والاخبار · وما تجاوزت به الى ما وراء الطبيعة من شؤون الآلهة وملابستهم للبشر في اعمالهم وايضاح حقائق الفضائل والرذائل بطريق الإِخبار · ولكن فيها قطعاً من ابدع ما قيل في الشعر الموسيقي وحسبك منها رثاء اخيل لفطرقل وتفجعه عليه في مواضع مختلفة منها · وان وداع هكطور لزوجته في النشيد السادس ما زال على قِدَمه المثال الذي ينسج على منواله ارباب الشعر التمثيلي وليس بين المتقدمين ولا المتأخرين من ادرك شأوه واجاد اجادته فيه مع كلّ ما احسنَ راسين الفرنسي في روايته « اندروماخ »

ويقارب هوميروس في الضرب على جميع الاوتار شكسبير الانكليزي . فالمشهور عنه انه من انصار الشعر التمثيلي ومع هذا فاذا اخذت مثلاً رواية « هَمْلِتْ » رأيت فيها من معاني القصائد والملاحم ما يوقفك دهشة واعجاباً . وقل مثل ذلك في رواية « السِّيْد » لكُرْنَيّ الفرنسي « واندروماخ » السالفة الذكر وفوسْت لغوته الالماني واشباه ذلك من منظوم نوابغ الايطاليين وغيرهم

وهو معلومٌ ايضاً ان الشائع عن العرب بين الافرنج انهم لم يضربوا الا على وتر الشعر الموسيقي ولم يتخطَّوا في النظم الى ما وراء القصائد والاغاني ولكنه قولٌ مبالَغ فيه بل زعمٌ موهومٌ فيه كما سنبين في باب « ملاحم العرب »

ملاحم الاعاجم

قد يتبادر الى الذهن ان رسم الظواهر أقرب الى الفطرة وأيسر تناولاً من رسم الخوافي الكامنة في النفس ولهذا كان الشعر القصصي في اكثر الملل متقدماً على الشعر الموسيقي وفنونه . والصواب ان الاغاني والقصائد أقدم من الملاحم والملاحم اقدم من التمثيليَّات لان أقدم ما نطق به الانسان من الشعر انما كان أغنيةً يتطرب بها . او انشودةً تقذفها النفس اشعارًا بعاطفةٍ من نحو حبٍ ودعاء وغيظٍ ورجاء . او ملهاة ينشدها الكبير ليتلهَّى بها الصغير . فهذه القطَع الصغيرة تقدمت بلا ريبٍ على المنظومات الطويلة من اشباه الالياذة اذ لا تتوفَّر معدّات نظم الملاحم الا في الشعوب الراقية بعد ان تألف نظم المقاطيع القصيرة مئاتٍ من الاعوام . ولكن قد يمكن ان يكون ارتقاء الشعر القصصي متقدماً على ارتقاء الشعر الموسيقي وان تقدم الموسيقي بالوضع كما ان ارتقاء بلاغة الشعر متقدمة على بلاغة النثر وان كان النثر متقدماً بالوضع . أما التمثيليات فهي من نتاج الملاحم فجاءت متأخرة عنها بالطبع لانهُ كان أيسر على الشاعر في غابر الازمان ان ينطق بلسان جميع ممثّليه كما هي الحال في الملاحم من ان يجعل كلاً منهم ينطق بلسان نفسه في محلٍ معدٍ لذلك كما هو الواقع في التمثيليَّات

والشعراء في جميع الملل يجارون المؤرخين في تدوين الوقائع . وهم وان قصروا عن المؤرخين في تعيين المواقيت وتفصيل الحوادث الا انهم يسبقونهم في تعريف الشعائر والاخلاق ووصف احوال المجتمع البشري وتبيان علاقة الخالق بالمخلوق . ولهذا لم يكن في الامم قديمها وحديثها امةٌ أَدركت شأْوًا مذكورًا في الحضَارة الا وقام نوابغ الشعر القصصي يبسطون أَحوالها ويجيدون الرسم بنافذ الكلام بما يفوق اجادته بقلم الرسَّام

فلقدماء المصريين شعرٌ كثير يستدلُّ عليه من عاديَّاتهم وان كان الزمان قد اباد ملاحمهم الطويلة فان في ما وجد من القطع المتبعثرة بين الآثار ما يدلُّ على انها كانت ذات شأْنٍ خطير وحسبك منها شعر نبتاهور

وللهنود ملاحم بقي بعضها ولا تزال «المَهابْهارَتا» آيةً في بابها وقد تُرجمت منها قطعٌ كبيرة الى لغات الافرنج

وللعبرانيين ملاحم لا يزال بعضها في التوراة

ولقدماء الجرمانيين والسكندناڤيين ملاحم كانوا يحلُّونها محلاًّ رفيعًا

واليونان كانوا منذ القدم مشغَفين بالشعر القصصي ولهم فيه منظوماتٌ كثيرة قبل ملحمتي هوميروس اشرنا اليها في موضعها (ص : ٦١)

والرومان ساروا على اثر اليونان فابدعوا في هذا الفن وقد اشرنا مرارًا الى انياذة ڤرجيليوس

وقام الافرنج على اثار تينك الدولتين وتغنَّوا قرونًا بمنظومات رولان في فرنسا وهيلدبراند ونيبولنغن في المانيا الى ان قام نوابغ المتأَخرين كدَنتي الايطالي وملتُن الانكليزي ومن حذا حذوهما

ثم اذا انثنينا الى ملل الاسلام من غير العرب رأَينا انها ليست بالاقل حظًّا من هذا الفن وهذه شهنامة الفردوسي في اخبار ملوك العجم مما يعجَب به ويُحسد عليه وقد ذكرناها في غير موضع من هذا الكتاب

وان للفرس اليد الطولى في هذا الفن ولهم فيه غير ملحمة الفردوسي منظومات

كثيرة كشهنامة القاسمي الكونابادي التي نظم فيها وقائع الشاه اسمعيل واهداها الى الشاه طهماسب وجعلها نظيرةً لتيمورنامة الهاتفي · ومثلها شاهية مجد الدين البابري النسائي في وقعة الخوارزمي

وللترك ايضاً يدٌ في الشعر القصصي كمنظومة شهودي في اربعة آلاف بيت· وان اغرب ما روي في هذا الباب ما نقل عن شهنامة الشاعر التركي الملقب بالفردوسي الطويل قالوا انه نظمها في مليون وستمئة الف بيت وكتبها في ثلاثمئة وثلاثين مجلداً فلما عُرضت على السلطان بايزيد العثماني امر بانتخاب ثمانين مجلداً واحراق الباقي فتألم المؤلف وترك بلاد الروم وذهب الى خراسان فمات فيها كمداً [1]

ملاحم العرب

اذا قلنا ان العرب نظموا الملاحم فلسنا بزاعمين ان في لغتهم شيئاً يماثل الياذة هوميروس وشهنامة الفردوسي وفردوس ملتُن بالشعر الحيّ · ولكن اذا صحّت الادلة المؤدّية الى ان ايوب كان عربياً ولا اخالها بعيدة الاحتمال كان ذلك السفر البديع المحفوظ في التوراة ملحمةً عربية الاصل متقدمةً بوضعها على ملاحم اليونان والرومان [2]

---

(١) كشف الظنون · ولغات تاريخية ٤ : ١٥٨

(٢) يقول كثيرون من كتّاب العرب ان سفر ايوب كتب بالعربية شعراً ثم نقله موسى الى العبرية ولكنهم لا يأتون بحجة تؤيد هذا القول · ولعلهم قالوا ذلك بالتواتر او نقلاً عن مصادر مجهولة لعهدنا · وان في تواريخ العرب اخباراً ووقائع وانساباً كثيرة منقولة عن كتب قديمة مفقودة وهكذا يختلط الصحيح منها بالفاسد ويتعذر الرجوع الى الاصل — واما انصار هذا الرأي من علماء العصر فلهم ادلةٌ ترجّح بالبحث صحة قولهم · فلا ريب ان ايوب كان من ابناء البادية العربية وانّ تعذّر حتى الآن تعيين الخطة التي اقام فيها ·

ولكن الاخذ بهذا القول ليس مما يضمّ دُرّةً يتيمة الى خزائن الادب العربية فيزيد في مفاخر العرب · او يفيد لغتهم فائدة تذكر لهم وتؤثر عنهم · فالاصل العربي في عالم الغيب وهو على فرض المحال لو وجد لما كان فيه من عربية مُضَر شيءٌ يعوَّل عليه ولما وُجد بين العرب من يفكّ منه عبارةً واحدة لاختلاف اوضاع اللغة ومبانيها في ذلك العهد البعيد · فهي بهذا الاعتبار آرامية او عربيةٌ اخرى اقرب الى عبرية التوراة منها الى عربية قريش

ومن يعلم بالنظر الى ايوب نفسه الى اي فريق من القبائل كان ينتمي وما كانت حالة العرب والعربية في ايامه ومن كتب او استكتب ذلك السفر من قومه او غير قومه · والحاصل ان الماعنا الى ذلك السفر انما هو قبيل التذكرة والحرص على الاشارة الى امرٍ خطير

ثم اذا رجعنا الى الشعر القديم المنسوب الى قدماء العرب في اليمن ونجد والحجاز فلا نلبث ان نتحقق انه من النظم الموضوع حديثاً لغرضٍ كما اوضحنا · وزد على هذا انه لا يربو على عددٍ معلوم من المقاطيع وليست جميعها على شيء من الشأن في الشعر قصصياً كان او موسيقياً · وايضاً فلا فائدة من الالماع الى ما سبق من النظم في اللغة اليمنية الحميرية التي هذّبت وكتبت قبل لغة قريش بقرون · فالبحث اذاً يجب ان يكون في الشعر الباقي باللغة العربية المضرية

نظرةٌ في الجاهليتين

جاهلية العرب وجاهلية اليونان

ان اقدم ما اتصل بنا من الشعر الجاهلي الجليّ مقولٌ معظمه في مثل المواقف

وفي ذلك يقول هان وإيوَلد وشلتمن « ان وقائع هذا السفر تمثل الحياة البسيطة على حقيقتها وتوضح بالرسم الصادق معيشة الشيخ العربي للقبيلة البدوية » ثم ان هذا السفر اقرب الى العربية من سائر اسفار التوراة العبرية · وقد اشار رينان في مقدمته « لسفر ايوب » الى كثرة الكلمات الارامية فيه

التي قال فيها هوميروس الياذته · فهنالك شياطين وجنّيات تلقن الشعراء فصيح الكلام تلقين القيان لهوميروس · وفي مثل ذلك يقول الاعشى :

دعوت خليلي مِسحلاً ودعوا له جهنَّامَ جدعاً للهجينِ المذمَّمِ

وجهنام تابعة عمرو بن قطن · ولكلٍّ من فحول شعراء الجاهلية جنيَّةٌ او شيطان يلقّنه الشعر · وهنالك ملوكٌ كبار على قبائل صغار تتكاثف وتتحالف دفعاً لعار واخذاً لثار · فنثور حرب البسوس بين بكر وتغلب وتتلاحم عبس وفزارة على اثر سباق داحس والغبراء ويكادون يفنون بعضهم بعضاً كما كاد يفنى الطرواد واليونان وحلفاؤهم · وهنالك ايامٌ تتصاول وتتجاول فيها قبائل منهم فيشتهر امرها ويذيع ذكرها كيوم الكلاب ويوم الجفار ويوم النسار ويتغنى الشعراء بحديثها تغني هوميروس بيوم القناطرة ويوم الابتول والكوريت وما اشبه ذلك مما يفوق الحصر

واذا نظرت الى الاشخاص دُهشت لما يبدو لك من الشبه في الاحوال والاقوال · فمن بطلٍ كعنترة ترتجف لصوته القبائل ارتجافها لصوت آخيل يُغاظ مثله فيعتزل القتال فينكل العدوّ بقومه حتى يهبّ من عزلته فيفعل فعل اخيل في عودته · ومن خطيبٍ كنسطور يقف واعظاً موقف قس بن ساعدة فيرشد ويرغّب ويرهّب · ومن اخوةٍ واخوات وازواج وزوجات وبنين وبنات وآباء وامهات يقولون ويفعلون في جاهلية العرب نظير قولهم وفعلهم في جاهلية اليونان مما ستراه بالمقابلة في تعاليق الشرح · ولو اتسع لنا المقام لما عدمنا سبيلاً الى ابراز نظيرٍ لكلٍّ من رجال الالياذة ونسائها

واذا حوّلت نظرك الى اللباس والرياش وطرق المعاش رأيت مع سبق اليونان في حلبة الحضارة مشاكلةً باهرة في حالة المعيشة الفطرية والسذاجة الخلقية والحرّية الجاهلية : سراةٌ كأكسيل يتسابقون الى قرى الاضياف كحاتم الطائي ويبنون بيوتهم على مضرب السبل في قارعة الطريق · وامراء كاخيل وفطرقل يأمرون وينهون ولديهم الحشم والجوار ومع هذا فهم بيدهم يتولّون توزيع الزاد على

الاضياف وينحرون الذبيحة بُدامهم على نحو ما نحر الامير الكندي ناقته للعذارى . وابناء ملوك كولد فريام لاتعيبهم مع غناهم رعاية المواشي وتربية الانعام كما قال خالد ابن الوليد لماهان الارمني « واما ما ذكرت من فقرنا ورعينا الابل والشاء فما منا من لم يرعَ واكثرنا رعاة ومن رعى منا كان له الفضل على من لم يرع »[١] وسبايا تشرى وتباع . واسرى تُقتل وتفتدى وتسرَّح باحسان الى غير ذلك مما لانهاية له وسترى منه جانباً غير يسير مفصلاً بالمقابلة في مواضعه

ملاحم الجاهليين

ليس في وقائع عرب الجاهلية وايامهم ما يضاهي خطورةً وقائع الحرب الطروادية ولكن تلك الوقائع لا تخلو بنفسها من شأن نسبي مذكور . فلا بدَّ اذًا من اتخاذ احداها مثالاً للمقابلة . وان اوَّل ما يستلفت الانظار حرب البسوس

تلك حربٌ تناقل العرب اخبارها وتناشدوا شعرها على ممرّ القرون حتى ايامنا هذه وصاغوها بقوالب شتى لا يصلح قالبٌ منها اصوغ الملاحم التامة كالالياذة . ومع هذا فان جميع ما قيل فيها من الكلام المنظوم اقرب نسبة الى الشعر القصصي منه الى الموسيقي فكل قصيدة منها قطعةٌ من ملحمة . ولكن تلك القطع غير ملتئمة لفقدان اللحمة بينها فهي كالحجارة المنحوته قد احكمت صنعتها وبقيت ملقاة في ارضها غير مرصوصة بالبناء . ثم اذا نظرت الى اشهر الرجال والنساء فيها رأيتهم جميعهم شعراء فكليب يقول الشعر ومثله زوجته جليلة واخوه مهلهل . وكذلك مرّة شاعر وابنه جسَّاس شاعر وكلٌ ذي شأن في القصة من غريب وقريب شاعر كالحارث بن عُباد وجحدَر بن ضبيعة فمجموع شعرهم اشبه من هذه الوجه بالشعر التمثيلي لان لكل حادثة شاعرًا ينطق بها بخلاف نهج شعر الملاحم كالالياذة اذ ترى هوميروس فيها ينطق بلسان الجميع

وقد يخال الباحث في هذا التقارب ثم ذلك التباعد بين منظوم الجاهليتين

(١) واقدي ١ : ١٥٦

انه ربما كانت قصة حرب البسوس ملحمة في اصلها ففقدت منها اجزاء ادّت الى تفرّق ما بقي . ولكنه يتضح لدى الامعان ان ذلك لم يكن وان العرب في الجاهلية لم ينظموا الملاحم الطويلة المحكمة العرى مع توقُّد القرائح وتوفر معدات الفصاحة في اللغة لان ذلك التسق في النظم لم يكن في طبعهم فلم يتخطَّوا الى ما وراء الطبيعة وكانوا مع عبادة الاصنام يميلون الى التوحيد وكان التسليم للاحكام العلوية من سننهم قبل الاسلام فلم يوغلوا في التخيلات الشعرية الى النظر في احوال الآلهة وما يترتب على ذلك من تفرُّع البحث الواحد الى ابحاث متعددة على ما هو شأن الامم الآرية . وكلٌّ ما يرى من الشبه بين احوالهم واحوال قدماء اليونان انما هو من المظاهر التي ألَّفت بينها طرق المعيشة الجاهلية . واذا نظرت الى حالة اليونان بما كانت عليه مع تلك الخشونة من الانتظام والدربة رأيت انهم كانوا ايام حرب طروادة اقرب شبهًا بالعرب في ايام الخلفاء الراشدين ثم كانوا في ايام هوميروس اي في زمن نظم الالياذة قد بلغوا من الحضارة مبلغًا لم يكن للعرب في جاهليتهم منه الا النزر اليسير . فلم يسع ابناء الجاهلية ان يتجاوزوا بنظمهم احوال فطرتهم وطرق معاشهم فكانوا ينتقلون بالشعر من باب الى آخر انتقالهم من حيٍّ الى حيٍّ يجيدون في كل ما يقولون ولكنهم لا يطيلون المقام فلا يشيدون المنازل الفسيحة المشيدة الاركان

وليس من اللازم ان يكون شعر جميع الامم على نسق واحد بل ربما كان هذا التباين من الاسباب المؤدية الى ابراز انواع الجمال كافّةً على اختلاف صوره واشكاله . فالشاعر القصصي من اليونان وخلفائهم كان اذا قصَّ حادثةً رواها كلها شعرًا واما الشاعر العربي فينشد الشعر حيث يحسن وقعه واكثر ما يكون ذلك في الوصف والخطاب والجواب ويقول الباقي نثرًا . وفي هذه الطريقة نوعٌ من التفكيه المأنوس . وهي طريقة شعراء البادية حتى يومنا . — جلستُ مرّةً الى حلقة شاعر منهم ينشد على نغم ربابته فشرع في مقدمةٍ نثرية قصيرة حتى بلغ الى وصف حسناء فجعل يتغنى بالشعر على نغم آلة الطرب فلما

استتم قصيدته رجع الى الكلام النثري بضع دقائق حتى بلغ وصف وقعة بين قبيلتين فرجع الى الانشاد وهكذا ظل يتراوح قوله بين نثر وشعر نحو ثلاث ساعات . وذلك ايضاً شأن القصَّاصين في كثير من الحواضر العربية

فلا سبيل اذًا للزعم بوجود ملاحم لعرب الجاهلية على نحو ما يراد منها بعرف الافرنج . ولكن للجاهليين نوعاً آخر من الشعر القصصي مما يعز وجوده في سائر اللغات وذلك في الملاحم القصيرة المقولة في حوادث مخصوصة لجميع شعراء الجاهلية و بعض المخضرمين قد سلكوا هذا المسلك واجادوا فيه . ولو تصفحت كتاب الاغاني ومفضليات الضبي وامثالها من كتب الادب والشعر لرأيتها ملأى بهذه المنظومات الغراء وحسبنا بيانًا لذلك ان نلقي في سبيلنا نظرةً على جمهرة اشعار العرب

جمهرة اشعار العرب

هو كتابٌ ألفه ابو زيد محمد بن ابي الخطَّاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة وشرح فيه المنظومات التي اختارها العرب من نفائس شعر الجاهليين والمخضرمين وجعلوها سبع رتبٍ في كلٍّ منها سبع منظومات . وقد اوردها المؤلف ببعض خلاف في الترتيب عن المتواتر المشهور فجعل النابغة والاعشى بين اصحاب المعلقات وحذف معلقة الحارث اليشكري فكانت المعلقات ثماني والمجمهرات ستًّا . وهي في ما يلي مرتبة على ما هو شائع بين كتَّاب الادب والتاريخ

المعلقات ودعيت كذلك اخذًا من قولهم انها كانت معلقة باركان البيت واصحابها امرؤ القيس وزهير بن ابي سلمى والحارث بن حلزة ولبيد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وعنترة العبسي

والمجمهرات ولعلها دُعيت كذلك تشبيهًا لها بالناقة المجمهرة وهي في اللغة المتداخلة الخلق كانها جمهور الرمل اي انها عالية الطبقة محكمة السبك . واصحابها النابغة الذُّبياني وعُبيد بن الابرص وعديٌّ بن زيد وبشر بن ابي خازم واميَّة

ابن ابي الصلت وخداش بن زهير والنَّمر بن تَولَب

والمُنتقيات اي المختارات واصحابها المسيَّب بن علس والمرقَّش والمتلمِّس وعروة ابن الورد ومهلهل بن ربيعة ودريد بن الصمة والمتخل بن عويمر الهذلي

والمُذَهَّبات اي المكتوبة بماء الذهب واصحابها حسان بن ثابت الانصاري وعبد الله بن رواحة ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم الاوسي وأُحَيحة بن الجلاَّح وابو قيس بن الاسلت وعمرو بن امرىء القيس

والمراثي واصحابها ابو ذؤيب الهذلي ومحمد بن كعب الغنوي واعشى باهلة وعلقمة بن عبدة الحميري وابو زُبيد الطائي ومتم بن نويرة ومالك بن ريب النهشلي التميمي

والمشوبات وهي التي شابها الكفر والاسلام واصحابها النابغة الجعدي وكعب ابن زهير والقطاميّ والحطيئة والشماخ بن ضرار وعمرو بن احمر وتميم بن ابي مقبل

والمُلحَمات ولعلهم ارادوا بهذه التسمية الاشارة الى احكام نظمها والحام شعرها كما تقدم · واصحابها الفرزدق وجرير الخطفي والاخطل التغلبي وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت والطرمَّاح بن حكيم الطائي

فهذه تسع واربعون منظومة لتسعة واربعين شاعرًا اذا تصفحتها تبينَت لك في كثيرٍ منها مزايا هذه الملاحم القصيرة المختصة بلغة العرب ولا سيما ما قيل منها في الجاهلية كالمعلقات فانك ترى فيهن من سرد الحوادث وتفصيل الوقائع وتمثيل المشاهد وبداهة الفكر ما يعدُّ في اعلى طبقات الشعر القصصي · وفيهن ايضًا من بديع التصوُّر والسذاجة وحسن التصرف البديهي واجادة الرصف وابداع الوصف واحكام التشبيه ما يسمو بهنَّ الى ارفع درجات الشعر الموسيقي فهن بهذا المعنى قد جمعن بين محاسن الطريقتين في الشعر العربي كما جمعت الياذة هوميروس بين اطراف المحاسن في الشعر اليوناني

فالمعلقات اذًا رأس الملاحم العربية · واقربهن الى منظومات الشعر القصصي على ما يراد به في العُرف معلقة الحارث بن حلزة لافاضته في وقائع بكر وتغلب وتغنيه بفوز قومه ونكال عدوه ومفاخر عشيرته على ما يماثل تغني هوميروس

في الالياذة · وتليها بهذا المعنى معلقة عمرو بن كلثوم ثم معلقة زهير

ويلحق بالمعلقات باعتبار انها ملاحم عربية بجمهرة بشر بن ابي خازم وامية ابن ابي الصلت · ومنتقيات مهلهل بن ربيعة ودُرَيد بن الصمة والمتخل بن عويمر · ومذهبة قيس بن الخطيم · ومشوبة النابغة الجعدي · ومنحات الفرزدق والكميت والطرماح

وانت ترى ان معظم اصحاب الملاحم من الجاهليين وان احسنها المعلقات وجميع اصحابها من ابناء الجاهلية وقد عزا الشعر القصصي بعدهم ضعف أَلمعنا اليه فلا حاجه الى التكرار

ملاحم المولّدين

اذا قصَّر المولدون عن الجاهليين بالبداهة الفكرية فقد رأَيت انهم فاقوهم بسموّ التصوُّر والرقة وصعدوا فوقهم درجات في سلم البلاغة بفضل القرآن · ولو لم تتغير مناحي شعرهم لما تقدم بسطه من الاسباب لابدعوا في جميع الاساليب الشعرية · ولكنهم لم يستتموا الاقتباس والا فلو استرشدوا ببعض السور القرآنية كسورة يوسف وسورة مريم وسورة الانبياء مما يعد نبراساً نيّرًا للملاحم لفاقوا الجاهليين بالشعر القصصي كما فاقوهم بالشعر الموسيقي

ومع هذا فان للمولدين نوعاً من الملاحم خاصًّا بهم وهو المقامات المسجَّعة بما يتخللها من الشعر كمقامات الهمذاني والحريري · ولكن التجرد فيها للاغراب في اللفظ يحوّل الفكر فيها عن التصرف بالمعنى · على ان للفظ احيانًا رنّاتٍ مطربةً بنفسها · وهذا النوع من الانشاء من خصائص اللغة العربية · وان كثرة القوافي في اللغة تسوق الى التسجيع حتى لقد يكون ذلك حيث لا مسوّغ له كالابحاث العلمية والتفاسير القرآنية حتى كتب التاريخ التي لا يستحسن فيها الاكثار من الشعر والسجع

ويلحق بالمقامات القصص التي يمتزج بها الشعر والنثر كقصة عنترة العبسي وكثيرٍ من القصص التي تتداولها العامة في جميع البلاد العربية

وان من احسن ملاحم المولّدين ملحمةً نثرية جمع فيها صاحبها شتيت المعاني

واوغل في التصوّر حتى سبق دنتي الشاعر الايطالي وملتن الانكليزي الى بعض تخيلاتهما الا وهي رسالة الغفران لابي العلاء المعرّي · ولكن استغلاق عبارتها وفقدان الطلاوة الشعرية منها يحطان بها عن درجة امثالها من ملاحم الاعاجم·

واما المنظومات الاخبارية والاراجيز التاريخية التي يقصد بها تدوين الاخبار فهي كثيرة في كل عصرٍ من عصور العرب في الشعر الفصيح والعامي وقد باد معظم ما قيل منها في الجاهلية وهي اشبه شيءٍ بالاراجيز العلمية وكتب التواريخ المسجّعة كتاريخ العتبي وليست في الغالب الا سلسلة حوادث مصوغة في القالب الشعري البسيط لاتتناول الا القليل من بديع التصوّر الذي يهيج النفس ولا مجال فيها للخيال · ومن هذا القبيل ارجوزة ابن عبد ربه [1] في اخبار الملك الناصر عبد الرحمن الاندلسي التي مطلعها :

سبحان من لم تحوهِ اقطارُ ولم تكن تدركه الابصارُ
ومن عَنَت لوجهه الوجوهُ فما لهُ ندٌّ ولا شبيهُ

فهذه وامثالها مما لا يعدّ من نفائس الشعر القصصي ولا الموسيقي

وقد شاعت هذه الطريقة في بلاد المغرب ونظموا فيها الموشّحات المعروفة بالملاعب بالشعر العامي وابدعوا في بعضها ابداعاً يكاد يلحقها بالشعر الفصيح كملعبة الكفيف المكناسي في السلطان ابي الحسن المريني [2]

هذا جلّ ما يمكن ايراده بالايجاز عن ملاحم العرب وهي كما ترى جامعةٌ بين اعلى طبقات الشعر وادناها



(١) العقد الفريد ج ٢ : ٢٨٨

(٢) ابن خلدون ١ : ٥٣١

الحقيقة والمجاز

التشبيه والكناية والاستعارة

نظر هوميروس الى الحقائق نظرة الباحث الخبير فتجلت له من وراء حجاب الخيال · وامعن في احوال الطبيعة حسيّها ومعنويها فبرزت له بابهى مظاهرها · فاستوحى قيانه فأوحين اليه وحي الآلهة للانبياء

عمد الى الرسم غير متكلف ولا متأنق والصدق مرماه والبداهة دليله فسلك سبيلاً عدلاً غير ذي عوجٍ فما تعثّر ولا اضلته المجاهل

رأى ان الحقيقة في غنىً عن التستر والتبرُّج فذلك يخفي جمالها وهذا يشوب كمالها فابرزها على فطرتها فاذا بها فتانةٌ للقلوب خلاّبةٌ للبصائر

علم ان معارضة الاشباه والنظائر من مزيلات الاوهام المقرّبات الى الافهام فاكثر من التشبيه والمقابلة حتى المّ بكل احوال البشر وسائر المخلوقات · وان احسن شيءٍ في تشبيهاته حلولها جميعاً محلها · فاذا تجلت له الصورة رسمها بصراحةٍ واتساقٍ غير مداجٍ ولا محاذر فاطنب واوجز وصعد وهبط على ما يقتضيه الموقف

فاذا وصف فارسين متساوين بين شدةً وبأساً شبههما بليثين كما قال في هكطور وفطرقل وهما يقتتلان حول جثة بطلٍ طروادي : (ص ٨٥٢)

... وهكطور عن خيله نزلا وفي طلب الجثة اقتتلا ...
كليثين بينهما ظبيةٌ بها فتكا فوق طود علا ...

واذا وصفهما وقد ذلّ احدهما للآخر شبه احدهما بالليث والآخر بالظبي كقوله في منيلاوس وفاريس : (ص : ٣١٤)

كالليث يضورهُ السغبُ والظبيُ لديهِ يضطربُ
فعليهِ منقضاً يثبُ ولوِ القناصون اقتربوا
بضراءٍ تقبل للصدِّ

واذا بدت له الشدّةُ قبل النزال وحب البروز من الاعتزال رأى ان الجواد العتيّ المنقطع على مربطه اقرب الى تلك الصفة من الليث فحلّه من عقاله واجراه جري جواد امرئ القيس (ص : ٧٠٠ و٤٨١)

واذا نزل به الى ساحة القتال فانهزمت من وجهه الابطال عدل عن التشبيه بالحيوان الفرد الى ما هو اوقع في النفس فمثّله بالسيل الجارف (ص : ٣٨٩)

وابرز لك بالتشبيه الصادق جميع صفات البشر وما يقابلها من صفات الحيوان بجميع حالاته فنظر الى الكبير منها والصغير والقويّ والضعيف والوحشيّ والداجن فوصف الاسود والذئاب والخرانيص والمها والظبي والايّلة وغير ذلك مما لم يستذلّهُ الانسان . والخيل والحمير والبغال والكلاب والبقر والمعز والغنم وغير هذا مما دخل في حظائر الناس

وتناول الطيور من النسور والعقبان الى البط والاوزّ والرهو والغرانيق والزرازير والحمام . وانعطف الى الزحافات والدبابات والديدان وانتهى الى الهوام والحشرات فوصف الافاعي وشبّه بالصراصر والزنابير والنحل والذباب و « ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها »

ولقد عابه بعض المتسرّعين على التشبيه بصغار الحيوان . ولكنك اذا نظرت الى كل ما قال فيها علمت انه انما ذكر الشيء الحقير ليستخرج منه الامر الخطير وتلك عبرةٌ يجب ان يُنظر اليها بعين الإعظام والاكبار . فاي تشبيهٍ لعصبةٍ تذود عن حوضها وتتفانى في الدفاع عن العرض والمال اوقع من قوله قول الشنفرى مشبهاً بالنحل والزنابير : (ص : ٢٥٥)

مثل الزنابير ذبت عن خشارمها والنحل لا يتخلّى عن خليّتهِ

واي تمثيلٍ لجيشٍ كثيف يمور وجندٍ من حول زعمائها تدور اصحُّ من قوله قول عنترة مشبهاً بالذُّباب : (ص : ٢٨٩)

حلُّوا بضفته في عدةٍ غمَضت يصلَون نار انتقام داخل الكبدِ
مثل الذُّباب اذا حان الربيع وقد حامت بعنَّة راعي العنز والنَّقدِ

تهافتت تبتغي الالبان هاجمةً على القصاع بلا حصرٍ ولا عددِ
وكل سيد قومٍ قام منفرداً بهم كراعٍ بما يستاق منفردِ . . .

ثم انه نظر الى الطبيعة فتناول بتشبيهاته منها كل ما يلوح للناظر ويروق الخاطر فوصف النار من القبس والشرار الى الحريق الذي يلتهم الغاب ويدمر المدن الكبار . ووصف الاهواء والانواء من النسيم العليل الى الزوبعة والعاصفة والاعصار الوبيـل . وجميع المهابّ من صبا ودبور وجنوب وشمال . والسحب والامطار من البخار المتصاعد حتى الغيم المتلبد ومن القطر الى الغيث المـدرار والسيل المدّار . واحاط بالبروق والرعود وظواهر الجوّ من قوس قزح حتى الشهب الثواقب . وضرب في الفيافي وصعد الجبال فمثل بالتشبيه جميع ما فيها من شجرٍ وغابٍ وصخرٍ وتراب ووصف الورقة الجافة والشجرة الشمآء . وارتقى الى عالم الافلاك واتخذ ما شاء لموصوفاته من شمسها وقمرها وثوابتها وسيّاراتها . ثم خاض عباب البحر فاخذ بناصية حيتانه ونينانه وسائر سكانه من حيوان وجان . وتلقى عجاجه واستقبل امواجه ومثله صافياً وساكناً ومشتدّاً ومربدّاً ومزبداً مرعداً . وجال الاقطار وعبر الانهار فولج جوف الارض فمثّل ما فيها وما تحتها وما فوقها وما يكنفها من ماء وهواء

واذ فرغ من ذلك مدّ بصره الى احوال البشر فاخذ يقابلها بعضاً ببعض فما ألهاه الملك الوقور والزعيم الجسور عن الجندي الفقير والطريد الكسير . وما اغفل عاملاً ولا صانعاً ولا تاجراً ولا زارعاً . وتطرق الى الشؤون البيتية فما غادر اباً ولا اماً ولا زوجاً ولا زوجةً ولا اخاً ولا اختاً ولا ابناً ولا ابنة والمّ بكلّ قريب ونسيب . وبحث في اطوار الحياة فمثّـل حالة الشيخ والكهل والشاب والطفل . وهو في كل ذلك مستنفرٌ الى الخـير منفرٌّ من الشر يشـتد موضع الشـدة ويرقّ موضع الرقة . فيقف بك تارةً ترقب العواصف والانواء وقد اكفهرّ الجوّ واضطرب اليمّ ومادت الجبال وزلزلت الارض زلزالها ثم ينثني بك طوراً وقد هاج العاطفة واستنزل الحنان بالتمثيل النافذ والتشبيه السـهل

الممتنع فترى وصفه في معظم ذلك غريب الصنعة قريب التناول . فاي وصف للائذ اصدق من لياذ الطفلة بامها اذ يقول : (ص : ٨١٣)

شهقتَ كطفلٍ جرت تسرع ومن دونها امها تهرعُ
فتعلق في ذيل اثوابها ومقلتها صبًا تهمعُ
وترسل طرفًا بليلاً اليها عساهُ بذلّتها يشفعُ
وتجذبها وهي ضارعةٌ لتحملها فتكفَّ البكا

واي تمثيل اصدق وارقُّ من قوله مشبهًا موت فتىً غض الاهاب في مقتبل الشباب وقد مال رأسه على صدره وهو يحتضر : (ص : ٥٣٤)

فرأسُ الفتى لما بجنته مني بمغفرهِ المسرود أُثقل ينحني
كزهرة خشخاشٍ بيانع روضةٍ يثقّلها طلُّ الربيع فتنثني

ومن مزايا شعره انه كان يطلق عنان التصور في التشبيه فلا يوقف القول الا حيث وقف الخيال فقد يتناول تشبيهه ابياتًا وتندرج طيه تشبيهات اخرى وقد يشبّه في شطر او بعض شطر . وهذا ايضًا من مزايا الشعر الجاهلي التي اسلفنا انها ضعفت في المولّدين وان اجادوا الرسم كابن المعتز ما خلا افرادًا قليلين تناولوا المعاني فالمّوا بجميع اطرافها كابن الرومي

وكان مبغضًا للاغراب باللفظ والمعنى لا يقول الا ما ترضاه الخاصة وتفهمه العامة ينتحي مجاراة الفطرة وإطلاق الطبيعة يسعى الى الحقيقة ولا يتوخّى المجاز فلا يتطلبه في شعره ولا يتجنبه اذا عبَّر عن فكره . ولهذا كان كالجاهليين من العرب كثير التشبيه قليل الكنايات والاستعارات لا يأتي المجاز الا مرسلاً فجاء جميع ما ورد منه في شعره آيةً في بابه على قلته كقوله (ص : ٨٣٩) واغمض عينيه ستر المنون . وقوله (ص : ٥٩٤) او تفغر الحرب المهدمة الفما . وامثال ذلك من الاستعارات البسيطة السهلة

البديهيّات

اما بديهيّاته فحدّث عنها ولا حرج . فلقد تراه يخوض بحر المعاني فينثر

ما التقط منها من ابكار الافكار ثم يلفت يميناً وشمالاً فيدرك بعين بصيرته ما طرق فكر سامعيه فيمدُّ بصره الى مخيلة ذوي الالباب منهم ويستخرج ما ارتسم في اذهانهم بسياق الحديث فيعبّر عنه ببداهة ترتاح اليها النفس ويطمئن الخاطر. فاذا اتى مثلاً على وصف وقعةٍ التحم فيها القتال وتلاحمت الرجال وتعالى الصياح وتألق السلاح علم انه يخيّل للسامع شيءٌ من البديهيات المطروقة فقال له :

والارض تحت الرَّجل والعجلِ   مادت لثقلة هاته المللِ

او قال : وكأن السهول طارت شراراً   بمسير الاغريق فوق السهولِ

او قال : وفوق الصدور الطامحات تألّقت   صوارمهم والسمر ايَّ تألُّق

وامثال ذلك من المعاني التي لا يحتاج فيها الى شحذ ذهن واعمال فكرة. وهي مع هذا ليست مما يستهان فالمعنى البديهي اذا حلَّ محله خف على الطبع وقد يؤثر بحسن وقعه على كثرته تأثير المعاني المبتكرة على قلتها.

النقل والسرقة وتوارد الخاطر

يسوقنا واجب الاستطراد في هذا البحث الى مؤاخذة بعض الباحثين في الشعر العربي اذ يضعون البديهيات موضع المبتكرات فينكرون على كل شاعر متأخر ان ينتحل معنى سُبق اليه فيخلطون بين السرقة وتوارد الخاطر. فلهذا لا نرى رأي صاحب « الابانة عن سرقات المتنبي » بقوله ان ابن الرومي وابا الهندي ومحمد بن هاشم العاري والمتنبي تناقلوا بعضٌ عن بعض معنى طول الليل فقال ابن الرومي :

فكأنَّ ليلتنا علىَّ لطولها   ثبتت تخض عن صباح الموقفِ

وقال ابو الهندي :

يا ليل هل لك من صباح   ام هل لنجمك من براح

وقال العاري :

سهرت ليلي فنوم العين متبولُ   كأن ليلي يوم الحشر موصولُ

وقال المتنبي :

من بعد ما كان ليلي لاصباحَ له   كأن اوّل يوم الحشر آخرهُ

فهذا من المعاني البديهيّة التي تتوارد فيها خواطر الشعراء وغير الشعراء . وانما الفرق في التصرف فيها أفلا ترى ان كلاً من الاربعة تصرف تصرفًا مخالفًا للآخر

ومثله قول صاحب « الموازنة بين ابي تمّام والبحتري » ان ابا تمـام كان ناقلاً لما قال :

كأن بني نبهان يوم وفاتهِ   نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ

اخذهُ من قول جرير في رثاء الوليد بن عبد الملك :

امسى بنوه وقد جلّت مصيبتهم   مثل النجوم هوى من بينها القمرُ

او من قول مريم بنت طارق وهي ترثي اخاها :

كنا كأنجـم ليـلٍ بينها قمرٌ   يجلو الدجى فهوى من بينها القمرُ

وما احرى هذا المعنى ان يكون شائعًا في امةٍ صفا جوُّ ارضها وسامرت القمر والنجوم طول ليلها . فليس هذا كلهُ من باب النقل وانما النقل في مثل ما استشهد به صاحب الابانة من قول المتنبي :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي   المجدُ للسيف ليس المجد للقلمِ

اكتب بنا ابدًا بعد الكتاب به   فانما نحن للاسيافِ كالخدمِ

فهو مأخوذ عن قول ابن الرومي :

كذا قضى الله للاقلام مذ خُلقت   ان السيوف لها مذ أُرهفت خدمُ

ومثله ما استشهد به صاحب الموازنة من قول ابي تمّام :

مضوا وكأن المكرمات لديهمِ   لكثرة ما اوصوا بهنّ شرائعُ

فانه منقول عن ابي نواس اذ قال :

سنّ للناس الندى فندَوا   فكأنّ البخل لم يكنِ

واما شعراء اللاتين والافرنج فلم يحاذروا مثل هذه المحاذرة في نقل امثال

هذه المعاني ولا سيما بالنظر الى الالياذة فانهم اغاروا عليها غارة شعواء فطوفوا بمعانيها اجياد منظوماتهم من الملاحم الى التمثيليَّات الى القصائد فنقلوا ونسخوا ومسخوا وسلخوا واقتبسوا وعارضوا وضمَّنوا وتصرفوا وهم في الغالب لا يضمرون السرقة بل يفاخرون ان يُعلم انهم تحدَّوا هوميروس حتى لو نظرت الى تلك المنظومات لرأيت المعاني الهوميرية مزدحمة فيها بتصرُّف او بغير تصرُّف ولا سيما مما ابعد فيه هوميروس ببصره فاستنبطه بالتصوّر من المماثلات البديعة او استخرجهُ بالتشبيه من مكنونات الطبيعة كقوله في مثل معنى امرئ القيس بوصف جواده : (ص: ٦٩٩)

وهبَّ الطراود والتصقوا   وفي الصدر هكطور مندفقُ
كجلمود صخرٍ قد انتزعا   من الشمّ سيلٌ به اندفعا
له الغاب مرتجةً ترتجفْ   الى القعر حيث بعنفٍ يقفْ

فنقله فرجيليوس الى « انياذته » اللاتينية فقال (ن ١٢)

Ac veluti montis saxum de vertice praeceps
Quum ruit avulsum vento, seu turbidus imber
Proluit, aut annis solvit sublapsa vetustas,
Fertur in abruptum magno mons improbus actu,
Exsultatque solo; silvas, armenta, virosque
Involvens secum:....

واخذه عنه تاسُّو الايطالي فقال « في اورشليمه » : (ن ١٨)

Qual gran sasso tal hor, che o la vecchiezza
Solve da un monte, o svelle ira de' venti
Ruinosa dirupa, e porta, e spezza
Le selve, e con le case anco gli armenti
Tal giù trahea de la fublime altezza
L'horribil trave e merli, e arme, e gente,
Diè la torre a quel moto une, o duo crolli;
Tremar le mura, e rimbombaro i colli.

ومثله قوله بلسان زفس بعد مشاجرة بينه وبين اخيه فوسيذون اسفرت عن ارعواء فوسيذون واستكانته : (ص: ٧٨٦)

ففوسيذ في بطن العباب قد التجا ومن نار غيظي في حزازته نجا
والا لأهمت فاتكات أكفنا بنا عرقاً يهمي به كل عارقِ
وكان اصطدامٌ بالعوالم يحدقُ ويزعج ارباب الجحيم ويقلقُ
فيا نِعم مسعاه لهُ ولعزّتي فإنا كُفينا فلق تلك الفلائقِ

فاخذه ملتن الانكليزي لوصف ارتداد جبريل عن ابليس فقال في « فردوسه »

.........Not only Paradise
In this commotion, but the starry cope
Of heav'n, perhaps, and all the elements
At least had gone to wrack, disturb'd and torn
With violence of this conflict, had not soon
Th'Almighty, to prevent such horrid fray, &c.

وكثيراً ما نقلوا عنه التصورات الغريبة والمعاني الطويلة المتشعبة بأُصولها وفروعها وتصرفوا فيها كما نقل ڤولتير الفرنسي نجوى زفس للطرواد اذ قال : (ص : ٦٧٦)

(كتيبةٌ تلك ضمّت جلّهم عددا جنداً اتمدُّ الى كيد العداة يدا)
كادت تجوز حفير القوم عابرةً اذا بطيرٍ لها تحت السماء بدا
فاستوقفت جزعاً في الجرْف حائرةً تطيراً وهوعن يسرى السرى وَردا
نسرٌ مخالبه في الجوّ قد نشبت بافعوان خضيبٍ تحت قبضته

فالافعوان وفيه لم يزلْ رَمقٌ ما بين اظفاره في الجوّ يصطفقُ
حتى عليه التوى بالعنف يلسعهُ في بارز الصدر حيث التفت العنقُ
فصاح عن المٍ مرٍّ وافلتهُ وراح تحت مهبّ الرّيح ينطلقُ
والأفعوانُ هوى للارض مختضباً حيًّا وطروادةٌ ارتاعت لرؤيته

فقال ڤولتير متصرفاً ومتفنّناً في مقدمة منظومته « كاتيلينا » :

Tel on voit cet oiseau qui porte le tonnerre,
Blessé par un serpent élancé de la terre;
Il s'envole, il entraîne au séjour azuré
L'ennemi tortueux dont il est entouré.

Le sang tombe des airs. Il déchire, il dévore
Le reptile acharné qui le combat encore;
Il le perce; il le tient sous ses ongles vainqueurs:
Par cent coups redoublés il venge ses douleurs.
Le monstre, en expirant, se débat, se replie;
Il exhale en poison les restes de sa vie;
Et l'aigle, tout sanglant, fier et victorieux,
Le rejette en fureur, et plane au haut des cieux.

وان امثال هذه المنقولات عن المعاني الهوميرية مما يملأ الاسفار ولم يُعَب عليها هؤلاء الشعراء الا من تعمَّد السرقة وشفَّ نهجه عن ادعاء الابتكار على نحو ما ترى الكثيرين من المتطفلين على الشعر في هذا العصر

فعل الحضارة في استهجان المستحسن

واستحسان المستهجن في التشبيه والمجاز

إنَّ مِمَّا بُهت له بعض المتأخرين من نقلة الالياذة واشكل عليهم في لغاتهم تشبيه الانسان في بعض احواله بانواع من الحيوان ينظرون اليها بعين المهانة ويضعها هوميروس موضع العزة والكرامة · وهذا ولا ريب من نتائج طول العهد بالحضارة · ولا أعلم أهي حسنةٌ لهذه الحضارة تُمدح عليها أم سيئةٌ تؤاخذ عليها وانما اعلم ان في اصنافٍ كثيرة من الحيوان مزايا يعز على الانسان أن يتصف بأحسن منها · ولا اذكر حيواناً تقادم العهد على وضعه موضع الخسّ والهوان كالكلب فقد عرّض هوميروس بذكره مرارًا للسباب والتحقير وهكذا فعل اكثر الكتَّاب من المتقدمين · وفي شعر العرب وكلام مؤرخيهم وادبائهم من هذا المعنى ما لايدركه حصر فلا يكادون يشيرون الى شخص يريدون ازدراءه او شتمه الا قالوا « هذا العلج الكلب » و « هذا الكلب البذيء » وما اشبه · فكأنهم تناسوا جميع ما في هذا الحيوان الامين من كرم الخلال واغاروا على شيء من الدناءة فيه وان كان لم يستأثر بها دون سائر الحيوان ناطقًا كان او غير ناطق · ومع ذلك فقد وفَّى هوميروس كل صفة حقها · فهو اذا وصف الكلب بالبذاءة فما اغفل

سائر ما فيه من الخصال فأطرأ امانته ومهارته في تقفّي القنيصة وبسالته في تأثر الضواري · وفعل فعله شعراء الجاهلية مما عارضناه بشعر هوميروس في موضعه

واما ما بقي من الحيوانات فقد اقتطع منها هوميروس صفاتٍ حميدةً وصف بها كبار قومه وكرامهم وهو ما اردناه بقولنا انه اشكل على بعض كتّاب الافرنج وثقل عليهم نقله الى لغاتهم · فاذا شبَّه رجلاً صبورًا بالحمار رأيتهم يتثاقلون بنقل الكلمة بل ربما اكلوا الحمار برمّته كما فعل پوپ في النشيد الحادي عشر وعذرهم في ذلك انه يشوّه وجه ترجمتهم · واذا شبّه هوميروس عظيمَ القوم بالثور عظُم عليهم الامر وحسبوها ورطةً يجب التملص منها · وربما بدّلوا حيوانًا بحيوان فجعلوا الخنازير دببةً والكلاب ذئابًا وهم يزعمون انهم لطّفوا المعنى ولا إخالهم فعلوا

ولستُ بمنكرٍ ان الانقلاب الذي طرأ على مفاد التعبير عندهم قد أصابنا منه شيءٌ كثير · فليس منا من يستحسن تشبيه كريمٍ قوي الجنان رابط الجأش بالحمار ولا تشبيه باسلٍ مغوار بالخنزير · على ان اليقين ان ابناء الجاهلية من كل قومٍ لم يكن هذا شأنهم ايام كانت الفطرة تأخذ بالظاهر ولا تتكلف التأويل · وتتشبث بالحقيقة مهما ثقلت

وحسبنا ان نرجع الى ايام جاهليتنا وما وليها من مُقتبَل الاسلام ونتصفح معاجم لغتنا فنرى ان هوميروس لم يأتِ شيئًا فريًّا — قال في اساس البلاغة « الثور الفحل من البقر والسيد وبه كنّي عمرو بن معدي كرب » · ومما يذكر هنا استطرادًا ان الثور لايزال لقبًا مكرّمًا في السودان · ويقال مثل ذلك في الجَـدَع بمصر وهي من الجَذَع · وفي محيط المحيط الجذع من البهائم قبل الثني والشاب الحدث ومنه قول دُرَيد :

يا ليتني فيها جَذَعْ اخبّ فيها وأَضـعْ

وفي كتب اللغة الكبش الحمـل وسيد القوم وقائدهم والمنظور اليه فيهم ومنه قول لبيد :

بكتائب رجحٍ تعود كبشها   نطح الكباش كانهن نجومُ

وقول اسد بن ناعصة :

ولربّ كبش كتيبة غادرته   يكبو لجبهته صريعاً اطحلا
متنجعاً قد دق في حيزومه   صدر القناة على الفرار مجدّلا

والقَرم الفحل ثم استُعمل للسيد العظيم على التشبيه له بالفحل وقد اجتمعا في قول المتنبي بمدح سيف الدولة

ولكنا نداعب منك قرماً   تراجعت القروم لهُ حقاقا

اي نمازح منك سيداً صارت الرجال بالنسبة اليه كالنياق بالنسبة الى فحول الجمال

والرُتّ الخنزير الذكر وأُجرى مجازًا على الباسل المقدام فيقال هو رتٌّ من الرتوت وهو من رتوت الناس اي من عليّتهم وسادتهم (اساس)

والقَبُّ الجمل والرئيس والملك . والفنيق الفحل المكرَّم من الابل لايؤذى ولا يُركب . والسيد المسنّ من المعز والرئيس . والأَصيَد الملك والبعير الذي فيه داء الصَّيَد وهلمّ جرًّا

ويقال مثل ذلك في بعض ما برز من اعضاء الحيوان كالناب والخرطوم والانف والقرن فهي وان كانت مما قد يستهان به الآن لم يوضع اكثرها في الكلام عن الناس الا للرفعة والسيادة . فاذا راجعت كتب اللغة قرأْت : الخراطيم اسياد القوم . انياب القوم ساداتهم . ومنه قول الشاعر

كنت لهم في الحدَثان نابا   القى العدى وضيغماً وثّابا
ولم اكن هردبة وجّابا   (اساس)

القرن السيد تشبيهاً بقرن الثور لبروزه . انف القوم سيدهم ومنه قول الحطيئة في بني انف الناقة

قومٌ هم الانف والاذناب غيرهمُ   ومن يساوي بأَنف الناقة الذنبا

ولا عبرة بما قيل ان العرب كانت تعيّر بني انف الناقة بذلك اللقب

وليس النعت بهذه الاوصاف مما خُص به بنو الجاهلية بشعرهم بل اتصل منه شيءٌ بشعراء التابعين والمولدين حتى انه لايندر ان نرى شيئًا من هذه الالفاظ في كلام المؤرخين كقول العتبي في السلطان محمود بن سبكتكين واقبل كالفحل الفنيق · ولا تكاد تجد مؤرخًا لا يقول قول ابن خلدون : وكان فحل ذلك الشول وكبش تلك الكتائب الخ · وامثال هذه الالفاظ لا تثقل على مسمع العربي حتى يومنا · بل لايزال بعضها مما يحلّى به جيد الكلام

واننا بهذا الاعتبار نقسم هذه الالفاظ الى اربعة اقسام : ما أُهملت حقيقته ومجازه كالرَّتّ والقَبّ فلا نرى من يستعملها لانسانٍ ولا لحيوان

وما بقيت حقيقته ومجازهُ كالفحل والكبش فهما وان كانا موضوعين للحيوان فقد يوصف بهما الانسان وصف تكريم فنقول هو فحلٌ من فحول الشعراء وكبشٌ من كباش الهيجاء

وما أُهملت حقيقته وبقي مجازه كالجَدَع عند العامة في مصر فهي انما تستعمل للاطراء وان كانت لا تزال على معناها الوضعي في اماكن اخرى

وما أُهمل مجازه وبقيت حقيقته كالثور والحمار وهو اكثرها · فما منا من يرضى ان يلقّب حمارًا ولو قيل له ذلك كان لقب مروان بن محمد الخليفة الاموي الحازم لُقّب به على ما أَجمع المؤرخون لصبره ورباطة جأْشه وشجاعته · قال القرماني : ويقال في المثل فلانٌ اصبر من حمار في الحروب · وهو ايضًا اللقب الذي لقب به يعقوب ابنه يسّاكر في التوراة · وليس من يسرّه ان يكنى بالثور وان كانت تلك كنية عمرو بن معدي كرب سيد العرب · وما من احد يرتاح ان يقال له انف الناقة وان وضع الحطيئة ذلك اللقب موضع رفعة واجلال · وقد نأْبى ان يعرّف احدنا بالجمل وان عُرّف به ابن عم النبي حمزة بن عبد المطلب · على اننا من وجه آخر لا نرى غضًا من قدر من يلقّب بالسرحان وان كان ذلك لقب الذئب او يكنى بأَبي خالد وان كانت تلك كنية الكلب

مزية العربية على لغات الافرنج في هذا الباب

لما كنت قد آليت على نفسي ان لا احرّف الكلام عن مواضعه وان لا اعبث بوصفٍ او تشبيه فأميل به عن اصله الوضعي تفادياً من ثِقَل على الآذان عمدت الى نهجٍ بفي بالمرامين: استبقاء الاصل على وضعه ونبذ الالفاظ التي باتت بعرف الحضارة من باب الحوشي الساقط في المدح فلا يُمدَح بها كبيرٌ ولا صغير. وفي لغتنا والحمد لله متسعٌ فسيحٌ لمثل هذا المجال بخلاف لغات الافرنج التي لا محاد لكتّابها عن استعمال اللفظة بعينها والا اضطُرّوا الى تبديلها او اغفالها اصلاً

فاذا عرض لي مثلاً تشبيه رجلٍ باسلٍ بالخنزير الذكر ينفسح لي بابٌ في كتب اللغة لانتقاء كلمة اخرى فاقول الرُّت او الخرنوص فلا اغير شيئاً من المعنى واكفي مؤونة أنفة القارىء. واذا اضطررت الى استعمال لفظة الحمار بمقام المدح وهو تشبيه شبّه به اياس البطل الباسل عمدت الى كلمة اخرى فقلت «الجأب» وهو الحمار بعينه

واذا آنست رنّة خشنة على الأُذن بذكر الكلاب بهذا اللفظ قلت «النواهس» و «الغضف» و «الضراء» وما اشبه

واذا خشيت هجنة بان يقال قطيع البقر قلت «الصوار» وهو هو

ولزيادة الايضاح اضرب لك مثلاً واحداً مما سترى اشباهه بمطالعة الالياذة:

اطرأ الشاعر بسالة هكطور (ص: ٥٣٦) في واقعة فشبهه وهو يتعقب الاعداء بالكلب الذي يتأثر الاسد المذعور او الخنزير البرّي فقال:

وهكطور صدر الجيش يجري ويلغبُ ويكسأُ في الارداف من يتعقَّبُ
كأغضف هولٍ قد تأثر ضيغماً تذعَّرَ او خرنوص برٍّ يكبكبُ

فاراني لو قلت: ككلبٍ كبيرٍ قد تأثر ضيغماً او خنزيراً الخ لما زدت على المعنى ولا انقصتُ ولكن شتان ما وقع هذا التعبير وما ذاك على المسامع

الخاتمة

قال بعضهم :

للسادة الشعراء فضلٌ ثابتٌ ولهم مقامٌ شامخٌ ومكانُ
وهم سلاطين الكلام ألا ترى كلَّ امرئٍ منهم لهُ ديوانُ

نظر صاحب هذين البيتين الى الشعر العربي من حيث انه دليل البلغاء وحجة اللغويين وشاهد الخطأ والصواب . ولكنه لو أراد الزيادة لقال ان سلطان الشعراء يمتدُّ الى ما فوق ذلك . وان الشعر ريحانة النفوس ومبدّد البؤوس . وقد كان في غابر العهد سجلّ الحكمة ومنهل النعمة ومحط الفخار ومطمح الابصار . وان شاعرًا واحدًا كان يرفع قبيلةً ويخفضها ويعزّها ويذلُّها فينفذ كلامه في الاحساس ولا نفوذ احكام الآمر المستبد بالناس . وان سلطة الشعراء في الجاهلية كانت تباري سلطة الرؤساء . والقبائل تستثمر سلائق الفتيان أيان توسمت فيها الذكاء استثمار بني الحضارة كلّ غرسٍ زهيّ وفرعٍ زكيّ . فاذا نبغ فتاهم وقال قولاً نافذًا تباشر به الكهول والشبان والشيوخ والولدان وخرجت النساء بالمزاهر وغنين ورقصن وقلن ازف الفرج فقد صينت الاعراض وحفظت الانساب وارتفعت الاحساب وحُمي الذمار وتخلدت الآثار . وطارت البشائر فأقبلت الوفود من سائر العشائر كأنهم في يوم نصرٍ عظيم

ولطالما قال شاعرهم ابياتًا فتناقلتها الركبان واومضت وميض البرق فبهرت الانظار وقضت الاوطار . — قالوا ان الاعشى الاكبر كان يأتي سوق عكاظ في كل عام فيتجاذبه الناس في الطريق للضيافة طمعًا بمدحه اياهم في سوق عكاظ فمرَّ يومًا ببني كلاب وكان فيهم رجل يقال له المحلّق فقير الحال ضيق المعاش وله ثماني بنات لا يخطبهنَّ احد لمكان ابيهنَّ من الفقر وخمول الذكر . فقالت له امرأتهُ ما يمنعك عن التعرض لهذا الشاعر وإكرامهِ فما رأيت احدًا اكرمهُ الا

واكسبهُ خيرًا فقال ويحك ما عندي الا ناقتي فقالت يخلفها الله عليك . فتلقاه قبل ان يسبق اليه احدٌ من الناس . وكان الاعشى كفيفًا يقودهُ ابنه فاخذ المحلق بخطام الناقة فقال الاعشى من هذا الذي غلبنا على الخطام فقال فتىً شريفٌ كريم . ثم اتى بهِ منزلهُ واكرمهُ ونحر الناقة وجعلت البنات يدرنَ حولهُ ويبالغن في خدمته فقال ما هذه الجواري حولي فقال المحلق بنات اخيك وهنَّ ثمان نصيبهنَّ قليل فقال الاعشى هل لك حاجة فقال تُشيد بذكري فلعلي أُشهر فتخطب بناتي فنهض الاعشى من عنده ولم يقل شيئًا فلما وافى سوق عكاظ انشد قصيدته التي انشأها في مدحه وهي التي يقول فيها

لعمري لقد لاحت عيونٌ كثيرةٌ ... الى ضوء نار بالبقاع يحرّقُ
تشبُّ لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلّقُ

فاشتهرت القصيدة ولم تمضِ على المحلق سنة حتى زوّج بناته ويسرت حالهُ

وان في كتب العرب من اخبار شعراء الجاهلية ما لا تُعد هذه الرواية بجانبه امرًا خطيرًا

وكان المولَّدون مع تبذُّل الجم الغفير منهم وانحطاط منزلتهم عن شعراء الجاهلية ينالون بشعرهم ابعد المطالب . — روى ابن خلكان انه قدم بين يدي المامون نصر بن منيع وكان قد امر بضرب عنقهِ فقال نصر يا امير المؤمنين اسمع مني كلماتٍ اقولها فقال قل فانشأ يقول :

زعموا بان الصقر صادف مرةً ... عصفور برّ ساقهُ التقديرُ
فتكلم العصفور تحت جناحهِ ... والصقر منقضٌّ عليه يطيرُ
اني لمثلك ما اتمّ لقمةً ... ولئن شُويتُ فانني لحقيرُ
فتهاون الطير المدلُّ بصيده ... كرمًا وافلت ذلك العصفورُ

فعفا المأمون عنه

واما الاموال التي كان يستدرّها الشعراء بشعرهم فمما يفوق التصوُّر . وهم وان كانوا يجازون بها احيانًا محاذرةً من هجوهم والجامًا لالسنتهم فكثيرًا

ما كانوا ينالونها بما اطربوا وارقصوا وخلبوا العقول · — ذكروا ان ابن باجّة التجيبي آخر فلاسفة الاسلام بالاندلس انشد ابا بكر الصحراوي صاحب سرقسطة موشّحاً في مدحه فاطربه حتى كاد يفقده الرشد فما بلغ قوله :

عقد الله آية النصرِ لامير العلا ابي بكرِ

حتى شق الممدوح ثوبه من شدة الطرب وحلف لا يمشي ابن باجّة الا على الذهب فخاف الشاعر عاقبة الامر فجعل في نعله ذهباً ومشى عليه

تلك كانت منزلة الشعراء عند العرب في سالف الزمن وتلك هي ايضاً منزلتهم في سائر الملل · فان في اخبار شعراء الفرس ما يضاهي اخبار شعراء العرب · وقد علمت ان اليونان ما زالوا يصعدون بهوميروس حتى اخرجوه من مصافّ البشر واحلّوه بين الآلهة وبنوا له المعابد · وكانوا يتعاكظون ويتنافرون ويتنافسون ويتحمسون على نحو ما كان يفعل العرب في سوق عكاظ وشعراؤهم في كل ذلك كخيل الرهان « فالسابق السابق منها الجواد » · — ذكروا ان فنداروس الشاعر الموسيقي الذي نبغ بعد هوميروس باربعة قرون كان اذا جلس للانشاد في الحفلات الاولمبية وغيرها تحمّس له الشعب وشقت نعرتهم كبد السماء وكلّلوه باكاليل الظفر · فلما مات اخذوا الكرسي الذي كان يجلس عليه في موقف الانشاد ووضعوه بين انصاب الآلهة وشاد له اهل ثيبس هيكلاً واقاموا له فيه نصباً وهو بعدُ حيّ · ولما اكتسح الاسكندر بلدة ثيبس ودمر بيوتها أمر ان لا يُمس بيت فنداروس بسوءٍ

وكم من شاعر اثار خواطر أمّة باسرها فاستنفر واجيب واستصرخ فتألبت له جيوش الكلام فغلبت كتائب الحسام · وفي الاثر ان صاحب الشريعة الاسلامية كان ينصب لحسّان بن ثابت منبراً في المسجد يقوم عليه ينافح عنه فكان ذلك على قريش اشد من وقع النبل · وان حسّاناً قال له « لاسلّك منهم (اي من قريش) سلّ الشعرة من العجين ولأفرينّهم فري الاديم » فصبّ على قريش من هجائه شآبيب شرٍّ فقال له « شفيت يا حسّان واشفيت » ثم قال « حسانٌ حاجزٌ

بيننا و بين المنافقين »

وليس العهد ببعيد بما كان من نفوذ سهام الشعر البليغ في بلاد المغرب من عهد بيرُن الى هذه الايام

ولسنا بآملين في هذا العصر ان يثب شعراؤنا الى تلك المنصّة الشامخة وانما نطمع ان يظلوا سائرين بنهضتهم سيرًا حثيثًا ويجاروا تيار الترقي فلا يطمو عليهم · ولهم في ذلك الفوز والفلاح وللامة الخير والصلاح

قال ابو بكر الخوارزمي « من روى حوليّات زهير واعتذارات النابغة وحماسيّات عنترة واهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريّات ابي نُواس وتشبيهات ابن المعتز وزهريّات ابي العتاهية ومراثي ابي تمّام ومدائح البحتري وروضيّات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا اشبّ الله قرنهُ » وهو كما ترى قول متحمّسٍ مولَع بالشعر وقد انالته الفطرة منه حظًّا وافرًا · والاّ فالخروج الى الشعر متعذرٌ على من لم يكن ذلك في طبعه · على ان هذا القول صادقٌ على من كان الشعر في سجيّته فان مطالعة نفيس الشعر تشحذ الذهن وتهذّب اللفظ وتجلو المعنى فتستقيم بذلك وجهة الشاعر المطبوع

واللغة العربية شعريّةٌ بطبعها لتفرُّع مفرداتها وتنوُّع اشتقاقاتها القياسية على اسلوبٍ لايُرى له مثيل في اللغات الآرية · والقوافي مزدحمة فيها ازدحامًا يسهّل النظم · وهي بخلاف ما يزعم بعض الاعاجم جزلة التركيب محكمة الانسجام · وفيها من طرق الحذف والتقدير والتقديم والتأخير ما ينفسح معه المجال للشاعر لصَوغ عبارته على قوالب شتى · وتلك مزيّةٌ تمدح عليها اللغة في الشعر وان عيبت في النثر حيث يُقصد الجري على نمطٍ واحد جليّ · وهي على الجملة متسعة للشعر اكثر منها للنثر · فشعرها منذ القديم ارفع طبقةً من معظم نثرها وجيّده اسهل منالاً من جيد النثر حتى لقد تجد النثر شعرًا في كثيرٍ من الاحوال

ولا شك ان الزمان قد طوى كثيرًا من الفاظها الوضعية . ولكن ما بقي منها فوق حاجة الشعراء لتأدية المعاني الفطرية والافكار البديهية والاوصاف الخلقية والحقائق الحِكَمية وسائر ما توخى تدوينه قدماء الشعراء كهوميروس وفنداروس وفرجيليوس وهوراس . فهي بهذا المعنى لا تقصّر بشيء عن لغة الالياذة اليونانية المشهورة بجزالة تركيبها ورقتها وانسجامها وإِحكام وضع المفردات فيها

ولا ترجح اليونانية على العربية الا باتساعها لمشاكلة الالفاظ للمعاني وتوفر اسباب النحت فيها لصوغ الالفاظ المركبة . وفي ما سوى ذلك لا اخال لها رجحانًا بل ترجح العربية في اتساع المفردات وتشعُّب طرُق التركيب والخروج بقياس الاشتقاقات الى ما لا نهاية له من المعاني

ولقد بدا لي اثناء التعريب من ثروة العربية في الالفاظ الوضعية القديمة ما اغناني عن الانحراف بالمعنى على نحو ما اضطُرَّ اليه بعض نقَلة الافرنج على ما تقدَّم في الفصل السابق . ورأَيت من المماثلة بين اللغتين في دقة الوضع ما يُدهش له الناظم والناثر . وينبئك ذلك ان العرب لم يغفلوا وضع شيء من الالفاظ الدالَّة على جميع مطالعاتهم ومحسوساتهم حتى اصبحت مفردات اللغة في زمنهم رابيةً على حاجة التعبير ولاسيما في الحسّيات . وما هذا النقص البادي الان في إِحكام التعبير وخصوصًا في المعنويَّات الا نتيجة إِهمال الخَلف اقتفاء آثار السلف

وهو معلومٌ ان الالياذة نُظمت في زمنٍ كانت احوال المعاش فيه قريبةً لاحواله بين قدماء العرب . ولهذا كان على المعرّب ان يقابل معانيها بما رادفها من لغة العرب بلا انحرافٍ ولا تأويل واللغة منسعةٌ لذلك . فاذا وصف الناظم السلاح وهو سلاح العرب ففي اللغة لفظةٌ بل الفاظٌ للدلالة على كل ما قال من الشكَّة اي السلاح الكامل الى الحجَر . فلا يُعدم الناقل وسيلةً للتعبير عن كل ما ذكر من السيوف والمدى ومناصلها واغمادها . والرماح والزِجاج وكعوبها واسنّتها وصعادها . والدِلاص والابدان والدروع وحلقها وزردها وقُتُرها . والخَوَذ

والترائك والمغافر وبيضها وقوانسها وعذباتها · والتروس والجواشن وحرابيها وحمائلها وهُدَّابها · والقسيّ وما لازمها من النبل المقذَّذ والسهم المريش والوتر والفُوق والفَرض والسرية والنيزك · وسائر ما أُهمل او كاد يُهمل من معدَّات الهجوم والدفاع كالفأس والمخذفة والفطّيس — واذا اتى على ذكر الخيل فما من لغةٍ اوسع من العربية بأوصافها وتمثيل عَدْوها وجريها وتطبيقها وتقريبها وحُضرها وارتفاعها — واذا ذكر الحروب وعليها مدار الالياذة فلم تتفنن امةٌ فوق العرب بوصف القتال والنزال والمجاولة والمصاولة والمشق والرشق والحذف والقذف والماصعة والنفح بالمناصل والضرب بالمغاول والوخز بالعوامل · وقس على ذلك جميع ما تناول وصف الاحوال الماشية والروابط القومية والاحكام العرفية والمناظر الطبيعية من وهادٍ وهضاب ومطرٍ وسحابٍ وبحرٍ وبرّ وزرعٍ وضرعٍ وماءٍ وهواءٍ وارضٍ وسماء · — بل قد تجد خزانة العربية اجمع وثروتها اوسع بما حوت من الالفاظ المفردة التي لايعبَّر عنها في لغات الاعاجم الا بعبارات · واني موردٌ لك الآن امثلةً مما عُبّر عنه في اليونانية بكلمتين فأكثر ويتيسر ردُّه في النقل العربي الى كلمةٍ واحدة في الافعال والاوصاف والموصوفات · ذلك كالسَّلهب للجواد الطويل · والاجيد للجواد الطويل العنق · والاجرد للفرس القصير الشعر · والقبُّ للخيل الضامرة والقياديد للخيل الطويلة · والتَّبيع والتبيعة لولد البقرة لحولٍ واحدٍ والحَوليّ لابن سنة من ذوات الحوافر وغيرها · والسَّديس للذي اتم خمس سنين · والجبهاء للعريضة الجبهة · والأكبس لمن اقبلت جبهته وادبرت هامتهُ من الناس · والطُّحور للقوس البعيدة المرمى · والزِّجاج والمطارد للرماح القصيرة · والثلّة لجماعة الغنم والمعز · والرَّعيل للقطعة من الخيل · والصوار لقطيع البقر · والدسيع لمغرز العنق من الكاهل والوتيرة لما بين المنخرين · والبأديل للّحم بين الابط والثندوة او لحم الثدي · وصرَّح بمعنى رمى ولم يُصب وامثال ذلك مما سترى منه في الالياذة شيئًا كثيرًا

ومن جميل المشاكلة بين اليونانية والعربية في الاصل والتعريب على نمطٍ واحدٍ جري بعض الالفاظ مجرىً واحدًا باللغتين في الحقيقة والمجاز · فمن ذلك

ما تشترك فيه معهما لغاتٌ كثيرة كاطلاق لفظة (γεροντες) الشيوخ بطريق المجاز على الزعماء وكبار القوم . ومنه ما لا يكاد يتعدَّاهما الى غيرهما كاستعمال لفظة (خيتي) (χαιτη) للشعر وورق الشجر و يقابلها الفرع بالعربية

وبين اليونانية والعربية فرقٌ كبير في نسج العبارات وتركيب الجمل من حيث التقديم والتأخير وصيغ الاشتقاق والجموع والحروف والنحت وتركيب الاسماء ولكن نهج كل لغة حسنٌ في بابه واسباب الفصاحة متيسرة لابناء كل لغة اذا احكموا الرصف على نهجهم

ولكن للعربية مزيتين في مفرداتها تقصر اليونانية وسائر اللغات عن مجاراتها فيهما . وهما كثرة المترادفات في الالفاظ الدالَّة على المعنى الواحد وتعدد المعاني للفظة الواحدة . فقد ذكروا عشراتٍ ومئاتٍ من الالفاظ الموضوعة لمسمّيات معيَّنة من الحيوان كالاسد والحية والبعير والناقة والفرس والثور والكلب والهرّ . والمأكولات كالتمر واللبن والعسل . والمشروبات كالماء والخمر . والسلاح كالسيف والرمح . والصفات كالطويل والقصير والكبير والصغير والشجاع والجبان والكريم والبخيل . وغير ذلك من مألوفهم كالنور والظلام والشمس والقمر والسحاب والمطر والتراب والحجر . ولهم مثل ذلك في الافعال . فقد عدَّ احدهم اكثر من الف فعل يمكن اطلاقها على معنى واحد . ويقابل ذلك تعـدد معاني اللفظ الواحد فاذا تصفحت معاجم اللغة وقرأت باب الخال والحال والعين والعجوز وامثالها تولاَّك العجب لكثرة معاني كل كلمةٍ منها

ولقد يعلم اللبيب ان كل تلك المترادفات لم توضع في اللغة على نية الوضع بل وقع ذلك اتفاقًا : إما لمنقولٍ عن الاعاجم . واما لاختلاف المدلولات في لغات القبائل المتباعدة . واما للمح صفةٍ مقصودة يتغير بها المعنى تغيرًا طفيفًا لا يُشعر به لوحدة المسمى . فالخمرة مثلاً انما سمّيت كذلك لاختمار موادّها فاذا قيل الراح لُمح الى الروح والارتياح . او الرحيق نُظر الى صفائها وطيب رائحتها . او السلسبيل قُصدت سهولة مساغها وهلمَّ جرًّا . ولكن هذه المميزات فُقدت في الاستعمال واصبحت

المترادفات متشابهةً يقوم كلٌّ منها مقام الآخر مع انه لا يوجد في الاصل ترادفٌ تامٌّ في مفردات اللغة الا في ما صدر عن لغتين لقبيلتين مختلفتين كالليث والورد للاسد او نُقل من لغة الاعاجم الى العربية مع بقاء اللفظ العربي فيها كالمينا من اليونانية للفرضة البحرية

وان للناظم فائدةً من هذا الاتساع اذ يتيسر له ان يلتقط من هذه المترادفات ما وافق بحره وقافيته . فقد اتفق لي اثناء التعريب ان استعملت كثيرًا من اسماء الاسد كالليث والغضنفر والضرغام والقسورة والهزبر والورد والضيغم . ولكن هذه الفائدة لا تذكر في جنب ما يلقيه هذا التراكم من العثرات في سبيل المنشئ الناثر والطالب الراغب في الاحاطة باوابد اللغة وشواردها حتى لقد يرتبك بها الشاعر في بعض الاحوال . ومن ذا الذي تحثُّه الدعوى الى زعم الالمام بجميع هذه المترادفات بل اي حافظةٍ تعي خمسمئة اسمٍ للاسد ومئتين للحية ومئتين وخمسين للناقة . وما عسى ان تكون الجدوى من وجود اربعمئة اسمٍ للداهية . ونعم القول قول الثعالبي « ان تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي » . فامثال هذه المترادفات عبءٌ ثقيل على كاهل اللغة . فانما يحسن حفظها في مطوَّلات المعاجم للرجوع اليها في استجلاء غوامض الكلام والشعر القديم ضناً بذلك الذخر الثمين ان يتشتت وتذروه عوامل الغموض والنسيان . ولكنه لا يجدر بالطلاَّب والكتاب ان يتشبثوا بوحشيّها ومهملها لئلا تستغلق عبارتهم وتجهد قريحتهم على غير جدوى فيَتعبون ويُتعبون وتُثقل روحهم على روح المطالع

وقد جرت للعرب منذ القديم عادةٌ حميدة في مجاراة الزمان وسنن الطبيعة واهمال ما تقادم العهد على نبذه . فكانوا يتحاشون في شعرهم ونثرهم ايراد الالفاظ المهملة في عصرهم . وفي روايات الاصمعي كثيرٌ من كلام الاعراب المتوغلين في البداوة مما لم يكن يفهمه اهل زمانه لاهمال النطق به والعدول عنه الى مرادفٍ اسهل واطلى . وايضاً فانهم لم يكونوا يكثرون من استعمال الالفاظ الدالة على معاني مختلفة الاَّ في ما شاع من معانيها مطّرحين ما غمض منها او احتاج الى

تأويل · ولهذا كان شعر المولدين اقرب مما سواه الى فهمنا لقرب عهده منا وخلوه من كثيرٍ من غوامض الكلام · ويتلوه شعر المخضرمين ثم شعر الجاهليين · فحسبنا ان نتّبع خطتهم فنبلغ بالنظر الى عصرنا ما بلغوا بالنسبة الى عصرهم فيسقط ما قضى عليه الزمن بالسقوط ويبقى ما صلح للبقاء

يؤخذ مما مرَّ ان العربية قد خُصَّت بثروةٍ في مفرداتها واتساعٍ في طرق تعبيرها تفاخر بهما سائر اللغات القديمة والحديثة · ولكن تلك الثروة وذلك الاتساع قد يمسيان بالاهمال وسوء الاستعمال ضيقًا وفقرًا · — فاذا شكونا الزيادة فما احرانا ان نشكو النقصان · فقد مرّت القرون وتعاقبت الاجيال واللغات الحديثة جاريةٌ مع العلم والحضارة جري الشقيق الشفيق · والعربية كانت حتى هذا الزمن القريب ثابتةً في موقفٍ واحد كأن باب الاجتهاد قد أُوصد في وجهها وليس في سنن الخلق ما يوجب ذلك الايصاد بالنظر الى اللغة · بل اذا تتبعنا خطة السلف من عهد الجاهليين الى انقضاء العصر العباسي رأينا أبناء هذه اللغة عاملين على تمحيصها وتهذيبها وايداعها كل ما بدر وصدر من نتاج العلم او اقتضته ملابسة سائر الملل · فكانت في مقدمة اللغات اتساعًا لكل مادّةٍ ومعنى · ولم تكن تضيق عبارة ناظمٍ ولا ناثرعن تادية كل مفادٍ عصري · فما بالها وهي لا تزال ذلك البحر الزاخر تضيق الآن عن كثيرٍ من التعبيرات العلمية والصناعية والسياسية · ولا مسميات فيها لكثيرٍ من اسماء الاختراعات والآلات الحديثة والادوات البيتية · أفكان يرضى قدماء العرب بهذا النقص وقد وضعوا الاسماء العديدة لخشبات الصنّاع والقدور والقصاع والدلاء وحبالها والناقة وعقالها والملوك والزعماء والعوارف والوفود والفيوج والاحلاف والاحزاب والانصار والطلائع والسرايا والعهود والمواثيق وسائر ما دعتهم اليه حاجةٌ اوعرف

ولا ينحصر هذا النقص في ما تقدّم بل يمتدُّ الى كثيرٍ من المعاني العصرية والتعبيرات الخيالية والتصورات التي استحدثها الزمان · فالعربية في حاجة الى نظرٍ

في كل ذلك . وهو امرٌ طبيعيٌّ لامناص منه اذ لو نُشر هوميروس وامرؤ القيس وأرادا تمثيل جميع هذه الاحوال بلغتيهما لاضطربت عبارتهما واشكل عليهما التعبير . ولو ركب النابغة سفينة البخار لما اجاد بوصفها اجادته بوصف سفينة البرّ اي ناقته الضاربة في فيافي البيداء

وكان شغف العرب بلغتهم يدفعهم الى الحرص عليها ومباراة الاعاجم بها فما بدت لهم ثغرةٌ الا سدُّوها ولا حليةٌ الا وزينوها بها حتى انه لم يكن يثقل على طباعهم ان ينقلوا اليها مئات من الالفاظ الاعجمية ثم ردُّوها اليهم أُلوفاً مؤلفة . بل لم يستنكفوا من التصرف ببعضها وصوغ الافعال منها وتصريفها وان كانت غير مصرَّفة في الاصل فقالوا « فلسفة » و « تفلسف » و « زنديق » و « تزندق » و « طراز » و « طرّز » و « دهقان » و « دهقن وتدهقن »

ولكن هذا الاخذ عن الاعاجم لم يكن الا نزراً يسيراً بجانب ما استخرجوه من مفردات لغتهم وطبَّقوه على المعاني المستحدثة ولا سيما في العلوم التي لم يكن لها اثرٌ في الجاهلية والاصطلاحات التي اقتضاها انتظام احكامهم وتوغلهم في الحضارة . فانهم لما شرعوا في وضع العلوم العربية كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض . والدينية كعلم الكلام والتفسير والفقه والحديث . والعلوم الطبيعية والرياضية وسائر ما نقلوه من كتب الاعاجم كالفلسفة والمنطق والطب والفلك والحساب والهندسة والجبر والكيمياء شرعوا في كل ذلك وليس في لغتهم الا شبه شيء مما يشير الى مدلولاته فما كان ايسر عليهم من ان يستخرجوا من لغتهم اوضاعاً استكملوا بها جميع مدلولات العلوم العربية والدينية ومعظم مدلولات العلوم الطبيعية واتسعت لغتهم لكل ذلك حتى عوّل الاعاجم على كثيرٍ من موضوعاتهم ونقلوها الى لغاتهم « كالجبر والسمت والقلي والنظير والكحول والسموم »

ولما اتسعت احكام سياستهم وتغيرت طرق معاشهم وازدادت تصوُّراتهم بما رأوا وسمعوا وقرأوا وكتبوا وضعوا اسماءً وافعالاً لكل ما استُحدث لديهم من طعام وشراب ولباس ومتاع ونظام حكومة وطريق سياسة وتوسعوا في المعاني الشعرية

والاساليب الانشائية فكانت اللغة تجاريهم في النمو والسعة

وان اردت التثبت من توسعهم في ذلك الاستحداث ندونك كتب اللغة فلا تكاد تجد صفحة منها خاليةً من الاصطلاحات الموضوعة بعد الاسلام واليك امثلةً منها :

الدَّور الحركة وعود الشيء الى ما كان عليه ... والدَّور عند الحكماء والمتكلمين والصوفية هو توقف كلٍّ من الشيئين على الآخر ... وقياس الدَّور عند المنطقيين هو ان تؤخذ نتيجة القياس وتُضمّ الى عكس احدى مقدمتيه ... والدَّور في الحميَّات عند الاطباء عبارةٌ عن مجموع النوبة او زمانها ... والدَّور عند الموسيقيين القطعة المستقلة من الشغل ... وعلم الادوار علم الموسيقي ... والدَّور عند الشعراء القطعة من الموشح ونحوه ...

الدَّرجة المرقاة ... ودرجات الامزجة عند الاطباء مراتبها في الشدة والضعف ... والدرجة عند اهل الجفر وارباب علم التكسير تطلق على حرفٍ من حروف سطر التكسير ... وعند اهل الهيئة تطلق على جزء من ٣٦٠ جزءاً من منطقة الفلك ... ودرجة الكوكب عندهم هي مكانه من فلك البروج ومنها درجة طلوع الكوكب ودرجة غروب الكوكب ودرجة ممرّ الكوكب ...

الحال ... عند الحكماء كيفية مختصةٌ بنفس او بذي نفس ... وتطلق عند الاطباء على ثلاثة امور الصحة والمرض والحال المتوسطة ... وعند الاصوليين على الاستصحاب ... وعند السالكين على ما يرد على القلب من طرب او حزن او بسط وقبض ... وعند النحاة على لفظٍ يدلُّ على الحال اي الزمان ... وعند اهل المعاني على الامر الداعي الى التكلم على وجهٍ مخصوص ...

وان من تصفح كتاب « التعريفات » او الكشاف للتهانوي يرى ان تعريف قسمٍ من هذه الاصطلاحات قد اضطرَّ العلماء الى تأليف المجلدات الضخمة

والحاجة ام الاختراع . فلما كان ابناء هذه اللغة مشتغلين بها كانوا يتقدمون فتتقدم ويرتقون فترتقي . فلما وقفوا وقفت وانحصرت مجلاتها في خزائن افرادٍ من العلماء معدودين . وما كان وقوفها لعجزٍ فيها او نفاد في معدن جوهرها

الوضّاح . ولكنها عوامل قاهرة اصابت اهلها فاقعدتهم معظم هذا الزمان . وما هبَّت نسمات النهضة الاخيرة في مصر وسوريا حتى اسرع ابناء القطرين الى استخراج تلك الكنوز الدفينة . ولو تتابعت التآليف العلمية التي فتح لها محمد علي وخلفاؤه ارحب الابواب وتواصل تدريس العلوم العالية بها . او لو لم تُصَب سوريا بما اصيبت به مصر من ضرورة التقاعد عن وضع المؤلفات العلمية لانتقال الدروس في تلك العلوم الى اللغات الاجنبية لما اعوزنا الآن تعبيرٌ في علمٍ من العلوم او فنٍ من الفنون . ولما رأَيت ناشئة هذا العصر اذا احتاجت الى تعبيرٍ علمي عمدت الى لسان العجمي

ولكن تيّار الافكار اذا اندفع بأُمة فضَّ السدود وتجاوز الحواجز . فان ابناء العربية شاعرون ان حياتهم بحياة لغتهم وقد علموا الآن انهُ لا مُعين لهم غير انفسهم على بلوغ امنيتهم منها . فاذا اخلصوا النية فلا حائل يصدهم عن النهوض بها . ولا ننكر أَنهم اعادوا الكرَّة فوثبوا بها وثبةً جديدة في هذه الآونة المتأَخرة وهذه مجلاتهم وجرائدهم قد صعدت في مرقاة الكمال درجاتٍ لاعهد لهم بها قبل اعوام . واصبح الكثير من اصطلاحاتها الحديثة «كالمجلة والجريدة والصحافة والمنطاد» مقبولاً عند الخاصة والعامة كاوضاع القدماء . وان في مؤلفات الكتّاب والادباء ما يعدُّ لهم فخرًا في هذا الموقف الحرج . واعظم من كل ذلك انتشار الميل الى المدارس الوطنية . فلغة البلاد لاتحيا الا بمدارس البلاد

والشعر من توابع اللغة ولوازمها فاذا ارتفع شأْن اللغة فبشّر الشعراء . على ان مطلب الشعراء يختلف عن مطلب العلماء والمؤلفين . فحاجة الشاعر ايسر وموادُّها اوفر وذخيرته في دماغه فاذا جلاها العلم كانت له ولبني لغته موردًا صافيًا ومنهلاً عذبًا . وفي الامة والحمد لله فطاحل خرجوا عن جادّة التقليد البحت فمالوا ميل الزمان واخذوا يسعون الى استجلاء المعنويّات سعي رصفائهم الى استجلاء الحسّيات . وما هي الا جولةٌ واخرتها مدةً من الزمن حتى تستعيد صناعتهم مقامها الشامخ ومجدها الباذخ

إلياذة هوميروس

صفوت

معربة نظمًا

وعليها شرح تاريخي أدبي

النشيد الاول

خصام أَخيل واغاممنون

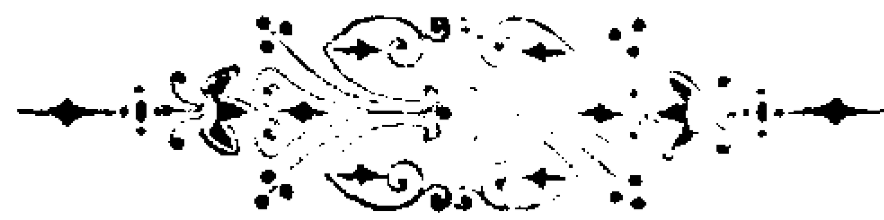
مُجمَلهُ

لما اكتسح الاغريق (اليونان) بلاد الطروادبين عاثوا في مدائنهم وسبوا نساءهم وحصروا إليون عاصمة بلادهم عشر سنوات على ما مرّ بك في المقدمة. وكان في جملة السبايا فتاتان فتّانتان تدعى احداهما خريسيِيس (او خريسا) والاخرى بريسيِيس (أو بريسا) أجمع زعماء الجيش على تمليك الاولى منهما لاغاممنون ملك ملوكهم والثانية لأَخيل ملك المرميذونة وبطل الاغريق على الاطلاق. فحمل خريس كاهن أفلون ما غلا وعز من المتاع والمال الى معسكر الاغريق فكاكاً لابنته خريسا وبذلك افتتح هوميروس أناشيدهُ

فجنح الزعماء الى اجابة ملتمس الكاهن الشيخ ولكن اغاممنون أغلظ له المقال ورده خائباً. فانثنى من حيث أتى يستغيث الاله افلّون فأغاثه وضربهم بوباء «فغدت جندهم تخرُّ فلولا» فثقل عليهم الرزء ولم يفقهوا له سبباً. فهاجت الحمية صدر اخيل ودعاهم الى مجلس شوراهم للمفاوضة في استطلاع كنه الامر. فلما اجتمعوا أنبأهم العرّاف كلخاس ان افلون ناقم منهم لخيبة كاهنه وانه لاسبيل الى استرضائه مالم يستلينوا قلب الشيخ برد فتاته اليه. فعظم الامر بادئ بدء على أغاممنون ثم ما لبث ان لان واذعن لحكم كلخاس على ان تساق اليه سبية أخرى بدلاً منها. فعارضه اخيل واشتد الخصام بينهما حتى كاد اخيل يفتك باغاممنون لولا ان اثينا (الاهة الحكمة) هبطت من السماء وصدته قسرًا. ثم توسط بينهما نسطور الحكيم اخماداً للفتنة فما زادا الا احتداماً وارفض الجمع على غير وفاق واعتزل اخيل القتال

واما أغاممنون فلم يزدد الا اغترارًا واعتزازًا بما لهُ من السيطرة على سائر الانصار فأمر بارسال خريسا الى ابيها وبعث فقبض على بريسا سبيّة اخيل واحلَّها في خيمهِ في جملة ماملك . فشق الامر على اخيل وتظلم الى أمه ثيتيس (احدى بنات الماء) فأُسمعت صوت تفجعه من لجة البحر فشقت العباب اليه واستقصّته الخبر ورقيت الى زفس أبي الآلهة تلتمس الاخذ بيد أخيل والانتقام له من الاغريق . فوعد زفس بخذلهم واعلاء شأن الطرواد الى ان يطيب أخيل نفساً . ففطنت هيرا زوجة زفس لما جرى من الحديث بينه وبين ثيتيس وفي نفسها حزازة على الطرواد فهمّت بالاعتراض عليه فاوسعها وعيداً وزجراً وبادر هيفست وسوّى الخلاف وادار السلاف فظل الارباب في طرب ونعيم الى ان خيم الظلام فتوسد كل مضجعه ونام

تستغرق وقائع هذا النشيد اثنين وعشرين يوماً تسعة ايام مدة الوباء ويوماً مدة اجتماع الزعماء ونزاع الملكين واثني عشر يوماً مدة اقامة زفس بين الاثيوبة • ومجرى الحوادث اولاً في معسكر الاغريق ثم في بلدة خريسا واخيراً في الالمب



النشيد الاول

رَبَّةَ ٱلشِّعْرِ عَنْ أَخِيلَ بْنِ فِيلاَ ... أَنْشِدِينَا وَأَرْوِي أَحْتِدَاماً وَبِيلا (١)

(١) الاحتدام الوبيل هو الغضب الشديد المشؤوم ــ شرع الشاعر في استنشاد الالاهة (θεά) والمراد بها الاهة الشعر والقريحة وبنى منظومته على كيد اخيل بن فيلا اشد ابطال القوم بأساً

كان اليونان في جاهليتهم ورعين في عبادتهم مخاصين في معتقدهم يجنحون الى التماس عون آلهتهم في كل شأن من شؤونهم ويعتقدون الوحي والالهام • ولهذا شرع الشاعر في استمداد المعونة من ربة الشعر لتبث فيه روح النظم والانشاد بل زاد على ذلك بان جعلها هي المنشدة فكأنها هي صاحبة الفضل وهو انما كان ناقلاً يملي على الملأ مايتلقنه من فيض روحها • وهنا منتهى الورع وسلامة الاعتقاد • هذا فضلاً عما تجد النفس من الارتياح بالاستكانة والاستسلام الى عضد قوي تتوكأ عليه فتصرف عنها اليه عبء العناية بالعمل أثناء القيام بأمر خطير • ولقد حذا حذو هوميروس سائر الشعراء في جاهلية اليونان والرومان ولا سيما في مطولات ملحماتهم كقول ڤرجيليوس كبير شعراء اللاتين: .....Musa, mihi causas memora ولما انتشرت النصرانية في البلاد الاوروبية وانصرف اهلها الى عبادة الله واحد هو رب الشعر والشعراء وكل معقول ومحسوس لم يبق لربات الاغاني والاناشيد محل في عقيدتهم • ومع ذلك فان فريقاً منهم ظل يستمد عونهن على سبيل الاستعارة فكان شاعرهم كانما يستغيث خصلة من صفات الباري عز وجل ألا وهي فيض الغوث الالهي • وعلى هذا قال تاسو في فاتحة منظومته « اورشليم المحررة » O Musa, tu spira al petto mio celesti ardori وقال ملتن الانكليزي في « الفردوس الغابر » Sing heavenly Muse فاستنشدا ربة الاغاني وعرّفاها بالمنشدة السماوية • وهلمّ جرًّا

اما العرب في جاهليتهم فلم يكونوا على شيء من هذا التزلف الى معبوداتهم ولا الى جنيات الشعر اللائي كنّ بزعمهم يوحينَ اليهم • ولم يكن شاعرهم يستنشد الا سليقته مستحثاً فطرته الشعرية ليس الا • فان امرأ القيس وقف موقف المنشد والمستنشد بقوله :

ذَاكَ كَيْدٌ عَمَّ ٱلْأَخَاءَ بَلَاهُ　　فَكِرَامُ ٱلنُّفُوسِ أَلْفَتْ أُفُولَا (١)

لِأَذِيسٍ أُنْفِذْنَ مُنْحَدِرَاتٍ　　وَفَرَى ٱلطَّيْرُ وَٱلْكِلَابُ ٱلْقُيُولَا (٢)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ　　بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

وهكذا يقال في استهلال طرفة :

لخولة اطـلال ببرقة ثهمدِ　　تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وقس عليهما • على انه لما جاء الاسلام ورسخت صحة الدين في اذهان العرب اخذوا يفتتحون مصنفاتهم ومؤلفاتهم بالبسملة عملاً بالحديث القائل : كل امر ذي بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر (او اقطع او اجذم) • ثم يأتون بالحمدلة والصلاة والسلام على النبي • فانك لاتكاد تجد مؤرخاً او مؤلفاً او شاعراً نظم في علم او فن الا رأيته نحا هذا النحو الا في قصار المنظومات كقصائد المدح والهجاء والغزل والرثاء فليست كلها بامور ذات بال

(١) الاخاء او الآخائيون قبيل من الناس يُظَن انهم قدموا من تساليا ونزلوا ببلاد الارغوليذة وكانوا اثناء حرب طروادة اعز اليونان شأناً ولهذا كثيراً مايطلق هوميروس اسم الاخائيين على جميع اليونان من باب التغليب

(٢) آذيس الاه الجحيم • والقيول الزعمـاء والابطال ــ كانوا يعتقدون انه لابد لنفس الميت من الانحدار الى الجحيم فان كان من اهل الهناء عبر النهر العظيم على صراط مستقيم الى ديار النعيم وان كان من اهل الشقاء لبث في عذاب مقيم ــ بعد ان ذكر الشاعر كيد اخيل اتى على وصف وبال ذلك الكيد على الجيش فبدأ بالشر الاهون وهو هلاك ابطاله وانتهى بالشر الاعظم وهو وقوع الطير والكلاب بجثث القتلى • ولم يكن بالممكن ان يأتي بابلغ من هذا الوصف لانهم كانوا يؤثرون دك معاقلهم وتدمير مدنهم وفناء مقاتلتهم عن بكرة ابيها على عار بقاء قتلاهم في العراء خصوصاً انهم كانوا يعتقدون ان احراق الجثة ودفنها يسهلان على الميت اجتياز السبيل الى مقام السعادة • واشعار العرب مشحونة بمثل هذا المعنى اي عبث الطير والوحش بجثث القتلى نجتزىء منها بذكر شيء من شعر عنترة قال

تقلبه وحش الفلا وتنوشـه　　من الجو اسراب النسور القشاعمِ

وقال　تحوم عليه عقبان المنـايا　　وتحجل حوله غربان بينِ

تَمَّ مَا شَاءَ زَفسُ مِنْ يَوْمَ شَبَّتْ فِتْنَةٌ بِالشِّقَاقِ تُنْذِرُ أُوْلى (١)

وقال وبالسيف قد خلفت في القفر منهم عظاماً ولحماً للنسور الكواسرِ
وقال كم فارس غادرت يأكل لحمه ضاري الذئاب وكاسرات الانسرِ

ولكن العرب لم يروا راي اليونان فما افتراس الكواسر شلو القتيل غضاضة عليه ولا دون ذلك عقبة تقف في سبيلهِ الى الجنة • بل ربما كانت تلك امنية البطل المحراب• قال العبسي

فيارب لاتجعل حياتي مذمة ولا موتتي بين النساء النوائحِ
ولكن قتيلاً يدرج الطير حوله وتشرب عقبان الفلا من جوانحي

وقد وضع هوميروس الكلاب موضع الوحوش لسببين اولهما تصد المبالغة في ما نالهم من الهوان والثاني مراعاة موقفهم في الحرب فانهم انما كانوا يقاتلون حول بلدة آهلة بالسكان فلم يكن للوحش من سبيل الى بلوغ القتلى والجنود محدقة بهم من كل جانب

(١) زفس كبير الهتهم وهو المشتري ولم أر له ذكراً بلفظه اليوناني في شعر العرب • وهو زاويش ابي نواس بقوله

صورة المشتري لدى بيت نور الا ليل والشمس انت عند انتصابِ
ليس زاويش حين سار امام الا حوت والبدر اذ هوى لانصبابِ
منك اسخى بما تشح به الانف س عند انتفاض در الحلابِ

ولكن ابا نواس اخذ هذا التعبير عن الفرس دون اليونان يؤيد ذلك قوله بعد هذه الابيات

لا وبهرام تستقل به العقـ رب بالليل رائداً بالحسابِ
منك امضى لدى الحروب ولا اهـ ول في العين عند ضرب الرقابِ

وبهرام الفرس هو اريس اليونان اله الحرب

قال ان غضب اخيل انما كان بمشيئة زفس • وقد فسر فلوترخوس كلمة زفس (Διος) هنا بمعنى القدر ليدرأ عن ابي الالهة شائبة القضاء بفتنة بين عباده• ويرد على ذلك بان زفس هو رب القدر ولا قدر الابقضائه • واحسن ما يمكن من التخريج في هذا المعنى ان يقال انه تجاوز عن اخماد تلك الفتنة بل اذن في شبوبها عقاباً لليونان

بَيْنَ أَتْرِيْذَ سَيِّدِ ٱلْقَوْمِ ثَارَتْ		بِصِلَاهَا وَٱلْمُجْتَبَى آخِيلا (١)
أَيُّ رَبٍّ قَضَى ؟ فَمَا غَيْرُ فِيـ		بُوسَ وَزَفْسٍ وَنَكَّلَا تَنْكِيلا (٢)
فَٱبْنُ لَاطُونَةٍ بِأَتْرِيْذَ رَامَ ٱلْـ		سُوءَ مُذْ سَامَهُ جَفَاءً ثَقِيلا (٣)
فَدَهَى جَيْشَهُ بِشَرٍّ وَبَاءٍ		فَغَدَتْ جُنْدُهُ تَخِرُّ فُلُولا

لتغاضيهم عن اجحاف اغامنون بحق اخيل على ما سيأتي

(١) ذكر هنا ان تلك الفتنة كانت بين اتريذ واخيل • واتريذ او اتريذس كنية اغامنون زعيم زعماء اليونان ومعناها ابن أترا او اتراوس وهي صيغة يونانية للاعلام • وقد تطلق ايضاً هذه الكنية على منيلا او منيلاوس اخي اغامنون وكلاهما حفيد أترا لا ولده • والعرب تكني بالجد والجدة ومن فوقهما كقول الفرزدق في زين العابدين

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله		بجده انبياء الله قد ختموا

ولم يكن زين العابدين ابن فاطمة بل حفيدها • ولم يكن النبي جده بل جد أبيه• ونقول السموأل بن عادياء وعادياء جده لا ابوه • وقد لقب اخيل هنا وفي غير موضع بالمجتبى اما اعجاباً به واما اشارة الى اعراقه بسمو النسب فان فيه شيئاً من دم الالهة على ما سيأتي • والكنى والالقاب كثيرة في الشعر اليوناني ككثرتها في الشعر العربي واكثرها للتعظيم

(٢) لما فرغ من استنشاد الالاهة واتى على ذكر الموضوع والعلة والنتيجة وقف مستفهماً عن الاله المسبب لتلك النوائب • قال افستاثيوس ثم توارى الشاعر كأن كل ما يلي من الحديث موحىً اليه به من الاهة الشعر • وتراه في سياق النظم يستنشدها حيناً بعد حين لئلا تعزب عن ذهن القارىء اه • وكأنها اخذت تقص عليه فقالت ان السبب فيبوس الاه الشمس وهو المعروف أيضاً باسم افلون وعطفت عليه زفس لان فيبوس وسائر الالهة لا يستطيعون امراً ما لم يؤازرهم زفس عليه

(٣) ابن لاطونة هو فيبوس • يقول انه رام باغامنون سوءًا لما لقيه منه من الجفاء

مُذْ اهَانَ ٱلْمَلِيكُ كَاهِنَهُ ٱلْهِمَّ خَرِيساً لَمَّا أَتَى ٱلْأُسْطُولا (١)
يَفْتَدِي بِنْتَهُ بِغُرِّ ٱلْهَدَايَا وَجَمِيعَ ٱلْاغْرِيقِ يَدْعُو ذَلِيلا
سِيَّمَا ٱلْعَاهِلَيْنِ مِنْ وُلْدِ أَتْرَا وَلَقَدْ قَلَّ صَوْلَجَاناً أَثِيلا (٢)
عَسْجَدِيّاً أَعْلَامُ ذِي ٱلنَّبْلِ فِيبُو سَ عَلَيْهِ بَدَتْ تَجُرُّ ذُيُولا (٣)
قَالَ: « فَرْعَيْ أَتْرَا وَقَوْمَ أَخَايَا مَنْ حُذِيتُمْ طُرّاً حِذَاءً جَمِيلا
مَنَحَتْكُمْ آلُ ٱلْأُلِمْبِ اعْتِزَازاً قَهْرَ فِرْيَامَ ثُمَّ عَوْداً جَلِيلا (٤)
فَبِفِيبُوسَ فَرْعِ زَفْسَ ٱلْمُعَلَّى مِنْ سِهَامِ ٱلرَّدَى يَهِيلُ هُمُولا (٥)

(١) الهِمّ الشيخ الهرم • اي ان السبب في غضب الالاه اهانة الملك اغاممنون لكاهن خريس

(٢) ولدا اترا هما اغاممنون ومنيلا كما تقدم • وقلَّ حمل

(٣) العسجد الذهب — ان في قدوم الكاهن رافعاً بيده صولجان الاهه اشارة الى انه اتى بهيئة المستجير • وقد كان من عاداتهم ان يتخذوا صوالج تقام في هيا كل معبوداتهم فصولجان القمر كان فضياً وصولجان افلون كان ذهبياً

(٤) الاولب او الاولبس جبل كان فيه مقام زفس ومجلس شورى الالهة • اشتهر بهذا الاسم ثلاثة جبال اولها السلسلة الممتدة بين تساليا ومكدونيا وتعرف الآن قمتها العليا باسم لاشا وهي التي كان فيها منتدى الالهة • والثاني هو المدعو الآن كشيش طاغ وراء مدينة بورصة (عمُوريَّة) • والثالث هو جبل الاطاغ الواقع بين بولي وانقره

(٥) قال افستاثيوس ان في خطاب الكاهن خريسيس (او خريس) حد الاعجاز في البلاغة فان جيش اليونان كان قادماً من بلاد شتى بعضها ملكية وبعضها شورية فاسترضاهم جميعاً بقوله « فرعي اترا وقوم اخايا » بان جعل خطابه موجهاً للملوك وعامة الشعب (واحتذاء الحذاء الجميل صفة من صفات اليونان في شعر هوميروس) ثم ادى بعبارة موجزة ابلغ ما يمكن ان يقال في هذا المقام فانه دعا لهم بالنصر ومعاودة الاوطان وهما غاية امانيهم واستحلفهم بالاهه افلون استحلافاً يشير الى ما سيحل بهم من الارزاء

إِقبلوا فِدْيَتِي وَرُدُّوا فَتَاتِي » فَجَمِيعُ ٱلإِغْرِيقِ ضَجُّوا قَبُولا (١)
آثَرُوا حِفْظَ حُرْمَةِ ٱلشَّيْخِ فِيهِمْ وَٱرْتِضَاءَ ٱلْفِكَاكِ مِنْهُ بَدِيلا
غَيْرَ أَنَّ ٱلْمَقَالَ سَاءَ أَغَامَمْنُونَ اتْرَا فَرَدَّهُ مَخْذُولا

قَالَ: « يَاشَيْخُ فَٱحْذَرِ ٱلْقُرْبَ مِنْ فُلْكِي سَوَاءٌ رَجَعْتَ أَمْ أَنْتَ بَاقِي
لَيْسَ فِي ٱلصَّوْلَجَانِ هٰذَا وَلَا فِي ذِي عِصَابَاتِ رَبِّهِ لَكَ وَاقِي (٢)
لَنْ تَنَالَ ٱلْفَتَاةَ بَلْ سَوْفَ تَبْقَى بِبِلَادِي أَرْغُوسَ مِثْلَ ٱلْبَوَاقِي
تُدْرِكُ ٱلْعَجْزَ وَهْيَ تَنْسِجُ قُطْنًا ضِمْنَ صَرْحِي بِغُرْبَةٍ وَٱنْسِحَاقِ
وَتَلِي مَضْجَعِي فَقُمْ وَٱخْشَ غَيْظِي إِنْ تَرُمْ آمِنًا لَحَاقَ ٱلرِّفَاقِ
ذُعِرَ ٱلشَّيْخُ فَٱنْثَنَى وَاجِمًا فِي جُرُفِ بَحْرٍ يَعِجُّ فِي ٱلْآفَاقِ (٣)

الشداد اذا اصروا على عنادهم اه • ولا يخفى ما يتضمن هذا الاستحلاف من الوعيد الخفي ــ وافلون او فيبوس كان ابن زفس لان الالهة عندهم كالبشر بعضُ ابناء بعض

(١) بعد ان فرغ الكاهن من خطابه قال « فجميع الاغريق ضجوا قبولا » واجماعهم هذا يدل على انهم حكموا حكماً صواباً وان اغا ممنون انما جار وتعسف وهم مع ذلك لم يقاوموه خوفاً من اختلال نظام الجند لانه كان القيّل الاعظم

(٢) قد استطال اغا ممنون على افلون بكلامه في هذا البيت وسيعلم القارئ ان هذا الاله كان مظاهراً للطرواد فلم يكن من العجب ان يحط اليونان بسورة الغضب شيئاً من كراماته وخصوصاً لان فريق انصارهم من الآلهة كان يحثهم احياناً على العبث بكرامة الفريق الآخر حتى ان اثينا الاهة الحكمة أمرت ذيوميذ (في النشيد الخامس) ان يطعن الزهرة ربة الغرام

(٣) ان في ذعر الشيخ ووجومه وانثنائه راجعاً من حيث أتى وهو لم ينبس ببنت شفة لجواباً بليغاً على كلام اغا ممنون فان هذا الصمت اوقع في النفوس من كل جواب وحسب القارئ ان يتصوره راجعاً على تلك الحال والبحر يعج كأنه يناجيه بما

ثُمَّ فِي عُزْلَةٍ دَعَا وَدُعَاهُ لِابْنِ لَاطُونَةٍ أَفُلُّونَ رَاقِي :
«رَبَّ يَاذَا قَوْسِ ٱللُّجَيْنِ ٱسْتَجِبْنِي حُقَّ مَوْلَى تِنِيذُسٍ إِحْقَاقِي [1]
يَا وَلِيَّ ٱلسِّمِنْثِ يَا عَوْنَ كِلَا وَخَرِيسٍ يَا رَبِّ خُذْ بِنِطَاقِي [2]
إِنْ أَكُنْ قَدْ زَيَّنْتُ هَيْكَلَكَ ٱلْوَهَّا جَ أَوْ مَا ضَحَّيْتُ بِٱلْإِحْرَاقِ
وَسُوقِ ٱلسِّخَالِ وَٱلثَّوْرِ زَكَّيْـ ـتُ فَسَالَتْ بِشَحْمِهَا ٱلْمُهْرَاقِ
فَبِأَبْنَاءِ دَانُوٍ نَبْلُكَ ٱلصُّـ ـمُّ لِتَفْتُكْ بِدَمْعِ هٰذِي ٱلْمَآقِي» [3]

في نفسه فيعلم ما كان عليه من الكآبة وانقباض الصدر • ورب صمت ابلغ من خطاب

(١) ذو قوس اللجين لقب من القاب افلون الاه الشمس وقد يلقب برشّاق النبال او زجّاج السهام ولا يخفى ما بين هذا اللقب واشعة الشمس التي يمثلها افلون من النسبة المعنوية — تينيذس جزيرة تجاه ساحل طروادة على مقربة من مدخل الدردنيل كانت فيها معابد لافلون ويسميها الترك بوزجه اطه اي الجزيرة الشهباء

(٢) خذ بنطاقي اي اعنّي وأجرني — ولي السمنث او السمنثي لقب آخر لافلون كان يطلقه عليه اهالي تينيذس وسواحل بلاد طروادة • وكان في ارض طروادة بلدة تدعى سمنثا • الا ان اليونان كانوا يرجعون باصل هذه التسمية الى اشتقاق آخر • قال اسطرابون انه من كلمة (Σμινθιοι) ومعناها الجرذان • ذلك ان آل طفقير لما نزحوا من اكريت الى البر المقابل أوحي اليهم ان ينزلوا حيث يبادر السكان الى استقبالهم فأتت الجرذان ذات ليلة وسطت على حمائلهم وجلود تروسهم فقالوا ان الآية قد فسرت واقاموا حيث كانوا وشادوا هيكلاً لافلون ولقبوه بالسمنثي — كلاّ بُلَيدة كانت قرب ثيبة وخريسا كان فيها معبد لافلون الكِلّي وهو لقب آخر له • وخريسا بلدة كانت في منتهى خليج اذرميتة عند مصب كيليوس على مقربة من ثيبة كان فيها خريس كاهناً لافلون وهي غير خريسا الجزيرة المحاذية للمنوس

(٣) اراد بابناء دانوس جماعة اليونان — بعد ان استعطف الالاه بالقاب التبجيل وذكّره بما تستوجبه عبادته وخدمته له من الرعاية ناشده ان ينتقم له لما

فَرَغَ الشَّيْخُ فَاُسْتَجَابَ أَفْلُو ... نُ بأَعلَى اُلْأُولمْبُ وَاُنْقَضَّ حَالاَ
حَامِلاً وَهْوَ مُزْمَهِرٌّ عَلَى كِتْـ ... فَيْـهِ قَوْسـاً وَجَعْبَـةً وَنبَـالاَ [1]
حَانِقاً كُلَّمَا خطَا اُرْتجَّت النَّبْـ ... لُ عَلَيْـهِ كَاللَّيْـل بالْهَـوْلِ مَالاَ
وَرَمَى الْفُلْكَ منْ بَعِيـدٍ بِسَهْمٍ ... مِنْ لُجَيْنٍ فَزُلْزِلَتْ زِلْزَالاَ
ضَرَبَ الْغُضْفَ وَالْبِغَـالَ فَأَلْقَى ... شَرَّ سَهْـمٍ فَجَنْدَلَ الْأَبْطَـالاَ [2]
فَتَوَالَتْ نِيرَانُ مَوْتَاهُمُ إِثْـ ... رَ وَبَاءٍ بِالْفَتْـكِ تِسْعـاً تَوَالَى [3]

يذرف من دموع الكآبة وهذا اول دعاءٍ في شعر هوميروس • وسنرى في البيت التالي انه لم يكد يفرغ الكاهن من دعائه حتى استجيب • وقد نهج في كل شعره هذا المنهج لينبه القارىء الى وجوب الصلاة وفائدة الورع وصحة العبادة وهو نهج حسن واعتقاد رصين راسخ في كل دين

(١) مزمهرّ محتدم غيظاً

(٢) الغضف الكلاب

(٣) قيل انه في السنة العاشرة لحصار طروادة تفشى وباءٌ في معسكر اليونان فسرى بين الناس والحيوانات • اما بين الناس فلعله كان من شدة الحر وفرط العناء واما بين الحيوانات فلعله كان من ذلك ومن فساد الاطعمة وقلتها فصاغها هوميروس بقالب جميل فجعل المسبب افلون الاه الشمس واشعتها نباله • واسهم الرزايا ونبال المنايا استعارة لطيفة واردة في كثير من الشعر القديم والحديث • قال ابو الطيب

رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرت اذا اصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصالِ

ومن كلام داود النبي « فيرميهم الله بسهم وضرباته تكون بغتة » (مز ٦٣)

وزاد في حسن التعبير ودقة المأخذ فجعل الخطب النازل عقاباً لاغاممنون على كفره به واهانته لكاهنه كل هذا حثّاً على البر والتقوى • اما كون الكلاب والبغال سرى اليها الداء قبل الناس ففيه نظر دقيق • قال الموسيو داسيه انها لطريقة حسنة

شَهِدَتْ ثَمَّ رَبَّةُ ٱلْأَذْرُعِ ٱلْبِيـ ضاءِ هِيرَا دَمَ ٱلْأَرَاغِسِ سَالَا (١)
فَعَلَيْهِمْ حَنَّتْ فَأَلْهَمَتِ ٱلْقَرْ مَ أَخِيلًا أَنْ أَذْرَأَنَّ الوَبَالَا
فَدَعَاهُم لِلرَّبْعِ عَاشِرَ يَوْمٍ وَٱسْتَوَى قَائِمًا عَجُولًا فَقَالَا: (٢)
«أَرَانَا أَيَا أَتْرِيذُ وَالخَطْبُ قَدْ عَرَا نَخُوضُ عَلَى الأَعْقَابِ ذَا اليَوْمَ أَبْحُرَا (٣)

لردع البشر عن السوء فلهم في ضرب الحيوان موعظة يتعظون بها لو اتعظوا فيتوبوا ويرعووا قبل ان يحل بهم السخط وتنكبهم النوائب فترضى العناية عنهم فلا تسومهم العذاب • فان ضربات مصر انزلها الباري عز وجل على هذا النمط فضربت الخيل والحمير وغيرها من عجماوات الحيوان فاما لم يعتبر المصريون ضربهم الله بأنفسهم

(١) هيرا امرأة زفس وظهيرة اليونان • والاراغس اليونان من باب التغليب كما قيل الاخائيون في غير موضع وكما نطلق عليهم الآن اسم اليونان وما هم كلهم بيونان

(٢) ان في انتداب هيرا لاخيل دون سواه من الزعماء لعقد المجلس لحكمة يفقهها القارىء اذا علم ان كلام الشاعر رمزي • قال فلوترخوس ان اخيل كان اعلم الملوك بحالة الوباء لما سبق له من درس الطب على خيرون • وزاد افستاثيوس ان هيرا اوحت الى اخيل ما اوحت لانه كان اعلمهم بفساد الهواء وهي الاهة الهواء كما سترى في ترجمتها • واسم الهواء باللغات الافرنجية مشتق من اسمها اليوناني (Hρη)

(٣) لما حشد اخيل رؤساء الجند قام فيهم خطيباً فوجه كلامه الى اغاممنون لثلاثة اسباب • اولها انه زعيمهم والثاني انه كان المتسبب بهذا الوباء والثالث ان اليونان لم يقدموا على هذه الحرب الا انتصاراً له ولاخيه منيلا • فذكر ثقل الرزء عليهم حتى كادوا يضطرون الى القفول على لجة البحر وهيهات • ثم طلب استطلاع كنه السر في غضب افلون ولا سبيل الى ذلك باعتقادهم الا بالعرافة والكهانة وتفسير الاحلام • وهي عادة جرى عليها القدماء في كل الملل والنحل وامثلتها كثيرة في التوراة • وكانت شائعة في جاهلية العرب وحسبك منها اخبار شق وسطيح • وكان العراف عند العرب ساحراً ومنبئاً بالغيب وطبيباً ايضاً • قال الشاعر

نتيهُ ولاتَ الحينَ والرُّزْءِ فادحٌ وهذا الوَبا والحربُ قد أَفْنَيا السُّرى
فَسَلْ قائفاً او كاهناً او مُفَسِّراً رُؤَى الخَلْقِ إِذ زَفْسُ رُؤَى الخلق سيَّرا
على ما أَفلُّوْنُ منَ الجيشِ ناقِمٌ يَقُلْ أَفَبالقُرْبانِ والنَّذْرِ قصَّرا
عَساهُ يُزيلُ السُّخْطَ إِن نَنْتَقي لهُ من العَنْزِ وَالحُمْلانِ ذِبْحاً مُكَفِّرا »
فلمَّا أُنْتهى آخيلُ هبَّ أَبْنُ ثَسطُرٍ أَجلُّ ذَوي العِرْفانِ كَلْخاسُوا نْبرى (١)
قميبُوسُ أَوْلاهُ النُّهى وَبهَدْيِهِ لساحِلِ إِليُوْنَ بأُسْطُولِهمْ سَرى
خَبيرٌ بعِلْمِ الغَيبِ ماضٍ وحاضرٍ ومُسْتقبَلٍ فانسابَ فيهم مُحَذِّرا :
«أَتأْمُرُني آخيلُ أَنْ أَكْشِفَ الذي يَغيظُ إِلاهاً يُنْفِذُ النَّبْلَ أَسْطُرا
سأَفعلُ إِن تُقْسِمْ بأَن تدفعَ الأَذى بكَفِّكَ والإِفْصاحِ عنِّيَ مُجْهِرا
سيُغضِبُ قَولي سيِّداً ذا خُطُورةٍ لدَيهِ الأَخائيُّون تَعنُو كما تَرى (٢)

جعلت لعرّاف اليمامة حكمة وعراف نجد ان هما شفياني

ومن قولهم في استفحال الامر وبلوغ درجة القنوط : اذا سال بك الغراف لاينفعك العراف . واخيراً عمد أخيل الى ذكر الوسيلة التي كانت في ظنه حسنة لاسترضاء الالاه فقال عساه ان يرضى اذا كفّرنا عما سلف نضحينا له بخيار العنز والحملان

(١) كان كلخاس بن ثسطر عرّافاً وناخُذاة اي دليلاً لهم في البحر فلهذا كان معزز الجانب لشدة ما بهم من الحاجة اليه فانه لم يحمل مع من حمل على بلاد الطرواد في اول الامر نضلوا الطريق وابحروا الى ميسيا ظناً منهم أنها طروادة واخذوا يعيثون فيها ثم ما لبثوا ان تبين لهم الخطأ فرجعوا عنها وذهب أغاممنون بنفسه الى ميغارة فأتى بكلخاس لما كان يؤثر عنه من معرفة سلك البحار فقاد سفنهم في الربيع الثاني الى حيث كانوا قاصدين

(٢) يشير الى أغاممنون

وليس لمرءٍ يُغضِبُ المَلْكَ حيلةٌ وإن كَظَمَ السُّلطانُ غيظاً وأضمرا [1]
فلا بُدَّ أن يقتصَّ وهوَ سجيَّةٌ فهل لك إنقاذي إذا الامرُ أُظهرا؟ »
فقال أخيلُ : « فاأمنَنَّ وهاتِ ما لديكَ من الإنذار بالغيب مُخبِرا
بحقِّ أفُلُّون مقرَّب زَفسنا وربَّ بما أولاكَ جئتَ معبِّرا
فما اختلجَتْ نفسي بصدري ومُقلتي بعينيَّ من الاغريق لاتخشَ منكرا
ونفسَ أغاممنونَ قيلَ قبولنا إذا كنتَ تعني لن تُمسَّ وتعثرا » [2]
فلمَّا اطمأنَّ الشيخُ قال : « فما على ذبائحَ او نذرٍ هوى السُّخطُ مُسعَرا
ولكنَّ أتريذاً على الكاهن اعتدى وأمسكَ عنهُ بنتَهُ وتجبَّرا
فإن لم تؤُبْ فالويلُ فيكمْ مخيِّمٌ وليس يُداني الجبرُ منكمْ مكسَّرا
لترجعْ لأهليها بلا فديةٍ ولا بديلٍ وتؤتون الذَّبيحَ المُسطَّرا
فيُعطى خريساً ثم نستدفعُ الأذى ونستعطفُ الربَّ الغضوبَ لماجرى »
فقام أغاممنونُ ذو الطَّول مُغضَباً يميِّزُهُ الغيظُ العنيفُ تسعَّرا
وقال وعيناهُ تطايرَ منهما شرارٌ لكلخاسَ الوليِّ معزِّرا :

---

(١) قال ابن الوردي

جانب السلطان واحذر بطشه لاتعاند من اذا قال فعل

(٢) اشار كلخاس اشارة لطيفة الى اغاممنون واما أخيل في جوابه فصرح تصريحاً لانه كان ملكاً مثله ولا يفضله اغاممنون الا بالرئاسة الوقتية٠٠وفي كلام اخيل في هذا الموضع دلالة واضحة على ما سيرد من وصف بأسه وعلو جانبه من وجه وحقده وجفائه وقلة رعايته لرئاسة الرؤساء من وجه آخر

« أيامنبئ السوء الذي لم يفه لنا بخير ولكن ظلّ بالشرّ منذرا (١)
بقول وفعل لم تقم قط حكمة وها أنت للأسرار جئت مفسّرا
تقول إلاهُ النبل قد شدّ صائلا لأنّي لم أرض الفداء المقرّرا
ولم تدر اني جانحٌ لبقائها وقد فضلت زوجي كليتمنسترا (٢)
فليست بحسن القدّ والخدّ دونها ولا بسموّ العقل والفعل مخبرا
ومهما يكن من ذا فأخلي سبيلها اذا كان خيراً للجنود لتظفرا
أودّ زوال السخط عنهم وإنما أروم جزاءً أرتضيه فأصبرا (٣)
فيبدو لدى الإغريق أنّي لم أكن بلا سلبٍ كي لا أهان وأصغرا (٤)

(١) كان اغاممنون حاقداً على كلخاس لانه انبأه قبل بضع سنين بانه سيضطر الى التضحية بابنته افيجينيا ولهذا لقبه بمنبئ السوء ووصفه بما يلي . على ان اغاممنون مع غيظه وحدته كان احلم من احاب ملك اسرائيل لما أنبأه ميخا بما له « فقال ليوشافاط ألم أقل لك انه لا يتنبأ عليَّ بخير بل بشر . (٢ اي ١٧:٨) ثم امر بسجنه وقال « قوتوه خبز الضيق وماء الضيق الى ان ارجع بسلام » (٢ اي ١٨ : ٢٦)

(٢) ان في قول اغاممنون هذا اعترافاً بحبه لها قال ذلك ليتنصل بعض التنصل من ذنبه وليكون له من حبه شافع بامساكها عن ابيها ثم اردف هذا الاعتراف بقوله « فاخلي سبيلها » ليزداد فضله بالافراج عنها مع شغفه بها . قاله بوب

(٣) اي انه اشترط عليهم ان يعوضوه بدلاً منها

(٤) الظاهر انهم كانوا يفاخرون باحراز السبايا والاسلاب لأنها تدل على بسالة محرزيها ولا يقابلها عند العرب الا المفاخرة بالاسرى والقلائع اي الخيل التي يرمى عنها فارسها في ساحة القتال فان احرازها كان محط الفخار في جاهلية العرب ولا يزال . وربما فخروا ايضاً بالسبي كقول الشاعر

وكلُّكمُ فينا شهودٌ بأنّني حُرِمتُ نصيبي والقضاءُ تقدَّرا »
فقال المُجتبي آخيلُ : « مهلاً أيا أتُريدُ ياسامي المقامِ (١)

وعادوا بالغنائم حافلات وعدنا بالاسارى والسبايا

اما سائر المكاسب فقلما كان العرب يحرصون على حفظها بل ربما كانوا يجودون بها كلها ثم افتخروا انهم لم يبقوا على شيءٍ منها وحسبوا ان الاثرة بها وصمة عار ذميم • قال عنترة

انا اذا حمس الوغى نروي القنا ونعفُّ عند تقاسم الانفالِ

وقال ياعبل لاتخشي عليّ من العدى يوماً اذا اجتمعت عليّ جموعها
فيكون للاسد الضواري لحمها وان صحبنا خيلها ودروعها

وهذا كلام كله يشير الى ان البطل الباسل كان يترفع عن اختصاص نفسه بما حق له من سلب العدو • قال ابو تمام

هيهات زعزعت الارض الوقور به عن غزو محتسب لا غزو مكتسبِ
ان الاسود اسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلبِ

اما السبايا قبل الاسلام فكانت عندهم في جملة المتاع ولم يرد عن ملك منهم ظفر بسبية فقال انها خير من زوجه الحليلة كما قال اغا ممنون وان شغف بحب السبية نوق شغفه بالزوجة • ولم يرفع قدر السبيات عند العرب الا في صدر الاسلام بعد ان كثر السبي من الروم والفرس وكان منهن نساءٌ محمودات ولدن اولاداً نبغوا في الاسلام كالسيتين الفارسيتين اللتين كانتا لولدي ابي بكر الصديق وعمر الفاروق واسكلا التي أُخذت للمهدي من طبرستان فكانت ام ولده ابراهيم وغيرهن كثيرات — ووجه المقابلة فيما تقدم ان اليونان كانوا اوفر حكمة واكثر رعاية للنساء واما العرب فكانوا آبى نفساً واسخى طبعاً

(١) لم نر شاعراً اكثر من هوميروس مراعاة لحق كل ذي حق في كلامه فانه وان كان المقام مقام مهاجاة بين اخيل واغاممنون فان كلاً منهما يلقب الآخر بما يظنه فيه من المحمدة والمذمة فهو ينطق بلسان الطبيعة بلا تكلف • فترى اخيل يعترف لاغاممنون بسمو المقام ثم يصفه بالطمع الشديد واغاممنون يندد باخيل ويسلبه ما عز لديه وهو مع هذا يشبهه بالآلهة كما سترى في جوابه — قال عنترة

أأطمعَ كلّ مخلوقٍ أترجو مكافأةَ الأراغسةِ العظامِ
فليس لهمْ وتعلمُ بيتُ مالٍ يضمُّ كنوزَ أموالٍ رُكامِ
فما نلنا منَ المدنِ اللواتي دككنا شاعَ بينَ ذوي السهامِ
وكيفَ يليقُ سهمَ الجندِ نجبو وقد نالوا على هامٍ وهامِ
فعدِّ وأرجعنَّ فتاةَ قومٍ أثاروا غيظَ رشّاقِ السهامِ
وموعدُنا إذا إليونُ دُكّتْ بنعمةِ زفسنا مولى الأنامِ
بأضعافٍ مثلّثةٍ وأوفى نجيزُكَ فاعتبرْ حرجَ المقامِ
فصاحَ يجيب : « يا آخيلُ يا من حكى الأربابَ دعْ هذي المسالكْ[1]
فلستَ بخادعي أبدًا وإنّي تراني غيرَ منقادٍ لقالكْ
أردُّ سبيّتي وذهابُ سهمي وسهمُكَ فائزٌ خطرًا ببالكْ ؟[2]

اذا جحد الجميل بنو قراد وجازى بالقبيح بنو زياد
فهم سادات عبس اين حلوا كما زعموا وفرسان البلاد

(١) كثيراً ما يشبه هوميروس رجاله بالارباب لصفة يمتازون بها فاخيل وهكطور لبأسهما واوذيس لحكمته وفاريس لجماله وهلم جرًّا وعلى هذا جرى شعراء العرب في التشبيه بالملائكة والانبياء

قال ابن هاني

وكانما أنت النبي محمدٌ وكانما انصارك الانصارُ

وقال ابو الطيب المتنبي

يا أيها الملك المصفى جوهراً من ذات ذي الملكوت اسمى من سما

(٢) جملة سهمك فائز حالية معترضة بين المبتدإ والخبر ٠ والمعنى هل خطر ببالك ان ترد سبيتي التي كانت سهمي ويبقى سهمك بيدك

نَعَمْ أَرْضى إِذا ضَمِنْت ُسرانا لذلك لي جَزاءً مثلَ ذلكْ (١)
وإِلاَّ خِلْتَني أَعتاضُ قَسْرًا بمالِ أَياسَ اوْذِسَ او بمالكْ
هُناكَ أُحِلُّهُ خَيمي بنفسي ومَنْ وافيتُ فَليَحنَقْ هُنالكْ
سَنَبْحَثُ .. واُقْذِفوا فوراً هُنا في غُرابٍ في عُبابِ البحرِ حالكْ (٢)
نراهُ بالأَرادِمِ والضَّحايا وذي الحسناءِ فوقَ اللُّجِّ سالكْ (٣)
يَسيرُ أَياسُ إِيذُمِنُ أُذيسٌ بِهِ أَو أَنتَ أَعْجَبُهُم بحالكْ (٤)
عَسانا بالتَزَلُّفِ والضَّحايا لرَبِّ النَّبْلِ نَدَّرِئُ المهالكْ »

فقالَ أَخيلُ يَشْزرُهُ غَضوباً: « أَياطَمِعاً تَدَثَّرَ بالشَّنار
وهل في القوم بعدُ فتىً خداعاً تَغُرُّ هُنا فَيَبْدُرَ في بدار
عَلِمْتَ بأَنَّني لم آتِ بُغْضاً بأَقْوامِ الطَّراوِدَةِ الكِبار
فَقَطُّ عَليَّ لم يَبْغوا بسُوءٍ وما سلبوا خيولي او ثِياري
وما نَهَبوا بأُمِّ البُهْمِ فِثْيا وذاتِ الخِصْبِ زَرْعي في دِياري (٥)
فَثمَّا بَيْنَنا لُجَجٌ عِماقٌ وغاباتٌ على الشُّمِّ القِفارِ

(١) سُرانا جيوشنا
(٢) الغراب الحالك السفينة السوداء
(٣) الارادم الملاَّحون . والحسناء خريسا فقد رضي أغاممنون هنا ان يسيّرها الى أبيها
(٤) تستعمل العرب هذا التعبير بهذا المعنى فتقول فلان عجيب الحال وامره عجب وعجيب . قالوا : سئل اسحق الموصلي عن المخلوع فقال « كان امره كله عجباً »
(٥) فثيا مسقط رأس أخيل وكانت قاعدة مملكة فيلا أبيه . والبهم الابطال

وإِلْيونَاً أَمَمْناها الْتِماساً — لِما يُرْضيكَ نأْخُذُها بِثار
ونَدْفَعُ عن منَيْلا شَرَّ بُؤْسٍ — وعَنكَ وقدجُزِيتَ بالاحتقار
ورُمتَ سَبِيَّةً ما نِلْتُ إِلاَّ — بِبَطْشي إِثْرَ إِعلاءِ الغُبار
حَبانِيها الأَخاءُ وأنتَ منهم — أَيا كَلْباً يَصُولُ بِطَرْفِ عار
فإِنْ نَمْرَحْ بِطُرْوادٍ زَماناً — وَعِشْنا بالمَدائن بالبَوار
وأَمْسَيْنا نُقَسِّمُ ما سَلَبْنا — فَلِي نَزْرٌ وتَحْظى بالخِيار
فحَظُّكَ قد تَراخى عنهُ حَظِّي — وباعي حُمِّلَتْ ثِقْلَ الطَّواري
وأَرْضى قِسْمَتي وأَسيرُ فيها — لِفُلْكي مُفْعَماً شَرَرَ الأُوار
سأُقْلِعُ راجعاً ولَدَيَّ خيرٌ — أُعاوِدُ مَوْطِني وأَحُلُّ داري
وأَشْهَدُ لستَ تَلْقى بعدَ خَذْلي — كُنُوزَ المالِ في جُرُفِ البِحار»[1]

فقال: «إِذاً وقد رُمْتَ انهزاماً — فَفِرَّ فَلَسْتُ مُلْتَمِساً بَقاكا
فَلِي بِسِواكَ عِزْوَةُ خَيْرِ رَهْطٍ — أَجِلُّوني وزَفْسُ لي سِواكا
وفيما بَيْنَ كُلِّ قُيُولِ زَفْسٍ — أَنا لم أَقْلِ قَطُّ فَتًى قَلاكا

(١) كان أخيل معتزاً ببأسه فتهدد أغاممنون بالقفول الى اوطانه موقناً انه اذا غادر ساحة القتال يندحر اليونان فيذل اغاممنون فيشفي حزازة صدره منه. وما احسن قول عنترة في هذا المعنى

سيذكرني قومي اذا الخيل اصبحت — تجول بها الفرسان بين المضاربِ

واحسن منه قوله

سيذكرني قومي اذا الخيل أقبلت — وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله: ستذكرني المعامع كل وقتٍ — على طول الحياة الى الممات

فلم تأْلَفْ سوى شغَبٍ وقالٍ وان تبسلْ فربٌّ قدْ حباكا (١)
بفُلْكك عدْ لأهلك في سراكا وسُدْ بين المرامدِ مُشتهاكا (٢)
لئن تغضبْ وإنْ تذهبْ سواءٌ فليس بمزعجي هذا وذاكا (٣)
وزدْ قهراً بأني مذ خريسا بغى عني فبُوسُ لها انفكاكا
أُسيّرُها بصحبي في سفيني وفي نفسي أسيرُ إلى حماكا
فتأتك منكَ أغتاضُ اقتداراً فتعلمُ ماَمداي وما مداكا (٤)
ويخشى منْ سواكَ هنا بوجهي مفاخرتي فلا يهوى هواكا »

فأحزنَ آخيلَ وقدْ ضاقَ صدْرُهُ ونازعهُ في صدْرِه عاملا فكر
أعَن جنْبهِ يستلُّ ماضيَ عضْبهِ ويأخُذُ في تشتيتهم عائلَ الصبْر

(١) أراد أغاممنون بقوله هذا ان يحط من شأن اخيل لان الفضل بكونه باسلاً لرب اولاه البسالة لا له . وفيه مع هذا اعتراف صريح بشدة بأسه . اما قوله بفاتحة جوابه « اذاً وقد رمت انهزاماً » فهو كلام لم يكن يعتقده أغاممنون ولم يقله الا تحقيراً لاخيل في اعين الجند وتخفيفاً لوجدهم عليه شأن الخصم الذي يتظاهر بالازراء بخصمه مع ما يكنّه له من الاعظام

(٢) المرامد او المرميذونة قوم أخيل كانوا كالاخائيين من البلاسجة . قال كلافيه في تاريخ جاهلية اليونان ان أخيل كان لهذا السبب اول ملوك اليونان بعد اغاممنون

(٣) أراد ان يزيد أخيل علماً بقلة عبئه به ويزيده كيداً بهذا العلم . قال أبو العلاء

اقل صدودي انني لك مبغض وايسر هجري انني عنك راحل

(٤) يرى المطالع ان الفتنة تشتد شيئاً فشيئاً بين الملكين . وكلما طال المجال خشنت اللهجة واذّكر أخيل بطشه واغاممنون علوّ منزلته بما له من السيطرة

ويَصْرَعُ أَتْرِيذًا على الفَوْرِ أَمْ يَرى سَبيلاً لكَظْمِ الغَيْظِ في أَهوَنِ الأَمْرِ
وإِذْ كَانَ في ما يَنْتَوِي مُتَرَدِّدًا نَضا سَيْفَهُ مِنْ غِمْدِه وَهْوَ لا يَدْرِي
رأَى وإِذا مِن جنَّةِ الخُلْدِ أُهْبِطَتْ أَثِينا وجرَّتْهُ بأَشْعارِهِ الشُّقْرِ (١)
رَسُولَةُ هِيْرا تِلكَ مَنْ لكِلَيهِما تَبَرُّ ولا تَخْتارُ بَرًّا على بَرِّ
ولم يرَهامِن زُمْرَةِ الجمعِ غَيْرُهُ بَدَتْ خلْفَهُ والعَينُ حَمْراءُ كالجَمْرِ
تَحَقَّقَ مُرْتاعًا ثُبُوتَ هُبُوطِها فبادَرَ يَشْكُو شِدَّةَ الأَمْرِ والوِزْرِ:

العامة فانه طلب بادىء بدء بدلاً من خريسا بلا تخصيص . ثم زاد حنقاً فخصص سبايا اياس واوذيس واخيل . ولما تناهى به الغيظ عمد الى طلب سبية أخيل دون سواها

لست أدري أهي سنة في خلق الله ام تحامل من المشترعين والشعراء ان تُعزى نشأة الفتن والشرور الى ربات الجمال وبنات جنسهنّ منذ أغوت أمنا حواءُ أبانا آدم . فقد علمنا ان غادة حسناء كانت العلة في تلاحم أمتين عظيمتين وهي هيلانة زوج منيلا وان شئت فقل زوج فاريس . وان عذراء أخرى كانت السبب في انهيال غضب الآلهة على اليونان فكادوا يبيدون بالوباء وهي خريسا . ثم مالبثوا ان تفاقم الخطب عليهم بسبب فتاة ثالثة هي سبية أخيل . وسنرى في ما يلي ان معظم الفتن التي ثارت بين الارباب نشأت عن مكامن صدر الانثى حتى في السماء — نرى هذا في شعر هوميروس مع انه لم يوفّ شاعر ما وفّى من حق بنات الجنس الجميل بكل احوالهنّ ومدح اخلاقهنّ واثبات فضائلهن وهنّ بنات واخوات وازواج وامهات احراراً ورقيقات . على ان هوميروس كان مصوراً قصر عن شأوه في وصف احوال الطبيعة كل شاعر ورسام فألمّ بها من كل اطرافها ومثل ما حسن منها وما ساء . وللمعجبين بوليّات المحاسن ان يقولوا دفاعاً عنهنّ في هذا الموضع واشباهه انه لما كان الجمال مطمح بصر الرفيع والوضيع وللنساء منه النصيب الاوفر كان هو منشأً للنزاع . فما بعد ذلك جريرة لصاحب ذخر ثمين يتنازع الناس على احرازه . فان كان ثمة اثم فهو اثم المتنازعين من الرجال

(١) اشعار جمع شَعر . واثينا الاهة الحكمة

« أيا ابنةَ ربِّ التُّرس زفسَ أجئتني هُنا لتَرَيْ كَيدَ ابنِ أتْرا وتَستَقري
فأُنْبِئُ والإنباءُ ظنّيَ صادقٌ سيَلقى بما قد غرَّهُ حَتفَ مُنتَرِّ »
أجابتهُ زرقاءُ اللَّواحظِ : « إنَّما أتيتُ لأُسري الغيظَ عنكَ عسى يَسري
بإيعازِ هيرا مُرتَضاةِ كليكُما بُعِثتُ فخلِّ الشَّرَّ وادْفعْ لظى الشَّرِّ [1]
وفي كَفِّكَ الفتَّاكةِ اغمُدْ حُسامها وقابلْ أغاممنونَ ما شئتَ بالزَّجرِ
واَصْدُقكَ الوَعدَ اليقينَ فخذْ بهِ فسوفَ تنالُ الجبرَ من بَعدِ ذا الكسرِ
ثلاثةَ أضعافِ الذي سينالُهُ ستُحرِزُ يوماً فانتصحْ واستمعْ أمري »
فقال : « أراني يا إلاهةُ مُجبراً على الطَّوعِ مهما كانَ في النَّفسِ من قهرِ
فذلكَ خيرٌ مَنْ يُطِعْ سادةَ العُلى يُثبْ ولهُ من بعدُ أجرٌ على أجرِ »
وأغمدَ تعلو كفُّهُ فوقَ قَبضةٍ لجُنيَّةٍ نصلَ الحُسامِ الذي يَفري
فسارت أثينا الأُلمبِ لقومها بدارةِ ربِّ التُّرسِ في قُنَّةِ القصرِ
وغيظُ أخيلٍ ظَلَّ غيرَ مُسكَّنٍ ومالَ على أتريذَ بالشَّتمِ والنَّهرِ : [2]

(١) زرقاء اللواحظ صفة لاثينا والزرقة شعار السعة ونسبتها المعنوية للحكمة ظاهرة • وهيرا امرأة زفس والاهة الهواء يلقبها بيضاء الذراعين اشارة الى النقاء

(٢) ان في هبوط الاهة الحكمة على أخيل وحديثها معه لتمثيلاً رمزياً بديعاً لحالة ما يتناوب الغضوب تباعاً من الحمق والتروي • كاد يدفعه ضيق الصدر في اول الابيات الى الفتك باغاممنون وجماعته حتى انتضى حسامه وهو لا يشعر بما فعل فاذا بأثينا هبطت من السماء ولم يرها سواهُ اي انه انتبه عند انتضاء السيف انه انما يأتي منكراً • فتأنى وناجته نفسه بوجوب الارعواء لما له من المكانة بينهم فلا بد ان يضطروا الى بأسه لدفع الاعداء فيزيد شأنه علوّاً وينحط خصمه في أعين قومه فسكن جاشه واغمد سيفه ثم غادرته أثينا اي الحكمة فعاوده الغيظ ولكن سورته

« ياملِكاً بنَشوةِ الراحِ مُثقَلْ ‏ ‏ ‏ ‏ يالحاظَ الكلابِ ياقلْبَ إِيَّلْ [1]
لم تكن قطُّ كفُّ خوضِ المنايا ‏ ‏ ‏ ‏ بينَ قومِ الإغريقِ إنْ يعلُ قسطَلْ
لم تَقُدْ قطُّ صيدَهمُ بكَمينٍ ‏ ‏ ‏ ‏ كلُّ هذا يُريكَ موتاً معجَّلْ [2]
هو خيرٌ علمتَ أن تستردَّ الـ ‏ ‏ ‏ ‏ سَّهمَ ممَّن يصدُّ قولَكَ إنْ ضَلْ
انتَ ذا الشعبَ قد فرستَ بظلمٍ ‏ ‏ ‏ ‏ حيثُ بينَ الأنذالِ كُنتَ المُفضَّلْ
كُنتَ لولا هذا أأثريذُ في ذا الـ ‏ ‏ ‏ ‏ حينِ تلقى هوناً أخيراً وتُخذَلْ
لكَ منّي نبوءةٌ ويمينٌ ‏ ‏ ‏ ‏ أُقْسِمَتْ في ذا الصَّولجانِ المُبجَّلْ [3]

كانت قد همدت بما استبقت فيه من الأثر فاجتزأ عن البطش بالسباب كما سترى

(١) كل فئة من الناس تشبه بما حولها من مكنونات الطبيعة فبلاد اليونان كثيرة الجبال والهضاب والغاب فتكثر فيها الايلة ولهذا اكثر شعراء اليونان من تشبيه قلب الجبان بقلب الايل كما اكثر العرب لانبساط بلادهم وكثرة الظباء والنعام بها من التشبيه بالظبي والنعامة كقول الشاعر

اسد عليَّ وفي الحروب نعامة ‏ ‏ ‏ ‏ فتخاء تفزع من صفير الصافرِ

وقول ابي تمام

ان يعدُ من حرها عدوالظليم فقد ‏ ‏ ‏ ‏ اوسعت جاحمها من كثرة الحطب

والظليم فرخ النعامة — واما لحاظ الكلاب فكناية عن البذاءة والقحة

(٢) بعد ان وصف أغاممنون بالسكر والبذاءة والجبن زاد كلامه ايضاحاً بقوله « لم تقد قط صيدهم بكمين » اذ كانوا يتخيرون أبسل المقاتلة ليكمنوا للعدو. فترصُد الاعداء على هذه الصفة كان عنوان البأس والشجاعة لانه يقضي على فئة قليلة بمقاتلة جيش كبير

(٣) اعترض بعض الشراح على هوميروس بجعل اخيل يقسم بالصولجان ولا يقسم بزفس او غيره من الآلهة محتجين عليه ان الصولجان قطعة من خشب لا تملك نفعاً ولا ضرًّا . وهو اعتراض في غير محله . ولا ارى له قسماً اوفى بالمرام من هذا القسم

مِحْجَنٌ لَن يَزهُو لهُ وَرَقٌ مُذْ راحَ عنْ جذْعهِ على الشمِّ يُفْصَلْ
كيفَ يَزهُو وقاطِعُ الحَدِّ عرَّا هُ وَهيْهاتِ بعدَ ذلكَ يَخْضَلْ
إيْ وذا الصَّوْلَجَانِ وَهوَ وَلِيٌّ لجُمُوعِ الإغريقِ في العَقْدِ والحَلْ
بينَ أيْديهِم يُناطُ وَهمْ حَفَـ ـظُ شَرْعٍ لزَفسَ فيهِم تنَزَّلْ
قَسَمي وهو أَلْوَةٌ لكَ كُبْرى سوْفَ يَبكي أَخيلَ جَيْشٌ مُنَكَّلْ
حينَ هكْطُوْرُ فيهِ يبْطشُ بَطْشاً وترُومُ الذِّيادَ عنهُ فتَفْشَلْ
فَبكَ النَّفسُ تَصطَلي وَهيَ حَنْقى مِنكَ إذْ كِدْتَ خيرَ شَهْمٍ وأبْسَلْ»
وإذ انتهى أَلْقى أَخيلُ إلى الثَّرى بالمِحْجَنِ المُزْدانِ في قُتُرِ الذَّهَبْ[1]
واحْتَلَّ مَجْلِسَهُ وأتْريذٌ على كُرْسيّهِ مُتَسَعِّرٌ بلظَى الغَضَبْ

في هذا الموضع • فقد تقدم ان الاهة الحكمة غادرته فلم يكن له ان يوجه نظرهُ الى الالهة فكان من البديهي ان يقسم بشيءٍ محسوس يملأ بصره • ولم يكن ثمة الا الصولجان فاقسم به وهو شعار الملك والقوة عند اليونان كما كان عند كثير من الامم • ولنا في سفر احشويرش في التوراة شاهد بيّن عليه • فكأنه اقسم بما له من القدرة والعظمة • هذا فضلاً عما هناك من حسن التمثيل بقوله بعد هذا « هيهات يخضل » اي ان عصا الملك التي قطعت من شجر الجبال وعُرّيت من ورقها لا يعاودها رونقها وزهاؤها وهكذا لن يتمكن بيننا التواد بعد قطع علائق التصافي وحسن الولاء • ثم ان القسم بالمحسوس اسهل منالاً واقرب من القسم بغير المحسوس سواءٌ أريد به قوة غالبة او لم يرد فقد كان حلف العرب بالبيت والركن والحطيم وزمزم أكثر منه بمعبوداتهم وأصنامهم

(١) القتر جمع قتير المسامير — لم يذكر الشاعر أصولجان أخيل كان بيده أم صولجان أغاممنون ولا أخاله الا صولجان أغاممنون وان كان بيد أخيل لان قوله « وهو ولي لجموع الاغريق » يدل على أنه كان صولجان صاحب السيطرة

فأنساب بينها الموفق نسطر والشهد من شفتيه بالنطق أنسكب (١)
وهو الخطيب أخو الفصاحة والنهى في فيلس فأراد إخماد الشغب
قد كان يحكم ثالث الأجيال في ها بعد أن جيلين عاصر واصطحب (٢)
متجللاً برزانة ورصانة في مجمع الإغريق منتصباً خطب :
« رباه اي رزية صماء قد هجمت على أرض الأخائيينا
لا شك فريام وكل بنيه والـ ـطروادة الباقون يبتهجونا
إذ يعلمون لما اختصامكما أيا من نقتما بأساً علا ويقينا

الكبرى • فلما كان أخيل هو المنتدب لحشد المجلس كان له ان يتناول صولجان السيادة من صاحبه • فان اوذيس تناوله منه في النشيد الثاني عند ما أخذ يطوف على زعماء الجيش

(١) ان تشبيه نطق نسطور بالشهد لا شهى من الشهد وقد استعاره من هوميروس كتبة الافرنج • وهو وارد كثيراً في كلام العرب شعراً ونثراً اخذاً عن الطبيعة مأخذ هوميروس نفسه

فمن ذلك قول الصاحب بن عباد للقاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز

بالله لفظك هذا سال من عسل ام قد صبيت على انواهنا العسلا

وقول الثعالبي للامير أبي الفضل عبد الله الميكالي

سبحان ربي تبارك الله ما اشبه بعض الكلام بالعسل
مثل كلام الامير سيدنا نظماً ونثراً يسير كالمثل

ويقولون : كلام له من الهواء رقته • ومن الماء سلاسته • ومن السحر نفثته • ومن الشهد حلاوته • وما اشبه

(٢) فسر البعض كلمة (γένεα) بمعنى قرن فيكون عمر نسطور زهاء الثلثماية سنة وهو غير معقول • ولكن الاكثرين يفسرونها بمعنى جيل من الناس وهو الصواب ومعدل مدة الجيل نحو ثلثين سنة • قال بعضهم ان عمره اثناء حروب طروادة كان

فأُستَعْصِمَا بِنَصائِحِي فكِلاكُمَا دُونِي حُؤُولاً جِمَّةً وسِنِينَا
ولقَدْ صَحِبْتُ بِمَا مضى صِيدًا أَشَدَّ وقد رَعَوا لي حُرْمَةً وشُؤُونا
لم أَلْقَ قطُّ ولَن أرى في ذا الورى بَينَ الرِّجالِ كَفِيرِثُو أو كِينا
أو إكْسَذٍ أوثِيسسَ بنِ أَغيسَ مَن قد كانَ مثلَ الخالدِينَ رَزِينا
او ذرْيَسٍ راعي الورى والمُجْتَبى فُولِيفِمٍ قَوْمٍ خلوا صِلِّدينا
كانوا أَشَدَّ العالَمِينَ وقاتَلُوا قوماً شِدادًا في النِّزالِ شِبِيْنا [1]
وعلى قَناطِرَةِ الجبالِ سَطَوْا ولم يَذَرُوا لَهُمْ أَثَرًا يُرى مأْمُونا [2]

نحواً من ستين او اكثر قليلاً • على ان عقيلة داسيه اتت بحجة أخرجت منها انه كان خمساً او ستّاً وثمانين ذلك أَن قدّرت المدة المنقضية بين حرب القناطرة التي ذكرها بخطابه وحرب طروادة هذه بخمس او ست وخمسين سنة ولم يكن عمره اذ ذاك باقل من عشرين تضاف اليها عشر سني الحرب فتبلغ ما تقدم وهذا يقرب من قول هيرودوتس اذ يجعل سني الجيل ثلاثاً وثلاثين سنة فيكون عمر نسطور بين الثمانين والمئة



القِنْطُورُس او القِنْطِير

ومن غريب الاتفاق في الخطأ ان بعض كتاب العربية يقيمون الجيل مقام القرن كما جرى لبعض مفسري اليونانية

(١) شبين جمع شبة وهو البطل الباسل

(٢) القناطرة جمع قنطورس او قنطير وهو مخلوق خرافي كان يأوي الى

وصحبتهم واستقدموني جملة من موطني فيلوس ملتمسينا
فنجدتهم جهدي وأنميتُ الزما ن بمثلهم في الروع كان ضنينا
وبكل شوراهم إذا رأيي بدا تخذوه بالإجماع متفقينا
لذا بهم مثل أطيعاني إذا وخذاه رأياً صائباً ورصينا
فاحذر أيا أتريذ غصب فتاته مهما علوت أماجداً وقرونا
هي لابن فيلا قد حباه بها بنو إغريقيا حقاً له مضمونا
وتجاوزنَّ أخيلُ عن ملكٍ حوى شأناً علا شأن الملوك ركينا
ولئن تفق بأساً وأمك ربة كانت فزفس زاده تمكينا
وهو الأشد قوى وأكثر عدة وأنبذ أيا أتريذ عنك ضغونا
وأخيل صاف وراعني فلقد غدا في ذا الوغى حصن الأخائيينا » (١)

أكم ثساليا وأجمها زعموا انه له شطر انسان قائماً على شطر حصان كما ترى في الرسم • والاصل في هذه الخرافة ان القوم كانوا فرساناً محنكين فما زال اصحابهم يبالغون في اطرائهم حتى الصقوا الفارس بالفرس وهم انما كانوا في بدء امرهم كبني عمران بقول المتنبي

الثابتين فروسة كجلودها في ظهرها والطعن في لباتها
فكأنها نُتجت قياماً تحتهم وكأنهم ولدوا على صهواتها

والقنطورس ايضاً احد الابراج الثمانية والار بعين التي رسمها بطليموس ونقلها عنه العرب فغيروا رسمه ومثلوه بهيئة دبّ ممتط حصاناً • ولا ريب ان لفظة القنطير عند العرب بمعنى الداهية مأخوذة من هذه المادة

(١) شبّه اخيل بالحصن وقد شبّه به اياس في ما يلي • والعرب تشبه بالحصن والمعقل اما للدلالة على علو الهمة بالذود والكفاح على ما يراد هنا كقول العبسي عنترة

فقالَ أغاممْنُونُ : « يا شيخُ حِكمةً نَطقْتَ ولكنْ ذا المُقاتلُ يَستعْلي
يرُومُ امْتلاكَ الأمْرِ والنَّهْيِ إنما بِعلمِيَ مَنْ لا يَتَّقيهِ ولا يُدْلي
وإنْ تكُنِ الأرْبابُ أوْلتْهُ شِدَّةً فهلْ هُمْ أباحُوا أنْ يُهينَ أُولي الفضْلِ »
أجابَ أخيلُ للحديثِ مُقاطعاً : « بأمْرِكَ مُرْ غيري فلمْ يمْتثلْ مِثْلي
فإنْ رُحْتُ مُنْقاداً لقولٍ تقولُهُ إذاً فادْعُني نذْلاً وأوْضعَ منْ نَذْلِ
ولكنَّ لي قولاً صريحاً فخُذْ بهِ : لأجْلِ فتاتي لسْتُ مُنْتضياً نَصْلي
ولنْ أتصدَّى للدِّفاعِ لأيِّكُمْ لسَلْبِكُمُ بالعُنْفِ ما نلتُ بالعدْلِ
ومِنْ دُونِها أحْذرْ أنْ تمُدَّ يداً لما حوَتْ سُفُني وأفعلْ إذاً تقتَ للفعلِ
يرَ الجيشُ ما تُبْدي ورُمْحيَ عاجلاً يُسيلُ دِماكَ السُّودَ فأبْلُ إذا تُبْلي »

انا الحصن المشيد لآل عبسٍ اذا ما شادت الابطال حصنا

واما للدلالة على الحكمة واصالة الرأي اللتين تقومان مقام الحصون كقول الزمخشري من انشاد ابي زيد

كهولٌ معقل الطرداء فيهم وفتيان غضارفة فروعُ

لاشيءَ أليق بالمقام من توسط نسطور خطيب اليونان وحكيمهم بين الملكين المتخاصمين ولا كلام أبلغ ولا أرق من كلامه • شرع اولاً في اعظام البلاء والتهويل بشماتة الاعداء ثم ذكَّرهما انه ارشد منهما فيجدر بهما الانقياد اليه لما مرَّ عليه من سني الاختبار الطوال ولما مر له من النصح والارشاد لأقيال ليسوا دونهما عزوة واقتداراً ونصَّل تفصيلاً ليطول بهما المجال فيتلطف الغضب • ثم تزلف الى كل منهما بما يرضيه غير مؤثر احدهما على الآخر — ولم يكن من قصد الشاعر ان يكون هذا الخطاب فاصلاً كل نزاع والا لانتهت القصة عند هذا الحد ولكنه لم يكن حسناً أيضاً أن يذهب كلام الخطيب ضياعاً فكان له شيءٌ من حسن الوقع في نفسيهما فان أغاممنون اجابه بقوله « ياشيخ حكمةً نطقت » وقال أخيل بعده « لاجل فتاتي لست منتضياً

كَذَا انفصلا بعدَ اختصامٍ وحِدَّةٍ وفُضَّ اجتماعُ الحَشْدِ من بعدِ ذا الفصلِ
فآخيلُ في فطرُقلَ والصحبِ قافلا إلى فلكهِ والخيمِ في منتهى السهلِ (١)
وأتريذُ ألقى للعُبابِ سفينةً بعشرينَ ملّاحاً تنقّى بلا مَهْلِ
وفيها خريسا والضحايا لفيبسٍ وربّانها أوذيسُ ذو الفضلِ والعقلِ
ومذ مخرتْ أتريذُ نادى بجندهِ وضوءاً وتطهيراً فقاموا إلى الغُسْلِ
ولبّوهُ والأقذارَ في البحرِ أفرغوا وقادوا الضحايا خيرةَ الثورِ والسَخْلِ (٢)
وأذكوا لها في الجرفِ ناراً تصاعدتْ دخاناً إلى الزرقا روائحها تُعْلي
بذا اشتغلوا طرّاً وأتريذُ لم يزلْ بهاجسهِ في كيدِ آخيلَ ذا شُغْلِ
دعا أورباتاً ثم تلثيبيوسَ مَن له لم يزالا أصدقَ الصحبِ والرُسْلِ
وقال: «اذهبا اقتادا بريسا بزندها إليَّ هنا من خيمِ آخيلَ ذي النُبْلِ (٣)
وإن هو يأبى جئتُهُ بعصابةٍ بنفسي فيزدادُ انخذالاً على خذلِ»

نصلي » فيتضح من ثم ان الشر قد هان بفضل نسطور • وراح كل منهما في سبيله فمضى أخيل الى سفنه واعتزل القتال واخذ أغاممنون في استرضاء أفلون دفعاً للوباء عن الجيش كما سيجيء

(١) فطرقل رفيق أخيل وصديقه الحميم

(٢) المراد بالسخل هنا العنز — أراد أغاممنون أن يستتم البر في استرضاء أفلون فبعث بضحايا في السفينة الذاهبة الى أبي خريسا في البر المقابل لطروادة وضحى بضحايا اخرى في معسكره • ولم يكونوا يضحون الا وهم على وضوء كسائر الملل المستنيرة بشيء من نور المدنية في تلك القرون المظلمة

(٣) بريسا ابنة بريسيس كاهن زفس في لرنيسة • سباها اليونان في من سبوا من تلك البلدة عند ما اكتسحوها في طريقهم فكانت عند اقتسام السبايا سهم أخيل

سارا يَسُوقُهما الأَمرُ العَنيفُ على البَحرِ المَخوفِ على رَغمٍ على أَلمِ
بينَ المَرامدةِ الغضبى أَخيلُ بدا لدى سفينتهِ السَّوداء والخيمِ
رآهما فتلظَّى واحترامهما والخوفُ صدَّاهما عن واجبِ الكلمِ [1]
فاستوقفا وجلاً والقلبُ أنباهُ فقال مبتدرًا بالبشرِ والسَّلمِ :
« يا مرسلي زفسَ والناسِ ادنُوا عجلاً ما الذنبُ ذنبكما إن تقصُدا علَي
أتريدُ يبغي بريسا فأتين بها فطرُقل يا مجتبى زفسٍ فهيتَ قمْ
ليأخذاها وعندَ الخالدينَ وعندَ الناسِ والمعتدي فليشهدا قسمي
لئن توالتْ سرى الإغريقِ نازلةٌ واستدفعوا العارَ واضطرُّوا إلى هممي [2]

. . . .

لاشكَّ أودى بهِ الغيظُ المشومُ فلم يذكر ولم يتروَّ الأمرَ بالحكمِ

(١) لايماثل بلاغة صمت أبي خريسا وهو راجع مذعور على جرف البحر الا صمت رسولي أغاممنون امام أخيل • قال افستاثيوس ان الشاعر تنصل هنا من تبعات كثيرة كانت لزمته لو تكلما • فانهما لو بلغا رسالتهما لاضطرا اما ان يبلغاها ببعض الانكسار وفيه غض من شان أغاممنون واما ان يبلغاها كما أُمرا وفي ذلك وسيلة لاثارة غيظ أخيل • على انهما بصمتهما قضيا مهمتهما ولطفا من غضب أخيل فأمر بتسليمها اليهما كانه سامح غير مجبر اه • قلت وفي هذا زيادة اعظام لهيبة أخيل في قلب الصديق والعدو واستطراق الى مدح اخلاقه وشهادة بانه مع شدة قسوته لايخلو من الحلم وسعة الصدر كما يتضح من خطابه لهما

(٢) كأنه أراد أن يقسم هنا انه اذا نكل العدو بقومه لايبسط يده للذود عنهم ففكر انه تجاوز منه في الحقد فقطع الكلام ورجع الى تعنيف أغاممنون بكلام أشبه بالعتاب منه بالسباب

حتى إذا قاتلوا في ظلّ فلكهم ظلّ الأخاءة في أمنٍ وفي سلم »
فقام فطرقل يمضي أمره وأتى بها بقلبٍ بنار البثّ مضطرم
تسلّماها وسارا وهي مكرهة لملك ملك المكينيين ذي العظم (١)
فغادر الربع آخيل وسار الى الجرف الخلي يفيض الدمع كالديم (٢)

(١) ملك المكينيين أغاممنون • لم تكن بريسا تجهل مكانة أغاممنون ومع هذا فانها لم تذهب اليه عن طيبة خاطر بل « سارت مكرهة » ولم يغرّها جاهه وطوله لان الحب طائر لايقع الا حيث يطيب له التغريد والتقير • فقد وجدت في قلب أخيل الصلد مرتعاً ليناً رحباً فاقام حبها فيه واستطاب المقام • وزد على ذلك ان أخيل كان فتىً في ريعان شبيبته وأغاممنون كهلاً قضى على شبابه وأي فتاة لاتؤثر الشباب على الكهولة

(٢) لم يكن يجدر باخيل بعد فوز خصمه وتسليمه بتسيير بريسا صاغراً على ماكان عليه من حدة المزاج وعلو الشأن وشدة البأس وشغفه بها الا ان يطلب العزلة في البراح ويطلق لنفسه العنان فتهيج بما اكنت من الجاش • فهام على جرف البحر وتفجرت عبراته على ما رأيت • قال بعضهم لم يكن يليق ببطل كأخيل ان يذرف الدمع • وهو قول من لم تمر نسمات العواطف على فؤاده بل نقول انه لم يكن يليق به الا ان يبكي لانه وان كان بطلاً باسلاً فقد كان شهماً غيوراً محباً محسناً وقد اجتمعت لديه دواعٍ كثيرة بعضها يكفي لشق اصاب الصدور اذا لم تفض منها الدموع فتوسع ضيقها وتخمد لهيبها • والبكاء سنة جرى عليها كل الشعراء ونطرة تعجز عن مقاومتها بسالة الابطال • أفلا ترى بكاء بطل العرب عنترة العبسي القائل :

ياعبل لولا الخيال يطرقني قضيت ليلي بالنوح والسهرِ

اوَلم يفتتح شيخ الشعراء الكندي معلقته بالبكاء بقوله: قفانبك الخ — اولم يجمع الناس على ان الدمع ملطف للاحزان ومخفف لحرارة الاشجان كقول ابي تمام في وصفه

واقعاً بالخدود والبرد منه واقع بالقلوب والاكباد

ومن هذا القبيل قول امرىء القيس

وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارسٍ من معوّلِ

وصاحَ يَبسُطُ ذَرعاً وهوَ يُحدِقُ في بَحرٍ طَغى مُستَمِدًّا رَحمَةَ الرَّحِمِ :(١)
«أُمَّاهُ ثِيتيسُ مُذْ أُولِدتِني وَقضى زَفسُ بِقَصرِ حَياتي فَليَصُنْ شِيَمي (٢)
عَليَّ ضَنَّ بنذرِ المَجْدِ حيثُ اَغا مَنُونُ في طَوْلِهِ يَسطُو على قِسَمي»
هَبَّتْ وقد سَمِعت من لُجِّها صُعُدًا مثلَ الدُّخانِ منَ الأَمواجِ كالنَّسَمِ
من قُربِ نيرا أبيها الشَّيخِ طائرةً عَلَتْ فأَلفَتْهُ يَهمي دَمعَ مُحتَدِمِ
فعانَقَتْهُ وَصاحتْ : « يا بُنَيَّ علا مَ ذا البُكاءُ فَبُحْ بالضَّيمِ لا تَجِمِ »

وقول ذي الرمة: لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي نجيَّ البلابلِ
وقول الفرزدق : فقلت لها ان البكاء لراحة به يشتفي من ظن ان لا تلاقيا
او لم يجعل بعض الشعراء البكاء محجة ُيتسابق اليها ومحمدة ُيرغب فيها كقولهم

ولو قبـل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندمِ
ولكن بكت قبـلي فهيج لي البكا بكاهـا فقلت الفضـل للمتقدمِ

او َلا تراهم ايضاً وصفوه في كل احواله حتى ذكروه في السرور كقول الصفي الحلّي

طفح السرور عليَّ حتى انه من عظم ما قد سرني ابكاني

اما شعراؤنا المتأخرون فقد اساءَ اكثرهم التقليد في هذا كما اساؤهُ في غيره حتى انك تكاد لاتجد في بعض اشعارهم الا بكاءً واستبكاءً وتباكياً يضحك الباكي

(١) الرحم القرابة • لم يبق لاخيل بعد ان عانى ما عانى الا ان يشكو ظلامته لذات رحمه امه ثيتيس

(٢) ثيتيس احدى بنات الماء من صغار الآلهة تزوجت فيلا فاولدها اخيل وموطنها مع ابيها نيرا واخواتها في قعر البحر — ان كلام اخيل في هذا البيت يشير الى قصة سيرد ذكرها في النشيد التاسع مفادها ان اخيل كان عالماً انه قدر له في القضاء المحتوم اما ان يعيش عمراً مديداً في سعة ورفاءٍ وخمول ذكر واما ان يهلك في عنفوان الصبا ويعيش في شقاءٍ ونصب ويخلد ذكره فاختار قصر الحياة مع المجد الاثيل غير طامع في طويل العمر ورغد العيش • ولا يخفى ما في هذا الاختيار من العزة والاباءِ • وما احسن قول العبسي :

قالَ والنفسُ صعَّدَتْ زفرات :　　« لَيسَ تُجْدِي لماعَامْتَ الإعادَهْ »[1]
قُدْس إتْيونَ ثِيبَةً مُذْ دَهَمْنا　　وارْتَفَدْنَا منهُ أجلَّ ارْتفادَهْ[2]
وُزِّعَ الكَسْبُ هاهُنا وَخرِيسا　　نالَ أتْرِيذُ غادَةً أيَّ غادَهْ
فأَتانا خَرِيسُ كَاهِنُ فِيبُو　　سَ مُثِيرِ السِّهامِ يُلْقِي الْمَقَادَهْ
يَفْتَـدِي بِنْتَهُ بِغُرِّ الهَـدَايا　　وَبِيُمْنَاهُ صوْلَجَانُ السِّيادَهْ
صوْلَجانٌ من عَسْجَدٍ وعصابا　　تُ أفُلُّونَ فوقَهُ ميَّادَهْ
فاتانا مُسْتَنْجِدًا مُسْتَجِيرًا　　رَاجِياً مِنْ جَمِيعنا إنْجادَهْ
(سيَّما العاهلَينِ من نَسْلِ أتْرا)　　فَجَمِيعُ الإغْرِيقِ حَقُّوا مُرادَهْ[3]

لاتسقني كأس الحياة بذلة　　بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ
كأس الحياة بذلة كجهنم　　وجهنم بالعز اطيب منزلِ

(١) انتقد بعض الشراح على هوميروس اعادة الحديث في مواضع من شعره ولعلهم مصيبون في هذا الموضع خاصةً لافتتاح أخيل كلامه بقوله ان امه كانت عالمة بواقعة الحال « فلا تجدي الاعادة » ولكن له شافعاً بهذا التكرار بما زاد القارىء علماً به من تاريخ دخول خريسا في حيازة أغاممنون وهي حادثة لم يسبق ذكرها • واما سائر ماورد من التكرار في ما يلي فاكثره واقع في محله اما لانه كلام رسُل بُلّغ كما قيل واما لانه كلام اعيد لزيادة وقعه في النفوس

(٢) ارتفد بمعنى كسب • ثيبة أو ثيفاس ويقول العرب طيبة او طيوة بقلب الثاء طاءً والفاء باءً او واواً اسم لعدة مدن • حسب اسطفانوس البيزنطي تسع مدائن بهذا الاسم اشهرها قاعدة بيوتيا مسقط رأس فنداروس وأفامينذاس وطيبة مصر الشهيرة عاصمة صعيد مصر • واما ثيبة المرادة هنا فهي عاصمة مملكة ايتيون أبي أندروماخ امرأة هكطور وهي واقعة في كيليكيا الطروادية وكانت عندهم من جملة المدائن المقدسة ولهذا دعاها بقدس ايتيون

(٣) حقوا اوجبوا

آثَرُوا حِفْظَ حُرْمَةِ الشَّيْخِ فِيهِمْ وَقَبُولَ النَّفَائِسِ الوَقَّادَهْ
فابنُ أَتْرا اُسْتَشاطَ يَطْرُدُهُ من بَيْنِنا مُورِياً عَلَيْهِ اُحْتِدادَهْ
ذُعِرَ الشَّيْخُ وَاُنْثَنى بِدُعاءٍ وَفِبُوسُ اُسْتَجابَهُ وَاُسْتَجادَهْ
فَرَمانا سَهْماً فَبَدَّدَنا والْ أَسْهُمُ الدُّهْمُ أَنْفَذَتْ بَدَّادَهْ
طَفِقَتْ جُنْدُنا تَخِرُّ رُكاماً بَعْضُها فَوْقَ بَعْضِها مُنْقادَهْ
فَقِهَ الأَمْرَ كاهِنٌ ذو سَدادٍ وَاُحْتِدامُ الإِلاهِ أَدَّى مَفادَهْ
فَطَلَبْتُ اُسْتِرْضاءَهُ فَاُنْبَرى أَتْ رِيذُ حالاً يُبْدِي عَلَيَّ اُشْتِدادَهْ
وَأَعَدَّ الوَعِيدَ ثُمَّ قَضاهُ وَأَرادَ الإِغْرِيقُ مَنْعَ الزِيادَهْ
فَأَعَدُّوا سَفِينَةً سَيَّرُوها بِخَرِيسا إِلى أَبِيها مُعادَهْ
ثُمَّ سارُوا وَأَوْفَدُوا بِنُذُورٍ شائِقاتٍ لِلرَّبِّ خَيْرَ وِفادَهْ
وَبِذا الحِينِ قامَ مِن خَيْمَيِ الرُّسْ لُ بِسَهْمٍ أُوتِيتُ حَقَّ الجَلادَهْ
لِأُبْنِ أَتْرا يَسْتَصْحِبُونَ بِرِيسا أَنْجِدِي اُبْنَنا عَلَيْكِ أَلْقى اعْتِمادَهْ
أَنْصِفِيهِ إِذا اُسْتَطَعْتِ وَسِيرِي لِلْعُلى فِي أُلُمْبِ رَبِّ العِبادَهْ
وَاُسْتَغِيثِي إِنْ كُنْتِ حَقّاً بِقَوْلٍ أَوْ بِفِعْلٍ خَلَبْتِ يَوْماً فُؤادَهْ
بِاُعْتِزازٍ سَما بِقَصْرِ أَبِي كَمْ مَرَّةٍ قَدْ رَوَيْتِ خَيْرَ إِفادَهْ :
عِنْدَ ما فُوسِذٌ وَهِيرا وَآثِيـ نا اسْتَطالُوا عَلى وَلِيِّ الإِبادَهْ (١)

(١) قال بعض الشرّاح ان في تذكير زفس بخروج فوسيذ وهيرا وأثينا عليه لدهاءً عظيماً لان ثيتيس اذا اعادت على زفس تلك الذكرى هاجت فيه عاطفة الانتقام

وتجارَوْا لغلّ زَفْسَ الذي يرْ كُمُ غَيْمَ العُلى وَيُدْجي اسْودادَهْ
لم يكُنْ بينَ عُصْبَةِ الخُلْدِ إلاَّ كَ يقيهِ من وَرْطَةٍ مُرْتادَهْ
فاْبتَدَرْتِ الأَغلالَ بالحلِّ وَالجَبَّارَ حالاً دَعَوْتِ يُبْدِي جهادَهْ (١)
(مئَهٌ أَذْرُعاً لهُ وهوَ يُدْعى بَرَيارا في عُرْفِ أَهْلِ السَّعادَهْ
ولدى الناس إيجيُونَ يُسمَّى) من فَسيحِ الأُولمبِ رَامَ افْتِقادَهْ
من أَبيهِ أَشَدُّ بأساً وعنْدَ ابْنِ قُرُونٍ أَقامَ يُوري زِنادَهْ (٢)
فاقْشعَرَّ الأَرْبابُ منهُ هُلُوعاً وارْعَوَوْا عن مكيدَةٍ نَقَّادَهْ (٣)
أُقْصُدِي زَفْسَ ذَكّريهِ بهذا قَبْلي رُكْبَتيهِ وارْجي مدَادَهْ
لِيُبيدَ الإِغْرِيقَ بالجُرْفِ قُرْبَ الفُلْكِ قَهْراً وَيُنْجِدَ الطِّرْوادَهْ

من هؤلاء الآلهة الذين تعاونوا في سالف الزمن على غله • وهم هم نصراء اليونان فاذا نكل زفس باليونان فكأنه نكل بهم فأعز أخيل بذلهم وأدى واجب الوفاء لثيتيس التي كفته بدهائها شرهم

(١) المراد بالجبار بريارا المذكور في البيت التالي • كان أشهر الطيطان وأشدهم بأساً • قال هوميروس انه كان ذا مئة ذراع • وذكر ڤرجيليوس (ن ٦) انه كان له خمسون رأساً وخمسون فماً تقذف بالنيران المضطرمة • وهو الذي استصرخته ثيتيس لنجدة زفس لما تألب عليه الآلهة قبل ان رسخت قدمه في حكم العالمين

(٢) قرون او قرونس زحل وهو أبو زفس

(٣) ذهب الشراح مذاهب شتى في هذه الخرافة فقال قوم ان اليونان لما كانوا قد اخذوا طرق عبادتهم عن الملل السابقة لهم في المدنية كالمصريين والاشوريين والفينيقيين كان هذا الحديث مزيجاً من اعتقادات هذه الملل • وقال آخرون انهم كانوا يلمّون بعض الالمام بما جاءَ في التوراة عن عصيان بعض الملائكة لحفظوا

ليَرَوْا طَيْشَ مَلْكِهِمْ وَهوَ يدْري أَنَّهُ قد أَصادَ شرَّ إِصادَهْ [1]
وابنُ أَترا يرى بمجدِ علاَهُ حطَّ مجدِ المِحْرابِ أَيَّانَ قادَهْ »

قالت وأَهمَتْ دُمُوعَ الحزْنِ: « والهفا وهلْ وَلَدْتُكَ كي تَشقى وتُشقيني
ماضرَّ لو كُنتَ عندَ الفُلْكِ مُغْتبطاً لم تَلْقَ ضُرًّا وتَذرفْ دَمعَ مَشجُونِ
فَقد وَلَدْتُكَ أَشقى الخَلْقِ وَاأَسفي في طالعِ السُّوءِ للأَحزانِ والهونِ
تكادُ تبلغُ آجالاً مُعَجَّلةً ولم تزلْ بينَ مَرْغومٍ ومحزونِ
نعمْ الى قُمَّةٍ بالثَّلجِ ضافيَةٍ فوْقَ الأُلمْبِ سأَمضي ساعةَ الحَيْنِ
أَشكُو الى زَفْسَ قذَّافِ الصَّوَاعقِ ما تشكو عسى يَرْعَوي رِفقاً ويُدْنيني
وَأَنتَ ظَلَّ عنِ الإِغريقِ مُعتزِلاً بقُرْبِ فُلْكِكَ لاتلْوي على لِيْنِ
بالأَمسِ لِلأُوقيانُسْ سارَ زَفْسُ معَ الْ أَرْبابِ في دَعْوَةٍ جلَّى التَّزايِينِ
يَقْضي بِرحْلَتِهِ اثْنَيْ عشَرَ يومَ صفا بالأَثْيُبيينَ في رَهْطِ العَرانينِ [2]

الرواية مشوَّهة فصاغوها باعتصاب بعض الآلهة على زفس زعيمهم . واما الذين يرون كل كلام هوميروس رموزاً تشير الى حقائق راهنة فيأولون الآلهة بالعناصر التي تمثلها فيقولون ان تلك العناصر كانت متأَلبة على زفس ممثل الرقيع فتغلب عليها . وربما كانت وساطة ثيتيس بنت الماء اشارة الى ما للعنصر الماءي من الشأن في توازن الكون

(١) الاصاده الاذى

(٢) العرانين الاسياد والمقصود الآلهة . في هذين البيتين اشارة الى خطة قديمة في عبادة الاثيوبيين ذكرها افستاثيوس وقال انه كان لهم عيد سنوي يحتفلون به اثني عشر يوماً يضحون فيه بالضحايا لزفس وسائر الآلهة . وقول هوميروس ان زفس ذهب في دعوتهم لايفيد انه آكلهم على ظاهر العبارة بل يريد ان يظهر اهتمامه بهم أثناء احتفالهم بعبادته . وقد اوضح في مايلي ان الآلهة لايواكلون البشر

فرُ كُبَتيـهِ متى يأتي أُقبّـلُ في قصرِ النُّحاسِ عسى يُصغي ويكفيني »
وغادرتهُ بقلبٍ لاهبٍ حنقاً لغصبِ غادتهِ الميساءِ مفتونِ
هذا وأُوذسُ ماضٍ في ضحيتهِ الى خريساوذاك الثغرمُذ وصلا (١)
طوى الشراعَ الى قعرِ السفينةِ والـ حبالَ حلَّ وحالاً أنزلَ الدقَلا (٢)
وقام يجذفُ للمرفا ويطرحُ مرْ ساةً ويُوثقُ شدَّ الجمْلِ مُعتقلا (٣)
فأخرجَ الذبحَ والحسناءُ تتبعهُ الى مقامِ فبوسٍ فانثنى وتلا: (٤)
« أيا خريسُ أغاممنونُ أرسلني لردِّ بنتكَ واستدراكِ ما حصلا
لفيبسٍ بضحايانا نقربها جئنا عساهُ يزيلُ السخْطَ والعللا »
آوى إليهِ ابنةً رقَّت عواطفهُ لها وباشرتِ الإغريقةُ العملا
صفّوا على المذبحِ المزدانِ ذبحهمُ ذرُّوا الشعيرَ وكلٌّ كفّهُ غسلا (٥)
وللسماءِ خريسٌ مدَّ في لهفٍ يدَ الضراعةِ يدعو الربَّ مبتهلا:
« ياربَّ كلاً وذا قوسِ اللجينِ ويا مولىً بقوّتهِ تينيذساً وصلا (٦)

(١) خريسا البلدة التي تقدم ذكرها . انتقل الشاعر هنا من حديث أخيل وامه الى مقابلة اوذيس رسول اليونان لخريس كاهن افلون . وفي الابيات التالية وصف تاريخي لامثيل له في ما لدينا من آثار الاقدمين عن طريقة التضحية للالهة كما سترى

(٢) الدقل سارية السفينة

(٣) الجُمل حبل السفينة

(٤) الذبح الذبيح

(٥) كانت العادة ان يذر الشعير على رأس الضحية محمّساً وممزوجاً بالملح

(٦) كل هذا البيت القاب لافلون مر ذكرها

وَيا وَلِيَّ خرِيسٍ قَدْ أَجبْتَ دُعا دَعوَتُهُ وَبَلَوتَ القَوْم شَرَّ بَلا
أَجِبْ سُؤالي وَعَنْ أَبْنَاء دَانُوسٍ أَزِلْ وَباءً على أَعْنَاقِهِم ثِقْلا » (١)
كذَا دَعا وَأَفلونُ اسْتجَابَ وَهُمْ دَعَوا وَذَرُّوا شَعيرًا طَاهِرًا فَضْلا
والذابحُ الذبحَ أَعلَى رأسَهُ وكذَا من بعدِ تَجْرِيدِهِ أَفْخاذَهُ عزَلا (٢)
بالشَّحْمِ غشَّى حوَاشيها وَأَتبَعها الأَحشاءَ داميةً منْ فَوْقِها وَشَلا
فأَضْرَمَ الشَّيْخُ خُشْبانًا مقطَّعَةً وَالخمْرَ صبَّ عليْهَا والصِّلا اشْتَعَلا
وَحولَهُ بسَفافيـدٍ مُخَمَّسَـةٍ أَطْرافُها فِتيَةُ الإِغْرِيقِ وَالنُّبَلا
حَتَّى إِذَا ذَابَتِ الافْخاذُ وَاجْتعَلُوا باقي الحشا اقتَسَمُوا اللَّحْمَ الَّذي فَضَلا (٣)
ثُمَّ اشْتَوَوهُ وَهبُّوا للطَّعام وَلَمْ يَكُنْ بهم قَطُّ شاكٍ لم ينَلْ جُعَلا
لمَّا اكْتفَوا بكُؤُوسِ الرَّاحِ طَافحةً دارُوا وَفِتيَتُهُمْ قَدْ رَتَّلَتْ جذَلا
ظَلُّوا نَهارَهُمُ يَبْغُونَ بالنَّغَمِ الـ شادِي تَقَبُّلَ رَبٍّ مِنْهُمُ انْتَفَلا (٤)
وَعَظَّمُوهُ بأَنْشادٍ لَهُ نُظِمَتْ فَطابَ نَفْسًا بِطِيبِ اللَّحْنِ وَاجْتَذَلا (٥)

---

(١) ابناء دانوس اليونان

(٢) كانت العادة ان يوجهوا رأس الضحية الى السماء اذا ضُحي بها للآلهة العليا والى الارض اذا ضحي بها للالهة السفلى او آلهة الجحيم

(٣) اجتعلوا اقتسموا

(٤) انتفل تبرَّأ

(٥) كانت العادة ان يعزلوا الافخاذ ويغشوها بطبقتين من الشحم ويضعوا فوقها قطعة صغيرة من كل عضو من اعضاء الذبيح ثم تضرم النار تحتها وهي على المذبح حتى اذا اشتعلت أخذوا يصبون الخمر على اللهيب حتى تحترق بجملتها ضحية

والشَّمْسُ لمَّا تَوارتْ بالغُرُوبِ لدَى مَرابِطِ الفُلْكِ قاموا والظَّلامُ عَلا

لمعبودهم فاذا انتهوا من ذلك اشتووا الاحشاء وما بقي من اللحم وتقاسموه ثم تناولوا طعامهم وشربوا الخمر ممزوجة بالمـاء وانتهى الاحتفال بالانشاد والترسُّل • واشتراك جميع من حضر الحفلة بتلك الأُدبة كان عندهم ضربة لازب لإحكام رُبط الاخاء والتصافي وهو بمثابة العشاء الرباني عند فريق من النصارى • والتضحية بالحيوان وفي بعض الملل بالانسان عادة قديمة متأصلة منذ نشأ هابيل ابن جدنا آدم وهي لم تنسخ من دين الا استعيض عنها بمـا يماثلها او يرمز اليها • واليونان لا شك أخذوها عمن تقدمهم ولكنهم هذبوها عمـا كانت عليه عند الفينيقيين الذين كانوا يكثرون من الالقاء بابنائهم الى الاههم مولوخ • وقد كان العرب يضحون بالضحايا ويقربون القرابين اقتداءً بمن تقدمهم كالبابليين والاشوريين ومن جاورهم وخالطهم كالفرس واليهود حتى لقد كانت عندهم بقية من حسن الاعتقاد بذبح أبنائهم قرباناً • فقد اجمع مؤرخو العرب على ان عبد المطلب جد صاحب الشريعة الاسلامية نذر لئن ولد عشرة نفر لينحرنَّ احدهم عند الكعبة • فلما كملوا عشرة واشتد بهم ضرب عليهم القداح فخرج قدح اصغرهم عبد الله والد النبي فمنعه قومه من ذبحه وافتدوه باشارة كاهنة حجر بمئة من الابل كما فصلنا في دائرة المعارف (مجلد ١١ : ٥١٠)• ولهذا جاءَ في الحديث « انا ابن الذبيحَين » أي عبد الله بن عبد المطلب واسمعيل بن ابراهيم لان العرب لا تجزم بتقريب اسحق للذبح بل تقول ان ابراهيم هم بذبح احد ولديه فيصح ان يكون المراد اسمعيل جد بعض العرب• — على انه يظهر من سياق هذه الرواية ان تلك العادة كانت قد نسخت من بين العرب واشفقت قريش من استحيائها بعد تناسيها بدليـل قيامها من أنديتها وقولهـا لعبد المطلب « ما تريد » قال « اذبحه » فقالوا « والله لا تذبحه أبداً حتى تعذر فيه (أي يمتنع عليك الفداءُ) لئن فعلت هذا لا يزال الرجل منا يأتي بابنه حتى يذبحه »

اما التضحية بالغنم والابل فكانت شائعة يذبحونها للاصنام وربمـا قالوا هي قربة لله اذ كانوا يعبدونه تعالى وهم لا يكادون يفرقون بينه وبين اصنامهم • ولقد كان يعتقد فريق منهم ان الصنم الموضوع على الكعبة يمثل الشمس او هو الشمس يقربون له ولزملائه القرابين ويهدون الهدايا المعروفة بالعزائم ويذبحون ذبيحة رجب

حَتَّى إِذَا أَبْرَزَتْ وَرْدِيَّ أَنْمُلِها بِنْتُ الصَّبَاحِ وَذَاتُ ٱلفجرِ مُنْجلا (١)
عادُوا لِقَوْمِهِمِ وَٱلرِّيحُ مُسْعِفَةٌ لهُمْ بِفَيْضِ إِلاهٍ ذَبْحُهُمْ قَبِلا
هبُّوا إِلَى نَشْرِ مُبْيَضِّ الشِّرَاعِ على أَكْنَافِ سارِيَةٍ ثُمَّ ٱنْثَنَوْا عَجَلا
راحُوا وَمَرْكَبُهُمْ شَقَّ العُبَابَ على تلاطُمِ ٱلْمَوْجِ يَدْوِي حَوْلَهُ قُلَلا
كَادُوا يَطِيرُونَ حَتَّى قَوْمَهُمْ بَلَغُوا فَلِلرَّصِيفِ ٱسْتَجَرُّوا ٱلْمَرْكَبَ العجلا
أَلْقَوْهُ بَيْنَ عِضَادَاتٍ مُثَبَّتَةٍ وَبَيْنَ فُلْكٍ وَخَيْمٍ فَرَّقُوا جُمُلا (٢)

وَظَلَّ أَخِيلُ حانِقاً عِندَ فُلْكِهِ بَعِيدًا عَنِ الشُّورَى ٱفْتِخَارِ ٱلْبَوَاسِلِ
يُؤَجِّجُ فِي أَحْشَائِهِ نَارَ عُزْلَةٍ وَوَجْدٍ لِضَجَّاتِ ٱلْوَغَى وَٱلْجَحَافِلِ (٣)
وَفِي فَجْرِ ثَانِي عَشْرَ يَوْماً مَقَامَهُ أَتَى زَفْسُ فِي رَهْطِ ٱلْخُلُودِ ٱلأَفَاضِلِ (٤)
وَلَمْ تَكُ ثِيتِيسُ لِتَنْسَى وُعُودَهَا فَشَقَّتْ عُبَاباً حالَ بَيْنَ ٱلْمَرَاحِلِ
تَجَاوَزَتِ الجَوَّ الفَسِيحَ الى السَّمَا الى حَيْثُ زَفْسُ بِالجِبَالِ العَوَاطِلِ

ويدعونها العتيرة واول نتاج الابل ويدعونه القرع ولم يزالوا على ذلك الى أن أبطله الاسلام

(١) منتجلاً أي مستبيناً

(٢) خيم جمع خيمة وجمل زرافات

(٣) يتحرق أخيل للطعن والضرب تحرُّق عنترة بقوله

أحن الى ضرب السيوف القواضب واصبو الى طعن الرماح اللواعب
وقال : فتى يخوض غبار الحرب مبتسماً ويثني وسنان الرمح مختضب
وقال : وافرح بالسيف تحت الغبار اذا ما ضربت به الف ضربه

(٤) انقضت هذه الايام الاثنا عشر بلا حرب وهي اطول مدة يمر عليها هوميروس

على القُمَّةِ العُلْيا بهنَّ قدِ استَوى بَعيداً عَن الباقينَ جمَّ المَخايلِ [1]
تَدَنَّتْ إِليْهِ وانبَرتْ مُستَجيرةً ومسَّتْ بيُمنى ذَقْنَ مولى العَواهلِ
ومالتْ بيُسْراها تُقَبِّلُ رُكْبَةً وتَلْتَمِسُ الحُسْنى بكلِّ الوسائلِ :
«أَبا الخلقِ زَفساً إِنْ صدقتُكَ خدمةً بقَوْلي وفعلي بينَ رَهطِ الأَماثلِ [2]
أَجِرْ ولَدي أَدنى الرِّجالِ الى الرَّدَى فقد حطَّهُ أَتْرِيذُ حطَّةَ خاذلِ
وأَعدَمَهُ سهْماً فلا تَطرحْهُ يا حكيماً تجلَّت فيهِ غُرُّ الشَّمائلِ
أَفِزْ جيْشَ طُرْوادا ليَعظُمَ قَدْرُهُ وينْزلَهُ الإِغْريقُ أَسمى المنازلِ»
فأَبطأَ ركّامُ الغُيومِ ولمْ يُجِبْ على الرُّكْبِ انقضَّتْ وصاحت «أَلا صلِ
وما ذا الَّذي تخْشى فخلِّ تَعلُّلا وقُلْ أَو أَشِرْ بالوَعْدِ أَوْ رَفْضِ نائلي
فأَعلَمَ بينَ الخالدِينَ مذلَّتي» فقال مُبيناً زَفْرَةَ المُتَثاقِلِ : [3]

في الالياذة ولا يصف ماجرى بهاء ولكنه لم يفُت القارىء ان اليونان كانوا مشتغلين أولاً بمصابهم ثم بانفاذ الرسل والهدايا والضحايا الى خريسا كل هذا مع اضطرارهم الى احراق جثث موتاهم ودفنها استغرق تلك الايام . اما الطرواد فكانوا في موقف الدفاع واغتنموها فرصة للم شعثهم وتحصين معاقلهم

(١) المخايل التصورات

(٢) أبو الخلق وأبو الآلهة والبشر والاب مطلقاً كنىً يطلقها هوميروس على زفس (المشتري) مع ان زفس نفسه في اساطيرهم كان ابن قرونس (زحل) ولكن دولة قرونس كانت قد دالت في ذلك الزمن

(٣) كان اليونان يمثلون آلهتهم تمثيلاً محسوساً (على نحو من اعتقاد المشبهة من فرق الاسلام التي كانت تشبه الخالق بالمخلوقات وتمثله بالحادث) وينسبون اليهم جميع مايروى عن البشر من العواطف وحاسات اللين والغضب والحلم والظلم والحب والبغض

« لَذَلكَ عِبْءٌ ضَيقٌ إِن نُمِي هُنا　　　لِهيرا أَنبَرَتْ لي بالجَنا والقَلاقِلِ
فَتوغِرُ صَدْرِي إِذْ بِكُلِّ نَميمَةٍ　　　بِمُجتَمَعِ الأَرْبابِ تُثْقِلُ كاهِلي
وتَزْعُمُ أَني للطَّراوِدِ ناصِرٌ　　　فَهُبّي ولا تَنْظُرْكِ هَبَّةَ عاجِلِ
سأَنْظُرُ فيما تَبْتَغِينَ وها كِها　　　إِشارَةَ وَعْدٍ بالإِجابَةِ قائِلِ
فَفيها بِدارِ الخُلْدِ عَهْدٌ مُصَدَّقٌ　　　وَثيقٌ وَطيدٌ لَن يُمَسَّ بِطائِلِ »
وَحرَّكَ جِفْنَيْهِ فَمادَتْ شُعُورُهُ　　　وزُلْزِلَ عَرْشُ الخُلْدِ أَقوَى الزَّلازِلِ (١)

والغيرة والاستكانة . فاذا وصف هوميروس حديثاً أو واقعة بين الارباب علمنا منها وصفاً دقيقاً للفطرة البشرية في بعض شؤونها . وفي مايلي من الحديث ابدع تمثيل لحالة الزوجة التي تغار على زوجها وتتطرق الى استطلاع مكنونات ضميره فتغضب فتلين فتدل فتذل . والزوج الذي يتثاقل من تشوُّف امرأته الى ما وراء ما يحق لها عرفانه فيحاذر فيلاطف فيقسو فيصالح — وقد اتخذ الشراح هذا الموضع وسيلة للاسهاب في انتقاد طباع النساء الا ان عقيلة داسيه وهي منهن أوّلت الحديث تأويلاً فلسفياً فاعترضت على هيرا زوجة زفس ولكن اعتراضها كان دينياً فلامتها على ازعاج زوجها من حيث انه ممثل العناية الالهية فلم يكن لها ان تتطلب التطلع الى أحكامه . على انني أميل الى الاستمساك بظاهر العبارة بلا تأويل ولا تخريج فأرى من ثم ان هوميروس لم يقصد الا الاتيان على وصف أخلاق النساء والرجال فاظهر كلاً من الحسن والقبيح في موضعه . وهو وان كان قد أبان محل الانتقاد في طبائع النساء فقد أثبت لهن الفضل في مواضعه لانه كان أميل الناس الى رفع شأن المرأة وقد أحلها محلاً لم يُحِلها فيه احد قبله ولا بعده الى مايقارب أيامنا هذه وحسبك بهذا شاهداً على بصيرته الوقادة وعارضته النقَّادة . ورحم الله الاديب القائل

انما المرأة مرآة بها　　　كل ما تنظره منك ولكْ
فهي شيطان اذا افسدتها　　　واذا اصلحتها فهي ملكْ

(١) اصطنع فيداس نصباً لزفس كان آية من آيات الصناعة فسئل عما

بَعْدَ هذَا الحَدِيثِ سارَ الإلاهَانِ　　فَثِيتِيسُ للعُبَابِ العَسُوفِ
مِنْ أَعالي الأُولمبِ غاصت وزفسُ　　عادَ للصَّرْحِ في المقامِ المُنِيفِ
نَهضَتْ أَربابُ العُلى لأَبِيها　　حُرْمَةً واُختِشاءَ هَوْلٍ مُخِيفِ
حلَّ في عَرْشهِ وَهيرَةُ بالمرْ　　صادِ كانت ما بينَ تلكَ الصُّفُوفِ (١)
أَبْصرَتهُ يلقى أبْنةَ الشَّيخِ نيرًا　　ذاتَ رِجْلِ اللُّجَيْنِ بالمعرُوفِ
فعليهِ مالَتْ سَرِيعاً بِعزمٍ　　وتلقَّتهُ بالكلامِ العَنِيفِ :
« مَنْ تُرى أَيُّها الإلاهُ المُداجي　　قُمْتَ تُدْني إِليْكَ طَيَّ السُّجُوفِ (٢)
قدْ كَرِهتَ استيداعَ سرِّكَ عِندي　　إن أَغِبْ رُمْتَ سرَّ غيرِ أَلِيفِ »
قالَ رَبُّ الأَربابِ والناسِ طرًّا :　　« لا تُرَجِّي اُستطلاعَ كُلِّ صُرُوفي
لا تُطِيقينَ لا وإنْ كُنْتِ زَوْجي　　غيرَ عِرْفانِ حقِّكِ المأْلُوفِ
ذاكَ لا خالدٌ ولا بَشَرٌ قَبْـ　　ـلكِ يَرْوي لهُ أَقلَّ الحُرُوفِ
وحَذارِ السؤالَ عمَّا أَرى أَنْ　　أَتَّقي بِعِلْمِيَ المَوْقُوفِ » (٣)

ارشدهُ الى ايداعه ما اودعه من مظاهر الجمال والجلال فقال كلام هوميروس في هذا الموضع

(١) يعلم القارئ من هذا البيت كيف لا تألو المرأة جهداً من مراقبة زوجها فتعلم من حركاته وسكناته ما لا يخطر له على بال وان كان على حذر منها ٠ فانه قال قبلاً لثيتيس « هي ولا تنظرك » مع انها كانت حاضرة ناظرة

(٢) سؤالها هنا من قبيل التجاهل لانها كانت عالمة انه انما حادث ثيتيس

(٣) استعطفها وتهددها معاً شأن الزوج الذي يعترف بحق امرأته ويحب ان تنتهي عما وراء ذلك

رَمقَتْهُ بطَرْفِ عينِ مَهاةٍ ثم قالت : « وما الذي تَرْويه [١]

أَنا لا أَطْلُبُ التَّفحُّصَ عمَّا تَبْتَغي أَجِرْ أَنتَ ما تَشْتَهيهِ

إِنَّما خَشْيَتي من ابْنَةِ شَيخِ الـ بحرِ أَنْ تعتَلي بِمَكْرٍ وَتِيهِ

وافتِ الفَجْرَ وَالْتَقَتْكَ بِلَثْمِ الـ رُكْبَتَيْنِ ابْتِغاءَ أَمْرٍ بَديهي

ويَقيناً أَشرْتَ بالوَعْدِ أَنْ يَحـ ظى أَخيلُ بكلِّ ما يَبْتَغيه

وبِمَرْأَى الإِغْريقِ في فُلْكِهم تُرْ دي أُلُوفَ الأَبْطالِ كي تَرْتَضيهِ » [٢]

قال : « غالَيْتِ في مُراقَبَتي وَذْ لِكِ وأَكْثَرْتِ ثِقْلَةَ التَّمويهِ » [٣]

---

(١) عين مهاة في الاصل (Bοῶπις) اي عين بقرة على الاطلاق • عبَّرتُ عنها بالمهاة أي البقرة الوحشية وهو تشبيه كثر حتى ابتذل في شعر العرب • قال علي ابن الجهم

عيون المهى بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث ادري ولا أدري

ولقد يشبه العرب بعيون البقر الاهلية أيضاً كقول أبي تمام

بيض فهن اذا رمقن سوافراً حور وهن اذا رمقن صوارُ

ولا عجب ان يستحسن اليونان عيون البقر الاهلية بحضارتهم استحسان العرب عيون البقر الوحشية في بداوتهم • بل العجب ان كثيرين من شراح الافرنج استقبحوا هذا التشبيه لبعد عهدهم برعاية الماشية حتى ان البعض من المتشيعين لشاعرنا بالغوا في تأويل أصل الكلمة وجعلوا لها معنى لم يتصوره هوميروس • ولا بدع ان يشبه شعراء الجاهلية بهذا التشبيه وشعراؤنا من متأخري العرب المقلدين لايكادون يشبهون العيون الحسان الا بلحاظ المهى والغزلان حتى لقد يتوسعون فيجعلون كل الفتاة كل المهاة

(٢) كان لهيرا باعث آخر غير الغيرة على تعنيف زفس ذلك انها كانت ميالة الى اليونان تخشى ان ينكل زفس بهم ارتضاءً لثيتيس وهذا شافع آخر لها بتطفلها عليه

(٣) لما رأى زفس انه لاسبيل الى اسكاتها باللين عمد الى القسوة والاشعار بما له من السلطان فكأنه يقول قول الشنفرى

لن تنالي بذاكَ الاَّ نفوري بل تذوقين طعمَ خذلٍ كريه
ولئن كنتِ قد صدقتِ بما قلـ ـتِ لأستحسننَّ ما أُجريه
فالزمي الصمتَ في مكانكِ إيا كِ خلافاً وهاكِ أمريَ فعيه
ليس ينجيكَ من ثقيلِ ذراعي في ألمبي جميعُ من حلَّ فيـه »
جلستْ أُصمتتْ وخارتْ فؤادا وبنو الخلد بلبلوا بلبالا (١)
فتصدَّى الحدَّاد ذو الشأْنِ هيفستُ لتسكين أُمِّهِ ثُمَّ قالا: (٢)
« فدحَ الأمرُ إن تكونا لأجلِ النـ ـاس بالأرض تنشبان القتالا

ولا ُحبّاً اكهى ُمربٍّ بعرسهِ يطالعها في امرهِ كيف يفعلُ

(١) لم يغادر هوميروس شاردة من احوال الخلق الا دونها فانه بعد ان وصف نزاع الزوجين قال في التوطئة لتراضيهما « وبنو الخلد بلبلوا بلبالاً » . فليتصور القارئ رب بيت عظيم نازع امرأته على مرأى حشمه واتباعه فكل ذلك البيت يبلبل بلبالاً عظيماً وهذا كلام يزيد قوة تعبيره وقعاً لزيادته في رونق الحديث واثباته واقعة حتمّة لابد منها وفتحه الباب لوساطة المتوسطين بين المتخاصمين هذا فضلاً عما يظهر من ابهة زفس وعظمته

(٢) هيفست إلاه النار والحرارة . وهو ڤولكانوس الرومان ومنه اتخذ العرب كلمة بركان لجبل النار . قال افستاثيوس ان الذين يأولون كلام هوميروس تأويلاً رمزياً يرون هيفست أولى الآلهة بالتوسط بين الالاهين المتخاصمين لان زفس يمثل السماء وهيرا تمثل الهواء فاذا اضطرب الهواء اربدت السماء ولا يحصل التوازن الاَّ بفعل الحرارة التي يمثلها هيفست . وقد كانوا يعتقدون ان مولده في السماء لانها مبعث الحرارة . قالوا وكان سقوطه في جزيرة لمنوس لكثرة ما فيها من البراكين ويرسمونه اعرج اشارة الى ما ناله من التشويه بسقوطه اي لتغير حالة الحرارة بانبعاثها الى الارض

وإذا ما أوسعتُماها جفاءً كيف نبغي الصفا وننعمُ بالا
لكِ نُصحي مهما تعي حكمةً أن تتّقيه وأن تليني المقالا
خشيةً أن يشتدَّ زجراً فتمسي كأسُ أفراحنا بذاكَ وبالا
هكذا شاءَ قاصفُ الرَّعدِ وهوَ الأ أعظمُ الفائقُ الجميعَ كمالا [1]
وهوَ كفوءٌ لهدِّ كلِّ قوانا بعروش قد أعظمتنا جلالا
سكّني غيظه بعذبِ الأحاديـ ثِ فيرضى عنّا ويحسنُ حالا»
ثمَّ زجّى لها وقدْ قامَ كأساً طفحتْ قال: «هاكِ خمرًا زلالا [2]
همّدي الرّوعَ كلّما اشتدَّ إنّي مشفقٌ أن يسومكِ استذلالا
لستُ كفؤاً مهما علقت بقلبي لدفاع أراهُ أمراً محالا
ساقني العزمُ مرّةً لانتصار لكِ فاجترّني برجليَّ حالا
ورمى بي من السماءِ فدحرجـ ـتُ نهاري حتّى سنا الشمس زالا
فوق لمنوسَ خائرَ العزمِ أُهبطتُ لدى السنتِ فانتقطتُ معالا: [3]

---

(١) قاصف الرعد لقب من ألقاب زفس

(٢) لم تكن خمر الآلهة كخمر البشر بل كانت شراباً سماويا يأمن شاربه الموت

(٣) أراد هيفست أن يهوّن على هيرا مصابها نذكّرها بمصابه وعجزه هو وسائر الآلهة عن مقاومة زفس فنفعتها الذكرى • ورام اذهاب ما لديها من بقية سورة الغضب « فزجى لها الكأس » فنال بغيته — السنت جيل من الناس آوى الى ثراقة وخرجت جالية منه فاحتلت لمنوس • قاله اسطرابون • وزعم بعض الكتاب ان السنت طائفة هندية هجرت بلادها منذ بضعة آلاف عام وأتت فاستقرت في اوربا

بَهِيِّ اليَدَيْنِ من بعدِ انْهِشَتْ وبَشَّتْ تَنَاوَلَتْهَا فمالا
وأَدَارَ السُّلَافَ دَوْرًا على البَاقِينَ يَسْقِي يَمِينَهم فشِمالا
مُقْبِلاً يَسْتَقِي مِنَ الدَّنِّ صِرْفًا وهُوَ يَجْرِي ويُحْسِنُ الإِقْبَالا
فعلا الضِّحْكُ بَيْنَهم إذ رَأَوْهُ هارِعاً فِيهِم بِقَصْرٍ تَعَالَى (١)
لَبِثُوا يُوَلِمُونَ يَوْمَهُمُ بَيْنَ طَعَامٍ يُؤْتَى وحَظٍّ تَوَالَى
وفِبُوسُ بِضَرْبِ قِيثَارِهِ والحُورُ يُنْشِدْنَ بَهْجَةً وجَمالا
وإِذِ الشَّمْسُ بالخِباءِ تَوَارَتْ كُلُّ رَبٍّ مضى يرُومُ اعْتِزالا
نَهَضُوا لِلْمَنَامِ ضِمْنَ صُرُوحٍ شادَ هيفِسْتُ بالسَّنا تَلالا (٢)
وكذا زَفْسُ رَامَ مَضْجَعَهُ حَيْثُ لَذِيذُ الهُجُوعِ يَأْتِي الظِّلالا
والى جانِبَيْهِ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ عَسْجَدِيٍّ هيرا تَشُوقُ اعْتِدالا

ومنها نشأت قبائل الزنكانة الرحّل (المعروفين في مصر باسم الغجر وفي سوريا باسم النوَر ويدعون كواولة في العراق وبوهيميين في اوروبا) وهو قول لا يؤيده دليل

(١) أفرغ هيفست كل حيلته في نزع آثار الكآبة والاضطراب من ذلك المجلس مع مراعاته حرمة زفس فلم يخاطبه بشيءٍ اجلالاً له بل وجه خطابه الى هيرا امه وناولها الكاس وانثنى يسقي الباقين بنفسه متطفلاً على مقام الساقي ليهيج بواعث الزهو والضحك بوقوفه موقفاً لم يكن يجدر به لعرجه ودقة ساقيه وضخامة جسمه

(٢) كان يلقب هيفست بالحداد والصانع الحاذق وهو الذي شاد قصور الآلهة في السماء • قال بوب ان قول المنجمين باثني عشر برجاً تحلها السيارة مأخوذ من قول هوميروس ان هيفست بنى لكل الاه بيتاً



النشيد الثاني

سياسة اغاممنون

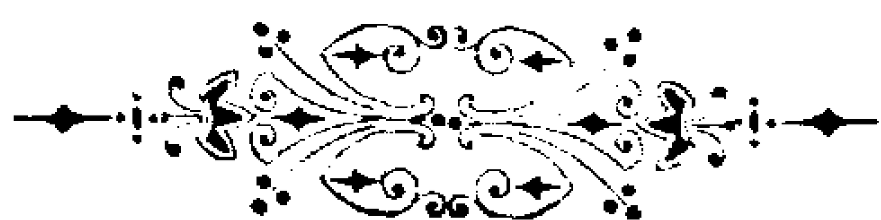
وإحصاء سفن الاغريق و بلادهم وقبائلهم و روؤسائها

مُجْمَلُهُ :

ظل زفس فاكرًا ليلته في التنكيل باليونان اعلاءً لشأن اخيل « فعن له ارسال طيفٍ مموّهٍ » يحث اغاممنون على ان يشد بخيله ورجله على الطرواد بغية ان يناله وجيشه الفشل فيرجعون الى استعطاف اخيل . فاغتر اغاممنون وطمع في فتح اليون واخيل بمعزل عن القتال . على انه لم يكن على يقين من انقياد الجند الى اشارته اذ كان مشفقاً من فتور هممهم على اثر الوباء والسوءم من طول مدة الحصار وتثبط أخيل بقومه . فلما كان الصباح عمد الى حيلة يختبر بها عزيمتهم فجمع القواد وكشف لهم عما داخله من الريبة ثم قال لهم ان في عزمه ان ينادي بالرحيل والانقلاب الى الاوطان ليرى ما يكون من أمر الجند . فاذا أنس منهم رغبة في معاودة الديار وترك الحصار بادر القواد الى صدهم والهجوم بهم . فلما وافقوه على رأيه بلسان نسطور عقد المجلس العام وخطب في الجند منادياً بالقفول وما انتهى حتى جرى كل فريق الى سفنه يتأهب للاقلاع بها . فاعترضهم اوذيس عملاً بأمر اثينا واجتر صولجان السيادة من يد اغاممنون وطاف فيهم يستنهض الهمم ويقوّي العزائم بالوعد والوعيد ولم ينثن حتى عاد بهم الى مجلس شوراهم . فتصدى له ثرسيت السفيه بنفثات خبثه ولوءمه فزجره اوذيس وضربه ضربة أوهنت قواهُ

وغادره عبرة للمعتبر والجمع يضج مستوصباً العقاب . ولما انتظم عقد المجلس نهض اوذيس فخطب واطنب بذكر الأيمان ومواعيد الآلهة لهم بالظفر ثم تلاه نسطور فشدد وارشد وأشار بحشد الجيش كتائب يزحف بكل قبيلة منها اميرها . ولما ثبتت قدمهم وذكت هممهم اصدر اغا ممنون امره بالتأهب للقتال فضحوا بضحاياهم وتناولوا طعامهم وقاموا الى السـلاح — وهنا اخذ الشاعر في سرد اسماء الملوك والامراء وتعداد سفائنهم وذكر بلادهم وقبائلهم — اما زفس فلم يكن غافلاً عما يعملون فبعث بإيريس الى فريام ملك طروادة توقفه على ما كان من عزم الاغريق . فعبأ هكطور جند الطرواد وانصارهم على هضبة محاذيه لإليون وتربص فيهم الى ان تلتحم الحرب — ثم ختم هوميروس نشيده بسرد قبائل الطرواد وحلفائهم

لا يستغرق هذا النشيد الاَّ قسماً من اليوم الثالث والعشرين ومجرى وقائعه في معسكر الاغريق على جرف البحر ثم في معسكر الطرواد



النشيد الثاني

دَجا اللَّيْلُ والأَرْبابُ والنَّاسُ نُوَّمٌ ... وَلكنَّ زَفساً نابذٌ سِنَةَ الكَرَى (١)
بإِعْزَازِ آخيلٍ وَإِهْلاكِ جُمْلَةٍ ... لَدَى سُفُنِ الإِغْريقِ ظَلَّ مُفَكِّرا
فعنَّ لَهُ إِرْسالُ رُؤْيا خَبيثَةٍ ... لأَتْريذَ تُغْرِيهِ بأَمْرٍ تَصَوَّرا
فنادى أُنيرُوْساً وقالَ : « أَلا فَطِرْ ... أَيا أَيُّها الطَّيْفُ المُداجي مُبَشِّرا (٢)

(١) أتينا على نهاية النشيد الاول وقد خيم الظلام وتوسد كل مضجعه ونام واذا بنا في استهلال النشيد الثاني في مشهد من أجل المشاهد : نرى الناس وأربابهم نياماً الا زفس ممثل العناية الالهية لا يهجع ولا يكرى بل يتدبر شؤون الخلق وشتان على ما سنرى ما رب الوثنيين وربنا عز وتعالى الذي « لا تأخذه سنة ولا نوم » فان زفس يتنعم بلذيذ الرقاد اذا شاء فنأول ذلك باستراحة الباري تعالى من عناء الفكرة بامر الخلق كما نصت التوراة عن استراحته في اليوم السابع على انه من لنا بتأويل رقاد زفس في النشيد الرابع عشر وقد استولى عليه الهجوع على غرة منه ؟

(٢) اونيروس رب الطيف وان شئت فقل علم للطيف كما نقول ثعالة علم للثعلب وذؤالة علم للذئب — لقد اسهب الشراح في الكلام على هذا التعبير فمن منتقد مكفر لهوميروس وقائل انه لم يكن يجدر به ان ينزل زفس منزلة لا تليق بابي الآلهة والبشر بارسال طيف كاذب يخدع أغاممنون بما لا يكون • ومن مدافع يدرأ عنه تبعة هذا القول بشرح ما يلي من الوقائع ونفي الخداع عن الطيف لان الحرب انجلت ذلك اليوم عن انتصار اليونان لا عن انكسارهم • اما نحن فلا نرى في السياق الا وصفاً شعرياً تقتضيه قوة الربط وحسن التسلسل • وهب ان في انفاذ الطيف الغرار منتقداً أفلا نرى اكثر الاديان تعترف ان الخير والشر من خلقة الباري عز وجل فنستعيذ « برب الفلق من شر ما خلق » وان الله قد يسلط الآفات على البشر واذا أراد بقوم سوءاً « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة » أو ليس في

إلى سفُنِ الإغريقِ لِجْ خيْمةً بها أقامَ أغامَمْنونُ أنبِئْ بما ترى [1]
أعِدْ كلَّما أُلْقِيهِ : فليمضِ مقْدِماً على الحربِ ولْيُعْدِدْ لذاكَ المُعسكرا
تآلفتِ الأربابُ طرّاً وفوزُهُ على بلدِ الطَّرْوادةِ اليومَ قُدِّرا
وهيرا استْلانتْهمْ فأجمعَ رأيُهمْ على رُزءِ إليونَ وبالاً مُكرَّرا »
فطارَ ولم يلبثْ أنِ اجتازَ فُلْكَهُمْ لخيمِ أغامَمْنونَ بالغيبِ مُخبِرا
فألفاهُ فيمنْ حولَهُ نُوَّماً دنا لدى رأسِهِ واحتازَ هيئةَ نسطُرا
وقالَ وقدْ حاكاهُ اذْ كانَ عالماً لديهِ ابنَ نيلا خيرَ شيخٍ مُوَقَّرا: [2]

كتب اليهود والنصارى والمسلمين مايقرب من هذا كتسلط الروح الخبيثة على نفس ايوب ليبلوه بها ربه؟ ولنا شاهد آخر من التوراة ذكره داسيه في شرح ارسطاطاليس وغروت في تاريخ اليونان وفيه من المماثلة لطيف الالياذة ما يبعث على الظن ان هوميروس لم يكن مستنبطاً بل ناقلاً وهو هذا : « فقال الرب من يغوي آحاب ملك اسرائيل حتى يصعد ويسقط في راموت جلعاد • فقال هذا كذا وقال ذاك كذا • ثم خرج روح ووقف بين يدي الرب وقال أنا أغويه • فقال له الرب بماذا • فقال اخرج واكون روح كذب في افواه جميع انبيائه • فقال انك تغوي وتقتدر فاخرج واصنع هكذا » ٢ اي ١٨ : ١٩ • هذا كلام رمزي قاله ميخا النبي على سبيل المجاز ردًّا على كذبة الانبياء فصاغه هوميروس بقالب الحقيقة كجاري عادة اليونان في تجسيم ما وراء الطبيعة

(١) كانت سفن اليونان مدناة الى الشاطىء والخيام على مقربة منها يعبر منها مشياً الى السفن فلم يكن ثمة فاصل يذكر والاَّ لاستغربنا قوله اذهب « الى سفن الاغريق ولج خيمة بها أقام أغاممنون » فسفن الاغريق في الالياذة عبارة عن معسكر اليونان كمضارب خيامهم

(٢) كان ابن نيلا الشيخ نسطور اكثر الناس حرمة لدى أغاممنون فظهور الطيف بهيئته زاده هيبة وزاد كلامه رسوخاً

«لِمْ يا ابنَ أترا القَرْمَ تهجع ما ذا شأنُ مولىً يملكُ الأمرا
مَنْ قد تولّى أمرَ أُمّتهِ أنّى ينامُ الليلةَ الحرّى
فاحفظْ كلامي زفسُ بي لكَ مِنْ قاصي أعاليهِ لقد أسرى
مالتْ الى الإغريقِ رأفتهُ فأرادَ أنْ تستدفعَ الضرّا
في كلِّ مَن وَالاكَ تزحفُ إذْ قد حانَ فتحُ البلدةِ الكُبرى (١)
أربابُنا طُرًّا قدِ اتّفقوا ولقول هيرا أذعنوا طرّا
وعلى بني الطرْوادِ زفسُ قضى بالويلِ فأخبرْ أمرهُ خُبرا
وحذارِ أنْ تنقادَ للوسَنِ الْـ ـحالي فتنسى بعدهُ قسرا»

كذا أغراهُ بالوعدِ احتيالا وغادرَهُ يرى ما لنْ ينالا
فلاحَ لهُ وما أغراهُ يعلو بذاكَ اليوم إليونَ احتلالا
ولم يعلمْ نوايا الربِّ لمّا عليهِ قدّرَ الحربَ السّجالا
أعدَّ لجُملةِ القومينِ بؤساً وأرزاءً اذا اشتبكوا اقتتالا
أفاقَ وصوتُ ربِّ الطيفِ يدوي حواليهِ فهبَّ وقامَ حالا (٢)

(١) اي اليون عاصمة بلاد الطرواد

(٢) لاشيءَ اشبه من هذه الرؤيا بحالة الرؤى الطبيعية • فان الطيف نزل على راس الراءي متخذاً هيئة شيخ وقور وكلمه كلاماً ينطبق كله على حدسه وامانيه اذ كان يرجو رحمة زفس فيعينه على فتح اليون ويطمع في ما لهيرا زوجة زفس من الشأن في مجتمع الارباب ويعلم انها ظهيرته ونصيرة قومه فما كان اقرب ليقينه من انها تستميل سائر الآلهة الى نصرة الاغريق • ثم ان الطيف غادر أغاممنون فاستيقظ وما

تدَثَّرَ في شعَارٍ ذِي بَهَاءٍ وَأَرْدَفَ حلَّةً تَزْهُو جمالا (١)
وَأَوْثَقَ خفَّهُ الزَّاهي وأَلْقى على كَتِفَيْهِ سَيْفاً قد تلالا
وأَمْسَكَ صوْلَجاناً خالِدياً لأَهْلِيْهِ وَنحْوَ الفُلْكِ مالا (٢)
وأَمَّتْ رَبَّةُ الفَجْرِ المَعالي لِزَفْسٍ وَالمَيامِينِ امْتِثالا (٣)
تُبَشِّرُهُمْ بِطَرِّ الصُّبْحِ لمَّا أَغامِمْنُونُ بَيْنَ القَوْمِ جالا
وَنادى في الدُّعاةِ بِأَنْ يَصيحُوا بأَعلى الصَّوْتِ للشُّورى ارْتِجالا
فَلَبَّوْهُ وأَقْبَلَتِ السَّرايا الـ شُّكاةُ إِلَيْهِ تَنْتَضِلُ انْتِضالا (٤)
وَقَدْ عقَدَ الشُّيُوخُ قُبَيْلَ هذا بِجانِبِ فُلْكِ نَسْطُورَ احْتِفالا (٥)

هو مستيقظ لان دوي ذلك الصوت لايزال في اذنيه وحواليه . وكان ذلك عند طرّ الفجركما سترى بعد أبيات وهوكما تقول العرب ميقات أصدق الاحلام. كل هذا تمثيل صادق على خرافته بديع على بساطته

(١) اذا أتى شاعرنا على ذكر أمر رأيته وصفه على علاته ومر على دقائقه بلا تكلف كما ترى هنا في وصفه أغاممنون يلبس ثيابه ويشك في سلاحه بعد ان هب مذعوراً من رقاده فانه يشرح ذلك باسلوب يخيّل لك انك تراه على تلك الحال فيجعل لشعره في مواضع كهذه رونقاً لم يكن له شيءٌ منها لو شانته مسحة التكلف

(٢) قال صولجاناً خالدياً لانه من صنع الآلهة كما سيجيء عما قليل في هذا النشيد

(٣) الميامين الآلهة

(٤) السرايا الشكاة . الجند المسلحة . تنتضل تتسابق وتتفاخر

(٥) الاحتفال الاجتماع — الشيخ باليونانية (Γέροντος) ومعناه فيها الرجل المسن وهي كلمة تطلق أيضاً على الامير والزعيم كما تطلق في العربية والعبرية وسائر اللغات السامية . وهو المراد بها هنا كما سترى بعد فض المجلس. فانه استعاض عنها

بهم أتريذ نادى مستشيرًا لما زعموا من الأمر احتيالا :[1]

« سمعاً أصيحابي رأيت دجىً طيف الكرى والليل قد صرّا
في شكل نسطور وهيئته متمثلاً لي قال مذ خرّا :
« لم يا ابن أترا القرم تهجع ما ذا شأن مولىً يملك الأمرا
« من قد تولى أمر أمته أنى ينام الليلة الحرّى
« فاحفظ كلامي زفس بي لك من قاصي أعاليه لقد أسرى
« مالت الى الإغريق رأفته فأراد أن تستدفع الضرّا
« في كل من والاك ترحمه إذ قد حان فتح البلدة الكبرى
« أربابنا طرّاً قد اتفقوا ولهول هيرا أذعنوا طرّا
« وعلى بني الطرواد زفس قضى بالويل فاخبر أمره خبرا »
من ثم عني غاب محتجباً لكنني أهببت مضطرّا
أو كيف نغري الجند في عجل حتى يكرّوا للقا كرّا
فأنا سأبلوهم وأدفعهم بالهول فوق سفينهم فرّا
وعليكم أنتم بجهدكم تستنهضون العزم والصبرا »

بالملوك كأنهما كلمتان مترادفتان

(١) نهض أغاممنون من رقاده مصمماً على الائتمار بامر الطيف فبث الدعاة ينادون بعقد المجلس العام أي الذي تحضره كل الجند • ثم عقد ريثما يحتشد الجيش مجلساً خاصاً مؤلفاً من الشيوخ ليفاوضهم بما كان من امر الرؤيا ويستشيرهم بما عسى ان يفعل • وسنرى في خطاب أغاممنون حيلة من حيل السياسيين الذين يعلنون

فَكَذَا أُنْتَهَى وَاُحْتَلَّ مَجْلِسَهُ وَبِهِمْ رَقَى نَسْطُورُ مُنْتَصِبَا
هُوَ مَلْكُ فِيلُوسَ التي رَكَمَتْ بُرَقَ الرِّمالِ بِبِشْرِهِ خَطَبَا:
«لَوْ غَيْرُ أَتْرِيذٍ رُوَاهُ رَوَى يا مَعْشَرَ اُلحُكَّامِ وَالنُّجَبَا
لَرَغِبْتُ عَنْ تَصْدِيقِهِ عَلَنًا وَزَعَمْتُ أَنَّ بِزَعْمِهِ كَذِبَا
لَكِنَّ مَوْلَى القَوْمِ كُلِّهِمِ بِالنَّفْسِ رُؤْيَا النَّفْسِ قَدْ رَقَبَا
هَيُّوا نَرَى أَنَّى يُتَاحُ لَنَا أَنْ نَدْفَعَ الإِغْرِيقَ كَيْ تَثِبَا»

وَمَضَى مِنَ النَّادِي كَذَاكَ مَضَى بِعَصَاهُ كُلٌّ مِنْ مُلُوكِهِمِ[1]

مالا يسرون لينالوا ما يؤملون . قال ديونيسيوس وأعجب بقوله الجم الغفير من الشراح

« لم يكن أغاممنون يطمع في شيء طمعه في دفع الجيش الى قتال عنيف ومع هذا
« فقد كان يخشى ان تعييه الحيلة على أثر اعتزال أخيل ويشفق ان تعصي الجنود
« أمره لو أمر تشفياً منه لما نالهم من الغيظ لاحتجاب أخيل عنهم . فعن له توصلاً
« لبغيته ان يعقد مجلس الشيوخ ويسبر ضمائر الجند بحثهم على معاودة الاوطان
« ومغادرة الحرب . فينهض سائر الامراء ويثنون عزمهم عن الرحيل . واذا
« اعتُرض بانهم لو تمسكوا بانفاذ مضمون امره لاخفق بمسعاه فالجواب انه يتطاع
« ببصيرته الى وراء ما كانوا يبصرون ولم يكن جل اعتماده على الخطاب الذي
« القاه لرد عزيمتهم بل خشي أيضاً انهم ربما كانوا ناقمين عليه امراً كتموه اياه فلم
« يكن له مناص من تبين ميلهم قبل دفعهم الى ساحة الحرب . ففتح لهم الباب
« لاعلان ماتكنه ضمائرهم . واسرّ بخفايا افكاره الى الامراء تلافياً لسوء العقبى
« ففاز فوزاً مبيناً ولم تكد الجنود تهم بركوب البحر حتى أوقفها نسطور واوذيس »

(١) لم يكد ينتهي نسطور من كلامه حتى فض مجلس الاعيان وسار تتبعه الملوك الى مجلس الشورى . ولم يفه احد منهم بحرف لما كان له عليهم من هيبة التسلط

دَانُوا لِمُرْشِدِهِمْ وَأَقْبَلَتِ الْـ أَجْنَادُ لِلشُّورَى بِحَشْدِهِمِ (١)
كَالنَّحْلِ مِنْ كَهْفٍ خَشَارِمُهَا هَرَعَتْ بِجَمْعٍ فَاجَ مُزْدَحِمِ (٢)
تَحْكِي عَنَاقِيدًا عَلِقْنَ عَلَى نَوْرِ الرَّبِيعِ بِزَاهِرِ الْأَكَمِ

بقوة الصدق والاقناع لا بقوة السيطرة وعلو المنزلة • ولا شك ان أغاممنون آثر عقد مجلسه بقرب مضارب نسطور توصلاً الى تلك النتيجة

(١) فرغ من وصف المجلس الاعلى فشرع يصف اجتماع المجلس الشوروي العام • وحسبنا في الاشارة الى ما اودع كلامه من التمثيل البليغ ان نستلفت نظر المطالع اليه منذ بعث أغاممنون دعاته الى الجند الى ان انتظم عقد المجلس وما تخلل ذلك من اندفاعهم من الفلك والخيام كالنحل المتطائر من خلاياه • وتعاقبهم متهافتين زرافات الى دار الندوة • وسعي الشهرة بين صفوفهم • وعلو ضجيجهم بادىء بدء • وقيام تسعة منادين يكفونهم عن الجلبة والغوغاء • واستتباب الهدو والسكينة حتى باتوا كلهم آذاناً واعية • ووقوف الخطيب بصولجانه • وكل هذا بكلمات قلائل لا تتخللها لفظة حشو وترتسم في ذهن القاريء والسامع رسماً يكاد يكون حياً

(٢) هذا اول تشبيه مفصّل ورد في الالياذة وسترى في ما يلي من كثرة التشابيه وتنوعها ودقتها وبلاغتها ما يدلك على انه لم يقم بين الخلق شاعر سبر غور الطبيعة سبر هوميروس ولك هنا الشاهد الاول على صحة هذا القول • وهو تشبيه علق به كثير من الشعراء بعد هوميروس وفي مقدمتهم فرجيليوس • ولا اخال أحداً من الشعراء رواة الياذة هوميروس ابدع بهذا المعنى ابداع الشنفرى على خلو ذهنه منها • قال يصف نفسه وقومه

. . . . دعا فاجابته نظائر نحلُ
مهلهلةٌ شيب الوجوه كأنها قداح بكفّي ياسر تتقلقلُ
أو الخشرم المبعوث حثحث دَبرهُ محابيض ارداهن سامٍ معسِّلُ
مهرّتةٌ فوهٌ كأن شدوقها شقوق العصيّ كالحات وبسَّلُ
فضجّ وضجت بالبراح كأنها وأياه نُوح فوق علياءَ ثُكّلُ

هُمْ هَكذَا اندَفعُوا اليْهِ زرَا ... فاتٍ فمنْ فُلْكٍ ومِنْ خيَمِ
وأمامَ جُرْفِ البَحْرِ قدْ طَفقُوا ... مُتَعَاقِبِينَ لِمَجْمَعِ الأُمَمِ
وَرَسولُ زَفْسٍ شُهْرَةُ انْتُدِبتْ ... فَسَعَتْ تَجُوبُ بعَزْمِها بِهِمِ (١)
فَتَهَافَتُوا والرَّبْعُ مُضْطَرِبٌ ... والأَرْضُ تَشْكُو ثُقْلَةَ القَدَمِ
وعلا الضَّجِيجُ وتِسْعَةٌ بِعلا ... أَصْوَاتِهِمْ نَهَضُوا لكَفِّهِمِ
واسْتَرْعَوُا الأَسْماعَ لِلنبَلا ... ءِ مُحَكَّمِي زَفْسٍ قُيُولِهِمِ (٢)
حتى إِذَا بالجَهْدِ قدْ جَلَسُوا ... وَالصَّمْتُ يُسْمِعُ وَقْعَةَ الكَلِمِ
وافى اغا مَمْنُونُ مُنْتَصِباً ... بالصَّوْلَجَانِ الفائقِ العظَمِ (٣)
(هُوَ صنْعُ هِيفِسْتٍ وَفيهِ حبا ... زَفْسَ العَظِيمَ بِغَابِرِ القِدَمِ

(١) كان اليونان لعهد هوميروس يمثلون الصفات بموصوفات حية تحسب في مصاف الآلهة او دونهم ولكنها خالدة مثلهم كالفتنة والهول والرعدة والشهرة وهي اسماء تدل على مسمياتها . فشهرةُ هنا عَلم حيّ ولهذا جردناها من اداة التعريف ومنعناها من الصرف

(٢) أي ان التسعة المنادين استرعوا سمع الجند للامراء الذين حكمهم زفس عليهم

(٣) أطال الشاعر هنا الكلام على صولجان أغاممنون وما أطاله عبثاً بل أراد أن يثبت فضلاً عن الرواية الخرافية علو منزلة أغاممنون لان الصولجان عنوان السيادة والملك على الاطلاق فليس لاغاممنون اذاً مزية على سائر الملوك بصولجانه الا أن تكون ثمَّ مزية على كل صوالجهم . فذكر انه صنع رب تناقلته الآلهة ثم حبت به اتراوس جد أغاممنون . فهو اذاً ملك ورث الملك كابراً عن كابر . وأُدلي اليه بعصا السيادة من زفس ملك الملوك ورب الارباب

فأَباحَهُ زَفسٌ لقاتلِ أَرْ غُوصَ الرَّسولِ الأَصيَدِ الحَكِمِ (١)
وَفِلبْسَ أَولى هِرمِسٌ هِبةً فحبا بهِ أَترا أَخا الهِمَمِ (٢)
فَبموتهِ أَبقاهُ خيرَ جَدا لثيستسَ المشهورِ بالنِّعَمِ (٣)
فإِلى أَغاممنونَ جاءَ بهِ يَقضي بهِ أَحكامَ مُحتكِمِ
في آلِ أَرغوليذةٍ وَكذا بجزائرٍ وَفرتْ بِمُرْبهِمِ)
فعليهِ بينَ القَومِ مُتَّكِئاً خطبَ المليكُ بكُلِّ جمعِهِمِ : (٤)

(١) قاتل أرغوص هو هرمس رسول زفس الوارد ذكرهُ في البيت التالي وهو عطارد العرب • اما ارغوص فهو شخص خرافي كان له مئة عين ناظرة اذا نام اغمض نصفها فقط وقيل بل لم يكن يغمض الا عينين اذا هجع • وحدث ان زفس هام بابنة ايناخوس النهر فثارت عليه هيرا بغيرتها فاضطر الى مسخ عشيقته بقرة فعهدت هيرا بحراستها الى ارغوص فاستماله هرمس يوماً بصوت قيثارته وظل يعزف حتى استولى عليه سبات عميق فقام اليه وقطع راسه فاقتلعت هيرا عيونه والقتها على ذيل الطاووس فآل امر الطاووس الى ماتراه عليه اليوم — ان بين ارغوص هذا وارغوس مملكة أغاممنون فرقاً ظاهراً بالتهجئة اليونانية ولفظ الواو • ونظراً لتعذر ابراز هذا الفرق في التعريب كتبنا احدى الكلمتين بالصاد والاخرى بالسين

(٢) فيلُبس أبو اتراوس جد أغا ممنون

(٣) ثيستس ابن فيلبس واخو اتراوس — قلنا المشهور بالنعم وفي الاصل الخراف

(٤) يقول ان أغاممنون قام يخطب واقفاً وهو متكئ على عصاه او صولجانه • تلك كانت خطتهم في الخطابة وهي خطة خطباء جاهلية العرب اذ كان يقف الخطيب على المنبر حيث يوجد منبر واذا خطب في العراء علا نشزاً من الارض او خطب على الراحلة ولا بد له من أن يأخذ بيده العصا او المخصرة او القوس وقد يخطب وبيده القناة • قال معن بن اوس المزني :

فلا تعطى العصا الخطباءَ يوماً وقد تكفي المقادة والمقالا

« إِلَيْكُمْ مقالي يا بَني دَانو فقدْ رَماني زَفْسُ في حبَائِلِ آتيا (١)
وَقدْ كانَ وَالاني بإِيماء رَأْسهِ بأَنَّا بإِلْيُونِ نَدُكُّ المَرَاميا (٢)
وَلاَ نَنْثني للأَهْلِ إِلاَّ بِسَبْيِها فمانَ وَمَا أَغْوَاهُ فيما رَمانيا (٣)
فقَدْتُ صَنادِيدَ الرِّجَالِ وقدْ قضى عَلَيَّ إِلى أَرْغُوسَ أَرْجِعُ خاسيا (٤)

وقال جرير بن الخطفي : .

من للقناة اذا ماعيّ قائلها وللاعنة ياعمرو بن عمّـار

وقال كثيّر : اذاقرعوا المنابر ثم خطّوا باطراف المخاصر كالغضاب

(١) آتي (??) الداهية والنازلة والقدر • جعلها بعض المترجمين نكرة ففسروها بمعناها وجعلها آخرون علماً جرياً على عادة هوميروس في تجسيم الصفات فنقلوها بلفظها وفعلناهنا فعلهم — هذاخطاب القاه أغاممنون على مسمع كل الجيش وكله سياسة ودهاء ينبئك بقوة الخدعة عند ذوي المقامات الذين يعلنون على رؤوس الملا عكس ما يذيعون بين خاصتهم • ويستندون الى اوهن الحجج ليفنّد السامع كلامهم بكلامهم فتقوم العامة الى مخالفتهم وهي انمـا تقوم لتعضيد مطالبهم • وعندما يرجعون في ظاهر الامر الى القول بقول الجمهور يفوزون بمأربين احدهما التظاهر بارضاء أمتهم والرجوع عن مآربهم لا بلاغها مآربها • والثاني انفـاذ نفس رغائبهم المكتومة

(٢) اذا كان زفس قد والى أغاممنون بدك اليون عاصمة بلاد الطرواد فالواجب أن يقيم حتى يدكها لا أن ينادي بالقفول الى الاوطان فكأنه يقول لهم اذا حثثكم على العودة فانما أفعل عن جزع وسآمة لاعن تبصر وتروّ

(٣) ذكرهم بطمع الكسب والسبي ثم ادعى ان زفس مان عليه وخدعه وهما حجتان اوهن من الاولى على صدق ظاهر الدعوى • فكأنه يقول اذا غادرنا الحرب فاتتنا فرصة المكاسب • ثم أن تطاوله على زفس برميه اياه بالمين والخداع يقلل من ثقة الجمهور بكلامه ويحمله على عدم الاخذ به • وهو الامر الذي يرمي اليه ببصره

(٤) لادليل يؤيد نقض زفس لعهده والقضا على اليونان بالرجوع خاسئين

نَعَمْ ذاكَ أَمرٌ شاءهُ الآمرُ الذي | يقوّضُ أركانَ البلادِ العواليا
ولا شكَّ يسري ذِكرُ خذلتِنا الى | بَنينا ومَنْ يحيا السنينَ الأَواتيا
إذا علموا أنّا بوفرةِ جيشنا | وشدَّتهِ جئنا نؤُمُّ الأَعاديا
ولمْ نجنِ إلاَّ خيبةً وعديدُهمْ | قليلٌ وأَعْفَلْنا الصعابَ التَّواليا (١)
فلوْ عُدَّ إغريقٌ وطرْوادةٌ على | تَصافٍ وكلٌّ قومَهُ أمَّ جاريا
وقُسِّمتِ الإغريقُ بالعشَراتِ والـ | كُؤوسَ بنو إليونَ أجرتْ ضَوافيا
لدارُوا جميعاً بالمُدامِ ولمْ ينلْ | كثيرٌ منَ العشراتِ منهُمْ ساقيا (٢)
كذا دونَنا كانوا عِداداً وإنَّما | بنُجّادِهِمْ يلقونَ عوناً مُباريا (٣)
فمِنْ كُلِّ فجٍّ كلُّ أَيْهمَ فاتكٍ | أَتاهمْ وبالعزمِ الشديدِ الْتقانيا
فصدُّوا جنودي راغمينَ تجلُّدي | وما لبثوا طُرْوادةً لنْ أُفاجيا
فتسعةُ أعوامٍ مضتْ لحصارِنا | سفائنُنا كادتْ تُسامُ تداعيا (٤)

وهذا كلام آخر أتى به عمداً غير سديد

(١) مهما اجتمع لديهم من الاسباب لمغادرة اليون وشأنها فعار العودة وخلود المذلة الى جيل فجيل موجبان ما فوقهما موجب للبقاء • وزد على ذلك ما رماهم به من الجبن والاحجام بقوله ان الاعداء قليل عديدهم لان رجوعهم عن فئة قليلة يزيدهم منقصة ومذلة فهو يريد ان يحقر اعداءهم في اعينهم فلا يبقى لهم سبيل الى الرجوع عنهم

(٢) أي لو قام الطرواديون في حالة أمن وسلم مقام السقاة لليونان لما نال كل عشرة من اليونان ساقياً واحداً من الطرواد فهم اذاً لايبلغون عشرهم عدّاً

(٣) قوله في ما تقدم ان الاعداء لايبلغون عشر اليونان لايشمل الا الطرواديين لانه استثنى هنا حلفاءهم وسيأتي ذكر عدد الجيشين بوجه التقريب

(٤) هنا حجة أخرى واهنة على الاقلاع لان السفن المتداعية الى الخراب

ولم أُدرِكِ الأمرَ الذي جئتُ أبتغي ... وأزواجُنا لا زلنَ عنّا نوائيا
بأَصرُحنا بين البنينَ وأهلنا ... يَرُمنَ ولا يَبلُغنَ منّا التَّدانيا
فهبّوا أطيعوني الهزيمةُ مغنمٌ ... بعودتنا إنّي أرى زفسَ قاضيا (١)
وأصدُقكم وعداً يقيناً فلن نرى ... لإليونَ فتحاً فيهِ نلقى الأمانيا »

بلبلَ النطقُ قلبَ مَنْ لم يكونوا ... بينهم في شورى الملوكِ حضورا
عجَّ بالجمعِ منتداهم كما في الـ ... بحرِ تُبدي الأمواجُ عجّاً كبيرا
إذ بإيقارةٍ صباً وجنوبٌ ... بهما غيمُ زفسَ عنفاً أُثيرا (٢)
او كما ترفعُ الدبورُ بأرضٍ ... سنبلَ الزرعِ مائداً موتورا (٣)

لاتصاح لركوب الجند

(١) بعد ان ملأ اذانهم بمهيجات الاقدام أمرهم بالاحجام فاطاعوا امره لسؤمهم ، ولكنه هيأ لهم سبيل الرجوع عن عزمهم والاذعان لكلام اوذيس ، وهو نوع من أنواع الايهام البياني البديع

(٢) ايقارة جزيرة بين ساموس وبتموس في الارخبيل الرومي تدعى الآن نيكاريا — وريح الصبا أي الشرقية وريح الجنوب في شعر هوميروس (Εὖρος) و (Νότος) أفروس ونوطوس ، وهما علمان او كما تقول العرب ملكان يحملان الريح الى حيث يدفعها زفس من الغيوم التي يركمها في الجو

(٣) الدبور الريح الغربية واسمها زفيروس (Ζέφυρος) وكثيراً ما نراها في الالياذة ريحاً عاصفة ، واما في الاوذيسة فقد أشير بها أحياناً الى النسيم اللطيف بالنسبة الى موقع البلاد التي ذكرت فيها ، ولهذا صارت زفير (Zéphyre) بالافرنجية مرادفة لمعنى النسيم على الاطلاق لا لمعنى الريح — شبه اندفاع الجند الى السفن بعج الامواج اشارة الى الجلبة والضجيج ثم بسنبل الزرع اشارة الى اتجاههم وجهة واحدة ، ولنا

هكذا بُلبلُوا وراحُوا شتاتاً ... بين ماضٍ للفلك يجري مُثيرا
بقُوى صوتهِ يصيحُ وتعلو ... هُ غيومُ الغبارِ منهُ نُشُورا
وكذا بين راغبٍ همّ يُدنيـ ... ـها الى البحرِ ساعياً مغرُورا
وصديدُ الذين للعودِ تاقوا ... خرقَ الجوَّ بهجةً وحبُورا
يعجلُونَ التنظيفَ في تُرعِ الـ ... ـفُلكِ وجرَّ الأركانِ عنها عبُورا (١)
ثمّ لولا هيرا لعادُوا وإن خُطَّ ... قضاءٌ بفوزهم مسطُورا

قالتْ لآثينا : « أيا ذاتَ القُوى ... أسفاً ايا ابنةَ زفسَ ربِّ الجُنَّة (٢)
أيُبادِرُ الإغريقُ منهزمينَ فوْ ... قَ البحرِ للأوطانِ شرَّ هزيمةِ
يدعُونَ فرياماً يُفاخرُ مُعجباً ... بذويهِ في هيلانة المَسْبيَّةِ (٣)

هنا مغزيان آخران وهما اولاً اضطرابهم لخطاب اغاممنون اذ سمعوا منه ما لم يكن بحسبانهم فكانوا كاليم الذي تتقاذفه الامواج . ثم ارتياحهم الى الرحيل فـالوا ميلة الزرع الذي تحني راسه هبة النسيم

(١) كانت حربهم في البر على مقربة من جرف البحر وكانت سفائنهم لاصقة بالشاطىء ومستندة الى عمد واركان على ضحضاح رقيق من المـاء فكان لابد لهم من عمل شاق قبل تهيئتها للاقلاع بها

(٢) الجنة الترس . ورب الجنة لقب آخر من القاب زفس كراكم الغيم وقاصف الرعد — ان في ارسال هيرا لاثينا سببين أولهما ان أثينا كانت من الآلهة الموالية لليونان والثاني انها إلاهة الحكمة اشارة الى ان الحكمة اقتضت أن يرجع الجيش عن عزمه لانه لم يكن من الصواب والحزم ان يغادروا اليون بعد ان حصروها تسع سنوات وافنوا الجم الغفير من مقاتلتها وجيشهم لا يزال كثير العدد وفير العُدد

(٣) فريام ملك طروادة

من بعدِ أَنْ هلكتْ أراجلهمْ لدى إليونَ هدرًا والمنازلُ شطتِ
عجلاً إليهمْ أمسكي كُلاًّ بليـ ن القول لا يمضى لهمْ بسفينةِ »
فبحينها اندفعتْ من الأولمبِ للـ سفنِ السراعِ فبلغتْ في لحظةِ
وجدتْ عوليساً أوذساً من قد حكى زفساً بنور حجاه لمْ يُستلفتِ (١)
لمْ يعتمدْ مسودَّ مركبهِ ومنْـ هُ النفسُ غاصتْ في عبابِ الكآبةِ
وقفتْ ونادتهُ: « أيا ابنَ ليرتسٍ أَكذا تؤمّونَ الديارَ بذلةِ
تدعونَ فرياماً يفاخرُ معجباً بذويهِ في هيلانةَ الأرغيّةِ (٢)
من بعدِ انْ هلكتْ أراجلكمْ لدى إليونَ هدرًا والمنازلُ شطّتْ
عجلاً الى الأجنادِ أمسكهمْ بليـ ن القولِ لا يمضى لهمْ بكتيبةِ »
في الحالِ أدركَ صوتها طرحَ العبا ءَ لأورباتَ الفيجِ عالي الهمةِ (٣)
وإلى أغاممنونَ أسرعَ جارياً واجترَّ منهُ صولجانَ السطوةِ (٤)

---

(١) أوذيس ملك ايثاكة ووالد تلماخ وهو بطل أوذيسة هوميروس كان ادهى اليونان كما كان نسطور احكمهم

(٢) الارغية نسبة الى أرغوس أي اليونانية

(٣) الفيج الرسول والسفير والساعي . كان اوربات احد فيجى الالياذة المشهورين وهما اوربات وتلثيبيوس

(٤) لا يستغربنَّ المطالع تجرُّؤ أوذيس على اجترار عصا الملك من يد أغاممنون فانه كان داهية اليونان وبطلاً من أبطالهم المغاوير وملكاً من ملوكهم فكان له على أغاممنون الدالة الكبرى وكان في ذلك الحين يسعى في انفاذ مأرب هو واحد في نفس كليهما فلم يكن بالكثير على أغاممنون ان يأتي اليه بها من تلقاء نفسه ليرى الجند ان اوذيس يخاطبهم بلسان داهيتهم من وجه وسطوة زعيم زعمائهم من وجه آخر . ثم

ثُمَّ انبرى بينَ السفائنِ وَالجا　بينَ الملوكِ وبينَ أهلِ الإمرَةِ
وَيُبادِرُ الأقيالَ إِنْ مرُّوا بهِ　مُسْتَوْقِفاً وَمحرِّضاً بالرّقّةِ :
«أَوَ كيفَ صاحِ يليقُ كالأنذالِ تَرْ　تَعِدُونَ خوفاً فارْتَدِعْ لنَصيحتي
أَرْجِعْ جنُودَكَ إنَّ أتْرِيذاً لهُ　أَرَبٌ ليَبْلُونا بكلِّ طريقةِ
وَلَقَدْ جَهِلْتَ مَرامَهُ وَلَسوفَ تلْـ　ـقاهُ يُعاقِبُنا بشرِّ عُقوبةِ
فَتَرَوَّ وَاحْذَرْ غَيْظَهُ إِذْ لم نَكُنْ　طرّاً لديْهِ بينَ أهلِ النَّدْوَةِ
مَنْ كانَ مَوْلى زَفْسَ ليسَ يُذِلُّهُ　بَلْ صانَهُ بكرامةٍ وَمَوَدَّةِ » (١)
وإذا رأى احدَ الرّعاعِ مُصَوِّتاً　بالصَّوْلَجانِ عليهِ مالَ بضَرْبَةِ (٢)
ولهُ يقولُ : «أجْلِسْ ولا تُبْدِ الحِراكَ　أيا جَباناً قد خلا مِنْ نخْوَةِ
أَفَكُنْتَ مِنْ أهلِ الوَغى وَالرَّأْيِ فاسـ　ـتَمْثِلْ بمَنْ يَعْلُو وعِندكَ فاثْبُتِ

ان الواقف على أحوال جاهلية الامم يعرف ما لتلك العصا او ذلك الصولجان من الهيبه في القلوب • ولقد يذكرني هذا بعصا شيوخ المنتفق في بادية العراق وبعض حواضرها لعهد قريب لا يتجاوز الثلاثين عاماً حيث كانوا اذا أرادوا قضاء لبانة اوجبي مال القوا بعصا من عصيهم تعرف بعصا الشيخ الى أحد اتباعهم فكان حاملها نافذ الامر مرعي الجانب كيف توجه ولو كان عبداً رقاً

(١) قال لبيد :

رأيت التقى والحمد خير تجارة　رباحاً اذا ما المرء اصبح ناقلا

(٢) نرى اوذيس يجول بين الصفوف ويكيل لكل بكيله فيكلم كرام القوم بما لا يمس كرامتهم ويخاطب لئامهم بقرع العصا فيجدح لكل من سويقه ولله در أبي الطيب القائل

اذا انت اكرمت الكريم ملكته　وان انت اكرمت اللئيم تمردا

أَشقى مآلاً من تَسلُّطِ جُملَةٍ أَوَ جُملَةُ الاغريقِ أَقيالٌ فلا (١)
لا يَستقيمُ الأَمرُ إِلاَّ إِن يَكُنْ فَرْدٌ يُخوَّلُ صولجانَ الصَّولَةِ » (٢)

(١) من كلام الأَفوَه الاودِي حكيم الجاهلية قوله

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا
تهدى الامور باهل الرأي ماصلحت فان تولت فبالاشرار تنقادُ
اذا تولى سراة الناس امرهم نما على ذاك امر القوم فازدادوا

(٢) قال ديونيسيوس ان جميع ملوك اليونان لاول عهدهم كانوا مقيدين بمجلس شوروي سواء اتصل اليهم الملك بالارث او الانتخاب كما يتضح من شعر هوميروس وغيره — فان في مارايناه من نزاع اخيل واغاممنون وماسنراه من الوقائع المتوالية ولا سيما استطالة ثرسيت على اغاممنون بعد ابيات من هذا النشيد حجة قوية على ان الملك لم يكن مستبداً بامره ورأيه بين اصحابه واتباعه بل كان « يشاورهم في الامر » كما فعل خلفاء العرب في صدر الاسلام وكما نصت الشريعة الاسلامية • ولم يكن الملوك فضلاً عن هذا يأنفون من مخاطبة عامة الجند وتلقي اعتراضهم وتحاملهم بالصبر الجميل كما لم يأنف الفاروق عمر من قوله على المنبر « يا ايها الناس من رأى منكم فيَّ عوجاً فليقومه » ولم يغضبه قول واحد من عامتهم « والله لو راينا فيك عوجاً لقومناه بسيوفنا » فقال « الحمد لله الذي اراني من يقوّم عوج عمر بسيفه » — ومثل هذا قول ابي بكر الصديق في خطبته يوم بويع بالخلافة : « وانما انا متبع ولست بمبتدع • فان استقمت فتابعوني وان زغت فقوموني » ولقد زعم بعض الشراح استدلالاً بهذا البيت ان هوميروس كان يميل الى الملك الاستبدادي المطلق وهو زعم تؤيد فساده كل انشاد الالياذة • فانه انما عنى بحصر صولجان السطوة بيد فرد واحد زمن الحرب كما يستفاد من سياق الحديث • وهي خطة متبعة في كل الازمان الى يومنا حيث يكون القائد الاكبر واحداً لاغير مهما تعددت اركان حربه بتعبيرنا الحديث • وحقيقة الحال ان اغاممنون لم يكن زعيم ملوك اليونان الا أثناء الحرب لاقبل ولا بعد وقد قام باعباء قيادة الجند والرئاسة الدينية على ما يظهر من توليه شؤون العبادات كما كانت الخلافة والامامة بيد واحد عند العرب • وانحصار كلتا المزيتين بيده لم يغنه

فَلْنَرْضَخَنَّ إِذًا لِمَنْ زَفْسُ ٱرْتَضَى ... الْمُلْكَ وَٱلأَحْكَامَ بَيْنَ الأُمَّةِ
فَكَذَا بِفَصْلِ الْقَوْلِ خَاطَبَهُمْ وَعَا ... دَ ٱلْجَيْشُ لِلشُّورَى بِأَعْلَى ضَجَّةِ
تَرَكُوا السَّفَائِنَ وَٱلْخِيَامَ مُهَرْوِلِيـ ... ـنَ بِكُلِّ جَمْعِهِمِ وَلَمْ يَتَشَتَّتِ
كَالْمَوْجِ فِي جُرُفِ الْبِحَارِ يَعِجُّ وَٱلْـ ... ـلُجُّ الدَّوِيُّ بِهِ بِعَاصِفِ عَجَّةِ
ثُمَّ ٱسْتَكَنُّوا فِي مَجَالِسِهِمْ سِوَى ... ثِرْسِيتَ لَمْ يَذْعَنْ لِذَاكَ وَيَسْكُتِ
سُنَّةٌ لَهُ قَذْفُ الشَّتَائِمِ دَيْدَنٌ ... وَخُصُومَةُ الْحُكَّامِ أَقْبَحُ خُطَّةِ
وَقِحٌ تَجَاوَزَ كُلَّ حَدٍّ وَهْوَ إِنْ ... يَسْتَضْحِكِ الْقَوْمَ ٱسْتَطَالَ بِبَهْجَةِ

شيئاً من اعتراض المعترضين والرضوخ لرأي سديد يبدو من غيره وان كره٠ ولكننا نراه في ساحة القتال يتهدد الجبان النكس بالقتل مستبداً لامعارض له اذ يصبح حينئذ الآمر الناهي المطلق • وفي كل ما تقدم أدلة قاطعة على انتساق النظام العسكري عندهم ووضع الحرية والانقياد موضعهما

ويجدر بنا ان نبين في هذا الموضع ان تلك كانت طريقة العرب في تولية الزعامة الكبرى لواحد منهم اذا تعددت القبائل المتحالفة على الحرب • وسنذكر طرق تحالفهم في موضعها من النشيد الثالث • وحسبنا هنا ان نقول انهم كانوا حيثما اجتمعت عدة قبائل منهم على حرب نهجوا هذا النهج فرأسوا عليهم أميراً واحداً يأمر وينهى فيهم جميعاً • فاذا انتهت حربهم لم تبق له مزية على سائر الامراء • وكان من عادتهم ان يقترعوا بين اهل الرئاسة فمن خرجت عليه القرعة ولوهُ الامارة كبيراً كان اوصغيراً • ولكن حيثما اتفق ان يكون بينهم امير احرز المقام الاول بمكانته وسنه ونسبه وأقرَّ الجميع له بالسبق كانوا يولّونه بالاجماع بلا اقتراع ولا نزاع كما ولّوا حرب بن امية على قبائل قريش في حرب الفجار

ثم انه ليأخذنا العجب من اغفال العرب نقل الالياذة الى العربية مع انها نقلت الى لغات لم تكن شيئاً مذكوراً بجانبها — قال ابن العبري في « مختصر تاريخ الدول » طبع بيروت صفحة ٤١ « وخربت مدينة اليون الخراب الذى هو من

لَمْ يَرُعْ قَطُّ مَقَامَهُ وغدَا بِهِمْ   خُلُقاً وخَلْقاً شَرَّ أَهْلِ الحَمْلَةِ (١)

اعظم الرزايا عند قدماء اليونانيين وقد رثاها اوميروس الشاعر في كتابين نقلهما من اليوناني الى السرياني ثاوفيل المنجم الرهاوي » (توفي سنة ٧٨٥م وكان منجماً للخليفة المهدي) • وقال صفحة ٢١٩ — ٢٢٠ « وكان ثاوفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى وله كتاب تاريخ حسن ونقل كتابي اوميروس الشاعر على فتح مدينة ايليون في قديم الدهر من اليونانية الى السريانية بغاية مايكون من الفصاحة » • ولقد اكثر العلماء من البحث والتنقيب فلم يعثروا على اثر لترجمة الرهاوي • قيل أن العلامة السمعاني المـاروني عثر على نسخة منها فحملها في ما حمل الى رومية من نفائس المخطوطات في اواسط القرن الثامن عشر واصابته عاصفة في البحر فطغت المياه على السفينة فعطلت كثيراً من تلك النفائس ومن جملتها منظومات الرهاوي » ولم يتصل بنا منها غير هذين الشطرين اللذين يؤلفان البيت الذى نحن بصدده • وهما منقولان عن السمعاني

ܠܐܫܢܝܐ ܘܥܒܕܘܗܝ ܡܢܘܬ ܗܝܠܐ

ܐܠܐ ܕܡܢ ܡܠܟܐ ܘܕ ܡܢ ܦܘܩܕܢܐ ܚܕܘܐ

وقد ذكر يعقوب برساخو المعروف باسم الاسقف ساوير (المتوفى سنة ١٢٤١م) وغيره من العلماء عبارات متقطعة ردها البعض الى الياذة الرهاوي وهذا جل ما يعلم عنها

(١) كان زهير ابن أبي سلمى مدّاحاً لهرم بن سنان فاشتهر أمر هرم وذاع ذكر محامده في مشارق بلاد العرب ومغاربها ولا يزال كذلك منذ نيف وثلاثة عشر قرناً • وقد سأل الخليفة عمر احد أولاد زهير « ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك » فقال « قد أبلاها الدهر » قال عمر « ولكن الحلل التي كساها أبوك هرماً لم يبلها الدهر » • وهجا نصير الدين الطوسي المعروف بالفردوسي والملقب بهوميروس الفرس السلطان محمود الغزنوي بقصيدته المشهورة التي مطلعها

ايا شـاه محمـود كشور كشاي   زكس كرنترسي بترس از خداي

وتعريبه : (ايا شاه محمود غازي البلادْ   خف الله ان لم تخفك العبادْ)

فبـذل له الاموال الطائلة اسـترضاءً له لعله يتوصل الى اخفاء تلك القصـيدة

قدكانَ أَكْبسَ وهوَ أَحوَلُ أعرجٌ ... وشعورُهُ كادتْ تُعدُّ بشعرَةٍ [(١)]
كتفاهُ قُوِّستا لضيقِ صدْرهِ ... وبصدْرهِ لم يحوِ غيرَ ضغينةٍ
يَخْتصُّ أُوذِسَ وابنَ فيلا حقدُهُ ... أَبدًا بكلِّ تحامُلٍ وشتيمةٍ [(٢)]
والآنَ مالَ على أَغامِمْنونَ بالْ ... تَقذفِ الشَّديدِ معنِّفاً بتعنُّتِ
فنفوسُهمْ منهُ اشمأزَّتْ وهوَ لمْ ... يعبأْ وخاطبَهُ بأهجنِ لهجةِ :

وابادتها لئلاّ تخلد في بطون التواريخ نخشي ذلك الغازي الفاتك بالالوف وآلاف الالوف ورَيقة تنمي عنه خبر السوء • وهي خارقة من خوارق قوى الشعراء الفطاحل • وهذا شاعرنا لم يذكر أحداً بمليح او قبيح الا خلد ذكره بل جعل اسمه مرادفاً للخلة التي ميزه بها فصار أخيل مرادفاً للبأس ونسطور للحكمة وأوذيس للدهاء • ولم يكن هوميروس هجّاءً بما اتصل الينا من شعره ولكنه جمع في هذا الموضع من المعايب في ثرسيت ما يجعل السامع يشمئز من مجرد ذكره حتى صارت هذه الكلمة في كثير من اللغات مرادفة لقبيح الوجه وفاسد القلب والسفيه الغرور السفيل الفخور• ويغلب اطلاقها على الحسود الذميم والنمام اللئيم والسليط الزنيم

(١) الأكبس من أدبرت جبهته واقبلت هامته • زاد على معايب خُلقه معايب خَلقه ليزيده حطة في ذهن السامع فيعلم موضع حقارته في عين الجند — والقبح أقبح مايكون بصاحب الوجه القبيح • ولله در القائل :

أيا مليح الوجه كن محسناً ... لاتجمعنَّ الزَّين بالشَّين
وياقبيح الوجه كن محسناً ... لاتجمعنْ بين قبيحين

(٢) لاشيءَ أدل على بذاءة الطبع والحسد من التحامل والتطاول على أبعد الناس همة كاخيل واوفرهم ذكاءً وعقلاً كاوذيس وكلام الشاعر هنا توطئة لاشمئزاز الجند منه • ولكننا لا نرى ثرسيت مكترثاً لذلك بل جل همه ان يضحك القوم ولو هزؤاً به • وهذا يمثل لك حالة من نضب ماء الحياء من وجهه فلا يبالي اساءَ الناس ام سرهم • وما أحسن قول ابي تمام بهذا المعنى

يعيش المرءُ ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللحاءُ

« قُلْ يا أَغامِمنونُ ما تشكو إِذًا ولقدْ جمعتَ لديكَ أَجزلَ ثروةِ
وبدائعَ الغاداتِ من سَبْيٍ بها نَحبُوكَ إِنْ نفتُكْ بأَيَّةِ بلْدَةِ
أَطمعتَ في ذهبٍ بهِ يأْتيكَ منْ إِلْيُونَ ملْتمسٌ قبولَ الفديةِ
إِنْ ما أَتيتُكَ اوْ أَتى غيري لهُ بابْنٍ يُكبَّلُ بالقيودِ الجمَّةِ (١)
أَمْ هلْ ترُومُ أَسيرةً أُخرى لها تُبْدي غرامكَ إِن خلوتَ بعزْلةِ (٢)
لالا فليسَ يليقُ كُلُّ الجيْشِ الْ بَلْوَى يُساقُ بمَيلِ رأْسِ الأُسْرةِ
واعارَكُنَّ أَيا نِساءُ ولا أَقوِ لُ أَراجلاً فلْتَقْفُلَنَّ بخزْيَةِ (٣)

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياءُ
اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فافعل ما تشاءُ

(١) أي هل لاتزال تطمع في الذهب ياتيك فكاكاً لاسير أُلقيه انا او غيري بين يديك — ان في هذا الكلام لمنتهى القحة من رعاعة كثرسيت اذ ادعى بأساً فوق بأس أغاممنون ورماه بمذمتين طمعه في الكسب والنهب وخلوه من الشأن في احراز الاسرى اذ ليسوا لديه بشدة بأسه بل ببسالة جنده واتباعه

(٢) في هذا الكلام ابهام بل ايهام مقصود فانه اشار الى سبية علق بها أغاممنون ولم يقل أهي خريسا التي اعترف بشغفه بها ام بريسا التي لم يعلم أحد بعد شيئاً من منزلتها عنده • ولكن الظاهر من خبث النية انه أراد كلتيهما واتخذ من حب أغاممنون للاولى حجة على لزوم غرامه بالثانية متذرعاً بذلك الى اثارة الغيظ بافئدة أصحاب أخيل والقاء الفتنة بينهم وبين اغاممنون • والفتنة محجة يسعى اليها الحسود بخيله ورجله — وسنرى في النشيد التاسع ان ثرسيت وجه الى اغاممنون هذه التهمة زوراً وبهتاناً لان اغاممنون اثبت بالأيمان المغلظة انه لم يدُر في خلده قط ان يقربها

(٣) لما كان ثرسيت ساعياً بكليته الى الغض من شأن الملك تناهت به القحة الى رمي الجند باعظم صفات الجبن فخاطبهم خطاب النساء ليهيجهم حنقاً على زعيمهم • ولكنه ساءَ فألاً بل هو دهاء عظيم من شاعرنا ان جعل لاغاممنون خصماً كثرسيت

وَلْيَبْقَ ذَا الْمَلِكُ الغَرُورُ وذُخْرُهُ فَيَرى بِذَلِكَ ما لنا مِنْ عِزْوَةِ
فَقَدِ اعْتَدَى تَوًّا على مَنْ فاقَهُ بأْساً وآخيلُ تَقَاعَدَ بالتي.
او كانَ ذا قَلْبٍ لَكُنْتَ لَقيتَ في أَثَرِ اعتدائكَ منه آخرَ حطّةٍ »
فعلى أغاممنون راعي الشَّعْب ثَرْ سيتُ أثارَ كذا أُوارَ نميمةٍ
فَلَهُ انْبَرى أُوذِيسُ يلهبُ صدْرُهُ غيْظاً وخاطبَهُ بقَوْلٍ مُبكِّتٍ :
« صَهْ يا رعاعَةُ مَنْ تكونُ لِتَبْتَغي لَدَدَ المُلُوكِ بنُطْقِ أَخْبَثِ صَيِّتٍ (١)
فلأَنْتَ أَوْضَعُ قادمٍ في جُنْدِ أَتْ ريذٍ لدى إليُونَ فاخْسأْ وأُصْمُتِ
أَفَكُنْتَ كُفْأً للخطابِ مُنَدِّدًا بالصِّيدِ تنْتَدِبُ المَلا للعَوْدَةِ (٢)
أَوَمَنْ تُرى منّا بقِسْمَتِهِ دَرَى أَوْ ما يَكُونُ مآلُ تلكَ الرَّجْعَةِ
وعلى أغاممنون فاكَ فَغَرْتَ إذْ أَبْنَاءُ دَانُوسٍ حَبَتْهُ بتحفةٍ (٣)
نبأي فَخُذْهُ مُصَدَّقاً فلَئِنْ أرا تَهْذارَ مِنْكَ كما رأيتُ بمُقْلَتي
لا ظَلَّ رَأْسي فَوْقَ كَتْفي ثابتاً لا كُنْتُ والدَ تيلماخَ يَتيمَتي
إِنْ لَمْ أُجَرِّدْكَ العباءَةَ والدِّثا رَ الى بقايا كُلِّ آخِرِ سُتْرَةِ

تثقل رؤيته كما يثقل منطقه على كل الجيش ومن استقبحت صورته وفعله استقبحت رأيه وان كان صواباً . فقد رأى الشاعر انه لابد من معارض يقف في وجه اغاممنون فلو جعله رجلاً من ذوي المكانة واصالة الرأي لوقع كلامه وقعاً سيئاً في نفس الجميع فلم يكن أوفى بالمرام من نمام حسود لا يشفع باقواله شيء من مظاهر اعماله

(١) الصيت الشديد الصوت

(٢) الصيد جمع اصيد وهو السيد والرئيس

(٣) ابناء دانوس والدانويون اليونان

فتُسَاقَ فَوْقَ الفُلْكِ مُخْتَضِباًمِنَ ال ... شُورَى تُرَدِّدُ أَنَّةً في أَنَّة »
مِنْ ثَمَّ بادَرَهُ وأَوْهَنَ ظَهْرَهُ ... بالصَّوْلَجانِ بِضَرْبَةٍ دَمَوِيَّةِ
بَرَزَتْ بِمَنْكِبِه دماءُ بُثُورِها ... فأَكَبَّ يَبْكي واسْتَكَنَّ برِعْدَة
بسَذَاجَةِ البُلْدَاءِ يَنْظُرُ حَوْلَهُ ... وُيكَفْكِفُ الدَّمْعَ السَّخِيَّ بِتَشَمُّتٍ (١)
وجَمَاعَةُ الإِغْرِيقِ لم يتمالكوا ... عن فَرْطِ قَهْقَهَةٍ لِتِلْكَ الخَيْبَة
يَتَداوَلُونَ بِقَوْلِهِمْ: « للهِ كَمْ ... قَدْ حازَ أُوذِسُ من جَليلِ مَزِيَّة

(١) التشمت الخيبة — لقد جمع الشاعر بثرسيت اقبح الصفات ومثلها كلها اصدق تمثيل فابدع هنا بوصف حالة الجبان الرعديد الذي اذا استقوى شمخ وتمادى في الغرور والكبر وان استضعف ذل ذلة الانذال • وهكذافان ثرسيت لما انس من الجيش ارتياحاً لمغادرة القتال والقفول الى الاوطان بلغت منه القحة ما بلغت ظناً منه ان الجيش ظهيره والموقف نصيره • فلما تصدر له اوذيس ولم يكن في الجمع من يذود عنه بدا جبنه باقبح مظاهره — وقد ختم الشاعر هذا المشهد بقهقهة الجمع كما ترى في البيت التالي وهي خاتمة تنبئك بما في طبيعة الجندي من الاشمئزاز من تشدق المتبجحين وقلة العبء بفلسفة المتفاسفين والشماتة بخيبة الغرور المختال — وفيها أيضاً اشارة الى ان نفوسهم طابت عن الرحيل فمالوا الى القتال ترفعاً عن ان يقفلوا منقادين لرأي حقير ولسان حالهم يقول

اذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدي ونفسي تشتهيهِ
وتجتنب الاسود ورود ماءٍ ... اذا كان الكلاب ولغن فيهِ

لا بأس ان نذكر هنا امراً تنبه اليه بعض الشراح وهو انه لم يرد ذكر لثرسيت بعد هذا الموضع في كل انشاد الالياذة كأن هذا الاضراب عن ذكر اسمه مقصود من الشاعر لوضعه في ادنى درك الحقارة • وابلغ من هذا انه لم يذكر نيريوس الجميل الا مرة واحدة أيضاً ثم تناساه كانه نزّل جمال الجسد اذا عرا عن محامد الاخلاق وعزة النفس منزلة قبح الصورة والسيرة وفساد السريرة • أفيفطن لهذا صِباح الصوَر قباح السيَر ؟

بالحزْمِ في الآراءِ والتَّدْبيرِ في الْـ ... هَيْجاءِ أيَّانَ انبرَى لمهمَّةِ
لـكنَّهُ لمْ يأتِ اجملَ حكْمةً ... منْ رَدْعهِ سفَهاً يصُولُ بفتْنةِ
لا شكَّ أحْمدَ نفْسهُ بنَـكالِها ... عن أيِّ تثْريبِ الملُوكِ بكلْمةِ »
وأقامَ هدَّامُ المَدائنِ أوْذِسٌ ... بعَصا السِّيادةِ واقفاً بعزيمةِ (١)
وتايهِ آثينا بهيْئَةِ صارخٍ ... يدْعُو جمُوعهمُ بكلِّ سكينةِ (٢)
حتَّى جميعُ صفُوفِهمْ علماً تحيـ ... طُ برأْيهِ فاتى بأفْصحِ خُطْبةِ : (٣)

« تحمَّلكَ الإغريقُ كُلَّ ملامةٍ ... أأتريذُ إمَّا اليَوْمَ خابتْ وعُودُها
لديْكَ لقدْ آلوا قُبيْلَ ارْتحالِهمْ ... لإليُونَ لا ينْثُونَ عزْماً يُبيدُها

(١) هدام المدائن لقب لاوذيس لانه كان يفعل بدهائه ما لا تقوى عليه حراب الجيوش وهو الذي مكَّن اليونان من فتح اليون عاصمة طروادة

(٢) كثيراً ما نرى اثينا الاهة الحكمة موآزرة لاوذيس اشارة الى ان الرجل الرصين لا يأتي امراً الا عن حكمة وتروّ

(٣) لقد اسهب الشراح بوصف بلاغة الشاعر وحسن تصرفه ودقة سياسته في هذا النشيد واستشهد علماء فن الخطابة بما ورد فيه من الخطب المتوالية وكلها واقع في موقع ليس لشاعر ان يجعلها في اليق منه • فقد مر الكلام على ما حوى نطق اغاممنون من الحنكة والدهاء • ولم يكد ينتهي حتى انبرى اوذيس بدهاء أعظم أتى به من وجه آخر فشرع اولاً في استنهاض همم الزعماء فحرضهم بالرقة واللين وغالى بخطارة موقفهم فاصاب محل الضعف فيهم ونال بغيته منهم • وانثنى ثانياً على عامة القوم وسفلتهم فزجرهم زجراً وردهم الى سواء السبيل • وثلّث بردع ترسيت بدربة وحذق اطلق بهما لسان الجميع بالثناء عليه • فكان له بكل ذلك أحسن توطئة لهذا الخطاب الرابع الذى يلقيه على مسمع الجمع كافة ليحسن لهم المقام ويوطد ثقتهم بالفتح

وها هُمْ كَوُلْدٍ جزَّعٍ وأَرامِلٍ تَنَاهى حَنيناً للبلادِ هُجُودُها
لَتِلْكَ إِذَا بلْوَى تَفَاقَمَ ضُرُّها وما اليَأْسُ إِلاَّ أُسُّها ومُعِيدُها
ولا شكَّ يَغْتَمُّونَ إِنْ يَمْضِ شهْرُهُمْ بِمُلْكِهِم والنَّوءُ ظَلَّ يُميدُها
فَكَيْفَ وقد بَاتت حؤُولُ اُغْتِرَابِهِمْ سنينَ طِوَالا تمَّ تِسْعاً عَدِيدُها
وأَزْوَاجهُمْ عنهُمْ نَأَيْنَ فلا أرى مَلاماً إِذا البأْساءُ شطَّتْ حُدُودُها
ولَكِنَّ كُلَّ العارِ في عَوْدَةِ السُّرى بِخَيْبَتِهِمْ مَهْلاً فَسَوْفَ نَعُودُها (١)
لِنَبْلُوَ صحْبي صدْقَ كَلْخَاسَ مُنْبِئاً بِما قدْ عَلِمْتُمْ آيَةً وأُعِيدُها :
شَهِدْتُمْ وماتُّمْ وفي الأَمْسِ خِلْتُ ذا قَدِيماً سَرَايانا اُسْتُتِمَّتْ جُنُودُها
وهَيَّأَتِ الأُسْطُولَ في بَحْرِ أَفْلِسٍ لأُمَّةِ فِرْيامٍ يُعَدُّ وَعيدُها (٢)

المبين وصدق النبوءات المشيرة الى فوزهم في عامهم — ومن دهاءاوذيس في خطبه انه اذا تطلّع الى بغية يتطلبها من الزعماء وجه كلامه الى عامة الجند واذا قصد الجند خاطب امراءهم فانه لما قال للعامة « لا يستقيم الامر الا ان يكن فردٌ يخول صولجان الصولة » اراد ان يفقه الرؤساء هذا القول فلا يتجاوز كل حده • ولما شرع هنا في ملامة اغاممنون تصد ابلاغهم جميعاً ما يترتب على خمولهم وتثبطهم من العار والحطة وهذا منتهى البلاغة في الايهام

(١) لا يخفى ما في كل هذا الكلام من حسن التدبر فانه تظاهر بعذرهم على سؤمهم وضجرهم وقد استمهلهم من وجه ديني فكأنه فرض عليهم الثبات بحكم القدر المحتوم وان ساءهم حيناً • والرضوخ للاقدار يسهل احتمال الازمات الشداد

(٢) افلس ثغر كان قديماً في بيوتيا تجمعت فيه سفن الاغريق عند الحمل على طروادة ومحله الان بلدة مِكرُوفاني • اشار بذلك الى تشاغلهم بالفتنة بين اخيل واغاممنون

إلى ساجةٍ عُظْمى لَدَيها تَفجَّرَتْ ... منَ الماءِ عَيْنٌ فاضَ سَيْلاً بُرُودُها
رَفعْنا على طُهْرِ المَذَابحِ جُمْلةً ... مِئَاتِ الضَّحايا واستِطارَ وَقُودُها
إذا أُفْعُوانٌ هائلٌ قدْ بدا لنا ... بمُعجزةٍ من أمْرِ زفسَ وُرُودُها
منَ المَذْبَحِ الدّامي أُسْتطالَ مُخضَّباً ... الى السّاجةِ الشمّاءِ وَثْباً يُريدُها
وفي رأْسِها عُصْفُورَةٌ وفِراخُها ... ثمانيةٌ ما كادَ يَثْقُفُ عودُها
إليها سَريعاً همَّ مُزْدَرِدًا على ... تَغارِيدِها والأُمُّ شُقَّتْ كُبُودُها
تُرَدِّدُ أنّاتِ الأسى وتَرُفُّ في ... جوانِبِهِ حتّى اُشْرأَبَّ يَصيدُها
ولمّا فَرَاها تِسعَةً صارَ صخْرةً ... بحِكْمةِ مُبْديها اُستَتَبَّ جُمودُها
فَزِدْنا عُجاباً والتَّشاؤُمُ رابَنا ... ولكِنْ لِكَلْخاسَ تجلّتْ عُقودُها
فقالَ: «تولَّتْكُمْ منَ الأمْرِ دَهشةٌ ... ولكنْ خفايا السِّرِّ وافتْ وُفُودُها
«يُرِينا بهذا زفسُ مُعْجِزَةً بها ... لنا نُصْرةٌ في الغيبِ خطَّ خُلودُها
«كما أُفْعُوانُ الضَيْرِ أمْسَكَ تسعةً ... منَ الطيرِ مُغتالاً وأنتمْ شُهودُها
«كذاكَ لدى إليُونَ تسعةَ أحْوُلٍ ... نَخيبُ فيأْتي عاشِرٌ ونَسُودُها»
وقدْ كادتِ الأنباءُ تَكْمُلُ فالْبَثُوا ... يَسيراً وإليُونٌ تُحَطُّ سُعُودُها»
فهلّلتِ الإغْريقُ والفُلْكُ رَدَّدَتْ ... هَلاهِلَ سُرٍّ للسَّماءِ صُعُودُها
فبادرَ نَسْطُورُ الوَقُورُ مُخاطِباً : ... «هَذَرْتُمْ كَوُلْدٍ طالَ جَهلاً قُعُودُها[1]

(١) لقد يتبادر الى الذهن انه لم يبق بالجيش حاجة الى خطاب نسطور بعد ان هاج حميتهم اوذيس على انه سيتضح للمطالع ان الشاعر نهج في كل هذا النشيد نهجاً بديعاً فأنطق كلا من رجاله حكمة لا تصلح الا له ولا يصلح الا لها فقضى كل

كأنكمُ لم تشهدُوا قطُّ مصرَعاً ... وأقسامُنا هلْ تضمحلُّ عهودُها؟
فأينَ الضَّحايا والقرابينُ أُحرقتْ ... بأيمانِ صدقٍ مُوثقاتٌ بنودُها
وأينَ مُدامٌ قد أرقنا وأيمنٌ ... بها قدْ تواثقنا أبادَ وُجودُها؟
لقد طالَ منّا نا وكلُّ قتالِنا ... ببُطلِ أقاويلٍ بعيدٌ مفيدُها
تقلَّدْ أيا أتريذُ بالحزمِ مثلَما ... عهدتُك وليعلُ الحروبَ وصيدُها
ودَعْ حانقاً أوْ حانقَين تعمَّدا ... مُغادرةَ الهيجاءِ أنتَ عميدُها
فلَنْ يرجعا ما لمْ نخبْ أو تتحْ لنا ... مَواعيدُ ربِّ التُّرسِ صدقاً يشيدُها
وعندي يقينٌ أنَّنا عندما على ... سفائنِنا للفتْكِ جئْنا نقودُها
لنا سلفاً بالرَّأْسِ أوْمأَ مُعلِناً ... بشائرَ نصرٍ قاصفاتٌ رعودُها (١)

منهم وطره وتألبوا جميعاً على ادراك المطلب العام • وهكذا فان اغامنون استطلع ضمائر القوم فسبر غورها • واوذيس شدد عزائمهم وقادهم بحبال دهائه الى طلب القتال • فبقي على نسطور وهو صاحب القول الفصل والشيخ الذي اجمع الناس على اجلال قدره ان يستفزهم براسخ هيبته الى الاقدام عاجلاً على مهاجمة الاعداء • فكرّر وذكّر ونصح وزجر ونهى وامر ووعد واوعد وهي مقادة لم تكن لتاتى الا اليه وخطة لايعول بها الا عليه

(١) كانوا اذا استوحوا اخفية من زفس وقصفت الرعود على اثر استيحائهم استبشروا بتحقيق أمنيتهم كما جرى لهم قبل ان حملوا على بلاد الاعداء كررلهم نسطور ذلك لترسخ الذكرى

التفاؤل والتشاؤم من غرائز البشر وقد عجزت الحضارة والعلم مع سموّ مبلغهما عن استئصال شأفته • ولقد يحسب ذوو الاماني والحاجات حتى في عصرنا انهم اذا ابتُلوا بأمر او راموا غرضاً تحولت اليه انظار القوى العلوية والسفلية وعني به الحي والجماد فبات كل ما يحيط بهم رموزاً وادلة تشير الى ذلك الغرض • فلا لوم بعد هذا على جاهلية القوم اذا تفاءلوا او تشاءموا بما يتراءى لهم من نجم وبرق

فلا تَفْكُرُوا بالعَوْدِ ما لم تُقَوِّمُوا لِهيلانةٍ ثأْراً لِبُؤْسٍ يَكيدُها
فيَظفرَ كُلٌّ مِنكُمُ بِسَبِيَّةٍ وتُدمَرَ إليُونٌ وتُحرَزَ غِيدُها

وطائر وحيوان • ذكر هوميروس في مواضع من الياذته تفاؤلهم وتشاؤمهم بالرعد والبرق والطير ولكن كل ما ذكره من هذا القبيل ليس الا نذراً قليلاً بجانب ما اتصل بنا من اسباب التفاؤل والتشاؤم عند قدماء العرب مما بادت آثاره وما لم تبد • من ذلك انهم اذا كانوا حول مريض وسمعوا داعياً يقول ياسالم استبشروا بسلامة مريضهم • واذا كان أحدهم طالباً لحاجة وسمع قائلاً يقول ياغانم او ياظافر ايقن بالفوز والظفر • وتلاعبوا بالالفاظ تيمناً واشفاقاً فسمُّوا الملسوع سليماً والتهلكة مفازة والموت أبا يحيى وهلم جرّاً • واتخذوا من الاصوات والحركات دلائل ونبؤات فقالوا ان اختلاج العين يبشر بلقاء الحبيب ومنه قولهم

ظلت تبشرني عيني اذا اختلجت بان اراك وقد كنا على حذرِ

وقالوا ان اليد اليمنى اذا نبضت دلت على شيءٍ يُدفع اليها فتأخذه واذا نبضت اليسرى دلت على شيءٍ يؤخذ من صاحبها • واذا سُمع طنين في الاذنين كان في ذلك اشارة الى قرب بلوغ نبأٍ من الانباء • واذا كان الطنين في الاذن اليمنى دل على نميمة وهو يدل في اليسرى على مدح وثناء • وهذا من المزاعم الباقية وفيها يقول اهل العراق : الاذن اليمين عدوّ مبين والاذن اليسار صديق سارّ • وكان بعضهم يتطيرون بالابل ومنه قولهم

زعموا بان مطيهم سبب النوى والمؤذنات بفرقة الاحبابِ

ولكل ماتقدم وامثاله اسبابٌ بعضها مجهول وبعضها معلوم • فالتشاؤم بالبوم شائع في اكثر بلاد الله وسببه انه يأوي في الغالب الى المحلات الخربة • والتشاؤم بالعطاس عند العرب قيل ان سببه دويبة مكروهة يقال لها العاطوس وهو من المزاعم البائدة عند العرب ولكنه شائع كل الشيوع بين فريق عظيم من عامة العجم ويقيدونه بالعدد فاذا أقبل تاجرهم مثلاً على شراء سلعة فعطس تشاءم فعدل عن الشراء فاذا عطس بعدها ذهب الشؤم وحل اليمن مكانه فعاد الى عزمه — ولم تكن تخلو هذه الاعتقادات مع ما يخالطها من فاسد الوهم من امور معقولة ترجع الى حكمة ثابتة

ومَنْ تاقَ للأَوْطانِ فليأْتِ فُلْكَهُ فيَعلَمَ أَنَّ النَّفْسَ حانَ خُمُودُها [(١)]

فخُذْ بشعارِ الحَزْمِ أَتْرِيدُ مُثْبَتاً نَصائِحَ أَحْكامٍ لَدَيْكَ أُجِيدُها:

لِتَنْتَظِمِ الاجنادُ بَيْنَ قَبائِلٍ يُوَلَّى عَلَيها بالمَعامِعِ صِيدُها [(٢)]

فتَعلَمُ مَنْ مِنْهُمْ أَشَدُّ تَثَبُّتاً ومَن قَلَّ عَزْماً إِذْ يُدَنَّى بَعيدُها

من ذلك تشاؤمهم من نومة الضحى ويسمونها نومة الخُرق يعتقدون انها تورث الخوف والغم ولا يكون صاحبها الا بليداً ومن نومة العصر ومن عواقبها في اعتقداهم الجنون ومنه قولهم

الا إِن نومات الضحى تورث الفتى خبالاً ونومات العصَير جنونُ

ومما يُدرج في هذا الباب ما رواه ابن خلدون اذ قال « زعم بعض الخواص من المسلمين ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارنج في الدُّور تآذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة يتحاشى غرسه فيها • وقيل مثل ذلك في الدفلى أيضاً وسببه كونه من الترف الذي ينشأ عن زيادة الحضارة لان هذه الاشجار لاتكون الا للزينة وهي تسبب الخراب لان زيادة الترف تكون سبباً للجبن والرخاوة اللذين يعقبهما الانقلاب وذل العبودية »

وقد أباد الاسلام كثيراً من هذه الاعتقادات واضعف كثيراً ولكنه لم يحرّم التفاؤل على اطلاقه ومن المرويات المأثورة « تفاءلوا بالخير تجدوه » وهي حكمة لاتخفى على اللبيب • ومن هذا القبيل ماروي في الحديث : « توقع خيراً تلقَ خيراً وتوقع شرًّا تلقَ شرًّا » اما الطيَرة فهي محرمة وفيها ورد الحديث « لاطيرة في الاسلام » وسنأتي في النشيد الثاني عشر على بيان امرها

(١) هنا يتهدد نسطور المتخلف منهم بالقتل وان كان شيخاً عاجزاً وهم لاشك يتلقون كلامه مكبرين لعلمهم انه لايعدم فتىً ذا بأس ينفذ امره اذا أمر

(٢) لما استتم نسطور الكلام في مخاطبة الجيش رجع فوجه الخطاب الى أغاممنون قاضياً بالكر العاجل لئلاّ تفتر الهمم بطول الانتظار ورسم لهم خطة الهجوم بكلمات جمعت من الحكمة شيئاً كثيراً وحسبنا قوله لتنتظم الاجناد بين قبائل يولى على كل قبيلة منها زعيمها ثم دفعه اياهم الى التخاطر بالبسالة والاقدام بقوله فتعلم من منهم اشد

وتعلَمُ ما إليُونُ منَّعَ حصْنَها أَوَهْنٌ بجُنْدٍ أَم قضاءٌ يذودُها

هنالكَ أتريذُ قالَ خطيباً : « لقدفُقْتَ ياشيخُ كلَّ خطيبِ »(١)
فلَو لي بنُصْرَةِ زَفْسَ وفالا سَ ثُمَّ فبُوسَ الإلاهِ الغضُوبِ(٢)
بما بكَ منْ حكْمةٍ عشْرَةٌ لذَلَّتْ إليونَ تحتَ ضُرُوبي(٣)

تثبتاً الخ • فانه لم يكن يصلح في ذلك الموقف الخطير ان تكون زعماء القبائل الا منها لان الجيش وان كان واحداً لم يكن مؤلفاً من ملة واحدة بل من ممالك شتى تجمعها جامعة الاتحاد فلا يرتاح كل قبيل منهم الى الائتمار بامر امير غير امير بلاده ثم انه فضلاً عن المطمع العام كانت كل فئة منهم تطمع بالتميز ببأسها فتحرز فضلاً صرفاً لها لا يمازجه منزع اجنبي • وهكذا كانت قبائل العرب قبل الاسلام اذا تحالفت بقيت تحت زعامة امرائها كما سنبين بعيد هذا عند تعداد قبائل الاحلاف وقد ظلت العرب على هذا النهج الى ان جاء الاسلام وجمعتهم جامعة الدين فصاروا كأنهم قبيلة واحدة تسعى وراء مطلب واحد فلم يبق بهم من حاجة الى مراعاة تلك الحال في كل حين

(١) لما فرغ اوذيس من خطابه صوَّب الجيش كلامه فخرق صوتهم الجوّ • ولما انتهى نسطور صمت الجميع • ولم يكن ذاك الدوي بأجمل من هذا الصمت فان الشاعر قد وفى كلاً حقه لان أوذيس كان على دهائه بطلاً مغواراً فتحمس الجيش لحماسته • ونسطور كان حكيماً جليلاً وشيخاً يكاد يدركه العجز فصمتوا هيبة واجلالاً • وقام اغاممنون باداء فرض الثناء عليه بعبارة تشف عن اعظامه قدره واكباره سداد رأيه • ولا يفوتنَّ المطالع ترقي بلاغة الشاعر في خطب رجاله من اغاممنون الى أوذيس الى نسطور الى اغاممنون فكأنها سلسلة متماسك بعضها ببعض كلما نظرت الى حلقة منها شاقك حسنها واذا نظرت اليهنَّ جميعاً عجبت لحسن الارتباط وتناسب كل واحدة مع اختها ولا غرو فهذا شأن هوميروس في اكثر شعره

(٢) فالاس آثينا إلاهة الحكمة

(٣) يقول انه لو اتاح لي الآلهة ان يكون في جيشي عشرة حكماء نظيرك

وَلكنَّما رَافعُ الجَوْبِ يُشْقي فُؤَادِي بكلِّ شقاقٍ مُريبِ (1)
فَبَيْني شَبَّ وبينَ أَخيلَ خلافٌ وإنّيَ أَصلُ الشُّبوبِ
ولَوْ أَنَّنا في صراطٍ سَويّ لأَرْغمْتُ طُرْوادةَ عن قَريبِ
فَقُوموا الى الزَّادِ صَحْبي ومن ثَمَّ للْكَرِّ نَمْضي ونَشْرِ اللَّهيبِ
أَعدُّوا تُرُوساً وَحدُّوا قِنيّاً وزيدُوا غذاءَ خُيُولِ الكرُوبِ
و بالعجَل اُفْتَقِدُوا اُلمَرْكَباتِ فذَا اليَوْمُ يومُ إلاهِ الحرُوبِ
فَهُبّوا ولا تَفْكرُوا بسِوَاها فَلا فَتْرَةٌ بَعدَ ذاكَ الهُبُوبِ
الى أَنْ تَحُولَ جيُوشُ الدَّياجي فَيرْفضَّ بالقَسْرِ كُلُّ صخوبِ
ورَشْحُ الصُّدُور يَسيلُ عَلى مِجَنٍّ علافَوْقَ دِرْعٍ خَضيبِ
وتَخْدَرُ أَيْدِيكُمُ في قَناها والْخَيْلُ في ذاكَ مُرُّ النَّصيبِ
فَتَسْبحُ من عيْنها عَرَقاً بجَرِّكُمُ في عِجالِ الخُطُوبِ

لكنت ذالت طروادة — حسبنا بهذا القول دليلاً على مكانة اصالة الرأي عندهم فان زعيم الزعماء آثر عشرة حكماء على فياق جرار وهذا الكلام وان كان يخالف من وجه قول بعض شعراء العرب كابي تمام القائل

السيف أصدق انباءً من الكتبِ في حده الحد بين الجد واللعبِ

فهو ينطبق كل الانطباق على قول الاكثرين ومنهم أبو الطيب القائل

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو اولٌ ولها المحل الثاني

وسنرى في النشيد التاسع بيتاً تكاد تجزم اذا قرأته ان ابا الطيب عرَّب بيته هذا عنه وهو قوله

فلم أُوت بأس الكف والبأس اولٌ وأُوتيت فخر الملك والعز ثانيا

(١) الجوب الترس • ورافع الجوب زفس — اراد أغاممنون أن يذهب بقية

ومَنْ يتنأ فذاكَ حذارِ طعامٌ لكلابِ وطيرِ السُّغوبِ (١)
فلمّا انتهى ضجَّ الجميعُ تحمُّساً دوِيّاً كعجّ البحرِ بالجرفِ يقصفُ
كنوطسَ إذْ من كلِّ صوبٍ وهبّةٍ لأعلى حزيزِ الصخرِ بالموجِ يقذفُ (٢)
وساروا شتاتاً هارعينَ لخيمهم بها أضرموا نارًا ولم يتوقَّفوا
طعامَهمُ نالوا وزكّوا تقادماً لأربابهم كلٌّ لمن كانَ يألفُ (٣)
وقد سألوهم كفَّ رزءٍ وبينهم إلى زفْسَ أتريذٌ غدا يتزلَّفُ
فضحّى بثورٍ مُرْبعٍ بعدَ أن دعا لأدبتهِ صيدَ السَّرى فتألَّموا (٤)

ما في صدور القوم من الوجد عليه لاعتدائه على اخيل فاعتذر قبيل استنهاضهم للتأهب والقى على زفس (او القدر) تبعة ذلك الخصام كأنه اضطُرّ اليه بقوة غالبة ومن ثم استطرق الى اصدار الاوامر وتخلص بتوعد المتنائي منهم بالقتل تأييداً لقوة الزعامة وسطوة الملك . فوقف أولاً موقف الخطيب وتدرج منه الى موقف القائد الآمر الناهي كما سترى من سياق الخطاب

(١) السغوب الجوع كالسغب

(٢) نوطس ممثل الريح الجنوبية كما تقدم . وحزيز الصخر مجتمع الصخور الغليظة — اي ان اندفاعهم الى مضاربهم كان كاندفاع الموج تقذف به الريح لاعالي الصخور

(٣) لا يستفاد من هذا البيت انهم كانوا على عبادات مختلفة فانهم كانوا جميعاً يدينون لجميع الآلهة ولكن لكل فئة منهم ميلاً خاصاً لرب من الارباب وكل رب له ولاء خاص لفئة او لبلاد فاختلافهم بعبارة اخرى انما هو كاختلاف بعض النصارى في تشفع قديس دون آخر في ظروف معلومة وهم مخلصون الاعتقاد بصلاح الجميع او كاختلاف المسلمين في الانتماء الى طرائق ومذاهب مخصوصة مع اجماعهم غالباً على انهن جميعاً على صراط سويّ

(٤) المربع من الثيران الذي بلغ الخامسة من سنه

وأَوَّلُهُمْ نَسْطُورُ ثُمَّ إِذُومِنٌ وآيَاسُ آيَاسٌ قَلِيـلاً تَخَلَّفُوا
تلا ذِيُمِيذٌ ثُمَّ أُوذِيسُ مَنْ غدا بِحكْمَةِ مَوْلَى الخالِدِينَ يُعرَّفُ
وجاءَ مَنِيلا القَرْمُ من غَيْرِ دَعْوَةٍ لِما بِأَخيهِ مِنْ عَنا النَّفْسِ يَعرِفُ [1]

(١) لما كان اتريذ أي اغاممنون كبير القوم كان يجدر به ان يضحي لزفس كبير الآلهة وان يجتمع على مائدته كبار الامراء بدعوة خاصة منه فحضر نسطور وايذومين والاياسان الخ . وقد رتبهم الشاعر ترتيباً لم أرَ أحداً من الشراح فطن له مع ما فيه من دقة المراعاة فجعل اولهم نسطور اجلالاً لشيبه وقفّى بايذومين لانه كهل له حق التصدر على الفتيان اياس بن تيلامون واياس بن ويليوس وذيوميذ . اما اوذيس فانما وضع بعد الشبان وان كان كهلاً يضاهي الارباب بحكمته كما قال الشاعر لانه كان بمثابة أخ لاغاممنون لعظم ما له عليه من الدالة وما لذاك به من الثقة فكان يليق والحالة هذه ان يتأخر لغيره مجاملة كما تأخر منيلا واغاممنون عن الجميع — ولا يسعني قبل الانتقال من هذا البحث وجل قراءي عربٌ ومن كرام العرب الا ان انتقد قول الشراح الذين عابوا هوميروس على جعله منيلاوس يحضر مأدبة لم يُدعَ اليها فقالوا ان في قدومه طفيلياً غضاضة من شانه . وهو قول لا يقوله الا الناشيء بين قوم وهنت فيهم عرى الاخاء وهو والعياذ بالله من شوائب التمدن الحديث . اما الواقف على احوال جاهلية الملل وبداوتها حتى وعريق حضارتها في بلاد المشرق كجزيرة العرب يعترف معي انه لو جعل هوميروس منيلاوس في عداد المدعوين لأتى شيئاً منكراً ولو فرضنا ان في اغفاله دعوته تقصيراً فقد ابدى الشاعر نوعاً من العذر بقوله ان منيلا لم يكن ليطالب اخاه بتلك الدعوة لعلمه بكثرة مشاغله . وهب انه لم يقل ذلك وليته لم يقله فلا محل للوم الشاعر فان نساء بادية العرب وحواضرها كانت تقول في انتياب الشدد « الزوج موجود والابن مولود والاخ مفقود » اشارة الى انه لا يقوم مقام الاخ مخلوق . أفاذا أولم الاب وليمة وابنهُ في ربعه كما كانت الحال في مضارب الاغريق يُعدّ الابن طفيلياً اذا قدم من حيث لم يُدعَ فكيف اذاً والاخ في بلاد المشرق وجاهلية كل الامم ان لم يكن أكثر دالة من الابن فهو بمنزلته أو يقاربه؟

لَدى الثَّورِ قامُوا ثُم ذَرُّوا شَعيرَهُم وفيهِمْ أَغامَمْنُونُ يَدْعُو ويَهْتِفُ:[1]

«يامَنْ تَفَرَّدَ في مَجْدٍ وفي عِظَمٍ ياراكِمَ الغَيمِ يامَن في الرَّقيعِ عَلا
لا تُحْجَبِ الشَّمْسُ والظَّلْماءُ تَعْقُبُها حتى بفِرْيامَ نَصرًا نَبْلُغُ الأَمَلا
أَذُكُّ شائقَ قَصْرٍ شادَهُ وأَرى الـ لَّهيبَ يَلتَهِمُ الأَبْوابَ مُحْتَمِلا
ودِرْعَ ذِي البَطْشِ هَكْطورَ أُمَزِّقُها بِصَدْرِهِ ونُذِيقُ القَوْمَ شَرَّ بَلا
وَحَوْلَهُ فِتْيَةٌ تَنْقَضُّ ساقِطَةً فَتَكْدُمُ التُّرْبَ مِن أَصْحابِهِ النُّبَلا»
لكنَّما ابنُ قُرُونٍ لم يَصِلْ أَملاً آوى الضَّحيَّةَ لكنْ أَثْقَلَ العَمَلا[2]

ولا يدخل هنا الخنو الوالدي بشيء

(١) قد أتينا في شرح النشيد الاول صفحة ٢٣٧ وما يليها على ذكر طرائقهم بالتضحية لآلهتهم فلا حاجة الى الاعادة • وقد كرر الشاعر في ما يلي بعض ابياته من ذلك النشيد



(التضحية عند اليونان)

(٢) ابن قرون زفس

بَلْ زادَ مِحْنَتَهُمْ وَيلاً وما عرَفوا   دَعَوْا وذَرُّوا الشَّعيرَ الرَّافِعَ القُبَلا
والذَّابِحُ الذِّبْحَ أَعْلى رأْسهُ وكَذا   مِنْ بَعدِ تَجريدِهِ أَفْخاذَهُ عزَلا
بالشَّحمِ غشَّى حَواشيها وأَتْبَعَها الْ   أَحْشاءَ دامِيةً من فَوْقِها وَشَلا
وأَضْرَموا النَّارَ خُشْباناً مُقَطَّعَةً   سَعيرُها بِسَفافيدِ الحَشا اشْتَعَلا
حتَّى إِذا ذابَتِ الأَفْخاذُ واجْتَعَلوا   باقي الحَشا اقْتَسَموا اللَّحْمَ الذي فضَلا[1]
ثُمَّ اشْتَوَوْهُ وهبُّوا للطَّعامِ ولَمْ   يَكُنْ بِهِمْ قَطُّ شاكٍ لم يَنَلْ جُعَلا
لمَّا اكْتَفَوا قامَ نَسْطُورُ الوَقورُ على الْ   أَقْدامِ مُنْتَصِباً بالقَوْلِ مُرْتَجِلا :
« أَتْريذُ مَوْلى المَوالي فَلْنَهُبَّ إِلى   فِعْلٍ يُخَوِّلُنا الرَّبُّ الذي فَعَلا
لِتَهْتِفَنَّ دُعاةُ الحَرْبِ جامِعَةً   لَدى السَّفائِنِ أَبْطالَ الوَغى عَجَلا
ولْنَجْرِيَنَّ جَميعاً نَحْوَ فَيْلَقِهِمْ   نَهيجُ فِتْنَةَ رَبِّ الحَرْبِ والجَذَلا »

في الحالِ لَبَّى أَغامَمْنونُ مُنْتَدِباً   كُلَّ الدُّعاةِ لِحَشْدِ الجُنْدِ والعُمَدِ
بأَجْهَرِ الصَّوْتِ نادَوْهُمْ وما لَبِثوا   أَن أَقْبَلوا مُسْتَتِمِّي العَدِّ والعُدَدِ
والصِّيدُ مِن حَوْلِ أَتْريذٍ مُكَتِّبَةٌ   صُفُوفَها وأَثينا فَوقَ كُلِّ يَدِ
مُثيرَةً خَطَواتِ الجُنْدِ نافِخَةً   بَينَ النُّفوسِ اقْتِحامَ الهَوْلِ والشَّدَدِ[2]

(١) اجتعلوا اقتسموا

(٢) لم يكن يجدر بهوميروس وهو الذاهب الى ان العون الالهي مصدر كل عمل خطير الا ان يختتم هذا الباب بتوسط الالاهة أثينا وقد فعل . فبعد ان تثبطوا عن القتال وقدح زعماؤهم زناد فكرتهم ودهائهم وافرغ خطباؤهم جعبة فصاحتهم وبلاغتهم فبلغوا منهم المرام لم يرَ الشاعر أصلح من ربة الحكمة ورقيبة المعارك للهبوب بهم هبة

تَرْنُو بماءِيّ عَيْنيها مُشدّدَةً ... قُلوبَهُمْ وَبَدَتْ بالمجْوَبِ الخَلِدِ (١)
أَهْدَابُهُ مِئَةٌ كُلٌّ لقا مِئَةٍ ... منَ العُجُول ولا تَنْحَلُّ للأَبدِ (٢)
دَارَتْ عَلَيْهِ مُدَلاَّةً وَقَدْ سُبِكَتْ ... مِنْ عَسْجَدٍ خالِصٍ بالنُّور مُتَّقِدِ
حتَّى سَعَوا وأُوارُ الحرْبِ لاحَ لهُمْ ... أَشْهَى منَ العَوْدِ للأَزْوَاجِ والوَلَدِ
تَمْضي فيالِقُهُمْ في أَدْرُعٍ سَطعَتْ ... فوقَ الرَّقيعِ لأَعْلى قُبَّةِ الجَلَدِ
كالنار مُلْهِبَةً غاباً على جَبَلٍ ... والنُّورُ مُنْبَعِثٌ منها على أَمدِ
وغادَرُوا الخَيْمَ والفُلْكَ السِّراعَ وفي ... ذَاكَ الفضا انْتَشَرُوا في حُلَّةِ الزَّرَدِ
كما تَكاثَفَ طَيْرُ البرِّ من بجَعٍ ... ومن أَوزٍّ ورَهْوٍ بالغِ الجِيَدِ (٣)
تَعجُّ في مَرْجِ أَسْيُوسٍ بكَيْسطَرٍ ... مِنْ كُلِّ فجٍّ عصاباتٍ على الجُدُدِ (٤)
تَساجَلَتْ بعرارٍ خارقٍ فَدَوَتْ ... تلْكَ الرِّياضُ لهُ في حَشْدٍ مُحْتَشِدِ (٥)

واحدة فابرز صورة من ابدع الصور الشعرية

(١) المجوب الترس • وقد لقبه بالخالد لان كل ما ينتمي الى أبناء الخلود خالد لا يعتريه فساد ولا اضمحلال • ولا يخفى مافي ابرازأثينا على تلك الصورة من العظمة والسمو وسنرى في النشيد الخامس وصف هذا المجن ببلاغة يقف لها الشعر اعجابة واجلالاً • ولم ينزع الشاعر في هذا الموضع الى بلوغ سمو ذلك الوصف لانه انما وقف هنا بالالاهة موقف المشير المثير لا كما وقف بها هناك موقف المغوار الجبار

(٢) أي ان كل هدب من اهداب الترس المدلاة من حواشيه تساوي قيمتها مئة عجل

(٣) الجيد طول العنق • قال عنترة :

كأن السرايا بين قوٍّ وقارةٍ ... عصائب طيرٍ ينتحين لمشربِ

(٤) الجدد الشواطىء • كيسطر اوكيسطروس نهر ينصب قرب افسس في نواحي ازمير واسمه الآن كوچك مندر

(٥) تساجلت الطير تسابقت • والعرار صياح بعض الطيور

وللحَوافِرِ وَقْعٌ والنعالُ لَها … خفقٌ يُفتِّتُ جِسْمَ الجامِدِ الأَجَدِ (١)
حتى بساحلِ إسكامَنْدَرٍ وقفوا … عدادَ أوراقِ روضٍ بالرَّبيعِ ندي
حلُّوا بضفَّتهِ في عدَّةٍ غمضتْ … يَصلَوْنَ ناراً انتقامٍ داخلَ الكَبِدِ (٢)
مثلَ الذُّبابِ إذا حانَ الرَّبيعُ وقد … حامَت بعُنَّةِ راعي العَنْزِ والنَّقَدِ (٣)
تهافتتْ تبتغي الأَلْبانَ هاجمةً … على القِصاعِ بلا حصْرٍ ولا عَدَدِ
وكُلُّ سيّدِ قومٍ قامَ منفردًا … بهم كَراعٍ بما يَسْتاقُ مُنْفَرِدِ
في الحالِ يجمعُ شتَّاهمْ إذا امتزجتْ … بينَ الأُلوفِ بأَرْضِ البَرِّ إن يَرِدِ
وبينهُمْ بشعارِ الفخرِ متَّشحاً … أتريذُ قامَ بمجْدٍ باذخِ العَمَدِ
وقد حكى زفْسَ عينيْهِ وهامتَهُ … فوسيذَ صدْرًا وآريساً قُوى جسدِ
في ذلكَ اليومِ قصّافُ الرُّعودِ قضى … أن لا يُضاهيهِ بينَ الجُنْدِ من أحدِ
فكانَ كالفحلِ ما بينَ الصِّوارِ متى … يهمْ شُموخاً على قُطعانه يَسُدِ (٤)

(١) الاجد القوي

(٢) في عدة غمضت اي في عدد وافر لايدرك قدره

(٣) العنة الحظيرة • والنقد صغار الغنم والمراد به هنا الغنم على الاطلاق

(٤) الصوار القطيع من البقر ــ اتم الشاعر هنا تأهيب الجيش للقتال وهبَّ بهم هبوباً متتابعاً كالجذوة التي تضطرم عن شرارة فتظل تلتهب حتى تلتهم نيرانها كل ما تناولت • وما كدنا نراهم على اهبة القفول حتى رأيناه يتذرع بالف وسيلة لاستنهاض هممهم • وما زال حتى وقف بهم في ساحة القتال جيشاً منتظماً متألباً للكر بقلب واثق بالظفر غير هيَّاب • كل ذلك بنسق يشف عن مجرى طبيعي لايشوبه تكلف ولا عناء • اما التشابيه المتعاقبة ولا سيما في الابيات الاخيرة ففي كل منها مرآة تنعكس عن صور الطبيعة بابهى المشاهد فترى الشاعر يرسم للمطالع والسامع

كل ما انجلى لحواسه فيشركه بلذة مرئيّاته ومسموعاته وتصوراته حتى لاتفوته منها فائتة • فانه عند قيامهم مدججين بالسلاح شبه بريق أدرعهم بالنور المتدفق من غاب ملتهبة على رؤوس الجبال بمـا يشبه نار عُبيد بن الابرص بقوله :

ودنا يضيء ربابه غاباً يضرّمه حريقهْ

وعند تهافتهم الى المعسكر شبههم بالطيور المتساجلة بمرج اسيوس كما شبّه سلمة ابن الخرشب الانماري خيل قومه بالعقبان الخدارية بقوله

ولو انها تجري على الارض أُدركت ولكنهـا تهفو بتمثال طـائرِ
خدارية فتخاءَ الثق ريشها سحابةُ يوم ذي أهاضيب ماطرِ

ثم شبه جلبتهم بعرار تلك الطيور وهو مشهد لاشك شهده فأثّر في نفسه فما ضن به بل القاه الى راوي شعره • وقد انتُقد عليه في هذا التشبيه لأن الطيور المتساجلة على هذا النمط لاتكون على انتظام يليق بجيش زاحف على العدوّ • وفات المنتقد ان ذلك التهافت انما كان قبل انتظام عقد الجيش وان تلك الطيور نفسها بعد هبوبها تنتظم اسراباً • وكأني بالمنتقد لم يتأن بقراءته حتى يأتي على آخر هذه الابيات أو يبلغ اول النشيد الثالث حيث يصف الشاعر انتظام الجيش وسكونه ودربته بمـا يشف عن المام تام بمواقف الجند في ساحة القتال

ثم ما عتم بعد هذا ان شبه كثرتهم بورق الربيع زيادةً لهيبتهم هذه• وهنا أيضاً توطئة لتعداد فرقهم كما سترى

وزاد بوصف أقدامهم فقال انهم كالذباب المتهافت على الالبان بحظائر الرعاة في الربيع • وقد عيب على هذا القول لانه وان كان صادقاً في حد نفسه فهو دون سائر التشابيه سموّاً خصوصاً لان المقام مقام مدح واعجاب • وهذا الانتقاد على هوميروس قديم العهد ذكره افستاثيوس وغيره • على ان الشاعر كما تقدم كان يمثل الطبيعة على علاتها وفي ذلك سر طلاوة شعره • أفلا ترى ان عنترة ترنم بذكر الذباب ترنم هوميروس فاورد معنى الشعر اليوناني وزاد عليه بقوله :

وخلا الذباب بهافليس ببارحٍ غرداً كفعل الشارب المترنمِ
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذمِ

ومن هذا القبيل قول الآخر في البعوض:

اذا البعوض زجلت اصواتُها واخـذ اللحن مغنياتُهـا

لم تطرب السامع زامراتها　　صغيرة كبيرة اداتها
تقصر عن بغيتها بغاتها　　ولا يصيب أبداً رماتها
راحة خرطومها قناتها

ورب تعبير تمجه الانفس في عصرنا كان في أيامه مقبولاً ومستحسناً . فمن منا اليوم اذا أتى على وصف أدبة أقيمت للغيد الحسان يتشبه بشيخ شعراءالعرب بقوله :

ويوم نحرت للعذارى مطيتي　　فياحبذا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها　　وشحم كهداب الدمقس المفتل

مع اننا اذا تلونا شعر امرىء القيس أخذتنا هزة الطرب والاعجاب . ولا يفوتنك أيضاً ان ما يصلح للتعبير في لغة لا يصلح في اخرى . على انه وان ساغ للمترجم ان يلطف العبارة فلا يسوغ له ان يبدل معنى بآخر او يغفلها أصلاً . فان بوب مثلاً استهجن لفظ « الذباب » فوضع موضعها الحشرات مع اني أرى « الحشرات » أثقل على سمعنا من الذباب في الشعر وربما كانت اخف منها على آذان الانكليز وهو العذر الذي يلتمس له . واما هبس الذي أغفل العبارة برمتها واكل بترجمته الذباب كله فاي عذر يلتمس له اللهم الا ان يكن أراد التلخيص والتقليد لا الترجمة الصحيحة

وبعد ان تكامل الجند شرع الشاعر في تنظيمهم كل فئة بامرة زعيمها وأي تشبيه اصدق من الرعاة التي تميز خرافها من بين القطعان والقطيع الذي يحن الى التحيز الى راعيه . ولم يفته بعد كل ماذكر أن يختم المقال بوصف القائد العام أغاممنون فوصفه وصفاً بالغاً في الابهة والكمال وشبهه باعاظم الآلهة وانتقى له من كل إلاه اعظم صفة فيه وجسمها جرياً على سنن الميثولوجيا فجعل له هامة زفس وعينيه . وزفس زعيم الآلهة ففي ذلك اشارة الى الرئاسة وفي الهامة والعينين رمز الى الحكمة وبعد النظر . وفوسيذ الاه البحار والصدر اشارة الى السعة وفيه رمز الى اتساع سلطته . واريس الاه الحرب اتخذ له منه قوة الجسد . وتشبيه البشر بالآلهة كثير في شعر اليونان ومثله التشبيه ببعض صفات الانبياء والاولياء بشعر العرب كقولهم في القصيدة المنسوبة الى يزيد وما إخالها الا للوأواء الدمشقي صاحب الدالية التي مطلعها : نالت على يدها

لها حكم لقمان وصورة يوسف　　ونغمة داوود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس　　وآلام أيوب وحسرة آدم

واختتم الشاعر بتشبيه أغاممنون بالفحل القائم بين الصوار وهو تشبيه مألوف

لجاهلية الامم . قال وحشي بن حرب الحبشي قاتل حمزة بن عبد المطلب : « وخرجت أنظر حمزة وهو في عُرض الناس مثل الجمل الاورق يهد الناس بسيفه فما ضرب واحداً واخطأ فهززت حربتي ودفعتها عليه فوقعت بين كتفيه وخرجت من بين يديه » (قرماني)

القسم الجغرافي

وهو يتضمن ايضاً اسماء الملوك والرؤساء

يا قيانَ الأولمبِ لي قُلْنَ مَنْ كا ... نَ بذاكَ الوَغى رُؤوساً وجُنْدا ؟[1]
فَلأنتنَّ بالخفا عالماتٌ ... لِلإلاهاتِ كلُّ علمٍ أُعِدّا
إنّما نحنُ شُهْرَةَ الأمرِ نَرْوي ... عن خفايا الأصول نقصُرُ حدّا
ضقتُ ذرعاً لوْ لي فؤادُ نُحاسٍ ... وبصوتي مهما تعمَّدتُ جُهْدا
لا ولوْ لي تَصيحُ عشْرَةُ ألسُنٍ ... لم أُطِقْ للجموعِ ذِكْراً وسَرْدا
بيدَ أنَّ القيانَ من نسلِ ربِّ الـ ... جَوْبِ يُؤتينني إذا شِئنَ رِفْدا



القيان

(١) القيان جمع قينة المغنيات . كنَّ في اعتقادهم بنات زفس مقامهنَّ معه

لستُ أُحصِي إذًا سوى عَددِ القُذْ ... لكِ وكُلِّ القوّادِ بالحرْبِ عدًّا (١)

يُطربن الآلهة في مجالسهم • وكان الشعراء يستوحونهن في إنشادهم ويستمد المطربون عونهن في التلحين والتوقيع • فهنّ ربات الشعر واللحن والانشاد • يخاطبهن هوميروس تارة بصيغة الجمع كما فعل في هذا الموضع وتارة بصيغة المفرد كما سيأتي بعد أبيات من هذا النشيد • وقد لايسميهن فيقول الإلاهة ويعني بها احداهنّ كما مرّ بنا في بدء الالياذة • ولا يخفى ان كلمة موسيقى للفن المعروف مشتقة من (Μουσα) موسا وهو اسم القينة باليونانية

(١) حيثما نظرت الى شعر هوميروس رأيت فيه صدق الورع والحث على الاستغاثة بالقوى العلوية عند الاقبال على عمل خطير • وها هو قد اقبل على تعداد جيوش الاغريق وزعمائهم وبلادهم وسفائنهم وسرد مستطرداً مميزات البلاد من جبل وواد وغور ونجد وروض وغاب ونسب كثير من القواد وحسبهم وصفاتهم وسلاحهم وفكّه القارئ بشيء من القصص الذي كانت تتداوله الالسن ويتناوله الاعتقاد من أساطيرهم • ذلك امر جلل لم يقم بمثله احد قبله حتى ولا بعده • ولهذا كان أثراً تاريخياً فريداً في بابه لايزال يعوّل عليه منذ بضعة آلاف من السنين • وكأنه ادرك ما سيكون له من الشأن فاطال الاستغاثة وأبدع وأبان عجز البشر مهما أوتوا من الحكمة والقوة عن أتيان عظائم الامور ما لم تبذل لهم العناية عونها • وهو ابداع في وصف عظمة الخالق وضعف المخلوق وكرم الله وجه علي بن أبي طالب اذ يقول

الهي لئن خيبتني او طردتني ... فما حيلتي يارب أم كيف أصنعُ
الهي لئن خيبتني او طردتني ... فمن ذا الذي أرجو ومن أتشفعُ

وما لبث بعد هذه الاستغاثة ان افاض فيما اراد كأن وحياً هبط على مدركته فكتبت على ذاكرته وهو لايكتب فرسم جغرافية بلاده رسماً شعرياً لم يُسبق اليه ولم يُلحق

ولقد يجد المطّلع على ايام العرب بعض الشبه بين هذا الترتيب في قبائل الاغريق والطرواد وترتيب احلاف العرب وعشائرهم بحسب نص كتبتهم ومؤرخيهم وان كان هوميروس يتعدّاهم بمراحل بما أضاف الى نبأ التاريخ والجغرافية من زخرف الشعر الذي يقتضيه موقفه • قال ابن الاثير في يوم الفجار الثاني : « ثم ان قيساً

البِيُثْيُونَ بأمرِ لِيطُسِ إفرُوثُوينُورٍ وفِينِلاوُس (١)
وأَرْكسِيلاس وإكْلُونِيُس وبعضُهمْ من أَهلِ وَعْرِ أُوْلِس
إغْرايَ إسكولُس سخِنُسْ هيريا ومن هضابٍ زدْنَ في إتيُونيا
وثسْبِيَا وسهلِ ميكاليسا هرمَةَ إيرِثرِيَةِ إيلِيسا
وبعضُهمْ من قومِ إيلِيُونا أُوكاليا هِيلا وفِيتيُونا
ومِيدِيُونا زاهرِ المَقامِ كذاكَ ثِسْبا مَجْمَعِ الحَمامِ
وكُوفَس كُورُونيا أَترِيسِ وهالِيَرْتا رَوْضَةِ المُستأنِسِ
وهِيفُثِيبِس المَباني الشتَّى ومنْ فَلاطِيا وإغْلِيسَنْتا
وقُدْسِ أُنخِسْتا التي فيها زكتْ غابُ أَفلُونَ التي تبارَكَتْ

جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها • وجمعت قريش جموعها منهم كنانة جميعها والاحابيش واسد بن خُزَيمة وفرقت قريش السلاح في الناس فاعطى عبد الله بن جدعان مئة رجل سلاحاً تاماً وفعل الباقون مثله • وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلعم (وعمره عشرون سنة) واخوة الزبير ابوطالب وحمزة والعباس • وعلى بني امية واحلافها حرب بن امية • وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم • وعلى بني أسد بن عبد العزّى خويلد بن اسد •••• وعلى الاحابيش الحُلَيس بن يزيد وسفيان بن عويف هما قائداهم • والاحابيش بنو الحارث بن عبد مناة من كنانة وعضل والقارة والديش من بني الهُون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بني الحارث والتحبش التجمع • وعلى بني بكر بلعاء بن قيس •••• وكان على جماعة الناس (كلهم) حرب بن امية لمكانه من عبد مناف سناً ومنزلة » • ثم اتى على تعداد قبائل قيس ورؤسائها كما فعل بذكر قريش

(١) ليس في هذا المجال فسحة لتراجم اعلام هذا النشيد وسنستوفيها ان شاء

وأَزْنيا ذاتِ الكُرُومِ المُخْصِبهْ وميْدِيا ونيسَـةَ المُقَرَّبَهْ
ومُنْتَهى البُلْدانِ أَنْثِيدُوْنا وقد أَتَوا في سُفُنٍ خَمْسينا
كلٌّ بها عِشْرُونَ شَهْماً ومِئَهْ من فِتْيَةٍ مُقْدِمةٍ مُلَبِّئَهْ (١)
وأَسْفَلِيذُوْنُ وأُرْخُوْمِـيْنُ مِنْ مِيْنُسٍ قَيْلُهُما يَلْمِيْنُ
كذا أَخوهُ عَسْقَلافُ جَهَّزَا فُلكاً ثلاثينَ عليها بَرَزَا
لآرس فَـرْعانِ بالخفـاءِ وَأَسْتِيُوخا الغادَةِ العَذْراءِ
بِقَصْرِ أَكْتُرَ بْنِ آزِيا هُما قد وُلِدا بعد القِرانِ لهما
من بَعْدِ أَنْ ساقَ أُشْتِدَادُ الحُبِّ لِخِدْرِها القاصي إِلاهَ الحَرْبِ (٢)

الله في كتاب نفرده للتراجم الهوميرية وحسبنا هنا ان نبين للمطالع اللبيب مواقع البلاد على خريطة ذيلنا بها هذا الفصل • وحيثما وجد اختلاف بين الاسماء القديمة والحديثة فقد اشرنا اليه

(١) لمـا كان قصد الشاعر تفصيل المقال عن جند الاغريق قبيلاً قبيلاً شرع كما رأيت في اول هذه الابيات فذكر البيوتيين واسماء قوادهم الخمسة ومدائنهم ووصف بعضها بصفات عُرفت بها توخينا ان لا نزيد فيها ولا ننقص منها شيئاً لضيق عبارة او ضرورة شعر • ثم انتهى بذكر عدد سفنهم فقال انها خمسون وفي كل منها مئة وعشرون فيكون مجموعهم ستة آلاف • وقد أضرب عن ذكر عدد المقاتلة في سائر السفن الا سفن فيلوكتيتس فقال ان في كل منها خمسين مقاتلاً • قال تيوكذيذس المؤرخ ان هوميروس قد اكتفى بذكر عدد المقاتلة في اكبر السفن واصغرها • فبناءً على هذا القول اذا أخذنا المعدل الوسط وهو خمسة وثمـانون (بين الخمسين والمئة والعشرين) وضربناه في مجموع السفن وهو الف ومئتان علمنا ان مجموع الجيش كان بالغاً مئة الف والفين

(٢) من أساطيرهم أن يلمين وعسقلاف زعيمي جند أسفليذون وأرخومين

وقومُ فُوْقيا بأَرْبَعِينا سَفِيْنَةً يُسْرى الْيُوْتِينا
جَمِيعُها سَوْداءُ فيها يرؤُسُ أَفسْتَرُوْفُوْسُ وإِسْخيذُيسُ
كلاهما أُبنا ذِي العُلى إِيْفِيتُس فَرْعِ نبُولِسْ قدأَتوا من دَوْلِس
ووعْرِ فَيْشُسٍ ومن فانوفَةِ وَقُدْسِ إِكْرِيسا وقِيْبارِيْسَةَ
وأَنمُوْرِيا وهِيمْبُوْلِس ومن قَفِيْسَ الساحلِ المقدَّس
وفِئَةٌ من نَهْرِ لِيْلايا أَتَتْ وغادَرَتْ ضِفافَهُ بما أُزدَهتْ

وقومُ لُقْرِيا بأَرْبَعِينا سَفِينَةً جاؤُا مُسَلَّحينا
بأَمرِ آياسَ بنِ وِيلا الفائقِ بِطَعْنِهِ كُلَّ سُرى الأَغارقِ
وَهوَ أَخُو الخِفَّةِ فِي الشُّجْعانِ لأْمَتُهُ دِرعٌ من الكَتَّانِ [1]
لكِنَّهُ لدى أَياسَ القَرْمِ إبْنِ تِلامُوْنَ صغيرُ الجسمِ
وجُنْدُهُ مِنْ قِيْنُسٍ أُوْفُنْطَةِ قَلْيارُسٍ بِيْسا ومن إِسْكَرْفَةِ
كذاكَ من تَرْفا ومن إِثْرُوْنُسِ على ضِفافِ نَهرِ بُوَّغْرِيُسِ

من بلاد مينوس كانا ولدي أريس إلاه الحرب اذ هام بحب أمهما استيوخا وهي عذراء فاقترن بها خفيةً واولدها الولدين المذكورين • وأبناء أريس وغيره من الآلهة ليسوا بالنزر القليل في شعر هوميروس وفي ذلك رمز الى تميزهم بصفة من الصفات كالبسالة في هذا الموضع

(١) درع الكتان كانت نسيجاً متيناً من الكتان يرجح انهم كانوا يطلونها بالقير أومادة نظيره ولعلها دلاص العرب وغيرهم من أمم المشرق • روى الابشيهي في المستطرف في قصة براز أبي الوليد بن فتحون مع العلج الرومي انه قال للمستعين الساعة اكفي المسلمين شره فلبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه الخ

وأَوجيا ذاتِ الرّياضِ المُؤْنِسَهْ ممّا وراءَ أَوْبيا المُقَدَّسَهْ
وجُنْـدُ أُوْبيـا بأَرْبَعينـا سَفِينـةً سَوْداءَ هُمْ آتونا
وهُمْ جميعاً عُصْبةُ الأَبانتـهْ ذَوي القُوَى المُجَرَّباتِ الثَّابتَهْ
مَوْطِنُهمْ هِسْتِيَةُ الكُرُوم والبلدِ المعمور في دِيوم
كذاكَ إِيرِتْرِيَةٌ وخَلْـكِسُ وفُرْضَـةٌ بَحَرِيَّـةٌ قرنْشُ
ومن كَرِسْـتةٍ ومن سـتيرا دانُوا الى أَمْرِ أَلِيفِنُوْرا
وَهْوَ ابنُ خَلْـكُوْدُوْنَ عالي الجَنْبِ أَميرهمْ من نَسْلِ رَبِّ الحَرْبِ
وهمْ ذَوُو الغدائرِ المُسْتَرْسِلهْ تَلَوْهُ بالبأْسِ وفَرْطِ العَجَلهْ (١)
يَبْغُونَ شَقَّ الصَّدْرِ بالدُّرُوعِ بأَسَـلٍ عاليـةِ الفُرُوعِ
وجَهَّزَتْ سَـفائنٌ خمسُـونا مَصْبُوغَةٌ سَوْداءُ من آثينا

(١) كانت عادة تلك الفئة من الاغريق أن تقاتل صدراً لصدر بالرماح وان يرسل أبطالهم شعورهم على كواهلهم من الوراء ويقصّوا النواصي من الامام حتى لا تأخذهم بها الاعداء في الصراع • وفي ارسال الشعر على هذا الوجه نزعة الى اظهار البأس والشدة اذ لم يكن من شيمهم أن يولُّوا ظهورهم لعدو فيمكنوه من القبض على نواصيهم • تلك عادة جرى عليها العرب في جاهليتهم وظلت في البدو بعد الاسلام حتى أيامنا هذه شهدناها في كثير من القبائل

على ان بدو العرب الآن يطلقون في الغالب كل شعر الرأس ويضفرونه غدائر يسمونها قصائب يرسلونها وراء ظهورهم فاذا اقدموا على الكفاح حلُّوها وأطاروها فوق روؤوسهم فتنتشر على هاماتهم كالرايات يعتزُّون بها ويتنافسون • وكأن في طيرانها فوق روؤوسهم محمّساً يستفزهم للبطش وتكرار الكرة • وفي هذا المعنى يقول أحد شعرائهم

ساق الكحيلا والبناتْ تصيحْ فِلّ القصايبْ واطعن الفرسانْ

أَلموطنِ البهيّ لأبنِ الأَرْضِ مُريدِ آثينا وصافي العِرْضِ [1]
رَبيبها المَأْثُورِ إِيرِخْثَاوُسِ في الهَيْكَلِ المعْمُورِ بالنَّفائسِ
حَيثُ بحَوْلِ الحوْلِ فِتْيانُهُمُ حُبًّا بها يُذْبَحُ قُرْبانُهُمُ
يَرْؤُسها أَمْهَرُ هادٍ يَهْدِي يومَ النِّزالِ عجَلاتِ الجُنْدِ
ويَنْظِمُ القومَ ذوي التُّرُوسِ وهوَ منسْتسُ بْنُ فِيتيُوسِ
لم يحْكِهِ من دون نَسْطُورَ أَحَدْ بل فاقهُ نَسْطُورُ سِنًّا وأَنفَرَدْ
وجُهِّزَت مَراكِبٌ إِثْنا عَشَرْ فيها أَياسُ بْنُ تلامونَ أَمَرْ
وقد أَتَتْ في قومِ سالامينا وَوَليتْ فُلْكَ الأَثينيّينا
وجُنْدُ أَرْغُسْ ماسسٍ إِيُّونا وأَترزينا ثمَّ هرميُّونا
كذا ترِنْثا البلدةِ المُسوَّرَهْ وآفذُورَةَ الكُرُومِ النَّضِرَهْ
كذاكَ إِيجِينا وآسينا التي على خليجٍ قِدَماً شُيِّدَتِ
جَميعهمْ من فِتْيةِ اليُونانِ قيُولُهم ذِيُومذُ الطِعانِ
وإِستِنِيلُ بْنُ قَفانُوسَ الجَري كذاك أُرْيالُ بْنُ مِيكستَ السَّري
مِن نَسْبةٍ يُعزى لطالِيُونا وشِدَّةً يَحكي المُخَلَّدِينا
سُفْنُهم سُودٌ ثمانُونَ وَقَدْ ولَّوا ذِيُومذَ الأَميرَ المُعْتَمَدْ

(١) المراد بأثينا في هذا البيت الاهة الحكمة وفي البيت السابق البلد المشهور. وقد دعيت المدينة باسم الالاهة تبركاً . وبني لها فيها هيكل عظيم لا تزال آثارة قائمة . وكانوا يحتفلون كل عام بعيد عظيم يضحون لها فيه بالضحايا الكثيرة . وفي خرافاتهم انه لما القت الارض ايرخثاوس حملته أثينا الى ذلك الهيكل وعنيت بتربيته الى ان شب فحكم البلاد

ووافِدُو ميـكينيا البهيَّـهْ وأُرْنيـا قُورِنْثُس الغنيَّـهْ
وقَوْمُ هينمير يسـيا فَلْينـا ورَوْض آريثيريا إجْيُونا
والجُنْدُ من إكْلُونيا النَّفيسَهْ كذاكَ من دِيارِ غُونُويسَـهْ
وقُطْرِ هيلِيقَا وما قد جاوَرَهْ كذاكَ إغيالا البلادِ العامرَهْ
وأَرض سكيُونا التي فيها حَكَمْ أَذْرَسْتُ أَوَّلاً على تلكَ الأُمَمْ
جميعهُمْ جاؤُا على فُلْكٍ مِيَهْ بهمَّةٍ على الجميعِ مُرْبِيَـهْ
وهُمْ أَجلُّ القَوم بأْساً وعَدَدْ بهِمْ أَغامَمْنُونُ بالأَمر انْفَرَدْ (١)
قد ماس بالشِّـكَّةِ بافْتِخار لما حَوى من عِظَم اقْتِدار
بسفُنٍ سِتّين جُنْدُ مِيسهْ أَرْض الحَمام وكذا فَارِيسَهْ
ووَعْرِ لَقَدَمُونيـا العَمِيقَهْ كذا سُرى إسبَرْطَةَ الأَنيقَهْ
بَرِيْسيا كذا هِلوُس البَحْرِ وأُوْجيا ذاتِ ابْتِسام الثَّغْرِ
أَوْتِيلْيـا أَمِكْليـا ولاءَس دانت الى أَخيهِ مينِلاوُس
في عُزْلَةٍ يُهَيِّئُونَ العُدَّهْ ونَفْسُـهُ بَيْنَهُمْ مُشْتَدَّهْ
يَسْتَنْهِضُ الهِمّاتِ والحَمِيَّهْ للذَّبِّ عن هيلانة السَّنِيَّهْ (٢)

---

(١) لما كان أغا ممنون زعيم الزعماء كان يجدر به ان يكون قائد أعظم فرقة وابسلها وهكذا فالتناسب ظاهر في كل شعر هوميروس

(٢) مينلاوس أخو أغا ممنون كما لايخفى وزوج هيلانة التي من أجلها ثارت الحرب ولهذا جمل الشاعر في وصفه ووصف قومه تحرقاً لم يجعله في غيرهم لانهم انما كانوا قادمين للذبّ عن العرض والاخذ بالثار • ومن سواهم للنجدة وطلب الفخار

جيرينيا بطلها المشهورُ والفارسُ السامي النهى نسطورُ
سنمنهُ كبيرةٌ تسعينا كانت بها جاءَ معَ الباقينا
بقوم فيلوسَ وإيفيجينيا قيفارسٍ فتيليا آرينيا
وأرض مجرى أنفسٍ ثريونا وآفيا العظمى هلس ذريونا
حيثُ لنسلِ زفسٍ القيانِ ثاميرسٌ قد لاحَ باطمئنان
يعودُ من منزل أفريتيسَ من أوخاليا وغيظهنَّ مكتمن
لأنهُ ادَّعى بإحسان النَّغمْ أكثرَ منهنَّ ومن كلِّ الأُمَمْ
ضربنهُ بكيدهنَّ بالعمى ثم استلبنَ من حجاه النغما
أنسينهُ نمائسَ الأشعار ومهنةَ الضَّربِ على القيثار (١)

وقومُ أرقاديةَ الآتونا من لحفِ طودٍ أجدٍ كيلينا (٢)
بقربِ قبرِ أفتيسَ من فازوا حيثُ بدا يومَ الوغى البرازُ
وأهلُ أرخومينسٍ ذاتِ النَّعمْ كذا أنسفا حيثُ هبَّاتُ النَّسَمْ
وريفيا ستراتيا وفينيا كذاكَ إستمفالسٍ منتينيا
وتيجيا فرَّاسيا يقودُهمْ أغافنورُ أنكوسَ عميدُهمْ

---

(١) قد رمى الشاعر باثبات هذه الاحدوثة الى ثلثة مقاصد اولها ايراد حكاية مروية في زمانه • والثاني تفكهة القارىء بعد ان أطال في سرد الاعلام • والثالث أن يجعلها عبرة للغرور الفخور

(٢) الاجد القوي الشديد

وهُمْ صَنادِيدُ مُحَنَّكُونا جاؤُا على سَفائنٍ سَبْعِينا
أَرْسَلَها أترِيذُ عَوْناً لَهُمُ اذ جهِلُوا صِناعَةَ الفُلْكِ هُمُ (١)

ومَنْ بأَرْضِ وَلِيتْ هِرْمِيْنِيا أَلِيْسِيا والوَعْرَ في أُولِيْنِيا
بِثْرَاسِيا ثم ٱلالِيْذا الواسِعَهْ كذاكَ مِرْسِيْنُوْسَ تلكَ الشاسِعَهْ
كُلُّهُمُ مِن إِيْفِيا قد رَكِبا وقد أَعَدُّوا أَرْبَعِينَ مَرْكَبا
لِكُلِّ عَشْرَةٍ أَميرٌ يرؤسْ إِبنُ عَمارِنْقا الفتى ذِيُوْرِسُ
كذا ابنُ أَقْطِياطَ ثَلْفِيُوْسْ وأَمْفِماخُ الفارِسُ العَبُوسُ
إِبنُ أُرِيْتَ المُنْتَمِي لأَكْتُرْ كذا فُلِكْسِيْنُ الحقيقُ المُخْبَرْ
إِبنُ أَغَسْثِيْنَ بْنِ أَفْغِياسا ذي الطَّوْلِ والكُلُّ تسامى باسا

ومِيْجِسُ الذي أَتى مهزوما قِدْماً الى دِيارِ ذُوْلِخِيُوْما
غَيْظاً على أَبِيهِ فِيلاوُسَ مَنْ كانَ حبيبَ زَفْسَ في ماضي الزَّمَنْ
بأَرْبَعِينَ مَرْكَباً سَوْداءَ بِقَومٍ من يلي أَلِيْذا جاءَ
من جُزُرٍ قُدْسِيَّةِ الدِّيارِ قاصِيَةٍ في شاسِعِ البِحارِ
بإِيخِناذَةٍ غدَتْ مشهورَهْ وذُلْخِيُومَ البلدَةِ المعمورَهْ

ومن يُحاكي زَفسَ بالرَّأْيِ الأَغَرْ أُذِيسُ في مراكبٍ إِثني عشَرْ

(١) كانت مدائن ارقاديا بلاداً بَرّية بعيدة عن البحر فلم يكن لهن عمارة بحرية فامد أغاممنون قومها باسطول من عنده • وكان أغاممنون في زمنه أقوى الجميع عمارة لكثرة جزائره فولوه الزعامة لانه كان سلطان البحار في زمنهم كما هي انكلترا في زمننا هذا

من صَفْحَتَيها صُبِغَتْ بالأَحمرِ أَتى بها بما لَهُ من عَسكَرِ
من قوم إيتا كا وكِيْنالِيْنِيا ذات السُّرى البُهْمِ وإكْرُوكِيلِيا [1]
ومن أَغيْلِيْفا ومن زاكَنْثُسِ وعِبْرِها ونِيْرتُسْ وسامُسِ

وأَرْبَعونَ مَرْكباً سُوْداً أَتَتْ بقوم إيتُولِيَةِ مِمَّن حَوَتْ
من أُوْلنسْ ووَعْرِ كالِيْدُونا والثَّغْرِ خَلْكِيْسَ وإفْلُورُوْنا
كذاك من مُقاتلي فِيْلِيْنا زَعيمُهم ثُواسُ أَنْذِرْمونا
اذ وِيْنُسٌ ووَلْدُهُ الأَمجادُ ومِيْلِيْغِرُ كلُّهُمْ قد بادُوا [2]

وجُنْدُ إقْرِيْطِشَ ذاتِ المئةِ مَدينةٍ بإيْذُمِيْنَ أَتَتِ [3]
مَليكِهِمْ والطاعنِ الشَّديدِ كذاك مِرْيُونَ الفتى العَنيدِ
جاؤُا من المدائنِ الكِبارِ غُرْطِينَةَ المَتِينةِ الحصارِ
إِغْنُوْسةَ مِيْلِيْتُسٍ ولِكْتُسِ لِيْكَسْتُسٍ رِيْتِيَةٍ وفَسْتُسِ
وقومُهُمْ من سائرِ البلادِ على ثمانينَ أَتَوْا عِدادِ

وتِسعُ سُفْنٍ بجُنُودِ رُوْدُسِ من لِنْدُسٍ إيْلِيْسُسٍ كامِيْرُسِ
من كلِّ لَيْثٍ للوغى مُنْدَفِقِ قد قُسِموا الى ثلاثِ فِرَقِ

(١) البهم الابطال الاشداء
(٢) ميليغر هوابن وينيوس ملك كاليدونيا وألثيا ابنة تستيوس له قصة غريبة اوردها الشاعر في النشيد التاسع
(٣) اقريطش هي اكريت أوردناها هنا بلفظها الوارد في ابن خلدون وغيره من مؤرخي العرب

وأبنُ هِرَقْلَ قيلُها الكبيرُ أَطْلِبُوفُلِمُ الطاعنُ المشهورُ
وأَسْتِيُوخا أُمَّهُ من إيفرسْ سبى أبوهُ في ضفافِ سِلِّيسْ
لمَّا غزا مدائناً عظيمهْ فيها بنو زَفْسِ العُلى مقيمهْ
فظلَّ في صرحِ أبيهِ مُمْتَعا حتَّى إذا بعزْمهِ ترعرعا
خالَ أبيهِ لِكْمنيُوْسَ قتلْ وكانَ ذاكَ الشيخُ قاربَ الأَجلْ
ففرَّ من أَبْنائهِ وحفَدهْ بالبحْرِ في أتباعهِ وعُددِهْ
حتَّى اذا عانى مشقَّاتِ الأسى دفعهُ البحرُ لأرضِ رُوْدُسا
جعلَها ثلاثةً أقساماً بكلِّ قسمٍ فئةٌ أقاما
وَزَفْسُ ربُّ الخَلْقِ قسَّامُ القسمْ أَوْلاهمُ الوُدَّ وأَجْزَلَ النِعمْ

وفي ثلاثٍ ببني سيْما أَتى إبنُ شَرُوْفُسٍ وأغلايا الفتى
نيريُسُ أجملُ أهلِ الحملهْ إلَّا ابنَ فيلا القرْمَ عاليَ الهمَّهْ
لكنَّهُ طبْعاً ضعيفُ الباسِ ولم يكُنْ الا بنزْرِ النَّاسِ (١)

وفي ثلاثينَ ملا فيلبُّسِ وأَنْطفُوْسِ وَلَدَيْ تسَّالُسِ
مَن كانَ من رَهْطِ الهِرَقْليِّينا من جُزُرٍ كالدُّنيةِ آتُونا

---

(١) صرح الشاعر ان نيراوس او نيريوس اجمل الجند واصبحهم وجهاً ماخلا ابن فيلا اخيل. ولكن شتان بين جمالٍ في وجه ذى بأس صنديد وجمالٍ في وجه ذى عجز رعديد. وكأن الشاعر أنف من المقابلة بينهما فذكر نيريوس هنا مضطرًّا عند سرد أسماء الزعماء ثم اغفله في سائر انشاده (راجع صفحة ٢٧٠ من الشرح)

ونِيسِرُسْ إكرانْثُسْ كاسُوْسِ كذاكَ أرضِ أُوْرِفِيُاسْ كُوْسِ
تَتلُوهُمُ أَرْغُوْسَةُ الفَلاسِجَهْ بسفُنٍ خَمْسِينَ سارت هائجَهْ
قد عُرِفوا بأسمِ الهِلانِيّينا او مِرْمِدُوْنَ او أَخائِيّينا[1]
مَعْ أَهْلِ آلُوْفا وإِطْراخِيْنا وإِفْثِيا ثمَّ الأُلُوْسِيّينا
كذا هِلاسَ مَوْطِنِ الحسانِ زَعِيمُهُمْ آخِيلُ عالي الشَّانِ
قد غادَرَ الحربَ بما قد آلى فاَعتزَلُوا الكِفاحَ والنِّزالا
وظلَّ عندَ الفُلْكِ مُشْتَدَّ الأَرَقْ على بِرِيسا مُضْمِراً كُلَّ الحَنَقْ
وكانَ مِن لِرْنِيْسَةٍ سَباها بِشَرِّ حَرْبٍ عَمَّمَتْ بَلاها
ودَكَّ ثِيْبَةَ وفَرْعي إِيْنُسْ جَنْدَلَ مِيْنِيساً وإِيفِسْتِرُفُسْ
الباسِلَيْنِ من بني سِيلِفُسْ فظلَّ نائياً بذاكَ المَجْلِسِ
لكنَّهُ بُعَيدَ هذي المُدَّهْ يَنْهَضُ للحربِ بكُلِّ شِدَّهْ
بَنِي فِلاقا وفِراسا الخَضْرا قُدْسِ ذِمِيتِيْرا الرِياضِ الغَرَّا[2]
وجندَ إِفْتِيلُوْنَ ذاتِ الزَّهَرِ وأَنْتِرُوْنَ فوقَ جُرُفِ البَحْرِ
وأَهلَ إِيْتُوْنا الوَفِيرَةِ النِّعَمْ بأَرْبعينَ مَرْكَباً سُوداً نَظَمْ
إِفْرُوْطِسِيْلاسُ الفتى المِحْرابُ لكنَّهُ قد ضَمَّهُ التُّرابُ

(١) لم يكن اسم الهيلانيين لعهد هوميروس قد أطلق على جميع اليونان وانما كان يطلق على سكان أفثيا نسبة الى هيلانة ابنة ذُوْقَليون — لوبريفوست

(٢) ذيميتيرا الاهة الزراعة وهي سيريس الرومان وكأن فراسا لنضارتها دُعيت قدساً لها

وَهوَ ابنُ إِيفِكْلُوسَ صاحبِ الغَنَمْ ... إِبنِ فِلاخُسَ بنِ آرِيسَ النِّقَمْ
قد كانَ أَوَّلَ الصَّنادِيدِ الأُولى ... على العِدى انقَضُّوا فأَنمى الأَجَلا
وفي فِلاقا بيتُهُ لم يَكمُلِ ... وعِرسُهُ تَبكيهِ مِلْءَ المُقَلِ (١)
وجُندُهُ بفَرطِ حُزنِهِم لقد ... وَلَّوا فَذَرقِساً أَخاهُ المُعتَمَدْ
لكنَّهُ أَقلُّ حُسناً وكِبَرْ ... وإِن يَكُنْ مِمَّن بِبأْسِهِ اشتَهَرْ
وأَهلُ بِيبِيا وإِغْلامِيرا ... وهورِ بِيبِياسَ ثمَّ فِيرا
سُفنُهُم أَتَينَ إِحدى عشْرَهْ ... أَفمِيلُ أَذمِيتَ وليُّ الإِمرَهْ
وَهوَ ابنُ أَلْكِستِا مَجيدَةِ النِّسا ... أَجمَلِهِنَّ بناتِ فَلِيسا (٢)
بسبعِ فُلكٍ أَهلُ أُولِيزُونا ... ثُوماكِيا مِيلِيبِيا مِثُونا
زَعيمُها فِيلُكْتِتِيسُ النَّابِلُ ... كُلٌّ بخَمسينَ أَتَتْ تُناضِلُ
جَميعُهُمْ فاقوا بضَربِ النَّبْلِ ... لكنَّ مَولاهُمْ شَتيتُ الشَّمْلِ
يلقى بِلِمنُوسَ عَنا النَّكالِ ... مُلقًى بجَرحِ حيَّةٍ عُضالِ
وسَوفَ يَذكُرُونَهُ طرًّا على ... سُفنِهِمْ وهوَ يُقاسي العِلَلا

(١) يستفاد من قوله « بيته لم يكمل » إما انه أراد الظاهر من مفاد العبارة طبقاً لعادتهم في ذلك الزمن من بناء بيت عند الزواج • واما ان ذلك الفارس غادر امراته أيِّماً ولم يخلف ولداً — تقول العرب بنى على اهله وباهله اي عروسه اذا تزوجها واصله ان الداخل باهله كان يضرب عليها قبَّة ليلة دخوله بها فقيل للمتزوج يوم زواجه بانٍ ثم كثر نعم استعماله لكل ذي زوجة ولعل بنيان اليونان من هذا القبيل

(٢) ذكر الشاعر الكستا ام القائد افميل ولقبها بالمجيدة تعظيماً لما يؤثر عنها من حميد الخلال وتفانيها بحب زوجها اذميت حتى انها ماتت عن طيبة خاطر فداءً عنه

شتّى عليهم أمرهُ كثيرا لكنَّهم راموا لهم أميرا
لذاك ولَّوا أمرهم ميذونا إبن سفاح ويلس ورينا
وجندُ إترمكاوإيتوم الأصم أوخاليا حيث أريتُ قد حكم
بإمرة ابني أسقليب الآسي مخاوُن وفولذير الباس
أشهر من اتقن علم الطبِّ على ثلاثين جروا للحرب
وجيشُ أرمينا كذا أستيريا وأرض مجرى السَّيل في هيفيريا
وشامخ الطيطان مبيضّ القمم بأربعين مركبًا سودًا عزم
وأورفيل بينهم زعيمْ إبنُ أيمون الفتى العظيمُ
وجند أرغيسا وأولوسونا أرثا وغرتونا وإيليونا
فوليمتُ زعيمها ذو البأس إبنُ فريثوس سليل زفس
وهو ابنُ هيبوذاميا الحسناء قد وضعته وأبوهُ ناءِي
يقتصُّ من مردة القناطرهْ ويلتقيهم بالنبال الماطرهْ (١)
طردهم من أرض فيليونا الى شوامخ الأثيكيينا
لم ينفرد فوليفتُ بالأمر بل ليُنتُس أبن آرس معهُ استقل
إبنُ كرونٍ سليل كينا بسفنٍ سوداء أربعينا
وغونيس بجند كيفوس على مراكبَ اثنين وعشرين تلا

(١) القناطرة جمع قنطورس وهو شخص خرافي اثبتنا رسمه (ن١ص:٢٢٥) وللقناطره وقائع كثيرة مع البشر في اساطيرهم وسيأتي ذكرهم غير مرة .

بِفِتْيَةِ ٱلإِينانِ وٱلْمِرِيَهْ مما يلي دُودُونَةَ القَرِيَهْ
ومن رُبَى جدولِ طيطارسيس ذاكَ الذي ينصبُّ في فينيس
بموجه الفضي لا يمتزج اذ ذاك من لجّ الستكس يخرجُ
(من الستكسِ مثقلِ الأيمانِ) لذا طفا كالزيتِ للعيانِ (١)

ثمَّ فروثو بْنُ تنثريذونا بمن أتى من غابِ فيليونا
وجرفِ فيناوسَ من أهالي مغنيسيا بأربعينَ تالي
فهذه أماثلُ البلادِ وجملةُ الملوكِ والقوّادِ

قَيْنَةَ ٱلآنَ أنشديني وقولي من سما في تلك السُّرى والخيولِ (٢)

(١) معنى هذه الابيات الثلاثة ان جدول طيطارسيس ينصب في نهر فينيوس ولا يمتزج بمائه بل يطفو عليه كالزيت لأنه (أي طيطارسيس) فرع من الستكس — ويستفاد من هذا الكلام ان الستكس نهر الجحيم من أنهر بلاد ثساليا كطيطارسيس مع انه لم يعلم قط بوجود نهر بهذا الاسم في تلك البلاد فيرجح اذاً في الظن أنهم كانوا يعتقدون ان طيطارسيس كان متصلاً بالستكس تحت الارض — واما وصفه الستكس بكونه مثقل الايمان فلأنه فضلاً عما كان له من الرهبة في قلوب البشر كان ارباب السماء انفسهم يعظمون الاقسام به ويتقونها

(٢) لما فرغ من تعداد السفن والجيوش أراد أن يستطرد الى التنويه باعظم الابطال واكرم الخيل فاستنشد ربة الشعر كجاري عادته — ولقد يعجب المطالع العريق في الحضارة لجمع الشاعر بين الانسان والحيوان اي بين الفرس والفارس كما فعل هنا . على ان الأمم باحوال ذلك الزمان ينكر على شاعرها ان لا يفعل ذلك . وعندنا حتى اليوم في بادية العرب شاهد محسوس على ما تقدم فالفرس في البادية روح الفارس وقد يتخلى البدوي عن زوجه وولده ويضن بفرسه لانه عونه على قضاء الحاجات ورفيقه في الغزوات وملاذه عند اشتداد الازمات

أَجْوَدُ الخَيْلِ عِنْدَهُمْ تِلْكَ احْجَا رُ لَدى اُبْنِ اُبْنِ فِيرِسَ أَفْمِيل
قد تَساوَتْ قدًّا وسنًّا ولونًا وجرتْ كالطيور فوقَ الطُّلُول
في رُبى فِيرِيا أفلُونُ رَبَّا ها لِنشر الهَوْلِ الرَّهِيبِ الوَبِيلِ
وأشدُّ الأَبطال بأْساً أَياسُ بْـ نُ تِلامونَ بعدَ بأْسِ أَخيلِ
فابْنُ فِيلا قد فاقهُ بكثير ومنَ الخيْلِ حازَ كُلَّ أَصيلِ
ظَلَّ ما بينَ فُلكِهِ فاكرًا في كَيدِ أَتْرِيذَ لأُرْتِواءِ الغَليلِ
وذَوُوهُ الكُراتِ يرْمُونَ والمِزْ راقَ والنَّبلَ فوقَ جُرْفٍ طَويلِ
بِعِجالٍ قد سُتِّرَتْ في خيامٍ وخُيُولٍ في الحَنْدَقُوقِ الجزِيلِ
ورُؤُوسُ الأَجْنادِ تاهُوا شَتاتاً غيرَ مُلْفِينَ للوَغى من سَبِيلِ
كَفَّ مَوْلاهُمُ وزَحْفُ سِواهُ أَثْقلاهُمْ بكُلِّ حُزْنٍ ثَقيلِ (١)

وسترى في ما يلي من شعر هوميروس ماكان للفرس من علو المنزلة عند اليونان حتى لقد نراه في مقام الصديق الحميم يجذل لطرب صاحبه ويتفجع لأساه ويستبسل في سبيل انقاذه • وزد على هذا انه قد أنطقه بلسان البشر وساواه بعليَّة الناس بان جعل منه فئةً من نسل الارباب أنزل عليها شيئاً من أنباء الغيب

(١) قد صوّر الشاعر في الابيات الخمسة الاخيرة أخيل وجنوده وزعماء جيشه بصورة شائقة فجعله معتزلاً ومستغرقاً في هاجسه حنقاً ناقماً على أغاممنون • وجنوده وهم معتزلو الكفاح لاهون بالالعاب الحربية التي يتأسى بها الجندي الباسل اذا تعذر عليه خوض معامع القتال وهو يصبو اليها • ولم يفته أن يذكر العجال المسترة في ظل الخيام والصافنات الجياد الراتعات في مراعي الحندقوق النضرة • وأبدع من هذا كله وصف رؤساء الجند واشتداد الاسى بهم لانهم وهم أبناء الوغى باتوا « غير ملفين للوغى من سبيلِ » فتاهوا شتاتاً في ذلك الفضاء لاتطربهم العاب الجند كانهم

وكأَنَّ السهُولَ طارَتْ شِراراً　　بمَسيرِ الإغريقِ فَوقَ السهُولِ [1]
رَجَّتِ الأَرضُ تحْتَ وقْعِ خُطاهمْ　　رَجَّ آريمَ يومَ هَوْلٍ مَهُولِ
عِندَ ما زَفْسُ بالصَّواعِقِ يَرْمي　　غاضِباً قَبْرَ تيفُسَ المَقْتُولِ [2]

قَومُ طرْوادَةٍ شُيُوخٌ وفِتْيا　　نٌ بِشُوراهمُ ببَحْثٍ جَليلِ [3]
تَحتَ أَبْوابِ قَصرِ فِريامَ قامُوا　　وإذا بَغْتَةً بأَدْهى رَسُولِ
من لَدَى زَفْسَ بالبَلاغِ أَتَتْهمْ　　تَمْسُ إيرِيْسَ كالنَّسيمِ العَجُولِ

يترنمون بقول عنترة اذ يقول :

واسمعاني نغمة الاسـ　　ـياف حتى تطرباني
أطرب الاصوات عندي　　رنة السيف اليماني
وصليل الرمح في يو　　م طعانٍ او رهانِ

وقد تقدم لنا ذكر ما يماثل هذا المعنى من قول عنترة (ن ١ : ص ٢٣٩)

(١) قال يزيد بن مالك الغامدي

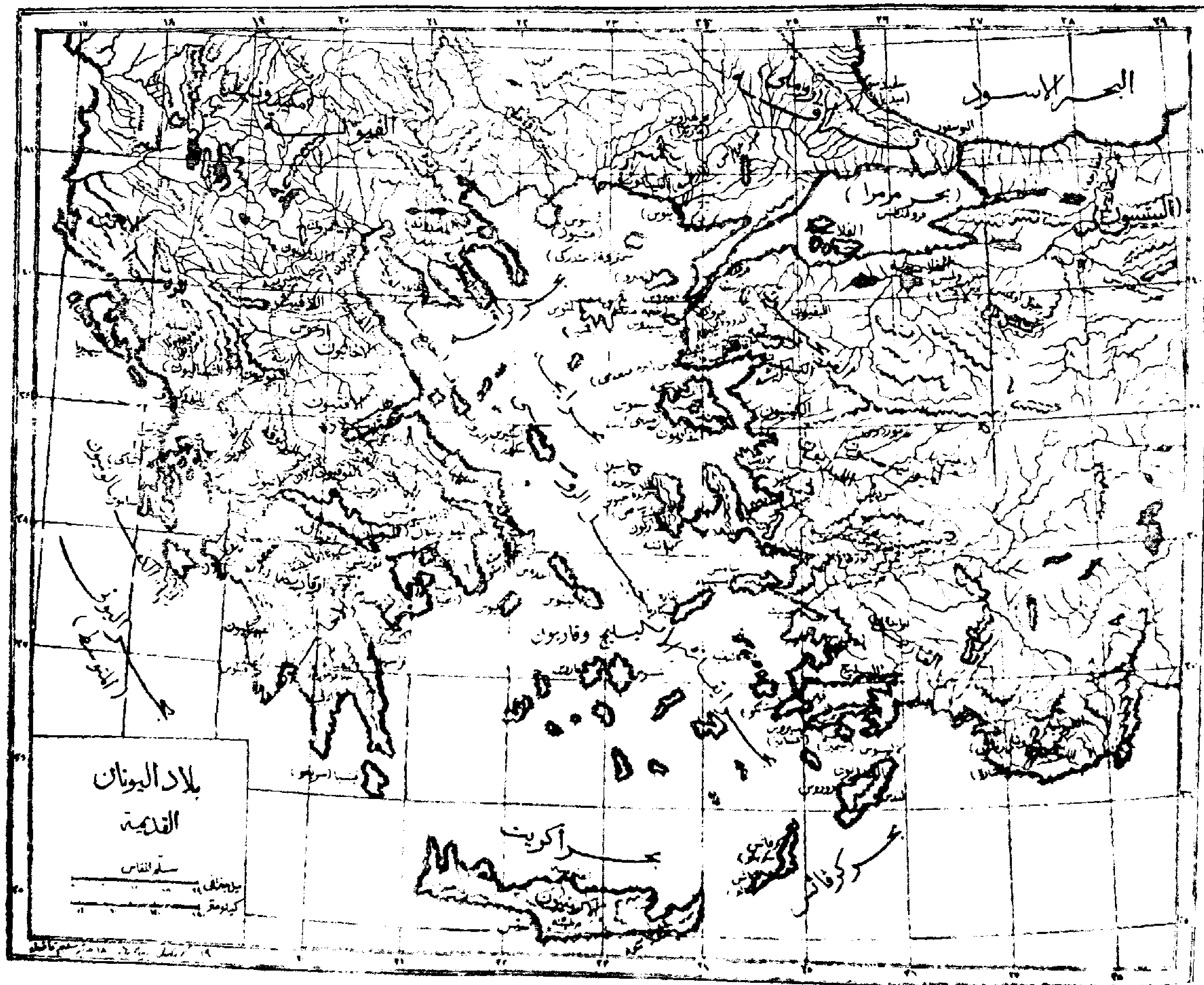
يثرن بسهل الارض مما يدسنهُ　　عجاجاً وبالحزّان نار الحباحب

(٢) تيفس هذا جبار أمه الارض وأبوه طيطان . قيل كان له مئة رأس وهو من الجبابرة الذين اعتصبوا على زفس . ولما اوقع بهم زفس نجا بنفسه ثم استأنف الكرة ففتك به زفس تحت صخور آريم المذكور في البيت السابق . وهو جبل في كيليكيا (من بر الاناطول)

وما أحسن قول عنترة في معنى هذه الابيات الثلاثة

وترى بها الرايات تخفق والقنا　　وترى العجاج كمثل بحر مزبدِ
وبوارق البيض الرقاق لوامعٌ　　في عارض مثل الغمام المرعدِ
وحوافر الخيل العتاق على الصفا　　مثل الصواعق في قفار الفدفدِ

(٣) بقي على الشاعر بعد ان وصف معسكر الاغريق أن يصف معسكر الطرواد ويأتي على تعداد قبائلهم نفعل كما سترى



بلاد اليونان
القديمة
سلم القياس
البحر الاسود
بحر مرمرا
بحر اكريت
بحر كرفاثى

وابْنُ فِرْيامَ فُواتٌ حارساً كا　نَ على قبرِ أيسْتِيسَ النَّبيلِ
رامةُ الشَّعْبِ راصداً ثمَّ يرعى　قومَ أرغوسَ خارجَ الأُسْطولِ (١)
ليُوافي مُخبِراً إنْ رأى أمْـ　ـراً خطيراً بعدْوهِ المكفولِ
شابَهَتْهُ صوتاً وشكلاً وقالت　لأبيهِ بأصدقِ التَّمثيلِ :
« ايُّها الشيخُ والحروبُ شِدادٌ　كمَصافٍ تلهو بِقالٍ وقيلِ
كم وَاجتُ الهيجاءَ لكنَّما أعْـ　ـداؤنا اليومَ ما لهمْ من مَثيلِ
هجموا كالرِّمالِ او وَرَقِ الأشْـ　ـجارِ هكطورُ هاكَ فاسمعْ مقولي
فَسرايا الأحلافِ عندكمُ مُخْـ　ـتلفاتٌ بألسُنٍ وعقولِ
فَلْيكتِبْ ذويهِ كلٌّ نزيلٍ　(ولكَ الأمرُ فوقَ كلِّ نزيلِ) »
فعلى الفورِ نصَّ هكطورُ جَمْعاً　ولذا الصوتِ لم يكنْ بجهولِ
هرعَ الجندُ للسلاحِ جميعاً　وجميعُ الأبوابِ تحتَ القُفُولِ
فتحوها ساعينَ بينَ عِجالٍ　ورجالٍ بينَ القنا والنُّصُولِ
زَعقاتٌ من دونهنَّ صديدٌ　بعجيجٍ وهيعةٍ وصهيلِ
وترامَوا بذلكَ السهلِ حتى　قُنَّةٍ شُرِّفتْ بمجدٍ أثيلِ
قد دعاها الأربابُ قبرَ مِرينٍ　والملا باتيا لجهلِ الأصولِ
ثمَّ هكطورُ قامَ ينظمهمْ يَـ　ـنَ أصيلٍ بقومهِ ودخيلِ
وعلى رأسهِ تَوَجَّ سناءً　خُوذَةٌ وهوَ صاحبُ التَّبجيلِ

(١) المراد بقوم أرغوس جميع اليونان كما تقدم

آلُ طُرْوَادَةٍ لَدَيْهِ أَقاموا لِضِرامِ الوَغى بِصبرٍ معوَّلِ
وَهمُ أَوفرُ القَبائِلِ عَدًّا وَاقْتِداراً أَشدُّ كُلِّ قَبيلِ

احلاف الطرواديين

وَآنِياسُ الدَرْدَنيِّينَ أَمرْ وَهوَابْنُ أَنْخيسَ أَخُوالذِّكرِالأَغرْ
وَأُمُّهُ الزُّهرَةُ المَجيدَهْ والتْ أَباهُ فَوقَ طور إِيدَهْ
وَلِيهُ ابْنَا أَنْطِنُورَ بالعمَلْ أَرْخِيلُخُ ثُمَّ أَكاماسُ البَطَلْ

وَمَنْ بِزيْليا بِحِفِّ إِيدَهْ في مُنْتَهى طرْوادَةَ الشَّديْدَهْ
من أَغنيا أَرض بها أَيسيفُسُ يَجْري أَتَوْا يأْمُرُهُمْ فَنْدَرُسُ
أَلنَّابِلُ الْأَرْدُ ابنُ لِيقاوُوْنا وقَوسُهُ من فضلِ أَفلُّونا

وسَاكِنُو أَذْرَسْتِيا وَفِيْتِيا وآفسا وشَامِخاتِ تِيرِيا
بِوَالدَي مِيْرُفْسَ من فَرْقُوْتِس أَمفْيسُ ثم الفتى أَذْرَسْتُس
وجاءَ أَمفْيسُ لِلطعانِ مُسْتَلْئِماً دِرْعاً منَ الكَتَّانِ
أَبُوهُما عن مُلْتقى الإِغْريقِ نَهاهما بعلمِهِ الحَقيقِ
لكنْ مَقاديرُ الرَّدى سقَتْهما لِذاكَ أَصْمَمْن لهُ أُذْنَيهما

وقَومُ فَرْقُوْتِسُ وَآبيذُوسا وَأَرْضِ إِفْرَقْتِيُم سَسْتُوسا
وقُدْسُ آرِسْبا التي سِلِّيسُ يجري بها أَميرُهُم آسِيُسُ

وَهُوَ ٱبْنُ هِرْطاقِسَ فوراً أبىّ   على جيادِ الخيلِ من آرِسبا

ومن لرِيْسا زُمَرُ الفلاسجهْ   طَعَنَةُ الرّماحِ جاءت عارجَهْ
بأَمْرِ فَرْعَيِ آرسَ ٱبنَي لِيثُسِ   طِفْطامَ هِيثُوتٍ كذا فيلاوُسِ (١)

وأَكَماسُ والفتى فِيرُوُسُ   قد قَدِما من حيثُ هِلسبُنْطُسُ (٢)
يُحِيطُ في قومِ التّراقيِّينا .   وأُوفمُوسُ بْنُ إِتريزينا
مُرِيدُ زَفسَ وٱبْنُ كَيَّسْ تالي   بقومِ كِيكُونيَةَ الأَبْطالِ

ثُمَّ فِرَخمسُ بالفِيُونيِّينا   حُذْبِ القسيّ قومِ آمِيْدُونا
حيثُ يُرى أَكسِيُسُ العَرِيضُ   في سفحِ هاتيكَ الرُّبى يَفيضُ

وفِيلمِينُ الشهمُ ذو البأْسِ الأَشدْ   بالبَفْلَغُونَةِ الأَنيتيّينَ جَـدْ
ذَوي البغالِ الشُّمسِ مِلْءَ البرِّ   وجيشُ سِيسامُوسَ معهم يَجري
وجُنـدُ أَغيـالَةَ والبهيّهْ   ضفافِ فرْثِينِيسَ الزّهيّهْ
كذاكَ إِكْرُمْنا وإِيرِيثِنُسِ .   وإِيفستُرُوفُ الفتى معْ أُدْيُسِ
بقومِ هالِيزُونَةَ القصيّةِ   من أَرضِ آلِيبا مقرِّ الفضّةِ

(١) ليثس مضاف الى طفطام وهيفوت بدل من ابني

(٢) في الالياذة أربعة أبطال باسم اكماس . واكماس المذكور في هذا البيت هو الذي يقتله اياس بن تلامون في النشيد السادس

وجاء بالميسةِ إخرُومِيسْ　　كذلكَ العرَّافُ أُونومُوسْ
وليسَ في عرافةِ الانباءِ لهْ　　نفعٌ يُرى إذْ سوفَ يلقى أجلَه
يا كِيذُ يلقاهُ وَوَسْطَ النهرِ　　دِماؤهُ بينَ الدِماءِ تَجْري (١)

وبالعريجةِ انبرى فُرْقيسْ　　كذلكَ الكاهنُ أسكينوسُ
من أرضِ أسكينيةٍ محوُلا　　كلاهما للحربِ صبرًا عِيلا

بوالدَيْ تاليمنِ انطيفس　　ومستلٍ من قومِ هوزِ غيغسِ
أتت جماهيرُ الميونيينا　　في سفحِ إتمولوس ناشئينا

وقاريا ذاتُ لسانِ البربرِ　　جاءتْ أهاليها وفودا تنبري
من طودِ إفثيرُوسَ جمّ الغابِ　　وشامخِ الديكالِ للسحابِ
وضئتي ميندرٍ ميلِيتُسِ　　بأمرِ أمفيماخسٍ ونستسِ
من نسلِ نميونَ وذاكَ الأوّلُ　　بحالِ النضارِ جاءَ يرفلُ
تبرُّجاً في ساحةِ الهيجاءِ　　لحمقهِ كالغادةِ العذراءِ
لكنْ ذا العسجدُ لا يقيهِ　　من بطشِ آخيلَ اذا يأتيهِ
يصرعهُ مجندلا بالنهرِ　　مستلبًا منهُ جزيلَ التبرِ

وغايةُ النجدةِ ليقيونا　　قد فزعوا بأمرِ سرفيدونا

(١) يا كيذ كنية أخيل أي ابن أياك وهو اسم جده . والمراد بالنهر نهر زنتس الذي طغى على أخيل وكاد يهلكه لو لم يغثه هيفست إلاه النار كما سيأتي في النشيد الحادي والعشرين

كذاكَ مَعْصومِ الحجى إِغْلُوْكُسِ من بُرَقٍ تُرْوَى بماءِ زَنْشُسِ (١)

(١) لم يذكر الشاعر ما يشير الى عدد الطرواد وحلفائهم كما ذكر ما اشار الى عدد الاغريق • ولكنه استدرك ذلك في آخر النشيد الثامن حيث قال ان نيرانهم بلغت الالف عدًّا وحول كل منها خمسون فمجموعهم اذاً خمسون الفاً



النشيد الثالث

براز منيلاوس وفاريس

مُجمَلهُ

تقدم الجيشان وكاد يلتحم القتال بينهما فاذا بفاريس برز من بين الطرواديين وطلب مبارزة أشد الاغريق بطشاً فبادر اليه منيلاوس يتحدم غيظاً . فأخذت فاريس الرعدة لمرآه وقفل راجعاً فتلقاه أخوه هكطور بالتقريع والتونيب فاشتدت عزيمة فاريس وطلب الى أخيه ان ينادي باعادة البراز على شريطة ان يتفق الفريقان على ان لا يبرز الى ساحة القتال الاَّ فاريس ونِدُّه منيلاوس فمن ظفر منهما احرز الغلبة لنفسه ولقومه واستأثر بهيلانة فتنتهي الحرب وتحقن الدماء ففعل هكطور ووافقه الاغريق . وكانت الربة ايريس ترقب حركات الجيش فاسرعت الى هيلانة بزي حبيبة لها واطلعتها على دخيلة الامر فبادرت هيلانة الى باب اسكية حيث لقيت الشيوخ فدُهشوا لجمالها واستطلعها الملك فريام طِلع زعماء العدو . ثم أتته الرسل تستقدمه من قِبل الجيشين فذهب مستصحباً أنطينور فتعاهدوا وتواثقوا على ان لا يُستأنف القتال بعد غلبة أي الخصمين . وانثنى فريام الشيخ راجعاً خشية من رؤية مشهد قد تدور الدائرة فيه على ابنه . فالتقى حينئذ الخصمان وكاد فاريس يخر قتيلاً لو لم تبادر الزهرة فتنقذه وتحمله سالماً الى صرحه حيث القته ونادت هيلانة تمتّع كلاً منهما برأى الآخر . فسخطت هيلانة عليه بادىء بدء ولكنها لم تلبث ان هاجتها الزهرة بهزة الغرام فانستها وانسته ما لقي من ذلة الانكسار — اما منيلاوس فظل يتقصى أثر فاريس ولما لم يظفر به نادى اغا ممنون بثبوت الظفر لاخيه وطلب انفاذ العهدة

كل وقائع هذا النشيد جرت كالنشيد السابق في اليوم الثالث والعشرين ومجراها في ساحة القتال ثم داخل طروادة

الهلسبنطس (الدردنيل) ساحة القتال وطروادة القديمة

كيلومتر

نقش سليم فاضل بمصر S. Fadel

النشيد الثالث

نَظمَ القُوَّادُ سُرى الجُنْدِ　　بحما الجَيْشَيْنِ على الحَدِّ
زَحفَ الطُرْوادةُ عن بُعدِ　　بِصَدِيدٍ عالٍ مُشْتَدِّ (١)
ودَويٍّ يَقصِفُ كالرَّعْدِ (٢)

(١) الصديد الصياح

(٢) مر بنا في أواخر النشيد الثاني ان كتائب الفريقين تكتبت متأهبة للقتال وافتتح الشاعر هذا النشيد بزحف كل فئة منهما على الاخرى • ولم يفته ان يصف كل فريق منهم بما أثر عنه من الاخلاق والعادات ومثّل بالمقابلة حالة الجيشين • فوصف الاغريق بالصمت والسكون كما سيأتي ووصف هنا الطرواد بالصديد الشديد فشف كلامه عن حقيقتين : احداهما ايثار قومه الاغريق على جماعة الطرواد • والثانية اثبات الفرق بين أمة مبرّزة في زمنها على ما جاورها من الامم فاستتب نظام الجند عندها وتآلفت عناصرها وان كانت في الاصل مختلفة كأمة الاغريق • وأمة اخرى ملتفة من شذاذ العشائر لم تبلغ من الحضارة مبلغاً يذكر كالقبائل المتألبة لنجدة الطرواد • ويؤيد هذا القول ما رواه قدماء مؤرخي اليونان من ذمّ الجلبة في الحروب وقولهم ان ذلك انما كان شأن البرابرة • على ان البعض يزعمون ان المراد بالصديد هنا ربما كان قرع الطبول أو نفخ الابواق لان النقر على الآلات والعزف بها استنفاراً للمقاتلة أمر قديم في كل الملل • الاّ انه لو كان هذا الزعم صحيحاً لما اغفل هوميروس في شعره ذكر الآلات الموسيقية ابّان القتال وهو كما علمت حريص على التنويه بما جل وما قلّ

ثم ان العزف والنفخ بآلات الطرب والاستنفار والضرب والنقر عليها وان كانت كلها أمور نشأت في اقدم العصور فقد لانرى لها أثراً في حروب بعض الامم كالعرب مع انها كانت شائعة بين مجاوريهم ومخالطيهم كالفرس واليهود • وذلك لان الشعر كان ولا يزال في بداوتهم اعظم مثير لعواطفهم يتغنّون به في غزواتهم فتجيش

كالرَّهْوِ إذا اشْتَدَّ المَطَرْ والقُرُّ مَوَاطِنَهُ يَذَرْ (١)
في الجَوِّ تَعجُّ لَهُ زُمَرْ فوقَ الأُقيانُس تَنتَشِرُ
للبَغْدة مُحكَمَةَ الحَشْدِ (٢)

فَيَعُمُّ الفَتْكُ بِحَمْلَتِها اما الإغْرِيقُ بِجُمْلَتِها
فَمَشَتْ بِثَقِيلِ سَكِينَتِها آلَتْ والنَفْسُ بِحِدَّتِها
تَتَعاضَدُ وارِيَةَ الزَّنْدِ

والسَّهْلَ طَوَوْهُ على الأثَرِ والقَسْطَلُ مِنْ عَجِّ الزُّمَرِ

همهم وينبعثون الى ساحة القتال ثملين بخمرة الحمية والاقدام • واذا اضفت الى ذلك اناشيد العذارى والامهات رايت انه اجتمع للبدوي من بواعث الاندفاع ما لا يعد دويّ الطبول ونغم الآلات بجانبه شيئاً — • ولهذا لبثت قبائل العرب بعد الاسلام تتغنى بالشعر في حروبها ولم تتخذ شيئاً من آلات الاعاجم في الحروب الا بعد ان انقضت دولة الخلفاء الراشدين ودولة بني امية فاخذ العباسيون فيما اخذوا عن العجم قرع الطبول والنفخ في الابواق

(١) القرّ البرد ويذر يترك

(٢) شبه الطرواد بزحفهم على الاعداء بطير الرهو المنتشرة في الجو وفي ذلك اشارة الى صياحهم من وجه والى انتظامهم من وجه آخر • لان تلك الطير اذا ارتفعت في الجو علا عرارها وسارت سيراً منتظماً • وفي قوله للبغمة اشارة الى اعتقادهم بوجود امة من الاقزام بهذا الاسم لايربو طول الواحد منها على ذراع كانوا يقولون بوجودها في بلاد أراقة • قال لوبريفوست يرجح في الظن انها انما كانت امة الفيخينة الاثيوبية لتشابه الاسمين ولان الفيخينين كانوا قصار القامات وتقصد الغرانيق بلادهم لتشتو فيها فيجتمعون عصابات عديدة ينفّرونها لتنجلي عن مواطنهم

قد أَضْحى حِجابَ البَصَرِ عن أَكْثَرَ مِنْ مَرْمى حَجَرِ
كَكَثيفِ ضَبابٍ مُرْبَدِّ
كَضَبابٍ نُوطُسُ قد نَشَرا في قُنَّةِ طَوْدٍ فاسْتَتَرا
ولِرُؤْيَتِهِ الرّاعي ذُعِرا لكِنَّ اللِّصَّ بهِ نَظَرا
خيرًا من لَيْلٍ مُسْوَدِّ (١)
جَدَّ الجَيْشانِ وقد هَرَعا حتى هَمَّا أَنْ يَجْتَمِعا
فإذا فاريسٌ قد طَلَعا وجَميلُ مُحَيّاهُ سَطَعا
وعَدا يَسْتَهْدِفُ للطَّرْدِ (٢)
يَخْتالُ بِحُسْنٍ جَبّاذِ بالقَوْسِ وسَيْفٍ جَذّاذِ
وبِهَرْوَةِ فَهْدٍ بَذّاذِ بيدَيهِ قَناتا فُولاذِ (٣)
يَتَقَدَّمُ مُسْتَبِقَ الوَفْدِ

(١) نوطس ريح الشمال كما تقدم • بعد ان ذكر في المخمس السابق انتشار الغبار من عج الزمر حتى بات كالضباب الذي يحجب النظر الى ما وراء مرمى حجر استطرد فشبه ذلك الغبار بالضباب الذي تنشره ريح الشمال على رؤوس الجبال • ثم تدافعت في مخيلته التصورات فوصف وهو يسوق الحديث سوقاً موجزاً معجزاً ما يكون لذلك الغبار من الهيبة في قلوب الرعاة لانه قد يحجب عنهم مرأى الضواري فتفاجئهم على غرةٍ منهم وما يكون من الجذل في قلوب اللصوص فيتذرعون بالتستر به الى نيل بغيتهم على حد قول الشاعر

مصائب قوم عند قوم فوائدُ

كل هذا بتصرف بديع لا يخفى على المطالع اللبيب

(٢) الطرد هنا الكر والقتال

(٣) الجباذ الجذاب والجذاذ القاطع والبذاذ الكاسر

وَيَسيرُ بِعُجْبِ المُخْتالِ يَدْعُو لِبِرازٍ قَتّالِ (١)
عُمَدَ الإِغْرِيقِ الأَبطالِ فرآه مَنيلا في الحالِ
فَبَدا يَتَهَلَّلُ بالرَّغْدِ

كاللَّيْثِ يُضَوِّرُهُ السَّغَبُ والظَّبْيُ لَدَيْهِ يَضْطَرِبُ
فَعلَيْهِ مُنْقَضًّا يَثِبُ ولَوِ القَنّاصُونَ اقْتَرَبُوا
بِضِراءٍ تُقْبِلُ للصَّدِّ (٢)

بالعُدَّةِ مِنْ أَعْلَى العَجَلَهْ بالشِّدَّةِ بادَرَ بالعَجَلَهْ
لا يَبْغي إِلاَّ أَنْ يَصِلَهْ يَقْتَصُّ لِجُرْمٍ قد فَعَلَهْ
ومَضَى يَتَوَقَّدُ بالحِقْدِ (٣)

(١) اذا التزم هوميروس ايثار صفة عن رجل باناشيده فانما يلتزمها فيها كلها تمييزاً له عمن سواه فترسخ في ذهن المطالع ايان تصوره. وما احسن ما وصف به فاريس في هذا المكان فاتى فيه بطباق لايخرج في شيء عن صفاته ففاريس كما علمت هو الذي سبى هيلانة على رضى منها ولا يحسن بمن كان سبّاءً للنساء خلاباً لعقولهنّ الاّ أن يوصف بالجمال والتأنق وحسن البزّة ولهذا لم يغفل هوميروس عن اظهاره بهذا المظهر حتى في موقف الحرب

(٢) الضراء جمع ضروة الكلاب ضريت للصيد

(٣) العجلة الاولى بمعني المركبة والثانية بمعنى السرعة — ان بين جند الاغريق أبطالاً أشد ساعداً وأقوى عزيمة من منيلاوس ولكن بروز منيلاوس لفاريس لم يكن منه بدٌّ لانه زوج هيلانة سبيّة فاريس وهو سداد في رويّة الشاعر عظيم بان افتتح القتال بين المتسبب في شبوب نيران الحرب والمطالب بالثأر. ولا غرو ان نرى هنا منيلاوس متحدماً غيظاً لرؤية عدوه الالد وثالب عرضه ومنقضاً عليه كالليث المتضور جوعاً فيتحفز للفتك بفريسته غير عابئ بما يقف في وجهه من ظبى الحراب وتألّب الرعاة والكلاب

نَظَرَ الإِسكَندَرُ وامتُقِعا فَنَجا لِمُعسكَرِهِ هَلَعا
كالغِرِّ لهُ فَوراً طَلَعا صِلٌّ في الغابِ قداً ندفعا
فيعودُ بِقلبٍ مُنهدِّ [1]
فأتاهُ هكطورُ يَجْري ويقولُ بطَرفٍ مُحمَرِّ :
« فاريسُ يا وجهَ الشَّرِّ يا زيرَ نِساءٍ مُغتَرِّ
بجمالٍ يَلهو بالوَجْدِ
يا ليتكَ عُمرَكَ لم تُولَدْ اومُتَّ وبُضْعُكَ لم يُعقَدْ [2]
ولَعِنْدِيَ خيرٌ أن يُلحَدْ خَوَّارُ العزمِ ولا يَنكَدْ
بِشَماتةِ أعداهُ اللُّدِّ
فَلَعَمْ أخايَ الشُّعرَ تَرى بِكَ هُزْءاً قَهقهةً إِذْ نَظَرا [3]

(١) قد يتبادر الى الذهن انه لم يكن يجدر بفارس كفاريس (الاسكندر) أن يبرز الى ساحة القتال ويستهدف للابطال ثم ما يلبث أن ينهزم لرؤية فارس ليس في عداد مغاويرهم • على انه يتضح للمتأمل ان الشاعر انما أتى حكمة اشار اليها اشارة خفية • فان فاريس لا يظهر في نشيد من اناشيد هوميروس بمظهر الجبان المهياب بل حيثما برز فهو من خيرة الابطال ويؤيد ذلك عوده بعد هنيهة لبراز منيلاوس كما سترى • اما هزيمته الان فقد فسرها الشاعر تفسيراً رمزياً بقوله انه فر فرار من يذعر لرؤية صل يفاجئه في الغاب • فبروز منيلاوس اليه ذكّره بلا ريب بما أتى من المنكر بسبي هيلانة وكأنه كان له من نفسه زاجر قوي فربكه في امره وثناه عن قتال رجل أحسن اليه فتلقى احسانه بالكفران

(٢) البضع العرس أو الزواج • يقول ليتك لم تولد قط او مت قبل ان يعقد لك على هيلانة

(٣) الشُعراي الطوال الشعر اشارة الى عادة الاغريق في اطلاق شعورهم

ظنُّوكَ لحُسْنِكَ لَيثَ شرى	فإذا بِكَ خوَّارٌ فُطِرا
بشعائرِ رعْديدٍ وَغْدِ

أَجمَعْتَ الصَّحْبَ مِنَ الوطَنِ	وطَوَيْتَ البحرَ على السُّفُنِ
وولَجْتَ بلاداً لم تَطِنِ	وسبَيْتَ فتاةً لم تُشَنِ
لأماثلَ أبطالٍ أُسْدِ

لِتُذِلَّ أباكَ وأوطانَكْ	والشَّعبَ وتكشفَ أهوانَكْ
وتَسُرَّ بجُبْنِكَ قد شانَكْ	قوماً عرفُوكَ وبهْتانَكْ
وبَلوْكَ على غيرِ العهْدِ

أَخَشيتَ منيلا القهَّارا	وعرفْتَ وأكثرْتَ العارا
لِمَنِ المَسْبِيَّةُ والثَّارا	مَنْ يَطْلُبُ مِنْكَ وقدْ ثارا
بجَنانٍ عزَّامٍ صَلْدِ

أفلا أثبَتَّ لهُ باسَكْ	في الحرْبِ فأَخمَدَ أنفاسَكْ
ورأَيْتَ العوْدَ ونبْراسَكْ	وشعُوراً قد زانَتْ راسَكْ
وهباتِ الزُّهْرَةِ لاتُجْدِي (١)

(١) يعيِّر هنا هكطور أخاه فاريس ضربهُ على العود وجمال شعره وصباحة محياه والمحاسن التي أودعتها فيه الزهرة الاهة الجمال . ومن أحسن تعاليق عقيلة داسيه على شعر هوميروس قولها في هذا الموضع انه يستحسن طول الشعر بين الاغريق والانشاد على نغم القيثارة بيد أخيل ويجعل هكطور يستهجن كلا الامرين في اخيه قال والسبب في هذا ان الاغريق انما كانوا يطلقون الشعر لارهاب العدو وفاريس

لَوْ لَمْ يَكُنِ الطُّرْوَادُ أُولِي　　جُبْنٍ لَكَسَوْكَ بِلا مَهَلِ
ثَوْباً مِنْ صَخْرٍ مُبْتَذَلِ　　لِوَبَالِكَ وَالخَطْبِ الجَلَلِ (١)
وَدَوَاهِي الأَرْزَاءِ الأُدِّ » (٢)

فَأَجَابَ أَخُوهُ ذُو المَدَدِ :　　« بِالحَقِّ نَطَقْتَ وَلَمْ تَزِدِ
لَكَ قَلْبٌ كَالصَّخْرِ الأَجَدِ　　وَبِصَدْرِكَ نَفْسُكَ لَمْ تَمِدِ
جَهْداً تَزْدَادُ عَلَى جَهْدِ

لاستلفات انظار الغيد الحسان • واخيل كان ينشد على نغم قيثارته قصص الابطال وفاريس يتلو اغاني العشاق فما كان من ثم محمدة عند الاغريق كان مذمة في فاريس بنظر هكطور

(١) قد اختلف الشراح في قوله (لكسوك ثوباً من صخر) فقال قوم انه يريد ان يقول لرجموك بالحجارة واعترض على هذا القول بانه لادليل على انهم كانوا يرجمون • وقال آخرون بل اراد ان يقول لقتلوك او لدفنوك لانهم كانوا يقيمون الحجارة على قبورهم ومهما يكن من هذا الاختلاف فالمراد انه تمنى له الموت تشفياً منه

(٢) هذا أول كلام نطق به هكطور في الالياذة وهو كلام يشف عن غيظ وانفة لابدع ان تكون في زعيم ذلك الجيش الباسل • وستراه في ما يلي في اكثر المواقع واحرج المواقف جامعاً بين اخلاق الجندي الفتاك والزعيم الحكيم والابن البر والزوج الرفيق والاب الشفيق حتى لقد ذهب البعض ان الاولى ان تسمى الالياذة باسمه لا باسم اليون قاعدة بلاده • فهو وحده في جيش الطرواد يماثل بصفاته كل ما حسن في زعماء جيش الاغريق لان لاولئك ملوكاً كثيرين اخذ هوميروس على نفسه ان يميز كلاً منهم ببعض صفات الرجال ليمثل للسامع اخلاق كبار النفوس على اختلافها • واما الطرواد فكأن هكطور يجمع فيهم بين كل هذه الخلال ولا عيب فيه الا انه يحارب في فئة معتدية وهو عيب يشفع فيه كونه سيق الى الحرب مكرهاً فاضطر الى الذود عن وطنه واهله

كالأفؤس تنفذُ في الخشبِ بذراعيْ قطّاع الحطبِ
وشّار الفلك المقتضبِ لقُواهُ تُضيفُ قُوى القُضُبِ (١)
بمجامع مصقُول الحدِّ

لكنْ ما اللومُ إذا الزُّهرهْ حبتِ الإحسانَ لمنْ ذخرهْ
فالرَّبُّ إذا أسدى غُررهْ لاخيرةَ في أمرٍ أمرهْ
فلنا الإذعانُ لما يُسْدي

وإذا ما رُمتَ ترى شاني قُلْ فليتخلَّ الجيشانِ
فأجولَ بهذا الميدانِ ومنيلا دُونَ الأقرانِ
والجيشُ حِراكاً لا يُبْدي

فأيّاتُكَ يحرزُ هيلانهْ وكُنُوزاً تبرزُ برْهانهْ
والكلُّ يُثقِّلُ أيمانهْ بوفاقٍ لا خللٌ شانهْ
والنَّصلُ يُردُّ الى الغمْدِ

يبقى الطرْوادةُ في الحُبِّ ببلادهم ذاتِ الخِصْبِ
يمضي الإغريقُ بلاحرْبِ لغواني آخاي الشُّنْبِ
وصوافنِ أرغُوسَ الجرْدِ » (٢)

---

(١) الوشار والاشّار النشّار ووشّار الفلك بمعنى بنّاء السفن لان العرب على سواحل بحر عمان وشط العرب يقولون حتى أيامنا وشر السفينة بمعنى بناها وان كان أصل الوشر بمعنى النشر ليس الا

(٢) كل كلمة من كلام فاريس تشف عن حقيقة حال الفتى الجامع بين الرقة

فاضَ هَكْطُورُ قَلْبُهُ بحُبُورٍ ... وتَدَنَّى لساحةِ المَيْدانِ

وبِمِزْراقِهِ أمالَ ذَويهِ ... وَقَفُوا بالوَقارِ والإِذْعانِ

وعلَيهِ الإغريقُ أمطَرَتِ النَّبْـ ... لَ وَوَبْلَ الحِجارِ مِثْلَ الدُّخانِ

صاحَ يَستَوقِفُ الجُمُوعَ أغامَمْـ ... نُونُ: «مَهْلاً يا عُصْبَةَ اليُونانِ

فَكَأَنِّي بَدا لِهَكْطُورَ أَمْرٌ ... يَرْتَأِيهِ لَنا عَلى الإعلانِ» (١)

سَكَنَ الجأْشُ قالَ هَكْطُورُ: «سَمْعاً ... لِمَقالي يا أَيُّها الجَيْشانِ (٢)

والتأدب الملازمين للعاشق وهو مع ذلك غير خلو من الهمة والاقدام اللذين لابد منهما لاسترضاء ربات الجمال • فان هكطور يتلقاه بالقول العنيف فيجيبه بالكلام اللطيف ويرد اعتراضه بدعة الاخ الاصغر وحذق العشاق الذين يبلغون مرادهم بعبارات مؤثرة مقنعة • ففي قوله انه لا لوم عليه بما خولته الزهرة من المواهب واستطراده بقوله لاخيرة في ذلك الامر دفع عن نفسه أولاً مثلبة أخيه وحجه ثانياً بانها هبات علوية تجب لها الرعاية والاحترام • وهناك هبّت بدالحمية فطاب وساطة هكطور بتخلي الجيشين عن القتال وبروزه نداً لقرنه منيلا كأنه تنبه الى ما فرط منه فاراد أن يتلافى ويكفر فيفتدي بلاده بنفسه ويرفع عنها اوزار الحرب وهو كلام كله غرر ودرر

(١) قابل الشاعر في هذه الابيات بين هكطور وأغاممنون فجعلهما بمنزلة واحدة كلاً في قومه فاثبت ماكان لهما من المكانة في قلوب الجميع • فان هكطور استوقف جماعته باشارة بمزراقه فوقفوا طوع أمره واندفع الى جيش الاغريق غير نابس بحرف طرباً بما لقي في أخيه من ثبوت الجاش فما أضاع ثانية بالجواب ولا ابتدر قومه بالخطاب فقال بصمته أقوالاً كثيرة • وأغاممنون أوعز بكلمات قلائل الى صحبه الملتهبين غيظاً على هكطور وآل بيته تصدهم عن الفتك به وهو قادم اليهم رسولاً لامقاتلاً ولم يكن من عادتهم انتهاك حرمة الرسل

(٢) لقد تساءل بعض الشراح عما اذا كان يمكن التفاهم بين تلك الامم

هاكُمُ ما فارِيسُ يُلقِي عَلَيْكُم ... وَهُوَ تَدْرُونَ أُسُّ هذا الهَوانِ
كُلُّكُمْ لِلْحَضِيضِ أَلْقُوا سِلاحاً ... وإلى الحَرْبِ يَبْرُزُ القِرْنانِ
هُوَ والباسِلُ العَزُومُ مَنِيلا ... عن جَمِيعِ الجُنُودِ يَقْتَتِلانِ
كُلُّ مَنْ فازَ مِنْهُما يُحْرِزُ الـ ... ـمالَ وهِيلانةَ بغَيْرِ طِعانِ
ويُوالِي الجَيْشانِ بالأَمْنِ والوِفْـ ... ـقِ لِطُولِ الزَّمانِ يَتَّحِدانِ »
صَمَتُوا جُمْلَةً فقالَ مَنِيلا ... بصُراخٍ عالٍ وثَبْتِ جَنانِ :
« فَلِيَ الآنَ سَمْعُكُمْ لَيْسَ مِنْكُمْ ... مَنْ يُعانِي بلَوْعَةٍ ما أُعانِي
بَيْنَ فارِيسَ ذا الخِصامُ وبَيْنِي ... قد دَهاكُمْ بِناجِعاتِ الزَّمانِ
هُوَ بادٍ ولِلْوَغَى أنا صادٍ ... إنَّما رُمْتُ كَفَّ حَرْبٍ عَوانِ
مَنْ يَسُقْهُ القَضاءُ لِلْحَتْفِ مِنَّا ... فَلْيَذُقْهُ وأَنْتُمْ بِأَمانِ (١)

المختلفة في هذا المقام فليس في انشاد هوميروس ذكر للمترجمين مع انه بعيد النظر دقيق الفكرة في كل ما أنشد فلم يكن من الممكن أن يغفل أمراً كهذا . والجواب انه لايبعد انهم كانوا يتفاهمون لان الطرواد على ماجاء في رواية ديونيسيوس كانوا اغريقيي المنشأ ومسقط رأس دردانوس ملكهم الاول في أرقادية وعندهم كثير من الاسماء اليونانية كهكطور وانخيسس واندروماخ واستياناس . ومهما يكن من صحة ذلك فالشعر يفترض التفاهم بين كل الناس حتى بين الارض والسماء . وليس بمستبعد ان يفهم زعماء القومين كلٌّ لسان الآخر لان كل فئة منهم كانت قبل الحرب كثيرة التردد على الفئة الاخرى . فان فاريس نزل ضيفاً على منيلاوس وسلفاء ذيوميذ وغلوكوس كانوا على توادّ وتحالف . وزد على ذلك ان بينهم قرابة ونسباً وبيعاً وشراءً وانه مر تسع سنوات ونيف على اقامة الاغريق على حصار اليون كل هذا مما يعد كل فريق منهم للالمام بلسان الفريق الآخر

(١) يشف كلام منيلاوس عن مكامن صدره ويمثله تمثيلاً ناطقاً فهو صاحب

ولِطُرْوادَةٍ بكَبْشَيْنِ يُؤتى　　　واحدٌ أَبيَضٌ وأَسْوَدُ ثاني
قُرْبَةً تُستباحُ للشَّمسِ والأرْ　　　ضِ ومنَّا كَبْشٌ لِربِّ المثاني (١)
ويُوافي المَلِيكُ فِرْيامُ بالنَّفْ　　　سِ لعقْدِ الوفاقِ في ذا المكانِ
فَبَنوهُ لا يَتَّقُونَ زِماماً　　　والتَّراخي طَبيعةُ الفِتيانِ
رُبَّما يَنْقُضُونَ مِيثاقَ زَفْسٍ　　　إِنَّما الشَّيخُ لا يُخيِّبُ الأماني
فَيُراعي الماضي ومُستَقبَلَ الأَمْـ　　　ـرِ لِيَلْقَى السَّلامةَ الطَّرَفانِ» (٢)

العرض المثلوب المستقتل لدرء العار والاخذ بالثار وهو البطل الدقيق الاحساس المتألبة جميع الجيوش لنجدته فلم يكن أولى منه بأن يندفع ويقول

من يذقهُ القضاءُ للحتف منا　　　فليذقهُ وأنتم بامانِ

ولما وطّن نفسه على أن يُقتل في الذود عن قومه والذود عن عرضه أو أن يقتل خصمه ويضع عن صحبه أوزار الحرب والاغتراب أراد أن يكون على ثقة وطمأنينة فاستطرد الى طلب ابرام عهدة محكمة تعقد بحضرة فريام الملك الشيخ ارتياحاً منه الي بر الشيوخ بعهادهم واستخفافاً بميثاق من أبنائه لانه لم يكن يأمن جانبهم • وكيف يأمن ومنهم الغادر به المنتهك حرمته

(١) كانت عادة الطرواد أن يضحوا بكبش أبيض للشمس وبشاة سوداء للارض ويتقون الكبش أبيض رمزاً الى النور والشمس عندهم الاهٌ ذكر يكنى بابي النور • واما الارض فهي ام البشر ومرضعتهم ولهذا يتقون لها شاة سوداء رمزاً الى التراب • وقد جعل تمة الضحية كبشاً ثالثاً من الاغريق لاحكام الوفاق • ورب المثاني أي القوات كناية عن زفس ومن جملة صفاته عندهم انه رب العهاد والضيافة

(٢) ما اكثر ما قال العرب جاهليهم ومولدهم بهذا المعنى أي ايثار الحكمة عن الشيوخ والطيش عن الشبان واليك أمثلة من ذلك

قال النابغة الذبياني :

على حين عاتبتُ المشيب على الصبا　　　فقلت ألمّا تصحُ والشيب وازعُ

سَرَّ هذا الحديثُ كُلَّ فريقٍ   رَغْبةً في أُدْراءِ ذا الحَدَثانِ

وقال المسيّب بن علس :

فرأيت ان الحلم مجتنب الصبى   وصحوت بعد تشوق ورُواعِ

وقال سُوَيد بن أبي كاهل اليشكري :

كيف يرجون سقاطي بعد ما   لاح في الرأس بياض وصلَعْ

وقال أعرابي :

ألا قالت الخنساء يوم لقيتها   كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبةً   تقنّع منها رأسه ما تقنّعا
فقلت لها لاتهزأي بي فقلّ ما   يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارح اليعبوب خير علالة   من الجزَع المجرى وابعد منزعا

وقال طريح الثقفي :

والشيب للحلماء من سفه الصبا   بدل تكون لهُ الفضيلة مقنعُ
ان الشباب له لذاذة جدّةٍ   والشيب منه في المغبة انفعُ

وقال ابو الحسن العكوّك :

وأرى الليالي ماطوت من قوتي   ردته في عظتي وفي افهامي

وقال العتبي :

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها   ان الشباب جنون برؤه الكبرُ

وقال الشريف الرضي :

وشيب الفتى صبح يبين عواره   ويرمق فيه بالعيوب وينظرُ
وان ضلالي في النهار لهجنة   وان ضلالي في دجى الليل اعذرُ

وقال ابو تمام :

فلا يؤرقك ايماض القتير به   فان ذاك ابتسام الرأي والادبِ

وقال ابن هاني :

ولخير عيش انت لابسه   عيش جنى ثمراته الكبَرُ

وقال الجلال السيوطي :

اما الشباب فظلمة للمهتدي   وبه ضلال الجاهل المتمردِ

فتدانوا بالمركبات وصفّوا عُدَدَ الحرب بالحضيض دواني
وإبريام أرسل الندبُ هكطو رُ بفيجين ثمَّ يستقدمان (١)
ويقودان ذبحهم وأغامم نون يبغي تتمة القربان
فلتلثيبوس أوعز فأجتا ز إلى فلكهم بغير توانِ
ولهيلانة تراءت إريس تبتغيها من قاصيات الجنان (٢)

هذا قليل من كثير أثبتناه مثالاً لغزارة مادة الشعر العربي في الحكم والمواعظ وحسب المطالع ان يتخذه شاهداً يكفينامؤونة هذا التوسع في امثاله من سائر المواضع

(١) بفيجين اي برسولين

(٢) ايريس رسولة الآلهة عامةً وزفس خاصةً وهي برأي بوزانياس مشتقة من كلمة (Ἔρις) ومعناها الشقاق والفتنة لانها كانت تحمل رسائل الحرب كما كان هرمس (عطارد) يحمل رسائل السلم

ان هوميروس هو الذي علم الكتبة والشعراء ان يتفننوا بكتاباتهم ترويضاً للفكر فينتقلون بالمطالع من باب الى آخر انتقالاً طبيعياً لا تملّ معه كتاباتهم . وها هو الآن قد انتقل بنا الى بحث من اسمى مباحث الياذته ألا وهو بروز هيلانة المسبية . ولقد يتوهم راوي تاريخ تلك الحرب انها انما كانت امرأة متصفة ببذاءة النفس والاستسلام للهوى الفاضح حتى يكاد يعجب لتلاحم امتين بسببها . ندفعاً لتلك المظانّ وزيادةً لخطورة ذلك الموقف قد ابرزها الشاعر بمظاهر يغتفر عندها ذنبها ويعظم قدرها بما فُطرت عليه من فرط الجمال وطيب الخلال فمثّل بها المرأة الجامعة بين كل مايدركه التصور من جمال الخلق والخُلق وهي مع ذلك لا يؤمن عليها من هفوة فضّاحة تلقي بها وبذويها الى وهدة المهالك القتّالة . ولا شك ان الشاعر وقف هنا في احرج المواقف حتى يتسنى له ان يحبب الى سامعه فتاة يقضي العقل بنبذها وتحقيرها ولهذا بالغ في وصف حسنها الفتان واطراها بكلام موجز نافذ كالسهم فقال

ليس بدعاً ان كان هذا سناها وعليها تلاحمت امتانِ

وتَزَيَّتْ بزيِّ أَجْمَلِ بِنْت ... لِحَميها بحُسْنِها الفتَّان
(لاوُذِيقا وزَوج هيليقَوُوْن ... فرْع أَنْطِينُوْرَ الرَّفِيع الشَّأن)
وَجدَتْها بالصَّرْح تَنْسِجُ ثَوْباً ... بحَوَاشِي البرفير والأُرْجُوان
وبرأْس الخِياطِ تَرْسُمُ فيه ... واقعاتٍ أَبْلَتْ بِهَا الفِئتان (١)
(قَوْمُ إِغْرِيقيا أُولواْلادْرُع الحُصْ ... دِ وطرْوَادَ أَصْلَب الفرُسان) (٢)
فتَفَانوْا بِهَا عَلَيْها وربُّ اا ... حَرْب أوْرَى زِنادَها للتَّفَانِي
قالَتِ :« أَلآنَ ياسَنا الحُوْرِ قُومي ... فتَرَيْنَ العُجَابَ مرْأَى العِيان
عِيْلَت الأُمَّتان لِلْحرْبِ صبْرًا ... كادَتا بالقتال تَشْتَبِكان
وهُمَا ألآنَ لانَكالَ وَلاَ حرْ ... بَ بِأَمْنٍ بالصَّمْت جالسَتان

وانطق بهذا الكلام كل شيخ هرم قوّض الدهر ظهره فما بالك بالفتى الغض الشباب • واودع فيها من الحذق ما جعلها ترسم وقائع الحرب بابرتها على نسيج رقيق وجعلها مثالاً لرقة العواطف متوجعة لما فرط منها تمنى الموت كفّارة وتجتنب الرجال عفة وطهارة •فتخرج متبرقعة وَجِلة كما قال الشنفري :

لقد أعجبتني لاسقوطاً قناعها ... اذا ما مشت ولا بذات تلفُّتِ

وهي تحن الى الاهل والاوطان وتذرف عبرات الشجي ودمع الحنان •وكأن الشاعر لم يكتف بكل ماسلف تخفيفاً من هفوتها نصوّر لمطالعه انها انما أتت ما أتت من المنكر مكرهة بالقضاء والقدر لامختارة تتولى أمر نفسها • وسترى في ما يلي عند ذكرها ما يكاد ينسيك انها الجانية في ذلك الشر المتسببة في تفاقم الامر

(١) قالت عقيلة داسيه ياحسْن ماتصور هوميروس بجعله هيلانة ترسم تاريخ الحرب على ذلك النسيج حتى لقد يخالج الفكر ان هوميروس ملك بالارث ذلك النسيج البديع فانشأ الياذته على صورته ومثاله

(٢) الحصد المُحكمة

بِقَنَاةٍ بِالأَرْضِ أَرْكَزَتَاهَا ... وَمِجَنٍّ عَلَيْهِ تَتَّكِئَانِ
بَيدَ أَنَّ الإِسْكَنْدَرَ الآنَ حَتْمًا ... وَمنيلا الى اللِّقَا يَبْرُزَانِ
مَن يَفُزْ أَنْتِ زَوْجُهُ وَمُنَاهُ ... وَعَلَيْكِ الرِّهَانُ كُلُّ الرِّهَانِ»
ثُمَّ أَذْكَتْ بِهَا حَنِينًا وَوَجْدًا ... لِمَنِيلا وَالأَهْلِ وَالأَوْطَانِ
بِاضْطِرَابٍ تَبَرْقَعَتْ بِنِقَابٍ ... نَاصِعٍ تَصْطَلِي لَظَى الأَشْجَانِ
مِنْ خِبَاهَا فِي الصَّرْحِ سَارَتْ وَأَهْمَتْ ... عَبَرَاتِ الشَّجِي وَدَمْعَ الحَنَانِ
وَلِيَتْهَا أَثْرَا ابْنَةُ الذَّبِّ فَتْثَا ... وَكَلِيمِينِيَا العُيُونُ الحِسَانِ
جِئْنَ أَبْوَابَ إِسْكِيَا حَيْثُ وَافَى ... رَهْطُ أَدْهَى الشُّيُوخِ وَالسُّلْطَانِ (١)
مَعْ فِرِيَامَ فَنْتُسٌ وَثِمِيتٌ ... مَعْ قَلِيطُوسَ لَمْفُسٍ هِيكِتَانِ
وَإِلَيْهِمْ أُوكَالِغُونُ وَأَنْطِيـ ... نُورُ كَنْزَا الحِجَى وَذُخْرَا البَيَانِ
فَكُرُورُ الأَيَّامِ أَوْلَتْهُمُ عَجـ ... زًا وَلَكِنْ حَزْمًا وَعَذْبَ لِسَانِ
فِي أَعَالِي مَشَارِفِ البُرْجِ قَامُوا ... يَرْتَأُونَ الآرَاءَ بِالتِّبْيَانِ
مِثْلَمَا فِي الغَابِ الصَّرَاصِرُ تُبْدِي ... بِخَفَاهَا صَرًّا رَقِيقَ المَغَانِي
أَبْصَرُوهَا فَقَالَ بَعْضٌ لِبَعْضٍ: ... «يَا لَطِيبِ الثَّنَا وَلُطْفِ المَعَانِي
لَيْسَ بِدْعًا إِنْ كَانَ هذَا سَنَاهَا ... وَعَلَيْهَا تَلَاحَمَتْ أُمَّتَانِ
بَرَزَتْ رَبَّةً بِوَجْهٍ صَبِيحٍ ... غَيْرَ أَنَّ البَلَاءَ بِالوَيْلِ دَانِي (٢)

(١) أبواب اسكيا هي أبواب مدينة اليون عاصمة الطرواد
(٢) لم يبق للشيوخ بعد ان تمادت بهم الدهشة لجمالها الا ان شبهوها

فَلْتَعُدْ للسَّفِينِ مِن ثَمَّ نُـكْفى ... وبَنِينا دَوَاهِيَ الخِذْلانِ »

فَدَعاها فِرْيامُ قالَ : « بِقُرْبِي ... إِجْلِسِي الآنَ يا ٱبْنَتِي بِائتِمانِي [1]

وَٱنْظُرِي فِي السَّرَاةِ أَوَّلَ بَعْـلٍ ... لَكِ قِدْماً وَسائِرَ الإِخْوَانِ

بالالاهات الخالدات ولو اعتقد أبو الطيب المتنبي اعتقادهم لقال قولهم ولم يقل

بدت قمراً وماست خوط بانٍ ... وفاحت عنبراً ورنت غزالا

وما أحسن قول الآخر بمعنى هوميروس

تقول اذا بدا ملكٌ كريم ... كساهُ الله هيكل آدميّ

واقرب من ذلك الى معنى هوميروس قول عنترة

سجدت تعظم ربها فتمايلت ... لجلالها أربابنا العظماء

وكأَنهم انتبهوا الى تماديهم في الشغف بالجمال وقد أخنى الدهر ضلوعهم وفطنوا للمخاطر المحدقة بهم من كل صوب فافاقوا من تلك الدهشة وهي لا تكون في الشيوخ الا هنيهةً فقالوا خير لنا أن نتخلى عنها ونكفى نحن وأبناؤنا شرها

(١) بعد ان غادر الشاعر فتيان الجند وكهولهم في المعسكرين لم يغفل عن ذكر الشيوخ الذين قضت عليهم الايام بالعجز فوضعهم كما تقدم في مشارف البرج يتطلعون بابصارهم وبصائرهم الى ما عسى أن ينجلي من وراء تلك الازمة . وقال انهم كانوا يرتأُون الاراء وشبههم بالصراصر التي تصرّ مختفية في الغاب . وهو تشبيه عابه عليه فريق من الشرّاح واعجب به الفريق الآخر . على انه يلوح للمتأمل في حالة الشيخ واحتجابه عن موقف النزال وارتياحه الى هرم نظيره يجاذبه اطراف الحديث انه تشبيه في محله فهو كالصرصر المتواري عن العيان يروقه صوته ويشعر بضعفه فلا يبرح مكانه اتقاءَ المخاطر — ثم تدرج الشاعر الى النطق بلسان فريام الملك فجعله يفوه بكلام تتجلى به حقيقة حاله فهيلانة كنته فخاطبها باللين والتؤدة وهوّن عليها مصابها باحالة جريرتها على القدر المحتوم وتوجع لمصابه . فلما آنس فيها الطمأنينة أخذ يسألها عن سراة القوم ترويحاً لنفسه وتأسياً بما يطرق فكره من سابق الذكرى . وهذه حقيقة حال الشيخ الشفيق والحم الوديع والمصاب بنغص العيش المتحمل مصابه بالورع والاستسلام والذي لا يزال على كبر سنه يتشوف الى استطلاع خفايا الامور

لَمْ تَكُونِي بالحقّ جانيةً بلْ قَدَرُ الأَرْبابِ العِظامِ الجاني
ذاكَ فوقَ الاغريقِ قدهالَ سخطاً وبوبلِ الوَبالِ قد أبلاني
أَخْبِريني مَنْ ذا الذي يَتراءَى لي اخا عِزَّةٍ وذا عُنْفُوانِ
بينَهمْ من أراهُ أَضخمَ جسماً منهُ لكنْ أَنَّى لِذا الحُسْنِ ثاني
لاحَ مِنْ فَرْطِ هيْبةٍ ووقارٍ لِيَ قَيْلاً مُوطَّدَ الأَرْكانِ »

أَجابَتْ وزادَتْ بالحيَاءِ تَجِلَّةً (وفي وَجْهِها لاحَتْ مِنَ البُؤْسِ أَكدارُ):
«لَدَيْكَ حَمِي المَحْبوبَ رُعْباً وحُرْمةً لِتُوجِلُني ناري ويُخجِلُني العارُ
أَلا ما طَلَبْتُ المَوْتَ لَمَّا بِإِثْرَتي نأَى الأَهْلُ والإِخوانُ والبِنْتُ والجارُ (١)
تَرَكْتُهُمُ واعتَضْتُ بِأُبْنِكَ عَنْهُمُ ودَمْعِي ما طالَتْ حَياتي مِدْرارُ (٢)
ومَهْما تَشَأْ فَاسْأَلْ أُلِبِّ مُطيعةً فَهذا أَغامِمْنونُ أَصْيَدُ قهارُ
مَليكٌ بأَحْوالِ السِّياسَةِ عارِفٌ عَزُومٌ بِصِمَّاءِ المَعامِعِ جَبّارُ (٣)

(١) بإرثي باختياري

(٢) ان في قيام فريام في اعالي البرج يتطلع الى الجنود المنتشرة في ذلك السهل لمشهداً من أجمل المشاهد حسب اللبيب أن يتصوره ولذلك نسج على منواله كثيرون من الشعراء ورسمه الرسامون وتفننوا فيه وأبدعوا اقتداءً بابي الشعراء — ولا يخفى ما في استهلال هيلانة من الرقة وما في توجعها من بواعث الرفق بها والتغاضي عن سابق خطأها

(٣) كان الاسكندر المكدوني المعروف بذي القرنين يردد هذا البيت تباعاً ويعتبره أبلغ بيت في منظومات هوميروس كلها ويتخذه منهجاً وشعاراً • قال أبو تمام :

لَقَدْ كُنْتُ بِالْإِعْزَازِ عِرْسَ شَقِيْقِهِ ولكنَّ ماضي الْحُكْمِ كَالحلمِ طيَّارُ»
فَأَحْدَقَ فِيهِ الشَّيْخُ يُعْظِمُ قَدْرَهُ وقالَ : أَلا كَم قد أطاعَتْكَ أَنْفَارُ
فَطُوبَاكَ أَنْعِمْ إِنَّ حظَّكَ وافِرٌ لأَسْمَى أعالي المَجْدِ ساقَتْكَ أقدارُ
شَخَصْتُ الى ذاتِ الكُرُومِ فَرِيجيـا وقِدْماً بها أُطْرا ومِغْدُونُ مِغْوارُ (١)
يَقُودَانِ أَحْصابَ الْفَيالِقِ نُزَّلاً بِجُدَّةِ سِنْغَارِيْسَ والجَيْشُ جَرَّارُ (٢)
صَحِبْتُهُمُ لَمَّا الأَمَازُوْنَةُ اعْتَدَتْ عليهِمْ بِبَأْسٍ لَمْ يُرَوِّعْهُ إِكْثَارُ (٣)
وَلَكِنَّهُمْ لم يَبْلُغُوا قطُّ عِدَّةً جُيُوشاً مِنَ الإِغْرِيقِ في إِثْرِنا ثارُوا»
وَمُشِيراً لِأُوْذِسٍ قالَ : « مَنْ ذَا دُوْنَ أَتْرِيْذَ لاحَ بِالْجُثْمَانِ
وَهْوَ أَوْفَى ظَهْراً وَأَوْسَعُ صَدْرًا وَيَخُوضُ الصُّفُوفَ كَالدِّهْقَانِ (٤)

ملكٌ له في كل يوم كريهة إقدام غِرٍّ واعتزام مجرَّبِ

(١) اطرا او اطراوس ملك الفريجيين واخو مغدون وايقاب امرأة فريام

(٢) سنغاريس نهر في فريجيا والجدة الشاطىء

(٣) الامازونة قوم من مقاتلة النساء اختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في شأنهنَّ زعموا انهنَّ اكتسحن بلاداً كثيرة وبلغن بفتوحاتهنَّ بلاد أشور وبنين عدة مدائن وفي جملتها افسس وأزمير • وكانت لهنَّ ملكات تدبر شؤونهنَّ وتقودهنَّ في الغزوات ومنهنَّ ثالستريس التي قابلت الاسكندر • قيل كنَّ يخالطن الرجال حتى اذا علقن منهم تركنهم فاذا ولدنَ استبقين البنات دون البنين • وكنَّ يحرقن ثديهن الايمن لئلاَّ يعوقهن في رماية النبال ولهذا سمين بالامازون (Αμαζων) ومعناها « بلا ثدي »

(٤) الدُّهقان والدِّهقان الرئيس معرب دِهكان بالفارسية ومعناها زعيم الفلاَّحين او شيخ القرية

عَنْهُ أَلقى سِلاحَهُ وبِهِمْ جا　　لَ مُطاعَ الإيعازِ والسُّلطان
مِثْلَ كَبْشٍ بَهِيّ صُوفٍ أَثيثٍ　　يتَسامى في أَبْيَضِ القُطْعانِ »



الامازُونة

أَجَابَتْ : « لِهَذَا أُوذِسُ بِدَهَائِهِ وإِيثَاكَةُ الصَّيْداءِ تِلْكَ لَهُ دارُ [1]
خَبِيرٌ على كُلِّ الأُمُورِ مُقَلَّبٌ لَهُ سَطَعَتْ مِنْ مُحْكَمِ الرَّأْيِ أَنْوارُ [2]
« نَعَمْ » قالَ أَنْطِينُورُ « حَقّاً صَدَقْتِنا لأُوذِسَ لَمْ يَبْرَحْ بِبالِيَ تَذْكارُ
أَتى وَمَنِيلا قَوْمَنا قَبْلُ مُرْسَلاً يَرَى ما لَنا فيما سَبَيْناكِ أَعْذارُ
وفي مَنْزِلِي بِالرُّحْبِ والأُنْسِ أُنْزِلا لِحَزْمِهِما عِنْدِي مَدَى الدَّهْرِ آثارُ
لَكَمْ قد أَفاضا بَيْنَنا في فَصَاحَةٍ إِذا دارَ لِلأَبْحاثِ والنُّطْقِ أَدْوارُ
مَنِيلا إِذا ما قامَ أَوسَعُ مَنْكِباً وأُوذِسُ إِنْ يَجْلِسْ وَقارٌ وإِبْرارُ
وَإِنْ خَطَبا يَجْرِي مَنِيلا مُبَيِّناً أَدِلَّتَهُ جَرْياً وما ثَمَّ إِضْمارُ
يَجُولُ على لُبِّ الحَدِيثِ مُجانِباً شُذُوذاً ومِصْداقَ الشَّواهِدِ يَخْتارُ
وَيَجْتَنِبُ الإِكْثارَ إِمّا كَراهةً وإِمّا لِرَعْيِ السِّنِّ يُلْجِيهِ إِجبارُ [3]
ولٰكِنَّ أُوذِسْ وَهْوَ أَرْشَدُ فِيهِما إِذا قامَ هَبَّتْ مِنْ مَعاطِفِهِ النّارُ
فَمَحْجَنُهُ لا يَلْتَوِي أَيَّ لَيَّةٍ وتُطْرِقُ مِنْهُ بِالتَّوَقُّدِ أَبْصارُ
تَخالُ فَتًى بِالخَطْبِ غَيْرَ مُحَنَّكٍ وشَطَّ بِهِ عَنْ مَنْهَجِ العَقْلِ تَيّارُ

---

(١) الصيداء الارض الغليظة وهي كلمة فينيقية وبها لقبت مدينة صيدا في سورية

(٢) قال الكميت :

لاينقض الامر الا ريث يبرمه ولا تعرّب الا حوله العربُ

وقال آخر : بصير باعقاب الامور كأنما تخاطبه في كل أمر عواقبه

وامثال ذلك كثيرة في شعر الجاهلية والاسلام

(٣) قوله واما لرعي السن يعني مراعاةً لاوذيس الذي هو اسن منه

ولكنْ إذا فاضَتْ منافثُ نُطقه وصوتٌ جَهيرٌ بالنّفائسِ زَخّارُ (١)
تناثَرَ منْ فيهِ النُّهى بَرَدًا همى (وسيْفُ حِجاه بالبلاغةِ بتّارُ) (٢)
يُقصِّرُ عنهُ كُلُّ نَدْبٍ فلا تَرى إذًا عَجَباً فالنُّطقُ للقدّ ستّارُ » (٣)

---

(١) قال اعرابي في الرشيد :

جهير الرواء جهير الكلام جهـير العطاس جهير النغم
ويخطو على الامر خطو الظليم ويعلو الرجال بخلق عمم

(٢) أشرنا في ما تقدم (ن ١ ص ٢٢٤) الى جري شعراء العرب مجرى هوميروس في تشبيه الكلام السهل المنسجم بالشهد وامثاله • واما فصاحة النطق وبلاغة التعبير فكثيراً ما يشبهونها بالدر والياقوت واشباههما كقول الصاحب بن عباد

فلو ان الفاظه جُسّمت لكانت عقود نحور الغواني

وقول عبد الله بن حامد الحامدي

اني أرى الفاظك الغرّا عطلت الكافور والدرّا

واحسن من هذين قول أبي اسحاق الصابي للوزير المهلبي

لك في المجالس منطق يشفي الجوى ويسوغ في اذن الاديب سلافهُ
فكأن لفظـك لؤلؤ متنخلٌ وكأنمـا آذانـنا أصـــدافهُ

وأما تشبيه الكلام بالبرَد المنهمر كما جاء في قول هوميروس فقلما نرى له مثيلاً في الشعر العربي • ولعل أقرب مثال له قول يزيد بن سياه الاصبهاني وقد أجاد

اذا ارتجل الخطاب بدا خليج بفيه يمـدّهُ بحر الكلامِ
كلام بل مـدام بل نظامٌ من الياقوت بل حببُ الغمامِ

وهذه الرقة وهذا التفنن في التعبير من مميزات شعر المولدين

(٣) لاشيء أجمل من هذه المقابلة بين أوذيس ومنيلاوس وقد تصرف الشاعر تصرفاً لطيفاً باصدارها عن انطينور لاعن هيلانة مع انها هي القائمة بارشاد فريام حميها الى معرفة الزعمـاء واوصافهم • على ان الشاعر كفاها هنا مؤونة الخجل الذي كان يأخذها لو اضطرها فريام الى الاشارة الى بعلها • اما أنطينور فلم يكن في اشارته الى منيلاوس محذور فوصفه وصف خبير كما تقدم واطرأ نصاحتهما على اختلاف

قالَ فِرْيامُ مُومِئاً لأَياسٍ : « وَأَخو الحُسْنِ ذا القَويُّ الجَنانِ
بِقُوَى مَنْكِبَيْهِ والهامَةِ الشَّمَّاء قَدْ فاقَ سائِرَ الأَقْرانِ »
فقالت: «أَياسُ حِصْنُهُمُ وَتُجاهَهُ إِذُومينُ في أَجْنادِ إِكْرِيتَ أَمّارُ
تَراهُ كَرَبٍّ قامَ في زُعَمائِها تُحيطُ به مِنْ نُخْبَةِ الصِّيدِ أَنْصارُ
وَكَمْ حَلَّ فينا قَبْلُ ضَيْفاً مُكَرَّماً وبَعْلي مَنِيلا مُكْرِمُ الضَّيْفِ مَيّارُ
وَهَا هُمْ جَميعاً سَلْ أُنَبِّئْكَ عَنْهُمُ لَدَيْكَ بَدا مِنْهُمْ عَميدونَ كُبّارُ
وَلكِنْ شَقيقَيَّ الوَدُودَيْنِ لا أَرَى هُما كَسْتُرُ الرَّوّاضُ إِنْشُقُّ مِضْمارُ (١)
وفُولُكْسُ صَرّاعُ كُلِّ مُصارِعِ أَمِنْ لَقْدَمُونَ لَمْ يَسيرا بِمَنْ ساروا
أَمِ احْتَجَبا في الفُلْكِ خَوْفَ تَعَرُّضٍ لِعارٍ لَهُ في مَسِّ عِرْضيَ أَوْزارُ؟» (٢)
وما عَلِمَتْ والأَرْضُ في وَطَنٍ خَلا تَضُمُّهُما والعُمْرُ كالطَّيْفِ مَرّارُ

المنهجين فاذا قرأت هذا الوصف علمت من ايجاز منيلاوس وجريه على تبيين أدلته بلا اضمار ولا اكثار انه الملك الرفيع النسب العلي الشان القليل الالتجاء الى الحيلة والدهاء • ورأيت من توقد ذهن أوذيس والتهاب عينيه ونفوذ بلاغته وتفوقه باساليب الحديث ماينبئك بدهائه ويدلك على حسن سياسته وقوة عارضته — وزاد الشاعر على وصفهما متكلمين وصفهما صامتين ففضل منيلاوس قائماً لاتساع منكبيه واوذيس جالساً لهيبته في القلوب ومدحه قائماً أيضاً وان كان في قامته قصر لان نفثات بلاغته تسد مسد ضخم الهامة وطول القامة

(١) الرواض أي رواض الخيل

(٢) كستور وفولكس المذكوران هما أخوا هيلانة لأمها لان أباها كان زفس واما أبوهما فكان تنداروس وأم الجميع ليذا وكانا قد هلكا ولم تعلم هيلانة بذلك — وفي ذكر هيلانة لاخويها مرميان أولهما التنويه بحنوها ورقة عاطفتها • والثاني

في السَّاعةِ عادَ الفيْجان حملا لثُبُوتِ الأَيمان
حملَيْنِ لذاكَ القُرْبَانِ معَ نَخْيٍ مُدامٍ مَلآن
مَصنُوعٍ من خيْرِ الجلْدِ
فتقدَّمَ إِذْيُوسُ السَّاعي بالكُوْبِ الصافي اللمَّاعِ
وكُؤُوسِ نُضارٍ سطَّاعِ فدَنا للشَّيْخِ المُلْتَاعِ
وَدعاهُ لإِبْرامِ العقْدِ
« يافرْعَ لوُوميذُوْنَ إِلى دار الهَيْجاءِ فقُمْ عجِلا
للعهْدِ دعتْكَ سُرى النُّبلا لتُضحّيَ فارِيسُ حملا
ومَنيلا منْ دُوْنِ الجُنْدِ
فالغالبُ يحْرزُ هيْلانَهْ وكُنُوزاً تبْرزُ بُرْهانَهْ
والكلُّ يُثقّلُ أَيمانَهْ بوفاقٍ لاخَلَلٌ شانَهْ
والنَّصْلُ يُردُّ الى الغمْدِ
يَبقى الطُّرْوادَةُ في الحُبِّ ببلادِهِم ذاتِ الخصْبِ
يمْضي الإِغريقُ بلاحرْبِ لغَواني آخايَ الشُّنْبِ
وَصوافِنِ أَرْغوسَ الجُرْدِ »

أستلفات النظر مرة اخرى الى ما كانت عليه من الخجل والوجل وضيق الصدر — وهنا انتقل بنا الشاعر الى مشهد جديد وهو قدوم الرسولين الى فريام بقرار الجيشين

تَفطَّرَ قَلْبُ فِرْيامٍ ولكِنْ　　أَشارَ بِشَدِّ مَرْكَبَةِ المَسيرِ
عَلاها والأَزِمَّةُ في يَدَيْهِ　　وجدَّ مُسارِعاً معَ أَنطنُور
فجازا بابَ إِسْكيةٍ وجدَّا　　بِذاكَ السَّهْلِ في جِهْدِ المُغيرِ
ولمَّا بُلِّغا لِمُعَسْكَرِيهِمْ　　بها نَزَلا على الرَّوْضِ النَّضيرِ
وراحا بَيْنَ صَفَّيْهِمْ وكُلٌّ　　يَرُومُ هُناكَ إِجْلالَ الأَميرِ
وَأَتْرِيذٌ وأُوذِسُ في وَقارٍ　　وقدْ نَهَضا لَدى المَلِكِ الوَقورِ (١)
فأَحْضَرَتِ النَّميوجُ الذِبْحَ عَهْداً　　على المِيثاقِ في تلكَ الثُّغورِ
وَصبُّوافوْقَ أَيْدِي الصيدِ ماءً　　وَقد عَمَدُوا الى مَزْجِ الخُمُورِ
نَضى أَتْرِيذُ مِشْمَلَهُ المُدَلَّى　　بِعُرْوَةِ غِمْدِ قِرْضابٍ كَبيرِ (٢)
وجزَّ الصُّوفَ عن رَأْسِ الضَّحايا　　فَوَزَّعَ بَيْنَ أَقْيالٍ حُضُورِ

(١) القيام للقادم تعظيماً واجلالاً عادة مرعية منذ القدم . واما قول الاعشى
ولمـا أتانا بعيدالكرى　　سجدنا له ورفعنا العمارا
فقد يمكن أن يكون المراد من السجود فيه الانحناء سواء كان المنحني قائماً او قاعداً جرياً على عادة الفرس او الركوع وهو من الغرابة بمكان او القيام لان السجود ورد في اللغة أيضاً بمعنى الانتصاب . وفي هذا البيت موضع أشكال آخر بقوله « رفعنا العمارا » فرفع العمار بلا ريب من علائم التجلّة والاكرام فبقي النظر في معنى العمار وله في اللغة معان اشهرها الريحان الذي تزّين به مجالس الشراب وكان الفرس اذا دخل عليهم داخل رفعوا شيئاً منه وحيوه به . واذا كان العمار هنا جمع عمارة بمعنى العمامة كان المراد انهم كانوا يكشفون رؤوسهم فيكون العرب قد سبقوا الافرنج الى رفع القبعة للتحية . وعندنا الاولى أن يراد بالعمار الريحان ومنه قول النابغة الذبياني:
رِقاق النعال طيّبٌ حجزاتهم　　يحيّون بالرّيحان يوم السباسبِ
(٢) نضى بمعنى انتضى والمشمل السيف القصير والقرضاب السيف مطلقاً .

ومَـدَّ يَدَيْهِ لِلْعَلْيـاءِ يَدْعُو … على لَهَفٍ دُعاءَ ٱلْمُسْتَجيرِ :

« الا أأَبا علا في شُمّ إيذا … وَلِيَّ المَجْدِ والشَّرَفِ الخطيرِ

ويا شَمْساً عَلِيْمَةَ كُلِّ فِعْلٍ … ويا ذِي الأَرْضُ يا كُلَّ النُهُورِ

ويا مَنْ كُلُّ حنَاَّثٍ لَدَيْهِمْ … يُضَرَّمُ بالمَماتِ لَظى السَّعيرِ

عَلَيْنا فاَشْهَدُنَّ وذاكَ عَهْدٌ … عَقَـدْناهُ ولم يكُ عَهْدَ زُورِ

إذا فارِيسُ فازَ عَلى مَنيلا … وأَرْداهُ بِنَصْـلِهِ الشَّـهيرِ

لَهُ هِيـلانَةٌ تَبْـقَى وما في … خَزائِنها مِنَ المالِ الكَثيرِ

ونَحْنُ وفُلْـكُنا هذِي سِراعاً … نَعُودُ بها على لُجَجِ البُحُورِ

وإنْ فارِيسُ جَنْـدَلَهُ مَنِيلا … إلَيْنـا يُرْجِعانِ بلا فُتُورِ

ونُعْطَى جِـزْيَةً تَبْقَى فِخـارًا … بِذِكْراها لَنـا أَبَدَ الدُّهُورِ

وإنْ نَكَلُوا فَلَنْ أَجْتازَ حتى … أَفُوزَ بِمُنْتَهى أَرَبي المَسيرِ »

وَوَارى النَّصْلَ في عُنُقِ الضَّحايا … فراحَتْ تَقْشَعِرُّ بلا شُعُورِ

وتَخْبِطُ خافِقاتٍ في دِماهـا … وقامُوا بالقِداحِ الى العَصيرِ

أَراقُـوهـا مُطَفَّحَـةً وكُلٌّ … مِنَ القَوْمَيْنِ يَهْتِفُ بالزَّفيرِ : (١)

(١) شرح لنا الشاعر في ما تقدم طريقة تعاقدهم وتعاهدهم واتخذ منها وسيلة أخرى لبث روح الورع ووجوب استمداد الغوث الالهي فهم يضحون ويدعون وكل فئة واثقة بما عندها من صدق الايمان • تلك كانت سنتهم في ذلك الزمان وشعائر الدين في ابانها — وقد كانت للعرب طرائق في تحالفهم تقرب من هذه صورةً وشكلاً ولكنها تخالفها معنى وحقيقةً اذ كانت عرى الدين عندهم منحلة ولم تشتد الا بالاسلام بعد انقضاء زمن الجاهلية • واما قبل ذلك فكانوا اذا دعوا

« أَيا زَفْسُ العَظِيمَ وكُلَّ رَبٍ　　أَبيدُوا كُلَّ حَنَّاثٍ غَرُورِ
يُراقُ دِماغُهُ وبَنِيهِ طرًّا　　إراقَتَنا لذا الرَّاحِ الغَزِيرِ
ويَمْلِكُ عِرْسَهُ بَعْلٌ غَرِيبٌ »　　ولكِنْ زَفْسُ لَمْ يَكُ بالنَّصِيرِ
وصاحَ يَقُولُ فِرْيامُ : « فها قَدْ　　عَزَمْتُ على التَّحجُّبِ ضِمْنَ سُورِي (١)
لَئِنْ أَشْهَدْ بِرازَ حَلِيفِ رُوحِي　　تَفَطَّرَ بي حَشَى قَلْبي الكَسِيرِ

او ضحّوا مرّوا على الامرين مرور المضطر بحكم العادة المقتبسة • وانّا موردون أمثلة ثلاثة من حلف المطيبين ولعقة الدم ملخصة من التواريخ العربية• قالوا : اجتمع بنو عبد مناف فاخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب جفنة مملوءة طيباً فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند باب الكعبة وقالوا من تطيب بهذا فهو منّا ثم غمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على نفوسهم وتطيب مع بني عبد مناف بنو زهرة وبنو اسد بن عبد العزى وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر فالمطيبون خمس قبائل من قريش — وتعاقد بنو عبد الدار واحلافهم وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي على ان لايتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً وأخرجوا جفنة مملوءة دماً من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يدهُ في دمها فلعق منه فهو منا فجعلوا يضعون ايديهم فيها ويلعقونها فسمّوا لعقة الدم (ويقال لهم الاحلاف ايضاً) — ولما تعاقد الفريقان على ما ذكر وكادا يقتتلان اذ تداعيا للصلح على ان تكون حجابة الكعبة واللواء والندوة لبني عبد الدار والسقاية والرفادة لبني عبد مناف ودخلوا دار الندوة وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتاباً : باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة ما بلّ بحر صوفة وما اشرقت الشمس على ثبير وهب بفلاة بعير وما قام الاخشبان واعتمر بمكة انسان

(١) اتى هوميروس في الابيات السالفة على بيان التضحية للتوائق بين قومين واكثر ما كُتب عن القدماء بهذا المعنى انما هو مأخوذ من هذا الموضع • وقد تشبه الرومان باليونان فلم يختلفوا عنهم اختلافاً يذكر • اما العرب فهم وان كانت احتفالات

فزَفسُ وكُلُّ آلِهَةِ البَرايا هُمُ أَدرى بوَلّاجِ القبُورِ »
ومِنْ ثَمَّ امْتطَى والذِّبحَ أَلْقى بمَرْكَبِهِ وعادَ الى القُصُورِ (١)
وأَنْطِينُورُ يَصْحَبُهُ وسارا الى إِلْيُونَ بالجِدِّ الوَفيرِ
وهكْطُورُ ابْنُهُ وأُذِيسُ قاما وقاسا فَسْحَةَ البَوْنِ القَصيرِ
وَوَسْطَ تَرِيكَةٍ قِدْحَينِ رَجَّا ليُعْلَمَ مَنْ لَهُ حَقُّ البُدُورِ (٢)
فمَدَّ يَدَ الضَّراعَةِ كُلُّ فَرْدٍ مِنَ الأَجْنادِ بالصَّوْتِ الجَهِيرِ :
« أَلا يا زَفْسُ يا مَوْلَى المَوالي وَلِيَّ المَجْدِ والشَّرَفِ الخَطيرِ
أَبانا مَنْ عَلا في شُمِّ إِيْذا أَبِدْ أَيًّا بَلانا بالثُّبُورِ
مِنَ الخَصْمَينِ أَيًّا ثارَ مِنْهُ بِنا شَرَرُ النَّوائِبِ والشُّرُورِ
وأَحْكِمْ بيننا رُبُطَ التَصافي وزُجَّ بِهِ الى شَرِّ المَصيرِ » (٣)

تواثقهم تقارب هذا النسق من وجه فلا يسعنا ان نحكم انهم اخذوا منها شيئاً عن اليونان بل كل ما اخذهم كانت عن العبرانيين وعن الكلدان الذين اقتدى بهم اليونان في كثير من عباداتهم ثم عن الفرس ولكن خصوصاً عن اليهود. راجع ماتقدم لنا بهذا المعنى (ن ١ ص ٢٣٧)

(١) لما قضى فريام مهمته قفل مسرعاً اشفاقاً من مشاهدة قتال قد ينتهي بمصرع ابنه

(٢) التريكة الخوذة والقدحين اي السهمين لكل من فاريس ومنيلاوس سهم وضعا في الخوذة ليُستقسم بهما فيُعلم من الطاعن الاول

(٣) يظهر من دعاء الجنود كافة ان نفوسهم سئمت الحرب بعد التحامها بينهم اكثرمن تسعة اعوام فتمنوا اهلاك اي من الخصمين تسبب في ذلك البلاء الفادح. وهنا اشارة اخرى الى ماكان الجميع عليه من صحة الاعتقاد بنفوذ الحكم الالهي

فَدَعَوْا وَهَكْطُورُ بِهِمْ مُسْتَقسِماً رَجَّ السِّهَامَ مُحَوِّلاً نَظَرَاتِهِ [1]

فَبَدا لَدَيْهِمْ سَهْمُ فَارِسَ أَوَّلاً لِيَكُونَ أَوَّلَ طَاعِنٍ بِقَنَاتِهِ

جَلَسُوا وَعُدَّتُهُمْ بِجَانِبِ جَيْشِهِمْ وَالْخَيْـلُ مُوْقَفَـةٌ على جَنَبَاتِهِ

فَأَعَدَّ شِكَّتَهُ ٱبْنُ فِرْيَامٍ وفي رِجْلَيْهِ أَوْثَقَ خُفَّهُ بِصِلاتِهِ

بِعُرَى اللُّجَيْنِ أَنَاطَهُ وٱعْتَاضَ دِرْ عَ أَخِيهِ لِيقَاوُونَ عن نَتَرَاتِهِ [2]

وتَقَلَّدَ السَّيْفَ الصَّقِيلَ مُرَصَّعاً بِقَتِيرِهِ الفِضِّيِّ في صَفَحَاتِهِ [3]

وأَضَافَ جُنَّتَهُ ومِغْفَرَهُ الذي سَبَحَتْ نَوَاصِيهِ على حَلَقَاتِهِ [4]

وأَجَالَ في يُمْنَاهُ أَعْظَمَ عَاسِلٍ بِقُوَى المَعَاصِمِ دَارَ في رَاحَاتِهِ [5]

وَافَى مَنِيلا بالسِّلاحِ مُكَفَّراً وٱسْتَلأَمَا كُلٌّ لدى لُحَمَاتِهِ [6]

فَتَقَدَّمَا وأَحَاطَ كُلَّ مُبَارِزٍ شَفَّتْ بَوَارِي الغَيْظِ عَنْ غُصَّاتِهِ

بالقسط والعدل

(١) كان الاستقسام عند العرب على نحو هذا النمط . وسيأتي بيانه في النشيد السابع

(٢) النترات الدروع . وليقاوون اخو هكطور لابيه كان اخيل قد اسره وباعه في لمنوس فافتدى نفسه ورجع الى طروادة ووقع ثانية في قبضة اخيل فقتله كما سيأتي في النشيد الحادي والعشرين

(٣) القتير مسامير الدروع والتروس وسائر انواع السلاح

(٤) الجنة الترس والمغفر الخوذة ونواصي المغفر عبارة عن عذبات القونس التي كان يجعلها العرب على خوذهم تشبهاً بالفرس

(٥) العاسل الرمح

(٦) استلأما لبسا اللأمة اي الدرع . لحماته اقاربه او جماعته

وَقَفُوا لَدى ما خَطَّطُوا وكِلاهُما بِقَناتِهِ يُضْوِي قُلُوبَ قِلاتِهِ [1]
فَرَمى اُبْنُ فِرْيامَ الْمُثَقَّفَ فالْتَوى بِمِجَنِّ أَتْرِيذٍ على نَبَواتِهِ
في الحالِ بادَرَهُ مَنيلا مُرْسِلاً رَشَقاتِهِ مَشْفُوعَةً بِصَلاتِهِ :
«يازَفْسُ خُذْ بِيَدِي لأَنْقَمَ مِنْ فَتًى عِرْضِي يُدَنِّسُهُ بِتَشْوِيهاتِهِ
وأَسْحَقْهُ سَحْقاً في يَدِي يَكُ عِبْرَةً لِنَزِيلِ سُوءٍ عَقَّ فَضْلَ قِراتِهِ [2]
ورَمى بِعاسِلِهِ فأَنْفَذَ خارِقاً ظَهْرَ المِجَنِّ وبَطْنَ فَضْفاضاتِهِ [3]
حَتَّى تَخَلَّلَ نافِذاً بِدِثارِهِ فَلَوَى الْمَناكِبَ فائِزاً بِنَجاتِهِ
فاُسْتَلَّ أَتْرِيذٌ صَقِيلَ حُسامِهِ فوقَ التَّرِيكَةِ مُوقِناً بِمَماتِهِ
فَتَكَسَّرَ الصَّمْصامُ وَسْطَ يَمِينِهِ وأَطارَ فَوْقَ جَبِينِهِ شَذَراتِهِ [4]

---

(١) قلاته اي مبغضيه • يعني ان اجناد الجيشين وقفوا عند الحد الذي خُط لهم لايتعرضون للمبارزين

(٢) قراته اى مضيفيه • قال بعض الشراح ان هوميروس لم ينطق فاريس بالدعاء الى زفس بل انطق منيلاوس لانه البريء المهان يلتمس انفاذ العدل ويشكو ظلامته واما فاريس فليس له ظلامة يشكوها فلبث صامتاً

(٣) الفضفاضة الدرع

(٤) لو قرأت هذا البيت في اليونانية للاح لك في مماثلة الفاظه ما يكاد يسمعك صوت تكسر السيف • وهذه المماثلة كثيرة في شعر هوميروس واللغة اليونانية تسهلها على الشاعر البليغ ولقد تقفينا اثاره في بعض المواضع • ولما لم تكن هذه المماثلة مما يقيد بالترجمات لاختلاف مميزات التعبير بين اللغات فطننا اصبنا الغرض احياناً واخطأناه او قاربناه اخرى واتينا اعتباطاً بمماثلة حكاية الاصوات في مواضع لم يقصدها الشاعر والحكم في كل ذلك للمطالع اللبيب

حنفاً أشارَ الى السَّماءِ مُخاطباً زَفساً يؤنّبهُ على عثراتهِ :[1]
«مِنْ كُلِّ آلِ الخُلدِ مثلُكَ لم يكُنْ يا زَفسُ مُعْتَسِفٌ بمقدُوراتهِ
قدكِدْتُ أَفتُكُ ظافراً بأَخي الخنا فاذا بِعَضْبي طارَ في كِسَراتهِ
وإذا برُمحي قد طعنْتُ بهِ ولمْ ادْرِكْهُ في رُمحي وفي طعناتهِ »
وأنقضَّ يجذبهُ بخُوذتهِ وفي عُنْفٍ تقهقرَ مسْرعاً خطواتهِ
وأُجترَّهُ والسيْرُ يُمسكُ ذقنَهُ فأُستُمسكتْ أنفاسُهُ بلهاتهِ
قدْ كادَ يبْطُشُ فيه لَو لمْ تبتدِرْ قبْريسُ تقطعُ بالخفا قدّاتهِ[2]
فخلتْ لدَيْهِ خُوذةٌ مقطُوعةٌ فرَمى بها فتدحرجتْ لسراتهِ
فخلا بها أصحابهُ وهوَ انثنى بشحيذِ نيزكهِ الى وثباتهِ
لكنَّ عفرُوذيتَ وهيَ قديرةٌ مِنْ فوْرها وصلتْ حبالَ حياتهِ[3]
حجبتْهُ في رَكمِ الضَّبابِ مُحلّةً إيَّاهُ بالأَطيابِ في حُجُراتهِ[4]
ومضتْ الى هيلانةٍ فإِذا بها بالبُرْجِ جالسةً على شرفاتهِ
فدَنتْ إليها والبناتُ شَواخِصٌ في زيِّ خادمةٍ على عِلاّتهِ

(١) من تصور حالة منيلاوس واليأس والحنق اللذين أخذا به عند ما كاد يفتك بعدوه ومحرق مهجته نحانه السيف والرمح لايعجب لتماديه بالكفر واستطالته على زفس نفسه بالكلام وخصوصاً ان لوم الآلهة عند اليونان لم يكن بالكفر الفاحش

(٢) قبريس هي الزهرة أي انها قطعت السير الممسك بالخوذة تحت الذقن

(٣) عفروذيت هي الزهرة أيضاً

(٤) كثيراً ما نرى هوميروس يشير الى الحقائق اشارة رمزية زيادةً لرونق

حاكَتْ عَجُوزاً قُرِّبَتْ مِنْ قَوْمِها حاكَتْ بِنَسْجِ الصُّوفِ مَحْبُوكاتِهِ[1]
وبِثَوبِها العُطْرِيّ جَرَّتْهـا وقد صاحَبْتُها :« فاريسُ في خَلَواتِهِ
يَدْعُوكِ وَهوَ تَرَيْنَهُ في غُرْفَةٍ ضَمَّتْكُما بِبَدِيعِ حُسْنِ صِفاتِهِ
حَتَّى تَخالِي أَنَّهُ ما كانَ في حَربٍ بِها يَلْقَى أَشَدَّ عُداتِهِ
لكِنَّـهُ في مَرْقَصٍ مُتَأَهِّبٌ لِلرَّقْصِ أَوقدعادَمِن ساحاتِهِ»[2]

كلامه ومراعاةً للتصور الشعري وفقاً لمعتقدات زمانه فيحل الآلهة محل البشر في كل عمل خطير لتزول الغرابة ويقرب تقدير الامكان • فلهذا لا يبقى محل للاستغراب اذا عاد منيلاوس بالخيبة بعدان كاد يقتل فاريس ثلاثاً أي بسيفه ورمحه وذراعه • ولم يوسط الشاعر الآلهة الا عند بلوغ الازمة حدها اذ لم يكن يحلو للسامع بعد ان قيل له ان السيف تكسر من تلقاء نفسه أن يقال له ان قدة الخوذة انقطعت من تلقاء نفسها فجعل القاطع الزهرة ولا أجدر منها بملازمة فاريس الذي وقف حياته على الحب والغرام • وقول الشاعر بعد ذلك « انها حجبته في ركم الضباب » اشارة الى الغبار المتصاعد من اصطدام الجيشين على أثر نكبة فاريس فكأن الشاعر قال ضمناً ان الطرواد لم يبرُّوا بعهدتهم فلما رأوا ما رأوا من الخطر المحدق بابن ملكهم هجموا فانقذوه وحالوا بينه وبين منيلاوس — وهنا نرى الشاعر يذهب بنا من موقع الحرب الى منزل الحب ويرينا بابدع تصوير تنازع العقل والقلب

(١) حاكت الاولى بمعنى شابهت والثانية من الحياكة

(٢) قلنا ان الزهرة أي الحب كانت ملازمة لفاريس فكان من اللازم أيضاً أن تكون ملازمة لهيلانة • ومن غريب تفنن الشاعر انه يظهرها كل حين بالمظهر الطبيعي الذي لايمكن ان يحل غيره محله والذي يرينا من وجه آخر ان الفطرة مهما اعتراها من الرونق والبهرجة فالاساس واحد لايتغير • ولهذا لما كانت الزهرة على وشك جمع الشمل بين فاريس وهيلانة ابرزها بهيئة عجوز من خصائص هيلانة والعجائز ادهى الخلق بالتوسط بين العشاق • وانطقها وهي تدعوها الى غرفته بكلام لو

عَرَفَتْ هيلانَةٌ جازعةً ربَّةَ الحُبِّ بجرِّ الحَرَبِ
دِقَّةُ الجيدِ ولحظٌ لاهبٌ ومشوقُ الصَّدْرِ لم تحتجبِ
فلها قالت : « وما أغراكِ أنْ تخدعيني بَعْدُ حسبي نوبي (١)
أبإفريجيةٍ بَعْدُ فتىً تطرحيني عِنْدَهُ بالوَصَبِ
أمْ رُبى إميُونَةٍ فيها بدا لكِ محبوبٌ رفيعُ الحَسَبِ
أخِداعاً يا ظَلُوماً جئتني ومنيلا نالَ فخرَ الغلبِ (٢)

نطقت به فتاة غضة الشباب لالفيناه خلواً من كل رواء — ولقد يتصور المطالع ان هيلانة لم يكن يروقها ان ترى فاريس عائداً منكوباً من حومة الوغى فكلمتها العجوز او الزهرة بما يحتم على نيرتها ويهيج عاطفتها نصورته لها بهيئة الفتى المتأهب للرقص في محفل حافل او الذي يعود من المراقص الزاهية وهو بكلتا الحالتين بابهى ما يتجلى به لنواظر الحسان

(١) مهما اشتد الوجد بالمرء وضرب الغرام على بصيرته فلا بد له من آونة يعود فيها اليه صوابه ويتطلب الخروج عن منهج الضلال وهذه هي حالة هيلانة في موقفها هذا فانها لم تتتر بقول ربة الجمال لتنبهها حيناً الى ما اتته من الخطأ الفاحش فاشمأزت من ذكرى ما اجترحت وعنفت الالاهة بالكلام الثقيل كأنها تلوم النفس على تماديها بالهوى الفضاح

(٢) ان فوز منيلا فتح عيني هيلانة وزادها ندماً على ندم . وان النساء تعشق الفعال كما تعشق الجمال وقد سبق لها ان عشقت الفارسين فكان من البديهي ان تؤثر اطولهما باعاً واشدهما ذراعاً . نقول هذا وان كانت عقيلة داسيه قالت ان هيلانة تذكرت منيلاوس لانه عشيقها الاول ومهما انتاب قلب النساء من الحب وخمدت جذوة الهيام بالحبيب الاول فلا بد من اضطرامها حيناً بعد حين فنرى من ثم ان هوميروس كان عالماً بما عند النساء من الوجد المقيم للحبيب القديم — ومهما

يَبتَني رَدِّيـَ لأَوطاني فما ... آه أَشقاني وأَذهى نصبي (١)
أَنا لا أَبغي فريساً ابداً ... أَنتِ أُشرِبتِ هواهُ فأَذهبي
غادري الأولمبَ والقومَ العلى ... وأُتبعيهِ وأُحرُسيهِ وأُصحبي
وأُحملي منهُ الأَسى يرضَكِ عِرْ ... ساً لهُ او أَمةً لم تَطِبِ
لك لا لستُ إِذاً تابعةً ... غيدُ إِليُونَ إِذاً يشمتنَ بي
لَن أُحلِّنَّ فراشاً حلَّهُ ... وأَنالَ الخزيَ طولَ الحقبِ
حسبيَ العارُ وما حُمِّلتهُ ... من لظى النارِ وحرِّ اللهبِ »
حنقت قبريسُ ممَّا قابلت ... قالتِ « أُخشَي انتهيجي غضبي
وأُحذري مني الجفا راغبةً ... عن ودادٍ لقلىً منقلبِ
ليس هدُّ الوفقِ أَمراً عسراً ... ولكِ البلوى وضيقُ المذهبِ » (٢)

يكن من القولين فقلب النساء حليف الفائز الظافر وقد كان من ظفر منيلاوس ما بكَّتها على هجرانه وحرَّقها ندماً على سلوانه

(١) ان في اقامة منيلاوس على حبه لهيلانة بعد رغبتها عنه لمهيجاً آخر لوجدها ومنبهاً ومبكتاً يحملها على الندم والتشوق الى الرجوع اليه ولكنها علمت ما دون ذلك من الاهوال فندبت حظها وانكفأت باللوم على الزهرة تشفياً منها شأن العاجز الطامع في مطلب لايناله فيتأفف ويلقي تبعة عجزه على من سواه

(٢) أي انه لايصعب عليَّ ان أجعل الخطب يتفاقم بين الطرواد والاغريق فيعبثون بعهدتهم وتزيدين نكالاً على نكال — اذا برَّح بالعاشق هيام ورأى من نفسه زاجراً عنه ثم قوي القلب على العقل انتحل له من نفسه اسباباً تجيز له الانقياد لهواه فكأن هيلانة بعد ان تنبهت هنيهة لسوء فعلتها انتحل لها الغرام اسباباً تثبتها على محبة فاريس • فانها أبصرت بذكائها انه لم يكن لها من سبيل الى منيلاوس وانه لابد من ان

وَجِلَتْ هِيلانَةٌ واضْطَرَبَتْ وتَرَدَّتْ بِبَهِيِّ النُّقُبِ
إثْرَها صامِتَةً سارَتْ وقَدْ حَجَبَتْها بِكَثِيفِ السُّحُبِ
جاءَتا فارِيسَ في مَنْزِلِهِ والجَوَارِي بِانْتِظارِ الطَّلَبِ
سِرْنَ عَنْها وأُسِيرَتْ نَحْوَهُ وَهُوَ في الغُرْفَةِ ماضِي اللَّعِبِ
أَجْلَسَتْها رَبَّةُ العِشْقِ على مَجْلِسٍ دانٍ لَهُ مُقْتَرِبِ
حَوَّلَتْ عن وَجْهِهِ أَنْظارَها ثُمَّ قالَتْ بِاللِّسانِ الذَّرِبِ : (١)
« أَيْنَ ما تَزْعَمُ من بَطْشٍ بِهِ فُقْتَ إِقْدامَ مَنِيلا الأَشْهَبِ
وادَّعَيْتَ السَّبْقَ في طَعْنٍ وفي شِدَّةِ البَأْسِ وضَرْبِ القُضُبِ
آهِ لو جُنْدِلْتَ في سَيْفِ فَتىً كانَ بَعْلاً لي وَكُلَّ الأَرَبِ

يطول زمن الحرب وينكث الطرواد عهدهم ويهيجوا الاغريق غيظاً لتماص فاريس من بين أيديهم فالرضا والحالة هذه بالحبيب القريب أولى • وتهدد الزهرة لهيلانة عبارة عن اشفاقها من أن يفدح الامر وتطول مدة الكر والفر وكلما انقضت السنون وقد مضى منها تسع لحصار طروادة أذبلت الزُّهرة زهرة جمالها فيأتيها زمن تنطفىء فيها نار حبها في قلبي فاريس ومنيلاوس • وذبول وردة الحسن اعظم مصيبة تتوقعها الرشيقة القد النضرة الخد

(١) قلنا انه تم التنازع بين قلب هيلانة وعقلها وتمت غلبة القلب على العقل فاتت غرفة فاريس ولم يزل في نفسها بقية من الحنان الى حبيبها الاول فبادرته بالكلام العنيف وهو كلام لم يكن لها بد منه حتى لو امّحت ذكرى منيلاوس من فؤادها لان من دهاء النساء ان تتوقع زلة من الرجال ليعنّفنهم عليها استزادةً من سلطانهن وكسراً لشوكة الرجل وتعززه بقوته • فهذا الكلام وان كان في حد نفسه اغلظ تعنيف فهو ينتهي كجاري العادة بالدل اللطيف

آهِ لو ترْجعُ ... لا فأحْرصْ وإنْ تَتعرَّضْ لِلقاهُ تَخبِ [1]
خشْيَتي يُوقِعكَ الطَّيْشُ بِهِ فَتُوافي طَعنَةَ الْمُعتطِبِ »
قالَ : « يَكفي مُنْيَةَ النَّفْسِ فقَدْ هِضْتِ نَفْسي بِعَنيفِ العَتَبِ
فأَثينا شَدَّدَتْ ساعِدَهُ وستُؤْتَى النَّصْرَ يَوْماً عُضُبي
لي بآلِ الْخُلْدِ أَقْوَى عِزْوَةٍ إِنَّما الآنَ أَوانُ الطَّرَبِ
لمْ أَكُنْ قطُّ كما الآنَ انا بفؤادٍ خافقٍ مُضْطَرِبِ [2]
لا ولا يَوْمَ رَمانا الحُبُّ من لَقَدْمُونا فَوْقَ بَحْرٍ لَجِبِ
وَخلَوْنا في رُبَى إِكْرانيا عَنْ عَذُولٍ مُزْعِجٍ مُرْتَقِبِ
لم تَشُقْنِي قطُّ هبَّاتُ الهوى لَهَباً أَشْغَفَ مِنْ ذا اللَّهَبِ »
هاجَ نارَ الوَجْدِ فيها راقياً لِسَريرٍ لَهُما مُنْتَصِبِ
تَبِعَتْهُ والكَرَى شاقَهُما بِأَمانٍ فَوْقَ فُرْشٍ قُشُبِ [3]

---

(١) ترى هنا انها بعد ان تمنت له الموت بلسانها لم يكن قلبها ليطاوعها فما عتّمت ان قطعت عبارة الشماتة فوصلتها بخطاب الاشتياق اما لأنها رأت انها افرطت في اللوم واما لأنه عيل صبرها على كتمان حبها او لكلا الامرين

(٢) لم يكن في الامكان ان يتصور شاعر جواباً لفاريس اوقع من هذا الجواب • فبدأ بالاعتذار والقى على اثينا تبعة الانكسار وجعلها تأمل النصر القريب ولم يكتف بكل ذلك فاذهاباً لبقية ما في صدرها من غائلة الاستضعاف وفتور الحب اتاها من باب المداعبة والمغازلة اللتين تخفيان عن العيون العيوب • فتذرع باقوى حيل الرجال ووقع على منفذ الضعف فيها ففاز ببغيته

(٣) اظهر لنا الشاعر في هذا النشيد عاشقين كلاهما على خطأ • ولقد اكثر الشراح من تفنيد اخلاقهما فمن مقبّح اعمال فاريس ومن مستهجن لتصرف هيلانة

ظَلَّ أَتْرِيذُ كَوَحْشٍ كاسرٍ　　　يَتَحَرَّى بِشَدِيدِ العَجَبِ (١)
لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَني الطُّرْوادِ وَالْ　　　جَيْشِ مَنْ شاهَدَ إِثْرَ العَقَبِ

ولقد رأيت فيما تقدم المنهج العجيب الذي نهجه الشاعر تخفيفاً لما يؤخذ عليهما وكأني به قد كان أرفق الشعراء والكتاب وسائر الرجال من قبل ومن بعد بحالة النساء واعرفهم بمـا يجب أن يكون لهن من المنزلة في المجتمع البشري . ومهما احجم قارئ شعره عن الاعتراف بما يجب أن يكون للنساء من المنزلة لابد له من أن يعترف من هذه المقابلة ان هوميروس كان يرمي ببصره الى اعلاء شأنهن ويعتقد مع التنويه بمعايبهن بان فيهن المنزع الاعظم للتحلي بجمال الوصف كما تحلين باللطف والظرف . فهيلانة على كل عللها وسابق هفوتها تظهر بعواطف أرق ونبرة ادق من حبيبها فاريس على غضاضته وبسالته — ولا بد لي قبل الانتقال من هذا الموضع ان آتي على ذكر أمر وان ساءني ذكره وهو المقابلة بوجيز العبارة بين آداب الشاعر اليوناني والشاعر العربي في الجاهلية وبعد الجاهلية . فلست أذكر ان هوميروس جمع بين محبوبين في الياذته مع كثرة كلامه عن العشق والعشاق الا في موضع آخر غير هذا الموضع وقد أتى على ذلك بكلام تقرأه ولا تخجل من قراءته الفتاة في خدرها . اما شعراء العرب فحيثما عنَّ لهم ذكر الحبيب والمحبوب وان ظلوا بعيدين عن ذكر الوصال أفحش أكثرهم في الكلام . واذا وصفوا الوصل ذكروه بكلام بذيء يخجل الرجل من تلاوته فضلاً عن المخدرات وحسبنا مثالاً على ذلك مراجعة معلقة امرىء القيس شيخ شعراء العرب وقوله:

وقالت وقد مال الغبيط بنا معاً　　　. . . . .

وفي كتاب الف ليلة وليلة من أمثلة ذلك ما لا يحصى

(١) لما أفرغ الشاعر كنانته بمشهد فاريس وهيلانة رجع بنا الى ساحة الحرب فأرانا أتريذ أخا منيلاوس كالوحش الكاسر الذي تؤخذ فريسته من بين يديه فيتحدم غيظاً منقضّاً في طلبها . ولا بدع أن يندفع أغا ممنون ذلك الاندفاع لذهاب الفريسة والغنيمة من يده

لو رأوهُ أنباؤا إذ مقتو ... هُ كمقتِ الموتِ كلُّ الرُّتَبِ [1]

فأغاممنونُ نادى صارخاً ... بهمِ يدعو لسمعِ الخُطَبِ :

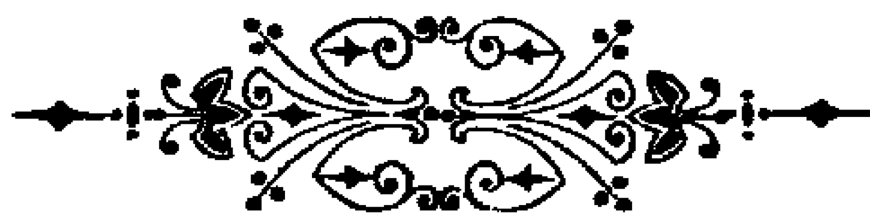
« آلَ طرْوادٍ ومَنْ والاهمُ ... دَرْدَنيِّين وما منكمْ غبي

لمنيلا النَّصرَ أَبْصَرْتمْ فهيـ ... ـلانةً ردُّوا بذخرِ الذَّهَبِ

واحبُونا جزيةً تُنمي لمَنْ ... بعدَنا الفوْزَ ونُجحِ الطَّلَبِ »

ضَجَّتِ الإغْرِيقُ مُسْتَحسنةً ... بجماها ضَجَّةَ المُطَّلِبِ

(١) لاعجب ان نرى فاريس ممقوتاً في هذا المكان كما تمقت الموت جميع اصناف البشر لانه كان المتسبب في هلاك الامتين وزد على ذلك ان الجيشين أملا حيناً من الزمن ان تنتهي الحرب ببروزه لبراز منيلاوس فاذا به قد احتجب فخاب املهم . ولهذا قال الشاعر انهم لو رأوه لانبأوا بمقامه ليؤخذ بجريرته فيقتل وتضع الحرب اوزارها



النشيد الرابع

نقض العهدة والوقعة الاولى

مُجْمَله

جلس الآلهة للنظر في أمر الحرب فاستحسن زفس القاء الصلح فعارضته هيرا تأبى الا التنكيل بالطرواديين وتدمير عاصمتهم فوافقها زفس على شرط ان يهدم فيما بعد ما شاء من المدائن المستظلة بظلها . وانفذ أثينا الى جيش الطرواد تستفزهم الى العبث بالعهدة فتزيت بزي أحد ابناء انطنيور ودفعت فنداروس على اطلاق سهم فاندفع واطلق سهماً على منيلاوس فجرح جرحاً ظنه اغاممنون قاضياً ولكنه ما لبث ان شفي بعناية النطاسي مخاوون . وما وقف جيش الطرواد عند تلك الخيانة بل انقضوا هاجمين على الاغريق فتربص الاغريق وهاجت أغاممنون الحمية فخاض الصفوف يستحث همم الزعماء ويؤنب المتثبطين منهم . والتحم القتال فاستظهر جيش الاغريق وكاد يقضي على الطرواديين لولم يبادر أفلُّون ويستنهض الهمم . وقاتل الفريقان قتال المستبسل اليَئِس حتى « كسا أديم الارض تيار الدماء »

مجرى وقائع هذا النشيد في السهل امام طروادة وكلها جرت في اليوم الثالث والعشرين وهو اليوم الذي جرت فيه وقائع النشيدين السابقين والنشيدين التاليين أيضاً حتى أواخر النشيد السابع



النشيد الرابع

قد أقامَ الأربابُ من حولِ زفسٍ مجلساً في ذاكَ البلاطِ المُذهَّبْ
بكؤوسِ النُّضارِ دارتْ عليهم هيبيا والسُّلافُ بالدَّورِ يُسكَبْ[1]



مجلس الآلهة

في صدره زفس على عرشه وبيده صولجان الملك والى جانبه هيرا زوجته

(١) هيبيا هذه الاهة الصبا وهي ابنة زفس وهيرا كانت ساقية الآلهة تدير عليهم مدامة لا كمدامة البشر بل هي راحٌ عبرنا عنها بالسلاف يخلد شاربها فلا يقوى عليه الموت . ولما أقام زفس غنيميذ ساقياً للآلهة كما سيأتي ظلت في خدمة زفس وازوجها من هرقل البطل عند ما ادخله في مصاف الآلهة . ومغزى هذه الخرافة ان القوة في الغالب رفيقة الصبا وان ابراز ربة الصبا ساقية في مجتمع الارباب يشير الى ان أبناء العلى يتمتعون بشباب أبدي وسعادة لا تزول

فبإليونَ أحدقوا من علاهمْ وبِبُرِّ الكلام زفسُ تعتَّبْ
قالَ مُذْ رامَ أنْ يُحدِّمَ هيرا: « ذا منيلا بربَّتين تحجَّبْ
تلكَ هيرا الأرغيَّةُ احتضنتْهُ وأثينا لفوزِهِ تتعصَّبْ (١)
وبمرآهُ سُرَّتا من بعيدٍ إنَّما عفرذيتُ فاريسَ تصحَبْ
تدرأُ الموتَ عنهُ بالبشرِ والآ نَ وقَتْهُ الرَّدى وقد كادَ ينشبْ
انَّما النَّصرُ لابنِ أترا يقيناً فهلمُّوا نقضي بما يترتَّبْ :
أَأنسيلُ الدِّماءَ والحربَ نُوري أمْ نرى حقنَها على الصلحِ أقربْ
فإذا السِّلمَ رُمتُمُ ظلَّ فريا مُ بإليونَ في ذويهِ مهيَّبْ
وبهيلانةٍ يسيرُ منيلا فيسودُ السَّلامُ والدَّمُ يُحجبْ »

تسعَّرتا وقد دنتا مقاما فهمَّتا وقد بغتا انتقاما
فأثينا اشمأزَّتْ من أبيها وكادَ يبزُّها الحنقُ اهتضاما (٢)

(١) يقول تهكماً هيرا الارغية نسبة الى أرغوس حيث كان الناس يعظمونها ويجلُّونها وينازعون أهالي ساموس دعوى ولادتها عندهم . ولقد أقام لها أهل أرغوس تمثالاً قال بوزانياس في وصفه انه عظيم الحجم صنع جميعه من الذهب والعاج يمثلها وعلى رأسها اكليل عليه البهجات والساعات وباحدى يديها رمانة وبالاخرى صولجان على طرفه طائر طيطوى

(٢) الضمير في تسعرتا ودنتا يعود الى أثينا وهيرا . ولا غرو ان يغيظهما استتباب الامن وعقد الصلح الذي تظاهر زفس بالميل اليه في آخر كلامه لان ذلك يمنعهما من الايقاع بالطرواد وتدمير بلدتهم . اما زفس وهو باطناً نصير الطرواد فلم يكن يود ان يعبثوا بالعهدة بل كان يؤثر أن يأذن بقتل فاريس على أن تدمر بلاده . ومغزى هذا الاجتماع ان القوة العلوية لاتحب الشر ولكنها تأذن به اذا تصلب قلب

عَلى حَسَراتِها كَظَمَتْ وَهيرا أَبَتْ صَبْرًا وأَغْلَظَتِ الكَلاما[1]
تَقُولُ ولَم تُطِقْ إِخمادَ نارٍ تَؤَجَّجُ جَوفَها الغالي أَضْطِراما:
« بَغَيْتَ عَليَّ يا أَبنَ قُرُونَ هلاَّ بَغَيتَ تُبيدُ آمالي أنْصِراما
وتُحْبِطُ بُغْيَتي وتُخيِّبُ جَهْدِي وخَيْلي أُوْهِنَتْ جَسَدًا وَهاما
عَلى فِرْيامَ قد سُقْتُ السَّرايا تُجَرِّعُ آلَهُ المَوتَ الزُّؤاما
فَنَجِّهِم وما الأَرْبابُ طُرًّا براضيةٍ(وإِن صَمَتُوا أحترَاما)»
فقالَ وقد غلا حَنَقـاً : « وماذا يَسُومُكِ يا ظَلُومَهُمُ أَحتِداما
عَلَيكِ فَما جَنَوا حَتَّى تَرُومي دِماءَهُمُ أَعْتِسافاً وأَعْتِزاما
أَلا لَوْ حُصْنُهُمْ أَعلَيتِ يوماً وهضْتِ اللَّحْمَ تَفرِينَ العِظاما
ولم تُبْقِي لِمُلْتَهِمْ رُسُوماً لِيَبْلُغَ حِقْدُكِ الحَدَّ التَّماما
إِلَيكِ زِمامَهُمْ ماشِئْتِ فاقضِي لِئَلاَّ يُوْرِثَ المَنْعُ أَخْتِصاما
ولَكِنْ عِي مَقالي وأَسْمَعِيهِ : إِذا ما رُمْتُ أَنْفَذْتُ المَراما
وإِن ما شِئْتُ إِيقاعاً بِقَومٍ وَدِدْتِ فَلا تَسُومِيني أَحْتِكاما[2]

التسرير على اتيانه

(١) ان في صمت اثينا وكظمها الغيظ وانبراء هيرا وتصدّيها لزفس لحكمةً من حكم الشاعر • فان اثينا هي ابنة زفس فليس لها من الدالة عليه ما لهيرا زوجته وزد على ذلك انها ربة الحكمة والرصانة فهي خليقة بالصبر جديرة بالتروي وخصوصاً انها تعلم ان بجانبها امرأة جريئة الجنان ذربة اللسان تكفيها مؤونة العناء • وهنا لنا مثال آخر من كلام هيرا على ما للمرأة من السلطة على زوجها مهما سمت منزلته وعلت كلمته

(٢) يشير زفس الى انه اذا اتاها بغيتها ومكنها من اليون فلا بد من ان ينتقم منها يوماً

وَهَبْتُكَ ماساَلتِ بِطيبِ نَفْسٍ   وإنْ أَكُ قد تَكَلَّفْتُ الحَراما
فَتحتَ الشَّمسِ والزُّهْرِ الدَّراري   مدائنُ جمَّةٌ حوتِ الاناما
ولَيسَ لَديَّ مِنْ إِليُونَ أوفى   وفِرْيَامٍ وأَهْلِيهِ ذِماما (١)
فَفوقَ مذابحي أَبدًا أَقاموا   ذَبائحهُمْ مُشَرَّبَةً مُداما
وظَلَّ دُخانُها لِلجوِّ يعلُو   وبالعَدلِ اُستباحُوها اُقتساما»
فَقالَتْ : «إنَّ لي مُدُناً ثلاثاً   عَلِقْتُ بِهِنَّ قَلْباً مُستَهاما
وهُنَّ عَلِمْتَ إِسْبَرْطا وأَرْغُسْ   ومِيكِينا الَّتي زهتِ اُنْتِظاما
فإن ما شِئْتَ دَمِّرْهُنَّ إنّي   أَبيتُ لَهُنَّ عوناً والْتِزاما (٢)
ولَيسَ بِنافِعي صَدّي لِعلمي   بِأنكَ قد تَمَلَّكْتَ الزِّماما
ولكنّي حَكَيْتُكَ بِانْتِسابي   لِذاكَ فَضَلْتُ أَرباباً كِراما
وقد عظُمْتُ بَينَ بَني قُرُونٍ   وإنْ كانوا جميعُهُمُ عِظاما (٣)

ويوقع بصنائعها ومحبيها كما الجأته الى الايقاع بخصائصه الطروادة . اي ان المرأة اذا احرجت زوجها على انفاذ ماربها فلا ينفذها عن طيبة خاطر بل يتربص الى احقاق حقه وانفاذ رغائبه عند سنوح الفرص

(١) الذمام هنا بمعنى الحق

(٢) ينبئك مفاد هذا البيت بكيد المرأة وحقدها اذا اشتد بها الغيظ اذ تتخلى عن الف صديق للايقاع بعدو واحد . فقد رضيت هيرا بتدمير كل المدن التي وقفت نفسها على عبادتها توصلاً الى تدمير بلدة واحدة لم تكن راضية عنها

(٣) قرون اوقرونس هو ابو زنس كما تقدم وابو جميع الآلهة . وهو زحل العرب وساتُرنُس اللاتين والافرنج

فَإِنّي بنتُ ذاكَ وعرْسُ زَفْسٍ ... مَليكُ الكَونِ فارْعَ لِيَ الذِّماما[1]
فَعَمّا أَبْتَغي حِيناً تَجاوَزْ ... وعمّا تَبْتَغي أَرْضى دَواما
يَرُومُ بَنُو الخَلُودِ بنا اقْتداءً ... فَمُرْ تَنْقَضَّ آثينا اقْتِحاما
تَعيثُ بِعُهْدَةِ الجَيْشَينِ لكِنْ ... لِيَنْقُضْ آلُ طُرْوادَ السَّلاما»[2]

لأنَ زَفْسُ لِقَولِها ثُمَّ قالا ... لِآثينا: «هَيّي أَجيبي السُّؤَالا
لِيَقُمْ قائمُ الشِّقاقِ ويَحْنَثْ ... جَيشُ طُرْوادةٍ بِما قد آلى»[3]
فَهْيَ والحَرْبُ قَصْدُها ومُناها ... لَبَّتِ الأمْرَ تَبْتَغيهِ امْتِثالا
خَرَقَتْ مُهْجَةَ الرَّقيعِ إلَيْهِم ... كَشِهابٍ في الجَوِّ أَجَّ اشْتِعالا

---

(١) الذمام هنا الحرمة

(٢) لم تكتفِ هيرا باستئذان زفس بهيئة الغلبة للاغريق بل رامت ان يحيق بالطرواد خراب الديار وشر العار فيكونون هم المنكوبين بالجهاد والناكثين للعهاد

(٣) قد انتُقد على هوميروس قوله في هذا الموضع ان زفس امر آثينا ان تجعل جيش الطرواد يحنث بما كان قد آلى به • وهذا الانتقاد قديم ذكره افلاطون وسقراط وكثيرون بعدهما اذ لايخلق بابي الآلهة ان يأمر بنكث العهاد • وليس من قصدنا أن نتشيع لشاعرنا وندعي له الكمال وسبحان الكامل ولكنه عيبٌ يشفع فيه مجرى الحوادث والقدر المحتوم بتدمير اليون اذ لو برّ الطرواد بعهدتهم لانتهت الحرب وسلمت اليون وكذب القدر وهو محال في اعتقادهم • فلهذا تصرف الشاعر هذا التصرف انفاذاً لاحكام القضاء — ثم اننا نعلم ان المعتقدات الحية تحكم بالحرية المطلقة من قبل الخالق للمخلوق فيأذن له بارتكاب الاثم لا لانه يسر بارتكابه ولكن لان المجترم الجريمة سبق فصمم بنفسه على اجترامها وهذا الاذن يصدر من الخالق دفعاً لتقييد الاعمال واحقاقاً لمبرة ذوي المبرات اذ لايأتونها حينئذٍ اجباراً بل طوعاً

لِسَفِينٍ أَو جَمِّ جَيْشٍ يُرِيهِ　　　زَفْسُ شُؤْماً مُقَرَّباً أَو فالا
بِشَرارٍ مُنَـثَّرٍ بِأُوَارٍ　　　يُخْمِدُ الرَّوْعَ أَو يَهِيجُ الوَبالا
وَجِلوا جازِعِينَ مُـذْ أَبْصَرُوها　　　وَبِهِمْ هاجِسُ الظُّنُونِ تَعالى:
«أَبِسَيْلِ الدِّماءِ زَفْسُ مُشِيرٌ　　　أَمْ لِرَبْطِ الإِخاءِ بالوَفْقِ مالا»
وهْيَ في هيئةِ ابْنِ أَنْطِينُرٍ لَوْ　　　ذُوقَ حلَّتْ تَحْكِيهِ شَكْلاً وحالا
وتوارتْ في جَيْشِ طَرْوادةٍ في　　　طَلَبِ الشَّهْمِ فَنْدَرُوسَ اتِّحالا
فرأَتْهُ بقومِـهِ من رُبى إِيْـ　　　ـسِيفَ مَنْ قَلَّدُوا التُّرُوسَ الثِّقالا (١)
فتَدَنَّتْ إِلَيهِ قالت: «أَلا اسْمَعْ　　　يا ابْنَ لِيقاوُنَ العَظِيمَ المَقالا
حَقِّقِ الظَّنَّ وابْتَدِرْ لِمَنِيلا　　　وْسَ إِذا ما قَتَلْتَ أَتْرِيذَ حالا
ومَقاماً عنْـدَ الطَّراوِدِ يَعْـلُو　　　وارْمِهِ تَكْسِبَنَّ فَخْراً ومالا
سِيَّما عِندَ ذلكَ المَلْكِ فارِيـ　　　ـسَ إِذا ما قتلْتَ أَتْرِيذَ حالا
ثُمَّ ناهيكَ بالذي هُوَ يَحْبُو　　　كَ هِباتٍ تُثْقِلُ الأَحْمالا (٢)

واختياراً . ولا بد ان يفترض زفس هنا عالماً بالغيب فاذن بفعلة الطرواد لانهم كانوا مزمعين ان يفتعلوها فعملهم سابق لعلمه وعلمه لايمنع عملهم . ذلك هو قول علماء الكلام واللاهوت في الشر البادي من الانسان فهو معلوم بسابق علم الله وصادر باذنه وليس بامره

(١) ايسيفوس جدول صغير في بلاد طروادة لا يجري الا بضعة أميال ثم ينصب في بحر مرمرا

(٢) قال فلوترخوس « ان هوميروس اذا أراد ان تستخدم الآلهة بشراً لانفاذ رغائبها جعلها تتخذ من البشر من يصلح لانفاذ تلك الرغبية . فان أتينا

فَتَوَكَّلْ أَرَاكَ وَادْعُ أَفْلُو لِيقِيامَنْ بالعَزْمِ هالَ النِّبالا (١)
والضَّحايا الأَبْكارَ فَانْذُرْ ذَبيحاً تَنْتَقيها نَقيَّةً أَحْمالا (٢)
ذاكَ في زيليا بقَصْرِكَ لَمَّا بانْتِصارٍ تَغْدُو لَها تِرْحالا »

خَدَعَتْهُ فاغْتَرَّ واجْتَرَّ جَهْلا هائِلَ القَوسِ مِنْ جَفيرٍ تَدَلَّى (٣)
كانَ بينَ الجِبالِ يَقْنِصُ قَبْلا فَلَدَيْهِ تَيْسٌ مِنَ الصَّخْرِ وَلَّى
فَرَماهُ بِصَدْرِهِ مُقْتَلا
طُولُ قَرْنَيْهِ بالغاً كانَ قَدْرا مِنْ قِياسِ الأَشْبارِ سِتَّةَ عَشْرا

اذا قصدت اقناع الاغريق بأمر من الامور وجهت به اوذيس لشهرته بالحكمة والدهاء • واذا طلبت الفتك بالطرواد عمدت الى بطل كذيوميذ» • وقد اكثر الشراح من الاسباب التي حملت أثينا على انتقاء فنداروس دون غيره للحمل على منيلاوس • ومحصلها ان أثينا لم تستحث جندياً من جنود طروادة نفسها لانهم كانوا يكرهون فاريس كما مر بنا في النشيد السابق فلا يقدمون لاجله على امر يوليهم العار فوقع اختيارها من ثم من بين حلفاء الطرواد على فنداروس لانه كان زعيم فئة مشهورة بالخداع والخيانة وهو رجل طماع بخيل يتفانى في طلب المال وهو يعترف بنفسه في النشيد الخامس انه انما اتى راجلاً خوفاً على خيله واستثقالاً من نفقة علفها أثناء الحصار

(١) اذا رأيت في شعر هوميروس اسم الاه او الاهة مضافاً الى اسم بلد او بلاد كما قال هنا افلون ليقيا فاعلم ان السبب في ذلك ان تلك البلاد قائمة بعبادة خاصة لذلك الإلاه او يكون له فيها معبدٌ وما أشبه

(٢) الاحمال جمع حمل بمعنى الكبش

(٣) الجفير الكنانة — كثيراً ما نرى هوميروس يذكر مضارب الحسام ومرامي السهام بكلماتٍ موجزة وقد نراه كما في هذا الموضع يسهب في رميه واحدة

أَ كْمَلَ القَوسَ آلَةً لَيسَ تَبرا　　　　مِنهُما عِندَ صانِعٍ ذاعَ ذِكْرا

طَرَفَيها بِخالِصِ التِّبرِ حلَّى (١)

وعلَى الأَرضِ مَدَّها باتِّكاء　　　　فأَتاها مُوَقَّعاً باعْتِناء

خَشْيَةً أَنْ تُبْلي سُرَى الأَعداء　　　　وذَوُوهُ بمَنْعَةٍ واتِّقاء

ومَنيلا مانالَ جَرْحاً وقَتْلا

سَهْمَ بُؤْسٍ مُقَذَّذاً يَتَرَجْرَجْ (٢)　　　　ثُمَّ مِنْ واسِعِ الكِنانَةِ أَخْرَجْ

وانْثَنى يَنْذُرُ الذَّبيحَ المُدَبَّجْ (٣)　　　　فَوْقَ مَتْنِ الأَوْتارِ بالفُوقِ أَوْلَجْ

مُذْ يُوافي بِلادَهُ مُخْتَلاَّ

وإِلى صَدْرِهِ السَّرِيَّةَ أَضْنَكْ (٤)　　　　ثُمَّ فَرْضَ المَرِيشِ بالعُنْفِ أَمْسَكْ

فيذكر القوس والمادة التي صنعت منها وطولها وصانعها وزخرفها ثم مدها وتحوط صَحب حاملها ثم سهمها ووترها واطلاق السهم وحالة القوس بعد ذلك وذهاب النبلة بالفضاء الفسيح • وما هذا الاسهاب وذاك الايجاز الا مراعاة للمقام • فسهم فنداروس هنا يتأتى عنه تلاحم جيشين عرمرمين والذوق الشعري يأبى الا ان يكون له مزية تميزه عن سائر النبال فتفنن الشاعر بوصفه على هذا الاسلوب البديع تفكهة للسامع وارساخاً للذكر في الفكر لئلا يمر عليه مرًّا فينساه

(١) يتأنق الشاعر بذكر مادّة القوس تأنُّق أوس بن حجر بقوله :

ومبضوعة من راس فرع شظيّة　　　　بطودٍ تراهُ بالسحاب مكللا

ويترنم بمدح صانعها ترنم ذي الاصبع حُرثان العدواني بمدح صانع نباله :

قوّم افواقها وترّصها　　　　أنبل عدوان كلها صَنعا

ثم كساها أحم اسود في　　　　ناناً وكان الثلاث والتبعا

(٢) المقذذ المريش من السهام

(٣) الفوق فرض القوس يوضع عليه السهم

(٤) المريش السهم ذو الريش والسرية الوتر

قُوِّسَتْ قَوْسُهُ وَلم تَتَفَكَّكْ فَرَمى رُنِّنَتْ وفي السَّهْمِ نَيْزَكْ (١)
في فَسِيحِ الفَضاءِ قد غَلَّ غلاَّ
يامَنِيلاَ طوباكَ أَهْلُ الخُلُودِ دفعُوا عنكَ كُلَّ بُؤْسٍ شَدِيدِ
فأَثِينا وَقَتْكَ سَهْمَ الحديدِ مِثْلَما الأُمُّ وابنُها في هُجُودِ
عنهُ جَمْعَ الذُّبابِ تَدْفَعُ مَهْلا
هِيَ بالنَّفْسِ وَجَّهَتْهُ فَمالا لِعُرَى عَسْجَدِ الحَمائِلِ حالا (٢)
حَيْثُ ثِقْلُ النُّضارِ كالدِّرْعِ حالا إِنَّما السَّهْمُ قَطَّعَ الأَوْصالا
فَلَّها والجاً وفي الدِّرْعِ حَلاَّ
وَجَرى نافِذاً لِجَوْفِ حِزامِ قد وَقاهُ مِنْ غابِرِ الأَيَّامِ
شَقَّهُ خارِقاً الى الآدامِ وَلَجَ الجِلْدَ وهْوَ بالجُرْحِ هامي
بِدَمٍ أَسْوَدٍ تَعَكَّرَ شَكْلا
ضَرَّجَ الفَخْذَ ثُمَّتَ السَّاقَ خَضَّبْ وَبَهِيَّ الرِّجْلَيْنِ لَوْناً مُحَبَّبْ

(١) النيزك نصل السهم معرب نيزه بالفارسية ومعناه السهم — لعل في هذا المخمَّس شيئاً من المشاكلة اللفظية . قال الشماخ في وصف القوس :

اذا انبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى اوجعتها الجنائزُ

وقال الرقاشي في وصف النبال :

مجلوزة الاكعب في استواء سالمة من أُبَن السيساء
فلم تزل مساحل البراء تأخذ من طرائق اللحاء
حتى بدت كالحية الصفراء ترنو الى الطائر في السماء
بمقلة سريعة الاقذاء ليست بكحلاء ولا زرقاء

(٢) الحمائل نجاد السلاح اي ان السهم حل فيها ولم يحلّ في مقتل

مِثْلَمَا بِرْفِيْرٌ على العاجِ يُسكَبْ غيدُ قَرْيا وإِنِميُونَةَ تَرْغَبْ
فيهِ صِبْغاً الخَيلِ حَلْياً يُدَلَّى [1]

فيهِ قَدْ زِنّ مَنْزِلاً بِادِّخَارِ لَمْ يَنَلْهُ إِلاَّ عَزِيزُ المَنَارِ
فَهْوَ فَخْرُ الفُرْسَانِ آلِ الفخَارِ ومَنالُ المُلوكِ يَومَ الطَّوارِي
لَيسَ يَرْجُوهُ بَيْنَهُمْ مَنْ ذَلاَّ

فَأَغَامَمْنُونٌ دَنا وَتَحَقَّقْ ذَلِكَ الجُرْحَ كادَ بالنَّفْسِ يَشْرَقْ
وَمَنِيلا بِبَادِيءِ الأَمْرِ أَشْفَقْ فَرَأَى النَّصْلَ مائِلاً كادَ يَزْلَقْ
فَتَرَوَّى مُسْتَبْشِراً مُهْتَلاَّ

ضَجَّ قَومُ الإغرِيقِ يطْلُبُ حَقَّاً وأَخُوهُ أَسْتَشاطَ غَيْظاً وَرَقَّا
يَدَهُ مُمْسِكاً أَفاضَ وأَلقى : « ياشَقِيقَ الفُؤادِ قُلْ أَ التَلَقِّي
حَتْفَكَ اليومَ رُمْتُ ذا الوِفْقَ شُغْلا [2]

(١) شبه الدم المنفجر من جرح منيلاوس والمنصب على ساقه ورجليه بالبرفير الاحمر المنصب على العاج الابيض وهو تشبيه لطيف استطرد منه الى افادة تاريخية بقوله ان غيد قريا وايميونة كنّ يحسنّ صنع العاج بالبرفير ويصطنعن من ذلك حلياً لجياد الامراء والملوك والفرسان المبرّزين • وصناعة الصبغ بالبرفير او الارجوان تناولها اليونان من الفينيقيين

(٢) لا احرج من موقف اغاممنون في هذا المكان ولا كلام اوقع بالنفس من كلامه فانه القائد الباسل والزعيم الاكبر والاخ الشفيق الواقف الى جانب حليف من حلفائه وبطل طامع باقتداء الجيش بنفسه واخ حبيب لديه وهو جريح لا يعلم مآل جرحه • فكان من البديهي ان يستشيط غيظاً ويذوب حزناً ويتفطر فؤاده شفقةً وحناناً فامسك بيد اخيه وكله الكلام المنبعث من عاطفة الرئيس الانيس

ورَضِيتُ النِّزالَ فيهِ تُنادي وَحدَكَ الآنَ في بَني طِرْوادِ
قد رَمَوا عَنْ تَجَبُّرٍ وعنادِ وبنَكْثٍ داسُوا سَدادَ العِهادِ
إنَّما النَّكْثُ سوفَ يُمطِرُ خَذْلا

وَفقْنا والأَيمانُ والخمرُ حاشا ودِماءُ الكِباشِ أَنْ تَتلاشى (١)
فإذا زَفسُ غضَّ طَرْفاً وما شا يُوقِعُ اليومَ سوفَ يَنْهَضُ جاشا
ويُسِيلُ الدِّماءَ مِنهُم وَبْلا (٢)

سوفَ يَلْقَوْن عَنْهُ شرَّ العِقابِ ويُلقَّوْنَ مِنهُ قَطْعَ الرِّقابِ
وبَنُوهُمْ وأَهلُهُمْ بانتِحابِ تَجَرعُ الموتَ في شدِيدِ العذابِ
فَعلى ذا عَقْلي وقَلْبيَ دَلاَّ

والشقيق الشفيق المضطرب البال الهائج البلبال • وكانه القى على نفسه تبعة الايقاع باخيه فاخذه الندم على ابرام ذلك الوفاق ثم رأى له منفذاً بالتأسي فلجأ الى الورع واخلاص الاعتقاد فعلل الامل انه لا بد من ان ينتقم له زفس من اعدائه الذين عبثوا بحرمة ايمانهم وعهودهم • وكأن ذلك لم يرو غليله فبعد ان افرغ جعبة الاماني انثنى الى تأمل ذلك الجرح فخشي ان يودي باخيه فيأس الاغريق ويقفلون راجعين الى اوطانهم فتشمت الاعداء وتخيب الامال وينال اغاممنون وذويه عارٌ وبيل لا يمحوه كرور الاجيال فتمنى عندئذ الموت بل اشر من الموت ذلك ان يمَّحي اسمه ورسمه• فمهما اجهد شاعر نفسه لينطق اخاً بمثل هذا النطق فهيهات ان يبلغ المرام • وهوميروس نفسه لو تكلف ان يجري غير المجرى الطبيعي لما اتى بهذه البلاغة

(١) اي الايمان التي تواثقوا بها والخمر التي اراقوها والكباش التي ضحوا بها اثباتاً لايمانهم

(٢) يذكر أغاممنون تواثق الاغريق والطرواد ويتهدد الاعداء بعقاب

وكأنّي بزفس غيظ وأنّا ثمّ هاج البلا ورجّ المجنّا (١)
هو للنّاس حرمة العهد سنّا خرقوها فسوف ينقم عنّا
وبإليون يهبط الويل ثقلا
وإذا ما لقيت موتاً عجولا ولأرغوس أغتدي مخذولا
تتلظّى نفسي شجىً يامنيلا إذجنود الإغريق والصبر عيلا
وطناً عزّ يذكرون وأهلا
لايحلّون منك عظماً دفينا ظلّ ملقىً لدى حمى إليونا
وبهيلانة العدى خالونا فأنا الخيبة العظيمة هونا
ولهم ناطق الشّماتة عذلا
ويقولون عند قبرك لوما آعممنون هكذا انحطّ عزما

زفس بما يشبه قول زهير بن أبي سلمي :

ألا ابلغ الاحلاف عني رسالةً وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمنّ الله مافي نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم

ومن هذا القبيل قول الحارث بن حلزة اليشكري يذكر حلف بكر وتغلب لما جمعهما عمرو بن هند بذي المجاز وأصلح بينهما وأخذ منهما الوثائق والرهون

فاتركوا الطيخ والتعاشي واما تتعاشوا ففي التعاشي الداء
واذكروا حلف ذي المجاز وماقدّ م فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينـ قض ما في المهارق الاهواء
واعلموا اننا واياكم في ما اشترطنا يوم احتلفنا سواء

(١) كان زفس اذا أراد بقوم سوءًا رج مجنه انذاراً بالويل

طَلَّ في النَّحرِ كَيْدُهُ الدَّهرَ حَتما قادَ جَيْشاً عَرَمْرَماً مُـذْلِهماً
فانْثنى مُفْعَماً وَبالاً وأَجلى

عادَ عنْ حرْبنا بفُلْك خوالي لَمْ يَنلْ غيرَ خيْبةِ الآمالِ
وأَخُوهُ في التُّرْبِ والعظْمُ بالي لُجَّةَ الأَرْضِ إنْ يَكُنْ ذا مآلي
فابْلعيني وأُخفي ادِّكاري أَصْلا »

فمَنيلا بِعزَّةِ النَّفْسِ سَكَّنْ رَوْعَهُ قالَ: «فاحذَرِ الجيشُ يُحْزَنْ
فيَّ ذا السَّهْمُ قطُّ لَمْ يَتمكَّنْ قدوقَتْني العُرى ودِرْعي المُبطَّنْ
وحزامُ الحَديدِ أَوْقفَ نَصْلا » (١)

قالَ: « عَلَّ المَقالَ بالفأْلِ صحّا وَلْنَرُمْ آسياً لِيَسْبُرَ جرحا
وَلْيُخَفِّفْ بِبَلْسَمِ البُرْءِ بَرْحا فَعسانا نَلْقى لِمَسْعاه نُجْحا »
ثُمَّ نادى بِتَلْثبِيُوسَ : « رَحْلا (٢)

لِمَخاوُونَ أَسْقَليبَ النِّطاسي سِرْ وأَحضِرْهُ مُسْرِعاً خيرَ آسِ » (٣)

(١) انه كما دل كلام اغاممنون على احتدامه وحزنه ورأفته يدل كلام منيلاوس على عزة الجندي الباسل والاخ المدرك عواطف اخيه فكان أول كلامه انه حذَّر اخاه من التمادي بالحزن لئلا يضطرب الجيش ثم سكن روعه بقوله ان جرحه لم يكن قتَّالاً

(٢) تلثيبيوس احد سفيري اغاممنون كما تقدم

(٣) مخاوون بن اسقليب بطل من ابطال اليونان واحد طبيبيهم المشهورين والآخر اوريفيل

لِمَنِيلا المُقَدَّمِ النِّبْرَاسِ فَيَرَى جُرْحَ نابلٍ ذا باسِ [1]
نالَ فَخْرًا ونحنُ قَهْرًا و نَكْلا »

سَمِعَ الفَيْجُ مِنْهُ أَمْرًا وَلَبَّى بَيْنَ قَوْمِ الإِغْرِيقِ يَنْهَبُ نَهْبا
يَتَقَصَّى مُسْتَطْلِعاً مُشْرَئِبًّا فَرَآهُ بِالعَزْمِ يَشْتَدُّ قَلْبا
بَيْنَ أَصْحَابِهِ مُجِلاًّ مُعَلَّى

فَأَتَاهُ مُقَطَّعَ الأَنْفَاسِ قالَ: « ذا الطَّوْلِ لَبِّ يا خَيْرَ آسِ
لِمَنِيلا المُقَدَّمِ النِّبْرَاسِ فَتَرَى جُرْحَ نابلٍ ذا باسِ
نالَ فَخْرًا ونحنُ قَهْرًا ونَكْلا »

رَقَّ قَلْبُ الطَّبِيبِ حُزْنًا وَلَجَّا يَصْحَبُ الفَيْجَ بِالفَيَالِقِ فَجَّا
أَلْفَيَاهُ كَالرَّبِّ وَالجَمْعُ عَجَّا حَوْلَهُ فِي أَمَاثِلِ الصِّيدِ ضَجَّا
فَلَهُمْ فَرْعُ أَسْقَلِيبَ تَجَلَّى [2]

---

(١) النابل رامي النبل

(٢) المراد بفرع اسقليب ماخاوون الطبيب — كان أسقليب هذا (وقد يقال اسقليبيوس واسكولابيوس) إلاه الطب تلقى العلم عن استاذه خيرون وفاقهُ فيه. كانوا يمثلونه بهيئات مختلفة وفيها كلها رسم افعوان كبير. وقد اختلفوا في المراد من الافعوان فقيل هو للدلالة على تجدد الصحة كما يتجدد جلد الحية عاماً بعد عام. وقيل بل للدلالة على الحكمة التي يجب أن يتصف بها الاطباء اقتداءً بالحية المتصفة بالتيقظ



اسقليبيوس إلاه الطب

سحبَ السهمَ مِنْ رباطِ الحمائلْ كُسرَ النصلُ وهوَ بالرأسِ مائلْ
حلَّها ثُمَّ حلَّ دِرْعَ الغلائلْ وحزاماً دُونَ المقاتلِ حائلْ
بُذِلَ الجهدُ فيهِ بالصنعِ بذلا
سبرَ الجرحَ والدمَ امتصَّ جرًّا وعليهِ شافي البلاسمِ ذرًّا
ذاكَ سِرُّ خيرُونَ قبلُ أسرًّا لأبيهِ فكانَ مِنْ ثَمَّ ذُخرا
عمَّ كُلَّ الأنامِ خيرًا وفضلا (١)
قومُ الأغارقِ قد لهوا بجريحهِمْ وعليهِم زحفتْ قوى الأعداء (٢)
فتقنعوا بسلاحهِمْ وتقدموا مستلئمينَ لِساحةِ الهيجاءِ
أفلا رأيتَ مَليكهُمُ قد هبَّ لا متقاعدًا بتقاعسِ الجبناءِ (٣)

والدهاء . وذهب بلينيوس الى ان الداعي الى ذلك انما كان كثرة اعتمادهم على الادوية التي كانت تؤخذ من اجزاء جسمها

(١) كان خيرون من ابناء قرونس (زحل) فمسخ حصاناً واعتزل الى الغابات والجبال وتعلم فيها علم النجوم وخصائص العقاقير وكان يأوي الى كهف في جبل فليون ومن ثم صار هذا الكهف اشهر مدرسة في بلاد اليونان — ترى من الابيات الاخيرة ان علم الجراحة لم يكن عند اليونان في حداثته بل كان بالغاً مبلغاً عظيماً فسبر الجرح وامتصاص الدم منه وذر البلاسم عليه كلها أمور تشاهد حتى في أيامنا الا امتصاص الدم بالفم الذي كان أطباء العباسيين يعالجون به

(٢) لايستغربنَّ القارىء بعد ان رأى ما رآه من عبث الطرواد بعهدتهم واطلاق فنداروس سهمه على منيلا أن يراهم زاحفين زحفة واحدة على الاغريق ليأخذوهم على غرة وهم لاهون بجريحهم لانهم رأوا في ذلك السهم المنطلق من غير يد فاريس اشارةً الى ان الحرب لم تقف عند ذلك الحد

(٣) ان في هذا الانتقال من الخبر الى الانشاء أو الخطاب تنبيهاً للمطالع

بَلْ سارَ يَنْزَحُ مِتْنَ مَرْكَبَةٍ زَهَتْ بِنُحاسِها لِمَواقِعِ الإِجْزاء
أَلْقَى أَزِمَّةَ ضابِحاتِ جِيادِها لأُرِيمِذُونَ نُخْبَةِ الأُمَناء (١)
وإِلَيْهِ أَوْعَزَ أَنْ يَظَلَّ بِقُرْبِهِ لِيَلِيهِ حِينَ مَشَقَّةٍ وعَياء
ومَضَى عَلَى قَدَمَيْهِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ بِمَواقِفِ النُّبَلاءِ والأُمَراء (٢)
بالحَزْمِ يُثْبِتُ عَزْمَ كُلِّ كَتِيبَةٍ نَهَضَتْ بِبَأْسٍ ثابِتٍ وبَلاء :
« يا أَيُّها الإِغْرِيقُ لا تَتَرَدَّدُوا بُرْجُ النِّفاقِ عِمادُهُ تَتَهَدَّمُ (٣)

وتجديداً لرواء الشعر . وقد اكثر الشراح من تخريجه وتوجيهه والتكهن بما يعود عليه ضمير المخاطب في رأيت ولا نخاله الا انتقالاً بيانياً تحول فيه الشاعر من مشهد الى آخر على هذا الاسلوب او تجريداً بديعياً انتزع من نفسه فيه مخاطباً يخاطبه

(١) أوريمذون أو افريميزون حوذي اغا ممنون . والضابحات اللاهثات

(٢) يمثل لنا هوميروس في ما يلي القائد المتيقظ الذي يخوض الصفوف ويتفقد بنفسه مواقف جنده ليستنهض العزائم ويعنف المتثبطين عن القتال ويتذرع بالحكمة لتأليف قلوب الكتائب مخاطباً كل زعيم بما وافق مقامه وموقفه ومهيئاً سبل الهجوم والدفاع . وقد أبدى الشاعر من التفنن وحسن التصرف ما يجعل القارىء يأتي على كل مقالته ولا يملها وان طالت ويرى في كل سطر منها امراً جديداً ينبه خاطره ويوقد فكرته

(٣) ان من أعظم آفات الشعر العربي جري الشعراء على التزام قافية واحدة في طوال قصائدهم الا ما كان منها من بحر الرجز . ولهذا لا نرى شعراء العرب مع كثرة أشعارهم وجزالة مبانيها ورقة معانيها قد زادوا في منظوماتهم التاريخية على بضعة عشر بيتاً في منظومة واحدة وأحسن ما عندنا من هذا القبيل المعلقات السبع ومجموع ابياتها كلها لا يربو على نشيد من اناشيد هوميروس مع انهم لو نوّعوا قوافيهم لكان لهم في لغتهم بحر للشعر لا يدرك قراره . فالقصيدة اذا طالت على قافية واحدة اما أن تضيق قوافيها على الناظم فيقتضبها وأما أن تطول على القارىء فيملها وان كانت كلها غرراً غراء خذ مثالاً لذلك تائية ابن الفارض الكبرى فانها على ما جمعت

أَعداؤُنا نقضوا العهادَ خيانةً ... وعن الخيانةِ إنَّ زفسَ لينقمُ
ولسوفَ تفترسُ الطيورُ لحومهمْ ... وجميعُ أنقاض البلادِ تقضمُّ
ولسوفَ تحرزُ فلكنا أزواجهمْ ... وبنيهم وديارُهمْ تتردَّمُ » (١)
ويميلُ بالتعنيفِ محتدماً على ... منْ ذلَّ تحتَ الأزمةِ اللأواءِ: (٢)
« يا أيها الجندُ الأُولى زعموا البلا ... وتذللوا بقوىً غدتْ تتفصمُّ
أفلا خجلتمْ مذْ وجلتمْ رعدةً ... كالإيِّلِ الواهي يراعُ ويرغمُ
وإذا تملَّكهُ العياءُ بجريهِ ... بالبرِّ يلبثُ جازعاً يتهضمُّ
حتَّى مَ يقعدُكمْ تباطؤُكمْ فهلْ ... رُمتمْ لفلككمُ العدى تتقدَّمُ
وعليكمُ تنقضُّ في جرُفٍ طغا ... ليمدَّ منْ زفسٍ إليكمْ معصمُ »
خاضَ الصفوفَ يجوبُ في دفَّاعها ... لحما بني إقريطشَ النجباءِ

من غرابة التفنن والجزالة والرقة لانكاد نرى لها قارئاً مع ان حفاظ سائر منظوماته يعدون بالالوف . ولهذا مع التزامنا ان لانكرر قافية في قصيدة واحدة بل في الاناشيد كلها قد تصرفنا في بعض المواضع واتخذنا طرقاً جديدة نخالها تفي بالمقصود للنظم التاريخي سنشير اليها في مواضعها . واما في هذا الموضع وامثاله فقد التزمنا قافية لكل حديث وفي ذلك ما فيه من التخفيف على مسمع القارىء والتلطيف من نغمة القافية الواحدة فجعلنا هنا الخبر على قافية الهمزة كما رأيت في الابيات السابقة وكما سترى في سياق الحديث وخطاب أغاممنون على قافية الميم

(١) قال عنترة :

يا بني عامرٍ ستلقون برقاً ... من حسامي يجري الدماء سجاما
وتصيح النساء من خيفة السبـ ... ـي وتبكي على الصغار اليتامى

(٢) اللأواء الشديدة

أَلقاهمُ بِدُرُوعِهِم وإِذُوْمِنٌ ... يَشْتَدُّ كالخِرْنَوصِ في البَيْداء (١)
ساقَ الطَّايِعةَ يَستَجيشُ مُخَلِّفاً ... مِرْيُوْنَ عِندَ السَّاقَةِ الجَأْواءِ (٢)
فَاهْتَزَّ مِنْ طَرَبٍ لِشِدَّةِ بَأْسِهِ ... وعَلَيهِ قامَ يُفِيضُ خَيرَ ثَناء :
« حُيِّيتَ مِنْ بَطَلٍ أَجَلَّ مُعَظَّماً ... يَومَ الوَحى وبِكُلِّ ما يَتَجَشَّمُ
وإِذا الولائِمُ أُوْلِمَتْ وغَدَتْ على الـ ... زُّعَماءِ أَقْداحُ التَّفَاخُرِ تُقْسَمُ
فَلِسَهْمِهِمْ حَدٌّ وَسَهْمُكَ طافِحٌ ... وكَذاكَ سَهْمِي لا يُحَدُّ ويُحْسَمُ
تَتَناوَلُ الأَقْداحَ مَهْما شِئْتَها ... حَتَّى تَطِيبَ وأَنْتَ عَنْها تُحْجِمُ (٣)
زَحْفاً تَعَوَّدْتَ الفَخارَ سَجِيَّةً ... أَبَدًا وأَنْتَ الفائِزُ المُتَحَكِّمُ »

---

(١) الخرنوص والخنَّوص ولد الخنزير — أغفل كثيرون من نقلة الافرنج هذا التشبيه لثقل لفظة الخنزير في لغتهم كثقله في لغتنا • على اننا لما كنا آلينا على نفسنا أن لا نغفل شيئاً في التعريب أثبتناه مع اجتناب اللفظ الهجين • ولا ريب ان القدماء كانوا يكثرون من تشبيه الرجل الشديد بخنزير البر • قال في اساس البلاغة الرتّ الجريء من ذكور الخنازير ثم استعمل لرئيس القوم ومقدامهم وقالوا هو رتّ من الرتوت

(٢) مريون حوذيُّ ايذومين ورفيقه • كان من جملة خطّاب هيلانة قبل الحرب ولما تواثقوا جميعاً على ان يذودوا عن البعل الذي تختاره لنفسها ووقع اختيارها على منيلاوس برّ مريون بقسمه وحمل في من حمل على الطرواد وكان رامحاً جليلاً ونابلاً نبيلاً

(٣) كانت العادة في الولائم ومعاطاة الشراب أن تتساوى القسمة بين المدعوين فلا يتناول أحدهم ما يربو على حصة غيره الا اذا امتاز بمأثرة تذكر • وفي كلام اغاممنون هنا اشارة الى ان ايذومين كان من رؤساء الاقيال ومغاوير الابطال

فأجابَ: «يا أتريذُ سوف أبرُّبا | عَهْد القديم وسابق الإيماء[1]
وأنا ظهيرُكَ فادعُونَّ الى الوغى | لتشبَّ حالاً سائرُ النُّصراء
آلي العُداةُ فأخلفوا فليجرعوا | مضضاً جزاءَ الخُلفِ بالإيلاء»
جذلاً مضى أتريذُ مندفعاً على | هبِّ النسيم لسائرِ الزُّعماء
ألفى أ لأياسين اللَّذين تدجَّجا | وهنا المُشاةُ كغيمةٍ سوداء
دلفُوا بجحفلِ فتيةٍ فتَّاكةٍ | بمناصلٍ وعواملٍ صمَّاء
كغمامةٍ قاريةٍ سبحتْ على | وجهِ البحار بشدَّةِ الأنواء[2]
فتلوحُ للرَّاعي فيخفقُ سائقاً | سِربَ الشياهِ لأكهُفِ الظلماء
فارتاحَ أتريذٌ وقالَ مخاطباً | لهُما بحرِّ الهول والأرزاء:
« إيهٍ زعيمَيْ رهطِ درَّاعِ الحديـ | ـدِ فإنَّ مثلَكُما يكرُّ ويقدمُ

(١) جعل ايذومين سابق ايمائه برأسه لاغاممنون بمقام الحلف والتواثق . والايماء بالرأس واليد والحاجب من أقدم اصطلاحات البشر للدلالة على اغراض مقصودة وهي سابقة للنطق ومرافقة للصوت . وامثال ذلك كثيرة في الشعر العربي . قال القناني :

فقلنا السلام فاتقت من اميرها | وما كان الا ومؤها بالحواجب

وقال آخر:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا | وان نحن اوبأنا الى الناس وقفوا

وقال غيره :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها | اشارة محزون ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحباً | وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

(٢) قارية أي سوداء كالقار

حسبي بنفسكما تثير الى الوغى　　هِمَمَ الجنودِ بهمةٍ تتجهمُ
لو آهِ زفسُ وآلهُ منُّوا وما　　أحكمتما كلَّ الكتائبِ أحكموا
لتهدَّمت إليونُ تحت ذراعنا　　عجلاً وشمُّ عمادها تتحطَّمُ» (١)
ثمَّ انثنى لسواهمُ فبدا لهُ　　بذويه نسطرُ أفصحُ الخطباء
قد قام ينظم جيشهُ مستنهضاً　　وهُنا بياسُ نخبةُ الصلحاء
والملكُ هيمونٌ خرومِيسٌ ألسـ　　ـترُ فيلغونُ وسائرُ النجداء
جعل الطليعةَ خيلهُ وعجالهُ　　ومشاتهُ في ساقةٍ شهباء
والقلبَ أودعَ كلَّ نكسٍ واهنٍ　　عافَ اللقاءَ ليلتجي للقاء (٢)

(١) يرى القارىء ان هوميروس لايتجاوز في شيء صفة شخص من موصوفيه فلما مرَّ أغاممنون على ايذومين خاطبه فاجاب وسمع جوابه فايذومين كهل وخطه الشيب وملك ترفع عن العيب فسمع الخطاب وأدى الجواب وأما الاياسان فهما بطلان فتاًكان وفعاًلان لاقوّالان فاجتزأ أغاممنون بما قال لهما وانثنى غير منتظر جواباً

(٢) ان في ترتيب جيش نسطور على هذا النسق وفي كلامه لهم ما يدلنا على المام هوميروس بمقتضيات النظام العسكري • فلا أصلح للقتال من أن تكون الخيل طايعة والمشاة ساقة والقلب من ضعفاء القوم حتى لايهولهم الكر ولا يسهل عليهم الفر فانتظام الجند في الحرب بلغ منذ القدم مبلغاً عظيماً ولم يرو هوميروس تنسيق هذا النظام الا عن نسطور لانه أحكم الزعماء واسنهم وهي حكمة من حكمه • وقد روي عن أنيبال القرطجني انه جرى هذا المجرى في واقعة زاما فاودع قلب جيشه كل عاجز جبان•ولا عجب ان يبلغ نظام الجند هذا الشأو منذ القدم والحرب كانت شاغل الامم ومدرجة المجد والفخار • ولنا من تاريخ العرب لاوائل الاسلام آثار جمة تشهد بمعرفتهم بفنون الحرب في زمن الجاهلية حتى لقد نراهم يدعون الفيلق التام بالخميس دلالة على انه مؤلف من خمسة اقسام وهي الطليعة والساقة والقلب

وبدا يحثهمُ لكلّ كريهةٍ والصبرِ في السرَّاء والضرَّاء :
« لا تقحموا بعجالكم وتبدَّدوا مستهدفين لغارةٍ شعواء (١)
وحذار تغترُّون في بأسٍ لكم ومهارةٍ في الحثّ والإعداء
بكتائب الأعداء تنفردون او أن تنكصوا بجبانةٍ لوراء
فبذا يهون على العدوّ نكالكم وبذاك أعظم شدةٍ وعناء
وبأيكم كبت الجياد وقد لجا لسواه منكم مقبلاً لنجاء
بالرمح فليلقَ العداة فإنما هذا يقيناً أصوب الآراء (٢)
أسلافنا هدموا كذا بدهائهم أسوار كلّ مدينةٍ شمّاء »
طرب المليك لحزم نسطور الذي خبرت مخابره بطول بقاء
فإليه مال مخاطباً برعايةٍ : « ياشيخ صدرك بالبسالة مفعمُ
لا كان دهرٌ منك جسمك موهنٌ وقوام عزمك مخمص ومهضَّمُ
ياليت ساقك مثل قلبك شدةً ولئن هرمت وذلَّ قرمٌ يهرمُ

والميمنة والميسرة

(١) اذا ورد ذكر الخيل والفرسان في شعر هوميروس فليعلم القارئ انها المركبات وركّابها لان حرب الفرسان على ظهور الخيل لم تكن معروفة عند اليونان أيام حصار طروادة

(٢) أي ان من كبت به خيله وسقط من مركبته ولجأ الى مركبة غيره فلا يعترضه بسوقها بل يقاتل برمحه دون التعرض لامر آخر . وقد اختلف النقلة كثيراً بترجمة هذه العبارة فاخترنا هذا المعنى لانه اقرب الى الصواب على ما يلوح لنا

مَنَحَتْكَ أَرْبَابُ العُلى بَأْسَ الصِّبا وأُولي الصِّبا طُولَ البَقا مَنَحَتْهُمُ» (١)

فأَجابَ نَسْطُرُ: «قدْ هَرِمْتُ وحبَّذا لَوْ كُنْتُ بَعْدُ بِشِدَّةِ الأَعْضاء

زَمَناً أُرُوثَلِيُونَ فيهِ مُجَنْدَلاً أَلْقَيْتُ مُخْتَضِباً بِبَحرِ دِماءِ (٢)

لَكِنَّما لَمْ تَحْبُ آلِهَةُ الوَرى كُلَّ الأَنامِ بِجُمْلَةِ الآلاءِ

فَلَئِنْ مَرَحتُ شَبِيبَتي بِتَشَدُّدِي فَلَقَدْ هَرِمْتُ وخُفِّضَتْ نُعَمائي

أَدَعُ الطِّعانَ وشأْنَهُ لأُولي القُوى وأُولو القُوى واعُونَ صَوْتَ نِدائي»

وأَتى الاثْنَيْنِ قَوْمَ مَنَسْتِسٍ ذِي السَّبْقِ بالإِعْداءِ والإِجراءِ

ويَلِيهِمِ بِهِمُ الكِفالِيِّينَ مَنْ دانُوا لأُوذِسَ أَحْكَمِ الحُكَماءِ

فَاذا هُمَا لَمْ يَسْمَعا لَجَبَ الوَحى والجاشُ زَعْزَعَ سائِرَ الأَنْحاءِ

وتَرَبَّصا حتَّى عَلى الأَعْدا يَكُرُّ سِواهُما بِسَرِيَّةٍ خَرْساءِ

فَسَعى يُؤَنِّبُ عاتِباً بِمَلامَةٍ واسْتَنْكَرَ المَسْعى بالاسْتِبْطاءِ: (٣)

«لِمْ يا ابْنَ فِيتِيسٍ وَنَيْتَ وأَنْتَ يا قَلْبَ الدَّهاءِ أَراكَ لا تَتَقَدَّمُ (٤)

(١) قوله منحتك دعاء له وكذلك قوله منحتهم

(٢) اذا شاخ المرء وعجز عن الكفاح وكلت ذراعه فانما يتأسى بما سلف له من البطش في غضاضة الشباب وهكذا ذكر نسطور هنا أورثليون الجبار الذي قتله بصباه في حرب الارقاديين والفيليين

(٣) ينجلي دهاء أوذيس في كل زمان حتى في الازمات الشداد فانه وان كان بطلاً مقداماً لم يرَ من الصواب أن يكون أول من كر على العدو بل تربص هنيهةً وتبصر

(٤) ابن فيتيوس هو منستس وأشار بقلب الدهاء الى أوذيس

فَلِمَ التَّخَلُّفُ رِعْدَةً لِسواكُما　　والقَومُ خِرْصانَ العَوامِلِ قَوَّمُوا
قد كُنْتُ آمُلُ في الصُّدُورِ أَراكُما　　بِسُراكُما وأَراكُمُ أَعْجَزْتُمُ (١)
أَفَلَمْ تَكُونا والوَلائِمُ اوْلِمَتْ　　للصَّيْدِ أَوَّلَ مَنْ يُعَزُّ ويُكْرَمُ
فَهُناكَ تَرْتَعِيانِ باللَّحْمِ الشَّوِيِّ وَصافِياتِ الكأْسِ حينَ تُقَدَّمُ
وهُنا يَسُرُّكُما بِأَنَّ كَتائِباً　　عَشْراً أَمامَكُما تَكُرُّ وتَهْجُمُ
فَعَلامَ عن قَرْعِ القَنا أُقْعِدْتُما　　ومَواقِفُ الأَعْداءِ ضَرَّجَها الدَّمُ»

فَأَجابَ أُوذِسُ مُغْضَباً: «أَفَلا تَرَى　　رَجْماً عَلَيَّ حَكَمْتَ بالإِبْطاءِ
فَلَسَوْفَ تَنظُرُ إِنْ وَدَدْتَ قِتالَنا　　بِطَلائِعِ العُظَماءِ والنُّبَلاءِ
وَتَرَى أَبا تِلماخَ في صَدْرِ العِدى　　وهُنا أَراكَ خَبَطْتَ بالخُيَلاءِ»
فَأَجابَهُ مُتَبَسِّماً مُذْ خالَهُ　　قد غِيظَ بالحُسْنَى والاِسْتِرْضاءِ: (٢)

«مَهْلاً أَيا ابْنَ لايِرْتَ لَسْتُ مُنَدِّدا　　فَلَقَدْ بَلَوْتُكَ حِكْمَةً تَسْتَعْصِمُ
وَقَدِ اسْتَوَيْنا بُغْيَةً وَشَعائِرا　　جُلَّى فَدُونَكَ ذُرْوَةً تَتَسَنَّمُ
وتَعَدَّ عَمَّا اشْتَدَّ مِن عَتَبِي عَسَى　　بالرِّيحِ يَذْهَبُ بائِدًا يَتَخَرَّمُ.

---

(١) أراكم بصيغة الجمع أي انتما وسراكما

(٢) لم يكن أغاممنون ليعنف أوذيس تعنيفه لغيره لما كان يعلم من بأسه وسداد رأيه بل أنكر عليه بادىء بدء تقاعده فلما استجلى حقيقة الامر ورأى من أوذيس الوجد عليه جعل يسترضيه ويعتذر اليه شان القائد الحكيم الذى اذا أساء الظن انتهر وان عرف الحق اعتذر

وَلَئِنْ تَسُؤْكَ مِنَ المَقالِ صلابةٌ فَلَسَوْفَ أَرْتُقُ مافَتَقْتُ وأَلْئِمُ »[1]
وأستأنف السيرَ السريعَ مُطَوِّفاً لذيُومِذٍ ذي العِزَّةِ الأَبَّاء
أَلْفاهُ مُنْتَصِباً بظَهرِ عِجَالِهِ في عُزْلَةٍ عن مَوْقِفِ الإِبْلاء
وبقُرْبِهِ إِسْتِيْنِلٌ فَلَحاهما لوماً لذا الإِجْحامِ والإِغْضاء :
« أَسَفاً خليفةَ تِيذِيُوسَ أَراكَ مِنْ دُون الفَوارِسِ جازِعاً تَتَلَمْلَمُ
هلاَّ اقْتَفَيْتَ أَباكَ في عَزْمٍ بِهِ قدكانَ قبلَ أُولي العزائمِ يَعْزِمُ
لَمْ أَلْقَهُ لكنْ رَوَيْتُ لِمَنْ رأى عَنْهُ فِعالاً بالفَخارِ تُعَظَّمُ
ولَقَدْ أَتى مِيكِينيا وفُلِيْنِكٌ ذُو البأْسِ ضَيْفاً للجَحافِلِ يَنْظِمُ
لِحِصارِ ثِيْبَةَ يَجْمَعُ الأَجْنادَ في حُلَفائِهِ والجَيْشُ ثَمَّ عَرَمْرَمُ
رَغِبا بِنَجْدَتِهِمْ فَما بَخِلُوا بها لَكِنَّ زَفْسَ على الخِلافِ مُصَمِّمُ
فَأَراهُمُ لِلشُّؤْمِ مِنْهُ إِشارةً وَلَوى العَزِيْمَةَ عَنْ مَرامٍ أَبْرَمُوا
نَكَصا ولَمَّا بُلِّغا آسُوْفِساً والخَيْزُرانُ بِضَفَّتَيْهِ مُخَيِّمُ
فَبَدا لَدى الإِغْرِيقِ أَمْرُ مُهِمَّةٍ فَبِتِيْذِيُسْ خَيْرًا رَأَوا وتَوَسَّمُوا
بِعَثُوهُ سارَ فَجاءَ أَبْنا قَدْمُسٍ في صَرْحِ إِتْيُكْلٍ ومُدَّ المَطْعَمُ

---

[1] (١) اتنى أغاممنون عن أوذيس وهو يقول قول طريح بن اسمعيل الثقفي :

أبغي وجوه مخارجي من تهمة زمّت عليّ وسدّ منها المطلعُ
جزعاً لمعتبة الوليد ولم أكن من قبل ذلك في الحوادث اجزعُ
ولا نزعنّ عن الذي لم تهوه ان كان لي ورأيت ذلك منزعُ
ان كنت في ذنب عتبتَ فانني عما كرهتَ لنازع متورعُ

ما راعَهُ أَنْ كانَ مُنفَرِدًا لَدى قَوْمِ العِدى و بَدا بِبأْسٍ يُفْحِمُ
باراهمُ واحْتازَ أَعظَمَ نُصْرَةٍ ولهُ بآثينا النَّصيرُ الأَعظَمُ
فتحدَّمُوا غيظًا عليهِ وأَكْمَنُوا خمسينَ أَخمَسَ بالحديدِ استلأَموا
وبرأسِهِمْ ذُوالعَزْمِ لِيُوفُنطسُ وميُونُ ذُوالطَّوْلِ الشَّديدِ الأَيْهَمُ
أَفْناهمُ عن بَكْرَةِ الآباءِ لا ناجٍ نجا الاَّ مِيُونُ منهمُ
أَبقاهُ إِذْعانًا لأَرْبابِ العُلى فلذاكَ تِيذِيُسٌ وهذا الإِبْنُمُ
ما كانَ مِثْلَ أَبيهِ إِبّانَ الوَغى وأَبُوهُ لمْ يَكُ مِثْلَهُ يَتَعظَّمُ» (١)

فوَعى ذِيُومِيذُ المَلامَةَ صامتًا رَعْيًا لِحُرْمَةِ سَيِّدِ الرُّؤَساءِ

---

(١) ما اكثر ما قال العرب قول أغاممنون بمدح الاباء وذم الابناء كقولهم :

يفاخرون باجداد لهم سلفوا نعم الجدود ولكن بئس من خلفوا

حتى لربما رأيت شاعرهم يوجه الملامة بنفسه الى نفسه وقومه كمعن بن اوس المزني القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق اسأْنا في ديارهم الصنيعا
اذا الحسب الرفيع تواكلته بُناةُ السوء اوشك ان يضيعا

قد عيب على الشاعر انطاق اغاممنون بهذا الخطاب الطويل في هذا الموقف الضيق ولكن مطالع هوميروس يعلم انهم في جاهليتهم كانوا اثناء الحروب يتذكرون كل حين سالف وقائعهم ويعظمون الابناء باعمال الاباء والعكس بالعكس . هذا فضلاً عما في هذا الكلام من الحث والاستنهاض واثبات اثر تاريخي قلما يعثر عليه في مكان آخر . وعندي انه لو عيب الشاعر على توجيه الملام لذيوميذ لكان اولى لان ذيوميذ ابرز من البسالة كل ايام تلك الحرب ما تعجز عنه فحول الابطال فلم يكن ممن يلام لتقاعس او اهمال . على انه يظهر ان الشاعر اتى بهذا اللوم عن قصد زيادة في اجلال اغاممنون واعظام سداده اذ كان شعاره المساواة ونبذ المحاباة

لكنَّما إستِنيلُ لم يرْعَهـا وأجابَ مُبتَدِرًا بلا استحياء:[1]

« هلاَّ صدَقتَ بما نطقتَ وإنَّنا قومٌ أشدُّ قوىً منَ الآباء

ولقَدْ فتَحْنا ثِيبةً بِمَيالقٍ شُمّ النُّفوسِ قليلةِ الإحصاء

ولَقَدْ وَثِقْنا بالمَقاماتِ العُلى ومَنالُ زَفْسٍ صادِقُ الأنْباء

آباؤُنا هلَكوا بِسوءِ سَريرَةٍ أَقْصِرْ فما الآباءُ كالأبناء »[2]

حَنِقاً ذِيُومِيذٌ أَتاهُ مُعنِّفاً : «إجْلِسْ حليفَ الصَّمْتِ والإصْغاء

ما كُنْتُ ذا جَهْلٍ لأَحْنَقَ إنْ مَضى أَتْرِيذُ يُنْهِضُ هِمَّةَ العُمَداء

إنْ نالَنا النَّصْرُ العَظيمُ فمَجْدُهُ هُوَ فائِقُ الأَوْصافِ والأَسْماء

(١) ان في صمت ذيوميذ واستطالة استينيل ما يدل على ان ذا القدر يحترم ذا القدر وان الكلام البذي لا يصدر من الصدر النبيل ففعل ذيوميذ يغنيه عن قوله واما استينيل فلم يرع حرمة رئيسه لانه لم يكن من ذوي الحرم المرعية • وتجاوز اغاممنون عن جوابه دليل على قلة عبئه به فلم يعامله كما عامل اوذيس قبل قليل

(٢) لا اعرف شاعراً او فارساً من شعراء العرب وفرسانهم مدح نفسه وهجا سلفاءه كاستينيل اللهم الا ان يكون الحطيئة • ولكن الحطيئة كان ذمياً دمياً هجّاءً من فطرته لم ينجُ من مثالبه قريب ولا بعيد فهجا اباه وامه وزوجته وبنيه ومات وهو يهجو نفسه ويقول :

لا احدٌ الأَمُ من حُطَيّه هجا البنين وهجا المريّة

واما افتخار بمدح النفس فكثير في الشعر العربي كقول ابي الطيب :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبجدّي فخرت لا بجدودي

ولكنك ترى شاعرنا العربي اذا قال قولاً كهذا يستدركه بما ينفي عنه مظنة ازدراء الاباء والاجداد كقوله بعد هذا البيت :

وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد

وإذا ذَلَّنا بأنكسارِ جُنُودِنا   فعلَيهِ أعظَمُ لَزْبَةٍ دَهماء [١]
فَلْنَعْتَصِمْ بالبأسِ وَلْنُقْدِمْ إذًا   مُتَجنّبين غَوايةَ الأَهْواءِ »
ثُمَّ أنبرَى مِنْ فوقِ مَرْكَبَةٍ لَهُ   لِلأَرْضِ بالإقدامِ والغُلَواءِ
فَعَلا لِصَلْصَلَةِ السِّلاحِ بِصَدْرِهِ   صَوْتٌ يُهَيِّجُ حُوْبَةَ الحَوْباءِ [٢]

تَدَفَّقَتِ الأَجْنادُ أَيَّ تَدَفُّقٍ   إلى الحَرْبِ تَجْرِي فَيْلَقًا إِثْرَ فَيْلَقِ
كَثائرِ أَمْواجِ البِحارِ تَهِيجُها   مِنَ الرِّيحِ أَنْواءٌ بِغَيرِ تَرَفُّقِ
يُدَفِّعُ بَعْضًا بَعْضُها فَوْقَ لُجِّها   الى حَيثُ فوقَ الجُرْفِ بالعُنْفِ تَلْتَقي [٣]

---

(١) ما احسن ما قال جحدر بن معاوية العكلي بما يقارب معنى هذه الابيات الثلاثة :

ولا تشتم المولى تتبع اذاتهُ   فانك ان تفعل تسفهْ وتجهلِ
ولا تخذل المولى لسوء بلائه   متى تأكل الاعداءُ مولاك تؤكلِ

ومثله قول عبيد بن ايوب العتبي :

ولا تخذل المولى اذا ما ملمةٌ   المّت ونازل في الوغى من ينازلهْ

واحسن منه قول الفضل بن عبد الرحمن العباسي :

وعطفاً على المولى وإن كان بينه   وبينك في بعض الامور معاتبُ
ومن ذا الذي ترجو الاباعد نفعهُ   اذا هو لم تسلم عليه الاقاربُ

(٢) الحوبة الهمة والحوباء النفس — لا ادل على كبرذيوميذ وعزة نفسه من صمته عن جواب اغا ممنون وانتائه بالتعنيف على زميله ثم ترجله وتهيئوه للكفاح — وهنا أتى بنا الشاعر الى مشهد عظيم الا وهو زحف الجيشين للقتال واصطدامهما لاول مرة وجعل توطئة كلامه في وصف الزحف فابدع فيه ابداعاً هيهات ان يؤتى بمثله

(٣) تفنن شعراؤنا بالتشبيه بالامواج المتدافعة فعارضوا بها شتيت المعاني من

فَتَنْقَضُّ أَعلَى الصَّخْرِ عن زَبَدٍ غثا تَغَرْغَرَ عَن قَصْفِ الهَدِيرِ المُصَفَّقِ
بِهِمْ أَوْلِيَاءُ الأَمْرِ يُسْمَعُ أَمْرُهُمْ وَهُمْ لامرئ نَفَسٍ ولاصَوْتُ مَنْطِقِ
تَخَالُهُمُ بُكْماً لأَوَّلِ وَهْلَةٍ وقد نُظِمُوا نَظْمَ الخَيِيرِ المُحَقَّقِ
وفَوقَ الصُّدُورِ الطَّامِحَاتِ تَأَلَّقَتْ صَوَارِمُهُمْ والسُّمْرُ أَيَّ تَأَلُّقِ (١)
ولَكِنَّما الاعْداءُ قامَ ضَجِيجُهُمْ كَسِرْبِ شِيَاهٍ بِالحَظَائِرِ قُلَّقِ

المهيب المخوف الى القريب المألوف . فمن تهيب بها تهيُّب هوميروس عنترة العبسي بقوله يصف الجيوش :

تموج كموج البحر تحت غمامة قد انسجت من وقع ضرب الحوافرِ

وابو دهبل الجمحي بقوله يصف الليل :

وليلة ذات اجراس واروقةٍ كالبحر يتبع امواجاً بامواج

وابدع ما استخرجته مخيلة شاعر بهذا المعنى قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر ارخى سدوله عليَّ بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازاً وناءَ بكلكل
الا ايها الليل الخ

وممن تحبب بها الى ممدوح المسيب بن عَلس بقوله :

ولأَنت اجود من خليج مفعمٍ متراكم الآذيّ ذي دفاعِ

ومثله البحتري بقوله (وهو مأخوذ عن ابي دهبل)

الى فتى يتبع النعمى نظائرها كالبحر يتبع امواجاً بامواج

(١) روي الزمخشري عن ابي النجم :

وصارمات في الاكف قضبا تخالهن في الاكف شهبا

وقال ذو الرمة :

وقد جرَّد الابطال بيضاً كأنها مصابيح تذكو في الذبال المفتلِ

وقال عنترة :

وتلمع فيها البيض من كل جانبٍ كلمع بروق في ظلام الغياهبِ

إذاما أُستُدِرَّت والكِباشُ ثُغَتْ لها ❊ لَهُنَّ رَنَتْ تَثْغُو بأَنَّةِ مُشْفِقِ (١)

فَأَوْزاعُهُمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ تَأَلَّفُوا ❊ بِعِدَّةِ لُسْنٍ وأُخْتِلافِ تَخَلُّقِ

تَشُوقُهُمُ طَوْرًا أَثِينَا الى الوَغى ❊ وطَوْرًا إلاهُ الحَرْبِ أَدْهى مُشَوِّقِ

ومِنْ حَوْلِهِ هَوْلٌ ورِعْدَةُ فِتْنَةٌ ❊ شَقِيقَتُهُ إِلْفُ الشِّقَاقِ المُفَرِّقِ (٢)

نَعَمْ هِيَ إِنْ تَنْشَأْ هُزالٌ وإِنْ نَمَتْ ❊ الى قُبَّةِ الزَّرْقاءِ بالجَوِّ تَرْتَقِي (٣)

(١) شبه الطرواد بالنعاج التي يختلط صوتها في حظائرها عند ما يستدر لبنها وهناك الحملان تثغو لامّاتها والامات تنظر الى حملانها فتثغو لها فيكون ثمة لجب وضوضاء • قابل الشاعر هنا بين اقبال الاغريق على الطرواد وزحف الطرواد على الاغريق مقابلة اعرب فيها عن انتظام الجند في الجيشين فهيأ لنا الاغريق قوماً يزحفون سكوتاً لا كلام بينهم الا لاولياء امرهم والجند تصغي وتطيع يخالهم الناظر بكماً وهم يتدفقون تدفق الامواج التي تثيرها العواصف على الجرف فتنقض على الصخور ويتصاعد زبدها بينا ان اعداءهم في هرج ومرج لقلة ما الفوا من الزحف كما ترى ذلك مفسراً في البيت التالي حيث قال انهم اوزاع متألفون من كل فج وناد ومتخلقون بشتيت الاخلاق وهو وصف دقيق يؤيده التاريخ اذ كانت امم التحالف اليوناني متقاربة الاخلاق متألفة الطباع واللغات بخلاف نجداء الطرواد الذين لم تكن لهم جامعة يعرفون بها قبيل الحرب — ولما انتهى من وصف الزحف استطرد الى ذكر مهيجاته بصورة رمزية تجاري عادته ومن ثم وصف اصطدام الجيش بالجيش وأخذ في التفصيل بما ينبئك بما له من طول الباع بمعرفة أطوار الكر والدفاع

(٢) الهول والرعدة والفتنة أعلام مجسمة في شعره ولهذا اعربناها اعراب الاعلام

(٣) لا قول أصدق من هذا القول في وصف الفتنة فانها في بدء أمرها كلمة خفيفة أو حركة ضعيفة لايكاد يعبأ بها فاذا نمت لاحدَّ لتناهيها في العظم ومهما وصفها الواصفون فلا يأتون باحسن من هذا الوصف • قال طرفة بن العبد :

بِمُجْتَمَعِ القَوْمَيْنِ طَافَتْ مُجِدَّةً ... تُمَزِّقُ جَمْعَ الشَّمْلِ كُلَّ مُمَزَّقِ
ولَمَّا تَدانَوا والنُّفُوسُ سَوَاخِطٌ ... تَحَرَّقَتِ الأَجْنادُ أَيَّ تَحَرُّقِ
طِعانٌ تَلاقَتْ في صُدُورٍ تَدَجَّجَتْ ... وكَرٌّ يُوارِي يَلْمَقاً فوقَ يَلْمَقِ (١)
وزَفْرَةُ مَقْتُولٍ ونَعْرَةُ قاتِلٍ ... بِسَيلِ دِماءٍ بالأَسِنَّةِ مُهْرَقِ (٢)
يُلاطِمُهُمْ داعي الكِفاحِ مُشَدِّداً ... كَشُؤْبُوبِ ماءٍ بالسَّحائبِ رَيِّقِ
بِسَيْلَيْنِ مِنْ شُمِّ الجِبالِ تَحَدَّرَا ... يَفِيضُ بِسَفْحٍ عَن مَجارِيهِ ضَيِّقِ
زُعابٌ طَغا يَبْدُو بِهائِلِ مَنْظَرٍ ... لِراعٍ لَدى قاصِي الشَّوامِخِ مُحْدِقِ

قد يبعث الامر الكبير صغاره ... حتى تظل له الدماء تصبُّ

وقال مسكين الدارمي :

ولقد رأيت الشر بين الـ ... ـحي تبـدأهُ صغارُهُ
ولو أنهم يأسـونه ... لتنهنت عنهم كبارُهُ

وقال ضوء بن اللجلاج :

ألم تر ان الشر مما يهيجه ... اصاغرهُ حتى يتم فيكبرا
وان كمين العرّ يخفى دواؤهُ ... على أهله حتى يبين فيظهرا

(١) اليلمق الترس

(٢) لم يبق شاعر من الافرنج لم يعجب بهذا الكلام وتناقلوه خلفاً عن سلف ولا نرى عجباً أن يأتي به شاعر مطبوع لانه يتبادر الى كل بصيرة وقادة • وامثاله كثيرة في منظومات العرب الذين لم يعرفوا شيئاً من اقوال هوميروس • ولله در ابي الفوارس اذ يقول :

وكررتُ والابطال بين تصادمٍ ... وتهاجم وتحزبٍ وتشددِ
وفوارس الهيجاء بين ممانعٍ ... ومدافعٍ ومخادعٍ ومعربدِ
والبيض تلمع والرماحُ عواسلٌ ... والقوم بين مجدّل ومقيدِ
وموسد تحت التراب وغيرهُ ... فوق التراب يئن غير موسدِ

عجَّ العجاجُ وكانَ أوّلَ طاعنٍ أنْطِيلُخٌ بطلائعِ الطرْوادِ (١)
طعنَ ابنَ ثالسياسَ إيخُوفُولُساً في خوذةٍ سُبكتْ لصدِّ صعادِ (٢)
نفذَ السنانُ بفوْدِهِ لدماغهِ فانقضَّ طرْفاهُ بغيرِ رشادِ (٣)
في ساحةِ الهيجاءِ كالطوْدِ ارتمى فأغذَّ ألفينُورُ بالإسآدِ (٤)
واجتّرهُ منْ أخمصيهِ لخلوةٍ يبغي استلابَ سلاحِهِ الوقّادِ
ما نالَ إلاَّ خيبةً وبدارهُ في الحينِ عادَ عليهِ شرَّ معادِ
فالترْسُ مالَ بميلهِ عن خصمهِ وهناكَ آغينُورُ بالمرْصادِ
فانقضَّ يطعنُهُ بأسمرَ عاسلٍ فلواهُ مطرُوحاً كليلَ فؤادِ
فاشتدَّ معترَكُ الجيوشِ مغيرةً كالذئبِ أفرادٌ على أفرادِ
فسطا أياسُ على ابنِ أنثيميُّنَ (يفعٌ ترعرعَ فانبرى لطرادِ
نسباً لسمويسٍ دُعي سِمُويسياً مذْ فازَ في شاطيهِ بالميلادِ
زمناً أتى من طوْدِ إيذا أهلُهُ ليروا قطاعَهمُ بذاكَ الوادي) (٥)
ما نالَ أهلُوهُ جزاءَ عنائهمْ وقضى الحياةَ قصيرةَ الآمادِ

والجوُّ اقتم والنجوم مضيئةٌ والافق مغبر العنان الاربدِ

(١) انطيلوخ هو ابن نسطور وكان من جملة طلاب هيلانة

(٢) الصعاد جمع صعدة بمعنى الرمح

(٣) الفود مقدم الرأس

(٤) الفينور هو ابن خلكودون وكان أيضاً من طلاب هيلانة

(٥) قطاع جمع قطيع للماشية

بِقَنا أبْنِ تِيلامُونَ قُوِّضَ عَيشُهُ ... لَمَّا عَلا بالقَومِ وَقْعُ جِلادِ
خَرَقَ السِّنانُ لِمَنكِبَيْهِ صَدْرَهُ ... كَدَمَ الحَضيضَ مُذَبَّلَ الأَوْرَادِ
مُلْقىً حَكى صَفْصَافَةً مَمْشُوقَةً ... والرَّأسُ غَضٌّ يانِعُ الأفنادِ
رَبِيَتْ على عَذْبِ المِياهِ فَقُطِّعَتْ ... آصالُها بِقَواطِعِ الحَدَّادِ
مِنْها يَرُومُ عِجالَ مَرْكَبَةٍ زَهَتْ ... فَتَجِفُّ مُلْقاةً على الأَجْدَادِ[1]
فَرَمى أبْنُ فِرِيامَ الفَتى أَنطِيفُسٌ ... بِقَناتِهِ للقاتِلِ المُرْتادِ[2]
فَنَبَتْ ولكِنْ أنْفَذَتْ في لُوقُسٍ ... ذي البأسِ صاحِبِ أُوذِسَ الشَّدَّادِ
قد كانَ يَحْتَمِلُ القَتيلَ لِسَلْبِهِ ... فَمَضَتْ بِحالِبِهِ كَوَرْيِ زِنادِ
سَقَطَ القَتيلُ الى الحَضيضِ ولوقُسٌ ... وَرَدَ الرَّدى من جُمْلَةِ الوُرَّادِ
فَانْقَضَّ بالزَّرَدِ المُؤَلَّقِ أُوذِسٌ ... لِطِلابِ ثَأْرِ أَلِيفِهِ وَذِيادِ
قَصَدَ الطَّلائِعَ دانِياً مُتَشَوِّفاً ... وأَطارَ صَعْدَتَهُ على الأَجْنادِ
فَتَبَعْثَرُوا لكِنَّها سُلْكَى مَضَتْ ... لِذِمِيكُوُونَ بالحُتُوفِ تُنادي[3]
نَغْلٌ لِفِرْيامَ أَتى من آبِذُسْ ... يَجْري اليهِ على سِراعٍ جِيادِ
وَخَضَتْ بِصُدْغَيْهِ فَراحَ مُجَنْدَلاً ... بِصَلاصِلٍ تَحْتَ السِّلاحِ شِدادِ
نَكَصَ الطَّرَاوِدُ لِلوَراءِ تَقَهْقُراً ... وكَذاكَ هَكْطُرُ عُمْدَةُ الأَمْجادِ

---

(١) الاجداد جمع جدَّة وهي الشاطىء
(٢) المرتاد الطالب
(٣) الطعنة السلكى المستقيمة

وتَقَدَّمَ الإغْرِيقُ بينَ هَلاهِلٍ وسعَوا بجَمْعِ مُشتَّتِ الأَجْسادِ
مِنْ فَوقِ فِرْغامٍ أَفُلُّونٌ رَأَى فَدَعاهُمُ لِتَصلُّبٍ وعِنادِ :
« يا قومَ إليُونَ الكِرامَ تقدَّموا فَلَقَدْ دَعا داعي الرَّدى البَدَّادِ
لا تَسْتَذِلُّوا فالعدى لَيْسُوا مِنَ الـ فُولاذِ والجُلْمُودِ يومَ جِلادِ
لِيَكِلَّ وَقْعُ نِصالِكُمْ وَقَنِيِّكُمْ وأَخيلُ لَيسَ بجُمْلَةِ الأَعْدادِ
ما زالَ بينَ الفُلْكِ مُحْتَدِماً عَلى ما نالَهُ مِنْ شِدَّةِ الأَضْدادِ » [1]
وبِجَحْفَلِ الإغْرِيقِ آثينا انْبَرَتْ بَينَ الصفُوفِ بِعزْمِها المُعْتادِ [2]
راحتْ تَهِيجُ نُفُوسَهمْ وتُثِيرُها وتحُثُّ ذا الإمْساكِ والتَّرْدادِ
وإذا بِصخْرٍ مِنْ يَدَي فِيرُوُّسٍ مَولَى الثَّراقَةِ بالأَغارقِ غادِي
فأَصابَ رِجْلَ ذِيُورُسٍ بِشَظِيَّةٍ سُحِقَتْ فَمَدَّ يَدَيْهِ لاسْتِنْجادِ
لِلأَرْضِ أُلْقِيَ يَسْتَغِيثُ بقَومِهِ لكِنَّ فِيرُوُّسْ تَقَدَّمَ عادِي
أَحْشاءَهُ بالرُّمْحِ شَقَّ فَمُزِّقَتْ وعلى الرِّمالِ بَدَتْ لَدى الأَنْدادِ

(١) لما كان اخيل بطل ابطال اليونان وكان في اكثر الالياذة معتزلاً القتال رأى الشاعر ونعم ما رأى ان يعيد ذكراه حيناً بعد حين ليظل راسخاً في ذهن السامع ولا يذكره مرة الا بما يعلي مكانته ويجل قدره فتراه هنا قد آثره مفرداً على الجيش مجتمعاً وانطق بهذا الكلام الالاه افلون بما جعل له من الهيبة فوق ما يحرز من الفخار لو انتصر في عدة مواقع

(٢) حيثما نرى الاهاً منحازاً الى فئة رأينا آخر منحازاً الى الفئة الاخرى فهنا افلون بين الطرواد يشير الى ثبوت الجاش وأثينا بين الاغريق الى الاقدام والتروي

فَعدا ثُواسُ على العَدُوّ بطعْنَةٍ　　يَبْغي انْتقاماً واريَ الأَحْقادِ
وَلجتْ بأَعْلى ثَدْيِهِ في صَدْرِهِ　　وَقَفتْ على رئَةٍ بنصْلٍ بادي
فَدَنا وأَخرَجَها وسَلَّ حُسامَهُ　　وبجَوْفهِ واراهُ غيْرَ مُمادِ (١)
نالَ المُرادَ بِسَلْبِ نُورِ حَياتِهِ　　وبِكَسْبِ سَلْبٍ لَمْ يَفُزْ بمُرادِ
فَذَوُوهُ مَنْ وُسِموا بعقصِ غدائرٍ　　طَلَبُوهُ مُنْدفعينَ للأَنْدادِ
فَنشاطُهُ وثَباتُهُ ما أَغْنَيا　　أَنْ عادَ مُنْثنِياً بِغَيرِ تَهادي
فكذا ثَوى النَّدَّانِ مولى إِيْفِيا　　وثُراقَةٍ قَتْلاً بِذاكَ النّادي
وَعليْهِما تَنهالُ مِنْ قومَيْهِما　　أَجْسادُ قَتْلى باشْتِباكِ أَعادي
لو كانَ بينَ صفُوفِهِمْ راءٍ يَرى　　ويَجُولُ بَيْنَ مَواقِفِ الأَشْهادِ
ووَقَتْهُ فالاسُ الحُتُوفَ وقدمضى　　مُتَوَشّحاً مِنْ حفظها بِبِجادِ
لرأى الحِرابَ نَوافِذاً وخَوارِقاً　　ورأى السِّهامَ غَوادِياً وصَوادي
والهَوْلُ شُدِّدَ والتَّفَنُّنُ مُحْكَمٌ　　لا تَعْتَريهِ لَوْمَةُ النُّقّادِ
وَكَسا أَديمَ الأَرضِ تيّارُ الدِّما　　وعَديدُ قَتْلاهُمْ بِلا تَعْدادِ (٢)

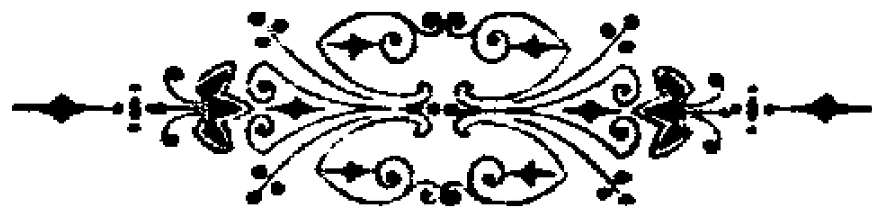
---

(١) مماد ممهل

(٢) يضع هوميروس نفسه موضع الشاعر وسامع الشعر فيأبى على نفسه ان يدع سبيلاً الى ملّ شعره ولهذا تراه كلما اتى على وصف واقعة او حادثة اياً كانت تورث الملل اذا طالت يفكّه سامع شعره بنكات وتشابيه واستعارات تجتذبهُ الى الامعان فيها وحسبك شاهداً ما ختم به هذا النصل فانه بعد ان هيأ الجند للقتال واتى على كل وصف بما تقتضيه الحال فأوجز في ذكر الزحف واسهب بعض الاسهاب الذي لابد منه في معترك القومين ختم كلامه ولخص مقاله

بكلام جزل ترتاح النفس في البقاء عليه فصور ما يتجلى لعين الناقد البصير لو تسنى له ان يجول بين هاتيك الصفوف في مأمن من الحتوف . قال عنترة :

عناجيجٌ تخب على رحاها　　　تثير النقع بالموت الزؤامِ
الى خيل مسوَّمة عليها　　　حماة الروع في رهج القتامِ
عليها كل جبارٍ عنيدٍ　　　الى شرب الدماء تراه ظامي
بايديهم مهندةٌ وسمرٌ　　　كأن ظباتها شعل الضرامِ
فجاؤا عارضاً برداً وجئنا　　　حريقاً في غريق ذي اضطرامِ
وأسكت كل صوتٍ غير ضربٍ　　　وعترسة ومرميٍّ ورامِ



النشيد الخامس

بطش ذيوميذ

مُجْمَلُهُ

اندفع ذيوميذ الى ساحة القتال بايعاز اثينا فقاتل قتال الاسود . وكان آريس الاه الحرب عاملاً على نجدة الطرواد فحملته أثينا على مغادرة ميدان الكفاح فاصطدم الجيشان واستظهر الاغريق وجُرح ذيوميذ بسهم اطاره عليه فندار وس . ولكن الجرح لم يكن قاضياً

فاندفع ثانية وفتك بالاعداء فتكاً ذريعاً فاجتمع آنياس وفنداروس على قتال ذيوميذ فجندل ذيوميذ فنداروس وكاد يفتك بآنياس لو لم تبادر أمه الزهرة وتحلق طائرة به . وكانت أثينا قد جلعت لذيوميذ قوة التمييز بين الآلهة والبشر واغرته بطعن الزهرة أيان تسنى له ذلك فاطار عليها سهماً وجرحها في يدها فاسرعت الى الاولمب وشكت الى أمها مانالها من تحامل ذيوميذ عليها فطيبت قلبها ولأمت الجرح . وبادرت أثينا وهيرا فشكتا الزهرة الى زفس حتى لا يتأثر لشكواها . وما لبث ذيوميذ بعد ذلك ان قصد الايقاع بافلّون فزجره افلون ونادى بآريس لنجدة الطرواد فتزيا آريس بزي بشر واسرع فاستنهض همم الطرواد فهاجت الحمية هكطور وعاد آنياس سالماً واصطدم الجيشان وجرت الدماء سيلاً من الفريقين . وكان اشدهم بطشاً هكطور بين الطرواد وذيوميذ بين الاغريق . وكان آريس نصيراً للطرواد في تلك المعمعة ففازوا الفوز المبين . ففزعت هيرا واثينا للاغريق فصعدتا الى السماء واستأذنتا زفس فأذن لها بصد هجمات آريس . فحثت أثينا ذيوميذ على الفتك به فطعنه وجرحه فصعد يشكو أمره الى زفس فونّبه وعنفه ثم أمر بالتئام جرحه وعادت من ثم أثينا وهيرا الى مقام زفس

مجرى وقائع هذا النشيد كالنشيد السابق وهي حلقة من حلقات يومه ايضاً

النشيد الخامس

حَبَتْ فالاسُ ذاكَ اليومَ عزماً ... وبأساً لابنِ تِيذِيسٍ مَنِيعا[1]
لِيَعْظُمَ في بني الإغريقِ شأناً ... ويَبْلُغَ فيهمِ الشَّرَفَ الرَّفيعا
وفوقَ صِفاحِ مِغفرهِ أفاضتْ ... وفوقَ مِجنِّهِ قبساً بَدِيعا
فشبَّ برأسهِ وبمنكبيهِ ... شُعاعٌ فاضَ مُندفِقاً سَطِيعا
كَكَوكَبَةِ الخريفِ قد اُستحمّتْ ... بلجِّ البحرِ وامتطتِ الرَّقيعا[2]

(١) اذا أراد هوميروس أن يبرز تصوّره لسامع شعره وراويه فانما يبرزه بصورة رائعة ونهج يشوق . فاذا تعددت المواقع سلك في كل موقعة مسلكاً جديداً وأبرز كل بطل من أبطاله على ما يوافق صفاته التي آلى على نفسه ان يصفه بها ليتم التناسب بين كل اجزاء الاناشيد . فحيثما رأينا آياس مثلاً فهو كالطود الراسخ لايتزعزع وحيثما رأينا أغاممنون فهو ذو المقام الرفيع العلي الشان . وأوذيس الداهية المقدام والنابغة الهمام . وذيوميذ السهم المنطلق والسيل المندفق وهلمّ جرّاً . على انه يربط كل ذلك بسلسلة تماسك حلقاتها تماسكاً يجعلك لاتنسى واحدة منهنّ وينوّع لك الحوادث وتشابهها مهما كثرت فلا يكاد يقتل فارسين مقتلاً واحداً أو يغير اغارتين متماثلتين كأنه طمع في ان لايدع لمتأخرٍ مجال الابتداع فوق ما ابتدع — وقد رأى هنا أن يميز ذيوميذ في واقعة هذا النهار فأظهره بمظهر من البأس ليس فوقه مظهر . ولكي يقرّب كلامه الى التصديق أفاض عليه عون فالاس أي أثينا فلم يبق من ثم محل للاعتراض انه أتى افعالاً تعجز عنها افراد البشر . وهذا نتيجة اخرى من نتائج اعتقادهم ان المرء منفرداً غير مرموق بعين العناية لايقوى على دفع ضر واتيان أمر وان لتلك العناية غايات لايدركها البشر فالاستسلام لها واجب في كل زمان ومكان

(٢) مهما أخذ الشراح هذا الكلام على ظاهره وقالوا ان النور كان يتدفق من ذيوميذ فلا أرى في هذا التشبيه البديع الا اشارة الى لمعان شكته . وهو كثير

وَأَلْقَتْهُ إِلى حيثُ الأَعادي ... تُكشِّفُ من كتائبها الجموعا
(وكانَ بِزُمْرةِ الطُّرْوادِ شيخٌ ... وفيرُ المالِ لمْ يُدْنَسْ صَنيعا
بِدارِسَ عرَّفوهُ وكانَ إلفاً ... لهيفستٍ وكاهنَهُ المُطيعا
كذا ولَداهُ إيذيسُ وفيغسْ ... ضُرُوبَ الحرْبِ قد بلَوا جميعا)
فكرَّا فوقَ مَرْكبةٍ عليهِ ... وأقدمَ راجلاً يَطِسُ الرُّبُوعا (١)
وبادرَ فيغسٌ لمَّا تدانَوْا ... الى مِزْرَاقِهِ طَعناً مَرُوعا
فمرَّ بكتفِهِ مُنْعَطِفاً يميناً ... مضى ونَبا ولمْ يُسِلِ النَّجيعا
فزجَّ ذيُومذٌ بشحيذِ نَصْلٍ ... فشقَّ الصَّدرَ واخترقَ الضلوعا
فخرَّ الى الحضيضِ وخارَ عزماً ... أخوهُ فقرَّ مُنهزماً هلوعا

في كلام الشعراء • ولكن المطرب في كلام هوميروس تخلصه بوصف تلك الكوكبة ممتطية رقيع السماء وهي صاعدة من عباب البحر • ولم أرَ في شعر العرب ما يقارب هذا المعنى الا قول دريد :

تقول هلالٌ خارج من سحابة ... اذا جاء يعدو في شليل وقونس

(الشليل ثوب يُلبس تحت الدرع والقونس بيضة الخوذة) والمراد بكوكبة الخريف الشعرى اليمانية او العَبور كان لها شأن عظيم في مراقب الكلدان وبنت عليها جميع الامم القديمة خرافات كثيرة • وفي كتب العرب انها هي والشعرى الشامية او الغميصاء اختان اقبل عليهما سهيل من ناحية اليمن واقبلتا من ناحية الشام حتى انتهى الفريقان الى شاطىء المجرة (المدعوة عند عامة سوريا بدرب التبّان) وهي عندهم نهر السماء العظيم فخطبهما سهيل فاجابتا فعبرت اليه الشعرى اليمانية ولهذا سميت العبور ولم تستطع الشامية ان تعبر فجعلت تبكي حتى غمصت عيناها فسميت بالغميصاء • واصل هذه الخرافة من الكلدان

(١) قوله اقدم اي ذيوميذ

فغادرَ متْنَ مَرْكَبِهِ ولولا   إلاهُ النَّار أَدْرَكَهُ صريعا
فهيفستُ هُنا واراهُ حتّى   يُخفّفَ عن حشا الشّيخ الصّدُوعا
وصاحَ ذِيُومذٌ بذويهِ هبّوا   الى السُّفنِ الجيادَ خذُوا سريعاً[1]
فجلَّ الخطبُ بالطُّرْوادِ لمّا   عنا بطليهما جهْداً أُضيعا
فذا مُلْقىً تخضَّبَ من دِماهُ   وذا لاوٍ بخيبتهِ رُجوعا

بكفِّ إلاهِ الحربِ فالاسُ أمسكتْ   وقالتْ: «إلى مَ الفتكُ ياسافكَ الدّما
ويا هادِمَ الأَسوارِ يا باعثَ الفنا   ألا ما تركْنا الحرْبَ للنّاس معلما
بشأْنهم دعْهُمْ ونحْنُ بمعزلٍ   ومَنْ شاءَ زفْسُ فليعزَّ مُحكّما
بذا نتوقّى غيظهُ» ومضتْ به   لضفّةِ إسكامندر حيثُ أَنجما
فولَّتْ لدى الإغريقِ طُرْوادةُ العدى   وكلُّ زعيمٍ منهُمُ اجتاحَ أَيهما
فكانَ أَغا ممْنونُ أوّلَ فاتكٍ   بأُوذيسٍ مَنْ للهايزونةِ انْتمى
فألقى إليهِ طعنةً وهوَ مُدْبِرٌ   بمرْكبةٍ يبغي الهزيمةَ مغنما
فقوّضَ مُنْبَتّاً إلى الصّدْرِ ظهْرُهُ   فجنْدلَ مصْرُوعاً على الأرْضِ وارْتمى
فصلّتْ عليهِ شكّةٌ وإذومنٌ   على ابْنِ الميُونيْ بُورُسٍ كرَّ مقْدِما
فمنْ أرْضِ طرْنا كانَ فسطُسُ قد أتى   فراحَ ونُورُ الطّرْفِ بالحتفِ أظلما
لقدْ كادَ يعلُو متْنَ مرْكبهِ على   رجاءِ نجاةٍ والحِمامُ تقدّما

---

(١) لما خلت المركبة من راكبها فيغس القتيل وايذيوس المنهزم باتت مغنماً لذيوميذ فأمر صاحبه بسوق جيادها الى سفنه

على كَتِفٍ يُمنى تولَّتْهُ طعنةٌ فألقتهُ في تُربِ الحضيضِ مُيمَّما
فبادرَ أصحابُ المليكِ إذومنٍ لنزعِ سلاحٍ عنهُ كسباً مسهَّما
ورامَ منيلا إسكمندرَ سترُفٍ فبادرهُ طعناً برُمحٍ تقدَّما
(لقد كانَ بالأنضادِ هولاً مروَّعاً لوحشِ الفلاوالرَّمي بالنَّبلِ أحكما
وقد علَّمتهُ أرطميسُ فنونها فلم يُغنِ بأسٌ فيهِ بالشُّمِّ قد سما[1]
فمنْ منكبيهِ أُولجَ الرُّمحُ نافذاً إلى الصَّدرِ لمَّا للفرارِ تجشَّما
أكبَّ على وجهِ الحضيضِ بوجههِ ومنْ فوقهِ صوتُ الحديدِ تهزَّما
وأقبلَ مِريونٌ وراءَ فركُلُسٍ وبادرهُ طعناً بردفٍ تهشَّما
فأنفذَ تحتَ العظمِ نصلٌ ممزِّقاً مثانتهُ فانقضَّ يجثو مهمهما
هوابنُ السَّريِّ هرمونذا الصانعِ الذي أجلَّتهُ فالاسُ وزادتهُ أنعما
وقد علَّمتهُ شائقَ الذَّوقِ وابنهُ حكاهُ وأعمالَ اليدينِ تعلَّما
فأتقنَ صنعاً فُلكَ فاريسَ جملةً فكانتْ عليهمْ وبلَ شرٍّ معمَّما
وفارقهُ نورُ الحياةِ ولمْ يكنْ ليفقهَ أنباءَ السَّماءِ مقدَّما
وفيذيسُ وافاهُ ميجيسُ طاعناً قذالاً بمسقيِّ السِّنانِ تقصَّما[2]
فمرَّ سنانُ الرُّمحِ بالفكِّ خارقاً ثناياهُ واقتبَّ اللِّسانَ مصرَّما
فخرَّ يعضُّ النَّصلَ في التُّربِ خابطاً ومهجةَ أنطينورَ بالحزنِ أضرما

(١) أرطميس الاهة الصيد فهي احكم الرماة
(٢) القذال مؤخر الرأس

(هوَ ابْنٌ لهُ مِنْ غيرِ زَوْجٍ حليلةٍ وعنْدَ ثيانُو زَوْجِهِ الحلّ قد نما
فحبَّا بأنطينُورَ مثواهُ أكرمتْ فشبَّ رَبيباً كالبَنِينَ مكرَّما)
تلاهُ ابنُ ذُوْلفيُونَ كاهنِ زنْشٍ وَمَنْ كانَ كالأَرْبابِ فيهمْ مُعظَّما
تأثَّرهُ أُوْرِيفلُ وَهُوَ قافلٌ فلَمْ يُجْدِهِ أنْ يُستذلَّ وَيهزَما
فأدركَهُ يبتتُّ بالسيفِ كتفَهُ فماتَ ولم يُدرِكْ مراماً توهَّما

لَوْ ترَبَّصْتَ والعجاجُ استطارا ونجيعُ الدِّماءِ سالَ وفارا (١)
وَتبَصَّرْتَ بابنِ تيذيسٍ لم تدرِ أيُّ الجيشينِ منهُ أغارا
مُستشيطاً ينقضُّ فوقَ الأعادي ينهبُ السهلَ بينَ عادٍ وغادِ
كخليجٍ يضيقُ بالسيلِ مجرا هُ فيستأصلُ الجسورَ الكبارا
وَيقضُّ السُّدُودَ والزَّبَدَ يدفعْ ومباني الحُرَّاثِ منهُ تزعزعْ
وتلاشى آمالُهمْ بعبابٍ ساقهُ زفسُ فوقهُ مدرارا (٢)

(١) قد نهجنا في الابيات التالية أحد المناهج المبتكرة كما اسلفنا في المقدمة

(٢) لما راق الشاعر ان يتغنى بذكر بسالة ذيوميذ في هذا النشيد تفنن بالوصف والتشبيه تفنناً لايدرك شأوه وحسبك تشبيهه اياه هنا بالسيل المندفق • وهو تمثيل مرَّ على قرائح الكثيرين من الشعراء الذين قرأوا الالياذة وقلدوا والذين تبادر ذلك الى ذهنهم عن غير رواية أو تقليد • ولولا معلقة امرىء القيس لقلنا انه لم يحسن شاعرٌ احسان هوميروس بتهيئة ذلك السيل وقد ضاق عنه مجراه في الخليج فاستأصل الجسور الكبار المعترضة له وقض السد ودفع الزبد • وكأن قريحة الشاعر نفسه فاضت فيضان ذلك السيل فلم تقف عند ذلك الحد فجعلته يقوض مباني الزراع ويستطرد الى ذكر سببه المنبعث من زفس اشارة الى ان كل قوة سماوية أو أرضية

فَصفُوفُ العِدَى وَإِنْ زِدنَ عَدًّا ضِقنَ ذَرْعاً عَنْ صَدِّهِا اليَوْمَ صَدًّا

انما تنبعث من قدرة القدير .

ومهما كان من بلاغة هذا الوصف فهو لايفضل بشيء وصف امرىء القيس اذ ألمّ بمعاني هوميروس وزادها رواءً وتفصيلاً ولم يغفل منها الا ذكر اليد العليا القاضية بكل أمر وهو اغفال عامٌّ في الشعر العربي الجاهلي . قال :

أصاح ترى برقاً أُريك وميضه كلمع اليدين في حبيٍّ مكلل
يضيء سناهُ او مصابيح راهبٍ أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت له وصحبتي بين ضارجٍ وبين العُذيب بعد ما متأملي
على قطن بالشيم أيمن صوبه وايسرهُ على الستار فيذبل
فاضحى يسحّ الماء فوق كتيفة يكبّ على الاذقان دوح الكنهبل
ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العُصم في كل منزل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا اطماً الا مشيداً بجندل
والقى بصحراء الغبيط بعاعهُ نزول اليماني ذي العياب المحجل
كأن ثبيراً في عرانين وبلهِ كبير اناس في بجاد مزمل
كان ذرى رأس المجيمر غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل
كان مكاكيّ الجواء غديةً صبحن سلافاً من رحيق مفلفل
كان السباع فيه غرقى عشيةً بارجائه القصوى انابيش عنصل

شرع في وصف البرق السابق للغيث فقال انه يتألق ويميل وميضه كاليدين تتراوحان في حبيٍّ اي سحاب متراكم صار اعلاه لاسفله اكليلاً . فينبعث منه النور انبعاثه من مصباح الراهب اشبع فتيلته زيتاً . قال وقعدت واصحابي اتأمله بين العذيب وضارج . ثم استطرد الى ذكر السحاب والمطر المنهمر بعد البرق فقال انه امتد من جبل قطن يميناً الى جبلي الستار ويذبل يساراً فشمل مسافة عظيمة واخذ ينصب سيلاً من الجبال والآكام فيقتلع اشجار الكنهبل العظام ويلقيها على رؤوسها لشدة تدافعه . ووقع على جبل القنان ممـا تناثر وانتشر من رشاش هذا الغيث ما أنزل عنه الاوعال المعتصمة فيـه لشدة انصبابه . ولم يغادر نخلة في قرية تيماء ولا بناءً

شُتِّتُوا حَيْثُ ثارَ يعْمِلُ سُمْراً فارياتٍ وصارماً بتّارا
ساءَ صنديدَ لِيقيا أَنْ رآهُ يَخْرُقُ الجيشَ صائلاً بقُواهُ(١)
فعليهِ مُسدِّدًا مدَّ قوساً وإليهِ أَمرَّ سهمٍ أطارا
لِخلايا الدُّرُوعِ سارَ وأُولِجْ ويُمنى الكَتِفَيْنِ غارَ يُهَمْلِجْ
فَجرَتْ تَخضِبُ الدُّرُوعَ دِماءٌ ودعا فَنْدَرُوسُ يُنْمِي الفَخارا :
« يا خِيارَ الفُرْسانِ قومَ الوَلاءِ بادِرُوا قدْ أُدمِيَتُ خيرَ أخائي
إنْ يَكُنْ صادِقاً دُعاءُ ٱبْنِ زَفْسٍ لي فَبالسَّهْمِ سوفَ يَلْقَى البَوارا »(٢)
إنّما الجُرْحُ لمْ يَكُنْ قتّالا والجَريحُ ٱنْثَنى يَرُومُ العِجالا
جاءَ أَستِينِلاً وقالَ : « أَخي با دِرْ وأَخرِجْ سهماً بِكِتْفِيَ غارا »

فاستأصل النخيل وهدم الابنية الشماء الا ما كان منها مشيداً بالصخر • وكان جبل ثبير والمطر يتدفق عليه كبيد قوم ملتف بكساء مخطط لكثرة ما كان عليه من الغثاء والزبد • وكانت ذروة رأس المجيمر كفلكة المغزل لما احاط بها من الاغثاء — ولما استتم وصف الغيث وسوابقه اتى على وصف لواحقه فقال نزل بصحراء الغبيط نزول التاجر اليماني المحمل عياباً اي انبت فيها من الكلاء وضروب الازهار والوان النبات ما يشبه ضروب الثياب المختلفات الالوان التي ينشرها التاجر اليماني وهو يعرضها للبيع • وانتهى بوصف ما في تلك البقاع من طائر وحيوان فقال ان طير المكاكي كانت (لحدة ألسنتها وتتابع اصواتها ونشاطها في تغريدها) كمن شرب صباحاً اجود الخمر من الرحيق المفلفل الذي يشحذ الذهن واللسان • واما السباع الغرقى فكانت كاصول البصل البرّي (لكثرة ما تلطخت به من الطين والماء الكدر)

(١) صنديد ليقيا هو فنداروس بن ليقاوون

(٢) المراد بابن زفس افلون لانه كان ولي فنداروس

فَإلى الأَرْضِ واثباً مالَ يجْـتَرْ　　ذٰلكَ السهْمَ والنَّجيعُ تَفَجَّرْ (١)
قامَ يدعو ذِيُومـذُ وَدِماهُ　　صَبَغتْ حلَّةَ الزَّرُودِ احمرارا :
« إِنْ تَكُوني يا بِنْتَ رَبِّ التُّرُوسِ　　زِدْتِني البَأْسَ يوم قَرْعِ البُؤُوسِ (٢)
وأَبي قَبْـلُ عَنْـهُ لَمْ تَتخَلَّيْ　　لا تَرُومي عَن مُبْتَغايَ اسْتِتارا
قَرِّبي مِنْ مَرْمَى حِرابي غَرُورا　　صالَ وَلْيَلْقَ مِنْ ذِراعي الثُّبُورا
قَدْ رَماني وَظَنَّ يفْخَرُ أَنّي　　مِنْ سَنا الشَّمْسِ لَنْ أَرى الأَنْوَارا»
فَأَصاخَتْ وَجَدَّدَتْ فيهِ حزْماً　　وَنَشاطاً وَشَدَّدَتْ مِنْهُ عَزْماً
وَإِلَيْهِ مالَتْ تَقُولُ : « أَلا كُـ　　رَّ على مَوْقِفِ العدى تَكْرارا
فيكَ أَنْزَلْتُ كُلَّ بَأْسِ أَبِيكا　　وَأَزَلْتُ الغَمامَ حَتَّى أُرِيكا
فَالْحِجابُ انْجَلى فَتَعْرِفُ مَنْ تَلْـ　　قى أَإِنْساً أَمْ خالِدًا قَهَّارا (٣)
فَلَئِنْ خِلْتَ خالِدًا جاءَ يَبْلُو　　فَاجْتَنِبْهُ ما أَنْتَ لِلصَّدِّ أَهْلُ

(١) كان ذيوميذ راجلاً كما مر فلهذا ترجل رفيقـه حتى يجتر السهم من كتفه

(٢) بنت رب الترس هي اثينا التي هيأَته لذلك اليوم ولهذا وجه دعاءه اليها

(٣) كان الآلهة اذا اختلطوا بالبشر او تمثلوا لهم بهيآتهم تشابهوا عليهم فلا تنجلي حقيقتهم الآ لمن ارادوا ان يتجلوا له فلولم تفتح اثينا اي الحكمة عيني ذيوميذ لما تسنى له في ذلك العجاج ان يفرق بين العابد والمعبود • وان من معتقد الانسان في اكثر الازمان ان عينيه لاتنفتحان للتمييز بين ما يعلم وما لا يعلم الا بمشيئة فائقة وعناية خاصة • وقد جاءَ في التوراة من امثال ذلك ان الله عز وجل فتح عيني هاجر فرأَت عين الماء وفتح عيني بلعام فرأى ملاك الرب واقفاً في طريقه وسيفه مسلول

غيرَ قبْريسَ إنْ تلحْ لكَ فاطْعَنْ ها وَلا ترْهَبِ انْتقاماً وَثارا »[1]
وتوارتْ عنْهُ فهبَّ مغيرا مُذْ أثارتْ لِلْبَطْشِ فيهِ سَعيرا
ثلثَتْ عزمهُ فكرَّ يحاكي بأعاديهِ ضيْغماً هصّارا
كهِزَبرٍ بينَ المراعي يُفاجي واثباً فوقَ راتِعاتِ النِّعاجِ
يبتليهِ الرّاعي بسهمٍ فتزْدا دُ قُواهُ وينثني لا يُجارى
يتخلّى الرّاعي سحيقَ الفؤادِ ولمأواهُ يلتجي بارْتعادِ
فتُراعُ الشّياهُ مُرتمياتٍ جازعاتٍ ينفرْنَ منهُ نفارا
عائثاً عابثاً منى النّفسِ يقضي ثُمَّ عنهنَّ بالمفاوزِ يمضي
هكذا في العدى ذيوميذُ أتى روعةً كالأسودِ ليسَ يُبارى[2]
فبهيفيرُنَ وأستينُوُسَ بادِئاً حامَ حولَ قتْلِ النّفوسِ
فرمى عنقَ ذاكَ بالسّيفِ والبا ديلُ بالرّأسِ عن عُرى الجيدِ طارا[3]

بيده · وفي القرآن يغشّي الله على البصائر والابصار ويفتحها ايّان شاءَ

(١) قبريس هي الزهرة ولا بدع ان نرى أثينا ناقمة عليها لان قبريس ربة الهوى وأثينا ربة الحكمة والتمادي بالهوى والحكمة أمران لايتفقان وان كان مصدرهما واحداً كما ان قبريس هي اخت أثينا لابيها وكلاهما ابنتا زفس ابي الارباب والبشر · فكأنها قالت له صن حكمتك وانبذ هوى نفسك وافتك به وبني جنسه

(٢) قد انتُقد على هوميروس كثرة تشبيهه بالاسود وفات المنتقدين ان يروا تفننه في تلك التشابيه اذ لاتكاد تراه يشبّه بالاسد مرة على مثل ما سبق له التشبيه به وهذا التنويع يذهب بلا ريب بخطورة الانتقاد ويعرب عن غزارة مادة قلما توجد في شخص واحد

(٣) البأديل ما بين العنق والترقوة

وَعلى ذا بالثـدْيِ مَـدَّ قنـاهُ فَرماهُ ثُمَّ انْثَنى لِسواهُ
وَعلى ابْنَي أَفرِيذَماس أَباس وفلِيذٍ كأسَ الحُتُوفِ أدارا
(لم يُفِدْهُ أنْ كانَ شيخاً خَبِيرا مِنْ رُؤَى الخَلْقِ يَفقَهُ التَّعْبِيرا
لَمْ يَنَلْ ما أَغناهُ عَنْ مصرَعِ ابْنَيْـ ـهِ عَلى حِينَ لِلقتالِ أسارا)
بِهما فاتِكاً ذِيُومِيـذُ أَتبعْ زَنْتُساً مَعْ ثُووُنَ وانْسابَ يَهرَعْ
بِهما لِلْهَـلاكِ أَلْقَى وأَبقَى لِمُنُبس أبِيهِما الإِدْبارا
فَهُما عِـزُّ عُمْـرِهِ وَمُنَـاهُ وارِثا كُلِّ ذُخْرِهِ وَغِنـاهُ
لَمْ يُؤَمِّلْ سِواهُما مِنْ وَلِيِّ وَبِهِ العَجْزُ أنْشَبَ الأَظْفارا
بَتِيَ اليَأْسُ وَالتَحرُّقُ فِيـهِ حظَّهُ والأَموالُ حظَّ ذَوِيهِ[1]
وَذِيُوميذُ حظُّهُ الفَتْكُ فانقَـ ـضَّ عَلى ابْنَي فِريامَ يَهْمِي التَّيارا
نَحْوَ إِيخِمُونٍ وأَخرُمِيُوس شَبَّ كاللَّيْثِ فوقَ قطعِ الرُؤُوسِ
ذاكَ لَمّا في الغابِ يَسحَقُ عُنْقَ الـ ـثَّورِ سَحقاً وَيَنْثَنِي مُمْتارا[2]
هَبَّ يَرْمِيهِما بِمَرْكَبَـةٍ قَـدْ رَكِباها وَعُدَّةَ الحَرْبِ جَرَّدْ
وإِلى صَحْبِهِ أَشارَ بأَنْ سُو قُوا إِلى الفُلْكِ خَيلَها الأَحرارا

---

(١) لانكاد نرى قتيلاً يقتل حتى نرى له مصرعاً مؤثراً في النفس. وأي تأثير يحصل لقارىء الشعر أعظم من تأثره لشيخ عاجز واسع الجاه كثير المال عدم ابنين لا أمل له بثالث من بعدهما . وهذا أيضاً من حكمة الشاعر تخفيفاً من التثاقل الذي يلم بالمرء لدى تلاوة فصول الوقائع الطوال التي تخر فيها الابطال من كل جانب

(٢) هنا تشبيه آخر بالاسد وهو على ما ترى لايماثل بشيء تشبيهه السابق

فَرَأَى آنِيَاسُ فَتْكاً ذَرِيعاً مِنْهُ بِالقَومِ راحَ يَجرِي سَرِيعاً[1]
تَحتَ وَقعِ القَنَا وَوَقعِ السِّهامِ اْلْ ذْ سابِ يَبْغِي اْبْنَ لِيقَوُونَ اْعْتِرَارا
فَأَتَاهُ مِنْ بَعْدِ جَهْدٍ جَهِيدٍ مُسْتَجِيشاً بِالبَأْسِ بَينَ الجُنُودِ
قالَ: « يافَنْدَرُوسُ حَتَّى مَ قَوساً وسِهاماً قَدِ ادَّخَرْتَ اْدِّخارا
وَإِلى مَ اْحْتَوَيْتَ مَجْداً قَدِيماً هَلْ هُنا مَنْ حَكاكَ شأْناً عَظِيماً
وَأَشَدُّ الرُّماةِ فِي لِيقِيا هَلْ بِكَ قِيسُوا مَهارَةً وَاْشْتِهارا
دُونَكَ القَرْمَ ذا الذي غابَ عَنِّي نُورُ عِرْفانِهِ أَحَقَّقْتَ ظَنِّي
وَلِزَفسٍ بَسَطْتَ كَفّاً وَأَنْفَذْ تَ لَهُ سَهْمَكَ الرِيشَ اْهْتِوارا[2]
كَمْ رِقابٍ رَمَى وَكَمْ مِنْ رِكابِ قَدْ لَوَى مِنْ بَوَاسِلِ الأَتْرابِ
فَعَسَى لا يَكُونُ رَبّاً مَغِيظاً لَمْ نُقَدِّمْ لَهُ الضَحايا اْلكِثارا
إِنَّ غَيظَ الأَرْبابِ أَدْهَى الشُّرُورِ» قالَ: « يا آنِياسُ خَيرَ مُشِيرٍ[3]
إِنْ يَكُنْ صادِقاً مَقَالِي وَظَنِّي فَأَرَى ذا ذِيُومِيذَ الجَبَّارا

---

(١) كان انياس زعيم الدردنيين وهو بين الطرواد وحلفائهم في المقام الاول لايفوقه بالبسالة والهمة الا هكطور فشأنه في ذلك الفريق كشأن اياس وذيوميذ بين الاغريق اذ جمع بين ثبوت جاش آياس وخفة ذيوميذ . وهو الذى بنى عليه فرجيليوس منظومته الكبرى وهيأهُ بالهيئة التي مثله بها هوميروس الا انه زاد في الاسهاب والاطناب . ومن عقب انياس هذا كان في زعم بعض المؤرخين مؤسسو دولة الرومان

(٢) الاهتوار الهلاك

(٣) هذا اول كلام نطق به انياس وهو يشف عن ورعه وتقواه اذ انه

ذاكَ حتماً مِجَنُّهُ والقتيرُ هذهِ خيلُهُ السِّراعُ تغيرُ
هذهِ الخُوْذَةُ المُثَلَّثَةُ الأَطْرافِ لكنْ لا أَجزِمَنَّ اثْترارا (١)
فهوَ إمَّا ربُّ ذِيُومِيذَ مثَّلْ أو إلى جانبيهِ في الغيمِ أقبلْ
فيليهِ ويدفعُ الصمَّ عنهُ ويقيهِ ويرفعُ الأَخطارا
كادَ سهمي يُذيقهُ الحتفَ لمَّا غارَ في الكتفِ والدَّمَ الجمَّ أَهمى
خلتهُ للجحيمِ يمضي ولكنْ كرُّهُ الآنَ كذَّبَ الأَفكارا
آهِ أينَ العِجالُ أينَ جيادي راجلاً جئتُ طامعاً باشتدادي
وعلى الرحبِ مركباتيَ إحدى عشرةٌ فوقها سدلتُ الستّارا
ولكلٍّ مُطهَّمانِ وأَكثرْ تقضمُ الدَّومَ والشَّعيرَ المقشَّرْ
لم أَعِ النُّصحَ من أَبي الهمِّ لمَّا قدْ تجشَّمتُ للوغى الأَسفارا
قالَ فاذهبْ وكنْ بصدرِ الكُماةِ وعلى القومِ كُرَّ بالمركباتِ
فهوَ بالحقِّ قد أَشارَ ولكنْ قد رأَيتُ العُدُولَ عمَّا أَشارا
قلتُ تضوى الجيادُ في تي الدِّيارِ لامتناعِ الكلاءِ تحتَ الحصارِ
راجلاً جئتُ أَرئسَ القومِ مُذْ ثَمَّ رَّا بقوسٍ منها لقيتُ الشَّنارا
قدْ رميتُ العميدَ أَتريذَ عنها وذِيُومِيذُ نالهُ الجرحُ منها
فجرتْ منهما الدِّماءُ ولكنْ فيهما البأْسُ زادَ والجأْشُ ثارا

لما حث فنداروس على اطلاق سهمه على ذيوميذ نبهه الى بسط كف الضراعة لزفس ثم سأل مرتاباً ما اذا كان ذلك البطل المغوار من غير بني البشر

(١) اثترارا أي مجازفة

سادَ لاشكَّ طالِعُ السُّوءِ لمَّا قد تناولتُ هذهِ القوسَ وَهمَّا
وَلإِليونَ قُمتُ حبًّا بهكطو رَ بقومي إلى الوغى أمَّارا
فلَئنْ جئتُ زوجتي وأَليفي وصُروحي بعالياتِ السُّقوفِ
لاَ تَخلَّى عَنْ قطعِ رأسي عدوٌّ إنْ بجَبْري لَمْ أُنْفِذِ الأَخبارا
هذهِ القوسَ شرَّ سحقٍ سأَسحَقْ ولجوفِ النِّيرانِ تُرْمى فتُحرَقْ
راحَ كالرِّيحِ نفعها فهيَ لا تُجْدي ائتماراً كما علمتُ اختبارا»(١)
قالَ: « يافنْدَروسُ مهلاً وهيَّا بعجالي لكبحِهِ نتهيَّا
فهيَ أولى للصدِّ أقبلْ وبادِرْ نتربَّصْ لملتقاهُ ابتدارا
فجيادي لسوفَ تخبُرُ خبرا جرْيَها في السُّهولِ كرًّا وفرَّا

(١) كان فنداروس زعيم الليقيين من ارمى الرماة في عصره ولهذا دفعه انياس الى رمي ذيوميذ بسهم قد يكفيه مؤونة الكر عليه فيدخر بأسه لسائر الابطال. وفنداروس هو مثال العاجز المتبجح والبخيل المقتّر الذي يلتمس عذراً يستر به عيوبه فهو ذو ثروة طائلة وسعة حال أتى بنفسه راجلاً لئلاً يسام ثقلة خيله واعتذر بامتناع الكلاء ثم لما لم ينل وطره من أغاممنون وذيوميذ اذ رماهما التي تبعة ذلك على قوسه وتوعدها بالسحق والحرق وهي حماقة لايفوقها الا حماقة الكسعي في جاهلية العرب اذ خرج لصيد المهى ليلاً فمرَّ امامه سبعة منها وكان كلما مر واحد رماه فيتطاير شرر سهمه من صخر يقع عليه فحنق على قوسه وكسرها ظناً منه انه اخطأ مرماه فلما رجع في اليوم التالي الى ذلك المحل رأى انه لم يخطئ شيئاً منها بل كان السهم ينفذ من الحيوان الى الصخر فندم ندامةً ضرب بها المثل — واعظم من هذه الحماقة حماقة البفلغوني الذي روى افستاثيوس انه اخطأ مرماه مراراً متوالية فتمادى به اليأس حتى شنق نفسه

وإذا زَفسُ شاءَ نَصرَ ذِيُومِيـ ذَ بِها عن مَنالِهِ نَتَوارى
فَخُذِ السَّوطَ ثُمَّ أَجْرِ الخُيولا وَأَنا لِلكِفاحِ أَنْبِي سَبِيلا
وإذا تَبتَغي النِّزالَ فَلِي الخَيـ لُ فما شِئتَ فاتَّخِذْهُ اخْتِيارا »[1]
قالَ : « يا آنياسُ عِنْدِيَ أحرى أَنْ تَسُوقَ الجِيادَ مُذْ كُنتَ أَدْرى
خَشْيَتي لا تَنقادُ لي ولِصَوتِي إِنْ دُفِعْنا الى الفِرارِ اضْطِرارا
جامحاتٍ تُغِيرُ بَينَ الجُنودِ فَيُوافي ذِيُومذٌ بِالحَدِيدِ
وكِلَينا يُجْتاحُ وَالخَيلَ يَقْتا دُ فَسُقْها فَأَنتَ أَكْفى اخْتِبارَا[2]
ولِيَ الطَّعْنُ بِالقَنا والحِرابِ » ثُمَّ ساقا بِشِدَّةٍ وَاصْطِخابِ
لِذِيُومِيـذَ قالَ إِسْتِينِلُوسُ عِندَ ما أَقْبَلا يَشُبَّانِ نارا :
« يا حَلِيفَ الفُؤادِ نِدَّينِ أَلْقى نَهَضا الآنَ يَطْلُبانِكَ حَقَّا
آنياسَ بْنَ عَفرُذِيتَ وَأَنْخِيـ سَ كَذا فَنْدَرُوساً المِغْوَارا
فَاتَّقِ الآنَ فاجِعاتِ المَنـايا لا تَكُنْ في مُقَدَّماتِ السَّرايا

(١) تعلم من كل كلمة ينطق بها انياس ما كان عليه من الاقدام الصحيح وقلة الأثرة وصغر الدعوى . فهو مع علمه بانه اطول باعاً من فنداروس خيّره بسوق الجياد او الجلاد ولم يجزم بالنصر لنفسه كسائر الابطال ولهذا مدح جياده بجريها كرًّا وفرًّا وربمـا اراد بذلك ايضاً ان يخفف من هيبة الملتقى على فنداروس

(٢) يعلم من هذا الموضع وما أشبهه ان نصائل الفرسان كانوا يقاتلون ركوباً على مركباتهم زوجاً زوجاً احد الفارسين لسوق الخيل والثاني للطعـان والابلاء . والقتال على هذا النمط اشبه شيء بقتـال البدو في بلاد العرب اذ يمتطون الابل ازواجاً فالرادف يصاول والرديف يقاتل

وخُطى الجُرْدِ فلنؤخِّرْ » فوافا ه ذِيوميذُ بالمقال ازْورارا :

« لا تحدّثني بالفرار فإنّي لا إخالُ المرامَ تبلغُ منّي

ليسَ شأني وشأنُ أهلي قبلي أنْ نولّي يومَ الوغى الإدبارا

ليَ عزمٌ لا ينثني للخطوبِ جلَّ عن سوقِ مركباتِ الرُكوبِ

ها كِلا راجلاً أصولُ مكرّا وأثينا قد حرّمتْ لي الفرارا

لنْ تُنجّيهما الجيادُ جميعا إنْ نجا ذا فذاكَ ألقي صريعا

إنّما لي بالأمرِ غيرُ مرامِ فادّكِرهُ إذا بطشتُ ادّكارا

لهُما إنْ أذقتُ كأسَ الحمامِ وأثينا بذاكَ أعلتْ مقامي

ألقِ حالاً صُروعَ خيلي في مرْ كبتي واجرينَّ منها انتثارا (١)

وامضِ واقتدْ مُطهّمَي آنياسِ خيرَ ما في الدُّنيا منَ الأفراسِ

تُنجا من جيادِ زفسَ التي للمَـ لكِ اطروسَ أُهديتْ تذكارا

عنْ غنيميذِ ابنهِ المرفوعِ عِوضاً نالَ أصلَ خيرِ الفروعِ

رامَ أنخيسُ نسلَها فبغاها خفيةً حيثُ ألقحَ الأحجارا

ستّةً أنتجتْ فزوجينِ أبقى وإلى آنياسَ ذا الزوجَ ألقى

ها كهُ ينهبُ السهولَ انتهاباً آهِ لو منهُ أبلغُ الأوطارا »

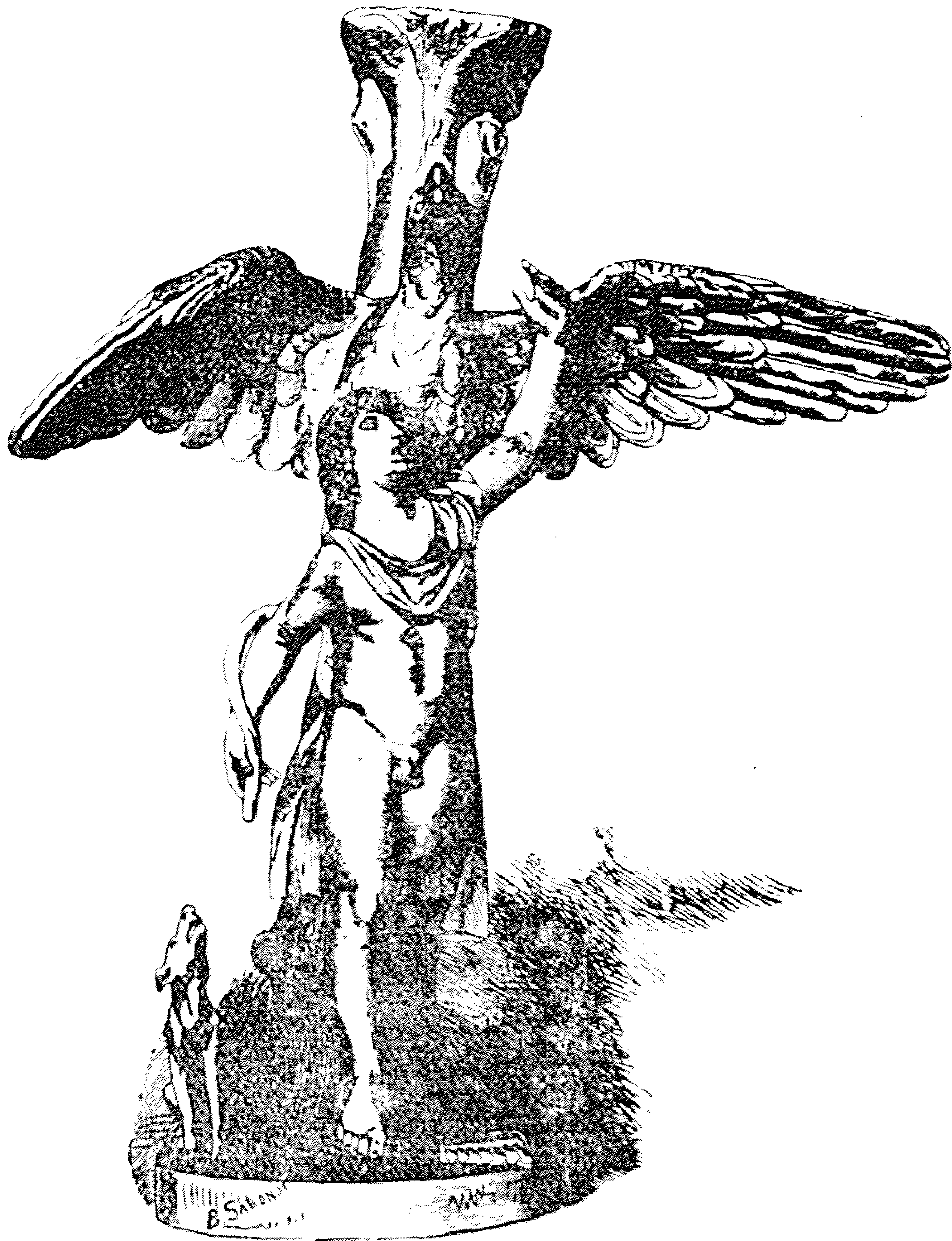
---

(١) الانتثار التأثر والتقفي

(٢) في اساطيرهم ان غنيميذ بن اطروس ملك طروادة كان بديع الجمال طاهر الخلال نخرج يوماً للقنص على جبل ايذا فنزل عليه زفس بهيئة نسر واختطفه الى السماء فاقام في الاولمب واتخذه زفس ساقياً ولهذا سمي الدلو وهو البرج الحادي عشر . ويقال

هَذا حَدِيثُهُمَا انْتَهى وَعليهِما بَطَلا الطرَاودِ بالعجَاجَةِ أقبَلا
حَتَّى إِذا وَقفا على مَرْمَى القَنا دُفِعَ ابْنُ ليقاوُونَ يُنْشِدُ أوَّلا :

في اصل تلك الخرافة ان اطروس كان قد ارسل ابنه غنيميذ الى ليديا ليضحي لزفس وكان طنطال ملك تلك البلاد يلقب بزفس فاساء الظن بغنيميذ وأصحابه وحسبهم عيوناً اتوا متجسسين فقبض عليهم وامر الغلام فقام يسقيه على الطعام



زفس بهيئة نسر يرفع غنيميذ الى السماء

إِنْ طَاشَ سَهْمِي يَاذِيُومِيذُ فَفِي ظُبَةِ السِّنَانِ لَكَ الحِمَامُ مُعَجَّلا »
وَرَمَى القَنَاةَ فَأُولِجَتْ بِجِنِّهِ وَتَخَلَّلَتْهُ الى الدُّرُوعِ تَخَلُّلا
فَغَرَ ابْنُ لِيقَاوُونَ فَاهُ كَأَنَّهُ رَعْدٌ دَوَى مُسْتَبْشِراً مُتَهَلِّلا:
«وَلَجَتْ حَشَاكَ فَأَنْتَ حَتْمًا هَالِكٌ وَأَنَا أَنَا نِلْتُ المَفَاخِرَ وَالعُلا»
قَالَ ابْنُ تِيذِيُسٍ: « تَعِسْتَ فَإِنَّهَا طَاشَتْ وَمِنِّي نَجْوَةً لَا تَأْمُلا
اَنْ تَبْرَحَا حَتَّى هُنَا رَبُّ الوَغَى يُسْقَى الدِّمَا مِنْ جَوْفِ مَفْرِيِّ الكُلَى
إِنْ فَازَ بَعْضُكُمَا وَفَرَّ مُوَلِّيَاً مِنْ صَوْلَتِي لَا فَوْزَ لِلثَّانِي وَلا»
وَعَلَيْهِ صَوَّبَ طَعْنَةً قَذَفَتْ بِهَا تَفْرِي وَتِيرَتَهُ فَلَاسَ مِنَ العُلَى [1]
خَرَقَتْ ثَنَايَاهُ وَجَذْعَ لِسَانِهِ لِلَّحْيِ حَيْثُ بَدَتْ فَخَرَّ مُجَنْدَلا [2]
فَتَصَلْصَلَتْ نَثْرَاتُهُ بِسِلَاحِهِ وَالخَيْلُ شَبَّتْ تَقْشَعِرُّ تَجَفُّلا
فَانْقَضَّ يَحْمِي آنِيَاسُ رَفِيقَهُ خَوفًا عَلَيْهِ مِنَ العِدَى اَنْ يُحْمَلا
مُتَدَجِّجاً كَاللَّيْثِ حَامَ عَلَيْهِ لَا يَخْشَى وَلَا تَلْوِيهِ جَمْهَرَةُ المَلَا
وَعَلَيْهِ مَدَّ قَنَاتَهُ وَمِجَنَّهُ بِهَدِيدِهِ مُتَشَوِّفًا مُتَبَسِّلا

---

(١) الوتيرة ما بين المنخرين

(٢) قلنا ان هوميروس يكاد ينوع قِتلاته بما يقارب عدد القتلى وذلك من حسن التصور الشعري . على انه لابد من التنبيه الى امر آخر وهو اعتناؤهُ بتطبيق الطعان على ما يوافق التصديق والحقائق ولا نخال عالماً من علماء الاقدمين كان اعرف منه بالتشريح اذ لو اخذت كل طعنة سواءٌ اصابت مقتلاً اولم تصب رأيته وصفها وصف الطبيب اللبيب الذي يلم بوظائف كل عضو من اعضاء الجسد

عَمْداً ابْنُ تِيذِيسٍ لِهائِلِ صَخْرَةٍ　　في عَصْرِنا بَطَلانِ لَنْ يَتَحَمَّلا (١)
حَنَقاً رَماهُ بِها بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ　　بالفَخْذِ يَسْحَقُ حُقَّهُ مُتَعَجِّلا
بَرَزَ الأَدِيمُ ومُزِّقَتْ عَضَلاتُهُ　　فَجَثا عَلى وَجْهِ الحَضِيضِ مُثَقَّلا
مُسْتَقْبِلاً وَجْهَ الثَّرى بِذِراعِهِ　　وَالحَتْفُ إِثْرَ سُقُوطِهِ مُسْتَقْبِلا
فَأُرْبِدَ ناظِرُهُ وَلَولا أُمُّهُ　　قِبْرِيسُ مُبْصِرَةً لأَدْرَكَهُ البِلى
عَشِقَتْ أَباهُ قَبْلُ وَهْوَ بِأَرْضِهِ　　يَرْعى العُجُولَ فَراوَدَتْهُ تَمَحُّلا
وَالآنَ عَطْفَ الأُمَّهاتِ عَلى ابْنِها　　عَطَفَتْ تُبادِرُ حَيْثُ مَصْرَعُهُ انْجَلى
أَلْقَتْ عَلَيْهِ بَضَّ أَذْرُعِها وَقَدْ　　خَشِيَتْ عَلَيْهِ طَعْنَ مُطَّلِبٍ قِلا
سَتَرَتْهُ في بُرْدٍ زَهِيٍّ خُوِّلَتْ　　رَصَداً يَصُدُّ العالِياتِ الذُّبَّلا (٢)

(١) تزعم عامتنا زعم عامة اليونان في زمن هوميروس من انه كلما طال عهد الانسان تراخت قواه وصغر جسمه وقل عرضه وطوله وهو زعم ينبذه علماء الجيولوجيا والانثربولوجيا فان بين حرب طروادة وهوميروس نحو خمسمائة عام فاذا تناقصت في اثنائها قوة الرجل الواحد الى رجلين فمن البديهي ان لا تكون قوى رجالنا الآن شيئاً مذكوراً ولا تفوق اعمارها اعمار الهررة وصغار الحيوان — اما المحاذفة بالحجارة فمن اقدم ما جرى عليه الناس من قبل عهد التاريخ والظاهر انه حيناً بعد حين تهزهم الفطرة الى العود على البدء . وفي براز داود وشاول ما ينبئ ان الخجر كان من خيرة انواع السلاح . قالت شاعرة بني حنيفة

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا　　سلاح لنا لا يشترى بالدراهم
جلاميد املاء الاكف كأنها　　رؤوس جبال حلّقت بالمواسم

(٢) لقد تساءل القوم كيف يصح ان هذا البرد يقي انياس من طعان الناس ولا يقي الزهرة نفسها كما سترى عما قليل . ولا جواب على ذلك الا انه كان حرزاً يدفع الموت ولا يقي من الجراح

ومضت بِهِ من ساحةِ الهيجاءِ تحـ ملهُ عن الأعداء تطلبُ معزلا
ووعى ابنُ قافانيسَ أمرَ ذِيومذٍ فاستوقفَ الأفراسَ ثمَّ ترجّلا [١]
وسعى الى خيلِ الصريعِ يحثّها حتّى بها بينَ الأغارقِ أُدخلا
ودعا أحبَّ رفاقهِ ذِيفِيلساً لدةٌ لهُ حاكاهُ معنىً مُجملا
للفلكِ سيّرهُ بها وهوَ انثنى لحثيثِ مركبةٍ لهُ مستعجلا
أخذَ الصرُوعَ الساطعاتِ بكفّه واستاقَ بالعنفِ الجيادَ مُجفلا
ومضى يرومُ ذِيومذاً وذِيومذٌ في إثرِ قبرِيسٍ يشقُّ الجحفلا
متقصياً يجري ويعلمُ أنّها ليستْ على بأسٍ يروّعُ مهوّلا
ليستْ كإينيا مهدّمةِ القنا أو مثلَ آثينا وربّاتِ البلا
وإذا بها في لبِّ أوزاعِ العدى فعدا إليها طاعناً مسترسلا [٢]
نفذَ السنانُ ببُردِها البهجِ الذي نسجتْ لها البهجاتُ حتّى ترفلا [٣]
وجرى لمعصمِها اللطيفِ فقطّرتْ بشراتُهُ بدمٍ عليهِ تهيّلا
بدمٍ نقيٍّ بلْ عصيرٍ رائقٍ بعرُوقِ أربابِ العبادِ تسلسلا

---

(١) ابن قفانيس هو رفيق ذيوميذ ورديفه

(٢) لقدمر ان الزهرة غيبت فاريس عن موقع القتال ولم يصبهما أذى واما هنا فلم يكن الامر كذلك بل ابصرها ذيوميذ ولم يحفل بها بل تحامل عليها وطعنها لان أثينا فتحت عينيه فابصرها واثارت جأشه فرماها • وفي هذا رمز لطيف الى أن المتذرع بالحكمة يقوى على كبح الشهوات مهما اشتد به الهوى

(٣) أردنا بالبهجات الفتيات الثلاث المدعوات خاريتس (Χαριτες)

فَهُمُ وَلا خُبْزٌ وَلا خَمْرٌ لَهُمْ خَلَدُوا وَمِنْ دَمنَا وُجودُهُمُ خَلا (١)
صاحَتْ وأَفْلَتَ آنياسُ فَقَلَّهُ بِيَدَيْهِ فِيْبُسُ بالسَّحابِ مُظَلِّلا
وَمَضى بِهِ طَمعاً بِحفْظِ حياتِهِ وذِيُومِذُ بِجَهِيرِ مَنْطِقِهِ تَلا :
«يا بنتَ زَفْسَ كَفي فكُفِّي وازْعوي لَنْ تَخْدَعِي إِلاَّ النِّساءَ الخُمَّلا
فَلَئِنْ رَجَعْتِ الى الحُرُوبِ فَذِكْرُها ستَرَيْنَ يُولِيكِ الوَبالَ الأَثْقَلا»

مَضَتْ وفي قَلْبِها مِنْ غَلْبِها غُصَصٌ مابَيْنَ مُضْطَرِبٍ أَمْسَى وَمُلْتَهِبِ
وَناصِعُ الجِسْمِ دامٍ كادَ يُلْبِسُهُ ثَوْبَ السَّوادِ اشْتِدادُ الغَيْظِ والكُرَبِ
فَبادَرَتْها تُجاري الرِّيحَ طائِرَةً إِيرِيْسُ تَدْفَعُها عَنْ مَضْرَبِ القُضُبِ
إذا بآرِيْسَ يُسْرى القَوْمِ تَحْجُبُهُ وَالرُّمْحُ والخَيْلُ أَرْكامٌ مِنَ السُّحُبِ
أَحْنَتْ على رُكْبَتَيْهِ تَبْتَغِي عَجِلاً خَيْلاً لَهُ مُلْجَماتٍ خالِصَ الذَّهَبِ
قالَتْ : «أُخَيَّ أَعِرْنيها لِتَذْهَبَ بي لِمُرْتَعِ الخُلْدِ إِنَّ الجُرْحَ بَرَّحَ بي


البهجات

باليونانية وغراسيه (Gratiæ) باللاتينية و (Graces) بالفرنسوية والانكليزية . قالوا كنَّ بنات زفس وافرينومة وفي رواية بل بنات افلون والزهرة وشأنهن ترويح النفوس واجلاء البؤوس . كنَّ يرأسن حفلات الولائم والاعياد وكان اليونان يقسمون بهنَّ ويفتتحون الولائم بشرب نخبهنَّ . وكنَّ على الجملة مثال الجمال الباهر والسرور الطاهر

(١) لما كان آلهة اليونان بهيئة البشر بالمظهر الخارجي والعواطف والاحساس

أَنالَنيهِ ٱبْنُ إِنسِيٍّ أَخُو قِحةٍ ... لا يَنثَني جَزَعاً حتَّى لِزفسَ أَبي»
فقالَ: «دُونَكِ أَفراسي وَمَرْكَبَتي» ... حلَّتْ بها بفُؤَادٍ خارَ مُكتَئِبِ
وإِيرِسٌ وُصُوعُ الخَيلِ في يدِها ... تَستاقُها وَهيَ أَجرى مِن سَنا الشُّهُبِ
حتَّى إِذا لِذُرى شُمِّ الأُلمبِ عَلَتْ ... فاْستَوْقفَتْها وحلَّتْها مِنَ القَتَبِ
وَبادرَتْها بقُوتِ الخُلدِ وٱنطلقَتْ ... لِأُمِّها قبرِسٌ تَحنُو على الرُّكَبِ (١)
هَشَّتْ لها وٱستَضَمَّتْها لِمُهجَتِها ... ذِيُونَةٌ تَستَقِصُّ الأَمرَ بالعَجَبِ
«وأَيُّ رَبٍّ كما لو كُنتِ جانيةً ... جَنى عَلَيكِ كما أَلقاكِ أَيُّ غَبي»
قالَتْ: «فما كانَ رَبّاً جلَّ بَلْ بَشَراً ... ذاكَ ٱبنُ تِيذِيسٍ مُستَمطِرُ النُّوَبِ
لِأَنَّني آنياسٌ رُمتُ نَجوَتَهُ ... أَعِزُّ مالي بِأَهلِ الأَرضِ مِن نَسَبِ (٢)
فالدَّانَوِيُّونَ بالطِّرْوادِ ما ٱجتَزَأُوا ... حتَّى إِلَينا ٱنثَنَوا بالبِيضِ والشُّهُبِ»

والمطعم والمشرب كان لابد لهم من مميزات تميزهم في كل هذه الاحوال . فهم يأكلون ولكنهم لايذوقون الخبز ويشربون وليس لهم خمر ولا مسكر كسكرنا ويجري الدم في عروقهم ولكن لا كجريه في عروق الانس فهم كائنات السماء والسماء وسكانها لا يعتريها الفساد فلا تزول ولا تنقضي ايامها ولا أيام كائناتها . وهنا اشارة الى أن الارض وما عليها من حي وغير حي عرضة للزوال ومجلبة للفساد والاضمحلال

(١) أم قبريس أي الزهرة هي ذيونة المذكورة في البيت التالي وهي ابنة الاوقيانوس وتيثيس واما أبو الزهرة فهو زفس — والانحناء على الركب لايفهم منه انها جثت وانما يراد به انها انحنت على ركبتي امها وهي عادة ذلك الزمان في استعطاف الصغير للكبير . اما السجود للصلاة والتضرع فيظهر انه لم يكن معروفاً عندهم اذ لاتراهم يصلون ويدعون الا باسطين اكف الضراعة وهم وقوف

(٢) لأن انياس كان ابنها على ما مرَّ

قالتْ ذِيُونَةُ :«صبراً كم لنامَثَلٌ بالنَّاسِ يبْلُونَ أَهلَ الخُلْدِ بالنَّصَبِ
فإِسْوَةٌ لكِ آريسٌ وَهيْبَتُهُ عاماً وَشهراً ثوى في السِّجْنِ لم يهَبِ
أَلقاهُ فيهِ ابْنُ أَلْوِيسٍ أُتُوسُ كذا أَخوهُ إِفِيلْطُسٌ بالذُّلِّ والحَرَبِ
وكَبَّلَاهُ بأَغلالِ الحديدِ وما أَجْدَاهُ مِنْ غَضَبٍ يَشْتَدُّ اوصَخَبِ
وكادَ يَهْلِكُ لو لم تُنْمِ مخْبَرَهُ إِيرِيبُ إِذْ صانَهُ هِرْمِيسُ بالحُجُبِ (١)
وهيْرَةٌ فابْنُ امْفِترونَ أَلَمَّ بها بشَرِّ سهْمٍ بأَعلى الثَّدْيِ مُنْتَشِبِ
وَنَفْسُ آذِيسَ ذَاكَ القَرْمُ أَوْرَثَهُ مرَّ العَذابِ بِسَهْمٍ عَنْهُ لَمْ يَخِبِ
أَطارَهُ دونَ أَبوابِ الجحيمِ لهُ عَمْداً فنكَّصَ مُلْتاعاً على العقِبِ
فأَمَّ صَرْحَ أَبي الأَرْبابِ زفْسَ أَخا بُؤْسٍ بنَبْلٍ بعظْمِ الكَتْفِ مُنْتَصِبِ
فذَرَّ بلْسَمَهُ فيُونُ يُبْرِئُهُ مُذْ كانَ منْ خالدِي الأَدْهارِ والحِقَبِ (٢)

---

(١) ليس المراد بالهلاك الموت وانما العذاب الشديد وهو تعبير شعري من وجه وديني من وجه آخر • وامثلة ذلك كثيرة في التوراة والانجيل والقرآن اذ يعبّر بالهلاك عن العذاب

(٢) كان فيون باعتقادهم في زمن هوميروس طبيب الآلهة — يزعم البعض ان الاصل في هذه الخرافة انه كان نطاسياً ماهراً نشأ في بلاد مصر • ويذهب آخرون الى انه لقب افلون لان الشمس تبرىء السقام وتخفف الآلام وقد صار من ثم علماً لكل طبيب — كل هذه اشارات الى روايات كانت متواترة في ازمانهم ومحل تفصيلها في كتاب التراجم • على انه يحسن بنا هنا ان نذكر انها جميعها رموز الى أمور طبيعية • فقد ذكرت ذيونة هنا تسلط البشر تسلطاً وقتياً على ثلاثة من الآلهة وهم اريس وهيرا واذيس فالاول إلاه الحرب ويتسنى للناس كسر شوكته اذا كثرت رويتهم وقلت نهمتهم•ثم هيرا امرأة زفس المعروفة بالخدعة والدل وكلاهما

فيا لِوَيلِ بَني الإِنسانِ إِنْ حَمَلوا ... على بَني الخُلْدِ عن حُمْقٍ وعن غَضَبِ
فالاسُ أَغرَتْ ذِيُومِيذاً عليك ولَمْ ... يَعلَمْ لِصُنْعِ يَدَيهِ أَيَّ مُنْقَلَبِ (١)
لم يَدْرِ أَنَّ على الأَرْبابِ مَنْ كَسَبَتْ ... يَداهُ شَرًّا إِلى الأَوْطانِ لم يؤُبِ
فلا يَهُشُّ لهُ مِنْ فَوقِ رُكْبَتِهِ ... طِفْلٌ يَقُولُ بِلُطفٍ يا أَبي أَجِبِ
فَلْيَخْشَ بَطْشَ أَخي باسٍ أَشَدَّ قِوًى ... وَصَوْلَةً مِنْكِ يَسْتَقْرِيهِ بالطَّلَبِ
وَلْيُفكِّرَنَّ بأَغيالا حَليلَتِهِ ... ذاتِ الجَمالِ وذاتِ العَقْلِ والحَسَبِ (٢)
وَسْنَى تُؤَرِّقُها الرُّؤْيا فَتُقْلِقُها ... فَتَسْتَفِيقُ بِقَلْبٍ رِيعَ مُضْطَرِبِ
مِنْ ثَمَّ تُوقِظُ في لَهْفٍ جَوارِيَها ... وَيَنْتَحِبْنَ بِدَمْعٍ فاضَ مُنْسَكِبِ» (٣)

يديتان ويذلان في بعض الاحوال . والثالث إلاه الجحيم وهو عبارة عن الشر فيمكن كبح جماحه واتقاء جناحه . وليس لنا من جملة هذه الامثال مثل لقهر أثينا ممثلة الحكمة واشباهها لان الحكمة لاتضل ولا تذل

(١) علمت ذيونة ان أثينا هي التي أغرت ذيوميذ واما الزهرة على كونها الاهة ففاتها عرفان ذلك لانها ممثلة الهوى والهوى فضاح تضطرب لديه الافكار فلا تنفتح به الابصار

(٢) لم تكن أغيالا كما قال الشاعر ذات عقل رجيح . لانه مذكور في تواريخ تلك الايام انها خانت زوجها وهامت بغيره اثناء غيابه . ولما القت الحرب اوزارها وعاد ذيوميذ على امل ان يحظى بلقيا الزوجة الامينة والرفيقة المعينة فاذا بها قد القت بعقادة الحب الى شخص غريب علق به قلبها فاضطر ذيوميذ الى الفرار من بلاده فكأن الزهرة انتقمت منه بما لها من السلطة على القلوب . فاما ان يكون هوميروس جاهلاً لتلك الرواية لعدم شيوعها في زمانه واما أن يكون قال ما قال وهو يصفها قبل تلك الخيانة

(٣) لم يكن لوالدة ان تسكن روع ابنتها بارق من هذا الكلام . والشاعر كجاري عادته يسهب مكان الاسهاب ويوجز موضع الايجاز فالمقام مقام تعزية وتسكين ولا

وَطهرَتْ بِيَدَيها الجُرْحَ فَانْفَرَجتْ آلامُها وَاستَكَنَّتْ ثِقْلَةُ الوَصَبِ
لكِنْ أثينا وَهيرا مُذْ تَعمَّدَتا إغضابَ زَفسٍ لِما في النَّفْسِ من أَرَبِ
قالت أثينا: «أَبي هل لا يسوؤكَ أنْ أقولَ ما كانَ في ذا الجُرْحِ من سَبَبِ
لا شَكَّ قبرِيسُ رامَتْ دفعَ غانيةٍ وَجْدَ الصبِّ مِنَ الطُرْوادِ ذي نَشَبِ
فأنشبتْ بِعُرَى الإبريزِ راحَتَها فمزَّقَتْها فرامَتْ نَخْلَةَ الكَذِبِ » (١)
أَصاخَ يبْسِمُ وَاستَدْعى الجريحَ على رِفقٍ وَقالَ لَها: « يا مُنْيَتي اُحْتَسِبي
دَعي لآرِسَ وَآثينا الحُرُوبَ وَلا تُعْني بِغيرِ لَذيذِ الحُبِّ والطَّرَبِ»

لَهُمْ في السَّماءِ هذا الحديثُ وَفي الثَّرَى ذِيُومِيذُ لا يَنْفكُّ إيناسَ يَطْلُبُ
تَحَدَّمَ يَبغيهِ وَيَعْلَمُ أَنَّما يَقيهِ أفلُّونُ وَلَمْ يَكُ يَرْهَبُ
ثَلاثاً عليهِ كَرَّ يأمُلُ قتلَهُ وَشِكَّتَهُ الغَرَّاءَ بالعُنْفِ يَسْلُبُ
وَلكِنْ ثَلاثاً تُرْسَ فِيبُوسَ صدَّهُ وَرابِعةً قد كادَ يَسطُو وَيَضْرِبُ

يسكن جاش المصاب بكلمات قلائل فلهذا أتت اولاً على ذكر آلهة أعز جاناً من ابنتها اصيبوا بأشد من مصابها ولم تبق لها موضعاً للهفة والقنوط • ثم أعادت الكرة على ذيوميذ فتنبأت لها بما سيناله من العقاب الشديد ولا سيما بحرمانه البنين لذة الحياة الدنيا وتلك شر رزية يخشاها الآباء • وسنرى من كلام فينقس في النشيد التاسع شدة تلهفهم على العقب فكأنها ذرّت لها بلسم الشفاء وفرجت عنها كربة العناء

(١) لابدع ان تبادر أثينا وهيرا فتسبقان قبريس الى زفس فتكلمانه بما هو مأثور عنها من التحرش بالغلمان والفتيات لتخففا من غيظه اذا اغتاظ وتلتمسان بالهزل طمس حقيقة لاتخفى عليه وانما يشوقه هزلهما فيصبر عنهما ولهذا نراه باسماً في البيت التالي كأنه تجاوز عنهما الى ما هو اعظم شأناً في تلك الحال

فَقالَ لهُ والصَّوتُ يَدوي رَعيدهُ ... ويَعلو مُحيَّاهُ العَبوسَ تَقطُّبُ :
« مَهٍ فتَرَبَّصْ يا ابنَ تيذيسٍ فمَن ... بني الخُلدِ للإِنسانِ قدْ عزَّ مَطلبُ
فشتَّانَ بينَ النَّاسِ وَالتُّربَ أُسكِنُوا ... وَقومِ بني الإِسعادِ والنُّورَ أُلهِبوا »
فكفَّ ذِيُومِيذُ وَما كادَ يَنثني ... مَخافةَ يَشتَدُّ الإِلاهُ وَيَغضَبُ (١)
وسارَ أَفلُونُ بأَنياسَ مُسرِعاً ... لمَعبَدِهِ في طَودِ فرغامَ يَذهَبُ
فوافَتْهُ أَرطاميسُ في بَلسَمِ الشِّفا ... وَذيتا بإِكسيرِ المحاسنِ يُسكِبُ
وَماشاءَ فيبوسُ يَشيعُ انتقالَهُ ... فأَرسلَ طيفاً مثلَهُ يَتقَلَّبُ (٢)
وَمِنْ حَولهِ بينَ الفريقينِ مُزِّقَتْ ... مُسرَّدةٌ حَصداءُ وَأُقتُلَ مجوبُ (٣)
وَمِنْ ثَمَّ فيبوسُ إلى آرِسَ انثَنى ... يَحُثُّ خُطاهُ لِلوَغى وَيُثَرِّبُ :
« أَيا مُمطِرَ الأَهوالِ يا باعِثَ الرَّدى ... ويا هادِمَ الأَسوارِ حتَّى مَ تَرقُبُ
أَلا ماانْدفعتَ الآنَ فوقَ امرئٍ عَتا ... يَكادُ على زَفسٍ يَصولُ وَيَصخَبُ
تأَثَّرَ قبريساً وَأَدمى يمينَها ... وَأَقبلَ نحوي بعدَ ذلكَ يَقرُبُ »
فأَغراهُ ثُمَّ اختارَ فِرغامَ مَعزِلاً ... وَآريسُ لِلطُّرْوادِ راحَ يُؤَنِّبُ (٤)

(١) لم يتحامل ذيوميذ على افلون تحامله على الزهرة لانه انما كان مندفعاً بصولة أثينا وهي لم تأذن له الا بطعن الزهرة . اما تصديه لافلون فلم يكن بالامر المعقول لانه إلاه ذو بطش شديد . واذا نظرنا الى الامر من وجه رمزي فذلك أيضاً غير معقول لان افلون ممثل الشمس والقدر ومقاومتهما امر محال في كل حال

(٢) ان في ارسال هذا الطيف تعبيراً شعريا لطيفاً يشير الى انهم لم يعلموا بتغيبه

(٣) المسرَّدة الحصداء الدرع المحكمة والمجوب الترس

(٤) فرغام أو فرغاموس قلعة اليون وقد تطلق على البلدة نفسها .

فماثلَ آكاماسَ شكلاً وهيئةً وصاحَ: «ألا فاسطُوا على القومِ واضربوا
إلى مَ التَّراخي والعدى فتكُها بدا أفا لجُبْنُ حتَّى دكَّةَ الحصنِ نركبُ
فأنياسُ والفتّاكُ هكطورُ قد حكى طريحٌ بسيَّالِ الدِّماءِ مُخضَّبُ
ألا ما أخذتُم من عداكُم بثأرِهِ وأنقذتُموهُ فاستجيشوا وصوِّبوا»
فهاجتْ بهِم كُلُّ النفوسِ حميَّةً وأقبلَ سرفيدونُ بالعنفِ يخطُبُ:

« أينَ هكطورُ همَّةٌ لكَ قدماً أينَ بأسٌ وباعُ عزمٍ متينِ
قد زعمتَ الحصونَ تحمي ولا أنـ ـصارَ لا جيشَ بل بآلِ الحصونِ
أينَ هُمْ أينَ لستُ ألقى كَمِيّاً كالكلابِ التَوَوا لأُسْدِ العرينِ
إنَّما نحنُ نجدةٌ وعلينا أنتَ ألقيتَ كُلَّ ثقلِ المنونِ
أنتَ تدري في أيِّ بونٍ بلادي ليقيا أرضُ زنثسَ الميمونِ
فبِها زوجتي تخلَّيتُ عنها وغلامي وذُخرُ مالٍ ثمينِ
وهنا ليسَ لي متاعٌ ولا ما لٌ فأخشى أنَّ العدى يسلُبوني
كُلُّ هذا ما كفَّ بالبطشِ كفِّي وأراكَ اعتزلتَ بادي السُّكونِ
فلماذا لا تُنهِضُ العزمَ والأعرا ضَ تحمي من هولِ هونٍ مُبينِ
أفلا خلتَ أنَّ ثَمَّ شِراكاً كامناتٍ لكُمْ وأيَّ كُمُونِ
وبِها تُؤخذونَ أخذاً ذريعاً وتُدكُّ الحصونُ فوقَ المتونِ
زُعماءَ الأنصارِ دُونكَ فادفعْ عنهمُ بالثَّباتِ سوءَ الظُّنونِ
ذاكَ ذاكَ اعتبِرْ نهاراً وليلاً نُصبَ عينيكَ فليكُنْ كُلَّ حينِ»

لِهُجَةِ هكطورَ الحديثُ مُؤلِّماً جَرَى جَرْيَ سَهْمٍ بالمَفَاصِلِ يَنْشَبُ (١)
تَرَجَّلَ مُصْطَكَّ السِّلاحِ مُطَوِّفاً وَفي يَدِهِ سُمْرُ القَنا تَتَلَهَّبُ
يُشَدِّدُ هِمَّاتِ الفَوارِسِ مُنْهِضاً عَزِيمَتَهُمْ حَتَّى انْثَنَوا وَتَصَلَّبُوا
فَكَرُّوا وَلكِنَّ الأَغارِقَ جُمْلَةً على صَدِّهِمْ بالعَزْمِ طُرّاً تَأَلَّبُوا
فَلَمْ يَكُ في القَوْمَيْنِ خامِلُ هِمَّةٍ وَلَمْ يَكُ فِيهِمْ مَنْ يُراعُ فَيَهْرُبُ
وعِنْدَ اشْتِباكِ الجَيشِ بالقُضْبِ وَالقَنا جَرَتْ مُقَرَّباتُ الحَمْلَةِ الأَرْضَ تَنْهَبُ
وَقَدْ كَسَتِ الإِغْرِيقَ ثَوبَ عَجاجَةٍ فَتَحْتَ الخُطَى وَقْعٌ وَمِنْ فَوْقُ غَيْهَبُ (٢)
كَأَنَّ مَذاري ذِيمِتيرَ بِبَيْدَرٍ تُثِيرُ سَحِيقَ التِّبْنِ والحَبُّ يَرْسُبُ

(١) لم يتجرأ أحد من قوم هكطور تجرؤ سرفيدون عليه في هذا المقام فعيَّره بما لم يكن يصبر له لو صدر من طروادي • ولكنه كلام مفحم لا يرد عليه ولا يكذب ولا يعاب • وزد على هذا ان هكطور وصحبه كانوا في حاجة كبيرة الى حلفاء يقاتلون معهم جنباً لجنب ولا مطمع يغريهم على الاستبسال • فاذا غادروا الحرب كان البلاء كل البلاء على الطرواد والحلفاء لا يمسُّون بأذى كما قال سرفيدون

وهنا ليس لي متاع ولا ما
لٌ فأخشى ان العدى يسلبوني

او كقول الطغرائي

فيم الاقامة بالزوراء لا سكني
فيها ولا ناقتي فيها ولا جملي

ولهذا لم يكن لهكطور جواب أوقع من الصمت والاجتزاء عن القول بالفعل


ذيميتر

(٢) قال عنترة: ويطربني والخيل تعثر بالقنا حُداة المنايا وارتهاج المواكبِ

فَتَذْرِي السَّحِيقَ الرِّيحُ ثُمَّ تهيلُهُ غُبَارًا كَثِيفًا وَهْوَ أَبْيَضُ أَشْهَبُ (١)
كَذا اُنْدَفَعَ الإِغْرِيقُ مِنْ تَحْتِ قَسْطَلٍ عَلاهم وآرسُ لِلْعِدَى يَتَعَصَّبُ
أَطَاعَ أَفُلُّونًا وَشَدَّدَ عَزْمَهُ أَحْتِجابُ أَثِينا فَاسْتَقَرَّ يُكَوْكِبُ (٢)
وَأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِ الْجُيُوشِ غَمامَةً تُظَلِّلُ ذُرَّاعَ الْحَدِيدِ وَتَحْجُبُ
وَلَمَّا علا وَقْعُ القَنا انْقَضَّ عائِثًا إِلَى ساحَةِ الْهَيْجاءِ أَنْيَاسُ يَلْجَبُ
بِهِ جاءَ فِيبُوسُ سَلِيمًا مِنَ الْأَذَى شَدِيدًا حَدِيدًا يَسْتَجِيشُ وَيَلْغَبُ
فَخَفَّ وَأَحْيَا خَفْقَ أَكْبَادِ قَوْمِهِ وَحَفَّ بِهِ مِنْ صَفْوَةِ الصِّيدِ مَوْكِبُ
فَلَمْ يَسْأَلُوا عِلْمًا وَلَمْ يَتَساءَلُوا وَدُونَ التَّحَرِّي مِنْ لَظَى الْحَرْبِ أَضْرُبُ
عَوَاصِفُ فِيبُوسَ وَصَعْقَةُ فِتْنَةٍ وَآرِسُ وَوَبْلٌ بِالذَّوَابِلِ صَيِّبُ
وَآيَاسُ آيَاسُ وَأُوذِسُ ذِيُومِذٌ يَهُزُّهُمُ دَاعِي الْكِفَاحِ وَيُطْرِبُ
يُنَادُونَ بِالإِغْرِيقِ لِلْحَرْبِ نَهْضَةً إِذا هُمْ لِكَرٍّ أَوْ لِصَدٍّ تَكَتَّبُوا
فَلِلصَّدِّ دُفَّاعُ الْجُنُودِ تَثَبَّتُوا صَنَادِيدَ لَمْ يَخْشَوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
كَأَنَّهُمُ وَالْجَوُّ صافٍ رَقِيعُهُ غَمَائِمُ مِنْ فَوْقِ الشَّوَامِخِ تَقْطِبُ

وضربٌ وطعن تحت ظل عجاجة كجنح الدجى من وقع أيدي السلاهب

(١) ذيمتير إلاهة الزراعة والخصب وقد مر ذكرها . وهي سيريس اللاتين أو الافرنج كانوا يمثلونها وبيدها سنبلة أو زهرة خشخاش وما أشبه — لم أر للغبار تشبيهاً ابدع من هذا التشبيه ولعله وارد في شعر العرب وخفي عنا او انهُ لم يحفل به شعراؤهم لقلة اشتغالهم بالزراعة في باديتهم

(٢) احتجاب أثينا اشارة الى شدة الالتحام واختلال النظام كما ان انسدال الغمامة فوق الجيش في البيت التالي اشارة الى اكفهرار الغبار

وَقد هجعَ الأَنواءُ لا ثمَّ شمأَلٌ تثورُ ولا الأَنواءُ فيهنَّ تلعبُ (١)
يجوبُ أَغاممنونُ بينَ صفوفهم يصيحُ وأَعقابَ الخُطى يتعقّبُ:

« شدّدوا عزمكم وكونوا رجالاً فوطيسُ الوغى عظيمُ الشؤون
وليقِمْ بعضُكم بحزمهِ بعضٍ فلكم بالوفاقِ خيرُ قرينِ
والتآخي بين النفوس نصيرٌ ولحفظِ الرؤوسِ أقوى ضمينِ
للجبانِ المهزومِ موتٌ وعارٌ والهمامِ العزومِ رفعُ الجبينِ» (٢)

قالَ هذا وانقضَّ يطعنُ ذيقوُ نَ بنَ فرغاسَ بادئاً بالهجومِ
تربَ أنياسَ كانَ وهوَ لديهم كابنِ فرِيامَ ذو مقامٍ قديمِ

(١) لما وصف الجنود المتثبتة في مكانها متهيئة للكفاح وشبهها بالغيوم المتلبدة فوق الجبال هيأ للتصور منظراً مهيباً قلما يراه سكنة السهول ثم استطرد فمثل للتصور ذلك المشهد أثناء هجوع الانواء لانها في عرفهم كما علمت أشخاص مجسمة تهجع وتستفيق. فاذا هجعت فقد تبقى تلك الغيوم راسخة كالجبال فوق الجبال يتهيب لمنظرها الراءي . قال بعضهم رمز الشاعر بقوله « الانواء فيهن تلعب » الى ما سيكون من تمزق شمل الاغريق في تلك الواقعة وهو تصور حسن قد يمكن ان يكون قصده الشاعر الا انه لايبعد أن يكون من جملة المتممات اللاصقة بأكثر تشابيه هوميروس

(٢) كل كلمة من هذا الخطاب على ايجازه تقوم مقام العبارات الطوال والجمل الفخيمة في خطب الملوك والاقيال لاسيما ان الساعة ساعة حرب لاسبيل فيها الى اطالة الكلام ولم يكن غير أغاممنون لينطق بمثل هذا النطق وان وجد بين القوم من هو أبعد منه نظراً وأوفر حكمة لانه ليس الا للزعيم الاكبر بعد التلطف بالمقال أن يعد البطل المقدام بحسن المصير ويتوعد النكس الجبان بالموت والعار. وهذا من مميزات

لِلنِّجادِ السِّنانُ أُوْلِجَ يَفْرِي الـ　　تُّرْسَ حَتَّى حَشَا الفُؤَادِ الصَّمِيمِ
فَالْتَوَى تَحْتَ طَعْنَةٍ وَكُلُومٍ　　وصَلِيلُ السِّلاحِ فَوْقَ الْكَلِيمِ
كَرَّ نَحْوَ الإِغْرِيقِ يَطْلُبُ ثَأْراً　　آنِياسٌ كَرُورَ لَيْثٍ غَشُومِ
ثُمَّ أَرْدَى أُرْسِيلُخُوسَ وإِكْرِيـ　　ثُونَا ابْنَي دِيُوكْلِيسَ الحَكِيمِ
وحَفِيدَي أَرْسِيلُخُوسَ الذي كا　　نَ أَخا صَوْلَةٍ ومُلْكٍ جَسِيمِ
وَهُوَ ابْنٌ لِلنَّهْرِ أَلْفَاسَ أَبْقَى　　لابْنِهِ ثَرْوَةَ الغِنا المَرْكُومِ
نَشَأَا في فِيرِسْ وأَلْفَاسُ فِيها　　فاضَ في فِيلْيا بِخَيْرٍ عَمِيمِ

شاعرنا اذ لايكاد يصدق في كلامه منطق رجل الا اذا كان من ذلك الرجل — وما أشبه خطاب أغاممنون هذا بكلام الامام علي بن أبي طالب يوم قام يخطب في الناس قبل واقعة صفين. قال : « وطنوا نفسكم على المنازلة والمجاولة والمزاوله والمناضلة والمعانقة والمكارمة والملازمة واثبتوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين»

ولعنترة بمعنى البيت الاخير :

لعمرك ان المجد والفخر والعلى　　ونيل الاماني وارتفاع المراتبِ
لمن يلتقي أبطالها وسراتها　　بقلب صبور عند وقع المضاربِ
ويبني بحد السيف مجداً مشيداً　　على فلك العلياء فوق الكواكبِ
ومن لم يروّي رمحهُ من دم العدى　　اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضبِ
ويعطي القنا الخطيّ في الحرب حقهُ　　ويبري بحدّ السيف عرض المناكبِ
يعيش كما عاش الذليل بغصة　　وان مات لايجري دموع النوادبِ

وكل ذلك يجمعهُ قوله في موضع آخر :

من لم يعش متعزّزاً بسنانهِ　　سيموت موت النذل بين المعشرِ

تَوْأَما شدَّةٍ حديثان لكنْ بلَوا بالنّزال كُلَّ العلُوم
رَكبا لجّةَ البحار انتصاراً لِمنيلا وَعرضه المَثلوم
سَدَلَ الموتُ فوقَ عينيهما السّ تر بحكم المنيّةِ المحتوم
شِبهَ شبلَين قد غذتْ لبوةٌ في أكم الغاب فوق طودٍ عظيم
عَبِثا فيه في شياهٍ سمانٍ وعجولٍ بمنعةٍ ونعيم
وَاستطالا حتى الرُّعاةُ أَعدَّتْ لهما الحتفَ بالسّنان القويم
هَويا مثلَ أرزتين على التر ب بجذعٍ مقوّضٍ محطُوم (١)
فَمنيلا انبرى يجيلُ قناهُ شائكاً في سلاحهِ الموسُوم
ساقهُ آرسٌ لأنياسَ يبغي لمنيلا شرّاً لِسبْق الغريم
يدَ أنّ ابنَ نسطرٍ انطلوخا هبَّ في إثرهِ هبوبَ النّسيم
خشيةَ أَنْ يُمسَّ بالضيم والآ مالُ تفنى بقتلِ ذاكَ الزّعيم
فمضى والقرنان كادا اشتباكاً يقرنان القنا بصدر الجسُوم
فالتوى ثمَّ عزمُ أنياسَ لمّا لقيَ اثنين فانثنى للتخُوم (٢)

---

(١) لايغفل شاعرنا هنيهة واحدة عن تفكهة القارىء بمـا ترتاح اليه النفس ليرسخ في ذهنه كل ما أودع شعره من الحكمة وحسن التمثيل . ولو سرد تباعاً اسماء قاتليه ومقتوليه لكان نظمه خلواً من الطلاوة التي اشتهر بها. واذا قص قصة او روى رواية فانمـا يختار لهـا الوضع الذي لايمكن ان تكون في سواه. ولنا على هذا مثالٌ مقتل الاخوين هنا فقص قصتهما بنسق مؤثر وختمها بتشبيهين بالغين في الدقة والهيبة فكأنمـا اضطر راوي شعره الى حفظ تلك الذكرى

(٢) مهما اعترض شعر الالياذة من الاقاصيص الخرافية فهو برموزه وحسن

دَفَعا جُثَّةَ القَتيلَينِ لِلقَوْ م وعادا بصَولَةٍ وَهَزيمِ
جَنْدَلا قيلَ بِفَلْغُونَة فِلَيْ مِيْنَ رَوَّاعَ كُلِّ شَهْمٍ عَزُومِ
فَمَنِيلا عليهِ مالَ بِطَعْنٍ وأقرَّ السِّنانَ بالبُلْعُومِ
وابْنُ نَسطُورَ صدَّ خادِمَهُ مِيْ دُونَ مُذْ رامَ نجوَةَ المَهزومِ
وَرَماهُ بِفِهْرِ صَخْرٍ شَديدٍ فَتَوارى بِزَنْدِهِ المَقصُومِ
فَاسْتطارَتْ أَعِنَّةُ الخَيلِ منهُ سابِحاتٍ تَخُبُّ فوقَ الأَديمِ
فَعَلَيهِ بالسَّيفِ بالصُّدْغِ ثَنَّى فَثَناهُ لِلأرضِ حَدُّ الصَّرُومِ (١)
ناشراً لِلهَواءِ رِجلَيهِ لكِنْ رأسُهُ تَحتَ رَملِها المَرْكُومِ
ظَلَّ حتّى جِيادُهُ بِخُطاها طَرَحَتْهُ لِلأرضِ دامِي الكُلُومِ (٢)

سبكه وارتباطه منسوج على منوال لا يأباه العقل • فان منيلاوس لم يكن من اكفاء انياس فلما انبرى له لم يكن ذلك الا بسوق آريس الاه الحرب أي بثوران نار الحمية في رأسه فغيبت عن بصره سوء المصير • فكان من ثم من الحزم ان يتقدم انطيلوخ لمعاونته على أنياس خصوصاً ان الحرب أولاها وأخراها كانت انتصاراً لمنيلاوس • فلو قتل فيها لتصرمت الآمال وضعفت عزائم الرجال وانتهت بنكبة الاغريق • ثم انه لم يكن في ارتداد انياس شيء من العار لانه اصبح امام بطلين متوازرين اذا قوي على أحدهما فلا قبل له بكليهما • قيل لعنترة العبسي أنت اشجع العرب واشدهم بطشاً فقال لا قيل له كيف شاع لك هذا الاسم بين الناس قال اني أقدم اذا رأيت الاقدام عزماً واحجم اذا رايت الاحجام حزماً ولا أدخل مدخلاً الا اذا رأيت لي منه مخرجاً واعتمد الضعيف الساقط فاضربه ضربة يطير منها قلب الشجاع فاثني عليه فآخذه والحرب خدعة

(١) الصروم السيف

(٢) الكلوم الجراح — يخطر على بال شاعرنا ما لا يدور في خلد شاعر ولا

وَٱبْنُ نَسْطُورَ سَاقَهَا لِحِمَاهُ مَغْنَماً مِنْ اجلِ أَصلٍ كَرِيمِ

تَحَدَّمَ هَكْطُورٌ لِمَا هُوَ بَاصِرٌ فصاحَ مُغِيراً وَاقْتَفَتْهُ العَسَاكِرُ
وفي صَدْرِهِمْ رَبُّ الوَغى يَسْتَحِثُّهُمْ وإِنْيُو تُثِيرُ الشَّغْبَ والشَّغْبُ ثائرُ (١)
وَآرِيسُ هَكْطُوراً يَلِي فَهْوَ تَارَةً ظَهِيرٌ وَطَوراً دُونَهُ مُتَظَاهِرُ
يُجِيلُ قَنَاةً أَثْقَلَتْ كُلَّ كَاهِلٍ وَيَفْعَلُ ما لا تَسْتَطِيعُ القَسَاوِرُ
ولكنْ ذِيُومِيذُ الإِلاهُ لَهُ انْجَلى فأَحْجَمَ كَرَّاتِ الإِلاهِ يُحَاذِرُ
كَطَاوٍ بُطُونَ البِيدِ صَدَّتْهُ عَنْوَةً سُيُولٌ غَشَتْ عَنْهَا تَزُوغُ النَّوَاظِرُ
فَيَعْلُوهُ إِشْفَاقٌ وَتَغْشَاهُ خَشْيَةٌ فَيَنْكُصُ مُنْهَدَّ القُوَى وَهُوَ حَائِرُ (٢)

قَالَ صَحْبِي: «هكْطُورَ هُولاَ ظَنَنْتُمْ بِقَنَاهُ وَالعَاسِلِ المَسْنُونِ
فَاتَكُمْ أَنَّهُ أَوانَ الوَغى لَمْ يَخْلُ يَوماً مِنْ مُرْشِدٍ وَمُعِينِ

تكاد تعجب بوصف او تشبيه الا ويبدو لك على الأثر ما هو احسن منه او مثله بحيث اذا خُيِّرت في التفضيل لاحترت في الانتقاء وحسبك شاهداً هنا مقتل هذا الرجل الناشر رجليه للهواء وحسن التخلص بطرحه الى الارض مدفوعاً بجياده

(١) انيو زوجة آريس الاه الحرب وقيل بل اخته كانت حوذيّته تشد الخيل الى مركبته وترافقه أو تذهب منفردة لاثارة الحروب فكانوا يمثلونها متنفشة الشعر ملتهبة البصر تجري وبيدها سوط مخضب بالدماء

(٢) لما كان الفوز للاغريق في ما تقدم وكان لابد من اظهار بسالة هكطور وجيشه وانتشائهم على العدو وتنكيلهم به لم يكن أجمل من تصرف الشاعر باظهار هكطور في صدر جيشه يليه إلاه الحرب ورفيقته القهارة وفيه توطئة حسنة لالتواء الاغريق التواء غير مذموم وانجلاء الامر لهم بواسطة ذيوميذ لان أثينا كما تقدم

هاكمُ آرساً بهيئةِ إنسٍ حولَهُ حامَ كالنّصيرِ الأَمين
فارجعوا والصدورُ منقلباتٌ للعدى واتّقوهُ واتبعوني »(١)

وخفّتْ بنو الطرْوادِ زحفاً بصدرهمْ يُصادِمُ هكطورُ العدى ويُصادِرُ
فأردى منستيساً وانخيالساً معاً بمركبةٍ قلتهما وهوَ سائرُ
فهاجتْ بأياسَ العواطفُ فانبرى يُطيرُ قناةً فرعُها متطايرُ
فأصمى ابنَ إسلاغوسَ أمفيسَ الذي بفيسوسَ قد فاضتْ عليهِ الذخائرُ
بغى نُصرةَ الطرْوادِ والحتفُ ساقهُ إلى حيثُ شكّتْ بالنجادِ الخواصرُ
فأهوى وأهوى طامعاً في سلاحهِ أياسُ فصدَّتْهُ السهامُ المواطرُ
على جثّةِ المقتولِ أثبتَ رجلَهُ يجرُّ سنينَ النصلِ والفتكُ دائرُ
وكفَّ يُباري بالمجنِّ نبالَهمْ مخافةَ أنْ يلهو فتدهُا الجماهرُ(٢)
وعندَ التحامِ الحربِ ساقتْ يدُ القضا لسرفيدنٍ إطلوفليمَ يبادرُ

فتحت عينيه لتميز بين الآلهة والناس فاحجم احجاماً لايشوهه عار كمن يطوي بطن البيداء فتصده سيول لا قبل له باجتيازها « فينكص منهد القوى وهو حائر »

(١) لما انجلت لذيوميذ حقيقة الامر كان من الحكمة أن ينذر قومه بالخطر المحدق بهم ويحثهم على التقهقر غير منقلبين على أعقابهم بل موجهين صدورهم للاعداء كجاري عادة الشجعان في ذلك الزمان وفي كل زمان حتى لاتحتل بوجوههم خطة الدفاع ولا تنالهم طعان العدو في ظهورهم خشية العار • وقد كان من عاداتهم ان المطعون في ظهره ينبذ نبذاً من بين جماعته واذا مات لم يجز دفنه • وذلك عندهم منتهى العقوبة لما اسلفنا من شدة حرصهم على احراز القبور ووصف معتقدهم فيها

(٢) كثيراً ما نراهم في ساحة القتال يعكفون على الاسلاب في ثوران

نظيرانِ في زَفْسَ ٱبْنُهُ وحَفِيدُهُ ... سَلِيلُ هِرَقْلٍ والقَرِينُ المُناظِرُ
ولمّا على مَرْمَى القُنِيِّ تدانيا ... عليهِ الهِرَقْلِيُّ ٱسْتَطالَ يُفاخِرُ :

«أَيُّ جَهْلٍ مُشِيرَ لِيقِيَةَ أَغْـ ... ـراكَ حتَّى ٱسْتَهْدَفْتَ أَيُّ جُنُون
أَنْتَ والكَرُّ فيهِ مُذْ كُنْتَ غِرًّا ... قَدْ تَوَرَّطْتَ وَرْطَةَ المَغْبُون
مانَ مَنْ قالَ أَنْتَ مِنْ نَسْلِ زَفْسٍ ... أَيْنَ أَبْناءُ زَفْسَ مِنْ سَرْفِدُون
بِهِرَقْلٍ أَبِي كَفاكَ مِثالاً ... قَلْبُ لَيْثٍ وَهَوْلُ كُلِّ القُرُون
قَبْلُ أُنْبِئْتَ كَيْفَ جاءَ قَدِيماً ... طامِعاً في جِيادِ لَوْمِيدُون (١)
بِسَفِينٍ سِتٍّ وَنَزْرٍ قَلِيلٍ ... أَمْطَرَ الوَيْلَ في حِمَا إِلْيُون
أَيْنَ شَتَّانَ أَنْتَ والحَتْفُ أَفْنَى ... مِنْكَ قَوْماً وأَنْتَ بادِي الشُّجُون

المعمعة طمعاً بالمال والفخار لانها كانت الدليل القاطع على بأس صاحبها وسنرى ذلك بأوضح بيان في النشيد الثالث عشر أثناء مفاخرة ايذومين ومريون بما حوياه من سلاح الاعداء • ولم يكن ذلك شأن العرب كما قدمنا (ن ١ : ٢١٤) • قال العبسي:

ونشرت رايات المذلة فوقهم ... وقسمت سلبهم لكل غضنفرِ

(١) لوميدون هو ابن ايلوس وأبو فريام تولى طروادة ثلاثة وعشرين عاماً وهو الذي حصنها بالحصون المنيعة وأقام السدود وقاية لها من موج البحر • وفي أقاصيصهم ان افلون أعانه في بناء المعاقل وفوسيذ إلاه البحر في بناء السدود ولما انتهى عمل الالاهين ولم يبر لوميدون بوعده لهما فشا الوباء في المدينة وطغى عليها البحر فلجأ الطرواد الى استخارة الآلهة فأُوحي اليهم انه لامناص لهم ولا نجاة ما لم يعدّ ملكهم ابنته فريسة للنون العظيم أو التنين فرضخ الملك مضطرًّا ففزع له هرقل وقتل التنين فنجت الفتاة على ما يقرب من قصة مارجرجس • وحنث لوميدون بيمينه واخلف وعده مع هرقل فلم يعطه الجياد التي وعده بها فانتقم هرقل ودمر البلدة

لَيسَ في رِفدِكَ الطَّرَاودِ جَدْوَى وَلَئِنْ صُلْتَ فَالرَّدى بِيَميني » [1]
قَالَ سَرْفِيدُونٌ وَمَيَّزَهُ الغَيْظُ : « نَعَمْ بِالحَدِيثِ قَدْ أُنْبِأْوني
فَهِرَقْلٌ قَدْ دَكَّ إِلْيُونَ لا بَلْ دَكَّهَا حُمْقُ لَوْمِدُونَ الرَّعُونِ
لِهِرَقْلٍ مَا بَرَّ بِالوَعْدِ لَكِنْ مَنَعَ الخَيْلَ عَنْهُ مَنْعَ الضَّنِينِ
وَرَمَاهُ وَكَانَ قَبْلُ دَعَاهُ مِنْ بَعِيدٍ بِسَهْمِ شَتْمٍ مُهِينِ
إِنَّمَا أَنْتَ وَالسِّنَانُ بِكَفِّي سَوْفَ تُصْمَى بِرَأْسِ نَصْلِي السَّنِينِ
وَلِرَبِّ الجَحِيمِ نَفْسُكَ تُزْجِي وَلِيَ الفَخْرُ بِالمَنَارِ المَصُونِ » [2]

وَكُلٌّ رَمَى بِالزُّجِّ يُحْكِمُ رَشْقَهُ فَبِالعُنْقِ مِزْرَاقٌ وَبِالفَخْذِ آخَرُ
فَمَزَّقَ أَفْطُوْلِيمُ بِالنَّصْلِ عُنْقَهُ فَعَضَّ الثَّرَى تَنْغَضُّ مِنْهُ النَّوَاظِرُ
وَمَزَّقَ سَرْفِيدُونُ لِلْعَظْمِ حَقَّهُ وَلَوْلَا أَبُوهُ بَادَرَتْهُ البَوَادِرُ [3]
فَأَصْحَابُهُ اجْتَرُّوهُ مِنْ سَاحَةِ الوَغَى لِسَاعَتِهِمْ وَالنَّصْلُ فِي الجِسْمِ غَائِرُ

(١) بدأ اطلوفليم خطابه بالتهكم على سرفيدون اذ دعاه مشير لبقية اشارة الى انه كان قوالاً اكثر منه فعالاً لانه كما نقل بوب عن سبوندانوس كان زعيم قوم مضت عليهم ازمان وهم راتعون بأمن وسلام لايلجون الحروب ولاتفاجئهم الخطوب. وانتقل الخطيب من ثم الى المفاخرة بحسبه ونسبه واشار الى خراب اليون للمرة الاولى اذ دمرها هرقل انتقاماً من لوميدون ملكها

(٢) لم ينكر سرفيدون مقال ندّه وانما انكر عليه ان ماجرى جرى بباس هرقل فالقى التبعة غضاً من شأن هرقل على لوميدون نفسه كانه أُصيب بما اصيب عقاباً من الآلهة

(٣) أبوه زفس كما تقدم. والمراد انه لولم تحط به العناية فيبادر صحبه اليه لهلك

وقد شغلوا عن نزعه لذهولهم　فأركب بالآلام والعزم خائر
كذاك ارتمى الإغريق فوق قتيلهم　يرومونه فيهم وأوذس ناظر
فهبّ به الغيظ العنيف فهاجه　وردّد فكراً ردّدته الخواطر
أيطلب سرفيدون أم جند قومه　لتفتك فيهم من يديه البواتر
فعن سرفدون أشغلته يد القضا　فمال إلى حيث التقته العشائر
وساقته فالاس لمجتمع العدى　وما راعه منهم نصال شواجر
فجندل كيرانس ألستر هليسا　وإخرميوساً وهو كالليث كاسر
وألكندرا إفريتنيس نويمنا　صناديد ليقيون صيد جبابر
وكاد يزيد الفتك لو لم يثب إلى　طلائعهم هكطور والنقع فائر
رأى فجرى يلقى الصدور مدججا　فضاقت بهم عن ملتقاه المعابر
وعن سرفدون غصة الكرب انجلت　فنادى برفق والدموع بوادر :(١)
«أغثني ابن فريام ولا توقع العدى　عليّ فاني بالمنية شاعر
ولن يتلقاني على الرحب موطني　وزوجي وطفلي والكرام الأكابر

(١) لقد صدق من قال ان الشاعر لايكون شاعراً الا اذا كان عالماً وان لم يكن ذا علم وافر فلا اقل من ان يلم ولو الماماً قليلاً بعلوم زمانه • ويلوح لك من شعر هوميروس انه كان طبيباً وجراحاً وفلكياً وصانعاً ومؤرخاً وجغرافياً وبالجملة فانه وعى في صدره كل علوم عصره • ولك هنا مثال بانه لم ينطق بلسان سرفيدون عند ما اصابته الطعنة بل لام قومه اذ لم يبادروا الى اخراج النصل من حقه ثم صمت برهة وجعله يشعر بشدة الألم ويستغيث وكل هذا ينطبق الانطباق التام على حالة الجريح الذي يشتد به الالم بعد فترة

فَدَعْنِي بإِلْيُونَ أَمُتْ ذا كَرامَةٍ وثمَّةَ لي في لُجَّةِ القَبْرِ ساتِرُ »
فأَعرَضَ هكطورُ وفي القَلْبِ غُصَّةٌ تحثُّ خُطاهُ وهو للفتكِ طائِرُ[1]
تَسيرُ دُعاةُ المَوْتِ طوعَ حُسامِهِ ومن كَفِّهِ جَمْرُ الرَّدى مُتَناثِرُ
وأَصحابُ سَرْفيدونَ في الحالِ أَسْرَعوا لِزانَةِ زَفْسٍ فيهِ والزَّانُ ناضِرُ
فَبادَرَ فِيلاغونُ إِلْفُ ودادِهِ وأَخرَجَ نَصْلاً أَغفَلَتْهُ البَصائِرُ
فَغَشَّتْ على أَبصارِهِ ظُلَمُ الرَّدى وخُيِّلَ أَنْ قَدْ فارَقَتْهُ المَشاعِرُ
فَهَبَّتْ لِبَرْياسٍ مِنَ الرِّيحِ نَسْمَةٌ فأُنْعِشَ وارْفَضَّتْ تَزولُ المَخاطِرُ[2]
ودارَتْ على الإِغريقِ في دارَةِ الوَغى بآرسَ وهكطورَ الدَّواهي الدَّوائِرُ
ولكنَّهُمْ بالصَّبْرِ طُرًّا تَدَرَّعوا وكُلٌّ على دَفعِ العَدُوِّ مُثابِرُ
فَلَمْ يَكُ فيهِمْ ناكِصٌ نَحْوَ فُلْكِهِ ولا لِلِقا الأَعْداءِ بالصَّدِّ جاسِرُ
وتَحْتَ الدِّفاعِ الثَّبْتِ مَهْلاً تَقَهْقَروا يَرُوعُهُمُ أَنَّ المُهَدِّمَ حاضِرُ[3]
فَأَثْخَنَ آرِيسٌ وهكطورُ فيهِمِ فَمَنْ أَوَّلُ القَتْلى ومَنْ هُوَ آخِرُ؟[4]

(١) ان في سبب اعراض هكطور عن جواب سرفيدون خلافاً في نظر الشراح ولعل الاقرب الى الصواب ان الساعة ساعة كفاح لم يكن له ان يضيع منها لحظة في الكلام ولم يكن بوسعه ان يزيد على ما فعله اصحاب سرفيدون باسراعهم به الى الزانة

(٢) وهذا أيضاً من دقائق مطالعات الشاعر اذ ان الجريح يشعر باشد الالم عند انتزاع السهم من جرحه فاذا لم يكن الجرح قتالاً فنسمات الريح تنعشه وتخفف آلامه

(٣) المهدم إلاه الحرب

(٤) يكثر الشراح من التساؤل كلما انتزع هوميروس مخاطباً من نفسه فن

فَأَوَّلُهُمْ تُتْرَاسُ نِدُّ ذَوي البَقا ... فأُورِستُ رَوَّاضُ الجيادِ المُكابِرُ
فإِتْرِيْخُ أُونُومُ هلينُ أُرِسبُسٌ ... وَكُلُّهُمُ ذاقَ الرَّدى وَهوَ صاغِرُ
فأُورِسبُساً لَمْ يُجْدِ وافِرُ مالهِ ... وَملْكٌ على أكنافِ كِيفِسَ وافِرُ
فَفي هِيلَةٍ قدْ كانَ حيثُ ثوى الغِنا ... وَبحْرُ البِيُوتيِّينَ بالمالِ زاخِرُ
فَدارَتْ عليهِ عِندَهمْ أكْؤُسُ الصفا ... (ودارتْ عليهِ بالنّزالِ الدَّوائِرُ)

رَأَتْ هِيرَةُ الفَتْكَ بالقَوم دارا ... وَجَيْشُ الأغارقِ سِيمَ البَوارا [1]
وَصاحتْ بِفالاسَ: «يا لَلْمُصابِ ... أيا بِنْتَ زَفْسٍ وَشَرَّ المآبِ
فَإِنَّا مَنِيلا جُزافاً غَرَرْنا ... بِوَعْدٍ وَلٰكِنَّنا ما بَرَرْنا
جَزَمْنا بأَنْ لا يَعُودَنَّ ما لَمْ ... يَنَلْ مُبْتَغاهُ وَإِليُونُ تُهْدَمْ
نَعَمْ سَوفَ يَحْبَطُ وَعْدٌ وَعَهْدُ ... اذا ظَلَّ رَبُّ الوَغى يَسْتَبِدُّ
فَهَيِّي الحَفِي بي لهُ تَتَصَدَّى ... فَمِنَّا يُلاقي اقتِداراً أَشَدّا
وَفالاسُ أَحْرَصُ مِنْ أَنْ تُحَرَّصْ ... فَهَبَّتْ وَلَبَّتْ وَلَمْ تَتَرَبَّصْ
وهِيرَةُ قامَتْ على العَجَلَهْ ... تَقُودُ الجِيادَ إِلى العَجَلَهْ

قائل ان السؤال موجه الي الاهة الشعر ومن قائل غير هذا القول ولا أخاله الا نوعاً من التجريد البياني كان يستحسنه اليونان كما يستحسنه العرب حتى جعلوه من أنواع البديع . راجع (ن ٤ : ٣٦٣)

(١) لما طال على القارىء مشهد القتال ثنى الشاعر نظره الي ما كان بين الآلهة من الفزعة للفريقين فشرع في تهيئة هيرا زوجة زفس وفالاس اي أثينا ابنته على ما يأتي — سنين في اول النشيد السادس مطالعتنا بشأن هذا النسق من النظم

وَقَدْ أَوْثَقَتْ نَاصِعَ العُدَدِ ... عَلَى لَبَبٍ ساطِعِ العَسْجَدِ[1]
وَقَوَّمَتِ الجِذْعَ هيْنًا إِلَيْهَا ... تَضُمُّ الدَّوَالِيبَ مِنْ طَرَفَيْهَا
فَذَاكَ حَدِيدٌ مَتِينٌ صَقِيلُ ... وَهذِي نُحَاسٌ نَقِيٌّ جَمِيلُ
تَدُورُ عَلَى عَارِضَاتٍ ثَمَانْ ... تُطَوِّقُهَا حَلَقَاتٌ ثَمَانْ
وَمِنْ فَوْقِ أَطْوَاقِهَا الذَّهَبِيَّهْ ... عِصَابَاتُ صُفْرٍ بَدِيعِ المَزِيَّهْ
لَقَدْ أُحْكِمَتْ دَائِرَاتٍ عَلَيْهَا ... تَقَرُّ العُيُونُ ٱرْتِيَاحًا إِلَيْهَا
وَمِحْوَرُهَا مِنْ لُجَيْنٍ بَدِيعْ ... وَمِنْ فَوْقِ ذَلِكَ عَرْشٌ رَفِيعْ
يَقُومُ عَلَى حَلَقٍ مِنْ نُضَارْ ... وَصَافِي لُجَيْنٍ صُفُوفًا يُدَارْ
وَفِي الصَّدْرِ قَوْسَانِ حَيْثُ خَرَجْ ... عَمُودٌ بِمِضْمَدِهِ قَدْ وَلَجْ[2]
فَذَا مِنْ حُلَى الذَّهَبِ اللَّامِعَهْ ... وَذَاكَ مِنَ الفِضَّةِ النَّاصِعَهْ
وَشَدَّتْ عِصَابَاتِ صَافِي الذَّهَبْ ... وَهَيْرَةُ تَصْلَى أُوَارَ الغَضَبْ
وَفَالَاسُ أَحْشَاؤُهَا تَتَأَجَّجْ ... فَقَامَتْ عَلَى فَوْرِهَا تَتَدَجَّجْ
أَمَاطَتْ نِقَابًا لَطِيفًا عَلَيْهَا ... بَدِيعَ المَحَاسِنِ صُنْعَ يَدَيْهَا
وَأَلْقَتْهُ بِالعُنْفِ فِي صَرْحِ زَفْسِ ... بِأَعْتَابِهِ عَنْ حَزَازَةِ نَفْسِ
وَقَامَتْ وَمُهْجَتُهَا اضْطَرَمَتْ ... لِدِرْعِ أَبِيهَا بِهَا ٱسْتَلْأَمَتْ

---

(١) اللبب ما يشد من السيور في صدر اللبّة من صدر الدابة والمراد به هنا السيور على الاطلاق — يخال لك لدى كل وصف من أوصاف هوميروس انه انما يصف علماً وقف نفسه له او صناعة دأب عليها حياته بطولها ولنا هنا في وصف العجلة ما يكاد يدلنا على انه صانع عجال مع كونه شاعراً ما تقدمه وما تأخر عنه من القرون الطوال

(٢) المضمد النير تقرن اليه الجياد

وَأَلقتْ على مَنكِبَيها يَميدْ مِجَنًّا يُبيدُ قُلوبَ الحَديدْ
وَأَهدابُهُ الدُّهمُ فيهِ تَحُومْ وَفيهِ مِنَ الرُّعبِ كُلُّ الرُّسُومْ
وفيهِ الشّقاقُ وفيهِ القُوَى وَفيهِ اللَّحاقُ مَهُولاً ثَوى
وفيهِ كَذا هامَةُ المارِدِ أَبي الهَولِ وَالأَرْوَعِ الواحِدِ (١)
وَأَلقتْ على الرَّأسِ أَعظَمَ مِغفَرْ لِزَفسَ نُضارًا تأَلَّقَ أَحمَرْ
لَهُ طُرَزٌ أَربَعٌ بانْقِيادِ يَقي مِئَةً مِنْ جُيُوشِ البِلادِ
وَلَمَّا اْستَتَمَّتْ عَلَتْ تَركَبُ بِراحَتِها عامِلٌ أَشْهَبُ
طَويلٌ ثَقيلٌ مَتينُ القَناةِ يُحَطِّمُ فَيلَقَ قَومِ العُتاةِ (٢)

(١) أي ان كل ماص مرسوم عليه رسماً ويفعل فعله جسماً

(٢) قال بوب : « ان تصور أثينا متدججة بسلاح زفس يشير اشارة بديعة كما قال افستاثيوس الى انه لاشيء ثمة الا حكمة القدر . قال وكان القدماء يشيرون الى هذا الموضع بعلامة كنجمة تمييزاً لما فيها من سمو المرمى . ولا ريب ان في كل هذا السياق بلاغة وعظمة تحار لهما الافكار وتقصر عنهما مدارك كل ذي تصور الا هوميروس . ولا شيء في اقواله اصرح شهادةً من هذا الموضع بالقول الشائع منذ القدم انه « لا رجل سواه أبصر هيئة الآلهة ولا احد سواه اظهرهم للناس » . فلا وصف أجمل وأبدع مما وصف به مركبة هيرا وسلاح أثينا وترس زفس بما فيه من رسوم الشقاق والهول والرعدة وكل نكبات الحرب التي اتمها تستتاب الناس على أثر غضبه عليهم . وما أعظم ذلك الرمح الذي به يحطم زفس بقوته وحكمته الفيالق المتأهبة والكتائب المتكتبة وينقض من كبرياء الملوك الذين يسيئون اليه . على اننا لانعجب من تناهي عظمة هذه التصورات لدى تأملنا بما بينها من الشبه وبين ما ماثلها في الكتب المقدسة حيث يمثّل الاله القدير شاكاً في سلاح النقمة وهو منحدر بعظمته لينتقم من أعدائه . وفي مزامير داود ذكرٌ كثير للمركبة والقوس وترس الله »

وهيرةُ ساطَتْ جيادَ الأَثيرْ　　فراحَتْ بِلُبِّ الرَّقيعِ تَطيرْ
لِأَبْوابِ أَقصى السَّما سَبَحَتْ　　فَمِنْ نَفسِها لَهُما انْفَتَحَتْ
وَأَعلَتْ صَريفاً يَهُزُّ الجِبالْ　　وَثَمَّةَ ساعاتُها بِاتِّصالْ (١)
وُقوفٌ بها أَبَداً حُضَّرُ　　على كُلِّ ذاكَ الفَضا تَخْفُرُ
فَتَرْكُمُ غَيماً فَيَعلو القَتامْ　　وَتَقْشَعُهُ فَيَبيدُ الظَّلامْ
فَشُقَّ السَّحابُ وبَلَّغَتا　　مَقاماً بِهِ زَفْسُ قَدْ ثَبَتا
بِأَعلى الأُلمبِ على ذِرْوَتِهْ　　يُجَلِّلُهُ المَجْدُ في عُزْلَتِهْ
هُنا وَقَفَتْ هيرَةٌ بِالجِيادْ　　وَراحَتْ إِلى زَفْسَ تُنْمي المُرادْ:
«إِلى مَ تَرى يا وَلِيَّ الخُلودْ　　مَظالِمَ آرسْ تَجوزُ الحُدودْ
أَلَسْتَ تَرى كَمْ دَماً قد سَفَكْ　　وَكَمْ بِالأَغارِقِ ظُلْماً فَتَكْ
وهذا دَمي كادَ حُزْناً يَفُوز　　وَقبْرِسُ وَفِيبُسُ بِمِلْءِ السُّرُورْ (٢)
لَقَدْ بَلْواهُ أَليفَ النِّفاقْ　　يَسُوقانِهِ وَهْوَ طَبْعاً يُساقْ
أَلا فَأْذَنَنَّ بِأَنْ أَتَأَهَّبْ　　وَأَدْفَعَهُ بِالدِّماءِ مُخَضَّبْ »

---

(١) الاشارة الى مداخل النعيم والجحيم بالابواب كلامٌ قديم في كل الاديان فللسماء ابواب في التوراة والانجيل والقرآن . ويرمز بالباب ايضاً الى الواسطة والوسيلة كما جاءَ في الحديث « انا مدينة العلم وعليٌّ بابها » وعلى ذلك بنى البابيون مذهبهم توسعاً بهذا المعنى . اما الساعات الواقفة بباب السماء فالمراد بها الفصول تتناوب واحداً بعد واحد

(٢) قبريس الزهرة وفيبوس افلون نراهما مواليين لالاه الحرب لان الهوى والقدر حليفان له واما الحكمة أي أثينا فلا

فقالَ :« عليكِ بفالاسَ تكبحْ مَظالمَهُ فهْيَ أوْلى وَأَصلحْ
فتلكَ التي عَـوَّدَتْهُ النَّكالْ ومرُّ العذابِ بيوم النّزالْ »(١)
فسُرَّتْ وَسارَتْ بأَحْداسها تَشُـقُّ الرَّقيـعَ بأَفْراسها
سِراعاً تَطيرُ كَبَرْقٍ أَضا لأَدْنى الثرى منْ أَعالي الفضا
فَما نَظَـرَ النَّـاظِـرُ المُعْتَـلِي على صَخْرَةٍ فوقَ بحْرٍ جَلي
مِنَ الجَوِّ حتَّى الحَصَى الرَّاكِدَهْ تخطَّاهُ في عَـدْوَةٍ واحِـدَهْ(٢)
فَما لَبِثَتْ أَنْ رَسَتْ بالمَقرّْ إلى حيثُ سِيقَتْ كَلَمْحِ البَصرْ
وَحلَّتْ لَدى الحِصْنِ بِالرَّبْتَيْن على ثَغْرِ مُجْتَمَعِ الجَدْوَلَيْن
هُنَا هيرَةُ اسْتَوْقَفَتْها وَحلَّتْ وَتَحْتَ ضَبابٍ كَثيفٍ أَحلَّتْ

---

(١) لاشك ان فالاس اي الحكمة اصلح من هيرا للوقوف في وجه رب الحرب لان وقوف هيرا في وجهه لايأتي بمعنى . وهكذا نرى ان هوميروس نطق بكل ما نطق عن قياس ومنطق فسنراه بعد ابيات وقف بهيرا تصيح دون أثينا لانها تمثل الهواء والصوت اشد وقعاً بفم هيرا منه بفم اثينا

(٢) لايعجبن القارىء لهذه المبالغة بسرعة طيران الجياد السماوية بمن عليها فانما هي من نتاج السماء تطير بآل السماء . وكم من مثل لنا يشبه تلك السرعة بخطوات الملائكة بل وغير الملائكة من الجن في روايات العرب وغيرهم حتى لقد نُسبت لابينا آدم في بعض الكتب خطوات تقارب هذه الخطى او تزيد كخطوته من جنة عدن الى جزيرة سرنديب (سيلان) . واما عفريت سليمان فمن معجزاته فوق ما طرق مخيلة هوميروس

واما سرعة الخيل فقد تفنن شعراؤنا في وصفها تفنناً لاتذكر بجانبه اقوال شعراء اليونان ومن تلاهم أحصيتُ منها مرة نحو خمسين وصفاً وبقي امامي شيء كثير . وأني موردٌ هنا امثلة قليلة من انواع مختلفة

وسِمْوِيسُ أَخْرَجَ مِنْ تُرْبَتِهْ لَهَا خَالِدَ النَّبْتِ فِي ضَفَّتِهْ (١)

قال سلمة بن خرشب الانماري :

هويّ عقاب عِردة أشأزتها بذي الضمرات عكرشة دروم

شبه فرسه بالعقاب المنقضة على الارنب والظاهر ان ابن خرشب كان مولعاً بهذا التشبيه فقد سبق له نظيره (ن ١ : ٢٨٥)

وقال اعرابي : جاءَ كلمع البرق جاش ماطرهْ تسبح أُولاهُ ويطفو آخرهْ

فما يمس الارض منهُ حافرهْ

وقال مزرّد اخو الشماخ :

متى يُرَ مركوباً يُقل باز قانص وفي مشيه عنـد القياد تساتلُ

تقول اذا ابصرته وهو صائم خباءٌ على نشزٍ او السِيدُ ماثلُ

شبه الفرس بطير الباز وبالسيد اى الذئب وهو صائم اى قائم وهذا كثير في كلام العرب ومنه قول الحصين بن الحمام المرّى :

واجرد كالسرحان يضربه الندى ومحبوكة كالسيد شقاء صلدما

وقال عنترة: ولي فرسٌ يحكي الرياح اذا جرى لابعد شأوٍ من بعيد مرامِ

يجيب اشارات الضمير حساسةً ويغنيك عن سوط له ولجامِ

كل ما تقدم من كلام شعراء الجاهلية • وليس المولدون دونهم الماماً بهذه الاوصاف وما ارق ما قال علي بن الجهم :

فوق طِرْفٍ كالطرف في سرعة الشد وكالقلب قلبـهُ في الذكاء

ما تراه العيون الا خيـالاً وهو مثـل الخيال في الانطواء

(والطِرف المهر) ومثل ذلك قول المتنبي :

يذرى اللقان غباراً في مناخرها وفي حناجرها من آلسٍ جُرَعُ

يريد ان تلك الخيل تشرب من نهر آلس وتبلغ اللقان قبل ان تستتم بلع الماء وبين المحلين مسافة بعيدة • وللمتنبي بيت آخر وعى معنى هوميروس بعينه وهو :

يقبلهم وجهَ كل سابحة اربعها قبل طرفها تصلُ

اى انها تضع قوائمها وراء منتهى بصرها وهذا هو المراد بقول صاحب الالياذة

(١) سمويس نهر تجاه اليون كان إلاهاً من آلهة الطرواد

وسارت على الأثر الربتان ... ترفان رف حمام الجنان [1]
ترومان في خنة السير عن ... جيوش الأغارق درء المحن
فبادرتا نحو أوفى السواد ... إلى حيث أبسلهم باشتداد
وحول ذيوميذ كل يذود ... ببأس ولا بأس جيش الأسود
وعزم ولا عزم خرنوص بز ... يصول ويسطو ويبدي العبز
فهيرا عليهم هنا أقبلت ... وهيئة إستنتر مثلت
بصوت جهير كقرع الحديد ... له صوت خمسين صوتا شديد [2]
وصاحت: «فوا عار جيش جبان ... وجيه الوجوه ضعيف الجنان
نعم حين كان أخيل يقف ... بكم كان جيش العدى يرتجف
ولم يك من منهم يجسر ... إلى باب دردنس يعبر
وهاهم وراء الحصون انبروا ... لكم وإلى فلككم قد جروا»
ففيهم نيار الحمية ثارت ... وفالاس نحو ذيوميذ سارت

(١) يقال في حمام الجنان وطيور الجنان ما تقدم لنا في القول عن سرعة الطيران انها قديمة في معتقدات الاوائل وقال بها المصريون قبل اليونان وزعموا انها لم تكن تبقى من اثر اذا وقعت على الارض وكثيراً ما تمثل الملائكة بصور الحمام ويرمز بها الى الدعة والخفة والوفاء كما جاء في قصة الطوفان وغيرها

(٢) قلنا ان هيرا اى الهواء اصلح لاستنفار الجيش وانما ماثلت استنتور لانه كان نفير القوم. وكان لذوي الصوت الشديد في ذلك الزمان منزلة هامة في الجيش يقومون مقام الرسل والسفراء ويؤدون ما تؤديه الطبول والآلات في هذه الايام وكانت الملوك والقواد تستخدمهم في الحروب وتفاخر بشدة صديدهم وهديدهم

فوافَتْـهُ مُعْـتَزلاً بِالْجِيَاذْ يُرَطِّبُ جُرْحاً قُوَاهُ أَبَاذْ
على صَدْرِهِ عَرَقٌ يَرْشَحُ بِهِ كُلُّهُ جالساً يَسْبَحُ
يُزِيحُ عَلى عَيِّهِ بِيَدَيْهِ حَمائِلَ تُرْسٍ ثَقِيلٍ عَلَيْهِ
وَيَمْسَحُ جُرْحاً بِهِ فَنْدَرُوسْ رَماهُ بِأَثناءِ قَرْعِ البُؤُوسْ
فَمَدَّتْ إلى نِيرِ مَرْكَبَتِهْ يَداً ثُمَّ مالتْ لِتَخْطِئَتِهْ :
«أَذا بِأْبْنِ تِيذِيسٍ عِلْما فَشَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَهُما
نَعَمْ ذاكَ كانَ قَصيراً صَغِيرا وَلكِنَّهُ كانَ صُلْباً جَسُورا
تَهِيجُ بِهِ نَفْسُهُ لِلْقِتالْ وَلَوْ عَنْهُ يوماً حَظَرْتُ النِّزالْ
فَلَمْ يَكُ بَيْنَ بَني أَرْغُسِ سِواهُ يَؤُمُّ بَني قَدْمُسِ
إلى ثِيبَةٍ وَحْدَهُ أُرْسِلا سَفِيرًا فَراحَ وَما هَوَّلا
فَقُلْتُ أُتَّقِي بَأْسَ تِلْكَ القُرُونْ وَكُنْ بِالْمآدِبِ إِلْفَ سُكُونْ
فَلَمْ يَمْلِكِ النَّفْسَ عَمَّا تَعَوَّدْ وَراحَ بِرازَهُمُ يَتَعَمَّدْ
وَفازَ عَلَيْهِمْ بِنَصْرٍ مُبِينٍ وَكُنْتُ لَهُ خَيْرَ عَوْنٍ مَكِينٍ
فَذاكَ أَبُوكَ وَأَنْتَ بِعَكْسِهْ كَأَنَّكَ أُنْتِجْتَ مِنْ غَيْرِ جِنْسِهْ
فَإِمَّا العَيَاءُ أَبادَ قُواكا وَإِمَّا جَزِعْتَ لِبَأْسٍ عَداكا
أَقِيكَ الرَّدَى وَأَلِيكَ وَأُنْهِضْ قُواكَ وَأَنْتَ عَنِ الْحَرْبِ مُعْرِضْ»
فَقالَ : «نَعَمْ كُلَّ ذا أَعْلَمُ وَعَنْكِ الْحَقِيقَةَ لا أَكْتُمُ
فَلا عِيَّ لا جُبْنَ قَلْبِي يُخَامِرْ وَلكِنَّنِي قَدْ أَطَعْتُ الْأَوَامِرْ

أماقلتِ إن تلقَ قبريسَ فاضربْ وعن غيرِها من بني الخلدِ أضربْ
وهاكِ إلاهَ الوغى أبدا يقاتلُ بالنفسِ صدرَ العدى
لذاكَ أمرتُ الجنودَ تقهقرْ ويبقى هنا للدفاعِ المعسكرْ (١)
فقالتْ : « إذًا يا أعزَّ البشرْ إليَّ فدونكَ فصلَ الخبرْ
فلا تخشَهُ الآنَ حيثُ استقرَّا ولا غيرَ ربٍّ وكلْ لي أمرا
تقدَّمْ إليهِ لقربِ المجالِ بخيلكَ واطعنْهُ غيرَ مبالِ
ولا ترعْ ربًّا عتا لا يبرُّ وليسَ على حالةٍ يستقرُّ (٢)
فمنْ قبلُ واثقنا بالعهودْ بصدرِ سراياكمُ أنْ يذودْ
وها هوَ بينَ الطراودِ قاما يصولُ ولم يرعَ ذاكَ الذماما »
ومنْ بعدِ ذا دفعتْ إستنيلْ فهبَّ إلى الأرضِ حالًا يميلْ (٣)
وقامتْ بمجلسهِ مغضبهْ حذاءَ ذيوميذَ بالمركبهْ
فأثقلَ يرتجُّ جذعٌ يميدْ بربَّةِ بأسٍ وقرنٍ شديدْ
مضتْ بالأزمَّةِ والسوطِ تجري تروم لربِّ الوغى شرَّ قهرِ

---

(١) تقهقر اى تتقهقر وهو كثير في شعر العرب كقول المعري:

تحاشى الرزايا كل خفٍ ومنسمٍ وتلقى رداهن الذرى والكواهلُ
وترجع أعقاب الرماح سليمةً وقد حطمت في الدارعين العواملُ

(٢) ذلك أصدق وصف للحرب فهي لا تستقر على حال ولا تراعي جانب العدل ولا تقف على حد ولا تلوي على جهد

(٣) استنيل هو حوذي ذيوميذ أو رديفه دفعته الى الارض لتحل محله وتلي ذيوميذ بالكفاح فلا يقهره بعد ذلك قاهر

وَكَانَ ابنَ أُوخسيوُسَ البطَلْ   بريفَسْ أشدَّ الأُتول قتل
وبادَرَ والدمُ يخضبُهُ   يَصولُ وفالاسُ ترقُبُهُ
فخوذةَ آذيسَ ألقتْ عليها   لتخفى عليهِ ويبدُو لديها (١)
وغيرُ ذيومِيذَ ما نظرا   فأبقى القتيلَ طريحَ الثرى
وَكَرَّ كذاكَ ذيومِيذُ كرْ   وكُلٌّ سلاحَ البرازِ شهرْ
فأرسلَ ربُّ النزالِ السنانْ   يمرُّ على النيرِ فوقَ العنانْ
ولكنَّ فالاسَ مدَّتْ يدا   وعنهُ أطاشتْهُ فأبتعدا (٢)
وذُوميذُ بالرُمحِ حالاً طعنْ   فألقتْهُ في خصرِ ربِّ المحنْ
فتحتَ الحِزامِ الأديمُ تخضبْ   وهمَّ ابنُ تيذيُسَ الرُمحَ يسحبْ
فصاحَ أريسُ بصوتٍ دوى   يزعزعُ أركانَ ذاكَ الفضا
كعشرةِ آلافِ قرنٍ يصيحْ   معاً فوقَ ذاكَ المجالِ الفسيحْ (٣)

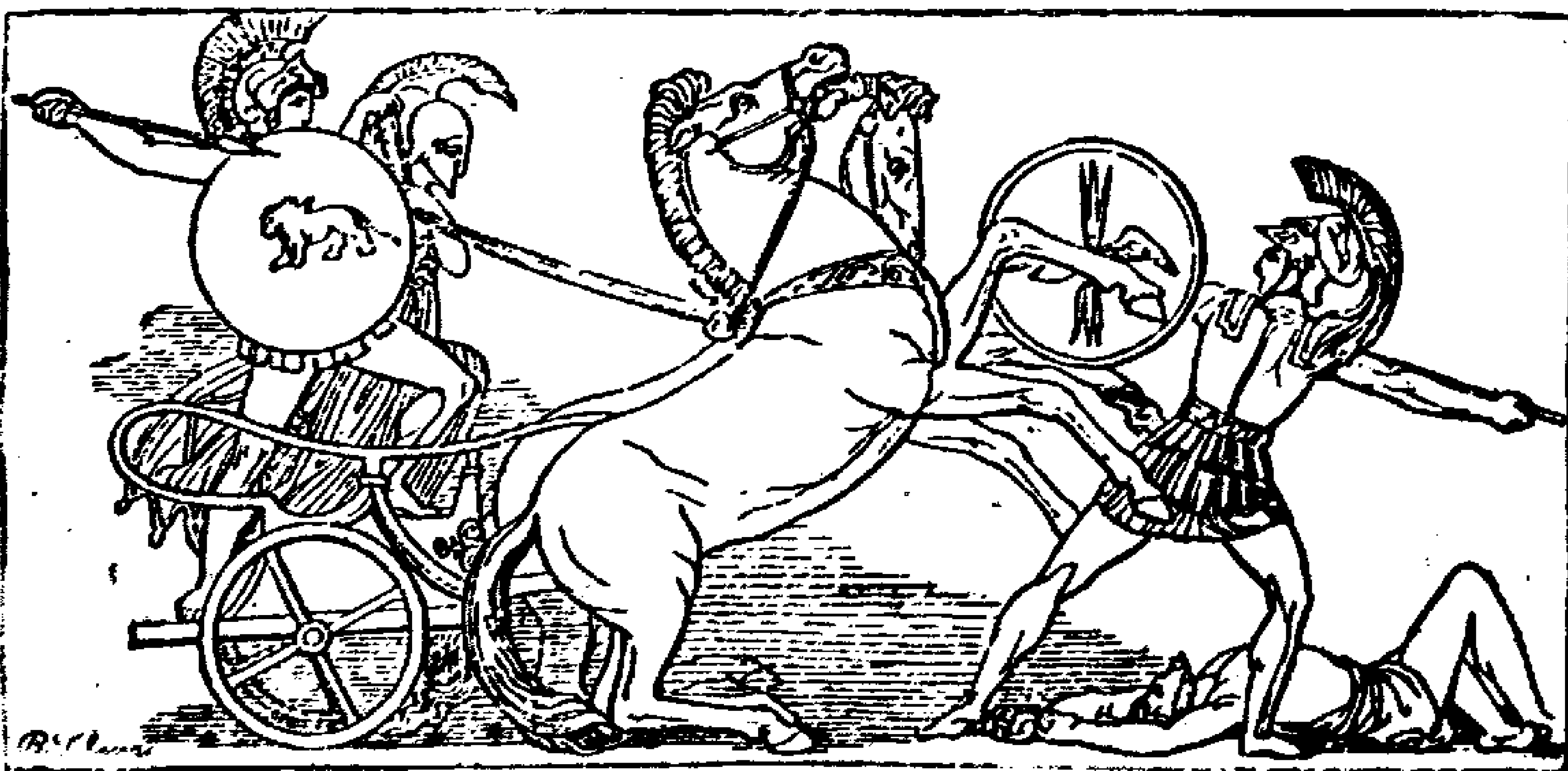
---

(١) آذيس اله الجحيم وخوذته هي التي نعبر عنها في كتبنا بقبع المارد يخفي لابسه على كل الناس فيرى ولا يُرى • وقد ذهب اليونان هذا المذهب لانهم كانوا يعتقدون ان كل ميت يحل دار الظلمات حيناً من الزمن فينحدر الى مملكة آذيس ويتوارى عن الابصار ومن ثم تأصل فيهم الاعتقاد واخذوا يرمزون بخوذة آذيس الى الاختفاء والاحتجاب

(٢) يأوّل مدّ يد فالاس لاطاشة السنان بتذرع ذيوميذ بالحكمة والحنكة لاطاشته عنه

(٣) يأول كل ذلك باشتداد الكفاح وارتفاع الصديد الشديد • وقد يمثلون ذيوميذ يطعن آريس على نحو هذه الصورة

فَخارَ الفَرِيقَانِ واضْطَرَبا وَآريسُ بالسُّحُبِ احْتَجَبا
رآهُ ذِيُومِيذُ وَهوَ يَطِيرْ بِقَلْبِ الغَمائِمِ بادي الزَّفِيرْ
بُخَارًا تَقَتَّمَ تحتَ الغُيُوم تَهُبُّ بِهِ عاصِفاتُ السَّمُوم
فَأَدْرَكَ أُولِمْبسًا بالعَجَلْ وجاءَ إلى زَفْسَ جَمَّ الوَجَلْ
وَقَرَّ لَدَيْهِ يُرِيهِ دِماهُ يَبُثُّ لهُ حَنقًا مُشتَكاهُ :
« أَتَرْضَى وَلِيَّ البَرايا بما تَرى مِنْ فَظائِعِ آلِ السَّما
عَلَى بعضِنا بَعْضُنا يَفتَري جِزافًا لِأَجلِ بَني البَشَر
وَلومُ الجميعِ عَلَيْكَ اسْتَقَرْ لِأَنَّكَ أَنْجَبْتَ رَبَّةَ شَرْ
أَلِيفَةَ حُمْقٍ حَلِيفَةَ نُكْر وَلَيْسَتْ لِغَيرِ المَفاسِدِ تَجْرِي
فَكُلُّ أَهالي السَّما لَكَ تَخْضَعْ وأَنتَ لَها كُلَّما شِئْتَ تَرْدَعْ
سِوى فالَسٍ عن مُجَازاتِها تَجاوَزْتَ تُغْفِلُ زَلَّاتِها
فَلَسْتَ لَها أَبَدًا تَنْتَهِرْ وَمِنْ نَفْسِها هِيَ لا تَعْتَبِرْ



ذيوميذ يطعن آريس إلاه الحرب

وَتطمعُ مغـتَرَّةً بِأَبيهـا لِأَنَّ قُواهُ الشِّدادَ تَقيها
فَهاهيَ تُغري ابْنَ تيذِيسَ أَنْ يَصولَ علينا ويَرمي ويَطعنْ
فَأَقبلَ يطعنُ قبرِيسَ بِاليَدْ وصالَ عليَّ كَرَبٍّ مُخَلَّدْ
وَلو لَمْ أطِرْ بِخَفيفِ القَدَمْ لأُلقِيتُ بينَ رُفاتِ الرِّمَمْ (١)
وإلاَّ وعَنِّي الحِمامُ مُنِعْ لَعانَيتُ آلامَ مَنْ قَدْ صُرِعْ» (٢)
فَأَطرَقَ زَفْسُ مَغِيظاً وقالْ: « عَتَوتَ وَلا تَستَقِرُّ بِحالْ
فَلا تَشْكُ أَمرَكَ بَعْدُ إلَيَّا فَإِنَّكَ أَبغَضُ رَبٍّ لَدَيَّا
فَدَأْبُكَ ما زالَ بينَ الأَنامْ شِقاقاً ومَفسَدَةً واخْتِصامْ
فَأُمُّكَ هِيْرا وعِرْقُ العِنادْ سَرَى لَكَ مِنها وهذا الفَسادْ
يُثَقِّلُني رَدْعُها وإِخالُكْ تَقَفَّيتَها وَبِذاكَ وَبالُكْ
وَلكنَّني لَستُ أَرضَى عَذابَكْ لِأَنَّ إِلى زَوجِي وصُلْبِيَ انْتِسابَكْ
فَلَوْ كُنتَ ما أَنتَ مِنْ غَيرِ رَبْ لَأُهْبِطْتَ مِنْ قَبلُ أَدْنَى الرُّتَبْ
وَسُفِّلْتَ بِالذُّلِّ والهُونِ عَنْ بَني أُورَنُسَ مِنْ قَديمِ الزَّمَنْ» (٣)

---

(١) لا يؤخذ من قوله هذا انه يمكن أن يدركه الموت لان الخلود من لوازم الالوهية ولا يمتنع عليهم مع ذلك أن يعانوا العذاب حيناً من الزمن

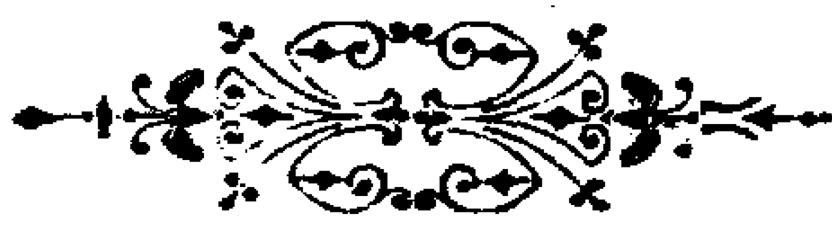
(٢) لا عجب ان يبث إلاه الحرب هذه الشكوى من ربة الحكمة ويعزو اليها ما تخلّق به من قبيح الخلال فهي التي تتولّى قهره وتكيد نحره ومن اتصف بسيئة فانما يصف بها أبعد الناس عنها

(٣) في أساطيرهم ان جميع الارباب من ذرية أورانوس ممثل السماء •

وَفيُونَ نادى فبلسمَهُ　على الجُرْحِ ذَرَّ فأَلأَمَهُ
فَفي الحالِ وَالمَوْتُ لا يعتَري　بني الخُلْدِ في لحظِ طَرْفٍ بَري
كما يُخثِرُ اللبَنَ المُختَلِجْ　عَصيرٌ مِنَ التِّينِ فيهِ مُزِجْ
وَهيبا على عجَلٍ غسلَتْهُ　وَفاخرَ مَلبَسهِ أَلبسَتْهُ
وَبالعُجْبِ وَالتيهِ والكِبْرِ أَقبَلْ　إِزاءَ أَبيهِ لدى عَرْشهِ حَلْ
وَمُذْ أُخمِدَتْ نارُ فِتْنتِهِ　وَخَمَّتْ شرارَةُ وَطْأَتِهِ
أَثِينا وَهيرَةُ أَسْرَعَتا　وَنحوَ أَعالي السَّما عَلَتا (١)

قالوا ولدته الارض ثم تزوجها فولدت له ثمانية عشر ولداً ومنهم قرونس (زحل) أبو زفس (المشتري) ثم تألب قرونس وبعض اخوته عليه فخلعوه

(١) لما أجلت الالاهتان رب الوغى عن ساحة القتال أي لما فترت عزائم الطرواد لم يبقَ ثمة داعٍ لبقائهما على نصرة الاغريق فرجعتا الى السماء



النشيد السادس

اجتماع غلوكوس بذيوميذ

ووداع هكطور لزوجته اندروماخ

مُجْمَلُهُ

خلت ساحة الحرب من كل ربّ وثار العجاج بطعن وضرب

وما كادت تخلو حتى استظهر الاغريق وولّى الطرواد منهزمين فاوقفهم هكطور وجرى مسرعاً الى اليون يسأل امه الملكة ان تستمد عون الالاهة اثينا وتسترضيها بالضحايا والنذور دفعاً لهجات الاغريق وبطلهم المغوار ذيوميذ . ولما احتجب هكطور برز لذيوميذ غلوكوس زعيم الليقيين وقبل ان يصطدما استطلع كل منهما طِلع الآخر فادّى بهما ذلك الى ان تعارفا واذّكرا ما كان بين ذويهما من التواد والتصافي بحقوق الضيافة فتصافحا وافترقا على غير قتال . اما هكطور فانه دخل اليون وسأل والدته ان تذهب بكبيرات العقائل فيتشفعن اثينا ففعلت . وصعد من ثم الى حجرة اخيه فاريس فلقيه مع هيلانة فمال عليه بالتقريع والتونيب واستحثه على معاودة الكفاح ثم سعى يطلب امراته اندروماخ فلم يجدها في منزلها وأُنبئ انها ذهبت ترقب حركات الجيش من فوق الابراج فجرى عادياً اليها فلقيها مع طفلهِ وجرى له معها حديث ذو شأن ثم ودعها وانصرف يجري الى ساحة القتال . وكان فاريس قد شك في سلاحه فلحق به وخرجا مندفعين الى السهل

مجرى حوادث هذا النشيد في اليوم السابق ومشهد وقائعه بين نهري سيمويس واسكمندر ثم في اليون

النشيد السادس

خلَتْ ساحةُ الحرْب مِنْ كلّ ربٍّ　　فعجّ العجاجُ بطعْنٍ وضرب (١)
فمِنْ سمُونِسٍ الى زنْثسٍ　　قِراعُ السيُّوفِ ومدُّ القِسي
فبادَرَ بالقوم أَوّلُ بادٍ　　أَياسُ يَشقُّ صفوفَ الأعادي (٢)

(١) ذكرنا في المقدمة اننا توخينا النظم على أساليب مختلفة لاسباب أوردناها . وقد حذونا في القسم الاول من هذا النشيد حذو الفرس بتصريع بعض بحور الشعر كالرجز . وأكثر ما يكون ذلك عندهم في المتقارب لطلاوته وملاءمته لمفردات لغتهم حتى ان الفردوسي الملقب بهوميروس الفرس نظم كل شهنامته وهي أطول كثيراً من الالياذة على هذا البحر الذي صدّرنا به نشيدنا . ولا يخفى ان الفرس بعد الاسلام أخذوا أوزان الشعر عن العرب ولكنهم تصرفوا فيها على ما تقتضيه مباني الفاظهم فاستباحوا من العلل والزحافات ما لا نستبيحه لعدم اضطرارنا اليه في الشعر المتين . على انه ليس هناك مانع يمنع من التفنن في النظم بما لا يخرج عن الاصول الموضوعة الا من وجه عدم الشيوع . فقد سبق لعرب الاندلس والشعر في ابّان دولته ان ذهبوا فيه كل مذهب ولم يكن في الخلف من عاب وانتقد بل كانوا كمنتزع الغلّ من عنقه وكنّا كمن يأبى الاان يغلّ وتثقله القيود

اما التصريع من غير الرجز على ما تقدم فهو وان كان قليلاً جدًّا في الشعر العربي الا ان له نظائر في منظومات الاندلسيين وبعض شعراء المتأخرين ممن خالط العجم كقول البهاء العاملي من الوافر:

ألا ياخائضاً بحر الاماني　　هداك الله ما هذا التواني
أضعت العمر عصياناً وجهلا　　فمهلاً أيها المغرور مهلا
مضى عصر الشباب وأنت غافل　　وفي ثوب العمى والغيّ رافل ... الخ

(٢) لا يكاد يعتزل الآلهة ميدان الوغى الا ونرى اليونان ظهروا على اعدائهم . يريد الشاعر أن يبين بذلك مصداق الحقائق التاريخية التي تنبئ ان الظفر كان حليف قومه في كل المواقع . وقد برز هنا آياس كجاري عادته كالطود

فَفَرَّجَ أَوَّلَ هَمٍّ وَبَاسٍ بِصَرْعِ أَبْنِ إِفْسُوْرُسٍ أَكَمَاسٍ (١)
أَشَدُّ الثَّرَاقَةِ بَأْساً شَدِيدْ وَجَبَّارُ هَوْلٍ وَقَرْمٌ عَنِيدْ
لَوَاهُ أَيَاسُ بِطَعْنَتِـهِ فَفَارَتْ بِقَلْبٍ تَرِيكَتِهِ
وَشَقَّتْ الى المُخِّ عَظْمَ الجَبِينِ فَجَنْدَلَ مَيْتاً غَضِيضَ الجُفُونْ
تَلاهُ أَبْنُ ثَثْرَا كَسِيلُ الأَغَرُّ نَزِيلُ أَرِسْبَا الغَنِيُّ الأَبَرُّ
فَتِي مَضْرَبِ السُّبْلِ كَانَ يَطُوفْ يُغِيثُ العِبَادَ وَيَقْرِي الضُّيُوفْ
وَفَوقَ الطَّرِيقِ بَنَى دَارَهُ لِيُكْرِمَ بِالقُرْبِ زُوَّارَهُ (٢)

الراسخ لايواليه الاّ في واقعة من الوقائع فكله عزم و بأس ليس بالحكيم الموالي لاثينا ولا العشّاق الموالي للزهرة ولا الظالم المتقلب الموالي لآريس فهو قائم برأسه وابن جده و بأسه

(١) اكاس هذا هو الذي يمثل هيئة آريس في النشيد السابق وكفى بذلك مدحاً له ولايأس أيضاً لانه انما جندل بطلاً من خيرة الابطال

(٢) انا نرى من كرم هذا الفارس ونوع ذلك الكرم ما لا يعجب له أحد من قراء الشعر العربي وان كان موضع عجب لقراء الشعر الافرنجي لبعد عهدهم باخلاق الجاهلية . واليونان أيام هوميروس شعب جاهلي لابدع أن يكثر فيه هذا النوع من الجود ويتفاخر ذووه بالقرى واكرام أبناء السبيل . وانا لانكاد نقرأ قصيدة من الشعر العربي الجاهلي وغير الجاهلي الا رأيناه مشحوناً بذلك الفخار . ومن قولهم بمعنى كلام هوميروس وفيه زيادة لطيفة

نصبوا بقارعة الطريق خيامهم يتسابقون بها الى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه حبّ القرى حطباً على النيران

ومثل ذلك قول المسيّب :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرّق ليحل بالاوزاع

وقول زهير : بسط البيوت لكي يكون مظنة من حيث توضع جفنة المسترفد

أعانَ ولَمْ يُجْدِهِ ما أعانا ولم يكُ مَنْ عنهُ يلقى الطِّعانا[1]
بسيف أبْن تيذِيسِ صُرِعا وخادِمهُ كلسيُوسُ معا
وخرَّ أفلَطُ كذاكَ ذريسْ بعامِلِ فُرْيالَ صدْرَ الخميسْ
فراحَ وأبْقاهُما بالزَّفيرْ على أسفُوسَ وفيذَسْ يُغيرْ
حفيدَي حليفِ العُلى لَومِدُونا وفرْعَيْنِ مِنْ بكْرِهِ بقْليُونا
نَشا خِفيةً بقْليُونُ بحِجْرِ فتاةٍ أحبَّ أبُوهُ بِسرِّ

ومما يخرَّج على هذا المعنى قول حاتم الطائي

وابرز قدري بالفضاء قليلها يُرى غير مضنون بها وكثيرها
وليس على ناري حجاب يكنها لمستوبصٍ ليلاً ولكن أنيرها

ولا نظن امة من الامم غالت بقرى الضيف واكرامه كالامة العربية حتى نسبت تلك السنة الى جدها ابراهيم واليه أشار الحريري بقوله

وحرمة الشيخ الذي سن القِرى وأسس المحجوج في أم القُرى

وام القرى مكة — وقد روى هيرودوتوس وغيره من المؤرخين شيئاً عن نوابغ الكرم في سائر الملل ولكنه لا يذكر ازاء ما يروى عن سخاء العرب حتى لو اخذنا ترجمة كل فرد من مشاهير أبناء الجاهلية ومن بعدهم لرأيناه يصح أن يضرب به المثل المضروب بحاتم الطائي

(١) ان في هذه الكلام ما يهيج الرأفة على القتيل وينبئ بقلة وفاء الناس ونكران الجميل اذ كان ينبغي ان رجلاً عرفت له الايادي البيضاء تتهافت الفرسان لنجدته فتقيه شر الوبال . ولهذا انتُقد على هوميروس في هذا المكان وهو انتقاد غير ثبت لانه يرمي في كل شعره الى وصف الحالة الطبيعية وهي قلما توفي القسط والوفاء . ومع هذا فموت خادمه الى جانبه كما ترى في البيت التالي يدلك على ان الشاعر لم تفته فائتة فجعل اصاحب الجود رفيقاً وفياً يليه حتى الممات

وَلَمَّا تَرَعْرَعَ ساقَ الشِّيَاهْ ... فَرامَتْهُ إِحْدى بَناتِ المِيَاهْ[1]
فَدانَ لِبَرْبَارَةٍ قَلْبُهُ ... وَعن تَوْأَمَيْنِ انْجَلَى حُبُّهُ
فَبَأْسهُما ابْنُ مكَسْتَ أَبادا ... وَنالَ سلاحهُما مُسْتَفادا
وفُوْلِيفَتِيْسُ رَمى أَستْيَالا ... وأُوذِيسُ بالرُّمْحِ مالَ وَصالا
جَرى يَطْعَنُ الفرْقُسِيَّ فذيْتْ ... وطفْقَيرُ آرِيتَوُوْنَ يُمِيْتْ
وَأَصْمى ابْنُ نَسْطُورَ أَنْطِيلُخُسْ ... بنافذِ عاسلهِ ابْلرُسْ
وَأَتْرِيْذُ مولى المَوَالي قتَلْ ... إِلاتُوْسَ قَرمَ فِداسا البَطَلْ
وفِيْلاقُ وَلَّى يرُومُ الفرارا ... فَنالَ بِطعْنِ لِطوْسَ البَوارا
وميلَنْثِيُوْسَ رَمى أُورفِيلْ ... وأَذْرَسْتُ حيّاً دَهاهُ منيلْ
فَجيْشُ الطَّرَاوِدِ والفتْكُ دارْ ... بِهِمْ قد ترَاموا ببابِ الدِّيارْ
وَأَذْرَسْتُ شبَّتْ تُغيرُ الخُيُولْ ... بِهِ جامحات بِتلْكَ السُّهُولْ
بِغصْنٍ مِنَ الأَثْلِ والكَبْكَبَهْ ... تَبارِيهِ أَنْشبَتِ المَرْكَبَهْ
فَسُحِّقَ مِضْمَدُها وَالجِيَادْ ... أَغارَتْ وَقد أَفْلَتَتْ لِلْبِلادْ
وَأَذْرَسْتُ لِلأَرْضِ مُذْ صرعا ... إِزاءَ مَحَالاتِها وَقما[2]
فَأَدْرَكَهُ وَهُوَ يَجْرِي منيلْ ... بِرُمْحٍ طَويلٍ وَسَيْفٍ صَقيلْ
عَلى رُكْبَتَيْهِ تَرَامَى ذَليلا ... وَقالَ: «أَلَا فَاعْفُوَا رُضْ بَديلا

(١) بنات المياه كان مسكنهن في قعر البحر ومنهن ثيتيس أم أخيل
(٢) المحالات الدواليب

فَإِنَّ كُنُوزَ أَبي بِادِّخار حَدِيدًا وصُفْرًا وَصافي نُضار
فَإِن تَعفُ عنّي فَأُقْتادَ حَيًا لِفُلْكِكَ يُوْلِكَ كَنْزًا مُهَيًّا »
فَرَقَّ وَكادَ إِلى صَحْبِهِ يُشيرُ إِلى الفُلْكِ تَمْضي بِهِ
إِذا بِأَخيهِ يَشُقُّ الصُفُوفا لِيُولِيَهِ عَذْلاً وَلَوْماً عَنيفا :
« تَعِسْتَ مَنيلا وَأَنْتَ تُلامُ عَلامَ رَحِمْتَ أُولاءِ اللِّئامْ
بِأَيِّ خَنىً لَمْ يُسيئُوا إِلَيْكا وَأَيِّ أَسىً لَمْ يُهِيلُوا عَلَيْكا
أَجَلْ فَلْيَبِيدُوا وَيَفْنَ الجَميعُ فَتاهُمْ وَشَيْخُهُمْ والرَّضيعُ
وَلا يَنْجُ ناجٍ وَتَبْلَ الجُسُومُ وَلا يَعْلُ قَبْرٌ وَتُمْحَ الرُّسُومُ »(١)
أَصاخَ مَنيلا لَهُ وَارْعَوَى وَأَذْرَسْتَ صَدَّ بِكُلِّ القُوَى
وَفي خَصْرِهِ آغَمِمْنُونُ أَلْقَى سِناناً يُشَقِّقُ أَحشاهُ شَقَّا
وَداسَ عَلى صَدْرِهِ وَاسْتَجَرَّهْ وَنَسْطُورُ صاحَ يُشَدِّدُ أَزْرَهْ :

---

(١) لما صار أدرست في قبضة منيلا ترامى لديه ذليلاً واطمعهُ بالمال فكاكاً لنفسه • فكاد منيلا يعفو عنهُ لو لم يبادر أغاممنون ويعنف اخاه على رفقه بعدوٍّ يجب قتلهُ • كل هذا يلوح فظاًّ في بابه للمتحضر العريق • على انه في حد نفسه تمثيل صادق لاطوار ذلك الزمان حيث كان الانتقام أمنيّة الاماني • فالدية والفكاك والإِطماع بالمال كلها أمور لم يكن في بعض الاحوال يسد شيءٌ منها مسد دم المطلوب بالثأر • وفي أخبار العرب قبل الاسلام وبعده من اشباه ذلك شيءٌ كثير حسبنا ان نذكر لكل زمن منه مثالاً : أُسر عبد يغوث الحارثي من سادة بني مذحج في يوم الكلاب الثاني فقتل ولم يغنه أن قال قول ادرست :

أمعشر تيمٍ قد ملكتم فاسجحوا فان أخاكم لم يكن من بوائيا
فان تقتلوني تقتلوا بي سيداً وان تحربوني تحربوني بماليا

« أَيا دانَويونَ آلَ الطِّرادِ　　مَوالي أَريسَ رَقيبِ الجِلادِ
فَمنكُمُ لا يَتخلَّفْ كَمِي　　علىٰ السَّلْبِ وَٱلكَسْبِ كَيْ يَرْتمي
فَيقفُلَ لِلفُلْكِ فيما ٱدَّخرْ　　فَلَهْوُ وَذا اليومُ يومُ الظَّفَرْ
أَبِيدوا الرِّجالَ بِدارِ النِّزالْ　　فَيَخلُو المَجالُ وَثَمَّ المَنالْ » (١)

ولما انقرضت دولة الامويين واستتب الامر للسفاح العباسي دخل شبل بن عبدالله على عبد الله بن علي عم السفاح وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً على الطعام فاقبل شبل وقال قول أغاممنون

لاتقيلنَّ عبد شمس عثاراً　　واقطعنْ كل رقلةٍ وغراسِ
ذلُّها أظهر التودد منها　　وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي　　قربهم من نمارق وكراسي
انزلوها بحيث أنزلها الله　　بدار الهوان والاتعاسِ
واذكروا مصرع الحسين وزيداً　　وقتيلاً بجانب المهراسِ
والقتيل الذي بحرّان اضحى　　ثاوياً بين غربةٍ وتناسي

فأمر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا وبسط عليهم الانطاع فأكل الطعام عليها وهو يسمع أنين بعضهم • وقد رأف منيلا بادرست رأفة السفاح بسليمان بن هشام بن عبد الملك الاموي حتى دخل عليه سديف الشاعر وانشده :

لايغرّنك ما ترى من رجال　　ان تحت الضلوع داءً دويّا
فضع السيف وارفع السوط حتى　　لاترى فوق ظهرها أمويّا

فأمر السفاح بسليمان فأُخذ وقتل • ولم يكن الانبياء في الازمان الغابرة أرأف بالعدوّ من سائر الناس فقد جاء في التوراة ان صموئيل النبي سخط على شاول الملك لابقائه على اجاج ملك العمالقة

(١) لاترى أزمة اشتدت الا انبرى لها نسطور فانفذ بقوله ما يعجز عنه بفعله • وله لكل مقام مقال لايصلح الا له • فالموقف موقف اصطدام والتحام فلا احكم من أن يقبّح لهم التخلف عن الابلاء للتهافت على سلب الاشلاء • ولما كان لابد

فهاجتْ بهمْ نفثاتُ الحميَّهْ وماجتْ تجيشُ النفوسُ الأبيَّهْ
وكادَ الطَّراودُ والعزمُ خارا يُولُّونَ نحوَ الدّيارِ فِرارا
ولولا أخوْ هكطرٍ هيلنُوسْ أجلّ العوارف في الرؤوس[1]
لوَلَّوا ولكنْ أتى هكطرا وأنياسَ يبغيهما منذرا :
« ألا مذْ تحمَّلتما الفادحاتِ ومذْ كنتما رأسَ كلّ الكماةِ
بسلّ القواضبِ بأسٌ شديدٌ وحلّ المصاعبِ رأيٌ سديدٌ[2]
قفا استوقفا الجندَ عندَ الحصونِ لئلاّ تولّي اتّقاءَ المنونِ
وطوفا بهمْ بخفيفِ القدمْ أثيرا القُوى واستحثّا الهممْ
مخافةَ أنْ يدفعوا بالأسى مُولّينَ حتّى حجورِ النّسا

أيضاً من اطماع الجند بشيءٍ فقد أشار في آخر خطابه الى انهم لايعدمون فرصة للكسب والنهب بعد ان ينالوا الظفر فيخلو لهم المجال. وهي حكمة من حكم هوميروس شغف بها وبامثالها قرّاؤهُ من الملوك والقواد. قيل ان الاسكندر الكبير كان يتمثل بها. ومن جملة كلام علي ابن أبي طالب لرجاله في واقعة صفين قوله : « ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم » الا انه أراد بذلك كمال التعفف دون التخلف الى حين. ومما يزيد هذه الموعظة شأناً ووقعاً ما نراه من اندحار جيشٍ برمته وتقصيره عن بلوغ غايته لتهافته بسائقة الطمع على الكسب واحراز المال . وحسبنا من الامثلة التاريخية الكثيرة تلاشي بعض حملات الصليبيين لانقطاعها في طريقها على سلب الاموال

(١) كان هيلينوس اخو هكطور في جيش الطرواد بمقام كلخاس العرّاف في جيش الاغريق

(٢) كثيراً ما نرى سداد الرأي ملازماً للبأس والحزم مما ينبئك بما كان له من علو المنزله عندهم حتى لقد فضل الشاعر الرأي السديد على البأس الشديد في غير هذا الموضع (راجع ن ٢ : ٢٧٨)

فإمَّا التَّجـلُّدُ مِنَّـا بَدا أمِنَّا شَماتَةَ لُدِّ العدى
ونحنُ إذا الجاشُ بالجيشِ ثارا لبثنا نَذُودُ ونحمي الذِّمارا
فلانجوةٌ من دواعي الضَّرُورهْ وإن بلغ العيُّ منَّا أخيرهْ
وإن نهضَ العزمُ بينَ الجميعْ أهكطورُ فاجري سريعاً سريعْ
إلى أمّنا طِرْ وقلْ تذهبُ جميعَ النَّبيلاتِ تصطحبُ
وتمضي إلى قمةِ القلعةِ لهيكلِ فالاسَ بالسُّرعةِ
وتفتحُ في الحالِ أبوابهُ وتدخلُ بالذُّلِّ أعتابهُ
وتحملُ أبهى نقابٍ لديها ليسبلَ فيه على رُكبتيها
وتنذرُ عند اندفاع البليَّهْ تقودُ اثنتي عشرةً للضحيهْ
تبائعَ ما قُرِنتْ تحتَ نيرِ إذا هي منَّتْ بدرءِ الشُّرورِ (١)
وحنَّتْ لدمعِ النِّسا والبنينْ ومنَّتْ علينا بحرزٍ أمينْ
وصدَّتْ ذيوميذَ روعَ البلادِ نذيرَ البلا وانْدِكاكِ العمادِ (٢)
نعمْ هوَ ظنِّي أشدُّ العدى وأطولُهمْ صولةً ويدا

---

(١) التبائع جمع التبيعة وهي ولد البقرة لحول واحد اشار هيلينوس على هكطور أن يحمل امه على ان تنذر النذور وتضحي بالضحايا لفالاس

(٢) كان هيلينوس يعلم بعرافته وكهانته ما لا يعلم هكطور ولهذا عرف ان أثينا كانت موالية لذيوميذ كما تقدم في النشيد الخامس فرأى انه لابد من استعطافها بالنذور والضحايا لتتخلى عن ذيوميذ فتخفف وطأته عن الطرواد ولم ينبىء هكطور بكل ما علم وانما اشار اشارة هي بمقام الامر الديني ولهذا سنرى هكطور ملبياً على الفور مطيعاً

وَلَسْتُ احاشي كَذَاكَ أَخيلا وَإِن كان للرَّبةِ اُبناً جليلا
فَهاكَ تراهُ تحَدَّمَ نارا وَأَذكى الأُوَارفليسَ يجَارى»
فما كادَ يُكمِلُ قولاً وَقَعْ لِمُهجةِ هكطورحتَّى انْدفعْ
وَهَبَّ يُغيرُ مِنَ العجَلَهْ وعدَّتهُ ترْسلُ الصلْصلَهْ
يَهزُّ القَنا وَيخوضُ الصفُوفْ يَهيجُ النفُوسَ لقرْعِ الحتُوفْ
فَهاجَ الطَّراودُ بأْساً وماجُوا وَتَحْتَ خُطاهُمْ عَجَّ العَجاجُ
فصدَّ الأَغارقُ قتْلاً وَزحْما وَكَفُّواعَنِ الطعْنِوالضرْبِكفَّا
وَخالُوا وَقدْ بلغَ البأْسُ حدَّهْ بَني الخُلْدِ قدرَفدُوهمْ بنَجدَهْ
وَهكْطورُوالقرْعُ يعلُوصدِيدُهْ بهِم صاحَ كالرَّعدِيدوي هَدِيدُهْ:
«أَقومَ الطَّراودِ جنْدَ البؤُوسِ وَنجَادهمْ مُسْتجيشي النفُوسِ
فَها أَنا أَقصُدُ أَبْراجنَا لأَلْتي الشيُوخَ وأَزْواجنَا
لِكَيْ ينهَضُوا وَيَنذرِ الضحيَّهْ يَآلُوا أَدْراءً لِهذي البليَّهْ
فَلا تبرحَنَّ كَعهْدي بكُمْ بتَصعِيدكُمْ وَبتصوِيبِكُمْ»[1]
وَلمَّا انْتهى راحَ توَّا يَسيرُ على قدَميهِ وَكادَ يَطيرُ
وأَهدابُ مجْوَبِهِ الأَسْحَمِ مِنَ الرَّأْسِ تَضْربُ للقَدَمِ[2]

(١) قد انتُقد على هوميروس ان جعل هكطور يغادر ساحة القتال في ذلك الموقف الحرج وهو اعتراض غير سديد لانه انما ذهب بمهمة لم يكن بد من قضائها ولم يكن في القوم احد غيره يصاح لقيام بها • ومع هذا فلم يبرح مكانه حتى اثار بهم نار الحمية وامناهم بالفرج القريب

(٢) المجوب الترس — تلك اشارة الى شدة عدوه • ويحسن بنا ان نذكر

فَشَقَّ غُلُوكُسُ صَفَّ الرِّجالْ كَذاكَ ذِيُوميذُ يَبْغي القِتالْ (١)
وَعِنْدَ التَّلاقي وَقَد بَلَغا خِلالَ الجُيُوشِ مَرامي الوَغى
ذِيُوميذُ بادَرَهُ بالسُّؤالِ : «فَمَنْ أَنْتَ قُلْ يا أَشَدَّ الرِّجالِ
فَإِنَّكَ ما لُحْتَ لي قَطُّ قَبْلا وَسُمْرُ العَوامِلِ تَقْتُلُ فَلا
وَإِنِّي إِخالُكَ فُقْتَ الجَميعا لأَنَّكَ لَمْ تَخْشَ فَتْكِي الذَّريعا
فَوَيْلَ أَبٍ لَمْ يَهْنِي ٱبْنُهُ فَلا شَكَّ يُهْلِكُهُ حُزْنُهُ
فَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَوْمِ آلِ الخُلُودْ فَقُلْ وَٱصْدُقَنِّي حَتَّى أَعُودْ
فَلَيْكُرْغُ قاوَمَ آلَ السَّما فَلَما قامَ قائِمُهُ بَعْدَ ما
تَقَفَّى مَراضِعَ رَبِّ الخُمُورِ عَلَى طَوْدِ نِيسا خِلالَ الصُّخُورِ
فَرَوَّعَهُنَّ بِسَوْطِ القَنا فَأَسْقَطْنَ مِنْ يَدِهِنَّ القَنا
وَرِيعَ ذِيُونِيسُ مِنْهُ وَغاصا إِلى لُجَّةِ البَحْرِ يَبْغي الخَلاصا (٢)

هنا ان مجانهم كانت على نوعين احدهما مجانّ الزعماء التي كانت تستر كل الجسم فلا يبقى محل للعجب من ان تضرب اهدابها من الرأس الى القدم والثانية لسائر الجند وهي اصغر حجماً

(١) انتقل بنا الشاعر اثناء غياب هكطور الى مشهد براز لا نظير له في كل الالياذة وسنأتي عند ختامه على النظر فيه

(٢) ذيونيسوس الاه الكرمة والخمرة والسرور وهو باخوس اللاتين يمثلونه بهيئة فتى بيده عنقود او سنبلة وقائماً وقاعداً وعرياناً ولابساً بصور شتى


ذيونيسوس

فَضَمَّتْهُ ثيتسُ الى صَدْرِها تُخَوِّلُهُ الأَمْنَ في بَحْرِها
وَلِيكُرْغَ مِنْ ثَمَّ كُلُّ إلاهْ يَعيشُ بدارِ النَّعيمِ قَلاهْ
وَزَفْسُ بَلاهُ بِكَفِّ البَصَرْ وَأَهْلَكَهُ عِبْرَةً لِلْبَشَرْ (١)
أَنا لَسْتُ أَبْغِي لِقاءَ الأُولى أُنيلُوا الصَّفا في الدِّيارِ العُلى (٢)
فَإِنْ كُنْتَ تَغْذَى نِتاجَ التُّرابْ فَأَقْبِلْ وَذُقْ مِنْ ذِراعي العَذابْ»
فَقالَ: «عَلامَ اقْتَصَصْتَ الخَبَرْ وَنَحْنُ كَأَوْراقِ هذي الشَّجَرْ
فَبَعْضاً يُبيدُ الهَواءُ وبَعْضُ عَلى مَنْبَتٍ بائِدِ النَّبْتِ غَضُّ
فَفي كُلِّ عامٍ نَباتٌ أُبيدا بِهِ الغابُ تُنْمي رَبيعاً جَديدا
وَكُلٌّ عَلى إِثْرِ كُلٍّ مَشَى فَجيلٌ تَلاشَى وَجيلٌ نَشا (٣)
وَلكِنْ إِذا شِئْتَ مِنّي الحَسَبْ فَإِنّي مِمَّنْ سَما وانْتَسَبْ

---

(١) كان ليكرغوس المشار اليه ملك ثراقة وكان في زعمهم مقاوماً لعبادة الاه الخمر . فسخط عليه الالاه وسلب حجاه فجُن وقتل ابنه وقطع ساقي نفسه متوهماً انهما فسيلتا كرمة . ثم قامت عليه رعيته وقطعته إرباً إرباً . والرواية التاريخية هي ان ليكرغوس لغرض من الاغراض امر باستئصال دوالي الكرم من بلاده فقلت الخمور فكانوا يضطرون الى مزجها بالماء ومن ثم نشأ زعمهم ان ثيتيس احدى بنات الماء ضمته الى صدرها اشارة الى مزج الماء بالخمر

(٢) لعل القارىء يستغرب هذا الكلام من ذيوميذ مع انه لم يُرَعْ لمنظر الزهرة ولا لهول الاه الحرب ولكنه لم يؤتَ تلك الجسارة الا باغراء اثينا اما الآن وقد غابت عنه فعاودته التقوى ورهبة الآلهة

(٣) لقد اكثر الشعراء في كل زمان من ذكر تعاقب الاجيال من الناس بكل برهان وقياس . ولكنه لم يكن فيهم من اتى باجمل من هذه المقابلة واصدق

فإيفـيريا بلدٌ من بلادِ ... بأطرافِ أرغوسَ أرضِ الجيادِ
بها كانَ سيسيفُ أدهى الأنام ... سليلُ أيولا عزيزَ المقامِ
وكانَ غلوكسُ لهُ ابناً كما ... لهذا بليروفُنٌ قد نما
فَفاقَ بليروفنٌ بالجمالِ ... ومُمتدحِ البأسِ كلَّ الرجالِ
وقد كانَ قيضَ زفسُ انتصارا ... لإفريطَ فاحتلَّ تلكَ الديارا[۱]
ودانت لهُ كلُّ تلكَ الأمَمْ ... كذاكَ بليروفُنٌ ذو العظمْ
ولكنَّ إفريطَ أضمرَ شرّا ... لهُ إذ رآهُ ترفعَ قدرا
فبادرَ يطردُهُ مُستبدّا ... وزوجةُ إفريطَ رامتهُ وجدا

لانها مع قرب منالها وبساطتها تهيء للناظر اليها حالتي الاضمحلال والتجدد وفقاً لما يقول العرب « لو دامت لغيرك لما وصلت لك » واكثر الشعر العربي الوارد بهذا المعنى يرمي الى التلاشي والتبدد اكثر منه الى النمو والتجدد كقول المتنبي :

يدفن بعضنا بعضاً ويمشي ... اواخرنا على هام الاوالي

وقول المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا ... ارض الا من هذه الاجساد
وقبيحٌ بنا وان قدم العهـ ... ـد هوان الاباء والاجداد
. . . .
ودفين على بقايا دفين ... في طويل الازمان والآباد

وقد جاء في التوراة ما يقارب المعنى الذي اورده هوميروس : « كل جسد يبلى مثل الثوب لان العهد من البدء انه يموت موتاً . فكما ان اوراق شجرة كثيفة بعضها يسقط وبعضها ينبت كذلك جيل اللحم والدم بعضهم يموت وبعضهم يولد » (سيراخ ١٤ : ١٨ و ١٩)

(١) ترى من هذا البيت ان افريط او فريتس (بلفظهم) كان ملكا قهاراً . افلا يلوح لاول وهلة ان لفظة عفريت العربية منقولة عنها ؟

وَعَنْ نَفْسهِ رَاوَدَتْهُ فَأَعْرَضْ عفافاً وَالْعِرْضِ لَمْ يَتَعَرَّضْ
لَهُ أَضمَرَتْ أَنْتِيَا كُلَّ شَرْ وَقالَتْ لِإِفْرِيْطَ تهْمِي العبَرْ :
«فَمُوتَنَّ أَوفَلْيَمُتْ مَنْ أَرادْ بِأَهْلِكَ سُوأً سَحِيقَ الفُؤَادْ»
تَحَدَّمَ إِفْرِيْطُ لَكِنْ خَشِي نَذِيرًا خَفِيًّا وَلَمْ يَبْطُش
وَخَطَّ عَلى رُقْعَةٍ مُهْرَا رُسُومَ الحِمامِ كَما أَضْمَرا (١)
وَسَيَّرَهُ لِحَمِيهِ الْمُبَجَّلْ بِلِيقِيَةٍ بِالْكِتابِ لِيُقْتَلْ (٢)
فَسارَ وَآلُ العُلى حَرَسُ عَلَيْهِ لَحَيْثُ جرَى زَنْثُسُ

(١) لادليل ثابت على ان الكتابة كانت معروفة عندهم لذلك العهد ولكنهم كانوا يتفاهمون باشارات مخصوصة يخطّونها على رقاع او قداح كما خط افريط رسوم الموت على هذه الرقعة اشارة الى انه يجب أن يقتل الرسول وسنرى في النشيد السابع انهم لدى استقسامهم خط كل من المقترعين خطاً على قدحه يميزه به عما سواه

(٢) حمو افريط هو سوباتس ملك ليقية — ان أمثال هذه الوسيلة للفتك بعدو أو بغيض كثيرة الورود في اخبار الاقدمين وقد لايخلو منها عصر • وبها غدر عمرو بن هند ملك الحيرة بطرفة بن العبد صاحب المعلقة المعروفة باسمه • ذلك انه وفد على عمرو مع خاله المتلمس فاكرمهما عمرو واقاما عنده أياماً • وحدث ان اخت الملك اشرفت عليهم وهم في مجلس الشراب فرآها طرفة فقال شعراً فيها فحقد عليه عمرو وكان قد بلغه قوله فيه

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدورُ
لعمرك ان قابوس بن هند ليخلط ملكه نوكٌ كثيرُ

فعزم عمرو على قتل طرفة تشفياً منه وعلى قتل المتلمس اتقاء هجائه • وخاف ان تجتمع عليه قبائل بكر بن وائل ان قتلهما ظاهراً فدعاهما وكتب لهما كتابين الى المكعبر عامله على البحرين وعمان فلقيا بطريقهما غلاماً يرعى غنيمة ولما علما منه انه يحسن القراءة فض المتلمس كتابهُ ودفعهُ اليه فاذا فيه « باسمك اللهم من عمرو

تَلَقَّاهُ بالبِشْرِ مَولى البلادْ وأَكرَمَ مثْواهُ ضَيْفاً وَزَادْ
فَتِسعُ ليالٍ كَذَا عَبَرَتْ عُجُولٌ بعدَّتها نُحِرَتْ (١)
وَلمَّا انْجَلى عاشِرُ العَشَرَهْ بوَرْدِيِّ أَنمُلِهِ النَّضِرَهْ
بَدا مَلْكُ لِيقِيَةٍ بالْخِطابْ فأَلقى الرَّسُولُ إِلَيْهِ الكتابْ
فَلَمَّا تَناوَلَهُ وَتَلاهُ اقْتُلِ الخَميرَةِ حالاً دَعاهُ (٢)

بن هند الى المكعبر • اذا أتاك كتابي هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فألقى الصحيفة في النهر وقال ياطرفة معك والله مثلها فقال طرفة كلاً ماكان ليكتب لي مثل ذلك • وسار بالكتاب حتى أتى المكعبر وقُتل (الاغاني ودائرة المعارف)

(١) أقام بليروفون تسع ليال ضيفاً على ملك ليقيا فنحر له تسعة عجول جرياً على عادة الجاهلية من عدم استبقاء شيء من أُدبة الى أُدبة اخرى ونحر العجول عندهم كنحر الجزور عند العرب فهي انما تنحر للضيف الجليل كما تنحر الكباش والنعاج لسائر الاضياف • وما بقي من طعام الضيفان يوزع على الحي واذا بقيت بعد ذلك بقية تطرح ولا تدخر الى يوم تالٍ • وفي مثل ذلك يقول الشاعر

رحلنا وخلينا على الارض زادنا
وللطير من زاد الكرام نصيبُ

ومن مرويات المتنبي وليست في ديوانه

واذا اتاه طعامهُ لغدائه
رُفعت له الاستارُ والابوابُ
وتهافت الغلمان من جيرانه
فتسامع المعترُّ والمهتابُ

(٢) الخميرة (Χιμαιρα) ومعناها في الاصل جدي معز (ومنها Chimère بالافرنجية للوهم والخيال) مخلوقات خرافية



بليروفون يطعن الخميرة

مُرَوِّعةٌ مِنْ بَناتِ الخُلُودْ على قُمَمِ الشُمِّ قَسْرًا تَسُودْ
لَها رَأْسُ لَيْثٍ على ذَيْلِ أَفْعى عَلى جِسْمِ تَيْسٍ مِنَ المَعْزِ يَرْعى
وَمِن فَمِها نَفَثاتُ الأُوارْ تَقاذَفُ ناراً تُثِيرُ الشَّرارْ
ولكِنْ بآلِ العُلى وَثِقا وَكُلَّ وُجُودٍ لَها مَحَقا
وَثَنّى بِقَتْلِ رجالِ البُؤُوسِ عِظامِ السُّلَيْمَةِ شُمِّ الرُّؤُوسِ(١)
وَثَلَّثَ يَفْتُكُ وَالمُرْهِباتْ أَمازُونَةَ الهَوْلِ حَتْفاً أَماتْ(٢)
وَما كادَ يَفْرَغُ حَتّى أُقِيمْ لَهُ في الطَّرِيقِ كَمِينٌ عَظِيمْ
فَأَفْناهُ طُرًّا وَلَمْ يَذَرِ لَهُ ذٰلِكَ اليَومَ مِنْ أَثَرِ
فَرِيعَ المَلِيكُ وَكَفَّ الأَذِيَّهْ وَأَيْقَنَ عِزْوَتَهُ عَلَوِيَّهْ
وَأَعْلاهُ مُسْتَبْقِيًا بِالجَلالِ وَأَنْكَحَهُ ابْنَتَهُ بِاحْتِفالِ
وَشاطَرَهُ الحُكْمَ والشَّعْبُ رامْ يُقِيمُ لَدَيْهِمْ عَزِيزَ المَقامْ

كان مقامها في جبل خميرة في ليقية وكانوا يزعمون ان لها رأس اسد يتقاذف الاوار من فيه على جسم تيس من المعزى له ذيل افعى وكثيراً ما كانوا يرسمونها برأسين رأس تيس ورأس ليث . فلما اضطر بليروفون الى قتلها استنجد أثينا فمكنته من القبض على فيغاسوس الجواد الطيّار فركب وفتك بها وهو طائر والاصل في هذه الخرافة ان جبل خميرة في ليقيا كان في قنته بركان تتقاذف النيران من فوهته وتحتها مراع نضرة ترتع فيها الماشية وفي سفحه الافاعي السامة تؤذي المارة من الناس

(١) السليمة شعب ليقي تلاشى واضمحل . وانقراضه لغير سبب بيّن في التاريخ حمل الرواة على الاعتقاد بان ذلك انما جرى على يد بليروفون لانه احسن الجهاد في تلك البلاد

(٢) الامازونة قوم من مقاتلة النساء مر ذكرهن ورسمهن (ن ٣ : ٣٢٩)

لذا أقطعوهُ هباتٍ غزيرَهْ　　　　جناناً حساناً وأرضاً وفيرهْ
وقد ولدا بنينِ إيسندرا　　　　كذا هفلوخَ الرَّفيعَ الذُّرى
ولاوذميــةَ المجتبـاةَ ومنْ　　　　بها هامَ زفسُ شجاً واقترنْ
ومنها نشا سرفدونُ المعلَّى　　　　ولكنْ بليروفونُ سيمَ ذُلّاً(١)
فراحَ يهيمُ على آلسٍ　　　　بعيداً عنِ النَّاسِ والمؤنسِ(٢)
فحطَّ لدى ساكني الخُلْدِ قَدْرا　　　　وساموهُ بعدَ الترفُّعِ قهرا
فإيسندرا آرسُ قتـلا　　　　بحربِ السليمةِ رَوعِ الملا
ولاوذميةُ أرطميسُ قلتها　　　　ولم تعدُ من بعدُ أزجندلتها(٣)

---

(١) لم يذكر هوميروس سبباً لما نال بليروفون من الذل والهوان بعد ذلك العز ورفعة الشأن فخطأه بعض الشراح لهذا الاغفال على ان بعضهم التمس له عذراً بقوله ان ناقل هذه الرواية انما كان من عقبه وعزَّ على الولد ان يذكر امراً ربما كان فيه غضاضة من شأن جده وهو عذر ظاهر التمحل والصحيح ما سنبينه في الصفحة التالية

(٢) نهر آلس هو الذي عبره سيف الدولة اثناء غزوته الروم وذكرهُ المتنبي بقوله :

يذري اللقان غباراً في مناخرها　　　　وفي حناجرها من آلسٍ جرعُ

والمعري بقوله : بنات الخيل تعرفها دلوكٌ　　　　وصارخة وآلس واللقانُ

وفيه قال ابو فراس مخاطباً سيف الدولة بن حمدان من القسطنطينية

وما كنت اخشى ان ابيت وبيننا　　　　خليجان والدرب الاصمُّ وآلس

وله ذكر كثير في غزوات الاسلام ايام المعتصم وفيه يقول ابو تمام مخاطباً ابا سعيد الثغرى الطائي احد قواد المعتصم :

فان يك نصرانياً النهر السٌّ　　　　فقد وجدوا وادي عقرقس مسلما

(٣) كانوا ينسبون الموت الفجائي لارطميس لانها ربة السهام وربما نسبوا

وَظَلَّ هِفُولُوخُ حيًّا لَنا فذاكَ أَبي وَهوَ أَرسَلَنا (١)

لها ايضاً انتشار الاوبئة تشبيهاً لها بالنبال المتساقطة

(١) لا اظن قارئاً يطالع هذه القصة الا ويرى الشبه الساطع بينها وبين قصة يوسف الصديق الواردة في التوراة والقرآن وان اختلف المآل بين يوسف وبليروفون فيلوح للمطالع ان انحراف الآلهة عن بليروفون انما هو ذيل ماصق اتى به الشاعر توطئة لما ألم ببليروفون وولده من الخطوب الكبار . ولم يذكر له سبباً لانه ليس هنالك سبب معقول لرغبة الارباب عن رجل اتصف بكل محمدة مأثورة وخلة مشكورة . فالقصة على ما هي مبتورة بتراً يشوّه محاسن خاتمتها . وليس في كل منظومات هوميروس اغفال كهذا . ولايشفع فيه ما تقدم في الصفحة السابقة او كون الرواية كانت كثيرة التواتر في زمانه فلم تكن به حاجة الى زيادة ايضاح لانه افاض واجاد في ذكر محامد بليروفون فكان من لوازم السياق ان يشير ولو اشارة خفيفة الى سبب انقلاب الآلهة واعراضهم عنه . فلا أحسب اذاً الاان هوميروس اتم ايراد قصته وكان ذيلها في جملة ما سقط من قلم النساخ . والغريب ان الشراح فيما قرأت لم ينتبهوا الى هذا النقص . اما تمة الرواية على ما جاء في غير الالياذة فهي ان بليروفون طغا اخيراً وتجبر فحاول الوثوب الى السماء على ظهر جواده الطيار فسخط زفس عليه وسلط ذبابة فاصقت بالجواد فاجفل ورمى فارسه عن ظهره فسقط الى الارض وكان ماكان من خاتمة امره . واما ما بقي فاكثره يتفق في معناه مع قصة يوسف وان اختلف في الاسم والمبنى . فبليروفون كيوسف بديع الجمال كريم الخلال وافريط يكاد يماثل فوتيفار اسماً وجسماً وزوجته انتيا تضارع زليخا التي قيل فيها « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » واعرض عفافاً هنا كما « ابى واستكبر » هناك فقالت لزوجها هنا فوتن او فليمت من اراد باهلك سوءًا سحيق الفؤاد كما قالت هناك « ماجزاء من اراد باهلك سوءًا الا ان يسجن او عذاب أليم » فوافقها افريط على التنكيل به كما « بدا لهم بعد ان رأوا الايات ليسجننّه حتى حين » فساءَ فألهم هنا لان آل العلى حرسوه « والله خير حافظاً » ثم شوطر الملك واُقطع كما وُلّي يوسف على خزائن مصر ووَلي احكامها وسُيّر بليروفون برسالة تقضي بقتله فلم يخن فيفضها او يذهب غير مذهب كما

فَقَدْ حَثَّني أَنْ أَخُوضَ المَجالا وَأَلْقَى بِصَدْرِ الجُيُوشِ الرِّجالا
وَأُعْلِي مَنارَ جُدُودِي الأُولى أُنيلُوا الفَخارَ وَشادُوا العُلى
فَهُمْ دَوَّخُوا كُلَّ قَرْنٍ عَتا بِلِيقِيَــةٍ وَبِإِيفِــيرِيا
فَذا نَسَبٌ فِيهِ يَعْـتَزُّ مِثْلي وَهذا إِذا شِئْتَ أَصْلي وفَصْلي» (١)
فَكَفَّ ذِيُومِيـذُ مُسْتَبْشِرا وَأَرْكَزَ عاسِلَهُ في الثَّرى
وَقالَ: «إِذاً لَكَ حَقُّ الإِخاءِ عَلَيَّ وَإِنِّي حَلِيفُ الوَلاءِ
أَتَدْرِي لأُونَفْسَ جَدِّي قَدِيما بِأيرُوفُنٍ كانَ ضَيْفاً كَرِيما

حمل الوفاء يوسف على التحفظ بمال مولاه — ولا شك ان هذه القصة كان امرها شائعاً في مصر في زمن هوميروس كما هو شائع في ايامنا تمثل بها الخاصة ويتغنى بها السوقة في مصر وسوريا والعراق • وهو محقق ان هوميروس زار بلاد مصر او نقل من الثقات كثيراً من المعتقدات • ولا يخفى ما يعتري الروايات بالانتقال من الزيادة والنقصان فاذا تأملنا هذه الرواية رأيناها باقية اكثر نقاءً من غيرها

(١) لابدع ان نرى هوميروس حريصاً على حفظ انساب قومه فذلك منزع جاهلية القوم ونعم المنزع اذا لم يثبط عزيمة صاحبه وينفخ فيه ريح الغرور كما جرى لاخواننا العرب لعهدنا هذا • والتوراة والانجيل مشحونان بذكر الانساب • وللعرب كلف خاص بتدوين انسابهم حتى لقد يرتقون باسلافهم من جد الى جد حتى يبلغوا آدم ابا البشر مع ان من مرويات الحديث « لاتتجاوزوا عدنان بانسابكم » وقلما نجد شاعراً عربياً يخلو نظمه من مفاخرة بعشيرته

قال الفرزدق :

أُولئك ابائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا ياجريرُ المجامعُ

وقال النابغة الجعدي :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وقال سليم بن محرز :

وَعِشْرِينَ يَوماً لَهُ خلَتِ — أَقامَ على الرُّحْبِ والسَّعَةِ
وَقد أَحْكَما لِلوفاقِ الوثاقْ — قُبَيلَ حلولِ أَوانِ الفِراقْ
فَجَدِّيَ أَهداهُ أَبْهَى نِجادِ — تَوَشَّتْ بِبِرْفيرِها المُسْتَفادِ
وَجَدُّكَ كأْسَ نُضارٍ أَغرْ — إلى الآنَ في منزلي تُدَّخَرْ
وَإِنّي أَبي تيذِيسْ ما رَأَيتُ — وَلكنَّني عنهُ هذا رَوَيتُ
فَقَدْ كُنْتُ في المَهْدِلمَّا الأَخاءْ — بِثيبةَ بادَتْ وَمنها الإِساءَةْ
فَإِنّا تَرانا حَليفَيْ وِدادْ — وَما بَيننا لا يَحِلُّ الجِلادْ
فَأَنْتَ بِأَرْغُوسَ ضَيْفِي الجَليلُ — وَفي لِيقيا لكَ إِنّي نَزيلُ
كَفانِيَ ما في العِدى منْ رِجالْ — أَصُولُ عليْها فَتَلقى الوَبالْ
سَوَاءٌ بَنُو الخلْدِ ساقَتْ لِباسي — أَوِ اجْتَحْتُها مُسْتَطِيلاً بِنَفْسي
وَأَنْتَ كَفاكَ بِقَرْعِ البَلا — رِجالٌ تَرُومُ لَها مَقْتَلا

وعمي جبارٌ وجدي مالكٌ — هما رفعا البيت الطويل نصايبه
لنا واحلانا بارفع منزلٍ — من المجد لا يسطيعه من يطالبه

ومثله قول لبيد :

من معشرٍ سنت لهم اباؤهم — ولكل قوم سنة وامامها
لا يطبعون ولا تبور فعالهم — اذ لا يميل مع الهوى احلامها

ومع هذا فلم يعدم العرب في كل عصر شعراء يقولون قول ابن الوردي :

لا تقل اصلي وفصلي ابداً — انما اصل الفتى ما قد حصل

ومثله قول راكان شيخ العجمان الشاعر البدوي العصري *

يفتخر حاشاكْ بالعظم الرميمْ — مفخر البزّونْ باسبع الغشومْ

والبزون الهر

وَخُذْ لِلْوِفاقِ سلاحي دَليلا　　　وَهاتِ سلاحَكَ عَنهُ بَديلا
لِيُعْلَمَ أَنَّا نُراعي العُهُودْ　　　وَحُرْمةَ آبائنا والجُدُودْ »
هُناكَ تَرَجَّلَ كُلُّ فَرِيقْ　　　وَبَعْدَ التَّصافُحِ عَهْدٌ وَثيقْ
وَزَفْسُ غلوكُسَ رُشْدًا سَلَبْ　　　فَنالَ نُحاساً وَأَعْطى ذَهَبْ (١)
فَشِكَّتُهُ مِئَةٌ مِنْ عُجُولْ　　　تُساوي وَذِي تِسْعَةً لا تَعُولْ (٢)

---

(١) حبذا لو جعل الشاعر تلك المقايضة عن طيبة نفس وعلو جناب من غلوكس لا عن فقد رشد فلقد كان ذلك أليق بالمقام • على ان بعض الشراح فسروا سلب الرشد بترفع العقل وحبذا لوكان الاصل يجيزهُ لهم

(٢) لاتعول اي لاتزيد • انما عبر هوميروس بهذا التعبير عن الثمن لأنهم كانوا يتبادلون المتاع تبادلاً في ذلك الزمن فلم يكن لديهم نقود مسكوكة بل كانت توزن المعادن وزناً — لقد لقي هنا اعداء هوميروس مجالاً متسعاً للانتقاد عليه فولجوه من كل باب واطالوا البحث فيه بما يضيق دونه المقام وجل مستندهم انه لايعقل مع حموّ وطيس الوغى ان يقف فارسان بين الجيشين ثم يتجاذبان الحديث الطويل العريض فيقصان القصص ويتفاخران ويتخاطران والناس وقوف وقد عيلوا صبراً • نعم يصدق هذا الاعتراض على شاعر ينظم في هذا الزمان ولكنه لايخلو من التحامل على راوية روى احدوثة جرت قبل آلاف من السنين بين قوم هذه سنتهم • ولا نكاد نرى مؤرخاً او شاعراً قديماً الا أثبت تلك السنة • وهذه اخبار جاهليتنا وغزوات الاسلام الاولى ملأى بمثل هذه المخاطبات في المبارزات يتنافر في أثنائها المتبارزان ويتناشدان الاشعار • ولربما ادّى بهما ذلك التنافس الى التعارف والتحاجز كما جرى لغلوكس وذيوميذ • ومن امثاله ما ذكر ابن الاثير وغيره من المؤرخين عن بروز ابي حُمَيد عبد الرحمن بن عوف الرواسيّ بوقعة دير الجماجم اذ خرج اليه رجل من اهل الشام فقال كلٌ منهما متحمساً انا الغلام الكلابي فقال كلٌّ واحد لصاحبه من انت واذا هما ابنا عمٍّ فتحاجزا • كل هذا مع ما في حديث ذيوميذ وغلوكس من

سارَ هكطورُ حثيثاً وأتى　　بابَ إسكيةَ والزانُ ظليلْ

فتلقتهُ نساءٌ وبناتْ　　منهُ علماً تتقصّى سائلاتْ

عَنْ بنيهنَّ وإخوانٍ ثقاتْ (١)

الفوائد الجمة والآثار التي لاتخرج عن جادة السياق وان أتت بصورة معترضة يخفف من وطأة الانتقاد . ولا ريب ان المطالع يرتاح نفساً الى تلاوة شيءٍ من هذا القبيل بعد عناء المعارك المتصلة فيتهيأ للاتيان على الحلقة الباقية من حوادث هذا النشيد وهي حلقه صغيرة جمعت من وصف شعائر البشر رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً ما لم تحوه مخيلة شاعر في الوف الاشعار ولا وصفه كاتب في طويل الاسفار

(١) لابدعان تهرع النساء فيتهافتن حول الزعيم الاكبر وهو قادم من مواقف القتال. فهنَّ فوق ما فُطرن عليه من حب التطلع والتشوّف مفارقاتٌ بعولاً واخواناً وأقرباء واولياء لايسعهنّ الا استطلاع اخبارهم. وهي سنّةٌ لابد منها في كل عصر ومصر وعندنا من أمثالها ما لا يقع تحت حصر . من ذلك ما روى الواقدي وغيره عن خولة بنت الازور اذ خرج أخوها فيمن خرج من دمشق الى أجنادين أثناء فتوح الشام قال « فلما رجع القوم الى مكانهم اقبلت خولة على المسلمين وجعلت تسألهم رجلاً رجلاً عن أخيها »

وليس في الالياذة ذكر لولوج النساء معامع الحرب وان كنَّ شاطرنَ الرجال كثيراً من الاعمال كغسل الموتى واعداد المعدات واقامة الصلوات وربما استخففن بقفول كما سترى عما قليل في كلام ايقاب والدة هكطور او عنّفن على خمول كما سيأتي في كلام هيلانة عن زوجها فاريس ولم يكن بهن حاجة الى ما وراء ذلك اذ لم تكن رجالهم تقاتل في البيداء كما هي الحال في بادية العرب حيث تتبع النساء الرجال فتستنفر وتفزّع وتسقي وتداوي حتى لقد يجهزن على القتلى كما جرى لهنّ في بعض أيام العرب المشهورة كوقائع بكر وتغلب في حرب البسوس . وربما خضن بانفسهن ميدان القتال خفيةً وجهراً فقد رُوي ان خولة السالفة الذكر لما لم تقف لاخيها على أثر وعلمت انه اسير العدو تسلحت وتلثمت واندفعت متخفية في صدر الفرسان وكان من بأسها ما دُهش له خالد بن الوليد وسائر قواده . وفي روايات العرب اخبارٌ

وَبُعُولٍ وَأَخِلاَّ فَأَمَرْ　　أَنْ يُبَادِرْنَ عَلى ذَاكَ الأَثَرْ
وَيُصَلِّينَ لأَرْبابِ البَشَرْ

عَلَّها تَدْفَعُ عَنْهُنَّ الأَذى　　وَلِزاهي قَصْرِ فِرْيامَ مَضى
هُوَصَرْحٌ شِيدَ بالنَّحْتِ الجَمِيلْ　　فَوقَ أَبْوابِ رِواقٍ مُسْتَطِيلْ
ضِمْنَهُ صَفٌّ بَدِيعُ المَنْظَرِ　　غُرَفٌ قَدْ بُنِيَتْ بالمَرْمَرِ
كُلُّهاخَمْسُونَ مُلْسُ الحَجَرِ

لِبَني فِرْيامَ شِيْدَتْ مَضْجَعا　　وَثَوَتْ أَزْواجُهُمْ فيها معا
وَيُحاذِيهِنَّ صَفٌّ رُفِعا

يؤخذ منها ان كثيرات من نساء حمير والتبابعة كن في الجاهلية يركبن ركوب الفرسان ويقاتلن ويغزون ويهاجمن ويدافعن اتى الواقدي على ذكر عجائز من بقاياهنَّ رافقن جند المسلمين في صدر الاسلام الى الشام وكنَّ لامتناع السلاح عليهن يأخذن اعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ويقاتلن بها قتال الفارس المقدام . وكنَّ اذا انهزم رجالهنَّ وقفن في وجوههم وارجعنهم على أعقابهم بكل وسيلة لينةً كانت او فظة وكن يعنفنهم وينشدنهم الشعر ويقلنَ لهم لستم ببعولة لنا ان لم تمنعوا عنا ومن قولهن في بعض تلك المواقف :

نحن بنات طارقِ　　ان تغلبوا نعانقِ
او تدبروا نفارقِ　　فراق غير وامقِ
هل من كريم عاشقِ　　يحمي عن العواتقِ

ونُقلت عن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بعض أخبار على هذا النمط قبل اسلام زوجها وبعده . ففي غزوة احد شتمت زوجها لتقاعدهِ عن صد المسلمين . ثم لما اسلم وكان في الشام في جند خالد قابلته وهو منهزم فضربت وجه حصانه بعمودها واسمعته الكلام المؤلم

فيهِ بالإيناسِ والرّغْدِ ثوى　　مع كُلّ أبنَةِ الصهرُ الحليل[1]

لبَناتِ المَلكِ شيدَ أثنا عشرْ　　منزلاً طرًّا بمصقولِ الحجرْ

بسقُوفٍ شائقاتٍ للنظرْ [2]

وعلى الجملة فقد كان لنساء العرب في الحرب شأن لم يكن لنساء الاغريق ومن وليهم • واما ما جاءَ في الالياذة وغيرها من كتب اليونان عن الامازونة فانما هو حادثة منفردة في بابها سيقت النساءُ فيها الى الحرب بحكم الاضطرار لتلاشي الابطال وانقراض الرجال فلا يبنى عليها قياس

(١) ان اقامة الاصهار في بيوت الاحماء من الامور القديمة المألوفة في كل الملل فان يعقوب أقام في منزل حميه لابان • والدمُّون بن عبد الملك الحضرمي تزوج الى ثقيف في وجّ (الطايف) وأقام بينهم وصار منهم وهلمّ جرًّا

(٢) قد يقف مطالع الشعر عند دقائق ليست من لوازم النظم ومع ذلك فان نفسه تتطلع الى استجلائها • فاذا كان الناظم دقيق الفكرة بعيد النظر دوّنها وكفى القارىء مؤونة الحدس والتخمين • فهنا قصر ملك كبير ورد ذكرهُ في الالياذة فوصفه الشاعر بكلمات رسمت صورته في الذهن وملأَت ذلك الفراغ • وهي مزية يسؤنا ان شعرنا العربي يوشك ان يكون غفلاً منها لشغف اصحابنا بالشعر الصرف والايغال في ضروب الخيال بما لايتسع معه المجال لهذه الحقائق • خذ مثلاً القصور والمعاقل والحصون الوارد ذكرها في شعر العرب فغاية ما تعلم عنها انها بديعةٌ منيعةٌ متينةٌ حصينة ولا تكاد تعلم شيئاً عن موقعها ووضعها واتساعها وهيئة بنائها ومادتها واذا ورد شيءٌ من ذلك فانما يكون بوضع مجمل واسلوب مبهم لايصحّ أن يؤخذ منه رسمٌ صادق • ويطلق هذا الكلام على اكثر ما جاءَ في كلام العرب من هذا الوجه سواءٌ ورد على طريق العرض كقول المخبل السعدي في المشقّر :

ولئن بنيت لي المشقر في　　هضب تقصّر دونهُ العصمُ

لتنقّبن عني المنية إ　　ن الله ليس كحكمه حكمُ

وقول أوس في ريمان :

ولو كنتُ في ريمان يحرس بابه　　اراجيل احبوش واغضفُ آلفُ

ثمَّ هكطورُ إلى الدّارِ ارْتقى　　　حيثُ بالأمِّ على الفورِ التقى
عجِلاً تمضي إلى لاوُوذِقا
أجملِ الغاداتِ في ذاكَ الفنا　　　فعليهِ أقبلتْ توًّا تميلْ
أمسكتْهُ بيدٍ وهيَ تقولْ :　　　وعلامَ الآنَ غادرتَ السهولْ (١)
وإلينا عُدتَ تبدو بقفولْ

اذاً لأَتتني حيث كنت منيتي　　　يخب بها هادٍ الي الموت قائفُ
اوكان مقصوداً بالذات كقول السموأل في الابلق :
بنى لي عاديا حصناً منيعاً　　　وماءً كلما شئت استقيتُ
وأوصى عاديا يوماً بان لا　　　تهدّم يا سمؤالُ ما بنيتُ
وقوله في موضع آخر :
لنا جبلٌ يحتلهُ من نجيرهُ　　　منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ　　　يعزّ على من رامهُ ويطولُ

وكم من شاعر تغنى بذكر الخورنق والسدير قصري الملك النعمان في العراق • وصرح الغدير لبني غسان بالبلقاء • وقصر غمدان للملك شرحبيل الحميري في اليمن • ومارد والابلق حصني السموأل • ولكن من لنا باستخراج رسم تلك المباني من شعر الشعراء • وقد بسطنا الكلام على هذا الاغفال واسبابه في المقدمة فلا حاجة الى الاعادة

(١) ألا ترى من هذا الكلام ان النساء كن احرص على شرف ذويهن منه على حياتهم • اولا ترى من امساك ايقاب والدة هكطور بيده ومخاطبتها له بنوع من التعنيف انها انما استغربت قفوله مع كل شوقها اليه وحنانها عليه • لم تكن أمهات ذلك الزمان أقل حناناً على بنيهن من أمهات أيامنا ولكنهنَّ كن على رقة عواطفهن ذوات صبر تقتضيه لوازم الخشونة في المعيشة وأنفة تستلزمها المنافسة بسمو أفعال الرجال ممن يتمي اليهن ويتمين اليه • وليس في كلام ايقاب من سمو المرمى فوق ما يروى لكثيرات من نساء العرب — ذهبت الخنساء بنفسها مع بنيها وهي عجوز لما سار المسلمون لفتح فارس فحضرت وقعة القادسية (في خلافة عمر) • فشددتهم

آهِ ما أَذهى الأَغاريقَ الأُولى دَهمُونا بعَدَّاتِ البِلى
إِنما أَعلَمُ تبغِي عجَلا

تَرتَقِي مِنْ قُمَّةِ البُرْجِ الذُّرى حيثُ تدعُو زفَسَ للخَطْبِ الجَليلْ
فَأَستَرِحْ حِيناً وَبالرَّاحِ اعُوذْ لتُزَكِّيها لأَرْبابِ الخُلُودْ
ثُمَّ تُسقَى فَهْيَ رَيحانُ الكُبُودْ

تُنْهِضُ العَزْمَ وَتَفْنِي التَّعَبا بِقُوَاكَ العَيُّ أَدْرِي ذَهَبا [1]
بذِيادٍ عَنْ رِفاقٍ نُجُبا »

وقالت : « اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون • فاذارأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها • وجللت ناراً على أرواقها • فتيمموا وطيسها • وجالدوا رئيسها • فتظفروا بالمغنم والكرامة • في دار الخلد والمقامة » • فتقدموا واحداً بعد واحد ينشدون اراجيز يذكرون فيها وصية الخنساء حتى قتلوا عن آخرهم وكانوا أربعة • فلما بلغها الخبر قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في مستقرّ الرحمة » (الاغاني وابن زيدون ودائرة المعارف)

(١) هذا مذهب الجم الغفير من الناس ومنهم ماربولس القائل : « قليل من الخمر يفرح قلب الانسان » قال لبيد :

تجور بذي اللبانة عن هواه اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح اذا امرّت عليه لما له فيها مهينا

وقد ابتذل العرب الشعر في وصف الخمرة ومنافعها حتى دوّنت فيها الاسفار كحلبة الكميت وخمريات ابي نواس مع قولهم بعد الاسلام بتحريمها • وكأنهم اتخذوا ما يجد البعض من لذتها في هذه الدنيا مع القول بتحليلها في الآخرة وسيلة الى التسامح بالتهافت على مدحها حقيقةً كما هو شأن المدمنين ومجازاً كما سلك ابن الفارض وغيره من المتصوفة • ومع هذا فقد ذهب كثيرون من الشعراء مذهب هكطور بذم الخمرة كقول بعضهم :

قالَ : « يا أُمّاهُ تَنحطُّ القُوَى　　بأُرْتشافي الآنَ شَهْدَ السلْسبيلْ [(١)]

وكذاكَ النَّذْرُ حتْماً حُرِّما　　بيَدٍ دَنّسَها سَفْكُ الدِّما

أَيجيزُ النَّذْرَ لي زفْسُ كَما

أَنا مَخضوبٌ وغشّاني الغُبارْ　　فبدارِ الآنَ في الحالِ بدارْ [(٢)]

وأُقصُدي هيكلَ فالاسَ المزارْ

فهيَ المَلْجا لها النَّصْرُ انْتمى　　وأُضحّي الغاداتِ والطيِّبَ الثّقيلْ

وأَحْمِلي أَغلَى وأَعْلَى بُرْقُعِ　　لكِ في القَصْرِ العَظيمِ الأَرْفَعِ

وعلى رُكْبتِها فيهِ ضَعي

وأُنْذري أَنْ تَرْجِعي مُبْتَدِرَهْ　　بالضّحايا الغُرِّ ثِنْتَيْ عشَرَهْ

من تِباعٍ بُكْرٍ مُدَّخَرَهْ

إِنْ تشأْ أن تَدرأَ اليومَ الأَذَى　　وعِثارَ الوُلْدِ والأَهلِ ثقيلْ

تركت النبيـــذ وشرّابهُ　　وصرت صديقاً لمن عابهُ

شراب يضل سبيل الهدى　　ويفتـح للشرّ ابوابـهُ

اما قول هكطور «يا أمّاه تنحط القوى بارتشافي الآن شهد السلسبيل» فالظاهر اما انه كان يعتقد ذلك اعتقاداً يوافقه عليه العدد الوافر من اطباء الابدان فضلاً عن اصحاب الاديان واما انه قال ذلك بالنظر الى حالة موقفه وعيّه ورغبته في سرعة الاياب • ولم يكن له على كلتا الحالتين ان يلهو بشرب الراح وهو مخضب بدم القتلى ومعفّر بغبار الكفاح

(١)　اي السلسبيل الحلو كالشهد

(٢)　طهارة الاجسام واجبة كطهارة البواطن في كثير من الاديان القديمة والحديثة فبطلانهـا يفسد الصلاة والضحية بل ويمنع الاجر والنذر كما يستفاد من كلام هكطور • وقد زعم بعض الشراح ان القول بغسل الدم قبل التضحية وما ماثلها من

وَرَأَتْ تَدْفَعُ عَنْ قُدْسِ البِلادْ فَرْعَ تِيذِيُوسَ رَوَّاعَ العِبادْ
بَطَلَ الهَوْلِ وَهَدَّامَ العِمادْ (١)

فَاذْهَبِي أَنْتِ وَلُوذِي بِالتُّقَى وَأَنَا فَارِيسَ أَدْعُو لِلِّقَا
عَلَّهُ يَسْمَعُ نُصْحاً صَدَقَا

آهِ لَوْ تَدْفَعُهُ الأَرْضُ إِلَى جَوْفِهَا أَشْفِي مِنَ النَّفْسِ الغَلِيلْ

آفَةً أَوْجَدَهُ زَفْسُ لَنَا عِلَّةً حَتَّى يَزِيدَ الشَّجَنَا
أَنَا إِنْ يَهْلِكْ يَزُلْ عَنِّي العَنَا » (٢)

لَبَّتِ السُّؤْلَ وَصَاحَتْ بِالجَوَارْ لِيُنَادِينَ نَبِيلاتِ الدِّيَارْ
وَأَتَتْ غُرْفَتَهَا حَيْثُ اسْتَطَارْ

عَابِقُ الطِّيبِ وَمَنْشُورُ الشَّذَى فَوْقَ أَزْرَ ارْزَانِهَا الوَشْيُ الجَمِيلْ

نَسَجَتْهَا غِيدُ صَيْدَا نُقُبَا وَالفَتَى فَارِيسُ مِنْهَا جَابَا
عِنْدَ مَا هِيلانَةً قَبْلُ سَبَى (٣)

العبادات يشير الى تحريم القتل ولو كان الامر كذلك لما عُدَّ غيره من المدنسات كما يستفاد من كلام هوميروس في عدة مواضع

(١) اعاد هكطور على امه كلام اخيه هيلينوس

(٢) أتى هكطور ليقضي مهمة واحدة فقضى ثلاثاً اولاها انفاذ وصية هيلينوس والثانية دفع فاريس الى الحرب والثالثة وداع امرأته وطفله وكل ذلك بسرعة الهمام الحزوم الذي لا يغفل امراً واجباً ولا يضيع لحظة لا يجني منها فائدة لنفسه او لبني جنسه

(٣) صور وصيدا مشهورتان في العهد القديم بحسن الصناعة واتقان المنسوجات من لباس ورياش وكانت لهما علاقة متصلة مع بلاد اليونان وللنساء فيهما مهارة بالنسج

فأنتقت مقنعةً قد وضعتْ   فوقها مثلَ الدَّراريْ سطعتْ
وفرتْ ألوانها واتَّسعتْ
ومضتْ إيقابُ في جلِّ النسا   تقصدُ المعبدَ في البرجِ الأثيلْ

وثيانو بنتُ كيسيسَ الصفيّ   زوجُ أنطينورِ الفارسِ في
عجلٍ قامتْ إلى البابِ الخفي
فتحتْهُ إذ لتلكَ الربَّةِ   جعلتْ كاهنةً عن ثقةِ (١)
فرفعنَ اليدَ بالولولةِ
نحوَ فالاسَ وسلَّمنَ الردا   لثيانو ربَّةِ الخدِّ الأسيلْ

فلها ألقتْ بهِ فوقَ الرُّكَبْ   ودعتْ طالبةً درءَ النُّوَبْ:
« يا ذِمارَ الدّار يا كلَّ الأربْ
إسحقي رمحَ ذيوميذَ الألدْ   واصرعيهِ عندَ أبوابِ البلدْ
فنضحّي لكِ إنْ تحمي الولدْ

والخياطة والحياكة — سبي فاريس هيلانة من اسبرطة وليست صيدا على طريق الذاهب منها الى بلاد الطرواد على ان بعض الرواة (وعنهم روى هوميروس) يذهبون انه لم يسلك الطريق العدل خوفاً من ان يظفر به الاغريق اذا تتبعوه فأتى فينيقية وبلغها ليلاً فسبى ونهب ثم انقلب راجعاً . وذهب فريق من المؤرخين الى انه عاد توّاً ولم يعرج على مكان . ومن رأي بعض علماء العصر ان صيدا هذه غير صيدا السورية بل بلدة اخرى بهذا الاسم كانت على ساحل البحر الاحمر

(١) كانت الكهانة للنساء عند اليونان كالرجال وان كنَّ أقل عدداً . وللرومان كاهنات مشهورات كالكيبلات . ولقد تعاطين الكهانة أيضاً عند العرب واشهرهنّ طُرَيفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر التي انبأت بانفجار سد مأرب

وَنِسانا مِنْ تِباعٍ تُنتقى بِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بِالشُّكرِ الجزيلْ»[1]

هَكذا كانَ الدُّعا لكنْ أبي لِرَجاهُنَّ استماعُ الطَّلَبِ
إنَّما هكطورُ لمْ ينقلبِ

بَلْ سعى يجري إلى الإسكندرِ حيثُ وافاهُ بقصرٍ أزهرِ
شادَهُ قُرْبَ المقامِ الأكبرِ

حيثُ فِرْيامُ وَهكطورُ ثوى في أعالي قمَّةِ البُرْجِ الطَّويلْ

شادَهُ أمهرُ أرْبابِ الحِرَفْ بِرِواقٍ عرصاتٍ وَغُرَفْ
فإليْهِ فيهِ هكطورُ أزْدَلَفْ

وسيل العرم وما لبثت نبوتها ان تحققت . وهي التي استخلفت شقًّا وسطيحاً يوم أشرفت على الموت فدعت بهما وتفلت في فيهما وأخبرت انهما سيخلفانها . ومنهنّ الزرقاء بنت زهير التي استشارها بنو خزيمة لما نزلوا هجر فقالت : « مقام وتنوخ . فأولد مولود ونقفت فروخ . الى ان يجيء غراب أبقع . أصمع انزع . عليه خلخالا ذهب . فطارفا لهب . ونعق فنعب . يقع على النخلة السحوق . بين الدور والطريق . فسيروا على وتيرة . ثم الحيرة الحيرة » . قال صاحب الاغاني (١١ : ١٦٢) فسميت تلك القبائل تنوخ لقول الزرقاء ثم لما تمت نبوتها ارتحلوا من هجر الى الحيرة . ومنهن زبراء الكاهنة وسلمى الهمدانية وعفيراء الحميرية

وللعرب أيضاً حكيمات مشهورات كانوا يأتمرون بامرهنّ ويستشيرونهنّ في المعضلات كصخر بنت لقمان وهند بنت الحسن وجمعة بنت حابس وابنة عامر بن الظرب وغيرهنّ

(١) كان هيلينوس يعلم بعرافته ان ذيوميذ من موالي أثينا فلم يوعز الى هكطور الا ان يستميل أثينا فيحملها على دفعه دون صرعه . وبلّغ هكطور الرسالة بلاغ الرسول الامين . اما النساء فلما أشير اليهن بذلك لم يقفن عند هذا الحد بل

بِقَنَاةٍ حَدُّها القاري اُنْتَشَرْ   بَلَغَتْ طُولاً ذِراعاً وَعَشَرْ
وَعَلَيْهَا فَتْخَةُ التِبْرِ الأَغَرْ (١)

فَلَدَيْهِ ثَمَّ فارِيسُ بَدا   يَصقُلُ الشِّكَّةَ والدِّرْعَ الصَّقِيلْ
عِندَهُ هِيلانَةٌ بَيْنَ الإِماءْ   تُنفِذُ الأَمْرَ بِحِذْقٍ وَاعْتِناءْ
قالَ هَكطُورُ : « أَيا أُسَّ البَلاءْ
بِئْسَ ما أَفْرَغْتَ مِنْ هٰذا الغَضَبْ   وَالاعادِي بَلَغَتْ مِنَّا الأَرَبْ
ثارَتِ الحَرْبُ وَأَوْلَتْنا الحَرَبْ
أَنْتَ لَوْ خِلْتَ فَتًى عَنْها اُنْتَوى   سُمْتَهُ التَّعْنِيفَ بِالسَّيْفِ السَّلِيلْ
كُرَّ أَوْ لا فَأَعادِينا الثِّمالْ   تُضرِمُ الحُصْنَ وَتَجْتاحُ الرِّجالْ » (٢)

تمادى بهنَّ الكيد الى الدعاء بسحق رمح ذيوميذ والقائه صريعاً وهو تمثيل بديع لفطرتهنَّ نتحاشى الاطالة في وصفه . وحسبنا كلام احدى نوابغهن عقيلة داسيه مترجمة هوميروس قالت : قلما يعتدل النساء بدعائهن على اعدائهنَّ ولذا قليلاً ما يستجاب لهن دعاءٌ » وهو لاشك تحاملٌ لطيفٌ منها على بنات جنسها

(١) الفتخة الحلقة

(٢) كان هكطور عالماً ببواطن فاريس وبوادره عارفاً كما عرف سائر الجند انه اعتزل الكفاح مضطرّاً ابغلبة منيلاوس ومع هذا فلم يفه بكلمة تذكره بسابق فشله بل كلمةً بما يشف عن اعتقاده ان فاريس ساخط على قومه فاعتزلهم حقداً عليهم فغادر تعنيفهُ عماجني وعنفهُ على ما لم يجن نخفف عنه وطأة الخجل ونال منه ما امل . وهيأ بنفسه استرضاء الجيش بعودة فاريس على أهون سبيل . وهذا دهاء من هكطور اتفق الشراح على استحسانه وهو مثال صالح للمؤدب والخل النصوح يعلمان منه ان التعنيف الفظ وكشف مواقع الضعف قد يؤديان الى ما لا يحمد مع ان التونيب اللطيف الذي لا يكسر شوكة الاحساس ولا يزيل حجاب الحياء يؤدي الى المطلوب

قالَ وَالأَرْبابَ حاكى بالجمالْ :

« بِمَلامي قَدْ أَصَبْتَ الغَرَضا   فَاتَّخِذْ قَولِيَ صِدْقاً فُرِضا

أَنا لَمْ أَحنَقْ بَلِ اخْتَرْتُ الرِّضا

إِنْ أَكُنْ غادَرْتُ كَرَّاتِ الوَغى   فَلِكَيْ أَصلى لظى قَلْبي العَليلْ

زَوْجيَ الآنَ أَلانَتْ لِي المَقالْ   تَبْتَغي عَوْدي إِلى دارِ النِّزالْ

صَدَقَتْ ظَنّي وَالحَرْبُ سِجالْ

فَانْتَظِرْني الآنَ اشكُكْ في السِّلاحْ   أَو تَقَدَّمْني إِذا شِئْتَ الرَّواحْ

فَأُوافيكَ سَريعاً لِلْكِفاحْ » (١)

صامتاً هكطورُ ذا القولَ وَعى   وَنَدا هيلانَةٍ شَهْداً يَسيلْ :

« آهِ هكطورُ أَخي كُلُّ الشُّرُورْ   والرَّزايا الدُّهْمُ مِنْ أَجْلي تَثُورْ

آهِ لَو كانَتْ رَحى الرِّيحِ تَدُورْ

يَومَ ميلادي وَتَيّارُ الأُوارْ   لِلْجِبالِ الشُّمِّ بي كالطَّيْرِ طارْ

أَو رَمى بي فَوقَ أَمْواجِ البِحارْ

قَبْلَ أَنْ أُخْذَلَ مِنْ دُونِ المَلا   وَأُعاني ثِقْلَةَ الخِزْيِ الوَبيلْ » (٢)

باقرب السبل واقوم المسالك

(١) تناسى هكطور خيبة أخيه والتمس له عذراً لتقاعده كما تقدم فهب فاريس على الأثر مضطرماً بنار الحمية لملافاة ما فات

(٢) لا نسمع كلمة لهيلانة ولا نرى لها حركة الا وملؤها الندم الممزوج برقة الاحساس فتتمحل لها عذراً بالقاء تبعة ما جنت يداها على القضاء المحتوم • وحسبنا

إِنَّ هذَا قَدَرُ الأَرْبَابِ فِي ... حُكْمِها لكنها لَمْ تُنْصِفِ

كانَ أولى أنْ تُراعي شَرَفي

فَيكونَ الآنَ لي بعلٌ أَشَدْ ... كاشِفُ العارِ وَدرَّاءُ الشِّدَدْ

إِنَّ فارِيسَ هوَى النَّفْسِ اعْتَمَدْ

سَوفَ يلْقى شَرَّ أَعْمالٍ جَنَى ... وَأَرى الإِصْلاحَ أَمْرًا مُسْتَحِيلْ

فَاسْتَرِحْ حِيناً فَأَنْواعُ العَنا ... شَمَلَتْكَ الآنَ مِنْ شَرِّي أَنا

وَشَجَا فارِيسَ زَادَ الشَّجَنا

هكذا زَفْسُ علَيْنا قَدَّرا ... لِنَظَلَّ الدَّهْرَ هُزْءاً للوَرى »

قالَ : « يا هيلانَةً لَسْتُ أَرَى

لِيَ عَنِ الجَرْيِ إِلَى القَوْمِ غِنى ... ما لَهُمْ عَنِّي إِذا غِبْتُ بَدِيلْ

حَرِّضي زَوْجَكِ أَنْ يَلْحَقَ بي ... وَأَنا أَمْضي لِقَصْرِي الأَرْحَبِ

لأَرى فِيهِ أَعَزَّ النَّسَبِ

بتمنيها الموت والاحتجاب عن عالم الوجود دليلاً على شدة بؤسها وفرط غمها . تلك حاسة فطرية في من برّحت به تصاريف الزمن أو خالها انتابته وهي بعيدة عنه . مثال الاول قول أيوب الصديق : « لا كان نهار ولدت فيه ولا ليل قيل فيه قد حُبِل برجل ليكن ذلك النهار ظلاماً ولا رعاه الله من فوق ولا أشرق عليه نور ... لِمَ لم أمت من الرحم ... لما ذا صادفت ركبتين تقبلانني وثديين ترضعانني الخ » (أيوب ٣:١) ومثال الثاني ماجاءَ في القرآن عن لسان مريم عليها السلام « ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيًا » وربما صدق على المثالين قول الشاعر الفارسي

مرا أي كاشكي مادر نميزاد ... وكرميزاد كس شيرم نميداد

ومعناه ليت أمي لم تضعني أو اذا ... وضعتني ليتني لم أُرضعِ

زَوْجَتي حيناً وَطِفلي المُرْضَعا   لَسْتُ أَدري هل قُضِيْ أَنْ أَرجعا
أَوْ يدُ الإِغْريق تَفْري الأَضْلُعا »
ثُمَّ جَدَّ السَّيرَ لِلقصرِ على   عَجَلٍ يلقاهُما قبلَ الرَّحيلْ (١)

خابَ ما أَمَّلَ إِذْ لَمْ يَجِدِ   زَوْجَهُ الحَسْناءَ بَيْضاءَ اليَدِ
فَهيَ مَعْ جارِيةٍ وَالوَلَدِ
ذَهَبَتْ تَرْقُبُ بالبُرْجِ الأَثرْ   تُصْعِدُ الأَنْفاسَ عَنْ هامي العِبَرْ
داسَ بالأَعْتابِ وَاقْتَصَّ الخَبَرْ : (٢)
«أَينَ يا هذي النِّسا قُلْنَ لَنا   أَنْذرُوماخُ مَضَتْ أَيَّ قَبيلْ

(١) شرع الشاعر هنا في سرد تلك الرواية الفريدة في بابها عن وداع هكطور لزوجته انذروماخ . ولقد أفاض الكتبة في تبيان محاسنها بما يضيق دونه مقامنا حتى لقد أفرد لها بعضهم المؤلفات الحسان وابدوا في كتاباتهم من الملاحظات ما لم يبق معه مجال للاسهاب نخص منها بالذكر رسالة رولين (Rollin) Traité des études. ولا بدع فهذه الرواية على تقادم عهدها لاتزال الطراز المعلم يتوخى الكتبة ادراك شأوه في كل زمان ومكان . وهي مع كل ما كتب عنها من الشروح والحواشي غنية عن كل شرح وبيان وما على المطالع اللبيب الا أن يتصفحها حتى يستجلي بنفسه جميع محاسنها بلا مرشد ولا دليل — وهوميروس كسائر عظام الرجال ونوابغ العقل والكمال تطاولت اليه يد كل منتقد حسود وعدو لدود على ان المتشيع له والمتفاني في تخطئته اضطرا هنا معاً الى الانحناء هيبةً ووقاراً لجلال هكطور وكمال انذروماخ

(٢) أي توطئة اجمل من هذه التوطئة للقاء الزوجين فهو يسعى متقصياً كالبرق الخاطف غير لاهٍ عن دواعي الذود عن الوطن لايطمع الا في التزود بنظرة قبل الهلاك وهي تجري مخلوبة الفؤاد تستطلع من المشارف غير عابئة بتهافت نسوة البلاد الى المعبد فكأنما زوجها معبودها الاعظم لامطمع لها في الدنيا والآخرة الا بسلامته وسموّ مكانته

هلْ إلى بعضِ بيوتِ الأَخَواتْ أو نساءِ الإخوةِ المُستعصماتْ
أَوْ إلى الهيكلِ تلقي الدَّعواتْ
معْ بناتِ الحيِّ تبغي المَددا حيثُ يستمدِدْنَ بالدَّمعِ اليدا
مِن أثينا خوفَ كرَّاتِ العدى»
قلنَ: «لمْ تذهبْ إلى الأهلِ ولا ذهبتْ قلبَ أثينا تستميلْ
قد بغيتَ الحقَّ والحقُّ يقالْ فهيَ في السُّورِ ببلبالٍ وبالْ
علمتْ في قومِنا حلَّ الوبالْ
فرأيناها جرتْ نحوَ الحصونْ جريَ منْ داهمهُ مسُّ الجنونْ
تصحبُ المرضعَ والطفلَ الحنونْ»
فانثنى هكطورُ من حيثُ مضى وعلى الفورِ جرى والصبرُ عيلْ(١)
بينَ أسواقٍ بمرصوفِ البنا أسرعَ السَّيرَ وللبابِ دنا
فهنا زوجتهُ ذاتُ الغنا
بنتُ إيتيونَ الشَّهمِ الأبرْ (منْ بإيفلاقيا ذاتِ الشَّجرْ
قبلُ في ثيبا تعلَّى واستقرْ
والكيليكيِّينَ بالعدلِ رعى) أقبلتْ تصرخُ بالقلبِ الذَّليلْ

(١) لم يثبط هكطور شغفه بامرأته عن ادّكاره حرج موقفه ووجوب عودته فوراً فانثنى من حيث أتى متصبراً • ولم يضع الوقت بالبحث عنها ثم جمعته بها الصدفة دون زيادة التحري ولا يخفى ما في ذلك من تنبه الشاعر الى توفية حقوق الهمم الشماء والعواطف الغراء في آن واحد

مَعَها المُرْضِعُ والطِّفْلُ الرَّضيعْ ساطعاً بالحُسْنِ كالنَّجْمِ البَديعْ
أَسْتِيا ناساً يُسَمِّيهِ الجَميعْ (١)

إِذْ أَبُوهُ ذَادَ عَنْهُمْ أَجْمَعا إِنَّما هَكْطُورُ وَالبِرَّ رَعى
إِسْكَمَنْدَرْيُوساً الطِّفْلَ دَعا (٢)

فإِلَيْهِ باسِماً سِرًّا رَنا وَانْبَرَتْ زَوْجَتُهُ الدَّمْعَ تَهِيلْ:

«ياشَقِيَّ البَخْتِ ذا البَأْسِ الوَخيمْ سَوفَ يُلْقِيكَ بِلُجَّاتِ الجَحيمْ
وَلِيَ الإِرْمالُ والطِّفْلُ يَتيمْ

سَوفَ تَلْقاكَ جَماهِيرُ عِداكْ وَتُلَقِّيكَ مَضاضاتِ الهَلاكْ
فَلِمَنْ أَبْهِى إِذا مُتَّ سِواكْ

آهِ لَو أُلْقَى إِلى جَوفِ الثَّرى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلى الأَرْضِ قَتيلْ

---

(١) استياناس أي ملك المدينة . كذا دعا الطرواد المولود اعترافاً بفضل الوالد

(٢) اسكمندريوس نهر طروادي كان من جملة معبوداتهم ويدعى أيضاً زنتس أي الاصفر لصفرة مائه ويقال له الآن « قرق كوزلر » أي الاربعون عيناً . سمى هكطور ابنه باسمه تبركاً به — انه لامر طبيعي في كل ملة ان يرمى بالاسماء الى مغامز مقصودة او آلهة معبودة أو صفات محمودة أو رجال معدودة . وقد جرى العرب جرى غيرهم فقالوا عبد اللات وعبد العزّى وعبد مناف وعبد شمس . وعلي وعباس وهمام وهلمّ جرًّا على انهم تفردوا بامر قلّ من جاراهم فيه وهو التسمية بمستقبح الاسماء ككلب وكليب وذئب وذويب وضبع وضبيعة وزبالة ومرار . ولقد تأول الناس في ذلك تأويلات مختلفة أحسنها ما رُوي من حديث اعرابي اذ سئل فقيل له لماذا تسمون عبيدكم باحسن الاسماء كجوهر ومرجان ولؤلؤ ومسرور وابناءكم باقبحها كغضبان ومرار وكلب وذئب فقال : عبيدنا لنا وابناؤنا لاعدائنا

إنْ تَموتَنَّ الأَسى يخْلُدُ لي وَعنا النَّفسِ وَدَمعُ المُقَلِ
لاأبٌ أَسلُو بهِ لا أُمَّ لي
فأَبي آخيلُ ذُو البطشِ قَتَلْ عندماثيبا الـكِليكيّين حَلْ (١)
إنّما الأَرْبابُ أَوْلَتْهُ الوَجلْ
فارْعَوى منقلباً عمّا نوى ولحُرِّ السَّلْبِ لَمْ يَبْغِ سبيلْ

أَحرَقَ الجُثّـةَ في شكّتها ثمَّ واراها إلى تُرْبَتِهـا
في ضَريحٍ شادَ في جيرَتِها (٢)
حَولَهُ غِيدُ الجبالِ الشّامخاتْ نَسلُ رَبِّ التُّرْسِ سحّاقِ الرُّفاتْ (٣)
قَدْ غَرَسْنَ الدُّلْبَ حبّاً بالمُماتْ

(١) لمـا كان أخيل موضوع الالياذة ترى الشاعر يبرزه حيناً بعد حين أثناء احتجابه بمظاهر كلها عظيمة حتى لايغيب عن ذهن السامع بل يزداد تشوقاً الى رؤيته وتشوقاً الى احقاق الخبر بالخُبر

(٢) احراق الجثة بسلاحها دليل على الرعاية والاحترام وخصوصاً لان غاية مفخر الابطال في ذلك الزمن احراز اسلاب القتلى • وأعظم من ذلك دليلاً على اجلال اخيل لقتيله أبي اندروماخ بناؤهُ له ضريحاً وهو عندهم الغاية والنهاية في الاكرام والتجلّة

(٣) كانوا يعتقدون بوجود بنات حسان في قعر البحار وفوق الجبال القفرة ووسط الغاب والآجام وربمـا اطلقوا اسم بنات الغاب على بنات الجبال في بعض الترجمـات • وهن جميعاً من المخلوقات المؤلهة • واعتناؤهن بزرع الشجر حول ضريح ميت دليل على علو مكانته

إِخْوَتي سبْعَةُ أَبْطَالٍ كَذَا دَفْعَةً بادُوا وما لي مِنْ خَلِيلْ
ذَلِكَ القَرْمُ دهاهُمْ في الحُقُولْ بَيْنَ أَسْرَابِ شِياهٍ وَعُجُولْ
وَانْثَنَى مِنْ بَعْدِ ذا الخَطْبِ يَصُولْ
وَلأُمّي الأَمْرُ بالحُكْمِ خَلا فَتَقَفَّاها لِتَعْمِيمِ البَلا
ساقَها لِلأَسْرِ في ما أَرْسَلا
أُجْزِلَتْ فِدْيَتُها لَكِنَّما ارطَمِيسُ أُتْبِعَتْ شَرَّ أَخِيلْ
رَشَقَتْها بِسِهامِ الغَضَبِ (١) أَنْتَ أُمّي وَأَخِي أَنْتَ أَبي


ارطميس

(١) اي انها لم تلبث ان ماتت — كانت أرطميس (Αρτεμις) ويسميها اللاتين ديانا (Diana, Diane) ربّة العفة والطهارة والقنص. وكانت ترمي النساء بنبالها فتقتلهنّ كما كان اخوها افلون يرمي الرجال . ويُرمز عنها بالقمر كما يُرمز عن افلون بالشمس . ذكرها هوميروس مراراً . وهي موالية للطرواد وقاتلت في من قاتل معهم من الآلهة كاسيجيء . كانوا يمثلونها بعذراء طويلة القامة متردية بثوب قصير والى جانبها غزالة اوكلب وكثيراً ما كانوا يرسمونها

أَنتَ بَعلي أَنتَ كُلُّ الأَرَبِ

أَنتَ كُلُّ الأَهلِ لي إِذ أَنتَ حَي　　آهِ فارحَمْ وَانعَطِفْ رِفقاً عَلَي

آهِ فارفُقْ بي وَبالطِّفلِ لَدَي

(أَنا لا أَطمعُ أَنْ تَأْبى الوَحى　　وَعَنِ الهَيجاءِ جُبناً تَستَقيلْ

إِنَّما أَرغَبُ أَنْ تَحْمي الذِّمارْ　　وَتَقي نَفسَكَ مِنْ شَرِّ البَوارْ)

فَهُنا السُّورُ تَداعى لِلدَّمارْ

فَبَغاهُ كُلُّ ذي عَزمٍ وَباسْ　　كَذيُوميذٍ وأَتريذٍ أَياسْ

وَثَلاثاً كادَ يَندَكُّ الأَساسْ

لَستُ أَدري هَلْ أَتَوهُ عَنْ هَوى　　أَوْ لَهُمْ قَدْ كانَ في الوَحْيِ دَليلْ

قُربَ تينِ البَرِّ فَوقَ البُرجِ قِرْ　　وَتَحَفَّظْ فيهِ مِنْ شَرِّ أَمرْ

فَلَكَ النُّجْحُ (وَلِلجَيشِ الظَّفَرْ)

وَلِيَ السَّلوى وَلِلطِّفلِ الرَّجا»[1]　　قالَ: «ما يُشجيكِ يُولِيني الشَّجا

إِنَّما المَوقِفُ أَضحى حَرِجا

وبيمينها قوس ووراءها طائفة من العذارى الحسان

(١) لقد طرقت اندروماخ كل باب يُطرق لامساك هكطور عن الالقاء بنفسه الى التهلكة دون أن تعبث بهمته ومنزلته • فهاجت فيه عواطف الحنان وذكرته بما ألم بآل بيتها من المحن • ومثلت له حبها له وتعلقها به وحذرته من عواقب مقتله اذا قتل • ولم يكن بالشيء اليسير ان يغادر امرأته أيماً وطفله يتيماً • ثم حسنت له ان يقي ثغرة السور من هجمات الاعداء وذلك موقف لا يقفه الا الابطال الاشداء فلا يكون فيه غضٌّ من شأنه كما قال هوميروس ضمناً وقلناهُ بالتعريب صراحةً خلافاً لما

نَزَلَ الرَّوْعُ وَبِي العَزْمُ أَبى   أَنْ يَكُونَ الرَّوْعُ فِي القَلْبِ نَزِيل

بَيْنَ أَقوامي وَرَبَّاتِ السُّدُولْ[1]   لَسْتُ أَرْضَى العارَ إِنْ تَعْلُ النُّصُولْ

أَوعَنِ الهَيْجاءِ يَثْنِينِي الخُمُولْ

وَأَنا دَوماً بِصَدْرِ الفَيْلَقِ   شَأْنَ فِرْيامٍ وَشَأْني أَتَّقِي

توخيناه من نبذ التصرف • وعلى الجملة فقد أنطقها الشاعر بما ليس في التصور ان تنطق بأحسن منه زوجة قدرت قدر الرجال وتوفرت لديها رقة العواطف وطيب الخلال

(١) وفي الاصل بين الطروادين والطروادايات الطويلات النقاب • بينّا هذا وذكر مقانع ايقاب قبيله وبرقع هيلانة وبراقع النساء والربات في مواضع اخرى انهن استعملن النقاب لذلك العهد • ويؤخذ من كل هذا الحديث انهم كانوا يحرصون على احراز الاستحسان من ربات الجمال حرصهم على احراز المكانة بين الرجال • وذلك امر فطري لم تكد تعبث به والحمد لله معدّات الحضارة • ولو لم يكن للنساء من فضل على الرجال الا دفعهم للبروز لديهنّ باسمى المظاهر لكفى — أفلا ترى انهنّ وان كن في الجاهلية لم يشددن الا قليلاً على الفرسان بالصارم والسنان فقد شددن من وراء رجالهن عليهم بالمنطق الفتاك واللحظ الفتان واستنفرنهم استنفاراً لايستنفره صديد الفيالق وهديد الفرسان • أو لاتخال داود والبنات يغنين حوله بعد فتكه بجالوت او جليات املأ فوآداً بهن منه بتطواف الجند وتسنم ذرى المجد • أو لا تحس من السموأل خشية من ذرابة منطقهن فوق خشيته من المناصل والعوامل حتى ادّرأ ازدراءهنّ بكل ما خوله الله من بلاغة المنطق ونصاحة اللسان واجهد النفس في دفع مظان « معيّرته » • ولوكان المعيّر ذكراً لخلته اجتزأ له بالمجافاة أو المهاجاة • ثم اذا تصفحت ديوان عنترة لاتكاد تجد له قصيدة تخلو من ابيات يوجه فيها الخطاب الى عبلة فيقول قول هكطور لاندروماخ • ومما يحسن ايراده هنا قول عبد يغوث بن وقاص فارس بني الحارث وهو يتغنى ساعة موته :

وقد علمت عرسي مليكة انني   انا الليث معدوًّا عليّ وعاديا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا   لبيقاً بتصريف القناة بنانيا

وَأَقِي قَوْمِي بِجَدّ المحْقَق

آهِ لَكِنَّ فُؤَادِي وَالحِجى　　　يُنْبِئانِي أَنَّ صَمْصَامِي كَلِيلْ

سَوْفَ تَنْدَكُّ بإِلْيُونَ القِلاعْ　　　وَتُوَافِينا المُلِمَّاتُ القِطَاعْ

كُلُّ هَذَا مِنْهُ قَلْبِي لا يُراعْ

لا إِذَا أُمِّي فِي التُّرْبِ ثَوَتْ　　　أَوْ أَبِي مِنْ دَمِهِ السُّمْرُ ارْتَوَتْ

أَوْ رَمِيمَ الإِخْوَةِ الأَرْضُ احْتَوَتْ

لا إِذَا الطُّرْوَادُ بادُوا وَإِذَا　　　خَرَقَ الزَّرْقَاءَ لِلْجَوِّ العَوِيلْ

بِيَدَ أَنَّ الخَطْبَ كُلَّ الخَطْبِ آهْ　　　أَنْ تَكُونِي فِي سَبِيَّاتِ العُدَاهْ

تَذْرِفِينَ الدَّمْعَ عَنْ مُرِّ الحَيَاهْ

تَسْتَقِينَ الماءَ كالعَبْدِ الأَسِيرْ　　　مِنْ مَسِيسَ أَوْ يَنَابِيعِ هَفِيرْ

تَنْسُجِينَ القُطْنَ وَالقَلْبُ كَسِيرْ

كُلُّ بُؤْسٍ كُلُّ رُزْءٍ وَعَنَا　　　كُلُّهُ إِنْ حَلَّ ذَا الرُّزْءُ قَلِيلْ

كُلُّهُ لا شَيْءَ إِنْ صَحَّ الصَّحِيحْ　　　وَلَدَيْهِمْ كُنْتِ وَالدَّمْعُ يَسِيحْ

وَالَّذِي يَلْقَاكِ بِي هُزْءاً يَصِيحْ :

«تِلْكُمُ زَوْجَةُ هَكْطُورَ الشَّدِيدْ　　　«خَيْرِ مَا فِي القَوْمِ مِنْ قَرْمٍ عَنِيدْ

«كَمْ لَهُ قَرْعٌ بِذَرَّاعِ الحَدِيدْ

«تَالَّ صَدْرَ الجَيْشِ تَلاًّ وَهُنَا　　　سُبِيَتْ زَوْجَتُهُ وَهُوَ تَلِيلْ» (١)

وعادية سوم الجراد وزعتها　　　بكفي وقد انحوا علي العواليا ... الخ

(١) تل صرع والتليل المصروع

فتصيحين وتصلين السعير تستجيرين ولكن من يجير
إن يكن هكطور في الترب قرير
فلك الرق وأنواع العذاب يا لحود الأرض واريني التراب
قبل أن يدهمني هذا المصاب
وأنلني أيها الخطب البلا قبلما زوجي للسبي تنيل »[1]
ثم مد اليد للطفل فصد جازعاً لما رأى تلك العدد
من نواص سابحات وزرد
وبصدر المرضع الطفل ارتمى فلديه أبواه بسما
وبرفق عنه هكطور رمى
ذلك المغفر والطفل بدا بيديه بين تقبيل يجيل
ودعا يسأل أسياد الأنام : « أنت يا زفس وأرباباً عظام

(١) أوليس من فضل النساء أيضاً ان يسعرن أفئدة الرجال بنار الحمية والتفاني بحب الاوطان • أو لا ترى هكطور أبسل من في القوم يجد من نفسه مصبّراً على هلاك أبيه وامه واخوانه وخلانه ولا يجد صبراً على سبي امرأته ولو بعد مماته فكيف لا يتفانى بعد هذا ولا تخط آي البسالة على صدره كل معجزة تحار لها الابصار وتتفتح لها أبواب الاقدار • وللعرب من هذا القبيل شؤون يوقف عندها اعجاباً • قال عنترة :

فالقتل لي من بعد عبلة راحةٌ والعيش بعد فراقها منكودُ
لهفي عليك اذا بقيت سبيةً تدعين عنتر وهو عنك بعيدُ
ياعبل قد دنت المنية فاندبي ان كان جفنك بالدموع يجودُ
ياعبل ان تبكي عليَّ فقد بكى صرف الزمان عليَّ وهو حسودُ

عونكمْ أسألهُ في ذا الغلامْ

فليكنْ مثليَ هصَّارَ الأسُودْ   وهوَ في إليونَ بالبأسِ يسُودْ
وإذا منْ موقفِ الحربِ يَعودْ

فليقلْ فوقَ أبيهِ قدْ سما   سلَّ سيفَ الفوزِ بانمَ السَّليلْ
وليُجندِلْ كلَّ جبَّارٍ أبي   فائزًا منهُ بجرِّ السَّلَبِ
تتلقَّاهُ ببادي الطَّرَبِ

أمهُ جاذلةً مما ترى »[1]   ثمَّ ألقاهُ لها مستبشرا
وهيَ ضمَّتهُ لصدرٍ عُطِرا

بسمتْ باكيةً وهوَ رنا   مشفقًا ينظرُ للطَّرفِ البليلْ
ثمَّ ناداها وقدْ رامَ العجلْ   «لا يشقَّ الأمرُ لا يغنِ الوجلْ
ليسَ موتٌ قبلَ إدراكِ الأجلْ[2]

ياعبل ان سفكوا دمي ففعائلي   في كل يوم ذكرهنَّ جديدُ

(١) قبَّل هكطور طفله ودعا له دعاء الاب الشفيق ولم يفُته عند استمام الكلام ان يدعو بما يطيب قلب أمه . كل هذا تمثيل تام لما اتصف به من صدق النية وحسن الطوية . اما دقائق ذلك المشهد من أولها الى آخرها فحسب المطالع أن يمعن النظر فيها كما قدمنا فلا تخفى عليه خافية من بدائعها وتنسيق وقائعها

(٢) من الآيات القرآنية « حيثما كنتم يدرككم الموت » « واذا جاء أجلهم لايستقدمون ساعة ولا يستأخرون » ومن كلام الامام علي بن أبي طالب : « الموت طالب حثيث لايفوته المقيم ولا يعجزه الهارب » وللشعراء اقوال كثيرة بهذا المعنى . قال الكميت :

كُلُّ صِنْدِيدٍ وَرِعْدِيدٍ جَبَانْ   مُذْ تَبَدَّى بِوُجُودٍ لِلْعِيَانْ
لَيسَ يَنْجُو مِنْ تَقَادِيرِ الزَّمانْ
وَلِكُلٍّ عَمَلٌ فَامْضِي كَفَى   وَاطْلُبِي أَعْمالَ رَبَّاتِ السَّدِيلْ
فَلَكِ النَّسْجُ وَفَتْلُ المِغْزَلِ   وَلَنا إِعْمالُ سُمْرِ الذُّبَّلِ (١)
وَأَنا الإِيقاعُ بِالأَبْطالِ لِي »
لَبِسَ المِغْفَرَ حالاً وَوَثَبْ   وَمَضَتْ تَلْفِتُ مِنْ حَيْثُ ذَهَبْ
تَذْرِفُ العَبْرَةَ وَالقَلْبُ الْتَهَبْ
دَخَلَتْ لِلصَّرْحِ يُولِيها الشَّجا   زَفَرَاتٍ أَشْجَنَتْ كُلَّ الدَّخِيلْ
فَعَلا بَيْنَ جَوَارِيها النَّحِيبْ   حِينَ أَبْصَرْنَ بِها ذاكَ اللَّهِيبْ

فطأ معرضاً ان الحتوف كثيرةٌ   وانك لاتبـقي لنفسـك باقيا

اي لاتتق شيئاً فالموت يأتي في حينه

ومثله قول الآخر:

فكيف وكلٌّ ليس يعدو حمـامهُ   وما لامرىءٍ عما قضى الله مرحلُ

قال المعرّي:

والنفس تبغي الحياة جاهدةً   وفي يمين المليك مقودهـا
فلا اقتحام الشجاع مهلكها   ولا توقّي الجبان مخلدها
لكل نفس من الردى سببٌ   لا يومها بعـدهُ ولا غدها

(١) اختتم هكطور كلامه بتنبيه زوجته الى تعهد شؤونها وهو كلامٌ على ما فيه من الرقة يشير الى انكار الرجال على النساء تطلعهنّ الى اعمـالهم • قال الخليفة الهادي لامه وقد دخلت عنده في حاجة « ما هذه المواكب التي تغدو وتروح الى بابك اما لك مغزلٌ يشغلك اومصحف يذكرك او بيتٌ يصونك اياكِ اياكِ لاتفتحي بيتك

عَمَّتِ الأَحزانُ في القَصرِ الرَّحيبْ

هُوَ حَيٌّ وَتعمَّدنَ الحِداذْ إذ توَقَّعنَ لهُ وَقعَ الصعّادْ[1]

لَم يُؤَمِلنَ لهُ حُسنَ المَعاذْ

لَم يقُل بَعدُ أبادَتهُ العِدى إنما نحنُ كما لَو كانَ قيلْ[2]

مضى وَبعالي الصَّرحِ فارِيسُ جانحٌ إلى الحَربِ منهُ تَستَطيرُ الجَوانحُ[3]

بعُـدَّةِ فُـولاذٍ تأَلقَ نُورُها جرى وَهوَ بينَ الطُرْقِ كالبَرقِ رامحُ

لمسلم ولا ذمي »

(١) الصعاد جمع صعدة الاسنّة

(٢) قال عنترة :

لقد ودعتني عبلةٌ يوم بينها وداع يقينٍ انني غير راجعِ

(٣) لم يكد هكطور يتعدى الابواب حتى لحق به فاريس وكله جذوة ملتهبة همة واقداماً . قال افستاثيوس لقد وقع نصح هكطور وتعنيفه موقعاً حسناً وهي خطة اتبعها الشاعر فابان حسن الوقع لكل تعنيف لطيف حل محله وأصاب محجة الصواب . نقول ولقـد وهم من قال ان الغرام مفسدة للحزم والاقـدام وان فاريس كان نكساً جباناً . اجل ان هوميروس مثله تمثيلاً يصدق على أمثاله في كل زمان فهو رقيق الفطرة دقيق الفكرة جميل يحب الجمـال ويتطلب الكمال اذا ابتنى منزلاً فانمـا يتخير له أجمل موقع وينتدب لبنائه « امهر ارباب الحرف » واذا ادخر سلاحاً فيحرص على جلائه « ويصقل الشكة والدرع الصقيل » واذا طرب ولها فانما يطرب على نقر القيثار ويحسن ضرب الاوتار وتلاوة الاشعار . واذا لبس السلاح فانما يشك بعدة « يتألق نورها » فهو اذاً معدن لطف وظرف لا يشوبه الا انه كما قال الشنفري « مربٌّ بعرسه » وليست هذه بالشائبة الكبرى فهذا عبسينا يتغنى حتى في حومة الوغى بعبلة ومحاسنها . وهذا مهلهلنا لم يشبْهُ ان كان معاقر صهباء وزير نساء

كَمُهْرٍ عتيٍّ فاضَ مَطْعَمُهُ على رَبائطِهِ يَبُتُّها وَهوَ جامحُ(١)
وَيَضرِبُ في قلبِ المَفاوزِ طافحاً الى حَيثُ قلبُ الأرضِ بالسَّيلِ طافِحُ
يُرَوِّضُ فيهِ إثْرَ ما اعْتادَ نَفسَهُ وَيطرَبُ أنْ تبدُو لدَيهِ الضَّحاضِحُ
وَيَشْمَخُ مُختالاً بشائقِ حُسْنِهِ يَطيرُ وَأعرافُ النَّواصي سَوابِحُ
وَتجري بهِ مِنْ نفسِها خُطواتُهُ الى حَيثُ غصَّتْ بالحُجُورِ المَسارحُ(٢)
كذا كانَ فاريسٌ وَقد جدَّ مُسرِعاً عليهِ كنُورِ الشَّمسِ تزهُو الصَّفائحُ
فأدْرَكَ هكطوراً عَنِ الأهلِ قدْ نأى تحُثُّ خُطاهُ لِلْكفاحِ القرائحُ
فَقالَ : « أَخي إني أراني مُبطِئاً فَعزْمِي مَرْجُوحٌ وَعزْمُكَ راجحُ »

ولا بأس أن نستطرد هنا الى وجه الشبه بين اخَوي اليونان وأخوي العرب فهكطور ككليب حامي الذمار ودرّاء العار وهو الاخ الاكبر وفاريس كالمهلهل المثير الاوار والآخذ بالثار وهو الاخ الاصغر • على ان الالياذة تنتهي بمقتل هكطور كما بدأت حرب البسوس بقتل كليب والتاريخ ينبئنا بما جرى بعد حين من قتل أخيل قاتل هكطور بسهم اطارهُ عليه فاريس

(١) كأن عطارد بن قرّان كان يتصوّر هذا المعنى البديع فاتمّ الطباق بقوله:

كأني جوادٌ ضمّه القيد بعد ما جرى سابقاً في حلبةٍ ورهانِ

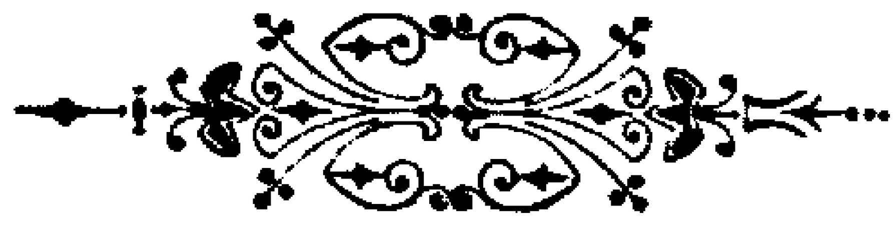
ولقد علق الشعراء من قراء هوميروس بهذا التشبيه الجميل حتى نقله بعضهم الى لغاتهم حرفاً بحرف وفعلوا مثل ذلك في نقل كثير من معانيه دون ان يبينوا مأخذها ولكن الحقيقة لاتلبث ان تبدو ولو بعد دهر

(٢) الحجور جمع حجرة انثى الخيل — لم أر في ما قرأت من شراح هوميروس من انتبه الى مشاكلة هذا التشبيه لاخلاق فاريس • فانه وان كان المراد هنا وصف همة فاريس ليس الا فقد أتى فيها الشاعر بطباق تام بين المشبه والمشبه به اذ جعل غايتهما التزلف والتحبب الى الانثى

فقالَ : « أَيا فاريسُ ما كانَ مُنْصِفٌ ليَبْخَسكَ القَدْرَ الذي أَنتَ رابحُ
فأَنْتَ أَخُو البأْسِ الشَّدِيدِ وَإِنَّما بِوَجْدِكَ قَدْ تَثْنِيكَ عَنْهُ الجَوارِحُ
وَيَلْتاحُ قَلْبي إِنْ لَحَتْكَ جُنُودُنا وَأَنْتَ مَدارُ الخَطْبِ وَالخَطْبُ فادِحُ[1]
فَهَيَّ فَلَيسَ الآنَ لِلْبَحْثِ مَوْضِعٌ سَنَبْسُطُهُ إِنْ لَمْ تُبِدْنا المَذابِحُ
وَإِنْ شاءَ زَفْسُ أَنْ يُقَيِّضَ نُصْرَةً وَيَدْفَعَ أَقْواماً شِداداً نُكافِحُ
سَتُرْفَعُ أَقْداحُ المَسَرَّةِ وَالتُّقَى وَتُذْكَى لِأَرْبابِ الأَنامِ الذَّبائِحُ »

---

(١) لقد أتى هكطور في هذا البيت والبيت السابق على وصف أخيه وصفاً تاماً مع الالمام بكل تاريخ الحرب • وهو كلامٌ حقٌّ جمع بالفاظ قليلة معاني كثيرة فأعرب له عن ودّه له وحرصه على حفظ كرامته وذكّره بعيوبه وسابق ذنوبه وحثه على الحرب والكفاح بما يوافق مشربه ويلائم مذهبه ولم يمس شعائره بشيء يؤلمه مع مراعاة الصدق في كل ما قال



النشيد السابع

براز هكتور وآياس

مجمله

لما بلغ هكطور وفاريس معسكر قومهما اضطرمت جذوة الحرب وكادت تدور الدائرة على الاغريق . فخشيت أثينا عاقبة الامر وهمت باغاثتهم . فلحق بها افلُّون نصير الطرواد فاتفقا على ايقاف القتال في ذلك اليوم على ان يبرز هكطور مناديًا بطلب أشد اليونان بأسًا لبرازه . فأوحيا الى هيلينوس العرّاف ان يوعز بمآل وفاقهما الى هكطور . فتقدم وطلب بطلاً من ابطال اليونان فأخذهم الذهول والصمت . فقام منيلاوس ورماهم بالجبن والوهن وعقبه نسطور الشيخ بكلام موثر فبرز منهم تسعة فاقترعوا فأصابت القرعة آياس فشك بسلاحه وبرز لهكطور ولم يزالا بين كفاح وصدام حتى فصل بينهما الظلام فافترقا وانحاز كل جيش الى معسكره . فقام بين الاغريق نسطور الشيخ ونادى بايقاف رحى القتال ريثما تدفن جثث القتلى . وقام في معسكر الطرواد انطينور يستحثهم على التجاوز عن هيلانة وأموالها للاغريق حتمًا للدماء . فعارضه فاريس في رد هيلانة وانما سمح بأموالها وزيادة . فبعث الملك فريام بالرسل الى الاغريق يبلغهم مفاد كلام فاريس ويطلب الهدنة لدفن الموتى فلما بلغت الرسل وبلّغت الرسالة أبى ذيوميذ الا الحرب فأقر الاغريق على الهدنة فدفن كل من الفريقين قتلاه . ثم شرع الاغريق عملاً بمشورة نسطور بحفر خندق وبناء معقل لصد هجمات الطرواد فلم يرق ذلك لفوسيذ وقام يندد بالاغريق بمجمع الآلهة فأسكته زفس . وصرف الجيشان بعض ليلهما بالايلام والطعام ثم جنحا الى الهجوع

ينتهي اليوم الثالث والعشرون في هذا النشيد ببراز هكطور واياس واليوم الرابع والعشرون بعقد الهدنة والخامس والعشرون بدفن القتلى والسادس والعشرون ببناء المعقل وحفر الخندق ومشهد الوقائع جميعه في ساحة القتال

النشيد السابع

كذا قالَ هكطورُ ثُمَّ جرى　　الى البابِ يَصحَبُ إسكندرا[1]
بِصدرَيهما النَّفسُ تلهبُ جمْرا　　لِكَيْدِ الأغارق طعناً ونَحْرا
وَجيْشهُمَا والحَشا يَلْهَبُ　　لِلُقْياهُمَا هزَّهُ الطَّرَبُ
كَنُوتِيَّةٍ شقَّتِ اليمَّ شقَّا　　بِمُلْسِ المَجَاذِيفِ والأمْرُ شقَّا[2]
وَخارَتْ قُواها وَمِنْ فضْلِ رَبِّ　　لَها هبَّتِ الرِّيحُ خيرَ مَهَبِّ
فَفازُوا بِما أمّلُوا ثُمَّ ثارُوا　　بإثْرِهما واستَطارَ الغُبَارُ
فمينَسْتِسُ مَنْ بأرْنا وُلدْ　　لأرِيثُسَ المَلِكِ المُعْتَضدْ[3]
وفِيلُومِذَا ذاتِ عَيْنِ المَها　　بِصَمْصامِ فارِيسَ عزماً وَهي[4]

---

(١) بسطنا الكلام في أول النشيد السادس (ص : ٤٣٧) على هذا النسق من النظم

(٢) النوتية هم الملاحون • وهي لفظة يونانية (Ναυτησιν) عرّبت والاصل فيها (Ναυτος) (نوطس) وهي ريح الشمال سمي الملاحون بها لموافقة مهبها لهم — لا بدع ان يكثر هوميروس من التشبيه بالبحار ورياحها فبلاد قومه محاطة بالمياه واكثرها جزر يكنفها البحر من جهاتها الاربع • ذلك كما اكثر العرب من ذكر المفاوز والمهامه والسباسب وجعلوا لها مئات من الاسماء والصفات

(٣) أرنا مدينة كانت في بيوتيا • قال اسطرابون هي التي سميت بعدئذ اكريفيون وقال بوزانياس بل خيرونية وزعم آخرون ان البحر طغى عليها وأغرقها

(٤) ذكرنا في حواشي النشيد الاول (ص : ٢٤٣) مطالعة بشأن التشبيه بعيون المها فحسبنا هنا الاشارة اليها — كان فاريس أول مندفع في تلك المعمعة حتى تقدم أخاه هكطور وهنا دليل آخر على انه ليس بالمحجم المهياب كما ادعى المعترضون

وآيُونُ بالعُنْق تحتَ التّرائكْ   بمزراق هكطورَ ألفي المهالكْ
وإيفينُسُ بنُ ذِكَسْيُسْ عَمَدْ   الى خيْلِهِ والأُوارُ اتّقَدْ
فقيلُ بني لِيقيا زجَّهُ   وَغيَّبَ في كِتْفِهِ زُجَّهُ
فعن خيْلِهِ للحضيض اْلتوى   غضيضَ العيُونِ فقيدَ القُوى
فجنْدُ الأغارِق حلَّتْ عُراهمْ   وفالاسُ فوقَ الأُلمْبِ تَراهمُ
إلى قُدْسِ إلْيُون حثَّتْ خُطاها   وفيبوسُ مِنْ فرْغمُوسَ اْقتفاها
لقدْ كانَ يرقبُها ويُريدْ   لِقَومِ الطّراوِدِ نَصْراً مجيدْ
ولمّا لَدى الزّانَةِ اْلتقيا   على الفَور بادرَ مُبْتَدِيا : [1]
«علامَ مِنَ الأُفْقِ يابنْتَ زفْسِ   هَبطْتِ بِغَيْظٍ وَحِدَّةِ نَفْسِ
أرفْدًا لِقَومِ الأغارِقِ حالا   بحرْبٍ الى الآن تجري سجالا
لخطْبِ طراوِدِنا لم ترقّي   فسَمْعاً فدُونك أصلحَ حقِّ :
«بنا اليومَ هيّي نكُفّ القتالْ   ومِنْ بعْدُ نَدْفَعُهُمْ لِلنِّزالْ
إلى أنْ نُشاهِدَ يوماً أخيرا   لإلْيُونَ مُذْ رُمْتُما أنْ تَبُورا» [2]

(١) الزانة هذه هي الزانة الشهيرة على باب اسكيا — لم يكن للآلهة دخل في وقائع النشيد السابق اما الآن وقد حمي الوطيس فلم يرَ الشاعر بدًّا من اطلاق العنان للتصور الشعري جلاءً لرونق الشعر فعاد بأثينا وأفلون كما ترى • واذا نظرنا الى ظهورهما من وجه رمزي فيكون المراد ان أثينا ممثلة الحكمة والبسالة تهيء الغلبة لليونان بانحيازها اليهم وأفلون ممثل القدَر يصدها عن تشتيت شمل الطرواد • والمغزى انه مهما عظمت الحكمة واشتد البأس فلا سبيل لهما الى صد القضاء المحتوم

(٢) قوله رمتما اي انتِ (أثينا) وهيرا • لم يصرح الشاعر بذلك ولكنه

فقالتْ : « نَعم إنَّمـا ذا مَرامي　　فقُلْ كيفَ تأمُلُ كفَّ الصِّدام »
أجابَ : « فهكطورُ نحوَ البَراز　　تحُثُّ ليَدْعُو العدى للبِراز (١)
فلا شكَّ بالغيْظِ يحْتَدِمُونا　　ومِنْ جُنْدِهِمْ بطلاً يَدْفعُونا »
فأقنعها وهـلانُسُ تحقَّقْ　　بكُنْهِ حِجاهُ القرارَ المُصدَّقْ (٢)
ولمَّا اسْتَتَمَّا المَقالَ فحالا　　تقدَّمَ نحوَ أخيهِ وقالا :
«أهكطورُ مِنْ زفسَ بالعقلِ حاكى　　ألا ما اسْتَمَعْتَ مُطيعاً أخاكا
فقومَكَ أجْلِسْ وقومَ العدى　　وبينَ الفريقيْنِ قُمْ مُفْرَدًا
وسَلْ يُرسِلُوا لِبرازٍ مَهُولِ　　إليْكَ فتىً مِنْ أشدِّ القُيولِ
فقدْ جاءني صوْتُ آلِ العُلى　　بأنَّكَ ما آنَ أنْ تُقْتَلا » (٣)
فسُرَّ الفتى وجرى قابضا　　مِنَ الوسَطِ اللهْذَمَ الوامضا (٤)
وسكَّنَ جيْشَ الطَّراودِ قُرْبَهْ　　كذا آغممنونُ أجلسَ صحْبَهْ (٥)

يستفاد من جعله الفعل بصيغة المثنى المؤنث ولا حليفة لاثينا اشد من هيرا تحرقاً لكيد الطرواديين

(١) البراز الاولى بمعنى البراح والثانية بمعنى المبارزة

(٢) هيلانوس اخو هكطور وكان عرَّافاً كما تقدم وكاهناً لافلون فيفترض اذاً ان أفلون أوحى اليه بما كان

(٣) حبذا لو استغنى الشاعر عن الشطر الاخير ولعله دخيل في شعره ٠ لان في أنباء هكطور بسلامته غضًا من بأسه وهو البطل الصنديد يشق الصفوف ولا تروعه الحتوف

(٤) اللهذم الوامض الرمح اللامع

(٥) تقدم انه لم يكن لهم طبول يُجرون الجند ويوقفونهم على اصواتها فكان

وَسُرَّ الإلاهانِ مِمَّا تجلَّى وَشَكْلَ عُقَابَيْنِ فِي الحالِ حلَّا
بهِ نزلا فوقَ زانَةِ زفسٍ بها يَنْظُرَانِ لِطِرْسٍ فطِرْسٍ (١)
وكانَ الجُنُودُ بتلكَ السهُولْ جلُوساً صفُوفاً كِثَافاً تهُولْ
عَلَيها التَّرائكُ فوقَ التُّرُوسْ وسمرُ العوامِلِ تُنْمِي البُؤُوسْ
كَيَمٍّ عَلَيْهِ النَّسِيمُ انْتَشَرْ فأُزْجِفَ وازْبَدَّ يُوهِي النَّظَرْ (٢)

من ثم لابد لهم من اشارات يتفاهمون بها فيستدل اذاً ان القبض على وسط الرمح اشارة الى السكون . ولما رأى أغا ممنون ان هكطوراوقف الطرواد بادر الى تسكين جأش الاغريق لعلمه انه بدا لهكطور أمر ذو شأن يبثه له وهكذا سكن الجيشان. يذكرني ذلك ما شهدت مرة في بادية العراق اذ كنا في الزهيرية ولفيف من المتفق في نحو مئة فارس وثلثمائة هاجن بين رادف ومردوف تتبعهم الانعام الكثيرة فأصبحنا يوماً والربع في جلبة والاوتاد تنزع والمضارب ترفع فعلمت انه تراءى لرجل بينهم يدعى تويساً هو زرقاؤهم بنظره وجهينتهم بخبره « زولٌ بعيد » لايعلم اهو « عدوٌّ ام صديق » فاضطرونا الى التأهب في من تأهب حتى اذا ركب الفرسان وساروا جيشاً انفذوا طليعةً تستطلع الخبر تجرى بخيلها « هَذْباً » وسائرنا من ورائها « نَكَدَ كَدًّا » الى ان صارت الطليعة على مقربة من الزول الذي اخذ يتراءى لنا فحولت اعنة خيلها واخذت تغير يميناً بشمال بعد ان كانت تسير شرقاً بغرب فسكن جاش الجيش وقالوا طليعتنا « تعرض لنا » ففهمنا انه ليس ثم مطمع غزو وكسب ولا منزع قتل وسلب . ولم نلبث ان تحققنا الخبر بالخبر اذ كان ذلك الزول البعيد قطيع نوق وجمال لعشيرة حليفة يصحبها رعاة قلائل فأمنوهم وسيروهم

(١) تهيأ افلون وأثينا بهيئة عقابين ووقعا على الزانة التي بباب اسكيا يراقبان منها حركات الجيشين — وحلول الآلهة واتباعهم بل والبشر ايضاً بهيئة الطيور معتقد قلما يخلو منه دين من قديم الاديان

(٢) اذا اكثر هوميروس من تشبيه الفيالق بالبحار فانما لديه لكل مقام مقال . فلا

وَهَكْطورُ نَحْوَ البَرَاحِ اتَّجَهْ وصاحَ : « أَجُنْدَ الطَّرَاودِ مَهْ
وَيا قومَ آخايَ سَمْعاً فَإِنِّي أُفيضُ لَكُمْ ما يَجُولُ بظَنِّي
أَرى بَيْنَنا زَفْسَ قاضَ العِهادا ولِلْعِلِّ هَيَّا الرَّزايا الشِّدادا
الى أَنْ تَدُكُّوا قِلاعَ الحُصُون أَو الْحَتْفَ تَلْقَوا تُجَاهَ السَّفِين
فَبَيْنَكُمُ خَيْرُ جُنْدِ الأَغارِقْ فَهَلْ بَطَلٌ لِبِرازِي تائِقْ
فَيَخْرُجَ بالبَأْسِ مُنْتَدَبا يُصادِمُ هَكْطُوراً الْمُجْتَبى
وَإِنِّيَ أُبْرِمُ مَعْهُ العُهُودْ وَزَفْسُ على ذاكَ خَيْرُ الشُّهُودْ
فَإِنْ يُعْمِلَنَّ بِيَ اللَّهْذَما يَفُزْ بِسِلاحِي لَهُ مَغْنَما
إلى الفُلْكِ يَمْضِي بِهِ رَغَدا وَيُلْقِي إلى صَحْبِيَ الجَسَدا
فَيَمْضِي لِبَيْتِيَ أَفْواجُهُمْ وَيُذْكُونَهُ هُمْ وَأَزْواجُهُمْ (١)
وَإِنْ نالَ مِنِّيَ مُرَّ الحِمَام وَأَوْلانِيَ النَّصْرَ رَبُّ السِّهَامِ
بِشِكَّتِهِ نَحْوَ إِلْيُونَ أَهْرَعْ لِحَيْثُ بِبَيْتِ أَفُلُّونَ تُرْفَعْ (٢)

تكاد ترى تشبيهاً كالآخر بمجمل دقائقه في كل الالياذة — وما اصدق تشبيهه هنا للجيش الجالس صفوفاً تتألق اسلحته في ذلك الفضاء بالبحر ينتشر عليه النسيم فلا هو بالبحر الهائج تعبث به الانواء ولا هو باليمّ الراكد لا اثر عليه لحركة الهواء • وما احسن ما قال العبسي في نقيض هذا المعنى :

وسارت رجالٌ نحو اخرى عليهم الـ ـحديد كما تمشي الجمال الروائحُ
اذا ما مشوا في السابحات حسبتهم سيولاً وقد جاشت بهنَّ الاباطحُ

(١) يذكونه يحرقونه
(٢) سنرى في النشيد العاشر ان اوذيس وذيوميذ يرفعان سلاح دولون نذراً

وَأَدْفَعُ جُثَّتَهُ غَيْرَ خَائِنْ إِلى قومهِ الشُّعْرِ فوقَ السَّفَائِنْ
فَفِي جُرُفِ بَحْرِ هلاذا الفَسِيحِ يُوَارُونَهُ في مَشِيدِ الضَّرِيحِ
وَإِمَّا بِمُسْتَقْبَلِ الزَّمَنِ تَمُرُّ الأَنامُ على السُّفُنِ
يُقَالُ هُنا قَبْرُ قَرْمٍ عَنِيدْ بعاملِ هَكْطُورَ قِدْماً أُبِيدْ
فَيَخْلُدَ مَجْدِيَ وَيَعْلُو مَنارا » فظَلَّ الأَغارقُ طُرًّا حَيارى (١)
سُكُوتاً فَلا لِلِّقا تَجْسُرُ وَمِنْ رَدِّ بُغْيَتِهِ تَنْفِرُ (٢)

لاثينا وهنا هكطور ينذر رفع سلاح خصمه لافلون — فأثينا نصيرة الاغريق وافلون نصير الطرواد « وكل قوم بما لديهم فرحون »

(١) ذكر اسطرابون نصباً اقيم لاياس وآخر لاخيل في تلك الارجاء وقد عفت اثارها واثار غيرها بمرور الازمان • ولو لم يكن شيء سواها يخلد ذكر هكطور لتنوسي اسمه وعفا رسمه • قال افستاثيوس واما شعر هوميروس فارسخ من الانصاب لايعبث به كرور الاحقاب بل هو قائم ابد الدهر يخلد الذكر والفخر (راجع ن ٢ : ٢٦٦)

(٢) ان تهيب الاغريق من البروز لهطكور لأشبه شيء بارتياع الاسرائيليين لرؤية جلياد قبل ان برز له داود • وقد يتبادر الى الذهن انهم كانوا في غنى عن هذا التهيب اذ كان بامكانهم ان لايجيبوه الى طلبه ولا يمسهم العار لان الطرواد كانوا الداعين الى البراز اول مرة كما تقدم في النشيد الثالث ثم لما نالتهم الغلبة نقضوا الميثاق فلم يكن لهم بعد هذا ان يتطلبوا البراز • على انه يتضح للمتأمل ان هكطور لم يجنح الى حسم الخلاف بتلك المبارزة كما جنح فاريس للمرة الاولى وجل ما دعاهم اليه ان ينفذوا اليه بطلاً يبارزه فيقتله او يقتل ويبقى الخلاف على حاله واوضح ذلك بأجلى بيان بفاتحة كلامه اذ قال الى ان تذكوا الخ فكانت من ثم هذه المبارزة على نوع يختلف عن تلك لاموضع لذكرها بازائها فتلك عامة تتناول الجيشين وهذه خاصة منحصرة ببطلين

فَقَامَ مَنِيلا يُؤَجِّجُ نارا حَشاهُ وَصاحَ يَفِيضُ احْتِقَارا : (١)

« نِساءٌ أُنَادِي وَلَيسَ رِجالا فَوا أَسَفا أَمْرُنا أَيْنَ آلا (٢)

(١) لم يكن منيلاوس من مغاوير الابطال قوةً ولكنه لم يكن دونهم رباطة جاش وعلو همة ولولاذلك لماجدر بجميع الاغريق ان يتألبوا للاخذ بثأره فلا بدع اذاً ان يكون اول متكلم بل لايصلح غيره لافتتاح الخطاب

(٢) ان تشبيه الرجل الجبان بالمرأة لأَمر قديم مألوف حتى لقد يزيد العرب على ذلك فيجعلون الجبن كالبخل محمدة في المراة مذمّة في الرجل . والشجاعة كالكرم مذمة في المرأة محمدة في الرجل . — وما ابلغ ما قال الامام علي في خطبته لما اغار سفيان بن عوف الاسدى على الانبار وعليها حسان البكرى فقتله وازال الخيل عن مسارحها وكان ذلك في خلافة علي فخرج حتى جلس على باب السدة فخطب في القوم. ومن جملة ما قال : « يا اشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام اطفال وعقول ربات الحجال وددت ان الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني الى رحمته من بينكم واني لم أركم ولم أعرفكم معرفة . والله حرت وهناً ووريتم والله صدري غيظاً وجرعتموني الموت انفاساً وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان » (ابن الاثير)



منيلاوس

ومن قول عبد الرحمن بن دارة الفزاري :

أيا راكباً امّا عرضت فبلغن مغلغلة عني القبائل من عكلِ

لئن انتمُ لم تثأروا بأخيكم فكونوا نساءً للخلوق وللكحلِ

وبيعوا الردينيات بالحلي واقعدوا عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبلِ

فَوَا عارَنا إِذْ بِأَبْطَالِنـا لَمْ   يَكُنْ مَنْ إلى هكْطرٍ يتقدَّمْ
عساكُمْ ترابٌ وماءٌ جَميعا   فَكُلُّـكُمُ بَاتَ جُبْناً هلُوعا(١)
وَلَيسَ لَكُمْ مِنْ فُؤَادٍ وَشانٍ   وَها أَنَّني بارزٌ لِلطِّعانِ
وَما النَّصْرُ إِلاَّ لِآلِ العُلَى   فَيُـؤْتُونَهُ مِنَّـةً وَوَلا »
وَشَكَّ يُجيلُ السِّلاحَ الجَميلا   وَلَكِنْ أَبَيْتَ الرَّدى يا مَنيلا
لَقَدْ كادَ يُصْميكَ هَكْطُورُ.لَوْلَمْ   تُثبِّطْكَ صِيدُ الجُمُوعِ وَتَزْحَمْ
وَمَولى المَوالي أَخُوكَ الأَبَرْ   بِيُمْنَاكَ أَمْسَكَ ثُمَّ انْتَهَرْ:
« مُقَرَّبَ زَفْسَ مَنِيلا أَرى   هَذَوْتَ وَجِئْتَ إِذًا مُنْكَرا

(١) أي عساكم أن تبيدوا أو كقول العرب ان تصيروا هباءً منثورا



بعض ابطال الالياذة على ما في آثارهم

أغاممنون أخيل نسطور أوذيس ذيوميذ فاريس

فَمَهْما بكَ النَّفسُ هاجَتْكَ فاْرْهَبْ فَتًى مَنْ سِوَاكَ تَرَى يَتَهَيَّبْ
وَنَفسُ أَخيلَ الذي لا سَبيلا إلى أَنْ نُقَاسَ بهِ وتَصُولا
لَقَدْ كَانَ يجْزَعهُ أَنْ يُسَابِقْ لِلِقَاهُ يَومَ اصْطِكاكِ اليَلامِقْ (١)
فَهِيِّ اجْلِسَنَّ وأَلْقِ العُدَدْ فَيُغْرِي الأَغارِقُ قِرْماً أَشَدْ
وَإِنْ يُكفَ في الحَرْبِ وَقْعاً أَليماً فَيَخْرُجَ مِنْ ذَا البِرَازِ سَليما
فلا شَكَّ بالأُنسِ يَلوي الرُّكَبْ وإِنْ كَانَ لَيسَ يَهابُ النُّوَبْ» (٢)
فَدانَ مَنيلا لِنُصْحِ أَخيهِ وكَفَّ وَطابَتْ نُفُوسُ ذَويهِ
وَشَكَّتَهُ جَرَّدُوا وَانْتَصَبْ على الفَوْرِ نَسطُورُ ثُمَّ خَطَبْ: (٣)

(١) اليلامق الدروس — لو برز منيلاوس لهكطور لقُتل لامحالة . ولقد علمنا ماكان من شغف أغا ممنون باخيه عند ما أصابه سهم فنداروس في النشيد الثالث فلا غرو اذاً اذا تصدى له وصده عن البروز لهكطور . ولما كان عالماً بتفانيه على اقتحام الاحوال ضرب له اخيل مثلاً لعله يرعوي ويرضخ لان جميع الابطال كانت تعترف له بسبق البأس فاذا كان أخيل يذل لهكطور فمن الحماقة ان ينبري له منيلاوس وقد بالغ أغاممنون تلك المبالغة تسكيناً لغيظ أخيه ودفعاً لخشية العار عنه لا لحقيقة يعتقدها

(٢) المقصود بليّ الركب الجلوس لا السجود حمداً وشكراً . (راجع ٥ : ٤٠٥)

(٣) هذا نسطور الحكيم مفرج الازمات والناطق بالايات البينات يفعل بقوة اللسان ما يعجز عنه السيف والسنان فستراه يبدل احجامهم اقداماً ورهبتهم رغبة وليس في القوم خطيب سواه يصلح لكل مواقفه ولا سيما لهذا الموقف لانهم جميعاً كهول وفتيان فمن ذا الذي يجسر منهم ان يحرض القوم على النزال ولا يكون المبادر اليه بنفسه . اما نسطور فيتأفف كالاب الحزين ويتأسف كالمعلم الامين وكلهم آذان وقلوب يحذّر ويذكّر ويطيل العتاب ويتحسر على زمن الشباب ويقص قصص صباه ويعيد ماضي ذكراه فيبتدىء ولقاء هكطور لديهم افدح الخطوب ولا يكاد ينتهي حتى يبيت

« أَلا أَيُّ رُزْءٍ فَوا حَرَبا ... بِلادَ الأَخاءَةِ قَد نَكَبا
أَلا كَمْ يَغَصُّ خَطيبُ المَرامِدْ ... حَكيمُهُمُ الهِمُّ فِيلا المُجاهِدْ (١)
إِذا ما دَرى أَنَّ هَكْطُورَ أَخْمَدْ ... بُؤُوسَ الأَغارِقِ جُبْناً وَأَقْعَدْ
الا قَبْلُ كَمْ كانَ بادِي الطَّرَبْ ... بِمَغْناهُ يَقْتَصُّ مِنِّي النَّسَبْ
فَأُنْمِي لَهُ أَصْلَ كُلِّ الأَغارِقْ ... وَنِسْبَتَهُمْ مِنْ قَدِيمٍ وَلاحِقْ
أَلا لَوْ رَآكُمْ عَلى ما أَرى ... لَمَدَّ يَداً لِمَوالي الوَرى
لِيَسْأَلَها أَنْ تَزُجَّ بِنَفْسِهْ ... لِآذِيسَ زَجّاً لِشِدَّةِ بُؤْسِهْ (٢)
أَيا زَفْسُ يا آثِنا يا أَفُلُّو ... أَلا ما أَعَدْتُمْ شَبابِي فَأَبْلُو (٣)

امنية النفوس وريحانة القلوب

وما اشبه موقف نسطور الشيخ الوقور بموقف عمرو بن معدي كرب يوم اليرموك . قال الواقدي : كان قد مر له من العمر مئة وعشرون سنة فلما نظر الى قومه وقد انكشفوا صاح في قومه يا آل زبيد يا آل زبيد تفرون من الاعداء وتفزعون من شرب كأس الردى أترضون لانفسكم بالعار والمذلة فما هذا الانزعاج من كلاب الاعلاج اما علمتم ان الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه ايدهم بنصره وايدهم بصبره فأين تهربون من الجنة ارضيتم بالعار ودخول النار وغضب الجبار . قال فعند ذلك تراجعوا وشدوا على القوم حملة واحدة

(١) فيلا ابو اخيل تخيره نسطور مثلاً لشاسع شهرته وتذكيراً لهم بابائهم النائين عنهم في اوطانهم

(٢) اي لتمنى الموت لانه لابد لكل ميت من ان ينحدر الى اذيس إلاه الجحيم كما تقدم

(٣) فلما نرى شيخاً يقول قول حكيم الجاهلية زهير بن ابي سلمى

كَيَوم ٍ بأَسْوَارِ فِيَّا فَظِيعْ　　　وَحَولَ سُرى يَرْدَنُوسَ السَّرِيعْ[١]

لَدى نَهْرِ قِيلادُنَ الحَرْبُ ثَارَتْ　　　وَأَبْطَالُ أَجْنادِ فِيلا أَغارَتْ

تُصَادِمُها بِشَـدِيدِ الكِفاحِ　　　صَـنَادِيدُ أَرْقَادِيا بالرِّماحِ

وإِيرُثْلِيُونُ زَعِيمُ العِدى　　　شَـدِيدًا لَدينا كَرَبٍّ بَدا

عَلَيْهِ سِلاحُ المَلِيكِ المَجِيدِ　　　إِرِيثُوسَ ذِي الصَّوْلَجانِ الحَدِيدِي

إِرِيثُوسَ مَنْ كَانَ يَلْقَى الجُمُوعا　　　بِهِ لا يُجِيلُ القَنا وَالفُرُوعا

لِذاكَ بِفِطِّيسِهِ ذاعَ ذِكْرا　　　وَلَكِنَّ لِيكُرْغَ أَصْماهُ غَدْرا[٢]

لَدَى مَعْبَرٍ حَرِجٍ بِالقَنـاهْ　　　رَماهُ وَفِطِّيسُهُ مـا وَقاهْ

فَخَرَّ وقاتِلُهُ سَلَبا　　　سِلاحاً لَهُ آرِسٌ وَهَبا

فَظَلَّ بِهِ العُمْرَ يَسْتَلْئِمُ　　　إِلى حِينَ أَقْعَدَهُ الهَرَمُ[٣]

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش　　　ثمانين حولاً لا ابا لك يسأمِ

او قول لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها　　　وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ

بل معظم الشيوخ يقولون قول نسطور

الا ليت الشباب يعود يوماً

ولكن نسطور تمنى الشباب للكر والابلاء لا للانس والصفاء كما قال شاعرنا

فأخبره بما فعل المشيبُ

(١) السرى الجداول او صغار الانهار ويردنوس نهر سمي على رواية اسطرابون باسم البطل يردنوس المدفون على احدي ضفتيه

(٢) الفطيس المطرقة

(٣) الاستلآم في الاصل لبس اللأمة اي الدرع ويطلق توسعاً على لبس السلاح

فَأَعْطاهُ إِيرِثْلِيُونَ الهُمامْ فَكانَ بهِ يَنْبري لِلصِّدامْ
وَيَدْعُو وَلا بَطَلٌ يَفِدُ وَكُلُّ الصَّنادِيدِ تَرْتَعِدُ
فَأَقْدَمْتُ تَدْفَعُني النَّفْسُ وَحْدِي وَإِنْ كُنْتُ إِذْ ذاكَ احْدَثَ جُنْدِي
فَأَوْلَتْ أَثِينا ذِراعِي انْتِصارا وَجَنْدَلْتُ أَعْلى كَمِيٍّ مَنارا
فَخَرَّ لَدى قَدَمِي بِالْحَضِيضْ عُتُلّاً غَلِيظاً طَوِيلاً عَرِيضْ
فَلَوْ كُنْتُ أَوّاهُ غَضَّ الشَّبابْ لَأَدْرَكَ هَكْطُورُ مِنِّي الْمُجابْ
وَأَبْسَلُ ما بِكُمُ مِنْ رِجالِ أَراهُمْ أَبَوا وَقْعَ هذا النِّزالِ »
فَلَمّا اسْتَتَمَّ الحَدِيثَ المُهِينا لَدَيهِ انْبَرى تِسْعَةٌ يَبْرُزُونا
فَأَوَّلُهُمْ أَوَّلُ القَوْمِ سُؤْدَدْ زَعِيمُهُمُ آغَمْنُونُ عَرْبَدْ
تَلاهُ ذِيُومِيذُ رَوعُ الرِّجالِ كَذاكَ الأَياسانِ هَوْلُ القِتالِ
فَهَبَّ إِذُومِنُ ثُمَّ فَتاهْ مِرْيُونُ عِدُّ إِلاهِ الكُماهْ
فَأُورِيفِلٌ فَثُواسُ فَأُوذِسْ فَصَدَّهُمُ الشَّيْخُ بِالبِشْرِيُؤْنِسْ: (١)
« عَلَيكُمْ إِذًا بِالقِداحِ تُجالْ فَمَنْ قِدْحُهُ فازَ خاضَ المَجالْ (٢)
يُسَرُّ الأَغارِقُ إِنْ أَقْدَما وَيَجْذَلُ نَفْساً إِذا سَلِما »
فَكُلُّ فَتًى قِدْحَهُ ضَرَبا بِخُوذَةِ أَتْرِيذَ مُنْتَصِبا

---

(١) جعل الشاعر اول البارزين اغا ممنون مراعاة لمقامه وتلا ذيوميذ اخفهم قدماً وانفذهم حزماً ثم الاياسان ابطشهم واربطهم جاشاً وجعل خاتمهم اوذيس ادهاهم والتأني من الدهاء

(٢) تلك كانت الوسيلة المثلى لارضاء الجميع وحسم النزاع باختيار بطل منهم بالاقتراع

وَجَيْشُهُمُ كُلُّـهُ رَفَعـا ... لآلِ الخُلُودِ أَكُفَّ الدُّعَا :
« أَيا زَفْسُ إِمَّا أَيَاسُ وَإِمَّا ... ذِيُومِيذُ أَوْلا فَأَتْرِيذُ حَتْمَا »
وَنَسْطُورُ تِلْكَ الأَقَادِيحَ رَجَّ ... فَسَهْمُ أَيَاسَ لَدَيْهِ خَـرَجْ
وَتِلْكَ أَمَانِيُّ الجُنُودِ جَمِيعا ... فَطَافَ بِهِ الفَيْجُ يَجْرِي سَرِيعا
يَمِيناً جَرَى يَقْصُدُ الصِّيدَ قَصْدا ... لَهُمْ يُبْرِزُ القِدْحَ فَرْدًا فَفَرْدا
فَلَمْ يَكُ مَنْ بِالنَّصِيبِ اعْتَرَفْ ... هُنَالِكَ إِزَاءَ أَيَاسَ وَقَفْ
فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ ثُمَّ أَحْـدَقْ ... بِرَسْمٍ بِهِ كَانَ مِنْ قَبْلُ نَمَّقْ (١)

(١) كلا الاياسين من صناديد الرجال وحيثما ذكر الشاعر اياس مفرداً فالمراد به اياس الاكبر بن تلامون — كان كل من المستقسمين يرسم اشارة على قدحه اذ لم يثبت انهم كانوا يكتبون لذلك العهد ولهذا خفي رسم قدح اياس عليهم جميعاً

من امثال العرب كل امرئ اعرفُ بوسم قِدْحه وهو يضرب للعارف بقدر نفسه الواثق بما بين يديه لانهم كانوا يسمون قداحهم بعلامات يعرفونها بها على نحو ما رأيت في استقسام اليونان . ولكن العرب في اداني ايام الجاهلية كانوا يقرأون ويكتبون بدليل كتابتهم للمعلقات وغيرها . ولهذا يصح عندنا ما روي عما كانوا يكتبون على قداح الاستخارة وعلى الازلام التي كانوا يضربونها في الميسر . اما طريقتهم في اجالة القداح فكانت كطريقة اليونان يجمعون القداح في خريطة يضعونها في يد رجل عدل يسمونه المجيل او الضريب كما جمعت هنا في خوذة اغاممنون ووضعت في يد نسطور (وتقدم في النشيد الثالث ان الطرواد وضعوها في يد هكطور) فترى من ثم انه لم يكن يعهد بها الا لرجل ذى شأن لتؤمن غائلة الانحياز الى فريق دون آخر ولهذا قالت العرب لقمان بن عاد اضرب الناس بالقداح لانه كان موكلاً بها النقاوة ذيله وامن جانبه

اما اجالة القداح في الميسر اى المقامرة التي حرمها القرآن فليس لها من اثر في الالياذة

تَهَلَّلَ مُسْتَبْشِرًا وَرَماهُ　　إلى قَدَمَيْهِ وَنادى الكُماةْ :
«أُصَيْحَابُ ذا السَّهْمُ سَهْمي فَسُرًّا　　فُـؤادي وَإِنِّي آمُـلُ نَصْرا
أَنا عُـدَّتي أَبْتَـغِي مُسْرِعا　　وَأَنْتُمْ لِزَفْسَ أَفِيضُوا الدُّعا
سُكُوتاً لِئَلاَّ لِطُرْوادَ يُنْمَى　　وَإِنْ شِئْتُمُ عَلَناً فَنِعِمّا
فَلَسْنا لِنَخْشَى جِلادَ الأَعادي　　وَلا بَأْسَ لا مَكْرَ يَلْوِي فُؤَادِي
فَما كُنْتُ في سَلَمِيْسَ لِأَرْبُو　　يَرُوعُ حَشَايَ بِرازٌ وَحَرْبُ » (١)
وَكُلُّ الأَغارِقِ قامَتْ تَصِيحْ　　وَتَشْخَصُ نَحْوَ الفَضَاءِ الفَسِيحْ :
« أَيا أَبَتا زَفْسُ رَبَّ المَعالي　　أَلِيفَ الكَمالِ عَظِيمَ الجَلالِ
عَلى طَوْدِ إِيذا أَيا مَنْ تَجَلَّى　　أَنِلْ نَصْرَكَ اليَوْمَ آياسَ فَضْلا
وَإِمَّا لِهَكْطُورَ تَأْبَى الشَّنَارا　　فَدَعْ يَسْتَوِ البَطَلانِ اقْتِدارا » (٢)
وَإِذْ كانَ جَيْشُهُمُ يَتَضَرَّعْ　　فَآياسُ حِصْنُ الأَخاءَةِ أَدْرَعْ
وَشَكَّ بِزاهي السِّلاحِ الصَّقِيلِ　　وَأَقْبَلَ جَبَّارَ رَوعٍ ثَقِيلِ .

---

(١) هذا اياس الملقب بحصن الاخاءة يفوه بأول كلام . وهو وان لم يكن في زمرة الخطباء المفوهين فايجازه اعجاز وصدقه بلاغة وقوله بفعله وهيبته بهيئته . وسترى بعد أبيات من رسوخ قدمه وهو مقبل باسماً عابساً جباراً قهاراً ما يشهد لك ان الرجال بافعالها لا باقوالهـا فلا تعجب حينئذ اذا تهللت له قلوب الاولياء وتخلعت لمرآه افئدة الاعداء

(٢) رأينا قبيل هذا ان الجيش تمنى بدعائه ان يبرز في استقسامهم قدح اياس والا فقدح ذيوميذ أو أغاممنون فاستجاب زفس الدعاء الذي اجتمعت عليه الامة . وهذا دعاء آخر يدعوه الجند وضعه الشاعر هنا تنبيهاً الى انه سيستجاب أيضاً

يُجيلُ القَناةَ لِحَرِّ الوَطيسِ ... وَيَبْسِمُ عَنْ ثَغرٍ وَجْهٍ عَبُوسِ
يَسيرُ كَرَبِّ القتالِ العَسُوفْ ... لِوَقْعِ خُطاهُ ٱرْتِجاجٌ مَخُوفْ
كآريسَ يَمْشي على قومٍ إنْسِ ... إلى الوَيْلِ سِيقُوا بِفِتْنَةِ زَفْسِ
فَماضَتْ قُلوبُ الأَغارِقِ سُرًّا ... وَخارَ فُؤَادُ الطَّرَاوِدِ طُرًّا
وَنَفْسُ حَشا هَكْطِرٍ خَفَقا ... وَمِنْ هَوْلِ ذا المُلْتَقى قَلِقا
وَلَكِنْ تَرَبَّصَ حَتّى الجِلادِ ... وَلَمْ يَأْوِ مُذْ كانَ أَوَّلَ بادِ
فَأَقْبَلَ آياسُ في كِبْرِهِ ... بِتُرْسٍ كَبُرْجٍ على صَدْرِهِ
بِهِيلا لَهُ الصَّانِعُ الأَمْهَرُ ... تِخِيُوسُ حَدَّفَ يَفْتَخِرُ (١)
على سَبْعَةٍ مِنْ جُلودِ البَقَرْ ... غِشاءٌ مِنَ الصُّفْرِ يُوْهِي النَّظَرْ
وَلَمَّا إلَيْهِ دَنا وَقَفا ... وَصاحَ بِهَكْطُورَ: « أَقْبِلْ كَفى

(١) قال امرؤ القيس :

لها جبهةٌ كسراة المجنّ ... حذّفه الصانع المقتدرْ

وقال الحصين المرّي يذكر دروع قومه وصنّاعها :

عليهنّ فتيانٌ كساهم محرّقٌ ... وكان اذا يكسوا اجادَ واكرما
صفائح بصرى اخلصتها قيونها ... ومطّرداً من نسج داود مبهما

هيلا بلدة في بيوتيا خربت قبل زمن اسطرابون وقال آخرون بل كانت في قاريا • وتخيوس صانع جلود قيل كان في كوما فلما برّح الفقر بهوميروس شخص الى تلك البلدة وامتدحها ببضعة أبيات فأنزله تخيوس في بيته واكرم مثواه فخلد هوميروس ذكره شكراً وامتناناً • قال اليازجي

لئن أفادونا باكرومةٍ ... من مُلفح يبلى ومن منتجِ
فقد حبوناهم بما ذكره ... يبقى بقاء الجيل الاصلجِ

فَسوْفَ تَرَى ما بفَرْدٍ لِفَرْدِ بجَيْشِ الأَخاءَةِ مِنْ فَتْكِ أُسْدِ
وإِنْ كانَ آخيلُ قَلْبُ الأَسَدْ وخرّاقُ قَلبِ العَدُوّ الأَلَدْ
على أَغَمِنُونَ قَدْ حقدا وَعنّا لَدى فُلْكِهِ انْفَردا
فَفِينا لِلُقْيَاكَ جَمٌّ غَفيرْ فأَقْبِلْ إِليَّ وَأَوْرِ السَّعيرْ »
أَجابَ : « أَيا مَنْ لِزفْسَ انْتِماهْ وَيا ابْنَ تِلامُونَ قَيْلَ السُّراهْ
مَهٍ لا تَخَلْ بي رُعُونَةَ وُلْدِ وَعجْزَ نِساءٍ جَزِعْنَ لِصدّ
أَلفتُ القِتالَ وَذبْحَ الرِّجالِ على قَدَمَيَّ وَفوقَ العِجالِ
يَسارِيَ بالتُّرْسِ مِثْلُ يَميني وَرقْصِيَ في الحَرْبِ يُعْلي شُؤُوني (١)
وَلمْ يَكُ شأْنِيَ غَدْرًا أَراكا بَلِ الحَرْبُ صَدْرًا لِصَدْرٍ فهاكا »
وهزَّ المُثَقَّفَ يطْعنُ طَعْنا مِجَنَّ أَياسَ فَغارَ وَرَنّا

---

(١) من مفاخر العرب الكفاح باليمين واليسار • ولقد لقب المأمون الحسين ابن طاهر بذي اليمينين لانه ضرب بحسامه رجلاً فقده شطرين وكانت الضربة بيساره وفي مثل ذلك يقول المعري :

اذا سئمت مهنده يمينٌ لطول الحمل بدّله الشمالا

وله بما يخرّج على هذا المعنى قوله :

وليس بشاغل اليمنى حسامٌ وليس بشاغل اليسرى عنانُ

ويظهر من هذا السياق ان اليونان كانوا يتنافسون بخفة الاعضاء في الضرب والطعن وقلة العبء بمواقف الكفاح وثقل السلاح وهو كثير في كلام العرب • قال عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بايدي لاعبينا

والمخاريق جدائل يلعب بها الصبيان • وقال قيس بن الحطيم

فَشُقِّقَ فُولاذُهُ وَالجُلودُ … لِسابِعِها فَٱسْتَقَرَّ يَميدُ
فَأَرْسَلَ آياسُ رُمحاً شَديدا … على جَوبِ هَكْطُورَ يَفري الحَديدا
فَبالتُّرْسِ للدِّرْعِ للثَّوْبِ أُولِجْ … وَقد كادَ شَقَّ الكَميِّ يُضَرِّجْ
وَلكِنَّ هَكْطُورَ أَهْوَى وَحادْ … وَإِلاَّ لَغالَتْهُ أُختُ النَّآدْ(1)
وَكُلُّهُما ٱجْتَذَبَ اللَّهْذَما … وَحَمْلَقَ يَنظُرُ مُحْتَدِما
كَلَيثٍ يُمَزِّقُ لَحمَ الرِّجالِ … وَخِرْنُوصِ بَرٍّ بَعيدِ المَنالِ
فَطَعْنَةُ هَكْطُورَ لَمْ تَنْجُبِ … وَلٰكِنْ لَواها قَفَا المَجْوَبِ
فَقَرَّ أَياسُ وَما ٱنْقَلَبا … وَبالرُّمْحِ مِنْ فَوْرِهِ وَثَبا

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً … كأن يدي بالسيف مخراق لاعبِ

ومثله قول معقر بن حمار

وحامى كل قوم عن أبيهم … وصارت كالمخاريق السيوفُ

واما الرقص الحربي فكان كثيراً في بلاد اليونان بعد زمن هوميروس والظاهر انه كان شائعاً في أيامه أيضاً وقبلها أثناء حرب طروادة قال عقيل بن بلال بن جرير :

يمشي الى حد السيوف وقد رأى … سبب المنية مشية المختال

(١) النآد الداهية والمراد بها المنية وهي في الاصل (Κηρα) احدى ربات الجحيم الثلاث اللاءي ينسجن اعمار البشر فيقطعن حبل الحياة عند حلول الاجل يمثلهن الشاعر دائماً اعلاماً • قال ابو العلاء



ربات الجحيم

فرمته به الى جانب الكر … سي ام اللهيم أخت النآدِ

فَأَنْفَذَ بالتُّرْسِ مُرْتَعِدا الى العُنُقِ يُجْرِي دَماً أَسْوَدَا
وَهَكْطُورُ عَنْ حَزْمِهِ ما انْثَنى وَلَكِنْ لِوَجْهِ الحَضِيضِ انْحَنى
تَنَاوَلَ أَسْوَدَ صَخْرٍ أَصَمْ غَايِظاً بِهِ مُسْتَشِيطاً هَجَمْ
وعَنْ كَفِّ بأْسٍ أَصَابَ مِجَنَّهْ فَرَنَّ فُولاذُهُ أَسيَّ رَنَّهْ
وصَيْخُودَ صَخْرٍ أَشَدَّ رَفَعْ أَياسُ فَذَبْذَبَهُ ودَفَعْ
بِعَزْمٍ رَحَاهُ بِقَدْرِ الرَّحى عَلَى تُرْسِ هَكْطُورَ فَانْطَرَحا
وَمِنْ صُلْبِ رُكْبَتِهِ الدَّمُ سالا فَأَنْهَضَهُ الرَّبُّ فِيبُسُ حالا (١)
فَجَرَّدَ كُلٌّ حُسَامَ الهَوَانِ وَكادا عَلى القُرْبِ يَشْتَبِكانِ (٢)
وَلَكِنْ رَسُولا العُلى والبَشَرْ أَسِيرا يَكُفَّانِ شَرّاً أَمَرْ
حَكِيمُ الأَخاءَةِ تَلْثِبِيسُ وَفَضْلُ الطَّرَاوِدِ إِيذِيُسُ
فَبَيْنَهُمَا أَسْبَلا الصَّوْلَجَانا وَثانِيهِما صاحَ يُلْقِي الأَمانا : (٣)

---

(١) أي ان الجرح لم يكن قتالاً ولم يكن في القضاء ان يقتل يومئذ فنهض سليماً

(٢) قلنا ان عادة المبارزة قديمة الشيوع ولهذا ورد ذكرها مراراً في الالياذة ولقد أعجب ببراز هكطور واياس كل قرائه من شعراء الرومان والافرنج فضمنوها شعرهم ونسبوها الى ابطالهم فانتحلها فرجيليوس وتلاه طاسو وفينيلون وملتن وفولتير وغيرهم وجاء نظيرها في شهنامة الفردوسي • وقد راينا ان البطلين تبارزا بكل انواع السلاح من الرمح الى الحجر وكان الرجحان فيها كلها لاياس • تلك اثرة من الشاعر لابن ملته

(٣) يلقب الشاعر تلثيبوس وايذيوس برسولي العلى والبشر المـاعاً لمـا كان للرسل من الحرمة والرعاية فمكانتهم دينية ودنيوية معاً لايمسهم احد بسوء ولهم امر يكاد يكون مطلقاً يستشارون ويشيرون وبلسانهم يعقد الصلح وتشهر الحرب

« كَفى يا بُنيَّ فكلُّكُما لدى راكمِ الغيمِ قدْرًا سَما
وكُلُّكُما باسِلٌ وأُذيعْ فخارُكُما بِلِسانِ الجميعْ
وَلَكنَّما اللَّيْلُ جاءَ بِسترهْ فَحَسْبُكُما اليومَ طَوْعًا لأَمرِهْ »(١)
أجابَ أياسُ : « فهذا يُقالْ لِهَكْطورَ فهْوَ مُثيرُ القِتالْ
فإنْ يُطعِنْكَ أُطِعْكَ امْتِثالا » فقالَ ابْنُ فِرْيامَ هَكْطورُ حالا :
« أجلْ إنَّ رَبًّا أياسُ اجْتَباكا ومَجْدًا وَبأْسًا وفَضْلًا حَباكا
وقدْ فُقْتَ بالطَّعْنِ كُلَّ الأغارقْ فَدَعْنا مَجالَ الكِفاحِ نُفارِقْ
فَسوْفَ نَصُولُ ولَنْ نَجْبُنا لِيَقْضِيَ رَبٌّ قَضى بَيْنَنا
وَيولِيَ مَنْ شاءَ عِزَّ الظَّفَرْ فذا اللَّيْلُ خَيَّمَ فوْقَ البَشَرْ
وَشأْنُ الأنامِ احْتِرامُ الظَّلامِ فَيرْجِعُ كُلٌّ عَزيزَ المَقامِ
فَرُحْ يَبْتَهِجْ بِكَ قومُكَ طرًّا لدى الفُلْكِ والصَّحْبُ تَجْذَلُ فَخْرا
وَتَطْرَبُ طُرْوادَةٌ بِمآبي رِجالُ الوَغى وذَواتُ النِّقابِ
فَيَدْخُلْنَ بي هُرَّعًا داعياتِ مَعابِدَ آلِ الخُلودِ الثِّقاتِ
وهِيَّ نُبادِلُ قُبَيلَ القُفُولْ نَفيسَ الهَدايا وَكُلٌّ يَقُولْ :

ويراقبون نظام المجامع ويرافقون جيوش المحاربين والافراد المتبارزين وعلى الجملة فقد كانت لهم منزلة لا تفضلها منزلة الكهنة والعرافين

(١) لما كان النهار اصلح للقتال ولا يُبلغ آخره الا والعناء اجهد القوى جرت العادة بالكف ليلاً واليونان كجاري عادتهم يقدسون الاوصاف والموصوفات والاخلاق والعادات ويجسمونهن تجسيماً ولهذا جرت عادتهم ان يقولوا بوجوب الانقياد والطاعة لامر الليل والظلام كأنهما شخصان ناطقان

كِفاحٌ شَدِيدٌ أوانَ التَّلاقي وَوُدٌّ وَطيدٌ قُبَيْلَ الفِراقِ » (١)
وَأعْطى أياسَ حُساماً صقيلْ عَلَيهِ قَتيرُ لُجَيْنٍ جميلْ
وَغِمْدًا وزاهي نِجادٍ وَنالا حِزاماً بِفِرْفيرِهِ قَدْ تلالا (٢)
وكُلٌّ تُجاهَ ذَوِيهِ انْقَلَبْ وَبينَ الطَّراوِدِ فاضَ الطَّرَبْ
رَأوا أنَّ هكْطُورَ بَعْدَ الإِيَاسِ سَلِيماً نَجا مِنْ ذِراعِ أياسِ
بِهِ نَحْوَ إلْيُونَ سارُوا وَسارا أياسُ إلى القَومِ يَزْهُو افْتِخارا
فَخَفُّوا لِخَيْمَةِ سَيِّدِهِمْ بِهِ يَدْخُلُونَ بِسُؤْدَدِهِمْ (٣)
فَضَحَّى لَهُمْ بِسَدِيسٍ لِزَفْسِ وَهُمْ سَلَخُوهُ بِبِشْرٍ وَأُنْسِ (٤)

(١) لقد غلبت اثرة الجنس على الشاعر في تنسيق هذه المبارزة وحفظ معها شأن المتبارزين فجعل ظاهر الفوز لاياس مع ان هكطور كان الداعي الى البراز وأول من صوّب الطعان . ولما توسط الفيجان واسبلا الصولجان جعل المتكلم منهما فيج الطرواد اظهاراً لميلان الكفة الى الاغريقي وتخفيفاً من وطأة الغلبة على الطروادي ولما انفصلا اذعاناً للامر تكلم الاغريقي بما يشف عن علو همة وقلة اكتراث واجاب الطروادي جواب البطل المقدام لاتذلله العثرات ولا يغض بقوله من قدر خصمه اذ كلما علا شأن عدوك علا شأنك بصدامه . ولم يقر له بالسبق اذ نضله على الاغريق دون الطرواد ولم يرض بالفراق الا على موعد تلاق واعلن ان مغادرته ساحة القتال انما كانت اضطراراً دينياً لامفر منه ولا مناص . وتبادُل السلاح في آخر المشهد يتم رونقه ويزيد هيبته وينبىء بما تنطوي عليه تلك الافئدة الصلبة من رقة الشعور واباء النفس والاعجاب ببسالة البطل المغوار وان كانت في العدو القهار

(٢) كانت تلك المقايضة وبالاً على كليهما فاياس انتحر (بعد الالياذة) بسيف هكطور . وهكطور شُد (في الالياذة) بحزام اياس الى مركبة أخيل

(٣) المراد بسيدهم اغاممنون

(٤) السديس الثور ابن خمس سنين

وَمَنْ حَولهِ اجتمعوا يقطعونا ‏ وفوق سفافيدهم ينظمونا
ويلقون في جاحمٍ وهجا ‏ إلى أن جميع الشوا نضجا
فأُخرج منه ومدَّ الطعامْ ‏ وكلٌّ حوى سهمهُ بالتمامْ
وأتريذُ أكرم مغتبطا ‏ أياسَ فأعطاهُ صلب المطا [1]
ولمّا أزالوا الظما والسغبْ ‏ بهم نسطرٌ بالسداد خطبْ
فذاك الذي قبلُ أعلى المنارا ‏ فبالحلم والحكم فيهم أشارا :
« أأتريذُ يا زعماء القبيل ‏ بأقوامنا الشعر كم من قتيل
نجيعهمُ سالَ في إسكمندرْ ‏ وأرواحهمْ للجحيم تحدَّرْ
عليك إذا يبزوغ الشفقْ ‏ تنادي بكفّ قتالٍ سبقْ [2]
ونحنُ بجملتنا بالعجال ‏ نقومُ بثيرانها والبغال [3]

(١) المطا الظهر — ايلام الولائم للابطال يتناول كل جيل من البدو والحضر وما تلك الا وسيلة لاعلاء شأن ذي الشأن واشعاره بما تكنه له الضمائر من التكرمة والاعجاب • وهي مكافأة معنوية جليلة الرموز توازي الكنوز والا فما قرة العيون باملاء البطون • اقول هذا ردًّا على معترض يعجب ان يكافأ بطل اعلى شأن امته بقطعة من اللحم لاتغنيه من شيء — اما الحكمة في افراز صلب الظهر للنزيل الجليل فالاظهر انها منبعثة عن الاعتقاد بانه مقر القوة والبأس • ومن غريب توارد الخواطر الفطرية ان عرب البادية لايزالون يألفون حتى يومنا تلك العادة • على انهم بدلاً من الظهر يدفعون الى الضيف صدر الذبيحة او كتفها

(٢) يسأل نسطور اغاممنون ان يهادن العدو ولا يزيد على قوله له ان يكف القتال لان الاغريق هم المهاجمون فاذا كفوا عن العدو كف العدو عنهم

(٣) لاريب ان هذه العجال التي تجرها البغال والثيران هي غير تلك التي تجري

ونجمعُ كُلَّ قتيلٍ فُتِكْ   بهِ في تصادُمنا المُشتَبِكْ
ونُحرِقُهُمْ قُرْبَ فُلْكِ السَّراةِ   ونجمعُ منهُمْ عِظامَ الرُّفاتِ
فتُحمَلَ ذِكرًا لِأبنائِنا   إذا ما قفلنا لِأرجائِنا
ونبني ضَريحاً لَهُمْ يُقْصَدُ   على السَّهْلِ حيثُ علا الموْقِدُ[1]
لديهِ نُشَيِّدُ سُورًا رفيعا   يَقي جيشَنا والجُنُودَ جميعا
ونُحكِمُ أبوابَهُ لتجُولْ   بهِنَّ متى ما تشاءُ الخُيُولْ
ومِنْ حولِهِ خَنْدَقٌ يمنعُ   جيُوشَ الطِّرادِ إنْ يُدْفَعُوا»[2]

بها الابطال في ساحة النزال ولعلها من نوع عجال الاثقال المذكورة في رحلة ابن بطوطة ولا تزال مستعملة في كثير من البلاد

(١) لاسبيل الى البحث في منشأ عادة الدفن اذ كادت تنشأ مع نشوء الانسان وربما كان المراد بها أولاً مواراة الاشلاء عن الضواري والكواسر • اما احراق الجثث فتشكل على الباحث معرفة الاصل الذي اخذها عنه اليونان والرومان من بعدهم اذ ان المصريين والفينيقيين والعرب وامثالهم ممن خالط اليونان كانوا يدفنون ولا يحرقون ولعلها بقية من عادات قبائل البلاسجة الذين قدمت طائفة منهم بلاد اليونان بعد ان برحت الهند منذ عهد عهيد • ولا عبرة بما قيل انهم انما كانوا يفعلون ذلك خشية من وقوعها بيد عدو ينتهك حرمتها

اما الضريح الذي اشار نسطور باقامته فهو اول ضريح عام ورد ذكره في التاريخ وان كانت الآثار قد أثبتت وجود المدافن العامة منذ آلاف من السنين — على ان الظاهر ان ذلك الضريح لم يكن الا نصباً يقام تذكاراً لا مدفناً بدليل قول نسطور انهم يجمعون العظام ويحملونها عند عودتهم الى أوطانهم ذكراً لابنائهم • ولا بد من القول ايضاً ان احراق الموتى لم يكن السبيل الوحيد لمواراتهم الموتى بل ربما دفنوا الميت جسماً تاماً كما دُفن اياس وأغاممنون بعد حين

(٢) تذرع نسطور بدفن الموتى الى بناء السور وهي ذريعة كلها حكمة ودهاء

فَكلُّهُمُ صَرَّحُوا بِرِضاهمْ وَأَبْنَاءُ طُرْوَادَةٍ بِجاهِمْ
بِشَمَّاءَ إِلْيُونَ قد جَمْهَرُوا بِأَبْوابِ فِرْيامَ وأْتَمَرُوا
فَهاجُوا وَماجُوا بِلَغْطٍ عَظِيمْ فَصاحَ بِهِمْ أَنْطِنُورُ الحَكيمْ : (١)
« أَطُرْوادَةٌ يا بَني دَرْدَنُوس وَيا حُلَفاءُ وَكُلَّ الرُّؤُوس
إِلَيْكُمْ حَدِيثاً يُخَالِجُ صَدْري فَهَيُّوا بنا نُجْرِ أَصْوَبَ فِكْر
فَنُرْجِعَ هيلانَةَ الأَرْغُسِيَّةْ بِأَمْوالِها خَوْفَ شَرِّ البَلِيَّةْ
فَإِنَّا بِأَيْمانِنا لَمْ نَبَرَّا وَإِنْ تَمْتَنِعْ أَخْشَ شَرًّا أَمَرَّا »
فَقامَ يُجِيبُ فَرِيسُ الأَغَرّْ وَزَوجُ هِلانَةَ ذاتِ الغَفَرْ : (٢)
« أَجَلْ أَنْطِنُورُ شَطَطْتَ بِما يَشُقُّ عَلَيَّ بِأَنْ أَعْلَما

اذ تخفى الغاية عن الاعداء فلا يفاجئونهم اثناء العمل خصوصاً وهم كالاغريق حريصون على دفن رفات قتلاهم فكانما هي فريضة دينية دنيوية تتوق الى قضائها كل نفس ويلهو بالاشتغال بها كل فريق — ان اشارة نسطور ببناء السور وحفر الخندق بتلك الشدة لاشبه شيء باشارة سلمان الفارسي بعد غزوة أُحُد اذ اشار على النبي بحفر الخندق حول المدينة وقال له في بلادنا يفعلون كذا فكان اول خندق حُفر في الاسلام

(١) حيثما انفرد الطرواد والاغريق في منتدياتهم رأيت الاغريق في سكون وانتظام حتى ابّان الشقاق والخصام ورأيت الطرواد في هرج ومرج حتى في ساعة الفرج كأن هوميروس اراد ان لايفوت سامع شعره فضل قومه على اعدائهم • ولقد تقدم في اول النشيد الثالث ماكان من هيئة الجيشين يزحفان للقتال • ولنا هنامثال آخر في حالة السلم — ثم لايفوتنك الفرق بين خطاب نسطور وكله حكمة وحزم وخطاب انطينور حكيم الطرواد وكله مع حكمته سؤم وقنوط

(٢) الغفر الشعر الناعم — وهنامثال آخر للفرق بين اجلال الاغريق لحكمائهم وتمرد الطرواد

لَقَدْ كانَ أَجْدَرَ أَنْ تَنْبِذا حَدِيثاً وَرَأْياً يُماثِلُ ذا
وَإِلَّا فَإِنْ كُنْتَ رُمْتَ السَّدادا فَآلُ العُلى سَلَبُوكَ الرَّشادا
وَأُشْهِدُ رَوَّاضَةَ الخَيلِ أَهْلي بِأَنِّي لَنْ أَسْمَحَنَّ بأَهْلي (١)
وَلٰكِنَّ أَمْوالَها وَازِيدُ عَلَيْها فَإِنِّي سَرِيعاً أُعِيدُ »
فَقامَ بِهِمْ بَيِّهِيُّ الجَلالْ أَخُو الفَضْلِ فِرْيامُ يُبْدِي المَقالْ:
« أَطْرُوادَةٌ يا بَنِي دَرْدَنُوسِ وَيا حُلَفاءِي وَكُلَّ الرُّؤُوسِ
إِلَيْكُمْ حَدِيثاً يُخالِجُ صَدْرِي أَلا فَانْهَضُوا لِلعَشاءِ وَطَوْعاً أَمْرِي
فَذا حِينُهُ وَأَقِيمُوا الحَرَسْ يَطُوفُوا بِكُمْ لِانْقِضاءِ الغَلَسْ
وَيَذْهَبُ قَبْلَ بُرُوزِ الغَزالَهْ إِلى الفُلْكِ إِيذِيُسُ بِالرِّسالَهْ
إِلى الأَتْرُذَيْنِ بِهذا الكَلامِ مَقالَةَ فارِيسَ أُسِّ الخِصامِ
وَيَسْأَلُهُمْ هُدْنَةً نَبْتَغِيها لِنُحْرِقَ قَتْلَى المَعامِعِ فِيها (٢)
وَبَعْدُ نَصُولُ وَلَنْ نَجْبُنا لِيَقْضِيَ رَبٌّ قَضَى بَيْنَنا
وَيُؤْتِيَ مَنْ شاءَ عِزَّ الظَّفَرْ » أَصاخُوا ارْتِياحاً لِأَمْرٍ أَمَرْ (٣)

(١) أهلي الثانية اي زوجي
(٢) يسألهم اي يسأل الاغريق
(٣) ان من موبقات الطبيعة تعامي الاباء عن هفوات الابناء واستسلامهم الى مطالبهم ولهذا انقاد فريام بضعف الابوّة الى اجابة مطلب ابنه . فجنى على نفسه ودولته ورعيته . واخذ على عاتقه تبعة تهوُّر فاريس كما تلبس مرّة بجريرة ابنه جساس قبل حرب البسوس . قال ابن الاثير :
« ولما قتل جساس كليباً انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر

عَشَوا بالسِّلاحِ وَبعْدَ الشَّفَقْ   لفُلْكِ العدى إيذِيُوسُ انْطلَقْ
إذا بِهِمِ ضَمَّهُمْ مَجْلِسُ   لدى الفُلْكِ أَتْرِيذُهُمْ يرْئِسُ
فَصاحَ يَقُولُ بصوتٍ ثقيلِ:   « أَأَتْرِيذُ يا زُعَماءَ القَبِيلِ
بإِمْرَةِ فِرْيامَ وَالْمُؤْتَمَرْ   أَتيْتُ إِلَيْكُمْ لِأُنْمِي الخَبَرْ
مَقَالَةَ فاريسَ أُسِّ الشِّقاقْ   عَسَى أَن تَرُوقَ فَيُلْقى الوِفاقْ
فَإِنَّ الكُنُوزَ التي سلَبا   وَيا لَيْتَهُ قَبْلَ ذا نُكِبا
وَمِمّا حَواهُ حَلالاً يَزيدُ   عَلَيْها بِهِنَّ سَرِيعاً يَجُودُ
وَلكِنَّ زَوجَ النبيلِ مَنيلا   فَعَنْها على رَغْمِنا لَنْ يَحُولا

ابوه مرة الى ذلك قال لقد أتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم • فلما وقف على ابيه قال ما لك ياجساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غداً لها رقصاً • قال ومن طعنت لأُمك الثكل • قال قتلت كليباً • قال افعلت • قال نعم • قال بئس والله ما جئت به قومك • فقال جساس

تأهب عنك أُهبة ذي امتناع   فان الامر جلَّ عن التلاحي
فاني قد جنيتُ عليك حرباً   تُغصّ الشيخ بالماء القراحِ

فلما سمع ابوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تكُ قد جنيتَ عليَّ حرباً   تغصُّ الشيخ بالماء القراحِ
جمعتُ بها يديك على كُليبٍ   فلا وكلٌ ولا رث السلاحِ
سألبس ثوبها واذود عني   بها عار المذلة والفضاحِ

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فاجابوه »

اما صمت هكطور في هذا المجلس ففيه حكمة كبيرة اذ هو اخو فاريس فلا يسعه الا ان ينصره ظالماً اومظلوماً كما نصر همَّام جسّاساً اخاه • وهو سيد القوم فلايسعه ان يجرهم الى الوبال فلجأ الى الصمت وتوارى تحت ذيل ابيه — ثم ان الشاعر انطق

وَيَسْأَلُكُمْ هُدْنَةً نَبْتَغِيها ... لِنُحْرِقَ مَوْتَى المَعَامِعِ فيها
وَبَعْدُ نَصُولُ وَلَنْ نَجْبُنا ... لِيَقْضِيَ رَبٌّ قَضَى بَيْنَنا
وَيُؤْتِيَ مَنْ شاءَ عِزَّ الظَّفَرْ » ... فَطُرًّا سُكُوتاً وَعَوا ذا الخَبَرْ
فَصاحَ ذِيُومِيذُ فيهم: « حَذَارِ ... لِإِلْيُونَ هذا أَوَانُ الدَّمارِ [1]
فَنَابِي الكُنُوزَ وَإِنْ عُدَّتِ ... وَهِيلانَةً وَلَئِنْ رُدَّتِ
لَقَدْ أَزِفَ النَّصْرُ والطِّفْلُ يَعْلَمْ ... عَلَى هامِهِمْ عَنْ قَليلٍ سَتُهْدَمْ »
فَلَمْ يَكُ إِلاَّ مَنِ اسْتَحْسَنَا ... وَأَتْرِيذُ تَصْوِيبَهُ أَعْلَنا :
« سَمِعْتَ إِذاً إِيذِيُوسُ الخِطابْ ... فَهذا الجَوابُ وعَيْنُ الصَّوابْ
وَلكِنَّني سامِحٌ بِزَمانِ ... لِتُحْرَقَ مَوتَى الوَغَى بِأَمانِ
بِحُرْمَتِهِمْ فَلْيَقُمْ كُلُّ عَسكَرْ ... وَيَسْتَرْضِهِمْ بِلَهِيبٍ تَسَعَّرْ [2]
وَزَفْسُ شَهِيدٌ عَلَى تِي العُهُودِ » ... وَمَدَّ عَصاهُ لِآلِ الخُلُودِ [3]

فريام بطلب الهدنة مع انها أمنية نسطور وقومه وهو حسن تصرف كفى به جماعة الاغريق مؤونة ذلك الطلب بل اناالهم فضل المنة على العدو باجابة ملتمسه

(١) لم يكن في خطباء القوم اجدر من ذيوميذ بهذا الجواب فصمت اغاممنون من قبيل صمت هكطور وصمت الباقون مراعاة له ولاخيه منيلاوس لدوران الحديث على هيلانة واما ذيوميذ فهو الشهم الغيور والفتى الفخور يقتحم الاهوال ولا يبالي وهو فضلاً عن ذلك عدو الزهرة واشياعها

(٢) كانوا يعتقدون ان نفوس الموتى تسخط على الاحياء اذا لم يبادروا الى دفن جثثها

(٣) رفع العصا اشارة الى الشهادة والاشهاد كرفع السبابة في الاسلام

وإِيذيسُ لِحماهُ رَجَعْ وقد غصَّ بالنُّبلا المُجتمَعْ
يُعالُونَ طرًّا للقُياهُ صبرا فبلَّغَ ما كانَ أَمرًا فأَمرا
فهبُّوا وبعضٌ لِجمعِ الشُّعَلْ وبعضٌ بِقتْلى الرِّجالِ اشتَغلْ
كذاكَ الأَراغسُ قُرْبَ السفينِ جرَوا جريَهمْ باجتهادٍ مَكينِ
ولمَّا مِنَ اليمِّ فوقَ البِحارِ بدَتْ تتجلَّى عَروسُ النَّهارِ
وتبرُزُ صاعدَةً للسَّماءْ وفوقَ الفدافدِ تُلقي السَّناءْ
تَلاقى الجميعُ بذاكَ المجالْ يكادُونَ لا يَفرِقُونَ الرِّجالْ
جُسومٌ لقَدْ شوَّهتْها الجِراحْ ورَهجُ العجاجِ بدارِ الكِفاحْ
فبالماءِ في مَهَلٍ غسلُوها وبالدَّمعِ في عُجُلٍ حمَلُوها (١)
ولكنَّ فِرْيامَ حظرًا حظرْ على قومِهِ أنْ يَهيلوا العِبرْ
سُكوتًا ولُبُّ الفُؤادِ التهبْ أَسىً جمعُوها لكُدْسِ الحطبْ
ومُذْ فنيَتْ بأَجيجِ اللّهيبِ لإِليُونَ عادُوا بقلبٍ كئيبِ
كذاكَ الأَغارقُ بينَ الوُجومِ مضَوا يجمعُونَ جَميعَ الجُسومِ
ولمَّا عَليها قضَى الحرَقُ تُجاهَ سفينِهم انطَلقوا
وفي بُهرةِ اللَّيلِ قبلَ السحَرْ أُسيرَتْ منَ الخَيمِ خيرُ الزُّمَرْ
ومِنْ فوقِ موْقدِهم للجُثثْ جَميعًا على السَّهلِ شادُوا جدَثْ

---

(١) عُجَّل جمع عجلة

وَسُورًا لَدَيْهِ عَلَيْهِ القُلَلْ   وَأَرْتِجَةٌ لِعُبُورِ العَجَلْ (١)
يَلِيهِ حَفِيرٌ عَمِيقٌ وَسِيعُ   عَلى صَفْحَتَيْهِ وَشِيعٌ مَنِيعُ
وَأَمَّا بَنُو الخُلْدِ آلُ الظَّفَرْ   فَقَدْ بُهِتُوا لِاقْتِدارِ البَشَرْ (٢)
فَمِنْ حَولِ زَفْسَ لَقَدْ رَقَبُوا   فَقَامَ بِهِمْ فُوسِذٌ يَصْخَبُ:
« مِنَ النَّاسِ مَنْ بَعْدُ يَا زَفْسُ يَرْفَعْ   لِآلِ العُلَى مَقْلَتَيْهِ وَيَضْرَعْ (٣)
أَلَمْ تَرَ قَومَ أَخَايَ الأُولى   بَنُوا قُرْبَ سُفْنِهِم مَعْقِلا
وَمِنْ حَولِهِ خَنْدَقُوا مُغْفِلِينا   لِقَومِ الخُلُودِ الضَّحَايا المِئِينا
نَعَمْ ذِكْرُ هذا الصَّنِيعِ البَدِيعْ   إِلى حَيْثُ فاضَ السَّنا سَيَذِيعْ
وَيُغْفَلُ سُورٌ بِمِصْرَ يَجِلُّ   لِلَوْمِيذَ شِدْتُ أَنا وَأَفْلُو »
وَلكِنَّ زَفْسَ وَقَدْ أَنِفا   أَجابَ: « أَرَبَّ البِحارِ كَفَى
أَيا مَنْ يُزَعْزِعُ قَلْبَ الثَّرى   شَطَطْتَ بِما جِئْتَهُ مُخْبِرا
لِيَأْبَى الذي عَنْكَ جُهْدًا يُقَصِّرْ   مِنَ الآلِ لَا بِذا الفِكْرِ يُفْكِرْ
وَمَجْدُكَ سَوفَ يَعُمُّ الفَلَقْ   وَيَمْتَدُّ ما امْتَدَّ نُورُ الشَّفَقْ
فَمَهْلًا لَئِنْ عادَ بِالسُّفُنِ   لَفِيفُ الأَراغِسِ لِلْوَطَنِ

(١) الارتجة الابواب

(٢) اي لبناء السور وابوابه ووشيعه وحفر خندقه بيوم واحد

(٣) كان فوسيذ مبغضاً للاغريق فلا عجب اذا سخط لزيادة منعتهم واستفز زفس للسخط عليهم . واسخطه ايضاً انه الاه البحار والسور اقيم في وجهه . ثم هاج حسد افلون زميله بتنبيهه الى المقابلة بين هذا السور والسور الذي شاداه في مصر . واستنزل

فمعقلهم دُكَّ دكًّا فيُلقى إلى لُجَّةِ البحرِ يُمحقُ محقا
وفي الساحلِ اركمْ رما لا تقرّ عليه تبدْ عينهُ والأثرْ »
كذا أتمروا في المقام الاجلْ وقبلَ المغيبِ أتمَّ العملْ
وقد نحرَ القومُ تحتَ الخيامْ عجولَهمُ يبسطونَ الطعامْ
وكانَ ابنُ إيسونَ راعي الأممْ وإيفيسفيلا فتاةِ النعمْ
أخو الملكِ أفنوسَ من لمنسِ أتتْ فلكهُ لبني ارغسِ
منَ الخمرِ صرفاً بها ألفُ عينِ هديةَ وُدٍّ إلى الأترذينِ
فجيشُ الأغارقِ عيناً بعينِ شرى الخمرَ من ذينكَ السيدينِ
فبعضٌ بصفرٍ مداماً أنيلْ وبعضهمُ بحديدٍ صقيلْ (١)

غضب زفس باستلفات نظره الى اغفال القوم تأدية فروض العبادة • فوعده زفس خيراً وعهد اليه بدك السور ومحو اثاره بعد جلاء الاغريق • والمغزى ان ذلك المعقل لم يكن ليقف في وجه الامواج المتدفقة من اليمّ والحرارة المنبعثة من الشمس هذا اذا ثبت ان اعتراض فوسيذ وجواب زفس غير دخيلين في الالياذة فان اريسطوفانس واريسطرخوس وغيرهما حذفوا من هذا النشيد حديث الآلهة برمته واما ارسطاطاليس فاثبته وقال ان هوميروس انما اتى به عن حكمة غراء لانه لما كان مضطرًا الى تهيئة هذا المعقل تميقاً لشعره وتنويعاً لوقائعه هيأهُ على تلك الصفة ثم انه خشية من انتقاد العقب لخلو الارض من كل اثر له ادار هذا الحديث بين الآلهة فمحقه محقاً • فاذا صح هذا القول فهو من غريب تصوراته وعجيب تفننه

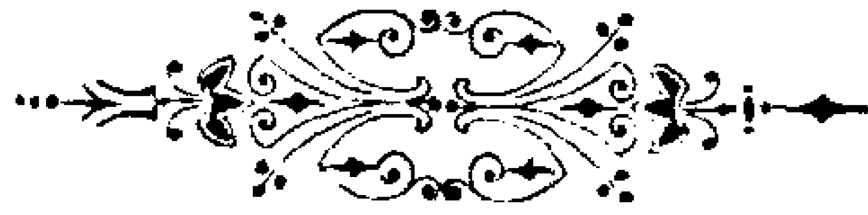
(١) قولنا « الف عين » يراد به الف وزنة أو مكيال عيناً • وهي في الاصل « الف متر من الخمر الصرف » وكلمة متر (Μετρον) باليونانية يراد بها قاعدة الاوزان والمكاييل على الاطلاق • وهذا دليل آخر على ان النقود لم تعرف في ذلك

وَبَعْضٌ شَرى بِجُلُودِ البَقَرْ ... وبعضُهُمُ بِعُجُولٍ ذَخَرْ
وَبَعْضُهُمُ بالسَّبايا شَرى ... ولَيْلَتُهُمْ قُضِيَتْ بالقِرَى
لَهُمْ في الخِيامِ الطَّعامُ يُعَدْ ... كَذاكَ لِطُرْوادةٍ في البَلَدْ
ولٰكِنَّ زَفْسَ وقَدْ غِيظَ حِقْدا ... بِهِمْ زَعْزَعَ اللَّيْلَ بَرْقاً ورَعْدا
فَهَدَّهُمُ الرُّعْبُ وَالْكُلُّ قامْ ... يُرِيقُ على الأَرْضِ كَأْسَ المُدامْ
وَيَخْشى ارْتِشافَ عَصيرِ العِنَبْ ... إلى أَنْ يُزَكِّيْ لِزَفْسَ القُرَبْ
وَلَمَّا انْتَهَوا جُمْلَةً قَصَدُوا ... مَضاجِعَهُمْ حَيْثُما رَقَدُوا

الزمن بل كانوا يتبادلون عَيناً بعين صفراً وحديداً وجلوداً وعجولاً • والسبايا من جملة السلَع • ولم يشع استعمال النقود الا بعد ان مضت عدة قرون على حرب طروادة بل على منظومة هوميروس • ولسنا نعلم زمن الشروع في التعامل بها ببلاد العرب ولكننا نعلم انهم تداولوها في الجاهلية • قال عنترة:

ولقد شربت مع الندامى بعد ما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلَمِ

أي بالدينار وهم كانوا يتداولون حينئذ نقود الفرس والرومان



النشيد الثامن

الوقعة الثانية

مُجمله

لما طرّ الفجر عقد زفس مجلس الآلهة وخطب فيهم مكثراً من الوعيد والتهديد قاضياً بألاّ يتحرش أحدٌ منهم لنجدة أي الفريقين . فالتمست أثينا ان يأذن لها بموآزرة الاغريق برأيها ليس الاّ . فأذن لها واعتلى مركبته وسار الى جبل ايذا يسرّح انظاره بين اليون ومعسكر الجيوش . فالتقت الفئتان واحتدم الاوار الى منتصف النهار . فتناول زفس قسطاسه الذهبي فرجحت كفة الطرواد فأرعد وأبرق فهدّت الاغريق الرعدة والتووا يتعقبهم الطرواد الى معقلهم . وكاد نسطور يهلك لو لم يبادر ذيوميذ الى اغاثته . فأرهب زفس ذيوميذ بالصواعق فانهزم من وجه هكطور فاستظهر هكطور وزاد اقداماً . فاستغاثت هيرا بفوسيذ طالباً لنجدة الاغريق فأعرض عنها . واخذ اغاممنون يستنهض همم الاغريق و يتضرع الى زفس ففاز الاغريق هنيهة بمعجزة منه وابلى ذيوميذ وطفقير بلاء حسناً ثم جُرح طفقير فوجهه صحبه الى السفن فانثنى زفس الى اغاثة الطرواد ففازوا فوزاً مبيناً . فطارت هيرا واثينا الى نصرة الاغريق فوجه زفس اليهما إيريس فعادتا صاغرتين ورجع زفس الى الاولمب واجتمعت الآلهة من حوله فأنبأهم بما أعد في قضائه المحتوم من اشتداد الازمة على الاغريق حتى يخمد غيظ اخيل ويرجع الى مقاتلة الاعداء . ولما خيم الظلام انفصل الفريقان وأقام هكطور العيون والرقباء على الاعداء حتى لا ينهزموا ليلاً فأنار الطرواد المقابس وقضوا ليلهم بسلاحهم ريثما يصبح الصباح فيعيدوا الكرة على أعدائهم

تستغرق وقائع هذا النشيد يوماً كاملاً وهو اليوم السابع والعشرون لافتتاح انشاد الالياذة . ومجرى معظم الحوادث على مقربة من شاطىء البحر والباقي في اندية زفس

النشيد الثامن

كَسا الفجرُ وجهَ الأرضِ ثوباً مُزعفرا　وزفسُ أبو الأهوالِ في أرفعِ الذُّرى (١)
على قمَّةِ الأولمبِ تُصغي مهابةً　لمنطقهِ الأربابُ ألفَ محضرا
فقالَ: « ليعلمْ كلُّ ربٍّ وربةٍ　بما اليومَ في صدري فؤاديَ أضمرا
فلا ينبذنَّ الامرَ عاصٍ بل اذعنوا　لأُنفذَ ما أبرمتُ أمراً مقدَّرا

لِنُصرةِ أيِّ القومِ منْ يجرِ منكمُ　يأُوبَنَّ منكوباً يُخضِّبهُ الدمُ

---

(١) نصلنا في المقدمة اسباب تنويعنا النظم في ترجمة الالياذة • وقد نحونا في هذا النشيد وبضعة اناشيد اخرى نحواً جديداً عسى ان يروق المطالع اللبيب — من محاسن لغتنا العربية اتساعها لتأدية المعاني الفطرية وان ضاقت دون الكثير من التعبيرات العصرية • وهي بهذا المعنى مخالفة للغات الافرنج فتنضاهن في التعبير الجاهلي والوصف الفطري القديم ويفضلنها في التعبير المدني والوصف العصري الحديث • ولهذا كانت أصلح منهنَّ لترجمة منظومة كالالياذة كما ابنَّا في المقدمة • والداعي الى هذا التنبيه افتتاح الشاعر نشيده بقوله « كسا الجو وجه الارض ثوباً مزعفرا » فان بعض نقلة الافرنج استصعبوا تأدية هذا المعنى بلغتهم شعراً بناءً على ان لفظة الزعفران لاتقع وقعاً حسناً في نظمهم فاضطروا الى استبدالها بلفظة الورد وما ماثلها فحادوا بالمعنى عن وضعه المقصود مع كل ما فيه من بلاغة التشبيه • فعربيتنا والحمد لله لاتضطرنا الى مثل هذا التكلف • وشعراؤنا الاقدمون تفننوا في وصف الطبيعة تفنناً لم يسبقهم إليه السابق ولم يفقهم فيه اللاحق • ونفس هذا التشبيه وارد في الكثير من شعرهم • قال المعري وأبدع :

طلعتْ عليهم واليوم طفلٌ　كأن على مشارفه جِسادا

والجساد هو الزعفران كما لايخفى • وفي بيت المعري زيادة في المعنى على بيت

وَإِلاَّ فَمِنْ شُمِّ الأُلْبِ بِراحَتي　　إِلى الظُّلُماتِ الدُّهْمِ يُلْقَى وَيُرْجَمُ[1]
إِلى حَيثُ أَبْوابُ الحَديدِ قَدِ اسْتَوَتْ　　عَلى عَتَبِ الفُولاذِ وَالقَعْرُ مُظْلِمُ
إِلى هُوَّةٍ بَينَ الجَحيمِ وَبَينَها　　مَجالٌ كَأَقْصَى الجَوِّ عَن أَسْفَلِ الثَّرى

فَتَدْرُونَ كَمْ بِالطَّوْلِ أَسْمُو وَأَشْرُفُ　　وَإِنْ شِئْتُمُ فَأْبْلُوا الحَقِيقَةَ تَعْرِفُوا
وَأَرْخُوا مِنَ الزَّرْقا سَلاسِلَ عَسْجَدٍ　　وَكُلُّكُمُ في مُنْتَهاها تَأَلَّفُوا
فَلَنْ تَبْلُغُوا مِنْ زَفْسَ وَهْوَ وَلِيُّكُمْ　　مَنالاً وَإِنْ تُعْنُوا وَإِنْ تَتَكَلَّفُوا
وَلكِنَّني أَيَّانَ شِئْتُ جَرَرْتُها　　وَمَنْ دُونَكُمْ أَجْتَرُّ أَرْضاً وَأَبْحُرا[2]

هوميروس في هذا الموضع . ولكنه دون قول هوميروس في مطلع النشيد التاسع عشر اذ يقول :

ما اشـتمل الفجر بثوب الجسـاد　　من يمّه يبرز فوق العباد ... الخ

وقد أراد الشاعر بالجساد الزعفران الاحمر دون الاصفر وهو كثير في بادية العرب . قال المعري وهو يريد بلا ريب اللون الاحمر :

اقائدهـا تغص الجو نقـعاً　　وفوق الارض من علقٍ جسادُ
وقد ادمت هواديهـا العوالي　　وانضـبها التطاول والطرادُ

ومثله قول عنترة :

وما راعني يوم الطعان دهاقهُ　　الى مثل من بالزعفران يضرجُ

وليس بقليل ايضاً ذكر الزعفران الاصفر في الشعر العربي كقول عبد الكريم النهشلي يصف الخيل :

وصفرٍ كأن الزعفران خضابها　　ومن طرر الاقمـار أوجهها الغرُّ

(١) الاعتقاد بأن موضع العذاب مظلم مدلهمّ قديم في كثير من الاديان ولعل اليونان اخذوه عن المصريين

(٢) لا صورة شعرية في كل منظومات هوميروس تناولتها ايدي الشراح تناولها

وَمن حَولِ أُولمبي الرَّفيعِ أُديرُها   يُعَلَّقُ فيها الكَونُ وَهوَ أَسيرُها
فَيَعلَمَ كُلُّ الجِنِّ وَالإِنسِ مبلَغي   مِنَ الطَّولِ والأَكوانُ أَنّي أَميرُها» (١)

لهذه الصورة البديعة • وقد رمى بها الشاعر على ظاهر العبارة الى المغالاة بعظمة زفس واقتداره • فعلق بها المفسرون فقدحوا زناد الفكرة وتأولوها تاويل ضربوا بها كل مضرب • قال افلاطون رمز الشاعر بتلك السلسلة الذهبية الى الشمس فبأشعتها يتماسك الكون وتحيي الطبيعة • وروى افستاثيوس ان زفس في معتقد بعض الاقدمين انما هو الجلد والسلسلة الشمس فاذا امسك زفس بها عجزت الارباب طرًّا عن زحزحتها اما هو فلا اهون عليه من ان يجتذبها ويجتذبهم مع البحار والارضين ويبطل حركة العالم كما ان الجلد يخفف الحرارة من اشعة الشمس ولولا ذلك لجففت مياه البحار فتصاعدت بخاراً وطردت الرطوبة من جوف الارض فوقفت حركة العالم وتلاشت كل قواه • وزعم القدريون ان المراد بزفس القضاء المحتوم لامرد له مهما تألب عليه من قوى السموات والارض • وذهب آخرون الى ان حلقات السلسلة عبارة عن ايام العالم تتعاقب بنور الشمس الى ان تنتهي اما زفس وهو الجلد فلا يعبث ولن يعبث به عابث ولا باعث • وجاء في الرموز الهوميرية لهيرقليذ انه أشير بالسلسلة الى دوران الكواكب حول الارض • وارتأى پوپ عكس الرأى الاخير أي ان في تلك الصورة رمزاً الى دوران الارض والسيارة حول الشمس فهوميروس اذاً هو الذي أرشد كوبرنيك الى معرفة النظام الشمسي • وهو قول بعيد الاحتمال بعد الشمس • ولو اذن لنا ان نستنبط مغزى رمزياً لاستنبطناه والقينا دلونا بين الدلاء ولكننا نعترف بالعجز عن ادراك مراد الشاعر لو كان في الامر مراد خفيّ • واذا توخى هوميروس الرمز في بعض اقواله جرياً على عادة اسلافه وقدماء المصريين فليس من اللازم ان يكون كل كلامه رمزاً ولغزاً • ثم انه بصرف النظر عن التأويل والتفسير نراه قد أوضح رجحان زفس على سائر المعبودات ورسم لذلك الرجحان صورة شعرية يحار الشعور لتصورها فلمَ نخرّجها تخريجاً علمياً ونُخسرها الرونق الشعري • ولمَ لانقول قول لوبريڤوست ان الشاعر لم يقصد بما قال الا ما قال على ظاهره وكفى به اعجازاً وايجازاً

(١) كان هوميروس يدوّن اساطير زمانه ويتحرى صدق الرواية وكلامه

أَصاخُوا سُكُوتاً حُرْمَةً وَتَهَيُّباً فَقَالَتْ أَثينا يَستَفيضُ زَفيرُها :
«أَجَلْ أَبَتا يا قيِّمَ القَوْمِ جُمْلَةً قُوَاكَ عَلِمْنا لَنْ تَدينَ وَتُقْهَرا

وَلَكِنَّنا نَرْثِي لِحَالِ الأَغارِقِ يُبيدُهُمُ المَقْدُورُ تَحْتَ اليَلامِقِ (١)
أَطَعْنا فَلا نَأْتي النِّزالَ وَإِنَّما نُمُدُّهُمُ بالرَّأْيِ خَوفَ البَوائِقِ (٢)
وَإِلاَّ فَهَذا السُّخْطُ يَجْتَثُّ أَصْلَهُمْ» فَبِشَّ لَها يَرْنُو مُثيرُ الصَّواعِقِ
وَقالَ : «لَئِنْ راعَتْكِ مِنّي صَرامَةٌ فَعَنْكِ جَميلَ الرِّفْقِ لَسْتُ لأَذْخَرا» (٣)

وَلاحَتْ تَزينُ الخَيلَ مِنْ تَحْتِ مِضْمَدِ حَوَافِرُ فُولاذٍ وَأَعْرافُ عَسْجَدِ

الحجة الوثقى في تاريخ بلاده وآدابها وعلومها ومعتقداتها . ولقد مر بنا الجانب الاوفر من معتقدهم الخرافي مما نبهنا عليه في مواضعه . على اننا لم ننبه بعد الى انهم مع وفرة اضاليلهم كانوا يذهبون الى ان العظمة والجلال والقدرة والكمال لاله واحد . فنسبة سائر الآلهة اليه كنسبة المخلوق الى الخالق . ولا ريب ان هذا الاعتقاد قرَّب على افهام عقبهم ادراك مواعظ بولس الرسول وهو يدعوهم الى النصرانية ويمثّل لهم من الربوة المحاذية للاكروبول في أثينا ومن مواقف اخرى عظمة الخالق ووحدته اذ يؤخذ مما تقدم انهم وان كانوا مشركين كل الاشراك في الصورة فقد كانوا موحدين كل التوحيد في المعنى

(١) اليلامق جمع يلمق التروس وهي معربة عن يلمه بالفارسية

(٢) لم يكن احد احق من أثينا بالجواب على كلام زفس فالحكمة تلطف سؤرة الغضب وتخفف وطأة القضاء وان لم ترده . ولو بقي الجميع صامتين لانقطعت حلقة ذلك المجلس

(٣) كان كلام أثينا عبارة عن استعطاف واسترحام فهش لهـا زفس وبش . ولا يخفى على المتأمل في كل اناشيد الالياذة ان للدعاء والصلوة دخلاً فعالاً في تفريج

بمَرْكَبةٍ غرّاء ناطَ صُرُوعها … وفي حُلَّةِ الإبريزِ حلَّ بسُؤْدُدِ (١)
وفي يدِهِ سوطُ النُّضارِ يسوقُها … منَ القُبَّةِ الزَّرقاءِ للأرضِ تغتدي
فبلّغ إيذا جمّة السَّيحِ منهلاً … وأمّ الضَّواري واستقرَّ بغرغرا (٢)

هناك لدى غابٍ أُجلَّتْ وهيكلٍ … لهُ فاحَ نشراً أوقفَ الخيلَ يعتلي
ومُذْ حلَّها بينَ الضَّبابِ أحلَّها … وحلَّ بكِبْرِ المجدِ أرفعَ منزلِ
يميلُ الى الطُّروادِ حيناً وتارةً … الى سفُنِ الإغريقِ وهوَ بمعزلِ
فَفي عجلٍ نالَ الأغارقُ زادهمْ … وفي الخيمِ هبُّوا للسِّلاحِ تحضُّرا

كذاكَ أعاديهمْ وإنْ قلَّ عدُّهمْ … تقنَّع في إليونَ يبرزُ جندُهمْ
يُحرِّقُهمْ داعي الضَّرورةِ للوغى … لتُحفَظَ أعراضٌ وتَسلَمَ وُلدُهمْ
فَفُتِّحَتِ الأبوابُ وأقتحموا الوغى … مُشاةً وفُرساناً يُروِّعُ وفدُهمْ
ولَمّا تدانوا والنُّفوسُ سواخطٌ … تدفَّقتِ الأجنادُ تَصلَى تَسعُّرا (٣)

الازمات واستدرار الخيرات • وحيثما بوشر في امر بلا صلاة ونذر فالمابة بلاء عميم وشر عظيم

(١) ان زفس على عظمته يشد جياده بيده الى مركبته وهنا اشارة الى انه لايكل امره الى احد

(٢) غرغار او غرغروس هو القمة الجنوبية من جبل ايذا في بلاد طروادة كانت مشهورة بخصبها وكثرة مياهها وهيكلها المقام لزفس واسمها الآن زقازطاغ (جبل الاوز)

(٣) لايخفى ان معنى هذا البيت والبيتين التاليين مر في النشيد الرابع • ولا عجب اذا كلف هوميروس به فكرره وهو من مكررات الالياذة التي وردت لمعان لاتكاد تقوم الا بها • ولعل للحفاظ يداً في تكرارها

طِعانٌ تَلاقَتْ في صُدُورٍ تَدَجَّجَتْ ... وَقَرْعٌ بِهِ سُودُ اليَلامِقِ ضُرِّجَتْ
وَزَفْرَةُ مَقْتُولٍ وَنَعْرَةُ قاتِلٍ ... وَسَيلُ دِماءٍ فَوقَ أَرْضٍ تَرَجْرَجَتْ
فَزالَ ضُحَى الأَقْداسِ وَالنَّقْعُ فائِرٌ ... بِحَرْبٍ عَلى القَومَينِ ناراً تَأَجَّجَتْ (١)
وَعِنْداً انْتِصافِ الشَّمْسِ في كَبِدِ السَّما ... لِقِسْطَاسِهِ التِّبْرِيِّ قامَ مُحَرِّرا (٢)
وَأَلْقى بِهِ قِدْحَيْنِ لِلْمَوتِ وَالشَّقا ... لِكُلٍّ مِنَ القَومَينِ سَهْماً مُحَقِّقا
فَسَهْمُ بَني الإِغْرِيقِ مالَ إِلى الثَّرى ... وَسَهْمُ بَني الطُّرْوادِ لِلْجَوِّ حَلَّقا (٣)


محارب يوناني

(١) ان السبب في تقديس ضحوة النهار او ما تقدم الظهيرة هو انهم كانوا ينذرون ويقربون في خلال تلك المدة «افستاثيوس»

(٢) القسطاس الميزان • ليس هوميروس بأول من قال بوزن الحق لاعمال الخلق فهو معتقد قديم جاء مراراً في نص التوراة واعتقاد اليهود وهو خير مميز يمثل به العدل ويتحقق به القسط حتى لقد يجعله النصارى في رسومهم من لوازم يوم الحشر والمسلمون يعلمون انه عز وعلا خلق الانسان « والسماء رفعها ووضع الميزان • ألاَّ تطغوا في الميزان • واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »

(٣) يظهر من كلام هوميروس ان الكفة الراجحة ليست بالكفة الرابحة والسبب في ذلك حسبما روى افستاثيوس ان الارض مقر الشقاء ودار الفناء فميلان الكفة اليها يؤدي الى ما خلق عليها • واما السماء فهي دار الحياة والهناء فارتفاع الكفة

فأَرعَدَ مِنْ أَطْوادِ إِيْذا هَديدُهُ ... وما بينَ ذرَّاعِ الأَغارقِ أَبرَقا
فهدَّتهُمُ مِنْ شِدَّةِ الهَولِ رِعْدَةٌ ... وأَجدَرُهُمْ بالبَطْشِ ولَّى وأَدْبَرا (١)

فإِيذُومِنٌ عادٍ وأَتريذُ هاربُ ... وفرَّ أَياسا البأْسِ والجيشُ لاجِبُ
ولكنَّ نسطُورا تثبَّطَ محْرَجاً ... بصرعِ جوادٍ ساقَ وهوَ يُراقِبُ
بمقتَلِ بادِي العُرْفِ في أُمِّ رأسهِ ... الى المخِّ فيهِ نَبلُ فاريسَ ناشِبُ
فشبَّ وأَهوَى خابطاً متمرِّغاً ... وشبَّتْ جميعُ الخيلِ منهُ تذعُّرا

فَبِالسَّيْفِ نسطُورٌ عدا يقطَعُ القِدَدْ ... وهكطورُ تحتَ العجِّ في خيلهِ وفَدْ

اليها نعيم وبقاء . هذا معتقد اليونان بنص هوميروس والرومان بنص ڤرجيليوس . وقد فسر هوميروس ذلك في النشيد الثاني والعشرين اذ قال ان كفة هكطور هبطت الى الجحيم أي ان طالع سعده توارى وراء طالع نحسه . واما الاسرائيليون فالظاهر انهم اعتقدوا العكس كما يستفاد من سفر دانيال اذ قال دانيال لبلشصّر : قد وزنت فوجدت خفيفاً (أو ناقصاً) . وجرى ملتن في « فردوسه » هذا المجرى فجعل الكفة ترتفع بابليس دليلاً على الخفة والخفة بعكس الرجحان مجلبة للذل والهوان . وليس في الانجيل مايثبت ذلك او ينقضه . واما المسلمون فيقرأون « واما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . واما من خفَّت موازينه فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نارٌ حامية » . وهو مطابق لاعتقاد الاسرائيليين

(١) ما احسنها وسيلة اتخذها الشاعر لاندحار الاغريق . لم يكن يجدر بهم ان يلتووا لعدوّ هو دونهم دربةً وعدداً الا ان تكون هناك قوة فوق قوة البشر فجعل التواءهم لزفس دون الطرواد . ولم يكن زفس ليردهم على اعقابهم حتى ظهر بأعظم مظاهر عظمته وجبروته فارعد من جانب الطور وابرق واخذتهم الصعقة فكانت تلك الهزيمة لهم مجلبة عز وفخار لامدعاة ذل وشنار

وكأني بهوميروس لما شرع في نظم هذا النشيد كانت قريحته ملأى مما التقطه

وقدكاد سيفُ الحتفِ بالشيخ يرْتوي | وَلكنْ ذِيُوميذٌ لنُصرَتهِ عمَدْ (١)
رَأى فبأَعلى الصوتِ صاحَ بأُوذِس: | « إلى أينَ ياذا المكرِ جُبْناً أرى تُرَدْ
أَلمْ تخشَ أنَّ الطعْنَ يُصميكَ مُدْبِراً | فوَلَّيْتَ بينَ القومِ تبغي تَسَتُّرا

فذا شيْخُنا قفْ عنْهُ ذا القرْمَ ندْفع » | فجدَّ يسُوقُ الخيلَ لِلْفُلْكِ لا يَعي (٢)
وَأَمَّا ذِيُومِيذٌ وَإنْ ظَلَّ مفْرَدًا | فخفَّ لصدْرِ الجيْشِ عنْ جأْشٍ أَرْوَعِ
وَلمَّا أَتى نسْطُورَ كفَّ حثِيثهُ | وَقالَ: «أجلْ يا شيخُ بأْسُكَ قدْ نُعِي
يَصولُ عليكَ المُرْدُ في حومةِ الوغى | وَلسْتَ على بأْسِ الشبَّابِ لِتَصْبِرا

من الاعتقادات المنبثة في مصر وسائر بلاد المشرق أخذاً عن العبرانيين ومن عاصرهم فنقلها مزيجاً مشوباً بما خالطه من خرافات القوم • فالوحدة والميزان والارعاد والابراق كلها أمور ليست من مستنبطاته والوعيد بطرح المردة من اعالي النعيم الى درك الجحيم ليس الا بقية اتصلت اليه من تمرد ابليس واهباطه من الجنة

(١) لقد نبهنا الشاعر بوقوف نسطور مضطرًّا بقتل جواده الى جملة امور يجدر التنبه اليها • أولها ان نسطور على عجزه وهرمه كان يقاتل كالفتيان أي ان الشيوخ لم يكونوا ليجتزؤا بموقف المشير الخبير بعيدين عن زعازع المعامع • والثاني انه مع انصباب الاهوال وضعضعة الاحوال لم يعدم نصيراً يذود عنه ويخرج به حياً سلماً اشارة الى انهم مع شدة الهول لم ينهزموا انهزام المرتاع أضاع شعوره وضل سبيله • والثالث ان ذلك النصير المجير انما كان الفتى الغض الشباب يقتحم مستبسلاً غمرات المنون فلا هو بالمبالي بشديد المصاب ولا بالهيّاب من رعيد الارباب

(٢) لم يكن أوذيس ليقف مثل ذلك الموقف الحرج وهو الكهل الداهية الذي كان اعرف الناس بسوء مصير المتمردين على الارباب « فجد يسوق الخيل للفلك لا يعي »

فَتبعُكَ ذو عجْزٍ وَخيلُكَ قصَّرتْ ... فَللصَّحْبِ أَوْدِعْها فمرْكبَتي جرَتْ[1]
وَهيَ اُختَبرْجُرْدًا بأُطْرُوسَ نُقِّفَتْ ... سِراعًا إِذا كرَّتْ وَإِنْ هِيَ أَدْبَرَتْ
بِأَسيَ منْ إِيناسَ منْ قبلُ نلتُها ... بِها حَسبُنا جَرْيٌ بحرْبٍ تَسعَّرَتْ[2]
فيَعلَمَ هكطورُ بِأَنَّ مُهنَّدِي ... بِيُمْنَايَ لِلْفتكِ الذَّريعِ تَضوَّرا»[3]

فَأَذْعنَ نَسطورٌ وأَستينِلٌ قفَلْ ... وأَفْرُمذُونٌ بالجيادِ على العَجَلْ[4]
وَقرْبَ ذِيُوميذٍ مضى الشَّيْخُ يَعْتَلي ... يَسوطُ وَأَطْرَافَ الأَعِنَّةِ قد سدَلْ
وَلمَّا لدى هكْطُورَ في الحالِ بلَّغا ... أَطارَ ذِيُوميذُ السِّنانَ فعَنْهُ زَلْ
وَأَنفذَ في ثَدْيِ ابْنِ ثِيبسَ أَنيفِ ... فَخرَّ على وَجْهِ الحَضيضِ مُكوَّرا

فَأُرْمِضَ هكْطُورٌ بِبثٍّ يُبرِّحُ ... على تَبْعِهِ وَالخيلُ شبَّتْ تُطمِّحُ[5]
وَغادرَهُ يَبْغي غُلامًا يَسُوقُها ... فَبادرَهُ أَرْخِفْطُلِيمسُ يَسْرَحُ
وَكادَتْ سُرَى الطِّرْوادِ تجْرِي هزِيمةً ... لِإِلْيُونَ كَالخِرْفانِ وَالخطْبُ يُفْدَحُ

(١) التبع التابع
(٢) مر بيان ذلك في النشيد الخامس
(٣) هذا كقول النمري :

ومُصلتاتٍ كأنّ حقداً ... منها على الهامِ والرقابِ

ومثله قول أبي تمام :

كأنما وهي في الاكباد والغةٌ ... وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجدُ

(٤) استنيل حوذي ذيوميذ وافرومذون حوذي نسطور قفلا بمركبة نسطور
(٥) طمّح الفرس رفع يديه والمقصود هنا التجفل

وَلكِنَّ زَفساً وَهوَ شاهدُ وَهنِهِمْ   أَمامَ ذِيُوميذَ الصَّواعِقَ أَمْطَرا
فَدَمْدَمَ يَدْوِي الرَّعْدُ وَالبَرْقُ أَوْمَضا   بِنارٍ مِنَ الكِبريتِ تَلْهَبُ في الفَضا
فَفِي نيْرِها الخَيلُ اقْشَعَرَّتْ تَهَيُّباً   وَأَفْلَتَ نَسطُورُ العِنانَ مُمَعَّضا
وَصاحَ : « فِرارًا يا ذِيُومِيذُ أَلا   تَرى نَصْرَ زَفْسٍ عَنكَ ذا اليومَ مُعرِضا
لِهَكطُورَ أَوْلاهُ وَمَنْ ذا يَصُدُّهُ   سَيَخْلُو لَنا يَومٌ يَشاءُ فَنُنْصَرا »

فَقالَ : « تَحَرَّيْتَ الحَقِيقَةَ إِنَّما   فُؤَادي وَنَفْسي بِالعَذابِ تَضَرَّما
لَأَجْدَرُ بِي أَنْ تَفْتَحَ الأَرْضُ جَوفَها   فَتَبْلَعَني مِنْ أَنْ أَذِلَّ وَأُهْزَما (١)
وَيَصْرُخَ هَكْطُورٌ لَدى جُنْدِ قَومِهِ   « ذِيُومِيذُ في الفُلْكِ مِنْ بَأْسِيَ ارْتَمى »
فَقالَ :« وَأَنَّى يا ابْنَ تِيذِيسَ تُرَى   يُتاحُ لَهُ أَنْ يَسْتَعِزَّ مُعَيِّرا
يُكَذِّبُهُ قَومُ الدَّرادِنَةِ الأُولى   بَلَوْكَ وَأَبْناءُ الطَّراوِدِ وَالمَلا (٢)

(١) لشعرائنا تصرف كثير بهذا المعنى • فمن ذلك قول ابي خراش:

مخافة ان احيا برغم وذلة   وللموت خيرٌ من حياة على رغمِ

أخذهُ أبو فراس فقال :

ولا خير في دفع الردى بمذلة   كما ردهُ يوماً بسوءَته عمرو

وأحسن منهما قول الحصين بن الحُمام المرّي :

فلست بمبتاع الحياة بذلة   ولا مبتغٍ من رهبة الموت سلّما
ولكن خذوني أي يوم قدرتمُ   عليَّ فحزُّوا الرأس ان اتكلما

(٢) الدرادنة قوم آنياس سكنة دردانيا واقدم أبناء تلك البلاد • سموا بذلك نسبة الى دردانوس بن زفس والكترا • نشأ في أرقاديا وابتنى دردانيا في اسيا الصغرى

تُكَذِّبُ غاداتٌ تَأَيَّمْنَ بَعْدَ ما حَمَلْتَ على أَزْواجِهِنَّ مُجَنْدِلا »
وَرَدَّ رُؤُوسَ الخَيلِ مُنْهَزِماً بِهِ وَفَوقَهُما وَبْلُ النِّبالِ تهَيَّلا (١)
وَهكْطُورُ هَيَّاجُ التَّرائِكِ مُقْبِلٌ بِإِثْرِهِما يُنْمِي الفَخارَ مُظَفَّرا :

«ذِيُومِيذُ في الإِغْرِيقِ كَمْ كُنْتَ تُرْفَعُ مَقاماً وَيُزْجِي الزَّادُ وَالكَأْسُ تُتْرَعُ
فَسَوفَ تُسامُ الذُّلَّ بَينَ جُمُوعِهِمْ لِوَهْنٍ بِهِ كَالغِيدِ قد بِتَّ تَهْلَعُ
خَسِئْتَ فَلَنْ تَعْلُو مَعاقِلَنا وَلا عَقائِلَنا فَوقَ السَّفائِنِ تَدْفَعُ
فَهَيْهاتِ لَنْ تَسْتَأْثِرَنَّ وَساعِدِي سَيُولِيكَ مِنْ قَبْلُ الحِمامَ المُسَطَّرا »

وهي مدينة كانت على مقربة من الدردنيل وكلا الاسمين منسوب الى دردانوس المذكور

(١) لم تكن كل صواعق زفس لتكبح جماح ذيوميذ حتى وقعت عليه صاعقة الفصاحة من منطق نسطور فانثنى وما كاد يثني بل كان المثني نسطور • وهذا منتهى غرائب الاستبسال من وجه وغاية عجائب الاقوال من وجه آخر — لقد اتفق الناس على ان مهرة المصورين والرسامين استخرجوا من هوميروس الجانب العظيم من مواضيع صورهم • فتصوَّروا الوقائع وصوروها لهم بابدع ما تخيله المدارك فرسموها عنه على أهون منال • وأي مثال لاشتداد أزمة الحرب أوقع في النفس من هذا المثال • هنالك زفس على قمة الطور متشحاً بعدة الاقتدار مستلماً بشكة النضار تتعالى طوع أمره الغيوم المكفهرة وتتوالى الصواعق المزمهرة فيستر مركبته منها بما شاء وينفذ باقيها انذاراً بالويل والبلاء ويرعد ويبرق فيبدد قوماً ويشدد آخرين فينجو من فسح له في الاجل المقدور • وهنا هرم وقور وفتى جسور يحجب الاول لحول الاقدار ولا يتهيب الثاني لهول الاخطار يتدرع بالباس ولو ريع كل الناس وزلزلت الارض زلزالها • تنقض الصاعقة بين قدميه وتزبئر لها جلود الانسان والحيوان وهو كفلذة الحديد لايحيد ولا يميد الى ان ادركه ارشاد ذلك الشيخ ببلاغته فنفذت فيه ولا نفوذ الآيات البينات وارعوى لها ولا ارعواءه لزعزعة الارضين وتفتّح السموات

فـرَدَّدَ تيَّـارًا يهيجُ ببـالهِ　　أَيُفْعِلهُ أَمْ ينثـني لـنزالهِ
ثلاثًا على الأمرَين ردَّدَ فكرَهُ　　وزفسُ ثلاثًا راعـدٌ بجبالهِ
يُشيرُ إلى الطِّرْوَادِ بالنَّصْرِ مُعْلنًا　　وهكطورُ يَدْوي صوتُهُ برجالهِ :
« أيا أَيُّها الطِّرْوَادُ يا قومَ ليقيا　　ويا دردَنيُّون النَّجيعُ تفجَّرا

فكُونوا رجالاً واستجيشُوا بشدَّةٍ　　فقدْ لاحَ لي زفسٌ يميلُ لنُصْرَتي
يخوِّلـني نصْرًا مُبينـاً وعِزَّةً　　وإهلاكَ أقوامِ الأعادي المُلمَّةِ
بنَوا معْقلاً غثًّا فيا لضلالهمْ　　بمـا زَعَمـوا فيـهِ أَنثناءَ عزيمتي
فخيليَ تجتازُ الحفـيرَ مُغـيرةً　　ودُونكمُ مني البلاغَ المُقرَّرا :

فإنْ أدنُ من فُلكِ الأغارقِ فاقْذِفوا　　عليها لهيبَ النَّـارِ لا تتوقَّفُوا
فتفنى ويعلُو للرَّقيـعِ هصيصُها　　ويُفنيهم طرًّا سنانٌ ومرهَفُ »
وصاحَ بآذانِ الجيادِ يحثُّها :　　« أيا زَنْثُ يا فوذرغُسُ المتشوِّفُ
ويا إيثَنٌ يا لمفُسُ الكرُّ كرُّكمْ　　بهِ إيهِ هذا اليومَ قد رُمْتُ مخبرا [1]

(١) هذه اسماء جياد هكطور ومعناها على ترتيبها : الكُميت والطيّار (سريع الخطى) والاشقر والساطع · ولا عجب اذا خاطبها هوميروس فالشاعر يخاطب الجبال والوهاد والحي والجماد واي موقع أحق بهذا الخطاب من بطل مغوار ثمل بخمرة الانتصار وقد شام برق الامل بالضربة القاضية على عدوه بعد ان عيل وقومه صبراً وكادوا يهلكون · بل اي مقام أولى من هذا المقام بادّكاره سابق عنايته وتحوطه بها ادخاراً لها لمثل هذا اليوم · وما أحلى تلك الذكرى لديه وهي ملازمة لذكرى اندروماخ

فَكَمْ رُضْتُكُمْ جهدي ابْتِغاءَ رضاكُمُ ... وَكَمْ أَنْذَرُوماخٌ تَمَنَّتْ مُناكُمُ
وَكَمْ بُرُّها كَالشَّهْدِ قَدْ ذخرتْ لَكُمْ ... تُراقُ عَلَيْها الخَمْرُ آنَ غَذاكُمُ (١)
بِذَلِكَ كُمْ قَبْلي رَعَتْكُمْ وَإِنْ أَكُنْ ... حليلاً لها غضّاً فَحُثُّوا خُطاكُمُ
فَيا حَبَّذا كَرٌّ يُذِلُّ عُداتَنا ... فَنَغْنَمُ تَحْتَ النَّقْعِ مِجْوَبَ نَسْطُرا

مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ ذا التُّرْسُ كُلُّهُ ... وَشُهْرَتُهُ حَتَّى السَّماءِ تُجاهُهُ
ومِنْ ثَمَّ عَنْ كِتْفَيْ ذِيُومِيذَ لأْمَةً ... حَباهُ بِها هِيْنَسْتُ وَهْيَ تُظِلُّهُ (٢)
فَإِنْ نَغْتَنِمْ هَذَيْنِ لاشَكَّ يَلْتَجِيْ ... بِلَيْلَتِنا لِلْفُلْكِ جَيْشٌ نُذِلُّهُ »
أَمانِيُّ هَكْطُورٍ كَما شاءَ بَثَّها ... وَهِيرا لِذاكَ الخَطْبِ هاجَتْ تَحَسُّرا

عَلى عَرْشِها اهْتَزَّتْ فَقَلْقَلَتِ السَّما ... وَصاحَتْ بِبُوسِيذَ العَظِيمِ تَحَدُّما: (٣)

وبها يفدي كما رأيت امه وأباه واخوته وذوي قرباه والارض ومن عليها — وكم من مثل لنا بشعراء جاهليتنا يخاطبون خيلهم وتخاطبهم كقول عنترة :

فقلت لمهري والقنا يقرع القنا ... تنبه وكن مستيقظاً غير ناعس
فجاوبني مهري الكريم وقال لي ... انا من جياد الخيل كن انت فارسي

(١) البر الحنطة — ينبئنا هذا بما كان للخيل عندهم من المنزلة حتى تعد بنات الملوك ونساؤهم علفها بايديهن وبما كان من تحبب الزوجات المخاصات الى بعولتهن

(٢) هي اللأمة التي غنمها من غلوكوس في النشيد السادس وكانت ذهباً

(٣) كان الآلهة الموالون للاغريق كثيرين ذوي صولة وبأس ومع هذا فلم يكن منهم من يجسر على التصدر بطلب المدد لهم الا هيرا ذلك لانها زوجة زفس ودالة الزوجة فوق كل دالة ولا سيما اذا كانت كما هيأ لنا الشاعر هيرا جريئة الجنان ذربة اللسان

« وَهلاَّ أيامَنْ زَعزَعَ الأَرْضَ بَأْسُهُ ... جزِعتَ لِأَرْزاءِ الأَراغسِ مُرْغَما
فكَمْ لكَ أزْكَوْا في أَليقا وإيغسٍ ... قِرا بينَهُمْ يَبغُونَ قُرْبَكَ مَغنَما (١)
فإنْ نعتصبْ في صحبهِمْ من ذوي العُلى ... فلا رَيبَ أنّا لَنْ نُصدَّ وَنُدْحَرا

فهيَّ بنا نَنْقضَّ في كبِدِ العدى ... وَمِنْ فوقُ إيذا زفسُ يخرجُ مُفرَدا»
فقالَ لها والغيظُ ميزَهُ : « لقدْ ... شطَطْتِ ومنّي لاتنالينَ مقصَدا
أبيتُ لقا زفسٍ وإنْ تتألّفوا ... جميعاً عليهِ فهوَ أعظمُ سؤددا »
فذاكَ حديثٌ في بَني الخُلْدِ دائرٌ ... وقدْ ثقلتْ تشتدُّ وطأةُ هكطرا

يَصولُ كآريسٍ وزفسُ يُديلُهُ ... وجيشُ العدى يَصطَكُّ بادٍ قفولُهُ
لدى الفلْكِ حتّى الحصْنِ دونَ حفيرهِ ... تُساقُ انْهزاماً رَجلُهُ وَخيولُهُ
وقد كادتِ النّيرانُ تحرِقُ فُلْكَهُ ... فحثّتْ أغاممْنونَ هيرا دليلُهُ
فخاضَ صفوفَ الخيمِ والفلْكِ رافعاً ... بساعدِهِ بُرْدًا مِنَ الخزِّ أحمَرا (٢)

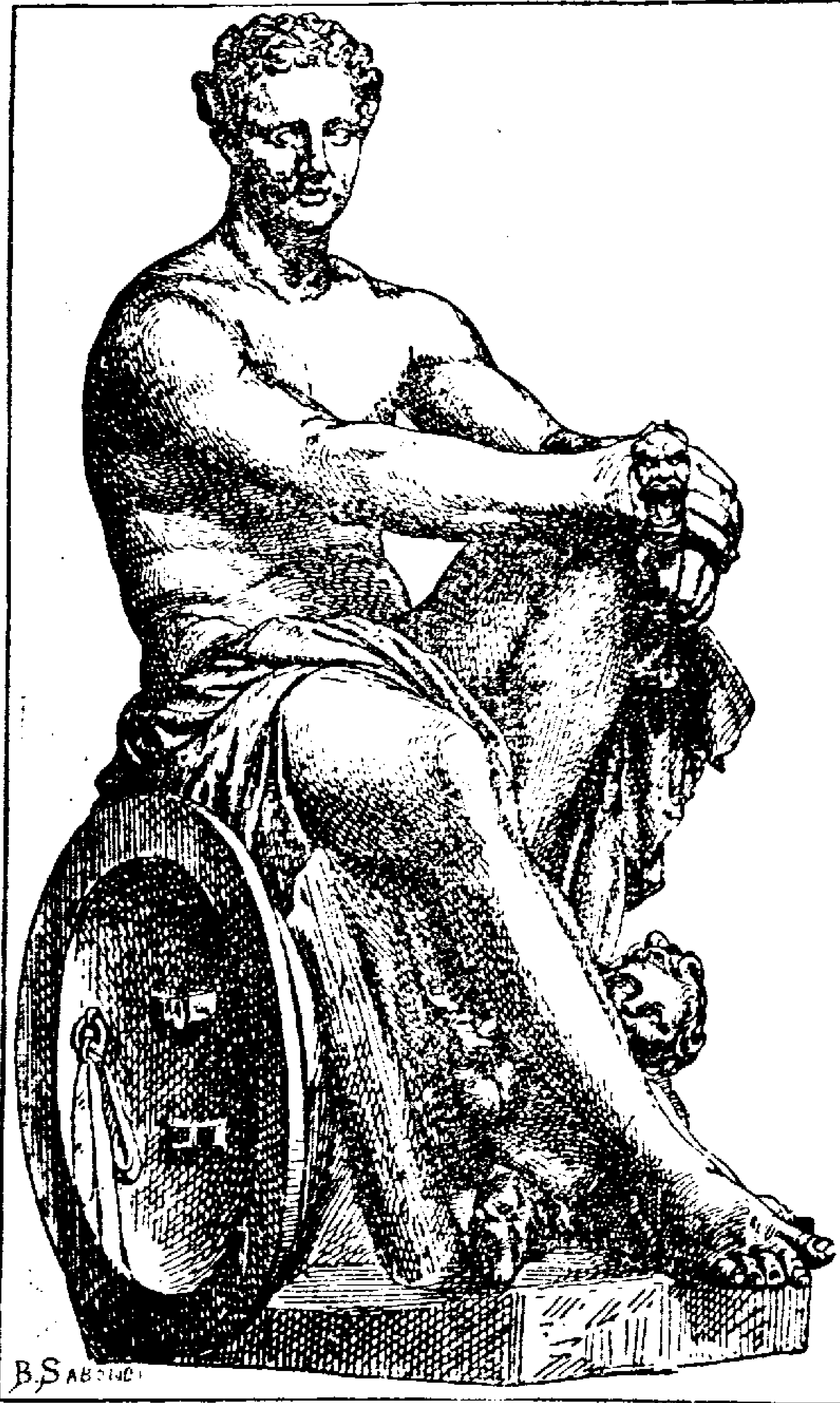
توَسّطَ في الأسطولِ حتّى إذا علا ... خليّةَ أوذيسٍ بهِ تحْدقُ الملا

(١) اليقا مدينة عظيمة بناها يون من اجداد اليونان في بلاد الاخاءة وخربت بزلزلة . وايغس بليدة كانت على مقربة منها وكان في كل منهما معبد لفوسيذ وتمثال عظيم

(٢) المراد برفع هذا البرد الاحمر بيد زعيم القوم استلفات الانظار لامر جالل . وشيوخ باديتنا لايزالون يتشحون بهذا البرد الاحمر ولعله بقية توارثوها من عهد الجاهلية وهو كما لايخفى شعار الملك والسلطان

وأَشْراعُ آخيلٍ وآياسَ أُرْسيَتْ   عَلى طَرَفيهِ شِدَّةً وَتَبسُّلا [1]
عَلاصَوْتُهُ يَدْوي: «أيا عُصْبَةَ وَهَتْ   جَنَاناً وَإنْ أَبْدَتْ بَياناً مُجَمَّلا
أَلا أَيْنَ ذَيَّاكَ التَّبَجُّحُ قَدْ غَدا   وَأَينَ عُرَى عَزْمٍ أَراهُ تَفَطَّرا

فَأُفٍّ لَكُمْ هَلاَّ ذَكَرْتُمْ مَقَامَكُمْ   بِلِمنُوسَ وَالزَّادُ الشَّهيُّ أَمامَكُمْ [2]


آريس الاه الحرب

(١) الخلية السفينة العظيمة والاشراع جمع شرعة وهي السفينة أيضاً — صرح الشاعر بالمراد من ارساء سفن اياس وأخيل على طرفي الاسطول بقوله شدة وتبسلا لانهما أشد القوم بأساً فكان من الحكمة أن يكونا في أحرج المواقف. واما ارساء سفن أوذيس في منتصف الاسطول فالحكمة فيه كما قال الشراح انه أدهى القوم وأخدعهم والحرب خدعة فلزم أن يتوسط ليكون أقرب الجميع الى الجميع ليسهل عليه بث الاراء والاخذ بالحنكة والدهاء

(٢) لمنوس أو لمني جزيرة في الارخبيل الرومي تجمع بها جيش اليونان وهم قاصدون بلاد الطرواد — وقد اشتهرت بمرفإها حتى ان اسمها

بلَحْمٍ سَمِينٍ ترتَمُونَ وَأَكْؤُسٍ تُدِيرُونَ عُجْباً راشفِينَ مُدامَكُمْ
على مِئةٍ يَنقَضُّ أَو مِئتَيْ فتىً فتاكُمُ زعمتُم مُنتَضِينَ حسامَكم
وَعَنْ هكطُرٍ فذَّا عجزْنا وَخلتُهُ سيُلْهِبُ نارًا فَلْكَنا مُتَنَمِّرا

أَيا زَفْسُ هلْ مِثْلِي مَليكٌ تَذَلَّلا وَمِنْ سُدَّةِ المَجْدِ الأَثيلِ تنزَّلا[1]
وَحقِّكَ مُذْ أَقلَعْتُ لاجِئْتُ مُقْلِعاً على مَرْكَبِي جَمِّ الأَرادِمِ مُقْبِلا[2]
شُحُومَ عُجُولِي قد دَفَعْتُ وَسُوقَها لِتُحْرَقَ أَنَّى شادَ قومُكَ هَيْكَلا
فَمَهِّدْ لَنا سُبْلَ النَّجاةِ هزيمةً ولا تُسْلِمَنَّا لِلْعَدُوِّ فَيَغْدُرا »

فَأَزْفَقَ زَفْسُ راحِماً عَبَرَاتِهِ وَأَوْمأَ يُؤْتِي الجَيْشَ بُشْرَى نَجاتِهِ
وَأَرْسَلَ خَيرَ الطَّيرِ نَسْرًا مُطَوِّقاً بمخلبِهِ ظَبْيٌ بِأَسْنَى سِماتِهِ

يفيد معنى المرفاء • وليؤذن لنا ان نبدي ملاحظة وان انحرفنا بالبحث قليلاً • فالمينا للمرفاء في العربية واللومان والليمان للسجن الفاظ معربة عن كلمة لمني اليونانية فوضع الاخذ ظاهر لفظاً ومعنىً وليس في موادالعربية مايستخرج منه هذا المعنى • واما اللومان فالسبب في استخراج اسمه من كلمة بمعنى المرفاء انهم كانوا يحجرون على الاسرى وبعض المسجونين في بعض الفرض أي في بعض الموانيء فقولهم أرسل فلان الى المينا أو اللومان كقولهم ارسل الى سجن الثغر • ولقد بحثت في كتب اللغة فلم أر من وجّه هذا التوجيه الا ان محيط المحيط نبه الى تعريب اللومان ولكنه لم ينبه الى تعريب المينا

(١) من كلام أحد الخلفاء العباسيين :

أليس من العجائب ان مثلي يرى ما عزَّ ممتنعاً عليهِ
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيءٌ في يديهِ

(٢) الارادم الملاحون

وَأَسقَطَهُ في قُربِ هيكلهِ الذي لذي الوَحيِ زفس قدَّموا قُرُباتهِ (١)
وَمذ أَبصرَ الإِغريقُ ذلكَ قوَّموا عزيمتهم يبغون فتكاً مُدمرا

أَمامهمُ طرًّا ذيوميذُ أَطلقا أَعنَّتهُ يجتازُ بالخيلِ خندقا (٢)
يَؤُمُّ العدى صدرًا لصدرٍ ورُمحُهُ بيمناهُ أَحشا آغلاوُسَ مزَّقا
بعاتقهِ واراهُ يبدو لصدرهِ على حينَ ردَّ الخيلَ يجتنبُ اللقا
فخرَّ صريعاً خابطاً بدمائهِ بصلصلةٍ يربدُّ لوناً ومنظرا

فشدُّوا القُوى والأَترذان تقدَّما كذاكَ الأَياسانِ اللذانِ تحدَّما
وَإِيذمنٌ معْ تبعهِ مرْيَنَ الذي حكى شدَّةً آريسَ مُستنزفَ الدِّما
فأُوريفلوسُ بنُ الفتى إِيفمٍ تلا وتاسعهم طفقيرُ والقوسَ أَحكما
يُواريهِ آياسٌ وَراءَ مجنّهِ فيرفعُهُ حيناً فحيناً ليُبصرا

---

(١) كان النسر أصدق الطيور في طيرتهم • يفسره الشراح هنا بهكطور والظبي بالرعدة أو الجيش المهزوم وسقوطه قرب هيكل زفس اشارة الى ان زفس يقيهم شر البلاء — وذو الوحي أو رب الوحي لقب من القاب زفس لانه في معتقدهم علاَّم الغيوب لا يعلم منها سائر الآلهة والانبياء شيئاً الاَّ باذنه — كانت الطيرة عندهم أشبه شيء بها عند العرب وسنأتي على البيان في النشيد الثاني عشر عند ذكر السانح والبارح • ولقد وهم من ظن انها عقيدة عفت آثارها ولم يبلغ عصرنا الا أخبارها فهي لا تزال عند قبائل الطغة في الهند ولعل منشأها من تلك البلاد

(٢) لما كان ذيوميذ آخر المولّين لم يكن يجدر به الا ان يكون أول المقبلين • وهنا انقلبت حالة الاغريق من الادبار والدفاع الى الهجوم والايقاع

فَيُحدِقُ في قَرْمٍ مِنَ القومِ دُونَهُ وَيَرْشُقُهُ رَشْقاً يُعِدُّ مَنُونَهُ (١)
وَيأتي أَخاهُ مُسْتَظِلاًّ بِتُرْسِهِ كَطِفْلٍ لِحُجْرِ الأُمِّ أَبْدَى حَنِينَهُ (٢)
وَيَصْدُرُ فيهم سَيِّداً بَعْدَ سَيِّدٍ فَجَنْدَلَ أَرْسِيلُوخَ يَفْري وَتِينَهُ
فَأُرْمِينُساً ثُمَّ الفتى أُوفِلِسْتُساً وَأَتْبَعَهُ أَخْرُومِيُوسَ وَذِيتُرا

وَأَلْحَقَ لِيقُوفُنْطُساً وأَمُوفُنا ومِيلانِبّاً تَنْتابُهُمْ غُصَصُ الفَنا
فَأَطْرَبَ أَتْرِيذٌ وَقامَ تُجاهَهُ يُبَجِّلُهُ بَينَ العَساكِرِ مُعْلِنا :

(١) كان طفقير كما تقدم أخا اياس بن تلامون لابيه وكان أرمى الاغريق كما كان فاريس أرمى الطرواد — ولقد رأى الشاعر ويانعم ما رأى ان يفرد لنا هنا نبذة في رمي النبال تنويعاً لمجرى القتال فأبرز لنا طفقير غير مدّرع كسائر الجند يتوارى تحت مجن أخيه . ولقد ذهب افستاثيوس وبعض الشراح الى انه برز كذلك لئلا تربكه اللأمة على انه يستفاد من كلام هوميروس نفسه في النشيد الثاني ان الرماة لم يكونوا يستلئمون الا اذا اضطروا للقتال في الطلائع كفاريس والا فهم في الغالب في الساقة بعيدين عن مشتجر الرماح وقرع السلاح فلا حاجة بهم الى حمل ثقيل هم عنه في غنى

(٢) لم يكن شاعرنا وهو اعلم الناس بعواطف الناس ليجهل ان تلاوة قصص الحروب تقسي القلوب فلهذا تراه يلطفها حيناً بعد حين بكناية او رواية أو تشبيه رقيق يهيج العاطفة ويلين تلك الخشونة وحسبك مثالاً هذا التشبيه الذي يسحق تلك الصلابة ويرتفع بالفكرة من حضيض المشقة والمخاوف الى سماء الرقة والعواطف . وانه ليعجزك من وجه آخر ان تحكم أالفخر لطفقير بسداد مرماه وكيد اعدائه ام لاياس الذي اسبل عليه ذلك الستر المنيع — كانت العرب تترامى على هذا النمط في بعض الاحوال فيترّس فارس لفارس فقد جاء في اخبارهم انه لما كانت الواقعة بين توبة بن الحمير وثور بن ابي سمعان كان عبد الله اخو توبة يترّس له كما كان اياس يترس لطفقير (اغاني ج ١٠ : ٧٠)

«أيا ابنَ تِلامونَ الحبيبَ وَغُرَّةَ الْ ... جُنُودِ أَسِلْ وبْلَ النِّبالِ مُرَنَّنا
عَسَى مِنْكَ يُؤْتَى الدَّانَوِيُّونَ نَصْرَهُمْ ... وَيَعْلُو أَبُوكَ الهِمُّ شَأناً وَمَشْعَرا

نَشَأْتَ بِمَغْنَاهُ عَزِيزاً مُسَوَّدَا ... وَإِنْ كُنْتَ مِنْ نَسْلِ السَّبِيَّةِ مَوْلِدا[1]
فَزِدْهُ سَنا مَجْدٍ وَإِنْ بَانَ بَوْنُهُ ... وَدُونَكَ مِنْ أَتْرِيذَ عَهْداً مُؤَيَّدا
لَئِنْ نِلتُ مِنْ زَفْسٍ وَفَالاسَ نُصْرَةً ... فَبَعْدِيَ قَبْلَ القَوْمِ تَظْفَرُ بِالْجَدا

(١) لقد نطق اغامنون بما يجدر بكبار القواد ولم يغض من شأن طفقير بذكر نسبه على مسمعه لانه لم يكن يعيبهم ان يكونوا ابناء السبايا بل ربما كان في الامر زيادة فخر ببأس ابائهم اذ لم يكن يسبي السبايا الا كل قرم باسل — وام طفقير طروادية من خيرة الطرواد وهي ابنة لومذون وأخت فريام سباها هرقل وكانت سهم تلامون جزاء بسالته وابلائه فطفقير اذاً يوناني الاب طروادي الام

علمت مما تقدم من خطاب أغاممنون لخريس الكاهن في النشيدالاول ان السبايا مهما شرفن اصلاً وعلون قدراً كن في احوال كثيرة بمنزلة الاماء ولكن هذا الغض من قدرهن لم يكن ليحط من شأن ولْدهنَّ بخلاف ابناء الاماء عند العرب فانهم انما كانوا بمنزلة العبيد الارقاء كأمهاتهم الا اذا انجبوا واتوا امراً عظيماً • وهذا عنترة ابن شداد فارس العرب القائل عن نفسه:

انا العبد الذي خبرت عنه

قضى زمن صباه وهو عبد ابيه لا ابنه ولم يحسبه في عداد ابنائه بعد اتيانه المعجزات حتى اضطر الى استنفاره في يوم شدة فقال له كلمته المشهورة «كرَّ وانت حر» راجع ما قلناه بهذا الصدد (ن ١ : ص ٢١٥) حيث ابنّا ما كان للاسلام من الفضل في رفع شأن السبايا • قال مسكين الدارمي :

وكائن ترى فينا من ابن سبية ... اذا التقت الخيلان يطعنها شزراً
فما زادها فينا السباءُ مذلةً ... ولاخبزت خبزاً ولاطبخت قدرا
ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجاءت بهم بيضاً غضارفة زهرا

بمرْكبةٍ في خيلِها أو منَصّةٍ مثلَّثهٍ أو غادةٍ حسبما ترى» (١)

فقالَ :«وهلْ داعٍ لإنهاضِ همَّتي وكلّي عزمٌ ناهضٌ الملمَّة
سأفتكُ ما أوتيتُ فتكاً ولم تزلْ طروحي تُصمي مذْهبَتْ بشدَّتي (٢)
ثمانيةً أنفذتُ في فتيةِ العدى وعنْ كلِّ سهمٍ خرَّ شهمٌ سريَّة (٣)
ولكنَّ هذا الكلبَ قد عاثَ طاغياً ونبلي عنهُ لا يزالُ مقصّرا » (٤)

وأحذقَ في هكطورَ يرمي مسدِّدا سريَّتهُ والقلبُ منهُ توقَّدا (٥)
فأخطأهُ والسهمُ أرسلَ صادرا إلى صدْرِ غرْغثيونَ ينفذُ مبعدا
(هوَ ابنُ انمرْيامٍ وقسطانرا التي بها جاءَ قدماً منْ أسيا مصعّدا
ورامَ بها زوجاً وفيها توفّرتْ محاسنُ ربّاتِ الخلودِ توفُّرا)

فرأسُ الفتى لمّا بجنّتهِ مُني بمغفرهِ المسرودِ أثقلَ ينحني
كزهرةِ خشخاشٍ بيانعِ روضةٍ يُثقلها طلُّ الربيعِ فتنثني (٦)

(١) المنصة قطعة مما كان يتهادى به سيأتي وصفها في النشيد التاسع
(٢) الطروح القوس الشديدة القذف البعيدة المرمى
(٣) شهم سرية اي سيد قوم
(٤) الكناية والتشبيه بالكلب للشتيمة والاحتقار مما ورد غير مرة في الالياذة. وان ثقلت هذه اللفظة على آذان بعض النقلة فليعلموا ان الشتم والتحقير لا يكونان باللفظ الرقيق والكلام الرشيق قال الاخطل :

ايشتمني ابن الكلب ان فاض دارمٌ عليه ورادي صخرة ما يرومها

(٥) السرية السهم والنصال
(٦) بمغفره اي بخوذته — حسبنا ان نستلفت نظر القارىء الى هذا التشبيه

فثَنَّى على هكطورَ طِفقيرُ رَمْيَهُ فصرَّحَ تثني السَّهمَ كفُّ أفلُّنٍ (١)
وأنفذَ في أرخفطليمَ بشَدْيهِ فأهوى غضيضَ الجفنِ منفصمَ العُرى (٢)

فهكطورُ صُدَّتْ طامحاتُ خيُولِهِ وأُرمضَ ملتاعاً لِقتلِ زميلِهِ
فغادرهُ ملقىً على فرطِ بثّهِ وأعرضَ عنهُ ساعياً لبديلِهِ
فألفى أخاهُ قبريونَ إزاءهُ فأصعدهُ يعلو محلَّ قتيلِهِ
وألقى لهُ صرعَ الأعنّةِ واثباً الى الأرضِ بالصوتِ المروّعِ مجهرا

تناولَ جلموداً وأقبلَ مسرعا يرومُ بهِ طفقيرَ قتلاً مصدّعا
وأخرجَ طفقيرُ لجيفاً مقذّذاً وأوفقهُ في القوسِ للرّمي مزمعا (٤)
وبالوترِ اجترَّ المريشَ لكتفِهِ إلى حيثُ عِرقُ العنقِ بالصدرِ أودِعا (٥)
فأدركهُ الجلمودُ في المقتلِ الذي بغى عنهُ أن يرمي السّريّةَ مصدرا (٦)

فراحتهُ شلّتْ وقدْ قُطِعَ الوترْ وأُجثيَ والقوسُ استطارتْ على الأثرْ

فهو يشرح عن نفسه ما لا يناله قلم الشراح

(١) صرّح أخطأ أي ان افلّون حوّل السهم عن هكطور

(٢) لا يظل القارىء يعجب لاخطاء طفقير هطكور مراراً متوالية مع كل رمايته الى ان يبلغ هذا البيت فيعلم ان الواقي شر تلك السهام انما كان افلون رب السهام

(٣) كان قبريون ابناً طبيعياً لفريام فهو اذاً اخو هكطور لابيه

(٤) اللجيف المقذذ السهم الحاد واوفقه اي وضعه بالفوق وهو فرض القوس

(٥) المريش السهم الملاصق عليه الريش ليحمله في الهواء

(٦) اي اصابه الحجر في عرق عنقه المتصل بالصدر كما جاء في البيت السابق

فَبادَرَ آياسُ يَقيهِ بتُرْسِهِ وَطفقيرُ بالأَنفاسِ يَشهَقُ وَالزُّفرْ
وَبادَرَ مِيكِسْتُ وَآلَسْتَرُ مَعاً يَقلاَّنِهِ لِلْفُلْكِ مُضْطَرِبَ البَصرْ
وَزَفسُ ارْتَضى طُرْوَادَةً فَتأَثَّرُوا أَعادِيَهُمْ حَتَّى الحَفيرِ تأَثُّرا

وَهكْطُورُ صَدْرَ الجَيْشِ يجْري وَيَلْغَبُ وَيَكْسأُ في الأَرْدافِ مَنْ يَتَعَقَّبُ
كَأَغْضَفِ هَولٍ قَدْ تأَثَّرَ ضَيْغَماً تَذَعَّراً اوْ خِرْنَوْصَ بَرٍّ يُكَبْكِبُ(١)

(١) يكبكب يصرع • والاغضف الكلب الكبير — ان هذا التشبيه مع مايظهر فيه من اثرة هوميروس لقومه بديع في نفسه يمثل تلك الهزيمة وذلك التعقب اصدق تمثيل يناله التصور ولا سيما اذا عرف القارىء انهم كانوا يضرّ ئون الكلاب لذلك العهد كما يضرئونها اليوم في بوادي اواسط اسيا وكردستان والعجم وبعض بادية العرب فتنقض على وحوش الفلوات ولاانقضاض الليوث • فاذا ذُعرت السباع للنباح والصياح ولت مدبرة ولكن ادبار الباسل الحذر فتلتوي حيناً بعد حين محدقة بالفريسة والرعاة والحماة • وما احسن ما قال بهذا المعنى اوس بن حجر وهو يصف الثور الوحشي والكلاب تتبعه

ففاتهنّ وازمعن اللحاق به كأنهنّ بجنبيه الزنابيرُ
حتى اذا قلت نالته اوائلها ولو يشاء لنجّته المثابيرُ
كرَّ عليها ولم يفشل يمارسها كأنه بتواليهنّ مسرورُ
يشلها بذليق حده سلبٌ كانه حين يعلوهنّ موتورُ
ثم استمرَّ يباري ظله جزلاً كانه مرزبانٌ فاز محبورُ

وعلى هذا فلا يدري القارىء أيكبر اقتحام الطرواد ام انهزام الاغريق وهذه خطة جرى عليها الشاعر في اكثر انشاده فهو مع اعظامه بسالة الطرواد ميلهُ الى الاغريق بيّن حتى في وصف انكسارهم واندحارهم • ولقد لامه بعض الشراح على هذا الميل ولا ارى اللوم سديداً لانه لما كان الاغريق اوفر عدداً واكمل عدداً

فَيَنْهَشُهُ في صَفْحَتَيْهِ وَسَاقِهِ　　وَيَنْظُرُ هَلْ يَلْوِي خُطَاهُ وَيَلْجَبُ
فَوَلَّوا لَدَيهِ جَائِزِينَ وَشَيْعَهُمْ　　وَخَنْدَقَهُمْ وَالسَّيْفُ يَبْتَتُّ أَظْهُرَا

وَسَائِرُهُمْ دُونَ السَّفِينِ تَرَبَّصُوا　　يُثَبِّتُ بَعْضاً بَعْضُهُمْ وَيُحَرِّضُ
وَيَدْوِي بِهَاتِيكَ البِقَاعِ دُعَاؤُهُمْ　　وَهَكْطُورُ دُونَ القَومِ بِالخَيْلِ يَعْرِضُ
وَيَقْدَحُ مِنْ عَيْنَيْهِ نَارًا كَأَنَّهَا　　بِمُقْلَةِ غَرْغُونَ وَآرِيسَ تُومِضُ
فَهَاجَ بِهِيرَا هَائِجُ الغَيْظِ وَالأَسَى　　وَصَاحَتْ بِأَثِينَا: «أَرَى الخَطْبَ أَسْفَرَا

أَيَا بِنْتَ زَفْسَ الدَّانَوِيُّونَ فِي نَكَدْ　　فَهَلَّا مَدَدْنَاهُمْ وَإِنْ أَبْطَأَ المَدَدْ[1]
بِهِمْ رَامَتِ الأَقْدَارُ سُوءًا وَخِلْتُهُمْ　　يُبِيدُهُمُ قَرْمٌ بِشِدَّتِهِ انْفَرَدْ
أَجَلْ إِنَّ هَكْطُورًا عَتَا مُتَنَمِّرًا　　عَلَيْهِمْ وَجَازَ الحَدَّ وَاشْتَدَّ وَانْتَقَدْ»[2]
فَقَالَتْ أَثِينَا: «كَادَ سَيْفُ العِدَى لَدَى　　مُعَسْكَرِهِ يُلْقِيهِ مَيْتاً مُعَفَّرَا

وَلَكِنْ أَبِي قَدْ سَاءَ فِعْلاً وَمَقْصَدَا　　وَقَاوَمَنِي غَدْرًا وَأَفْرَطَ وَاعْتَدَى
وَقَدْ فَاتَهُ كَمْ قَبْلُ صُنْتُ حَبِيبَهُ　　هِرَقْلَ ابْنَهُ فِي حُكْمِ إِفْرِسْتَ مُجْهَدَا
يُصَعِّدُ أَنْفَاساً وَيَنْدُبُ ضَارِعاً　　فَيُرْسِلُنِي زَفْسٌ مَلَاذًا وَمُرْشِدَا

وكان لا بد لتقهرهم من باعث قوي كان لا بد من التماس عذر لهم والا لظهروا بمظهر الانكاس الجبناء

(١) الدانويون الاغريق على ما تقدم

(٢) لما يئست هيرا من معاضدة فوسيذ انثنت الى أثينا ولم تشرع أولاً باستنفار أثينا لانها كانت على ثقة من انحيازها الى الاغريق

فَلَو أَنَّني أُنبِئتُ قَبلُ مَرامَهُ لَظَلَّ هِرَقلٌ في الجَحيمِ مُحَقَّرا

وَلكِنَّني أَنقَذتُهُ حِينَ أُرسِلا بِهَيبَةِ إِفرِستٍ كَئِيباً مُذَلَّلا
لِأَبوابِ آذِيسٍ لِيَقتادَ كَلبَهُ وَلِيَّ المَنايا مِنْ أَرِيبا مُكَبَّلا [1]
وَذا زَفسُ يَجفُونِي وَثِيتِيسَ يَرتَضي تُقَبِّلُهُ مِنْ رُكبَتَيهِ تَوَسُّلا [2]
وتُلعِبُ بَينَ العارِضَينِ يَمِينَها لِيَنصُرَ آخِيلَ العَتِيَّ المُدَثِّرا

وَلا بُدَّ مِنْ يَومٍ يُنادِيني اُبنَتي أَثِينا أَزَرقا المُقلَتَينِ صَفِيَّتي
وَلكِنْ بِنا قُومي فَخَيلَكِ هَيِّئي لِأُحضِرَ في مَغناهُ لِلحَربِ شَكَّتي
فَأَنظُرُ هَيَّاجَ التَّرائِكِ هَكطُرا أَيَطرَبُ إِذ نَبدُو بِصَدرِ السَّرِيَّةِ [3]

(١) تحرير هذه الاحدوثة ان زفس كان اقسم بتولية ملك ارغوس وميكينيا لاول مولود يولد في زمن معلوم • وكان رامياً بضميره الى هرقل ووالدته اذ ذاك في شهرها التاسع • فاحتالت عليه هيرا واستوثقت منه بقسم انه ليبرنَّ بيمينه ثم أولدت والدة أفرستَ للشهر السابع من حملها قبل مولد هرقل فاضطر زفس الى توليته الملك وكان هرقل من جملة اتباعه • فخشي افرست صولة هرقل والقاه باثنتي عشرة تهلكة ففاز هرقل ونجا منهنَّ جميعاً • تلك خرافة سابقة لعهد هوميروس ذكرها هنا وفي النشيد التاسع عشر على انه لم يذكر من الاثنتي عشرة مكيدة التي كيدت لهرقل الا انحداره الى الجحيم لاقتياد كلب اذيس • وكاد حينئذ يهلك لو لم تبادر أثينا الى اغاثته بامر زفس

(٢) تقبيل الركبتين للاستعطاف لايزال معمولاً به في بادية العرب وبعض البلاد الشرقية — مرّ بك ان ثيتيس أم اخيل كانت تود ان تثقل الوطأة على الاغريق اعلاءً لشأن ابنها واخذاً بثأره منهم فاذا رجع اليهم بعد ذلك ونُكبت الاعداء كان كل الفضل فضله

(٣) السرية الكتيبة من الجيش والترائك جميع التريكة وهي الخوذة وهياج

لُحُومُ بَني طُرْوادَةٍ وشُحُومُها لِطَيرِ الفَلا والكَلْبِ بالسَّيْفِ تُبْتَرى » (١)

وَهيرَةُ بَيْضاءُ الذِّراعَينِ هَبَّتِ الى الخَيلِ تَكْسُوها نُضارِيَّ عُدَّةِ
وَأَلْقَتْ أَثينا في بَلاطِ وَلِيِّها نِقاباً بَديعاً شائقاً هِيَ وَشَّتِ
بِدِرْعِ أَبيها اسْتَلأَمَتْ وَتَدَجَّجَتْ بِشِكَّتِهِ تُصْلى أُوارَ الحَمِيَّةِ
بِها رَكِبَتْ في كَفِّها عامِلٌ لَهُ طَويلٌ ثَقيلُ العُودِ يَحْطِمُ عَسْكَرا

وَهيرا تَسُوطُ الخَيلَ وَالخَيلُ تَسْرَحُ لِأَبْوابِ دارِ الخُلْدِ في الجَوِّ تَسْبَحُ
فَمِنْ نَفْسِها دارَتْ على عَتَباتِها وَأَعْلَتْ صَريفاً هائلاً وَهْيَ تُفْتَحُ
(تَحُفُّ بِها الساعاتُ وَهْيَ رَقيبَةٌ على قُبَّةِ الأَفْلاكِ لا تَتَزَحْزَحُ
تُكَثِّفُ فيها الغَيْمَ والجَوُّ مُظْلِمٌ وَتَقْشَعُهُ عنها فَيَبْرُزُ نَيِّرا) (٢)

فَجاوَزَتا الأَبْوابَ بِالخَيلِ مَرْكَبا وَمِنْ طُورِ إِيْدا زَفْسُ يَنْظُرُ مُغْضَبا
فَصاحَ بِإِيرِيسَ : «اذْهَبَنَّ لِتَرْجِعا وَلا تَأْتِياني فَاللِّقاءُ تَصَعَّبا
وَإِلاَّ فَقَدْ آلَيْتُ وَالقَولُ حازِمٌ لَأَحْطِمُ بِالنَّيرِ الجِيادَ مُتَرَّبا

الترائك صفة من صفات هكطور لانه كان اذا اشتد حرك رأسه يمنةً ويسرةً فتتراوح عذبات خوذته

(١) لاسبيل الى توجيه خطاب أثينا وكلهُ عتوٌّ وعصيان الا ان يقال انها انما تكلمت بسائقة الهمة لابسائقة الحكمة لانها تمثل الحكمة والبأس معاً . او ان يقال انها انخدعت لكلام هيرا وقد يُخدع الحكيم

(٢) لقد وردت معاني هذه الابيات في النشيد الخامس

وَأَرْمِيهِما مِنْ فَوقِ عَرْشٍ مُبَطَّنٍ بِمَرْكَبَةٍ أَذْرُو سَحِيقاً مُكَسَّرا

وَصاعِقَتِي تَنْقَضُّ يَذْكُو الْتِهابُها وَعَشْرَةَ أَعْوامٍ يَدُومُ عَذابُها
فَتَعْلَمُ آثِينا نَكالاً يَنالُها بِصَدِّ أَبِيها مُذْ عَرَاها ارْتِيابُها
وَإِنِّي عَلَى هِيرا أَقَلُّ تَحَدُّماً فَقَدْ أَلِفَتْ صَدِّي وَزالَ احْتِجابُها» (١)
فَطَارَتْ إِرِيسُ كَالرِّياحِ بِأَجْنُحٍ نُضارِيَّةٍ نَحْوَ الأُلِمْبِ تَحَدُّرا (٢)

فَأَلْفَتْهُما في صَدْرِ أَبْوابِهِ الأُلَى وَقالَت: «إِلى أَينَ الحَثِيثُ تَنَصُّلا
عَلامَ تَهِيجانِ اضْطِراماً وَزَفْسُ لا يُتِيحُ لَنا بَينَ الأَغارِقِ مَدْخَلا
وَإِلَّا فَقَدْ آلَى بِحَتْمٍ مُؤَكَّدٍ لَيَحْطِمُ بِالنِّيرِ الجِيادَ مُفَلَّلا
وَيَرْمِيكُما مِنْ فَوقِ عَرْشٍ مُذَهَّبٍ بِمَرْكَبَةٍ يَذْرُو سَحِيقاً مُبَعْثَرا

وَصاعِقَةُ التَّنْكِيلِ يَذْكُو الْتِهابُها وَعَشْرَةَ أَعْوامٍ يَدُومُ عَذابُها
فَتَعْلَمُ آثِينا وَأَوْغَرَ صَدْرَها لِصَدِّ أَبِيها كَيْفَ كانَ انْقِلابُها
وَهِيرا عَلَيْها دُونَ ذلِكَ غَيْظَةً فَقَدْ أَلِفَتْ كِبْرًا وَزالَ احْتِجابُها

---

(١) لابدع ان يشتد سخط زفس على أثينا دون هيرا فتلك ربة الحكمة ويُنكر على الحكمة ان تأتي امراً اداً • وهذه زوجة مثلها الشاعر كثيرة الدلّ قليلة الانقياد وقد الف زفس تمردها فما هو بالمتأثر لها ذلك التأثر • اذ يسخطك من العاقل ما لا يسخطك من الجاهل وانما تعظم عليك فعلة العظيم

(٢) ايريس كما رأينا رسولة الآلهة عموماً وزفس خصوصاً فطارت بامره الى الاولمب لانه كان لايزال على ايذا

وَأَنتِ أَيَا شَرَّ الكلابِ وَقاحَةً أَتلقَيْنَ بالرُّمحِ الثَّقيلِ اً بالوَرى »...[1]

وَمُذْ بَلَّغتْ إِيرِيس عادَت لِحِينِها وَهِيرا اُستَكنَّتْ ثائراتٌ ظُنُونها
فَقالَتْ لِآثِينا:«أَنا لَستُ أَرتَضي عَلى زَفسَ نَعتُو لِلمَلا وَشُجُونها
لِتحيَ وَتَفنَى كَيفَما خُطَّ حَظُّها وَماشاءَ زَفسُ فَهوَ مَولى شُؤُونها »[2]
وَرَدَّتْ رُؤُوسَ الخَيلِ والسَّاعُ سَرمَدًا بِأَبْوابِ دَارِ الخُلْدِ تَلْبَثُ حُضَّرا[3]

فَجَرَّدْنَها حالاً وَأَوثَقْنَها لَدى مَذاوِدِها اُلمَلأَى طَعاماً مُخَلَّدا
وَمَرْكَبَةَ الأَقْداس أَتْكأْنَها إِلى حِياطٍ زَهَتْ حُسْناً يَرُوقُ تَوَقُّدا
وَحلَّتْ تَهِيجُ الرَّبَّاتُ كَآبةً بِعرْشَيْ نُضَارٍ في بَنِي الخُلْدِ مَقعَدا
وَزَفسُ إِلى الأُولمبِ في طُورِ أيْذَةٍ لِمُجْتَمَعِ الأَرْبَابِ في رَكْبِهِ جرى

(١) تجاوزت ايريس حدها في ابلاغ الرسالة اذ زادت عليها كلاماً لم يفه به زفس . فكأنها ملكتها فرصة للتشفي من اثينا لحزازة في صدرها او لعل كل هذا البيت دخيل وهو في الاصل بيتان

(٢) لم تكن طاعة هيرا عن رغبة واختيار بل عن رهبة واضطرار وما وقفت عند حد الخضوع بل اعلنت ما لا تكنّ . وذلك شأن المخاتل الذي لا يسير في سبيل سويّ . وهي على ما ترى باتت لا تبالي باوليائها الاغريق والحقيقة انها انما قالت ما قالت مداهنةً ورياءً يشهد عليها قولها وفعلها في ما يلي . اما اثينا فكفى بصمتها دليلاً على سمو عاطفتها فهي تأبى ان تبوح بما لا تفكر وتخشى ان تناضل حيث لا يجدي النضال

(٣) الساع او الساعات كناية عن الفصول والاوقات كما مر في النشيد الخامس وقد جسمهنّ الشاعر كجاري عادته

فحلَّ فُسيذُ الخيلَ يمضي بسُرعةٍ بمركبةِ الجبَّارِ فوقَ منصَّةِ
وَستراً مِنَ الكتَّانِ أسبَلَ فوقها وَزفسُ اُعتلى تحتَ النُّضارِ بعِزَّةِ
وَتحتَ خُطاهُ ارتجَّ ذيَّالِكَ الفضا وَعَنْ مُنتَداهُ الرَّبَّتانِ بعزلةِ
وُجوماً وَصمتاً تُطرقانِ وَإنَّما بنورِ حجاهُ كُنهَ فِكرِهما درى

فقالَ: «لِمَ الشَّكوى وَفرطُ التَّباعُدِ وَلَمْ تجْهَدا نفساً بحربِ الطَّراوِدِ
تعمَّدْتما إهلاكَهُمْ وَدمارَهُمْ وَلكنَّ طَوْلي اُمتَدَّ وَاُشتَدَّ ساعدي
فَلا يَثْني عزمي لِكُلِّ بني العُلى وَقدْ خُرْتُما قبلَ اُشتدادِ المَشاهدِ
وَإلَّا لَسحَّتْ راعداتُ صَواعِقي فصدَّتْكُما عَنْ منزلِ الخُلدِ أدهُراً»

فأصعدَتا الأنفاسَ عنْ جمرةِ الشَّجا ترُومانِ للطَّرْوادِ مَحْقاً مُرَوَّجا
وَأخفتَ أثينا ثائرَ الغيظِ تلتظي حَزازةَ صدرٍ مُستشيطٍ تَوهَّجا
وَلكنَّ هيرا تِلْكَ لَمْ تقوَ ساعةً على كظمِ غيظٍ في حشاها تلجلجا
فقالَتْ: أبيتَ الوهنَ يا ابنَ قرُونسٍ قُواكَ علمْنا لَنْ تَدينَ وتصغُرا[1]

---

(١) هذا نفس الكلام الذي نطقت به أثينا في مبتداء هذا النشيد وقد التمس بعض الشراح للشاعر اعذاراً لاأراها بموقع سداد . ولا اخال العذر معقولاً الا ان تكون هيرا ارادت التستر بكلام أثينا علماً بمكانتها في نفس زفس والقاءً لتبعة التمرد عليها فأرادت الايهام بانها تابعة غير متبوعة . اما زفس فلم يخدع واجابها بغير جوابه لأثينا

وَلٰكِنَّنَا نَرْثِي لِحَالِ الأَغَارِقِ　　يُبِيدُهُمُ المَقْدُورُ تَحتَ الخَافِقِ (١)
أَطَعْنَا فلا نَاتِي الكِفَاحَ وَإِنَّمَا　　نَمُدُّهُمُ بِالرَّأْيِ خَوْفَ البَوَائِقِ
وَإِلاَّ فَهٰذَا السُّخْطُ يَجْتَثُّ أَصْلَهُمْ »　　فَقَالَ لَهَا رَبُّ الغُيُومِ الدَّوَافِقِ :
« اذا بَزَغَ الفَجْرُ المُنِيرُ رَأَيْتِنِي　　أُسِيلُ دَمَ الإِغْرِيقِ دُونَكِ أَنْهُرَا

وَهَكْطُورُ لاَ يَنْفَكُّ يَرْمِي وَيَرْتَمِي　　إِلَى أَنْ يَهُبَّ القَرْمُ آخِيلُ فِيهِمِ
وَمِنْ حَوْلِ فَطْرُقْلَ القَتِيلِ تَلاَحُمُ　　لَدَى الفُلْكِ بِالقَوْمَيْنِ يَسْرُبُ بِالدَّمِ (٢)
بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ يَنْفُذُ حُكْمُهَا　　وَلَسْتُ أُبَالِي مَا تَحَدَّمْتِ فَاعْلَمِي
وَلَيسَ بِعِبْئِي أَنْ تَؤُمِّي مَغِيظَةً　　وَرَاءَ الثَّرَى وَالبَحْرِ اعْمَاقَ طَرْطَرَا

هُنَالِكَ لَو تَمْضِينَ حَيْثُ قُرُونُسُ　　يُقِيمُ وَبِالإِذْلاَلِ يَافِثُ يَجْلِسُ
وَلاَ الشَّمْسُ فِي الآفَاقِ تَنْشُرُ نُورَهَا　　وَلاَ نَسَمَاتُ الرِّيحِ تُحْيِي وَتُؤْنِسُ (٣)

---

(١) الخافق السيوف

(٢) ينبئنا الشاعر هنا بما سيكون ولا اوقع من ان يكون هذا النباء من لدن زفس . وقد اختلفت اراء الشراح في ما اشبه هذه الانباء . فمن مدّع انها تذهب بجانب من رونق القصة لعلم القارىء بها . ومن قائل بالعكس انها تزيد طلاوة السياق بما تزيد من تشوق المطالع الى الاتيان تفصيلاً على ما أُشير اليه بالايجاز



قرونس — زحل

(٣) قرونس هو زحل خلعه ابنه زفس وانفذه الى اعماق الطرطار او الجحيم يقيم مع الطيطان او الابالسة . ومنهم

لَمـا رَابَني مُذْ كُنْتِ شرَّ سليطةٍ» … أَصاخَتْ لِذاكَ القولِ لا تتنفسُ
وَما لبثتْ أَنْ حلتِ الشمسُ بحرَها … وَذيلُ الدُّجى في الأَرضِ باتَ مُجرَّرا

فَبرَّحَ بالطُّرْوادِ مرأى غيابِها … وأَطربتِ الإِغريقَ بُشرى احتجابِها
وَهكطورُ نحوَ النهرِ ساقَ جيوشَهُ … بعيداً عن الفلكِ العظامِ مضى بها
وَأَلَّفَ فيهمْ مجلساً حيثُ لا دِما … تُدنِّسُ ذيَّاكَ الفلا بأَنصابِها
ترجَّلتِ الفرسانُ تُصغي لقولِهِ … فقامَ خطيباً آمراً ومُؤَمَّرا

يميلُ على رُمحٍ يُعادِلُ طولَهُ … ذِراعاً وعشراً عزَّ شكلاً مثيلُهُ
تُطوِّقُهُ منْ خالصِ التبرِ فتخةٌ … بنصلٍ نحاسيٍّ يهولُ صليلُهُ :
«أَلا يا بني الطُّرْوادِ يا قومَ دردَنٍ … وَيا حلفاءِي دُونَكمْ ما أَقولُهُ
حَسبتُ بأَنّي اليومَ أَدخلُ ظافراً … بلادي وأُفني القومَ والفلكَ مُظهِرا (١)

وَلكنَّ وفدَ الليلِ أَسبلَ سترَهُ … عليهمْ وأَنجاهمْ فلا نعصِ أَمرَهُ
فَحلُّوا جيادَ الكرِّ تُزجى عليقَها … وهيُّوا بنا للزادِ ننظرُ أَمرَهُ
وَمِنْ قُدْسِ إِليونٍ عجولٌ سمينةٌ … تُساقُ وخرفانٌ تُوفَّرُ ذُخرَهُ (٢)

يافت بن اورانوس وابو الاطلس • ومنهم هيفريون ابو الشمس والقمر والفجر ولم تظهر كلمة هيفريون في التعريب لانها في الاصل تفيد معنيين فاما ان تعتبر الكلمة بلفظها علماً فيقال الشمس ابن هيفريون (على تذكير الشمس) واما ان تعتبر بمعناها فيقال الشمس السائرة فوقنا وقد اخترنا المفاد الثاني

(١) مظهر منصور

(٢) كل بلدة ذات معابد شهيرة كانت تدعى قدساً ومقدسة

وَعُودُوا إِلَيْنا مِنْ مَنازِلِكُمْ وَقَدْ حَمَلْتُمْ مَعَ الخُبْزِ المُدامَ المُكَرَّرا

وَزِيدُوا وَقُودَ النَّارِ تَعْلُو تَأَجُّجا إِلى الجَوِّ لِلْفَجْرِ المُنيرِ مَدى الدُّجى
لِئَلاَّ يَرى القَوْمُ الفِرارَ غَنيمَةً فَيَبْغُونَ مَتْنَ البَحْرِ في اللَّيْلِ مَخْرَجا
فَإِنْ رَكِبُوا صُبُّوا عَلَيْهِمْ سِهامَكُمْ وَسُمْرًا تُغَشِّيهِمْ خِضابًا مُضَرَّجا
بِأَوْطانِهِمْ هُمْ يَلأَمُونَ جِراحَهُمْ وَغَيْرُهُمُ بِالحَرْبِ لَنْ يَتَهَوَّرا

وَيا أَصْفِيا زَفْسَ الفُيُوجَ تَعَهَّدُوا بِإِلْيُونَ حَزْمَ الوُلْدِ والشِّيبِ شَدِّدُوا
وَسُوقُوهُمُ طُرًّا لِظاهِرِها عَلى الحُصُونِ الَّتي آلُ العُلى قَبْلُ شَيَّدُوا[1]
وَكُلُّ النِّساءِ الجازِعاتِ يُقِمْنَ في مَنازِلِهِنَّ النَّارُ لِلصُّبْحِ تُوقَدُ
فَلَيْسَ بِإِلْيُونٍ جُنُودٌ وَخَشْيَتي تُفاجِئُها الأَعْداءُ في سِنَةِ الكَرى

فَحَسْبُكُمُ ذا القَوْلُ مِنِّيَ مُرْشِدا وَإِنِّي بِباقي الأَمْرِ أُنْبِئُكُمْ غَدا
سَأَدْعُو وَزَفْسٌ لا مِراءَ وَآلُهُ يُنيلُونَني نَصْرًا فَأَظْفَرَ بِالعِدى
كِلابٌ بِعَوْنا فَوْقَ سُودِ سَفِينِهِمْ يَسُوقُهُمُ داعي المَنايا تَعَمُّدا
فَأَحْيُوا الدُّجى والفَجْرُ إِنْ لاحَ نُورُهُ هَبَبْنا وَكَثَّفْنا القَنا والسَّنَوَّرا[2]

نَرى أَذِيُومِيذٌ إِلى السُّورِ سائِقي أَمِ الحَتْفَ يَلْقى مِنْ حُدُودِ مَخافِقي

(١) كانوا يعتقدون ان حصون اليون من أبنية الآلهة كما مر
(٢) السنوّر الدروع . قال لبيد العامري
وجاؤا به في هـودج ووراءهُ كتائب خضر في نسيج السنوّرِ

غَدًا سَوفَ يَبْلُو بَأْسَهُ وَكَأَنَّني　　بِهِ لِوُرُوْدِ الحَتْفِ أَوَّلُ سَابِقِ
يُجَنْدَلُ في صَدْرِ الرِّجالِ وَحولَهُ　　صَنادِيْدُ خَرَّتْ بِاُصْطِدامِ الفَيَالِقِ
فَلا زَارَني شَيْبٌ يُلِمُّ بِعَارِضي　　وَلا نَظَرَتْ عَيْنَايَ مَوْتًا مُؤَخَّرًا[1]

وَيا لَيْتَني أُوتِيتُ عِلْمًا بِسُؤْدُدي　　كَمَا قَدْ وَثِقْتُ اليَومَ بالنَّصْرِ في غَدِ
وَأَعْلُو كَمَا تَعْلُو أَثِينا بِمَجْدِها　　وَأَسْمُو سُمُوَّ الشَّمْسِ في كُلِّ مَعْهَدِ»[2]
فَلَمَّا انْتَهَى شَقَّ الفَضاءَ ضَجِيجُهُمْ　　لِمَا كانَ مِنْ وَقْعِ الحَدِيثِ المُنَضَّدِ
وَحَلُّوا وثَاقَ الخَيلِ يُسْبِحُها العَيا　　وَشَدُّوا العُرى قُرْبَ العِجالِ تَحَذُّرا

وَجَاءَتْ سِمانُ الضَّأْنِ في الحالِ وَالبَقَرْ　　وَخَمْرٌ وَخُبْزٌ في المَنازِلِ مُدَّخَرْ
وَأَوْرَوْا وَقُودَ النَّارِ تَعْلي دُخانَها　　إِلى الجَوِّ رِيحُ السَّهْلِ تَحْتَ سَنَا القَمَرْ
وَمِنْ فَوقِ هاتِيكَ البِطَاحِ تَأَلَّفَتْ　　جُمُوعُهُمُ مِنْ حَوْلِها زُمَرًا زُمَرْ
جُلُوسًا وُشْكًا كَا بِصَلْدِ سِلاحِهِمْ　　مَدى اللَّيْلِ يَرْجُونَ السَّناءَ المُبَشِّرا[3]

---

(١) دعاءٌ لنفسه بالخلود مع دوام الشباب

(٢) تمنى ان يكون واثقاً ببلوغه مجد أثينا وسمو الشمس ثقته بما سينال من النصر المبين وهذا منتهى التحمس والادعاء — يُشعر من خطاب هكطور بالفرق بين حكم الاغريق وحكم الطرواد فهنا الامرة المطلقة بكل عواملها وهناك الشورى بكل فضائلها وان كان الامر للملوك ٠ ثم ان هكطور مع كل حماسته وحسن سياسته لايذهل لحظةً عن يقينه وعبادته فهو الجندي الخالص العقيدة يوقن ان النصر من عند ربه يؤتيه من يشاء

(٣) في بعض نسخ الاصل اربعة أبيات هنا رأينا ان نغفلها اتباعاً لمن أغفلها

فَبينَ السفَّينِ الرَّاسياتِ وَزَنْثُسٍ لَوَامعُ نيرانٍ بذاكَ المُعرَّسِ
توَجَّجُ لدى إِلْيُونَ في أَلفِ مقبسٍ يُؤَجّجها خمسُونَ في كُلِّ مقبسِ (١)
وَدُونَهُمُ بينَ العجالِ جيادُهمْ وُقُوفٌ على ذاكَ القضيمِ المُكدَّسِ
شعيرٌ نقيٌّ فوقَ أسمرِ حنطةٍ بها مَرحتْ حتَّى الصَّباحُ تفجَّرا

كأَنَّ النُّجُومَ الغُرَّ وَالْبَدْرُ ساطِعُ بقُبَّةِ أَفلاكِ السَّماءِ لوَامعُ
مؤَلَّقَةٌ لا غيمَ يحجُبُ نُورَها وَلا رَهجٌ حالٍ ذَرَتْهُ الزَّوَابعُ
فتنعَكسُ الأَنوَارُ في كُلِّ سبْسبٍ وَغوْرٍ وَنجْدٍ وَالعيُونُ هوَاجعُ
فيبْتهجُ الرَّاعي بأَبْهجِ مَنْظرٍ (وَيطْمعُ لوْظلَّتْ تُنيرُ فينْظُرا) (٢)

ومفادها انهم ضحوا بالضحايا المئين فلم تقع لدى الآلهة موقع القبول لما استقر في نفوسهم من كراهة اليون وملكها وملّته • ولا نظنها الا دخيلة في النسخ التي اثبتتها لان اندحار الاغريق في ما يلي يدل على انها ليست في موضعها

(١) يستفاد من عدد المقابس انهم كانوا خمسين الفاً ويدخل حلفاؤهم في هذا الاحصاء لان ارصاد اليونان طرقت في الليل معسكراً واحداً عسكر فيه الطرواد وحلفاؤهم • فجيشهم اذاً دون نصف الاغريق عدداً

(٢) اتفق الشراح على الاعجاب بهذا التشبيه حتى قال بعضهم انه ارق ماجادت به قريحة شاعر في وصف بهاء الليل • الا ان بعضهم اعترض ان القمر وهو بدرٌ لاتجلي الكواكب حوله للنظر ولهذا ذهبوا الى ان الكلمة في الاصل لاتفيد البدر بل القمر على الاطلاق • ولو فطن الشاعر لهذا الاعتراض أو أراد ان يعبأ به لما زاد وصف الساطع على القمر فسيان اذاً عنده ان يكون بدراً او لايكون • وعلى هذا فان في التعبير تسامحاً قد يشفع له سمو التصور وبلاغة الوصف

قال البحتري وكأنه اراد معارضة هوميروس :

وحسن دراريّ الكواكب ان تُرى طوالع في داجٍ من الليل غيهبِ

ومثله قول جرير بهذا المعنى :

سرى نحوهم ليلٌ كأن نجومه قناديل فيهن الذبال المفتلُ

وقول مسكين الدارمي :

واقطع الخرق بالخرقاء لاهيةً اذا الكواكب كانت في السما سرُجا

ومثله قول امرىء القيس :

نظرت اليهم والنجوم كأنها مصابيح رهبان تشبُّ لقفّالِ



النشيد التاسع

ارسال الوفد لاسترضاء اخيل

مُجْمَلُهُ

وهنت عزائم اليونان بعد اندحارهم في اليوم السابق ففاوض أغاممنون الزعماء وارتأى العودة الى الاوطان فعارضه ذيوميذ ثم نسطور فأقاموا الحرس وأولم اغاممنون للزعماء . فقام نسطور فيهم خطيباً يحثهم على استرضاء اخيل بالاعتذار والهدايا فأذعن أغاممنون لكلام نسطور وأتى على تعداد مايعدّ من التحف لاخيل على شريطة ان يرعوي ويلين . فارسلوا وفداً الى أخيل يرئسه اوذيس فخفّوا اليه والفوه ينشد على نغم قيثارته . فاحتفى بهم وأولم لهم ولما فرغوا من الطعام خطب اوذيس في مجلس اخيل فذكره بوصايا أبيه وأطمعه بوعود أغاممنون واستحلفه ان يرفق بقومه الاغريق وان كان موغر الصدر على أغاممنون . فما كان من اخيل الا ان استشاط حنقاً وأبى الاقدام على الحرب لمعاضدة الاغريق . فانبرى استاذه فينكس وأعاد عليه ذكر صباه وما كان له من العناية به حتى أصبح بمثابة ابن له وأطال من الاسترضاء والاستصغار والالتماس والاعتذار وتلاه آياس الاكبر فلم يغنهم كل ذلك من شيء بل ظل اخيل مصرّاً على عناده . فعادت الرسل واستقص اغاممنون منهم الخبر فانبأوه بما كان فانتصب ذيوميذ وكلمهم كلاماً هاج حميتهم فصرفوا النظر عن آخيل ونزعوا الى الراحة والهجوع

يستغرق هذا النشيد والنشيد التالي ليلة واحدة ومشهد وقائعه على جرف البحر عند مرسى السفن

النشيد التاسع (١)

تمنّع في الطرواد يخفر جندهم — وفرط الأسى والبثّ هدّ الأخائيا
يُساقُ لهم من موقف الخلد رعدة — يُلازمها داعي الفرار مباريا (٢)
وتخفق أحشاهم كما اللجّ خافقٌ — إذا لقي البحرُ الرياحَ السوافيا
ومن بطن إثراقا دبورٌ وشمألٌ — معاً هبّتا فيه هبوباً مفاجيا (٣)
فتركمُ دهمَ الموج من فوق يمّه — وتقذفها حتّى تجوزَ الشواطيا (٤)
وأتريذ والتبريح ينتاب لبّه — يطوفُ بهم يدعو الدعاة تواليا

(١) لقد اكثر علماء الادب والفصاحة من اطراء بلاغة الخطب المدونة في هذا النشيد ولا سيا في شطره الاخير اثناء التقاء أخيل بوفد الاغريق وقد كتبوا في ذلك الرسائل المطولة واوردوا منها الامثلة الكثيرة انموذجاً ليتحداه طلبة الخطابة مما سننبه عليه في مواضعه

(٢) الرعدة والفرار رفيقان متلازمان وهما هنا مجسمان كما في سائر المواضع

(٣) الدبور الريح الغربية كما لا يخفى • ولقد اعتُرض على هوميروس بقوله انها تهب من اثراقا حالة كون مهبها يتجه الى اثراقا لا منها • وقد رد افستاثيوس هذا الاعتراض بقوله ان هوميروس قال هذا القول اما جرياً على ما تداولته اساطير ذلك الزمان من ان في تلك البلاد ملتقى الرياح واما نظراً الى موقع طروادة منها وكلا الفرضين يذهبان بالاعتراض

(٤) ان تشبيه الفؤاد المضطرب بالموج الذي تقذفه الانواء الى ما وراء الجرف لمن ابدع ما قيل في هذا الباب • وقال هوميروس في النشيد الثاني والعشرين بلسان زوجة هكطور : وقلبي خافقٌ حتى يكاد يطير ••• ولا يقل عن قولي هوميروس قول الشنفرى :

وَيَأْمُرُ بالشُّورى بأَنْ يَهْمِسُوا بها بِأَسْمائِهِمْ لِلصَّيْدِ وَاُجْتازَ عادِيا
وبَلَّغَ صَدْرَ الجُنْدِ حتَّى إِذا بَدَوْا جُلُوساً وصَمْتُ الحُزْنِ بَرَّحَ بادِيا (١)
عَلى قَدَمَيهِ قامَ والدَّمْعُ هامِرٌ تَدَفَّقَ مِن عَيْنَيْهِ كالسَّيْلِ هامِيا
كَشُؤْبُوبِ ماءٍ شُقَّ مِن قَلْبِ صَخْرَةٍ وفي زَفَراتِ الحُزْنِ صاحَ مُنادِيا:
«أَحِبايَ والأَقْيالَ والصِّيْدَ خِلْتُني رَماني زَفْسٌ في حَبائِلِ آتِيا
وقد كانَ والآني بإِيماءِ رَأْسِهِ بِأَنَّا بإِلْيُونٍ نَدُكُّ المَرامِيا
ولا نَنْثَني لِلأَهْلِ إِلاَّ بِسَبْيِها فَمانَ وَما أَغْراهُ فِيها رَمانِيا
فَقَدْتُ صَنادِيدَ الرِّجالِ وقد قَضى عَلَيَّ إِلى أَرْغُوسَ أَرْجِعُ خاسِيا
نَعَمْ ذاكَ أَمْرٌ شاءَهُ الآمِرُ الّذي يُقَوِّضُ أَرْكانَ البِلادِ العَواتِيا
فَهِبُّوا أَطِيعُوني الْهَزِيمَةُ مَغْنَمٌ بِعَوْدَتِنا إِنِّي أَرى زَفْسَ قاضِيا
وَأَصْدُقُكُمْ وَعْدًا يَقِيناً فَلَنْ نَرى مَعاقِلَ إِلْيُونٍ كاماً فَوانِيا» (٢)

ولا خَرِقٍ هَيقٍ كأن فؤادهُ يظلُّ به المُكَّاء يعلو ويسفُلُ

فالخرق الدهش والهيق الظليم (ذكر النعام) والمكاء طائر • شبه الفؤاد المرتجف بشيءٍ مع طائر يعلو به مرةً ويسفل به اخرى • ومثل هذا قول صاحب عفراء:

كأن قطاة علقت بجناحها على كبدي من شدة الخفقان

(١) اي ان اغاممنون عهد الى الدعاة بحشد القوم الى مجلس الشورى ثم بلّغ بنفسه فيمن حوله وطافوا وهم يبلغون في اطراف الجيش وينادون كلاً باسمه همساً • وانما أمر بالهمس دون النداء لئلاّ يسود الهرج فينكشف أمرهم للاعداء

(٢) لعل المطالع اللبيب يذّكر ان هنا خطاباً القاه اغاممنون بلفظه ومعناه في النشيد الثاني وانه تذرع به هنالك الى اغراء الجيش على الذود والهجوم دون العود

أَصاخُوا وطالَ الصمْتُ فوقَ وُجُومِهِمْ   فَصاحَ ذِيُومِيذُ أَخُو البأْسِ عَالِيا
«شَطَطْتَ أَأَتْرِيذُ وأَوَّلُ مُنْكَرٍ   لِقَوْلِكَ ذَا لا تَحْنَقَنَّ أَرَانِيا
فَذا حَقُّ شُورانا وقَبْلُ بِهِمَّتي   عَبَثْتَ وقَدْ أَعْلَنْتَ عَزْمِيَ وَاهِيا
بِذا شَهِدَ الْمُرْدَانُ والشِّيبُ جُمْلَةً   عَلى أَنَّ زَفْساً قَسَّمَ الرِّزْقَ وَافِيا
فَلَمْ تُؤْتَ بَأْسَ الكَفِّ والبأْسُ أَوَّلٌ   وأُوتِيتَ فَخْرَ المُلْكِ والعِزِّ ثانِيا(١)
أَأَحْمَقُ هَلْ خِلْتَ الأَراغِسَ أُوهِنُوا   فَإِنْ رُمْتَ عَوداً دُونَكَ السُّبْلَ هاهِيا
وذِي السُّفُنُ اللَّاءِي عَزَمْتَ بِهِنَّ مِنْ   مَكِينا تَراها بالجُدُودِ رَواسِيا(٢)
وسائِرُنا لَنْ نَبْرَحَنَّ بِأَرْضِنا   الى أَنْ نَرى هذي الحُصُونَ بَوادِيا
وانْ آثَرَ الكُلُّ انْهِزاماً وعَوْدَةً   فإِنِّي وَأَسْتِنِيلُ نَكْفِي الأَعادِيا

والوجوم على ما يوهم ظاهر العبارة . ولهذا تشعبت آراء الشراح في القصد من هذا التكرار ففريق الى انه نحا هنا ذلك النحو وفريق الى انه لا يصدق هنا ما صدق هناك . وليس من غرضنا الانتصار الى احدى الفئتين وانما نرى انه مهما يكن من صحة احد الرأيين فالنتيجة واحدة لان الشاعر احسن التصرف فحصل الغرض من كلا الخطابين

(١) كأن المتنبي عارض هذا المعنى بقوله

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو اولٌ وهي المحل الثاني

وهو كقول أبي تمام : السيف أصدق انباءً من الكتب

(٢) الجدود اي الشواطىء وهي في الاصل بعبارة معناها قرب البحر وقد فسرها اكثر النقلة بقولهم « الراسية على الشواطىء » كما فسرناها نحن على اننا اذا اعتبرنا العبارة تهكماً على اغاممنون كما قال بعضهم كان مراد ذيوميذ ان يقول « انك انما ارسيت سفنك ادنى الى اليم منها الى الجرف ليسهل عليك الفرار عند الاضطرار » وعلى هذا يجب ان يقال « في العباب » عوض الجدود

نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى تَفُوزَ بِدَكِّهَا ... وَيَنْصُرُنِي رَبٌّ لِحَرْبٍ دَعَانِيَا [1]
فَضَجَّتْ لَهُ الإِغْرِيقُ ضَجَّةَ مُطْرَبٍ ... وقامَ بِهِمْ نَسْطُورُ يَخْطُبُ تالِيا :
«سَمَوتَ ذِيُومِيذُ بِبَأْسِكَ مِثْلَمَا ... بِرَأْيِكَ بِالأَتْرَابِ قَدْ كُنْتَ سامِيا [2]
فَما لَكَ فِي الإِغْرِيقِ لَومَةُ لائِمٍ ... وَلَكِنَّ فَصْلَ القَوْلِ ما زالَ خافِيا
فَأَنْتَ فَتًى لَوْ قِيسَ عُمْرُكَ لَمْ يَكُنْ ... لأَحْدَثِ أَبْنَائِي الصِّغَارِ مُسَاوِيا
عَلَى أَنَّكَ اخْتَرْتَ الحَصَافَةَ مَنْهَجًا ... وَصِيدَ السُّرَى خَاطَبْتَ بِالحَقِّ عانِيا
وَإِنِّي وَحَسْبِي الشَّيْبُ دُونَكَ مَفْخَرًا ... سَيَجْمَعُ أَطْرافَ الحَدِيثِ كَلامِيا
وَلَنْ أَتَّقِي بِالقَوْمِ حَتَّى زَعِيمِهِمْ ... أَخِي المَجْدِ أَتْرِيذٍ لِقَوْلِيَ لاحِيا

---

(١) اذا ذهبنا مذهب القائلين بتواطؤ الزعماء مع أغاممنون على اخذ الجند خدعةً كما فعلوا في النشيد الثاني فهذا التواطؤ يشفع في كل تحامل ذيوميذ على أغاممنون. واذا ذهبنا مع الفريق الآخر الى ان السؤم بلغ حده من نفس أغاممنون ولم ينو الا ما قال فخطاب ذيوميذ ابلغ واوقع اذ تكون حدة الشباب وشدة البأس ساقتاه الى المجاهرة بكل ما في ضميره وكان كلامه مرآة تنعكس عنها ضمائر مغاوير الفتيان لذلك العهد . فشرع يبث رأيه بلا مبالاة وغير متحامل بل متزلفاً بعض التزلف ثم استطرد الى اثبات الحق المنصوص له بالاعتراض لانه من مخوّلات دستور الشورى (وحكمهم وان كان ملكياً فهو دستوري شوروي على ما تقدم) ثم اغتنمها فرصةً للوم اغاممنون على سابق تعنيفه اياه . وكأن تلك الذكرى هاجت به نزق الصبا فنبذ واجب الرعاية والاحترام وتمادى فصرح بكل ما استكن بضميره على غير عبء ولا مداهنة وانتهى باستمداد النصر من لدن رب النصر « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » فكان له تخلص حسن ولولاه عدّ مدعاه الاخير طيشاً وحمقاً

(٢) لابدع ان يشهد نسطور ببأس ذيوميذ وهو الذي دون سائر الابطال استهدف للبلاء فأنقذه من مخالب الموت

فلا شَرْعَ لا مأْوى ولا أُسْرَةٌ لِمَنْ بفتنته في القوم يُفسدُ عائيا[1]
فقد خيَّمَ الليلُ البهيمُ فهيِّئوا طعامَكمُ ولنُحكمنَّ التَّصافيا
ويخفرْ من فتياننا حرسٌ على حفيرٍ خطَطْناهُ لدى السُّورِ صاحيا
لك الأمرُ أتريذُ أقمهمْ وأَولِمَنْ لشيبك منهمْ تأخذِ الرأيَ شافيا
فخيمُك فاضتْ بالرَّحيقِ تسوقهُ سفائنُ إثْراقا بها جاءَ ضافيا
وعندك ما تبغي لخيرِ وليمةٍ وعدّةُ غلمانٍ تناهتْ تناهيا
وعندَ التئامِ القومِ تجمعُ رأيهمْ وتتبعُ ما قد كانَ بالقصدِ وافيا
فما أحوجَ الإغريقَ للرَّأيِ والعدى أوارُهمُ أضحى لدى الفُلْكِ واريا
فليلتُنا هذي وواحظَّ منْ رأى سنَهلكُ فيها أو ننالُ الأمانيا»[2]

---

(١) حكمةٌ نطق بها نسطور فسارت مسير الامثال ولا بد لبيان متانتها ومكانتها من ايراد مفادها المقصود . فلا بد للمرء من وازع يزعه وهو شرعه ومن كنٍّ يأوي اليه وهو مأواه ووطنه ومن فرقة يمتزج بها وهي اسرته وآل بيته . فاذا لم تجمع له تلك المزايا فهو المتشرد الفوضوي الجانح الى بث النفاق ودس الشقاق . وحسبك بها من معرَّة تأباها نفس كل كريم . وكأن نسطور قال بعبارة اخرى ان الساعي بالفتن والقلاقل كالعريّ من شعائر الشرع والوطنية واباء النفس . فدل بقوله على استحكام روابط الدستور عندهم والمع الى هول النزاع وما وراءه من سوء المصير

(٢) وفق نسطور بخطابه بين مرام الزعيمين ذيوميذ وأغاممنون فامتدح الاول بما فيه ونهيه بألطف تعبير الى اجتناب شطط قد تسوقه اليه رعونة صباه ثم أتى بتلك الحكمة كأن وراءها قولاً خطيراً . ولم يكن في الحقيقة وراءها شيءٌ جلل وانما أتى بها تذرعاً الى إبكامهم جميعاً وانفاذ بغيته . ولم يكن يحسن لديه اعلان تلك البغية على رؤوس الملا رعايةً لاغاممنون فأشار عليه بعد القول بوجوب اقامة الحرس بايلام

اصاخوا ولبّوا ثمّ هبّت خفارةٌ ... بشكّتها منهم تجدّ المساعيا
يقودهم من نخبة الجند سبعةٌ ... ثريسيم نسطور الملقب راعيا
ويلمين عسقالاف من ولد آرس ... ومريون ذيفير كذاك أفاريا
وليقوم قريون وكلّ مؤمّر ... على مئة منهم تقلّ العواليا
فحلّوا انتظاماً بين سور وخندق ... وأذكوا لإعداد الطعام المذاكيا[1]
وأتريذ وافى بالشيوخ لخيمه ... لمأدبة فاضت طعاماً موافيا
فلمّا بأيديهم قضوا من أمامهم ... وكلّ الظما والجوع أجلي نائيا
بدا من بهم فاق اختباراً وحكمة ... نبيلهم نسطور يخطب باديا :
«أأتريذ مولى الصيد أوّل من جرى ... وآخر من يجري إليه مقاليا[2]
تولّيت من زفس عصا الملك واليا ... شعوباً سمت عدّاً ونلت المعاليا[3]
لك الرأي والإصغاء والأمر تنتقي ... بآرائنا ما شئت تأتيه راضيا
وتنفذ قولاً قاله أيّنا إذا ... مضى عن فؤاد ظلّ بالخير ساعيا

وليمة للشيب دون الشبان فأعاد فيها الكلام ونال المرام على ما سيجيء

(١) اذكوا المذاكي أي اشعلوا النيران

(٢) أراد نسطور بقوله ان يعلم أغاممنون ان جل ما يرمي اليه باقواله وافعاله رعاية مكانة ذلك الزعيم ومصلحته • وهي عبارة كثيراً ما كانوا يستعملونها في اغانيهم وترانيمهم لآلهتهم

(٣) ترى من امثال هذا البيت ان زفس كان الآمر المطلق وان تعددت الآلهة • يولي الملوك ويتصرف بالكون كيف يشاء وليس من يقوى على معارضته

فَرَأْيي أراني لَسْتَ تُؤْتَى نَظِيرَهُ ... وما هوَ في ذا الحين جالَ ببالِيا
أُرَدِّدُهُ مُنْـذُ اُسْتَلَبْتَ اُخَيلَنا ... بَرِيسا عَلى رَغْمِ الأَراغسِ باغيا
تَوَلاَّكَ كَيدُ النَّفْسِ كِبْراً فلم تُصِخْ ... لِحُكمي وقولٍ فيهِ جِئْتُكَ ناهيا
وَقُمْتَ وأَغلَظْتَ المَقالَ لِسَيِّدٍ ... سَما شَرَفاً حتَّى بَني الخُلْدِ راقيا
ومَهْما يَكُنْ مِن بُعْدِ مَنْآهُ فَلْنَجِدْ ... سَبيلاً لنَسْتَصْفيهِ يَأْتِ مُصافيا
نُلِينُ لهُ قولاً بهِ نَسْتَلِينُهُ ... ونُتْحِفُهُ منَّا الصِّلاتِ السَّوانيا» (١)

فَقالَ أَغامَمْنُونُ: «أَخْطَأْتُ إِنَّما ... أَصَبْتَ بِتَثْرِيبي ولَسْتُ بِمُنْكِرِ
فإِنَّ فَتًى زَفْسُ اُصْطَفاهُ وزادَنا ... وَبالاً لِمَنْآهُ يُقاسُ بِعَسْكَرِ
عَثا بِيَ داعي الشَّرِّ حتَّى أَهَنْتُهُ ... وَعَلَيَّ إِنْ أَستَغْفِرِ الذَّنْبَ يُغْفَرِ
سَأُتْحِفُهُ غُرَّ الهَدايا وكُلُّكُمْ ... شُهُودٌ على قولي بِجافِلِ مَحْضَرِي
مَناضِدَ سَبْعاً لم تَرَ النَّارَ جُدَّدا ... وعِشرِينَ طَسّاً ساطعاتٍ لِمَنْظَرِ (٢)

---

(١) هذه أمنية نسطور التي حام حولها في مجلسين قبل ان يبوح بها لاغاممنون ألا وهي حمله على استرضاء اخيل واحكام الوئام

(٢) الطَّس والطَّست والطَّشت لاناء الغسيل معرب طست بالفارسية • — شرع اوذيس في تعداد التحف التي اعدها اغاممنون لاخيل اذا هو ارعوى وهبَّ الى نصرة الجيش فبدأ بالمناضد • وقد جعلنا المنضدة بمعنى المنصة او النَّضد الذي يرفع عليه متاع البيت تعريباً لكلمة (Τρίπους) ومعناها ذات الارجل الثلاث ومنها اخذ الافرنج كلمة Trépied, Tripod وامثالهما بسائر اللغات • وليس عندنا ما يقابلها الا السيبة المستعملة في سوريا للمرقاة المؤلفة من ثلاث قوائم متصلة بقرص في اعلاها • وهذه أيضاً من اوضاع العامــة معربة سه‌پا بالفارسية ومعناها ثلاث ارجل • الا انه وان اتفقت الكلمتان بالتركيب الوضعي فلا تتفقان بتأدية المراد

ومنْ ذهبٍ يعلو شواقلَ عشرةً ... وخيرَ جيادٍ تحرزُ السبقَ ضُمَّرِ (١)
فيحرزُها اثني عشرَ أجردَ سابحاً ... حبتني كنوزاً في السباق المكرَّرِ (٢)
كنوزاً إذا ما نالها أيما امرئٍ ... ترفّعَ عن شكوى شجيّةِ معسرِ
وسبعَ غوانٍ فقنَ حسناً وصنعةً ... من اللاءِ في لسبوسَ نال بأبترِ (٣)

كانت المناضد كثيرة الاستعمال عند اليونان وقد وردت مراراً في شعر هوميروس والجم الغفير من كتابهم وهي منقوشة في كثير من رسومهم وممثلة في عادياتهم • وهي ضروب شتى تستعمل لمقاصد مختلفة وجميعها قائمة على ثلاث قوائم يعلوها اناء له مقبضان من طرفيه • فمنها ما كان بمثابة القدور أو المراجل التي تعلو النار • ومنها ماكان لمزج الخمر بالماء وربما كان مراد الشاعر احد هذين النوعين الاول لقوله انها لم تر ناراً والثاني لمقارنتها بالطسوت وكلا النوعين مما كان يتهادى به او يعطى مكافأة للمبرزين في الالعاب • ومنها ما كان للزينة في البيوت • ومنها ما يتخذ في الهياكل للزينة أو للاستعمال أثناء التضحية والاستخارة • وكثيراً ما اتخذوها ايضاً موائد وكراسي وأقاموها وسط البيوت او علقوها على الجدران وهلمّ جرّا

(١) يقدرون قيمة الشاقل الذهبي في ذلك الزمن بنحو اربعة آلاف فرنك فعلى هذا يكون في جملة ما اعد اغاممنون لاسترضاء اخيل اربعون الف فرنك ذهباً

(٢) ذهب افستاثيوس الى انه يستفاد من هذه العبارة انهم كانوا يتراهنون سباقاً أثناء الحرب وربما كان ذلك في مآتم بعض الابطال والا لو كانت تلك الجياد من ذوات السبق قبل الحرب لكانت هرمت وباتت غير صالحة للهدية • ويحسن بنا ان نذكر في هذا المقام ان سباقهم لم يكن كسباق العرب على ظهور الخيل بل كان جرياً بالعجال • اما من حيث شيوع تلك العادة عندهم فلم تكن تقل عنها عند العرب ولقد طالما أورثت النزاع والخصام كما سنرى في النشيد الثالث والعشرين على انه لم يتصل بنا أنها كانت باعث حرب دامت اربعين عاماً كحرب بني عبس وفزارة على اثر سباق داحس والغبراء

(٣) لا يكاد هوميروس يمدح امرأة صبيحة الوجنتين الا اذا كانت صناع اليدين

وقد كُنَّ لي سَهماً وذلكَ عندما تَوَلَّى عَلَيْها بالطِّعانِ الْمُدَمِّرِ
كَذاكَ بَرِيسا مُقْسِماً وَمُثْقَلاً بأَنِّي إِلَيْها القربَ لم أَتَصَوَّرِ
فَهذي صِلاتي اْليومَ يَحْرِزُها وإِنْ نَنَلْ ذلكَ إِلْيُونِ بِحُكْمٍ مُقَدَّرِ
نُضارًا وصفْرًا يُؤْتَ مِلْءَ سَفِينَةٍ وعِنْدَ اْقتسامِ السَّبْيِ بالغِيدِ يَظْفَرِ
بعشرينَ حُسْناً فُقْنَ غيرَ هلانةٍ لَهُ باْنتِقاها خِيرَةُ اْلمُتَخَيِّرِ
وإِمّا رَجَعْنا لِلْخَصِيبَةِ أَرْغُسٍ يَكُونَنَّ صِهْرِي بالمَقامِ المُوَقَّرِ
يُجَلُّ كأُورِسْتَ الحَبيبِ الذي نَشا بأَرْغَدِ عَيْشٍ في يَسارٍ مُوَفَّرِ (١)
ثَلاثٌ بَناتي هُنَّ أَخْرِيسْثيمةٌ ولوْذِيقُ أَفْيَاناسُ مَنْ يَرْضَ يَخْتَرِ
ولَسْتُ بِباغٍ مَهْرَها وأَزِيدُها جَدًا لَمْ يَجُدْ فيهِ أَبٌ مُنْذُ أَدْهُرِ (٢)

وكثيراً ما يضيف الى نعم الخلاّق محاسن الاخلاق بخلاف شعرائنا الاقدمين وقل الحديثين ايضاً كأن المرأة اذا رزقت الجمال بلغت الكمال فعسى ان يكون لنا من شعر جاهلي اعمى ما يرشدنا الى سبيل ضللناه ونحن في حضارتنا مبصرون

(١) أورست ابن اغاممنون

(٢) المهر منذ القدم من حقوق العروس وابيها او من قام مقامه من ذويها ولم يصر من حقوق الزوج في بعض الاحوال الا في عصرنا او ما ماثل ما ذكره هيرودوتس عن زواج البابليات اذ كانوا يجمعون الاوانس الفتيات والعوانس اللائي طال بهن القعود مرة كل سنة فيجتمع اليهن كل عزب وطالب ثم ينادي بأجملهنّ وتدفع للدافع المهر الاعظم • ثم ينادى بمن تليها حسناً وهكذا الى ان تنفق الجميلات فيؤخذ مهرهن جميعاً وينادى بالباقيات مع اضافة مبلغ الى كل منهنّ وتدفع الفتاة التي لم ترزق الجمال للقانع بايسر مبلغ الى ان تتم المناقصة في الدور الثاني كما تمت المزايدة في الدور الاول • وهكذا فالجميلات يمهرن رفيقاتهن • وعلى كلٍّ فليس من المهر

فَيُنْزِلُهَا في دَارِ فِيلا وفَوقَ ذا   مَدائِنُ سَبْعٌ فَوقَ بَرٍّ مُعَمَّرِ

شيءٌ للعرائس وذويهن بل يؤدى لفريق من الازواج ما يؤخذ من الفريق الآخر . على ان هذه الحكمة لم تؤثر الا عن بابل . واما العبرانيون والعرب فكانوا كاليونان . والمهر مهران احدها للاهل والآخر للفتاة . فابراهيم الخليل اهدى خرصاً من ذهب وسوارين الى رفقة خطيبة ابنه اسحق (تك ٢٤ : ٢٢) ويعقوب خدم لابان سبع سنين بمهر ابنته لياوسبعاً أُخر بمهر اختها راحيل (تك ٢٩ : ١٨ — ٣٠) . والمهر في جاهلية العرب كان في الغالب لابي البنت او اهلها حتى لقد كانوا اذا ولد لاحدهم بنتٌ يقولون له « هنيئاً لك النافجة » اي المعظمة لمالك لانك تأخذ مهرها فتضمه الى مالك فينتفج . وربما تجاوز الاهل عن المهر لابنتهم اذا كانوا من ذوي اليسار . والظاهر ان العرب لم يكونوا جميعاً على مذهب واحد من هذه الوجهة اذ لو كانوا كلهم يرجون السعة وازدياد الثروة من وراء البنات لما فشت بين الكثير من قبائلهم عادة الوأد او دفن البنات وهنَّ حيّات

اما القول بزواج البنت فكان لابيها او وليها يزوجها ممن أراد كما كانت العادة عند اليونان بقول اغاممنون وربما رجعوا الى خيار الابنة او اكرهوها في خيارها كما روى عن ليلى عشيقة المجنون . قال صاحب الاغاني « لما شهر امر المجنون وليلي وتناشد الناس شعره فيها خطبها وبذل لها خمسين ناقة حمراء وخطبها ورد بن محمد العقيلي وبذل لها عشراً من الابل وراعيها فقال اهلها نحن مخيروها بينكما فمن اختارت تزوجته ودخلوا اليها فقالوا والله لئن لم تختاري ورداً لنمثلنَّ بك فقال المجنون :

الا ياليل ان مُلّكتِ فينا   خيارك فانظري لمن الخيارُ
ولا تستبدلي مني دنياً   ولا برماً اذا حب القتارُ
يهرول في الصغير اذا رآه   وتعجزهُ ملماتٌ كبارُ

فاختارت ورداً فتزوجته على كره منها » — ينبئك هذا السياق ان خيار البنت لم يكن حقيقةً لها الا في حالات مخصوصة

ولما جاء الاسلام اقر المهر والخيار كليهما للابنة وجعلهما لها حقًّا يضمن لها الراحة بعد الزواج . وقسم المهر الى قسمين العاجل وهو ما يؤدى لها عند

فِرِيسُ اُتُّقي إيرا الزُّهورِ وإِنْيفا	وقرذملا أَنثا الفجاجِ المُنَوّرِ (١)
وإِيفيةُ الحسناءُ فِيداسُ كَرْمةٍ	إزاءَ فِلوسَ الكلُّ في جُرْفِ أبحُرِ
يحلُّ بأهليها كَرَبٍّ خُطُورَةً	ويُؤتُونَهُ جَمَّ الخَراجِ المُقرَّرِ
غَنيماً وأبقارًا تناهى عَدِيدُها	فتِلكَ هِباتي فليَلِنْ ثُمَّ يحضُرِ
فكلٌّ مَغيظٍ غيرِ آذيسَ يرتضي	لذاكَ قِلاهُ الخَلقُ عن شرِّ مَخبَرِ (٢)
كَمِي حنقاً مذْ كُنْتُ أعظمَ رِفعةً	وأكثرَ أياماً ليذعَنْ ويقصرِ» (٣)

فقالَ لهُ نَسطُورُ: «ياسيّدَ الوَرى	أجَلْ جُدتَ فيما لا يُهانُ ويُستقَلْ
فهيَّ بنا ندعُ الدُّعاةَ ليذهبُوا	لخيمةِ آخيلِ بنِ فِيلا بلا مَهَلْ

الزواج والآجل وهو ما تعطاه فيها اذا طلقت فتستعين به على المعيشة بعد الطلاق

(١) المنوّر المخرج نَوره اي زهره


آذيس الاه الجحيم

(٢) آذيس الاه الجحيم والموت لا تنفع الزلفى اليه ولذلك لم تكن له عندهم عبادة ولم يشيدوا له الهياكل • كانوا يرسمونه على اوضاع شتى وهو فيهن جميعاً قابض على صولجان وعلى رأسه خوذة

(٣) قد يلوح للمطالع ان اغاممنون سام نفسه حطة وذلاً بهذا الخطاب لانه شرع في الاقرار والاستغفار ثم استطرد الى استعطاف خصمه بالتحف السنية • على انه في نظر الحكيم لا يزداد الا وقاراً واعتباراً لانه اذا كان نسطور اتى حكمة بارشاده ونصحه فقد كانت حكمة اغاممنون اعظم باذعانه وانتصاحه والمقر بالخطأ لا يقل فضلاً عن المنبه اليه • وترى من انتقاء تلك الهدايا ان اغاممنون كما قال افستاثيوس لم يدع مطمعاً لاخيل الا وعد بسده • فالذهب يسكن من غيظه لو طمحت ابصاره الى الثروة والمال • والسبايا

أنا أتنقَّاهمْ فَفِينِكْسُ قائدٌ ... لَهُمْ مَعَهُ يَمْضِي أياسُ الفتى البطَلْ
كذا المُجتَبى أُوذِسْ وفَيْجانِ هُذْيُسٌ ... وأُورِيبَطٌ ولْنَغْسِلَنَّ على عَجَلْ (١)
وبالصَّمْتِ فأْمُرْ نَسْتَغِثْ زَفْسَ عَلَّهُ ... يَرِقُّ» فضجَّ الجمعُ واستصوبَ العمَلْ
فَصَبَّ على الأيدي الفُيُوجُ قُرَاحَهُمْ ... وفتيانُهُمْ بالخمرِ في أكْؤُسٍ نُقَلْ
يَمُزُّونَ منها طافحاتٍ وبَعْدَ ذا ... يُديرُونَها دَوْرًا بكُلِّهِمِ اتَّصَلْ (٢)
ولَمَّا أراقُوها على الأرضِ قُرْبَةً ... وفوقَ مَرامِ النفسِ رَشْفُهُمُ اكْتَمَلْ
عَدا رُسْلُهُمْ مِنْ خَيْمَةِ المَلْكِ عاجلاً ... فقلَّبَ نَسْطُورٌ بهم مُحْدِقَ المُقَلْ
وحَثَّهُمُ فَرْدًا فَفَرْدًا وسِيَّما ... أُذِيْسَ لِيَسْتَرْضُوا أخيلَ الذي اعْتَزَلْ

الحسان وبنت الملك الاعظم تستميل قلبه لو كان مشغوفاً بربات الجمال • والمدائن السبع وما يتبعها من ابهة الملك تبرّد من حزازة صدره اذا كان طامحاً ببصره الى عظمة الملك وواسع السلطان • وعلى الجملة فقد استجمع اغاممنون كل كفارة يتصورها خصمه جديرة به • نقول واعظمها تزلفه اليه بعد ذلك الشموخ وتلك الانفة

(١) لقد أتى الشاعر حكمة باختيار افراد هذا الوفد للمسير الى أخيل • ففينكس استاذه وهو اكثر الناس نفوذاً وحرمة لديه • واياس ابدل القوم بعده ويجمعهما نسب باتصالهما الى آياك • واذيس داهيتهم • وهذيوس واريباطس فيجاهم المكرمان • فكأنه سير اليه الابوة والبأس • والحكمة والدهاء • والحرمة والرعاية

(٢) تلك سنّة دينية كان لابد منها قبل الشروع في الاعمال الخطيرة وقد ذكرها هوميروس مراراً ذكراً اجمالياً وفصل هنا تفصيلاً لم يفصله في غير موضع • ذلك انهم بعد ان غسلوا ايديهم دارت الفتية السقاة عليهم بكؤوس الراح فكانوا يسقونهم بعد ان يمزّوا منها أي يشربوا نهلاً قليلاً وتلك عادة شرقية لانعلم مصدرها وانما نعلم ان تحتها مغزيين احدهما ان الساقي اذا شرب من الكأس التي بيده أمن المسقي على نفسه من سمٍّ يدس فيها • ولا يزال سقاة العجم واواسط اسيا يجرون هذا المجرى

فسارَ رَسولا القومِ فيمنْ تلاهما　　على جدِّ بحرٍ عجَّ أمواجه اقتتلْ[1]
محيطَ البرايا يستغيثان علَّهُ　　يبدِّدُ حقدًا بابن آيالك قد نزلْ[2]
ولمَّا إلى خيمِ المرامدِ بلغا　　إذا بأخيلٍ يطرِبُ النَّفسَ عن مللْ
بقيثارةٍ غنَّاء قد شاقَ صنعُها　　ينغِّمُ في ذكرِ الجبابرةِ الأُولْ
بقوسٍ لجينٍ طوِّقتْ وأُنيلَها　　منَ الكسبِ مذْ في دكِّ إيتونةَ استقلْ
يقابلُهُ فطرُقلُ بالصمتِ ريثما　　مليًّا تطيبُ النَّفسُ من ذلك الزَّجَلْ[3]
اذا بأُذيسٍ يرئسُ الوفدَ داخلٌ　　ففي دهشٍ مِن فوقِ مجلسِهِ انتقلْ
وفي يدِهِ القيثارةُ انسابَ ناهضًا　　كذلكَ فطرُقلُ على القدمِ امتثلْ
فصافحَهمْ قال: « السَّلامُ ومرحبًا　　فلا شكَّ وافيتمْ لأمرٍ لكمْ جللْ
ومهما يكنْ من نفرتي فلأنتمُ　　لأخيلَ أدنى منْ يُودُّ ومنْ يُجَلّْ »

في اسقاء القهوة وغيرها . ولا شك انها بقية عادة قديمة تأصلت فكانت مصدر تلك السنة اليونانية . والثاني وكنا نود ان نضرب عنه تأدباً لولا وجوب ذكره اتماماً للفائدة وهو جنوح شارب الخمرة الى التلذذ برشفها من كأس امتزجت بشيء من رضاب الساقي والسقاة في بلاد المشرق من خيرة الغلمان ونخبة الحسان . وقد سلف (ن : ٥ ص : ٤) ان زفس رفع غنيميذ بن اطروس ملك طروادة الى السماء فجعله ساقياً لفرط جماله

(١) ذكرنا ان الوفد مؤلف من خمسة نفر ثم قلنا الآن رسولا القوم وهنا محل خلاف بين المترجمين لان الضمير في سار في الاصل يحتمل ان يكون للمثنى والجمع والاكثرون على انه للمثنى فالرسولان بهذا الاعتبار اوذيس واياس واما فينكس فانما ارسل عوناً لهما والفيجان رفيقان لابد منهما في كل رسالة

(٢) محيط البرايا لقب من القاب زفس

(٣) قالت العرب الغناء والعزف بآلات الطرب من أشرف الصناعات لان

وأَجلسَهُمْ مِن فوقِ فُرْشٍ تَدبَّجتْ ... ببُسُطٍ من البِرْفيرِ نادِرَةِ المَثَلْ
وقالَ لفطرُقْلٍ : « عَليكَ إِذًا لنا ... بأَكبَرِ دَنٍّ وَلتَفِضْ قِسمَةُ الجُعَلْ
بكأْسٍ لِكُلٍّ من قَراحٍ مَليِّهِ ... فمن تحتِ سقفي خيرُ رَهْطٍ وَدِدْتُ حَلّ
فَبادَرَ فَطرُقْلٌ وآخيلُ عامِدٌ ... الى وَضَمٍ قُرْبَ اللَّهيبِ الَّذي اشْتَعَلْ[1]
ومَدَّ عليهِ صُلْبَ كَبْشٍ وسَخْلَةٍ ... كذا صُلْبَ خِرْنَوْصٍ سَمينٍ لهمْ قَتَلْ
وأَفطومذُونٌ مُمسِكٌ وَهْوَ خازِلٌ ... وَيَنظُمُ في تِلكَ السَّفافيدِ ما خَزَلْ
وفَطرُقْلُ ذُو الهِمّاتِ يُضرِمُ وَقدَهُ ... إِلى أَنْ لَهيبُ النارِ بُدِّدَ واضْمَحَلْ



اخيل يضرب على قيثاره

وراءه فطرقل وتجاهه جاريتان

صاحبها يتوصل بها الى مجالسة الامراء ومنادمة الملوك . واما هوميروس فزادها شرفاً على ذلك بان جعلها صناعة الملوك انفسهم واشرف من ذلك ان جعلها للتغني باعمال الابطال وكبار الرجال ولا مجلس اعظم هيبةً من مجلس بطل باسل وزعيم يتضرم لبُّه للجهاد ويقعده عنه الكيد والعناد . فان ثناه القعود عن منازلة الفرسان فلا يطربه ويخفف عناه الا ترداد ذكراهم على هزج الالحان . ولا نديم أوفى واكفى من رفيق كفطرقل ذي حمية وبأس يرضى بسراء صاحبه وضرائه فيتخذ بؤسه بؤساً ونعيمه نعيماً

(١) الوضم الخشبة يقطع عليها اللحم

فألقى على الجمر السفافيد تحتها قوائمُ والملحَ الذَّكيَّ بها جبلْ (١)
ولمَّا اُستتمَّ النضجُ مدَّ سماطهُ وثمَّ قِفاعَ الخبز فطرُقْلُ قد حملْ
لكلٍّ منَ الأضيافِ قدَّمَ قفعةً وآخيلُ توزيعُ اللحوم بهِ اُشتغلْ
تُجاهَ أُذيسٍ جالساً لرفيقهِ أشارَ فباُسترضاء آلِ العُلى اُستهلْ
فللنارِ ألقى خيرَ لحمِ ضحيَّةٍ ومدَّتْ أياديهمْ وكلُّهمُ أكلْ (٢)
ولما انتهوا آياسُ أومأَ داعياً فنكَّسَ فأُوذيسُ أحاطَ بما سألْ (٣)

(١) الملح الذكي في الاصل الملح العلي أو الالاهي أي المقدس وصفه هوميروس بهذا الوصف لانه يقي الطعام من الفساد وعلى هذا قول السيد المسيح أنتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يملَّح • ومن هذا القبيل تسمية المصريين الملح بالمصلح

(٢) هذه وليمة أولمتها ملوك لملوك ولقد كاد يأنف بعض نقلة الافرنج من ترجمتها زعماً منهم بان فيها غضاً من شأن الضيف والمضيف فهنالك الوفد يدخل على أخيل ولا حجاب لديه فيقوم لهم ويصافحهم مصافحة الخلان ويجلسهم اليه ويولم لهم بيديه وهنا صديقه فطرقل وحوذيه افطوميذون يعاونانه معاونة الاصدقاء دون معاونة الاتباع فأخيل يقوم مقام النَّدل (خدام الاكل) وفطرقل مقام الطهاة (الطباخين) ولا غلام بينهم ولا عبد رقيق • تلك معيشة أولئك الملوك على سذاجتها ومع هذا فلم تأنف التواريخ من تدوين اعمالهم والشعراء من التغني ببسط حالهم • ولقد كانت تلك السذاجة في جاهلية كل امة كما يتبين من التوراة ومن آثار العرب وحسبنا الرجوع بنظرنا الى معلقة شيخ شعرائنا الكندي وهو لم يأنف على كونه من ابناء الملوك ان ينحر بيده ناقته بل افتخر في موضع آخر بقوله

نمشُّ باعراف الجياد اكفَّنا اذا نحن قمنا عن شواء مهضَّبِ

(٣) لاعجب ان يكون اياس اول الداعين الى الكلام وهو احدث الوفد سناً واعظمهم بأساً وأحرّهم دماً فطبيعيٌّ ان يعال صبراً قبل رفاقه • واما دعاؤه فينكس قبل الجميع فلعلمه بما له من دالة التربية على اخيل • واما مبادرة اوذيس الى الخطاب قبل

فَفِي كَأْسِهِ صَبَّ المُدَامَ مُرَدِّدًا بها نَخْبَ آخيلٍ ومن ثَمَّةَ ارْتَجَلْ:(١)
« سَلامٌ أَخيلُ لا بحاجةِ مَطعَمٍ نُرَى فَلَدَيْنا خَيْرُ زادٍ مُيَسَّرِ (٢)
فَفِي خَيْمِ أَتْرِيْذٍ يَفِيضُ شَهِيُّهُ وعِنْدَكَ مِنْهُ كُلُّ أَطْيَبَ أَفْخَرِ
وما الآنَ آنُ القولِ في طِيبِ مَأْكَلٍ وقد راعَنا وَقْعُ البَلاءِ المُدَمِّرِ
وإِنَّا لَفِي رَيْبٍ بأَمْرِ سَفِينِنا أَتَهْلِكُ أَمْ تَنْجُو إِذا لَم تُشَمِّرِ
فَقَدْ عَسْكَرَ الطُّرْوادُ فِي حُلَفائِهِمْ لَدَيْها وقد أَوْرَوا لَهِيبَ مُسَعَّرِ
يَلُوحُ لَهُمْ أَنَّا وَهَيْنا وأَنَّنـا سَنَلْقَى عَلَيْها حَتْفَنـا بِتَقَهْقُرِ
وَذا زَفْسُ أَوْرى البَرْقَ فوقَ يَمِينِهِمْ دَليلاً بهِ يَشْتَدُّ ساعِدُ هَكْطُرِ
فأَصْبَحَ لا يَرْعَى إِلاهاً خِلافَهُ ويَرْمُقُنا طَرًّا بِعَيْنِ مُحَقِّرِ
ويَدْعُو فَتاةَ الفَجْرِ تَبْرُزُ عاجِلاً لِيَقْطَعَ أَطْرافَ السَّفِينِ ويَبْتَرِي (٣)

فينكس فدهاء منه لان أوذيس كان رأس الوفد فكان يجدر به ان يكون اول المتكلمين مع ما عنده من حسن التصرف واستبقى فينكس متكأً يستند اليه اذا اخفق مسعاه

(١) النخب الشربة من الخمر يشرب الرجل لصحة عشيره وليست كلمة « النخب » مذكورة بلفظها في الاصل ولكنها مستفادة من سياق الحديث اذ يقول عوضاً عن « مردداً بها نخب اخيل » « مستقبلاً بها اخيل »

(٢) بدا اوذيس خطابه لاخيل بالسلام والعتاب كما فعل امية بن الصلت اذ قال مخاطباً لسيف ذي يزن تبّع حمير :

سلامٌ ايها الملك اليماني لقد غلب البعاد على التداني

(٣) كانوا يزينون مقدم سفائنهم بصور الآلهة فبقوله يقطع اطراف السفين يشير الى انه يروم قطع تلك الصور واحرازها ذخراً ثميناً يفتخر به ويعلقه في هياكل بلاده جرياً على عادتهم قربةً من الظافر لمعبوده

ويُذْكِي بها النِّيرانَ ثُمَّ إزاءها … يُذَبِّحُ كُلَّ العَسْكَرِ المُتَضَوِّرِ
تَحَدَّمَ غيظاً واستَشاطَ وخشيتي … يُتاحُ لهُ فوزٌ فيَفري ويفتري
ونَهْلِكُ في مَنْأًى عَنِ الوَطَنِ الذي … غَذا الخَيْلَ في مَرْجٍ منَ الرَّوْضِ أَخْضَرِ
فَهُبَّ ابْنَ فِيلا إن تَرُمْ نَصْرَ قومنا … وإن يَكُ جلَّ الخَطْبُ واشْتَدَّ فانْبَرِي
سَتَنْدَمُ لكن لاتَ حينَ ندامةٍ … فذا الحينُ حينُ الكرِّ والذَّبِّ فافْكِرِ
أما قالَ فِيلا يومَ فارَقْتَ إفثيا … إلى جَيْشِ أَتْرِيذٍ : « بُنَيَّ تَبَصَّرِ
« أثينا وهيرا تُولِيانِكَ نُصْرَةً … إذا شاءَتا لكنْ على جاشِكَ اصْبِرِ
« فبالحِلْمِ كُلُّ الخيرِ والفِتْنَةَ اطَّرِحْ … رعايةَ كُلِّ الشِّيبِ والمُرْدِ تَذْخَرِ »
نَعَمْ ذاكَ قولٌ قالَهُ الشَّيْخُ إنما … تناسَيْتَهُ فاذْعَنْ وقومَكَ فانْصُرِ
وعِ الآنَ قولي إذ أَعُدُّ نَفائِساً … سَيَحْبُوكَ أَتْرِيذٌ بأعظَمِ مَظْهَرِ :
مَناضِدَ سَبْعاً لم تَرَ النارَ جُدَّداً … وعشرينَ طَسّاً ساطعاتٍ لِمَنْظَرِ
ومن ذَهَبٍ يَغْلو شِوا قِلَ عَشْرَةً … وجُرْدَ جِيادٍ تألفُ السَّبْقَ ضُمَّرِ
فتُحْرِزُها اثْنَي عَشْرَ أَجْرَدَ سلْهَباً … حَبَتْهُ كُنوزاً في السِّباقِ المُكَرَّرِ
كُنوزاً إذا ما نالَها أَيُّما امْرِئٍ … تَرَفَّعَ عَنْ شَكْوَى شَجِيَّةِ مُعْسِرِ
وسَبْعَ غَوانٍ فُقْنَ حُسْناً وصَنْعَةً … مِنَ اللاءِ مِنْ لَسْبُسَ سَبَيْتَ بأبْتَرِ
وأَنْ لهُ سهْماً وذلكَ عندَ ما … تَوَلَّيْتَها تحتَ الطِّعانِ المُدَمِّرِ
كذاكَ بَرِيساً مُقْسِماً ومُثَقِّلا … يَقُولُ إليها القُرْبَ لم يَتَصَوَّرِ
فهذي صِلاتُ اليومِ تُحْرِزُها وإنْ … تَنَلْ دَكَّ إِلْيُونٍ بِحُكْمٍ مُقَدَّرِ

نُضارًا وصُفْرًا تُوْثَتَ مِلءَ سَفِينَةٍ وعندَ اقْتسام السَّبْيِ بالغيدِ تَظْفَرِ
بعشرينَ حُسْنًا فُقْنَ بَعْدَ هِلانَةٍ تَحُزْ بانْتِقاها خِيرَةَ المُتَخيِّرِ
وإمَّا رَجَعْنا لِلْخَصِيبَةِ أَرْغُسٍ يَرُومُكَ صِهْرًا بالمَقامِ المُوَقَّرِ
تُجَلُّ كأُورَسْتَ الحَبِيبِ الذي نَشا بأَرْغَدِ عَيْشٍ في يَسارٍ مُوَفَّرِ
ثلاثُ بناتُ المَلْكِ أَخْرِيسْثِيمَةٌ ولَوْذِيقُ أَفْيَانَاسُ مَنْ تَرْضَ تَخْتَرِ
ولَيسَ بِباغٍ مَهْرَها ويَزِيدُها نَدًى لم يَجُدْ فيهِ أَبٌ مُنْذُ أَدْهُرِ
فَتُنْزِلُها في دارِ فِيلا وفَوقَ ذا مَدائِنُ سَبْعٌ فَوقَ بَرٍّ مُعَمَّرِ
فِرِيْسُ التُّقَى إِيرا الزُّهُورِ وإِنْيُفا وقَرْذَمِلا أَنْثا العَجاجِ المُنَوَّرِ
وإِيفِيَةُ الحَسْناءِ فِيدَاسُ كَرْمَةٍ تُجاهَ فَلُوسَ الكُلُّ في جُرُفِ أَبْحُرِ
تُجَلُّ بأَهْليها كَرَبٍّ خُطُورَةً وتُحْرِزُ مَذْخُورَ الخَراجِ المُقَرَّرِ
غَنَمًا وأَبْقارًا تَناهى عَدِيدُها فَتِلْكَ الهَدايا فاتْرُكِ الغَيظَ واحْضُرِ
ولكِنَّما إِنْ كُنْتَ أُشْرِبْتَ بُغْضَهُ وإِنْ تَزْدَري هذي الهِباتِ وتَسْخَرِ
فَرِقَّ لِقَومٍ سَوفَ تُحْرِزُ رِفْعَةً كَرَبٍّ لَدَيْهِمْ أُخْرِجُوا في المُعَسْكَرِ
ونَلْ ذُرْوَةَ المَجْدِ الرَّفِيعِ مُخَلَّدًا بِمَقْتَلِ هَكْطُورَ الفَتى الباسِلِ الجَرِي
إِلَيكَ تَدَنَّى حانِقًا مُتَوَهِّطًا ويَزْعُمُ ما في القَومِ نِدٌّ بِهِ حَرِي»[1]

---

(١) خطاب اوذيس هذا هو أول حلقة من الخطب التي دارت بين اخيل ووفد الاغريق والتي يمثل بها الادباء فيتخذونها انموذجاً لمناهج الخطابة • وحسبنا في هذا المقام ايراد مطالعة دلاموت عدو هوميروس • قال: لا خطب في الالياذة اوقع وادل على بلاغة هوميروس وعظمته من خطب هذا الوفد فانها بصرف النظر عن كونها من

قالَ آخيلُ : « يا أُذِيسُ المؤانِسْ لِيَ فاسْمَعْ فإنني لا أُلابِسْ
لِي مقالٌ فلَنْ أحُولَنَّ عَنْهُ فعِهِ واُطرَحنَّ عنكَ الوَساوِسْ
مَنْ يَقلْ غيرَ ما تيَقَّنَ فِكرا كانَ عندي مِنَ الجحيمِ أشرّا (١)
فالذي قد أسرَرْتُ هاكُمْ جِهارًا لجميعِ الإغريقِ لستُ بناكِسْ
ما بأتريذَ والأغارقِ جمْعا مَنْ حقُوقَ الأبطالِ بالحقِّ يرْعَى (٢)

لوازم المقام فان فيها من حسن الوضع ودقة الانتظام ما يزيد المطالع رغبة في مطالعتها وارتياحاً اليها • يشرع اوذيس في الخطاب فيحيط بحكمته بمقتضيات الحال وترتاح الفكرة الى حسن انتقاء براهينه وحججه • فيجيب اخيل بحرية تشف عن اباء عظيم فترتفع بالفكر الى عواطف الابطال • فيأتي فينكس برقته فيتأثر القلب لكلامه • وهنالك يختم اياس الجلسة بانفة تشف عن عظمة واباء • فتنفض الجلسة والعقل متلهب بهذا التعاقب البديع • ولا ريب ان هذا الترتيب يدل على عظمة الشاعر وتسلطه على تحويل الفكرة كيفما يشاء بحسن تنسيق مادته • واني لعلى يقين انه ليس في الامكان ان يكون انموذج لحسن التنسيق خيراً من هذا • اه • قال بوب بعد ايراد ما تقدم لاشهادة اعظم من هذه الشهادة على مكانة هوميروس لانها كما ترى صادرة من كاتب اشتهر بعدوانه له وتحامله عليه

(١) ألمع اخيل هنا الى دهاء اوذيس الذي يلجئه الى تقايب الكلام على اوجه شتى تذرعاً لنيل بغيته فأراد اخيل ان يفهمه انه من وجه غير غافل عن دهائه ومن وجه آخر يصرح مفصحاً عما يخالج فكرته ليس الا • وهو كلام ينطبق كل الانطباق على صفة الفتى الباسل ربيب المجد والحرية • قال قيس بن رفاعة الانصاري:

انا النذير لكـم مني مجاهرةً كيلا ألام على نهيٍ وانذار

وقال ميمون بن مبارك لعمر بن عبد العزيز : قل لي في وجهي ما أكره

(٢) قال عنترة :

حلمت فمـا عرفتم حق حلمي ولا ذكرت عشيرتكم ودادي

فَلَدَيهِمْ سِيَّانِ قَرْمٌ عَنِيدٌ | وجَبانٌ عَنِ الوَغى مُتَقاعِسْ (١)
ولَدَيهِمْ سَهْمُ الفَتى الصِّنْدِيدِ | مِثلُ سَهمِ الهَيَّابَةِ الرِّعْدِيدِ
والرَّدى يَحْصُدُ الجَميعَ سَواءً | مُتَّقِي الهَولِ والجَسُورُ الحُمَارِسْ (٢)
أيَّ نَفعٍ جَنَيْتُ مِنْ قَهْرِ نَفْسِي | واقْتِحامِ الأَهْوالِ فَتْكاً بِبَأْسِي
كُنْتُ كالطَّيرِ لِلْفراخِ يُوافي | بِطَعامٍ عَن نَفْسِهِ هُوَ حابِسْ (٣)
كَمْ لَيالٍ أَحْيَيْتُ كَمْ مِن نَهارِ | بِاصْطِكاكِ القَنا اثَرْتُ أُوارِي
كُلُّ هذا حِفْظاً لِعِرْضِ نِساكُمْ | ولَكُمْ خُضْتُ فادِحاتِ الدَّراهِسْ (٤)
إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَدائِنَ بَحْرا | نِلْتُ ثُمَّ الطِّرْوادَ اقْلَقْتُ بَرّا
حَيْثُ عَشْراً وبَلْدَةً ثَمَّ دَمَّرْ | تُ ومِنها قَسْراً سَلَبْتُ النَّفائِسْ (٥)

ولعنترة كلام كثير بهذا المعنى كقوله :

ولاقيت العدى وحفظت قوماً | اضاعوني ولم يرعوا جنابي

وقوله : اذ كرقومي ظلمهم لي وبغيهم | وقلة انصافي على القرب والبعد
بنيت لهم بالسيف مجداً مشيداً | فلما تناهى مجدهم هدموا مجدي

(١) قال السندي :

ولن يستوي عند الملمات ان عرت | صبورٌ على لأوائها وجزوعُ

(٢) الحمارس المقدام ــ هذا المعنى مع اختلاف قليل وارد كثيراً في شعر العرب كقولهم :

وما ان ارى الدهر في صرفه | يغادر من شارخ او يفَن

(٣) انتقد بعض الشراح ضرب هذا المثل لما فيه من اللين والرقة والمقام مقام شدة وعنف وهو انتقاد غير سديد اذ لاشيء أقرب الى تصور الخنق المستشيط من سابق رأفة احتفظ بها على غير بارٍّ بذمامه ونابذ حقوق وفائه

(٤) الدراهس الشدائد

(٥) لانهم قبل بلوغ اليون عاصمة الطرواد كانوا عاثوا في ارضها ودمروا

وِلأَتْرِيذَ سُقْتُ كُلَّ الغَنائِمْ　　　وَهْوَ بَينَ السَّفِينِ بالأَمْنِ قائِمْ
فَحَبا الصَّيدَ والقُبُولَ يَسيرًا　　　وبِجُلِّ الأَسْلابِ قد ظَلَّ آنِسْ
إِنَّما مِنْ جَمِيعِهِمْ ما أُسْتَرَدَّا　　　أَنا مِنْ دُونِهِمْ بِسَهْمِي أُسْتَبَدَّا (١)
وإِلى زوجتي أُسْتَطالَ فَدَعْهُ　　　يَتَمَتَّعْ بِقُرْبِها ويُنافِسْ (٢)
فَعلامَ الإِغرِيقُ هاجُوا وماجُوا　　　وبِحَرْبِ الطُّرْوادِ ثارَ العَجاجُ

بلادها — يردد اخيل ذكرى بطشه ترديد عنترة بقوله :

طرقت ديار كندة وهي تدوي　　　دويّ الرعد من ركض الجيادِ
وبددت الفوارس في رباها　　　بطعن مثل أفواه المزاد
وخثعمُ قد صبحناها صباحاً　　　بكوراً قبل ما نادى المنادي
غدوا لما رأوا من حد سيفي　　　نذير الموت في الارواح حادِ
وعدنا بالنهاب وبالسبايا　　　وبالاسرى تكبّلُ بالصفادِ

(١) كانت العادة عند اليونان كما كانت عند العرب ان يتولى زعيم القوم توزيع الغنائم وغيظ أخيل هنا ووجده اشبه شيء بغيظ العباس بن مرداس الا انه اشد واقوى. ذلك انه لما وزع نبي المسلمين غنائم حنين واستقل العباس سهمه انشد :

كانت نهاباً تلافيتها　　　بكرّي على المهر في الاجرعِ
وايقاظي القوم ان يرقدوا　　　اذا هجع الناس لم أهجعِ
فأصبح نهبي ونهب العبيد　　　بين عيينة والاقرعِ
وقد كنت في الحرب ذا تدرءٍ　　　فلم اعط شيئاً ولم أمنعِ
وما كان حصن ولا حابسٌ　　　يفوقان مرداس في المجمعِ
وما كنت دون امرىءٍ منهما　　　ومن تضع اليوم لا يرفعِ

قال صاحب الاغاني : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه. وامر بان يعطى من النساء والنعم ما يرضيه ليمسك فأعطي

(٢) دعا اخيل بريسا السبية زوجته لانه كان مصمماً على اتخاذها زوجة لا لانها كانت زوجته فعلاً

أَفَمَا في أُطَّلابِ هِيلانَةٍ قد جاءَ أَتْرِيذُ بالكُماةِ القَوامِسْ [1]
كُلُّ شَهْمٍ لِعِرْسِهِ يَتَوَدَّدْ لَمْ يَكُنْ ذا بالأَتْرِذَيْنِ مُقَيَّدْ
وبِعِرْسِي أَنا كَلِفْتُ وإِنْ لَمْ تَكُ إِلاَّ مِنَ السَّبايا العَطامِسْ • [2]
إِنَّ أَتْرِيذَ غَلَّ سَهْمِيَ مِنِّي مِثْلَما غَرَّني فَلَنْ يَخْدَعَنِّي
بكَ أُوذِيسُ والملوكِ لِدَرءِ الا ضَيْمِ عَنْهُ فَلْيَعْقِدَنَّ المَجالِسْ [3]
بَعْدَ بُعْدِي كَم جاءَ أَمْراً خَطِيرا رَفَعَ السُّورَ ثُمَّ مَدَّ الحَفِيرا
ثُمَّ شادَ الأَبْوابَ لكِنْ أَراهُ مِن لِقا هَكْطُرَ المُدَمِّرِ راعِسْ • [4]
قَطُّ ما جازَ هَكْطُرُ الزّانَ قَبْلا لا ولا بابَ إِسْكِيا اجْتازَ فِعْلا
بَلْ إِزاءَ الحُصُونِ ظَلَّ يُبارِي عِندَ ما كُنْتُ في صُدُورِ الفَوارِسْ
لِلِقائي بالحَرْبِ يوماً تَرَبَّصْ كادَ يُصْمَى لكِنْ نَجا وتَمَلَّصْ [5]

---

(١) القوامس جمع قومس وهو الامير وفي كتب اللغة القومس الامير والقُمَّس الرجل الشريف • ولم تنبه ائمة اللغة على هاتين اللفظتين ولا اقرب من ان يكونا من (Comes) اللاتينية بمعنى الرفيق ومنها كلمة كونت باللغات الافرنجية للقب الشرف المعروف اذ كان اصحاب هذا اللقب مصاحبين للملوك وندماءَ لهم

(٢) العطامس جمع عطموس وهي المرأة الجميلة — هنا دليل آخر على احترامهم للسبايا في بعض الاحيان كما اشرنا في النشيد الاول فان أخيل لم يأنف ان جعلها بالنسبة اليه كهيلانة بالنسبة الى منيلاوس

(٣) يتهكم على أوذيس وسائر الملوك ويتكلم بانفة الظافر بخصمه الذي يعلم انه لا يسد مسدّه احد

(٤) الراعس المرتعش

(٥) في ذلك اشارة الى واقعة جرت بين اخيل وهكطور قبل حوادث الالياذة

بَيدَ أَنّي لا أَنْغِيَنَّ لَهُ بَعـ ... دُ كِفاحاً فالعَودُ بَعْدَ الحَنادِسْ[1]
فِلزَفْسٍ وسائِرِ الأَرْبابِ ... سأُضَحِّي غَدًا قُبَيْلَ المَـآبِ
وإِذا شِئْتُمُ ارْقُبَنَّ سَفِيني ... جُسْنَ قَلْبَ العُبابِ أَيَّ جَوائِسْ[2]
بِثَقِيلِ الأَحْمالِ تَمْخَرُ مَخْرا ... وبها الأَرْدَمُونَ تَخْرُقُ بَحْرا[3]
وإِذا شاءَ فُوسِذٌ ثالِثَ الأَ ... يّامِ في إِفْثِيا رَسَوْنَ أَوانِسْ
فَبِها قد غادَرْتُ مالاً وَفِيرا ... وإِلَيْهِ أَضُمُّ كَسْباً كَثِيرا
ذَهَباً ساطِعاً حَدِيداً وصُفْرًا ... والسَبايا ذَاتَ القُدُودِ المَوائِسْ
كُلَّ هذا أَحْرَزْتُ سَهْماً حَلالا ... وأَغامَمْنُونٌ أَجازَ وغَالا
أَبْلِغُوهُ قَولي جِهاراً لِيُخْزَى ... إِنْ رأَى بَعْدُ أَنْ يَدُسَّ الدَّسائِسْ
وَهْوَ مَهْما عَتا ولَمْ يَتَهَيَّبْ ... ذَلَّ عَنْ أَنْ يَدْنُو وَوَجْهِيَ يَقْرَبْ
لا يَرُومَنَّ بَعْدُ قَولي وفِعْلي ... لا يُطِيلَنَّ لي الحَدِيثَ الخُلابِسْ[4]
وَلْيَسِيرَنْ لِلْهَلاكِ ثُبُورا ... إِنَّ زَفْساً أَبادَ مِنْهُ الشُّعُورا

---

(١) اي انه عزم ان يقلع الى بلاده فجر ليلته

(٢) جسن قلب العباب اي شققنه — من غريب وصف السفن المواخر في البحر قول طرفة :

يشق عباب البحر حيزومها بها ... كما قسم الترب المفايل باليـد

وحيزوم السفينة صدرها . والمفايلة ضربٌ من المقامرة للعرب كانوا فيه يجمعون التراب ويدفنون فيه شيئاً ويعمد احدهم وهو المفايل الى شقه شطرين ثم يسأل عن الدفين في ايهما فاذا اصاب المسؤول قمر اي ربح . شبه شق السفن الماء بشق المفايل التراب المجموع بيده

(٣) الاردمون النوتية

(٤) الخلابس الحديث الرقيق والكذب

هُوَ عِنْدِي كَشَعْرَةٍ بِاحْتِقَارِ وأَنا كُلُّ ما بِهِ جادَ باخِسْ (١)
لَوْ حَبانِي عَشْرًا وَعِشْرِينَ مِثْلا لِلَّذِي رامَ والذي حازَ قَبْلا
أَوْ حَبانِي ما قد حَوَتْ أُرْخُمِينا أَوْحَوَتْ طِيبَةُ القُصُورِ الطَّوائِسْ (٢)
تِلْكَ في مِصْرَ رَحْبَةُ الأَبْوابِ مِئَةٌ قَدْ عَلَوْنَ مِثْلَ الرَّوابي

(١) قد اختلف المفسرون في معنى كلمة (Χαρος) التي عرّبناها « بشعرة » فمنهم من فسرها بهذا المعنى ومنهم من فسرها بقاريّ نسبةً الى طائفة القاريين الذين كانوا من سكنة بيوتيا وكانوا يوصفون كزنكانة هذه الايام (وهم النوَر او الغجر) بالخسة والبذاء لا يعاهدون ولا يواثقون بل شأنهم شأن المرتزقة يأجرون انفسهم لموالاة المستأجر بالمال • وكلا المعنيين يصحّ وضعاً للتعبير عن مرام أخيل • اما المعنى الاول فعندنا مثيله قول المتنبي :

اي محلٍّ ارتقي اي عظيم اتّقي
وكلما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

واما المعنى الثاني فكثير في كلام الشعراء من كل الملل اذ يحملهم التحامل على افراد امة او عشيرة على رميها كلها بالسبة والاحتقار كقول موزون بن عُمير :

يا باغيَ اللؤم ان اللؤم محتدهُ بنو قريظ اذا شابت نواصيها
تبلى عظام بنى سكن اذا دفنت تحت التراب ولا تبلى مخازيها

وقول الآخر :

لا تمدحنَّ بني سعد فانهمُ نفوك عنهم وبعض القول مسموعُ
لو ان قتلى تميم كلهم نشروا فانبتوك لقيل الامر مصنوعُ

واما بالنظر الى الحقيقة التاريخية فقد قال لوبريڤوست انه لا يمكن ان يكون مراد هوميروس المعنى الثاني لان القاريين لم يتسفلوا الى تلك المهانة الابعد زمن هوميروس وقد ذهب بعض المفسرين الى رفض المعنيين وفسروا تلك الكلمة بالموت فيكون المعنى: هو عندي مثل الحمام بغيضٌ الخ

(٢) الطوائس الجميلة • وارخومينا بلدة قديمة كانت في بيوتيا وعلى اطلالها

مِثَّا فارسٍ على مَرْكَباتٍ وَخيُولٍ في كُلِّ بابٍ حَوارسْ(١)
أو حباني عَدَّ الهبا والرّمالِ لَنْ أُحولَنَّ عن بَعيدِ اعْتزالي
لَنْ أَحلَّنَّ وَسْطَ نادِيهِ حتَّى شَرَّ عقْبَى يَلقَى لِتلكَ المَدانسْ
بِنْتُهُ لو كَعفْرُذِيتَ سَناءً أَو أثينا الجَلالِ كانت ذَكاءً
لَنْ أَرُومَنَّها فَغيْرِيَ يلْقى مَنْ يُجاري هواهُ بينَ الأَراغسْ
فَإذا عُدْتُ سالماً لِبلادي ثَمَّ فِيلا كُفْءٌ لِكُلِّ مُرادي
فَبِهِيلاذَةٍ وفي إِفْثيا عنْدَ الصَّناديدِ لا تقلُّ العرائسْ
أَتنقَّى مِنْهنَّ مَنْ أَتمنَّى وبِزاهي جمالِها أَتهنَّا
تِلْكَ لي زَوْجةٌ حلالٌ تَليني في رياشِ الشَّيْخِ الجليلِ المُؤانسْ
لا يُوازي الحياةَ مالٌ توفَّرْ ضِمْنَ إِلْيُونَ قبلَ سَوقِ المُعسكَرْ
لا ولا كُلُّ ما بِمِيثُسَ في هيْـكلِ فِيبُسَ رَبِّ السِّهامِ الطَّوامسْ(٢)
يَتسنَّى بالسَّيْفِ كَسْبُ عُجُولٍ وغَنيمٍ مَناضدٍ وخيُولِ
إِنَّما النَّفْسُ لا تَعُودُ إذا جا زتْ خِلالَ الأَسْنانِ يومَ الدَّلامسْ(٣)

الآن بلدة قلباكي

(١) يدلك هذا الكلام على معرفة هوميروس باحوال مصر فوصفه لثبس (طيبة او طيوا) يقارب وصف هيرودوتس وغيره من المؤرخين

(٢) الطوامس البعيدة — فيثوس اسم دلفوس القديم . كان ذلك الهيكل يحوي من الرياش والذهب ما لا يحويه هيكل في العالم لتوارد النذور اليه من كل صقع وناد فكانت التماثيل فيه من الذهب الصرف بقدر الانسان والحيوان

(٣) الدلامس الداهية والمراد بها الموت . وقوله خلال الاسنان كقول

أَنبأَتني ثِتِيسُ أُمّيَ حقّاً   انّني لِلرّدى سبيلين أَلقى
خالدَ المجدِ بعدَ موتٍ قريبٍ   أوطويلَ الحياةِ والذِكرُ طامس (١)
ذاكَ فيما اذا طلبتُ الطعانا   ثُمَّ هذا إِنْ أَبتغي الأَوطانا
ومَرامي حَثُّ الاراغسِ طرّاً   أَنْ يؤوبوا الى الديارِ نَواكِسْ
فاذهبوا أخبروا الأخاءة جِدّاً   لَنْ تنالُنَّ بالطراودِ قَصْدا
زفسُ أَلقى على القلوبِ يدَ الأَمْ   نِ وبالنفسِ ظَلَّ مِن فوقُ حارسْ
أبلغوا والبلاغ شأنُ الشيبِ   يَنظرُوا في خلافِ رأيٍ مُصيبِ
فعساهمْ ينجونَ اذ أَخطأوا في   طلبي لستُ بينهمْ قطُّ دائسْ
وفِنكسٌ هنا يبيتُ وإِمّاً   رامَ عَوداً معي غَداً فنعمّا
بسَفيني سأُقلعنَّ يقيناً   عِندطرِّ الصباحِ غيرَ ملايسْ» (٢)

العرب فاضت الروح من بين الشفتين — علمت مما مر ان اخيل هو الفتى المؤثر الموت على الحياة في طلب العلى والفخار وهو انما ينقلب هنا عن رأيه لا رغبةً في الحياة بل تشفّياً من عدوه وضناً عليه بنصرته

(١) هذا مما يعظم قدر اخيل في تصور القارىء لانه لم يأت الحرب كسائر الابطال معللاً نفسه بالفوز والنجاة معاً بل اقدم وهو على يقين انه لا يخرج منها سالماً

(٢) الملايس البطيء — الى هنا انتهى كلام اخيل الفتى الغضوب ولو اجتمعت مهرة الرسامين على استخراج رسمه لما تمثل لنا بصورة املأ من هذه الصورة. رأيناهُ يشرع في الحديث شروع المترفع الناشيء منشأ ذوي الحسب والنسب أنوفاً واجداً اول امره وجداً لا يشط به عن منهج الصواب بل يتكلم بنوع من الاناءة والتروي رعايةً لاضيافه. فيذكرهم بما لقي من الاحجاف ولا يكاد يذكر اسم اتريذ حتى يلهبه

فَٱسْتَتَمَّ الحَدِيثَ والقَومُ طرًّا بِوُجُومٍ خَالُوا التَّصَلُّبَ مُرّا
ثُمَّ فِينِكْسُ والدُّمُوعُ هَوامٍ لاُشْتِدادِ الوَبالِ قالَ مُصِرّا :(١)
« إِنْ تَكُنْ عَنْ تَحَدُّمٍ واُحْتِدادِ راغباً عن لِقاءِ جَيْشِ الأَعادي
وطَلَبْتَ المَآبَ يا اُبْنِي المُفَدَّى كَيفَ أَلْقَى على بِعادِكَ صَبْرا
فَمَعِي قد بُعِثْتَ لِلْحَرْبِ لَمَّا رَامَ فِيلا تَؤُمُّ أَتْرِيذَ قِدْما (٢)
بِاُعْتِنَاءِي أُنْمِيكَ فَعَّالَ فِعْلٍ وخَطِيباً قَوَّالَ قَولٍ أَبَرَّا (٣)

الغيظ فيندفق كالسيل المنهمر ويستطرق الى التهكم على سائر الاقيال ثم الى الوعيد والقول بالقفول الى الاوطان حيث يعيش قرير العين والبال • وكأن ذلك يعيد على مخيلته صورة حرمانه من المجد الباذخ فيتضور ويتهور ويهال بالسباب على اغاممنون وينبذ بانفة واحتقار هباته وامواله • ثم كأنه يتنبه اذ ذاك الى تهوره فيجهد النفس بالتظاهر بالراحة والسكون فيرجع ويشير مرة اخرى الى ما يلقى في بلاده من السعة ورغد العيش ولا يرى وسيلة اروى لغليله واشفى لنفسه من الاعراض عن تزلف خصمه ردًّا لكيده في نحره فيتهدد بسرعة الاياب وذلك على ما يعلم اشد عتاب لخصمه

(١) لم يكن يجدر بأحد غير فينكس ان يجيب أخيل بعد ماظهر منه من التصلب

(٢) قالوا انه لما ارسل فيلا ابنه اخيل الى الحرب كان في الثانية عشرة من عمره فيكون اذ ذاك في الثانية والعشرين • وكلام هوميروس هنا يدل على ان استاذه انما كان فينكس • قال افستاثيوس ويتضح من ثم ان ما قيل من ان اخيل كان ربيب خيرون انما كان من مخترعات الاعصر التالية لزمن هوميروس

قلت وكيف يمكن ان يكون اقبل الى طروادة وعمره لايربو على الاثني عشر عاماً وله امرأة وولد

(٣) ما احسن ما قال تأبط شرًّا بهذا المعنى :

سبّاق غايات مجد في عشيرته مرجّع الصوتِ هدًّا بين ارفاقِ
حمّال الويةٍ شهّاد اندية قوال محكمةٍ جوّال آفاقِ

يا نِعاً كُنْتَ جاهلاً لِلطّعانِ حَيْثُ تَبْدُو شَجاعَةُ الشُّجْعانِ
وكذا جاهلاً مفَاوضَ شُوْرا نا وَفيها يَعْلُو أَخُو الرَّأْيِ فَخْرا
لا فلنْ أَلْبَثنَّ عنْكَ بَعيدا لَو حَباني رَبٌّ شَبَاباً جَديدا
ومَحا شَيْبَتي فَعُدْتُ كَيَوْمِ فِيهِ أَبْحَرْتُ من هلاذَةَ قَسْرا
يَومَ مِن فَرطِ غَيظِ آمِنْطُوْرِ فَرعِ أُرْمِيْنَ والدي وأَميري (١)
هارباً جِئْتُ مُذْ سَعيْتُ الى جا رِيَةٍ رامَ رَغْمَ أُمّيَ نُكرا
فأَشارَتْ أُمّي بها لِيَ حَتَّى تَمْقُتَ الشَّيْخَ إنْ رَأَتْنِيَ مقْتا
وَعلى رُكْبَتَيَّ صِفْرًا تَرامَتْ فَأَطَعْتُ الهَوى ولَبَّيْتُ أَمْرا
فَدَرى بي ابي وباللّعْنِ مالا وبَناتِ الرَّدى اُسْتغاثَ وقالا:
« رُكْبَتَيْهِ لا يَعْلُوَنَّ غُلامٌ كانَ مِنهُ » وقامَ يَنْذُرُ نَذْرا
فَاُسْتُجابَ الدُّعاءَ زَفْسُ الجَحيمِ وفَرُسِفْيُنُ هولُ كُلِّ عَظيمِ (٢)
فَحَدا بي غَيظي فَكِدْتُ أُوافيهِ بِسَيفٍ يَبُتُّ بَطْناً وظَهْرا
إِنَّما راحَ بَعضُ آلِ الخُلُودِ يُخْمِدُ الغيظَ مِنْ فُؤَادي الحَديدِ

(١) كان ارمين هذا ابن قرقافوس ملك الذولون في ثساليا وهو مؤسس مدينة أورمينيوم

(٢) لقد ذهب بعضهم الى ان المراد بزفس الجحيم الاله الجحيم على الاطلاق فيكون اذ ذاك آذيس وقيل بل معناه الالاه الاكبر لان زفس كان رب الارباب يمتد سلطانه الى كل الارجاء وان كانت اقامته في السماء وهذا ينطبق على معتقدهم بوحدة الخالق وقد اضيف هنا الى الجحيم لطباق المعنى • ولكن كون فُرُوسرفين امرأة آذيس يؤيد القول الاول

خَشْيَةَ أَنْ يُقالَ ما بينَ قومي ... ذلكُمْ كانَ قاتلَ الأبِ كِبْرا
غيرَ أنّي أنفتُ طولَ المُقامِ ... ضمنَ صرحٍ فيهِ أبي باحتدامِ
بيدَ أنَّ الخلّانَ والأهلَ راموا ... بالتماسٍ أنْ لا أُغادرَ قصرا
ذبحوا للشّوا العجولَ السّمانا ... والخنانيصَ في لظى بُرْكانا(١)
وخرافاً وخمرةَ الشّيخِ صبّوا ... بأباريقهِ وطابوا مقرّا
وأقاموا حولي ليالِيَ تسعا ... إنْ ينمْ واحدٌ فآخرُ يسعى
ولدى بابِ غُرفتي وبباب الـ ... ـدّارِ لمْ يُطفئوا مدى الليلِ جمرا
غيرَ أنّي بعاشرِ الأيّامِ ... والدّياجي قد خيّمتْ بالظّلامِ
فلأبوابِ حُجرتي عامداً قُمْـ ... ـتُ وقد أُوصدتْ فكسّرتُ كسرا
وعلى الفورِ جزتُ بابَ الدّارِ ... خافياً عن نواقدِ الأبصارِ
وطلبتُ الفرارَ في برِّ هيلا ... ذةَ أعدو لإفثيا مستمرّا
فلقيتُ المليكَ فيلا الحليا ... وعليهِ نزلتُ ضيفاً كريما
ودّني وُدَّ ربِّ مالٍ وفيرٍ ... بتناهي المشيبِ أنتجَ بِكرا
فحباني مالاً وشعباً كثيرا ... وبقومِ الذّولونِ قمتُ أميرا
لكَ وُدّي مِنْ ثَمَّ تدري تناهى ... وبجُهدي بلغتَ ما أنتَ قدرا
لم تكنْ ترتضي بغيرِ طعامي ... جالساً فوقَ رُكبتي وأمامي

(١) لظى بركان أي النار لان بركان (هيفست) هو الاه النار واللفظة العربية مأخوذة من فولكان وهو هيفست اللاتنين

أَقْطَعُ اللَّحْمَ باُعْتِناءٍ وأُعْطِيـ	ـكَ بكَفِّي هذي وأَسْقِيكَ خَمْرا
وَلَكَمْ قدقَذَفْتَ مِن فِيكَ راحا	فَبَلَلْتَ الثِّيابَ مِني مِزَاحا [1]
وَلَكَمْ قد أَجْهَدْتُ بالقَهْرِ نَفْسي	وَلَكَمْ قد لَقِيتُ بالجُهْدِ قَهْرا
عالِمًا كُنْتُ أَنْ آلَ الرَّشادِ	حَرَمُوني مِنْ لَذَّةِ الأَوْلادِ [2]
فَبِكَ ابْنًا قد رُمْتُ آخِيلُ حَتَّى	تَدْفَعَ العارَ إِنْ عَرَاني وتَدْرَا
فَاكْظِمِ الغَيظَ لا تَرَ الحِقْدَ أَبْقَى	إِنَّ نَفْسَ الأَرْبابِ تَذْعَنُ رِفْقا [3]

---

(١) اعترض بعض الشراح على هوميروس لاتيانه على هذا التعبير بزعمهم ان فيه بعض الغلظة التي يأنفها التصور . ولا اراها غلظة في الكلام عن طفل ولا سيما في عصر جاهلي بل هي ذكرى وخير ذكرى لربيب شب بين يدي استاذه وانساه عنفوان الصبا مرارة طفوليته على ذلك الاستاذ

(٢) جاءَ في القرآن « انما المال والبنون زينة الحياة الدنيا » وفي التوراة ترغيب كثير في كثرة النسل اذ وعد الله ابراهيم ان يجعل ذريته بعدد نجوم السماء ورمل البحر . وفي الحديث « لارهبانية في الاسلام » اشفاقاً من ضياع النسل مع ورود مدح الرهبان في القرآن . وكان العرب في الاسلام يعتزون بابنائهم وينذرون النذور استزادة لذراريهم كما نذر عبد المطلب لئن ولد له عشرة ولد ليذبحنَّ احدهم قرباناً . ولايزال هذا دأب الناس في كل ملة حتى يومنا هذا . ولا يستثنى الا ما أُخذ من وجه الزهد والورع كالتبتل في بعض الاديان . اما الرغبة عن الضنو من طريق الفلسفة فقلَّ من يقول فيه قول أبي العلاء

هذا جناهُ ابي عليَّ	وما جنيت على أحدْ

(٣) قال بعضهم

ولا احمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ومن هذا القبيل قول مالك بن اسماء :

نحلت لهُ نفسي النصيحة انه	عند الشدائد تذهب الاحقادُ

وَلَهُنْ ذُرْوَةُ الفَضائلِ والمجْـ　　ـدِ وَبأْسُ الذِّراعِ فالرِّفقُ أَحْرى
إنْ يَقُمْ خاشعٌ لَهُنْ يَتضرَّعْ　　فالضَّحايا والنَّذْرُ والخمرُ تَشفَعْ
إنَّ زَفْساً بَناتُهُ الصَّلَواتُ الـ　　ـلاّءِ تَعْدُو ورِفقَهُ تتحرَّى
هنَّ عُرْجٌ جُعْدُ الوُجوهِ وحُسْرُ　　يَتَعَقَّبْنَ زَلَّةً حِينَ تَعرُو
إنما زَلَّةٌ لها السَّبْقُ مُذْ كا　　نَتْ خُطاها أَشَدَّ وَقْعاً وأَجْرى (١)
تَنْهَبُ الأَرْضَ حَيْثُ تُلْقي الوَبالا　　يَتَتَبَّعْنَها فَيَشْفِينَ حالا
فالذي عِنْدَ ما يُوافِينَهُ يُبْـ　　ـدي احْتِراماً فَعَنْهُ يَدْفَعْنَ ضُرّا
إنَّما الوَيلُ لِلَّذي صَدَّ صَدّا　　فإلى زَفْسَ يَعُدْنَ يَطْلُبْنَ رِفْدا
يَتَطَلَّبْنَ زَلَّةً مِنْهُ تَهْمِي　　فَوقَ ذاكَ العاتي وَبالاً أَمَرّا
فَاتَّقِيهِنَّ يا أَخِيلُ احْتِراما　　يَتَّقِيهِنَّ كُلُّ قَرْمٍ تَسامى
ويَقِيناً لو أنَّ أَتْرِيذَ لَمْ يُسْـ　　ـدِ الهَدايا الغَرَّاءَ تُذْخَرُ ذُخْرا

وقول عبدة بن الطيب :

ودعوا الضغينة لا تكن من شأنكم　　ان الضغائن للقرابة توضعُ

(١) لم يجسم هوميروس تجسيماً أبدع من هذا التجسيم فانه جعل الصلوات بنات زفس بالنفس • قال فينكس ذلك تهويلاً على اخيل لاباته اجابة ملتمسهم فذكره انهن بنات الرب القدير ووضعهنَّ بالمقابلة مع الزلة اشارةً الى انهن يتشفعن في الخطأ ويلتمسن الصفح • وقال انهنَّ عُرج وجعد الوجوه وحسر اشارةً الى ضعفهن وحزنهن وبطئهن • وهن مع ذلك يتعقبن اختهن الزلة او الخطيئة (وقد فسرها بعضهم بالاهانة او الشقاء) ليدفعن ضرها ويتلافين شرها وهي كما ترى في البيت التالي بخلافهن قوية الجسم خفيفة البدن ولا يغنيها ذلك عنهن شيئاً لان زفس من ورائهن

أَوتَوانى عن ذِكْرِ ماسوفَ يُسْدَى ... بَعْدَ هذا او ظَلَّ يَشْتَدُّ حِقْدا
لَمْ أَرُمْ مِنْكَ نُصْرَةَ القومِ مهما اشْ ... تَدَّ فِيهِمْ وَقْعُ الرَّزِيَّةِ عُسرا (١)
إِنَّما الآنَ قد حَبا وَسَيَحْبُو ... مُرْسَلاً في بَلاغِهِ مَنْ تُحِبُّ
فَخِيارُ السَّراةِ جاؤُوكَ فَاْذْعَنْ ... وخُذِ الآنَ مِن بَلاغِي ذِكْرى : (٢)
قد أَتانا عَن سالفِ الأَبْطالِ ... عِنْدَ ما الغَيظُ كادَ صَدْرَ الرِّجالِ
أَنَّهُمْ بَيْنَ نَيلِ غُرِّ الهَدايا ... والْتِماسٍ كانُوا يَلِينُونَ صُغْرا
وَبِذِكْرايَ حادِثٌ مَرَّ قِدْما ... ها كُمُوهُ كَما جرى وأَلَمَّا
ذاكَ لَمَّا الكُورِيتُ ثارُوا على الإِيْ ... تُولِ والحَرْبُ وَقْعُها اشْتَدَّ حَرًّا
تَحتَ أَسْوارِ قالِذُونَ تلاقى ... ذلكَ الجَمْعُ واسْتَباحُوا الشِّقاقا
فَتَرامَى الكُورِيتُ يَبْغُونَ فَتْحاً ... وَتَرامَى الإِيتُولُ يَخْشَوْنَ غَدْرا
ذلكَ الخَطْبَ أَرْطَمِيسُ أَثارَتْ ... حَنَقاً مِنْ وِيناسَ والحَرْبُ ثارَتْ
إِذْ تَغاضى عَن أَنْ يُقَدِّمَ باكُو ... رَةَ زَرْعٍ لَها وأَغْفَلَ بِرًّا (٣)
والضَّحايا المِئاتِ لَمَّا أَتاها ... لِجَميعِ الأَرْبابِ أَذْكَى سِواها
غَفْلَةً أَمْ تَغافُلاً كانَ مِنْهُ ... ذلكَ الأَمْرُ إِنَّما كانَ وِزْرا

---

(١) لو رأينا في استعطاف اخيل بالهدايا مجرد الاطماع بالمال لكان في ذلك ضعة من قدره على انها لما كانت شعاراً للفخر وذل الملتمس كانت مرقاة لاعلاء شأنه وابلاغه منال الرفعه قبل منال الثروة

قال المعرّي : ان الهدايا كرامات لصاحبها ... ان كنّ لسن لاسرافٍ واطماعِ

(٢) قال لبيد :

وفي غابر الايام ما يعظ الفتى ... ولا خير في من لم تعظه تجاربه

(٣) كانت باكورة الزرع في زمن هوميروس تقدم الى ارطميس ثم صارت

فأَثارَتْ بالغيظِ خرْنوْصَ برّ   لِأَراضيهِ حيثُ عاثَ بكِبْر
بعتوٍّ يجتثُّ أَصلاً وفرْعاً   ويُبيدُ الأَشجارَ غُصناً وزهرا
فأبنُ ويناسَ ميليغرُ ٱلتقاهُ   قاتـلاً بعْدَ أَن أَعدَّ سُراهُ
مِنْ بلادِ الجوارِ رهطَ رُماةٍ   بكلابٍ لِتذعرَ الوحشَ ذُعْرا
رائعاً كانَ لمْ يكنْ باليسـير   صدُّهُ في سلاحِ نَذْرٍ يسيرِ (١)
قتلوهُ مِن بعْدِ قتلِ كثـيرِ   وٱستتبَّ الشقاقُ مِن ثَمَّ جهْرا
بنزاعٍ يبغُونَ رأْساً وجلْدا   ذاكَ ما أَرطميسُ رامتْهُ حقْدا
وبهِمْ طالما سطا ميليغرُ   نالَ قومُ الإيتُول فوزًا ونصْرا
فالأعادي ولو يزيدُونَ عدَّا   ما ٱستطاعوا أَنْ يبلُغوا السورَ حدَّا
إنّما الغيظُ وهْوَ يعبثُ بالعُـ   ـقّالِ بالكيْدِ مِنـهُ أَوْغرَ صـدْرا
فأَثارَتْهُ نفْـرَةً وٱحتـداما   أَلثيا أُمُّـهُ فعافَ الصّـداما
وبذاتِ الجمالِ إكْلِيبَطْرا   زوْجِهِ قدخَلا وعافَ المَـكرَّا
(أُمُّهـا غادةُ العُلى مرْفِيسا   مِنْ بَناتِ المَهيبِ إيفينُوْسا
وأَبُوها إيذاسُ أَعظَمُ قرْمٍ   كانَ ذاكَ الزّمانَ في الأَرْضِ طرّا
صالَ حتّى على أَفلُّوْنَ لمّا   رامَ مرْفِيسَ مُنْفِذًا فيهِ سهْما
أَبواها مِنْ ثَمَّ قد لقَّباها   أَلـكيُوْنا لِحادثٍ كانَ مرّا
حيْثُ مرْفيسُ فِيبُسٌ قد بغاها   مِثْلَما قبْلُ أَلْـكيونا سَباها

بعد ذلك الى ذيونا

(١) يسير الاولى بمعنى السهل والثانية بمعنى القليل

فَبكَتْ تلتظي بِشدَّةِ بُؤْسٍ ودَعَتْ بِنْتَها كَذلكَ ذِكْرا[1]
حانقاً مِيلِيغرُ مِن ثَم ظَلاَّ عِندَها نارَ سُخْطِهِ يَتَصلَّى[2]
ذاكَ مُذْ أَلْثيا لِقتْل أَخيها أَوْسَعَتْهُ لعناً وشتْماً وزَجْرا[3]
تَضْربُ الأَرْضَ حِدَّةً بِيَدَيها ثُمَّ تَدْعو سُخْطاً عَلى رُكْبَتَيْها
وأَذِيساً وفُرْسُفِينا تُنادي أَنْ يُذيقا أبْنَها حِماماً أَشَرّا

(١) اشار الشاعر بهذه الابيات الستة الى خرافة من خرافاتهم مؤداها ان الكيونة ابنة ايولس علق بها افلون فسباها ولما توفي بعلها القت بنفسها الى البحر فمسختها ثيتيس طائراً . ثم ان افلون سبى بعد ذلك مرفيسا والدة الثيا زوجة مليغر فثارت الحمية برأس ايذاس بعل مرفيسا فهب لقتال افلون وانتهى الامر بان خيرت بين افلون وايذاس فاختارت زوجها على عشيقها واعيدت اليه فلقبت ابنتها كليوبطرا بلقب الكيونة لتشابه الحادثتين وكان الاولى ان تلقب به نفسها

ذكر رواة العرب حادثة سبي كانت العاقبة فيها عكس ماكان من امر الكيونة . ذلك ان النعمان سبى ذراري بني تميم لامتناعهم عن دفع الاتاوة فلما دفعوها لاخيه الريان خيّر السبايا بين رجالهن وسباتهن وكانت بينهن بنت قيس بن عاصم فاختارت سابيها على زوجها . قال الميداني فنذر أبوها ليدفنن كل بنت تولد له فازداد وأد البنات بعد ان كاد يتلاشى من بين العرب قبل الاسلام

(٢) يتصلى يتسعر ويحرق

(٣) يشير هذا البيت الى ان الثيا والدة مليغر كانت من قبيلة اعداء زوجها وكانت لها يد في اشتداد الفتنة بين قبيلتين متناسبتين . ولنا في تاريخ اليونان والرومان والعرب امثلة شتى على تناسب القبائل المتعادية والمتصافية التي تصبح متعادية بعد ذلك التناسب . فان والدة طفقير اخي اياس كانت اخت فريام ملك طروادة وقراء رواية هوراس لراسين الفرنسي يعلمون ان اخت هوراس الروماني كانت خطيبة كورياس الالبي وجليلة بنت مرة واخت جساس كانت امرأة كليب الذي قتله جساس فاثار حرب البسوس الشهيرة في كتب العرب

لِإِرِينِيسَ في دُجَى الظُّلُمَاتِ بأَرِيبَا أُنْتَهى صدى الصَّلَوَاتِ[1]
ثُمَّ قَضَّ العِدى الحُصُونَ وفي الأَ وابِ عَجَّ العَجَاجُ طَعْناً ونَحْرا
فَإِلى مِيلِيغْرَ شِيبُ البِلادِ بَعَثُوا بالكُهَّانِ لِاسْتِنْجَادِ
وَعَدُوهُ خَمْسِينَ فَدَّانَ حقْلِ حَيْثُمَا شاءَها وكَرْماً أَغَرَّا
وَوَنَاسُ الشَّيْخُ الجَلِيلُ أَبُوهُ جَاثِياً عِنْدَ بابِهِ يَرْجُوهُ
والشَّقِيقاتُ أَثْنِيا نَفْسُهاوالصَّحْبُ والأَهْلُ وَهْوَ يَزْدَادُ نَفْرا
ظَلَّ حَتَّى بِبابِهِ الحَرْبُ شَبَّتْ خُرِقَ السُّورُ ثَمَّةَ النَّارُ شَبَّتْ
فَتَبَدَّتْ لَدَيْهِ زَوْجَتُهُ المَدْ ساءُ لِلرِّفْقِ مِنْهُ تَسْأَلُ عُذْرا
وتُرِيهِ كَم مِن وَبالٍ تُعَاني بَلْدَةٌ ذُلِّلَتْ بِجَرِّ الطِّعانِ
لِلْمَبَاني حَرْقاً وَلِلْقَومِ ذَبْحاً والغَوَاني والوُلْدِ ذُلّاً وأَسْرا[2]

---

(١) أرينيس ومعناها المنتقمة الاهة تتولى تعذيب الخطاة • وأريبا ومعناه الظلمات يفيد على اطلاقه الجحيم وانما هو نهر فيها • وكان أخا الليل (والليل الاهة انثى) فتزوجها فولدت له النهار ثم كان في جملة العصاة على زفس فسخه نهراً واهبطه الى الجحيم

(٢) لايزال شاعرنا كلماسنحت سانحة يبوح بميله الى بنات الجنس الضعيف واعظامه قدر الزوجية • فقد ارانا هنا رجلاً حانقاً متحدماً غيظاً تألب عليه أبوه وامه وذوو قرباه وخلانه واستعطفوه بكل وسيلة فعادوا جميعاً خاسرين ولم ياتو وبان الا لالتماس زوجته • والوسيلة التي تذرع بها الشاعر لاجابة ملتمسها من أرق ما تتصوره العقول وأبعد ما تخيله المدارك ابرزت له كل ذلك بكلام موجز مثلت له به حالة البلاد المأخوذة عنوة فلم تبق شيئاً يقال بعد قولها :

للمباني حرقاً وللقوم ذبحاً والغواني والولد ذلاً واسرا

رَقَّ وَٱرْتَدَّ يَرْفُدُ الصَّحْبَ رَفْدا   شَكَّ وَٱشْتَدَّ والعِدى صَدَّ صدّا
ولِهذا ما نالَ غُرَّ الهَدايا   ولَئِنْ لانَ سامَ أَعْداهُ كَسْرا
صاحِ قُمْ لا تَكُنْ كَذاكَ عِنادا   قَبْلَ أَنْ تَلْهَبَ السَّفِينُ ٱتّقادا
وَالهَدايا فَٱقْبَلْ وَسِرْ مَعَنا يَعْـ   ـلُوكَ طُرًّا مَقامَ رَبٍّ أَبَرّا
فَإِذا جِئْتَ عَنْ مَرامِكَ آنِسْ   لِصِدامٍ بِهِ تُزِيحُ الدَّراهِسْ[1]
لَنْ يُنِيلُوكَ ما أَنالُوكَ تَوًّا   لَوْ تُبِيدُ الأَعْداءَ بَرًّا وَبَحْرا»[2]

قالَ آخيلُ: «أَيُّها الشَّيْخُ صَبْرا   لَيسَ بي حاجَةٌ لِما تَتَحَرَّى
إِنَّ زَفْساً أَجَلَّني وَسَيَحْمِي   سُفُني بي ما دُمْتُ بالعَيْشِ آنِسْ
هاكَ فَصْلَ الخِطابِ لاتُهْمِ دَمْعا   وَتَسُمْني في حُبِّ أَتْرِيذَ صَدْعا

قال الشاعر العربي:

للسبي ما نكحوا! والقتل ما ولدوا   والنهب ما جمعوا والنار مازرعوا

(١) الدراهس الشدائد . اي لو جئت من تلقاء نفسك لما اصبت مغنماً . أراد بذلك ان يستعجله للكفاح

(٢) من كلام ابراهيم بن العباس :

اذا انت لم تملك أخاك بقلبه   وخافتك آمالٌ به ومطالبُ
غدوت به مرَّ المذاق واجلبت   عليك به في النائبات العواقبُ

قد انتُقد على هوميروس ان اطال الكلام بلسان فينكس بما تجاوز حدود الاعتدال . وهو انتقاد في محله لو لم يكن الحديث في ساعة من الليل قد سكن فيها الناس عن الحرب ولو لم يكن يصاح ان يتخذ فينكس ذلك الاسهاب وسيلة لاخماد غضب أخيل لما يعلمه من عتوه وتصلبه . ثم انه ضرب له مثلاً رجلاً ليس في التاريخ من تشبه اخلاقه اخلاق أخيل نظيره وهو ميليغر الايتولي . وهذه القصة وان اعترض على

لا تُجُنَّـهُ وأَنتَ حَبيبي إنْ تَكُنْ مِن مُحبَّتي غيرَ بائسْ
فاقلِينَّ الَّذي قلاني حتماً ومعي احكمْ أُشاطِرَنْكَ حكما (١)
هؤلاءِ البلاغَ يُنْمُونَ حالاً وهنا بِتْ على وَتيرِ الطَّنافسْ
فإذا الفجرُ لاحَ نبحثُ فيما نَرتأيهِ لِنَغتَدِي أو نُقيما » (٢)
ولِفَطرُقلَ مومئاً قالَ يأتي بِمراشٍ غَضٍّ لِتَمضِي النَّواطِسْ (٣)

ايرادها في هذا الموضع فهي في حد نفسها قطعة تاريخية استنار بها كثيرون من الكتّاب كسائر ما ورد في شعر هوميروس • ويرى انصار صاحبنا ونحن في جملتهم ان له من وراء ما تقدم شافعاً عظيماً يشفع له بهذا الخلل ان كان ثمة خلل

(١) يقول أخيل قول ربيعة بن مقروم الضبي ·

أخوك أخوك من تدنو وترجو مودته وان دُعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي وزاد سلاحه منك اقترابا
يؤآسي في كريهته ويدنو اذا ما ضالع الحدثان نابا

ومثله قول الآخر :

ولكن فتى الفتيان من راح أو غدا لضر عدوّ او لنفع صديق

(٢) قال افستاثيوس حينما نظرت الى كلام أخيل رايت فيه تلك الطباع ممثلة تمثيلاً • فانه لما أجاب أوذيس اجابه بكلام فظ متهدداً بالقفول الى الاوطان في فجر ليلته • على انه لان بعض اللين لفينكس ثم بعد كلام اياس نراه عزم على التربص ولكن لا لنجدة الاغريق بل للذود عن حوض نفسه • وهكذا فقد أخذت سورة الغيظ تخمد خموداً قليلاً ولولا ذلك لظهر بمظهر الوحوش دون الناس وقد أخذ الشاعر على نفسه أن يخفف من شدته بالتتابع على مقتضى المجرى الطبيعي • ولو رأيناه أذعن دفعة واحدة للاح لنا تناقض عظيم بين ذلك اللين وذلك الخلق العنيف ولتأثر المطالع من سرعة انتقاله من الغيظ الى اللين

(٣) النواطس الرسل

هَبَّ آياسُ قالَ : « أُوذِيسُ هَيَّا   لا أَرى هكَذا المُنَى يَتَهَيَّا
وعَلَيْنا نُنْمِي الجَوابَ وإِنْ سا   ءَ فَإِنَّ الإِغْرِيقَ ظَلُّوا بِهاجِسْ
إِنَّ آخِيلَ قَدْ تَصَلَّبَ طَبْعا   وأَداني الخُلَّانِ ما ظَلَّ يَرْعى
عَظَّمُوهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ عَظِيمِ   وَهْوَعاتٍ جافٍ ظَلُومٌ قُناعِسْ(١)
كَمْ أَخٍ يَفْتَدُونَ بِالمالِ وابْنِ   وَيَظَلُّ الجاني بِرَغْدٍ وأَمْنِ
وأَهالي المَقْتُولِ إِنْ أَحْرَزُوا الما   لَ وَفِيراً عَفَوا وعافُوا المَراجِسْ(٢)

(١) القناعس العظيم الخلق — من كلام محمد بن عبد الله الازدي :

وحسبك من جهل وسوء صنيعه   معاداة ذي القربى وان قيل قاطعُ

ومثله قول كثير :

بصاحب لك ما داليته غلظت   منه النواحي وان عاتبته جحدا

وقول الآخر :

اذا سمته وصل القرابة سامني   قطيعتها تلك السفاهة والظلمُ

وأحسن من كل ذلك قول ابراهيم بن العباس :

دعوتك من بلوى المت ضرورةً   فاوقدت من ضغن عليَّ سعيرها
واني اذا ادعوك عنـد ملمة   كداعية عند القبور نصـيرها

(٢) قال افستاثيوس انه كان من عرفهم ان القاتل يجلى عن بلاده سنة واحدة على انه قد كان يتسنى له ان يسترضي اهالي المقتول بدية يدفعها اليهم فلا ينفى من وطنه • تذرع بذلك اياس ليعنف أخيل على حقده لسبب هو دون القتل بكثير • وان آياس بكلامه هذا القليل أفاد كثيراً وكان اشد الحاحاً على اخيل من سائر المتكلمين — كانت الدية فاشية عند العرب في الجاهلية وقد تخرص كتابهم في أصلها تخرصات كثيرة فقال بعضهم ان اول من سنها عبد المطلب جد صاحب الشريعة الاسلامية لانه نحر مئة من الابل فداءً عن ابنه عبد الله وقيل بل اول من سن ذلك أبو يسار العدواني وقيل بل عامر بن الظرب • والصحيح انها كانت فاشية بينهم قبل من ذكر بازمان • وكانت

قَلْبُكَ أَكمدَّ حانقاً لِفتاةٍ وأَتينا نَحْبُوكَ سبعَ بناتِ
وعدا الغيدَ باهراتِ العطايا سكّن الرَّوْعَ أَلقِ عنكَ الهواجسْ
عَنْ جميعِ الإغْرِيقِ جئْنا إِلَيكا بُغْيَةَ أَنْ نَرَى أَحبَّ لَدَيْكا
نَحْنُ في بَيْتِكَ الَّذي أَنْتَ فيهِ فاحْتَرِمْهُ وأَرْعَ الضُّيُوفَ وآنِسْ» (١)

قالَ آخِيل : « يا أَياسُ أَراكا فُهْتَ حقّاً بما حواهُ نُهاكا
بَيْدَ أَنِّي لم أَنسَ أَتريدَ يزْرِي بي كأَنِّي فيكُمْ دَخيلٌ مُخالِسْ
كُلّما هاجَ ذِكْرُ ذلكَ فِكْري يتلظَّى قلبي ويُوغِرُ صَدْري
فاذْهبا بلّغا فلا قُمْتُ حتّى دُونَ خيْمي تعثُو العُداةُ الغطارسْ
فهُنا أَلْتَقي ابْنَ فِرْيامَ مهْما صالَ بالبطْشِ مُسْتَجيشاً وأَدْمى
بَعْدَ أَنْ يَهْلِكَ الأَراغِسُ ذَبْحاً وبكُلِّ السَّفينِ تُذْكُوا المقابِسْ» (٢)

على أوضاع شتى فتقل وتكثر على مقتضى الاحوال ونسبة القاتل الى القتيل . قال صاحب الاغاني ان الغطاريف من الازد كانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ولا يعطون الآ دية واحدة (١٢ : ٥٠) وربما أبى اهل المقتول الدية على الاطلاق كما ابى قوم كليب اخذ ديته فثارت على اثر ذلك حرب بكر وتغلب . ولما جاء الاسلام أقر الدية ولكنه وضع لها أصولاً يجري عليها وقواعد يرجع اليها في كل حال من الاحوال

(١) قال الشاعر العربي

نزيل القوم اعظمهم حقوقاً وحق الله في حق النزيل

(٢) هذا آخر خطاب ألقاه أخيل على الوفد فنراه بأوله اذعن اذعان الموافق لما رأى من صحة حجج اياس ثم عاد فهاج غيظاً لتخيله ذكر اغاممنون شأن الجريح الذي يسكن ألمه حتى يمس بموضع الجرح . وهو مع ذلك في ما نرى أقرب للين منه قبلاً اذ عزم على الاقامة في موضعه بعد اصراره على الرحيل وهي خطوة كبيرة

ثُمَّ قاموا مِنْ ثَمَّ لِلقُرُبَاتِ بكُؤُوس لِلخَمْرِ مُزْدَوجاتِ
فأراقوا وللسّفائنِ عادَتْ رُسلُهم تقتفي لِأُوذِيسَ إثْرا
والجَواري بأَمْرِ فطرُقْلَ قُمْنَ افتِكُسِ غَضَّ الفراشِ أَقمْنَ
مِنْ جلودِ النّعاجِ تَحْتَ غطاءِ وَبَهِيُّ الكَتّانِ يُسْبَلُ سِتْرا
ثُمَّ فِينِكْسُ نامَ يرْقُبُ صبحا وأَخيلُ إلى الزّوايا تَنحَّى
وذُميدا مِنْ لسبُسٍ بِنْتُ فُرْبا سَ تَليهِ في مَرْقَدٍ شيدَ خِدْرا
ثُمَّ فطرُقْلُ في الخِباءِ المُقَابِلْ وَليَتْهُ إِيفِيسُ ذاتُ الشَّمائِلْ
مِنْ أَخيلٍ أُنيلَها مُذْ غزا إِسْ كيرُساً مِن إيفسْ وأحرزَ وَفْرا
وإِذِ الوفْدُ خيّمَ أتريذَ حلاَّ نَهَضَ الجمْعُ مُكرِماً ومُجِلاَّ
وأتوهُمْ بأكؤُسٍ مِن نُضارِ مُتقصِّينَ أَمْرَهُمْ كيفَ قرّا
وأغامَمْنُونُ اسْتَهلَّ السُّؤالا : « قُلْ أُذيسُ فخرَ الاخاءةِ حالا
أأرعوى مُقْبلاً لِصَدِّ الأعادي أَمْ بِغَلِّ الأَحقادِ يكمُنُ شرّا »
قالَ : « بلْ غيظُهُ العنيفُ أشدُّ عَن حِباءٍ تَحْبُو وعَنْكَ يَصُدُّ
ويقولُ اشْدُدَنَّ فيمَنْ سِواهُ لِنَجاةِ السّفينِ والجيشِ أَزْرا
وعلى جُمْلةِ المُلوكِ يُشيرُ أَنْ يَؤُوبوا لِأَهْلِهِمْ ويَسيرُوا
ولقد قالَ سوفَ يقذفُ لِلبحْ رِ بأشراعِهِ ويقفُلُ فَجْرا[1]

للرضاء والارعواء كما لا يخفى

(١) الاشراع جمع شرعة وهي السفينة

قالَ إِلْيُونُ لا مَرامَ إِلَيْها إِنَّ زَفْساً أَلْقَى يَدَيْهِ عَلَيْها
وَقُلُوبَ الفُرْسانِ فِيها لَقَدْ شَدَّدَ هٰذا ما قالَ طَيّاً ونَشْرا
وأَ ياساً كَذاكَ فَيْجِيكَ فَاسْأَلْ ما وَعَوْهُ وثَمَّ فَيَنْكُسُ قدطَالَ
مَعَهُ راجعاً يَسِيرُ اذا ما رامَ لامُحْرَجاً غَدا فَهْوَ أَدْرى»[1]
فَأَصاخُوا وَكُلُّهُمْ بِسَكِينَهْ ذُعِرُوا لِاضْطِرامِ تلكَ الضَّغِينَهْ
وأَطالُوا الوُجُومَ والصَّمْتَ حَتَّى هَبَّ ذُومِيذُ صائحاً: «يا ابْنَ أَتْرا
حَبَّذَا لَوْ لَمْ تَبْغِ يا ذا الجَلالِ صُلْحَ آخِيلَ بالهِبَاتِ الغَوالي
هُوَ عاتٍ بِنَفْسِهِ وغَشُومٌ ولَقَدْ زِدْتَهُ عُتُوّاً وَجَبْرا[2]

---

(١) لم يبلغ أوذيس أغاممنون الاجواب أخيل الاول وهو عزمه على الرحيل ولم يقل شيئاً عن جوابه الاخير الذي عول فيه على البقاء وهي حكمة من أوذيس لان أخيل انما قال بعزمه على البقاء للذود عن حوض نفسه دون الاغريق اذ لم يرم ان يهب لقتال هكطور الا بعد ان يكون قد نكل بأغاممنون وجماعته فكان من حسن دهاء اوذيس الاّ يجعل اغاممنون يؤمل بعون يأتيه من لدى اخيل ليشتد عزمه وعزم جماعته بأنفسهم

(٢) قال ابو الاسود :

بليت بصاحب ان أدنُ شبراً يزدني في تباعده ذراعا
أبت نفسي له الا اتباعاً وتأبى نفسه الا امتناعا

ومن قول طرفة في معلقته :

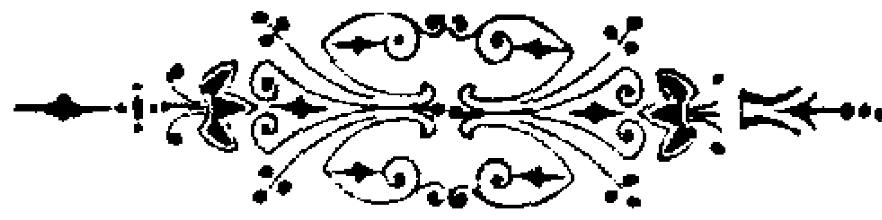
فمالي اراني وابن عمي مالكاً متى ادنُ منه ينأ عني ويبعدِ

ومن لطيف كنايات ابن الرومي وقد شبه مخاطبهُ بالسهم :

تودّدتُ حتى لم اجد متودّداً وافنيت اقلامي عتاباً مردّدا
كاني استدني بك ابن حنيةٍ اذا النزع ادناه من الصدر ابعدا

فَلْنَدَعْهُ وَشَأْنَهُ أَأَقاما أَمْ مَضى سوفَ يَقْحَمُ الصِّداما
ذاكَ لمَّا تَهيجُهُ النَّفسُ أَمْ تَدْ عُوهُ آلُ العلى فيأتي مِكرّا
فاستَريحُوا ذا الآنَ وأْتُوا الرُّقادا إِذ جميعاً طِبْنا شَراباً وزادا
فبِهذا تُؤتَونَ قُوَّةَ بأسٍ وغَدا الفجرُ فاسْطُرِ الجُنْدَ سَطْرا
والعِجالَ اصْفُفَنْ أَمامَ السَّفينِ ثُمَّ في الصَّدْرِ أَوْرِ نارَ المنُونِ» (١)
جاهَرُوا بالثنا أَراقُوا وكُلٌّ راحَ يَأتي فِراشَهُ مُستقِرّا

(١) هذا ذيوميذ الباسل والفتى المضطرم بنار الشبيبة والبأس يفصل الخطاب ولم يكن يجدر بغيره ان يجاهر بهذا الاستغناء عن اخيل وليست بأول مرة اثبت فيها قوله بفعله فأتى خطابه هذا خير ختام لهذا النشيد



النشيد العاشر

اوذيس وذيوميذ يتجسّسان العدوّ ليلاً

مُجمَلهُ

اضطربت أفكار أغا ممنون لخيبة مسعاه في استرضاء آخيل فلم يهجع طول ليله بل لبث يطوف في المعسكر و يوقظ القواد متبصرًا في السبل المؤدية الى سلامة الجيش وفوزه على الاعداء . وكان أخوه منيلاوس أرقًا نظيره فأتاه يشد أزره وينفذ أمره فاوقظا زعماء الجيش وذهب منيلاوس ونسطور وأوذيس وذيوميذ يتفقدون الحرس فألفوهم متيقظين . فخطب فيهم نسطور ثم عقد مجلس الزعماء وأقروا بطلب نسطور على تجسس معسكر الاعداء . وألقوا عبء القيام بتلك المهمة الى ذيوميذ وأوذيس فذهبا تحت جنح الظلام

وكان الطرواد قد فعلوا في معسكرهم فعل الاغريق فأنفذ هكطور ذولون يتجسس ليلاً . فقبض اليونانيان على الطروادي واستنبآه نبأ جماعته . ولما قضيا وطرهما منه قتلاه وسارا الى مضارب الثراقيين فالفياهم نيامًا فقتل ذيوميذ ملكهم ريسوس والحقا به اثني عشر جنديًا من أجناده ثم رجعا بخيله . فاستيقظ الطرواد مذعورين ولكنهم لم يفوزوا بطائل من القاتلَين . فاحتفى الاغريق بهما واستقصّوا الخبر فأخبراهم بما كان

مجرى وقائع هذا النشيد في الليلة التي جرت بها وقائع النشيد السابق ومشهدها في المعسكرين

النشيد العاشر (١)

دُونَ السَّفائنِ والدُّجى قد خيَّما — هجَمَ الهُجُوعُ على الجُيُوشِ مُنوِّما
فتمتَّعُوا بهَنيئهِ لكِنَّما — أَتُريدُ يا أَرَقُ بالهَواجسِ مُفعِما (٢)
كقَرينِ هيرا إنْ أقامَ مُهيِّئاً — بَرَداً وسَيلاً في البلادِ عرَمْرَما (٣)

(١) نظمنا هذا النشيد على بحر واحد كأنه قصيدة واحدة قسمناها الى قسمين القسم الاول لوصف مجلس الاغريق وما تقدمه ووليه • والقسم الثاني لوصف مجلس الطرواد وما كان من بعده الى آخر النشيد وجعلنا كلاً من القصيدتين على قافيتين احداهما للابيات المتضمنة قص الخبر والثانية لابيات الانشاء او الخطاب والجواب فكأن القارىء يقرأ قصيدة واحدة في اربع قصائد وهو نسق لم نره في نظم شعرائنا ولعله يقع موقع القبول عند كرام القراء

(٢) لايفتتح هوميروس نشيداً الا ويأتي فيه ببينة على سمو تصوره • فلقد رأيناه في استهلال النشيد الثاني يشير الى عظمة الالاه الاكبر والى تنبهه الى احوال الخلق فيأخذ الناس والآلهة الهجوع ليلاً وهو لاتأخذه سنة ولا نوم • ونراه هنا يمثل تيقظ الزعيم المقدام بين البشر يمثل ذلك التيقظ والتنبه • فقد هجع الجيش واستعذبوا الرقاد واما اغاممنون فهو قلِقٌ أرِقٌ تتابه الهواجس يفكر في امر جيشه ومصيره ويتشوف الى وسيلة يدرأ بها الخطب الملم • فايس مقامه هنا مقام الملك المعتز بباذخ مجده بل موقف الاب الرؤوف الساهر على ابنائه • وهي عظةٌ من جملة عظات هوميروس التي افتخر بها الاقدمون وتمثل بها المتأخرون

(٣) قرين هيرا زفس — وهو من غريب التعبير الهوميري ونادره — كثيراً ما سُمع في كلام العرب تكنية الرجل بابنته كتكنية الخليفة عثمان بابي ليلي وتميم الداري بأبي رقية او امه كقول الفرزدق في زين العابدين : هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله • وربما انتسب فارسهم الى اخته فوق من تقدم • ولكنه لم يرد عنهم التعريف بالزوجة الا ان يراد به التعظيم في احوال خاصة كأن يقولوا في الامام عليّ • زوج

أَو رامَ يَستُرُ ثَلجُهُ وَجهَ الثَّرى　　أَو تَفغَرُ الحَربُ المُهَدِّمَةُ الفَما (١)
في الجَوِّ تَقصِفُ وامِضاتُ بُرُوقِهِ　　كَفُؤادِ أَتريذٍ يَهيجُ تَضَرُّما
لِمُعَسكَرِ الطُّرْوادِ يَلفِتُ تارَةً　　فَيَرى مَقابِسَهُم بِذَيّاكَ الحِما
وَعَجيجَهُم وَصَدى تَرَسُّلِهِم عَلى الـ　　شَبّابِ وَالقَصَبِ الرَّخيمِ تَرَنُّما
فَيَعُودُ مَذعُوراً وَطَوراً يَنثَني　　نَحوَ السَّفائِنِ ثُمَّ يُحجِمُ مُرغَما
وَشُعُورَهُ بِأُصُولِها وَفُرُوعِها　　يَجتَثُّ مُبتَهِلاً لِزَفْسَ تَظَلُّما
وَيُصَعِّدُ الزَّفَراتِ مِن لُبِّ الحَشا　　مُتَبَصِّراً فيما عَسى أَن يُلهَما
فَبَدا لَهُ أَنَّ الصَّوابَ بِمُلتَقى　　نَسطُورَ عَلَّ لَدَيهِ رَأياً أَقوَما
وَلَعَلَّهُ بِحِجاهُ يُدرِكُ مَنفَذاً　　يُوقى بِهِ الإِغريقُ شَرّاً أَعظَما
فَاشتَدَّ مُنتَصِباً وَأَدرَعَ مُوثَقاً　　خُفَّيهِ في رِجلَيهِ وَثقاً مُحكَما
وَعَلَيهِ أَلقى جِلدَ قَسوَرَةٍ إِلى　　عَقِبَيهِ يَستُرُهُ وَقَلَّ اللَّهذَما (٢)
وَقَضى مَنيلا لَيلَهُ أَرِقاً عَلى　　قَلَقٍ يُفَكِّرُ ساهِداً مُتَأَلِّما
يَخشى عَلى القَومِ الأُولى خاضُوا العُبا　　بَ لِأَجلِهِ وَأَتَوا يُرِيقُونَ الدِّما

فاطمة الزهراء • وهذا بخلاف قول هوميروس زوج هيرا اذ لم يرد تعريفه بها ولا تعظيمه وانما هو على ما يظهر اصطلاح مألوف في عصره

(١) ان هوميروس على كثرة تشابيهه قليل الاستعارات ومع ذلك فاذا اتى باستعارة فانما يوردها باسلوب يطابق الواقع ويلذ للسامع واي اسلوب في وصف الحرب ابدع من استعارة الفم المفغور لالتهام اشلاء الرجال واجساد الابطال

(٢) القسورة الاسد واللهذم الرمح

فَعلَى عَرِيضِ الظَّهرِ أَلقَى مُسْرِعاً بُرْداً بَهِيًّا جِلْدَ فَهْدٍ مُعْلَمَا (١)
وَتَرِيكَةُ الفُولاذِ تَعْلُو رَأْسَهُ وبِصُلْبِ راحَتِهِ السِّنانُ مُقَوَّما
وَعَدا لِيُوقِظَ سَيِّدَ القَومِ الذي كَعَظِيمِ رَبٍّ فِيهِمِ قدعُظِّما (٢)
أَلفاهُ في رَاسِ السَّفائِنِ قائِماً مُسْتَبْشِراً لِقُدُومِهِ مُسْتَلئِما
فَبَدا مَنِيلا بالخِطابِ: «أَخي لِما ذا أَنْتَ مُدَّرِعٌ أَتَبغي سَيِّدا
مُتَجَسِّساً يَأْتي العُداةَ وَخَشْيَتِي أَنْ لاترى قِرْماً يُلَبِّي مُفْرَدا
وَلَئِنْ وَقَعْتَ عَلَيْهِ في قَلْبِ الدُّجَى فَلَذاكَ قَلْبٌ لا يُراعُ مِنَ الرَّدى»
فَأَجابَ: «أَنْتَ بِحاجَةٍ وَكَذا أَنا لِمُصِيبِ رَأْيٍ نَبْتَغِيهِ مُنْجِدا
أَفَلا تَرى زَفْساً تَغَيَّرَ مُؤْثِرًا قُرْبانَ هَكْطُرَ فَاجْتَباهُ مُؤَيِّدا
ما خِلْتُ ما بَلَغْتُ قِرْماً غَيرَهُ أَمْثالَ هذا الوَيْلِ أَنْزَلَ في العِدى
ما كانَ لِلأَرْبابِ يُنْسَبُ مَوْلِداً وَأَنالَنا الوَيْلاتِ تُذْكَرُ سَرْمَدا (٣)

---

(١) قال افستاثيوس ان منيلاوس انما تردى بفروة الفهد كما تردى اخوه اغاممنون بجلد الاسد لانهما انما ذهبا في طلب مهمة لا في قصد قتال • ولا اظنها الا هفوة منه لاننا سنرى ذيوميذ البطل المقدام يتناول على منكبيه جلد الفهد اثناء هبوبه من النوم وهو انما يتقلده كما يتقلد السلاح ويخيل له انه ذاهب للقاء العدو وابلغ من ذلك اننا رأينا فاريس في النشيد الثالث متقدماً الى براز منيلاوس وعلى كتفيه فروة فهد

(٢) سيد القوم أي أغاممنون • يسمى منيلاوس سعي أغاممنون كأن خاطري الاخوين تواردا على أمر واحد • ولكن السبب في تواردهما مختلف فهذا لانه زعيم الجند وذاك لانه سبب الحرب

(٣) لقد علمت ان كثيرين من ابطال اليونان لهم علاقة نسب بالآلهة واما

فَامْضِ أُدْعُ آياساً وإيذُمِناً كَذا　　لِكَ أنا إلى نَسْطُورَ أَذْهَبُ مَقْعَدا
فَعَساهُ في الحُرّاسِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ　　مُذْ فِيهِم قد كانَ أَرْفعَ سُؤْدُدا
وَعَلَيْهِمِ مِنْ قَبْلُ أَمَّرنا ابْنَهُ　　والشَّهْمَ «مِرْيُونَاً» فَقالَ وقَدعَدا:
« أَفبانْتِظارِكَ أَلْبَثَنَّ لَدَيهِما　　أَم أُبْلِغَنَّ وأَرْجِعَنَّ مُخَوِّدا » (١)
قال: « أَبْقَ ثَمَّةَ فالمُعَسْكَرُ سُبْلُهُ　　شَتَّى وأَخْشَى أَنْ نَضِلَّ بها الهُدَى (٢)
سِرْ صائحاً بالجَيْشِ يَصْحُ مُناشِداً　　كُلاًّ أَباهُ وَمُنْتَماهُ مُحَتِّدا
عَظِّمْهُ لا مُتَعَظِّماً وَاجْهَدْ فَزَفْ　　سُ مُنْذُ نَشْأَتِنا قَضَى أَنْ نُجْهَدا » (٣)

هكطور فكان بشراً قحاً ٠ ولعل اغاممنون أراد بقوله ما كان للارباب ينسب مولداً ان يشير اشارة خفية الى اخيل وامه كما تقدم من بنات البحر

(١) لديهما اي لدى ترسيميذ ابن نسطور ومريون ٠ والتخويد الاسراع في السير

(٢) يؤخذ من هذا البيت واشباهه كما مر بك في اول النشيد الثالث والرابع ان النظام العسكري كان بالغاً مبلغاً عظيماً في ذلك الزمان لان السفائن كانت مركزة تركيزاً حسناً صفوفاً منفصلة بعضها عن بعض يتيسر لهم الخروج منها واللياذ اليها والاقلاع بها على اهون سبيل والمعسكر امامها مرتباً على احسن نسق صفوفاً لا يختلط بعضها ببعض فلا يستحوذ عليها الاضطراب والاختباط في الهجوم والدفاع

(٣) تقدمت لنا أمثلة كثيرة تشير الى تساوي الاجناد وان اختلفت الانساب وتباينت الاصول ٠ وهنا عظة اخرى من اغاممنون لاخيه يحظر عليه بها ان يتعظم وان كان عظيماً — واما قوله « فزفس منذ نشأتنا قضى ان نجهدا » فهو اعتقاد معظم الامم منذ نشأتها ٠ فالتوراة والانجيل والقرآن واشعار الاقدمين مشحونة بما يصرح بالاعتقاد بان هذه الدنيا انما هي دار عناء وشقاء ٠ وما احسن ما قال المعري بهذا المعنى:

تعبٌ كلها الحياة فما اعـ　　جبُ الا من راغب في ازدياد
ان حزناً في ساعة الموت اضعا　　ف سرور في ساعة الميلاد

فَكَذا أَغا ممْنُونُ حَضَّ شَقِيقَهُ   وَلِخَيْمِ نَسْطُورَ الحَكِيمِ تَقَدَّما
أَلْفاهُ قُرْبَ خِيامِهِ وَسَفِينِهِ   وَسِناً عَلى غَضِّ الفِراشِ قَدِ ارْتَمى
وتَليهِ شِكَّتُهُ البَهِيَّةُ خُوذَةٌ   والجَوْبُ والرُّمحانِ ثَمَّةَ قُوِّما
وَكَذاكَ لأْمَتُهُ التي يَجْرِي بِها   لِلحَربِ في صَدْرِ الفَوارِسِ مُقْدِما
شَيْخٌ وما أَيَّامُهُ بِمُذِلَّةٍ   لِقُواهُ بَل ظَلَّ الكَمِيَّ الأَيْهَما (١)
فَصَحا يُمِيلُ الرَّأْسَ مُتَّكِئاً عَلى   يَدِهِ وَأَتْرِيذاً دَعا مُسْتَفْهِما :
«مَنْ أَنْتَ مَنْ بَيْنَ السَّفائِنِ والحِما   والنَّاسُ نامُوا في الدُّجَى قَدْ أَسْأَدا (٢)
أَفَرُمْتَ بَعْضَ الصَّحْبِ أَمْ حُرَّاسَنا   لا تَأْتِنِي بالصَّمْتِ قُلْ لَكَ ما بَدا» (٣)

---

(١) كثيراً ما يتغنى شيوخ العرب ببأسهم تغني اغاممنون ببأس نسطور •
قال المرار بن المنقذ :

عجبٌ خولة اذ تنكرني   ام رأت خولة شيخاً قد كبر
وكساهُ الدهر سبّاً ناصعاً   وتحنى الظهر منه فاطر
ان تري شيباً فاني ماجدٌ   ذو بلاءٍ حسن غير غمُر

وقال حرثان ذو الاصبع العدواني :

ان تزعما انني كبرت فلم   ألف بخيلاً نكساً ولا ورعا

(٢) أسأد اي اغذ في السير

(٣) يؤخذ من هذا البيت ان شعار الليل لم يكن معروفاً في ذلك الزمن والا لما اضطر نسطور ان يسأل هذه الاسئلة بل كان حسبه ان ينطق بذلك الشعار — اقدم ما وصل الينا من تاريخ العرب قبل الهجرة وبعدها يشير الى انه كان معروفاً في جاهليتهم • فقد كان شعار تنوخ لما نزلوا الحيرة « يا آل عبد الله » ولهذا سموا العباد (اغاني جزء ١١ : ١٦٢) وقال علي بن برهان الدين في السيرة الحلبية (جزء ٢ : ١٦٤) في الكلام على غزوة أُحد : « فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر

فَأَجابَ : « يانَسْطُورُ يافَخْرَ الأَرا　غسِ ذا أَغامَمْنُونَ فاعْرِفْهُ اغْتَدى
زَفْسُ يَهِيلُ عَلَيَّ مِنْ دُونِ الوَرى　جُهْداً مَدى عُمْرِي يَدُومُ على المَدى
وَلَقَدْ جَفا طَرْفي الهُجُوعُ وَساقَني　قَلَقي فَجِئْتُكَ قاصِداً مُسْتَنْجِدا
أَبداً يُؤَرِّقُني وَبالُ رِجالِنا　وَالحَرْبُ قائِمَةٌ وَمَرْجِعُهُمْ غَدا
فالنَّفْسُ بي جاشَت وَقَلْبي خافِقٌ　وَمَفاصِلي ارْتَعَدَتْ وَعَزْمِي بُدِّدا
أَفَلا أَتَيْتَ وَأَنْتَ مِثْلِي ساهِدٌ　نَمْضي إِلى الحُرَّاسِ كَي نَتَفَقَّدا (١)
فَلَعَلَّهُمْ في جُهْدِهِمْ وَنُعاسِهِمْ　تَرَكُوا خِفارَتَهُمْ وَباتُوا رُقَّدا
فَمُعَسْكَرُ الأَعْداءِ ذاكَ وَرُبَّما　في اللَّيلِ أَورى حَرْبَهُ مُتَمَرِّدا »
فَأَجابَ نَسْطُورٌ : « أَيا مَولى الوَرى　ما خِلْتُ زَفْسَ مَرامَ هَكْطُرَ مُسْعِدا
وَلَسَوفَ يَأْخُذُهُ العَناءُ إِذا ارْعَوى　آخِيلُ يُخْمِدُ غَيْظَهُ المُتَوَقِّدا
وَلْنَمْضِيَنَّ فَإِنَّني لَكَ تابِعٌ　فَنُقيمَ هاتِيكَ السَّراةَ الأَنْجُدا
ذا الرُّمْحِ ذُومِيذاً وَأُوذِيساً وَآ　ياسَ السَّريعَ وَمِيجِسَ المُتَجالِدا
وَلْنَطْلُبَنَّ المَلْكَ إِيذُمِناً وَآ　ياسَ الكَبيرَ فَفي السَّفائِنِ أَبْعَدا
وَكَذا مَنِيلاسَ الَّذي أَجْلَلْتَهُ　وَلَئِنْ تُغَظْ فَسَأَلْتَقِيهِ مُنَدِّدا

اذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها « ياللعزّى ياهبل » ووضعوا السيوف في المسلمين » الخ

(١) يظهر من سياق الحديث ان نسطور كان نائماً عند قدوم اغاممنون فقوله له وانت مثلي ساهدٌ انما هو من باب التلطف والرعاية ولقد يمكن ان يكون حقيقةً مستيقظاً لانه كان السابق في الخطاب

ما كانَ أَجدَرَهُ يليكَ مُحرّضاً | أبطالَنا مُتزلّفاً متودّدا
أفيهجعنَّ ويتركنَّ لكَ العنا | والرزءُ برّحَ والوبالُ تشدّدا »
فأجابَ أتريذٌ: «نعم ياشيخُ كمْ | قبلاً سألتُكَ أنْ تليهِ مفنّدا[1]
قدْ ينثني حيناً ويلبثُ محجماً | لا غفلةً وتقاعُساً وتعمّدا
لكنّهُ أبداً يُباري موقفي | حتّى يكونَ بحُسنِ مسرايَ اقتدى
وقدِ اغتدى قبلي وقدْ أرسلتُهُ | بطلابِ أقيالٍ أتيتَ معدّدا[2]
أقبلْ نُوافِهِم لدى الحُرّاسِ في الـ | أبوابِ حيثُ لهُمْ ضربتُ الموعدا»
فأجابَ نسطورٌ: «وما منْ لائمٍ | يعصيهِ إنْ يأتِ الجُنودَ مُشدّدا»
ثُمّ انثنى للدّرعِ يلبسُها ولا | حقَينِ يُوثقُ مُحكماً بعُراهما
وَرداؤهُ بُردٌ منَ الصوفِ الكثيـ | ـفِ مبطّنٌ ببهيِّ فِرفيرٍ سما
بعُراهُ شدّ يقلُّ رُمحاً ساطعاً | فُولاذُهُ ثُمّ السّفائنَ يمّما
وَمضى يصيحُ فكانَ أوّلَ منْ دعا | أُوذيسَ ذيّاكَ الهُمامَ الأحكما
فاذا بهِ والصوتُ يخرقُ لبّهُ | منْ بابِ خيمتهِ عدا مُتكلّما:

---

(١) مفنداً أي لائماً

(٢) لايذكر الشاعر منيلاوس مع اخيه الا ويلتمس وسيلة لابراز حنان اغاممنون على أخيه وشدة تعلقه به حتى لقد ذهب حبُّه الاخوي مذهب الامثال • ولا دفاع عن اخ اجمل من دفاع أغاممنون هنا فانه أشار الى تيقظ أخيه وادبه وطاعته بقوله انه اذا احجم فلا يحجم غفلةً وتقاعساً بل رعايةً لاخيه الاكبر والتماساً لاوامره وتمثلاً به قال كل ذلك اغاممنون ولم يمسس بشيءٍ نسطور بل زاده اجلالاً وتوقيراً اذ شرع في الموافقة على كلامه وتصويب رأيه ثم تماص من لومه الطف تماص

« فَعَلامَ ما بينَ السَّفائنِ والحِما   هذا التَّجوُّلُ والظَّلامُ تلبَّدا »
فَأَجابَ نَسطُورُ : « مهِ وانْظرْ لما   جيْشَ الأَرَاغس بالهلاكِ تهدَّدا
إِلحقْ بنا ندْعُ السَّراةَ ونرْتاءِي   أَنَكُرُّ أَمْ تَلوي الكَتائبُ شُرَّدا »
فلخيْمِهِ أُوذِيسُ بالعجَلِ انْثنى   وَأَتى بِجوْبهِ وَأَدْلَجَ معْهُما
لِحِما ابْنِ تِيذِيُس مَضَوا فإِذا بهِ   بسلاحهِ تحْتَ الفلا قدْ هوَّما
وَوسادُهُ زُرْبِيَّةٌ ملفُوفَـةٌ   وَفِراشُهُ مِنْ جلْدِ ثوْرٍ أَسْحَما (١)
وَرِفاقُهُ مِنْ حوْلهِ بِهجُوعِهِمْ   كُلٌّ تَوسَّدَ تُرْسَهُ مُتَجَشِّما (٢)
ورِماحُهُمْ أَعْقابُها تحْتَ الثَّرى   وَظُبا أَسِنَّتِها تأَلَّقُ في السَّما (٣)

---

(١) الزربية الطنفسة ويقول اهل العراق اليوم الزولية ولم أرَ لها استعمالاً في كتب اللغة ولعلها تصحيف الزربية او افسادها • والاسحم الاسود

(٢) لا يصف الشاعر حالة من الاحوال الا ويلبسها لبوسها • ارانا نسطور هاجعاً وهو شيخ اضعفته الايام فابرزه على فراشه اعزل من كل سلاح لا قبَل له بحمله على فراش النوم • ولما أتى بنا الى ذيوميذ وهو الفتى الصحيح الجسم القوي البنية هيأهُ لنا مضطجعاً بسلاحه متهيئاً لاول ملمة يتدب اليها • وكذلك لما وصف ارق اغاممنون صوّر لنا ارق الراعي الساهر على خرافه القلق عليها • بخلاف ارق منيلاوس فهو ارق المضطرب المتألم لكوارث الزمان والمشفق من انفلات الفرص من بين يديه

(٣) حسبنا في بيان لطف هذا المعنى ورقة هذا الاغراق البديعي ان نورد رواية لا بأس من تفكهة القارىء بها • ذلك ان السلطان محمود الغزنوي كان يتقنص يوماً بحاشية عظيمة فيها العظماء والامراء والعلماء والشعراء وكان له مضرب بديع الشكل عجيب الصنعة يقوم على عمود طويل فاستحسن ان يأمر الشعراء بوصف ذلك المضرب وعموده الشائق فقال العنصري قصيدة وثنّى العسجدي بأخرى وقال غيرهم مقاطيع واشعاراً واما الفردوسي الملقب بهوميروس الفرس فاحرز السبق ببيت

فَإِلَيْهِ نَسْطُورُ تَدَنَّى مُمْسِكاً عَقِبَيْهِ ثُمَّ دَعا يَصِيحُ تَهَكُّما :
« قُمْ يا ٱبْنَ تِيذِيسٍ أَلَيْلَكَ كُلُّهُ تَكْرَى وَمِنْ لَغَبِ العِدَى ٱرْتَفَعَ الصَّدَى
أَفَخِلْتَ جَيْشَهُمُ إِزاءَ سَفِينِنا فِي السَّهْلِ فَوْقَ هِضابِهِ قَدْ أَنْجَدا »
هَبَّ ٱبْنُ تِيذِيسٍ وقالَ : « لَكَمْ أَرى يا شَيْخُ نَفْسَكَ قَدْ جَهَدْتَ مُنَكِّدا
أَفَما بِأَبْناءِ الأَخاءَةِ فِتْيَةٌ يَسْعَوْنَ فِي ٱسْتِنْهاضِ قَوْمِكَ رُوَّدا
لكِنْ أَبَيْتَ سِوى الجِهادِ ذَرِيعَةً وَعَظِيمُ بَأْسِكَ لِلْجِهادِ تَعَوَّدا »
فَأَجابَ نَسْطُورٌ : « أَصَبْتَ فَإِنَّ لِي وُلْداً وَغِلْماناً تُلَبِّي المَقْصَدا
لكِنَّنا فِي مَوْقِفٍ حَرِجٍ عَلَى أَمْضَى مِنَ المُوسَى حَياةٌ أَوْ رَدَى (١)

واحد تكاد تخاله اخذه حرفاً بحرف من استاذه هوميروس اليونان وهو :

فرو شد بماهي وبر شد بماه بن نيزه وقبه باركاه

و معناه ان رأس العقب بلغ اسفله الى السمكة (التي عليها الثور الحامل الارض على قرنيه) وان قبة الملك بلغ اعلاها القمر • وزاد بيت الفردوسي حسناً بما فيه من الطيّ والنشر والجناس بين ماهي (السمكة) وماه (القمر) وتعريبه شعراً :

الكعب يدنو وتعلو قبة الملك من السماكين حتى مربض السمك

وقد اضطررنا الى ما ترى من التصرف حفظاً للجناس المذكور • وليس دون البيتين قوةً ومتانة بيت السموأل بوصف جبله وصفاً شبيهاً بوصف رماح هوميروس وعمود الفردوسي وهو قوله :

رسا اصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرعٌ لا ينال طويلُ

فان لم نحكم بتوارد الخواطر بين هؤلاء الفحول جميعاً فنحكم بلا ريب ان الفردوسي ان كان ناقلاً فهو ناقل عن السموأل دون هوميروس لقرب المأخذ بين قمر الفردوسي ونجم السموأل ولا غرو فكل الصيد في جوف الفرى فكلاهما في سماء ايهما هوميروس

(١) اي ان موقفنا بات حرجاً كاننا على صراط احدّ من الموسى فلم يبق الا

فاذهبْ وأنتَ فتىً وتكفيني العنا أَيقظْ أياسَ وميجساً مسترفدا»
فعليهِ ألقى جلدَ قسورةٍ إلى عقبيهِ يسترهُ وقلَّ اللهذما
فمضى أتى بهما وجمعهم جرى يمضي إلى حرّاسهم مستعلما
فبدا لهمْ زعماؤهم في يقظةٍ بسلاحهم كلٌّ حماهُ قد حمى
مثلَ النّواهسِ في الحظائرِ سهّدٌ حولَ الخرافِ وسبعُ برٍّ همهما (١)
فالوحشُ منحدرٌ منَ الشمّ العلى في غابهِ ودجى الظّلامِ تقتّما
والنّاسُ تقحمُ والكلابُ بصيحةٍ منْ حولهِ في اللّيلِ كيلا يقحما
فالنومُ يهجرهمْ كما هجرَ الأولى خفروا الجنودَ بجنحِ ليلٍ أظلما (٢)
أبداً بذاكَ السهلِ يحدقُ طرفهمْ مصغينَ خوفَ عدوّهم أنْ يدهما
فاهتزَّ نسطورٌ لرؤيتهمْ على حذرٍ وقالَ مطيّباً متبسّما :
«إيهٍ بنيَّ خفرتمُ فتيقّظوا أولا فنمسي الأعادي موردا »
واجتازَ منْ ثمَّ الخفيرَ وخلفهُ صيدُ السرى حتّى تبتَّ وتبرما
وكذلكَ الشهمُ ابنَ نسطورٍ ومرْ يونَا لذاكَ المنتدى استدعوهما

ان نميل الى الجانب الواحد فنحيا او الى الجانب الآخر فنموت . « كراكب لجةٍ إمّا وامّا »

(١) النواهس الكلاب

(٢) لمـا كان اليونان في حالة ضنك وشدة كان هذا التشبيه اصدق وصف لحالهم فالحماة من الحيوان هم الحراس والخراف الجند والوحش المنحدر من الغاب هو هكطور وجلبة الناس والكلاب اضطراب المعسكر وكل ذلك صحيح المقابلة تام التمثيل

حَلُّوا مَحَلاًّ لَمْ تُدَنِّسْهُ الدِّما حيثُ ٱلْتَوى لِلَّيلِ هَيكَلُ مُجْجِما[1]
فَهُناكَ مَجْلِسُهُمْ تَأَلَّفَ وَٱنْبَرى نَسْطُورُ يَفْتَتِحُ الحَدِيثَ المُفْحِما:
«أَ بِكُمْ فَتًى صَحْبِي بِثَبْتِ جَنانِهِ عِبْءَ التَّجَسُّسِ فِي العُداةِ تَقَلَّدا[2]
فَعَسى يُفاجِئُ مِنْهُمُ فَرْدًا نَأى أَو عَنْهُمُ يَرْوِي حَدِيثًا أُورِدا
وَيَرى أَعَزْمُهُمُ التَّثَبُّتُ لِلْوَغى قُرْبَ السَّفائِنِ شِدَّةً وَتَوَقُّدا
أَمْ عَوْدَةٌ لِدِيارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما قَدْ أَعْمَلُوا فِينا قَنًا وَمُهَنَّدا
وَعَساهُ يَسْمَعُ ثُمَّ يَرْجِعُ ذاخِرًا فِي الأَرْضِ ذِكْرًا وَالسَّماءِ مُخَلَّدا
وَكَذاكَ نَحْبُوهُ جَدًا لَمْ يَحْوِهِ أَحَدٌ وَلَمْ يَظْفَرْ بِذَيّاكَ الجَدا
مِنْ كُلِّ قَيْلٍ فِي السَّفائِنِ نَعْجَةً سَوْداءَ تُرْضِعُ خَيْرَ جَدْيٍ أَسْوَدا
وَيَكُونُ فِي كُلِّ الوَلائِمِ وَالمَآ دِبِ مِنْ ذَوِي القُرْبى الأَعَزَّ المُقْتَدى»
فَالصَّمْتُ طالَ بِهِمْ فَصاحَ ذِيُومِذٌ: «قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنْ أَتَجَرَّدا
فَأَنا أَيا نَسْطُورُ أَخْتَرِقُ العِدى فَهُمُ بِمَقْرُبَةٍ وَلَنْ أَتَرَدَّدا

---

(١) زعم بعض المفسرين ان نسطور انما اجتاز الحفير برهط الزعماء تنشيطاً للحراس ليريهم انهم لم يكونوا في موقف حرج • ولا نرى حاجة لهذا التخريج لان الشاعر فسر الكلام بنفسه اذ قال « حلوا محلاً لم تدنسه الدما » ولقد رأيت مراراً ان الورع وجههم في كل اعمالهم فاجتنبوا دنس الدماء عبادةً وتقرباً الى آلهتهم

(٢) ان في سؤال نسطور على هذا النمط لحكمةً لاتخفى اذ لو تكلف بنفسه انتقاء المتجسسين لهاج ريبةً في النفوس وحسداً لاحاجة اليه خصوصاً ان من ينتدب لهذه المهمة وان كان له بذلك رفعة ومجدٌ فهو بلا ريب مسوق الى تهلكة ربما اوردته

لكِنْ مَعي إنْ سارَ مِنْ أَصحابنا أَحَدٌ أَزيدُ تَشَدُّدًا وَتَجلُّدا
إِذْ حَيثُ سارَ اُثنانِ بَعْضُهُما بَدا لا شَكَّ أَدْرَكَ لِلْمَرامِ وَأَرْشَدا
وَالْفَرْدُ لَوْ نَظَرَ السَّدادَ فَرُبَّما أَعْتاصَ السَّدادُ على حِجاهُ وَعقْدا» (١)
فَلِحَاقَهُ الجَمُّ الغَفيرُ تَطلَّبُوا ذاكَ الأَياسُ وَذا الأَياسُ كِلاهُما
وَكَذا ابْنُ نَسْطُورَوَمِرْيُونُ الفَتى وَكَذا مَنيلا مَنْ لِأَتْراسَ انْتَمى
وَأُذِيسُ ذَيَّاكَ الهُمامُ أَخُو النُّهَى مَنْ لِاخْتِراقِ سُرَى العُداةِ تَحَدَّما (٢)

حتفه • فالقاء الخيار الى الجند يدفع عنه مظنة الايثار فيفسح المجال لطالب الفخار على خيرةٍ منه

(١) قال محمد الورّاق:

ان اللبيب اذا تفـرق امره فتق الامور مناظراً ومشاورا
واخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يعتسف الامور مخاطرا

ومثله قول الآخر :

خليليّ ليس الرأي في جنب واحدٍ اشيرا عليّ اليوم ما تريانِ

واحسن منهما :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر فالحق لايخفى على اثنينِ
المرء مرآة تريه وجهه ويرى قفاهُ بجمع مرآتينِ

(٢) يظهر من هذا السياق ومن غيره ان تجسس الاعداء في تلك الازمان لم يكن على ما نراه عليه في هذه الايام • فهو لعهدنا مهمة يقوم بعبئها نفر من عامة الجند • وكان لذلك العهد مفخرة يتسابق اليها الملوك والرؤساء وقد ورد مثل ذلك في اسفار العهد القديم اذ ذهب جدعون في سفر القضاة متجسساً في معسكر المديانيين وهو اذ ذاك زعيم جند الاسرائيليين • وفي تواريخ العرب انه لما خرج النبي من المدينة قادماً لفتح مكة خرج من مكة ثلاثة من عظمائها متجسسين وهم ابو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي

كُلٌّ يَرُومُ لَحاقَهُ لكِنَّما أَتَرِيذُهُمْ حَسَمَ الجِدالَ مُحَكَّما :
« لَكَ يا ذِيُومِيذُ الخِيارُ فَخُذْ إِذًا مَنْ رُمْتَ أَبْسَلَهُمْ وأَطْوَلَهُمْ يَدا
لكِنْ حَذارِ بأَنْ تَعافَ جَدِيرَهُمْ عَطْفاً على مَنْ كانَ أَكْرَمَ مَوْلِدا »[1]
فَبِذاكَ أَتْرِيذٌ أَشارَ تَرَفُّقاً بأَخِيهِ قالَ : « لِيَ الخِيارُ إِذًا غَدا
أَفَلا أَرى مَولى أَثِينا أُوذِساً والعَزْمَ والرَّأْيَ الرَّجِيحَ مُسَدَّدا[2]
وإِذا بِقَلْبِ النَّارِ كُنْتُ رَفِيقَهُ فَبِحَزْمِهِ نَلْقى لِمَخْرَجِنا مَدى »
فَأَجابَ أُوذِيسٌ : « مَهٍ لا تَمْدَحَنْ أَوْ تَقْدَحَنَّ مُخَفِّضاً وَمُصَعِّدا
قَدْ قُمْتَ ما بَينَ الأَغارِقِ خاطِباً وَجَمِيعُهُمْ عَرَفُوا الصَّحِيحَ المُسْنَدا
فاللَّيلُ مِنْ أَثْلاثِهِ ثُلْثَيْنِ قَدْ أَفْنى وَأَبْقى مِنْهُ ثُلْثاً أَوْحَدا
وَالفَجْرُ دانٍ والظَّلامُ مُسارِعٌ والنَّجْمُ مالَ فَقُمْ فَقَدْ قَصُرَ المَدى »[3]

---

(١) يؤخذ من كلام اغاممنون انهم كانوا ينظرون الى الحسب والنسب نظر جاهلية العرب فأراد ان لا يكون ذلك مانعاً يمنع ذيوميذ من تخير رفيق يكون اطول يداً واقوى جاشاً بصرف النظر عن اصله وفصله ولقد رمى بذلك الى منعه عن انتقاء اخيه منيلاوس اشفاقاً عليه لما علمت من شدة شغفه بأخيه

(٢) كان اوذيس يلقب بمولى اثينا الاهة الحكمة لحسن تدبره وهي مأثرة امتاز بها ولم يكن له فيها منازع ولهذا وقع خيار ذيوميذ عليه موقع صواب من وجهين الاول لانه انما صرح بايثاره على من سواه لحكمته لا لبأسه فلم يبق باعث لحسد من سواه اذ لم يكن له مثيل بالحكمة والدربة الا نسطور ونسطور شيخ هرم لا يصح انتدابه لهذه المهمة • والثاني اشعاراً بان المهام الخطيرة احوج الى اصالة الرأي منها الى البأس وهي عظةٌ من صفوة عظات الشاعر

(٣) ان التناسب جليٌّ في كل اقوال هوميروس فاذا أمعنت النظر في ما سبق

نَهَضا وَبالعَدَدِ الثَّقيلِ تَدَجَّجا والشَّهْمُ ثَرْسيمِيذُ قامَ إِلَيْهِما
أَعطى ذِيُومِيذًا حُساماً قاطِعاً حَدَّاهُ مُذْ قَدْ كانَ أَعزَلَ أَقدَما
وَمِجَنَّهُ وَتَريكَةً جِلْدِيَّةً مَلْساءَ لِلفِتيانِ كانَتْ مَعْلَما
وأُذِيسَ مِرْيُونُ أَعارَ سِلاحَهُ قَوساً وَجُعْبَتَهُ وَسَيفاً مِخْذَما (١)
وَتَريكَةً جِلْدِيَّةً بِلَفائِفٍ مِنْ داخِلٍ مِنْ فَوقِ صُوفٍ أَنْعِما
وَأُديرَ مِنْ سِنِّ الخَرانيصِ البَهِيْ صَفٌّ عَلَيْها خارِجاً قد نُظِّما
قَدْ كانَ عَفطُولِيقُ في إِيلِيُّنٍ مِنْ صَرْحِ آمِنْطُورَ أَحرَزَ مَغْنَما
ولِأَمْفِداماسَ بِإِسْقَنْدا حَبا فَبِها على مُولُوسَ ضَيْفاً أَنْعَما
وَأَنالَها مُولُوسُ مِرْيُونَ ٱبْنَهُ وَكَذاكَ مِرْيُونٌ لأُوذِسَ سَلَّما (٢)

في النشيد التاسع وهذا النشيد من خروج الوفد الى أخيل ورجوعه ونوم الجند وانعقاد المجلس واصدار القرار علمت انه لابد ان يكون الشاعر قد قاس بحكمته الزمن اللازم لانقضاء تلك الحوادث فمضى من الليل ثلثاه • ثم انه غير خاف ان اصلح وقت لتجسس معسكر عدوّ انما هو الثلث الاخير من الليل حيث تكون العيون قد هجعت بثقلة النوم • واذا اضفنا الى ذلك ان الشاعر راعى الزمن اللازم لخمود تلك المقابس المشتعلة رأينا في كل كلامه تناسقاً وتناسباً لاتشوبهما شائبة

(١) ومن دقة التصور وحسن التناسق ايضاً وصف نوع سلاح كل من العينين فذيوميذ وهو بطل مقدام قُلد سيفاً قاطع الحدين لانه المتصدر للقتال المتصدي للابطال فالسيف سلاح المقاتل صدراً بصدر لابد له منه على كل حال • واما اوذيس وهو دونه صبراً وقوة فلابد له من قوس ونبال فهي اصلح لمن لاقبل له بقوى الفتيان• واما الخوذة الجلدية فلكليهما خير في ذلك الليل من ترائك المعدن لانها استر لهم فلا تنبه ببريقها حرس العدو

(٢) نرى الشاعر كلفاً بذكر تواريخ بعض القطع من عدد جماعته ككلفه

فَكَذا بِرَوَّاعِ السِّلاحِ تَقَدَّما ... وإِذا بِطَيْرٍ سارَ عَنْ يُمْناهُما
رَخَمٌ أَثينا سَيَّرَتْهُ وَفي الدُّجى ... سَمِعا وَما رَأَيا يَصيحُ مُنَغِّما
فَاهْتَزَّ أُوذِيسٌ لَهُ مُسْتَبْشِراً ... وَوَعا وَخَيْرَ الفَأْلِ فيهِ تَوَسَّما:[1]
«يا بِنْتَ رَبِّ الجَوْبِ كَمْ أَوْلَيْتِني ... عَوْناً جَميعَ مَسالِكي قَد مَهَّدا
فَالآنَ غَوْثَكِ مُذْ عَلِمْتِ مَآرِبي ... وَلَنا أَتيحي العَوْدَ عَوْداً أَحْمَدا
فَنُجَشِّمَ الطُّرَّادَ قَبْلَ مَآبِنا ... مَضَضاً يُذيقُهُمُ النَّكالَ مُؤَبَّدا»
ثُمَّ انْبَرَى ذُومِيذُ يَدْعو بَعْدَهُ: ... «يا بِنْتَ زَفْسَ كَذا اسْمَعي مِنّي النِّدا
وَمَعي فَسيري مِثْلَما في ثِيبَةٍ ... رافَقْتِ قَبْلاً تِيذِيُوسَ الأَمْجَدا
لَمَّا كَتائِبُنا ثُغُورَ أَسُوفُسٍ ... حَلَّتْ الى أَبْناءِ قَدْمُسَ أُوفِدا[2]

بذكر انسابهم · فهو هنا يذكر تاريخ تلك التريكة كما لو كانت ذات شأن يجب تدوينه ولا بدع فجاهلية القوم كانوا يفخرون بقدم سلاحهم كما يفخرون بقدم الجدود والجياد وليس ذلك منحصراً في يونان هوميروس بل لنا أمثال عليه كثيرة عند قومنا العرب فان ذا الفقار سيف علي بن ابي طالب والابجر فرس عنترة العبسي جرت الامثال بتاريخهما ووصفهما وامثالهما كثير

(١) يتفاءل أوذيس تفاؤل ابي نواس بقوله :

فالطير تخبرنا والطير صادقة ... عن طيب عيش وعن طيب من العمر

(٢) أي ان تيذيوس أبو ذيوميذ اوفد الى ابناء قدموس الخ · وقدموس هذا في اساطيرهم ملك من ملوكهم وحقيقة الامر ان قدموس ليس سوى اسم وهمي وابناء قدموس المذكورون انما هم جالية فينيقية استوطنت سواحل اليونان وعلمتهم البحارة وشيئاً كثيراً من الصنائع · والكلمة فينيقية الاصل ومادتها في العربية كمادتها الفينيقية بمعنى القدم · وقد تكون من مادة קדם = (قِدِم) العبرانية بمعنى المشرق · فكأنهم ارادوا ان يقولوا قدماء الفينيقيين او المشارقة فقالوا ابناء قدموس ولذلك امثلة كثيرة في

فَقَضى مَآلَ رسالَةٍ سِلْمِيَّةٍ　ثُمَّ انْثَنى فَوَلِيتُهِ فتَسَوَّدا
وَقَضى العُجابَ بعَوْدِهِ فكَمَا أَبي　وَالَيْتِ لي كوني الرَّفيقَ المُرْشِدا
وَلَقَدْ نَذَرْتُ ضَحِيَّةً بتَبيعَةٍ　جَبْهاءَ ما رفَعُوا إِليها المِضْمَدا (١)
وَلَقَدْ نَذَرْتُ كَذاكَ نَذْرًا صادِقًا　مِنْ فَوق قَرْنَيْها أَذُرُّ العَسْجَدا»
دَعَوَا وَسارا بَعْدَ بَثِّ دُعَاهُمَا　وَلَدى أَثينا حَلَّ صَوتُ دُعاهُمَا
وَتَقَدَّما أَسَدَيْنِ بَينَ طَلائِعٍ　وَجَماجِمٍ وَمَلاحِمٍ تَلْقَاهُمَا
أَمَّا الطَّراوِدُ فانبرى هكْطُورُهُمْ　يَدْعُو الأَماثِلَ خَشْيَةَ أَنْ يَجْمَعُوا
حَتَّى إِذا الْتَأَمُوا بِمَجْلِسِهِ ارْتَأَى　أَمْرًا فَقَالَ لَهُمْ وَكُلٌّ يَسْمَعُ :
«مَنْ مِنْكُمْ إِنْ يُؤْتَ خَيرَ هَدِيَّةٍ　عَهْدًا يُعَاهِدُني يُلَبِّي المَطْلَبا
فَيَنالَ أَكْرَمَ سَلْهَبَيْنِ لَدى العِدى　وَأَعَزَّ مَرْكَبَةٍ يَجِلُّ بِها الحِبا (٢)

التاريخ . ويرى فورستر (Forster) في جغرافيته التاريخية لبلاد العرب انه يراد بقدموس على ما في تاريخ اسطرابون قبيلة عربية هي نفس قدمة المذكورة في التوراة . ولعلنا لا نعدم بعد هذا مؤرخاً يثبت ان اجداد اليونان البيوتيين بنو قدامة العرب من قضاعة القحطانية

(١) التبيعة البقرة في سنتها الاولى والجبهاء العريضة الجبهة والمضمد النير اي انها كما جاء في سورة البقرة « لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث »

(٢) السلهب الجواد الطويل وفي الاصل « جوادين اجيدين اي طويلي العنق وانما اخترنا السلهب على الاجيد لانه قد يراد به الاجيد ايضاً وهي صفة ممدوحة في الخيل وكثيرة الورود في شعر العرب . قال زيد الخيل :

جلبنا الخيل من اجأ وسلمى　تخبُّ نزائعاً خبب الذئابِ
جلبنا كل اجرد اعوجيٍّ　وسلهبة كخافية العقابِ

قلنا ان من مميزات لغتنا العربية توفر تعبيراتها الجاهلية والفطرية فهي بهذا المعنى اوسع

وَيفوزُ بالشَّرفِ الرَّفيع إِذا مَضى يَتجَسَّسُ الأَعداءَ في طَلَبِ النَّبا
أَهمُ على ما عوَّدُوا من يَقظَةٍ أَم هَدَّعَزمَهمُ النَّكالُ مُنكَّبا
وَالْعَيُّ أَقعَدَهمْ وَقد أَنفوا السُّهَا دَ معوِّلينَ على التَّملُّصِ مَهرَبا»
صمَتُوا فقامَ فتىً دَعوا ذُولُونَ أُو ميذٍ فبرَّزَ بالنَّفائسِ يَطمَعُ
فَبِجٌ توَفَّرَ عِندَهُ بخزائنٍ فُولاذُهُ وَنُضارُهُ المتجمِّعُ
وَوَحيدُ والدِهِ لِخَمسِ شقائقٍ أَعداهمُ جرْياً وَوَجهاً أَشنَعُ
قالَ: «أُصغِ هكطورٌ فإِنَّ بخاطِري جأْشاً يُحدِّثني بأَنْ أَتأَهَّبا
وَأَسيرَ للأُسطولِ ليليَ راصِداً حرَكاتِهمْ مُتَحَسِّساً مُترَقِّبا
فَارفعْ عَصاكَ إِذاً وَأَقسِمْ مُثقِلاً أَنِّي أُثابُ إِذا عزَمتُ مُأَوِّبا
بجيادِ آخيلٍ ومَركبَةٍ بِها فُولاذُهُ الصلْبُ المُؤَلَّقُ رُكِّبا
فَأَسيرُ مُختَرِقاً إِلى لُبِّ الحِما أَعتانُ ثُمَّ لأَبلُغَنَّ المَركَبا [(1)]
حيثُ المُلوكُ لدى أَغاممنُونَ قدْ رَأَوا الفِرارَ أَو التَّربُّصَ أَرغَبا
ما كُنتُ تَعلمُ دَيدُباناً جاهِلاً حتَّى لِظَنِّكَ بي أَكُونُ مُخَيِّباً» [(2)]

لغة ولا نحاشي لغة هوميروس اذ كثيراً ما يضطره الامر كما يضطر كتبة الافرنج الآن الى تأدية معنى بكلمات نؤديهن جميعاً بكلمة واحدة كقولنا هنا السلهب او الاجيد للجواد الطويل العنق واستعمالنا قبل ابيات قليلة التبيعة للبقرة ابنة سنة والجبهاء العريضة الجبهة واشباه ذلك اكثر من ان تحصى . اما الحكم في كون ذلك من محسنات لغتنا ففيه نظر

(١) اعتان اتجسس او اصير عيناً

(٢) الديدبان الرقيب والحارس والعين اي الربيئة معربة ديده‌بان بالفارسية

رَفَعَ العَصا بِيَدَيْهِ هَكْطُرُ مُقْسِماً: «إِسْتَشْهِدَنَّ عَلَيَّ زَفْسَ الْمُرْهِبا
لَنْ يَعْلُوَنَّ سِواكَ خَيْلَ أَخِيلَ بَلْ سَتَنالُها مِنِّي حَلالاً طَيِّبا» (١)
ما كانَ هَكْطُورٌ لِيُقْسِمَ صادِقاً لٰكِنَّهُ ذُولُونَ شَدَّدَ يُقْنِعُ
عَجِلاً مَضى يَأْتِي بِقَوْسٍ فارِجٍ وَبِفَرْوِ ذِئْبٍ أَبْيَضٍ يَتَلَفَّعُ (٢)
وَبِمِغْفَرِ السِّنْجابِ يَسْتُرُ رَاسَهُ وَسِنانُ عامِلِهِ الْمُثَقَّفِ يَلْمَعُ
لِمَواقِفِ الأُسْطُولِ سارَ وَإِنَّما هَيْهاتَ مِنْ تِلْكَ الرِّسالَةِ يَرْجِعُ
حَتَّى إِذا بَرِحَ الْحِما والخَيْلَ والْـ فُرْسانَ جَدَّ مَسِيرَهُ يَتَسَرَّعُ

---

(١) كثيراً ما رأينا عند ذكر الطرواد والاغريق تبايناً في وصف حالتهم اذا عمدوا الى عمل واحد ويظهر للمنعم النظر ان الشاعر لم يتعد خطته خطوة واحدة في كل شعره • فقد ارانا عند افتتاح النشيد الثالث انتظام الاغريق وتبريزهم على الطرواد بالفنون الحربيـة وارانا باماكن اخرى بالاشارة والتصريح ماكان من الحكم الشوروي عند اليونان والحكم الاستبدادي عند الطرواد • ولنا هنا مثال من الطف الامثلة أثبته الشاعر تلميحاً لا تصريحاً وقد تنبه اليه اكثر الشراح لشده جلائه ودقة برهانه • ذلك انه لما عزم الاغريق على اعتيان اعدائهم عقدوا مجلساً وقام فيهم شيخ حكيم يبث رأيه ويدعو الابطال للقيام بتلك المهمة واما الطرواد فيتكلم فيهم هكطور كلام المستبد المطلق • والاغريق يعدون صاحب تلك المهمة بمال يسير وشرف كثير والطرواد يعدون بعطاء جزيل ولكنه عزيز المنال بعيد المطلب • والاغريق يتصدى ابطالهم لتلك المهمة طلباً للفخار والطرواد يقوم ذولون بينهم طمعاً بالمال الغرار • فيتقدم اوذيس وذيوميذ ببأس وتروٍّ ويتقدم ذولون بتهور وغرور • كل ذلك من الطباق العجيب دلالة على دستور القومين • وزد عليه ان بطلي اليونان لم يلتمسا عهداً من نسطور على البر بعهده وذولون اخذ على هكطور العهد الوثيق والايمان المغلظة • ونسطور وعد ما في الامكان وهكطور وعد بما فوق وسعه

(٢) القوس الفارج البائنة عن الوتر وفي الاصل اليوناني قوس حدباء

فَرَآهُ أُوذِسُ قالَ : « ياذُوميذُ ذا　　عَيْنٌ مِنَ الأَعْداءِ جاءَ مُحَجَّبا
أَتُرى أَتى كي يَرْقُبَ الأُسْطُولَ أَو　　مِنْ عُدَّةِ القَتْلى يَغُلَّ ويَسْلُبا
دَعْهُ إِذًا حتَّى يَمُرَّ أَمامَنا　　فَعلَيْهِ نَقْبِضُ حَيْثُ يُخْرَجُ مَذْهَبا
لكِنْ إِذا ما اجْتازَنا عَدْوًا وَلَمْ　　نُدْرِكْهُ بالرُّمْحِ اقْتَفيهِ مُصَوِّبا
وَاُقْطَعْ سَبِيلَ قُفُولِهِ لِرِجالِهِ　　وإِلى السَّفائِنِ رُدَّهُ مُتَعَقِّبا »
فَتَوارَيا زَحْفًا على القَتْلى على　　جَدَدِ الطَّرِيقِ وذاكَ جَهْلاً يَهْرَعُ
حَتَّى تَناءَى قَيْدَ ثَلْمٍ قاطِعًا　　مِمَّا تُثْلِمُهُ البِغالُ وَتَقْطَعُ[1]
(إِنَّ البِغالَ لِشَقِّ قَلْبِ الأَرْضِ في اْ　　مِحْراثِ مِنْ بَقَرِ الزِّراعَةِ أَنْفَعُ)
فَتَقَفَّيَاهُ فَحَلَّ وَقْعُ خُطاهُما　　في سَمْعِهِ فَلَوى الخُطَى يَتَسَمَّعُ
أَمَلاً بِأَنَّ سُعاةَ هكْطُرَ وُجِّهَتْ　　بِلَحاقِهِ فَأَتَتْ تَجِدُّ وَتُسْرِعُ
لكِنْ على مَرْمى القَناعَرَفَ العِدى　　فَجَرى وَكُلٌّ مِنْهُما يَتَتَبَّعُ
كالخَيْطَلَينِ مُثَقَّفَيْنِ تَأَثَّرا　　في الغابِ أَرْنَبَةً وَخِشْفًا يَرْتَعُ[2]
ذو النَّابِ بِالنَّابِ الحَدِيدِ مُرَوِّعٌ　　وَالخِشْفُ يَثْأَجُ واثِبًا يَتَرَوَّعُ[3]
فَصَلاهُ عَنْ جَيْشِ الطَّراوِدِ نائِيًا　　حَتَّى عَلى العُسَّاسِ أَوشَكَ يُدْفَعُ
دَفَعَتْ فَلاسُ ذِيُومِذًا بِعَزِيمَةٍ　　كَي لا يَصُولَ عَلَيْهِ قَرْمٌ أَمْنَعُ
وَيَكُونَ ذاكَ القَرْمُ أَوَّلَ طاعِنٍ　　وَذِيُومِذٌ بالطَّعْنِ تالٍ يَتْبَعُ

(١) يستفاد من كلام هوميروس في عدة مواضع يصف بها الحراثة والحراثين ان هذا الفن كان منذ ثلثة آلاف سنة ارقى منه اليوم في كثير من الاقطار الشرقية

(٢) الخيطل كلب الصيد

(٣) الحديد اي الحاد ويثأج اي يصيح ويتروع يخوف

هزَّ القناةَ وقالَ :« قفْ أَولا فخذْ تُوْتيكَ أُنبئْكَ الحمامَ مقرَّبا
فرمى يُصرّحُ فوقَ كاهلهِ بها عمْداً فغاصتْ في الثرى تترعرَعُ (١)
فانهدَّ مُتقعاً وأُوقفَ هالعاً مُصطكةً أسنانُهُ يتلعلعُ (٢)
وثبا عليهِ ومنْ يديهِ أمسكا هُ فقالَ يشهقُ باكياً يتخضعُ
« عفوا وتجزلُ فديتي ذهباً وصفْ راً والحديدَ مثقفاً ومصلبا
وأبي ينيلكما الغنى إمّا درى أني على الأسطولِ حيٌّ في الخبا »
فأجابَ أُوذيسُ بحكمِ دهائهِ: « فاسكنْ ولا تخشَ الردى متهيبا (٣)
قلْ صادقاً ماجئتَ ترقبُ مفردا والناسُ ناموا والظلامُ تقطّبا
أفجئتَ تسلبُ أمْ بغى بكَ هكطرٌ عيناً لموقفنا أسيرَ ليرقبا
أمْ جئتَ مِنْ تلقاءِ نفسكَ خابطاً» فأجابَ يخفقُ جازعاً يتهلعُ :
« بلْ هكطرٌ أغرى وأورثني البلا إعدادُهُ صلةً يجلُّ بها الحبا
أفراسَ آخيلٍ ومركبةً بها فُولاذُهُ الصلبُ المؤلقُ ركّبا
لأسيرَ والليلُ أذلهمَّ مسارعاً لمواقفِ الأعداءِ في طلبِ النبا

(١) يصرح اي يخطىء وتترعرع تهتز

(٢) في كثير من شعر هوميروس مماثلات بين شعره وحكايته ومن جملتها هذا البيت فاذا سمعه سامع عن الاصل تصور هيئة المرتعش خوفاً والمتهيب رعدة ولقد حاولنا التشبه به في بضعة مواضع كما اشرنا قبلاً

(٣) هذا كلام قاله اوذيس لو قاله ذيوميذ لافسده فانه في ظاهره تأمين لذولون على حياته وسنرى انهما لم يأمناه عليها بل هدرا دمه ولا شك ان ذولون على اضطرابه اخذ المعنى على ما يريد لا على ما اراده اوذيس لان قوله لا تخش الردى مع ما فيه من التطمين لا يفيد تمام التأمين فقتلهما له بعد ذلك ليس بحنث ولا بخيانة على اعتقادهما

أَسفينكم صنتم كسابق عهدكم ... أم هدّ عزمكم الوبال منكبا
والعيّ أقعدكم تعافون السها ... د معوّلين على التماص مهربا »
فأجاب مبتسماً أذيس: «نعم فقد ... أطمعت في صلة تعزّ تطلبا
لكنما هيهات إنسيّ على ... تلك الجياد يطيق أن يتغلبا
إلاّ أخيل وذلك ابن إلاهة ... فاصدق وقل لي أين هكطر كوكبا
وسلاحه وخيوله وعيونه ... ومعسكر الطرواد أين ترتبا
أعلمت عزمهم التربص للوغى ... قرب السفائن شدة وتصلبا
أم عودة لديارهم من بعد ما ... قد أعملوا فينا الحسام الأشهبا»[1]
فأجاب ذولون: «سأصدقك النبا ... عن كل ما قد رمت تعلم معربا
هكطور عن لغب الوغى في عزلة ... من نخبة الزعماء ألف موكبا
وهناك في شوراه أهل المنتدى ... يقضون حول ضريح إيلو المجتبى
لم ينظموا حرساً على جنباتهم ... لكنّ جيشهم الهجوع تجنبا
وأقام من حول المقابس ساهداً ... متكاثفاً متيقظاً متألبا
لكنما الحلفاء ليس وراءهم ... ولد وأزواج ترام فتستبى
ألقوا على الطرواد عبء هجودهم ... ولفيفهم عذب الهجوع استعذبا»[2]

---

(١) ما أجمل الاقرار بالحق ولا سيما اذا نطق به العدو لعدوه فترى في كل انشاد هوميروس انه لم يكن عدو منهم يبخس قدر عدوه كقول اوذيس هنا قد اعملوا فينا الحسام الاشهبا وليس هذا بالقليل في كلام شعرائنا الاقدمين كقول بعضهم :

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ... ولكنهم كانوا على الموت اصبرا

(٢) التمس الشاعر حجة ونعم الحجة لهجوع حلفاء الطرواد تقريباً لصدق

فَأَجابَ أُوذِيسُ: «وَهَلْ هُمْ جُمْلَةً أَمْ كُلُّ قومٍ في حِماهُ تَكَتَّبا »
فأَجابَ: «مِنْ بَعْدِ اقتراعِ قُيُولِهِمْ في الجُرْفِ عَسْكَرُ قَارِيا قد طَنَّبا
وَكذا رُماةُ فيُونيا وفَـلاسِجٍ فَفَقُوْنَةٍ والكلُّ يَهْجَعُ مُتْعَبـا
وَكَذَلكَ اللِيلِيـجُ ثم بِثمْبَرا قد حَلَّ فِلْقُ لِيقيا فَوقَ الرُّبى
وَكُماةُ خَيـلِ مِيونِيا وفَرِيجِيا وَهُنَاكَ عَسْكَرُ مِيسِيا آلُ الظُّبى (١)
وَعلامَ ذا التَّنْقِيبُ دُونَكُما الهُدَى إِنْ تَطْلُبا ثَمَّ الوُلُوجَ وَتَرْغَبا
فَهُنا التَّراقَةُ جَيْشُهُمْ تَوًّا أَتى طَرَفَ الحِما حَلُّوا مَكاناً أَقْرَبا
وَمَلِيكُهُمْ رِيسُوسُ خِلْتُ خُيُولَهُ كَالثَّلْجِ نُصْعاً والعَواصِفِ هُبَّبا
وَعَجِيبَ مَرْكَبَةٍ تُنِيرُ بِعَسْجَدٍ حَوْلَ اللُّجَيْنِ على سِلاحٍ أَعْجَبا
ما كانَ يَجْدُرُ صُنْعُهُ وَنُضارُهُ بالإِنْسِ بَلْ وَيَزِينُ رَبًّا أَهْيَبا
فَبِيَ اقْصُدا الأُسْطُولَ إِمَّا شِئْتُما أَوْلا وِثاقِي فَاشْدُداهُ وَاذْهَبا
وَتَحَقَّـقا أَصَدَقْتُ فِيما قُلْتُهُ أَمْ رُمْتُ عَمْداً أَنْ أَرُوغَ وَأَكْذِبا »
فَعَدا ذِيُومِيذٌ يُحَمْلِقُ صارِخاً « لا تَجْعَلَنَّ لكَ التَّمَلُّصَ مَأْرَبا
بِكَ قَدْ ظَفِرْنا لا تَرُمْ لكَ نَجْوَةً وَلَئِنْ بَذَلْتَ لَنا البَلاغَ الأَصْوَبا
فَإِذا حَيِيتَ مُسَرَّحاً أَو مُفْتَدًى فَلَسَوْفَ تَرْجِعُ رَاقِباً او مُحْرِبا
لكِنْ إِذا أُورِدْتَ في العَجَلِ الرَّدى بَيْنَ الأَخاءَةِ لَنْ تَرُودَ وَتَضْرِبا »
فَأَشارَ ذولُونٌ لِعـارِضِهِ يَمَسُّ بِكَفِّهِ مُتَشَفِّعاً يَتَضَرَّعُ

روايته عن ولوج اوذيس وذيوميذ بينهم اذ لو كانوا متيقظين تيقظ الطروادلما تيسر لهم ذلك

(١) آل الظبى اي اصحاب الاسنة

لكنْ ذِيُوميذٌ على العنُقِ انْثنى ... بحُسامِهِ العضَلَين قطْعاً يقْطَعُ[1]
فالرَّأسُ أهْوَى للحضيضِ مُصدَّعاً ... مُذْ كانَ يهتفُ صارخاً يتصدَّعُ
وكلا ذِيُوميذٍ وأُوذِسَ عامدٌ ... لتريكَةِ والقوسَ منهُ ينْزَعُ
وكذاكَ جِلدَ الذِّئبِ والرُّمحَ الطوِ ... لَ وكلَّها أُوذيسُ أمسكَ يرفعُ
نذراً لِآثينا يقدِّمُ هاتفاً : ... « ياربَّةُ اقتبلي السّلاحَ مُخضَّباً[2]

(١) لعل القارىء يتوهم ان قتل ذولون مخل بشرائع ذلك الزمان لانه كان فيجاً على ما تقدم اي رسولاً وربما كانت صفته هذه هي التي جرأته على غير شهرة سابقة له في القتال على الاقدام على تلك التهلكة على انه لا يخفى انه لم يأت بصفة رسول بل بصفة رصد خفي ولسنا نرى شرعاً حتى في أيامنا هذه يرفق بالجواسيس

(٢) لم يرد في التاريخ قبل هذا الموضع وما تقدم في النشيد السابع (ص : ٤٨٨) ذكر سلاح أُهدي او نذر لالاه من الآلهة ولكن له ذكراً كثيراً في ازمنة مختلفة وامم شتى بعد عهد هوميروس ومن ذلك ما ورد في اخبار جاهلية العرب عن اهداء الحارث ابن ابي شمّر سيفين يقال لاحدها مخذم وللآخر رسوب الى القلس صنم بني طيّء وظلاً معلقين عليه حتى ارسل نبي الاسلام علي بن ابي طالب في سرية الى طيّء في السنة العاشرة من الهجرة وامره ان يهدم



أثينا الاهة الحكمة

مِنْ كُلِّ آلِ الخُلْدِ أَبْناءِ العُلَى　　فَلأَنْتِ أَوَّلُ مَنْ نَرُومُ تَقَرُّبا
وبنا الى حيثُ التَّراقةُ عسكروا　　بِخُيُولِهِمْ سيري فَلَنْ تَتحسَّبا »
وَبِجِذْعِ طَرْفاءٍ أَناطَ مُكَثِّفاً　　قَصَباً وَأَوْراقاً عَلَيْها تُجْمَعُ
سِمَةً بَغى في جُنْحِ ذَيَّاكَ الدُّجى　　لَهُما فلا تَخْفى بِهِ وتُضَيَّعُ
وَتَقَدَّما بينَ القَواضِبِ والدِّما　　فإِذا التَّراقةُ بِالهُجُوعِ تَمَتَّعُوا (١)
وَإِزاءَهُمْ فَوقَ الحَضيضِ سِلاحُهُمْ　　سَطْرًا ثَلاثَةَ أَسْطُرٍ قد جَمَّعُوا
وإِزاءَ كُلِّ فَتًى جَوادَاهُ وَفي　　قَلْبِ الكُماةِ مَليكُهُمْ مُتَمَنِّعُ
وَوَراءَ مَرْكَبَةٍ تَليهِ أُوثِقَتْ　　أَفْراسُهُ الأَنْجابُ لا تَتَفَزَّعُ
فَهُناكَ أُوذِسُ كانَ أَوَّلَ باصِرٍ　　فإِلى ذِيُومِيذٍ أَشارَ يُشَجِّعُ :
« هاكَ الكَمِيَّ وهاكَها أَفْراسَهُ　　ذُولُونُ لَمْ يَكُ مائنًا مُتَكَذِّبا
فالبَأْسُ بَأْسُكَ صُلْ فَأَنْتَ مُدَجَّجٌ　　أَوَ شَأْنُنا ذا اليَومَ أَنْ نَتَنَكَّبا
حُلَّ الجِيادَ وإِنْ تَشَأْ فَأَحُلُّها　　وَاضْرِبْ بِأَعْناقِ الرِّجالِ مُقَضِّبا»
وَيَدَا ابْنِ تِيذِيسٍ أَثينا شَدَّدَتْ　　فانْقَضَّ أَسْبابَ الرِّقابِ يُقَطِّعُ
سَيفٌ فَرَى وَدَمٌ جَرَى صَبَغَ الثَّرى　　وَتَصَدُّعٌ وَتَوَجُّعٌ وَتَفَجُّعُ
كَاللَّيثِ فَاجَأَ ثُلَّةً لَمْ يَرْعَها　　راعٍ فَمَزَّقَها وما هُوَ مُقْلِعُ (٢)

الصنم فسار اليهم واغار عليهم فغنم وسبى وكسر الصنم واخذ السيفين وحملهما الى النبي

(١) قال بشر :

وأما تميم تميم بن مُرٍّ　　فالفاهمُ القوم رُوبى نياما

(٢) قال أبو مسلم الخراساني مفتخراً باستئصال شأفة الامويين:

ما زالَ يَبطُشُ فاتكاً حتَّى فرى ... بحُسامِهِ اثْنَي عَشَرَ قرْماً يَصْدعُ
وأُذيسُ ثمَّةَ كُلَّما قُتِلَ امْرُؤٌ ... عَقِبَيهِ يقبِضُ والطَّريقَ يُوسِّعُ
حرَصاً على الخيلِ التي ما عُوِّدَتْ ... عَدْواً على القتلى فلا تَتضعضَعُ
حتَّى إلى ريسُوسَ ثالِثِ عشرِهِمْ ... بَلَغا فجَنْدَلَهُ ذيومذُ يَصْرَعُ
أرْداهُ وهْوَ مُصَعِّدٌ زَفراتِهِ ... قَلِقٌ لِطَيفٍ زارَهُ يَتجزَّعُ
طَيفاً بشكلِ ذيُومذٍ فالاسُ قد ... بَعثَتْ على رَأْسِ المَليكِ يُوَقِّعُ (١)
وأُذيسُ حلَّ الخيلَ يَقرِنُها بِعَضْ ... دِها وَجَدَّ بها يَسيرُ وَيَقْلعُ
وَبِقَوسِهِ يَسْتاقُها مُذْ فاتَهُ ... سَوطٌ بمَرْكبَةٍ أُنيطَ مُرَصَّعُ
حتَّى نأى فَدَعا ذيُومذَ صافِراً ... لكِنْ ذيُومذُ ظَلَّ لا يَتزعزَعُ (٢)

ما زلت اسعى بجهدي في دمارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى طرقتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحدُ
ومن رعى غنماً في ارض مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الاسدُ

(١) لقد يستغرب المطالع كيف تسنى لذيوميذ ان يفتك كل هذا الفتك ولم يشعر به احد ولكن الشاعر سبق فقال انهم كانوا متفرقين كلٌّ الى جانب جواديه ومركبته فسهل عليه ان يبطش بكل فرد على حدته قبل ان يستيقظ الآخر • ولنا هنا برؤيا ريسوس ملكهم تصرف جميل يستفاد منه بأسلوب شعري ان رؤياه لطيف ذيوميذ واقفاً على رأسه انما كان يقظة لا حلماً فعاجله ذيوميذ بالقتل قبل ان يتمكن من استنفار قومه والدفاع عن نفسه والايقاع بذيوميذ وما صدق على ريسوس لا يبعد ان يصدق على سائر القتلى

(٢) ليس في ما نعلم ذكر للصفير ليلاً بين المتجسسين واللصوص والشرطة قبل هذا الموضع

مُتَرَدِّدًا أَيجـذبها يجترُّ مَرْ — كَبَةً سلاحُ رِسوسَ فيها يَسطَعُ
أَمْ بينَ كِلتا راحتَيهِ يَقلُّها — أَمْ غُصَّةَ الموتِ الثَّراقَ يُجَرِّعُ
وإذا بِها لاسِ إِليْهِ دَنَتْ تَقُو — لُ: «ذِيُومذُ قدحانَ أَنْ تتأَوَّبا
فَلَرُبَّ رَبٍّ يُوقظُ الطُّرْوادَ في — عَجَلٍ فَتُحرَجَ لِلهَزيمةِ مُرْعَبا»
فوعَى ذِيُومذُ صوتَها ثُمَّ اعْتَلَى — عَجَلاً وأُوذِسُ بالحَنِيَّةِ يَقرَعُ[1]
فإلى الحِمى طارا وَرَبُّ النُّورِ فِيـ — بُسُ راقِبٌ حَرَكاتِها مُتَطَلِّعُ
لَم تَخْفَهُ فالاسُ ذُومِيذًا تَلِي — فَانقَضَّ مُحْتَدِماً وَراحَ يُفَزِّعُ
وإِفُوقُنا مِن آلِ رِيسُوس وَمُرْ — شِدَ قَومِهِ في الحالِ نَبَّهَ يُجْزِعُ[2]
فرأَى يَهُبُّ تَذعُّرًا ما قد جرى — فدعا رِسُوسَ رَفيقَهُ يَتَوَجَّعُ
أَلنَّاسُ تَخْبِطُ بالدِّماءِ أَمامَهُ — والخَيلُ مَربِطُها لَدَيْهِ بَلقَعُ
فَتهافَتَ الطُّرْوادُ بينَ ضَجيجِهِم — مُتَذَعِّرينَ لِما رَأَوْهُ وأُسمِعُوا
وَاستَعْظَمُوا قِحَةً بِها هَجَمَ العِدى — فَسَطَوا وَلِلأُسطُولِ لَيلاً أَزمَعُوا
وَذِيُومذٌ وَأُذِيسُ لَمَّا بَلَغا الـ — أَسلابَ حيثُ اُستُبْقِيَتْ تُستَودَعُ
وَثَبَ ابْنُ تِيذِيسٍ تَناوَلَها وفي — عَجَلٍ الى أُوذِيسَ أَقبَلَ يَدفَعُ

---

(١) الحنية اي القوس

(٢) يرى الناظر الى كلام هوميروس نظراً رمزياً ان مراده بهذه الابيات ان اثينا نبهت ذيوميذ الى الكف اي انه كان من الحكمة وقد دنا الفجر ان يرتد الى قومه قبل ان يشعر به الاعداء • وان افلون ايقظ التراقة اي إنه تجلى الصباح وافلون الاه النور كما لا يخفى

ثُمَّ أعتلَى وَالخيلَ ساط فَطُيِّرتْ ... لِلقَومِ يَحْمِلُها الطريقُ المَهيَعُ (١)

وَبِهِمْ بدا نَسطُورُ أوّلَ سامعٍ ... قال «اسمَعُوا يا صَحْبِ حدْسِي ما نَبا (٢)

قَد دَبَّ في أُذْني وَقَلْبي مُنْبِئي ... خَبَبُ بكَبكَبَةِ الجِيادِ مُذَبذِبا (٣)

فَعَسى ذِيُوميذٌ وأُوذِسُ أَقْبَلا ... وَمِنَ العِدى خَيرَ الجيادِ اسْتَصْحَبا

أَخْشى التَّأَلُّبَ في العُداةِ عَلَيهِما ... فَعَساهُما بِبَلِيَّةٍ لَم يَنْكَبا »

ما كادَ نَسطُورٌ يُتِمُّ كَلامَهُ ... حَتَّى مِنَ البَطَلَينِ هَلَّ المَطْلَعُ

فَتَرَجَّلا وَالكُلُّ جاءَ مُسَلِّماً ... بِيَمِينِهِ وَصَدى المَديحِ يُرَجَّعُ (٤)

(١) المهيع الواسع

(٢) نبا اي اخطأ — لربما يستغرب المطالع ان يكون نسطور اول سامع لخبب الخيل على هرمه الذي يقضي بضعف حاسة السمع ولكنه لم يفتنا ان نسطوركان اعظم القوم تشوقاً الى استطلاع نتيجة تلك البعثة لانه المشير بها الملقي بذيوميذ واوذيس الى تلك التهلكة المتنبه كل التنبه والمحصي الدقائق والثواني ومع ذلك فليس في كل سياق الحديث ما يشير الى ضعف حاسة من حواسه

(٣) لو قرأ المطالع هذا البيت في الاصل اليوناني لرأى من مماثلة لفظه لمعناه ما يكاد يسمعه صوت وقع الجياد ولعل في الترجمة العربية رائحة من تلك المماثلة التي حاول اثباتها كثير من الشعراء ولم يفلح منهم فلاح هوميروس الا فرجيليوس بقوله :

Quadrupedante putrem quatit ungula campum

(انياذة ن ٨ : ب ٥٩٦)

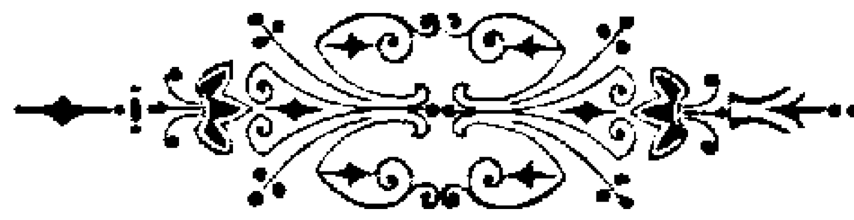
(٤) التسليم باليمنى ايضاً من جملة ما سبق هوميروس سائر الكتبة بالنص عليه وكان نبي الاسلام يسلم بيمينه ويبايعه الناس بيمينه • والمصافحة للسلام وغيره قديمة جدًّا عند العرب يدل عليها لفظها فقد كانوا يتصافحون عند عقد البيع ولا يزالون يفعلون ذلك في بلاد العجم والعراق وبعض بلاد الشرق • ومن ذلك اخذت لفظة المبايعة للاعتراف بحكم الخلفاء • وكانوا يتصافحون ايضاً لعقد المواثيق وابرام العهود من ذلك ان ولي البنت كان يمدّ يده الى خاطبها اذا اراد ان يزوجها منه

فَبَدا بِهِمْ نَسْطُورُ أَوَّلَ سائلٍ　　والكلُّ مُصْغٍ لِلنَّبا مُتَوَقِّعُ :
«يا فَخْرَ آخايَ المُبجَّلَ أُوذِسًا　　هذي الجِيادُ فقُلْ أَكانَتْ مَكْسَبا
أَمْ رَبُّ خُلْدٍ ساقَها صِلَةً أَرى　　كالشَّمْسِ تَلْهَبُ بالشُّعاعِ تَلَهُّبا
فلقدْ هَرِمْتُ وَخُضْتُ كُلَّ كَريهَةٍ　　وَأَبيتُ عُمْرِيَ عُزْلَةً وتَحَجُّبا
لكنَّني لَمْ أُلْفِ عُمْرِي مِثْلَها　　فَلَرُبَّ رَبٍّ مُجْتَبٍ لَكُما حَبا
فَكِلاكُما لِلرَّبِّ زَفْسَ وَبِنْتِهِ　　فالاسَ كانَ مُقَرَّبًا وَمُحَبَّبا »
فَأَجابَهُ أُوذِيسُ : « يانَسْطُورُ يا　　شَرَفَ الأَخاءَةِ والحكيمَ الأَنْجَبا
فالرَّبُّ والأَرْبابُ آلُ كَرامَةٍ　　لَو شاءَ أَتْحَفَنا جِيادًا أَطْيَبا
لكنَّ هذي الخَيْلَ إِثْراقِيَّةٌ　　جاءَتْ حَديثًا فَانْظُرَنْ وَتَعَجَّبا
فَذِيُومِذُ المِقْدامُ أَرْدى قَيْلَهُمْ　　وإِزاءَهُ اثْنَي عَشْرَ قَرْمًا خَضَّبا
وَكَذا بِثالِثِ عَشْرِهِمْ فُزْنا وَكا　　نَ إِلى السَّفائِنِ قادِمًا مُتَقَرِّبا
عَيْنٌ أَسيرَ لِهَكْطُرٍ وَرِفاقِهِ　　مُسْتَطْلِعًا أَخْبارَنا مُتَطَلِّبا »
وَاجْتازَ بالخَيْلِ الخَفيرَ بِغِبْطَةٍ　　وَكَذا الجَميعُ على المَسَرَّةِ أَجْمَعُوا
صَحِبُوهُ حَتَّى خَيْمَةٍ لِذِيُومِذٍ　　وَالخَيْلَ فيها في المَرابِطِ أَوْدَعُوا
وَهُناكَ في الحَبِّ الشَّهِيِّ جِيادُهُ　　بِمَذاوِدٍ نُصِبَتْ لَدَيْها رُتَّعُ
وَمَضَى أُذِيسُ بِمُنْتَهى أَشْراعِهِ　　أَسْلابَ ذُولُونَ الخَضِيبَةَ يَشْرَعُ (١)
نَذْرًا يُعَدُّ بِها. وَكُلٌّ مِنْهُما　　في البَحْرِ خاضَ مُسارِعًا يَسْتَنْقِعُ

(٣) يشرع يرفع

ساقَيْهِ والفَخْذَيْنِ يغْسِلُ دالكاً	عنُقاً بها عرَقٌ يسيلُ ويهْمَعُ
حتَّى إذا ما اليمُّ رطَّبَ جسْمَهُ	لِلْمسبَحِ المَصقُولِ بادرَ يَنْزَعُ
مُسْتأْنفاً غُسْلاً بهِ متُطيِّباً	زَيتاً بهِ الجسمُ المُرطَّبُ يُمْرَعُ (١)
ثُمَّ اغْتَدى لِطَعامهِ وهُناكَ ضا	في الدَّنِّ بالخمْرِ الشهيَّةِ مُتْرَعُ
منها يُرِيقُ بأكْؤُسٍ مملُوءَةٍ	نَذْراً لِلآلهةِ بها يَتشفَّعُ

(١) يمرع يدهن



النشيد الحادي عشر

المعركة الثالثة

مُجمَلُه

لما بدت كوكبة الصباح سير زفس « الفتنة » فهاج الجيشان للقتال فشكّ اغاممنون بسلاحه واندفع بجيشه تحت رعاية اثينا وهيرا . أما الطرواد فأخذ زفس بيدهم وتربص هكطور لصدّ هجمات الاعداء فالتحمت الحرب وابرز اغاممنون من البسالة ما دُهش له الطرواد فالتووا امامه وهو يتعقبهم ويفتك فيهم . فذهبت ايريس ببلاغ زفس الى هكطور تأمره باعتزال الحرب حتى يصاب اغاممنون بجرح أليم . وما عتم ان جرح اغاممنون فاندفع هكطور وشدد عزائم جيشه فكادوا يظهرون على الاغريق . وانبرى ذيوميذ لهكطور فصدهُ واذا بفاريس قد اطار على ذيوميذ سهماً اقعده . فبادر اوذيس لاغاثته وظلّ يناضل حتى جرحه صوقوس وكاد يهلك لو لم يسرع اليه أياس ومنيلاوس . وانقض أياس على قلب الجيش الطروادي فهزمه فأسرع هكطور اليه من طرف الميسرة فانهالت السهام على أياس كالمطر وجرح وقتل من زعماء الاغريق الجمّ الخفير . وكان اخيل يرقب عن بعدٍ فأرسل فطرقل يتبين ما كان من امرهم فقص عليه نسطور ما نال القوم من الجهد والعناء فعاد فطرقل الى اخيل يتوسل اليه ان ينهض بنفسه او يلبسه سلاحه ليخدع به الاعداء ويرعبهم

مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين لافتتاح الالياذة وتستمر وقائع هذا اليوم الى النشيد الثامن عشر . ومشهد الحوادث في ساحة القتال

النشيد الحادي عشر (١)

لمَّا بدَتْ غزَالةُ الصبَّاحِ	تنهَضُ من مَرْقَدِها الفيَّاحِ
وغادرَتْ طيثُونَ ذا الوجهِ الوضيْ	حتَّى على الجنةِ والنَّاسِ تُضي (٢)
سَيَّرَ زفْسُ فِتْنَةَ الوبالِ	بِيَدِها معَالِمُ القِتالِ (٣)

(١) اراحنا الشاعر اثناء نشيدين متواليين من معامع القتال وجندلة الابطال. فأتى في النشيد التاسع على ما مرّ بك من بعثة الوفد الى اخيل وفي العاشر على بث الارصاد وما كان من امرهم . ففكه القارىء تفكهة شوقته الى استئناف قصص وقائع الحرب فاستأنف ابدع استئناف واعدَّ السامع لمواقع شداد بمقدمة في هذا النشيد وطأ بها توطئة عجيبة لاشتداد الازمة على الفريقين وارتفاع الصيحة بما لم يسبق له مثيل اذ جعل الفتنة هي الرافعة معالم القتال وهيرا وآثينا هما المرعدتان المبرقتان لاشتداد الوبال . واطال بوصف اغاممنون انباءً بما سيكون له من الهيبة والجلال وما سيبديه من شديد البأس وعزة النفس عند اشتباك الرجال . فكان كلامه من اوله الى آخره كسلسلة آخذ بعضها برقاب بعض لا تفوتك حلقة منها الا وترسخ في ذهنك وتتلوها حلقة اخرى تحل محلها وتزيد في رونقها . فقد غادرنا القومين في آخر النشيد الثامن متيقظين ليلهم مترصدين حلول الفجر لاعادة الكرة فكان لابد اذاً عند بزوغ الفجر بعد حصول ما حصل من ان يندفعوا جميعاً كالسيل المنهمر ولم يفت هوميروس ذلك فدفعهم على ما ترى

(٢) الجنة الجن . عبرنا بقولنا غزالة الصباح عن الفجر وهو في معتقدهم من اناث آلهتهم وطيثون زوجها كان في الاصل انسياً من بني لومذون ابي فريام فعشقته الاهة الفجر لجماله واستأذنت زفس فاتخذته بعلاً

(٣) ان ايفاد زفس ربة الفتنة هو من قبيل احتدام الجيشين وتحرقهما للحرب — ذكر الشاعر في هذا البيت معالم القتال ولم يذكر ما هي على انه يستفاد

فأُنْتُصِبَتْ مُنْتَصَفَ الأُسْطُولِ في　　مَرْكَبِ أُوذِيسَ الكَبِيرِ المُشْرِفِ
لِتَبْلُغَ الفَزْعَةُ كُلَّ العَسْكَرِ　　حتى أَخِيلَ وأَياسَ الأَكْبَرِ

مما جاءَ في النشيد الثامن انه كان لهم نوع من الراية الحمراء يرفعونها استنفاراً للحرب والاحمرار اشارة الى سفك الدم والبيت الذي اشرنا اليه هو قوله يصف اغاممنون :

فخاض صفوف الخيم والفلك رافعاً　　بساعده برداً من الخز احمــرا

والظاهر من كلام هوميروس ان اللواء اذا عقد لكبير قوم فمن مظاهر عظمة ذلك الكبير ان يرفعه بيده كما فعل اغاممنون فيما تقدم وكما فعلت الفتنة هنا وهي ربة على ماعلمت • وهذا شأن جميع الامم في تلك الاعصر وما وليها من ايام الجاهلية اذ لم يكن يعهد بالراية الا لرئيس همام وفارس مقدام • قال صاحب السيرة الحلبية وغيره من مؤرخي العرب « ان راية بني هاشم (يوم بدر) اي التي كان يقال لهــا في الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها في الحرب الا رئيس القوم كانت لابي سفيان او لرئيس مثله ولغيبة ابي سفيان في العير حملها السائب لشرفه » وقال في موضع آخر « ودفع صلعم اللواء وكان ابيض الى مصعب بن عمير • وكان امامه صلعم رايتان سوداوان احداهما مع علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة » وفي غزوة احُد « عقد صلعم ثلاثة الوية لواء للاوس وكان بيد اسيد بن خضير ولواء للمهاجرين وكان بيد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولواء للخزرج وكان بيد الحباب بن المنذر » وكان للعرب اعلام كثيرة في زمن السلم ينصبونها على ابواب بيوتهم لتعرف بها وكانوا يفتخرون بالرايات الصفر ثم الحمر اما الاولى فلانها كانت لملوك اليمن واما الثانية فلانها كانت لاهل الحجاز • وفي اوائل الاسلام اتخذوا الراية السوداء والراية البيضاء لان راية صاحب الشريعة كانت سوداء وكان له ايضاً راية بيضاء كما تقدم • فلما تولى الامويون رجعوا الى راية الحجاز الحمراء • واما العباسيون فانهم اتخذوا الراية السوداء اقتداءً بصاحب الشريعة وحزناً على شهدائهم ولهذا سُمّوا بالمسوّدة لان السواد كان شعارهم حتى في ملابسهم فلما عدل المأمون عن لبس السواد اتخذ الراية الخضراء • واما دعاة الدولة العلوية والطالبيون من بني هاشم فكانت رايتهم بيضاء ولذلك سموا بالمبيّضة

إذ خيّما وربَطا القِلاسا في الجانبَيْن شِدَّةً وَباسا (١)
فدمدمتْ تدوي دويّ الرَّعْدِ وشَدَّدتهمُ للقا المُشتَدِّ
فآثروا الحربَ وثِقْلَ المِحَنِ على المآبِ لعزيزِ الوطَنِ
فقامَ أتْريذُ بهمْ وصاحا بالقومِ كي يُقوّموا السّلاحا
وشكَّ في فولاذِهِ الأغرِّ يلبسُ خُفيّه ببادي الأمرِ
وحولَ ساقيهِ بقدَّتينِ أوثقَ حالاً بعرى اللُّجَينِ
ولَبِسَ الدِّرْعَ البهيَّةَ التي أُهْدِيَها مِنْ قَبْلِ سَيرِ الحَمْلَةِ
مِنْ مَلْكِ قِبْرِيسَ كِنِيرَ النّاءِي تذكرةً لِمُحْكَمِ الوَلاءِ (٢)
مُذْ نبأُ الإقلاعِ للطُّروادِ على السَّفينِ شاعَ في البلادِ
مِنْ أبدعِ السُّطورِ فيها اثناعشَرْ من النُّضارِ شائقاتٌ للنَّظَرْ
ومِنْ نُحاسٍ أبيضٍ عشرونَ معْ عشَرَةٍ أسحَمِ فولاذٍ سطَعْ
وفي كِلا الجَنْبَيْنِ حتَّى العُنُقِ ثلاثُ حيَّاتٍ مِنَ الوَشْيِ النَّقي

(١) قلاس جمع قلس وهو حبل السفينة — هذا تكرار لما جاء في النشيد الثامن وهو قوله :

واشراع آخيل وآياس أرسيت على طرفيه شدةً وتبسلا

(٢) لايحيد الشاعر في شيء من روايته عن الحقائق التاريخية مع كثرة ما يذكر من الوهميات الشعرية والخرافات الميثولوجية فقد افادنا بهذا البيت وافادته صحيحة ان ملك قبرس لم يكن بينهم لان القبرسيين لم يلجوا تلك الحرب • وفي اهداء تلك الدرع الى اغاممنون افادة اخرى تاريخية وهي ان معادن قبرس كانت كثيرة منذ تلك الايام

حكت بقلب الغيم أقواس قزح　　بنبأ زفس من السماطرح [1]
ثم على كاهله أتريذ قد　　ألقى حساماً بشعاعه اتقد
كلباه والحزام من أبهى الذهب　　وغمده من فضة فيها العجب [2]
وقلّ ترساً شائقاً بهيا　　يستر كل جسمه قويا
عليه دارت حلقات لامعة　　عشر من الصفر البهي ساطعة
وفيه عشرون من الحرابي　　من النحاس الأبيض اللهاب [3]
في وسطها حرباء فولاذ أغر　　يبدو بها الغرغون روّاع النظر
وحوله الهول ورسم الرعدة　　والدرع شدت بحزام فضة [4]
يلتف في ثعبان روع أزرق　　مثلث الرأس وحيد العنق
من ثم للمغفر أتريذ عمد　　يلبسه من بعد هاتيك العدد
مربع الرأس بعرف أملس　　من شعر خيل هاج فوق القونس [5]

---

(١) لايخفى على المطالع اللبيب من هذا الكلام ان رؤية قوس قزح كانت تشير الى أمر ذي بال عند قدماء اليونان كما كانت عند الاسرائيليين بعد ان جعله الباري عز وجل وثيقة لابينا نوح بامتناع حدوث الطوفان مرة اخرى . ولعل هوميروس اخذ تلك الرواية مشوهة في رحلته الى مصر لانه سيذكر (ن ١٧) انه لم يكن بشير خير بل نذير سوء

(٢) كلبا السيف هما المسماران في قائمه

(٣) الحرابي جمع حرباء والمراد بها هنا قتر الترس اي مساميره

(٤) لما اراد الشاعر ان يظهر اغاممنون بكل مظاهر العظمة والجلال اطنب حتى في وصف شكته وجعل مجنه شبيهاً بترس زفس كما مر بنا في النشيد الثامن

(٥) عرف المغفر ناصية الخوذة والقونس بيضتها

وَقَلَّ رُمْحِينَ مُثقَّفِينِ حتَّى أَعالي الجوِّ ساطعينِ (١)
والرَّعْدُ إِجْلالاً لهُ وَشَرَفا بأَمْرِ آثِينا وهيرا قصفا
فَأَمَرَتْ فُرْسانهُ السُّيَّاسا تَنْظِمُ قُرْبَ الخَنْدَقِ الأَفْراسا
وانْدَفعوا ماشِينَ بالسِّلاحِ بينَ صِياحٍ طرَّةَ الصَّباحِ
فانْتظمَ الأَبْطالُ قُرْبَ الخَنْدقِ تَجْري وَراءَهُمْ عِجالُ الفَيلَقِ

(١) قال مزرّد بن ضرار السعدي يصف شكته على نحو ما وصف هوميروس سلاح اغاممنون :

ومسفوحةٌ فضفاضةٌ تبعيّةٌ وآها القتير تجتويها المعابلُ
دلاصٌ كظهر النون لايستطيعها سنانٌ ولا تلك الحظاء الدواخلُ
موشحة بيضاءُ دانٍ حبيكها لها حلقٌ بعد الانامل فاضلُ
مشهرةٌ تحني الاصابعَ نحوها اذا جُمعت يوم الحفاظ القبائلُ
وتسبغةٌ في تركة حميرية دُلامصة ترفض عنها الجنادلُ
كأن شعاع الشمس في حجراتها مصابيح رهبان زهتها القنادلُ
وجَوب يرى كالشمس في طخية الدجى وابيض ماضٍ في الضريبة قاصلُ
سُلاف حديد ما يزال حسامه ذليقاً وقدته القرون الاوائلُ
واملس هنديٌّ متى يعلُ حدّهُ ذرى البيض لاتسلم عليه الكواهلُ
اذا ماعدا العادي به نحو قرنه وقد سامهُ قولاً فدتك المناصلُ
ألست نقياً ما تُليق به الذرى ولا انت ان طالت بك الكف ناكلُ
حسام خفي الجرس عند استلاله صفيحته مما تنقى الصياقلُ
ومطّرد لدن الكعوب كانما تغشاه منباع من الزيت سائلُ
اصمُّ اذا ما هزّ مارت سراته كما مار ثعبان الرمال المُوائلُ
له فارطٌ ماضي الغرار كأنه هلال بدا في ظلمة الليل ناحلُ

شرع في وصف الدرع فقال انها مصبوبة واسعة من الدروع التبعية تكرهها السهام

وَزَفْسُ بَينهُمْ أَثارَ اللَّغبا يُمْطِرُ طَلاًّ بِدَمٍ مُخضَّبا (١)
أَمَّا بَنو الطَّرْوادِ فوقَ الهضَبِ فانْتَظَمُوا مِنْ حول هكْطُورَ الأَبي
وَحَولَ فُوليذامَسَ المَعْصُومِ وَآنِيـاسَ المُجتَبَى العظِـيمِ
وَحولَ فُوْليبَ وآكاماس فتىً حكى الأَرْبابَ آلَ الباس
والقَـيِّمِ المَحْمُودِ آغِنُـورا ثلاثةٍ مِنْ وُلْدِ أَنْطِينُورا
وَهكْطُرٌ في صَدْرِهِمْ يَدُورُ في يَدِهِ مِجَنُّـهُ الكَبِـيرُ
يَخُوضُ في ساقتِهِمْ فيأْمُرُ فَيَخْتَفي ثُمَّ بِصَدْرٍ يَصْدُرُ
كَكوكَبِ الهَولِ الذي يَستَتِرُ في الغَيْمِ حيناً ثُمَّ حيناً يَظْهرُ

لصلابتها • وهي دلاص اي سهلة لينة لاتنفذ فيها الاسنة • موشحة حسنة السبك • يشار اليها بالاصابع لشهرتها — ثم اتى على وصف الخوذة فذكر التسبغة وهي نسيج الحلق الذي يكون تحت البيضة • ثم الخوذة فنسبها الى حمير وقال انها على كونها دلامصة اي لينة ترفضّ عنها الجنادل وهي لصفائها اذا اصابتها الاشعة تألقت في جوانبها كالمصابيح — ثم ذكر الجوب وهو الترس بشطر واحد وانتقل الى السيف فوصف حده القاطع وحديده النقي القديم واطال بوصف فعله في الحروب — وانتهى بالرمح فقال انه مطرد اي مضطرب للينه تخال الزيت سائلاً عليه للمعانه يمور لمرونته كالثعبان المحاذر وكأنه لشدة لمعان حده القاطع هلال يسطع في الظلام الحالك

(١) ان امثلة مطر الدم كثيرة في تواريخ الاقدمين وكلٌّ ينتحل لها تفسيراً ليس من الصحة على شيءٍ حتى قال بعضهم ان ذلك الطل كان حقيقة احمر لتبخره من دماء القتلى وهو قولهم في زمن كان العلم فيه قاصراً عن اثبات الخلاف • ولقد ذهب بعض العلماء العصريين انه قد يمكن ان يكون الطل الاحمر منبعثاً من اجساد نوع من الفراش اذا نقف من بيضة وتطاير في الهواء خرجت منه مادة حمراء • ومهما يكن من هذه التاويل فسقوط الطل الاحمر كان في عرف كل الامم اشارة الى سفك الدماء

يَسطَعُ بالحَديدِ والفولاذِ كَبَرقِ زَفْسَ اللاَّمعِ الجَبَّاذِ[1]
فعنَدَ ذاكَ اشتَبَكَ الجَيْشانِ وثارَ نَقعُ الضَّربِ والطِّعانِ
فكلُّهُمْ مثلَ الذِّئابِ اندفعوا ولَمْ يَكُنْ مَنْ للفرارِ يَنزعُ
تُبتَتُّ الرُّؤوسُ والأَجسادُ كَسُنبُلٍ يبتَتُّهُ الحُصَّادُ[2]
مُذْ نُظِموا بِزرعِهِمْ صفَّينِ في طَرَفَيهِ متُقابِلَينِ
ولَم يَكُنْ يَشهَدُ تِلكَ المَلحمَهْ بالبِشرِ الاَّ الفتنَةُ المُهدِّمَهْ
وفي الأُلمبِ سائِرُ الأَرْبابِ بشائِقِ القُصورِ باحْتِجابِ
ولَوْمُهُمْ لِزَفسَ طرًّا بادِ لِمَيلِهِ لِنُصرَةِ الطُّرْوادِ
لكنَّ زَفسَ لَيسَ بالمُبالي يَعتَزُّ في عَلياهُ باعْتِزالِ
يُحيطُ بالطُّرْوادِ والأُسطُولِ والحَربِ والقاتلِ والمَقتُولِ
مِنَ البُزُوغِ لارْتفاعِ المَشرِقِ جُندٌ تُرَدَّى وَسِهامٌ تلتَقي

(١) لقد احسن الشاعر واي احسان بوصف زعيم الطرواد بهذه الخفة والهمة الشماء بعد ان وصف زعيم الاغريق بتلك الهيبة والعظمة الغراء • فهذا فتىً في ريعان الصبا يقود كتائب لم تبلغ شأواً مذكوراً في الانتظام الجندي فلا بدله من ان يخترق الصفوف وينادي بالحتوف وذلك كهلٌ زعيم امم بلغ منها التفنن مبلغاً عظيماً وحسبه ان يشددها بمثاله فتقتفي اثره وتسير على منواله

(٢) قال بوب : لاندرك جمال هذا التشبيه الا اذا علمنا كيف كانوا يزرعون ويحصدون • ذلك ان الزراع او الحصاد كانوا ينقسمون شطرين متساويين يشرعان في العمل من طرفي الحقل فيلتقيان في وسطه فلهذا كثيراً ما كان يحصل التسابق والتنافس بينهما لبلوغ كل من الفئتين حده قبل الفئة الاخرى وهو تشبيه صادق كل الصدق على جيشين زاحفين كلٌّ من وجهته

وآنَ ما الحطَّابُ يُضْوَى تَعَبا　　　في غابِهِ وَظَمَأً وَسَغَبا
وَيَطْلُبُ الرَّاحَةَ بعدَ الغائلَهْ　　　مُهَيَّئاً طَعامَهُ بالقائلَهْ (١)
تَأَلَّبَ الإِغْرِيقُ بِٱشْتِدادِ　　　وَخَرَقُوا كَتائِبَ الطِّرْوَادِ
في صَدْرِهِمْ يَجْرِي أَغامَمْنُونُ　　　تَسِيرُ في يَمِينِهِ المَنُونُ
جَنْدَلَ أَبِيانُورَ راعِيَ الأُمَمِ　　　فَتَبِعَهُ السائقَ وِيلُوسَ الكَمِي
مِنْ فَوقِ مَرْكَبَتِهِ وَثْباً وَثَبْ　　　يَلْقَى أَغامَمْنُونَ مُشْتَدَّ الغَضَبْ
لٰكِنَّما أَتْرِيذُ في الجَبِينِ　　　طَعَنَهُ بِرُمْحِهِ المَتِينِ
فَخَرَقَ المِغْفَرَ والعَظْمَ سَحَقْ　　　وَبَدَّدَ الدِّماغَ والهامَةَ دَقّْ
عَرَّاهُما فَلَبِثا مَيْتَيْنِ　　　لا سِتْرَ فَوقَ ناصِعِ الصَّدْرَيْنِ
ثُمَّ ٱنْثَنَى يَسْطُو على إِسُوسا　　　مِنْ وُلْدِ فِرْيامَ وأَنطِفُوسا

(١) يستدل من هذا الكلام انهم لم يكونوا يحسبون ساعات الليل والنهار الا باعمال يعملونها فيها او احوال تهيأ عنها كبزوغ الفجر وارتفاع الشمس • فضحوة النهار من الباب الثاني وراحة الحطاب من الباب الاول • وساعات النهار عند العرب جميعها مأخوذ من معان تدل عليها وهي المجموعة بقول الشاعر العصري الشيخ ناصيف اليازجي:

اول ساعة من النهارِ　　　هي البكور والبزوغ طاري
والرأد والضحى المتوع بعدُ　　　ظهيرة ثم الزوال عدُّوا
ثم الاصيل العصر ثم الطفلُ　　　وبالحدور والغروب تكملُ

ومثل ذلك قوله في ساعات الليل :

اول ساعة من الليل الشفق　　　وبعدها العشوة يتلوها الغسق
فهدأة ثمة شرع ثم قلْ　　　جنح وزُلفة هزيع يارجلْ
وبعد ذاك غبش وسحرُ　　　والفجر والصبح الذي ينفجرُ

وكلها تدل على معان مخصوصة كما ترى

فـذلكَ ٱبْنُ غادَةٍ خليلَهْ ... لٰـكنَّ ذامِنْ زَوجِهِ الحليلَهْ (١)
قد رَكِبا مَرْكَبَةً فذاكا ... ساقَ وهذا وَلِيَ العِراكا
كِلَيهما قِدْماً أخيلُ دَهَمَا ... بِطُورِ إيذا يَرْعَيانِ الغَنَما
بيانِـعِ الخَـيزُورِ أوْثقهُما ... ونالَ فِـدْيَةً وأطلَقهُما
والآنَ أتْرِيذُ إسُوساً قتَـلا ... بطَعْنَةٍ في ثَدْيِهِ فَجَنْدَلا
وأنطِفُوسُ بِحُسامِـهِ قَطَعْ ... أُذْنَهُ قَطعـاً فلِلأرْضِ وَقَعْ
فَشائقَ الشِّـكَةِ منهُما سَلَبْ ... يَذْكُرُ منْ أمرِهما ماضيَ العَجَبْ
إذ كانَ قد رآهما في السُّفُنِ ... بأمْرِ آخيلَ بذاكَ الزَّمَنِ (٢)
وَصائلاً مشى كَلَيثٍ داهِمِ ... خِشفَةً واهِنَةَ العَزائِمِ (٣)

---

(١) يستفاد من هذا الموضع وعدة مواضع اخرى في هوميروس انهم لم يكونوا يفرقون كثيراً بين ابناء الحلائل والخلائل فابن الهوى عندهم يكاد يكون كالابن الشرعي • ولقد ذهب بعض الشراح الى ان هوميروس جعل بين الفريقين تلك المساواة لانه لم يكن له ابٌ معروف على ان هذا الظن بعيد الاحتمال لان هوميروس لم يسلك بشيءٍ في شعره على هوى نفس معلوم بل مثل احوال عصره واطوار ابنائه على علاتها ولم يصدق شاعر صدقه من هذا القبيل

(٢) هذه رواية من جملة الروايات التي زين بها الشاعر شعره فاستفاد منها المطالع افادات ثلاثاً • الاطلاع على قصة من قصصهم • والتفكهة بواقعة يشتغل الفكر بها برهة عن مناظر الفتك والسفك • وترديد ذكر اخيل بطل الرواية النائي حتى الآن عن مضارب السيوف ومواقع الطعان

(٣) الخشفة جمع خشف وهو ولد الظبي

يَسْحَقُها برائعِ الأَنْيابِ في كِناسِها سَحْقاً بلا تكلُّفِ
وَالأُمُّ تلكَ الظَّبْيَةُ المُرْتَجِفَهْ لا حيلةٌ لها بِرِفْدِ الخشفهْ
مُرْتاعةً مُلْتاعةً تَبْغي المفرْ في الغابِ تجري بينَ مُلْتَفِّ الشَّجَرْ
تلهثُ عيًّا وتَسِيلُ عَرَقاً هالعةً من هولِ ذاكَ المُلْتَقى
كَذاكَ في الطُّرْوادِ لم يَكُنْ أَحَدْ لولَديْ فِرْيامَ يَبْذُلُ المَدَدْ
ولَّوا لَدى الأَراغِسِ الفِرارا وخلفَهُمْ أَتْرِيذُ بأْساً ثارا
فيسَنْدرا وإيفُلُوخاً دَهَما على مَطا مَرْكَبَةٍ قد هُزِما
مِنْ وُلْدِ أَنْطيماخُسٍ مَنْ مَنَعا هيلانَةً لِزَوْجِها أَنْ تُرْجَعا
إِذْ كانَ فاريسُ رَشاهُ وَوَهَبْ ما لأَوفيراً مِنْ مَتاعٍ وَذَهَبْ (١)
فَعِنْدَما لَدَيْهِما مِثْلَ الأَسَدْ لاحَ الجيادُ جَمَحَتْ تحتَ العُدَدْ
وَارْتَجَفَتْ أَيْدِيهِما فوقفتْ أَعِنَّةٌ بها سَناءٌ سَطَعَتْ
فَسَجَدا مِنْ فَوْقِ ذاكَ المَجْلِسِ وصَرَخا بِذِلَّةِ المُلْتَمِسِ :
« أَلْعَفْوُ والفِداءُ فالتِّبْرُ الأَغَرْ والصُّفْرُ والحَديدُ طُرًّا مُدَّخَرْ
فأَنْطِماخُ يُجْزِلُ الهَدايا إِنْ نَبْقَ حَيَّيْنِ على الخَلايا » (٢)

---

(١) يعلم المطالع ان بدء الالياذة في السنة العاشرة لحرب طروادة ولكن من تصفحها من اولهـا الى آخرها علم منها اموراً كثيرة جرت قبل ذلك الزمن اشار اليها الشاعر اشارة لطيفة كاشارته هنا الى ما كان من انطيماخوس من قوله بمنع الطرواد عن ارجاع هيلانة الى زوجها فيعلم من ذلك ومما سيأتي بعد ابيات بلسان اغاممنون انهم اوفدوا وفوداً الى الطرواد لحسم الخلاف صلحاً قبل الاقدام على الحرب

(٢) هذا هو القول الذى قاله ذولون في النشـيد السابق توسلاً الى أوذيس

وَبَكَيـا تَـذَلُّلاً وَصُـغْرا فَلَقِيا مِنْهُ الجَوابَ المُرَّا :
« أَلَيسَ أَنطِماخُ والدُّكَما بِمَجْلِسِ الطُّرْوادِ يوماً حَكَما
بِقَتْلِ أُوذِيسَ وَمِينِلا وَقَدْ جاءا رَسُولَيْنِ وبالكَيْدِ اتَّقَدْ
سَتَلْقَيانِ الآنَ شَرَّ غَدْرِهِ » وَطاعِناً فِيسَنْدَرا بِصَدْرِهِ
جَنْدَلَهُ مِنْ فَوقِ عَرْشِ العَجَلَهْ فَإِيفْلُوخُ بِخَفِيفِ العَجَلَهْ
رامَ انْهِزاماً وإلى الأَرضِ وَثَبْ لَكِنْ أَغامَمْنُونُ بالسَّيفِ انْتَصَبْ
بِضَرْبَةٍ عَلَيهِ بالعَزْمِ انْدَفَعْ وَرَأْسَهُ مَعَ الذِّراعَينِ قَطَعْ
دَفَعَهُ لِلأَرضِ مِثْلَ الخَشَبَهْ وراحَ يَجْري بِعَظِيمِ الكَبْكَبَهْ
تَتْبَعُهُ كَتائِبُ الأَجْنادِ حَيثُ تَكَثَّفَتْ سُرَى الأَعادي
فَبَطَشَ الغِلْمانُ بالغِلْمانِ وَفَتَكَ الفُرْسانُ بالفُرْسانِ (١)
وَتَحْتَ وَقْعِ الخَيلِ نَقْعٌ ثارا في السَّهْلِ لِلْجَوِّ ذَرا الغُبارا
وَثَمَّ أَتْرِيذُ يَحُضُّ الجُنْدا مُقْتَضِباً مُقْتَفِياً مُشْتَدّا
هَبَّ على الأَعْداءِ مِثْلَ النّارِ شَبَّتْ بِغابٍ غَضَّةِ الأَشْجارِ (٢)

وذيوميذ ان يعفوا عنه

(١) قال عنترة :

ودنت كباشٌ من كباشٍ تصطلي نار الكريهة او تخوض لظاها
ودنا الشجاع من الشجاع واشرقت سمر الرماح على اختلاف قناها

(٢) قال أبو النجم العجلي :

انّا لتعمل في الرؤوس سيوفنا عمل الحريق بيابس الحلفاء

ومثله قول عنترة :

اذ ادبروا فعملنا في ظهورهم ما تعمل النار في الحلفا فتحترقُ

ثُثِيرُها الرِّيحُ وفي كُلِّ مَهَبْ … تَلْهَمُ كُلَّ ما أَمامَها أُنْتَصَبْ
أَمامَهُ الطِّرْوادُ وَلَّوا جزَعا … وَسَيفُهُ الرُّؤُوسَ قَطْعاً قطعا
وجامِحاتُ الخَيلِ بالعِجالِ … تَضرِبُ في السَّهْلِ بلا رِجالِ
تَنْدُبُ ما أَلَمَّ بالفُرْسانِ … تَحْتَ عَجاجِ الضَّرْبِ والطِّعانِ
أَشْهَى هُمُ الآنَ الى العُقْبانِ … مِنْهُ الى حَلائِلِ النِّسْوانِ
وَزِفسُ هكْطُورَ عَنِ النَّقْعِ حَجَبْ … وَعَن ضَجِيجِ القَومِ في ذاكَ اللَّجَبْ
وَعن مَدى النِّبالِ والنَّجِيعِ … وَعن تَلاحُمٍ بِهِمْ فَظِيعِ
وَظَلَّ أَتْرِيذُ على أَعْقابِهِمْ … مُشَدِّداً يَضْرِبُ في رِقابِهِمْ
فَدُفِعُوا للتِّينِ ثُمَّ اجْتازُوا … في وَسَطِ السَّهْلِ وَفيهِ انْحازُوا[1]
لِقَبْرِ إِيلُو ذلكَ الدَّرْدَنِّي … يَبْغُونَ إِلْيُونَ بِحَرِّ النَّفَسِ
وإِثْرَهُمْ أَتْرِيذُ دَوماً جاري … مُلَطَّخاً بالدَّمِ والغُبارِ
يَصِيحُ حَتَّى أَبْلَغَ الفُرْسانا … أَبْوابَ إِسْكِيَّةَ ثُمَّ الزّانا
فَوَقَفُوا يَبْغُونَ جَمْعَ الشَّمْلِ … وَصَحْبُهُمْ تَبَعْثَرُوا في السَّهْلِ
مِثْلَ العُجُولِ ذُعِرَتْ فِرارا … واللَّيثُ في اللَّيلِ لَقَدْ أَغارا
فَأَيُّها أَصابَهُ سَحَقَهُ … مُحَطِّماً بِنابِهِ عُنُقَهُ

---

(١) اختلف المفسرون بموقع ذلك التين فمن قائل انها التلة المحاذية للبرج التي اشار اليها الشاعر في النشيد السادس ومن قائل انها بقعة وعرة مزروعة تيناً في ذلك السهل وهذا مذهب اسطرابون القائل ان اليونان انما دخلوا اليون من ذلك الموضع

يَمتَصُّ لا مُكتَفِياً دِماءَهُ ... يَزْرَدُ لا مُشتَفِياً أَحشاءَهُ
كذا أَغامَمْنُونُ أَصمَى وَسفَكْ ... بِساقَةِ العدى بِمَنْ لاقى فَتَكْ
وَلَّوا وَمُشتَدًّا عَليهِمْ حَمَلا ... بالرُّمحِ يُرْدِي بَطَلاً فَبَطلا
ما بينَ مَصْرُوعٍ مِنَ العِجالِ ... أَهوى وَمُسْلَنْقٍ على الرّمالِ
وَعِندَ ما قارَبَ إِدْراكَ البَلَدْ ... وَسُورِهِ الشّاهِقِ في ذاكَ اللّدَدْ
مِن قُبَّةِ السَّماءِ كالبَرقِ انْحَدَرْ ... زَفْسُ وفي إِيذا بِعَلْيَاهُ اسْتَقَرْ
صاحَ بِذاتِ أَجنُحِ النُّضارِ ... بِيَدِهِ عَمُودُ بَرْقٍ وارِ
قالَ: «فَطيري إِيرِسُ الرَّشيقَهْ ... وَأَبلِغي هَكْطُوراً الحَقيقَهْ
فَطالَما أَتْرِيذُ في صَدرِ السُّرَى ... يَبْطُشُ فيهِمْ فاتِكاً مُدَمِّرا
فَلْيَعتَزِلْ وَلْيُلْقِ عِبْءَ الصَّدِّ ... على سِواهُ مِنْ سَراةِ الجُنْدِ
لٰكِنْ إِذا بِطَعنَةٍ فاهِقَةِ ... أُصيبَ أَو بِرَمْيَةٍ خارِقَةِ
وَراحَ يَعلُو سُدَّةَ العِجالِ ... هَكطُورَ أُولي نُصْرَةَ القِتالِ
لأُولِيَنَّهُ اشْتِدادَ البَأسِ ... يَكسَحُهُمْ حَتَّى غُرُوبِ الشَّمسِ
لِمَوقِفِ الأُسطُولِ يَسفِكُ الدّما ... حَتَّى يَرى قُدْسَ الدُّجى قدخَيَّما»
هَبَّتْ هُبُوبَ الرِّيحِ من إِيذا إِلى ... إِلْيُونَ هَكْطُورَ تُوافي عَجَلا
أَلْفَتْهُ في مَرْكَبَةٍ مُنْتَصِبا ... قالت: «أَيا هَكْطُورُ خُذْ مِنِّي النَّبا
يا عِدَّ زَفْسَ زَفْسُ بالرِّسالَهْ ... أَنْفَذَني فَاسْتَمِعِ المَقالَهْ
فَطالَما أَتْرِيذُ في صَدرِ السُّرَى ... يَبْطُشُ فِيكُمْ فاتِكاً مُدَمِّرا

فَاْعتَزِلَنْ وَأَلقِ عِبْءَ الصدِّ على سِواكَ مِنْ سَراةِ الجُنْدِ
لكنْ إذا بطَعْنَةٍ فاهقَـةِ أُصيبَ أَو بِرَمْيَةٍ خارقَةِ
وَراحَ يَعلو سُدَّةَ العِجالِ هكطُورُ تُؤْتى الفوزَ في القِتالِ
لَيُؤْتيَنَّكَ اْشْتِدادَ البَأْسِ تَكسَحُهُمُ حتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ
لِموقفِ الأُسْطُولِ تَسفُكُ الدِّما حتَّى تَرى قُدْسَ الدُّجى قد خيَّما »
غابَتْ وهكطُورُ الى الأَرضِ وَثَبْ يَهزُّ أَطرافَ القَنا بادي الغَضَبْ
يَزْمَحُ في كُلِّ السُّرى مُسْتَنْهِضا مُدَجَّجاً مُشَدِّدًا مُحَرِّضا
فَاْنقَلَبُوا لِساحَةِ الهَيْجاءِ مُقابِلينَ زُمَرَ الأَعْداءِ
وَاعتَصَبَ الإِغريقُ واصْطَفُّوا فِرَقْ وَاْشتَدَّتِ الحَرْبُ وأُتْرِيذُ اْنطلَقْ
مُبرِّزًا عَن سائِرِ الشُّجْعانِ مُرَوِّعاً في ذلكَ المَيدانِ
وَلي فقُلْنَ يا بَناتِ الشِّعْرِ مَنْ جاءَ يَلقاهُ بِبَدءِ الأَمْرِ :
ذاكَ اْبنُ أَنْطِينُورِ الطَّويلُ أَفيدَماسُ الباسِلُ النَّبيلُ
سِبطُ لِكِيسيسَ أَبي ثِيانُو مَنْ شاعَ ذِكْرًا حُسْنُها الفَتَّانُ
لَدَيْهِ في إِثْراقَةِ الغَنيمِ وَالخِصْبِ طِفلاً شَبَّ في النَّعيمِ
وَعِنْدَما تَرَعْرَعَ اْستَبْقاهُ في حِجْرِهِ وَبِنْتَهُ أَعْطاهُ (١)
لكِنَّهُ غادَرَها على الأَثَرْ مُذْ شاعَ عَن حَرْبِ الأَراغِسِ الخَبَرْ

(١) اذا كان افيداماس سبط كيسيس اي ابن بنته وكيسيس ابو ثيانو الحسناء وازوجه من اختها فيكون افيداماس زوج خالته كما ترى ولم يكن ذلك منكراً عندهم

أَتى لفَرْقُوتَ بثِنْتي عَشَرَهْ   سَفِينَةً يُنْزِلُ فيها عَسْكَرَهْ
مِنْ ثَمَّ إِليُونَ أَتاها بَرَّا   فَذا الذي أَتْرِيذَ رامَ كِبْرا
تَقابَلا حتَّى دَنا التَّلاقي   فَزَجَّهُ أَتْرِيذُ بِالمِزْراقِ
فَصَرَّحَ الزَّجُّ وفي الحالِ انْثَنَى   أَفِيدَماسُ وَبعُنْفٍ طَعَنا (١)
أَصابَ تحْتَ الدِّرْعِ بالحِزامِ   فَدَفَعَ العامِلَ باحْتِدامِ
وَظَلَّ لا يُفْلِتُهُ مِنْ يَدِهِ   مُعْتَمِداً على قُوَى عَضُدِهِ
في عُرْوَةِ اللُّجَينِ بالوَسْطِ اسْتَوى وكالرَّصاصِ اللَّدْنِ في الحالِ الْتَوى
فَعِنْدَذا أَتْرِيذُ كاللَّيْثِ وَثَبْ   وَذلِكَ الرَّامِحَ بالرُّمْحِ اجْتَذَبْ
وَاجْتَرَّهُ مِنْهُ وبالسَّيْفِ قَطَعْ   عُنُقَهُ فَغائِرَ الطَّرْفِ وَقَعْ
يَهْجَعُ مَصْرُوعاً هُجُوعَ الأَبَدِ   بِذَنْبِهِ عَنْ قَوْمِهِ والبَلَدِ
وا وَيْحَهُ عَنْ عِرْسِهِ الفَتِيَّةِ   في البُعْدِ قد أُمِيتَ شَرَّ مِيتَةِ
نَأَى وَما إِنْ كادَ وَهْوَ ناءِي   يَبْلُو شِعارَ الحُبِّ والوَفاءِ
لَها الصِّلاتِ الغُرَّ قد كانَ ادَّخَرْ   مُبْتَدِئاً بِمِئَةٍ مِنَ البَقَرْ
وَبِجِماهُ العَنْزُ والغَنِيمُ   لَمْ يُحْصِها عَدٌّ ولا تَقْوِيمُ
خَيَّرَها مِنْها بأَلْفِ رَأْسِ   والآنَ أَتْرِيذُ الشَّدِيدُ البَأْسِ
جَنْدَلَهُ مُجَرَّداً مِنْ شِكَّتِهْ   يَرْجِعُ فيها لِسَرايا حَمْلَتِهْ
فالخَطْبُ لاحَ لأَخِيهِ الأَكْبَرِ   قاوُونَ الفَتَّاكِ والشَّهْمِ السَّرِي

(١) صرّح اي اخطأ

فـذابَ بَثّاً وأَساً عَليـهِ وأُسوِدَّ نورُ الشَّمْسِ في عَيْنَيهِ
فَانْسابَ لايراهُ أَتْريذُ حِذا صفْحَتِهِ والرُّمْحَ فيهِ أَنْفَذا
فخَرَقَ الزُّجُّ الحَديدُ الحَـدّ مُؤَخَّرَ السَّاعِدِ تَحْتَ الزَّنْدِ
وصاحَ يدْعُو صحبَهُ إليـهِ مُجْتَذِباً أَخاهُ منْ رجْليهِ
وفَوقَهُ قـد أَسْبَلَ المجنَّا يَدْفَعُ ضَرْباً وَيقيـهِ طعْنا
فَارْتاعَ أَتْريذُ وَلكنْ ما ارْتَدَعْ ثُمَّ على قاوُونَ بالعَزمِ انْدفَعْ
طعَنَـهُ بالعامِلِ الرَّوَّاعِ طعْنَةَ مِقْدامٍ طويلِ الباعِ
على أَخيهِ خرَّ ميتاً فضَرَبْ عُنُقَهُ بالسَّيفِ والرَّأْسَ اقْتَضَبْ
وَهكـذا فَالأَخوَانِ انْحَدَرا لدارِ آذِيسَ بحُكْمٍ قُدِّرا
وَظَلَّ أَتْريذُ الوَغى يُبَارى بالسَّيفِ والعاملِ والحِجارِ
يَخُوضُ ما بَينَ الأَعادي صائلا وَدَمُهُ السَّخينُ يجري سائلا
حتّى إذا ما ذلكَ السَّيلُ انْقطَعْ وَيبسَ الجُرْحُ تَوَلَّاهُ الوَجَعْ
وأَختَرَقَتْ قُوَاهُ آلامٌ وَلا آلامُ سهمٍ خارِقٍ قد أُرسلا
تَرْمي بِهِ بَنَاتُ هيرا الظُّلَّمُ أَلأَثيَّاتُ التي لا تَرْحَمُ
يَنْفُذُ بالأَعْراضِ والإِزْماضِ وَيَصْدَعُ المرْأَةَ بالمَخاضِ (١)

---

(١) هذا من جملة التشابيه الصادقة على شدة الالم والكثيرة الورود في اسفار العهد القديم ومع ذلك فقد انتُقد على هوميروس ايراده لوصف آلام بطل مقدام في ميدان الصدام. ولعله أحسن وقعاً في كلام اوس بن حجر اذ شبه الاصوات في الحرب ترتفع تارة وتنقطع أخرى بصوت المجاهدة في الولادة بقوله :

بِشِدَّةِ البَثِّ اعْتَلَى مُلْتَاعا وقالَ للتبَّعِ «اُتبَعِ الأَشراعا»
وصاحَ بالصَّوتِ الجَهُورِ العالي: «ياصَحْبُ يا قُيُولُ يا أبطالي
عَليكُمُ الآنَ بإبْعادِ العِدى عَن مَوْقِفِ الأُسطُولِ والفوزُ بَدا
فإنَّ زفْسَ قد أبى إصْداري بصَدْرِكُمْ لآخِرِ النَّهارِ» (١)
فَطارَتِ الخَيلُ بِسَوطِ السَّائِقِ تَجْرِي وَاَترِيدُ بقَلْبٍ خافِقِ
صُدُورُهُنَّ قد كُسِينَ زَبَدا وَنَقْعُ وَقْعِهِنَّ لِلجَوِّ اغْتَدى
وَمُذْ رأى هكطورُ أتْرِيذَ التَوى فَصَوتُهُ كالرَّعْدِ بالقومِ دَوى: (٢)
«يا آلَ دَرْدَانُوسَ والطُّرْوادا وَيا بَني لِيقِيَةَ الأمْجادا
إيهِ فَأنتُمْ قادَةُ الهَيْجاءِ وسادَةُ الإيقاعِ والإبْلاءِ
أبْسَلُ مَن في القَومِ طُرًّا غَرَبا وَزَفْسُ لي نَصْرًا مُبِينًا وَهَبا

لها صرخةٌ ثم اسكاتةٌ كما طرقت بنفاسٍ بكَر

الاليثيات بنات هيرا • وكانت هيرا الاهة الزواج وكن الاهات الولادة والنفاس • كانوا يمثلونهن وبأيديهن سهام تنفذ في احشاء المرأة ساعة مخاضها ولهن مزية اخرى وهي انهن يسهلن الولادة • واما شعراء اليونان المتأخرون فلم يذكروا منهنَّ الا واحدة ذهبوا الى انها نفس ارطميس

(١) لم يكن ارتداد اغاممنون عن موقف القتال بأقل عظمة من اندفاعه بصدر الجند فانه على شدة ألمه دفع قومه وبشرهم بالفوز بعبارة تشير الى ان جرحه لم يكن قتالاً ليطمئنوا ولا يأخذهم القنوط لاحتجابه

(٢) هنا انتقل بنا الشاعر من بطش اغاممنون الى بطش هكطور ولقد رأينا فيما مضى ان زفس امره الا يتقدم الا اذا اعتزل اغاممنون القتال فأتمر بذلك الامر وزاد ذلك في عظمة اغاممنون حتى في بُعده عن مواقف الرجال واصطكاك النبال

شُدُّوا على الإغْرِيقِ بالعِجالِ　　وادَّخِرُوا مَجْدًا بلا زَوالِ »
فَهاجَتِ النُّفُوسُ بالجَحافِلِ　　هِياجَها في أنْفُسِ الخَياطِلِ
يُثيرُها صاحِبُها هِياجاً　　في إثْرِ خِرْنَوْصٍ ولَيْثٌ فاجا[1]
وَهكَذا هَكْطُورُ عِدُّ آرِسِ　　أثارَ طِرْواداً على الأراغِسِ[2]
وَهوَ بِصَدْرِ جَيْشِهِ يَثُورُ　　بِشِدَّةِ البَأْسِ بِهِمْ يَسِيرُ
كأنَّهُ الإعْصارُ مِنْ فَوْقُ انْدَفَقْ　　وَفي عُبابِ البَحْرِ قَلْبَ اليَمِّ شَقْ
فياتُرى مَنْ أوَّلاً وآخِرا　　أبادَ مُذْ زَفْسُ تَوَلَّى ناصِرا
أوَّلُهُمْ كانَ الفَتى آسِيُّسُ　　فَمَفْطَنُوسُ وكَذا أُوفِيتُسُ
فابْنُ قِلِيطِيسَ زُلُفْسُ أُورُسُ　　وآغِلاوُسُ وأُوفَلْطِيسُ
وهِيبُّنُوِّيسُ وإيسِمْنُ السَّرِي　　وكُلُّهُمْ مِنْ زُعَماءِ العَسْكَرِ
لكِنَّما قَتْلاهُ بَيْنَ الجُنْدِ　　فَتِلْكَ لا تُحْصى بِحَصْرِ العَدِّ
هَبَّ بِهِمْ وَلا هُبُوبَ العاصِفَه　　تُثيرُها أنْواءُ رِيحٍ قاصِفَهْ
فَتَدْفَعُ الدَّبُورُ غَيْماً رَكَما　　نُوطُوسُ في السَّحابِ لَمَّا هَجَما[3]
فَتَفْلِقُ اليَمَّ وتَنْشُرُ الزَّبَدْ　　كَما رُؤُوسَ القَوْمِ هَكْطُورُ حَصَدْ

---

(١) مهما انصف الشاعر اعداء قومه بوصف بسالتهم فان في نفسه أثرة للاغريق لاتكاد تخفى فقد مثلهم لنا هنا ملتوين امام الاعداء ولكن التواء الليث امام الكلاب التي يثيرها اصحابها عليه وقد جرى هذا المجرى في اكثر الالياذة

(٢) العد هو النظير

(٣) نوطوس ريح الشمال كما تقدم

فَٱشتَدَّ وَقعُ الخَطبِ والأمرُ انجلى وَكادَتِ الإغريقُ تُضوى فَشَلا
فَصاحَ أُوذِيسُ: «ذِيُوميذُ علا مَ بَأْسُنا وَلَّى بِرُزْءٍ ثَقُلا [1]
لَئِنْ يَفُزْ أَعداؤُنا بالسُّفُنِ وا خِزْيَةَ العارِ وَثِقْلَ المِحَنِ
هَيِّ فَكُرَّنَّ مَعي:» قالَ وَما يَهُولُني العَدُوُّ مَهما ٱزْدَحَما
لَكِنَّنا هَيهاتَ أَنْ نُؤتى الظَّفَرْ فَإِنَّما الطُّرْوادَ زَفْسُ قد نَصَرْ»
كَرَّ وَثِمبرِيسَ في الثَّدْيِ رَمى فَخَرَّ لِلأَرضِ وأُوذِسْ هَجَما
وتَبِعَهُ مُلْيُونَ أَيضاً قَتَلا وَغادَراهُما عَلى تِلكَ الفَلا
لا يَشْهَدانِ الكَرَّ والنِّزالا وأُنْثَنَيا مِنْ بَعْدِ ذا وَصالا
نَظِيرَ خِنْزَوْصَينِ كاسِرَينِ على كِلابِ الصَّيدِ مُرْتَدَّينِ
فَأَعْمَلا بَينَ الأَعادي الأَسَلا وأهْتَزَّتِ الإغريقُ طُرّاً جَذَلا
ثُمَّةَ عُنْقَ فارِسَينِ ضَرَبا وأُستَلَبا مَرْكَبَةً قد رَكِبا
مِنْ وُلْدِ مِيرُوفُوسَ مِنْ فِرْقُوتِ أَبْسَلِ مَن في القَومِ مِنْ رُتُوتِ [2]
قد عَصَيا أَباهُما العَرَّافا وَأُتَّبَعا إِلى الوَغى الأَحْلافا
ساقَهُما داعي الرَّدى فَأَقْبَلا على ذِيُومِيذَ الفَتى فَجَنْدَلا

---

(١) مر بنا ان اوذيس كان موالياً لذيوميذ في كل النشيد السابق وكان الموقف موقف تجسس لا موقف حرب وها هو الآن موالٍ له في هذا المحل لا لانه أبسل القوم ولكن لان الموقف موقف تهلكة والبسالة فيه أحوج الى الرأي والحكمة منه في كل موقف

(٢) الرت السيد والمقدام

أَخْمَدَ أَنْفاسَهُما وَراحا　　　مِنْ بَعْدِ ذا يَسْتَلِبُ السِّلاحا
وأُوذِسُ جَنْدَلَ هُوفِيداما　　　وَهِيفَرِيخًا يَصْطَلي اُحْتِداما
وَزَفْسُ في إِيذَةَ بالمِرْصادِ　　　فَوازَنَ القُوّاتِ في الاعادي
فَاُصْطَدَمَ الأَبْطالُ مِنْ كُلِّ الفِرَقْ　　　وَزُمَرَ العِدى ذِيوميذُ اُخْتَرَقْ
وَغَسْطَرُوفَ بْنَ فِيُونِ جَرَحا　　　بِرُمْحِهِ في حُقِّهِ فَاُنْطَرَحا
قَدْ خاضَ مُغْتَرًّا سُرى الطَّلائِعِ　　　بِرِجْلِهِ يَخُوضُ في المَعامِعِ
والخَيلُ والسّائِقُ في السّاقَةِ قَدْ　　　ظَلَّتْ وَعَنْهُ اُنْقَطَعَتْ عُرى المَدَدْ
هُنالِكَ هَكْطُورُ رأى واُنْصَدَعا　　　وصاحَ في الأَبْطالِ ثُمَّ اُنْدَفَعا
وَاُنْدَفَعَتْ مِنْ خَلْفِهِ كُلُّ السُّرى　　　حَتّى ذِيُوميذُ الهُمامُ ذُعِرا
قال: «أرى هكْطُورَ رَوّاعَ المَلا　　　يا أُوذِسُ فورًا عَلَينا أَقْبَلا
قِفْ نَدْفَعَنَّهُ» وَبالعَزْمِ وَقَفْ　　　مُسَدِّدًا ونَحْوَ رَاسِهِ قَذَفْ
فَفَوقَ رَأْسِ البَيْضَةِ الرُّمْحُ وَقَعْ　　　لٰكِنَّما الفُولاذُ فُولاذًا دَفَعْ
والقَوْنَسُ المُثَلَّثُ الأَطْرافِ　　　عَن رَأْسِهِ رَدَّ السِّنانَ الجافي
ذٰلكَ مِنْ فِيبُوسَ فَضْلٌ أَعْظَمُ　　　فَهْوَ بِذا المِغْفَرِ قِدْمًا مُنْعِمُ
وَاُرْتَدَّ هَكْطُورُ وَبالجَمْعِ اُخْتَلَطْ　　　وفَوقَ رُكْبَتَيهِ لِلأَرْضِ سَقَطْ
لِيَدِهِ مُسْتَنِدًا حَيثُ اُلْتَوى　　　وَأَظْلَمَتْ عَيناهُ مُنْهَدَّ القُوى
وَرَيْثَما هَبَّ ذِيُوميذُ وَشَبْ　　　يَطْلُبُ رُمْحَهُ وَفي الأَرْضِ نَشَبْ
أَفاقَ هَكْطُورُ وبالفَورِ اُعْتَلى　　　وَساقَ بَينَ الجَمْعِ يَأْبى الأَجَلا

فصاح ذوميذ وبالقناة جرى: « أأيضاً فزت بالنجاة
يا كلب كاد عاملي يصميكا لو لم يبادر فيبس يقيكا
لست توءم الحرب عفوا أبدا إلا به مسترفدا مستنجدا
لكنني سوف ألقيك الردى إن تؤتني الأرباب يوماً مددا
قد فاتك الفوت فرح والآنا سأبتغي سواك أيا كانا »
ولاستلاب ابن فيون عكفا فجرد اللأمة ثم انعطفا
مقتلعاً مغفره ثم المجن إذا بإسكندر خلسة كمن
فأتكأ القوس على العمود في قبر يلو الشيخ فخر الصيد
وأرسل السهم فشق القدما وغاص في الأرض بسيال الدما
وزوج هيلانة من حيث ولج في ذلك الكمين في الحال خرج
مقهقهاً مبتهجاً مفتخرا : « لم أخطئ المرمى وسهمي صدرا
ياحبذا لو غاص في أحشاكا ليأمن الطرواد من ملقاكا
أنت الذي كلهم منك ارتعد كرعدة الماعز من بطش الأسد» (١)
أما ذيوميذ فجاش وانثنى قال: « وماغرك ياوجه الخنا

(١) أرانا الشاعر غير مرة ان رمي النبال لم يكن محل فخار لسراة الابطال ثم انه لم يرنا في كل انشاده بطلاً يقهقه قهقهة فاريس وان كانوا يتهكمون بعضٌ على بعض في عدة مواقع ٠ ومع ان فاريس هو الفاتك هنا وذيوميذ هو المفتوك به فانك ترى من خطاب الجارح وجواب المجروح مايشير اشارة بينة الى عجزٍ ورقاعة في الاول وانفة وشجاعة في الثاني

سَدَّدْتَ مُغْتَرًّا بِذِي القَوسِ أَلا ... ما جِئْتَني وَجْهًا لِوَجْهٍ مُقْبِلا
حتَّى تَرى يا أَخْسأَ النُّبَّالِ ... أَنَّـكَ لا تُعَـدُّ في الرِّجالِ
وَأَنَّها لَنْ تَدْفَعَنْ عَنْكَ الأَسا ... وَإِنَّمـا حامِلُها زِيرُ نِسا
أَنالَكَ السُّرُّ بِإِدْراكِ القَدَمْ ... مِنِّي وَهَلْ يَذْعَرُ ذا أَهْلَ الهِمَمْ
ما ضَرَّ سَهْمُ خاسِئٍ رِعْدِيدِ ... يَهْلَعُ كَالأَوْغادِ أَو كَالغِيدِ
وَأَينَ أَنْتَ مِنْ مَرامي أَسَلي ... يُنْفِذْنَ مُذْ يَصْدُرْنَ سَهْمَ الأَجَلِ
أَزْوَاجُ مَنْ خَرَّ مِنْهُمْ أَيامَى ... وَوُلْدُهُمْ في بُؤْسِهِمْ يَتامى
وَدَمُهُمْ يَسْرَبُ والأَجْسادُ ... يُبِيدُها في أَرْضِها الفَسادُ
وَحولَهُمْ طَيرُ الفَلا تَحُومُ ... مِنْ بَعْدِ أَزْواجٍ بِهِمْ تَهِيمُ »
وَأَنْقَضَّ أُوذِيسُ يَقِيهِ فَجلَسْ ... يُخْرِجُ ذاكَ السَّهْمَ مِنْ حَيثُ أُنْحَبَسْ
فَاشْتَدَّتِ الآلامُ فيهِ فَاعْتَلى ... وقالَ لِلسَّائِقِ : « عُدْ بي عَجِلا »
فَباتَ أُوذِيسُ كَذا مُنْفَرِدا ... لَيسَ لَهُ مَنْ يَبْتَغِيهِ عَضُدا
مُذْ شَمَلَ الرُّعْبُ قُلُوبَ الأَرْغُسِ ... فَنَفْسَهُ ناجى بِحَرِّ النَّفَسِ :
« وَيلاهُ ما الحِيلَةُ إِنْ أَنْهَزِمِ ... فَالعارُ كُلُّ العارِ بَينَ الأُمَمِ
وَإِنْ تَرَبَّصْتُ وَزَفْسُ الأَعْظَمُ ... بَدَّدَ قَومي فَمَصِيري أَشْأَمُ
لا كُنْتَ يا هاجِسُ دَعْني هَلْ تُرى ... غَيرُ الجَبانِ النِّكْسِ وَلَّى مُدْبِرا
وَلَيسَ لِلباسِلِ أَنْ يُبالي ... أَصابَ أَمْ أُصِيبَ في النِّزالِ »
وَبَينَما يَجُولُ ذا بِفِكْرِهِ ... مُكْتَئِبًا مُفَكِّرًا بِأَمْرِهِ

إذا بذرّاع العدى تجمهروا　　وبينهم أس بلاهم حصروا (١)
كفتية بزمرة الكلاب　　تقنص خرنوصاً ببطن الغاب
فيبرز الوحش ويصلى غضبا　　ويشحذ الناب ويبدو مرعبا
يصرُّ بالأسنان والقنّاص قد　　داروا عليه وهو بالغيظ اتقد
فهم يخشون منه الدركا　　وهو بمن أصاب منهم فتكا
وهكذا أوذيس بالرمح وثب　　وذيفيت بين كتفيه ضرب
ثم ثوون وأنوم قتلا　　فجاءه خرسيدم مشتعلا
فهبَّ من مركبة يبغيه　　وأوذس في الحال يلتقيه
رماه تحت الترس في سرّته　　فخرّ مصروعاً على راحته
ثم انثنى وابن هفاس طعنا　　خرنس يلقيه صريعاً مثخنا
فانقضّ صوقوس أخوه الأيهم　　وصاح يدوي: «ياأذيس القيّم
يازبدة الإقدام والدهاء　　فاليوم تبلي أيما إبلاء
إمّا حمام ولدي هفاس　　والسلب والفخار بين الناس

(١) قد رأينا الشاعر يشير حيناً بعد حين الى ماتقدم تلك المواقع من الحوادث كما انه يشير الى ما عقب تلك الحرب مما لم يدخله في منظومته حتى لاتفوت المطلع على شعره فائتة من الحقائق الجلّى سابقة كانت او لاحقة. فان في وصفه أوذيس بكونه اس بلاء الطرواد اشارة الى الرواية التاريخية القاضية بانه هو الذي تسبب في آخر الامر في فتح اليون وقهر الطرواد باحتياله على مفاجأتهم بنفر من الجند ادخلهم اليون بالفرس الخشبي المشهور

هذا وإمَّا منْ قَناتي الرَّدى» ثُمَّ أَتاهُ طَاعناً مُسدِّدا
فَنافذُ السّنانِ في التُّرسِ مرَقْ واللَّحْمَ تحتَ الدِّرْعِ بالخصْرِ اخترَقْ
لكنْ أبَتْ فالاسُ بالخفاءِ نفُوذَهُ لِداخلِ الأحشاءِ
ولمْ يفُتْ أوذِيسَ أنَّ الجرْحا ما كانَ قتّالاً لِذا تنحَّى
وصاحَ في صُوقُوسَ يا هذا الشَّقي شرٌّ بلىً مِنِّيَ سوْفَ تلتقي
ألجأْتني حيناً الى تركِ اللِّقا لكنْ بِكَ الحتفُ البهيمُ أحدَقا
وبِصقِيلِ عامِلي إنْ تُقْتَلِ لآذِسَ النَّفسُ تدُمْ والفخرُ لي» (1)
فارْتاعَ صُوقُوسُ وقدْ رامَ الهربْ مُوَلِّياً لكنَّ أُوذِيسَ وَثَبْ
ورُمْحُهُ ما بينَ كِتفيهِ ولجْ ومِنْ شِعابِ الصَّدْرِ في الحالِ خرَجْ
فخرَّ في صلْصلَةِ الحدِيدِ وأُوذِسٌ مُرتفعُ النَّشِيدِ :
«صُوقُوسُ ما أنجتْكَ هبَّاتُ المَفرْ فالموتُ أعْدى منكَ جرْياً وأشرّ
ويحكَ لم يُتَحْ لِوالدَيْكا أنْ يُغمِضا يومَ الرَّدي عيْنَيْكا
خلوتَ لِلطَّيرِ فظُفرٌ ينْشبُ والأجنُحُ الغضَّةُ ضرْباً تضْرِبُ (2)
لكنَّني إنْ مُتُّ فالإغْريقُ غصَّ بهِمْ في مَأْتمي الطَّرِيقُ »
واجْتَرَّ منْ مِجنِّهِ والشَّاكلهْ سِنانَ صُوقُوسَ بتلكَ الغائلهْ

(1) لله در ابي الفوارس القائل

لي النفوس وللطير اللحوم ولل وحش العظام وللخيالة السلبُ

(2) زاد عنترة زيادة حسنة على هذا المعنى بقوله :

واجساد قوم يسكن الطير حولها الى ان يرى وحش الفلاة فينفرُ

فجرتِ الدِّماء واشتدَّ الألَمْ وحولَهُ جيشُ العدى طرًّا هجَمْ
فلاشتدادِ الخطبِ عادَ القهقرى وصاحَ يذوي صوتُهُ حتَّى السُّرى
دعا ثلاثاً يطلبُ الغياثا وعى منيلا صوتَهُ ثلاثا
مالَ إلى رفيقهِ أياسِ قالَ : « أيا أياسُ ربَّ الباس
صوتُ أذيسَ أذني حالاً طرقْ كأنَّما أُحرِجَ ما بينَ الفِرقْ
وشدَّدتْ أزمتَها عليهِ هيَّ نُبادِرْ عجلاً إليهِ
أخافُ مهما صالَ يُضوى مفردا فترثُ الأحزانَ عنهُ سرمدا »
وسارَ أوَّلاً منيلا وتلا أياسُ كالأربابِ أبناءِ العُلى (١)
فألفيا أوذيسَ والطرْوادُ قدْ تكأكأوا عليهِ عدًّا وعدَدْ
كأنَّهمْ مِنْ حولهِ ثعالبُ على الجبالِ إيَّلاً تُراقبُ
في الإيَّلِ القنَّاصُ سهماً أنشبا لكنَّهُ ما نالَ منهُ الأربا
فغابَ عنْ مرآهُ والثَّعالي مِنْ حولهِ تجري على التَّوالي
ترومُ فتكاً وهوَ لا يُرامُ يجري ولا يلويهِ الازدحامُ
فطالما تجري بهِ قوائمُهْ لا تلتوي لجرحهِ عزائمُهْ
لكنْ إذا ما الدَّمُ في الجُرحِ بردْ وعنْ خفيفِ الجري بالعيِّ قعدْ

(١) حيثما يبرز الشاعر اياس يبرزه رجل فعل لا رجل قول فهو على شدة بأسه قليل الكلام يصمت حيث ينطق غيره ولا يضيع ثانية من الزمن في الخطاب حيث تستفزه الكوارث للبطش والاقدام فهنا منيلاوس يستغيثه فيبادر ويقول بسرعة الاقدام ما لا يعبِّر عنه بكثرة الكلام

فازَتْ بهِ في الطَّوْدِ فوْقَ الغابِ إذا بلَيْثٍ فاتكٍ قضَّابِ
يَذْعرُها ذُعْرًا فتلْوي هرَبا وهْوَ بهِ يخلُو منالاً طيّبـاً
كذا أُذِيسُ وهْوَ ما بينَ العدى عنْ نفسهِ يدْفعُ بالرُّمحِ الرَّدى
بادرَ آياسُ بذيَّاكَ المِجنْ كالبُرْجِ يحْميهِ وقد كانَ وهنْ
ففرَّتِ الطُّرْوادُ في كُلِّ مفرْ ثُمَّ منيلا لذراعهِ ابْتدَرْ (١)
وَاجْترَّهُ منْ بينِ تلْكَ القتَلَهْ وتبِعَـهُ أدْنى إليْـهِ العَجلَهْ
وَصالَ آياسُ ودُورقلَ قتَـلْ نغْلٌ لفرْيامَ وفنْدُوقُوسَ فلْ
ثُمَّ لِسَنْدرًا وفيراسَ رَمى كذاكَ فِيلَرْتَ يفجِّرُ الدِّما
كالسَّيلِ منْ شُمِّ الجِبالِ انْدفقا تَمُطُرُهُ أنْواءُ زَفْسٍ غدَقا
يَفيضُ للسَّهْلِ زُعاباً يَنْدفِعْ والأرْزَ والمُلُّولَ عُنْفاً يقْتلِـعْ
وَلعُبابِ البحْرِ يدْفعُ الزَّبَدْ كَما أياسُ اشْتدَّ فيهِمْ واتَّقدْ
طغَا بذاكَ السَّهْلِ كالزُّعابِ يبتُّ ظهْرَ الرَّكْبِ والرُّكّابِ
وَهكطُرٌ في ثغرِ إسْكامنْدرِ يَصُولُ في صدْرِ الجَناحِ الأيْسرِ
يُقَضِّبُ الأعْناقَ وَسْطَ الفيْلقِ ولا يرى نَكالَ هذي الفِرَقِ
وَقدْ علا لَدَيهِ صوتُ اللّغبِ حوْلَ إذُومنٍ ونسْطُورَ الأبي
وهْوَ بمرْكبتهِ مُحْتَدِمُ كَتائبَ الفِتْيانِ حطْماً يحْطِمُ

---

(١) لايخفى على المطالع اللبيب ما في هذه التشابيه من دقة المغزى ورقة المعنى فالايل أوذيس والثعالب الطرواد والليث الفاتك آياس

لكنَّما جيشهما ما برحا　　يدفعُ حتى ماخوونَ جرحا
قد كان كالليثِ يصولُ وإذا　　في كتفهِ اليمينِ سهمٌ أنفذا
مثلثُ الاطراف للإسكندرِ　　زوجِ هلانة الجميلِ الشعَرِ
فقومُ أرغوسَ أولو الإقدام　　خافوا انقلابَ موقفِ الصدام
فيفتكُ العدى بذيّاك البطلْ　　فصاحَ إيذومينُ بادي الوجلْ:
« نسطورُ ياذا المجدِ والجلال　　هيّ فهبّنَّ على العجالِ
وسرْ وسوقنَّ إلى الأسطولِ　　بماخوونَ الماجدِ النبيلِ
هذا النطاسيُّ الذي يستخرجُ　　سهماً بكرّاتِ الصدامِ يولجُ
وفوقهُ يذرُّ بلسمَ الشفا　　بجحفلٍ يقاسُ إنْ تألَّفا »[1]
فهبَّ نسطورُ وما إن كذَّبا　　وبابنِ أسقليبَ حالاً ذهبا[2]
وساطَ والجيادُ كالطيرِ سعتْ　　تتوقُ للرجوعِ من حيثُ أتتْ
وقبريونُ تبعُ هكطورَ عرفْ　　منقلبَ الطرادِ في ذاك الطرفْ
أبصرهم من فوقِ عرشِ العجلهْ　　إزاءَ هكطورَ لذا أوعزَ لهْ:
« نحنُ هنا في طرفِ المعسكرِ　　نفتكُ فتكَ الباسلِ المدمّرِ

(١) كان ماخاوون طبيباً وجرّاحاً . ولنا هنا من كلام ايذومين مايدل على شدة رعايتهم للاطباء فلقد رأينا الملوك تتألم لجراحها والابطال تخر افراداً وزمراً ولم نرَ منهم اشفاقاً يوازي هذا الاشفاق على ماخاوون وقد ابنّا في غير هذا الموضع مكانة الطب والاطباء عندهم وهنا لنا دليل آخر على صحة ذلك القول

(٢) اسقليب ابو ماخاوون . (انظر رسمه ص : ٣٦٢)

وثَمَّ آياسُ المنايا نَشرا وَالخَيلَ وَالفُرسانَ ذُعرًا ذَعَرا
نَعَمْ فَذَا مِجَنُّهُ الكَبيرُ مِنْ حَولِ كِتفَيهِ أرى يَدُورُ
فَقُمْ نَسُقْ لِمأْذِقِ الهَيجاءِ حَيثُ عَلَتْ عَجاجَةُ الأَعداءِ
هُناكَ حَيثُ اصطَدَمَ الشُّجعانُ تَلاحَمَ المُشاةُ وَالفُرسانُ »
وَشَدَّدَ السَّوطَ على الجِيادِ فَاندَفعَتْ لِساحَةِ الجِلادِ
تَخبِطُ بالقَتلى و بالْيَلامِقِ على نَجيعٍ مِنْ خُطاها دافِقِ
حَتَّى جَناحا سُدَّةِ المَركَبَةِ وَقَوسُها مِنْ تَحتِ تِلكَ السُّدَّةِ
تَخَضَّبَتْ دَمًا بِنَقعٍ فائِرِ مِنْ دَورِ دُولابٍ وَوَقعِ حافِرِ (١)

---

(٣) قال ابو الطيب المتنبي واحسن

وخاض بالسيف بحر الموت خلفهمُ وكان منه الى الكعبين زاخرهُ
حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت في الارض من جثث القتلى حوافرهُ

ولشعراء العرب تصرف كثير بمثل هذا المعنى قال عنترة :

والخيل سود الوجود كالحةٌ تخوض بحر الهلاك والخطرِ

ولهُ ايضاً : وعاد بي فرسي يمشي فتعثرهُ جماجمٌ نثرت بالبيض والاسلِ

واحسن من ذلك قولهُ :

حتى رأيت الخيل بعد سوادها حمر الجلود خضبن من جرحاها
يعثرن في نقع النجيع جوافلاً ويطأن من نار الوغى عظماها

ومثله قول الحصين المرّي :

لدن غدوة حتى اتى الليل ما ترى من الخيل الا خارجيًا مسوَّما
يطأن من القتلى ومن قِصَدِ القنا خباراً فما يجرين الا تجشما

ولابي تمام من هذا القبيل :

واكتست ضمّر الجياد المذاكي من لباس الهيجا دماً وحميا

وَهكَطُرٌ لِلفتْكِ يَصْلَى نارا فغارَ ما بَينَ العِدى وثارا
يَطْعَنُ فيهِمْ قاتلاً مُجَنْدِلا حتَّى سَراياهُمْ جميعاً بَلْبَلا
وَظَلَّ كَرَّاتِ الوَغى يُجاري بالسيْفِ والعامِلِ والحجارِ
وَهوَ على ذَيَّالكَ البأسِ أَبَى لقاءَ آياسَ لذا تنكَّبا
خَشْيَةَ أَنْ يُغاظَ زَفْسُ إنْ برزْ لفارسٍ أَبْسَلَ منْهُ وأعزْ (١)
لكِنَّ زَفْسَ في المَقامِ الأَرْفَعِ رَوَّعَ آياسَ بِهَولِ المَصْرَعِ
فَدَهشاً أَطْرَقَ والجَوْبَ على كاهلهِ أَلْقى وعادَ وَجِلا
بِطَرْفِهِ جيشَ العِدى يُباري يَخْطُو وَيَنْثَني كَوَحْشٍ ضاري
وَخُطْوَةً فَخُطْوَةً يَلْوِي القَدَمْ كأَنَّهُ الضَّيْغَمُ في اللَّيلِ هَجَمْ
والنَّاسُ والكلابُ في الأَسْحارِ تَحْرُسُ حولَ عُنَّةِ الأَبْقارِ (٢)
تَسْهَرُ كُلَّ اللَّيلِ كي لا يَرْتَعا بشَحْمِها وَلَحْمِها وَيَرْجِعا (٣)
يَنْقَضُّ مَدْفُوعاً بِفَرْطِ السَّغَبِ لكِنْ يَفُوتُهُ نَوالُ الأَرَبِ
يَصُدُّهُ وَبْلٌ مِنَ النِّبالِ وَلَهَبِ المَقابِسِ المُنْهالِ
حَتَّى إذا ما الفَجْرُ لاحَ أَحْجَما مُكْتَئِباً مُرْتَعِداً مُحْتَدِما
وَهكذا أَياسُ مُلْتاعاً نَأَى عَنْ ساحةِ القتالِ والعَوْدَ ارْتأَى

(١) هذا البيت ساقط من بعض النسخ ولعله دخيل
(٢) العنة للبقر هي الحظيرة
(٣) لقد أحسن امرء القيس بوصف اللحم والشحم بقوله
وظلَّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهدّابِ الدمقس المفتّل

لِمَوْقِفِ السَّفائِنِ الحَدْباءِ　　يَخْشى عَلَيها كَرَّةَ الأَعْداءِ
يَمْشي الهُوَينامِثْلَ جَأْبٍ دَخَلا　　زَرْعاً مِنَ الحِنْطَةِ يَبْغي أُكُلا[١]
فَتَنْهَضُ الصِّبْيَةُ بِالعِصِيِّ　　تُسْحَقُ فَوقَ مَتْنِهِ القَوِيِّ
لٰكِنَّهُ ماكانَ كَي يَكْتَرِثا　　بِلَغَبِ الصِّبْيَةِ مَهْما عَبِثا
يَلْبَثُ في تِلْكَ المَراعي يَرْتَعُ　　وَيَنْثَني مُذْ يَكْتَفي وَيَشْبَعُ
وَهٰكَذا الطُّرْوادُ والأَحْلافُ　　مِنْ حَولِ آياسَ بِعَزْمٍ طافُوا
وَهْوَ يَصُدُّهُمْ بِجَوبٍ أَكْبَرِ　　أَلْبَسَ سَبْعَةَ جُلُودَ بَقَرِ
يُحْجِمُ حِيناً ثُمَّ حِيناً يَهْجُمُ　　بِبَأْسِهِ المُعْتادِ ثُمَّ يَهْزِمُ
وَصَدَّهُمْ في كُلِّ ذاكَ الزَّمَنِ　　صَدًّا ذَرِيعاً عَنْ بُلُوغِ السُّفُنِ
يَحْجِزُ مُشْتَدًّا على الأَعادي　　بَينَ الأَخائِيِّينَ والطُّرْوادِ
وَصَيِّبُ النَّيازِكِ القَتّالَهْ　　عَلَيهِ مِن أَيدي العِدى مُنْهالَهْ
فَبَعْضُها عَن شِدَّةِ العَزْمِ حُذِفْ　　يَغِلُّ غَلاًّ وَعلى التُّرْسِ يَقِفْ

---

(٢) الجأب الحمار — قدكان هذا التشبيه على بلاغته مما انتُقد بسطه على هوميروس على انه فات المنتقدين ان الشاعر يتكلم بلسان قوم لم يكن الحمار ممتهناً في عرفهم . ولا شك ان هذا الامتهان حديث العهد . فان العرب وهم ارباب الانفة لم يأنفوا من ان يلقبوا الخليفة مروان بالحمار اعظاماً لبأسه وصبره على المكاره والشدائد . وفي التوراة ان يعقوب لما بارك ابناءه لقب ابنه ايساكر بالحمار الضخم . واي مثال اصدق من هذا المثال لوصف بطل كاياس تتألب عليه الجموع فلا يبالي بل يثبت في مكانه ثبوت الحمار الجائع العابث بالزرع فلا تهوله عصي الصبية وزعقاتهم ولا ينثني الا وقد قضى وطره كما ترى في الابيات التالية

وبعضها عنه منالا قصرا مرتكزا يغوص في قلب الثرى[(١)]
ولم يكد يراه أوريفيل حتى انبرى لرفده يصول
أتاه لا يعبأ بالسهام تنهال فوقه كوبل هام
وأرسل المزراق من حيث انطلق وافمون القرم في العنف اخترق
كبده مزق ثم راحا يسلبه الشكة والسلاحا
فانتهز الفرصة فاريس وقد أشغل أوريفيل في تلك العدد
في حقه أنفذ سهما فانكسر نضيه والدم بالجرح انفجر[(٢)]
لصحبه التوى يبرّاح الألم يأبي الردى وصاح ينهض الهمم :
« يا نخبة الابطال جند الباس قفوا ادفعوا الحمام عن أياس

---

(١) لم أر وصفاً شعرياً لبطل من الابطال في الالياذة وغيرها ابلغ من وصف اياس في هذا الموضع فان الشاعر ابرزه في اول امره دهشاً مطرقاً هاماً على الرجوع بصولة زفس الالاه الاعظم . ولم يكن شيء يتهيب له لولا تلك الهيبة العلوية . وهو مع ذلك يباري العدو ويثني خطوة فخطوة ملتوياً كالضيغم تتألب عليه الرجال من كل صوب فلا يهوله تألبها وتنهال عليه النبال فلا يروعه انهيالها ويلبث صابراً ليلته حتى اذا لاح الصباح ولم يبلغ منيته ارتد كئيباً يحرّقه الغيظ . ولم يكفه الدفاع عن نفسه بل بقي وهو في تلك التهلكة يفكر في رد هجمات الاعداء عن السفن فكان يلتوي امامهم ويمشي الهوينا غير مرتاع لوبل نبالهم ومر قتالهم كانهم نسبة اليه غلمان تكأكأت على حمار يرعى زرعاً وقد برّح به السغب فيحجم ويهجم بثبات ولا ثبات الاسود . فحمى نفسه وقومه وسفنه وفعل وحده ما تعجز عنه الفيالق والقى في قلوب العدى هيبة ولا هيبة كل جيشه المجتمع ومع كل هذا فلم تغن بلاغة شاعرنا وحسن تصرفه عن انتقاد المنتقدين

(٢) النضي النصل

وَحوْلَهُ تَأَلَّبُوا فَخَشْيَتي　　يُصْميهِ وَبْلٌ مِن سِهامٍ صُبَّتِ »
وَمُذْ اذ ذلك النّداء انْصَدَعُوا　　حَوْلَ أُرِيفِيلَ الجَرِيحِ اجْتَمَعُوا
وَدُونَ أَيْدٍ جُلْنَ بالعَوامِلِ　　يَلامِقٌ أُلْصِقْنَ بالكَواهِلِ (١)
وَانْضَمَّ آياسُ إِليهِمْ وَانْقَلَبْ　　وَاشْتَدَّ وَقْعُ الحَرْبِ والطَعْنُ انْتَشَبْ
وكانَ آخيلُ على البُعدِ رَقَبْ　　وفي مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ انْتَصَبْ (٢)
يَشْهَدُ ما قد حلَّ بالأَبطالِ　　مِنْ قومِهِ مِن مِحَنِ القِتالِ
أَبْصَرَ نَسْطُورَ الحَكِيمَ انْطَلَقا　　عَلى الجِيادِ السَّابِحاتِ عَرَقا
مَعْ ماخَوُونَ يَنْهَبُ الطَّرِيقا　　فَعَرَفَ السَّائِقَ والرَّفِيقا
صاحَ بِفَطْرُقْلَ فَمِنْ خَيمَتِهِ　　لَبَّى وهذا مُبْتَدا مِحْنَتِهِ (٣)
كآرِسٍ من بابِهِ صاحَ: « وما　　رُمْتَ ابنَ فِيلا من نِداءِي لِلحِمى »
قال آخيلُ: « يا أَوَدَّ الخَلْقِ لي　　قد بَلَغَ الإِغْرِيقُ أَقْصى الفَشَلِ

(١) اليلامق التروس

(٢) ينتقل بنا الشاعر هنا كجاري عادته الى مشهد آخر بعد ان اطال في ذكر الفتك والسفك والكر والفر فيوطىء لنا باسلوب حسن الى ارعواء اخيل . فالازمة قد اشتدت في جيش الاغريق وباتوا على شفا جرف المهالك واعتزل الكفاح خيرة حكمائهم كنسطور واوذيس وامرائهم كاغاممنون وذيوميذ واوريفيل وبرحت بهم الجراح فامسوا لا يصلحون للكر والكفاح وزد على ذلك إعراض الآلهة عنهم وموالاة زفس لاعدائهم فكانت من ثم جميع الظواهر تشير الى شر العقبى . وهو تصرف بديع من الشاعر بغية ان يزيد في هيبة آخيل ويظهر شدة حاجتهم اليه ويبرز فطرقل بمظهر لا يفوقه مظهر انسان بالحماسة والغيرة والحنان واخيراً بالبأس وحسن السياسة

(٣) أي محنة فطرقل . في ذلك اشارة الى ان فطرقل سيقتل على ما سيجيء

عَلى دَنيِّ رُكْبَتَيَّ صُغْرا　سَيَنْحَنُونَ سائِلِينَ عُذْرا
والآنَ نَسْطوراً قَصَدُنَ مُسْرِعا　وسأَلهُمْ أيّ جَرِيحٍ رَجَعا
ما إِنْ نظَرْتُ وَجْهَهُ لكِنَّهُ　أَشْبَهُ ماخَوُونَ طِبْقاً مَتْنَهُ (١)
قد مَرَّتِ الجِيادُ مِنْ أَمامي　طائِرَةً لِمَضْرِبِ الخِيامِ »
وَلَمْ يَكَدْ يُتِمُّ حَتَّى كَرّا　فَطَرْقَلُ يَعْدُو ويُلَبِّي الأَمْرا
وَنَسْطُرٌ وماخَوُونُ وَصَلا　خَيمَةَ نَسْطُرٍ بِها تَرَجَّلا
وتابِعُ الشَّيخِ أُرِيمِيدُونُ حَلْ　جِيادَهُ وذَهَبا بِلا مَهَلْ
يُنَشِّفانِ العَرَقَ السَّيالا　عَلى نَسِيمِ البَحرِ ثُمَّ مالا
لِخَيمَةِ الشَّيخِ وفيها جَلَسا　وهيكَمِيدا بِنْتُ أَرْسِينُوسا
(تِلكَ الرَّبَحْلَةُ البَدِيعَةُ الشَّعَرْ　لِنَسْطُرٍ كانت نَصِيباً مُدَّخَرْ
أُهْدِيَها جَزاءَ رَأْيٍ أَصْوَبا　لَمَّا أَخِيلُ تِينِدُوسَ خَرَّبا)
قامَتْ لإِعْدادِ الشَّرابِ عامِدَهْ　لَدَيْهِما تَنْصِبُ أَبْهى مائِدَهْ

(١) متنه بدل بعض من كل من مخاوون ـ كل كلمة من كلام اخيل تمثل شدة الغيظ وحدة الحقد والكيد فهو مع كل ما نال الاغريق من الفشل لم يرقّ لهم ولم يخفف من سورة غضبه ولا يزال جانحاً الى الانتقام ٠ ولا شك انه ابصر كل ما حلّ بهم فلم يحرك فيه كل ذلك عاطفة ٠ وان كان احب استطلاع امر ماخاوون فذلك لود خاص به ٠ وقد تعددت اقاويل الشراح في سبب ذلك الود ولم يقل احد منهم في ما نعلم ان ماخاوون كان اقرب الى اخيل بصناعته من سائر الجند لان اخيل وان لم يكن بنفسه طبيباً معروفاً في زمانه فلقد كان يسره ان ينتمي الى زمرة الاطباء لما كان لهم من المكانة على ما رأيت ٠ ولا شك انه كان قد درس تلك الصناعة واخذ منها شيئاً كثيراً عن استاذه خيرون وكانت له معرفة خاصة ببعض اسرارها كما سيأتي بعد ابيات

جَمِيلَـةً مَصقُولَةَ القَـوائِمِ زَرْقاءها تَنبذُ لَوْمَ اللائِمِ
مِنْ ثَمَّ أَلْقَتْ فَوْقَها دَسِيعَهْ مُؤَلَّقٌ نُحاسُها بَدِيعَهْ (١)
وَمَزَجَتْ فيها على الفورِ البَصَلْ وخالِصَ الدَّقيقِ مَعْ صافي العَسَلْ
وَوَضَعَتْ إِزاءَها كُوباً أَغَرْ كانَ لَدى نَسطُورَ مِنْ قَبْلِ السَّفَرْ
وَهْوَ على قائمَتَينِ انْتَصَبا وَبِمَسامِيرِ النُّضَارِ الْتَهَبا
وَفَوْقَ كُلٍّ مِنْ عُراهُ الأَرْبَعِ طَيْرُ حَمامٍ مِنْ نُضارٍ أَلْمَعِ
وَذلكَ الكُوبُ اذا ما يَطْفَحُ هَيْهاتَ غَيْرُ نَسْطُرٍ يُزَحْزِحُ
لكِنَّما ذَيَّالِكَ الشَّيْخُ الصَّفِي يَحْمِلُهُ حَمْلاً بِلا تَكَلُّفِ (٢)
وَراحَتِ الصَّبِيَّةُ السَّبِيَّهْ بِحُسْنِها كالرَّبَّةِ السَّنِيَّهْ
تَصُبُّ فيهِ خَمْرَ إِفْرَمْنا على ماءٍ وَفَوْقَهُ تَفُتُّ عَجِلا
بِمِبْرَدِ النُّحاسِ جُبْنَ السَّخْلِ وَتَقْتُلُ المَزِيجَ خَيْرَ قَتْلِ (٣)
وَفَوقَهُ ذَرَّتْ دَقِيقاً صافي ثُمَّ دَعَتْهُما لِلارْتِشافِ
فَشَرِبا وارْتَوَيا وجَلَسا وَبِأَطارِيفِ الحَدِيثِ أَنِسا
إِذا بِفَطْرُقْلَ كَرَبٍ ظَهَرا في البابِ فالشَّيْخُ رَأَى وأَبْتَدَرا

(١) الدسيعة الجفنة الكبيرة

(٢) تضاربت أقاويل الشراح في هذا القول اذ لا يعقل ان نسطور وهو شيخ عاجز يقوى على حمل ما لا يحمله غيره ولا اخال هذين البيتين الا دخيلين · وهما من الالياذة نفسها ومعناها منقول عن محل آخر

(٣) السخل هنا العنز

وَقامَ عَنْ سُدَّتِهِ الوَقَّادَهْ بِيَدِهِ يَأْخُذُ حُكْمَ العادَهْ
ثمَّ دَعاهُ لِلْجُلُوسِ فَأَبى وقالَ: « يامُرِيدَ زَفْسَ الأَنْجَبا
عَفْواً فَلَسْتُ بِمُلَبِّي الأَمْرِ فَشأْنُ آخِيلَ نَظِيرِي تَدْرِي
قديَصْطَلِي عَفْواً بِسَوْرَةِ الغَضَبْ وَيَتَّهِمُ البَرِيءَ عَن غَيْرِ سَبَبْ
سَيَّرَنِي أَسْأَلُ مِنكَ الخَبَرا بِأَيِّ مَجْرُوحٍ أَتَيتَ مُدْبِرا
سَأُقْفِلَنَّ رَاجِعاً ذا الحِينا مُذْقَدْعَرَفْتُ الشَّهْمَ ماخُوْنا »
فقال نَسْطُورُ « وأينَ يلْقَى أَخيلُ بالإغْرِيقِ هذا الرِّفْقا
أَما رَأى أَنَّ فَناهُمْ بادِ وَاشْتَمَلوا بِحُلَّةِ الحِدادِ
وَخَيْرُ مَنْ فِيهِمْ فَقِي الأَشْراعِ بَيْنَ جَرِيحٍ وَطَرِيحٍ ناعِي
فَذا أَبُو البَأْسِ ذِيُومِيذُ البَطَلْ أَلَمَّهُ السَّهْمُ وبالرَّغْمِ قَفَلْ
وذاكَ أُوذِيسُ وأَتْرِيذُ خَرَقْ جِسْمَهُما العامِلُ والدَّمُ انْدَفَقْ
وهاكَ أُورِيفِيلَ بالعُنْفِ انْكَسَرْ بِفَخْذِهِ نَبْلٌ بِهِ الجُرْحُ انْفَجَرْ
وها هُنا تَرى الكَمِيَّ الباسِلا بِهِ جَرِيحاً جِئْتُ تَوّاً قافِلا
لكِنَّ آخِيلَ عَلى شِدَّتِهِ لَيسَ يُبالِي بِبَنِي لُحْمَتِهِ (١)
أَمُتَقاعِساً يَظَلُّ حَتَّى يَبْتَتَّنا سَيفُ الأَعادِي بَتّا
وَتَلْهَبَ النِّيرانُ بالأُسْطُولِ تُبِيدُها بالجُنْدِ والقُيُولِ
وا أَسفا الشَّبابُ وَلَّى وَمَضى والبَأْسُ والإِقْدامُ عَنِّي أَعْرَضا

(١) اللحمة القرابة

وفاتني الإِبلاءُ والإِيقاعُ كما أستطالت قبلُ منّي الباعُ[1]
يومَ الإِليُّونَ على صُوارنا سطَوا فاجتَّحنا لظَى أُوارنا
صلْنا عليهمْ واغْتَنمْنا البقَرا فجاءَنا إيتُومِنٌ مُستَعِرا
إِبنُ هفِيرُوخَ الذي قد كانا يحكمُ في أَليذةَ السُّكّانا
فنالَ منّي طعْنةً نالَ الرّدى بها وولّى القومُ طرًّا شُرَّدا
وخلَتِ الأنعامُ في السهْلِ لنا خمسُونَ سِرْباً ماعزًا مُسمَّنا
ومثلُها منْ أحسَنِ الأَبقُورِ ومثلُها منْ أَسمَنِ الخنْزيرِ
ومثلَ ذا الغَنيمَ سُقْنا في الغلَسْ ومئةً أيضاً وخمسينَ فرَسْ
شقْراءُ طرًّا تُرضِعُ الأَمهارا سُقْنا لِفيلُوسَ نَؤُمُّ الدّارا

(١) لاينفك نسطور يتحسر على شبابه تحسر منصور النمري بقوله :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولاجزعُ
اذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ
بان الشباب وفاتني بشرّته
صروف دهر وأيام لها خدعُ
ما كنت اوفي شبابي كنه غرته
حتى انقضى فاذا الدنيا له تبعُ

ويفتخر بسابق بأسه افتخار معارك بن مرة العبدي بقوله :

أتطمع في هضمي لدن شاب عارضي
وقد كنت آبى الضيم اذ انا امردُ

هرقل ساعة راحة

كُنتُ فتًى واهتزَّ نيلا طرَبا — أبي لعَوْدي غانمًا مُكتسبا
وصاحتِ الدُّعاةُ في مَنْ طلَبا — منْ ذِمَّةِ الأعْداء مالاً سُلِبا
فاحتَشَدُوا واقتسَمُوا القَليلا — وذاكَ نَذْرٌ منْ كَثيرٍ نيلا
حيثُ الإفيُّونَ على قِلّتِنا — صالُوا بفِيلوسَ على جُملتِنا
وَقبلَ ذا بأحْوُلٍ قد صالا — هِرَقلُ فينا يذبحُ الأبطالا
وَمنْ بَنى نيلا وكانوا اثنَيْ عشَرْ — سوايَ لمْ يبْقَ لديهِ ابنٌ ذَكَرْ
فزادَنا العدُوُّ غدْرًا واعتسَفْ — وبأساليبِ اللذّاداتِ قذَفْ
وفي اقتسامِ الكسْبِ نيلا أفرَزا — قَطيعَ أبقارٍ لهُ وأحرَزا
سربَ شياهٍ برُعاتِها التي — أبقى لهُ ترْعى ثلاثمئةِ
فذمّةُ الأعداءِ كانتْ مثقَلَهْ — لهُ بدَينٍ رامَ أنْ يحصّلَهْ
إذْ كانَ قد أرسَلَ للسّباقِ — أربعةً منْ أكرَمِ العتاقِ
يأمُلُ أنْ يفوزَ بالرّهانِ — بقدْرهمْ وندَبِ الفُرسانِ (١)
لكنَّ مولى النّاسِ أفغياسا — معتسِفًا قد حبَسَ الأفراسا
كذلكَ المرْكبةَ الغرّاءَ — والسّائقُ المُستاءُ فذًّا جاءَ
لذاكَ نيلا اغتمَّ والوفْرَ ادّخَرْ — ووزّعَ الباقي بعدْلٍ وأمَرْ
بأنْ نُضحّي لبَني الأرْبابِ — شُكرًا على أطايبِ الأسلابِ

(١) الندب هو خطر الرهان في السباق وهي عادة كانت جارية لهم كما كانت في جاهلية العرب ويقال انهم كانوا يجرون فيها على غير نمط السباق في الالعاب الاولمبية التي شاع امرها بعد ذلك الزمان

وثالثَ الأَيامِ فاجانا العِدى بخيلِهِمْ لا يُحصَرُونَ عدَدا
وَالمُلْيُنانِ قائدا الفرسانِ غرَّانِ للطِّعانِ جاهلانِ
وفي ثغورِ أَلفيا في طَرَفِ فيلُوسَ قامت فوقَ تلٍّ مُشرِفِ
بَلْدَةُ إثريُونَ حاصرُوها يَبغُونَ بالعَنْوَةِ أَنْ يُفنُوها
وفي الدَّياجي انحدرتْ أَثينا وَهُمْ بذاكَ السَّهْلِ يضربُونا
وَنبهَتْنا للوَبالِ المُحدِقِ فَهَمَّ بالهمةِ كُلُّ الفيلَقِ
وخالَني نيلا صبيًّا غِرَّا وخافَ أَنْ أَكُرَّ فيمَنْ كَرَّا
فَخيلِيَ الجيادَ أَخفى وَحظَرْ عليَّ أَنْ أَجْرِيَ على ذاكَ الأَثَرْ
فراجلًا بعونِها سرتُ ولي كانَ لدى الفُرْسانِ أَسمى منزلِ[(١)]
سِرْنا الى حَيثُ لدى آرينسا يصبُّ نَهرٌ قد دعَوا مينيسا
للفجرِ ظلَّتْ ترقُبُ الخيَّالَهْ تَعقبُها كتائبُ الرَّجَّالَهْ
ثُمَّ تكتَّبْنا وعِندَ الظُّهْرِ طرًّا نزَلنا فوقَ قُدْسِ الثَّغْرِ
مِنْ ثَمَّ أَعدَدْنا الضَّحايا الغُرَّا لِزَفْسَ نستَمِدُّ منهُ النَّصْرا
وأَلْثِسُ النَّهْرُ لهُ أَذكَينا عِجلًا كذا بآخرٍ ضحَّينا
لِفُوسِذٍ وعِجْلَةً تبيعَهْ لِرَبَّةِ الحِكْمَةِ والشَّفيعَهْ
ثُمَّ تناوَلْنا الطَّعامَ ورَقَدْ كُلٌّ مُدَجَّجًا على ذاكَ الجَدَدْ
وحالَما بَراحُ مِن خبائِها للأَرضِ أَرسَلَتْ سَنا ضيائِها[(٢)]

---

(١) بعونها اي بعون أثينا وهي وليته وولية اوذيس في كل مغازيهما

(٢) براح علم للشمس • والجدد في البيت السابق الشاطىء والعجلة التبيعة في

بِزَفْسَ لُذْنا واثينا ومضى لِلحَرْبِ جَيْشُنا على ذاكَ القضا
أَمَّا الإِفيُّونَ فَحوْلَ البَلَدِ تَأَلَّبوا بِعَدَدٍ وعُددِ
فَتْحاً يَرُومونَ وَلكِنْ نَظَرُوا شِدَّةَ آرِيْسَ بنا وذُعِرُوا
فأَوَّلُ الفُرْسانِ مَطْعُوناً وَقَعْ بِنَصْلِ رُمْحِي عِنْدَما نَحْوِي اَنْدَفَعْ
(مُلِيُوْسُ وَهُوَ صِهْرُ أَفْغِيَاسَ وبَعْلُ آغاميذَةِ الإِيناسِ
مَن كُنْهَ نَبْتِ الأَرْضِ طرًّا سَبَرَتْ وَلِلْعَقاقِيرِ جَمِيعاً خَبَرَتْ)
جَنْدَلْتُهُ فَخَرَّ مِنْ مَرْكَبَتِهْ وَوَاثِباً عَلَوْتُ فِي مَنَصَّتِهْ
وصِلْتُ صَدرَ الجَيْشِ والأَعْداءِ وَلَّوْا وَفِيهِمْ عَلَتِ الضَوْضاءُ
راعَهُمُ أَنَّ زَعِيمَ العَجَلِ وَأَبْسَلَ الأَبْطالِ بالحَتْفِ بُلِي
وَفِيهِمِ هَبَبْتُ كالإِعْصارِ أَذْبَحُ كُلَّ سارِحٍ وَسارِ
وَفَوقَ خَمْسِينَ مِنَ العِجالِ بِثِنَةٍ مِنْ أَمْنَعِ الأَبْطالِ
فتَكْتُ طاعِناً وأَوْلَيْتُ الرَّدى وَمِنْهُمُ اَغْتَنَمْتُ تِلْكَ العُدَدا
وَكِدْتُ أُولِي وَلَدَيْ أَكْتورا ومُلْيَنا بِعامِلي الثُّبُورا
لَكِنَّما جَدُّهُما فُوسِيذُ في مُكَثَّفِ الضَّبابِ فِيهما خَفي
وَلَمْ نَزَلْ نَكْسأُهُمْ فِي السَّهْلِ ونَصْرُ زَفْسٍ فَوقَنا يَسْتَعْلِي
نَذْبَحُهُمْ ونَسْلُبُ السِّلاحا والخَيْلُ فِينا تَنْهَبُ البِطاحا
حَتَّى وَطِئْنا أَرضَ بُفْراسا النَّعَم وَصَخْرَ أُولِينِيسَ ذلكَ الأَشَمّ

البيت الذي قبله العجلة لحول واحد

وعنـدَ تـلّ آلسٍ أثينا　　بدَتْ لعودٍ عاجلٍ تدعُونا
عُدْنا ولكنْ بعدَ ما بمخفقي　　حتفاً لقِي آخرُ جُنْديٍّ بقي
وفي مآبنـا الأخائيُـونا　　شكراً وحمداً كلُّهمْ يُسْدُونا
لزفسَ في الأربابِ أبناءِ العلى　　وللفتى نسطُورَ ما بينَ الملا
فذاكَ شأني كانَ يومَ المحنِ　　إنْ لمْ يكنْ كالحلْمِ ماضي الزمنِ (١)
لكنْ أخيلُ ليسَ بالشـفيقِ　　وسوفَ يبكي نكبَةَ الإغريقِ
فاذْكرْ منتيُوسَ وماقالَ لكا　　في إفثيا الفيحاءِ مذْ أرسلـكا
ألمْ أكنْ وأوذِسٌ في القصْرِ　　نسْمعُ ما تسْمعُهُ من أمْرِ
يومَ ذهبْنا نحشـدُ العمالا　　بينَ الأخائيينَ والأبطالا
ودارُ فيلا كنتَ معْ أبيكا　　فيها وآخيـلُ الفتى يليكا
والشيخُ فيلا في فناءِ الدارِ　　مؤجّجٌ فيها لهيبَ النـارِ
يحرقُ أفخاذاً منَ الثـيرانِ　　لزفسَ يسترْضيهِ بالقُرْبانِ
وفوقها يريقُ منْ كأسِ الذهبْ　　مُدامةً سوداءَ منْ صافي العنبْ
وأنـتمُ اللحُومَ تقطعُونا　　من مدْخلِ البابِ نظرْتمُونا

---

(١) هذا من التشابيه المتواترة في كل الالسنة • قال ابو تمام :

ثم انقضت تلك السنون واهلها　　فكأنهـا وكأنهم احـلامُ

ومثله قول البحتري :

وايامنا فيـك اللواتي تصرمت　　مع الوصل اضغاثٌ واحلام نائم

فَقامَ آخيلُ وفي أَيدِينا أَمسكَ راجياً بنا يدعُونا
وإِذْ قضَينا مِنْ شرابٍ ضافي وَخيرِ زادٍ حقَّ للأَضيافِ
إِليكُما وَجَّهتُ قولي عَلَنا فرُمتُما اللَّحاقَ في الحالِ بنا
فقالَ فيلا لِآخيلَ: «يا ابُني برِّزْ على الأَقرانِ يومَ الطَّعنِ»
«ثُمَّ منِتيُوسُ تَلا يقُولُ: «رَفيقُكَ الباسلُ ذا أَخيلُ
«فاقكَ بأساً نسباً وقدرا وزدتَهُ عُمْرًا وزدتَ خبْرًا
« فَانصحهُ خيرًا ولهُ كُنْ مُرشدا يُطعْ لما تُريهِ من سُبُلِ الهُدَى» (١)
فذاكَ أَمرُ الشيخ لكنّي أَرى أَنَّكَ قد نَسيتَ أَمرًا أَمرا
بلِّغْ أَخيلَ قبلَ إِدراكِ الدَّرَكْ قولي عَساهُ مُصغِياً يذعنُ لكْ
فرُبَّ ربٍّ مالَ للترفُّقِ والخيرُ في نُصحِ الرَّفيقِ المُشفقِ
وإِنْ يكنْ يخشى حلُولَ البُؤسِ بوحيِ ثيتيسَ لهُ عن زفْسِ (٢)
فبكَ فليَبعثْ مع المرامِدَهْ عَسى بكُمْ لنا تتمُّ الفائدَهْ
والْبسْ سلاحهُ عَسى الطَّرْوادُ يرُوعهُمْ لذلكَ الجلادُ
إِنْ نظرُوهُ فيكَ والإِغريقُ يبدُو لهُمْ للرَّاحةِ الطَّريقُ

(١) انما ذكر نسطور فطرقل بذلك ليبين له انه لايبرّؤه من تبعة تقاعد اخيل ليزيده همة على استنهاض همته

(٢) هذا تهكم لطيف على اخيل ورميٌ له بالجبن لان ثيتيس كانت اوحت الى ابنها انه يقتل في هذه الحرب وهي ابلغ عبارة نطق بها نسطور في كل هذا الخطاب وادعاها الى استنفاره

جَيْشُكَ إذْ مَلَّ مِنَ القُعُودِ يَبْطُشُ في جَيشِ العِدى المَجْهُودِ
بِذا تَقِي السَّفِينَ والخِيمَ وعَنْ عاتِقِنا تَدْرأُ أثْقالَ المِحَنْ » (١)
لِذاكَ فَطْرُقْلُ اساً تَفَطَّرا وَكَرَّ يَبْتَغي أخيلَ مُخْبِرا
وإذْ لِأشْراعِ أُذِيْسَ عَرَضا حَيثُ أقامَ القومُ دِيوانَ القَضا
حَيثُ أحَلُّوا مَجْلِسَ الأعْيانِ ونَصَبُوا مَذابِحَ القُرْبانِ
بَدا أُرِيْفِيلُ لَدَيهِ عارِجا مِنْ ساحةِ الحَرْبِ جَرِيحاً عارِجا (٢)
يَرْشَحُ مِن جَبِينِهِ سَيلُ عَرَقْ والسَّهْمُ بادِعَضَلَ الحُقِّ اخْتَرَقْ
والدَّمُ أسْوَداً سَخِيناً يَجْرِي لكِنَّهُ مُعْتَصِمٌ بالصَّبْرِ
فَرَقَّ فَطْرُقْلُ لِذاكَ المَنْظَرِ وقالَ مُلْتاعاً لِهَولِ المَخْبَرِ :
« وا أسَفا يا زُبْدَةَ الأغارِقِ أتُهْلِكَنَّكُمْ ظُبى الخَافِقِ (٣)
عن دارِكُمْ نائِينَ والأصْحابِ لِتَذْهَبُوا مَطاعِمَ الكِلابِ
قُلْ لي أُرِيْفِيلُ أفي الإغْرِيقِ بَقِيَّةٌ لِعَبْرِ ذا المَضِيقِ

(١) ان هذا الخطاب مع ما في مقدمته وخاتمته من الحكم البليغة لايخلو من دواعي الانتقاد لاسهاب نسطور بحديث طويل عريض لم يكن له موضع هنا لان الموقف موقف حرج لامجال فيه لهذا الاكثار مهما دافع المدافعون عن شاعرنا . ولكن فيه مع ذلك خلا الفوائد التاريخية فائدة اخلاقية تعلمنا ان الشيخ العاجز يجنح الى كثرة الكلام مهما وفرت حكمته وعظمت مهابته . واذ لايبقى له سبيل الى اتيان الاعمال الخطيرة وابراز الهمم الكبيرة فلا اقل من ان يفخر بما سبق له من صلب الذراع وطويل الباع

(٢) عارجا الاولى من العرج والثانية من العروج اي الميل

(٣) ظبى الخافق اي مناصل السيوف

أَمْ ثقلتْ وطأةُ هكطورَ فلا ... مَردَّ للخزي الوبيلِ فشلا»
قالَ: «فبلْ قدْ قُضيَ الأمرُ ولا ... مناصَ وانظرْ تلقَ خيرَ النُبلا
بينَ جريحٍ وطريحٍ غادي ... وقوَّةُ الطُروادِ في ازديادِ
هيَّ أغثني واصحبني للخيمْ ... واخرجِ السهمَ يزلْ عنّي الألمْ
والجرحَ فاغسلهُ بماءٍ فاترِ ... واسكبْ عليهِ بلسمَ القناطرِ
سرٌّ حفظتَ عنْ أخيلَ وهوَ عنْ ... أستاذهِ خيرونَ في ماضي الزمنْ
أمّا طبيبانا فمُوذا ليرُ ... ما بينَ ذرّاعِ العدى محصورُ
وماخوونُ ذاكَ بادي العطبِ ... في حاجةٍ أضحى الى التطبُّبِ»
فقالَ فطرُقلُ: «سرى الوبالُ ... ويلاهُ ما الحيلةُ والمآلُ
فها انا أمضي الى أخيلِ ... أُبلغُ قولَ نسطرَ النبيلِ
لكنْ أراني عنكَ غيرَ ناءِ ... وأنتَ تحتَ الأزمةِ اللأواءِ»
ومنْ ذراعيهِ بلطفٍ حملَهْ ... ولخيامهِ سليماً أوصلَهْ
ومذْ لدى الأتباعِ في القربِ ظهرْ ... مدُّوا لهُ الفراشَ منْ جلدِ البقرْ
ألقاهُ فطرُقلُ عليهِ وقطعْ ... بالسيفِ نصلَ السهمِ منْ حيثُ وقعْ
وغسلَ الجرحَ وعرقاً مُرّا ... بيدهِ فتَّ وحالاً ذرّا
فالتأمَ الجرحُ وأوقفَ الدمُ ... وأورفيلُ زالَ عنهُ الألمُ



النشيد الثاني عشر

واقعة الخندق

مُجْمَلُه

استظهر الطرواد على الاغريق فدفعوهم الى داخل معقلهم وهزموهم الى سفنهم والقى هكطور الرعب في قلوبهم فخارت عزائمهم وهانت قواهم . أما هكطور فدفعته الحمية الى اجتياز السور والخندق الى السفن فهيأ قومه لذلك وارتأى فوليداماس ان يترجل الجميع ويندفعوا مرة واحدة مشـاة فاستصوب الطرواد رأيه وتكتبوا خمس كتائب كل كتيبة بزعامة رئيسها الا آسيوس فانه ظل على مركبته فقتل . ولما اندفع الطرواد الى أبواب المعقل وقف اصدهم بطلان من أبطال اليونان فابرزا من البسالة ما يفوق الوصف . واذ أوشك هكطور ان ينقض على المعقل ظهرلهم على ميسرة الجيش الطروادي نسر ممسك بمخالبه حية حيّةً فارتاع فوليداماس لذلك وأشار بالكف عن القتال . فوبخه هكطور ولبث على كرته فثبت الاغريق في موقفهم وأمطروا على الطرواد وبل نبال وامتاز الاياسان بالبأس والبطش بين الاغريق كما امتاز سرفيدون وغلوكوس بين الليقيين نجاد الطرواد . ثم جرح غلوكوس فانهزم وبقي سرفيدون وحده فخرق السور وفتح منفذًا فيه لجماعته فكادوا ينفذون فيه لولا بسالة آياس . فكثر الفتك والقتل فانحاز حينئذ زفس الى الطرواد وتقدم هكطور ورمى بصخر على أحد الابواب فسحقه وولج مع كل جيشه معسكر الاغريق ولم يزل يتعقبهم الى ان لجأوا الى سفنهم



النشيد الثاني عشر

فَطْرُقْلُ عِندَ أُرِيفِيلٍ بخَيمتِهِ　　يُعْنى بِهِ ويُداويهِ بحِكْمتِهِ
والحَربُ في مأزقٍ ضاقتْ مسالِكُهُ　　على الفريقَيْنِ أَلْقى ثِقْلَ وَطْأَتِهِ
أَمَّا الأَغارِقُ فالحُصْنَ المَتينَ بَنَوا　　والخَنْدَقَ احْتَفَرُوا من حولِ خِطَّتِهِ
لِيَدْفَعُوا عَن خَلاياهُمْ ومَحْمَلِها　　مِنَ الغنائِمِ ما يَغْلو بقيمتِهِ

لكِنَّهُمْ حينَ شادُوا سُورَهُمْ غَفَلُوا　　عَنِ الضَّحايا مِئاتٍ بِئْسَ ما فَعَلُوا
فما إذا هُوَ واقيهمْ بِمَنْعَتِهِ　　مِنَ الأَعادِي إذا كَرُّوا وإنْ حَمَلُوا
فلا يَقُومُ بناءٌ لا تُحيطُ بِهِ　　عَينُ العِنايةِ إلا شابَهُ الخَلَلُ (١)
قد دامَ مادامَ هَكْطُورٌ وما بَقِيَتْ　　إِلْيُونُ واشْتَدَّ آخِيلٌ بنَفْرَتِهِ

وعِندَ ما فُتِحَتْ إِلْيُونُ وانْدَثَرَتْ　　مِن بَعدِ عَشْرَةِ أَعوامٍ بِها حُصِرَتْ
والأَرْغُسِيُّونَ هاتيكَ السَّفائنِ في　　مَن عاشَ مِنهُمْ إلى أَوطانِهِمْ مَخَرَتْ
فُوسِيذُ فورًا وآفُلُّونُ انْحَدَرا　　وكُلُّ أَنهارِ إيذا فَوْقَهُ انْحَدَرَتْ
رِيسُوسُ رُودِيسُ قارِيسُ إِيسِفُسُ　　والهَفْتَفُورُ بِضافي سَيلِ ضَفَّتِهِ

---

(١) هذا اشبه شيء بقول المزامير : ان لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون وان لم يحرس الرب المدينة فباطلاً يسهر الحرّاس . ويقرب منه قول الشاعر العربي :

كذلك من لم يشكر الله لم تزل　　معالمه من بعد ساحته تعفو

والإسكمندرُ إغرانيقُ يتبعهُ — وسيمويسُ أنجلى يهوي تدفعهُ
عن جنّةٍ سطعتْ أو بيضةٍ لمعتْ — أوقرنِ ربٍّ بذاكَ الجدّ مصرعهُ (١)
وفيبسُ حوّلَ الأنهارَ قاطبةً — عليهِ تسعةَ أيامٍ تزعزعهُ
وزفسُ أمطرَ شؤبوباً يقوّضهُ — للبحرِ يقذفهُ في قعرِ لجّتهِ

وفوسذٌ وعصا الأنواءِ في يدهِ — يطغي السيولَ عليهِ في توقّدهِ
يدكُّ أركانهُ من أسّها وبها — لليمِّ يقذفُ معتزّاً بسؤددهِ
يستأصلُ الصخرَ منها والجذوعَ إلى — أن ساوتِ الجرفَ في مألوفِ معهدهِ
فأسبلَ الرملَ يعلوها وقد رجعَ الأ — نهارُ كلٌّ إلى محدودِ جدّتهِ

ذاكَ الذي سوفَ يبديهِ لنا القدرُ — والآنَ من حولهِ الطرُوادةُ استعرُوا (٢)

---

(١) قرن رب اي نظير رب وهي صفة كثيراً ما يصف بها هوميروس ابطاله الاشداء • وقد خص سيمويس من بين الانهار بالجنن والبيض أي الدروع والخوذ المنقذفة مع مياهه لكثرة ما وقع فيه من القتلى بدوران رحى الحرب على ضفتيه

(٢) تلك اشارة من جملة اشارات الشاعر الى ماكان مزمعاً ان يقع بعد الحصار وقد ادخلها هنا بمعرض نبوءة سبقت الاشارة اليها في النشيد السابع ص : ٥١٢ والظاهر انه في زمن هوميروس لم يكن لذلك السور من اثر باق او هو خرافة تنوقلت الى أيامه ولا حاجة الى اعادة ما قدمنا في هذا الشأن في النشيد السابق المذكور وانما نجتزىء هنا بالتنبيه الى الاسلوب البديع الذي اتخذه صاحب الالياذة الى محق آثار ذلك السور فجعل الامر متأتياً عن تعاون الآلهة وليس بالامر العسير عليهم ان يبيدوه واتى بكل هذا بصورة رمزية تفيد ان اليونان في زمانه كانوا يدركون جانباً من اسرار الطبيعة فان فيبوس وهو الشمس يحول الانهار • وزفس وهو في بعض الاحوال الرقيع

تَرْتَجُّ أَبْراجهُ من عنفِ كَرّهم والأَرْغُسيونَ في الأُسطُولِ قد حُصِرُوا
يَرُوعُهم سخْطُ زَفسٍ مُذْ أَصابهمُ وهكْطُرُ ذاكَ أُسُّ الرَّوعِ والخطرُ
لا زالَ يَعصِفُ فيهم مثلَ عاصفةٍ وقومُ طُرْوادةَ اشتَدُّوا لشدَّتهِ

كأَنَّ خِرْنَوْصَ بَرٍّ صالَ او أَسَدا لم يَعْبأَنَّ بجمعٍ حولَهُ احْتَشَدا
بهِ تُحيطُ السَّرايا والكلابُ وقد أَهمَتْ حواليهِ مِنْ أَسهامها بَرَدا (۱)
فيَستَجيشُ بقلبٍ لا يُرَوّعهُ بأْسٌ فلا يلتوي للخطْبِ مُرْتَعِدا
بلْ ينثني وَهْوَ حيثُ انقضَّ مُنْقَبِضاً أَو صالَ شقَّتْ سَراياهُمْ لِصَوْلَتهِ

كذاكَ هاجَ بهم هكطُورُ يَنْدَفِقُ يَصيحُ في القَومِ: «هيُّوا الخَنْدَقَ اخْتَرِقوا»
لكنَّما خيلُهُ في الجُرْفِ جازعةً تَرَدَّدَتْ مُذْ تراءَى دُونَها العُمُقُ
وأَطرَقَتْ صاهلاتٍ لا تُطيقُ بهِ وَثْباً فتجتازُ أَوْعَدْوًا فتنطلقُ
وكيفَ تعدُو وحولَ السُّورِ هاويةٌ يحُوطُها السَّدُّ إِحكاماً لِمَنْعَتهِ

يهمي الامطار • وفوسيذ وهو البحر الهدار يثير الانواء في البحار • كل ذلك من الاصول العلمية التي يحسن تأويلها حتى في أيامنا هذه

(۱) قد خالف الشاعر عادته هنا بتشبيه هكطور بطل الطرواد بالليث بين الكلاب مع دوام اثرته لقومه ولكنه لا يبقى محل للاستغراب اذا علمنا ان مراده ان يشدد الازمة على الاغريق وينكل بهم تنكيلاً حتى اذا هب اخيل الى نصرتهم وفاز بقتل هكطور كان له بذلك فخر على فخر وزادت اناشيد الالياذة واخيل بطلها بلاغة على بلاغة

هَيْهاتَ تحتَ العِجالِ الخَيلُ تَقطَعُها لكنّما لِمُشاةِ الجَيْشِ مَرْجِعُها
لذاكَ فُوْلِيْدَماسُ جاءَ هكْطُرَ والا فُرْسانَ نادى بِقُرْبِ الفوزِيُطْمِعُها:
«يا هَكْطُرُ ياسراةَ الجُنْدِكَيفَ تُرَى فَوقَ الحَفيرِ جِيادَ الخَيْلِ نَدفَعُها
وَراءهُ السُّورُ والأَرْكانُ قد رُفِعَتْ أَوْتادُها غَضَّةً من ضِمْنِ سُدَّتِهِ

فَكَيفَ نَنْزِلُ في هذي العِجالِ إلى هذا الشَّفيرِ ولا نَلْقى بِهِ فَشَلا
لَئِنْ نَنَلْ من لدى زَفْسٍ إِبادَتَهُمْ ونَشْرَ خِزْيِهِمِ فَلْيَهْلِكُوا عَجَلا
فَإِنْ عبَرْنا وصَدُّونا لِوَهْدَتِهِ فأَيُّ رُزْءٍ يُوافينا وأَسيَءُ بَلا
والحَقَّ أَصْدِقُكُمْ لن يَنْجُوَنَّ بنا ناجٍ لإِلْيُونَ يُنْمي شَرَّ مِحْنَتِهِ

فالرأْيُ عِندي أَنْ نُبْقِي الجِيادَ لَدى سُيَّاسِها عندَهذا الحَدِّ حَيثُ بَدا
ونَحنُ نَتْبَعُ هَكْطُوراً بِجُمْلَتِنا مُكَثِّفِينَ على أَكْتافِنا العُدَدا
فالأَرْغُسِيُّونَ إِمَّا حانَ مَصْرَعُهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا سَبِيلاً لِلِّقا أَبَدا »
فَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي والقَولُ راقَهُمُ حَتَّى تَرَجَّلَ هَكْطُورٌ لِساعَتِهِ

وكُلُّ فُرْسانِهِمْ أَلْقَوا عِجالَهُمُ لِساسَةِ الخَيلِ تَسْتَبْقي حِيالَهُمُ
تُقامُ في الجُرْفِ صَفّاً واحداً وهُمُ فَيالِقاً خَمْسَةً صَفُّوا رِجالَهُمُ
فقادَ أَوَّلَها هَكْطُورُ اوَّلَهُمْ كَذاكَ فُوْلِيْدَماسُ مَنْ أَمالَهُمُ
وقِبْرِيُونُ وقد أَبْقى الجِيادَ لَدى فَتًى لِهَكْطُورَمنأَعْراضِ فِتْيَتِهِ(١)

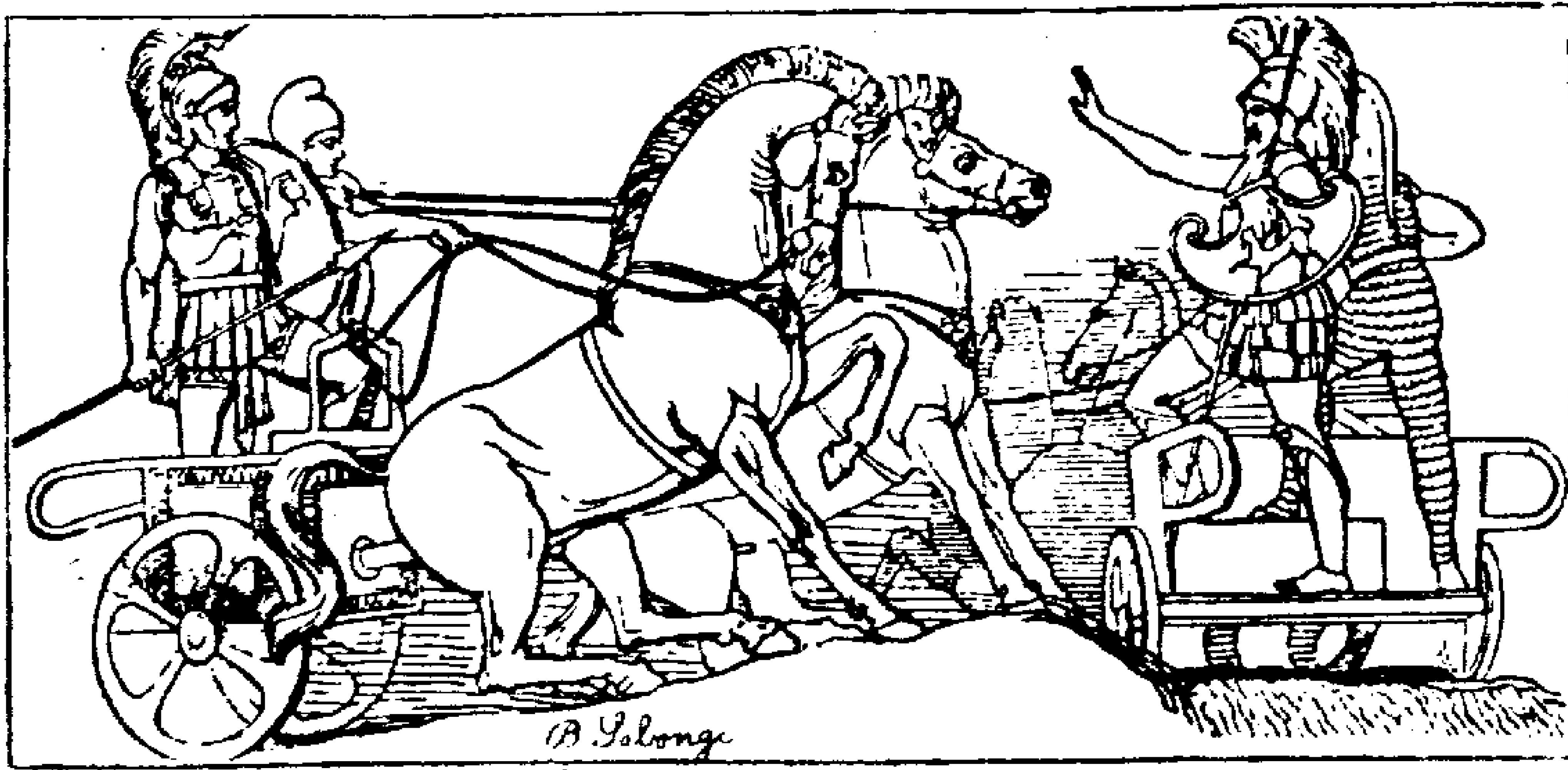
---

(١) قبريون هذا حوذي هكطور واذ كان بطلاً باسلاً استبقى المركبة لفتى

كَتيبةٌ تلكَ ضَمَّتْ جلُّهمْ عددا جُنْدًا تمُدُّ إلى كَيْدِ العُداةِ يدا
وقادَ ثانيها فاريسُ يَصْحَبُهُ الْقاثُ ثم أَغينُورُ الذي اتَّقَدا
وحازَ ثالثَها مِنْ وُلْدِ ملْكهم فِرْيامَ قرْمانِ مقْدامَيْنِ قدعُهِدا
هيلينسُ ثم ذِيفُوبُ الذي طَلَعتْ سيماءُ آلِ العُلى تزهو بطلْعَتِهِ

كَذا ابنُ هرْطاقسٍ آسيُّسُ البطَلُ مَن ثقَّفَ الجُرْدَ للهيْجاءِ يَشْتعِلُ
منْ برِّ آرِسْبَةٍ من جدِّ سيلسَ قدْ جرى علَيها الى إِلْيُونَ ينْتقِلُ (١)
وأُنْضِمَّ رابِعُها جيشاً على حِدَةٍ لأَمْرِ أَنْياسَ ربِّ البأْسِ يمتثِلُ
وآكماسُ ابنُ أَنطينُورَ يَصْحَبُهُ أَخوهُ أَرْخيلُخُ كانا بِصُحْبَتِهِ

آخرمن اعراض الفتية وتولى قيادة كتيبة من الجيش مع هكطور • وليعلم المطالع انه شتان ما بين حوذي ذلك الزمان والحوذي في ايامنا فسائق المركبة اذ ذاك كان رفيقاً وقريناً لصاحبها يشبَّه به اليوم رديف العرب في البادية كما تقدم



فوليداماس يشير الى هكطور ان لايجتاز الخندق راكباً

(١) جد سيلس اي ضفة نهر سيلس وشاطئه

وخامسُ الفِرَقِ الغرّاءِ قد جَمعتْ أخلافَهُمْ ولِسرْفِيذُونَ قد خضعتْ
وعَسْطَرُوفَ بَنِي عوناً لهُ وكذا غلوكُسَ تلكَ صِيدُ الحماةِ اندفعتْ
كُماةُ بأسٍ بلا هَكطُورَ وَقعهُمُ في الحربِ أَيّانَ أَطرافُ القنا وقعتْ
قد قصَّرَ الكلُّ عن إدراكِ شأوِهِمِ وقصَّرُوا جملةً عن شأوِ سطوتِهِ

وعندَ ما التأموا تزهو يلامقُهُمْ تقدَّموا ومرامُ النَّفسِ سائقُهُمْ
وأيقنُوا أنَّ أعداهُمْ وقد وَهنُوا تُبيدُهُمْ في خلاياهُمْ مخافقُهُمْ (١)
بِصدقِ فُولِيدَماسٍ كلُّهُمْ وثقُوا على اختلافِ سُراهُمْ وهوَ صادقُهُمْ
سوى ابنِ هِرطاقسٍ مازالَ مُعتلياً يليهِ حُوذِيُّهُ مِن فوقِ سدَّتِهِ (٢)

أمَّ السَّفائنَ مغترّاً على حُمُقِ بخيلهِ وبِشرِّ الحتفِ لم يَثِقِ
فلن يرى بعدُ إليُوناً ويَفخرَ بلْ برُمحِ إيذُومِنٍ حكمَ القضاءِ لقي (٣)
يُسرى السَّفينِ مضى حيثُ الأغارقُ قد آبوا بخيلِهِمِ من أفسحِ الطُّرُقِ
أغارَ تَتبعُهُ الأجنادُ لاغبةً وأيقنتْ في العدى فوزاً بغارتِهِ

للبابِ كرُّوا ومِصراعاهُ ما زُلِجا بلْ فيهِ قومٌ يُباري مَن عدا ونجا
وذونَهُ مِن بَني اللاَّفيثِ يحرُسُهُ قرْما نكالٍ على هزِّ القنا دَرَجا

---

(١) الخلايا السفن والمخافق السيوف
(٢) ابن هرطاقس اي اسيوس
(٣) تلك اشارة الى مقتل اسيوس في النشيد التالي

لِيُنْطُسُ عِدُّ آرِيسٍ وَفُوْلِفتٌ لِصَدِّهِ وَقَفا فيهِ وَما اُخْتَلَجا
قاما كَأَنَّهُما مَلُّولَتانِ على طَوْدٍ وقد قامَتا من فَوقِ قُمَّتِهِ

فإِنَّ أَصْلَهُما في الارْضِ يَنْتَشِرُ ولا يَرُوعهُما رِيحٌ ولا مَطَرُ
تَرَبَّصا لِلقاهُ لا يَهُولُهُما أَنْصارُهُ وإِنِ اُشْتَدُّوا وإِنْ كَثُرُوا
فَكَرَّ يَتْلُوهُ يامِينٌ وآدَمَسٌ كذا ثُوُوْنُ وأُورَسْتُ الأُولى اُشْتُهِرُوا
وإِينُماوُسُ تَعْلُوهُمْ يَلامِقُهُمْ وجَيْشُهُمْ لَغَباً داوٍ بِصَيْحَتِهِ

والأَرْغُسِيَّانِ لا يَلْوِيهِما الجَزَعُ صاحا بِمَنْ ضِمْنَ ذاكَ المَعْقِلِ اُمْتَنَعُوا
فَما أَجابَ مُجِيبٌ والْتَوَوا قَلَقاً وكادَ جَيْشُ العِدى لِلسُّورِ يَنْدَفِعُ
فَبَرَّزا خارِجَ الأَبْوابِ واُنْفَرَدا مُكافِحَيْنِ وأَسْهامُ العِدى تَقَعُ
وفوقَ صَدْرَيْهِما الفُولاذُ مُتَّقِدٌ يَصِلُّ لِلْوَبْلِ يَهْمِي فوقَ صَفْحَتِهِ

كَأَنَّ في الشُّمِّ خِرْنُوصَيْنِ قد ذُعِرا بَينَ الخَياطِلِ والقُنَّاصِ مُذْ حُصِرا
فَيَسْحَقانِ بِبَطْنِ الغابِ ما لَقِيا كَيداوِ يَسْتَأْصِلانِ الفَرعَ والشَّجَرا
ويُعْلِيانِ صَرِيفَ النَّابِ ما بَقِيا حَيَّيْنِ لم يَلْقَيا في المَعْرَكِ القَدَرا
فَهكَذا اُشْتَدَّ ذانِ الباسِلانِ وما رِيعا لِكُلِّ قُوَى جَيْشٍ وكَثْرَتِهِ

كانا على ثِقَةٍ مِن بَأْسِ ذِرْعِهِما وبأْسِ مَن قامَ فَوقَ السُّورِ خَلْفَهُما
جُنْدٌ مُدافِعَةٌ بالعُنْفِ دافِعَةٌ وَبَلاً مِنَ الصَّخْرِ مِن فَوقِ العُداةِ هَمى

ومن كلا الجحفلين الرَّميُ منطلقٌ　　على الرؤوس بغيثٍ بالنبال طما [1]
كصيّب الثلج تنهال الغيوم به　　والنوء هبّ فتهمي تحت هبّته [2]

والبيض تُرجِع عن وقع الحِجار صدى　　للجوّ عنها وعن أجوابهم صعدا [3]
فقام آسيُّساً ما كان أمّلهُ　　فصاح يلطم يضويه العنا كمدا:
«أكنت يا زفس خدّاعاً وكيف أرى　　قرمين فذين لم نبلغهما أمدا
مثل الزنابير ذبّت عن خشارمها　　والنحل لا يتخلّى عن خليّته

فلن يكفّا ترى إلاّ إذا صُرِعا　　أو بين فتّاك أيدينا إذا وقعا» [4]

---

(١) شبه معقر بن حمار البارقي الرؤوس المضروبة عند التقاء الجيشين بالحدج النقيف وهو الحنظل المشقوق بقوله :

كأن جماجم الابطال لما　　تلاقينا ضحىً حدجٌ نقيفُ

(٢) شبه النبال المتطايرة بالثلج المتناثر ، ومثله قول ابي العيال الهذلي اذ شبهها بالسنبل :

فترى النبال تعير في اقطارها　　شمساً كأن نصالهنّ السنبلُ

وأحسن منه قول العبسي اذ ذكر السيوف والسهام والدروع وشبه السهام بالجراد قال :

يدعون عنتر والسيوف كأنها　　لمع البوارق في السحاب المظلم
يدعون عنتر والسهام كأنها　　طشّ الجراد على مشارع حوّم
يدعون عنتر والدروع كأنها　　حدق الضفادع في غدير ديجم

(٣) الاجواب جمع جوب الترس والبيض الخوذ

(٤) ان خطاب اسيوس لزفس من باب الكفر والاستطالة ولعل الشاعر وطأ به ليجعل قتل اسيوس في ما يلي عقاباً على كفره كما زعم بعض المفسرين ، ولا ارى هذا التفسير ثبتاً لانه يلوح ان لوم الآلهة ساعة الغضب لم يكن بالخطأ القاتل ، ولنا

لكنَّ زفسَ وهكطوراً بنصرتهِ ... من دونهم خصَّ ذاكَ الصوتَ ماسَمِعا[1]
وسائرُ الجيشِ لم ينفكَّ مضطرماً ... بأساً على سائرِ الأبوابِ مندفعا
مَنْ لي بإلهامِ ذي علمٍ فينبئني ... كم هامةٍ وقعتْ في حرّ وقعتهِ[2]

من كلِّ فجٍّ لدى السورِ الأُوارُ علا ... وارتاعَ للخطبِ أهلوهُ وقد ثقلا
فلم يروا غيرَ حسنِ الذودِ من مددٍ ... ورهطُ أنصارهمْ في الخلدِ قد وجلا
لكنَّما ولدا اللافيثِ حولهما ... قد أعملا في الأعادي السيفَ والأسلا
واجتاحَ فولفتُ داماسَ مبتدراً ... بطعنةٍ نفذتْ في بطنِ خوذتهِ

ماصدَّها ذلكَ الفولاذُ بل خرقتْ ... حتّى الدماغِ وأمَّ الرأسِ قد سحقتْ
منْ ثمَّ أتبعهُ فيلونَ يلحقهُ ... أرمينُ عن طعنةٍ في جوفهِ مرقتْ

في الالياذة امثلة كثيرة على ذلك فقد جاء مثل هذا الكلام بخطاب ذيوميذ في النشيد الثالث اذ يقول :

من كل آل الخلد مثلك لم يكن ... يازفس معتسفٌ بمقدوراته

ونفس اغاممنون الزعيم الورع رمى زفس بالكذب والخداع مرتين بقوله في النشيد الثاني والنشيد الحادي عشر

فسان وما اغراه فيارمانيا

وامثال ذلك كثيرة

(١) قولهُ «وهكطوراً بنصرته من دونهم خص» جملة معترضة

(٢) كل انتقال من الخبر الى الاستفهام كما ترى في هذا البيت يشير الى امر خطير يليه • واكثر ما يستعمل الشاعر ذلك عند تعداد اسماء كثيرة لابد في استحضارها من ذاكرة يحكها محكٌّ جديد

كَذا لِيُنْطُسُ في لَدْنِ القَناةِ مَشى رَمي وفي خَصْرِ هيفُوماخُسٍ فهَقَتْ
فَاسْتَلَّ مِنْ غِمْدِهِ السَّيْفَ الحَديدَ وفي قَلْبِ العِدى كَرَّ يُلْقِي رَوْعَ كَرَّتِهِ

فأَنْطِفاتَ فَرى يُلْقيهِ مُنْقَلِبا مِنْ ثَمَّ كَرَّ ومَنْيُونَ الفَتى اُقْتَضَبا
واُجْتاحَ أُورِسْتَ تُسْقى الأَرْضُ مِنْ دَمِهِ والقَرْمَ يامينَ ثُمَّ اُسْتَقْبَلَ السَّلَبا
وهٰكَذا فَتَيا اللاَّفِيثِ قد فَتَكا فَتْكاً ذَريعاً وحازا بَعْدَهُ النَّشَبا
وهَكْطُرٌ إِثْرَهُ الفِتْيانُ لاغِبَةٌ وإِثْرَ فُولِيدَماسٍ تَحْتَ إِمْرَتِهِ

(كَتِيبَةٌ تِلْكَ ضَمَّتْ جِلَّهُمْ عَدَدا جُنْدًا تَمُدُّ إلى كَيْدِ العُداةِ يَدا)
كادَتْ حَفيرَهُمُ تَجْتازُ عابِرَةً إِذا بِطَيْرٍ لَها تَحْتَ السَّماءِ بَدا
فاُسْتُوقِفَتْ جَزَعاً في الجُرْفِ حائِرَةً تَطَيُّراً وهُوَ عَنْ يُسْرى السُّرى وَرَدا
نَسْرٌ مَخالِبُهُ في الجَوِّ قَدْ نَشِبَتْ بأُفْعُوانٍ خَضيبٍ تَحْتَ قَبْضَتِهِ

فالأُفْعُوانُ وفيهِ لَمْ يَزَلْ رَمَقُ ما بَيْنَ أَظْفارِهِ في الجَوِّ يَصْطَفِقُ
حَتَّى عَلَيْهِ اُلْتَوى بالعُنْفِ يَلْسَعُهُ في بارِزِ الصَّدْرِ حَيْثُ اُلْتَفَّتِ العُنُقُ
فَصاحَ عَنْ أَلَمٍ مُرٍّ وأَفْلَتَهُ وراحَ تَحْتَ مَهَبِّ الرِّيحِ يَنْطَلِقُ
والأُفْعُوانُ هَوى لِلأَرْضِ مُخْتَضِباً حَيًّا وطَرْوادَةُ اُرْتاعَتْ لِرُؤْيَتِهِ

فَتِلْكَ مِنْ زَفْسَ نَجْوى رامَها عَلَنا ونَحْوَ قَرْمِهِمِ فُولِيدَماسُ دَنا
وقالَ: «عَوَّدَتَ هَكْطُورُ مُعارَضَتي إِذا اُقْتَرَحْتُ مَقالاً بَيْنَنا حَسَنا

لا يَحْذُرَنَّ بنا أَنْ نَسْتَطِيلَ إلى مَداكَ أَوْ نَرْتَاءِي ما لا يَلُوحُ لَنا
لكِنَّني كَيفَما دارَتْ مَباحِثُنا مَهْما أَقُلْ فَمَقالي ثِقْ بِصِحَّتِهِ (١)

لا خَيرَ بالفَتْكِ في الإِغْرِيقِ بالسُّفُنِ إنْ صَحَّ حَدْسي فَفِيهِ فادِحُ المِحَنِ
أَلَمْ نَرَ النَّسْرَ يُسْرِى الجَيْشِ مُرْتَفِعاً بِحَيَّةٍ حَيَّةٍ مُشْتَدَّةِ الإِحَنِ
أَما رَأَيْناهُ أَلْقاها مُخَضَّبَةً فَرِيسَةً تِلكَ فاتَتْهُ ولم تَهُنِ
ولم تَكُنْ لِفِراخٍ قد خَلَوْنَ بها بِوَكْرِهِ فانْثَنى يَخْلُو بِخَيْبَتِهِ

وهكذا فلَئِنْ نَظْفَرْ بِسُورِهِم وخَرْقِ أَبْوابِهِ خَرْقاً بِرَغْمِهِمِ
ولو هَزَمْناهُمُ لَنْ يَرْجِعَنَّ بنا أَلا أَجْنادُ من حيثُ كَرُّوا باُنْتِظامِهِم
بَلْ سَوفَ نُلْوى شَتاتاً تاركينَ لَهُمْ جُنْدًا تُمَزِّقُها نِيرانُ كَيْدِهِمِ
فَذاكَ تَفْسِيرُ هذا النَّجْوِ يُخْبِرُهُ أَخُو الهُدَى تَهْتَدِي الدُّنيا بِخُبْرَتِهِ» (٢)

---

(١) نرى فرقاً بيناً بين خطاب فوليداماس هنا وخطابه السابق في هذا النشيد فقد تكلم هنالك كلام الآمر الناطق بالحق الذي يجب ان يتبع فيبدي رأيه بلا تزلف غير متوقع لوماً واعتراضاً • واما هنا فيشرع في التلطف والاستعطاف لانه موقن انه وان نطق بالحق والصواب كما نطق في الموضع الاول فهو هناك مثبتٌ امراً يميل اليه هكطور ومورده هنا رأياً يعلم ان نفس هكطور تأباه لانه قد عيل صبراً ولا يرى الا الساعة التي بها يبدد جيش اعدائه حالة كون فوليداماس يأمره تطيراً بذلك النجو ان يكف عنه فكان لابد من ثم من توطئة يستميله بها

(٢) النجو السر — العيافة اوزجر الطير والتفاؤل والتشاؤم بوجهتها في الطيران من اقدم المعتقدات • وهي ليست من استنباط اليونان بل اخذوها فيما اخذوا عمن

فقالَ هكطورُ شَزْرًا وَهْوَ يَلْتَهِبُ غيظًا وقالَ: « أَلِلإِحْجام تَنْتَدِبُ

تقدمهم من البابليين والاشوريين • على انه لم يكن لها عند اليونان ذلك الشأن الخطير الذي كان لها بعد حين عند الرومان والعرب حيث كانت من اسمى خصائص الكهان • فكان الرومان ينتدبون لها رجالاً من ذوي الوجاهة والكرامة • وكانت في جاهلية العرب لبني فهد يتكهنون بها كيف شاؤوا • والظاهر ان اليهود عملوا بها زمناً بدليل تحريمها في سفر اللاويين • ولم تنتسخ من بين العرب الا بقوة الدين • وفي الحديث « لا طِيرة في الاسلام »

والمشهور من طريقة العرب في العيافة انهم كانوا يرمون الطائر بالحصاة او يصيحون به فان ولّى القوم ميامنه تفاءلوا به وان ولاّهم مياسرهُ تشاءموا ومنه قولهم التيمن والتشاؤم توقعاً لخيرٍ او شرّ من اليمين والشمال • وكانوا اذا أرادوا السفر خرجوا من الغلَس والطير في مواقعها على الارض والشجر فيطيرونها فان اخذت يميناً اخذوا يميناً وان اخذت شمالاً اخذوا شمالاً • والى ذلك يشير امرؤ القيس بقوله

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجردٍ قيد الاوابد هيكلِ

وكانوا يسمون الطائر الآخذ من اليسار الى اليمين سانحاً والآخذ من اليمين الى اليسار بارحاً • وربما تشاءموا أو تفاءلوا لظهور طائر بصرف النظر عن وجهة طيرانه • واكثر التشاؤم بالغراب واضافوه الى البين فقالوا غراب البين وزعموا ان منه الغربة والاغتراب ولهم في ذلك اشعار لا تحصى في الجاهلية والاسلام فمن ذلك قول ابي الاسود الدؤلي وفيه ما يشير الى انكار ذلك المعتقد

زعم العواذل ان فرقتنا غداً وبذاك انبأنا الغراب الاسودُ

واكثر التفاؤل بطير القارية وهو طائر قليل الانتشار في باديتهم قصير الرجلين طويل المنقار اخضر الظهر يستبشرون برؤيته للمطر كأنه رسول الغيث وقد يتيمنون به لقضاء الحاجات

ولكن الشعراء تلاعبوا في هذه المزاعم وامثالها واشتقوا لكل طائر من اسمه ما يدل على الخير او الشر فاذا شاءَ الشاعر جعل العقاب عقبى خير وان شاءَ جعله عقبى شر • وان شاءَ جعل الحَمام حِماماً أي موتاً وان شاءَ قال حُمَّ اللقاء وهلمَّ

فإنْ تكُنْ قُلتَ ماقد قُلتَ عن ثقةٍ لاشكَّ رُشْدَكَ أبناءُ العُلى سلَبُوا
لأنتَ أَوْلى برايٍ أصوَبٍ فَعلا مَ رُمْتَ أنّي قضايا زَفسَ أجتَنِبُ
تلكَ القضايا التي بلّغتُها سلَفاً مُذْ مالَ بالرّاس إعلاناً لنُصرَتِهِ

أرُمْتَ أنّي أُطيعُ الطيرَ إنْ رَمَحَتْ سيّانِ تعلَمُ عندِي كيفما سَرحَتْ
لِمَطلَعِ الشمْسِ عن يُمْنايَ إنْ سنَحَتْ او يسْرَتي لدياجي الغَرْبِ إنْ برَحَتْ
فلانُطيعَنَّ إلاّ مَنْ أطاعَ جميعُ الْـ جِنّ والإنسِ والدُّنيا بهِ انتَصحَتْ
وليسَ لِلمَرْءِ من فألٍ يدينُ لهُ خيرٌ منَ الذَّودِعنْ أوطانِ نشأتِهِ[1]

جرّاً • وقد يختلط على الرواة كثير من مقاصد الشعراء بطول العهد او لاختلاف في الرواية • فمن هؤلاء الرواة من زعم مثلاً ان الاخيل وهو الشقرّاق طائر شؤم اذا وقع على بعير يشوامنه وان كان سالماً واذا لقيه المسافر تطير واستشهدوا ببيت الفرزدق القائل لناقته قطَن

اذا قطنٌ بلغتنيه ابن مدركٍ فلاقيت من طير العراقيب أخيلا

فقالوا ان العرب تسمي كل طائر تتطير منه الابل طير العراقيب لانه يعرقبها • ومثل ذلك قول اعرابي

ذريني وعلمي بالامور وشيمتي فما طائري فيها عليك بأخيلا

ومنهم من استشهد ببيت الفرزدق هذا لعكس المعنى واورده ببعض خلاف وهو

اذا قطنٌ بلغتنيه ابن مدرك فلاقيت من طير الاخائل اخيلا

وقال انه يدعو لناقته بان تلاقي هذا الطائر المبارك اذا بلغته ابن مدرك (انظر المطالعة التالية)

(١) علمت مما تقدم مذهبهم في التسعّد والتشاؤم • وفي قول هكطور الآن ما يدلك على ان الاخذ بذلك المذهب لم يكن من مفروضات الاعتقاد الديني والا لما جاهر هكطور بنبذه وهو من اشد القوم استمساكاً باذيال دينه

عَلامَ تَخْشى الوَغى جُبْناً وتَضْطَرِبُ　　وأَنتَ في الأَمْنِ لَن يَنْتابكَ العطَبُ
فَلسْتَ بالقَرْمِ يَأْتي مَوْقفاً حَرِجاً　　حتَّى ولو جُمْلَةً أَجْنادُنا نُكِبُوا (١)
لكِنْ إِذا ما اعْتَزَلْتَ الحَرْبَ مُجْتَنِباً　　أَوما بِنُصْحِكَ رُمْتَ الجُنْدَتَجْتَنِبُ
واغْتَرَّ مِن قَومِنا فَرْدٌ لِقَوْلِكَ ذا　　فاعْلَمْ فَرُوحُكَ في رُمْحي وطَعْنَتِهِ» (٢)

ولم يعدم الناس في كل عصر قيام افراد يفندون خرافاتهم ويندون بها فقد روي عن شيشرون الخطيب الروماني انه وضع كتاباً مخصوصاً في تسفيه مزاعم العافة مع انه كان بنفسه عائفاً ومن هذا القبيل قول لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى　　ولا زاجرات الطير ما الله صانعُ

وطرق الحصى ضربٌ آخر من التكهن عند العرب • ومثله قول طرفة بن العبد:

اذا ما اردت الامر فامض لوجهه　　وخلِّ الهوينا جانباً متنائيا
ولا يمنعنك الطير مما اردته　　فقد خط في الالواح ما كنت لاقيا

والى مثل ذلك يشير ابو تمام في قصيدته التي التزم بها الرد على المنجمين اذ يقول :

اين الرواية بل اين النجوم وما　　صاغوه من زخرف فيها ومن كذبِ
تخرصاً واحاديثاً ملفقةً　　ليست بنبعٍ اذا عُدّت ولا غربِ

(١) يرمي هكطور فوليداماس بالجبن ويعنفه على ماقال ويقول له تهكماً انه بمأمن من القتل لانه لايعرض نفسه لمواقف المهالك وليس من المغاوير المعدودين تتأثره المنايا في الحرب على حد قول العبسي

وأما القائلون قتيل حربٍ　　فذلك مصرع البطل الجليدِ

(٢) رأينا فوليداماس في اوائل هذا النشيد يرتأي الرأي الحسن بترجل الجند واستبقاء المركبات لدى ساسة الخيل فيأتمر الجميع بأمره حتى هكطور ولا يشذ عنه الا ريسوس لحماقة كانت برأسه • وانا لنراه هنا يرتأي رأياً آخر تسوقه الى بثه حكمته وسابق خبرته فينثني اليه هكطور مقرعاً تقريعاً عنيفاً بخطاب تشف كل كلمة منه عن جذوة نار ملتهبة في صدره تحرقه للبطش بالاعداء وقد انس من قومهم وهناً وفتوراً

وكَرَّ والجيشُ طرًّا إثْرَهُ حَمَلا ... وزفسُ من طورِ إيذا ريحَهُ حَمَلا
هبَّتْ بعثيرِها من فوقِهمْ ومضتْ ... تذرُوهُ فوقَ العدى تُوليهمُ الوَجَلا (١)
فَتِلْكَ من فضلِ زفسٍ نُصْرةً وثِقُوا ... بها وفي بأسِهِمْ واستَقْبلُوا القُلَلا (٢)
فَهدَّمُوها وأطرافَ الوشيعِ رَمَوا ... والمعقِلَ ابتَدَرُوا ثَغْرًا لثُغْرَتِهِ

وزعزعُوا صخرَ أركانٍ بدتْ عَمَدا ... من تحتِ أبراجِهِ قامتْ لها سَنَدا
وشدَّدُوا العزمَ في استئصالِها أَمَلا ... بمَنْفذٍ منهُ يُؤْتُونَ العدى الشَّدَدا
لكنَّما عسكرُ الإغريقِ ظَلَّ على ... أبراجِهِ مستجيشَ العزمِ مُجْتَهِدا
مُدَّتْ يلامقُهُمْ حُصْنًا يذودُ بهِ ... يرمي العُداةَ الأُولى آلوا بخذْلَتِهِ (٣)

ورمى رفيقه فوليداماس بالعجز وهو يعلم انه من اشد الابطال وكذَّبه بتفسير الفال وهو يعلم انه أطول باعاً منه في تلك التآويل ولجأ اقناعاً للجند بفساد تفسير فوليداماس الى تذكيرهم بانه وافاه البلاغ اليقين من زفس بالنصر المبين فلا محل بعد ذلك للتفاؤل بسانح او التشاؤم ببارح • ولولم يشتد تلك الشدة على فوليداماس ويوطد ما له من الهيبة والنفوذ لانحلّت عزائم الجيش بعد ماسمعوه من بطل مغوار يعتقدون به الحكمة والبأس • كل ذلك من بديع تصرف الشاعر فانه انبأ بما سيكون من وجه وأوضح من وجه آخر ما يسعّر صدرهكطور من البأس الذي لايرده مرد

(١) لو قال الشاعر اصطلى الاوار وتعالى الغبار لافاد المراد ونطق بحقيقة لابد منها بتصادم جيشين ولكن ابت بلاغته كجاري عادته الا ان يفرغ الكلام بقالب شعري تمكيناً لوقعه في النفوس فقال ان زفس هو الذي نشر ذلك العثير وابرز ذلك المظهر الرهيب

(٢) أي قلل السور

(٣) جعل هوميروس حصون الاغريق يلامقهم اي تروسهم وابلغ من ذلك

آياسُ يجْري وآياسٌ على القُلَلِ　　يَسْتَنْهضانِ السُّرى بالقَولِ والعَمَلِ
طَوراً بلِينِ حديثٍ لِلأُولى اعْتَزَلُوا　　وتارةً بملامِ الفارسِ الوَجِلِ :
« يا أَوَّلَ الصيّدِ أَبطالاً وثانيهمْ　　بأْساً ومَن لم يُخَوَّلْ قوَّةَ البَطلِ
لم يُمْنحِ الكلُّ بأْساً واحداً وَلكمْ　　في يَومنا الذَّودُ كلٌّ جهْدَ طاقتِهِ

عَرَفْتمُ ضِيقَ هذا المَوْقفِ الحَرِجِ　　لا تَلْتَوُنَّ بِقَلْبٍ هَدَّ مُخْتَلِجِ
لا يَصْدَعَنَّكمُ قرْمٌ يَسُوقُكمُ　　إلى سَفِينِكمُ في خائرِ المُهَجِ
بل شَدِّدُوا بَعْضُكمْ بَعْضاً ولا تَهِنُوا　　لَعلَّ زفْسَ مُنيلُ النَّصْرِ والفَرَجِ
بِهِ نُذلُّ عَدُوّاً قد أَلمَّ بنا　　يُصْمَى ويُذْبَحُ حتَّى باب بَلْدَتِهِ »

فهاجَ قولُهما الأَجْنادَ فاعْتَصبُوا　　وماجَ مِنْ فوقِ ذاكَ المَعْقِلِ اللَّجِبُ
حِجارةٌ من كِلا الصَّوبَينِ طائرةٌ　　في الجوِّ في مَوْقفِ الجيْشَينِ تَنْسكِبُ
كأَنَّ يومَ شتاءِ زفسُ كانَ لهُ　　بالقُرِّ فيهِ على كَيدِ الوَرى أَرَبُ
فَتسْكُنُ الرِّيحُ والثَّلْجُ الكَثيفُ على　　وَجهِ الثَّرى صَبباً هامٍ بوَفْرَتِهِ

يَهْمي فيَسْتُرُ وَجْهَ السَّهْلِ والجَبلا　　والمَرْجَ والزَّرْعَ والأَرْيافَ والسُّبُلا

جعل المعاقل من الرماح والسيوف كقول لبيد :

معاقلنا التي نأوي اليها　　بنات الاعوجية والسيوفُ

وقد جمع ربيعة بن مقروم المعنيين بقوله :

وثغـر مخوف اقمنا به　　يهاب به غيرنا ان يقيما
جعلنا السيوف به والرماحَ　　معاقلنا والحديد النظيما

والثغرَ حيثُ زُعابُ المَوجِ يمْحقهُ ... وسائرُ الأرضِ منهُ أُلبستْ حُلَلا
لـكنَّ هكطُورَ والطُّرْوادَ ما ظفرُوا ... بالسُّورِ والبابُ بالمزْلاجِ قد قُفلا
إلاَّ بهمَّة سَرْفيدُوْنَ هيَّجَهُ ... أبُوهُ زَفْسُ ببادي بَأْسِ همَّتِهِ

جرى كلَيْثٍ على سِرْبِ الشِيارِ جرى ... أمامَهُ مجْوَبٌ فُولاذُهُ بَهَرا
مُؤَلَّقٌ مُسْتَديرٌ دَقَّ صانعُهُ ... قتيرَهُ دَقَّ حذْقٍ يُدْهِشُ البَصَرا
مُبطَّنٌ بجُلُودِ الثَّورِ دارَ على ... أطْرافهِ قُضُبٌ منْ عَسْجَدٍ نُشرا
بهِ مشى بيدَيهِ عاملانِ مضى ... عُجْباً يهزُّهما أثْناءَ مشْيَتِهِ (١)

كضيْغَمٍ بينَ شُمِّ الرَّاسياتِ رَبي ... وبَرَّحتْ بحَشاهُ آفةُ السَّغَبِ
ينْقضُّ حتَّى مباني النَّاسِ مُبْتَغياً ... فَريسةً بفُؤادٍ غيرِ مُضْطَربِ
لا ينْثني لِكلابِ الحَيّ إنْ نبحتْ ... أمْ بادرَتْهُ رُعاةُ القَومِ بالقُضُبِ
ولَيْسَ يرْجعُ إلاَّ نائلاً وطَرا ... أو هالكاً بقَناهمْ قَبْلَ عَوْدَتهِ

وهكذا انقَضَّ سَرْفيدُوْنُ مُمْتَحِنا ... خَرْقَ المَراقبِ والسُّورِ الذي حَصُنا (٢)
فقالَ لابْنِ هفُولُوخٍ: «علامَ تُرى ... في لِيقْيا كانَ صدرَ القَومِ مجْلسُنا
والكأْسُ تُتْرعُ واللَّحْمُ السَّمينُ لنا ... والنَّاسُ مِثْلَ بَني العَلْيا تُبَجِّلُنا

(١) كلما اراد الشاعر ان يهيء بطلاً لعمل خطير يشرع في تنبيه المطالع فيصفه وصفاً فخماً ليصدق عليه ما يلي من المقال وهذا سرفيدون الذي يصدر لبراز فطرقل لابد أن يكون من صفوة الفرسان ولهذا نبهنا الشاعر اليه بمقال مخصوص

(٢) المراقب قلل السور

عَلامَ في ثَغرِ زَنْثٍ أَرضُنا اتَّسَعَتْ　　　والكَرْمُ والزَّرْعُ يُسْقَى مِلْءَ حاجَتِهِ

فلا يَسُوغُ لَنا إِلاَّ التَّرَبُّصُ في　　　صَدْرِ السُّرَى حيثُ نُلْنا مُنْتَهَى الشَّرَفِ (١)
حَتَّى كَتائِبُنا تَعْتَزُّ قائلةً :　　　« نِعْمَ المُلُوكُ عَلَوا عن حِطَّةِ الضَّعَفِ
« فليَهْنَأُوا بِسَمينِ اللَّحْمِ مأْكَلُهُمْ　　　والرَّاحِ إِذْ وَقَفُوا في مَوْقِفِ التَّلَفِ »
وهَلْ تُرى لو أَبَيْنا الكَرَّ نُنْقَذُ مِنْ　　　وَخْطِ المَشيبِ وموتٍ بَعْدَ وَخْطَتِهِ

لَو كانَ ذا عِفْتُ شَرَّ الحَرْبِ والحَرَبِ　　　وما بَغَيْتُكَ في ذا المَأْقِطِ اللَّجِبِ (٢)
لكنَّما الموتُ منهُ لا مَناصَ وقَدْ　　　يأْتي بأَيِّ سَبيلٍ كانَ أَو سَبَبِ (٣)

---

(١) هذا المعنى كثير الورود في حماسيات العرب وهو مكرر كثيراً في شعر عنترة كقوله :

اذ لا أبادر في المضيق فوارسي　　　حتى أوكَّل بالرعيل الاول

وقوله : واكرُّ فيهم في لهيب شعاعها　　　واكون اول وافد يصلاها
واكون اول ضارب بمهنـد　　　يفري الجماجم لايريد سواها
واكون اول فارس يغشى الوغى　　　فاقود اول فارس يغشاها

وابلغ منه قول الاعشى :

واذا تجيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ　　　يخشى الكماة الدارعون نزالهـا
كنت المقدّم غير لابس جنة　　　بالسيف يضرب معلماً ابطالهـا

(٢) وهذا من المعاني المطروقة كثيراً في الشعر كقول زهير :

ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ　　　ولو رام اسباب السماء بسلمِ

وقول عنترة :

وعرفت ان منيتي ان تأتني　　　لاينجني منها الفرار الاسرعُ

وقول ابي فراس الحمداني :

اذا لم يكن ينجي الفرار من الردى　　　على حالة فالصبر ارجى واكرمُ

(٣) كقولهم :

فلنقدمنَّ فإنَّ المجدَ راقبنا أوراقبٌ من سقانا غصةَ النُّوبِ»[1]
لبَّى غلوكسُ لا يرتاعُ مطلبَهُ وكرَّ تتبعُهُ أبطالُ امتهِ

فهالَ مرآهما مينستساً وهما هما إلى برجهِ بالعزمِ واقتحما
فسرّحَ الطرفَ حولَ السورِ مبتغياً قرماً يرومُ بهِ عوناً يصدُّهما
ألفى الأياسينِ لا يُضويهما تعبٌ قد بارحَ الخيمَ طفقيرُ يرومهما
ولم يكنْ من سبيلٍ للنداءِ على ما اشتدَّ من لغبٍ يُصمي بضجّتهِ

حيثُ الطراودُ قد ثاروا بمعتركِ يبغونَ إدراكَ دكِّ السورِ للدّركِ
وفي اليلامقِ والبيضِ المعذَّبِ والأ أبوابِ قرعٌ دوى في قبةِ الفلكِ[2]
فصاحَ مينستسٌ بالفيجِ ثوطسِ وقالَ: « طِرْ بمقالي غيرَ مرتبكِ
وادعُ الأياسينِ أو مهما بدا لهما فليأتِ آياسُ يرفدني بنجدتهِ[3]

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحدُ

(١) ان في خطاب سرفيدون لغلوكوس لانفةً وعظمة تنبه اليهما اكثر الشراح قالوا انه لما كانت الملوك قواداً للجيش في ذلك الزمان كان من المفروض عليهم ان يعرضوا انفسهم الى المخاطر ويستنهضوا الهمم باستقبال العدو في صدر الفيالق وفاءً بما ينالونه من رعايتهم واكرامهم • وهكذا فقد قال سرفيدون يعظمنا قومنا تعظيم الآلهة فعارٌ علينا ان نتصرف تصرف البشر بل علينا ان نتفوق عليهم فنفضلهم بهمتنا وفضيلتنا كما فضلناهم بمقامنا وهو كلام يتضمن اباء نفس مافوقه اباء وينطوي تحته العدل والوفاء وهكذا فالعدل لمقابلة المثل بالمثل والوفاء لمقابلة رعاية الرعية لولي امرها بالاكرام والانفة لازدراء الموت والتهالك في سبيل المجد

(٢) البيض المعذب اي الخوذ ذوات العذبات

(٣) حيثما ورد ذكر اياس وحده فهو يفيد اياس الكبير ابن تيلامون

والرَّأيُ هذا فَعِندي موْقفُ الخَطَرِ وقوْمُ لِيقِيَةَ انْقَضُّوا على أثري
وإن يكُنْ جَلَّ وَقْعُ الخطْبِ عِنْدَهُما فَلْيأْتِني ابْنُ تلامونٍ أبُو الظَّفَرِ
وَلْيأْتِ طِفْقِيرُ رَبُّ القوْسِ يَصْحَبُهُ » فأسْرَعَ الفَيْجُ يُنْمي صِحَّةَ الخَبَرِ
قالَ: « ابنُ فِيتِيسٍ حِيناً يرُومُكُما كِلَيكُما فأجيباهُ لِدَعْوَتِهِ

والرَّأْيُ ذا فَلَدَيْهِ موْقِفُ الخَطَرِ إذْ قَوْمُ لِيقِيَةَ انْقَضُّوا على الأثَرِ
وإن يَكُنْ جَلَّ وَقْعُ الخَطْبِ عِنْدَكُما فَلْيأْتِهِ ابْنُ تلامونٍ أبُو الظَّفَرِ
ولْيأْتِ طِفْقِيرُ رَبُّ القوسِ يَصْحَبُهُ » لَبَّى كَبِيرُهُما يَجْري بلا حَذَرِ
ومالَ نَحْوَ ابنِ وِيلُوسٍ يُشَدِّدُهُ لِيُحْسِنَ الذَّوْدَ فيهِمْ حِينَ غَيْبَتِهِ:[1]

« قِفْ يا أياسُ وفُولِيمِيذُ لا تَهِنا وحرِّضا الجُنْدَ لا تَأْبَ الوَغى جُبُنَا
أمْضي فأَبْلُو بأعْداءٍ هُنالِكَ عَتَوْا وإن دَفَعْتُهُمُ دَفْعاً رَجَعْتُ هُنا
وسارَ يَصْحَبُ طِفْقِيرَ الْفَتى مَعَهُ أخاهُ وابْنَ أبِيهِ النَّابِلَ الفَطِنا
كَذلِكَ الشَّهْمُ فَنْدِيُونُ مُتَّبِعٌ وَراءَ طِفْقِيرَ يَجْري في حَنِيَّتِهِ[2]

مِن داخِلِ السُّورِ أمُّوهُ وما بَرِحا في بُرْجِهِ فإذا بالأمْرِ قد فَدَحا
وقَوْمُ لِيقِيَةٍ مِثْلَ العَواصِفِ قد تَسَلَّقُوا بِوَحىً يَشْتَدُّ أيَّ وَحى

---

(١) ابن ويلوس اياس الصغير

(٢) الحنية القوس أي قوس طفقير — قد استنجد مينستس باياس وطفقير لان الاول ابسلهم وطفقير ارماهم فذلك للقرب وهذا للبعد

فَقَلَّ آياسُ صَخْرًا هائلاً وَعلى أَفكِلسٍ خلّ سَرْفِيدُونِهِم طَرَحا
جُلْمُودَةٌ مِن رجالِ العصْرِ ما رَفَعَتْ يَدا فتىً رَبِّ بأْسٍ في شَبِيبَتِهِ

فذلكَ الصَّخْرَ مِنْ ضِمْنِ الوَشيعِ رَفَعْ رَحاهُ ثُمَّ على رَأْسِ العَدُوِّ دَفَعْ
فَدَقَّ هامَتَهُ مِن تَحتِ خُوذَتِهِ فَغائِصاً مِن على البُرْجِ المَتِينِ وَقَعْ
كَذاكَ أَبْصَرَ طِفْقِيرٌ غُلُوكُسَ قد رامَ التَّسَلُّقَ مُشْتَدَّ القُوى وطَلَعْ
وقد بَدَتْ يَدُهُ البَيْضاءُ عارِيَةً فأَرْسَلَ السَّهْمَ يَعْرُوها بِرَمْيَتِهِ

فَشَبَّ لِلأَرْضِ واهي العَزْمِ يَسْتَتِرُ كَي لا يرى الجُرْحَ أَعْداهُ وَيَفْتَخِرُوا
فَأَثْقَلَ الغَمُّ سَرْفِيدُونَ حِينَ رَأى مَنْآهُ لكِنَّهُ ما نالَهُ الضَّجَرُ
وأَلْقِماوُونَ ثَسْطُورٍ أَصابَ فَلَمْ يَقِفْ وعاجَلَهُ بالرُّمحِ يَبْتَدِرُ
واجْتَرَّ عامِلَهُ مِن صَدْرِهِ فَهَوى يَصِلُّ فُولاذُهُ مِن فَوقِ جُثَّتِهِ

مِن ثَمَّ بينَ يَدَيهِ مُمسِكاً جَذَبا إِحْدى دَعائِمِ سَطْحِ السُّورِ فاضْطَرَبا
واسْقَطَتْ مِن أَعالي الحِصْنِ وانْكَشَفَتْ عَن مَنْفَذٍ لِبَني طُرْوادَةٍ رَحُبا
فانْقَضَّ آياسُ يَبْغِيهِ وَبادَرَهُ طِفْقِيرُ يَرْمي بِسَهْمٍ فيهِ ما نَشِبا
حِزامَ جُنَّتِهِ الكُبْرى أَصابَ فَلَمْ يَنْفُذْ وزَفْسُ تَلافاهُ بِقُدْرَتِهِ (١)

لَمْ يَرْضَ مَوتَ ابْنِهِ قُرْبَ السَّفِينِ ولا نَكالَهُ وأَياسُ ثارَ مُشْتَمِلا

(١) الجنة الترس

وكَرَّ يطعَنُ والرُّمحُ الحَديدُ مضى　　في تُرْسهِ وإِلى الأَعضاء ما وَصَلا
فصَدَّ يرجع سرْفيدونُ بعضَ خُطًى　　عَن خُطَّةِ السُّورِ لكن لم يَهِنْ وَجَلا
بَلْ ظَلَّ يأملُ نصرًا وانْثَنى عَجِلا　　يَصيحُ في مَن تلاهُ من عَشيرَتِهِ:

« يا قومَ لِيقيةٍ هَلْ خارَ عزْمكُمُ　　فقد فَتَحتُ سَبيلاً في وُجوهِكُمُ
وهلْ تيسَّرَ لي ما صلتُ مُنفرِدا　　أُمهِّدُ السُّبُلَ للأَشْراعِ دُونكُمُ (١)
هبُّوا اتبعوني فخيرُ الأَمرِ ما اجْتَمعَتْ　　على تَطلُّبِهِ القُـوّاتُ تَلتَئِمُ »
فَجُمْلةً وَجِلوا من عَذْلِ مَلْكِهِمِ　　وفارَ فائرُهمْ من حَولِ فَوْرَتِهِ

والدَّانَويُّونَ قد ضَمُّوا كَتائبَهُمْ　　مِنْ داخلِ السُّورِ لا يلْوُونَ غاربَهُمْ
فَما هُمُ دافعو أَعدائهمْ صَببًا　　عَنْ ثُغْرَةٍ جَعلُوا فيها مَضارِبَهُمْ
ولا أُولئكَ مِنهُمْ نائلو وَطَرٍ　　ولا سَبيلَ ليحتلُّوا مَرَاكِبَهُمْ
وليسَ يَفْصِلُهُمْ إِلاَّ الفَواصِلُ في الـ　　سُّورِ الَّذي اشْتَبكُوا من حَولِ فُرْجَتِهِ

كَزارعَينِ بحقْلٍ بَعْدَ ما قُسِما　　تنازَعا كُلَّ شِبْرٍ في حُدُودِهِما
ولا يَظلاَّن في جُهْدٍ وفي عَمَلٍ　　حتَّى يُوازِنَهُ المِقْياسُ بينَهُما (٢)
كذا تَعادَلَتِ القُوّاتُ يَسْرُبُ مِن　　كِلا الفَريقَينِ سَيّالاً نَجيعُهُما

(١) أي انني مهما اشتددت بأساً فيستحيل عليَّ وحدي تمهيد السبيل الى السفن امامكم

(٢) حسبنا استلفات نظر المطالع اللبيب الى صحة هذا التشبيه وصدقه على جيشين متلاحمين لا يبلغ احدهما من الآخر أرباً

كَم جُنَّةٍ سُحِقَتْ في صدْرِ حامِلِها ... ولأْمةٍ خُرِقَتْ من تحْتِ جُنَّتِهِ

وكَم فتًى مُدْبِرٍ قد بانَ كاهِلُهُ ... فالسَّهْمُ واصِلُهُ والرُّمحُ قاتِلُهُ (١)
وما اْستَطاعَ بَنو الطَّرْوادِ صدَّهُمُ ... بلِ اْستَوى في مجالِ الفَتْكِ هائِلُهُ
كَمرْأَةٍ عالَتِ الأَطفالَ عادِلَةٍ ... قد أَمسَكَتْ عُوْدَ ميزانٍ تُعادِلُهُ
لا تُخسِرُ الصُّوفَ مِثْقالاً تَضِنُّ بهِ ... عَنِ العِيارِ الذي أَلقَتْ بكِفَّتِهِ (٢)

لٰكِنَّ زَفسَ ذُرى المَجْدِ الرَّفيعِ ذَخرْ ... لِهَكْطُرٍ فإلى الحُصْنِ المَنيعِ عبَرْ
فكَرَّ أَوَّلَهُمْ كَرًّا يَصيحُ بهِمْ: ... «إِليهِ فَكرُّوا بَني الطَّرْوادِ خيرَ مَكَرْ
والسُّورَ فاْختَرِقوا والنَّارَ مُضْرِمَةً ... أَلقُوا فلا تُبقِ من أُسطولِهمْ وتَذَرْ»
فَهاجَتِ النَّفْسُ والسُّورَ المَنيعَ رَمَوْا ... يَهُزُّ كُلُّ فتًى رُمحاً بِراحَتِهِ

وَهكْطُرٌ حجَرًا في البابِ قد ثَقَلا ... مُحَدَّدَ الرَّأْسِ ضَخْمٌ قَعْرُهُ حَمَلا
جُلْمودُ صَخْرٍ اذا ما رامَ يَحْمِلُهُ ... قَرْمانِ من خيرِ ما في عصْرِنا رَجُلا
ما بَلَّغا رَفْعَهُ إِلا بِجُهْدِهِما ... مِن صَفْحَةِ الأَرْضِ حتَّى يَبْلُغَ العَجَلا

---

(١) الجنة الترس واللأْمة الدرع — قال أبو الطيب:

كم مقلة ولغت فيها اسنتهُ ... ومهجة ولجت فيها بواترهُ
وحائن لعبت سمر الرماح به ... فالعيش هاجره والنسر زائرهُ

(٢) قال افستاثيوس كان من المأثور عند القدماء ان الشاعر انما اتى بهذا التشبيه تخليداً لذكر والدته واعلاناً لحرصها على الصدق والعدل لانها كانت ارملة تكدّ وتجد لتعول نفسها بعرق جبينها وهو تشبيه بالغ في العدل لانه ما من شيء يوضح

لٰـكِنَّ هَكْطُورَ يَرْحُوهُ بِغَيرِ عَنـاً إِذْ زَفْسُ أَذْهَبَ عنهُ كُلَّ ثِقْلَتِهِ (١)

نَظِيرَ جِزَّةِ كَبْشٍ خَفَّ مَحْمَلُها هَيْهاتَ في راحةِ الرَّاعي تُثقِّلُها
كذاكَ صَخْرَتُهُ هَكْطُورُ مُحْتَـدِماً عنْفاً رَماها لِصِفقِ البابِ يُرْسِلُها (٢)
قد أَحْكَمُوا قفْلَ مِصْرَاعَيْهِ إِذْ رُتِجا حتَّى يَعزَّ على الأَعداءِ مَدْخَلُها
وقد تَعارَضَ قُفْـلاهُ وَوَسْطَهُما ثَقْبٌ تَخَلَّلَ مِزْلاجٌ بِفُرْضَتِهِ

فَهَـكْطُرٌ مُذْ أَتاهُ أَثْبَتَ القَدَما مُفَرِّجاً بَينَ ساقَيْهِ رَحا وَرَمى
فَرَاحَ ما بينَ صِفقَيْهِ وَقد سَحَقَ الْ قُفْلَيْنِ يَنفُذُ والصِّفْقانِ قد حُطِما
والرَّزَّتانِ اُسْتَطارَتْ قائماتُهُما والبابُ يَصْرُفُ من عُنْفٍ بِهِ صَدِما
فَانْقَضَّ هَكْطُورُ بِالفُولاذِ مُتَّشِحاً كاللَّيلِ يَذْعَرُ ذُعْراً في دُجُنَّتِهِ

يَهُزُّ بَينَ يَدَيْهِ عامِلَيْهِ ولا يَصُدُّهُ غَيرُ رَبٍّ عِندَما حَمَلا
وَاُجْتازَ وَثْبـاً وعَيناهُ شِرارُهُما وارٍ وَأَلْفَتَ يَدعُو قَومَهُ عَجَلا
تَلْوَهُ ما بَينَ عادٍ قد تَسَلَّقَ أَو في البابِ جارٍ لِداوي الصَّوتِ مُمْتَثِلا
والأَرْغِسِيُّونَ لِلأُسْطُولِ قد لَجَأُوا في مَأْزِقٍ ضاقَ مُشْتَدٍّ بِأَزْمَتِهِ

القسط كالقسطاس وابلغ من ذلك انه لم يجعله بيد ذات ثروة ومقام لانها في الغالب لاتكون ميالة الى تمـام التوازن ولا بيد أمة مملوكة لانها لاتكون حريصة على ذلك الانصاف ولكن بيد امرأة فقيرة تكد لتعيش بالستر والحلال فهي لاتغش ولا تُغش فتحرر ميزانها تحرير الصادق المتيقظ

(١) لنا هنا شاهد آخر على اثرة الشاعر لقومه فان الحجر الذي رفعه اياس انمـا رفعه بقوة ذراعيه وهذا حجر هكطور لايتسنى له رفعه الا بعون زفس

(٢) صفق الباب مصراعه

النشيد الثالث عشر

الواقعة الرابعة

مُجْمَلُهُ

دفع زفس هكطور وأنصاره الى الثغر فاشتد الكفاح
وغادرهم في لظى ناره   وحوَّل وقَّاد أبصاره

ففتك الطرواد بالاغريق وهاجت العاطفة فوسيذ فهمَّ خفيةً عن زفس بمعاونة الاغريق فاتخذ هيئة كلخاس العرّاف واستنهض همة الآياسين ونفراً من المقاتلة. فالتف الاغريق حول آياس بن تيلامون وقاتلوا قتالاً مرًّا فصدوا هكطور واتباعه فجرح هكطور ودفع عن مرسى السفن بعد ان قتل امفياخوس . وامتعض فوسيذ لموت هذا البطل فهب مرة أخرى وتمثل لايذومين بهيئة ثواس وألهب لبه فشك في سلاحه وسار بمريون حوذيه الى ميسرة الجيش وظل الاياسان في القلب فاصطدم الجيشان وخرت القتلى أفواجاً وزفس منحرف الى الطرواد وفوسيذ الى الاغريق . وكان ذلك اليوم يوم ايذومين فبرز ببسالة أحرز بها قصب السبق وجندل الابطال وهزم الاقيال وكادت ترجح كفة النصر للاغريق فتثبت هكطور بموقفه وتألبت عليه الاعداء فلم تفز منه بطائل . وزحف عليه الاياسان بجيشها وانهالت النبال كالمطر على الطرواد حتى كادوا ينهزمون . فأشار فوليداماس بجمع الزعماء للوقوف على رأيهم فيما اذا كان الاولى لهم ان يتقهقروا أو يتصبروا فخاض هكطور الصفوف وعنف أخاه فاريس ثم انقضا معاً انقضاض الاسود فلم يظفرا بخرق كتائب الاغريق فالتقى الجيشان

وعجَّ الخميسين شق الفضا   الى حيث في الجوّ زفس اضا

مجرى وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين أيضاً ومشهدها بين معقل الاغريق والساحل

النشيد الثالث عشر

إلى الثَّغرِ هكطورَ زفسُ دفعْ　　وأنصارَهُ والكفاحُ صدعْ
وغادرهمْ في لظى نارهِ　　وحوَّلَ وقادَ أبصارهِ
لإثراقةِ أرضِ خيرِ الجيادِ　　وميسةَ مهدِ قرومِ الجلادِ
ونحوَ الإفومُلغِ أهلِ الفطنْ　　أباةِ النفوسِ غذاةِ اللبنْ (١)
ونحوَ الأبيِّينَ رهطِ الكمالْ　　وعنْ حصنِ إليونَ صدَّ ومالْ
وما كانَ يخطرُ في بالهِ　　بأنَّ بني الخلدِ منْ آلهِ
يثورُ بهمْ أحدٌ ويقومُ　　لنصرةِ أيِّ فريقٍ يرومُ
ولكنْ مزعزعُ ركنِ الثرى　　فسيذُ جميعِ البلا أبصرا
لقدْ كانَ شتَّ عُبابَ البحارِ　　وأقبلَ يرقبُ حرَّ الأوارِ
وأمَّ سمثراقَ أمَّ الشجرْ　　لأشمخِ طودٍ بها واستقرْ

---

(١) الافوملغة قبيلة من السكيثيين كان معظم غذائهم لبن الخيل وكانت مواطنهم على رواية اسطرابون في شمالي أوروبا — تضاربت الاقوال في تحويل انظار زفس عن مواقف القتال فمن قائل انه انما حوَّل نظره عن الطرواد ايذاناً بنصرة الاغريق ومن قائل عكس هذا القول • على اننا لا نرى سبيلاً لكل هذا التأويل فان الشاعر يمثل بزفس عظمة الخالق فيجدر به اذاً حيناً بعد حين ان ينظر الى امم اخرى كما رأيناه فيما سلف شخص الى الاثيوبيين وغادر المتحاربين وشأنهم اذ لا يعسر على مدبر الاكوان ان يتطلع الى أحوال الخلق في آن واحد على حد قول الشاعر

ليس على الله بمستنكرٍ　　ان يجمع العالم في واحدِ

فَلاحَتْ لَهُ كُلُّ إِيْذا وَأَبْصَرْ　سفينَ البحارِ وإِلْيُونَ والبَرْ
وَأَحْدَقَ مُسْتَعْجِباً وَهُوَ عابِسْ　وَشَقَّ عَلَيهِ نَكالُ الأَراغِسْ
فَهَبَّ مِنَ القُمَّةِ الوَعِرَهْ　بِنَفْسٍ عَلى زَفْسَ مُسْتَعِرَهْ
وَتَحْتَ خُطاهُ ارْتِجاجٌ شَدِيدْ　لَهُ الشُّمُّ والغابُ طُرّاً تَمِيدْ (١)
ثَلاثاً خَطا في الذُّرَى الشاسِعَهْ　فَأَدْرَكَ إِيغاسَ في الرَّابِعَهْ (٢)
هُنالِكَ شِيدَتْ صُرُوحُ النُّضارِ　لَهُ خالِداتٍ بِقَعْرِ البِحارِ
فَشَدَّ لِسائِقِ مَرْكَبَتِهْ　جِياداً تَطِيرُ بِمَرْحَلَتِهْ
حَوافِرُها ذُكْرَةٌ تَامِعُ　وَعَسْجَدُ أَعْرافِها يَسْطَعُ
وَحَلَّ بِإِبْرِيزِ شِكَّتِهِ　وَسَوطُ النُّضارِ بِسُدَّتِهِ
فَراحَتْ بِقَلْبِ العُبابِ تَلِجْ　لَها اليَمُّ مُبْتَهِجاً يَنْفَرِجْ
وخَلْقُ البِحارِ وَقَدْ شَعَرا　بِوَطْأَةِ مَوْلاهُ إِذْ عَبَرا

(١) في التوراة: اللهمَّ عند خروجك قدام شعبك عند بروزك في القفر سلاه رجفت الارض قطرت السماء من وجه الله سيناء من وجه الله اله اسرائيل (مز ٦٧)

(٢) ايغاس هذه كانت على رواية اسطرابون جزيرة وعرة بين تينوس وصاقس وكان فيها هيكل لنوسيذ الاله البحر - يتصور المطالع هيبة فوسيذ بارتجاج الغاب والجبال تحت قدميه وسيزيد ذلك هيبةً ما سيأتي من وصفه ووصف مركبته وهي تشق قلب العباب والحيتان تتواثب من حولها جذلاً به الى آخر ما سترى مما يغني عن البيان . وان وثوبه من اعلى قمم سمثراقة الى ايغاس بثلاث خطوات يذكرنا بما جاء عندنا من الاثر عن خطوات أبينا آدم اذ كان يجتاز من عدن الى سرنديب خطوة واحدة او كما قال الثعلبي في قصص الانبياء : ان خطوته كانت مسير ثلاثة ايام

مِنَ القَعْرِ حيتانهُ تَثِبُ ... لِمَرْآهُ يأخُذُها الطَّرَبُ
فطارَتْ بِجذعٍ بها اتَّصلا ... وما سِيمَ فُولاذُهُ بللا
سِراعاً بها خيلُها راحِلاتْ ... لِتبْلُغَهُ السُّفُنَ الرَّاسياتْ
وفي اللُّجِّ ما بينَ تِينيذُسٍ ... وذاتِ الجَلاميدِ أَمْبرُسِ
توَسَّطَ مِنْ تحتِ ذاكَ الطَّريقْ ... على البحرِ في القعرِ كهفٌ عميقْ
هُنالكَ أَوقفها ثمَّ حلاَّ ... ومدَّ لها علفَ الخُلْدِ حِلاَّ
وقَيَّدَها ذَهباً يبهَرُ ... فليسَ يُحَلُّ ولا يُكسَرُ (١)
لِتلْبثَ ثَمَّ لهُ بانْتظارْ ... ونحوَ الأَغارِقِ بالنَّفْسِ سارْ (٢)
فأَلفى الطَّرَاوِدَ قد هرَعُوا ... على إِثْرِ هكْطُورَ وانْدَفعُوا
بِصوْتٍ جهيرٍ وقلبٍ يَفُورْ ... كَنارٍ تَثُورُ ونوْءٍ يَدُورْ
يَرُومُونَ أَخْذَ الأَساطيلِ قَهْرا ... وَذَبْحَ الأَخاءَةِ ثَمَّةَ طُرَّا
ولكِنَّ فُوسيذَ مَنْ قبضا ... على الأَرضِ مِنْ فَوْرهِ اعْترَضا

(١) الخيل الطيارة كثيرة في اساطير الامم وعندنا في اقاصيص الف ليلة وليلة من غرائب سرعة الفرس السحري ما لا يقصر عن خيل الاه البحار بل ربما يربو عليه بان فرسنا لا يشعر بحاجة الطعام والشراب وليس له قيد يقيد به ولعل صاحب الف ليلة وليلة قرأ او سمع شيئاً من انشاد الالياذة فافرغها لنا بقالب يشبه ان يكون جديداً

(٢) لا أرى الباعث على اتخاذ فوسيذ ذلك الطريق للحلول ما بين جيش الاغريق الا ان يكون الشاعر قصد ان يزين شعره بتلك التصورات البديعة التي ترتاح اليها نفس السامع ولا سيما في عصر كعصره كان الناس فيه اقرب الى التشوف الى تلك الغرائب والا فما كان على فوسيذ الا ان يخطو خطوة خامسة فيحل حيث شاء

مِنَ اليَمِّ أَمِّ الأَراغِسِ رِفْقا فَماثَلَ كَلْخاسَ شَكْلاً وَنُطْقا
وَنَحْوَ الأَياسَين مالَ بِجِدَّهْ فَزادَهُما شِدَّةً فَوْقَ شِدَّهْ :
«أَياسُ أَياسُ أَلا فَاْحْمِلا فَحَمْلُكُما فِيهِ دَرءُ البَلا
أَلا فَاذْكُرا شأْوَ بأْسِكُما نَعَمْ وانْبِذا الرُّعْبَ خَلْفَكُما
فَلَسْتُ بِخاشٍ ذِراعَ العِدى وإِنْ كَثَّفُوا حَوْلَنا العُدَدا
فَهُمْ حَيْثُما عبَرُوا السُّورَ جَهْرا يَصُدُّهُمُ قَوْمُنا الغُرُّ قَهْرا
ولٰكِنَّما خَشْيَتِي ها هُنا وَهكْطُورُ كالنَّارِ ثارَ بِنا
يُفاخِرُ أَنْ كانَ مِنْ نَسْلِ زَفْسِ فَرُبَّ إِلاهٍ يَقُومُ بِبَأْسِ
وَيُولِيكُما العَزْمَ في مُلْتَقاهُ وَضَمَّ القُيُولِ لِكَفِّ أَذاهُ
يُغادِرُ أَسْطُولَكُمْ فَشَلا وإِنْ كانَ أَغْراهُ مَولى العُلى» [1]
وَمِنْ ثَمَّ مَسَّهُما بِعَصاهُ وأَولاهُما قُوَّةً مِنْ قُواهُ
شَدِيدَ ذِراعٍ وثَبْتَ قَدَمْ وخِفَّةَ جِسْمٍ وَكُلَّ الهِمَمْ
وحالاً تَوارى بِسُرْعَةِ صَقْرِ على الفَوْرِ يَنْقَضُّ مِنْ صَلْدِ صَخْرِ

(١) ان في كلام فوسيذ هذا لدربةً ودهاءً فانه اذ كان يمثل بطلاً من ابطال الاغريق لم يكن يجدر به الا ان يأتي حكمة يمكن ان تؤثر عنه ٠ ولا عبارة اقوى من عبارته لاستنهاض همم ذينك البطلين الباسلين اذ اثبت لهما ان الجيش في كل اطرافه بمأمن من الفشل الا في موقفهما لشدة بطش هكطور ٠ واذ كانا يعلمان ان هكطور مندفع بقوة علوية التي في صدريهما امل تحيز بعض الآلهة الى الاغريق واثبت قوله بالفعل بما اوحى الى صغيرهما كما سترى

وَيَرْمَحُ طَيَّ الجَنَاحِ الخَفِيفِ　إلى الوادِ في إِثْرِ طَيْرٍ ضَعِيفِ
فَفِيهِ أَحَسَّ أَياسُ الصَّغِيرْ　وَنَبَّهَ يَدْعُو أَياسَ الكَبِيرْ :(١)
« مِنَ الخُلْدِ لاشَكَّ رَبٌّ نَهَضْ　وماثَلَ عَرَّافَنَا لِغَرَضْ
لِنُورِيَ الأَوارَ ونَحْمِي السَّفِينا　فما هُوَ كَالخاسُ فَاعْلَمْ يَقِينا
تَبَيَّنْتُ وَهْوَ يَسِيرُ خُطاهْ　وَأَمْرٌ يَسِيرٌ بَيانُ الإِلاهْ
فَنَفْسِيَ ماجَتْ لِسَفْكِ الدَّمِ　وهاجَتْ يَدِي وَعَدَتْ قَدَمِي »
فقالَ : « نَعَمْ وأَنا الآنَ أُلْفِي　بِرُمْحِيَ تَهْتَزُّ لِلْفَتْكِ كَفِّي
وَرِجْلِيَ بِي شِدَّةً تَثِبُ　وَرُوحِيَ لِلنَّقْعِ تَضْطَرِبُ
تُحَرِّقُنِي لِبِرازٍ يَجِلُّ　مَعَ القَرْمِ هَكْطُورَ مَنْ لا يَكِلُّ »
فَذاكَ حَدِيثُهُما طَرَبا　وَفُوسِيذُ قَلْبَهُما أَلْهَبا
وراحَ لِساقَةِ جَيْشِ الأَراغِسْ　يُشَدِّدُ كُلَّ فَتًى مُتَقاعِسْ
فَقامَتْ مَفاصِلُهُمْ تَنْتَعِشْ　وَكانَتْ عَلَى عَيِّها تَرْتَعِشْ
إِزاءَ الأَساطِيلِ يُضْوَوْنَ غَمّا　وبالسُّورِ جَيْشُ العَدُوِّ أَلَمّا
يَرَوْنَ ويُذْرُونَ دَمْعاً سَخِينا　وبالحَتْفِ قَدْ أَصْبَحُوا مُوقِنِينا
فَفُوسِيذُ بَيْنَهُمُ انْدَفَقا　يَحُثُّهُمُ فِرَقاً فِرَقا

(١) تساءل البعض عن سبب تنبه اياس الصغير قبل اياس الكبير لتلك القوة الخارقة فقال بعضهم وهو قول حسن ان اياس بن تيلامون بطل مقدام لا يهاب الموت وهو كالبرج الثابت لا يتزعزع ولهذا كان قليل التنبه لما سوى دفع الكرات وخوض الغمرات حالة كون اياس الصغير خفيف الروح والجسد فهو اولى بسبق النظر

وبادَرَ يدْعو قُرُومَ الرِّجالِ كَلَيْطُسَ طِفْقِيرَ رَبِّ النِّبالِ
وفِنِيلَ ذِيفِيرَ فخرِ الكُماةِ وَثاوُسَ مِريُونَ هولِ العُداةِ
كذا أَنطِلُوخَ وبَكَّتَهُمْ بِقولِ أَثارَ عزيمتَهُم :
« أَلا أيَّ عارٍ أرى أيَّ عارِ أَفتيَتَنا ياحُماةَ الذِّمارِ
ظَنَنْتُ بكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ جِهادا وِقايةَ أُسطولِكُمْ أَنْ يُقادا
وإِلاَّ فإِنْ تَجبُنُوا في الكِفاحْ فَفَجْرُ انْتِصارِ الطَّرَاوِدِ لاحْ
أَتُبْصِرُ عيني عُجاباً خطيرا تَيَقَّنْتُ رَبَّاهُ أَنْ لنْ يَصيرا
عَلينا الطَّرَاوِدُ مُنْتَصِرَهْ وَهُمْ قَبْلُ إِيلَّةٌ فَرِرَهْ
تَتيهُ بِعَجْزٍ بِغاباتِها ولا عزْمَ يَدْفَعُ آفاتِها
إِلى أَنْ تَرُوحَ بسُوقِ النَّصيبِ طَعامَ ابْنِ آوى وفَهْدٍ وذِيبِ
أَهُمْ هُمْ ولَمْ يكُ منْ مِنْهُمُ إِلَينا ولَوْ لَحْظَةً يَقْحَمُ
أَهُمْ هُمْ وقد غادَرُوا البَلَدا وساموا عِمارَتَنا النَّكَدا
وذاكَ لِأَنَّ المَليكَ عَثَرْ فَغِيظَ الجُنُودُ وسِيمُوا الضَّجَرْ
فَحَولَ سَفائنِهِمْ يُذْبَحُونا وَللذَّودِ عنْهُنَّ لا يَنْهَضُونا
وَهَبْ أَنَّ أَتْرِيذَ كانَ امْتَطى بِإِغْضابِ آخيلَ مَتْنَ الخَطا
هَلُمُّوا بنا نَتَلافى العَرَضْ فَعَقْلُ أَخي الفَضْلِ يأْبى المَرَضْ
وليسَ جَديراً بِصِيدِ الرِّجالِ مُغادَرَةُ الكَرِّ يومَ النِّزالِ
ولا أَعْذُلُ النِّكْسَ إِنْ قَعَدا وَلَسْتُ بِعاذِرِكُمْ أَبَدا

نَقَاعُسُكُمْ سَيَزِيدُ البَلا ... أَلا فاذْكُرُوا العارَ بينَ المَلا
أَلا تنظُرُونَ الصِدامَ الشَدِيدا ... وَهكطُورَ ذاكَ العَميدَ العَنِيدا
بأَرْتاجنا فازَ والقُفلَ حَطَّمْ ... وحولَ السَّفائنِ صالَ وصَمَّمْ »[1]
فهاجُوا وحولَ الأَياسينِ ضُمَّتْ ... كَتائِبُهُمْ لِلصِدامِ وهمَّتْ[2]
صفُوفاً تَشُوقُ انْتظاماً أَرِيسا ... وفالاسَ يومَ تُثِيرُ الوَطيسا
تَرَبَّصَ صِيدُ جَماهِيرِهِمْ ... لِصَدِّ العُداةِ وَهكطُورِهِمْ
نِصالُ القَنا لِنِصالِ القَنا ... وفوقَ المِجَنِّ المِجَنُّ انْحَنى
وَبالمِغفَرِ المِغْفَرُ اتَّصلا ... وَقَدْ لاصقَ البَطَلُ البطَلا
بِرَصِّهِمِ الخُوَذُ اللامعاتُ ... تلاقتْ تَمُوجُ بها العَذَباتُ

(١) صمم اي فتك — من الحكمة في هذا الكلام ان نسب قائله وهن الجيش الى سأم ألمّ بهم لنزاع سبق بين اغاممنون واخيل لا لفتور في هممهم فكأنه لتمس لهم من أنفسهم عذراً على ذلك الفتور وفتح لهم مخرجاً يخرجون منه على أهون سبيل

(٢) لا بأس بتفكهة القارىء برواية رواها فلوتارخوس وفيلوستراتوس وغيرهما. قالوا ان غانكتور بن امفيداماس ملك اوبيا اجرى بمأتم أبيه العاباً ومخاطرات كثيرة كجاري عادتهم وخص الشعر بجائزة سنية. فدارت المشاعرة بين هوميروس وهسيودس وأنشد كل منهما ابياتاً من نظمه فكانت الغلبة بكل الانشاد لهوميروس باتفاق الجمع وكان فانيذس اخو الميت من جملة المحكمين فأمر كلاً من الشاعرين بانشاد اجود شعره في ظنه فأنشد هسيودس شيئاً من مطلع نشيده الثاني وانشد هوميروس الابيات التالية . فآثر فانيذس كلام هسيودس السامي على شعر هوميروس الحربي خلافاً لاجماع الحضور على تفضيل شعر هوميروس وحكم بالجائزة لهسيودس وعلى هذا انهال

ومنْ دُونِ صلْدِ أناملِهِمْ　تلاقي اهْتزازِ عوامِلِهِمْ
فَهبُّوا بِهِنَّ بِثَبْتِ جنانٍ　تَضرَّمَ نارًا لِحَرِّ الطِّعانِ
وهبَّ الطَّراوِدُ والْتَصقُوا　وفي الصَّدْرِ هكْطُورُ مُنْدَفِقُ
كَجلْمُودِ صخْرٍ قد انْتَزَعا　مِنَ الشُّمِّ سَيْلٌ بِهِ انْدَفَعا
لَهُ الغابُ مُرْتَجَّةً تَرْتَجِفْ　إلى القَعْرِ حيثُ بِعُنْفٍ يَقِفْ(١)
وقدْ كادَ هكْطُورُ يَسْفِكُ سَفْكا　على الخَيْمِ والفُلْكِ لِلْبَحْرِ فَتْكا
ولمّا بِتِلْكَ الصُّفُوفِ اصْطَدَمْ　على رَغْمِهِ ثَبَّطَتْهُ القَدَمْ
وجيْشُ الأخاءَةِ هَمَّ إليْهِ　يَهِيلُ القَنَا والسُّيُوفَ عليْهِ
فَصَدُّوهُ وانْكَفَأَ القَهْقَرى　يَصيحُ ويدعُو قُيُولَ السَّرى:
« طَراوِدَتِي وَبَني لِيقيا　وَيا آلَ دَرْدانُسَ الأصْفِيا

جميع الشراح على فانيذس باللوم والسباب ولم يكن منهم الا من أورد هذه الرواية وان تكن غير ثبتة مع ثبوت اقامة اسواقهم العكاظية هذه

(١) لو قرأت هذين البيتين في الاصل اليوناني لظننت انك تسمع هدير ذلك السيل المندفق والصخر المتحدر فوقه ترتجف لانحدار الغاب . ولسمعت صوت اندفاعه الدفعة الاخيرة ووقوفه فجأة وصدى صوته بعد ذلك الوقوف . ولعل لنا حظاً طفيفاً من مشاكلة شعر الشاعر اليوناني . اما التشبيه بحد نفسه فلا يفوقه تشبيه في كل الياذة هوميروس وغيرها . واي وصف اليق بوصف هكطور المنقض كالشهاب الثاقب والمندفق كالسيل الزاعب الى ان تتألب جماهير الاغريق حول الاياسين فتصده دفعة واحدة وتقف به وقوفاً لم يكن بالبال والخيال . ولقد أجهد شعراء الرومان والافرنج قرائحهم بالتشبه بهوميروس بنظم هذا المعنى ولكنهم لم يدركوا شأوه ولم يصيبوا المرمى اصابته ولم يحسن منهم احد احسان شيخ شعراء العرب القائل في معلقته بوصف جواده :

قِفوا فالعَدُوُّ قريباً يَدِينْ وإن رُصَّ رَصَّ الحِصارِ المَتينْ [1]
لئنْ كانَ خيرُ بني الخُلدِ طرًّا نعمْ بَعْلُ هيرا المُعظَّمُ قَدْرا [2]
هُوَ الدَّافعي لِنَكالِ العدى فإنَّ لهمْ بسناني الرَّدى »
فهاجُوا لِذا النُّطقِ نَفساً ولُبَّا وبرَّزَ ذِيفُوبُ يختالُ عُجْبا
بجُنَّتِهِ مُستَجيشَ القُوى كَرْ يحُثُّ الخُطى وبها يَتَستَّرْ
فلقَّاهُ مِرْيُونُ صَلْدَ سِنانهْ فمدَّ المجَنَّ اتِّقاءَ طِعانهْ
فمِنْ نَصلِهِ الرُّمحُ عُنفاً تكسَّرْ ومِرْيُونُ بينَ ذويهِ تقهقرْ
مَغيظاً لِرُمحٍ قَدِ انْصدَعا ونَجْوى العَدُوِّ المُبينِ معا
وَلِلْفُلْكِ والخَيْمِ حالاً سعى يَرُومُ قَناةً بها اسْتَوْدَعا
وقومُ أخايَ بِكَرَّتِهِمْ يعجُّ الفضاءُ بصيْحتِهِمْ
وطِفْقِيرُ أوَّلُ منْ ظهرا بِإِمْبِرِيُوسَ الفتى ظفرا
(هوَ ابنُ لِمنْطورَ حاوي الجيادِ بفيذِيَةٍ كانَ قبلَ الجهادِ

مِكرٍّ مفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ
على ان امرأ القيس زاد في المعنى الاقبال والادبار واغفل ارتجاف الغاب والوقوف

(١) الحصار المعقل وقول هكطور انهم رصوا كالحصار المتين شهادة اخرى بانتظام فيالقهم • وتشبيه الجيش المتألب بالبنيان المرصوص كثير في كلام العرب • وفي الحديث : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً

(٢) لقد عرّف هوميروس هنا زفس مرة اخرى بزوجه وقد اشرنا الى ذلك ص : ٥٩٣

وزوجُ لِمِيذِيسِكَسْتَا الجَمِيلَهْ فَتَاةٌ لِفِرْيَامَ غَيْرُ حَلِيلَهْ (١)
فَعِندَ أُنتِشَابِ الوَغى قَفَلا لِإِلْيُونَ حَيْثُ سَما بَطَلا
وحَلَّ لِفِرْيَامَ ضَيفاً كَرِيما على حُرْمَةٍ كَبَنِيهِ مُقِيما
فَأَرْدَاهُ طِفْقِيرُ بِالأُذْنِ وَجرَّ القَنَاةَ ولَمْ يَنْثَنِ)
فَخَرَّ كَدَرْدَارَةٍ نَبَتَتْ على رَأْسِ طَودٍ بِهِ ثَبَتَتْ
يَمِيلُ بِهَا النَّصْلُ حِينَ بَرَى بِغَضِّ الغُصُونِ لِوَجْهِ الثَّرى
كَذَلِكَ إِمبَرِيُوسُ ٱلتَوَى بِصَلْصَلَةِ الدِّرْعِ واهِي القُوَى
وطِفْقِيرُ هَمَّ يَرُومُ السَّلَبْ وَلٰكِنَّ هَكْطُورَ حالاً وَثَبْ
وأَقْبَلَ يَرْمِيهِ بِالعامِلِ وطِفْقِيرُ ما كانَ بِالغافِلِ
تَنَحَّى فَرَاحَ السِّنانُ يَطِيرْ لِصَدْرِ الفَتَى أَمفِمَاخَ المُغِيرْ
(فَتَى أَقْطِيَاطُ أَبُوهُ وكانا لِأَقْطُورَ يُنْسَبُ نَسْلاً وشانا) (٢)

---

(١) ذكرنا في ما تقدم ان ابناء السفاح لم يكونوا على شيءٍ من الحطة التي نالتهم في ما ولي عهد هوميروس • وهنا شاهد على ان بنات السفاح لم يكنَّ دونهم في المنزلة ولولا ذلك لحاذر هوميروس ان يقول ان مديسكستا كانت زوجة لزعيم من كبار الجيش • ولا يستخرج من كلام هوميروس كيف كانت حالة المسافحات لذلك العهد • ولم يقل أكانت والدة مديسكستا خصيصة به ام كانت كبغايا العرب اللواتي كن يبحن انفسهن لكثيرين فاذا ولدن اجتمع اليهنَّ اولئك الرجال فكان المولود لمن ألحقنه به منهم كما فعلت ام عمرو بن العاص اذ كانت بغية وكان قد لازمها العاص وأبو لهب وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب فألحقت المولود بالعاص لانه كان ينفق على بناتها (السيرة الحلبية ١ : ٤٦)

(٢) اقطور لقب لفوسيذ الاه البحر ومعناه القائد والدليل

فخرَّ يَصِلُّ وهكْطورُ كرَّا ... لِيَسلُبَ خُوذَتَهُ حيثُ خرَّا
ولكنَّ آياسَ عاملهُ ... أُطيرَ عليهِ يُعاجِلُهُ
فلم يَبلغِ الرُّمحُ جِسماً تردَّى ... حَديداً يَصدُّ العواملَ صدَّا
ولكنْ بِمَتنِ المِجَنّ وَقعْ ... وهكْطورَ بالعُنفِ رَغماً دَفعْ
فظلَّ القتيلانِ حيثُ هُما ... وقومُ أخايَ خلَوْا بهما
فمي أَمفماخَ مِنستُ الْمُوقَّرْ ... وإِستيخيسُ فمِلا المعسكرْ
وإمبريوسُ الأياسانِ سارا ... بهِ يقدحانِ احتداماً شِرارا
كلَيثَينِ مِن تحتِ نابِ الكلابِ ... قدِ انتزعا سخلةً وسطَ غابِ
لغضِّ الغياضِ قدِ احتملاها ... وما بينَ فكّيهما أعلياها
كذا بينَ أيديهما رفعا ... وشائقَ شكّتهِ انتزعا
وظلَّ ابنُ ويلُوسَ يشتدُّ حقدا ... لِقتلِ الفتى أمفماخَ المُفدَّى
فهامةَ إمبريوسَ اقتضبْ ... رحا ورماها شديدَ الغضبْ
فدارتْ ولاكرةٍ حيثُ مرّتْ ... وتلقاءَ هكطورَ في التُّربِ قرّتْ(١)
وفوسيذُ منتقماً لحفيدهْ ... يُعِدُّ لِطِرْواذَ شرَّ وعيدهْ (٢)
فهبَّ الى الفُلْكِ والخيمِ يجري ... يهيجُ النفوسَ لِوقعِ أمرّ

(١) قال عمر بن كلثوم يشبه الرؤوس المقطوعة بالكرات التي يدحرجها الغلمان الشداد في مطمئن من الارض :

يدهدون الرؤوس كما تدهدي ... حزاورةٌ بابطحها الكرينا

(٢) حفيد فوسيذ اي امفماخس

فَأَبصَرَ إِيذُومِنًا فَقَلا إِلى الحَرْبِ مِن بَعدِ ما اعتَزَلا
يُعالِجُ حِيناً فَتىً طُرِحا بِبَطْنِ شَظِيَّتِه جُرِحا
فَمِن بَعدِ أَنْ حَمَلُوهُ إِلى خِيامِهِمِ عَجِلاً عَجِلا
وَأَلقاهُ إِيذُومِنٌ لِلإِسِى لِخَيْمَتِهِ جَدَّ بادي الأَسى (١)
يَشُكُّ بِها بِثَقيلِ السِّلاحِ وَيُقْبِلُ مُقْتَحِماً لِلْكِفاحِ (٢)
تَلَقَّاهُ فُوسِيذُ يَعْدُو بِبَاسٍ بِشَكْلِ ابْنِ أَنْدَرْمُونَ ثُواس
ثُواسُ الذي كانَ مَلْكاً كَبِيرا وسادَ الإِتولَ أَميراً خَطِيرا
على كالذُونَةَ أُمِّ الجِبالِ كَذاكَ فَلُوزُونَةٍ بالجَلالِ
فَقالَ: «أَإِيذُومِنٌ أَيْنَ ما لَفيفُ الأَخاءَةِ قد زَعَما
بِبَأْسٍ يَقُدُّ الطَّراوِدَ قَدَّا وَعِيدٌ أَراهُ قَدِ انْهَدَّ هَدَّا»
أَجابَ: «وَلَستُ أَرى أَنْ يُلامْ بِنا أَحَدٌ لاعْتِزالِ الصِّدامْ

(١) الاسى جمع آسي الاطباء ويظهر من هذه العبارة ان اطباءهم كانوا كثيرين او كان لكل قبيلة منهم اطباء معلومون فضلاً عن ماخاوون وفوذالير اللذين كانت لهما رئاسة الاطباء لانا رأينا فيما تقدم ان اخيل وفطرقل كان لهما ايضاً المام بفن الطب

(٢) من عادة الشاعر اذا اراد ان يبرز بأس بطل من ابطاله ان ياتي بمقدمة تمثل اخلاقه تمثيلاً • وهو هنا يريد ان يبرز لنا ايذوميناوس وهو ملك ذو شان قد وخط الشيب عارضه ولكن فيه بقية بأس لمكافحة الابطال • واناَّ لنراه هنا قبل بداره الى القتال يُعنى بفتى جريح يؤاسيه ويداويه • ومما جاء في الاثر انه لما اجتمعت الملوك للحرب طلب ايذوميناوس مشاطرة اغاممنون الزعامة الكبرى ينبئنا ذلك بما كان له من علو المنزلة وبسطة الجاه وهو على رفعة شانه محب لجنده شفيق عليهم كما رأيت • وقد انبأنا الشاعر بتلك الاخلاق دون ان يصرح بها

كَرَرْنا جَميعاً وما مِنْ أَحَدْ　　عَنِ الحَرْبِ جُبْناً وذُلاًّ قَعَدْ
فلاشكَّ زَفْسُ القَديرُ اُستَطابا　　نَكالاً وعارًا لَنا واُغْتِرابا
ثُوَاسُ وانْتَ الفَتى الباسِلُ　　بنُصْحِكَ يَسْتَرْشِدُ الخامِلُ
فَلا تَأْلوَنَّ برُشْدِكَ جهْدا　　وَحُضَّ الفَوارسَ فَرْداً فَفَرْدا»
فقال: «أَإِيذُوْمِنُ مَن بَغى　　قُعُودًا عَنِ الكَرِّ في ذا الوَغى
عَسى أَن يعزَّ عَليهِ المآبْ　　ويَبْقى هُنا مُضْغَةً لِلْكِلابْ
فَشُكَّ وَهِيَّ اُتْلُني مُسْرِعا　　عَسى الفوزُ في أَنْ نَكُرَّ معا
فأَعْجَزُ ما في الرِّجالِ لَدى　　تَكافُلِهِمْ يُحْرِزُونَ القُوى
وزِدْ أَنَّنا بقُرُومِ الرِّجالِ　　إذا اُشْتَدَّتِ الحَرْبُ لَسْنا نُبالي»
ولَمَّا اُنْتَهى راحَ وُجْهَتَهُ　　وإِيذُوْمِنُ أَمَّ خَيمَتَهُ
فأَلْقى زَهِيَّ السِّلاحِ عَليهِ　　وهَبَّ بِرُمْحَيْنِ بينَ يَدَيهِ
كَصاعقَةِ زَفْسُ مِنْ عِندِهِ　　عَلى الأَرْضِ يَدْفَعُ مِنْ زَنْدِهِ
يَطيرُ لَها في الأُلمْبِ شَرَرْ　　فَيُنْبِئُ بالشُّؤْمِ بَينَ البَشَرْ
شُعاعٌ حَكَتْهُ عَلى صَدْرِهِ　　صَفائِحُهُ الغُرُّ في كَرِّهِ
فَأَبْصَرَ تابعَهُ الشَّهْمَ أَضْحى　　لَدى الخَيْمِ يَطْلُبُ مِنْ ثَمَّ رُمْحا
فَصاحَ: «اُبْنَ مُولُوسَ مِرْيُونُ حِبّي　　أَعزَّ الفَوارسِ مِنْ كُلِّ صَحْبي
عَلامَ بَرِحْتَ الصِّدامَ الأَصَمْ　　أَصابَكَ سَهْمٌ وَزادَ الأَلَمْ
أَمِ الآنَ تَحْمِلُ لي خَبَرا　　أَلَسْتَ تَراني مُسْتَعِرا

أَبِيْتُ التَّخَلُّفَ بَيْنَ خِيامي　وَيَدْفَعُني عاملي وحُسامي »
فقالَ : « أَتيتُ نَعَمْ عاجلا　أرى في خِيامكَ لي عاملا
فإِنَّ قَنَاتي قَدِ انْقَعَرَتْ　على تُرْسِ ذِيفُوبَ وانْكَسَرَتْ »
فَقالَ : « هُنا خَيْمَتي أُدْخُلْ تَنَقَّ　قَناةً وإِنْ شئْتَ عِشْرِينَ تَلْقَى
صُفُوفاً بِها عُلِّقَتْ ساطعاتٍ　بأَكْنافِها مِنْ سلاحِ العُداةِ
لِأَنِّيَ مُقْتَحِمٌ أَبَدا　بِوَجْهِيَ وَجْهَ عُلُوجِ العِدى (١)
فَفِيها تُرُوسٌ وَفيها رِماحٌ　وَبِيضٌ وَلَامٌ بَزاهي الصِّفاحِ» (٢)
أَجابَ: «وفي خَيْمَتي وبِفُلْكي　سلاحٌ كَثيرٌ ذَخَرْتُ بِفَتْكي
وَلٰكِنَّهُ والعَدُوُّ أَسْتَطالُ　عَسيرُ المَنالِ لِبُعْدِ المَجالْ
وَإِنِّيَ مِثْلَكَ أَفْتَخِرُ　بأَنِّيَ بَأْسِيَ أَذْكُرُ
وَأَنِّيَ يومَ الطِّعانِ أُرَى　إِذا الْتَحَمَ النَّقْعُ صَدْرَ السُّرَى (٣)

---

(١)　كقول ابي تمام :

حرامٌ على ارماحنا طعن مدبر　وتندقُّ قدماً في الصدور صدورها
محرمة اعجاز خيلي على القنا　محللة لباتها ونحورها

(٢)　كان من اعظم مفاخرهم ان يذخر الفارس منهم شيئاً كثيراً من سلاح اعدائه وكلما كثر سلبه عظم قدره بين ذويه فلا نعجب بعد ذلك اذا رأيناهم في معمعة القتال يكبون على قتلاهم ليجردوا سلاحهم وان كان الاعداء محدقين بهم من كل صوب (راجع ن ١ : ٢١٤)

(٣)　قال عنترة :

ما زلت القى صدور الخيل مندفقاً　بالطعن حتى يضجَّ السرج واللببُ

نَغَيْرُكَ إِنْ أُبْلِ قد لا يَراني ولكنَّ إِيذُومنَاقد بَلاني »
فقالَ : « وَمِثْلِيَ مَنْ خَبرَكْ فلستَ لتُنْمي لي خَبرَكْ (١)
عَلِمْتُ بأَنَّا إِذا ما أَقمْنا كَميناً لهُ صَفْوَةَ البُهْمِ رُمْنا
هُنَالكَ حَيثُ يَكُونُ المحكْ فيُعرَفُ مَنْ صكَّ مِمَّنْ فَتَكْ (٢)
هُنَالكَ حَيثُ الجبانُ امتُقِعْ وَمِنْ جوفِهِ قَلْبُهُ يَنْخَلِعْ
بمُهْجَتِهِ هلَعاً يَخْفِقُ وَمِنْ خَشْيَةِ الموتِ يَصْطَفِقُ
وتَصْطَكُّ أَسْنانُهُ ويقفْ فتُقْعِدُهُ رُكَبٌ تَرْتجِفْ
وأَمَّا الجسُورُ فليس لِيَعْبا ولا يَتَغَيَّرُ لوناً وقَلْبا
يُعالُ وقد رَصَدَ القومَ صَبْرا إِلى الكَرِّ والبَطْشِ طَعْناً ونَحْرا
هُنَالكَ مَنْ ذا الذي يَجِدُ عَلَيكَ سَبيلا فيَنْتَقِدُ
فإِمَّا طُعِنْتَ وإِمَّا ضُرِبتَ قَرِيباً إِذاً أَو بَعِيداً أُصِبتَ
فَلَيسَ بِظَهْرِكَ وَقْعُ سِلاحْ وصَدْرُكَ ذاكَ مَحَطُّ الرِّماحْ (٣)
وَلَكِنْ دَعِ البَحْثَ في صَدَدِ نُلامُ عَلَيهِ ولا نَجْتَدِي
هَلُمَّ اُدْخُلَنَّ عَزِيزاً مَكِينا ومِنْ خَيمَتِي اُقْتُلْ سِناناً مَتِينا» (٤)

(١) خبرك الاولى بمعنى عرفك
(٢) صك اي جبن
(٣) قال العلوى صاحب الزنج :

يلقى السيوف بنحره وبوجهه ويقيم هامته مقام المغفرِ
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا فعقرت ركن المجد ان لم تعقرِ

(٤) اقتل اي اختر

فَهَبَّ كَآرِسَ مِرْيُونُ يَحْمِلُ مِنَ الخيمِ رُمحاً حَدِيداً وَيَقْفِلْ
وفوراً بإيذومِنٍ لحقا بنفسٍ مُضَرَّمَةٍ لِلِّقا
فراحا وعِنْدَ رَواحِهِما تَأَلَّقَ نُورُ سِلاحِهِما
كَأَنَّهُما آفةُ الخَلْقِ آرِسْ يَثُورُ فيهمي الدَّواهي الدَّراهِسْ
يَحفُّ بِهِ الهَولُ ذو الغَمَراتْ فَتَاهُ الحَبيبُ أَبُو الأَزَماتْ[1]
مُرَوِّعُ قَلبِ كُماةِ الحَديدِ وخافِضُ كُلِّ رَفِيعٍ عَنِيدِ
فيا لِلْوَبالِ إِذا عَمَدا مَعاً مِن ثَراقَةَ واتَّقدا [2]
يَهابانِ لا لِدُعا قُبِلا ولكِنْ لِنَكْبَةِ أَسْيَءِ المَلا
فإِمَّا لِظَهرِ الإِفِيرَةِ كَسْرا وإِمَّا لِقَمعِ الفَلِيجَةِ قَهْرا
كَذلِكَ إِيذُومِنُ اعْتَصَما وَمِرْيُونُ بالبَأْسِ واقْتَحَما
فقالَ ابْنُ مُولُوسَ: «أَينَ تُرَى تَرُومُ بأَنْ نَلِجَ العَسْكَرا
يَميناً أَمِ القَلبَ أَمْ عَن شِمالْ أَرى عَمَّ كُلَّ النَّواحي القِتالْ»
أَجابَ: «فَفي القَلبِ صَفْوَةُ بَأْسٍ جَديرُونَ أَنْ يَدْرَأُوا كُلَّ بَأْسٍ[3]
هُنالِكَ الأَياسانِ بالعَزْمِ كَرّا وطِفْقِيرُ أَرْمى الأَغارِقِ طُرّا

(١) ترى ان الهول ممثل بشخص هو ابن آريس الاه الحرب

(٢) في ذلك اشارة الى معتقد قديم عندهم على ان موطن آريس كان في بلاد ثراقة يدل ذلك على ما كان لاهل تلك البلاد من الشهرة بالبأس والشدة وما كان لهم من الغزوات في بلاد الافيرة والفليجة كما سترى بعيد هذا

(٣) بأس الاولى بمعنى الشدة والثانية بمعنى الشر

لَئِنْ يَرْمِ ما مِثْلُهُ نابِلُ ... وإِنْ كَرَّ فَهُوَ الفَتى الباسِلُ
فَهُمْ كُفْءُ هكَذا وَمَهْما طَغى ... فَلَنْ يَبْلُغَنَّ بِهِمْ ما بَغى
ومَهْما يَكُنْ عَزْمُهُ لَنْ يَهُونا ... عَلَيهِ المَنالُ فَيُوري السَّفِينا
فَلا نالَها غَيرُ زَفْسَ إِذا ... رَماها بِمِقْباسِ نارِ الأَذى
وَلا بَشَرٌ مِنْ جَمِيعِ البَشَرْ ... يُؤَلِّمُهُ عامِلٌ وحَجَرْ
وَيُغْذى نِتاجَ الثَّرى مُسْتَمِرًّا ... يُطِيقُ لِآياسَ ذُلاًّ وقَهْرا
وَلَيْسَ بِغَيرِ السِّباقِ يُطالْ ... ولَوْ تَهْسُ آخِيلَ بالعَزْمِ صالْ
فَقُمْ فَنَسِيرُ إِذًا لِليَسارْ ... لِنُولِيَ أَوْ نَحْنُ نُولَى الفَخارْ »
ومِرْيُونُ حالاً كَرَبَّ القِتالْ ... تَقَدَّمَ يَجْرِي إِلى حَيثُ قالْ
ودُونَ الطَّراوِدِ مُذْ ظَهَرا ... يُضَرِّمُ إِيذُومِنُ شَرَرا
وتابِعُهُ بِالسِّلاحِ المَتِينْ ... تَرامَوا لِكَبْحِهِما مُجْمِعِينْ
هُنالِكَ السُّرى اشْتَبَكَتْ والغُبارْ ... إِزاءَ السَّفائِنِ لِلْجَوِّ ثارْ
وقد سَتَرَ السُّبْلَ سَحْقٌ رَفِيعْ ... فَتَنْسِفُهُ لِعُبابِ الرَّقِيعْ
كَأَنَّ الرِّياحَ قَدِ اصْطَدَمَتْ ... بِنَوءٍ تَفاقَمَ فالْتَطَمَتْ
كَذا اشْتَبَكُوا فَوْقَ تِلْكَ الفَلا ... وقارَنَتِ الأَسَلُ الأَسَلا
رِماحٌ تُمَزِّقُ صَدْرَ الرِّجالِ ... وَأَفْئِدَةٌ لَهِبَتْ لِلنِّزالِ
ولَمْعُ الدُّرُوعِ وَغُرُّ التُّرُوسِ ... وزُهْرُ التَّرائِكِ فَوْقَ الرُّؤُوسِ
وقد عانَقَ الفَيلَقُ الفَيلَقا ... بِمَنْظَرِهِ يَبْهَرُ الحَدَقا

وَلَيسَ سوى الفاتكِ الباسلِ يُسَرُّ لِذا المَشْهَدِ لهائلِ
وكُلٌّ مِنَ ٱبْنَى قُرُونُسَ رامْ خلافَ مَرام أَخيهِ الهُمامْ (١)
فَزَفْسُ لإعْزازِ شأْنِ أَخيلْ لِهَكْطُورَ كانَ مَلِيًّا يَميلْ (٢)
وَلٰكِنَّهُ لم يشأْ أَنْ يُبيدا بإِلْيُونَ قومَ الأَخاءِ بَعيدا
بَلِ ٱخْتارَ إِجْلالَ ثِيتِيسَ قَدْرا كَذاكَ أَخِيلَ ٱبْنَها الشَّهْمَ جَهْرا
وفُوسيذُ سِرًّا مِنَ البَحْرِ هَبَّا لِيُحْيِي الأَراغِسَ نَفْساً وقَلْبا
يُؤَلِّمُهُ أَنَّ زَفْسَ جَنَفْ عَلَيهِمْ وَنَحْوَ العُداةِ ٱنْحَرَفْ
هُما ٱبْنا أَبٍ واحدٍ لَيسَ إِلاَّ وثَمَّ التَّكافُوءُ فَرْعاً وأَصْلا
ولٰكِنَّما البِكْرُ زَفْسُ غَدا وقد فاقَ عِلْماً وطالَ يَدا (٣)
لِذٰلكَ فُوسيذُ ما جَسَرا بجَيْشِ الأَراغِسِ أَنْ يَظْهَرا
فَجابَ يَخُوضُ الصُّفُوفَ خَفِيّاً يُماثِلُ بَينَ الكُماةِ كَمِيّاً

---

(١) قرونس هو زحل كما تقدم والمراد بابنيه زفس وفوسيذ كما سترى

(٢) مفاد ذلك ان زفس كان يروم ان ينكل هكطور بالاغريق حتى تضيق عليهم المسالك فينهض أخيل لنصرتهم ويكون فوزهم عن يده فينال أخيل بذلك المقام الارفع والفخر الاعظم

(٣) ان ايثار البكر على سائر الابناء من سنن الطبيعة التي استنت بها كل البشر حتى لقد استن بها الآلهة انفسهم ولا سيما حيث ليس في الاسرة الاموضع واحد للملك فلا يصح ان يستأثر به سوى واحد ولا يصلح ان يكون هذا الواحد الا البكر لسبقه في الرشد فاذا كان ذلك نظاماً مأثوراً فلا سبيل بعده الى النزاع • وهذا هو الاصل في ايثار البكر على اخوته • ومن ثم سرت العادة الى ذوي المقامات ومنهم الى سائر الناس

وأَوْرى الإلاهان نارَ نَكالِ　　لَهُ بَسَطا حَبْلَ حَرْبٍ سِجالِ
بأَطْرافِهِ كُلُّهُمْ وقَعُوا　　فَقَطَّعَهُمْ وَهْوَ لا يُقْطَعُ
وَخَرَّتْ سَراةُ كَتائِبِهِمْ　　لَدَيهِ بِعُنْفِ تَجاذُبِهِمْ (١)
هُنالِكَ إِيذُومِنٌ سَخِطا　　وإِنْ كانَ بالشَّيبِ قد وُخِطا
لِقَلْبِ العُداةِ بِثَبْتِ القَدَمْ　　دَعا قَومَهُ حَنَقاً وهَجَمْ
وهَدَّ عَزائِمَهُمْ مُذ قَتَلْ　　بِكَرَّتِهِ أُثْرِيُونَ البَطَلْ
فَتًى مِنْ قَبِيسَةَ قد أَقْبَلا　　حَدِيثاً ونَيْلَ العُلى أَمَّلا
بِكَسَنْدَرا رَبَّةِ الحُسْنِ هامْ　　فَخاطَبَ فِرْيامَ في ذا المَرامْ
وما ساقَ مَهْرًا لَها بَلْ وَعَدْ　　بِقَهْرِ العَدُوِّ وحِفْظِ البَلَدْ
ومُذْ وَعَدَ الشَّيْخُ أَبْهى بَناتِهْ　　يُزَوِّجُهُ انْقَضَّ فوقَ عُداتِهْ
مَضى شامِخاً بِعَزِيمَتِهِ　　فَلَمْ يَقِهِ صُلْبُ جُنَّتِهِ

وسرت على مناهج شتى مرجعها جميعاً الى ايثار البكر على اخوته حساً ومعنىً ٠ وعلى هذا كان اليهود يخصون البكر ببركة أبيه ويضاعفون سهمه في الميراث ٠ اما العرب فالظاهر انهم لم يزيدوا في حقوق البكورة شيئاً كثيراً عما كان عندهم لحرمة التقدم في السن من الرعاية المعنوية ومع هذا فقد كان البكر يستأثر بما لايحتمل القسمة من متروكات ابيه ٠ ولكن الاسلام ساوى بين البنين جميعاً

(١) أي استعارة اجمل من هذه الاستعارة لفئتين متحاربتين متلاحمتين تلاحماً لايكاد يفرق فيه بين القاهر والمقهور والملتوي والمنصور فالحرب بينهما يتجاذبان اطرافها كحبل

باطرافه كلهم وقعوا　　فقطعهم وهو لا يُقطعُ

وغارَ السِّنانُ بمُهْجَتِهِ فخرَّ يصلُّ بشكَّتِهِ
فناداهُ إيذومنٌ يفتخرْ : « أيا أثريونُ لئنْ تنتصرْ
فتتبعُ خُبْرَكَ بالخبرِ علمتُكَ خيرَ بني البشرِ
فإنْ كانَ فريامُ أبدى العهودْ فنحنُ نبرُّ كذا بالوعودْ
على دكِّ إليونَ إنْ تلنا فمهدكَ نوثقهُ علنا
ونجعلُ عرسكَ أجملَ بنتِ لأثريذَ من أرغليذةَ تأتي
هلمَّ الى الفلكِ نبدي القرارْ فأحماؤنا لنْ يشابوا بعارْ (١)
ومن ثمَّ وافاهُ مجتذبا بساقٍ فزادَ العدى لغبا
وآسيسُ راجلاً أقبلا لينقمَ وانقضَّ مشتعلا
ومنْ خلفهِ الخيلُ يحرسها فتىً قد علاهُ تنفسُها
فهمَّ وإيذومنٌ سبقا بزجٍّ بحلقومهِ مرقا
فمالَ أمامَ الجيادِ يصرُّ بأسنانهِ للحضيضِ يخرُّ
كأرزةِ طودٍ وحورتهِ وملولةٍ فوقَ قنّتهِ

وهي من استعارات هوميروس القليلة بازاء تشابيهه ولكنها ليست في شيء دونهن قوة واستحكاماً

(١) لايخفى ما في هذا الكلام من التهكم على خطيب ابنة فريام القتيل . ولقد عيب هوميروس على عبارات كهذه اذ ليس من الاباء وشيم النفوس الكبيرة ان تهكم على عدو ظفرت به ولا سيا بعد موته ولكنه قد يشفع لشاعرنا انه انما كان يصور اخلاق بني زمانه حسنها وقبيحها فهي عادة جرت لهم فأثبتها على علاتها

تَمِيلُ بفأسٍ لها شحَـذُوا   لِصُنْعِ السَّـفائنِ تُتَّخذُ
وسائقُهُ ظَلَّ مُضْطَرِبا   وحارَ فلَمْ يَنْهَزِمْ هَرَبا
ورُمحُ ٱبْنِ نسطُورَ وافى يَميدُ   بأَحْشائهِ فوقَ دِرْعِ الحَدِيدْ
فأَهوى إلى الأَرضِ يَشْهَقُ شَهقا   وأفْراسَهُ أَنْطِلُوخُ تَلَقَّى
وسارَ بها لِلْحِمى مَغْـنَما   وذِيفُوبُ إِيذُومنًا يَمَّما
لآسيُّسٍ هَبَّ يَطْلُبُ ثارا   مَشى وعَلَيهِ السِّنانَ أَطارا
وإِيذُومِنٌ مُذْ رآهُ تَقَدَّمْ   وَزَجَّ فَتَحْتَ المِجَنِّ تَأَمَّلْ
(مِجَنٌّ يُغَشِّيهِ جِلْدُ البَقَرْ   وفُولاذُهُ ساطِعٌ لِلنَّظَرْ
لَهُ مِقْبَضانِ مَتِينٌ كَبِيرُ   يَحُفُّ القَتِيرُ بِهِ مُسْتَدِيرُ)
فلامَسَ بَطْنُ السِّنانِ المِجَنَّا   وطارَ ومِنْ وَقْعِهِ التُّرْسُ رَنَّا
وغَلَّ وما طاشَ إِذْ صَـدَرا   إلى ٱبْنِ هِفاسُسَ إِفْسِينُرا
فأَنْفَذَ يُصْمِيهِ بالكَبِدِ   وذِيفُوبُ يَشْهَدُ عَن بُعُدِ
فَـراحَ بِخَيلَتِهِ مُفْتَخِرِ   يَصِيحُ بِنَعْرَةِ مُنْتَصِرِ:
« نَعَمْ دَمُ آسيُّسٍ ما ٱنْهَدَرْ   وإِنْ أُمَّ آذِيسَ هَوْلَ البَشَرْ
سَيأْمَنُ ضِمْنَ المَقامِ العَمِيقِ   لأَنِّيَ أَتْبَعْتُهُ بِرَفِيقِ »
فَساءَ الأَراغِسَ ذاكَ النَّعِيرُ   وأَوْرى حَشَا أَنْطِلُوخَ السَّعِيرُ
على بَثِّهِ راحَ والصَّبْرُ عِيلا   يَقِي بِالمِجَنِّ الخَلِيلَ القَتِيلا[1]

(١) أي خوفاً عليه من الاعداء ان يجردوه سلاحه ويخلوا بجثته

وآلسطرُ ومكستُ أسيرا　　به للسفائنِ يُعلي الزّفيرا
وإيذومنُ ظلّ في حزمهِ　　يكرُّ بعزمٍ على عزمهِ
فإمّا ليُرْدي كمياً بيأسهْ　　وإمّا ليَفدي ذويهِ بنفسهْ
أصابَ سليلاً لِزَفسَ الأغرّ　　بِأَلقاثِ بْن إسيتَ اشتهرْ
لأنخيسَ قد كانَ صهرًا صفيّا　　على بنتِهِ البكرِ هيفوذميا
فتاةٌ بصرحهما أبواها　　بمنزلِ قلبِهما أنزلاها
وما كانَ بينَ لِداتِ الزّمان　　لها مثلٌ في العذارى الحسانِ
وفاقتْ بوشيٍ وعقلٍ وحسنِ　　كما فاقَ ذاكَ بضربٍ وطعنِ
فزُفّتْ إليهِ ولكنّما　　أبى الرّبُّ فوسيذُ أنْ يسلما
فحلَّ قواهُ وغشّى البصرْ　　فضاقَ المفرُّ وحالَ المكرْ
وظلَّ بغيرِ حراكٍ مقيمْ　　كركنٍ مكينٍ وجذعٍ عظيمْ
بدرعٍ مرارًا وقتهُ الرّدى　　فلمْ تقِهِ الآنَ طعنَ العدى
فمزّقها الزّجُّ مذْ رُشقا　　وفي الصّدرِ منْ دونِها مرقا
فصلّتْ وخرَّ وكيفَ المناصْ　　وفي قلبِهِ العاملُ اللّدنُ غاصْ
وعودُ السِّنانِ إلى الكعبِ ماذْ　　بعنفِ اشتدادِ وجيبِ الفؤادْ (١)

(١) الوجيب الخفقان — لقد آلى بعض الشراح على انفسهم ان يفسروا كل كلمة من كلام هوميروس تفاسير طويلة عريضة لم تمر على مخيلته كاستنتاج بعضهم من كلامه هذا انه كان اول عالم بعلم التشريح واستنتاج البعض الآخر انه لم يكن يعرف منه شيئاً وشرّح كلٌّ لاثبات مدعاه قلب الانسان وافاض بما يخرج كل الخروج عن هذا البحث . او لا يكفي

وما زالَ يهتزُّ حتَّى تلاشى　　وإيندومنُ صاحَ يشتدُّ جاشا:
« أذيفوبُ هاقد فرى ساعدي　　ثلاثةَ صيدٍ لِقا واحدِ
عَلامَ التَّشدُّقُ أقبلْ هنا　　فتعلَمَ أيَّ ابنِ زفسٍ أنا
ألمْ يأتكَ العلمُ عنْ نسبي　　وأنَّ ذقليونَ كانَ أبي
وتاهلُ إقريطِ مينوسُ جدّي　　بزفسَ أبيهِ رقى طودَ مجدِ
وأنَّ بإقريطَ باعي شديدهْ　　لِملكي دانتْ شعوبٌ عديده
أتيتُ أريكَ هنا وأباكْ　　وكلُّ الطراودِ سبْلَ الهلاكْ »
فنازعَ ذيفوبَ في أمرهِ　　مرامانِ ردَّدَ في فكرهِ
أيبرزُ فذًّا إلى ملتقاهُ　　أمِ الرأيُ أنْ يلتجي لسواهُ
فعوَّلَ في شدَّةِ المعمعهْ　　يلوذُ بأنياسَ يأتي معهْ
فألفاهُ في طرفِ الفيلقِ　　تقاعدَ من شدَّةِ الحنَقِ (١)

ما في هذا الكلام على ظاهره من البلاغة حتى نتأول له التأويل التي ما انزل الله بها من سلطان ؟

(١) من المعلوم ان فرجيليوس الشاعر الروماني بنى منظومته على مثال الياذة هوميروس وجعل بطلها آنياس كما جعل هوميروس بطله الاعظم آخيل . وكأني بفرجيليوس وقف عند هذا البيت وهو يتلو الالياذة فكان له منه المحرك الاول لنظم الانياذة (نسبةً الى انياس) لانه كان متواتراً على السنة الناس خبر نبوءةٍ يزعمون انها كانت شائعة في ايام حرب طروادة تشير الى ان فريام كان عالماً ان آنياس وذريته سيحكمون بلاد الطرواد . وكلام هوميروس هنا يؤيد هذا القول . ولما كان من المأثور تاريخياً ان آنياس كان رأس الاسرة الرومانية بعد تلك الحرب لا يبعد ان تلك النبوءة لم تكن شائعة في أيام الحرب بل

يَؤْلِمُهُ أَنَّ فِرْيامَ أَزْرى ... بِهِ وبإِقدامِهِ لم يَبرَّا
فوافاهُ قالَ : « إِذَنْ فَهَلُمَّا ... أَأَنياسُ صَدْرَ الطَّراوِدِ عِلْما[1]
فَإِنْ كُنْتَ تَرْعى حقوقَ النَّسَبْ ... فَذاصِهرُكَ الآنَ بادي العَطَبْ
فَكَمْ بِكَ في سالفِ الزَّمَنِ ... وقد كُنْتَ طفلاً قديماً عُني
وأَلْقاتَ إِيذُومِنٌ أَدْرَكا ... فَقُمْ ذُبَّ عنهُ فقدْ هلَكا »
فَهاجَ بأَنياسَ لُبُّ الحَشا ... ونحوَ العَدُوِّ الأَلَدِّ مَشى
وإِيذُومِنٌ مُستَجيشاً مَكَثْ ... وَلم يرْتَعِدْ كالغُلامِ الحَدَثْ
أَقامَ كَخِرْنَوصِ بَرٍّ خَبَرْ ... قُواهُ فَقامَ بِطَوْدٍ أَغَرْ
بِمُنْفَرَجٍ في البَراحِ تَرَبَّصْ ... لِيَرْقُبَ مَنْ جاءَهُ يَتَقَنَّصْ
فَيَلْهَبُ عَيناً وَيَعْقُفُ ظَهرا ... وَيَشْحَذُ ناباً وَيُكمِنُ شَرَّا

تصورها القوم كأنها كانت عند ما حققها التاريخ — ومهما يكن من صحة هذا الزعم فلا عجب ان يكون فريام وهذا اعتقاده حذراً من انياس نازعاً الى الغض من قدره وأن يكون انياس حانقاً ساخطاً معتزلاً كما قال الشاعر « في طرف الفيلق »

(١) كثيراً ما يطلق الشاعر لقب الطرواد عليهم وعلى حلفائهم كما يطلق لقب الاخاءة والاراغس على جميع المحاصرين • وانياس هذا بطل مغوار قال فيلوستراتوس انه لم يكن دون هكطور بشيء الاَّ بشدة البأس ولكنه كان يفوقه حكمةً ويساويه في كل ماسوى ذلك • وكان شاعراً بما كان له في القدر بعد دك طروادة لايعرف الخوف ولا تروعه الحروب • واذا احدق به خطر لايتزعزع صوابه ولا يتغير فكما ان هكطور كان ساعد الطرواد كان آنياس رأسهم يدبر امورهم بدراية فوق تدبير هكطور باندفاعه وبأسه • وكلا البطلين متشابهان سناً وشكلاً • وانياس وان كان اقل بأساً واقداماً فقد كان اربط جاشاً وأثبت عزيمة

ويَذْخَرُ بَطْشاً بَعيدَ المَنالِ　　لِذَبْحِ الكلابِ وكَبْحِ الرِّجالِ (١)
كَذلكَ إيذُومِنٌ وقفا　　لِأَنياسَ مُذ حَنَقاً زَحفا
وَنادى الرِّفاقَ بصوتٍ جهيرِ　　كَذيفيرَ مِريُونَ ذاكَ الجَسُورِ
وأفارسٍ عَسقَلافَ البطَلْ　　كذا أَنطلوخَ وصاحَ: «العجَلْ
هلُمُّوا رفاقي فلَيسَ لديَّا　　مُعينٌ وأنياسُ خَفَّ إليَّا
هُوَ القَرْمُ يُبْلي بجمٍّ غَفيرِ　　ومازالَ غَضَّ الشَّبابِ النَّضيرِ
خَشِيتُ وَلم أخْشَ لو كانَ تِرْبي　　وَذا العزمُ عَزمي وذا القلبُ قلبي
فلا شكَّ كانَ النِّزالُ سِجالْ　　فإمَّا يُعالُ وإمَّا أُعالْ »
فَحرَّكَهُمْ عاملٌ واحِـدُ　　وهزَّهمُ الجَلَلُ الوافِـدُ
فَهبُّوا إلَيـهِ بأَصْنافهِمْ　　وأَجْوابُهُمْ فوقَ أَكْتافهِمْ

---

(١) قال لبيد يصف البقرة الوحشية دافعةً عن نفسها هجمات الرماة وكلابهم بمـا يشبه دفاع خرنوص هوميروس :

فتوجست رِزَّ الانيس فراعها　　عن ظهرغيب والانيس سقامها
فغـدت كلا الفرجين تحسب انه　　مولى المخـافة خلفها وامامها
حتى اذا يئس الرماة وارسلوا　　غضفاً دواجن قافلاً اعصامها
فلحقن واعتكرت لهـا مدريَّة　　كالسمهرية حدهـا وتمـامها
لتذودهن وايقنت ان لم تذد　　ان قد احم من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كسابِ فضرجت　　بدم وغـودر في المكرُ سحامها

قال ان البقرة تسمعت صوت الرماة القادمين لصيدها فراعها ذلك واستعدت للقاء فلما عجز الرماة عنها بسهامهم ارسلوا عليها الكلاب فرأت انه لابد من الدفاع فقابلت تلك الكلاب بقرن كالرمح وقتلت منها كلبتين تدعى احداها كساب والاخرى سحام

وأنياسُ صاحَ بمَنْ لَمَحا | يُنادي السَّراةَ بذاكَ الوَحى
فَهَبَّ أَغينُورُ ذِيفُوبُ فارسْ | ومِن خلفِهم هَبَّ كلُّ القوامِسْ
كما تبعَ الكبْشَ سِرْبُ الشِّياهْ | تَعافُ المَراعي لِوِرْدِ المياهْ
وأنياسُ بادي السُّرورِ رَقَبْ | كما هزَّ راعي الغَنيمِ الطَّرَبْ[(١)]
ومِن حولِ أَلْفاتٍ اصْطَدَمُوا | صدامَ الكَواسِرِ وازْدَحَمُوا
وفوقَ الصُّدُورِ دُرُوعٌ تَصِلُّ | بضَرْبٍ يحُلُّ وطَعنٍ يَفُلُّ
وأفتَكُهُمْ كانَ إيذُومِنا | وأنياسَ كُلٌّ لِكُلٍّ دَنا
كآريسَ في بَأسِهِ انْدَفَقا | وأنياسُ عامِلُهُ سَبَقا
فأبصَرَ إيذُومِنٌ واحْتَفَزْ | وفي الأرْضِ راسُ السِّنانِ ارْتَكَزْ
فلم تَكُ بالطَّعْنَةِ الصَّادِرَهْ | وإن أنفَذَتْها يَدٌ قادِرَهْ[(٢)]
وبالرُّمحِ إيذُومِنٌ رَشَقا | عَلى وِيِنْماسَ فما زَهَقا
ففي الدِّرْعِ غاصَ وشَقَّ الحَشا | فخَرَّ على الأرْضِ مُرْتَعِشا
وإيذُومِنُ اجْتَرَّ ذاكَ المُثَقَّفْ | وهَمَّ يُجَرِّدُهُ فتَوَقَّفْ
فإنَّ السِّهامَ عَلَيهِ هَمَتْ | وبالعِيِّ أعضاؤُهُ وَهَنَتْ

(١) يعلم الرعاة انه كلما كثر شرب الماشية كانت اقرب الى الصحة ولهذا يسرون اذا اندفعت للموارد بعد الاكتفاء من المراعي وهذا الذي أشار اليه هوميروس بقوله «هز راعى الغنيم الطرب»

(٢) الصادرة المصيبة النافذة

فلا قُوَّةٌ لِانْتِقاطِ الزِّجاجِ ولا لفرارٍ بذاكَ المجاجِ [1]
ولٰكِنَّ فِيهِ بَقِيَّةَ حَزْمٍ بها يدفعُ الحَتْفَ عنهُ ويُصْمِي
وذِيفُوبُ أَبْصَرَهُ يَتَقَهْقَرْ وقد كانَ حِقْدًا عليهِ تَسَعَّرْ [2]
وزَجَّ فطاشَ السِّنانُ وطارْ إلى عَسْقَلافَ ابْنِ رَبِّ البِدارْ
فَحَلَّ بعاتِقِهِ فتَلَقَّى بِراحَتِهِ الأَرضَ يخْفِقُ خَفْقا
ولَمْ يَدْرِ آرِيسُ أَنَّ فَتاهْ بِذا المُلْتَقَى فارَقَتْهُ الحَياهْ
لقدْ كانَ فوقَ الأُلَمْبِ احْتَجَبْ تُحِيطُ بِهِ سُحُبٌ مِن ذَهَبْ
هُنالِكَ زِفْسُ بِحُكْمِ القَدَرْ على الخالِدِينَ القِتالَ حَظَرْ
وحَولَ القَتيلِ الوَغى صَدَعا وذِيفُوبُ مِغْفَرَهُ انْتَزَعا
ولكنْ كآرِيسَ مِرْيُونُ خَفّْ على يَدِهِ بالقَناةِ قَذَفْ
فَمِنْهُ التَّرِيكَةُ في الحالِ فَرَّتْ وصَلَّتْ على الأَرْضِ حيثُ اسْتَقَرَّتْ
وهَبَّ إليهِ هُبُوبَ العُقابْ ومِنْ يَدِهِ الرُّمْحَ جَرَّ وآبْ
وفُولِيتُ بينَ يَدَيهِ رَفَعْ أَخاهُ القَتِيلَ وفيهِ رَجَعْ
الى حيثُ سائِقُهُ قد تَخَلَّفْ بِمَرْكَبَةٍ دُونَها الخيلَ أَوْقَفْ

(١) الزجاج جمع الزج وهو السنان

(٢) اذا أشار الشاعر الى أمر مشهور في عصره فقلما يفصله تفصيلاً كافياً مثال ذلك ما تقدم معنا في الكلام على آنياس ومثله قوله هنا ان ذيفوب تسعر حقداً على ايذومين ولم يذكر السبب لاشتهاره في زمانه . ذلك انه كما قال افستاثيوس كان بين ايذومين وذيفوب رقابة غرام وقد كان كل منهما طامعاً بهيلانة المسبية . وهذا القول

فَراحَتْ لإِلْيُونَ فيهِ تَطيرْ عَلى أَلَمٍ وَدَمٍ وزَفيرْ
وسائرُهُمْ فوقَ ذاكَ الفَجاجْ يَعِجُّ بِهِمْ بالصِّدامِ العَجاجْ
فَأَفارِسُ بْنُ قِليْطُورَ راما بأَنْياسَ فَتْكاً فأَلقى الحِماما
فأَنياسُ مِنْ فَوْرِهِ وَثَبا برُمْحٍ بِحُلْقُومِهِ نَشِبا
فَمالَتْ على الصَّدْرِ هامَتُهُ وأَهْوَى المِجَنُّ وخُوذَتُهُ
وأَحْدَقَ فيهِ ظَلامُ الرَّدى فأَخْمَدَ أَنْفاسَهُ سَرْمَدا
ورامَ ثُوُوْنُ فِرارًا فأَحْدَقْ بِهِ أَنْطِلُوخُ وكاهِلَهُ شَقْ
بِطَعْنَتِهِ أُبْتَّ حَبْلَ الكَتَدْ فَمُسْتَلْقِياً في التُّرابِ رَقَدْ (١)
يَمُدُّ ذِراعَيهِ مُسْتَنْجِدا وقاتِلُهُ يَنْزَعُ العُدَدا
وَيَنظُرُ حَوْلَيهِ في صَخَبَهْ فَكَرَّ الطَّراوِدُ في طَلَبَهْ
وفَوقَ المِجَنِّ العَريضِ البَديعْ ظُباتٌ حِدادٌ وقَرْعٌ ذَريعْ
وما مَسَّهُ مِن ظُباهُمْ ضَرَرْ فَفُوسِيذُ واقِيهِ كُلَّ الخَطَرْ
وماارْتاعَ فانْصاعَ بلْ ظَلَّ فيهِمْ يُجِيلُ مُثَقَّفَهُ وَيَلِيهِمْ
يُفَكِّرُ إِمَّا يَزُجُّ وإِمَّا يَشُقُّ الصُّفُوفَ بِسَيفٍ أَصَمَّا
وأَمَّا أَداماسُ آسِيُّسا فَأَدْرَكَ ما بالخَفا هَجَسا
فَزَجَّ بِرُمْحٍ إِلَيهِ يَطيرْ فَغاصَ بِقَلبِ المِجَنِّ الكَبيرْ

يطابق كلام فرجيليوس اذ ذكر انه بعد موت فاريس زفّت هيلانة الي ذيفوب

(١) الكتد ما بين الكاهل الى الظهر

وفُوسيذُ يأبى مَنيَّتَهُ　　فأَوْقفَ في التُّرْس طعْنتَهُ
وعُودُ القناةِ وفيهِ انْصدَعْ　　فشطْرٌ الى الأَرض منهُ وقعْ
وشَطْرٌ بمَتْنِ المِجَنّ الْتصقْ　　حكَى وتدًا باللَّهيبِ احْترقْ
وأَمَّا أَداماسُ فانْقلَبا　　الى قومهِ يتَّقي العَطَبا
ولكنَّ مرْيُونَ مُذْ كانَ أَعْدى　　لهُ بالسّنانِ الشّحيذِ تصدَّى
فأَنْفذَ حيثُ أريسُ يهيلْ　　على الإِنْسِ موْتاً أَليماً وبيلْ
بأَسْفلِ حالبهِ فسقطْ　　إلى الأَرْضِ مُصْطفقاً وخَبطْ (١)
كثَورٍ على جبلٍ رُبِطا　　بعُنْفٍ على رَغْمهِ ضُغِطا
وما دامَ هذا الوَجيبُ وطالْ　　سوى لحظاتٍ قِصار قلالْ
فلما انْتزَعَ الرُّمحَ حتَّى انْسدَلْ　　على مُقْلتيهِ ظلامُ الأَجلْ
وهيلينُسُ صُدْغَ ذيفيرَ فلْ　　بسيفٍ بإِثْراقةٍ قد صقلْ
أَطارَ تريكتَهُ تتدحْرَجْ　　الى قومهِ بالدّماءِ تُضرَّجْ
بها من ذَويهِ خلا نفرُ　　وأَظْلمَ في عَيْنهِ البَصرُ
فشقَّ فؤَادَ منيلا الأَسى　　وأَقْبلَ يطلُبُ هيلينُسا
وهزَّ القناةَ وذاكَ حنى　　حَنيَّتَهُ ومعاً طعنا (٢)

---

(١) ان في هذا البيت في الاصل اليوناني من المشاكلة الشعرية ما يكاد يريك ذلك القتيل وقد انقطعت انفاسه ولعل في الترجمة العربية رائحة من ذلك

(٢) الحنية القوس اي ان احدهما طعن برمحه والآخر انفذ سهماً

فَهِيلِنُسُ سَهْمُهُ نَشَبا بِلأْمَةِ أَتْرِيذَ ثُمَّ نَبا
وَحَلَّقَ وانْطادَ ثُمَّ وَقَعْ كما الحَبُّ بينَ المَذاري انْدَفَعْ (١)
وذو الزَّرْعِ في بَيْدَرٍ عاجلا ذَرى الحُمُّصَ اليَبْسَ والباقِلى
فَبَيْنَ الرِّياحِ وجُهْدِ المُذَرّي تَدافُعُ حَبٍّ الى الأَرضِ يَجْري
ولٰكِنَّ رُمْحَ مَنيلا اسْتَقَرْ بِكَفٍّ بها لا يَزالُ الوَتَرْ
فَأُنْفِذَ مِنْها وفي القَوسِ غاصا فَأَمَّ ذَوِيهِ يَرُومُ الخَلاصا
فَوافاهُمُ النَّصْلُ في يَدِهِ يُقَوِّضُ رُكْنَ تَجَلُّدِهِ
فَأَقْبَلَ فَورا أَغينُورُ يُخْرِجْ بِرِقَّتِهِ النَّصْلَ مِنْ حَيْثُ أُولِجْ
ومِنْ صُوفِ مِقْلاعِ تابِعِهِ حَلْ ضِماداً على ذٰلِكَ الجُرْحِ أَسْبَلْ (٢)
وفِيسَنْدَرُ انْقَضَّ مُتَّقِدا ولِلْحَتْفِ ساقَتْهُ أَيْدي الرَّدى
لَدَيْكَ مَنيلا رَماهُ القَدَرْ لِتُعْمِلَ فيهِ حُسامَ الظَّفَرْ
كِلا البَطَلَيْنِ مَشى وَرَشَقْ ولٰكِنَّ رُمْحَ مَنيلا زَهَقْ

---

(١) انطاد علا في الجو صعداً

(٢) ليس في الالياذة ذكر للمقلاع او المخذفة الا مرتين في هذا النشيد . ولهذا ذهب بعض الشراح الى ان الكلمة هنا تفيد معنى آخر ولكن هذا الزعم غير ثبت لان المقلاع من اقدم آلات الحرب . وان لم يكن كثير الاستعمال عندهم فلأنه لم يكن له مجال واسع مع النبال والرماح ولقد رأيناهم مع ذلك يقذفون الصخور عن قرب بايديهم فالحجر اذاً كان من جملة اسلحتهم ولعلهم لم يكونوا احكموا رمي المخذفة احكام داود النبي قاتل جليات

وفيسندر رمحه وقعا   على الترس لكنه ارتدعا
بفولاذه الصلب ما صدرا   ومن كعب نصلته انكسرا
ولكن فيسندرا طربا   لما خال من نيله الأربا
فسل منيلا حساماً ترصع   قتير لجين بهي وأسرع
وذلك تحت المجن قبض   على فأسه وإليه ركض (١)
بفولاذها بدعت عملا   وزيتون مقبضها صقلا
فما كان إلا أن اقتربا   وكل بشدته ضربا
فمن بيضة الخوذة الفأس حلت   على عذبات بهن تحلت
ولكن منيلا بطعنته   أحل السنان بجبهته
فأولج والعظم سحقاً سحق   ومن مقلتيه النجيع اندفق
وطيرتا بخضيب الدم   من الرأس حتى ثرى القدم
فقوس ظهرا وخر صريعا   وقاتله الصدر داس سريعا
وجرده من بهي السلاح   ومفتخرا صاح أي صياح :
« ألا يا طراودة يا اثام   ويا ظمئين لورد الصدام
ألا هكذا ستعافون قهرا   سفائننا اللاء يمخرن مخرا
علام إضافة عار لعار   تحريتم يا كلاب الشنار

---

(١) ما قيل عن المقلاع يصلح ان يقال هنا عن الفأس لانها كانت قليلة الاستعمال تعتبر سلاحاً خشناً لا يستخدمه الجنود المنتظمون بعد اتقانهم الطعن بالرماح والضرب بالسيوف والفأس كانت مع ذلك سلاح الامازونة

فَهَلاَّ غَنيتُمْ عَنِ الغَدرِ نَفْسا وهَلاَّ خَشِيتُمْ إِثارَةَ زَفْسا
إِلاهِ القِرى مَنْ سيَهدِمُ هَدْما دِيارَكُمُ إِذْ جَنَيْتُمْ ظُلْما
وزَوجي لَمَّا رَعَتكُمْ ضُيُوفا فَرَرْتُمْ بها والكُنُوزِ صنُوفا
أَلا ما اجْتَزَأْتُمْ بما قد سبَقْ لِتورُوا السفينَ وتُرْدُوا الفِرَقْ
فلالا ومَهْما اضْطَرَمْتُمْ غُرُورا ستَلْقَوْنَ تحتَ العَجاجِ الثُّبُورا
أَيا زَفْسُ يا مَنْ بِسامي النُّهَى على الإنسِ والجِنِّ طُرًّا سَما
بِقُدْرَتِكَ اسْتَعْصَمَ المَكْرَهْ فَكيفَ تَلِي زُمَرًا غَدَرَهْ
جَنَوا وسيَجْنُونَ طُولَ الزَّمَنْ ولا يَرْتَوُونَ وَغًى وفِتَنْ
فَرَقْصُ السُّرُورِ وعَذْبُ المَنامِ وطِيبُ الأَغاني وكُلُّ هُيامِ
وكُلُّ سُرُورٍ وإِنْ طَمَحا لَهُ المرءُ فَوقَ سُرُورِ الوَحى
فَلا بُدَّ صاحِبُهُ ان يَملاَّ ولَكِنْ مِنَ العَيْشِ طُرْوادَةٌ لا » (١)

(١) حيثما تكلم منيلاوس رأينا كلامه ينم عن حزازة نفس ليست في صدر غيره ألا وهو الجريح الذي لم يصب بجرحه سواه . فاذا تشفى بعض التشفي من قتيل طريح او عدو جريح فما ذلك ليروي غلة صدره وهوما زال بعيداً عن نيل بغيته القصوى يتألم تألم صاحب الجميل الذي نُبذ اجره وبخس قدره وقوبل باشنع الغيلات . وكأنه يبرد غلالة لبه بملامة زفس لاعتقاده انه بقدرته استعصم المكرة الغدرة . ثم كأن ذلك الملام لا يغنيه فتيلاً ولا يشفي له غليلاً فيرجع الى وصف عدوه بكلام وان كان سهلاً بسيطاً فهو أمرّ ما وُصف به انسان واشر ما دل على الغدر والنكران اذ لا ادل على الظلم من ملالة المرء اموراً طيبة حلالاً كالرقص والنوم والغناء والسرور مع عدم ارتوائه من أمور اخرى متعبة مزعجة محرمة كالعيث والفساد — ويجمل بنا في هذا المقام ان ننبه الى ان الرقص كان عندهم على نوعين احدهما الرقص الممدوح

وَلَمَّا أَتَمَّ مَقَالَتَهُ　　وَجَرَّدَ ذَلِكَ شِكَّتَهُ
وَأَدْلَى بِهَا لِرَفِيقٍ بَطَلْ　　وَعَادَ فَبَرَّزَ بَيْنَ الأُوَلْ
فَهَرْفِلْيُونُ بْنُ فِيلِيْمِنِ　　بَدَا لِلْقَوَاضِبِ لا يَنْثَنِي
وَرَاءَ أَبِيهِ لإِلْيُونَ قِدْمَا　　أَتَى لِيُوَافِي القَضَاءَ الْمُلِمَّا
فَبَادَرَ أَتْرِيذُ فِي طَعْنَتِهْ　　فَلَمْ يَنْفُذِ الرُّمْحُ فِي جُنَّتِهْ
وَنَحْوَ ذَوِيهِ الْتَوَى يَنْظُرُ　　حَوَالَيْهِ خَوْفَ العِدَى تَغْدُرُ
فَمَا كَادَ يَنْصَاعُ حَتَّى تَلَقَّى　　مُثَقَّفَ مِرْيُونَ يَخْرُقُ حَقَّا
بِأَيْمَنِ فَخْذَيْهِ بِالعَظْمِ مَرَّا　　وَشَقَّ مَثَانَتَهُ وَاسْتَمَرَّا
فَأَقْعَى وَوَجْهُ التُّرَابِ تَرَوَّى　　دَمًا وَارْتَمَى دُودَةً تَتَلَوَّى[1]
فَأَنْفَاهُ خُلَّانُهُ بِالحَضِيضْ　　بِطَرْفٍ غَضِيضٍ وَرُوحٍ تَفِيضْ
فَحَفَّ بِهِ البَفْلَغُونُ ذَوُوهُ　　وَبَيْنَ أَكُفِّهِمِ رَفَعُوهُ
وَأَلْقَوْهُ مِنْ فَوْقِ مَرْكَبَةٍ　　يَهُدُّهُمُ فَادِحُ المِحْنَةِ
لإِلْيُونَ سَارُوا أَمَامَهُمُ　　أَبُوهُ مَآقِيهِ تَنْسَجِمُ
فَإِذْ ذَاكَ مَقْتَلُهُ عَظُمَا　　عَلَى نَفْسِ فَارِيسَ فَاقْتَحَمَا
لَقَدْ كَانَ قَبْلًا نَزِيلًا لَدَيْهِ　　فَشَقَّ عَظِيمُ الْمُصَابِ عَلَيْهِ

للفرسان والفتيان وهو الذي سنته لهم أثينا والآخر رقص الخلاعة والتهتك ولا شك ان منيلاوس اراد هنا النوع الاول

(١) ليس تلوّي هرفليون الا كتلوي صخر الحضري صبابةً بالمنازل اذ يقول :

الوّي حيازيمي بهنّ صبابةً　　كما تتطوّى الحيةُ المتشرّقُ

فَزَجَّ وكانَ هُناكَ فَتى ‏ ‏ بأُوخينُرٍ بَينَهُمْ نُعتا
هُمامٌ بِقُورِنْثُسٍ ذو رِياشْ ‏ ‏ وأَيقَنَ بِالحَتْفِ مُنْذُ اسْتَجاشْ
لِأَنَّ أَباهُ فُلِيذَ النَّبيلْ ‏ ‏ مِرارًا لَهُ قالَ قبلَ الرَّحيلْ :
« فإمَّا الحِمامُ بِداءٍ عُضالْ ‏ ‏ وإمَّا الَّدى الفُلْكِ يومَ القِتالْ » (١)
فَلَمْ يَرْضَ داءً يُؤَرِّقُهُ ‏ ‏ وَعَذْلاً وحُزْنًا يُحَرِّقُهُ
فَجاءَ وفارِيسُ فيهِ فَتَكْ ‏ ‏ بِزُجٍّ تَلَجْلَجَ تَحْتَ الحَنَكْ
فأَوْدى على لَهَبِ الغَمَراتِ ‏ ‏ وهامَ على أَوْجُهِ الظُّلُماتِ
هُنا كاللَّهيبِ السُّرى اقْتَتَلُوا ‏ ‏ وَهكطُورُ مَقْتَلَهُمْ يَجْهَلُ
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ يَسارَ السَّفينِ ‏ ‏ عَتَتْ بِذَوِيهِ أَيادِي المَنُونِ
وكادَ العِدى يُحْرِزُونَ الظَّفَرْ ‏ ‏ وفُوسيذُ فِيهِمْ يَهِيجُ الزُّمَرْ
فإِنَّ مُزَعْزِعَ رُكْنِ الثَّرى ‏ ‏ لِنُصْرَتِهِمْ بِقُواهُ انْبَرى (٢)


فوسيذ او فوسيذون

(١) هنا فتى كاخيل يقدم على الحرب مع علمه بانه يقتل فيها ولكن شتان ما هذا العلم وعلم اخيل فأخيل انبأته امه بعمر مديد وعيش رغيد اذا لبث في مكانه فآثر قصر الحياة مع المجد الاثيل والعناء على طولها مع العمر الطويل والرخاء • واوخينور انبأه أبوه بالموت بداء عضال اذا تقاعد عن الحرب وكل فتى يؤثر الموت في ساحة النزال على الهلاك على فراش الاوجاع بداء عضال

(٢) مزعزع ركن الثرى لقب من القاب فوسيذ اله البحار • كانوا يمثلونه بصور شتى وهو في اكثرها اما

وهكطور مازال حيث اندفع ... بهم أولاً والصفاق اقتلع (١)
هنالك حيث جرى حتفها ... وفيلق ذرّاعهم خرقا
وحيث سفين فروطسلاس ... لقد قرنت بخلايا أياس
وقد جذبت لجدود البحار ... تحاذي أداني ارتفاع الحصار
هنالك الفوارس والخيل مالت ... بجملتها للصدام فجالت
هنالك هكطور كالنار شبّا ... على فلكهم فتلقوه غضبى
وصدّوه عنها وما ظفروا ... بإجلائه فله صبروا
بصدرهم زعماؤهم ... تخوض المنايا وتقتحم
هنالك البيوتة جند أثينا ... بصدر طلائعهم يصدرونا
منستس قائدهم وفداس ... يليه وإستيخيس و بياس
ومسترسلو اللأم يونانهم ... تصدّر للطعن فتيانهم (٢)
إليهم قد انضمّ قرب الخلايا ... بنو أفئس بلفيف السرايا
وميدون في قومهم آمر ... وفوذرقس البطل القاهر

ممتطٍ صهوة مركبة بهيئة صدفة تجرها جياد البحر وبه تحيط الحور الحسان واما راكب دلفينه كما ترى في الرسم ٠ والصولجان المثلث الاطراف ملازم له في كل صورة

(١) يريد صفاق الابواب

(٢) اللأم الدروع — اليونان ملة هاجرت الى اغيالة قبل حرب طروادة بنحو مئتي عام ورجعت الى بلادها في الاتيكة بعد تلك الحرب بمئتي عام وبقي اسمهم عليهم وما هم الا فرقة من تلك الامم المتضافرة٠ومن الغريب ان العرب اطلقوا اسمهم على جميع تلك الملل مع ان من تقدمهم من الرومان وغيرهم لم يغلّبوا هذا التغليب

(فَمِيدُونُ كانَ فتًى رَبَّ باسِ لِوِيلُوسَ مِن غيرِ أُمِّ أياسِ
بهاهامَ وِيلُوسُ مِنْ غيرِ حلِّ ومِيدُونُ عن موطنِ الأَهلِ أُجلي
إِميلاقةٍ كانَ مُذْ قتلا أَخا عِرْسِ والدِهِ رَحلا
فَهاجتْ لِذا إِرِيفِيسُ اُستعارا فَأَخلى البلادَ وعافَ الدِّيارا
وفُوذَرْقُسُ بْنُ إِفِقْلُوسَ كانا سليلاً لِفيلاقُسٍ عزَّ شانا)
وَيَصْحَبُهُمْ باسلُو لُقْرِيا وَمِيجِيسُ قادَ بَني إِيفِيا
لِإِمْرَتِهِ كلُّهُمْ ذَعنا وإِذْراقُسٍ ولأَمفِيُنا
وأَمّا الأَياسانِ فانْدفقا معاً لَحْظَةً قطُّ ما افْترقا
كَثَوْرَينِ في مَزرَعٍ أَسْحَمِينَ بنيرٍ لقدْ قُرِنا كُفُؤَيْنِ
جرَى مِحرَثُ الأَرضِ خلفَهُما بعزمٍ تعادلَ بينَهُما
فيَثْلِمُ ثَلماً وَيَنثَنيانِ وصدْراهُما عَرَقاً يرشَحانِ (١)
ولكنْ لدى اُبْنِ تلامونَ ثارَتْ عِصابةُ بَأْسٍ حواليْهِ دارتْ
لِجُنَّتِهِ تتناوبُ حَمْلا لِتَخْفِضَ مِنْ ثِقْلَةِ العيِّ حِمْلا (٢)
وأَمّا رِجالُ اُبْنِ وِيلُسْ فَما جرَوْا خلفَهُ عِندَما هَجَما

(١) اي تشبيه اصدق لبطلين متساويين قوة وشدة من هذا التشبيه وان كان لايشبَّه به في ايامنا فلم يكن هوميروس ليبالي برقة ابناء هذا الزمان

(٢) الجنه الترس كما لايخفى واذا كانت تلك العصابة تتناوب حمل تلك الجنة لتخفض من ثقلها حيناً بعد حين عن اياس فلان ثقلها كانت شيئاً مذكوراً لانها وامثالها كانت تستر جميع الجسم فلا بدع ان تكون ثقيلة مزعجة ولا سيما في حين يكل فيه اشد السواعد لكثرة كره وقتاله

فما لِبَني لُقْريا مُهجُ بِصدْرِ الكتَائبِ كي يَلجوا
فَلَيْسَ لَهُمْ خُوَذٌ سابحاتْ على صُلْبِ فُولاذِها العَذَباتْ
وَلَيسَ لَهُمْ جُنَنٌ مِنْ صِفاحْ أُدِيرتْ ولا أَسَلٌ ورماحْ
ولٰكنَّهُمْ أَقْبَلُوا لِلْقِتالِ بِتِلْكَ القِسِيِّ وتلكَ النِّبالِ
وتلكَ المَخاذِفِ تُحْكَمُ جَدْلا مِنَ الصُّوفِ تُمْطِرُ في الحَرْبِ وَبْلا
بِعُدَّتِهِمْ تلكَ هُمْ أَبَدا نَكالُ كَتائبِ جَيْشِ العدى (١)
فَظَلَّ مُجِيلُو السِّلاحِ الكَثِيرِ يَصُدُّونَ أَعْداءَهُمْ بالصُّدُورِ
وهُمْ خَلْفَهُمْ جَحْفَلا ثانيا يَظَلُّ وَبالُهُمُ هاميا
فَرَبَّكَ وَجْهَ العَدُوِّ الأَلَدّْ وأَوْهى عَزِيمَتَهُ والجَلَدْ
وكادَ الطَّرَاوِدُ يَنْكَفِئونا إلى حِصْنِ إِلْيُونَ مُكْتَئِبينا
ولٰكِنَّ فُولِيدَماسَ سَبَقْ فَصاحَ بِهَكْطُورَ بينَ الفِرَقْ:
عَتَوْتَ فلا تَرْعَوِي لِمَقالِ أَأَنْتَ سَبُوقٌ بِكُلِّ مَجالِ
أَمُذْ كُنْتَ هَكْطُورُ تَسْمُو بِعَزْمِكْ زَعَمْتَ بِأَنَّكَ فُقْتَ بِعِلْمِكْ
أَلَمْ تَرَ آلَ الخُلُودِ العِظامْ يُنِيلُونَ هذا فَخارَ الصِّدامْ
ويُؤْتُونَ ذلكَ صَوْتاً رَقِيقا وقِيثارَةً ثُمَّ رَقْصاً أَنِيقا
وذَيّاكَ زَفْسُ الحَكِيمُ يَزِينْ بِثاقِبِ فِكْرٍ وعَقْلٍ رَزِينْ

(١) نعلم من هذه الابيات ان كل فرقة اتت بسلاحها الذي لها في اوطانها فمنهم السيّافة والرماحة ومنهم النبّال وحملة المخاذف اي المقاليع . ولا بدع ان يكون هؤلاء بلا دروع لقلة احتياجهم الى ملاقاة الاعداء صدراً لصدر

فَذَيَّاكَ ذَيَّاكَ خابِرُ نَفْسِهْ　وَواقي الذِّمارِ ونافعُ جِنْسِهْ (١)
إِذاً خُذْ مقالي رَأْياً صوابا　فَحولَكَ ثارَ القِتالُ التهابا
فأَصْحابُنا مُنْذُ عِبْرِ الحِصارِ　هُمُ بينَ مُعْـتَزِلٍ لا يُباري
ونَزْرٍ لِجَيْشِ العِدى صَدَرا　وَحولَ السَّـفائنِ قد ذُعِرا
فَعُدْوا عقَدْنَ مِنَ الصِّيدِ مَحْضَرْ　لِنَبْحَثَ فيما بِهِ نَتَـدَبَّرْ
أَ بِالفُلْكِ فَتْـكاً بِزَحْفٍ وَكَرْ　لَعَلَّ إِلاهاً يُنيـلُ الظَّفَرْ
أَمِ العَوْدُ عَنْهُنَّ مُنْقَلِبينا　ونَحْنُ بِأَرْوَاحنا سالمُونا
فَإِنِّيَ أَخْشى أُثَّارَ الأَعادي　لِنَـكْبَةِ أَمْسِ بِجَرِّ الجِلادِ
هُنا قُرْبَ فُلْـكِهِمِ رَجلُ　مِنَ الفَتْكِ لا يَرْتَوي بَطَلُ
وظَنِّيَ لا يَلْبَثَنَّ طَويلا　فَيَبْرُزُ لِلْحَرْبِ سُخْطاً وَبيلا» (٢)
تَلَقَّاهُ هَكْطُورُ رَأْياً مُصيبا　وقالَ لِفُولِيدَماسَ مُجيبا : (٣)

---

(١) اى صاحب الفكر الثاقب والعقل الرزين • كانوا يعتقدون ان الآلهة تقسم على الناس الاخلاق كما توزع عليهم الارزاق • وفي مثل هذا المعنى يقول لبيد العامري:

فاقنع بما قسم المليك فانما　قسم الخلائق بيننا علاّمها
واذا الامانة قسّمت في معشر　اوفى بأوفر حظنا قسامها

(٢) تلك اشارة الى اخيل • يهيء الشاعر المطالع لرؤية أخيل بأعظم مظاهر الهيبة والجلالة • هنالك يوفد الاغريق له الوفود لاسترضائه وهنا اشد الأعداء بأساً كفوليداماس وهكطور يقفان عند ذكر اسمه • وعما قليل سنراهم منهزمين لرؤية فطرقل شاكاً بسلاحه ظناً منهم انه هو هو

(٣) هنا في بعض النسخ بيت يقول ان هكطور وثب الى الارض من مركبته • واغفال هذا البيت من نسخ اخرى صواب لان سياق الكلام يدل على ترك الطرواد

« هُنَا أُوْقِفَنَّ خِيارَ الجُنُودْ … الى أَنْ أَكُرَّ أَنا وَأَعُودْ
أُثِيرُ بِقَومِي نارَ الكِفاحِ … وأُرْشِدُهُمْ لِسَبِيلِ الصَّلاحِ »
وَهَبَّ بِخُوذَتِهِ يَسْتَطِيرُ … كَطَوْدٍ مِنَ الثَّلجِ راحَ يَسِيرُ،(١)
وَخاضَ يَصِيحُ بِصَوتٍ جَفا … صُفُوفَ الطَّراوِدِ والحُلَفا
فَكُلٌّ أَصاخَ لِوَقْعِ النِّدا … وَمِنْ حَولِ فُولِيدَماسَ عَدا
وَهكْطُورُ بَينَ الطَّلائِعِ هامْ … يُسائِلُ عَنْ هِيلِنُوسَ الهُمَامْ
وعَنْ آدَماسَ بْنِ آسِيُّسا … وآسِيُّسٍ نَجْلِ هِرْطاقُسا
وذِيفُوبَ لٰكِنْ أُتِيحَ القَضا … فَبَعْضٌ جَرِيحٌ وبَعْضٌ قَضى
فَمِنْ بَطَلٍ بِطِعانِ الأَراغِسْ … قَتِيلٍ أَمامَ السَّفائِنِ راكِسْ
وَمِنْ باسِلٍ لَمْ تَغُلْهُ المَنُونْ … جَرِيحٍ بِأَكْنافِ تِلْكَ الحُصُونْ
فَأَبْصَرَ فارِيساً المُجْتَبى … يَسارَ الجَناحَيْنِ مُلْتَهِبا
يَكُرُّ وَيَدْفَعُهُمْ لِلْقِتالِ … فَعاجَلَهُ بِأَمَرِّ مَقالِ :
« أَلا يا شَقِيّاً بَدِيعَ الجَمالِ … وعَشَّاقَ خَدَّاعَ غِيدِ الدَّلالِ
أَلا أَينَ ذِيفُوبُ هِيلِينُسُ … كَذا أُثْرِيُونُ الفَتى الأَكْيَسُ
كَذا آدَماسُ بْنُ آسِيُّسا … وآسِيُّسُ نَجْلُ هِرْطاقُسا
أَشَمَّاءَ إِلْيُونَ تَمَّ المُصابُ … بِكَ اليَومَ حَتْماً يَحُوقُ الخَرابُ »

عجالهم خلف الحفير . فذلك البيت اذاً دخيل في الالياذة

(١) لو أُخذ معنى الشطر الاخير على ظاهره لكان بلا ريب ابرد من الثلج المشبه به هكطور . ولكن المقصود منه لابد ان يكون اشارة الى بريق سلاحه او

فقالَ كَرَبٍ يَفيضُ جمالا : « أخي أألبريءَ اتّهمتَ مُحالا
أفي مِثلِ ذا اليوم بأسيَ أنسى وأُمّيَ ما وَلَدَتنيَ نِكسا
فَمُذْ سِرتَ بالقوم قُربَ العمارهْ فنحنُ هُنا بطعانٍ وغارهْ
فمَن زُمتَ مِن دُونِ هِيابِنسا وذِيفُوبَ عنهم وَرثنا الأسى
وذانِ جَرِيحانِ قد رُغِما وزَفسُ مِنَ الحَتفِ صانَهُما
بنا الآنَ سِرْ حَيثُ شِئتَ فإنّا لكَ التّابعونَ قِراعاً وطعنا
وَحقّكَ لنْ نبرَحنَّ الرِّهانا نكرُّ الى أنْ تَكِلَّ قُوانا
فَمَهْما عتا القَرْمُ لَنْ يَجِدا سبيلاً الى البطشِ إنْ جُهِدا»[1]
لِذا لانَ هكطُورُ ثُمَّ زَحفْ وَفاريسُ حَيثُ اصطكاكُ الحَجَفْ
وحَيثُ الفتى قبريُونُ ضَرَبْ وفلقيسُ ثارَ وأُرثيسُ هَبْ
وفُولِيدَماسُ وفَلميسُ كرَّا وفُولفتُ ذو الجلالِ اُستقرّا
ونجلا هِفتِيُونَ قد ثبتا مُرُوسُ وعَسقانيُوسُ الفتى
بأَمسِهِما أَقبلا بَدَلا لِرَهطٍ لِعَسقانيا رَحَلا[2]
وزَفسُ الى الحَربِ حَثّهُما وجَمعُ السُّرى واحداً هَجَما

ارتجاف قونس خوذته اذ يلقبه هوميروس في مواضع كثيرة بهيّاج الخوذة

(١) ترى من كلام الاخوين ما بين اخلاقهما من الفرق فهنالك هكطور العتي الصارم يشدد المقال ويلوم حين لا محل للوم وهنا فاريس اخوه يتطلف كجاري عادته ويؤانس مؤانسة الاخ الاصغر والعشيق الامهر

(٢) نعلم من هنا انه كما كان البحر مفتوحاً للاغريق تأتيهم به النجدة والذخيرة كان البر مفتوحاً للطرواد يتناوب في طريقه نجادهم

كَأَنَّ مِنَ الجوِّ نَوْءًا شَدِيدْ بِهِ زَفسُ يَقْذِفُ طَيَّ الرَّعِيدْ
يَعِيثُ بِبَرٍّ وَيَهْوِي لِبَحرٍ وَيَذْوِي بِصَعْقَةِ هَولٍ وَيَجْرِي
فَيَرْكُمُ مَوجاً وَيُزْبِدُ يَمّاً تَدافَعَ مُرْتَفِعاً مُدْلَهِمّاً (١)
فَذاكَ انْدِفاعُ لَفِيفِ السُّرى عَلى أَثَرِ الصِّيدِ مُسْتَبْشِرا
صُفُوفٌ تُدَفِّعُ دُهْمَ صُفُوفِ تَأَلَّقَ فُولاذُها لِلْحُتُوفِ
وَهَكْطُورُهُمْ عِدُّ آريسَ في زَعامَتِهِمْ باهِرُ الشَّرَفِ
مَشى بِمِجَنٍّ جُلُودُ البَقَرْ كَسَتْهُ وَفُولاذُهُ قَدْ بَهَرْ
وَمِنْ حَولِ صُدْغَيْهِ خُوذَتُهُ تَهِيجُ فَتَسْطَعُ جَبْهَتُهُ
دَنا جائِلاً يَسْبُرُ القَومَ سَبْرا يَرى هَلْ يُذِلُّهُمُ اليومَ قَهْرا
فَلَمّا راعَهُمْ هَولُهُ وَتَقَدَّمْ أَياسُ يَحُثُّ الخُطى وَتَكَلَّمْ :
« هَلُمَّ إِلَيَّ وَأَلْقِ الوَساوِسْ عَلامَ كَذا رُمْتَ ذُعْرَ الأَراغِسْ
بَلَونا القِتالَ بِثَبْتِ الخُطَى وَلٰكِنَّما صَوتُ زَفسَ سَطا
تَوَهَّمْتَ أَنْ تَنْهَبَ الفُلْكَ نَهْبا وَفِينا أَكُفٌّ تَقِيهِنَّ ذَبّا
وَتَسْبُقُ مُفْتَتِحاتِ حِماكُمْ وَمُغْتَنِماتِ جَزِيلَ غِناكُمْ
وَلَمْ يَبْقَ ظَنِّيَ إِلاَّ اليَسِيرْ أَهَكْطُورُ حَتَّى فِرارًا تَطِيرْ
تَلُوذُ بِزَفسَ وَكُلِّ إِلاهْ لِيُجْرِيَ خَيْلَكَ جَرْيَ البُزاهْ

---

(١) قال عنترة واجاد بتشبيه الجيش بالبحر والنصال بامواجه :

وفاض عليَّ بحرٌ من رجالٍ بامواجٍ من السمر الدقاقِ

فتُلقيكَ خوفَ العدوِّ المُفاجي | بإليونَ تحتَ غمامِ العَجاجِ »
وما كادَ يفرغُ حتَّى تراءى | بقلبِ الفضا طائرٌ يتناءى
هو النَّسْرُ من فوقِ هامتِهِ | يُبشِّرُ خيرًا بحومتِهِ
فضجَّ الأَراغسُ للفألِ بِشْرا | إِذا أنسوا فيهِ من خيرِ بُشرى
ولٰكنَّ هكطورَ حالًا أجابْ: | « أثرْتَ ثارةَ زاغ غثَّ الخطابْ[1]
هرفْتَ أياسُ بما قلتَهُ | وقد خابَ ما أنتَ أمَّلتَهْ
أَلا ليتَ لي أن أقولَ بنفسي | بأنّيَ من وُلدِ هيرا وزفسِ
ويا ليتَ لي باعتزازي يقينا | كعزَّةِ آفلُّن وأثينا
كما أنَّني موقنٌ ببوارِ | لفيفِ الأَخاءةِ في ذا النَّهارِ
فإِمَّا اغترَرْتَ وعرَّضْتَ نفسكْ | لرُمحي تؤُتى على الرَّغمِ بؤسَكْ
يمزِّقُ جلدَكَ ماضي سِناني | فتُلقى لدى الفُلْكِ ميتَ الهوانِ
وفي شحمِكَ الغضِّ واللَّحمِ ترتَعْ | نواهسُ إليونَ والطيرُ تشبَعْ »
ومِنْ ثَمَّ هَمَّ وفيهِمْ تصدَّرْ | وفي إثرِهِ زُعماءُ المُعسكرْ
بهمْ خلفَهُ ارتفعَ الصَّخبُ | ومِنْ خلفِهِمْ جحفلٌ لجِبُ
وجيشُ الأَخاءةِ بأسًا تدرَّعْ | بموقفِهِ ظلَّ لا يتزعزعْ
تربَّصَ يلقى علوجَ العدى | بنقعٍ لقلبِ الفضا صعدا
وعجُّ الخميسينِ شقَّ الفضا | الى حيثُ في الجوِّ زفسُ أضا

---

(١) لم يكن ذلك النسر ليروع هكطور لانه على ما تقدم في النشيد السابق لم يكن كثير الاعتقاد بالطيرة

النشيد الرابع عشر

مكر هيرا ببعلها زفس

مُجْمَلُهُ

كان نسطور في المعسكر يُعنى بتمريض ماخاوون الجريح فخرق آذانه قرع الحراب فارتاع وخرج من مضربه يتشوف فشهد مشهداً هاله ولقيه أغاممنون وأوذيس وذيوميذ وكلهم جريح . فتشاوروا فرأى أغاممنون ان الغنيمة في الهزيمة لميل زفس الى الاعداء . فقبّح أوذيس رأيه وارتأى ذيوميذ وجوب العودة الى ساحة القتال لعلهم اذا عادوا بين أجنادهم يثيرون بهم ثائر الحمية فكان كذلك . وظهر فوسيذ بهيئة جندي شيخ ونشّط أغاممنون وثبّت الاغريق . وكانت هيرا قد ارتاعت لانحراف بعلها زفس الى الطرواد فتهيأت لاعمال الحيلة فاستعارت حزام الزهرة ومضت الى لمنوس والتمست معاونة « الكرى » أخي « الموت » على زفس . فتمنع الكرى بادئ بدء عن اجابة سؤلها فلم تزل تخادعه حتى أذعن لها وسكب طلّه على عيني زفس فاستولى عليه السبات بين يديها . وطيرت الخبر الى فوسيذ فاغتنمها فرصة خير فرصة ودفع الاغريق فانقضوا على الطرواد وجرح اياس هكطور فأقصاه اتباعه عن موقف النزال وطلبه الاغريق فلم ينالوا منه مأرباً . وهناك ازداد الاغريق بأساً ففتكوا بأعدائهم وصدّوهم وابعدوهم عن مواقف السفن وملأوا السهل اشلاء من قتلاهم فانهزم الطرواد من امامهم واياس في اعقابهم تخر الابطال بين ذراعيه

يبتدىء هذا النشيد وينتهي ايضاً في اليوم الثامن والعشرين ومشهد وقائعه في مضارب اليونان فطور ايذا ثم في ساحة القتال

النشيد الرابع عشر

كانَ نسطورُ لدى كاسِ الشَّرابْ　　مُصغِياً يسمعُ عجّاً واصطخابْ
فلماخاوُونَ قالَ : « أفكرْ فما　　علّة يَنجمُ عنْ قرْعِ الحرابْ
حولَ تلكَ الفُلكِ فتيانُ الوحى　　نقعُهم يعلو مهٍ لا تبرحا
واشربِ الخمرةَ صرفاً ريثما　　هيكميذا لكَ تحمي المسبحا [1]
وتُنقّي الجُرحَ منْ هذا الخضابْ

وأنا ماضٍ أرى ماذا جرى　　بالسُّرى» واقتالَ ترْساً أكبرا [2]

(١) غسل النساء للرجال ووقوفهنّ في خدمتهم اثناء استحمامهم من جملة ما اتخذ قدماء اليونان من عادات الاشوريين وغيرهم من ملل الشرق . ولقد اكثر هوميروس من ذكر ذلك في الاوذيسة وهو على مايظهر من غرابته عادة لاتزال مألوفة في اطراف البلاد الشرقية كايران والهند وبعض البلاد العثمانية . وقد شاعت لعهد قريب في قلب البلاد الاميركية فان في مدن منها كشيكاغو ونيويورك تقوم الدالكات من النساء مقام الرجال في بعض الحمامات المعروفة بالحمامات التركية . وليس هذا باغرب من عادة سقطت من اوربا منذ نحو قرن حيث كانت عقائل الفرنسيس وفتياتهم يتخذن غلماناً يلبسونهن ملابسهنّ . اما الآن فقد اقتصرن منهم على المزينين والضافرين عوضاً عن المزينات والضافرات

(٢) هذا نسطور الحكيم يتدبر كل شأن ولا يلهيه شيءٌ عن شيء فهو بحنانه يعطف على مجاريح الزعماء ويعنى بأمرهم . وبثاقب فكرته وسابق اختباره يتأمل في وسيلة لتفريج الازمات ودفع النكبات . وهو على هرمه لايقعده العجز والضعف عن خوض الصفوف وورد الحتوف . فبعد ان امن على حياة ماخاوون تدرع ببقية بأسه واندفع اندفاع الفتى اليافع ولم يمهله نقل ترس ترسيميذ ابنه فعدا به الى الباب متطلعاً

كأنَّ تَرْسِيمِيذُ قد غادَرَهُ　　مُؤْثِرًا تُرْسَ أَبِيهِ نَسْطُرا
وعلى رُمْحٍ طَوِيلٍ قَبَضا　　بِسِنانٍ قاطِعٍ صِفْرًا أَضا
وإلى البابِ عَدا مُسْتَشْرِفاً　　فلَهُ لاحَ القَضا أيُّ قَضا
بِبَنِي الإغْرِيقِ قد جَلَّ المُصابْ

دُفِعُوا دُونَ عَدُوٍّ مُنْدَفِعْ　　خافَهُمْ مِنْ خَلْفِهِ السُّورُ صُدِعْ
لَبِثَ الشَّيْخُ على هاجِسِهِ　　خامِدَ الجَأْشِ كَبَحْرٍ مُتَّسِعْ
بِدُنُوِّ النَّوءِ في الجَوِّ شَعَرْ　　يَمُّهُ فَارْبَدَّ لَوناً وَاكْفَهَرّْ
لا يَعِجُّ المَوجُ فيهِ مائِلاً　　أيَّ مَيْلٍ قبلَ ما زَفُّ انْتَهَرْ
رِيحُهُ تَنْقَضُّ مِن فَوقِ العُبابْ (١)

ثم انطلاق انطلاق المستبسل على ماسترى — كل هذا من بدائع متممات الخطة التي اختطها هوميروس لنفسه بأن يجعل الرسم مصداق المرسوم بكلياته وجزئياته

(١) لا صورة بين صور الطبيعة بجملتها اوقع في النفس من هذه الصورة لوقوف الحائر المتردد بين امرين قبل التعويل على احدهما . فصدر المتردد او فكره كبحر اكفهر الجو فوقه قبل ان تعبث به الانواء فيربد ويسود مرتجاً غير متجه الى وجهة معلومة الى ان تهيجه العاصفة فتجري به امواجه على مجراها . وفي منظومات شعرائنا من وصف حالة المتردد الحذر شيء كثير كقولهم :

كريشة في مهب الريح ساقطة　　لا تستقر على حال من القلقِ

وقول مضرّس بن ربعي :

كأن على ذي الظن عيناً بصيرةً　　بمنطقه او منظرٍ هو ناظرهْ
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم　　من الخوف لا تخفى عليه سرائرهْ

على انه ليس في شيء منها ما يقاس بتشبيه هوميروس

هكذا الشيخ على أمرين جاش لبلوغ الجيش من فوق الرشاش [1]
ألحاقاً بأغاممنون أم بالحواشي حيثما اصطك الكباش [2]
فعلى ذاك أخيراً عولا واشتباك السمر يصمي النبلا
يقرع الجنات في دراعهم أبتر ماض ورمح صقلا
نافذ الحدين ريان الذباب [3]

فإذا في الثغر جرحى الأمرا من بني زفس تراءوا زمرا
كذيوميذ وأوذيس وأتـ ريذ من فلكهم أموا السرى
فلكهم عن موقف الطعن المبيذ أرسيت بالجرف في بون بعيد
دونها للسهل فلك أدنيت دونهن السور بالإحكام شيد
معقلاً يمنع ان جد الطلاب

ذلك الجرف العريض المتسع كل هاتيك الخلايا ما وسع
خوف تضييق مجال حال من دونها فيه السرايا تجتمع
فصفوفاً كن في ذاك الخليج بينهن النفس في الصيد تهيج

---

(١) المراد بالرشاش انهيال النصال اشارةً الى اشتداد القتال

(٢) الكباش الابطال . اي ان نسطور تردد بين ان يلحق باغاممنون وهو جريح كما مر بك في النشيد الحادي عشر او يقصد الجند حيث حمي وطيس الحرب فعوّل على اللحاق باغاممنون كما سيأتي

(٣) الجنات التروس . والذباب الحد

فأنبروا كلٌّ على عامله يتوكّا راقباً عجَّ الأجيجْ
واذا بالشيخ نسطورَ المجابْ

فالتظوا طرّاً لمرآه أسى وأغا ممنونُ نادى يئسا :
«يا ابنَ نيلا قدوةَ الإغريق لمْ عدْتَ من قرْع القنا مخترسا
خشيتي ويلاهُ إنفاذُ وعيدْ ذلكَ الفتّاكِ هكطورَ العنيدْ
يومَ في شوراهُ آلى أنّهُ يحرقُ الأشراعَ والقومَ يبيدْ
قبلَ أنْ ينوي لإليونَ المآبْ

وعدُهُ ربّاهُ فيهِ اليومَ برْ وفؤادُ الجيشِ بالغيظِ أستعرْ
كأخيلٍ كلّهمْ لاحٍ وقد عذلوني وأبوا دفعَ الضررْ» (١)
قالَ : « ها قد قُضيَ الأمرُ فلا نفسُ زفسٍ دافعٌ هذا البلا
ذلكَ السورُ بهِ منعتُنا وتراهُ أندكَّ والنقعُ علا
ولدى الأسطولِ ميدانُ الضرابْ

فأجلْ طرفَكَ في كلّ طرفْ لا ترى أينَ بنا جلَّ التلفْ
حيثما تنظرُ فالقتلى هوتْ وهديدُ القومِ في الجوّ قصفْ

(١) لاينسب اغاممنون كشفة قومه لضعف وعجز فيهم او لشدة وبطش في اعدائهم بل لامتناعهم عن الابلاء حقداً عليه لتحامله على أخيل • وهو تخلص حسن من تبعة الفشل وتصرف احسن من الشاعر اذ يرسم حيناً بعد حين في ذهن المطالع عظمة أخيل وسمو مكانته

إِنْ يَكُنْ ذا الحِينَ للرَّأْيِ صَلاحْ   فلنَرُمْ رأياً بهِ نُؤْتَى الفلاحْ
إنَّما الحِكْمَةُ في عُزْلَتِنا   ما عَلى المَجْرُوحِ إِتيانُ الكِفاحْ»(١)
فأَغامَمْنُونُ مُلْتاعاً أَجابْ :

« إِنْ يَكُنْ ذَيَّالِكَ السُّورُ الخَطِيرْ   ما وَقى ضُرًّا ولا صَدَّ الخَفِيرْ
أَو تَكُنْ خابَت أَمانينا بهِ   بَعدَ إِجْهادِ قُوَى الجَيشِ الكَثِيرْ
أَو يَكُنْ ثارَ الوَغى دُونَ السَّفِينْ   إِنَّما مِن زَفْسَ ذا الذُّلُّ المُهِينْ
نَصْرَهُ عايَنْتُ قَبلاً مِثْلَما   قد شَهِدْتُ اليومَ ذا الخَذْلَ المُبِينْ
مُوْقِناً بالحَتْفِ في دارِ اغْتِرابْ

غَلَّ أَيدِينا وأَعْدانا الثِّقالْ   عِزَّ آلِ الخُلْدِ إِجْلالاً أَنالْ
فلنَجُرَّنَّ مِنَ الأُسْطُولِ ما   كانَ أَدْناهُ إِلى الجُرْفِ مَجالْ
وبِقَلْبِ البَحْرِ نُرْسِيهِ إِلى   أَنْ نَرى جَيشَ الدَّياجِي أَقْبَلا
فإِذا أَوْقَفَ كَرَّاتِ العِدى   سائرَ الفُلْكِ اجْتَذَبنا عَجِلا
وكُفِينا شَرَّ فَضّاحِ العَذابْ

فَفِرارُ المَرءِ أَولى أَبَدا   مِنْ نَكالِ الأَسْرِ في أَيدي العِدى
لَيسَ عارٌ لا ولا في اللَّيلِ أَنْ   يَتَوارى المَرءُ عَن خَطْبٍ بَدا »(٢)

---

(١) يشير نسطور عليهم باعتزال القتال وتدبر الامور في خلوة لانهم لما كانوا جميعاً جرحى كانوا اصلح لبث الرأي والتشاور منه لخوض ميدان القتال

(٢) ليس في شعر فرسان العرب ما يشير الى ايثار الهزيمة على الاسر

قالَ أُوذِيسُ وبالغَيظِ اشتَعَلْ: « يا أَخا العيِّ فما هذا المَلَلْ

واستحسان الفرار في مثل هذا الموقف الا ان يكون القول ممن وصف بالجبن ولم تسبق له سابقة بخوض ميادين القتال واكثرهُ على سبيل المجون كقول أبي دلامة :

الا لا تلمني ان فررت فانني   أُخاف على بطيختي أن تحطما
فلو انني ابتاع في السوق مثلها   وجـدك ما باليت ان اتقـدما

ومثله قول الآخر:

يقول لي الامير بغير علم   تقدم حين جدَّ بنا المراسُ
ومالي ان اطعتك من حياةٍ   ومالي غير هذا الراس راسُ

واما ماقيل في وجوب التروي وعدم محاولة المحال فكثير كقول ورد بن زياد :

واذا توعر بعض ما تسـعى له   فاركب من الامر الذي هو اسهلُ

ومثله قول بعض بني الحارث بن كعب :

لعمرك ما صبر الفتى في اموره   بحتم اذا ما الامر جلَّ عن الصبر

وقول عمرو بن معدي كرب :

اذا لم تستطع شيئاً فدعهُ   وجاوزهُ الى ماتستطيعُ

وقول عمرو بن ضبيعة :

الا ليقـل من شاءَ ماشاءَ انمـا   يلام الفتى في ما استطاع من الامرِ

لما فتح نسطور باب البحث كان من الحكمة ان يكون اغاممنون اول خاطب فيهم فشرع في التماس ثانية من تبعة الفشل والقاها هنا على عاتق زفس . ثم ابدى رأياً لايسعني مع كل اعجابي بشعر صاحبنا ان استحسن ايراده هنا لانه سبق له ابداء مثل هذا الرأي مرتين في النشيد الثاني والنشيد التاسع فان كان مراده التواري عن وجه العدو فهو غير جدير به وان كان استجلاء ميل اصحابه ففي ما مر ما يغني عن الاعادة ولا ارى وجهاً لدفع ضعف القول اذا كان لابد من دفعه الا ان يكون قاصداً ان موقف الزعماء مختلف هنا عن سابق مواقفهم اذ كانوا قبلاً بعافيتهم وسلاحهم وهم الآن مصابون بجراح برحت باجسادهم وانهكت قواهم فهم اقرب الى اليأس منه الى البأس

لكَ أولى إمرَةُ الأنكاس لا إمرَةٌ في البُهمِ من كُلّ بَطَلْ
شيخُهم يبطُشُ كالغضّ الشبّابْ (١)

زَفسُ قد علّمنا سَلَّ السيُوفْ بصِبانا وإلى يوم الحتُوفْ» (٢)
أَبِنا رُمتَ ارتدادًا وترى بحِما إليُونَ قتلانا أُلوفْ
مهْ فلا يسمَعْ سِوانا بالفرَقْ نُطقَ عجزٍ ما بهِ قطُّ نطَقْ
لا أخو ذوقٍ ولا قيلٌ ولا قائدٌ مِثلكَ للحَربِ اندفَقْ

---

(١) قال لبيد :

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسما اليه كهلها وغلامها

ومثله قول السموأل :

وما قلَّ من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهولُ

وقال حاتم بن سحيم واجاد :

ألا هل اتى اهل العراق مناخنا نقسم بين الناس بؤسى وانعما
بابيض معقود به التاج ماجد وفتيان صدق لايهابون مقدما
ونضرب صنديد الكتيبة في الوغى ونركب اطراف الرماح تكرّما

ومثله قول عمرو بن كلثوم :

نصبنا مثل رهوة ذات حدّ محافظــة وكنا الســابقينا
بشبانٍ يرون القتل مجــداً وشيبٍ في الحروب مجربينا

وامثال ذلك كثيرة

(٢) قال النابغة الجعدي :

وانا لقومٌ ما نعود خيلنا اذا ماالتقينا ان تحيد وتنفرا
وليس بمعروف لنا ان نردها صحاحاً ولا مستنكراً ان تعقرا

جَيْشُهُ الجَرَّارُ كاللُّبِّ اللُّباب (١)

أَإلى اليَمّ نَسُوقُ الأَغْرِبَهْ … والوَغى لِلْجَوّ أَعْلى صَخَبَهْ (٢)
إِنَّما الأَعْداءُ ذي مُنْيَتُهُمْ … ولَئِنْ فازُوا بِحُكْمِ الغَلَبَهْ
فإِذا ما نَحْنُ باشَرْنا العَمَلْ … ما الذي يَدْفَعُ أَهْوالَ الفَشَلْ
وإِذا الأَجْنادُ مِن خَلْفِهِم … أَبْصَرُونا وَجِلُوا أَيَّ وَجَلْ
وَالْتَوَوْا ... لالا فما هذا الصَّوابْ » (٣)

قالَ أَتْرِيذُ : « لَقَدْ كَلَّمْتَني … بِمَقالٍ فيهِ قَدْ كَلَّمْتَني (٤)
أَنا لا أُرْغِمُ قَسْرًا جُنْدَنا … أَنْ يَسُوقُوا راسِياتِ السُّفُنِ
فَلْيَقُمْ أَيُّكُمُ لا فَرْقَ إِنْ … كانَ غَضَّ العُمْرِ أَو شَيْخًا مُسِنْ
وَيُوافِينا بِرَأْيٍ صالِحٍ … أَتَلَقّاهُ بِقَلْبٍ مُطْمَئِنْ » (٥)

---

(١) اي كله صفوة شجعان

(٢) الاغربة جمع غراب السفن والصخب الجلَبة

(٣) لعل الشاعر وطأ بذلك الضعف في كلام اغاممنون لهذه الشدة في كلام اوذيس ثم لاتفوتن القارىء الحكم التي انطق بها اوذيس ولم تكن تصلح لسواه فكلاهم مغوار باسل ولكن شتان بين بسالة وبسالة ففتاهم يندفع الى القتال حباً بالقتال وكهلهم الحكيم كاوذيس يتحمس حماسة الفتيان ولكنه يبني كل اعماله على الحكمة والتروي كما رأيت فلا يأمر بالتثبت الا لعلمه بسوء مصير الادبار في مثل ذلك الحين

(٤) كلمتني الاولى بمعنى جرحتني

(٥) قال افستاثيوس ان ذلك من قبيل عادة كانت لقدماء الاثينيين اذ كانوا

فأنبرى يلقي ذيوميذ الخطاب :

« دونك أنظر فهنا المرء المراد فاستمعه إن ترم قول السداد
لا يغيظنكم نصح فتى فبه فخرا سما فضل التلاد
فأبي تيذيس الشهم الصحيح من له في ثيبة سامي الضريح
جده فرثوس في أفلورنا وكليدونا حوى الملك الفسيح
وبها مغناه بالإعزاز طاب

ولده أغريس ثم ملاس وونوس خيرهم عزما وباس
ذاك جدي ظل في أوطانه وأبي أرغوس مذ أجلي داس [1]
قدر من زفس والأرباب كان فله تيذيس بالرغم دان

لدى اشتداد الازمات ينادي مناديهم فيدعو كل ابناء الوطن من اي فئة كانوا ومهما كان سنهم الى ابداء رأيهم بلا تكلف ولا محاذرة

(١) يشير هوميروس في الشطر الاخير من هذا البيت الى رواية كانت شائعة في زمانه وهي ان تيذيس ابا ذيوميذ قتل احد اخوته ثم غادر بلاده فارًّا الى ارغوس. على ان الشاعر لطف الهزيمة فعبر عنها بالجلاء واغفل ذكر القتل على الاطلاق وهو من لطيف تصرف الابناء في ذكر مساوىء ابائهم . ثم جعل ذيوميذ يتحل لابيه عذراً في البيت التالي بالقاء عبء الامر على القضاء والقدر . قال ثوبة بن المفرّس الخنوت:

تجوز المصيبات الفتى وهو عاجز ويلعب صرف الدهر بالحازم الجلد

وقال ابن الرومي :

طامن حشاك فان دهرك موقع بك ما تخاف من الامور وتكره
واذا حذرت من الامور مقدراً وفررت منه فنحوه تتوجه

ثُمَّ في غُرْبَتِهِ تَمَّ على بِنْتِ أَدْرَسْتَ لَهُ عقْدُ القِرانْ
وثَوى في مَنْزِلٍ زاهي الرِّحابْ

مَلَكَ الأَرْيافَ واحْتازَ الحُقُولْ خَصْبَةً فيها مَواشيهِ تَجُولْ
وَبِهَزِّ الرُّمْحِ ما ماثَلَهُ أَحَدٌ والحَقَّ تَدْرُونَ أَقُولْ
فإِذا ما كُنْتُ بالفَرْعِ الضَّئِيلْ لا ولا في الحَرْبِ مِهْياباً ذَليلْ
ولذا لا تَحْقِرُوا قَوْلِيَ إِنْ قُلْتُ لِلْهَيْجاءِ فَلْنَلْقَ السَّبيلْ
ولَئِنْ طَلَّتْ دِماناً بانْسِرابْ

فالضَّرُوراتُ لَها حُكْمٌ عَظِيمْ إِنَّما عَنْ مَوْقِفِ الطَّعْنِ نُقيمْ
باعتزالٍ فيهِ لا يُدْرِكُنا في الوَغى جُرْحٌ على جُرْحٍ أَليمْ
نَدْفَعُ الجُنْدَ ونَدْعُو لِلْمَدَدْ مَنْ هَوى النَّفْسِ بِهِ جُبْناً قَعَدْ» (١)

(١) لم يفت المنتقدين ان يخطئوا هوميروس على ادراج مقدمة لخطاب ذيوميد زعموا انه لم يكن لها باعث اذ كان كلهم عالماً بحسبه ونسبه وهو لاشك امر غريب لو جرى من شاعر في هذا العصر على انه لم يكن منه بدٌّ في تلك الاعصار حيث كانوا يرددون ذكر انسابهم ووقائع ابائهم واجدادهم في كل حديث فهي محط نخارهم وفكاهتهم في كل مكان سواء في ذلك أكانوا في ساحة القتال ام في مناضلة وجدال او في مسامرة ومشاورة لايكل راويها ولا يمل سامعها فكأنما غذوها مع اللبن فألفوها بل شغفوا بها وهو شأن اكثر الامم في زمن جاهليتها وأبان شبوبيتها • ألا ترى ان شعرنا الجاهلي لاتكاد تخلو منه قصيدة من هذه الاقاصيص وتلك الحماسة • وهذا شعر السموأل والشنفرى واصحاب المعلقات وامثالهم مشحونة بمثل هذه الحماسيات واليك منها مثالاً من معلقة عمرو بن كلثوم :

فأَصاخُوا ووَعَوا حتَّى أُنتَهَى　　وجرَوا والقَلْبُ بالحَزْمِ اُتقَدْ

خلْفَ أَتْرِيذَ بِقلْبٍ لا يَهابْ

إِنَّما فُوسِيذُ عَن قُرْبٍ رَقَبْ　　فَحَكى شَيْخاً جليلاً وأقْترَبْ

وأَغامَمْنُونَ وافى قابِضاً　　يَدَهُ اليُمْنى بِرَوَّاعِ الغَضَبْ

قالَ: «يا أَتْرِيذُ آخيلُ الحَقُودْ　　فَرِحٌ بالفَتْكِ في بُهْمِ الجُنُودْ

فَلْيَمُتْ وَلْيَضْمَحِلَّنَّ على　　غَيِّهِ واعْلَمْ فَأَبْناءُ الخُلُودْ

لم يَسُومُوكَ قِلًى يُولِي العِقابْ

سَوفَ يَرْبَدُّ على السَّهْلِ الغُبارْ　　بِبَني الطُّرْوادِ يَبغُونَ الفِرارْ»

ورثنا مجد علقمة بن سيفٍ　　اباح لنا حصون المجد دينا

ورثت مهلهلاً والخير منه　　زهيراً نعم ذخر الذاخرينا

وعتَّاباً وكلثوماً جميعاً　　بهم نلنا تراث الاكرمينا

وذا البرة الذي حدثت عنه　　به نُحمى ونحمي المُحجرينا

ومنا قبله الساعي كليبٌ　　فايّ المجد الا قد ولينا

ثم ان لذيوميذ باعثاً آخر على ايراد نسبه فانه لما بدأ نسطور فاقترح البحث وعقبه اغاممنون فابدى رأياً لم يستحسنه أوذيس فاستأنف أغاممنون الكلام كان من الجدير به ان يستفز ذيوميذ لانه شعر بميل نسطور وأوذيس ولم يعلم بعد ما يكون من ميل ذيوميذ فتكلم وعرَّض تعريضاً يُشعر منه انه يود ان يسمع رأي ذيوميذ والا فلم تكن ثمة حاجة الى قوله :

فليقم أيكمُ لا فرق ان　　كان غض العمر او شيخاً مسن

ولما كان ذيوميذ موقناً بصحة رأيه وان كان اصغرهم وطأ لحديثه توطئة حسنة بالاشارة الى سمو نسبه ليكون كلامه أوقع في نفوسهم فلا يأنسون الحطة من الاستكانة

ثمَّ مِنْ دُونهم انْقَضَّ على هدَّةٍ كالرَّعدِ تَشْتَدُّ وسارْ
بِصَديدٍ صاحَ مِنْ صَدْرِ حَديدْ عَنْ وَحى تِسْعَةِ آلافٍ يَزيدْ
بَلْ وَحى عَشْرَةِ آلافٍ اذا صَدَّ يومَ الطَّعنِ دُرَّاعُ الحَديدْ
فَالْتَظَى الإغْرِيقُ لِلحَرْبِ الْتِهابْ : —

مِنْ ذُرى الأُولِمْبِ عَنْ عَرْشِ النُّضارْ نَهَضَتْ تَلْفِتُ هيرا لِلأُوارْ » (١)
فَأَخاها أَبْصَرَت مُنْدَفِعاً وحُبُوراً قلْبُها المَيمُونُ طارْ (٢)

الى فتى حديث السن • فقضى الشاعر فرضاً سامياً وتكلم بلسان الجميع وافاد المطالع فائدة كبرى اذ اوضح له انه لا يُستخف بالرأي الاصيل وان كان صادراً من غير اهله بين اهله • ذلك على حد قولنا : لا تنظر الى من قال وانظر الى ما قال

(١) لقد مرت بك اساليب واعاجيب بتفنن الشاعر في تغيير المناظر واستهواء المشاعر تفكهة لسامع شعره واستجماعاً لاساطير زمانه ووصف الخَلق والخُلق وتمثيل العلويات والسفليات وفي الجملة لوصف كل ما يدركه الحس وتشعر به المخيلة • على انه ليس في كل انشاده اسطورة اعجب واغرب من الحكاية الآتية • وهي على ما فيها من دقيق التصور الذي تحار له الالباب لم تخلُ من انتقاد حساد هوميروس • ولكن غاية ما آخذوه به ان الرواية غير معقولة فهي كثيرة الاغراب بمعانيها بعيدة الاحتمال كأن سائر خرافات الاولين مبنية على النص المعقول • ومهما يكن من محل هذا الانتقاد وسواء كانت حكاية هيرا وبعلها زفس من مخترعات الشاعر كما يزعم البعض او من روايات ازمان متقدمة على زمانه كما ثبت في الاثر فان فيها فضلاً عن المحاسن الشعرية كنزاً من فلسفة الاخلاق واثراً تاريخياً لامور كثيرة يعسر الاطلاع عليها في غيرها • ولا اظنني مخطئاً بجعلها على علاتها في المقام الاول بين كل اقاصيص شاعرنا غير مستثنٍ سوى وداع هكطور لامرأته في النشيد السادس

(٢) قوله أخاها اي فوسيذ نصير الاغريق

ولإِيذا أَرسَلَت طَرْفَ المَها فَرأَتْ زَفْسَ الذي أَلَّهَها
قَرَّ مُعْتَزًّا على قُنَّتِهِ فكَّرَتْ في هاجِسٍ كَلَّمَها (١)
عَلَّها تُغْرِيهِ في أَمرٍ عُجَابْ

فارْتأَتْ مُذْ أَعْمَلَتْ فِكْرَتَها لَتُعِدَّنَّ لهُ زِينَتَها
فإِذا ما جاءها مُفْتَتِناً بِسَناها أَنْفَذَتْ حِيلَتَها
وعلى عَيْنَيهِ إِنْ تَلْقَ السَّبِيلْ سَكَبَتْ رُوحَ السُّباتِ المُسْتَطِيلْ
ثُمَّ أَمَّتْ غُرْفَةً شادَ لَها نَجْلُها الصَّانِعُ هِيفَسْتُ النَّبِيلْ
لِسِوَاها قَطُّ لا يُفْتَحُ بابْ

فوقَ أَبْراجٍ عَلَتْ أَرْتاجُها لا يُرى الأَّ لَها مِزْلاجُها (٢)
أَقْفَلَتْ مُذْ دَخَلَتْ ثُمَّ خَلَتْ بِطُيُوبٍ نَفْحُها وهَّاجُها
طَهَّرت أَعْضاءها بالعَنْبَرِ ثُمَّ بالزَّيتِ العَلِيِّ الأَذْفَرِ (٣)

(١) كلّمها بمعنى ألمها . اي انه لما أعيت الحيلة هيرا باستمالة زفس الى جانب الاغريق ويئست من اعلاء شأنهم بقوة السلاح عمدت الى سلاح الضعيف ألا وهو الحيلة التي يغل بها ذراع المرأة الضئيل عضلات سواعد الرجال

(٢) الارتاج الابواب والمزلاج القفل

(٣) جعلنا العنبر تعريب امبروسيا (Αμβροσια) لتشابه اللفظتين وتقارب مدلولهما . والكلمة اليونانية مؤلفة من كلمتين معناها عديم الموت أي الخالد والاصل في استعمالها للدلالة على طعام الآلهة لايموت آكله ولو كان حيواناً كالخيل السماوية . ثم توسع في استعمالها للدلالة على طيب الآلهة ومواد اخرى مما يستعمله بنو الخلد ولعل للكلمة العربية علاقة باللفظة اليونانية لما بينهما من الشبه الظاهر — يستفاد من هذا

أَرَجٌ أَيَّانَ مَسَّتْهُ يَدٌ فاحَ من قُبَّةِ زَفْسَ الاكْبَرِ
عابقاً في الأَرضِ يَسْمُو للسَّحابْ

البيت ان عادة التطيب كانت مألوفة بين اليونان وسترى من تطييب ملابس اخيل في النشيد الثامن عشر انها لم تكن منحصرة بالنساء وقد كان ذلك شأنها في جميع امم الشرق . ومن امثال سليمان الحكيم . « ان الدهن والبخور يفرحان القلب » (٢٧ : ٩) وللعرب في الجاهلية والاسـلام شغفٌ عظيم بالطيب وتفننٌ باستعـماله . قال امرؤ القيس:

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفلِ

وقال ايضاً :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضلِ

ومن قول المرار بن منقذ :

وهي لو يعصر من اردانها عبق المسك لكانت تعصر

وقال الاخطل :

كأنما المسك يهبو بين ارجلنا مما تضوع من ناجودها الجاري

والنساء البدويات في الجاهلية كن يتطيبن وتدّخر كل منهن قشوة طيب وهي قفة من خوص تجعل فيها اداتها وتحملها معها . وكانت الطيوب من مواد متنوعة كالمسك والعنبر والمر واللبان والافاويه العطرية مما يستورد من بلاد الهند او يستنبت في اليمن وافخر طيوبهم الغالية وهي مزيج من أنواع مختلفة

قال الابشيهي في المستطرف : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اطيب الطيب المسك . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كأني انظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم» وذكر المقريزي « ان خلفاء الفاطميين كانوا يصرفون لبعض رجال دولتهم مبلغاً من الطيب يومياً حتى يتطيبوا به قبل دخولهم على الخليفة » وأورد صاحب الاغاني اسماء بعض المولعين بالطيب كمحمد بن ابي العباس قال « كان يغلف لحيته باواقٍ من الغالية فتسيل على ثيابه فتصير مسمرة فلقبه اهل البصرة ابا الدبس » . وروي عن ابن عباس انه كان يطلي جسده . وكان ابن مسعود

وأُنْثَنَتْ تجدُلُ بِرّاقَ الضفُورْ　　بيدَيْها بعدَ تسريحِ الشُعُورْ
نظمَتْهـا حلقـاً هُـدّابُهُ　　فوقَ ذاكَ الرّأْسِ فتّاناً يدُورْ (١)
وأُرْتَدَتْ مُسْبَلَةً بُرْداً رَقيقْ　　صُنْعَ آثينا بِهِ وَشْيٌ أَنيقْ
بِعُرَى العَسْجَدِ زرّتْ وأنْثَنَتْ　　لنطاقٍ يَشْمَلُ القدَّ الرَّشِيقْ
مِئَةٌ أَهْدابُهُ غُرُّ العِصابْ

ثُمَّ قُرْطَيْنِ جَمالاً شائِقَيْنْ　　مَهْلاً ناطَتْ بِكِلْتا الأُذْنَيْنْ

اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران الطريق انه مر من طيب رائحته • وبلغ حب التطيب من العرب انه جرت للبنات عادة بالوقوف للفتيان وبأيديهن الخلوق اي الطيب يخلّقنهم به اي يطيّبنهم عند رجوعهم من الغزوات

(١) ترى من وصف ضفر الشعر في هذين البيتين انه لم يكن يختلف عنه كثيراً في ايامنا • وكانت نساء العرب في الجاهلية يجمرن شعرهن اي يجمعنه ويعقدنه في في قفاهنّ ويرجلنه اي يسرحنه ويضفرنه غدائر وذوائب ولا يزلن يفعلن ذلك في البادية ويغلب عندهنّ ان تستر المرأة شعرها بمنديل ونحوه • واما العذارى فلا يحرجن على ستر الشعر بل كثيراً ما يبرزنه ولا سيما القصّة وهي طرّة تقص من المفرق وتبرز فوق الجبين • واحسن ما وصل الينا من وصف شعر النساء بمثل ما وصفه هوميروس قول امرىء القيس في معلقته :

وفرعٍ يزين المتن اسود فاحمٍ　　أثيث كقنو النخلة المتعثكلِ
غدائرها مستشزراتٌ الى العلى　　تضلّ العقاص في مثنّى ومرسلِ

قال ان شعرها يزين ظهرها اذا ارسلته عليه ثم شبهه بعذق النخلة لاثاثته وكثافته وربما أراد به فوق ذلك تجعده وقال ان غدائر ذلك الشعر او ضفائره مستشزرة أي مرتفعة الى فوق بما يفيد شدّها كجاري عادتهن بخيوط على الرأس وان العقاص اي تقاصيب ذلك الشعر تغيب في شعر بعضه مثنى على الرأس وبعضه مرسل على الظهر لوفرته

كُلُّ شَنْفٍ بِثَلاثِ يَتِيماتٍ ثَلا　　　ثٍ بَدِيعُ الصُّنْعِ غَضُّ المُقْلَتَيْنْ

ونِقابُ الحُسْنِ وَهَّاجٌ على　　　رأسِها كالشَّمْسِ في جَوفِ الفَلا

ثُمَّ خِفًّا أَوْثَقَتْ يَسْطَعُ في　　　كُلِّ رِجْلٍ بِسَناها اشْتَعَلا

وانْبَرَتْ تَبْرُزُ مِن طَيِّ الحِجابْ (١)

(١) هذه ربةٌ بل زوجة تهيأ لاختلاب لب بعلها توصلاً الى قضاء وطرٍ تسعى اليه . فهي اذاً تبرز مستكملة لديه جميع معدات الزينة . ومع هذا فقد رأيت انها بعد ان تطيبت لم تجاوز من الحلي الشنوف ومن الكساء البرد والبرقع والنطاق مع مافيهامن الوشي والحاشية ولا يزيد على ذلك الا الخف الخفيف . ولوكان في مايستحب من حلي النساء وملابسهن شيءٌ فوق ما ذكر لما اغفل هوميروس ذكره . فيتضح مما تقدم ان بذخ المشارقة من البابليين ومن جاورهم والمصريين ومن خالطهم من اليهود وغيرهم لم يفشُ وباؤه في بلاد اليونان الا في ما ولي عصر هوميروس . برزت هيرا عطُلاً حتى من حلي بنات البادية الجاهليات فما هي بالمتختمة باصابعها ولا سوار في ساعدها ولا معضد في معصمها ولا حجل في رجلها ولا خلخال . وليس في عنقها قلادة ولا خزام في انفها ولا كحل في عينها ولا وشم في وجهها وصدرها ويديها وليس لديها حقاب تجمع فيها حليها وما يتبعه من ادوات الزينة . ولا يثقلها شيءٌ كثير مما كانت تتأنق به بنات اسرائيل من الخلاخل والاهداب والاهلة والنطفات والاسورة والرُّعل والعصائب والمصاعيد والمناطق وآنية الطيب والاحراز والخواتم واخراص الانوف والخلع والعطف والمحازم والاكياس والوذائل والاقمصة والتيجان والأزر (اشعيا ٣ : ١٨ – ٢٣)

ومما يستلفت النظر ان هوميروس لا يذكر المرآة كأن المرائي لم تشع بين اليونان الا بعد حين ثم انتشرت ذلك الانتشار العظيم في كل صقع وناد حتى لم يكن يخلو منها خدر ولا خباء في بادية العرب وتغنى بها شعراء الجاهلية . قال سويد بن ابي كاهل اليشكري :

ثُمَّ عَفْرُوذِيتَ نادَتْها إِلى عُزْلَةٍ عن كُلِّ أَرْبابِ العُلى (١)
ولَها قالت : « أَتُصغِينَ إِذًا أَم تَسُومينِي ابْنَتاهُ الفَشَلا
حَنَقاً مِنّي لِإِيثارِ الأَخاءْ مُذْ بَنِي الطُّرْوادِ أَوْلَيْتِ الوَلاءْ »
فأَجابت : « كُلُّ أَمْرٍ رُمْتِهِ كانَ مَقضِيّاً بِطِيبٍ ورِضاءْ
إِنْ يُطَقْ أَو كانَ مِمّا يُسْتَجابْ »

قالَتِ الرَّبَّةُ والحِيلَةَ قَدْ أَكْمَنَتْ : « إِيهِ إِذًا مِنْكِ المَدَدْ
لَهَبُ الشَّهْوَةِ والحُبُّ الذي بِقُلُوبِ الجِنِّ والإِنْسِ اتَّقَدْ (٢)
لِأَقاصِي الأَرضِ أَزْمَعْتُ ارْتِحالْ لِأُوافِي أَبَوَيَّ رَهْطِ الكَمالْ
أُوقِيانُوسَ وتِيثِيسَ اللَّذَيْنِ أَشْبَأنِي على كَفِّ الدَّلالْ
فَعَسى أَرْأَبُ مَصْدُوعَ الشِّعابْ

طالَ عَهْدُ الكَيْدِ في بُعْدِهِما وأُطِّراحُ الوُدِّ في حِقْدِهِما

تمنح المبـــرآة وجهاً واضحاً مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع
صافي اللون وطــرفاً ساجيــاً اكحــل العينــين ما فيه قمــع
وقـــــروناً سابغاً اطـــرافهـــا غللتها ريح مســك ذي قنــع

(١) عفرذيت من اسماء الزهرة كما تقدم

(٢) لما كانت الزهرة الاهة الغرام استنجدتها هيرا لتقوى على استذلال زفس بسطوته القهارة • غير انها اذ كانت تخشى ان الزهرة تأبى عليها ذلك اذا علمت ان المراد زفس انتحلت سبباً آخر وما امهر النساء في انتحال الاسباب فادّعت انها انما تريد التوفيق بين الاوقيانوس وزوجته تيثيس

لَهُمَا مُذْ قَبلُ أَلقَتني ريا　　　عُنيا بي مُنْتَهى جُهْدِهما
عِندما أَقْرُونُساً زَفْسُ العَظِيمْ　　غَلَّ تحتَ الأَرضِ والبحرِ العقيمْ (١)
فإذا باللِينِ وَسَدْتُهُمَا　　　وُسُدَا الحُبِّ فلي الفضلُ العميمْ
وذُرَى الحظوى ومرعيُّ الجنابْ »

فأَجابَتْها بِبِشرٍ وابْتِسامْ :　　« أَوَمِثلي لا يُلَبِّي ذا المَرامْ
كيفَ لا يارَبَّةً زَفْسُ لَها　　بَسطَ الذَّرعينِ مفتوناً وهامْ »
ثُمَّ حَلَّتْ من على الصَّدرِ النّطاقْ　　مُعلَمَ الطَّرْزِ مُوَشّى بانْتِساقْ
تَعْلَقُ اللذَّاتُ في أَكنافِهِ　　مِنْ هَوى نَفْسٍ وَوَجْدٍ واشْتِياقْ
وأَطاريفِ الحَديثِ المُسْتَطابْ

وَبِهِ من كلِّ خلّابِ الشُّعُورْ　　مَنْطِقٌ يَعْبَثُ بالشَّيخِ الوَقُورْ
بِيَدِ الرَّبَّةِ أَلقَتْهُ وقا　　لتْ بِبِشْرٍ شَفَّ عن بادي السُّرُورْ:
« دُونَكِ الآنَ النِطاقَ المُعْلَمَا　　كُلُّ حِرْزٍ رُمْتِ فيهِ رُسِما (٢)
فَعلى صَدْرِكِ أَخفيهِ فقدْ　　لاحَ لي في الغيبِ أَنْ قد حُتِّمَا
لَكِ بالإِقبالِ مِنْ قَبلِ الإِيابْ »

(١) ريا في البيت السابق الارض — تقدمت الاشارة الى خلع زفس لابيه قرونس (ن ٨ : ٥٤٣)

(٢) هذا نطاق الزهرة الذي كان يعتقد اليونان بمعجزات افعاله في الافئدة وهي احبولة لم تخل من مثلها اساطير ملة من ملل الارض فان المرأة ميالة بالطبع الى اختلاب الالباب فاذا عجزت بجمالها عمدت الى مقالها وان اعيتها الحيل الارضية

بَسمَتْ هِيرا لهُ مُستَبشِرَهْ ثُمَّ ضَمَّتْهُ وأَمَّا الزُّهَرَهْ
فَانْثَنَتْ تاوِي إِلى مَنْزِلِها ثُمَّ هِيرا انبعثَتْ مُنْحدِرَهْ
مِن ذُرَى الأُولِمبِ كالبَرقِ تَطيرْ لإِفِيرِيّاً على الرَّوضِ النَّضِيرْ
فإِماثِيّا فأَطْوادٍ بِإِثْـ راقَةٍ فُرسانُها البُهْمُ تُغِيرْ
وأكْتَسَتْ ثَلجاً يُغَشّيهِ الضَبابْ

كُلَّ ذاكَ البَوْنِ طافتهُ ولَمْ تَطَإِ الأَرضَ بِوَضّاحِ القَدَمْ
وجرَتْ مِن شَمٍّ آثُوسَ الى حَيثُ يَمُّ البَحرِ بالمَوجِ الْتَطَمْ
بلَغَتْ مِنْ بَعْدِ تَطْوافِ البِلادْ لِمُنُسا حَيثُ ثُواسُ الفَضلِ سادْ

لجأت الى القوى السماوية فكان ذلك سبب ابتداع طلاسم الغرام ورقاه وتعاويذه على اختلاف انواعها من محمول وملبوس ومأكول ومشروب وغير هذا مما استعمل منه العرب كسائر الملل شيئاً كثيراً • على ان ابدعها استنباطاً هذا النطاق الذي وضعه هوميروس على صدر الزهرة فتناولته ايدي الشعراء من الخلف ورامت النسج على منواله فقالت مثل قول هوميروس وغير قوله بلغات شتى وصور مختلفة لاموضع لها هنا • وحسبنا ايراد استعارة بديعة لبوالو في منظومته « الصناعة الشعرية » اذ قال يمدح هوميروس :

On dirait que pour plaire, instruit par la nature,
Homère ait à Vénus, dérobé sa cienture.

ومعناه : كأن هوميروس وقد ثقفته الطبيعة استلب نطاق الزهرة ليختلب به الالباب • فشتان على ما رايت من خصائص هذا النطاق بينه وبين حوط الجاهليات وهو النطاق الذي كن يتخذنه من خيط مفتول من لونين اسود واحمر يضعن فيه شيئاً من الخرز فيشددنه الى وسطهن حرزاً من اصابة العين

فَبِها قَرّت بِمِلْءِ البِشْرِ إِذْ لَقِيَتْ فيها أَخا المَوتِ الرُّقادْ[1]

فتَلَقّتْهُ بأَلْفاظٍ عِذابْ :

« يا وَلِيَّ الجِنِّ والإِنْسِ ومَنْ قدحَباني الفَضْلَ في ماضي الزَّمَنْ
زِدْنِيَ الآنَ عَليهِ مِنَّةً تُوْلِني لِلدَّهْرِ مَذْخُورَ المِنَنْ
أَلْقِ لي في مُقْلَتَيْ زَفْسَ السُّباتْ إِنْ عَلى زَنْدِيْ بِوَجْدِ الحُبِّ باتْ
ولكَ العَهْدُ إِذا لَبَّيْتَني صِلَةٌ مِنْ دُونِها غُرُّ الصِّلاتْ
مِن لُبابِ التِّبْرِ عَرْشٌ لا يُعابْ

(١) تضاربت اقوال الشراح في ما حمل هوميروس على جعل مقر « الرقاد » بلمنوس فمن قائل ان منابت الكرمة كانت كثيرة فيها فكانت من ثم جديرة ان تكون مثوى « الرقاد » ومن قائل ان لمنوس كانت موطن معشوقة « الرقاد » فسيثيا فكان يأوي اليها حباً بها • ومن قائل ان ذلك وقع اتفاقاً بشعر هوميروس وهو قول غير معقول بالنظر الى سياق الحديث • ومن يعلم بعد ما تقدم ان هوميروس لم يقل ما قال تهكماً على اللمنوسيين وان كانت ظواهر فعالهم تدل على بطش واقدام • ومثل ذلك ماجاء في شعر اريوستو اذ جعل الملاك يجد « الشقاق » في احد الاديرة • وقول بوالو في منظومته لوترين (Lutrin) اذ جعل مقر الترف في غرف منامة الرهبان بدير القديس برنردوس (بوپ)

واما القول بان الرقاد اخو الموت فكثير في كلام الاقدمين فمن ذلك ما روى بلوترخوس عن سقراط انه قال O θανατος εστι παραπλησιος τω υπνω βαθυτατω ومثله قول فرچيليوس ... et consanguineus Leti Sopor (لوريفوست) قلت وكل هذا بمعنى قول هوميروس ومثله قول العرب « الموت اخو النوم » لانه يشبهه في ركود الحواس وقولهم « نام نومةً بلا حلم » بمعنى قولهم مات • وعليه قول المعرّي :

يُفرِغُ الصنْعَةَ فيهِ والحِكَمْ　نَجْلِيَ الأعرجُ هيفستُ الحَكَمْ
ويَليهِ مِدْوَسٌ تبسُطُهُ　زَمنَ الأُدْبَةِ مِن تحتِ القدَمْ»
قالَ: «مَهلاً» وحلى النَّوم لديهْ　«أيْ رَبِّ شئتِ أستَوْلي عليهْ
ومجاري أُوقيانُوسَ الذي　كُلُّ شيءٍ كانَ منهُ وإليهْ (١)
لي تَعنُوا أَبَدًا دُونَ ارْتيابْ

بيدَ أنّي زَفسَ لا أُولي الكرى　أبدًا إلاَّ إذا ما أمَرا
حِكمةً علَّمتني مِن قبلُ مُذْ　طرفَهُ الحوَّاط طيفي خدَّرا
يومَ إليونَ هِرَقْلُ اكتَسحا　ومضى يُقلِعُ عنها فَرِحا
زَفسَ بي أغفَلتِ حتّى تُنزِلي　بابنِه القوَّامِ خَطبًا فَدَحا
ثُمَّ هِجْتِ البحرَ فورًا باضْطِرابْ

وهِرَقْلُ بينَ تبريحٍ وضيقْ　حلَّ قُوْصًا لا يرى فيها صَديقْ
فعلى الأرْبابِ بالغيظِ التظى　زَفسُ لمَّا هبَّ فيهم يستَفيقْ

اراني الكرى اني أُصبت بناجذ　الا ان احلام الرقاد ضلالُ
وبين الردى والنوم قربى ونسبةٌ　وشتان برءٌ للنفوس واعلالُ

(١) كان معتقد اليونان ان منشأ كل شيء من الاوقيانوس ومرجع كل شيء اليه ولهذا دعوا البحر «الاب الاكبر» لان اصل الكائنات سائل ولا بد من السائل لحياة كل مخلوق فالجرثومة الحيوانية سائلة والنباتات تغتذي برطوبة الارض والشمس والكواكب وان كانت باعتقادهم ناراً فهي تتغذى بالابخرة المتصاعدة من الماء ولهذا كان الماء اصل كل المخلوقات عندهم

هَدَّهُمْ هَدًّا ومِن دُونِ الجَميعْ في أُطِلَّابي هاجَهُ السُّخْطُ الفَظِيعْ
كادَ يُلْقِيني مِنَ الجَوِّ الى لُجَّةِ البَحرِ الى القَعرِ صَرِيعْ
إِنَّما الظُّلْمَةُ حالت باُحْتِجابْ

لُذْتُ فيها وهيَ حَيثُ اللَّيلُ قَرْ هابَها كُلُّ إِلاهٍ وَبَشَرْ [1]
فَتَرَوَّى زَفسُ في حِدَّتِهِ ورَعى حُرْمَتَها ثُمَّ غَفَرْ
أَوَبَعْدَ الخُبْرِ ذا رُمْتِ المُحَالْ» فأَجابَتْهُ بِدَلٍّ وجَلالْ :
« أَ كَذا ظَنُّكَ غَيظاً يَلْتَظِي أَلِزَفسٍ جَيشُ طُرْوادٍ تَخَالْ
كابنهِ يُدْنيهِم فَضْلُ انْتِسابْ [2]

إِيهِ قُمْ أُعْطِكَ زَوجاً تُستَباحْ بَهْجَةً إِحدى الخَرِيداتِ الصِّباحْ» [3]

(١) اتى الشاعر في مواضع شتى على ذكر مكانة الليـل وقال هنا انه حينما احل ظلامه « هابه كل الاه وبشر » ولم يستثن حتى زفس كبير الآلهة لأن الظلام كان باعتقادهم متقدماً في وجوده على النور فهو جدير برعاية كل متأخر عنه ولهذا كان زفس يرعى له حرمةً جرياً على سنة احترام الفتى للشيخ والحديث للقديم

(٢) ارادت هيرا ان تخمد خشية « الرقاد » من زفس فقالت ان زفس لايبالي بالطرواد مبالاته بهرقل لان هرقل كان ابنه فكان خليقاً به ان ينقم له واما الطرواد فلا نسب يدنيهم اليه فما هم حقيقون بتلك المبالاة ولا جديرون بتلك الموالاة

(٣) البهجات او الخرائد كائنات علوية تقدم ذكرهن ورسمهنّ (ن ٥ : ص : ٤٠٤) • وكان « الرقاد » هائماً باحداهن فاطمعته هيرا بها • ومن نادر الاتفاق ان لفظ (Χαριτες) اليوناني ولفظ الخريدة العربي واحد • وذلك مع عدم وجود مسوغ للقول بان احدهما منقولٌ عن الاخر ومع ذلك فورودهما لمعنى متقارب في اللغتين ممـا

تلكَ سَعْديكَ فَسِيثِيَّا وَكَمْ		رُمتُها وَجْدًا مَساءً وصَباحْ »
قالَ يهتزُّ حبُورًا : « أَقسِمي		لي بإستِكْسَ الرَّهيبِ الأَعظَمِ
وضَعي كَفَّيْكِ كَفًّا في الثَّرى		ثُمَّ كَفًّا فوقَ بحرٍ مُظْلِمِ
يَشْهَدِ الأَيمانَ أَرْبابٌ رِهابْ (١)

أَنْ تُعدّي لي زَوجًا تُستَباحْ		بهْجَةً إحدى الخَريداتِ المِلاحْ
فَتُنيليني فَسِيثِيَّا التي		أَتمنَّاها مَساءً وصَباحْ » (٢)
أَشهدَتْ تُقْسِمُ بالحَلْفِ العَظيمْ		حفلَ أُقْرُونُسَ أَرْبابَ الجَحيمْ
جُمْلَةَ الطِّيطانِ والقومَ الأُولى		رَهطُهُمْ في قَعْرِ طَرْطارٍ يُقيمْ
أَنَّها لم تُؤْتِهِ قولاً كِذابْ (٣)

يستلفت نظر الناظرين في التعريب • ولهـذا اضفنا كلمة الخريدات هنا مع ان لفظة البهجات اكفى وادل على المرام

(١) كان الآلهة اذا اقسموا بمياه الستكس وهو نهر الجحيم كانت يمينهم ابر الايمـان ولم يكتف « الرقاد » باستحلاف هيرا به بل رغب اليها ان تلقي احدى كفيها على الارض والاخرى على البحر استغلاظاً ليمينها اذ تكون جميع الكائنات من جامد وسائل ومنظور وغير منظور شاهدة عليها وما بعد تلك اليمين يمين مغلظة

(٢) ان التكرار وان كان مكروهاً فله هنا وقعٌ لطيف فان هيرا لما بلغت ذكر معشوقة «الرقاد» اخذت بمجامع لبه فأراد ان يستوثق من جهة بصحة احلامه وان يتلذذ بذكرها من جهة اخرى غير مبال بما وعدت هيرا من عرش ومدوس ولا مكترث بعد هذا الوعد بوعيد زفس ولسان حاله يقول قول ابن الفارض

اعد ذكر من اهوى ولو بملامي		فان أحاديث الحبيب مـدامي

(٣) الطيطان ابناء اورانوس وجيا (اي السماء والارض) ومن جملتهم يافت

ثُمَّ طارَا تحتَ أذيالِ الغمامْ　　وسريعاً أدركا حدَّ الختامْ

وهيفريون وقرونوس (زحل) ابو زفس . تألبوا بزعامة قرونوس على ابيهم اورانوس فخلعوه ثم كان بينهم وبين قرونوس خلاف ادى بهم الى محاربته وكادوا يظفرون به لو لم يقم زفس ويشد ازره فظفر بهم وطرحهم في وادي الظلمات



محاربة زفس للطيطان وهو يرميهم بصواعقه

مِن على لِمْنُوسَ حتى لَمبْرُو ... سَ الى إِيذا اليَنابيعِ العِظامْ
فَلَدى لِقْطُوسَ حيثُ الوَحْشُ ذاعْ ... غادرَا البَحرَ وسارا في اليَفاعْ
وفُرُوعُ الغابِ من وَقْعِهما ... قَلِقَتْ ترَجُّ في تلكَ البِقاعْ[1]
وَبِتلْكَ الغابِ رَبُّ النَّومِ غابْ

واُختفى عن مُقْلَتَيْ زَفْسَ على ... أَرْزَةٍ شمَّاءَ تَعلُو في الفَلا
حلَّ في مُشْتَبَكِ الأَغْصانِ طَيـ ... ـراً رخيمَ الصَّوتِ يأْوِي الجَبَلا
قد دَعاهُ الجِنُّ خَلْقِيسَ العِبَرْ ... وقِمِنْدِيسَ يُسَمِّيهِ البَشَرْ
رَقِيَتْ هيرا أَعالي غَرْغَرُو ... سَ وزَفْسٌ من مَعالِيهِ نَظَرْ
فلها وَجداً كيومِ الوَصْلِ ذابْ

يَومَ في الخِفْيَةِ عن أُمٍّ وأَبْ ... عَلِقَا حُبّاً وفازا بالأَرَبْ
قال: «لِمْ جِئْتِ وغادَرتِ الأُلْمْـ ... ـبَ وأَينَ الجُرْدُ» قالت: «لا عَجَبْ[2]
لِأَقاصي الأَرضِ أَزْمَعْتُ ارْتِحالْ ... لِأُوافي أَبَوَيْ رَهْطِ الكَمالْ

---

(١) قال الشاعر انهما طارا ثم قال ان فروع الغاب قلقت ترج من وقعهما . قال افستاثيوس ان الشاعر لم يرد انها ارتجت لوقع ارجلهما عليها بل حرمةً وتهيباً لإلاهين عبرا فوقها

(٢) الجرد الخيل—كان زفس قد علق بحب هيرا فاجتمعا خفيةً ونار الغرام مستعرة في فؤاده فلما اتخذها زوجة لم يكن بدٌّ من انطفاء تلك الجذوة على توالي الايام ولكنها عادت هنا فاضطرمت بفضل نطاق الزهرة ولهذا تغاضى عن اقبالها عليه بلا استئذان وكأنه اشفق ان لاتأتيه على مركبتها السماوية فبادرها بالسؤال عن خيلها

أَوْقِيانُوسَ وتِيثِيسَ اللَّذَيْـ نِ أَشَبَّانِي على كَفِّ الدَّلالْ
فعَسَى أَلأَمُ مَصْدُوعَ الشِّعابْ

طالَ عَهدُ الكَيدِ في بُعْدِهِما وأُطِّراحُ الوُدِّ في حِقدِهِما
وعلى مَرْكَبَتِي أَسْعَى على الْـ بَرِّ والبَحرِ الى رِفْدِهِما
بيدَ أَنِّي الجُرْدَ أَبْقَيتُ لَدى سَفْحِ إِيدا مِنكَ أَبْغِي المَدَدا
خَوفَ أَنْ يأْخُذَكَ الغَيظُ إِذا خِفْيَةً أَزْمَعتُ أَبْغِي مُنْتَدى
أُوْقِيانُوسَ إِياباً وذَهابْ »

فلَها رَكَّامُ غَيمِ الجَوِّ قالْ : «سوفَ تَمْضِينَ فَما ضاقَ المَجالْ
إِنَّما الآنَ بِنا هَيِّي إِذَا نَتَعاطَى حِلْوَ لَذَّاتِ الوِصالْ
قَطُّ ما أَرَّقَنِي حَرُّ اضْطِرامْ مِثْلَما حَرَّقَنِي الْيَومَ الغَرامْ
قَطُّ ما إِنْ هِمْتُ في إِنْسِيَّةٍ قَبلُ او جِنِّيَّةٍ هـذا الهُيامْ
لا أُحاشِي كُلَّ رَبَّاتِ النِّقابْ

لا أُحاشِي زَوجَ إِكْسِيُونَ مَنْ وَلَدَتْ فِيرِثِيساً رَبَّ الفِطَنْ
أَو دَنِيَّا بِنتَ أَكْرِيسَ التي وَلَدَتْ فِرْسِيُسَّ فَرْدَ الزَّمَنْ[1]

(١) ليس لفرسيس هذا ذكرٌ في غير هذا الموضع من الالياذة • ويظهر من نعته بفرد الزمن انه كان ذا شهرة طائرة في زمن هوميروس • فهو على رواية مؤسس مملكة ميكينا نحو سنة ١٤٣٠ ق • م • وهو صاحب فيغاسوس الفرس الطيَّار الذي

لا أُحاشي بنتَ فِينِكْسَ التي رَدَمَنْثاً ومنُوْساً رَبَّتِ
أَو بِثِبْسٍ أَلْقَمينا الحُسْنِ مَنْ حبلَتْ لي بهِرَقْلِ القُوَّةِ
اوسمِيلا أُمَّ ذِيُّونِ الشَّرابْ (١)

لا وذِيْميتِـيرُ ما قطُّ بها هِمْتُ اولاطُونَةٍ ذاتِ البَهَا (٢)

ركبه بليروفون اذ سيق لقتال الخميرة (ص : ٤٥٠)

(١) ذيون اليونان هو باخوس الرومان الاه المسكر ٠ تقدم رسمه ص: ٤٤٦

(٢) ذيميتير اليونان هي سيريس الرومان الاهة الزراعة ٠ رسمها ص : ٤١١



فرسيس والفرس الطيار

لا وَلا في حُسْنِكِ الفتّانِ ما قَطُّ كاليوم فؤادي وَلِها »
فأجابت تكمنُ الحيلةَ : « هلْ لوصالِ الحُبِّ في إيذا محَلْ
أفَما الدُّنيـا ترانا علنـاً أوَلا ربٌّ رآنا وقفـلْ
ودِيارَ الخُلْدِ بالأنبآءِ جابْ

أيَّ دارٍ لكَ آتي أيَّ دارْ بعدَ أنْ يلحقني هذا الشَّنارْ
أنما تعلمُ هيفستُ ابنُكَ الـ صانعُ الحاذقُ شيّادُ المَنارْ
غُرفةً مُحْكَمَةَ الأبوابِ شادْ لكَ قامتْ فوقَ أركانِ العمادْ
فإلى سُترتها هيّ بنـا إنْ يكُنْ لا بُدَّ من هذا المُرادْ
أكفَ في الخَلوةِ فضّاحَ المَعابْ »

قال: « لا تخشَي هُنا وشيَ رقيبْ من بني الإنسانِ او رَبٍّ رَهيبْ
لأُظلِّنْ غماماً شائقـاً من نُضارٍ دُونهُ الشمسُ تغيبْ »
ضمّها والأرضُ جادتْ بالربيعْ من خُزامٍ نشرُ ريّاهُ يذيعْ
وحواشي زعفرانٍ كُسِيتْ حنْدَقوقاً بلّهُ الطَلُّ البديعْ
يتلالا تحتَ منثورِ الحُبابْ

بِهما النورُ عنِ الأرضِ ارتفعْ وغمامُ التبرِ بالنورِ سطعْ
وحُبابُ القطرِ من أكنافهِ كحبوبِ الدُرِّ للأرضِ وقعْ[1]

(١) لا أرى في الشعر تصوراً اجمل من مفاد هذين البيتين • ولعل بيتي الصاحب

فأَبُو الأَرْبابِ في ظِلِّ النَّعيمِ ... هٰكَذا ظلَّ على إِيذا مُقِيمْ
خامِدَ الحِسِّ بِذَرْعَي عِرْسِهِ ... بِهُجُوعٍ وغَرامٍ في نَظِيمْ
رَطْبِ أَزْهارٍ عَلَتْ بُسْطاً رِطابْ (١)

بن عباد لايقصران عنهما كثيراً بقوله :

أقبل الجوّ في غلائل نور ... وتهادى بلؤلؤء منثـور
فكأن السماء صاهرت الار ... ض فصار النثار من كافور

(١) تلك رواية تناول هوميروس جرثومة خبرها عن السلف من المصريين واليونان وشاد عليها بناءً شاهقاً رصعه بزخرف تتقاصر عن ابتداعه مدارك كل شاعر سواه . وكأني به قد آلى على نفسه ان يثبت ان « التي تهز السرير بيمينها تهز العالم بيسارها » وان يبين مواطن الضعف من الذكور ومواضع القوة من الاناث والوسائل التي تتذرع بها النساء لبلوغ مآربهن واستذلال رجالهنَّ . فكأنه يقول اذا دان كبير الآلهة صاغراً لزوجته وما هي بالزوجة الوحيـدة فما قولك بوحدان البشر كبارهم وصغارهم

كانت هيرا جانحة بكليتها الى نصرة الاغريق وقد سدت السبل في وجهها لما كان من ميل زفس الى الطرواد فلم يكن لهـا بد لبلوغ أمنيتها من احدى ثلاث . اما ان تقوى عليـه وهو صاحب الحول والطول . واما ان تفحمه وهو رب الحجة والبرهان . واما ان تصيب منه غفلة فتأخذه على غرة وهو الحذر اليقظ . فتخيرت الخطة الثالثة على بعد شقتها لعلمها ان عامل الجمـال اذا غشي بصر الحكيم وانفذ فيه سهم الغرام غشّى على بصيرته فتتمكن منه الغفلة والذهول

فقامت لساعتها واخذت تتأهب تأهب الواثق بالفوز المبين . ومن ثم أخذ الشاعر يصف دقائق حركاتها وسكناتها بمـا يجب ان يتخذ عبرة للمعتبرين والمعتبرات . عمدت الى التبرج والتزين فانفردت الى عزلة لاتنفذ اليها انظار انسي ولا جني . واوصدت باب حجرتها بمزلاج لا يرمقه بصر غير بصرها كأنه اراد ان يقول ان الحياءَ زينة النساءِ فمن قامت منهنَّ الى اعداد زينتها فلتحتجب عن الابصار وان الرجال اشغف

وَلِمَيدانِ الوَغى عَذبُ الكَرى   جدَّ لِلأُسطُولِ يُنمي الخَبَرا

ما يكونون بالنساء اذا برزن لهم بثوب الاحتشام • والتهتك يطفىء جذوة الغرام • وليس للمرأة ان تحقر قدر التزين لزوجها فانما زينتها وحليها له لا لسواه • وهي عظة حسنة للواتي يتبرجن ويتبهرجن لكل رجل غير رجالهنَّ كأن الزوج غير خليق بالنظر الى حلاوة امرأته وحليها ما لم يتوسل الى ذلك بوجود قريب او غريب

ولما خرجت هيرا بذلك المظهر البديع وعلمت ان لها به درعاً ولا درع الفولاذ الصلب بقي عليها ان تتقلد السلاح الذي تقاتل به بنات جنسها فمالت الى الزهرة وسألتها ان تلقي اليها حيناً من الزمن « نطاق الغرام » وانتحلت لذلك سبباً يتسارّ به النساء ويسارون به رجالهن وهو الكلام في شقاق الازواج • ولم يكن لهيرا ان تختلق سبباً اوقع في قلب الزهرة وزفس من ذلك السبب فادَّعت انها راغبة في التوفيق بين « الاوقيانوس وامرأته » فامنت غيرة الزهرة اذ لم يكن لها حاجة بذلك الشيخ الهرم ودرأت شبهة زفس اذ كان يعلم بصحة ذلك الخلاف وان لهيرا مأرباً حقيقياً في ازالته وفاءً بجميل سابق لذينك الزوجين عليها

وان لنطاق الحب هنا فضلاً عن بدائع محاسنه مزيةً أخرى يجدر بنا التنبيه اليها وهي ان الشاعر جعله تكملة لمحاسن المرأة اذ لا يكفي ان تكون حسنة البزة جميلة الخلق بل لابد ان تكون على خلُق تسترق به قلب الرجل وان لا تحقر مجاملته بلين القول شأن اللواتي يترفعن عن التودد الى رجالهنَّ خوفاً من اطماعهم بهن او طلباً للتخفيف من سلطتهم عليهنَّ ويغيب عنهنَّ ان مكامن الاحقاد وراء الكلام الخشن وعذب المقال يزيل الضغائن من صدور سليطات النساء وظلاّم الرجال

ولما استتمت هيرا معدات الهجوم والدفاع وايقنت بالفوز صرفت همها الى بلوغ وسيلة تمكنها من التلذذ بثمرته فسمت الى « الرقاد » علماً منها ان زفس لا تؤخذ غرته الا اذا هجع فلم تزل بالرقاد حتى استمالته كما مر بك ولم تأت زفس الا وقد تمهدت لديها جميع العقبات

ولما ظفرت بالتسلط على مجامع لبه وافضى الامر بينهما الى المداعبة اظهرت واظهر من حب التستر ما يجب ان يكون امثولة لذوات البعولة وذوي الزوجات الذين قد يتجاوزون اداب المجاملة امام الاجانب فيتعدون حرمة المحاسنة الى التداعب ويثبون

ولِفُوسيذَ دَنا قال: « أَيا   مَلِكاً زَعزَعَ أَركانَ الثَّرى
كَلَّلِ الإِغريقَ بالمَجدِ الخَطيرْ   وأْبْلُ ماشئتَ ولوحيناً يَسيرْ
خلبَتْ هيرا نُهى زَفسَ وفي   قُربِها يَهجَعُ بالطَّرْفِ القَريرْ
وعلى جَفنَيهِ طَلٌّ بانْسِكابْ »

ثُمَّ جَدَّ السَّيرَ يَسعى في الوَرى   وانْبَرى فُوسيذُ في صَدرِ السُّرى (١)
صاحَ مُشتَدًّا على شِدَّتِهِ:   « أَأَخائيِّينَ ما آهاً أَرى
أَلِهَكطُورَ نُتيحَنَّ الظَّفَرْ   يَحرِزُ الأُسطُولَ والمَجدَ الأَغَرْ

وثبة واحدة من كثرة الادب الى قلة الادب

واما ما يراه بعض الشراح من المغازي الرمزية في هذه الحكاية فلا احب ان اجهد النفس في البحث فيه بل لا احب ان اراه • نخيرٌ عندي ان ارى زفس وهو أبو الارباب قد بسط ذلك الفراش الوثير من نبات الارض الفياح وأسبل من فوقه تلك الكلة الشائقة من غمام النضار يتساقط من اكنافها حباب القطر كحبوب الدر من ان اسعى وراء خيال تراءى لهم في مخيلاتهم فقالوا ان زفس ممثل الرقيع وهيرا ممثلة الهواء فلما اجتمعا اخرجا نبات الارض وفقاً لمعتقدهم • فان التوجيه حسن لو كان بنا حاجة اليه ولو كان في رقة المعنى الظاهر ما يحتاج معه الى التأويل والتخريج وقس على ذلك سائر ما تأولوه مما يشوه محاسن الرواية

(١) لما قضى « الرقاد » مهمته لم يبق محل لبقائه في المعسكر • ولهذا قال الشاعر « ثم جد السير يسعى في الورى » لانه لامحل للرقاد في ساحة الكر والجلاد ولم يكن فوسيذ ليجسر ان يندفع في صدر الاغريق وزفس في يقظته فانتهز فرصة تلك الغفلة من زفس لمعاضدة هيرا على قضاء لبانتها فتصدر في الجيش ومع ذلك فانه لم يقاتل بنفسه وانحصرت موازرته بالحث والتحريض كما سترى

تِلْـكُمُ مُنْيَتُهُ اُغْـتَرَّ بها مُذْ رأى آخيلَ بالحقدِ استعرْ
وعَنِ الهَيجاءِ أَمسى باُجْتِناب

قَطُّ ما مَنَّاهُ أُولانا البوازْ إِي نَعَمْ لو كُلُّنا كُلٌّ أَثازْ
فأَصيخوا الآنَ طرًّا وانْهَضُوا يحمِلُ الكُبَّارُ أَجوابًا كِبازْ
تَسطعُ الخُوذاتُ في هاماتِهِمْ وطِوالُ السُّمْرِ في راحاتِهِمْ
وأُولو العزمِ الأُولى جُنَّاتُهُمْ صغُرتْ فلْيَنْبِذوا جُنَّاتِهِمْ (١)
لِلاُولى يُثقِلُهُمْ هَوْلُ الصِّعابْ

فَاُتْبَعُوني واُحْمِلوا طرًّا فَلا صدَّنا هكطورُ مَهْما اُشتعَلا »
فأَصاخوا جُمْلَةً واُنقضَّ في إِثْرِهِ لِلحَرْبِ رَهْطُ النُّبَلا
وذِيُومِيذُ وأُوذِيسُ الفَلاحْ وأَغامَمْنُونُ في دامي الجِراحْ
رَتَّبُوا الجُنْدَ وما أَقعَدَهُمْ دَمُهُمْ بَلْ وازَنوا حَمْلَ السِّلاحْ
وبِهِمْ جابُوا يُعبُّون العِيابْ

(١) الجنات التروس — تلك حكمة بالقاء التروس الكبيرة والسلاح الثقيل لذوي البأس والقوة خصوصاً انه كان من شرعهم ان يعاقب الجندي الذي يرجع بلا ترس واما الذي ياتي عنه سيفه ورمحه فلا عقاب عليه ذلك لانهم كانوا يؤثرون وسائل الدفاع على وسائل الهجوم ويقدمون حفظ النفس على قتل العدو . قال كثير :

على ابن ابي العاصي دلاصٌ حصينةٌ اجاد المسريء نسجها واذالها
يود ضعيف القوم حمل قتيرها ويستطلع القرم الاشم احتمالها

والدلاص الدرع والقتير مساميرها

فَبَدا ذُو الطَّوْلِ بالحِملِ الكَثيفْ　وضَعيفُ العَزْمِ بالثِّقْلِ الخَفيفْ
وبَلَوْا شِكَّتَهُمْ حتَّى إذا　وازَنُوها انْدَفَعُوا الدَّفْعَ العَنيفْ
صَدرَهُمْ فُوسيذُ في راحَتِهِ　عامِلٌ كالبَرقِ في حِدَّتِهِ
لَيسَ مِنْ كُفْءٍ يُلاقيهِ بِهِ　بَلْ تُراعُ الخَلْقُ مِن رُؤْيَتِهِ
إنَّما هكْطُورُ لَمْ يَبْغِ انْسِيابْ

كَتَّبَ الطُّرْوادَ مُشْتَدَّ النِّداءْ　مِثلَما فُوسيذُ نادى بالبَلاءْ
فَكِلا القَرْمَيْنِ قَوَّامٌ فَذا　بَيْنَ طُرْوادٍ وهذا في الأَخاءْ[1]
زَحَفَ الجَيشانِ والبَحرُ اصْطَفَقْ　قاصِفاً والجَيشُ بالجَيشِ الْتَصَقْ[2]
ولَدى عَجِّهِم عَجَّ العُبا　بِ إذا المَوجُ على الجُرفِ انْدَفَقْ
بِشَمالٍ لَم يَكُنْ طَيَّ الحِسابْ

---

(١) حيثما اورد الشاعر ذكر هكطور فانه قرن ذكره بالبسالة والاقدام وتفنن بوصفه بالتشابيه والاستعارات والكنايات ليرفع مقامه في نظر السامع والمطالع • ولكنه ذكرهُ هنا ذكراً بسيطاً فجعله في مقدمة الطرواد بمنزلة فوسيذ بمقدمة الاغريق اي انه جعله قريناً لرب قهار فكان هذا الذكر البسيط ابلغ وصف لبسالته في كل الالياذة وفيه توطئة للمغالاة بقوة ساعد اياس الذي كاد يظفر بهكطور على كونه بتلك المثابة العليا

(٢) انتقل الشاعر من مظهر ترف وسكون الى مظهر شدة وجلبة فغير اللهجة كجاري عادته تنبيهاً للسامع قبل الاتيان على مشهد الحرب فأخذ يكثر من التشابيه المتوالية كما سترى • اما اصطفاق البحر عند اصطدام الجيشين على ماذكر في هذا البيت فقد قال افستاثيوس انه انما كان معجزة بقوة فوسيذ رب البحر فان امواجه تلاطمت هيبةً له

لَمْ تَكُنْ في جَنْبِ هَدَّاتِ الفِرَقْ عِندَما الكُلُّ على الكُلِّ انْطَلقْ
تُذْكَرُ النِّيرانُ في زَهْزَمَةٍ حِينَ بَطْنُ الغابِ بالشُّمِّ احْتَرَقْ
لا ولا صَهْصَلقُ الرِّيحِ اكْتَنَفْ باسِقَ الملُّولِ مِن كُلِّ طَرَفْ[1]
فالْتَقَى الجَمْعانِ في صَدْرِهِم واثِباً هَكْطُورُ بالرُّمْحِ قَذَفْ
لا يَاسٍ مُذْ الى مَلْقاهُ آبْ

نَشَبَ الرُّمْحُ بِقَلْبِ المِحْمَلَيْنْ حَيْثُ بالصَّدْرِ اسْتَطالا ضَخْمَيْنْ
مِحْمَلٌ لِلتُّرْسِ لاقَى مِحْمَلا لِحُسامٍ بِجَرابيٍّ اللُّجَيْنْ
وَقَيَاهُ شَرَّ تِلْكَ الطَّعْنَةِ والْتَوَى هَكْطُورُ بادي الخَيْبَةِ
يَتَّقِي في قَوْمِهِ هَوْلَ الرَّدى وأَياسٌ بِأَبِيِّ الهِمَّـةِ
إِثْرَهُ انْقَضَّ كَخَطَّافِ الشِّهابْ

ولِجُلْمُودٍ مِنَ الصَّخْرِ عَمَدْ مِنْ صَفاً بُدِّدَ في تِلْكَ الجُدَدْ[2]
(بَعْضُهُ قد ظَلَّ ما بَيْنَ الخُطَى وأُقِيمَ البَعْضُ لِلْفُلْكِ سَنَدْ)
فَرَحاهُ فَمَضَى وَهْوَ يَثُورْ مِثْلَما دَوَّامَةُ الوَغْدِ تَدُورْ[3]

---

(١) اي انه بجانب عج الجيشين لم يكن عج البحر شيئاً مذكوراً ولا زهزمة النيران المضطربة ببطن الغاب على رؤوس الجبال ولا عصف الرياح المتلاعبة بالشجر فجمع بهذه التشابيه الثلثة بين الماء والنار والهواء

(٢) أي انه أخذ حجراً من الحجارة المتبعثرة في تلك الطرق

(٣) الوغد الولد . واللعب بالدوامة وهي الفلكة يرميها الصبي بخيط او بغير خيط

وعلى جنّةِ هكطورَ لدى عنقهِ في صدرِهِ أهوى يمورْ
فهوى منقلباً أيَّ انقلابْ

فكما ملّولةَ الطودِ اقتلعْ زفسُ والأنواءُ بالعنفِ دفعْ
وفشا من حولها الكبريتُ في صادعِ الريحةِ والعجُّ ارتفعْ(١)
وقلوبُ الناسِ في جيرتها خفقتْ رعباً لدى رؤيتها
هكذا هكطورُ في سقطتهِ أفلتَ الصعدةَ من شدّتها
والتوى مستلقياً فوقَ الترابْ

ظلّتِ الخوذةُ والترسُ لديهْ وصدى شكّتهِ صلَّ عليهْ
وبنو الاغريقِ في نزتهمْ هرعتْ أفواجهمْ تجري إليهْ
بغيةَ أن يظفروا فيهِ وقد أمطروا الأسهمَ تهمي كالبردْ
إنما لم يدركوا بغيتهمْ إذ سعى كالبرقِ يؤتيهِ المددْ
نخبةُ الرّوادِ والنُّزْلُ الصحابْ

أسبلوا من حولهِ صلدَ المجانْ ووقوهُ هولَ هطالِ الطعانْ
بينهمْ فوليدماسٌ وكذا آنياسٌ وغلوكوسُ الجنانْ

قدوّم على الارض اي تدور على نفسها وهي من اقدم لعب الصبيان • ويقال لها بلغة عامة سوريا البلبل وتسمى بمصر النحلة

(١) المراد هنا اقتلاع الملولة او تحطيمها بالصاعقة يُعلم ذلك من ذكر الكبريت والرائحة الصادعة في البيت التالي

ثم سَرْفِيدُوْنُ قوَّامُ بَني لِيقيا ثُمَّ اغينُورُ السَّني
حَمَلُوهُ حَيثُ ظَلَّتْ جُرْدُهُ في ذَرَاعن قرْعِ تِلكَ الجُنَنِ
وإلى إلْيُونَ سارُوا بأكْتِئابْ

فَعلى مرْكَبَةٍ فيهِ تَسيرْ حملوهُ وَهوَ مُشْتَدُّ الزَّفيرْ
وأَتوا شفَّافَ زَنْثَ المُلتَوي بمَجارٍ صبَّها زَفْسُ القديرْ
وَضَعُوهُ ثَمَّ والماءَ الدُّفاقْ بارداً صبُّوا عليهِ فأَفاقْ
وجثا يَفتحُ عينَيهِ وَمِنْ دَمِهِ الأَسْوَدِ قيْءٌ واندِفاقْ
جارياً مِنْ فيهِ يَنصَبُّ انْصبابْ

ثُمَّ فوقَ التُّربِ مغشياً عليهْ خرَّ والظُّلْمةُ غشَّتْ مقلتيهْ
صَدْمةٌ ما ارْتاحَ مِنْ صعقتِها زمناً إلاَّ لِتُوهي رُكْبَتيهْ
وَبنُو الإغْريقِ مُذْ هكْطُورُ رَاحْ هاجَ في أَلْبابِهِمْ وَجْدُ الكِفاحْ
وابْنُ وِيلُوْسَ أَياسُ كرَّ في عاملٍ ثُقِّفَ من شُهْبِ الرِّماحْ
كَعبُهُ يهتزُّ في صَدْرِ الكِعابْ

شقَّ ذاكَ الرُّمحُ مِنْ تحتِ الكَتِفْ خصْرَ قرْمٍ بِستَنْيُوسَ عُرِفْ
أُمُّهُ الحوراءُ نايِيسُ التي لِأَنُوفٍ قبلُ كانتْ تَزْدَلِفْ
راوَدَتْهُ حينَ وافى قِدَماً جُرْفَ سَتْنِيوِيسَ يَرْعى الغَنَما
ونِتاجُ الحُبِّ ذَيَّاكَ الفتى رُمْحُ آياسٍ حَشاهُ اخْتَرَما

وحَوالَيهِ اختِصامٌ واختِضابْ

فَجَرى فُولِيدَماسُ وأَطارْ عاملاً صلدًا لأَخذِ الثَّارِ ثارْ
فَعلى كاهِلِ إِفرُوثُونُرٍ غاصَ يلقيهِ مُغشًّى بالغُبارْ
صَرَخَ الظَّافِرُ والفخرُ انتحلْ: «لَمْ يَطِشْ رُمحُ ابنِ فَنثُوسَ البَطَلْ
شَقَّ من قلبِ العِدى قلبَ فتًى مُوَكِئًا يلقيهِ أَيَّانَ ارتحلْ
لِثاوي صَرحِ آذِيسَ الرِّحابْ» (١)

فالتظى الإِغرِيقُ من هذا النعيرْ سِيَّما الفتَّاكُ آياسُ الكَبيرْ
دُونَهُ خرَّ الفتى فانقضَّ في طَلَبِ القاتِلِ بالرُّمحِ الشَّهيرْ
فالتوى فُولِيدَماسٌ ونجا ولأَرخيلُوخَ فورًا عرَجا (٢)
خرَقَ البأديلَ مِنْ مَفصِلهِ وبِقَلبِ العَظمِ فيهِ أُولجا
قاضِبًا أَعصابَهُ شرَّ اقتضابْ

خرَّ والهامَةُ قبلَ القدَمِ لِخَضيبِ التُّربِ أَهوَتْ ترتمي
وأَياسٌ صاحَ في نَعرَتهِ : «يا ابنَ فَنثُوسَ المليكِ الأَعظَمِ

---

(١) يريد ان يقول ان رمحي بات موكئاً يتوكأ عليه القتيل اذا انحدر الى الجحيم وظاهر المراد من هذه العبارة ان الرمح اصاب كاهله فاخترق البدن وبرز من الجهة الاخرى ولا يخفى ما في قول الظافر هذا من التهكم والتشفي

(٢) أي الرمح

قُلْ أَلَمْ أَفْتُكْ بِعلْجٍ أَكْبَرِ　　　كانَ كُفوءَ ٱبْنِ أَرِيلِيْقَ الجَرِي[1]

إِي نَعَمْ ما لاحَ لي الأَفتَى　　　عالِيَ الهِمَّةِ سامِيْ ٱلمَعْشَرِ

وِلأَنْطِينُوْرَ يُدْنيهِ ٱقْتِرابْ

فَهْوَلا شَكَّ ٱبْنُهُ القَرْمُ البَطَلْ　　　أَو أَخُوهُ الشَّهْمُ ثَقَّافُ الأَسَلْ»

قالَ ما قالَ أَياسُ عالِماً　　　قبلَ ذاكَ القولِ مَنْ كانَ قَتَلْ

فَحَشَى الطِّرْوادِ بالبَثِّ ٱلتَهَبْ　　　وأَخُو المَيتِ أَكاماسُ وَثَبْ

ورَمَى يُرْدِي فُرُوماخَ الذي　　　جُثَّـةَ المَقْتُولِ قد كانَ سَحَبْ

ثُمَّ نادى بأَساليبِ السِّبابْ:

«يا بَني الإِغْريقِ حُذَّافَ النِّبالْ　　　وأُولي الدَّعْوى غُرُوراً وٱخْتِيالْ[2]

لَمْ تَكُنْ كُلُّ المَنايا سَهْمَنا　　　فلَكُمْ مِنها نَصيبٌ ومَنالْ

أَفَما خِلْتُمْ فُرُوماخَ السَّري　　　بَعدَ أَرْخِيلُوخَ بالحَتْفِ حَري

أَفَما كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنكُمْ صَبا　　　لِأَخٍ مِنْ بَعْدِهِ مُثّارِ

---

(١) ابن اريليق هو افروثونور القتيل الاغريقي

(٢) حذاف النبال تعريب (ἰόμωροι) وهي لفظة مركبة من كلمتين فالفريق الاكبر من المترجمين يجعلها مؤلفة من (ἰὸς و μωροι) فتكون بالمعنى الذي عربناها به ومنهم من يجعل اللفظ الاول منها مأخوذاً من (ἰα) بمعنى صوت فيكون معناها حينئذ ذوي الجلبة والصوت المرتفع وهي على كلا الحالين كلمة قذف لأن المقاتلة بالنبال احط شأناً وادنى بأساً من المقاتلة بالسيوف والرماح • اما وجه السباب في المعنى الثاني فواضح

أَبَدًا مُرْتَقِبٍ قَطْعَ الرِّقابْ » (١)

حرَّقَ الإِغريقَ ذَيَّاكَ الفَخارْ سِيَّما المَلكَ فنيلاسَ فثارْ
وأَكاماسَ رَمى لَكِنْ أَكا ماسُ وَلَّى يَبْتَغي سُبْلَ الفِرارْ
فبإِلْيُونِيُّسَ الرُّمْحُ صدرْ فَرعِ فُرْباسَ الوَحيدِ المُدَّخرْ
مُجْتَبى هِرْمِسَ في طُرْوادَةٍ مَنْ حَباهُ بِغَنيمٍ وبَقَرْ
وعليهِ هالَ مَوْفُورَ الرِّغابْ

خرَقَ الحاجبَ والعينَ قَذَفْ وبِلُبِّ العظمِ في الرَّاسِ وقَفْ
خرَّ لِلتُّرْبِ يَدَيهِ باسطًا وفنيلاسُ انْتَضى السَّيفَ وخَفْ
قَطعَ الهامةَ في خُوذتِها فَهَوَتْ والرُّمْحُ في مُقْلتِها
وحكَتْ في كَفِّهِ خَشْخاشةً قُطِعَتْ تُجْتَثُّ من مَنْبَتِها
قالَ يُعْلِيها على ذاكَ النِّصابْ :

« أَصدُقُوا طُرْوادُ هولَ الخبَرِ والِدَيْهِ يَذْرِفا الدَّمْعَ الذَّري
مِثْلما عِرْسُ فُرُوماخَ إِذا آبَتِ الإِغريقُ بعدَ الظَّفَرِ
لا تَراهُ سارَ حِينَ الجيشُ سارْ وبِهِ تحظى بِهاتِيكَ الدِّيارْ »
نَظَرَ الطُّرْوادُ مِنْ حولِهِمِ يَبْتَغي كُلٌّ سَبيلًا لِلْفِرارْ

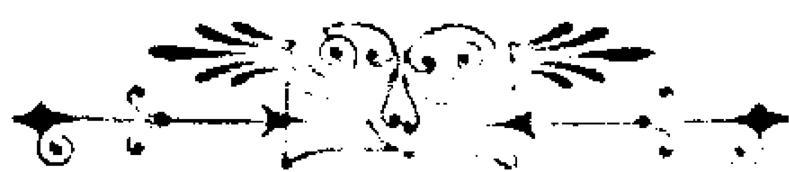
(١) اي انما كل منكم يروم ان يكون له من يأخذ بثأره اذا قُتل كما اخذت بثأر أخي ارخيلوخ

ثُمَّ ولَّوا بِارْتِعادٍ وارْتِعابْ .

يابَناتِ الرَّبِّ زَفْسٍ مَن على　　قِمَّةِ الأُولِمْبِ يَشْهَدْنَ المَلا
لي فَقُلْنَ الآنَ مَنْ خُلْتُنَّهُ　　بَيْنَهُمْ شَقَّ الصُّفُوفَ الأُوَلا
مُذْ الى الإغْرِيقِ إبَّانَ النِّزالْ　　كِفَّةَ الرُّجْحانِ فُوسِيذُ أَمالْ
ذاكَ آياسُ على هِرْتِيُّسِ　　فَرعِ غِرْتِيَّاسَ بِالبَدْءِ اسْتَطالْ
والمِسِيُّونَ عَلَيْهِ بِانْتِحابْ

ثُمَّ أَنْطِيلُوخُ فَلْقِيسَ قَتَلْ　　وعلى مِرْمِيرُسِ الهَولِ حَمَلْ
ثُمَّ مِرْيُونُ مُرِيساً وكَذا　　هِيفْتِيُّونَ بِحَدِّ السَّيْفِ فَلْ
ثُمَّ طَفْقِيرُ فِرِيفِيتَ ضَرَبْ　　وفُرُونُوثُونَ واحْتازَ السَّلَبْ
ومَنِيلا رامَ هِيفِيرِينُرا　　ومِنَ الشاكِلَةِ الجَوفَ اقْتَضَبْ
فَمِنَ الجُرْحِ هَوَتْ رُوحُ المُصابْ

إنَّما أَعْدى فَتى بَينَ السُّرى　　لَمْ يَكُنْ إلَّا أَياسَ الأَصْغَرا
كَرَّ في إثْرِ العِدى مُسْتَقْبِلا　　جَيْشَهُمْ فاجْتاحَهُ مُسْتَدْبِرا
حَيْثُما خَنَّتْ خُطاهُ أَدْرَكا　　طالِبَ النَّجْوى وفيهِ فَتَكا
خَرَّتِ الذُّرَّاعُ في كَرَّاتِهِ　　تَتَرامى مِن خَمِيسٍ هالِكا
سامَهُ زَفْسُ انْخِذالاً وانْقِلابْ



النشيد الخامس عشر

الواقعة الخامسة وبسالة أَياس

مُجمَلُهُ

تجاوزت الطرواد حدّ الخنادقِ يصلّمهم فيها حسام الاغارقِ

فاستيقظ زفس وعلم ان حيلة هيرا قد جازت عليه فانهال عليها بالتقريع والتونيب. فادعت ان فوسيذ نكل بالطرواد منبعثاً بمجرد هوى نفسه. فأمرها باستدعاء ايريس وأفلون وانفاذهما لاستنهاض الطرواد. فرجعت الى السماء وأطالت على مسمع الآلهة شكواها من زفس وأنبأت اريس بما كان من موت ابنه عسقلاف. فهاج آريس وماج فثبطته آثينا. وطار افلون وايريس الى ايذا عملاً بأمر زفس فبعث بايريس الى حومة الوغى تتوعد فوسيذ. فاضطر الى مغادرة ساحة القتال وعاد أفلون بهكطور مستعراً بالغيظ والبسالة بعد ان بسط افلون مجنه امام الاغريق وهدّ قلوبهم بمنظره فانقضت الطروادة على الاغريق وذبحوهم ذبحاً. فالتوى الاغريق الى معسكرهم وتقدم هكطور بجيشه يصحبهم افلون. فاجتازوا الخندق ووقع الرعب في قلوب الاغريق فتضرع نسطور الى زفس فأرعد وابرق فتفاءل الطرواد بذلك وما زال هكطور متقدماً بفيلقه حتى بلغ السفن. وكان فطرقل يشهد كل هذا من مضرب اوريفيل فجدّ مسرعاً الى أخيل يستنهضه ليفزع لقومه. وقام الاغريق فقاتلوا قتال الاسود على انهم ما لبثوا ان اضطروا الى الهزيمة فانثنى آياس بنزر من صحبه وثبت امام الطرواد واشتد القتال ثانيةً فخرت الابطال من الفريقين وحال آياس دون بلوغ الطرواد سفن قومه وهمّ هكطور باحراق السفن وكاد يبلغ منها مأربه لو لم يقف آياس فيصد الابطال ويجندل الرجال

لاتزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثامن والعشرين

النشيد الخامس عشر

تجاوزتِ الطُّرّادُ حدَّ الخنادقِ / يُصلّمُهم فيها حُسامُ الأغارقِ
وحولَ العجالِ اُستوقفوا وتألّفوا / برعدة مذعورٍ وصفرةِ خافقِ
ومن طُورِ إيذا هبَّ زفسُ ودونهُ / صفيّتُهُ هيرا فهاجَ ظنونَهُ (١)
وألفتَ والإغريقَ أبصرَ عقّبوا / عداهمْ وفوسيذٌ ببطنِ الفيالقِ
وأبصرَ هكطورًا بهِ القومُ أحدقا / ومن فيهِ سيّالُ النّجيعِ تدفّقا
على التُّربِ ملقى خامدَ الحسِّ خافقًا / وماصرعتهُ كفُّ أضرعَ خافقِ (٢)
فهزّتْ أبا الأربابِ والنّاسِ رأفةٌ / ولاحتْ لهيرا منهُ بالغيظِ نظرةٌ
وقال: « نعمْ هكطورَ مكرًا أبنتِهِ / عن الحربِ فارتاعوا لقرعِ المخافقِ
تحدّثني نفسي أهيلُ عقوبتي / فتجنينَ قبلَ القومِ عقبى الخديعةِ
أفاتكِ أنْ علّقتِ قبلُ مهانةً / بلبِّ رقيعِ الجوِّ بينَ البوارقِ
وغلّتْ بصلدِ القيدِ من عسجدِ القدمْ / يداكِ وسنداناتٌ في أخمصِ القدمْ
وآلُ العلى حوليكِ ذلّوا وأشفقوا / وهلْ كانَ من يوليكِ نصرةَ شافقِ

---

(١) انتقل بنا الشاعر الى مشهد جديد مثل به يقظة زفس بعد هجوعه تمثيلاً يري للسامع هيئة الصاحي من سكرته المستفيق من غفلته الحنق لسقوطه في احبولة نُصبت له خفيةً بيدٍ عجزت عن البروز لوجهه . فتستجمع حواسه للافاقة مافات والاقتصاص ممن القى عليه ذلك السبات . تلك كانت حالة زفس عند هبوبه من النوم جعلها الشاعر توطئة لايراد حوادث احيا بها جانباً كبيراً من آثار قومه كما سترى

(٢) الاضرع الجبان . والنجيع في البيت السابق الدم

ولو فعلوا ألقيتُ أيّهمُ اجترا … من السُّدّة العليا صريعاً الى الثرى
وما كان هذا خافضاً غضبي لما … أنلتِ هرقلاً في السنين السوابقِ
به رُمتِ سوءاً ثمّ أهببتِ شمألا … تقاذفهُ الأنواء فيها منكّلا
وأحللته قوصاً ومنها أعدته … لأرغوس ممنوّاً بأدهى البوائق (١)
ألا أذكري تلك الشؤون وجانبي … مخاتلتي فيما ابتغيتِ بجانبي
برحتِ مقام الخلد تشجيني جوىً … فليس بمغنٍ عنك مكرُ المنافق »
أجابته هيرا تقشعرُّ تظلّما : … « يميناً عليَّ الأرضُ تشهدُ والسما
وتحتهما إستكسُ يشهدُ يمّهُ … يمينٌ لنا لم يأتها غيرُ صادقِ
ورأسك والعقدِ الذي بيننا ولم … يكن قسمي الا إذا أثقل القسم » (٢)

(١) لقد مرت الاشارة الى هذه لاسطورة في النشيد السابق اذ ذكرها « الرقاد » وذكر هيرا بما نالهُ من عقاب زفس وزاد الشاعر هنا ما نال هيرا من ذلك العقاب • وقد تهافت الشراح على حل معميات ذلك العقاب حلاً رمزياً بما يطول معه الشرح

(٢) ما قرأت هذه اليمين مرة الا تذكرت ايمان بني كعب في العراق العجمي لعهدنا هذا فان هيرا قد اغلظت الحلف فاقسمت بالارض والسماء والاستكس وما بعد اليمين بهن يمين مغلظة • وكأنني بزفس مع هذا لم يجنح الى التصديق الاحين اقسمت برأسه والعقد اي عقد النكاح • وهكذا الكعبي اذا اقسم بالله فلا يزعم ولا يتوهم غيرهُ انه صادق ولكنه لايقسم برأس شيخ عشيرته الاّ صادقاً • فاذا اتهم بسرقة او جناية وسيق امام الشيخ واستحلف واراد الانكار قال « والله وبالله لم افعل » فكأنه لم يزد على قوله لم افعل فاذا اعيد عليه السؤال قال « والنبي والوصي » او « وحق محمد وعلي » فاذا أراد اغلاظ يمينه قال « وحق العباس » واذا بقيت شبهة في صدقه وأراد درأها اقسم برأس شيخه وهو اعظم ايمانهم لايقسمها احدهم الا صادقاً — والسبب في

لَئِنْ سامَ فُوْسِيذُ الطَّراودَ ذِلَّةً فما كانَ مَبْعُوثي وَلا كانَ لاحِقِي
وما ساقَهُ إلاَّ فُؤادٌ تَفطَّرا لِجَيْشٍ لَدى أُسْطُولِهِ قد تَذَعَّرا (١)
فَمُرْني فَأَمْضي بالبَلاغِ فَيَنْثَني لِحَيثُ قَضى زَفْسُ مُثِيرُ الصَّواعِقِ»
فَهَشَّ لَها زَفْسٌ وقالَ بِمُنْتَدى بَني الخُلْدِ لو رَأْيي أُرَتأ يْتِ مُؤَبَّدا
فَفُوْسِيذُ مَهْما كانَ مِن نَزَعاتِهِ لَأَذْعَنَ وانْقادَ انْقِيادَ المُوافِقِ
فَإِنْ كُنتِ أَخْلَصْتِ المَقالَ فَبادِري لِمؤْتَمَرِ الأَرْبابِ أَلْقي أوامِري
فَتَحْضُرُ إيرِيْسُ الرَّشِيقَةُ عاجِلاً وَفِيبُوسُ هَيَّالُ النِّبالِ الذَّوالِقِ
فأُنْفِذُ إيرِيساً لِفُوسِيذَ مُبْلِغا إلى يَمِّهِ يَأْوِي ويَطَّرِحُ الوَغى

ذلك انه اذا ظهر كذب الحالف برأس الشيخ كان عقابه القتل فالشيخ يقتص لنفسه عاجلاً حالة كونه لو اقسم الرجل كاذباً بالعباس ومن فوقه الى الخالق جلّ وعلا فعقابه مؤجل الى يوم الحشر حيث يقتص صاحب القسم من الحانث بيمينه • والرهبة من الحد العاجل بيد المخلوق اوقع منها في النفس من الحد الآجل بيد الخالق

وقد كان اعظم الاقسام في جاهليتنا ذمة العرب لا يُحلف بها الا عن صدق • قال متمم بن نُويرة :

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت تحت الازار قتلت يا ابن الاوزرِ
أدعوتهُ بالله ثم قتلته لو هُو دعاك بذمة لم يغدرِ

(١) تملصت هيرا تملص الداهية بيمينها فلم تنكر علمها بما كان واشركت فوسيذ بالذنب ولم تزدهُ جرماً لان موآزرته للاغريق كانت ظاهرة بل التمست له عذراً بان الرأفة هي التي دفعته الى الاخذ بيدهم فاقسمت ولم تكذب • ثم تزلفت الى زفس ولم تلبث ان استمالته بقولها انها متأهبة لقضاء اوامره وهي لاتزال تنوي انفاذ مأربها كما سترى فيما يلي وذلك منتهى الدهاء في النساء

وفِيبُوسُ هَكْطُورًا يُسَكِّنُ رَوعَهُ ... وَيُولِيهِ حَزماً لِاختِراقِ الحَزائقِ (١)
فَيَكتَسِحُ الإغرِيقَ يَكسَاهُمُ إلى ... أَساطِيلِ آخيلٍ فَيُشفِقُ لِلبَلا
ويُرسِلُ فَطرُقلا فيَفتُكُ فيهمِ ... ويُدمِي ويُصمِي في لُبَابِ الغَرانِقِ (٢)
ويَجتاحُ سَرْفيدُونَ فَرعِي ويَقحَمُ ... ويَبطُشُ للأسوارِ يُصمِي ويَهزِمُ (٣)
فَيَطعَنُهُ هَكطُورُ طَعنَةَ قاتِلٍ ... فَيَنهَضُ آخيلٌ بِهِبَّةِ حانِقِ
ويَقتُلُ هَكطُورًا ومِن ثَمَّ تَلبَثُ ... أَخاءَةَ في الطُّرْوادِ تَعثُو وتَعبَثُ
إلى حِينَ آثِينا تُتيحُ بِحِذقِها ... لَهُمْ فَتحَ إليُونٍ بِحِكمَةِ حاذِقِ
علَى أَنَّني ما دامَ آخيلُ لَمْ يَنَلْ ... مُناهُ فَلَنْ أُولِي الأَغارِقَةَ الأَمَلْ
ولَستُ بِراضٍ أَنْ يَقُومَ بِرَفدِهِمْ ... مِنَ الخُلدِ قَوَّامٌ بِتِلكَ المَضايِقِ
بِذٰلِكَ قد عاهَدتُ ثِيتِيسَ عِندَما ... تَرامَتْ ومَسَّتْ رُكبَتَيَّ تَظَلُّما
لإعزازِ آخيلٍ دَعَتني تَرَفُّقاً ... فَأَومَأتُ بالإيجابِ إيماءَ رافِقِ » (٤)

---

(١) الحزائق الجماعات

(٢) الغرانق الفتيان

(٣) كان سرفيدون من ابناء زفس وستأتي تتمة سيرته في النشيد التالي

(٤) يشير زفس في مقاله هذا الى ما سيكون وهو يلهج فيه لهجة العزيز القدير جلّ شأنه الذي « اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون » . وقد كثر الاخذ والردّ بين الشراح في ما اذا كان هوميروس مخطئاً اومصيباً بالانباء بما سيعقب تلك الحوادث فزعم قومٌ ان علم المطالع بها ولو مجملاً يذهب بشيءٍ من طلاوتها عند وقوعها . وقال آخرون ونحن في عدادهم ان الامر بخلاف ما زعم الفريق الاول لان هوميروس لايورد قصة غرامية لا يُستوقف فيها نظر المطالع الا في نهايتها . وانما يقص على معتقد اهل زمانه تاريخاً مشهوراً . فاشارته هنا الى ما سيقع ليست الا توطئة يرتاح

فلبّتهُ هيرا واستطارت بلحظةٍ   الى قمّة الأولمب من طور إيذةٍ
كفكرٍ يجوب الشرقَ والغربَ طارقاً   بلاداً وفيهِ ذكرُ تلك المطارقِ (١)
وأمّت سراةَ الخلد في منتداهمُ   بمربع زفسٍ في سموّ علاهمُ
فمذ أبصروها جملةً نهضوا لها   وقاراً وحيّوا بالكؤوس الدوافقِ
أبت رشف هاتيك الكؤوس وإنما   لكأس ثميس الحسن مالت تكرّما (٢)
فتلك إليها سارعت مستقصةً :   « أرى جئتِنا في غصّة المتضايقِ
فلا غيرُ زفسٍ راعكِ اليومَ غاضبا »   فقالت: «دعي عنكِ التحرّيَ جانبا
عرفتِ عتوّاً شأنهُ وصلابةً   فعودي الى بسط الطعام الشوائقِ

المطالع الى الوقوف بها اجمالاً على ما سيقع تفصيلاً • ونزيد على ذلك انها ليست باول ولا آخر مرة رأينا فيها الشاعر يورد مثل هذه النبوءات فهي على ما نرى من مزينات قصصه ومثبتات اعتقادات ذلك الزمان وهي خطة اتخذها كتّاب جميع الكتب القديمة منزلة كانت او غير منزلة • ولا يخفى ما فيها فضلاً عما تقدم من شدة التأثير في النفس باثبات عظمة الناطق بها واقتداره وهي محسنة اخرى من محسنات الشعر

(١) لم يغادر هوميروس آبدة ولا شاردة من بدائع الطبيعة الا اشار اليها ودوّنها وهو هنا قد وصف السرعة بما لا سبيل بعده الى مزيد • فقد رأيناهُ ورأينا سائر الشعراء يشبهون بسرعة الطائر والريح والبرق وما اشبه ولكننا لو اضفنا الى تشابيههم سرعة الكهرباء والنور لما كانت شيئاً بالنسبة الى سرعة الفكر الذي يجوب السموات والارض وما فيهن بلحظة من الزمن • ومابساط الريح بازائه بالشيء المذكور • قال ابن المعتز بمثل هذا المعنى مع اقتضاب :

أسرع من ماءٍ الى تصويبِ   ومن وقوع لحظهِ المريبِ
ومن نفوذ الفكر في القلوبِ

(٢) يؤخذ من هذين البيتين ان الآلهة كانوا في مجلس انس وطرب • يشير

وفي أُدْبَةِ الأرباب مجْدًا تصدّري أَبثُّكُمُ من خبْرِهِ شرَّ مَخْبَرِ
أُمورٌ قضاها أزعجت كلّ آدبٍ من الإنس والجنّ الكرام المَارق
ومن ثمّ حلّت عرشها ولفيفُهُمْ تألّمَ من زفسٍ وزفسُ مخيفُهُمْ
فهشّتْ ولكنْ عن جبينٍ مقطّبٍ على سُودِ أجفانٍ بحُمرِ الحمالقِ
وقالتْ وجمْرُ الغيظِ ميّزها: « فوا حماقتنا في كبح زفسَ وما نوى
وأحمقُ منهُ زعمُنا خفضَ جأشهِ بمَازقِ بأْس او بقول مُماذِقِ
ولكنّهُ في عِزّ عزْلتهِ ولا يُبالي ادّعاءَ أنّهُ فوقنا علا
وأنَّ لهُ بالبطْشِ فيكم سوابقاً فذُوقوا نكالاً عادياتِ اللّواحقِ
فهذا أريسٌ قيّمُ الحربِ نابهُ مُصابٌ وما أدراكُمُ ما أصابهُ
أعزّ البرايا عسقلافُ سليلُهُ صريعٌ وما أغناهُ ظهرُ اليلامقِ » (١)
فهبّ أريسُ ثائرَ الجأشِ لاطما بكفّيهِ فخذيهِ يُولْوِلُ ناقما :
« أيا معشرَ الأولمبِ لا تلحوُنّني اذا ما لثأرِ ابني أثرْتُ مرافقي

هوميروس هنا الى ان ثميس وهي الاهة العدل هي التي كانت تتصدر في مآدب الالهة وحفلاتهم . فما احراها ان تتصدر في محافل البشر !

(١) اليلامق التروس — لاتزال هيرا محفظة على زفس ناقمة منه . وهو الآن في يقظته فلا تستطيع ان تخالف امره فتغفل ابلاغ رسالته فهي ستبلغها بعد ابيات مقتضبة اقتضاباً . ولكنها آلت على نفسها قبل ذلك ان تثير حقد سائر الآلهة عليه لعلها تبلغ منه مأرباً بوسيلة اخرى . وهي من وجه تشير الى اقتداره وضعفهم ومن وجه آخر تبالغ في وصف استبداده وتعسفه لتزيدهم نفرة واشمئزازاً وهو نوع من انواع تشفي الضعيف من القوي اذا قصرت باعه عن مسه بسوء

سأنزلُ لوصمٌ الصّواعِقِ تَنزلُ وفوقَ خضيبِ التُّربِ صعقاً أُجندَلُ»
وأوعزَ لِلهَولِ العظيمِ ورِعـدَةٍ بإعدادِ هاتيكَ الخيولِ العتائقِ (١)
وشكَّ بِبرَّاقِ السّلاحِ ولو مَضى لأرعَدَ زفسٌ في الأُلمبِ وأومَضا
ولٰكِنْ أثينا مِنْ على عرشِها انبرَتْ إليهِ تُلافي هولَ تلكَ الطَّوارقِ
وهبَّتْ إلى تِلكَ التَّريكَةِ تقتلِعْ عنِ الرَّأسِ والجوبَ المحدَّبَ تنتزِعْ
وعاملَهُ الجبَّاذَ مِنْ صلْدِ كفّـهِ أماطتْ تُريهِ شرَّ تلكَ المزالقِ: (٢)
«تعِستَ وما أغواكَ هلْ فاتكَ النّدا وأُصممتَ واُخترتَ الهلاكَ المؤبَّدا
أغادرَكَ الحِسُّ المُنبِّهُ والحيـا وأصدقُ نُطقٍ قالهُ خيرُ ناطقِ
ألم تفقهِ الأنباءَ هيرا بها أتتْ ومُنذُ يسيرٍ زفسَ بالنَّفسِ غادرتْ
أشاقكَ أنْ تمضي وقدهدَّكَ البَلا وترجعَ موقوذَ الخُطوبِ النَّواعقِ
وتدفعَ زفساً لِلأُلمبِ مُمعَّضـا وعَن جُملةِ القومَينِ أغضى وأعرضا
فيحطِمُنا حطْماً وما هُوَ بينَنا إذا ما اقترفنا أو برئنا بفارقِ
فجأشكَ خفّضْ واُكظمنَّ فكمْ بطلْ مِنَ ابنِكَ خيرُ جنْدَلتهُ ظُبا الأسلْ

---

(١) يمثل هوميروس الهول والرعدة بشخصين . وهما ماردان في خدمة اريس الاه الحرب

(٢) الجباذ القاطع والمزالق الزلاّت — لما كان آريس الاه الحرب كان اقرب الى الطيش ممن سواه وهيرا تعلم ذلك فارادت أن تهوّرهُ ووجهت مقالها اليه . وكاد يتهوّر باغضاب زفس لو لم تقم أثينا وتصده ولم يكن بين الآلهة اجدر منها بذلك لانها الاهة الحكمة ولا يخفى ما في كل ذلك من اتساع المغزى

وهل من سبيلٍ دافعٍ غُصصَ الرَّدى عنِ الخلقِ ما امتدّتْ حياةُ الخلائق »[١]
فأُجلسَ مرغوماً وهيرا بخفّةٍ من المجلسِ انسابتْ لموقفِ عزلةِ
ونادتْ أفلّوناً وإيريسَ خارجاً وقالت : « ألا سيرا بخفّةِ بارقِ
وزفساً بأعلى إيذةَ الآنَ وافيا يلقّنكما الأمرَ الذي كانَ خافيا »
وعادت وحلّتْ عرشَها فتسابقا لإيذةَ في جهدِ الكدُودِ المسابقِ[٢]
فما لبثا أن أدركاهُ بأنورِ ذرى غرغرُوسٍ في غمامٍ معنبرِ
وما غيظَ أن جاءاهُ اذ لبّيا ندا صفيّتهِ هيرا بإذعانِ واثقِ
فقال: «أإيريسُ الرّشيقةُ فاسبقي لفوسيذَ بالأنباءِ منّي واصدُقي
وقُولي لهُ عن موقفِ الحربِ ينثني لشُورى العلى او يمّهِ المتلاصقِ
فإنْ لمْ يردْ إلّا اتّباعَ مُرادِهِ ليفكرْ بما يُوليهِ شرُّ عنادِهِ
فليسَ بكُفْئي ما استطالَ فإنّ لي مزيّةَ بكرٍ بالمكانةِ سابقِ »[٣]

---

(١) يشير بذلك الى انه لم يكن بد من موت عسقلاف قالت ذلك تخفيفاً لألم أريس ابيه • وما اكثر هذا المعنى في الشعر • قال الابيرد الرياحي :

وكل امرئٍ يوماً سيلقى حمامه وان نأت الدعوى وطال به العمرُ

وقال المتنبي :

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وبقي عمرها مثل ذاهبِ

ومثله قول الآخر :

وكل ابن انثي لو تطاول عهدهُ الى الغاية القصوى فللقبر ذاهبُ

(٢) تسابقا اي افلون وايريس

(٣) كان ثالوث اليونان مؤلفاً من زفس وفوسيذ وأذيس وهم ثلاثة اشقاء

ولٰكِنَّهُ ما زالَ يَطلُبُ إِسوَتي وإن قلقَ الأَربابُ طرًّا لِخَشيتي »
فَلبتْ وطارَتْ في فَضاءِ بلاغهِ مُصفقةً مِثلَ الرِّياحِ الصَّوافق
ومن طُورِ إِيذا كالعَواصفِ هبَّتِ وما لبِثتْ أَن تَغْرَ إِلْيُونَ حاتِ
كما انهالَ غيثُ الثَّلجِ والبَرَدِ الذي بهِ الرِّيحُ هبَّتْ من غيومٍ غَوادِقِ
وفُوسِيذَ نادَتْ : « يامُحيطَ العوالمِ أَتيتُكَ مِن زَفْسٍ بأَنْباءِ صارمِ
فيأْمرُ ان تأْبى المَعامعَ لا حقاً بشُورَى العُلى اولُجَّكَ المُتَلاحقِ
فإِنْ لم تُرِدْ الاَّ اتباعَ مُرادِكا سيأْتيكَ مقتصًّا لِشرِّ عنادِكا
فإِيَّاكَ والعِصْيانَ إِنَّ لهُ سمتْ مَزِيَّةَ بِكْرٍ بالمَكانَةِ سابِقِ
وأَنتَ على هذا المُساواةَ تزْعَمُ وإِنْ أَكبرَ الأَربابُ طرًّا وأَعظَموا »
فَأَنَّ أَنينَ السأْمِ ثُمَّ أَجابَها : « لئنْ سادَ خلقاً فهوَ فظُّ الخلائقِ
أَيزْعَمُ إِرْغامي وقد ضمَّنا النَّسبْ ثلاثةُ إِخوانٍ لنا إِقْرُنُوسُ أَبْ (١)

اكبرهم زفس ولهذا كانت له مزية كبيرة على اخويه بحق البكورة • وسترى من كلام فوسيذ بعد ابيات كيف اقتسموا حكم العوالم

(١) اقرنوس او قرونوس هو زحل كما تقدم • يقول فوسيذ انه هو وزفس وأذيس ثلثة اخوان اشقاء ضمهم النسب فلا مزية لزفس على الآخرين الا الرئاسة التي خولته اياها البكورة كما اشار زفس بنفسه

قال الشريف الرضي يخاطب القادر بالله الخليفة العباسي:

عطفاً أمير المؤمنين فاننا في دوحة العلياء لانتفرَّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ ابداً كلانا في المفاخر معرقُ
الا الخلافة قدمتك فانني انا عاطل منها وانت مطوَّقُ

ريا أُمُّنا طرًّا وثالثُنا غـدا أَذِيسُ وَلِيُّ المَوتِ بَينَ الودائق (١)
ثلاثةَ أَقسامٍ جميعَ العوالِمِ قَسَمْنا اقْتِراعاً بالقِداحِ الرَّواغِمِ
فنالَ أَذِيسُ ظُلْمةَ المَوتِ قِسْمَةً وفُزْتُ بِبَحْرٍ مُزْبِدِ اليَمِّ دافقِ
وزفسُ لهُ الأَفلاكُ والغَيمُ والسَّما لِيَهْنَأَ قَرِيرَ العينِ فيها مُعَظَّما
فإِنَّ ذُرى الأُولمبِ والأَرضِ بيننا مَشاعٌ فَلا أُلوِي له حَبلَ عاتِقي
فَمَهْما سَما بأْساً ومجداً وسُؤْدُدا فَلَستُ بِمُرْتاعٍ ولا أَبْسُطُ اليَدا
لِيُطْبِقْ على أَبْنائه وبَناتِهِ يَدِينُوا ويَرْتاحُوا ارْتِياحَ المُطابِقِ»
أَجابَتْ: «وهَلْ هذا المَقالَ أَقُولُهُ لهُ عَلَنــاً أَو هَلْ لَدَيْكَ بَدِيلُهُ
تَحامَقْتَ لٰكِنْ ذُو الحَصافةِ يَرعَوِي ويَنْبُذُ عَنهُ خَلَّةَ المُتَحامِقِ
ولِلسِّنِّ فَضْلٌ فالموارِدُ سَرْمَدا حَوارِسُ بِكْرٍ أَحْرَزَ السَّبْقَ مَوْلِدا» (٢)
فقالَ: «نعم بالحَقِّ فُهْتِ وخَيرُ ما يَكُونُ رَسُولٌ عالِمٌ بالحَقائقِ
سَأَذْعَنُ كُرْهاً لاعِجَ الغَيظِ مُكْمِناً لِكِبْرِ إِلاهٍ لم يَكُنْ فوقَ ما أَنا

(١) الودائق ج وديقة ومعناها شدة الحر

(٢) الموارد جمع مارد . كانوا يعتقدون ان لكل بكر حرّاساً من الموارد يحرسونه فيدرأون عنــه الضيم ويعينونه على قضاء حوائجه . راجع ما قلناه بشأن البكورة (ن ١٣ ص٧٠٩)

قال عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين يشكو شكوى فوسيذ من زفس

يقول أنا الكبير فعظموني الا ثكلتك امك من كبيرِ
اذا كان الصغير أعم نفعاً وأجلد عند نائبة الامورِ
ولم يأت الكبير بيوم خـير فما فضل الكبير على الصغيرِ

ولٰكنَّ لي قولاً بقلبي أقولُهُ فعيهِ الى يومِ انبتاتِ العلائقِ :
على رَغمِ فالاس وهيرا وهرمس ورغمي وهيفستَ المليك المرأَّسِ
إذا صانَ إليونًا وصدَّ عداتها سَنفتُقُ فتقاً ليسَ زفسُ براتقِ»
وأقلعَ يبغي لجَّةَ البحرِ فاستعرْ لِمنْآهُ أبناءُ الأخاءِ على الأثرْ
وزفسُ لآفلُّونَ قالَ : « ألا إذا لهكطورَ طرْ في مِثلِ لحظةِ رامقِ
فَفُوسيذُ في بطنِ العُبابِ قدِ التجا ومِنْ نارِ غيظي في حزازَتِهِ نجا
وإلاَّ لأَهمتْ فاتكاتُ أكفِّنا بنا عرقاً يَهْمي بهِ كلُّ عارقِ [1]
وكانَ اصطدامٌ بالعوالمِ يحْدقُ ويزعجُ أربابَ الجحيمِ ويقلقُ
فيا نِعْمَ مسعاهُ لهُ ولعزَّتي فإنَّا كفينا فلقَ تلكَ الفلائقِ [2]
وهجْ جوبيَ المزدانَ في حلقِ الذهبْ فلا يبقَ في الإغريقِ الآمنِ ارتعبْ
وملْ نحوَ هكطور فشدِّدْهُ يندفعْ وراءهمُ لِلفُلْكِ خلفَ الخنادقِ
فإنْ تمَّ هذا كلُّهُ سوفَ أنظرُ بأمرِهمِ فيما عسايَ أقدِّرُ»
فلبَّى أفلُّونٌ وطارَ كباشقِ على الورْقِ منقضٍّ بشمِّ الشواهقِ
فهكطورَ ألفى جالساً وقدِ انتعشْ يُحاطُ بهِ والرَّشْحُ جفَّ وما ارتعشْ
رعايةُ زفسٍ أسكنتْ زفراتِهِ فقالَ أفلُّونٌ بلهجةِ وامقِ :
« علامَ ابنُ فريامٍ بجهْدِ التقاعدِ أمثلُكَ مَنْ يُوهيهِ جهْدُ المجاهدِ

(١) العارق العَرِق
(٢) الفلائق الدواهي

أَبرِّحَ فيكَ الغمُّ قلْ » فأَجابهُ بصوتٍ خفيفِ الجأْشِ خافي المناطقِ:
« أَيا خيرَ ربٍّ جاءَني الآنَ يسأَلُ . فمَنْ أَنتَ قلْ هلْ كُنتَ أَمري تجهلُ
أَياسُ وقد أَقبلتُ أَذبحُ قومهُ بجلمودةٍ كالطَّودِ أَقبلَ راشقي
فغيَّبَ إِحساسي فضاقَ تنفُّسي وأَيقنتُ أَنّي زائرٌ دارَ آذِسِ » (١)
فقالَ أَفلُّونُ: « اطْمئِنَّ وطبْ وثِقْ فرَفسُ إِليكَ الآنَ بالبِشرِ سائقي
أَنا فيبسُ ربُّ الحُسامِ المُذهَّبِ فهلْ بعدَذا ترتاعُ من هولِ مَضربِ (٢)
فكمْ صنْتُ إِليونا وصُنْتُكَ فامتثِلْ وهُبَّ لإِعمالِ الطِّعانِ المَوارقِ
أَثرْ جملةَ الفرسانِ بالخيلِ يقْبلوا على موقفِ الأُسطولِ والسيفَ يُعمِلوا
امامَكُمُ أَجري أُمهِّدُ سبْلَها وأَهزمُ أَبطالَ الأَخاءِ البطارقِ »

أَفلُّونُ هاتيكَ العزائمِ مانحُ وهكطورُ للإِبلاءِ والحربِ جانحُ
كمهرٍ عتيٍّ فاضَ مطعمُهُ على مرابطهِ يبتُّها وهوَ جامحُ
ويضربُ في قلبِ المفاوزِ طافحاً الى حيثُ وجهُ الأَرضِ بالسَّيلِ طافحُ
يروّضُ فيهِ إِثرَ ما اعتادَ نفسَهُ ويطربُ أَن تبدو لديهِ الضحاضحُ (٣)
ويشمخُ مختالاً بشائقِ حسنهِ يطيرُ وأَعرافُ النّواصي سوابحُ

---

(١) أي ايقنت اني مائت لامحالة لانه لابد لكل ميت من المرور بمملكة اذيس الاه الجحيم

(٢) فيبوس هو نفس أفلون كما تقدم

(٣) الضحاضح رقارق المياه

وتَجْري بهِ مِنْ نَفْسِها خُطُوَاتُهُ الى حيثُ غصَّتْ بالحُجُورِ المَسَارِحُ (١)
كَذا كانَ هكْطُورٌ بنُصْرَةِ فِيبُسٍ يَسُوقُ سُرَى فُرْسانِهِ ويُكافِحُ
كأَنَّ كِلابَ الصيَّدِ والصيدَ أَقبلَتْ على سَخلَةٍ أَو إِيَّلٍ وَهوَ سارِحُ (٢)
وَقاهُ بِبَطنِ الغابِ جُلْمُودُ صَخرَةٍ وما خُطَّ في الأَقدارِ يُصْمِيهِ ذابحُ (٣)
فأَقبَلَ في إِثْرِ الصَّدِيدِ غَضَنْفَرٌ فَوَلَّوا ولم تُغْنِ النُّفُوسُ الطَّوامِحُ
كذا كانَتِ الإِغْرِيقُ خَلْفَ عُداتِها بِسُمْرٍ و بِيضٍ باتراتٍ تُكافِحُ
فلمَّا بَدا هَكْطُورُ في حَومَةِ الوَغى بِهِمْ قَلِقَتْ رُعْباً تَجِيشُ الجَوانِحُ
فَهَبَّ ثُواسُ الفَضلِ مَنْ زانَهُ النُّهَى ونُطْقٌ فَصِيحٌ بالحَصافَةِ راجِحُ

(١) أي حيث غصت المراعي باناث الخيل — ان هذا التشبيه بديع في نفسه كما لايخفى ولكن هذه الابيات قد مرت في النشيد السادس وهي اطبق هناك على فاريس منها هنا على هكطور • وقد ذكرنا في الحواشي وجه موافقتها لفاريس ولعل هذا التكرار دخيل خصوصاً ان في ما يلي تشبيهاً لهكطور بالغضنفر لايبقى معه حاجة الى زيادة

(٢) الصيد جمع أصيد وهو السيد والسخلة هنا العنزة

(٣) تعلم من الشطر الاخير من هذا البيت انهم كانوا يعتقدون ان العناية الالهية ترمق بنظرها الحيوان الاعجم وتعين اجله وتُعنى به عنايتها بالانسان وهو اعتقاد نصت عليه جميع الكتب المنزلة • ففي التوراة ان رفق الباري عز وجل بالحيوان كان من جملة الدواعي لارجاء خراب نينوى اذ جاءَ في سفر يونان « أفلا اشفق على نينوى المدينة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لايعرفون يمينهم من شمالهم ماعدا بهائم كثيرة » (يونان ١٤ : ١١) وفي الانجيل نص اصرح بقوله في انجيل متى في الفصل العاشر « أ ليس عصفوران يباعان بفلس ولا يسقط احدهما الى الارض الا باذن أبيكم » وفي القرآن نصوص شتى منها قوله : « أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضنَ ما يمسكهنَّ الا الرحمن انه بكل شيءٍ بصير » (سورة الملك)

ثُواسُ الذي ما بالإِتُولَةِ عِدُّهُ إِذا هو بالبتَّارِ او هوَ رامِحُ
وما فاقَهُ بينَ السَّراةِ بلاغةً سوى النَّزْرِ إِن فاضت تَسيلُ القرائحُ
فصاحَ: «أَجل رباَّهُ لاحَ لِناظري عُجابٌ فذا هكطورُ ذو البأْسِ لائحُ
حَسِبْنا أَياسَ اجتاحَهُ بصَفاتِهِ فها هوَ وافى تتَّقيهِ الجوائحُ[1]
فَثَمَّ إِلاهٌ صانَهُ لِتَرُوعَنا بهِ مثلما قبلاً عرتنا المَذابحُ
فها كُمْ سَدادَ القولِ فأْتمرُوا لَهُ: لِتَمْضِ الى الفُلْكِ الجُمُوعُ الجَوامِحُ
ونَحنُ أُولي العزمِ الصَّحيحِ نَصُدُّهُ عَسى في عوالينا لهُ اليومَ كابِحُ
فمهما عتا واشتَدَّ ظنِّيَ يَرعَوي وتَثْنيهِ عن خَرْقِ الجيوشِ الجوارِحُ»
أَصاخوا ولَبَّوا واستجاشَ أُولو العزمِ يَعبُّونَ أَبطالَ المُقاتلةِ البُهْمِ
وحولَ أَياسَ استبسلُوا وإِذُومنٍ وطفقيرَ مِريُونٍ وميجيسَ ذي الحَزْمِ
بصدِّ العِدى آلوا وأَعراضُ قومِهِمْ مضتْ تتَوارى فوقَ فُلْكِهِمِ السُّحْمِ[2]

(١) الجوائح الدواهي ٠ اي حسبنا ان اياس قتله بصخرته فاذا هو حيٌّ يرزق

(٢) اي ان ابطال الاغريق وقفوا لصد العدو واما اعراضهم اي ضعفاؤهم فلجأوا الى السفن ٠ وهنا انعكست آية القتال فبات الغالب مغلوباً وحمل الطرواد على الاغريق حملةً اوهنت قواهم فكانت موقعة ابدع الشاعر في وصفها ابداعاً ومهد لها تمهيداً ينطبق على معتقد ابناء ذلك الزمان ويلذ للمطالع بعدهم في كل زمان ٠ لم يقل قولاً بسيطاً انه لما اشتدت الازمة بالطرواد لاحتجاب هكطور الجريح وهنت عزائمهم وما زالوا يلتوون صاغرين امام الاغريق حتى انتعش هكطور وانثنى فيهم انثناء المستبسل فاندفع واندفعوا وراءه حتى كان ما كان بل افرغ ذلك بقالب شعري فقال انه لما غادر فوسيذ ساحة الوغى مضطراً بوعيد زفس صغرت نفوس الاغريق وقدم

وأبناء طرْوادٍ تكثّفَ جيشهمُ رَصيصاً وهكطورُ يحثُّ خطى العُظْمْ
ومنْ دُونهِ فيبوسُ وسطَ غمامةٍ يُعدُّ مغازي ذلكَ الفيلَقِ الدَّهمْ
وفي يدِهِ الجوبُ المَروعُ الذي بدتْ حرابيُّهُ من تحتِ هُدَّابهِ الضخْمْ (١)
هيَ الجُنَّةُ الكبْرى لِزَفْسَ أعدَّها هفستُ لإرْعابِ الخليقةِ والنِّقَمْ
تكاثفتِ الإغريقُ يلتفُّ جيشهمُ وفي ملتقى الجيشينِ عجٌّ الى النجْمْ
طعانٌ مضتْ عن كلِّ ساعدِ أيْهمٍ ووبْلُ سهامٍ عن بُطونِ الكُلى يهْمي (٢)
فمنْ نافذٍ في صدرِ كلِّ مُدَجَّجٍ منَ المُرْدِ فهاقٍ سريتهُ تُصْمي
ومن ناشبٍ في التُّربِ قبلَ بلُوغهمْ وإنْ طارَ غرْثاناً على العظْمِ واللَّحْمِ (٣)

فيبوس في صدر الطرواد فغاب نصير الاغريق وقام للطرواد نصير يمانه فصار الاولون الى مصير الآخرين • وقد تصرف الشاعر بكل ذلك تصرُّفاً يقرب الوهم من الحس وترتاح اليه النفس

(١) الجوب الترس والحرابي المسامير • والجُنة في البيت التالي الترس ايضاً

(٢) الكُلى جمع كلية ويراد بها القسيّ

(٣) غرثاناً اي جائعاً ومفاد هذين البيتين ان السهام المتطائرة كان بعضها ينفذ في صدور الفتية المدججة بالسلاح فيفهق بالدم وبعضها ينشب في الترب قبل ان يبلغهم • وقد وصف هنا السهام بالتضور رجوعاً للحم الابطال وهي استعارة حسنة عندنا كثير من امثالها كقول الجميح :

في كفهِ لدنةٌ مثقفةٌ فيها سنان محرَّبٌ لَحِمُ

يقول ان سنان رمحه محرّب أي مغيظ (قال الاصمعي ومنها سميت الحرب حرباً لان اهلها يحرب بعضهم على بعض أي يغتاظ) ولَحِم اي قرم الى اللحم • ومثله قول عنترة :

فدونك ياعمرو بن ودٍّ ولا تحل فرمحيَ ظمآن لدم الاشاوسِ

تَساوتْ مَرامي الطعنِ والفتكِ ما استوتْ بِغيرِ حراكٍ جُنَّةُ النُّوبِ الدُّهْمِ (١)
ولمَّا على الإغريقِ فيبُوسُ هاجَها وصاحَ بهمْ صوتاً يَهُدُّ قُوى الجسْمِ
تخلَّعتِ الأحشاءُ في مُهجاتِهمْ وولَّوا يزيدُ الرُّعبُ وَهْماً على وَهْمِ
كأنَّهمُ الأبقارُ والضأنُ أُجفلتْ يُفاجئُها لَيثانِ في الدُّجنِ القَتْمِ
فتذهبُ أشتاتاً وفي كلِّ مَهْمَهٍ تَضلُّ ولا راعٍ يُدافعُ أو يَحْمي
وفيبُوسُ في أعقابِهمْ دافعُ العدى وفي كلِّ قَرمٍ قد أحلَّ قَنا قَرْمِ
فهكطُورُ إستيخيُّسا كرَّ قاتلاً زعيمَ البيُوتيِّينَ مُدَّرعِي اللأْمِ
وثنَّى بأرْكيسيلَ عِدِّ منستُسٍ وإيناسُ وافاهمْ مِدُونَ الفتى يرْمي
(مِدُونُ بْنُ وِيلوس لِغيرِ حليلةٍ بفيلاقةٍ قد كانَ في غُربةِ السَّأْمِ
بها ظلَّ في مَنفاهُ مُذْ راحَ قاتلاً أخا إرِيفِيسَ زَوجِ وِيلوسَ ذي الحُكْمِ)
وثنَّى بياسُوسَ بْنِ إسفيلَ بُوقُلٍ زعيمِ الأثينيِّينَ والبطلِ الشَّهْمِ
وفولِيدَماسُ اجتاحَ مِيكِستَ صادِرًا بصدرِ السُّرى يرْمي وقلبَ العدى يُدْمي
وفُولِيتُ إخيوْساً وكرَّ أغينُرٌ فجندلَ إقلُونيُسَ الشَّيمِ الشَّمِّ
وذِيُوخُسٌ وَلَّى فقاريسُ زَجَّهُ بمزراقِهِ في الكتْفِ ينفُذُ في العظْمِ
وأقبلتِ الطُّرادُ للسَّلْبِ مَغنماً وهزَّمتِ الإغريقَ في ذلكَ الهَزْمِ (٢)
فولَّوا فلُولاً للحفيرِ فسدِّهمْ إلى السُّورِ والأعداءُ لاهُونَ بالغُنْمِ
فصاحَ بهمْ هكطُورُ صيحةَ حانقٍ: « الى الفُلْكِ فالأسلابُ من رامَها خَصْمي

(١) اي انه لم يظفر احد الفريقين بالآخر قبل تحريك ترس زفس
(٢) الهزم السهل

ومن غادَرَ الأسطولَ اوليتهُ الرَّدى وأَهليهِ والإخوانَ غادرتُ باليُتْم
فلا يُضرِمونَ النارَ من تحت جسمهِ وللكلبِ يبقى مطعماً شائقَ الطَّعْم » (١)
وساطَ جيادَ الخيلِ فاندفعتْ بهِ ليستنهضَ الهمَّاتِ في العسكرِ الجمّ
وفي إثرهِ كرَّتْ عجالُهُمُ على هديدٍ نما للجوّ عزمهمُ ينمي
أمامهمُ فيبوسُ في خفةِ الطَّرْفِ يهدِّمُ حافاتِ الحفيرِ بلا عنْفِ
برجليهِ هاتيكَ التلالُ تساقطتْ الى جوفهِ حتَّى استوى الجوفُ بالجُرفِ
سبيلٌ لهمْ إن يقذفِ السَّهمَ نابلٌ فما اجتازهُ ذيالكَ السَّهمُ بالقذفِ (٢)
عليهِ مضى يجري صفوفاً خميسهمْ وبالجوبِ فيبوسُ أمامهمُ يكفي
فقوَّضَ ذاكَ السورَ لامتكلِّفاً كطفلٍ بجرفِ البحرِ يلهو بلا إلفِ
بنى لاعباً بالرملِ تلاً وسامهُ برجليهِ أو كفَّيهِ خسفاً على خسفِ (٣)
كذا يا أفلُّونٌ نقضتَ معاقلاً بتشييدها كانَ العنا فائقَ الوصفِ

(١) اي لا تحرق جثته بعد موته وهو عار عندهم كبير كما علمت

(٢) اي ان فيبوس لما ردم الخندق بمادة التلال القائمة على حافه وساوى جوف الحفير بجرفه فتح للطرواد طريقاً على مسافة اكثر من مرمى نبل

(٣) لما فرغ فيبوس من ردم الخندق وفتح للطرواد سبيلاً « عليه مضى يجري صفوفاً خميسهم » بقي عليه ان يهدم السور لينفسح لهم المجال فقوض اركانه غير متكلف كما يخسف الطفل كثيبة من الرمل يلهو لاعباً برفعها ودفعها . وليس في الامكان ايراد تشبيه كهذا التشبيه في هذا الموضع ولا اصح منه معنى لتمثيل سور يتداعى فتتقوض اركانه بلحظة من الزمن . ويزيده رونقاً ان وجه المقابلة بالرمل مأخوذ مما يلوح لنظر المطالع اذ السور قائم على الجرف فوق كثبان من الرمال فالمقابلة مستعارة مما يلوح لدينا لاول وهلة

وسُقْتَ بني أرغوسَ لِلفُلْكِ حيثُما دَنَوا فاستَجاشوا ثمَّ صَفّاً إلى صَفِّ
وصاحوا يمُدّونَ الأكُفَّ تضرُّعاً الى زُمَرِ الأَرْبابِ للرِّفْقِ واللُّطْفِ
ونَسطُورُ قوّامُ الأُخاءَةِ رافِعاً ذِراعَيهِ للزَّرقاءِ صاحَ على لَهْفِ :
«لئِنْ كانتِ الإغريقُ قبلُ تَوسَّلتْ إليكَ أيا زَفْسُ بعَوْدٍ لدى الزَّحْفِ
وسُوْقَ سِمانِ الضَّأْنِ والثَّورَ أحرقَتْ وأومأْتَ بالإيجابِ إيماءكَ العُرْفي
فلا تنسَ يا مَولى الأُلمبِ وصُنْهُمُ منَ الحَتْفِ واصْرِفْ عنهُمُ فادحَ الصَّرْفِ»
فأسْمعَ زَفسُ صوتَ نَسطُورَ ضارِعاً وأسمعَ رَعْداً في الفضا داويَ القَصْفِ
وأما بنُو الطِّرْوادِ فاشْتدَّ عزمُهُمُ وكرُّوا بجَيْشٍ ثائرِ الجأْشِ مُلْتَفِّ
وجازوا على الخيلِ الحِصارَ بنَعْرَةٍ لفُلْكِ العِدى فاصْطَكَّتِ الكفُّ بالكفِّ
كأنَّهُمُ الأمواجُ والنَّوءُ ساقَها فتَعلو صِفاحَ الفُلْكِ تَعْبَثُ بالسُّجْفِ
فمِنْ حاذِفٍ فوقَ العِجالِ بعامِلٍ تَذَلَّقَ حدّاهُ وأنْفَذَ بالحَذْفِ
ومن قاذِفٍ بالفُلْكِ في أسَلٍ ثَوتْ هُناكَ لحَرْبِ البحرِ تُنْذِرُ بالحَتْفِ
ظَلَّ فطْرُقْلُ أُوْرِفِيلَ يُجاري بَيْنما النَّقْعُ ثائرٌ بالحِصارِ (١)

(١) الحصار السور — انتقل بنا الشاعر الى موقعة فريدة في بابها وهي ترامي الفريقين حول السفن وهي راسية فلا هي بحرية ولا هي برية وكأنه اشفق ان يمل القارىء طول هذه المواقع فرجع به الى فطرقل الذي اتى اوريفيل مداوياً ومدارياً في النشيد الحادي عشر • فكانت بذلك فائدتان للمطالع أولاها التفكهة والاستراحة من عنا ذكر القاتل والمقتول فتمضي عليه برهة قبل ان يستأنف الشاعر وصف الموقعة التالية فيتلقاها المطالع بلا عناء والثانية التذكير بفطرقل وأخيل واعداد الفكر لتلقيهما والحين ساحة القتال

بِرَقيقِ الحَديثِ يُلْهِيهِ حيناً ويُداوي كُلُومَهُ ويُداري
إِنَّما عِندَ ما رأَى الطِّرْوادا عَبَرُوا السُّورَ بالعجالِ طِرادا
وجُيُوشُ الإِغريقِ ولَّتْ شَتاتاً بِصِياحٍ وذِلَّةٍ وانْكِسارِ
صاحَ بالوَيلِ لاطِماً فَخذَيْهِ بدُمُوعٍ تنهالُ مِنْ عينَيهِ :
« أُورِفيلُ لا بُدَّ لي أَنْثَني عَنْكَ وإِنْ كُنْتَ لي بِفرطِ اضْطِرارِ
بِكَ فَلْيُعْنَ مِن صِحابِكَ غيرِي وأَنا ذاهِبٌ بِخِفَّةِ سَيرِي
جَلَّ وَقعُ البَلا فعلَّ أَخيلا إِنْ أَهِجْهُ يَهِجْ لِدَفعِ الشَّنارِ
رُبَّ رَبٍّ أَنالَنِي منهُ سَمْعا فَكَلامُ الصَّديقِ يَحْسُنُ وَقْعا »
ثُمَّ جَدَّ المَسيرَ يَبْغِيهِ والإِغْرِيقُ ظَلَّتْ بِفُلْكِها بانْحِصارِ
فَخَمِيسُ العِدى وإِنْ قَلَّ عَدَّا ما اسْتَطاعُوا إِليهِ دَفعاً وصَدَّا
وَهُوَ لم يَلْقَ للسَّفِينِ ولِلْخَيْمِ سَبِيلاً بِكَشْفَةٍ وانْتِصارِ
بَلْ تَساوَتْ بِهِم مَرامي الكِفاحِ كاسْتِواءِ الخُطُوطِ في الأَلْواحِ
سَطَّرَتْها كَفٌّ أَنارَتْ أَثينا بِذَكاءٍ لِوَشْرِ فُلْكِ البِحارِ (١)
هكَذا حَولَ ذلِكَ الأُسطُولِ قد تَساوى اشْتِدادُ تِلكَ القُيُولِ
وتَرامى هكطُورُ قُرْبَ غُرابٍ وأَياسُ رَمْيَ الأُسُودِ الضَّواري (٢)
لا أَياسُ يُطِيقُ دَفعَ كَمِيٍّ كَرَّ يَسْطُو بِعَونِ رَبٍّ قَوِيِّ

(١) اي ان الفريقين تساويا في مرامي الكفاح كاستواء الخطوط في الالواح تسطرها كف صانع حاذق ببناء السفن فلا ميل فيها ولا عوج . اشارة الى ان كفة النصر لم تمل هنا اقل ميل الى جهة دون اخرى

(٢) الغراب السفينة

لا وهكطورُ لم يكُنْ للخلايا　　من سبيلٍ يلقى لدسّ النّارِ
وقليطورُ همَّ في مقباسٍ　　فتلقّى في الصّدر رُمحَ أياسِ
خرَّ تحتَ الصّليلِ والنّارُ فرَّتْ　　منْ يديهِ والنّقعُ في التّربِ جاري
فتلظّى هكطورُ لمّا رآهُ　　ودعا كالرّعيدِ يذوي نداهُ:(١)
« آلَ طرْوادَ يا بني ليقيا يا　　دردنيّينَ دافعي الأخْطارِ
إيهِ ضاقَ المجالُ كرُّوا جميعا　　فابنُ إقليْطيُوسَ خرَّ صريعا
بادرُوا لا تُجرِّدْنهُ الأعادي　　واحْملُوهُ فاليومَ يومُ البدارِ »
ورمى طاعناً أياسَ فخابا　　إنّما الرّمْحُ لِقرُفُونَ أصابا
لأياسٍ قد كانَ خيرَ رفيقٍ　　ونزيلٍ لهُ برحْبِ الدّارِ
منْ قثيرا مُهاجراً جاءَ قبْلا　　مذْ لقيلٍ بها تعمَّدَ قتْلا
لمْ يزلْ في ولاءِ آياسَ حتّى　　صرعتْهُ نوافذُ الأقْدارِ
خرَّ مُسْلنقياً أمامَ الغُرابِ　　يتلوّى تمرُّغاً في التُّرابِ
وظُباةُ القناةِ هامتَهُ شـ　　ـجّتْ وآياسُ صاحَ في طفقارَ:
«أيَّ قرْمٍ أخي أجلْ أيَّ قرْمِ　　جاءَ هكطورُ بيننا الآنَ يُصمي
إبنُ نسطورَ منْ أقامَ لدينا　　مثلَ آلِ القُربى عزيزَ المَنارِ(٢)

---

(١) يدوى صوت هكطور كالرعد دوي صوت عنترة اذ قال:

وصرخت فيهم صرخة عبسيةً　　كالرعد تدوي في قلوب العسكرِ

(٢) عبارة مطروقة كثيراً بوصف المبالغة باكرام الضيف قال العتبي يذكر الامير ابا الفوارس لما قدم على السلطان محمود الغزنوي : وأقام عليه قرابة ثلاثة

أينَ قوسُ فيبوسُ قبلُ حباكا · أينَ تلكَ النبالُ تُنمي الهلاكا»
همَّ طفقيرُ بالحنيةِ والجعـ · ـبةِ يهمي السهامَ كالأمطارِ
ورمى يُنفذُ القضا المقدورا · بقليطوس بن فيسينورا
كانَ بينَ الجيوشِ ساقَ مغيرًا · جُردَ فوليـدماس المغوارِ
حثَّها حيثُ ثارَ يعلو العجاجُ · وجيوشُ الطرواد هاجوا وماجوا
طامعاً منهمُ ومنْ لدنِ هكطو · رَ بكسبِ الثنا ونيلِ الفخارِ
خرقَ السهمُ جيدَهُ يُرديهِ · ورمتهُ المنونُ رغمَ ذويهِ
خرَّ للأرض والجيادُ أغارتْ · جامحاتٍ بينَ العجالِ الجواري
جدَّ يجري فوليدماسُ سريعا · ولأستينووسَ ألقى الصُّروعا
قالَ: «لا تنأَ يا ابنَ إفروطياءَ · نيَ فإني ماضٍ أثيرُ أواري»
ثمَّ ألقى طفقيرُ في القوسِ نبْلا · يبتغي فيهِ نفسَ هكطورَ قتْلا
لو رماهُ وأنفذَ السهمَ فيهِ · لأنتهتْ حربُهمْ بذاكَ النهارِ
إنمـا زفسُ وهوَ بالغيبِ أدرى · لمْ يشأْ أنْ ينالَ طفقيرُ نصرا
كانَ طيَّ الخفاءِ هكطورَ يرعى · فوقاهُ شرَّ المنونِ الطواري
همَّ طفقيرُ رامياً فتبتَّتْ · وترُ القوسِ وهيَ للأرضِ فرَّتْ
ومضى السهمُ طائشاً فتلظَّى · مستشيطاً وصاحَ بالإدبارِ:
« ثمَّ ربٌّ أياسُ يأبى الفلاحا · تلكَ قوسٌ أوترتُها ذا الصباحا

اشهر ضيفاً لايتميز عن الادنين ارحاماً وشيجة وانساباً قريبة

كم بها رُمتُ خرقَ صدْرِ عدُوّ وأَراها مُفْتَّةَ الأَوتارِ »
قال: « دَعْها فإِنَّ رَبًّا حسودًا نَبْلَها اُقتلَ راغباً أَن تَبيدا
خَلِّها واُحتملْ مِجنًّا ورُمحًا ثُمَّ كُرَّنَّ بالقَنا الخطّارِ
نادِ في القومِ يَثبُتوا في الجهادِ ويَذودُوا لِكبْحِ جيشِ الأَعادي
لا يَنيلُوهمُ السَّفائنَ إِلاَّ بعدَ قرْعِ القَنا وفتْكِ الشِّفارِ»
كَرَّ طِفقيرُ لِلخيامِ فَأَلقى قوسَهُ والسِّلاحَ فورًا تَنقَّى
خُوذَةً أُرسلَتْ لهـا عَذَباتٌ سابحاتٌ بفَرْعِها الطَّيّارِ
ومِجنًّا أَلقى على عاتقَيـهِ وجُلُودُ الأَبْقارِ دارتْ عَليهِ
وقَناةً شَحيذةَ الحدِّ وانْقَضَّ يُجارِي أَياسَ في المضْمارِ
فرآهُ هكطُورُ أَلقى النِّبالا فعلا صوتُهُ الجهُورُ وقالا :
« آلَ طرْوادَ يا بَني لِيقيا يا دَرْدنيِّينَ سادَةَ الأَمْصارِ
حولَ هاتي السَّفائنِ الحدْباءِ لا تَكِلُّوا فاليومَ يومُ البلاءِ
ها كُمُ النَّابِلَ النَّبيلَ وزَفسُ كادَهُ أَحْدَقتْ بهِ أَبْصاري
لَم يكُنْ في الأَنامِ أَمرًا عَسيرا أَنْ يَقُولُوا مَنْ زَفسُ والى نَصيرا[1]
فَفَريقٌ لِذُرْوَةِ المَجْدِ يَرْقى وفَريقٌ يَشْقى بذُلِّ البَوارِ
صانَنا اليومَ والعِدى سامَ قَهرا كَشَفُوا للعِمارَةِ الجَيشَ كَرًّا

---

(١) اي ان ظواهر الحال تشير اشارة بينة الى من يرعاه زفس ومن لا يرعاه أراد ان يقول ان كفة النصر راجحة لنا فتقدموا ولا تخشوا ضيراً

وَلَيَمُوتَنَّ بالجهادِ سَعيداً ... بَطَلُ الذَّودِ عن عَزيزِ الذِّمارِ (١)
فإِذا أَقلعَ الأَراغسُ ذُلّاً ... في سَفينٍ بها يَؤُمُّونَ أَهلا
ظَلَّ في الأَمنِ زَوجُهُ وبَنوهُ ... وبَنوهُمْ في سالماتِ الدِّيارِ »
فَاستَجاشَتْ بِهِمْ جَميعُ النُّفُوسِ ... وأَياسُ نادى بِوَجهٍ عَبُوسِ :
« أَيُّ عارٍ قد أَصبَحَ اليومَ فِينا ... مُحْدِقاً يا أَراغساً أَيُّ عارِ
لا مَناصٌ لَنا فإِمّا المَنايا ... لا وإِمّا بالذَّودِ صَونُ الخَلايا (٢)
أَفَإِنْ نالَهُنَّ هكطُورُ خانتُمْ ... عَودَةً للدِّيارِ فَوقَ القِفارِ
أَفَما جاءَكُمْ دَويُّ نِداهُ ... وبِحَرْقِ السَّفينِ يُغري سُراهُ
لَيسَ للرَّقصِ قامَ يَدعُوهُمُ بَلْ ... لاشتِباكِ القَناةِ بالبَتّارِ
ما لَنا غيرَ أَنْ نَكُرَّ سَريعا ... نَرِدُ الحَتفَ او نَعيشُ جَميعا
ذاكَ خَيرٌ مِن جُهدِ حَربٍ سِجالِ ... أَجهَدَتْنا بِدارِ إِيهٍ بِدارِ
فالعِدى دُونَنا بِقَرعِ البُؤُوسِ » ... فاستَجاشُوا لدَفعِ تِلكَ البُؤُوسِ (٣)

---

(١) أنشد المفضل الضبي ابراهيم بن عبد الله بن الحسين في المعركة يوم حمل فقُتل وكان آخر العهد به :

أقول لفتيان العشيِّ تروحوا ... على الجرد في افواههنَّ الشكائمُ
قفوا وقفة من يحيَ لايخزَ بعدها ... ومن يخترم لا تتبعه اللوائمُ
وهل انت ان باعدت نفسك منهمُ ... لتسلم فيما بعد ذاك لسالمُ

(٢) الخلايا السفن قال عنترة :

ولأجهدنَّ على اللقاء لكي ارى ... ما ارتجيه او يحين قضاءي

(٣) بؤوس الاولى جمع بأس والثانية جمع بؤس — ابرز لنا الشاعر هذين

وتَلاقوا وصَوتُ هكْطورَ يَدْوي وأياسٍ كالضَّيغَمِ الزَّءَّارِ
فرَمى ذاكَ إسْخذِيُّوسَ مولى فُوقيا والحِمامَ في الحالِ أَولى
ورَمى ذا لَوُوذَماسَ بْنَ أَنْطِيـ نُورَرَأْسَ الْمُشاةِ زاهي الشِّعارِ
والسَّرِيَّ الفَتى أُطوسَ القِلِيني فَولْداماسُ ساقَهُ لِلْمَنُونِ
قَيْلُ إيفِيَةٍ وإلفُ مجِيسٍ فمجيسُ أُنثَنى لِأَخْذِ الثَّارِ

الزعيمين المغـوارين هكطور واياس كلاًّ يلقي على قومـه خطابهُ بما وافق موقفه فهكطور وقد افتر له ثغر النصر ووثق برعاية زفس يستنهض الهمم ويمنّي صحبه بالحظ الاسمى والسعادة الكبرى للميت والحي • فالمقتول يخلف ذكراً حميداً ويموت سعيداً ميتة « بطل الذود عن عزيز الذمار » وله الحظ الاوفى انه اذا هلك « ظل بالامن زوجه وبنوهُ وبنوهـم بسالمـات الديار » وذلك غاية ما يرجى لقوم ضيق عليهـم الاعداء وحصروهم ببلادهم فلا حاثّ يحثهم على الاستبسال في ميدان النزال اعظم من الرجاء بنيل تلك الامنية • وقد اجتزأ الشاعر هنا بذكر عاقبة النصر لبلد المحصور لان الطرواد في موقف الفوز • ولا يخفى انه اشار في النشيد التاسع ابلغ اشارة وأوجزها الى عاقبة الخذلان اذ قال

للمباني حرقاً وللقـوم ذبحاً والغواني والولد ذلاً واسرا

واما اياس فقد جمع خطابه ابلغ مايقال لدفع جمع منكوب وجيش مغلوب فانه صور له الرزايا المحدقة به من كل صوب من حرمان العودة الى الاوطان والموت موت الذل والهوان وذهاب السفن طعمة للنار وخلود الخيبة والعار ولا امل لقتيلهم الهـالك بسيف الطرواد اسيراً او مهزوماً بحظ قتيل الطرواد الهـالك كرّاً وهجوماً فلا واقي لهم اذاً وقد سدت في وجوههم جميع السبل ولا املَ لهم بمدد يأتيهم الا التفاني في صد غارة العـدو • وختم الخطاب بكلمة تبعث فيهم روح الحمية وتستحث النفوس الخاملة فقال ان الطرواد دونكم بأساً فذكرهم سابق نصرهم بأوجز عبارة وهو في الجملة خطاب لايتصور أوفى منه بالمرام في مثل هذا المقام

ورماهُ لـكنَّما الطَّرْوادي　　صدَّ والرُّمحُ غلَّ بين الأعادي
قد وقاهُ فيبوسُ لكن مضى الرُّمْـ　　ـحُ إلى صدرِ فارسٍ جبَّارِ
ذاكَ إقْرسْمسٌ فخرَّ قتيلا　　وميجيسُ احتازَ السلاحَ الصقيلا
فدهاهُ ذو البأسِ ذُولُفسُ لُفْسُ　　مِنْ بني لَوْمِذُونِ القهَّارِ
زجَّهُ طاعناً بجوبٍ كبيرِ　　صدَّ عن درعهِ بصلْدِ القتيرِ
لأمةٌ تلكَ قبلُ صانت أباهُ　　فيليُوساً في سالفِ الأعصارِ
تحفةٌ من أفيتَ كانت سنيّهْ　　نالها فيليُوسُ منهُ هديّهْ
حين وافى إفيرةَ حيثُ يجري　　سيليِّسُ المغبُوطُ في الأنهارِ
وميجيسُ انثنى وزجَّ فمزَّقْ　　قَوْنسَ المغفرِ الذي يتألَّقْ
دفعَ الرُّمحُ للثرى عذباتٍ　　قد كساها البرفيرُ ثوبَ احمرارِ
وذُلُفسٌ ما زالَ بالفوزِ يطمعْ　　ومنيلا لِرفدِ ميجيس يهرَعْ
ما رآهُ ذُلُفسُ حينَ أتاهُ　　وهْوَ عادٍ عن عينِهِ متواري
أنفذَ الرُّمحَ فيه ظهراً لصدرِ　　فعلى الأرضِ خرَّ والنقعُ يجري
والمليكانِ ثمَّ ينتزعانِ الـ　　ـعُدَدَ الشائقاتِ للأنظارِ
صاحَ هكْطُورُ في بني لَوْمِذُونا　　سيَّما مِلْنيفَ هيقيطَوْونا
فارسٌ من فرقُوطَ قبلَ الوغى قد　　كانَ يرعى بها سَوامَ الصُّوارِ (١)
ثمَّ لمَّا الأُسطولُ حلَّ البلادا　　فلإِليُونَ ثائرَ الجأشِ عادا

(١) الصوار قطيع البقر

ولفِرْيامَ كانَ ضيفاً كريماً ... وَدَّهُ وُدَّ وُلْدِهِ الأطهارِ
قالَ يرْميهِ بالملامِ العنيفِ : ... «أثوى الجبنُ في حشا ميلَنيفِ
أفما مقتلُ ابنِ عمِّكَ يوري ... في حشاكَ اللهيفِ ذاكي الشرارِ
أفما خلتهمْ تراموا عليهِ ... لانتزاعِ السلاحِ من عاتقيهِ
فاتبعني لم يبقَ في الحربِ بدٌّ ... من وقوعِ الغرارِ فوقَ الغرارِ (١)
نتبارى ليهلكوا خاسئينا ... او يدكوا بموتنا إليونا»
خفَّ يجري وخلفهُ ميلنيفُ ... كإلاهٍ يجري على الآثارِ
صاحَ آياسُ في جيوشِ الأخاءِ: ... «صحبِ صبراً تدرّعوا بالحياءِ
وليقمْ بعضكمْ بحزمةِ بعضٍ ... وتوالوا في فادحِ الأدعارِ (٢)
متّقي العارِ ذو الحياءِ يقينا ... ظلَّ أدنى الى النجاةِ أمينا
انما لافخارَ يبقى ولا أمْـ ... ـنَ لنِكسٍ يومَ الوغى فرّارِ» (٣)
فبهمْ ثارتِ الحميّةُ طرّاً ... بفؤادٍ للذودِ يلهبُ جمرا
وأقاموا حولَ السفائنِ بالفو ... لاذِ حصناً مؤلّقَ الأنوارِ

(١) الغرار الحد

(٢) الادعار جمع دُعر الشرور

(٣) أي ان الجبان اقرب الى النجاة لانه لايقذف بنفسه الى المخاطر ولكنه لايخلف ذكراً حميداً . قال المتنبي :

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة ... فلا تستعدنَّ الحسام اليمانيا
ولا تستطيلنَّ الرماح لغارةٍ ... ولا تستجيدنَّ العتاق المذاكيا
فما ينفع الاسد الحياءُ من الطوى ... ولا تتقى حتى تكون ضواريا

إنمـا زَفسُ دافِعُ الطرْوادِ　　ومنيلاسُ أَنطلوخَ يُنادي :
«أَبعَضّ الشّباب والجَرْي والبأ　　س يُجاريكَ بيننا مِنْ مُجاري
أَفَما رُمتَ في الطّراودِ قرْما　　بظُباةِ القَناةِ يُرْمَى فيُصْمَى»
هاجَهُ وأُنثـنى فبرّزَ كرًّا　　أَنطلوخُ كالضيْغمِ الهصّـارِ
مُشْرَئبًّا جرى وقد زجّ زَجّا　　وخميسُ العُداةِ قد عجّ عَجّا
فألتوَوا والقَناةُ قد أُنشبتْ في　　ميلَنيفَ المُنقضّ كالتيّـارِ
خرَقتْ ثديَهُ فخرَّ قتيـلا　　وعليهِ السّلاحُ صلَّ صليلا
وابنُ نسطورَهمَّ ينتزِعُ الشّـ　　ـكّةَ لا ينثني لِوقعِ الحرارِ
كالسلوقيّ ظبيّةً رامَ غُنْما　　وهْي عندَالكِناسِ بالسّهمِ تُرْمى
فرآهُ هكطورُ فأنقضّ يجري　　لا يُبالي بالعسكرِ الجرّارِ
فلمرآهُ أَنطلوخُ أرتاعا　　ثمَّ مِنْ ساحةِ القِتالِ أنصاعا
لم يقفْ لإنقضاء كرّتهِ بلْ　　فرَّ مِنْ وجهِهِ حثيثَ الفرارِ
مثلَ وحشٍ سطا بقلبِ المُراعي　　يقتُلُ الكلْبَ أو يُبيدُ الرّاعي
ثمَّ ينصاعُ قبلَ أنْ تُقبلَ النّا　　سُ عليهِ بفزعةٍ وأنتهارِ
فتقفّـوا آثارهُ بالصّـديدِ　　وبوبْلٍ مِنَ النّبالِ شديدِ
وهوَ لا ينثني وما زالَ حتّى　　قرَّ في صحبِهِ أمينَ القرارِ
زفسُ هذي أقدارهُ المنويّه　　نافذاتٌ أحكامُها مرْعيّةْ [1]

---

(١) سيشرع الشاعر هنا في وصف آخر موقعة من مواقع هكطور العظمى

فَتَرامى الطُّرْوادُ لِلْفُلْكِ مِثْلَ الـ　أُسْدِ تَنْقَضُّ في طِلابِ الرَّمِيَّهْ
نالَهُمْ نَصْرُهُ وذُلُّ عِداهُمْ　فَرَماهُمْ بِعادِياتِ الرَّزِيَّهْ
لِابْنِ فِرْيامَ أَحْرَزَ المَجْدَ حَتَّى　يُضْرِمَ النَّارَ في السَّفِينِ الرَّسِيَّهْ
كُلُّ هذا اسْتِجابَةً لِدُعاءٍ　أَنْفَذَتْهُ ثِيتِيسُ أُسُّ البَلِيَّهْ
فَقَضى زَفْسُ بِالنَّوائِبِ حَتَّى　يُبْصِرَ النَّارَ أُلْهِبَتْ بِجَلِيَّهْ
فَيُزِيحُ الطُّرْوادَ عَنْها وَيُولِي　قَوْمَ أَرْغُوسَ نُصْرَةً عَلَوِيَّهْ
فَبِهذا قَضى وَهَكْطُورَ أَغْرى　لِلأَساطِيلِ وارِياً بِالحَمِيَّـهْ
كَرَّ يَحْكي آرِيسَ ذا الرُّمْحِ أَوْنا　راً بِغابٍ شَبَّتْ بِشُمٍّ عَلِيَّـهْ
فَمُهُ مُزْبِدٌ وعَيْنـاهُ نارٌ　ثارَتا مِنْ أَجْفانِهِ الوَحْشِيَّهْ
وحَوالَيْ صُدْغَيْهِ هاجَتْ هِياجاً　خُوذَةٌ بِالبَرِيقِ أَجَّتْ بَهِيَّـهْ
مِنْ عُبابِ الرَّقِيعِ زَفْسُ وَقاهُ　وَرَعاهُ مِنْ دُونِ كُلِّ البَرِيَّهْ


زفس

ولهذا أبرزهُ بأعظم مظاهر البأس والاقدام• ودفعه الى ساحة الصدام وعليه رهبة الظافر الفتَّاك• عيناه تقدحان شراراً وفمه يزبد غيظاً واستعاراً كأنه اله الحرب قوة واقتداراً وكأن غضبه اوار شرار أو نوء أثار لجج البحار وهو يعيث بجيش العدو عيث الاسد بصوار الابقار• فلا يخفى ان الشاعر يرتفع بذهن المطالع مع تلك التشابيه المتعاقبة الى حيث لا يبلغ التصوّر مع اي وصف كان لو خلا من هـذا الزخرف الخلاّب

زفس كبير الآلهة• يمثلونه غالباً جالساً على عرش من عاج والصولجان بيسراه والصاعقة بيمناه والى جانب العرش نسر

إنما يومُهُ دنا وأتينا ... بابنِ فيلا أذنت إليه المنيّة
كرَّ حيث الصفوف رُصّت كثافاً ... وتلالت مناصلُ السمهريّة[1]
وبغى خرقهم فصدّته جندٌ ... كالبناء المرصوص صفّت سويّة
لبثوا لا يروعهم منه كرٌّ ... لا ولا همّةٌ وكفٌّ قويّة
كصفاةٍ بالثغر ليست تبالي ... برياحٍ وموجةٍ مائيّة[2]
لا هباً هبّ ناحياً كل نحوٍ ... بسراهم كجمرةٍ محميّة
ودهاهم كما دها الموج في اليـ ... ـمّ غراباً بهبّةٍ نوّيّة[3]
بشراعٍ بالريح منتفخاتٍ ... وصفاحٍ بغثيه مغشيّة[4]
فتلوح المنون منبعثاتٍ ... دانياتٍ لأعين النوتيّة
هكذا كانت الأغارق تنثا ... ب حشاها شجيّة وشجيّة
ثار فيهم كالليث بين صوارٍ ... راتعٍ في جدوده هورعذيّة[5]
لا تطيق الرعاة ذوداً فيجري ... بينه وهي رعدة ضاويّة[6]

(١) قال الطرمّاح :

كل مستأنسٍ الى الموت قد خا ... ضَ اليها بالسيف كل مخاضِ

وقال العباس بن مرداس :

اشد على الكتيبة لا أُبالي ... أحتفي كان فيها ام سواها

(٢) الصفاة الصخرة

(٣) الغراب السفينة

(٤) الغثي زبد الموج

(٥) الجدود الشواطىء والهور مستنقع المياه

(٦) بينه اي بين الصوار وهو القطيع

يَقْنِصُ اللَّيثُ منهُ ثورا و باقيـ ـهِ فلولاً يفرُّ في البرِّيَّهْ
هٰكذا فرَّتِ الأراغسُ منهُ بل ومن زفسَ ذي القضايا الخفيَّهْ
فلَّ هكطورُ منهمُ فارساً فـ ـذًّا فولّوا بأضلعٍ مخنيَّهْ
فيرفيتُ الذي أتى من مكينا وابنُ قفريُّسَ الذميمِ الطويَّهْ
لهرقلٍ من لدنِ أفرُستُسَ المَلا لكِ مضى بالرَّسائلِ الودِّيَّهْ
لم يكن فيرفيتُ مثلَ أبيهِ بل حميدُ الخلالِ ذو ألمعيَّهْ
فاقَ بينَ الأقرانِ عدْواً وبأساً ثمَّ حلَّتهُ حكمةٌ ورويَّهْ
فابهذا قد نالَ هكطورُ في مقـ ـتلهِ المجدَ في السُّرى الدَّردنيَّهْ
همَّ في جُنَّةٍ الى قدميهِ قد تثنَّتْ أهدابُها المثنيَّهْ
حصنُهُ في الكفاحِ كانت وصدَّتْ عنهُ تحتَ القراعِ كلَّ أذيَّهْ
ملْفتاً كانَ فالتوى بخطاهُ عاثرًا في أطرافِها الملويَّهْ
خرَّ مستلقياً فصلَّتْ عليهِ خوذةٌ كللَّتهُ فولاذيَّهْ
خفَّ هكطورُ منفذاً رمحَهُ في صدرِهِ بينَ جندِ كلِّ السَّريَّهْ
فتلظَّوا أسىً ولٰكنَّهُ لم يبقَ فيهم لرفدِهِ من بقيَّهْ
لجأوا في صفاحِ أوَّلِ صفٍّ من خلايا العمارةِ الأرغسيَّهْ
والعدى في الأعقابِ تضربُ حتَّى حصروهمْ حولَ الخيامِ الخليَّهْ
وقفوا ثمَّ عصبةً أوقفتهمْ خشيةُ العارِ والمنايا الدَّنيَّهْ
وتوالوا بعضٌ يحرِّضُ بعضاً بعجيجٍ للجوِّ أعلى دويَّهْ

وملاذُ الكُماةِ نَسْطُورُ يستحـ　　　لِفُ كُلاًّ بالأهلِ والعَصَبِيَّهْ:
«صحبِ لا تَشْغَلُوا بكُمْ ألسُنَ الخَلْـ　　　قِ وذُودُوا ذَوْدَ الرِّجالِ الأَبِيَّهْ
واذْكُرُوا الوُلْدَ والنِّساءَ ومِلْكاً　　　لكُمُ في تِلْكَ الدِّيارِ القَصِيَّهْ
واذْكُرُوا أهْلَكُمْ أماتُوا بادُوا　　　أمْ هُمُ في قَيْدِ الحَياةِ الرَّضِيَّهْ(١)
لا تَزِيدُوا الشَّكْوى بحقِّ عِيالٍ　　　لبثتْ خلفَكُمْ تبثُّ الشَّكِيَّهْ»
فاستجاشت نُفُوسُهُمْ وأثينا　　　قَشَعَتْ عنهمُ الغُيُومَ المَلِيَّهْ
سُحُبٌ صبَّها رُكاماً عليهمْ　　　رَبُّ هَولٍ دُجُنَّةً لَيْلِيَّهْ
بدَّدَتْها فَفاضَ في السَّهْلِ والأُسْـ　　　طُولِ نُوراً أشِعَّةٌ شَمْسِيَّهْ
فلهمْ لاحَ ثائرَ الجأشِ هكْطُو　　　رُ بجُنْدٍ تَكُرُّ طُرْوادِيَّهْ
ولهمْ لاحَ مَنْ تَوانى عنِ الحرْ　　　بِ ومَنْ خاضَها بصادِقِ نِيَّهْ
وأياسٌ بعِزَّةِ النَّفْسِ يأبى　　　عُزْلَةً في المَواقِفِ العَسْكَرِيَّهْ
غادرَ الجُنْدَ ثُمَّ حثَّ خُطاهُ　　　في سُطُوحِ السَّفائنِ الصَّدْرِيَّهْ
رُمْحُهُ طُولُهُ اثْنتانِ وعِشْرو　　　نَ ذِراعاً لِلْكَرَّةِ البَحْرِيَّهْ
نافِذُ النَّصْلِ مُحْكَمُ الوَصْلِ زاهٍ　　　بحَرابيِّهِ الحِسانِ الزَّهِيَّهْ

---

(١) أي اذكروا اهلكم من كان منهم حياً ومن مات فادكار الاحياء يهيج العواطف ويثير الحنان فيبعث على الاقدام وادكار الاموات يبعث على الانفة من العار وطلب الفخار والحرص على استبقاء الذكر الجميل . وقد جمع نسطور بهذا الخطاب الوجيز كل ما يمكن ان يقال وعداً ووعيداً لبث روح الحمية في الجند

كرَّ يعدو كفارسٍ كرَّ يعلو أَربعاً من عتاق جُرْدٍ سويّهْ[1]
ضمَّها ثمَّ حثَّها في طريق الـ ـخلقِ في السَّهلِ حثَّةَ ساهيَهْ
وضواحي البلاد غصَّت رجالاً ونساءً تُجِلُّ تلك المزيّهْ
وهو في جريها بغير عناءٍ واثبٌ من مطيّةٍ لمطيَّهْ[2]
هكذا طار بالسَّفين أياسٌ داويَ الصوت للذُّرى الجوّيهْ
يستثير النفوس للفتك ذودًا عن أساطيلهم بنفسٍ جريّهْ
وابنُ فريام رامحٌ مثل نسرٍ شقَّ أسراب طير برٍّ شقيّهْ
يدهمُ الزهوُ والغرانيقَ والبـ ـطَّ بأكناف جُدَّةٍ نهريّهْ
هكذا عن سُراه برَّز هكطو رُ يؤمُّ السفائنَ الدانويّهْ
زفسُ أغراهُ دافعاً مستثيراً خلفهُ سائر الجنود الكفيّهْ

---

(١) أي كفارس يركب اربعة من جياد الخيل

(٢) المطية الظهر — ان هذا التشبيه فضلاً عما فيه من لطف التمثيل ينبئنا ان فن الفروسية كان بالغاً أعظم المبالغ في زمن هوميروس حتى لقد كان يتأتى لبعض مروّضي الجياد ان يثقفوها تثقيفاً يصعب الاتيان بمثله في هذا الزمن اذ كان الفارس الواحد يسوق اربعة منها ويثب من متن أحدها الى متن الآخر وهي مغيرة • ويؤخذ من قوله « حثها بطريق الخلق الخ » انهم انما كانوا يفعلون ذلك كما يفعل فرسان الملاعب في هذا الزمن ولعلهم كانوا يفعلونه للافتخار دون التكسب

أورد الشاعر هذا التشبيه بلسانه لا بلسان المتحاربين فلا يصح اذاً ان يكون دليلاً على نبوغهم في ترويض الخيل الى هذا الحد ايام الحرب الطروادية • وللشاعر أن يشبه ماجريات الاعصار الغابرة بما شاء من احوال زمانه ومكانه على شرط ان لا يرويها عن ابناء تلك الاعصار

فتلاقوا كأنهم ما تلاقوا　　قبلُ ما بين عاملٍ وحنيَّهْ
لو رأيت النفوس كيف تلظت　　قلت ذي كرةٌ لهم أوليَّهْ
والأماني هجن مختلفاتٍ　　ففريقٌ يرى المنون جليَّهْ
وفريقٌ يرى الأعادي اضمحلت　　والخلايا براسخ الأمنيَّهْ
وابنُ فريام كالشهاب انبرى يقـ　　ـبض أطراف مركبٍ مرخيَّهْ
مركبٌ فيه جاء أفرطسيلا　　س بلا عودةٍ عليه هنيَّهْ[1]
حوله استحكم التلاحم لا ترْ　　وِ بهم الشهب والحنايا الرويَّهْ
بل ترامَوا بمديةٍ وسنانٍ　　رقَّ حدّاه والسيوف الوضيَّهْ
كم حسامٍ أهوى بكفّ كميٍّ　　او بكتف الفوارس المرميَّهْ
والثرى اسودَّ وابن فريام قد قا　　م على الفلك صائحاً بالبقيَّهْ:
«دونكم ناركم وكرّوا كثافاً　　إنما اليوم زفسُ يرعى الرعيَّهْ
إنما اليوم يوم قشع الرزايا　　واحتلال السفائن المحميَّهْ
أوسعتنا منذ أوفدوها خطوباً　　رغم آل الميامن العليَّهْ
حال بيني وبينها بجنودي　　جبنُ هيابة الشيوخ الغبيَّهْ
إن يكن زفسُ قبلُ أعمى حجانا　　فلهُ اليوم بالهجوم مشيَّهْ»[1]

---

(١) انما أحلَّ الشاعر هكطور بمركب افروطسيلاس دون سواه لئلاَّ يضطر الى رمي احد زعماء الاغريق بالجبن والخذلان واما افروطسيلاس فقد قتل قبل حين ولا بأس على احد منهم بحلول هكطور سفينته (افستاثيوس)

(٢) ان خطاب هكطور مع ما فيه من نخوة القائد المعتادة في مثل هذه الحال

فَاُستَشاطُوا وأَقبَلوا وأَياسُ | حولَهُ الرَّمْيُ كالغيُوثِ الحَبِيَّهْ
سئِمَ العَيشَ لا يُطيقُ ثُبُوتاً | فانْتَوى نَحْوَ مَجْلِسِ البَحْرِيَّهْ
(مقعدٌقاسَ سبعَ أَقدامِ طُولٍ | وعَلَيهِ ملاَّحةُ الجُنْـدِيَّهْ)
ظَلَّ مُستَطْلِعاً يَصدُّ بِرُمْحٍ | مَنْ ترامى مِنهم بنارٍ ذَكِيَّهْ
داوِياً صوتُهُ : «أَلاصحْبِ كُرُّوا | يا بَنِي دانُوسٍ الآرِيَّهْ (١)
حُصنُكُم باسُكُمْ وليسَ سِواهُ | خلفَكُمْ نَجْدَةٌ بجُنْدٍ عَتِيَّهْ
لا ولا معقِلٌ يَصُدُّ المَنايا | إِنْ ترامتْ بِهِ الجُنُودُ القَمِيَّهْ
لا ولا بلدةٌ نَلوذُ إِليها | وبها نَبْتَغي عِصاباً وَلِيَّهْ
قد نأَينا عَنِ الدِّيارِ وأَضحى | دُونَنا البَحرُ والأَعادي العَدِيَّهْ
فالأَمانُ الأَمانُ بينَ أَكُفٍّ | فاتِكاتٍ لا في الأَكُفِّ البَطِيَّهْ» (٢)

يشف عن أمرين أحدهما شعور هكطور بموالاة زفس في كل مواقع النهار واعلان ذلك بملء الحمد والشكر • والثاني رغبته في رد ما ربما يعترض عليه به من الاحجام عن مهاجمة السفائن حتى يومه فتملص من تلك التبعة بالقائها من وجه على عاتق شيوخ قومه الجبناء واحالتها من وجه آخر على مشيئة زفس

(١) الآرية نسبة الى اريس الاه الحرب

(٢) ان موقف اياس وخطابه منذراً بالهلاك وممنّياً بالظفر لاشبه شيء بموقف طارق بن زياد بعد ان انحدر من الجبل المنسوب اليه قاصداً غزو الاندلس بأمر موسى بن نصير فقدم رودريغ لمحاربته بجيش جرار • قال ابن خلكان : فحث طارق المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال : ايها الناس اين المفر والبحر من ورائكم والعدو من امامكم • فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة

ثُمَّ هزَّ القَنا وهكطُورُ يُغْرِي　　صَحْبَـهُ بالمقَابِسِ النَّارِيَّهْ
ما تَصدَّى بِها فتًى مِنْهُمُ حَـ　　ـتّى تَخَلَّى بِمُهْجَةٍ مَفْرِيَّهْ
فَأَياسُ بِرُمْحِهِ أَهْبَطَ اثْنَي　　عَشَرَ قَوْماً لِلظُّلْمَةِ الأَبَدِيَّهْ

اضيع من الايتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ... الخ



النشيد السادس عشر

المعركة السادسة ومقتل فطرقل

مُجملُهُ

دخل فطرقل على اخيل ووقف لديه موقف الضارع الباكي يتوسل اليه ان يسلحه بسلاحه ليذهب لمقاتلة الطرواد فأجابه أخيل الى طلبه على شريطة أن لا يتجاوز الحدود بل يصد الطرواد عن السفن ولا يتقدم الى ما وراء ذلك . وكانت الاعداء قد تألبت على آياس وخارت قواه فجعل يتقهقر . وأضرمت النار بأحدى السفن وأخيل ينظر ذلك فنادى فطرقل وهو يشك في سلاحه وأمره بسرعة المسير فركب مركبة أخيل والى جانبه أفطوميذون رفيقه وحوذيه يسوق الجياد الخالدات . وجمع أخيل قومه المرامد وخطب فيهم ودعا وصلى فانقض بهم فطرقل على الاعداء فهزمهم واطفأ النيران المضطرمة بالسفن . وجرى أياس في طلب هكطور فاجتاز الطرواد وهم مدبرون الخندق وفطرقل في أعقابهم يثير الكفاح ويعمل السلاح ولم يقف في وجه فطرقل من الطرواد الا زعيم الليقيين . وكاد زفس ينقذه من يد فطرقل لو لم تتصدَّ هيرا فتمنعه فاحتدم غلوكوس الليقيّ وتقدم بقومه صيانة لجثة زعيمهم فما أغناهم ذلك من شيء بل انتهى الامر بالتوائهم واستيلاء الاغريق على اسلاب ذلك الزعيم . وأما جثته فطار بها أفلون الى ليقيا . فثمل فطرقل بخمرة الانتصار ولم يأخذ بأمر أخيل بل تعقب الاعداء في هزيمتهم وهمَّ بتسلق اسوار المدينة فدفعه أفلون وأرسل اليه هكطور فقتل فطرقل حوذي هكطور فتقدم أفلون بنفسه وضرب فطرقل وجرده من سلاحه فبات أعزل لا يقوى على الدفاع فطعنه أوفرب وأجهز عليه هكطور وجرى في طلب خيل اخيل فأرخى لها أفطوميذ الاعنة فطارت به وتوارت

وليست لتدرك بين الملا عتاقٌ بها زفس فيلا حبا

وقائع هذا النشيد أيضاً في اليوم الثامن والعشرين

النشيد السادس عشر

بذاكَ الغُرابِ اُستَطارَ الوَحى وفَطرُقلُ نَحْوَ أخيلَ عَدا
تُساقطُ عيناهُ دمْعاً سخيناً كأسحمِ ماءٍ بصَخْرٍ جرى (١)
فهزّتْ أخيلَ لرُؤيتهِ عواطفُ رِفقٍ وفرْطُ أسى
فمالَ إليهِ وقالَ : « إذاً أفطرُقلُ قُلْ لي علامَ الشجى

شهقتَ كطفلٍ جرتْ تُسرعُ ومن دونها أمُّها تهرَعُ
فتعلَقُ في ذيلِ أثوابِها ومقلتُها صبيباً تهمَعُ
وترسلُ طرْفاً بليلاً إليها عساهُ بذلّتها يَشفعُ
وتجذبُها وهيَ ضارعةٌ لِتحمِلَها فتكُفَّ البُكا

أعندَكَ مِن إفتيا خبرٌ لهُ قومُنا وأنا نُذعرُ

---

(١) أي كالماء الاسود المنبثق من الصخر ولا يخفى ان الماء لايكون اسود وانما اراد الماءَ المنفجر من الصخر الاسود فيشف عن الصخر فيظهر بلونه وذلك على نحو ما جرت به عادة العرب من تشبيه الدمع بالدم والعندم واستعارتهما له اشارةً الى حمرة العين • واكثر ما يكون ذلك في كلام المولدين كقول عز الدين الموصلي :

ملفقٌ مظهر سري وشان دمي لما جرى من عيوني أو وشا ندمي

وأحسن منه قول الآخر:

ولئن بكيناه يحق لنا أولا ففي سعة من العذرِ
فلمثله بكت العيون دماً ولمثله جمدت فلا تجري

فإنَّ منتيُوسَ ما زَالَ حيّاً بذلكَ قد أنبأَ الأثَرْ
وفيلا كذا بمرامِدِهِ عَزيزٌ وإمْرَتُهُ أُثمِرُوا
هُمامانِ لا شكَّ موتُهُما بلاءٌ علينا وأيُّ بلا [1]

أم اُنتابكَ البثُّ حزْناً على لفيفِ الأخاءةِ مُذْ فَشِلا
تُجاهَ عمارتِهِمْ جيْشُهُمْ جَزاءَ مَظالمِهِ خُذِلا
فَبُحْ بخفِيِّ ضميرِكَ لي أُحطْ بالذي رُمْتَهُ عَجِلا »
فقالَ وصعَّدَ أنفاسَهُ : « أجلْ يا أشدَّ قُرُومِ الورى

دعِ الكيدَ فالخَطْبُ جلَّ وقدْ تدفَّقَ نقْعُ جراحِ العُمَدْ
ذِيُوميذُ أقعَدَهُ دمُهُ وأُوذِيسُ ربُّ الطِّعانِ قَعدْ
وأتريذُ ألمَّهُ جُرحُهُ كذاكَ أُريفيلُ القى العُدَدْ
أحاطتْ بهمْ بسَفائنِهِمْ لِضَمْدِ الجراحِ خيارُ الإِسى [2]

وانتَ على الكيدِ صلْدُ الفؤادْ فلا كانَ لي قطُّ هذا العِنادْ
أيا فاسدَ البأسِ قُلْ لي لِمَنْ تُعِدُّ اشتدادَ البؤوسِ الشِّدادْ
إذا لم تُزحْ عن لفيفِ الأخاءِ عميمَ البلاءِ بيومِ الطِّرادْ [3]

---

(١) منتيوس والد فطرقل وفيلا والد أخيل كما علمت • ولقد قدم اخيل على نكبة قومه جزءه على أبيه وأبي حبيبه فطرقل يدلك ذلك على منزلة برهم بالوالدين

(٢) الإِسى جمع آسى الاطباء

(٣) قال معن بن أوس :

فَلَا لا فَمَا أَنتَ مِنْ بَشَرٍ　　　وَلَسْتَ ٱبْنَ فِيلَا الفَوَارِسِ لا

وثِيتِيسُ لَيسَتْ بأُمِّكَ أَصلَا　　　بَلِ ٱخْتَرَتَ في لُجَّةِ البَحْرِ أَصلَا
ومِنْ كَبِدِ الصَّخْرِ كُنْتَ وَلِيدَا　　　لِأَنَّ فُؤَادَكَ كالصَّخْرِ فِعْلَا (١)
فإِمَّا خَشِيتَ المَقَادِيرَ فِيمَا　　　رَوَتْ لَكَ أُمُّكَ عن زَفْسَ نَقْلَا
فَـبِي فَٱبْعَثَنَّ وفي إِمْرَتِي　　　لَفِيفُ المَرَامِدِ أُسْدِ الشَّرى

عَسى بِسِلاحِكَ إِنْ أُقْبِلِ　　　يَخَالُوكَ وافِيَتَهُمْ تَصْـطَلِي
فَيَنْجُو الاخاءُ وطَرْوادَةٌ　　　تَفِرُّ وكُرْبَتُنَـا تَنْجَلِي (٢)

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني　　　يمينك فانظر أي كفٍّ تبـدّلُ
وفي الناس ان رثت حبالك واصلٌ　　　وفي الارض عن دار العلى متحولُ
اذا انت لم تنصف أخاك وجدته　　　على طرف الهجران ان كان يعقلُ

وأقرب من هذا لقول هوميروس قول جرير :

بأي نجاد تحمل السيف بعد ما　　　قطعت القوى من محمل كان باقيا
باي سنان تطعن القوم بعد ما　　　نزعت سناناً من قناتك ماضيا

(١) تشبيه الفؤاد بالصخر والحـديد وما اشبه كثير في كلام الشعراء كقول عنترة :

خلقت من الحديد اشد قلباً　　　فكيف أخاف من بيض وسمرِ

ومثله قوله : خُلقت من الجبال اشد قلباً　　　وقد تفنى الجبال ولست أفنى

ومن هذا القبيل قول بعضهم :

امرٌّ بالحجر القاسي فالثمـه　　　لان قلبك قاسٍ يشبه الحجرا

(٢) قال المعرّي :

تهاب الاعادي بأسهُ وهو ساكنٌ　　　كما هيب مس الجمر قبل اضطرامه

ونكتسحُ القومَ نكساً أُهمْ لإليونَ بالبيضِ والأسَلِ
فإنَّا وليسَ بنا من عياءٍ نُبدِّدُ جيشاً رماهُ العيا »

لتلكَ أمانيهِ عن دفعِ نفسٍ الى الحتفِ ساقتهُ في يوم بؤسِ
فأنَّ أخيلُ وقالَ لهُ : « أفطرُقلُ حدسُكَ ليسَ بحدسي
فلستُ لأخشى المقاديرَ فيما روتْ لي أمّي عن حكمِ رمسِ
ولكنَّ بي غصَّةً حرَّقتْ فؤادي الكليمَ بجرِّ اللظى

وما زلتُ ألهبُ منذُ انتصبْ زعيمُ السُّرى وفتاتي اغتصبْ
وما هوَ إلاَّ قريني مقاماً وما هيَ الاجزاءُ النَّصَبْ
حباهُ حباني الأراغسُ لمَّا فتحتُ البلادَ ونالوا الأرَبْ
وأتريذُ معتسفاً رامها كأنِّي دخيلٌ بذاكَ الحما

ولكنْ لنغضِ عنِ الغابرِ ونألهُ يوقفنا الحاضرِ
فإنِّي وإنْ كنتُ آليتُ قبلاً بأنْ لا ألينَ الى الآخرِ
إلى أنْ تحيطَ بفلكي العدى وتبدُو لديَّ ظبا الباترِ
فما كانَ للمرءِ مهما التظى بأنْ يكمنَ الغيظَ طولَ المدى[1]

وقوله : ويضحي والحديد عليه شاكٍ وتكفيه مهابته النزالا
ومثلهُ قول عنترة :

ولو ارسلت رمحي مع جبانٍ لكان بهيبتي يلقى السباعا

(١) قال الرضي :

فَقُمْ بِسلاحي وسِرْ بالمَرامِدِ　　فقدْ أدركَ الفُلْكَ جَيشُ الطَّراوِدْ
وبالثَّغرِ قد حصرُوا قومَنا　　فضاقَ عليهمْ مَجالُ المُجاهِدْ
وإليُونُ خلفَهُمُ اندفعتْ　　كأنَّ لها النَّصرَ أَلقى المَقالِدْ
وما لَقِيَتْ بِطلائعِهِمْ　　تَريكَةَ آخيلَ تُلْقي السَّنا

فَلَوْ أَنَّ أَتْريذَ لم يَعْتَسِفْ　　لَما خلتَ جَيشَ العُداةِ يَقِفْ
ووَلَّوا وصَرْعى كَتائِبِهِمْ　　بِبَطْنِ حَنائِرِنا تَرْتَجِفْ
وها هُمْ أَحاطُوا بِدُرَّاعِنا　　وعَنْهُمْ ذِيُوميذُ عُنْفاً صُرِفْ
ولَيسَ بِراحَتِهِ عامِلٌ　　يَهِيجُ احْتِداماً لِدَفْعِ الأَذى

وَلَيسَ لأَتْريذَ مِن قُبْحِ نُطْقِ　　بِهِ نَفَثاتِ الخَبائِثِ يُلْقي
ولٰكِنْ لِهِكْطُورَ صوتٌ دَوى　　يَشُقُّ الفَضاءَ بِغَرْبٍ وشَرْقِ
وقد فازَ بالنَّصرِ أَعداؤُنا　　وضَجُّوا وعَجُّوا ونادَوا بِسَبْقِ
فَكُرَّ وَقِ الفُلْكَ مِن نارِهِمْ　　لِتُبْلِغَنا الوَطَنَ المُرْتَجى

لِأَمْري ائْتَمِرْ ومَرامِي أَجِرْ　　فَتُحْرِزَ لي كُلَّ مَجْدٍ وفَخْرِ
وتُحْمَلَ لي بالجَلالِ فَتاتي　　على تُحَفٍ ونَفائِسَ غُرِّ

لويت الى ود العشيرة جانبي　　على كظم داءٍ بيننا متفاقمِ
ونمت عن الاضغان حين تلاحمت　　جوائف هاتيك الندوب القدائمِ
وأوطأت اقوال الوشاة اخامصي　　وقد كان سمعي مدرجاً للنمائمِ
وسالمت لما طالت الحرب بيننا　　اذا لم تظفرك الحروب فسالمِ

عَنِ الفُلْكِ صُدَّ العَدُوَّ وَعُدْ   وَلوزَفْسُ أَوْلاكَ أَعْظَمَ نَصْرِ
ولاتَنْدَفِعْ في العِدَى مُفْرَدًا   فَتَبْخَسَ قَدْرِيَ بَينَ الوَرى

ولا يَدْفَعَنَّكَ طَيْشُ القِتالْ   لِإِلْيُونَ بالجَيْشِ تَحْتَ النِّبالْ
فَرُبَّ إِلاهٍ وَلِيّ العُداةِ   كَفِيبُوْسَ أَخْلى الأُلَمْبَ وصالْ
إِذًا حالَما الأَمْنَ تَضْمَنُهُ   لِأُسْطُولِنا وتَصُدُّ الرِّجالْ
فَعُدْ ودَعِ الحَرْبَ يُضْرِمُها   سِواكَ وبادِرْ إِليَّ هُنـا

أَيا زَفْسُ رَبَّ العُلى يا أَثينا   وفِيبوساً أَلسَّادَةَ الأَعْظَمِينا
أَبِيدُوا الطَّراوِدَ فَوقَ الأَخاءَ   ةِ يَفْنَوْا بِرُمَّتِهِمْ صاغِرِينا
وَلا يَبْقَ حَيًّا سِوانا بِإِلْيُو   نَ نَخْلُودَكَّا نَدُكُّ الحُصُونا »[1]

(١) جرى على السنة القوم منذ القدم ذكر توادّ أخيل وفطرقل وتوافقهما مجرى الامثال • حتى لقد روي انه لما شخص الاسكندر لزيارة اضرحة ابطال اليونان الهالكين بحرب طروادة أخذ اكليلاً فوضعه على قبر أخيل فعمد صديقه هفستيون الى اكليل آخر فوضعه على قبر فطرقل اشارةً الى انه مقيم على ولاء الاسكندر اقامة فطرقل على ولاء أخيل • ويروى عن الاسكندر اذ ذاك قوله : ان اخيل ادرك منتهى السعادة بصديق كفطرقل يتفانى بحبه حياً وشاعر كهوميروس يخلد ذكرهُ ميتاً • وان لنا هنا بمجاورة اخيل وفطرقل رسماً ناطقاً رصعه الشاعر بلآلي تصوراته فمثل البطلين تمثيلاً

يتفطر فؤاد فطرقل لهفاً على مصاب قومه فيقبل على أخيل فتخنقه العبرة فتهز اخيل عواطف الرفق لرؤيته على تلك الحال وهو الفتى الصلد الفؤاد الذي لم يهتز رفقاً لصرع الالوف من قومه وتمزيق فيالقهم فكأن تلك العبرات المتساقطة من مقلتي حبيبه كانت أحر على فؤاده من نيران الاعداء اللاهبة بسفن اليونان • ثم بادره بالخطاب

فَذاكَ حَدِيثُهما ها هُنا　　وثَمَّةَ عَزْمُ أَياسَ أُرْتُخى

فكان اول ما افتتح به كلامه بعد سؤاله عن حاله ذلك التشبيه الذي يتدفق رقة وحناناً وهو وان يكن مرّ على بصر كل شاعر قبل هوميروس وبعده فلم نر احداً افرغه بذلك القالب البديع على سذاجته غـير هوميروس • ومن ذا الذي لم ير طفلة تعلق باكية بثوب امها لامر تروم فلا الامُّ تقوى على صدها بالعنف مهما كانت شواغلها ولا الطفلة تعرف ملاذاً غيرها تلوذ اليه فلا تجد لامها عذراً عن قضاء حاجتها وهي في نظرها المصدر والمآل القادرة القاهرة المطيعة المطاعة في كل الاحوال • ثم اخذ اخيل يستطلع فطرقل طلع امره فافتتح بالسؤال عن والد صديقه ثم عن والده فيلا كأنهما الشاغل الصحيح الذي يشـغله وثنّى استطراداً بالسؤال عن قومه كأنه انما فعل ذلك رعايةً لحبيبه

امافطرقل فلم يكن يهجس في صدره الاأمر واحد صرف نفسه اليه بكليتها وهو استنفار اخيل لنصرة قومه فأراد ان ينهال عليه بالتونيب والتنديد بدالة الودّ فوطأ بتعظيم المصاب فذكر ما المَّ بزعماء الجند مبتدئاً بذيوميذ لمـا كان يعلم من علو منزلته في نظر اخيل واتى خلسةً بين الاواخر على ذكر اغاممنون بلقبه أتريذ دون اسمه وذلك اللقب كما علمت يتناول اغاممنون واخاه منيلاوس كأنما اراد ان يخفف ثقل وطأة ذلك الاسم على مسامع اخيل • وباقي كلام فطرقل مع ما فيه من التوبيخ والتهكم يشف عن اكبارٍ لبأس اخيل عظيم • اذ يلقي بين يديه فوز الاغريق واندحارهم فهو وحده كفوء لصد جيش عجزت عنه الدول المتألبة والكتائب المتكتبة • واعظم من ذلك انه اذ أراد ان يسد على اخيل جميع المخارج رغب اليه اذا ابى الا الاعتزال ان يقلده سلاحه وينفذه لنجدة القوم فتأخذ الاعداء الرعدة لمرأى ذلك السلاح ظناً منهم ان اخيل قد اقبل وما بعد هذا اطراءٌ للمخاطب وتفانٍ للمتكلم

واما اخيل فأول ما شرع به جواباً على هذا الخطاب دفع تهمة فطرقل اذ رماه بالجبن بقوله :

فاما خشـيت المقـادير فيا　　روت لك امك عن زفس نقلا
فبي فابعـثنّ وفي امرتي　　لفيف المرامـد اسـد الثرى

تَوالَتْ عَلَيهِ طِعانُ العِدى وزَفْسُ قُوَى بَأسِهِ بَدَّدا
وَفَوقَ تَرِيكَتِهِ أَنْهَلَتْ نِبالُهُمُ شاسعاتِ الصَّدى
ويُسْراهُ بالجَوبِ قائمةٌ يَكادُ مِنَ العِيِّ يَلْوِي يَدا(١)
وما كُلُّ جَيْشِ العِدى بِقَناهُ بِدافِعِهِ عَنْهُمُ القَهْقَرَى

وَفَوقَ جَوارِحِهِ العَرَقُ مِنَ الجُهْدِ كالسَّيْلِ يَنْدَفِقُ
فَشَقَّ تَرَدُّدُ أَنفاسِهِ عَلَيهِ وقَد كادَ يَخْتَنِقُ
وسِيمَ على أَزْمَةٍ أَزْمَةً وزادَ على القَلَقِ القَلَقُ

ثم اعاد عليه سبب اعتزاله حقداً على اغاممنون وكأن عبارات فطرقل اصابت منفذاً في فؤاده فأجابه الى بعض ما سأل واذن له بتقلد سلاحه • وهنا هاجته الحمية فتحفز وتحمس وافتخر بما له من البأس ولم يذكر بالشماتة الا ذيوميذ واغاممنون اما الاول فلانه كان مقداماً مغواراً يؤخذ مما تقدم انه كان بينه وبين أخيل شيء من التحاسد الخفي اذ لم يكن ذيوميذ من اللاجئين الى استرضاء أخيل • واما الثاني فلسابق سخطه عليه • ولهذا وصفه بعبارة تحقير اجلّ عنها ذيوميذ • ولما انتهى اخيل من تلك المقدمة اخذ يلقي اوامره على فطرقل فخظر عليه بعد صدّ العدوّ عن السفن ان يندفع بطيش القتال الى ما وراء الحصون لانه انما كان يودّ ان يكون هو القاتل لهكطور الفاتح لبلاده فضلاً عما كان يخشى من ان لا يكون فطرقل كفوءاً لتلك الصدمة فيقتل فيكون الرزء رزئين قتل الصديق الحميم وذهاب السلاح سلباً للعدو اللدود • ولم تكد تمر على مخيلة اخيل تلك الهواجس حتى زاحمته بلابل الافكار وعاودته قوارس الكيد فختم داعياً باضمحلال صديقه وعدوه وهو شأن اللدود الذي يطوحه كيده الى الايقاع بما طالته يده فيعمي الغيظ باصرته وبصيرته وذلك مصداق جانب من صفات ذلك البطل الباسل

(١) الجوب الترس والتريكة الخوذة

أَلا لَيتَ شِعْرِيَ كَيفَ الأُوارُ عَلا الفُلْكَ قُلْنَ قِيانَ العُلى (١)

لَآياسَ هكْطُورُ جَرْياً جَرى وعامِلَهُ بالحُسام بَرى
فَأَهْوى السِّنانُ بثَعْلَبِهِ يَصِلُّ صَليلاً لِوَجْهِ الثَّرى (٢)
فَباتَ أياسُ بِعُودٍ ضَئِيلٍ وفي سُخُطِ آلِ العُلى شَعَرا
وقدْ خالَ زَفْسَ بَرى دُونَهُ عِمادَ القِتالِ لِنَصْرِ العِدى

لِذاكَ انْثَوى عَن مَرامي الظُّبا وبالفُلْكِ أَورى العِدى اللَّهَبا
بِكُلِّ الغُرابِ السَّعِيرُ فَشا وفي سَطْحِ وُجْهَتِهِ نَشِبا (٣)
فَصاحَ أَخِيلُ لِذا لاطِماً بِكَفَّيهِ فَخْذَيهِ مُضْطَرِبا :
« بِدارِ أَفَطْرُقْلُ يافَرْعَ زَفْسٍ بِدارِ أَيا فارِساً قد سَما

أَرى الفُلْكَ بالنَّارِ تَلْتَهِبُ وأَعْـداؤُنا جُمْلَةً وَثَبُوا
فَوا لَهَفِي هَـل يَنالُونَهـا ويُمْنَعُ في وَجْهِنا الهَرَبُ
فَقُمْ بِسِـلاحي إِذا رَيْثَما أُعَبِّي كَتائِبَنا وأذْهَبُوا » (٤)

(١) القيان ربات الانشاد مر رسمهن ص٢٨٧ — هنا مثال آخر لانتقالات هوميروس البديعية عند ما يشرع في شرح امر خطير

(٢) ثعلب الرمح عوده

(٣) الغراب السفينة ووجهته مقدمها او صدرها

(٤) رأينافيا مضى كم تزلف القوم الى اخيل واتوه صاغرين مستجيرين فكانوا كأنهم يكلمون صخراً اصم ولم يلن بعض اللين حتى استصرخه فطرقل بهامي العبرات وما هو هنا ان رأى بعينه اللهب المضطرم بالسفن حتى استفزته الحمية من تلقاء نفسه

فَقَطْرُقْلُ شَكَّ بزاهي سلاحٍ ... بِـبرَّاقِ فُولاذِهِ قد أَضا

فأَوْثَقَ خُفَّيْنِ بالقَدَمَيْنْ ... بساقيهِ شَدَّتْ عُرىً من لُجَيْنْ
وأَلْقَى على صَدْرِهِ لأْمَـةً ... لأخيلَ رَوَّاعَـةِ الفَيْلَقَيْنْ
وأَلْقَى حُساماً يُرَصِّـعُهُ ... قَتِيرُ لُجَيْنٍ على العاتِقَيْنْ
وجُنَّتَهُ تلكَ ذاتُ الوَبالِ ... تَناوَلَها ثُمَّ فيها اكْتَمى

وتلكَ التَّريكَةُ والعَذَباتْ ... تَطيرُ بِقَوْنَسِها سابِحاتْ (١)
رَماها على ثَبْتِ هامَتِـهِ ... تَذِلُّ لِرُؤْيَتِها العَزَماتْ
وقامَ يَهزُّ قَنَاً ثِقالاً ... تَخِفُّ عليهِ لدى الأَزَماتْ
كَذا غيرَ صَلْدِ قَناةِ أَخيلَ ... جَميعَ سِلاحِ أَخيلَ حَوى (٢)

فَما كانَ في القَومِ غيرُ أَخيلْ ... فَتىً ذلكَ الرُّمْحَ منهُمْ يُجيلْ

فأنَّ وتلهف وانقلب يستعجل فطرقل ويكتّب جنوده • كل تلك مشاهد اعدها الشاعر بدقة شعوره فافاد المطالع ان الامور تؤتى من أبوابها • فما وساطة الف وسيط بمؤثرة تأثير عاطفة يثيرها صديق حميم وما اثارة تلك العاطفة بشيء ازاء تمثيل المشهد حياً يراه الانسان بعينه• وان رؤية فقير ذي عاهة يتضور جوعاً وهو عارٍ بقارعة الطريق لتكلمك كلاماً لا تستوفيه بلاغة الف شفيع يندب لديك حالة ذلك المسكين

(١) التريكة الخوذة والعذبات اهدابها المتدلية والقونس بيضة الخوذة

(٢) اي انه استلأم بلأمة اخيل (اي درعه) وتقلد كل سلاحه الا قناتهُ فقد كان يصعب اعتقالها لثقلها الا على اخيل • تلك مزية اخرى من المزايا التي تفرد بها أخيل

وعاملهُ زَانَهُ قُطِعَتْ بِقُنَّةِ فليُوْنَ عودًا ثقيلْ [1]
وخيرُونُ أَهدى افيلاسلاحًا على رَقَباتِ العُداةِ وَبيلْ
ومُذْ شكَّ فطرُقلُ أفطمذا لِشَدِّ الجيادِ سريعاً دعا

فتًى كانَ يومَ انتيابِ الشّدَدْ وَلِيًّا وَفيًّا لهُ وسنَدْ [2]
وما كانَ يرْعي فتًى مثلهُ مِنَ الصّيدِ بعْدَ ابْنِ فيلا أَحَدْ
فَهبَّ لِزنثُسَ يقْرِنُهُ ببالِيسِ بيَهِيّ العُدَدْ
جَوادانِ عنْقاءُ أُمُّهُما وقد عَلقَتْ مِن نسيمِ الهوا

نَعَمْ تلكَ فُوذَرغةُ وهيَ تَسعى على ضَفَّةِ الأُقيانُسِ ترعى
كَذا حمَلتْ والجوادانِ شبَّا كَعاصِفَةِ الرّيحِ جرْيًا وطَبْعا
وللنّيرِ شدَّ فِداسَ الذي أَخيلُ بإِيتيِّنَ نالَ سفعا
جوادٌ وإنْ كانَ رهْنَ الرَّدى فَجَرْيَ جيادِ الخُلُودِ جَرى [3]

---

(١) فليون جبل بتساليا

(٢) قوله فتى اي افطميذ

(٣) لما كان دأبُ الشاعر ان يميز اخيل في كل شؤونه فقد ألبس مركبته من الزخرف حلة شائقة وجعل جواديها زنثس وباليس من جياد الخلد ثم جعلهما من نتاج العنقاء (وهي في الاصل Αρπυια «هَرْبِيَّة» مخلوق خرافي ذو جناحين) والنسيم . ثم قرن اليهما احتياطاً جواداً ثالثاً من جياد الخيل الفانية واشار الى ان اخيل نال ذلك الجواد الشهير باحدى غزواته

والاعتقاد بوجود خيل من نتاج الريح قديم ذكره بلينيوس وغيره . وليس

وَبِالخَيمِ طارَ أَخيلُ وَصاحْ يُعَبِّي مَرامِدَهُ لِلْكِفاحْ
فَهَبُّوا كَسِرْبِ الذِّئابِ الكَواسِرِ يَدْفَعُهُ البَأْسُ دَفْعَ الرِّياحْ
تُمَزِّقُ فَوقَ الذُّرى إِيَّلاً وأَفْواهُها دامِياتُ الصِّفاحْ
وَتَنْضَمُّ جَيْشاً جَرى والغَا بِسَلْطِ اللِّسانِ بِماءٍ حَلا

فَتَنْبِذُ في الماءِ تِلْكَ الدِّما وَتَرْوى ولا تَرْتَخي هِمَما[1]
كَذا حَولَ فَطْرُقْلَ كُبَّارُهُمْ لَفيفُهُمُ دارَ وَانْتَظَما
وَبَيْنَهُمُ خِلُّ زَفْسَ أَخيلُ يَحُضُّ الكُماةَ حُماةَ الحِما
بِخَمْسينَ فُلْكاً أَتى بِهِمِ بِخَمْسينَ كُلُّ غُرابٍ أَتى

بِخَمْسَةِ صِيْدٍ بِهِمْ وَثِقا بِإِمْرَتِهِ كَفَّلَ الفَيْلَقا
فَأُولَى جَرائِدِهِمْ نُظِمَتْ بِإِمْرَةِ مِينَسْثِيُوسِ اللِّقا
(هُوَ ابْنُ لِجَدْوَلِ إِسْفِرْخِيُوسَ الذي كانَ مِن زَفْسٍ أَنْبَثَقا

عندنا مما يشبهها بعض الشبه الا الفرس المسحور بألف ليلة وليلة . واما عنقاء مغرب او العنقاء المُغرب فهي عند العرب طائر معروف الاسم مجهول الجسم كانوا يستعيرونها للاخبار عن الامر الباطل وفي ذلك يقول ابو نواس :

وما خبره الا كعنقاء مغربٍ تصور في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤيةٍ ترى صورة ما ان تمرّ وان تحل

ولهذا اتخذناها لتعريب « الهربية » اليونانية الدالة على الطائر الخرافي السابق الذكر

(١) لم يكن له بعد ان تمادى على المرامدة زمن العطلة وهم يتحرقون لنصرة قومهم الا ان يشبههم وهم وأثبون للكفاح بالذئاب الكاسرة ويستطرد الى ذلك الوصف الرائع

ولـكنما أمُّهُ فُولُدورا الـ　　جميلةُ وابنةُ فيلا النُّهى

ومن بعدِ ذاكَ الإلاهِ بغاها　　بُرُوسُ بنُ فيريرسِ وحباها
فكانتْ لهُ علناً زوجةً　　وشاعَ بأنَّ فتاهُ فتاها)
وثانيةُ الفرقِ انتظمتْ　　لأفدُورَ من جلَّ بأساً وجاها
هوَ ابنُ فليميلةَ ابنةِ فيلا　　سَ من ولدتْهُ بشرخِ الصبا

بديعةُ حسنٍ بمغنى الطَّربْ　　بها هرمسٌ بالغرامِ التهبْ
رآها تُغنِّي وترْقُصُ بينَ الـ　　عذارى لدى ذاتِ قوسِ الذَّهبْ [1]
فقاتلُ أرغوصَ هامَ بها　　وفي ذُرْوةِ القصرِ فيها احتجبْ [2]
وأولدها ولداً نابغاً　　إذا ما عدا وإذا ما رمى

ولما تبدَّى لشمسِ النَّهارِ　　وثمَّ إليثيةٌ بانتظارِ [3]
إخكلِيسُ أكطورَ أنزلها　　بمنزلهِ باجلِّ شعارِ

---

(١) ذات قوس الذهب لقب من القاب ارطميس

(٢) قاتل ارغوص هو هرمس وارغوص هذا هو من ولد ايناخوس ورابع ملوك ارغوس . كان الغالب عندهم في المنازل الكبيرة ان يجعلوا غرف النساء في اعالي البناء وبعبارة اخرى كان الحرم في الطبقة العليا . قال افستاثيوس كان اللقدمونيون يدعون الغرف العليا أُوا (ωα) ومعناها ايضاً البيض ولعل الخرافة القائلة ان هيلانة ولدت من بيضة نشأت من هذا المعنى

(٣) اليثية ابنة هيرا . كانت في اعتقادهم تحضر ساعة المخاض حتى تلد المرأة ولعلها ليليت اوميليتا البابليين ربة الليل والولادة

وفي حِجْرِ فيلاسَ ظلَّ الغلامُ يَشبُّ رَبيباً عَزيزَ المَنارِ
وثالثةُ الفِرَقِ اجْتَمَعَتْ لِفيسَنْدَرَ بْنِ مِمالَ الفتى

فتىً لم يَفُقْهُ بِهزِّ القَنا بِهِمْ غيرُ فطرُقلَ إنْ طعَنا
وفِينِكْسُ رابعُ قُوّادِهِمْ هُوَ الفارسُ الشَّيخُ إلْفُ العَنا
وخامسُهُمْ أَلقِميذُ بْنُ لَرْفِيْـ ـسَ مَنْ عادياتِ الوَغى امْتَحنا
كذلِكَ آخيلُ كَتَّبَهُمْ وصاحَ يُثَبِّتُهُمْ لِلوَغَى:

«مِرامِدةُ اذَّكِرُوا كَمْ على عِداكُمْ صَديدُ الوعيدِ علا
فَكُلُّكُمُ عاذِلي كُلَّما حَنِقْتُ وكُلٌّ قَلى وتَلا:
«أيا ظالماً يا ابْنَ فيلا فأُمُّـ ـكَ قدْ أَرضعتْ مِرَّةً وقِلا
«تَصَلَّبْتَ لُبًّا وقَسْراً حَجرْتَ رِفاقَكَ عنْ أَشرَفِ المُلتقى

«هَلُمَّ بِنا لِلدِّيارِ وإلاَّ فهاذا التَّحامُلُ حِقْداً وغِلاّ»
لَتِلْكَ أَقاويلُكُمْ جُمْلَةً فَدُونَكُمُ جُذْوَةَ الحربِ تُصلى
وتِلْكَ أَمانِيُّكُمْ فَلْيَكُرَّ إليها الذي كانَ لِلكَرِّ أَهلا»
فَهَبُّوا ولَبُّوا مَليكَهُمُ كَتائِبَ رُصَّتْ كَرَصِّ البِنا

كَصَخْرٍ بِصَخْرٍ قَدِ اتَّصَلا بِحائِطِ دارٍ سَمَتْ لِلعُلى
وأَحكَمَ بَنّاؤُها رَصْفَها فَلَيْسَتْ تُبالي بِنَوْءٍ وَلا

كذاك تألب جيشهم وقد لاصق البطل البطلا
وبالخوذة الخوذة اشتبكت وفوق المجن المجن انحنى (١)

بهبتهم عذبات القوانس تلاقت تموج بهام القوامس
وفطرقل شك وأفطمذ وقد برزا لالتقاء الدراهس
همامان همهما واحد نكال العدو بصدر الفوارس
وأما أخيل فلما استتم انـ تظامهم للخيام انثنى

هناك غطاء خزانته أماط يؤج ببهجته
فتلك الخزانة قد أتحفته بها أمه يوم غزوته
وقد شحنتها بأردية تصد الهواء بهبته
وأكسية وطنافس غر تشوق برؤيتها من رأى

فأخرج كوباً بديعاً سناه به ليس يشرب خمراً سواه
لزفس به الراح ترفع صرفاً وتهرق من دون كل إلاه
بنار الكباريت طهره وغمسه بنقي المياه
ومن بعد غسل يديه به الخمـ ر سوداء صب بكل اعتنا

وبين السرى قام يرفعه ويعلو لزفس تضرعه

(١) مر هذا الوصف في النشيد الثالث عشر

يُشير بعَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّماء وزفسُ يراهُ ويَسْمَعُهُ :
«أيا زَفْسُ رَبَّ الدُّدُونِ ومولى أُلْ فَلاسِجِ مَنْ بانَ مَرْبَعُهُ(١)
وَيا مَلِكاً بِدُدُوْنَةَ حيثُ أُزْ مِهِرَّ على القوم قُرُّ الشِّتا

وحيثُ سُرى السِلَّةِ السُّهَّدُ رُواتُكَ مِنْ حَوْلِكَ احْتَشَدُوا(٢)
فَلَمْ يَغْسِلُوا لَهُمُ قَدَماً وغَيْرَ الثَّرى ما لَهُمْ مَرْقَدُ
دَعَوْتُكَ قَبْلاً فَأَعْزَزْتَني بِذُلِّ الأَخاءِ وقد جَهَدُوا
أَلا فَاسْتَجِبْنِيَ أيضاً وَلا تُخَيِّبَنِّيَ ياسَمِيعَ الدُّعا

فَها أَنا ما بينَ فُلْكي مُقيمْ فَيْزْ مَعْ فَطْرُقْلُ خِلِّي الحَميمْ
يَقُودُ مَرامِدَتي لِلْوَغى فَخَوِّلْهُ نَصْراً أَزَفْسُ العَظِيمْ
وصَلِّبْهُ لُبّاً فَيَعْلَمَ هَكْطُو رُ هَلْ هُوَ كُفْؤٌ لِرَغْمِ الغَرِيمْ
وهل لا يَكُرُّ ويَبْطُشُ إِلاَّ إِذا ما وَراءَ أَخِيلَ انْبَرى

وشَدِّدْهُ حَتَّى إِذا ما انْتَصَرْ وعَنْ موقفِ الفُلْكِ زَالَ الخَطَرْ
يَأُوبُ إِليَّ هُنا سالماً بِعَسْكَرِهِ وسِلاحِي الأَغَرّ»
لِزَفْسَ دُعاءُ أَخِيلَ رَقى وَزَفْسُ وعى جابِراً وكَسَرْ

(١) بان هنا بمعنى بعد والمربع المقام والددون والفلاسج امتان
(٢) السلة رواة زفس او مفسرو اوامره . كان الكهنة ينتحلون هذا اللقب لانفسهم في الاستخارة وغيرها

فَخوَّلَ فطرُقْلَ صوْنَ الخَلايا وأَمَّا سَلامتَهُ فأبى

وأَمَّا أَخيلُ فمُذْ أكْملا فُرُوضَ عِبادَتِهِ قفَلا
بمَوْضعِهِ الكُوبَ أَوْدَعَ ثُمَّ إلى بابِ خَيْمتِهِ أَقْبَلا
وظَلَّ هُنالِكَ مُرْتَقِباً مُنازَلَةَ الجَحْفَلِ الجَحْفَلا
وفَطْرَقْلُ والجَيشُ مُنْتَظِمٌ بإمْرَتِهِ لِلْكِفاحِ مشى

كأَنَّهُمُ الدَّبْرُ ثارَ يَمُوزْ وخَشْرَمُهُ بِسَبِيلِ العُبُورْ
وثَمَّةَ وِلْدٌ تُحَنْجِشُهُ فيُبْعَثُ مُنْتَشِراً بالشُّرُورْ
يَمُرُّ على جَهْلِهِ عابِرٌ فيَدْفَعُهُ فَعَلَيْهِ يَثُورْ
يَذُبُّ عنِ البَيْضِ مُسْتَبْسِلاً حَدِيدَ الحُماتِ شَدِيدَ القُوى[1]

سُرى المِرْمِدُونَ بِشِدَّتِهِمْ كذا انْبَعَثُوا مِنْ عِمارَتِهِمْ
وفَطْرُقْلُ يَصْرُخُ مُذْ أَقْبَلُوا يَعِجُّ الفَضاءُ بِضَجَّتِهِمْ :
« مَرامِيدُ لَيسَ لِقَومِ أَخِيلَ بأَنْ يَنْثَنُوا عَن عَزِيمَتِهِمْ

---

(١) الحُمات ج حُمة إبر النحل والدَّبر جماعة النحل والزنابير والمراد هنا الزنابير وخشرمه خليته او بيته • من معجزات هوميروس انه اذا شبه أمراً كبيراً بشيء صغير هيأه بصورة تنطبع في النفس فما تشبيه الجنود البواسل بالاسود الكواسر باوقع في النظر من تلك الزنابير الحقيرة وهي ثائرة تلك الثورات وكلٌّ منها

يذب عن البيض مستبسلاً حديد الحمات شديد القوى

وللشنفرى ابيات جميلة بهذا المعنى اوردناها في النشيد الثاني ص : ٢٥٥

عَلينا ونحنُ سُراهُ بأَنْ   نُجلَّ أَجلَّ فتًى بالسُّرى

لِيعلَمَ أَتريدُ ما اُجترَحا   بحطّ أَشدِّ قُرُوم الوَحى»
فَهاجت لِذاكَ حَميّتهُمْ   وكُلُّهمُ لِلّقـا طمَحا
وكَرُّوا وصاحُوا وصَيْحتُهُمْ   صَداها بفُلْكِهم صدَحا
وفَطرُقْلُ يزْهو وأَفْطمِذُ   بِصَدْرِهِم بِبَهِيِّ الحُلَى

فَخارَ الطَّـراوِدُ وارْتَعبُوا   لِمَنْظَرِ فَطرُقْلَ واضطرَبُوا
وخالُوا أَخيلَ ارعَوى مقْبلاً   عَليهِمْ وقد فاتهُ الغضَبُ
فَكلُّهمُ اُلتاعَ مُستَشرِفاً   يَرى كيفَ يَنجُو بهِ الهَرَبُ
ومُعْظمُهُمْ عجَّ حيثُ غُرابُ   فرُوطِسِـلاسَ الأَبِيِّ رَسا

هُنالكَ فطرُقلُ حثَّ خُطاهْ   وأَرسَلَ يَقْذِفُ صَلْدَ القَناهْ
فأَدرَكَ بالكتفِ فيرِخمَ مولى الـ   فَيُونَةِ صِيدِ الجِيادِ العُتاهْ
بِهِمْ من أَميدُونَ مِنْ جُدَّ أَكْسِـ   يُسٍ خَفَّ مُعتَصِماً بقُواهْ
فَخَـرَّ وخارَتْ كَتائِبُـهُ   وولَّوا شَتاتاً بِعرْضِ الفَلا

مَقابِسَهُمْ غادَرُوا بالْتِهابْ   وقد لَهمَتْ نِصفَ ذاكَ الغُرابْ
فَفطرُقلُ أَخمَدها والعِدى   تَبدَّدَ شَملُهُمُ باضْطِخابْ
وهَبَّ الأَخاءُ بِتلكَ الخلايا   وهَدَّةُ نَعرَتِهِمْ لِلسَّحابْ

عَنِ الفُلْكِ شتَّ العَدُوُّ وقد بَدا فَرَجٌ بعـدَ طُولِ العَنا

كَأَنَّ مُثِيرَ الصَّواعِقِ بَدَّدْ سَحاباً بِهِ شامخُ الطَّودِ يَرْبَدْ
فَتبْدُو الضَّواحي وشُمُّ الرَّواسي وبَطنُ الوِهادِ ونَجْدٌ وفَدْفَدْ
ويَنْفَتِحُ الجَوُّ والنُّورُ يُلْقي بِلُبِّ الرَّقِيعِ شُعاعاً تَوَقَّدْ (١)
ولٰـكِنَّما الحَرْبُ ما بَلغَتْ بِشِـدَّتِها غايَةَ المُنْتَهى

فَطُرْوادَةً ساقَ حكْمُ اضطِرارْ فغادَرَتِ الفُلْكَ تَبْغي الفِرارْ
وظَلَّتْ تَذُودُ وفي إِثْرِها على كُلِّ قَرْمٍ عَمِيدٌ أَغارْ
وفَطْرُقْلُ في صَدْرِ جُنْدِ الأَخاءِ على عَرِلِيقَ السِّنانَ أَطارْ
فَأَنْفَذَ في حُقِّـهِ والجَا الى العَظْمِ فَانْقَضَّ فَوقَ الثَّرى

وخَـرَّ ثُواسُ بِرُمـحِ مَنِيلْ وعَن صَدْرِهِ الجَوْبُ كانَ أُمِيلْ
وَأَمفِقْلُ رامَ مَجِيسَ ولٰـكِنْ مَجِيسُ تَلقَّى بِرُمْحٍ صَقِيلْ
فَبَتَّتَ قَلْبَ شَظِيَّـتِهِ فَخَرَّ غَضِيضَ الجُفُونِ قَتِيلْ
وأَنطِيلُخُ شَقَّ خَصْراً أَتِمْنِ يُسـاً فَلَدى قَدَمَيْهِ الْتَوى

فَحرَّقَ مارِيسَ موتُ أَخِيهْ فَخَفَّ لِجُثَّـتِهِ لِيَقِيـهْ
وقَد كادَ يَطْعَنُ أَنطِيلُخاً ولٰـكِنْ بَدا تَرْسِمِيذُ يَلِيهْ

(١) كل ذلك اشارة الى انفراج الازمة عن الاغريق

فَبادَرَ عاتِقَهُ بِسنان ... فَرى اللَّحْمَ والعظْمَ يَنفُذُ فيهْ
فَخرَّ وصَلَّ بِشِكَّتِهِ ... وعَيْنَيهِ غَشَّى ظَلامُ الرَّدى

كِلا الأَخَوين رَمى الأَخوانْ ... فَمِنْ وُلْدِ نسطُورَ ذي الفَضْلِ ذانْ
وذانكَ فَرْعا أَميسُوْدُر ... سَليلِ خَميرةِ هَولِ الزَّمانْ[1]
حليفا وَدادٍ لِسَرْفيذُن ... وشَهْمانِ قَرْمانِ يومَ الطِّعانْ
هُما لأَريبا كذا انْحَدرا ... وقد غادَرا فَرْعَ صُمِّ القَنا[2]

كَذاكَ أَياسُ بْنُ ويلوسَ كَرّْ ... إذا إِقْلِيُوْبُولُ حيًّا ظَهَرْ
تَرَبَّكَ يبغي الفِرارَ فَوافى ... أَياسُ بماضي غِرارٍ أَغَرْ
فَواراهُ في جيدِهِ فَفَراهُ ... وأُخْرِجَ يَلْهَبُ والقَرْمُ خَرْ
ولِيقُونُ رامَ فَنِيلا وكُلٌّ ... رَمى وكِلا العامِلَيْنِ نَبا

فَكَرّا وكُلٌّ بِراحَتِهِ ... حُسامٌ فَخَفَّ بِضَرْبَتِهِ
فَعامِلُ ذاكَ أَصابَ التَّريكَـ ... ـةَ فانْقَضَّ مِنْ كَعْبِ قَبْضَتِهِ
ولَكِنْ فَنِيلا فَرى الجِيدَ والرَّأْ ... سُ عُلِّقَ يَهْوي بِجِلْدَتِهِ
فَغادَرَهُ نُورُ مُقْلَتِهِ ... وفوقَ الحَضيضِ صَريعاً هَوى

(١) الخميرة حيوان خرافي مر ذكره ورسمهُ في النشيد السادس ص ٤٥٠

(٢) اريبا محل الظلمات في الجحيم

ومريونُ مذْ أقبلَ السهلَ ينهبُ ... أكاماسَ أدركَ إذهمَّ يركبْ
فألقى بعاتقهِ طعنـةً ... فجندلَ عن طرفهِ النورُ يحجبْ
وإيذومنٌ إرماسَ أصابَ ... بفيهِ وفيهِ السريّةَ غيّبْ
فشققتِ العظمَ تحتَ الدماغِ ... وأسنانُهُ قُلقلتْ في اللثى

فمن منخريهِ النجيعُ تفجّرْ ... ومن فيهِ والطرفُ بالدمِ محمرْ
ومن فوقهِ الموتُ ألقى سحاباً ... كثيفاً بسترتهِ قد تسترْ
وجيشُ الطراودِ ولّى شتاتاً ... وقد فاتهُ البأسُ والذبُّ والكرْ
وإثرهمُ انقضَّ جندُ الأخاء ... وكلٌّ زعيمٍ زعيماً فرى

كسربِ ذئابٍ بشمِّ الجبالِ ... قدِ انقضَّ يبغي قطيعَ السخالِ
وقد فرّقتهُ الرعاةُ بجهلٍ ... فيدهمهُ بفسيحِ المجالِ
ويبطشُ فيهِ يمزّقُهُ ... وليسَ لهُ مهجةٌ للنضالِ
فذا شأنهم وأياسُ حشاهُ ... لإدراكِ هكطورَ فيهِ التظى

ولكنَّ هكطورَ وهوَ الهمامْ ... وقد حنّكتهُ ضروبُ الصدامْ
أصاخَ بسترةِ جنّتهِ ... لقرعِ القنا وهزيزِ السهامْ
وقد شهدَ النصرَ رجحانهُ ... لقومِ العداةِ فهامَ وحامْ
تثبّتَ يفكرُ في صحبهِ ... يرومُ لهمْ نجوةً ترتجى

فَمِنْ مَوقفِ الفُلْكِ بالنُّفِ ثارْ　　هَديدُ الوَغى وصَديدُ الفرارْ
كما انْدفَعَ الغيمُ بالجوِّ في يو　　مِ صحْوٍ بهِ زَفْسُ نَوءاً أَطارْ
وفيلَقُ إِلْيُونَ قد فرَّ حتَّى الـ　　ـحَفير بغيرِ هُدىً وقرارْ
بهكطورِهِم جمحتْ جُرْدُهُ　　فأَقْتَهُ عَنْهُمْ بَعيدَ المَدى

وبيْنَهُمُ باتَ ذاكَ الحَفيرْ　　لهُمْ حاجِزاً عن حَثيثِ المَسيرْ
فكَمْ منْ عِجالٍ بهِ سُحِقتْ　　وقد غادَرَتْها الجيادُ تَطيرْ
وفَطْرُقْلُ يَنْخي كتائبَهُ　　لِسَحْقِ جيوشِ العِدى ويُغيرْ
فولّوا بعَرْضِ الفَلا شُرَّداً　　وقد وَلْوَلوا والفُؤادُ وَهى

فَعجَّ عَجاجُهُمُ للسَّحابْ　　وفَطْرُقْلُ يَطْلُبُ لُبَّ العُبابْ
فكَمْ فارسٍ باتَ تحتَ العِجالِ　　وقد خرَّ يَخْفِقُ فوقَ التُّرابْ
وكَم فرَسٍ غادَرَ المَرْكَباتِ　　تَخُبُّ وَوُجْهَةَ إِلْيُونَ آبْ
ولم تَكُ جُرْدُ أَخيلَ لِتَعْبا　　بِذاكَ الحَفيرِ العَميقِ الهُوى

تَعدَّتْهُ كالبَرْقِ رامِحَةً　　مِنَ الجُرْفِ للجُرْفِ سابِحَةً
سَلاهِبُ خُلْدٍ بَنُو الخُلْدِ كانتْ　　لِفيلا الفَوارِسِ مانِحَةً
ومُهْجَةُ فَطْرُقْلَ ما لَبِثَتْ　　لإِدْراكِ هكطورَ طامِحَةً
ولكنَّ هكطورَ والخيلُ شَطَّتْ　　بهِ جامِحاتِ الصُّدورِ نَأى

وخَيْلُهُمُ وَهيَ مُنْطَلِقَهْ　　تُغيرُ وتَصْهَلُ مُنْدَفِقَهْ

كأنَّ الغُيُومَ بيومِ خَريفٍ　　بنَوْءٍ على الأَرْضِ منْطَبقَهْ
فَيَهمرُ زَفْسُ السُّيولَ انتقاماً　　منَ الخَلْقِ إذْ تَنبُذُ الشفَقَهْ
وتَقْضي القُضاةُ بمَجْلسِها　　ولا قِسْطَ في حُكمِها والقضا

وقد فاتَها حُمُقاً أنْ تَهابْ　　بَني الخُلْدِ إنْ نَهَضتْ لِلْعقابْ
فَتَطْغَى مَجاري المياهِ وتَطْمُو الـ　　ـسُّيولُ وتَنْقضُّ فوقَ الهضابْ
تُغادِرَ شُمَّ الجبالِ زُعاباً　　الى البحرِ يعلو لِظَهْرِ زُعابْ
تَعيثُ وتُفْسِدُ في الأَرضِ حتَّى　　عَنا النَّاسِ يُصْبِحُ طُرّاً هبا(١)

وفَطْرُقْلُ بينَ الصُّدُورِ صدَرْ　　وساقَ الى الفُلْكِ تِلْكَ الزُّمَرْ
على رَغْمِهِمْ دُونَ عودَتِهِمْ　　لإِلْيُونَ حالَ وأَجْرى العِبَرْ
وجُنْدُهُمُ بينَ مَرْسى الخَلايا　　وسيمُوسَ والحِصارِ حَصَرْ(٢)
وصـالَ وأَوَّلَ صَوْلتِـهِ　　على أُفْرُنُوسَ الهُمامِ سَطا

بَدا صَدْرُهُ تحتَ جُنَّتِـهِ　　وفَطْرُقْلُ خَفَّ بِطَعْنَتِهِ
فَجَنْدَلَهُ لا حَراكَ بِهِ　　وأَهْوَى يَصِـلُّ بِشِكَّتِـهِ
وثَنَّى بِسْطُورَ إِينُفْسَ لمَّا　　تَلَمْلَمَ مِنْ فَوقِ سُدَّتِهِ

(١) يرى بعض الشراح اشارة في الابيات السالفة الى الطوفان الذي كان يعتقدهُ القدماء وهو موافق لما نصت عليه التوراة وسببه هنا كسببه هناك تمادي الناس في الغي والشرور

(٢) الخلايا السفن والحصار السور • أي حال فطرقل بين الطروادين واليون وحصرهم بين مرسى السفن ونهر سيمويس

تَضَعْضعَ خوفاً فأَرْخى العِنانَ وفَطرُقْلُ في إِثْرِهِ قد مَضى[1]

بصفحةِ وَجنَتِهِ الرُّمْحَ أَلْقى فَغاصَ وشقَّ النَّواجذَ شقّاً
ومن ثَمَّةَ اجْتَرَّهُ بالسِّنانِ عَنِ العَرْشِ بالرُّمحِ يَلْصقُ لَصْقاً
كما اصْطادَ بالشِّصِّ من فَوقِ صخْرٍ فتًى سَمكَ البحرِ والشِّصُّ دَقّاً
فأَلْقاهُ والرُّمحُ يُفْغِرُ فاهُ على وَجهِهِ ثُمَّ عنهُ اغْتَدى

فَإِرْيالَ أَلْفى إِلَيهِ ابْتَدَرْ فَبادَرَهُ قاذِفاً بحجَرْ
فَحلَّ ببطْنِ تَرِيْكَتِهِ وهامَتَهُ شَقَّ ثُمَّ انْحَدَرْ
فَخَرَّ صَرِيعاً ومن حَولِهِ ا حِمامُ مُبيدُ الحَياةِ انْتَشَرْ
ومن ثَمَّ أَتْبَعَهُ بِقُرُومٍ على بَعْضِهِمْ بَعْضُهُمْ قد ثَوى

فَمِنْهُمْ إِرِيماسُ أَمفُوطَرُوسْ وإِيفْلَطُ إِيفِيسُ إِيخُيوسْ
وإِطْلُوفُلِيمُ فِرِيسُ كَذاكَ فُلِيمِيلُ أَرِغَيسِ إِيبْفُوسْ

(١) أي فأذن لفطرقل ان ينفذ حكم القدر القاضي بموت سرفيذون قتيلاً بساحة القتال — كان سرفيذون أعظم محتداً وأشرف مولداً من جميع زعماء الفريقين لانه لم يكن من ابناء زفس بطل سواه في تلك الحرب ولهذا أطال الشاعر في حكاية مقتله كما سترى واطنب في ما مضى وما سيأتي من مدح صفاته اجلالاً لقدره • فهو حيثما ظهر الفتى الباسل والقائد الحكيم لايشوب محامدهُ منقصة فما هو بحقد اخيل ولا بتسرع ذيوميذ • وهو مع فصاحته بالكلام رجل بطش واقدام • ولقد غاظ مقتله زفس فوق مقتل كل بطل سواه حتى أراد ان يحول عنه حكم القضاء السابق النافذ بقتله فتصدت لزفس زوجته هيرا واثبتت له انه لابد من نفوذ القضاء المبرم والا لقامت قيامة الارباب وسعى كل منهم في الافراج عن ولده • وهنا بحث للشراح طويل في القضاء والقدر باعتقاد الاقدمين فقالوا ان كان نفوذ القضاء حتماً فليس لزفس وهو

فلمّا رأى صحْبَهُ سرْفذُونُ بهِمْ لعبَتْ عادِياتُ البُؤوسْ
تحدَّمَ يصْرُخُ في قومِهِ : « فوا عارَكُمْ يا بَني لِيقيا

قِفوا لا تفرُّوا علامَ الوَجَلْ فإنّيَ أَطلُبُ هذا البطَلْ
لِأَعلَمَ من ذا الذي عاثَ فينا ومنّا العَديدَ الوَفيرَ قتَلْ »
ترَجَّلَ يعْدُو وفطرُقْلُ لمَّا رآهُ ترَجّلَ ثُمَّ حمَلْ
كأَنَّهُما عِندَ ما اصْطَدَما عقُابانِ من فَوقِ صخْرٍ تَنا

يَهُبّانِ هِبَّةَ مُظَّفرٍ بعُقْفِ المخَالبِ والمنْسَرِ [1]
يَصرّانِ صرْصرَةً ويَشُبَّا نِ من فوقِ ذَيّالكَ الحجَرِ
وزَفْسُ بعزْلتِهِ راقِبٌ فهاجَ بهِ الرِّفقُ بالبَشَرِ
فقالَ لِهيرا شَقيقتِهِ وزَوْجتهِ : « آهِ حلَّ القضا

أَرى سرْفذُونَ أَحبَّ العبادْ إليَّ بعاملِ فطرُقْلَ بادْ
يُنازِعُ قلْبيَ أَمْرانِ إمَّا مُواراتُهُ عن مجَالِ الجلادْ
وإلْقاؤُهُ وَهوَ حيٌّ مفدّى إلى قومِهِ في خَصيبِ البِلادْ
وإمَّا السَّماحُ بمقتلِهِ فيَبْلُغَ فطرُقْلُ منهُ المُنى »
فقالَتْ : « وأَيَّ مَقالٍ تقُولْ أَيا ابنَ قرُونُسَ قيلَ القبولْ

الذي سطر لوحه المحفوظ ان يمحوه والا فلا معنى لوجوده • وليس المقام مقام اطالة في هذا الباب فقد تقدم لنا كلام بهذا المعنى • وهوميروس كلا م كثير يشير الى ان اعمـال البشر انمـا هي الباعث على انصباب الويلات وتفاقم الشرور

(١) المظفر الآخذ بظفره

فتىً من بني ٱلموتِ حكمُ الرَّدى رماهُ وأنتَ تجوزُ الأُصولْ
فأنفذْ مرامكَ إنْ رُمتَ لٰكنْ بنُو الخُلْدِ لا يُظهرُونَ ٱلقَبولْ
فدُونكَ منّي مَقالةَ حقٍّ فألقِ مقالي بسامي الحِجى

إذا سرْفِذُونُ الى الأَهلِ حيًّا أَعدتَ فآلُ العلى تَهيَّا
وتطلُبُ إنقاذَ أبنائها منَ الحتفِ مثلكَ شيئاً فشيَّا
فإنْ أنتَ أحييتَهُ سمتَهمْ على مضضِ الكيدِ غيظاً وغيَّا
فخلِّ حنوَّكَ وأْذنْ إذًا فقطرُقلُ ينفذُ حكماً مضى

فإنْ غادرتْهُ الحياةُ وبادْ مرُ الموتَ فوراً وعذبَ الرُّقادْ
الى ليقيا يحملاهُ سريعاً لإخوتهِ والصحابِ البعادْ
فيدفنَ في اللَّحدِ حرًّا كريماً ونصبُ الكرامِ عليهِ يُشادْ
فذاكَ جزاءُ الأُولى جاهدُوا وماتُوا كراماً ونعمَ الجزا »

فأذعنَ زفْسُ لها ثمَّ أمطرَ على الأرضِ طلاًّ منَ الدمِ أحمرْ[(١)]
قياماً بإجلالِ فرعِ حبيبٍ سيرْدى غريباً وفطرُقلُ يفخرْ
فكرًّا وفطرُقلُ ثرسملاً رمى بالصِّفاقِ فمن فورهِ خرْ

(١) لقد مرت على حرب طروادة وزمن هوميروس الوف السنين وعامة الناس لا تزال تعتقد ان المطر المحمر دليل على غضب الاهي مع ان رد ذلك الاحمرار الى اسباب طبيعية قديم جدًّا . وقد مر بنا مثل هذا المطر الدموي في النشيد الحادي عشر

تلا سرفذون بسوق الجياد وكان حليف الصبا المرتضى

وعامله سرفذون قذف ولكن بكتف فداس وقف
فخر لوجه الثرى صاهلاً وقد زهقت روحه وارتجف
فأزعج مصرعه الفرسين فشبا ونيرهما قد قصف
وصرع عنانيهما التف فاستل أفطمذ سيفه وانتضى

وخف وبت رباط الجواد فعادا لروعهما والطراد
وعاد الكميان للضرب والطعن في حومة الحرب قرمي عناد
رمى سرفذون مثقفه فعن كتف فطرقل يسراه حاد
ولكن فطرقل عامله أطار وما إن أطار سدى

فقي سرفذون السنان انتشب على عضل القلب حيث انتصب
فأهوى يصر أمام العجال بأسنانه والحضيض اختضب
كملولة أو كصفصافة وباسقة الأرز فوق الهضب
بها نفذ الحد في كف وشا رفلك متين الجذوع برى(١)

وخر كثور بصدر الصوار عتا وعليه الغضنفر ثار
ومن تحت صكة أنيابه يخور إلى أن ترج القفار
كذا خر مولى بني ليقيا ومن كف فطرقل ألقى البوار

(١) اي ان القتيل سقط سقوط احدى هذه الشجر وقد قطعها بناء السفن

ولٰـكـنَّـهُ بتجـلُّـدِهِ عَلا صوتُهُ بجَهيرِ النّدا :

« أَلا يا غلاوُكسُ خيرَ أَليفِ لَذا الحينُ حينُ الصِّدام العَنيفِ
لَئِن كُنتَ ذا مُهجَةٍ وجنانٍ فلا تَصبُ إِلاَّ لِقرعِ السيُّوفِ
أَثِرْ بقيُولِ بَني لِيقِيـا لَدى سَرْفذُونَ أُوارَ الحُتوفِ
وذُودَنَّ عنّي ولِلحَربِ أَلْهِبْ قلُوبَ السُّرى بسعيرِ الجُذى

وإِلاّ وَبَهْمُ العِدى صرَعُوني وجُنْدِلتُ في وَجهِ هذي السَّفين
سأُورثُكَ الدَّهرَ خزياً وعارا إِذاما العِدى شِكّتي سلبُوني »
ومِنْ ثَمَّ أَخمَدَ أَنفاسَهُ وأَغمَضَ عينَيْهِ سترُ المَنُون (١)
وفطرُقْلُ داسَ على صَـدْرِهِ لِينتَزعَ العاملَ المُمتهى (٢)


هيرا زوجة زفس

(١) كثيراً ما يستعمل هوميروس امثال هذه الاستعارة للتعبير عن الموت كقوله اسبل الموت ستره وخيم ظلام الحمام ومن هذا القبيل قوله قبل ابيات ومن حوله انتشر الحمام مبيد الحياة وكلها استعارات لطيفة يألفها الذوق ولها في العربية امثال من ارقها قول بعضهم

ورنّقت المنيـة فهي ظـلٌ
على الابطال دانية الجناحِ

قال في اساس البلاغة : فيه بيان جلي ان ترنيق المنية مستعار من ترنيق الطائر (أي رفرفته وخفقه بجناحيه) حيث جعل المنية كبعض الطير المرنقة بان وصفها بوصفه من التظليل ودنو الجناح

(٢) الممتهى الصقيل

فأُخرِجَ يعلَقُ ذاكَ العضَلْ　　بحدِّ السنانِ وروحُ البطَلْ
وهمَّ المرامدُ في عجَلٍ　　ليستوقفوا الجُرْدَ تحتَ العجَلْ
عتاقٌ وغادرَها فارساها　　فحثحثها للفرارِ الوجَلْ
وأمّا غلوكُسُ فالتاعَ بثّاً　　لذاكَ الندا وحشاهُ انفأى (١)

لقد بسطَ الكفَّ فوقَ الذراعِ　　وليسَ بهِ قوَّةٌ للدفاعِ
فما زالَ يؤلمهُ نبلُ طفقيْـ　　ـرَ لمّا تسلّقَ فوقَ القلاعِ
فألفتَ يدعو أفلُّونَ ربَّ الـ　　ـسهام: «ألا ربِّ جُدْ باستماعِ
فحيثُ تكنْ أنتَ يبلُغْكَ صوتُ　　كئيبٍ تلهّفَ مثلي أنا

أفي ليقيا كنتَ أرضِ اليسارْ　　أمِ اخترتَ إليونَ دارَ قرارْ
فأنتَ ترى ألمي وجراحي　　وسيلَ دمٍ من ذراعيَ فارْ
تثقّلُ كتفيَ من هزِّ رمحي　　اذا ما علا بالبدارِ الغبارْ
وذا سرفذونُ العميدُ ابنُ زفسٍ　　وما صانهُ زفسُ ألقى التّوى (٢)

فآلاميَ الآنَ سكّنْ وخفّفْ　　وبأساً أنلنيَ والدمَ جفّفْ
لكي استحثَّ بني ليقيا　　وحولَ القتيلِ الرماحَ نُكثّفْ»
دعا فاستُجيبَ الدُّعا ومسيلُ　　الدماءِ على الفورِ بالجرحِ أُوقفْ

---

(١) انفأى انفطر
(٢) التّوى الهلاك

وآلامهُ سكنتْ وحشاهُ بيأسٍ شديدٍ ذكا واصطلى

فمالتْ به هزةُ الطربِ لما نال من بلغةِ الأربِ
بصيدِ بني ليقيا طاف يستنْ هضُ البهمَ للذودِ والطلبِ
وبينَ الطراودِ جالَ فمالَ لفوليدماس الهمامِ الأبي
وأنياسَ ألفى فحثّ وخفّ إلى آغنورَ الفتى المجتبى

وهكطورَ وافى بقلبِ الحديدْ يؤجُّ فصاحَ بصوتٍ شديدْ :
« أشأنكَ هكطورُ عن حلفاء لكَ تغضي وصيدُ سراهمْ تبيدْ
بحبكَ قد هلكوا وعداهمْ عنِ الأهلِ والدارِ بونٌ بعيدْ
فذا سرفذونُ المليكُ الذي حوى البأسَ والعدلَ غضاً ذوى

أريسُ براحةِ فطرقلَ قد رماهُ وحرّقنا بالكمدْ
ألا ما كرثتمْ وقلبكمُ أنْ تياعاً بجرِّ الأوارِ اتّقدْ
ألا ما خشيتمْ أنَّ المرامِدَ ينتزعونَ زهيّ العددْ
ويولونهُ الذلَّ منا انتقاماً لبهمٍ أبدْنا بغرِّ الظبا »

فهدّ الطراودَ ذاكي اللهفْ على سرفذونَ وفاضَ الأسفْ
فقد كانَ وهوَ دخيلٌ بهمْ لهمْ منعةً من عوادي التلفْ
مشى إثرهُ البهمُ جيشاً وليسَ لهُ بهمِ شبهٌ أو خلفْ

فَهاجُوا وَهكَظُورُ في صَدْرِهِمْ　　تَحَدَّمَ غيظاً يَحُثُّ الخُطى

ولكنَّ فطرُقْل بينَ الأخاءْ　　عَدا يَستَحِثُّهُمُ لِلِقاءْ
وأقبلَ يدعو الأياسينِ لكنْ　　فؤادُ الأياسينِ يذكو اصْطلاءْ:
«ألا الآنَ دونكما الذَّودَ مُذْ كُنْـ　　ـتُما خيرَ كُلِّ قُرُومِ البلاءْ
فذا سَرْفذونُ الفتى مَن إلى الْـ　　ـمعاقِلِ قبلَ الجميعِ رَقى

عسى أنْ نفوزَ بجُثَّتِهِ　　نجرِّدُها لِمَذلَّتِهِ
ونفري بحدِّ الغرارِ الأُولى　　يذُبُّونَ مِن جُنْدِ عصبتِهِ»
فهبّا ومِن كُلِّ صوبٍ تكثَّـ　　ـفَ جيشٌ يجيشُ بهِبَّتِهِ
وحولَ القتيلِ اصطدامٌ عنيفٌ　　وعجٌّ مخيفٌ وصلُّ الشَّبا (١)

بنو ليقيا ولفيفُ الطَّراودْ　　وجُنْدُ الأخاءِ وجيشُ المرامِدْ
جميعهمُ اندفعوا دفعةً　　بصلصلةٍ ووَحىً متصاعِدْ
وزفسُ على فرعِهِ حسرةً　　تحرَّقَ يبغي اشتدادَ الشدائدْ
فأحدقَ فيهم وقد كِيدَ كيدًا　　وأسبلَ سِترَ ظلامٍ دجا (٢)

ففي البدءِ جيشُ القتيلِ اندفقْ　　وصدَّ الأخاءَ الحدادَ الحَدَقْ

---

(١) الشبا حدود المناصل وهي جمع شباة

(٢) في الاصل « سترة ليل دجا» اشارة لطيفة الى الغبار المنتشر من تلاحم القوم حول القتيل

فَبينَ المَرامدِ خرَّ إفيجِ　يُسُ بْنُ أغكليسَ فخرُ الفِرَقْ
لقدْ كانَ قبلاً بيُوذيةٍ　فغادرَها تحت جرمٍ سبَقْ
مَضى فاتكاً بابنِ عمٍّ لهُ　وعندَ ثِتيسَ وفيلا التجا

الى حربِ طرْوادةٍ سيَّراهُ　لآخيلَ خرّاقِ جيشِ الكُماهْ
لقدرامَ سلْبَ القتيلِ وهكطو　رُ فورًا بجُلمودِ صخرٍ رماهْ
وهامتَهُ بتريكتهِ　لشطرينِ شقَّ فألقى رداهْ
ومنْ فوْرهِ خرَّ فوقَ القتيلِ　وحرَّق فطرُقلَ فرْطُ الشَّدا(١)

حَكى مُنْمَضى في الطَّلائعِ صقْرا　لديْهِ الزَّرازيرُ يفرِرْنَ فرَّا
وسِرْبُ العقاعقِ منْ وجْههِ　شتاتاً تُساقُ بهِ حيثُ كرَّا
فَسعَدْيكَ يا ابنَ مِنثيوسَ هزَّمْ　تَ كلَّ فتًى هالعاً مقْشعِرَّا
بَني ليقيا والطَّراودَ طرَّا　قهرْتَ انتقاماً لإلفٍ كبا

وعُنقَ ابنِ إيثيمنٍ إستنيلْ　دققتَ بصخرٍ قذفتَ ثقيلْ
فَفرَّ الطَّراودُ في وجْهِهمْ　كذلكَ هكطورُ ولَّى ذليلْ
الى أنْ أُبينوا على روْعِهمْ　على بُعْدِ مرمى سنانٍ صقيلْ
على العُنْفِ يرْمي بهِ طاعنٌ　بدارِ الوغى أو بعرْضِ اللُّهى(٢)

---

(١) الشدا الحر ويراد به هنا الغيظ

(٢) اللهى جمع لهوة والمراد بها هنا الالعاب والملاهي

ولٰـكنْ غلوكُسُ ثمَّ انثنى ... وعادَ فأَعمَلَ شُهْبَ القنا
وأَصمى بَثِكليسَ خلكون منْ ... بهيلاذةٍ ناعماً سكنا
وما كانَ بينَ الطَّراودِ منْ ... حكاهُ بهمْ ثروةً وغِنى
لقد كادَ يرمي غلوكُسَ لمَّا ... وَراءَ العُداةِ حَثيثاً سَعى

فعادَ غلوكُسُ والرُّمحَ زَج ... وفي الصَّدرِحدُّ السِّنانِ وَلجْ
على بأسهِ خرَّ فارتجَّتِ الأَرْ ... ضُ والتهبتْ بذَويهِ المُهجْ
ولٰـكنَّ جيشَ العِدى فرِحاً ... تَكثَّفَ من حولِهِ وابتهجْ
وأَمَّا الأَخاءُ فلمْ ينثَنوا ... بَلِ اندفعوا كزُعابٍ طغا[1]

ومِريُونُ بينَ العِدى ظفرا ... بقرمٍ بلوغونسٍ شُهِرا
هو ابنُ أُنيطُورَ كاهنِ زفسَ ... بإِيذا ومَنْ مثلَهُ وُقِّرا
أُصيبَ على مَقتلِ الأُذنِ فانقَ ... ضَّ لا رمَقٌ فيهِ فوقَ الثَّرى
فبادرَ أَنياسُ يطعنُ مِريو ... نَ لٰـكنَّ ذاكَ السِّنانَ هفا[2]

لقد كانَ مِريُونُ مُستَتِرا ... بجُنَّتِهِ عِندَما ابتدرا
فمالَ عنِ الرُّمحِ والنَّصلُ زَلَّ ... ومن خلفِهِ للحَضيضِ سَرى
وظلَّ هنالكَ مرتعِشاً ... على ذٰلكَ العزمِ إِذْ خدِرا

---

(١) أي كالسيل المتدفق

(٢) هفا أي طاش

رَمَتْهُ ذِراعٌ لها البأسُ يُنْمى فأنفذَ لٰكن بِبطنِ النَّقا[1]

وأنياسُ صاحَ مَغيظاً : «أجَلْ أمِرْيُونُ فاتَكَ سَهْمُ الأَجَلْ
وإلاَّ فمهما تفوَّقتَ رَقصاً لوِ النَّصلُ وافاكَ عزمُكَ فَلّ»[2]
فقالَ: «أأَنياسُ هيهاتَ تُصمي جميعَ العُداةِ وأنتَ بَطَلْ
وأنتَ رَهينُ الحِمامِ عسى أُصيبُكَ مهما حَشاكَ عَسا»[3]

فإِمّا رَمَتْكَ ظُبا أسَلي وقد أَدرَكَتْكَ انتهى أمَلي
فلا شكَّ تهبطُ في فشَلِ لآذيسَ رُوحُكَ والفخرُ لي»
ولٰكنَّ فطرُقْلَ سِيءَ فقالَ يُؤَنِّبُ مِرْيُونَ بالعَجَلِ :
«علامَ أخي ذا المقالُ المُهينُ وأنتَ بَلَوْتُكَ سامي النُّهى

أتزعمُ أنَّ حديدِ الكلامْ يَصُدُّ الطَّراودَ يومَ الصِّدامْ
فما ذا بدافعهِم عن قتيلٍ حوالَيهِ تَصْطَكُّ لامٌ بِلامْ
ولن يَرْجعُوا عنهُ حتّى يُضافَ صَريعاً لِذاكَ الهُمامِ هُمامْ
فَلِلْحرْبِ فِعلٌ ولِلسِّلمِ قَوْلٌ وهذا أوانُ الوغى لا اللَّغا»[4]

(١) النقا الرمل

(٢) يقول له ذلك تهكماً عليه لان قوم مريون الاكريتيين كانوا مشهورين بالرقص

(٣) عسا غلظ واشتد

(٤) اللغا الكلام . وفي الاصل ماهذا اوان القول بل أوان الفعل وهي عبارة جرت مجرى الامثال في اكثر اللغات يقول اللاتين : Non verbis, sed facto opus est.

فخفَّ ومريونُ في الإثر خفْ　كرَبٌ وللجيش جيشٌ زحفْ
وفي السهل للبيض والسمر قرعٌ　بفولاذهم وإهاب الحجفْ(١)
كأن بأذرع حطابة　بغاب فؤوساً صداها قصفْ(٢)
وحول القتيل استطار العجاج　ووبلُ الدما والنصال همى

من الرأس غشّاهُ حتى القدمْ　فما كاد يُبصرُ بين الرممْ
وفيلقُ كلِّ فريقٍ لديهِ　بهدّته للكفاح ازدحمْ
كأنهمُ بالربيع ذبابٌ　يطنُّ طنيناً ببيت النعمْ
وقد حام من حول ألبانها　إذا ما الإناء رآهُ امتلا(٣)

وزفسُ بشامخ تلك الذرى　عن الحرب ما حوّل النظرا
ولكنّهُ لم يزل راقباً　بمقتل فطرقل مفتكرا
يُجيلُ بأمرين هاجسهُ　أيدفعُ هكطور مستعرا
فيقتلهُ فوق ذاك القتيل　ويسلبُ منهُ سلاحاً زها

ومن هذا القبيل قول العرب في امثالهم : هذا أوان شدكم فشدّوا . وقولهم : هذا اوان الشد فاشتدي زيم

(١) إهاب الحجف جلد التروس

(٢) حطابة جمع حطاب

(٣) قد تقدم لنا مثل هذا المعنى وهو من التشابيه التي عيب عليها الشاعر على غير حجة ثبتة راجع ما قلناه بهذا الصدد (ن ٢ : ٢٨٥)

أَمِ الحربَ عنفاً شديداً يزيدْ ... وفيها قُرُومَ الرّجالِ يُبيدْ
فعوَّلَ أَنْ يستحثَّ الى الفتْـ ... ـكِ بالبُهْمِ إلفَ أَخيلَ العميدْ
فيدفعُ هكطورَ والجيشَ طرًّا ... لإليُونَ من تحتِ قرعِ الحديدْ
لذلكَ أَوهنَ هكطورَ قلباً ... فهبَّ لمركبهِ واعتلى

وولّى ونادى بهمْ بالفرارْ ... وأَوجسَ من زفسَ عنهُ ازورارْ
درى أَنَّ كفّةَ ميزانهِ ... أُميلتْ ودورُ الدّوائرِ دارْ
وعزمُ بني ليقيا خارَ حتّى ... غدَوا لا يَقرُّ لهمْ من قرارْ
وراعهمُ صرعُ ملْكِهِمِ ... فولَّوا وقد جلّتِ الأُربى (١)

رأَوهُ طعينَ الحشا جندلا ... ومن فوقهِ جثثُ النُّبلا
حواليهِ خرَّ الصّناديدُ لمّا ... قضى زفسُ أَن يدلهمَّ البلا
فجرَّدهُ قومُ فطرقلَ شكَّـ ... ـتهُ وإلى فلكهم أُرسلا
فصاحَ بفيبُوسَ زفسُ: «إذا ... أَلا يا وليَّ الودادِ كفى

إلى سرفذونَ الأَميرِ الخطيرْ ... سرِ الآنَ فورًا وجدَّ المسيرْ
فإنْ جئتهُ فامضينَّ بهِ ... الى عزلةٍ قربَ ماءٍ غزيرْ
وطهِّرهُ من دنسِ الدّمِ حالاً ... وأَنزلهُ في ماءِ ذاكَ الغديرْ
وبالعنبرِ ادهنهُ ثم اكسُهُ ... ملابسَ لا يعتريها الفنا

(١) أي عظمت الشدة

لِأَسْرَعِ قادَةِ كُلِّ العبادْ إلى التَّوأَمَيْنِ الرَّدى والرُّقادْ[1]
بهِ أُلقِ يحتملاهُ سَريعاً لِإخوتِهِ والصِّحابِ البعادْ
فَيُدْفَنَ في لِيقْيا ضِمْنَ لَحْدٍ ونَصبُ الكِرامِ عليهِ يُشادْ
فَذاكَ جَزاءُ الأُولى جاهَدُوا وماتوا كِراماً ونِعمَ الجزا »[2]

---

(١) قال في النشيد الرابع عشر ان الموت والرقاد اخوان وزاد هنا انهما توأمان

(٢) في أقاصيص اليونان ان سرفيذون قاتل أخاه مينوس على ملك اكريت فغلبه مينوس عليها فبرحها وبعض اشياعه الى ليقيا وغلب زعماء بعض اطرافها عليها واستقل بها ملكاً وتوفي بها وكان قبره معروفاً في تلك الازمان • واذ كان من شأن هوميروس ان لايخرج بشعره في شيء عن روايات عصره التاريخية صاغ لدفنه في ليقيا بعد مقتله في طروادة ذلك القالب الجميل

وليس في الامر غرابة لان القدماء كانوا كابناء زماننا حريصين على دفن جثثهم في بلادهم ولعين باقامة الانصاب عليها • ولذلك امثلة شتى في اهرام مصر وتوراة الاسرائيليين وكتب العرب • فان ابراهيم الخليل ضم يوم وفاته الى مدفن امرأته سارة • وحفيده يعقوب استحلف ابنه يوسف ان لايدفنه في مصر فأرسله الى مدافن ابائه في بلاده • ولم يروَ للعرب ولعٌ وشغفٌ بمثل هذا كاليهود والمصريين بل كانوا اذا بعدت الشقة ابقوا الميت في مكانه كما استبقوا هاشماً جد صاحب الشريعة في غزة عند وفاته بها • ومع هذا فكان يستحب عندهم جمع الاقارب في موضع • قال صاحب مشكاة المصابيح في الحديث : ويستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام « وادفنوا اليه من مات من أهلي » • وفي الحديث عن جابر انه قال : لما كان يوم أحد جاءت عمتي بابي لتدفنه في مقابرنا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوا القتلى الى مضاجعهم » كل هذا يدل على انهم كانوا يستحبون جمع موتى العشيرة اذا لم يكن هناك مشقة وعناء • واما اقامة النصب على القبور فلم ترو عن عرب الجاهلية ومع هذا فقد رُوي استحسان جعل علامة على القبر يعرف بها وذلك كما روى صاحب مشكاة المصابيح) : « لقوله عليه الصلاة والسلام اعلم بالحجر قبر أخي »

فَلبّى أَفلُوْنُ طوْعاً يَسيرْ　　ومن طُورِ إِيذَهَبَ يَطيرْ
أَتى سَرْفِذُونَ وسارَ بهِ　　الى عُزْلةٍ فوقَ سَيْلٍ غَزيرْ
وطَهَّرَهُ من دَمٍ دَنسٍ　　ونَقَّاهُ في ماءِ ذاكَ الغَديرْ
وطَيَّبَهُ عنْبرًا وكَساهُ　　مَلابسَ لا يَعتَريها الفَنا

لِأَسْرَعِ قادَةِ كُلِّ العِبادْ　　الى التوْأَمَينِ الرَّدى والرُّقادْ
بهِ راحَ يُلقي فَطارا بهِ　　لِإِخْوَتهِ والصِّحابِ البِعادْ
لِيُدْفَنَ في اللَّحْدِ حرًّا كَريماً　　ونَصْبُ الكِرامِ عليهِ يُشادْ
فَذاكَ جزاءُ الأُولى جاهَدُوا　　وماتُوا كِراماً ونِعْمَ الجَزا

وفَطْرُقْلُ أَفطمُذَا والخُيولْ　　وراءَ العدى حَثَّ فوقَ السُّهُولْ
وبالنَّفْسِ أَلْقى لِتَهْلُكَةٍ　　وضَلَّ ضَلالَ الغَبيِّ الجَهُولْ
فَلَوْ لِأَخيلَ ارعوى ما انبَرَتْ　　عَلَيهِ عوادِي الحِمامِ تَصُولْ
ولكِنَّ زَفْسَ إِذا ما نَوى　　فَما لِلْوَرى رَدُّ ما قد نَوى (١)

(١) قال السموأل :

ولسنا بأول من فاته　　على رفقه بعض ما يطلبُ
وقد يدرك الامر غير الأريب　　وقد يصرع الحوّلُ القُلّبُ
ولكن للهٰ آمر قادرٌ　　اذا حاول الامر لا يُغلبُ

وما احسن ما تمثل به الخليفة عمر وهو على المنبر :

هوّن عليك فان الامور　　بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيُّها　　ولا قاصرٌ عنك مأمورها

فقد يَدفَعُ الفارسَ البَطلا ... لِيُولِيَـهُ الذُّلَّ والفَشَـلا
لِذلكَ فطرُقلَ حثَّ وأَغرى ... لِيَبْلُغَ في كَرِّهِ الأَجَـلا
أَلا قُلْ أَفطرُقلُ مَنْ آخِراً ... ومَنْ أَنتَ جَنْدَلْتَهُ أَوَّلا :
عَدا وبأَذرَسْتَ ثم بأُوطُوْ ... نُوُوْسَ وإِيخِيكْلُوْسَ بَدا

كَذاكَ ابنَ ميغاسَ فِيرِيمَ ثُمَّ ... فِارَنُسَ ثُمَّ إِفستُوْرَ أَصمى
وإِيلاسَ مُوْلِيَّـاً مِيلَنِيفَـاً ... وسائِرُهُمْ لِلْهَزِيمةِ هَمَّا
وكادَ الأَخاءَةُ إِلْيُونَ يَفتَـ ... تحُونَ بهمَّةِ فَطرُقلَ رَغما
ولٰـكِنْ رَقى الحُصنَ فِيبُوسُ يَنْوِي ... لَهُ الشَّرَّ والحُصْنَ منهُ وَقى

ثَلاثاً لِرُكْنِ الحِصارِ انْدَفَعْ ... وفِيبُوس عَنهُ ثَلاثاً دَفَعْ
بِراحَتِـهِ صَـدَّ جُنَّتَـهُ ... فما ارْتَدَّ عَنْ عَزْمِهِ وارْتَدَعْ
بَلِ انقَضَّ رابِعَةً كَالإِلاهِ ... فما خالَ إِلاَّ الدَّوِيَّ ارْتَفَعْ
وفِيبُوسُ صاحَ: «أَلا عُدْ أَيافَرَ ... عَ زَفْسَ فما لَكَ ذا المُنْتَسا[1]

فَما دَكُّ إِلْيُوْنَ في الغيبِ لَكْ ... ولا لِأَخيلَ الذي فَضَلَكْ»
تَقهقَرَ فَطرُقـلُ مُضطَرِباً ... لِخَشْيَتِهِ سُخْطَ ذاكَ المَلَكْ
وهَكطُورُ في بابِ إِسْكَيَةٍ ... على جُرْدِهِ فَاكَرَّ بالدَّرَكْ

وقال عبد الله بن يزيد الهلالي :

ما اقرب الاشياء حين يسوقها ... قدَر وابعـدها اذالم تقدرِ

(١) اي تلك الشقة البعيدة

أيدفعها للجهاد أم القو　　م يجمع للذود خلف الربى

وإذ كان يفكر مضطربا　　إليه أفلون اقتربا
دنا وحكى خال هكطور آسـ　　يسا فرع ديماس منتدبا
شقيق لإيقاب من ثغر سنغا　　رس بفريجا بشرخ الصبا
وصاح: «علام اعتزلت الكفاح　　أهكطور ليس بشأنك ذا

فلو زفس لي بقواك حكم　　لأوليتك الآن مر الندم
فعد وجيادك حث عسى　　تخلد ذكرك بين الأمم
لعل أفلون يوليك نصرا　　وفطرقل ترمي بجد أصم»
ومن ثم عنه الإله توارى　　وكالبرق بين الجيوش سرى

وهد قلوب الأخاءة هدا　　وطرواذة بالولاء أمدا
وفي قبريون ابن فريام صاح　　يرد الجياد الى الحرب ردا
فساط وهكطور من دون كل الـ　　أراغس يقصد فطرقل قصدا
ولكن فطرقل ما ارتاع بل　　ترجل محتفزا للقا

بيسراه عامل رمح متين　　كذا حجر خشن باليمين
رماه فأخطأه ومضى　　الى قبريون أخيه الأمين
فأدركه وهو مستمسك　　بصرع أعنته بالجبين
فقض العظام على الحاجبين　　وعيناه طيرتا للبرى (١)

(١) البرى التراب

فخرَّ عن الخيلِ كالبرقِ يسري ... الى الأرضِ يهوي كسابرِ قعرِ
وفطرُقلُ صاحَ بهِ ساخرًا : ... « فيا للباقتهِ كيفَ يجري
فلو من سفينتهِ واثباً ... الى اليمّ غاصَ لِلُجّةِ بحرِ
لصادَ حلزًا ولو صدعَ النّوءِ ... يكفي الجماهيرَ شرَّ الطّوى[1]

لئنْ غاصَ بالبرّ من تي العجالْ ... فغاصةُ طرْوادَ نعمَ الرّجالْ »
ومن ثمَّةَ انقضَّ فوقَ القتيلِ ... كليثٍ بقلبِ الحظائرِ صالْ
فيُدركهُ السهمُ في صدرهِ ... ويُلقي بهِ بأسهُ للوبالْ
فويحكَ فطرُقلُ من صائلٍ ... على قبريونَ تهيجُ صلا[2]

وهكطورُ عن خيلهِ نزلا ... وفي طابِ الجثّةِ اقتتلا
كليثينِ بينهما ظبيةٌ ... بها فتكا فوقَ طودٍ علا
كلا البطلينِ يهيجُ احتداماً ... ليُعملَ في ندّهِ الأسلا

(١) الطوى الجوع — شبه سقوطه من سدة المركبة يهوي الى الارض بالصيّاد الواثب من السفينة الى قعر البحر ثم قال لو وثب تلك الوثبة لصاد من المحار ما يقري الجماهير ولم يعبأ بتلاطم الامواج واستطرد بقوله في البيت التالي ان كان هذا غوصه بالبر من ظهر المركبة فلا ريب ان في الطرواد غاصة مهرة • وفي هذا الكلام من التهكم على القتيل ما لا يخفى • ولهذا ذهب البعض الى ان هذا التشبيه دخيل في ثنايا الاصل خصوصاً ان ليس من شأن فطرقل ان يتهكم هذا التهكم وهو القائل قبل ابيات

علامَ اخي ذا الكلام المهين ... واني بلوتك سامي النهى

(٢) الصلاء النار فكأنه قال تحرق

فهكطورُ بالرَّأسِ مُستَمسِكٌ وفطرُقلُ بالقدمين كذا

وحولهما اصطدم الجحفلانِ بنقعٍ علا تحت قرعِ الطعانِ
كأنّ الصَّبا عرضت للجنوبِ بغابٍ تشامخُ فوق القنانِ
تزعزعُ دردارها والقرا نيا وكذا الزّانَ بين الرّعانِ[1]
فيلتفُّ غصنٌ بغصنٍ فينـ قضُّ بين حفيفٍ وقصفٍ دوى

كذا اشتبكوا والوغى التحما يثيرُ بهبّته الهمما
طعانٌ تشقُّ الدُّروعَ وغيثُ سهامٍ بعرض الفلا التطما
وصخرٌ يقضُّ الترائكَ حول الأُ قتيلِ الذي خرَّ هامي الدّما
سها عنهمُ تحت عثيرهم وللدَّهرِ عن جُردهِ قد لها

تساوت مراميهم ما استوت براحِ بقلبِ السَّما وعلت[2]
ولمّا دنا آنُ حلِّ الثِّيارِ ومالت فجندُ الأخاءِ ارتمت[3]
ورغمَ القضاءِ بجثّتهِ خلت وبها للبراحِ جرت[4]
وشكّتهُ انتزعت وانثنت وفطرُقلُ كيدَ العُداةِ انتوى[5]

---

(١) الرعان الجبال ج رعن وما قبل ذلك اسماء أشجار

(٢) براح علم للشمس

(٣) اي لما مالت الشمس للمغيب . هكذا كانوا يعبرون عن ساعات النهار راجع ص ٦٤٦ من شرح النشيد الحادي عشر

(٤) للبراح اي للعراء

(٥) انتوى بمعنى نوى

ثلاثاً كاريسَ كرَّ يَصيحْ بصوتٍ دوى في القضاءِ الفسيحْ
ثلاثاً ثلاثـةَ صِـيدٍ رَمى وأقبلَ رابعـةً يستبيـحْ
فويبكَ فطرُقلُ قد قُضِيَ الأَ رُ فاليومَ قتلُكَ حتماً أُبيحْ
وفيبوسُ وافاكَ منحدِرًا بظلِّ السَّحابِ بطيِّ الخفا

ومنْ خلفِهِ جاءَ مُستتِرا لذلكَ فطرُقلُ ما شعَرا
وأَلقى على ظهـرِهِ يدَهُ فعيناهُ أُلهبتا شرَرا
ودحرجَ للأَرضِ خُوذتَـهُ أمامَ خطى الخيلِ فوقَ الثَّرى
فصلَّتْ ودُنِّستِ العذَباتُ بنقعِ الحضيضِ وسيلِ الدِّما

تَريكةُ آخيـلَ تِلكَ وما إلى الأَرضِ قطُّ هوتْ قِدما
ولم تكُ إلا لِذاكَ الجبينِ الا ندي بالفخـارِ سما عِظَما
وزفسُ قضى أَن تُجلِّلَ هامـ ةَ هكطورَ لمَّا هنا أَقدَما
ولنْ تلبثَنَّ لهُ غيرَ حينٍ لأَنَّ الحِمامَ إِليـهِ دَنا

وعاملُ فطرُقلَ في كفِّهِ تَسحَّقَ يُنذِرُ في حتفِهِ
وجُنَّتُـهُ بحمائِلهـا أُميلتْ إِلى الأَرضِ عن كتفِهِ
وحلَّت عنِ الصَّـدرِ لأْمتُهُ بصرفِ أَفلُّونَ لا صرفِهِ
فأُوقِفَ يَهلعُ رُعبـاً وخارتْ قِواهُ وغشَّى حِجاهُ العمى

وثَمَّـةَ كانَ فتًى دَرْدَني تفوَّق في فتيةِ الزَّمَنِ
بأُوفرْبَ فنثوسَ يُعرفُ وَهوَ أخوالبأسِ والعَدْووالحُصُنِ (١)
لقد كانَ وهوَ يَكرُّ فتى تحنّكه ساحةُ المِحَنِ
رَمى عن صُدُورِالعجالِ منَ الصيدِ عِشرينَ قِرْماً لِظَهْرِالحَثى (٢)

فذلكَ ذلكَ فطرُقلُ قَدْ أتاكَ وظهرَكَ بالرُّمحِ قَدْ
وذلكَ أوّلُ قِرْمٍ رَماكَ ولٰكنَّهُ خابَ فيما قَصَدْ
فعاملهُ اجْتَرَّ ثُمَّ جرى يَفِرُّ الى قومهِ وارْتَعَدْ
لقد سمّتهُ الرُّعبَ حتى اتَّقى وإنْ كُنْتَ أعزَلَ لا تُتَّقى

ولٰكنَّ فطرُقلَ هَدَّ قُواهْ سِنانُ القَناةِ ورَوْعُ الإلاهْ
لِذلكَ تنصَّلَ خوفَ المَنُونِ الى صَحبِهِ لائذاً بِسُراهْ
وهكطورُ لمّا رآهُ جريحاً تقفّاهُ بينَهُمُ ورَماهْ
فشقَّ الصِّفاقَ لأحشائهِ فخرَّ وقلْبُ ذويهِ ذَكا

كأنَّ على الشّمِّ خِرْنَوْصَ بَرْ دَهاهُ على الوِرْدِ ليثٌ فَكَرْ
وفي طلبِ الوَشَلِ اقتتلا فما انكفأ اللّيثُ حتّى انتصرْ (٣)
كذلكَ هكطورُ فطرُقلَ أصمى وهَدَّ بهِ صائحاً وافتخرْ:

(١) جمع حصان
(٢) الحثى التراب
(٣) الوشل الماء

« زعمت أفطرقل أن لك الجـ　　ـوّ من فوق إليوننا قد خلا
أخلت بدكّ معاقلنـا　　تفـوز وسـبي عقائلنـا
لقومك بالفلك تحملهنّ　　أفاتك طعن ذوابلنا
تعست ألم تدر أن بهكطو　　ر تنساب جرد صواهلنـا
ليرفع عنهنّ ذلّة رقّ　　برمح بقلب العداة مضى
هلكت فرح مطعماً للصقور　　فهلّا كفاك أخيل الثبور
كأني به قال حين الوداع　　بتلك الخيام مقال الغرور:
« إلى الفلك فطرقل لا عود ما لم　　تمنّ العداة بأدهى الشرور
« تمزّق عن صدر هكطور درعاً　　كستها الدماء خضيب الكسا »
أجل قوله ذاك مذ أرسلك　　وأنت اغتررت بما قال لك »
أجاب على زفرات المنون :　　« على العجب فوزك قد حملك
بصولة زفس وفيبوس فطرقـ　　ـل لا بأس هكطور حتماً هلك
هما عرّياني من عـدّتي　　وإلّا أريتك قطع الطلى (١)
بعشرين هكطور مثلك لا　　أبالي إذا ما الغبار علا
أصلّمهم وسنان قناتي　　شحيذ لهم يحمل الاجلا
فإنّ الردى وابن لاطونة　　وأوفرب هم علّتي والبلا (٢)

(١) الطلى الرقاب
(٢) ابن لاطونة اي فيبوس

وماكُنْتَ أَنْتَ بِطَعْنِكَ لي　　سوى ثَالِثٍ قد تَلا وَوَنى[١]

وَمنّيَ خُذْ نبأً صدقا　　فَفَطْرُقْلُ بالحقِّ قد نَطَقا
فَما أَنْتَ بَعدِيَ حَيٌّ طَويلاً　　فإِنَّ الرَّدى بكَ قد أَحْدَقا
وقَد حانَ حَيْنُك فأُشْقَ بهِ　　قَرِيباً بكَفِّ أَخيلِ اللِّقا »[٢]
ومِن ثَمَّ أَسْبَلَ ظِلُّ الظَّلامِ　　عَلَيهِ سِتارَ الرَّدى فطفا[٣]

هَوَتْ رُوحهُ صَبًّا تَسْتَطِيرْ　　لِرَبِّ الجَحيمِ بِوادي الزَّفيرْ
هُنالِكَ تَنْدُبُ حكمَ القَضاءِ　　وتلكَ القُوى والشَّبابَ النَّضيرْ
وَهكْطُورُ ما زالَ يُزْري بهِ :　　« عَلامَ بِحَتْفِي كُنْتَ النَّذيرْ
فَمَنْ قالَ عُمْرُ ٱبْنِ ثِيتِيسَ لا　　بِحَدِّ قَناتِيَ قَبْلي ٱنْقَضى »

وعامِلَهُ ٱجْتَرَّ مِن صَدْرِهِ　　وأَلْقاهُ فيهِ على ظَهْرِهِ
وفي نَفْسِهِ قَتْلُ أَفْطِمِذٍ　　فأَقْبَلَ يَنْقَضُّ في إِثْرِهِ
ولكِنَّ إِلْفَ أَخيلَ بِخَيلِ　　أَخيلَ تَوارى على قَهْرِهِ
ولَيسَتْ لِتُدْرَكَ بينَ المَلا　　عِتاقٌ بِها زَفْسُ فِيلاحَبا

---

(١) وَنى فتر وضعف

(٢) كانوا يعتقدون انه اذا احتُضر المرء خفّت نفسه وادرك المغيبات فتنبأ ولهذا انبأ فطرقل ساعة موته بموت هكطور قتيلاً بذراع اخيل

(٣) طفا مات

النشيد السابع عشر

المعركة السابعة حول جثة فطرقل

مُجمله

تحرق منيلاوس لقتل فطرقل فتقدم يدافع عن جثته وكان اوفرب يجردها من السلاح فقتله منيلاوس . واذا بهكطور مقبلٌ بايعاز افلون فتقهقر منيلاوس واستعان بآياس . فأقبل آياس وهكطور يوشك ان يقطع رأس فطرقل فصده آياس فأقبل غلوكوس يؤنب هكطور لتخليه عن سرفيذون والتوائه امام آياس . فشك هكطور بسلاح اخيل ونادى صحبه فانقضوا مع الاغريق وفزع لمنيلاوس الابطال من قومه والتحم القتال حول القتيل وكلهم طامع في الاستيلاء على شلوه . فالتوت الطرواد امام اياس ولم يكن النبأ قد طار بعد الى اخيل بمقتل حبيبه . ولما توارت جياد اخيل عن ميدان الحرب ذرفت الدموع حزناً على فطرقل فرق لها زفس واهبط عليها قوة جديدة فانثنى افطوميذ بها الى ساحة القتال ثم القى بالاعنَّة الى رفيقه القيميذ وأخذ يقاتل راجلاً فاندفع هكطورواناياس ونفرٌ من ابطال الطرواد في طلب تلك الجياد واشتد الكر والفر وجرت جياد اخيل مسرعة فتوارت بالمركبة عن الطرواد . وأخذت اثينا بيد منيلاوس وافلون بيد هكطور وارعد زفس فارعب الاغريق فاستظهر عليهم الاعداء . وارسل منيلاوس ينمي الى اخيل موت فطرقل ونكبة الاغريق . وظل الاياسان يدفعان العدو عن جثة القتيل فسار بها منيلاوس ومريون الى المعسكر وانهزمت الاغريق الى ماوراء خندقهم

وغادرت في الخاف والحفيرِ   ما انهال من سلاحها الكثيرِ

وقائع هذا النشيد في مساء اليوم الثامن والعشرين

النشيد السابع عشر

لَم يَخفَ إلفَ آرسٍ منيلا هلاكُ فطرُقلَ الفتى قتيلا[1]
فخفَّ في صدرِ السُّرى إليهِ بعُدَّةٍ تألَّقتْ عليهِ
ودارَ حولَهُ العدى يباري كأنَّهُ ثنيَّةُ الصوَّارِ[2]
قد نُتجتْ بكرًا عليهِ حنَّتْ وانعطفتْ من حولهِ وأنَّتْ
قناتَهُ وجوبَهُ الثقيلا مدَّ يرومُ للعدى تنكيلا
لكنَّ أوفُربَ الفتى مازالَ في فطرُقلَ فاكرًا بذاكَ الموقفِ
لذا على مقربةٍ منهُ وقفْ يخاطبُ الشهمَ منيلا بصلفْ:
« يا إلفَ زفسَ سيِّدَ القبيلِ تخلَّ لي عن شلوِ ذا القتيلِ
إذ كنتُ في الطروادِ والأحلافِ أوَّلَ طاعنٍ لهُ حذَّافِ
فخلِّني أحرزْ جميلَ الشرفِ أولا فأيقنْ بوبيلِ التلفِ »
فنفسُ أتريذَ ذكتْ توقُّدا وصاحَ: «يازفسُ الأبَ المسوَّدا
ما أقبحَ الغرورَ بالنفوسِ فما حكى كِبرَ بني فنثوسِ

---

(١) كل هذا النشيد مصاولة وكفاح لاتخلله نكات وغرائب كسائر انشاد الالياذة فهو وحيد في بابه بهذا المعنى • ولقد افتتحه الشاعر بالتغني باعمال منيلاوس لانه لم يكن يجدر بهذا الفارس وهو المستنفر الى حرب طروادة الا ان يستلفت الانظار ببأسه واقدامه وسمو صفاته حيناً بعد حين • وقد لقبه الشاعر بالفارس الاه الحرب أشارةً الى انه لم يكن بالفتى الهيَّاب كما زعم بعض اعدائه

(٢) الثنية البقرة الفتية

لا خُيَلاءُ اليَبْرِ واللَّيثِ وَلا رُتَّ الفَلا المِغْوارِ رَوَّاعِ المَلا
لٰكِنَّ هذا الكِبْرَ والغُرُورا ما وَقَيا الفتى هفيرينُورا [1]
لَمْ تَهْنِهِ غَضَاضةُ الشَّبابِ لمّا تَصدَّى لِيَ بالسِّبابِ
وقالَ إِنّي ساعَةَ الإِبْلاءِ أَجْبَنُ مَن في زُمْرَةِ الأَخاءِ
غَدا ولا عِرْساً وأُمّاً وأَبا يَبْتَهِجُونَ بلقاهُ طَرَبا
فَدِنْ إِذاً وَوَلِّ مِنْ أَمامي فَلَيسَ يُغْني العُجْبُ مِنْ إِقْدامي
ولُذْ إِلى قَومِكَ مِنْ قَبلِ اللّقا أَولا فَوَقْعُ الخَطْبِ يَشْفي الحُمْقا»
فَلَم يَزِدْ أُوفُرْبُ إِلاَّ حَنَقا وصاحَ: «يا أَتْريذُ أَدرَكْتَ الشَّقا
غَرَّكَ أَنْ باتَ أَخي صَرِيعا لَتُؤخَذَنْ بِدَمِهِ سَرِيعا
فَعِرْسُهُ الهَدِيُّ في أَقصى الغُرَفْ أَرمَلَةً باتت وما كادت تُزَفّ [2]
وقد أَذَقْتَ أَبَوَيهِ غُصَصا ظَلَّ بِها عَيْشُهما مُنَغَّصا
لٰكِنْ سأَرْوي غُلَّةَ الحِدادِ حِينَ بُعَيدَ العَودِ للبِلادِ
لَدى فُرُنْتِيسَ وفَنْثُوسَ يُرى رأْسُكَ والسِّلاحُ في تِلكَ الذُّرى [3]
والآنَ فَصلُ القَولِ فالبِدارُ يَعْقُبُهُ الفَوزُ أَوِ الفِرارُ»
وأَطلَقَ الرُّمْحَ فَفي الجَوبِ وَقَعْ لٰكِنْ عَنِ النُّحاسِ في الحالِ ارْتَدَعْ

---

(١) هيفيرينور ابن فنثوس وشقيق اوفرب قتله منيلاوس (ن ١٤)

(٢) العرس الهدي العروس حين زفافها تهدى الى زوجها . وقوله « في اقصى الغرف » اشارة الى اقامتها في الحرم . راجع ما قيل بهذا الباب في حواشي النشيد السابق ص : ٨٢٤

(٣) فرنتيس ام هفيرينور

فَزَفَسَ أَتْرِيذُ دَعا وَشَهَرا		نَصلاً وأُوفُرْبُ يَسيرُ القَهْقَرى
وزَجَّ زَجَّ واثقٍ عَميدِ		فَقَطَعَ النَّصْلُ حِبالَ الجِيدِ
فَصلَّ لَمَّا خَرَّ والنَّقْعُ جرى		يَكْسُو بَدِيعَ الشَّعْرِ ثَوباً أَحْمَرا
غدائرٌ كَشَعْرِ حُورِ العينِ		ضُفِرنَ بالعَينِ وباللُّجَينِ (١)
كأنَّهُ فَرخٌ مِنَ الزَّيْتُونِ		غَضٌّ على مُجْتَمَعِ العُيُونِ
يُنْعِشُهُ النَّسيمُ والزُّهورُ		بيضاءَ في فُرُوعِهِ تَمُورُ
لٰكِنَّما الاعْصارُ فوراً هَبَّت		فَاُستأْصَلَتْهُ مِنْ زَوايا العِزَّةِ (٢)
فخرَّ أُوفُرْبُ يُحاكي مُذْوَثَبْ		عَليهِ أَتْرِيذُ لإِحْرازِ السَّلَبْ

(١) العين الذهب واللجين الفضة • ذكرنا في ما تقدم ان فتيان بعض قبائلهم كانوا يرسلون شعورهم او يضفرونها كبدو العرب (ن:٢ص٢٩٢) ولكننا لم نر قبل هذا ان غدائر الفتيان كانت تضفر بالفضة والذهب يتخذونها حلية كحلي النساء • على ان في جاهلية الامم كثيراً من امثلة تحلي الرجال بالشنوف والخلاخل وسائر انواع الحلى ولا اخال الرجل في اول امره الا متخذاً الحلى لنفسه قبل المرأة اذ كان يستأثر بقوته بكل ما يروقه ثم اخذ يتجاوز عنها الى المرأة من باب الاثرة ايضاً اذ جعل يأنس بالنظر اليها وهي رفيقته فوق ما كان يأنس بالتلبس بها بنفسه • وكان كلما تقدم في الحضارة ينبذ منها جانباً الى ان استبقى منها السهل الذي لا يزعجه حمله كالخواتم والسلاسل وابقى لها ما يوجب الحرص والاذى وثقب الاذان

(٢) كثيراً ما يشبه الشاعر البطل الخار صريعاً في ساحة القتال بالشجر الشامخ الفروع المتين الجذور كالارز والملول • واما تشبيهه اوفرب بفرخ الزيتون الغض فانما كان لجماله وغدائره المسترسلة وهي مضفورة بالفضة والنضار • قالوا انه كان لفيثاغورس شغف خاص بهذه الابيات يتغنى بها على نغم القيثار حتى تمادى به هذا الشغف فادعى انه اوفرب بالذات تقمصت اليه نفسه بعد موته

وَلم يَكنْ في قومِ أُوفُرْبَ أَحَدْ يَلقى مَنيلا وَهوَ يخلُو بالعُدَدْ
كأَنَّهُ ضيغمٌ غابٍ وَثِقا بِبأْسهِ وفي الصُّوارِ انْدفقا (١)
فَفَرَسَ الغُرَّةَ منها وسَحَقْ عُنقَها ما بينَ نابيْهِ ودقْ (٢)
ومَزَّقَ الأَحشاءَ وامتصَّ الدّما والناسُ والكلابُ عجَّتْ في الحِما
لا تَستطيعُ الذَّودَ عنها فالجزَعْ من رُؤيةِ اللَّيثِ قلُوبَها خلَعْ
وكادَ أَتريذُ يفوزُ بالمُنى لكنْ ذَكَتْ غيرةُ فيبُوسَ هُنا (٣)
كَقيِّمِ الكيكونِ ميتيسَ نَهضْ وصاحَ: «يا هكطورُ اخطأْتَ الغَرَضْ (٤)
جَرَيتَ تبغي خيلَ آخيلَ ولا يَبلُغُ منهنَّ سواهُ الأَملا
أَلا تَرى أَتريذَ عن فطرُقْلَ ذَبْ وأَبسلَ الطُّرْوادِ أُوفُرْبَ ضَرَبْ»
ثمَّ مضى عنهُ وفي الجيشِ ذَهَبْ وقلبُ هكطورَ من البثِّ التَهَبْ
سرَّحَ ما بينَ الجُموعِ النَّظرا وثَمَّةَ القِرْمَينِ حالاً أَبصرا
ذاكَ صريعٌ دمُهُ ينفجرُ وذا إلى تجريدهِ مُبتدِرُ (٥)
فثارَ يحكي نارَ هيفستَ التي ما إنْ خبَتْ قطُّ إذا ما هبَّت
وانقضَّ في صدْرِ السُّرى مُدَجَّجا بِهَدَّةٍ لها مَنيلا اختَلَجا

---

(١) الصوار قطيع البقر
(٢) غرة الشيء خياره
(٣) يراد بأتريذ هنا منيلاوس
(٤) اي انه تشبه بميتيس زعيم الكيكونيين
(٥) اي منيلاوس واوفرب

فهاجَ بثا نفسهُ يُناجي : « ما حيلتي في القدرِ المُفاجي
أأبرحُ الآنَ وذا فطرُقلُ مَنْ في الذودِ عن عِرْضيَ وافتهُ المحَنْ
فمَنْ مِنَ الإغريقِ لو رآني أَحجمْتُ عنهُ الآن ما لحاني
وإنْ دعتني عِزَّةُ النَّفْسِ الى كِفاحِ هكطورَ الذي قد حملا
فخلفَ هكطورَ بنو الطُّرْوادِ طرًّا على أنّيَ بانْفرادِ ...
لا كانَ ذا الهاجسُ مَن لاقى الأُولى صانَتْهُمُ آلُ العلى لاقى البَلا
بحُكمِ آلِ الخُلْدِ هكطورُ هَجَمْ فمَنْ يلومني إذا أَلْوي القدَمْ
آهِ ولو لي صوتُ آياسَ نمي لاقتحمتْ ذهمَ الرَّزايا هممي
أنا وآياسُ نخوضُ الشّدَدا حتَّى ولو ربٌّ لِلُقيانا بدا
بِشِلْوِ فطرُقلَ الى أخيلا نمضي فيمسي خطبُنا محمولا »[1]
وبينما هاجسُهُ يَثُورُ وافى العِدى في صدْرِهِمْ هكطورُ
فغادرَ الجُثَّةَ ثُمَّ انْصاعا مُلتفتاً إليْهِمِ مُلْتاعا
كالليثِ للمَرْبِطِ يوماً لاحا فقابلَ النُّباحَ والرّماحا

---

(١) أُعجب كثيرون من الشراح بكلام منيلاوس في هذا الموقف وهو يناجي نفسه . ولا بدع فان فيه من براعة تصرف الشاعر مالا يكاد يتصوره شاعر آخر . اقبل هكطور تتبعه سرايا قومه فاوجس منيلاوس خيفة في نفسه فتردد في الاستواء امام ذلك الجيش العرمرم ولم يأخذه الرعب حتى مر على ذهنه ان هكطور وجنده عضداً الاهياً لا تصده قوى البشر ومع هذا كلّه فقد تمنى ان يكون اياس الى جانبه فلا يبالي اذ ذاك بذلك الجيش الجرار ولو تقدمهم بطله المغوار وفيبوس الرب القهار . وفي هذا التدرج ما فيه من الفخر لمنيلاوس واياس كليهما

وأُرْتَدَّ مُغْتَمًّا على الأعقابِ كما أُنْثَنَى أَتْرِيذُ بأُكْتِئابِ[1]
حتّى إذا في قومهِ حلَّ وقفْ مُسْتَشْرِفاً فَأيطْلُبُ آياسَ وخفْ
لمّا رآهُ قامَ أقصى المَيْسَرهْ مُسْتَنْفِراً الى الصدام عَسْكَرَهْ
وهدَّهمْ فيبوسُ طرًّا رُعْبا صاحَ: «ألا فوراً أياسُ هُبّا
نَذُودُ عن فَطْرُقْل حول جُثّتهْ فإِنَّ هكْطُورَ خلا بشِكّتهْ
لعلّنا وإن عَرَتْ عَنِ العُدَدْ لإِلْفِهِ آخيلَ نَمْضي بالجسدْ»
فهاجَ آياسُ أسىً ثمَّ أنطلقْ يجري وأتْرِيذُ الى صدرِ الفرقْ
فألفيا هكْطُورَ ثمَّ جرَّدا شِكّةَ فطْرُقْلَ وجرَّ الجسدا
ليأخُذَ الهامةَ بانتِضابِ ويَدْفَعَ الجُثّةَ للكلابِ
بجَوبِهِ كالبُرْجِ آياسُ جرى فعادَ هكْطُورُ الى قلبِ السُّرى
ثمّ اُعتلى وصاحَ: «ألْقُوا ليَ في إِلْيونَ ذا السِّلاحَ يسمُو شرفي»[2]
لكنْ أياسُ بسطَ الجوبَ على جُثّةِ فطْرُقْلَ وما تقاقلا
كلبْوَةٍ في الغابِ بالأشْبالِ حلّتْ فبالكماةِ لا تبالي
نقطّبُ الجفْنَ على مقلتِها صائلةً تحمي حِما فتيتِها[3]

---

(١) يقال رب انكسار خير من انتصار • وهكذا فان ارتداد منيلاوس كالليث الملتوي امام الرماح والنباح لا يغض من شأنه شيئاً

(٢) اي سلاح اخيل • ارسل هكطور ذلك السلاح الى اليون قبل ان يتقلده ليراه قومه ويكون نبأً لهم عظيماً

(٣) قال عنترة :

ولي بأس مفتول الذراعين خادرٍ يدافع عن اشباله ويحامي

وقامَ أَتْريذُ لدى أَياسا — يَذكُرُ حَشاهُ كآبةً وَباسا
فَجاءَ هكْطورَ غلوكُسُ الفتى — قَيْلُ بني لِيْقيةٍ مُبكِّتا
صاحَ بهِ يرمُقهُ ازْورارا : — «ما كُنْتَ الاَّ هالعاً فرَّارا
يُعزى لكَ البأسُ جزافاً إِنَّما — حالُكَ شفَّتْ عن فؤادٍ أَحجَما
أَلكَ في جماعةِ الطُرَّادِ — مِن دُوننا حمايةُ البلادِ
فقَومُنا في وجهِ أَبطالِ العدى — لَنْ يقفُوا حولَ الحُصونِ أَبدا
اذ قدأَطالوا الحربَ والإِبْلاءَ — ولم يُوافُوا فيكمُ وفاءَ
وَيحكَ أَنَّى بكَ عرْضُ الجُنْدِ — خيراً تُرجِّي بعدَهذا الصَّدِّ (١)
وضيفَكَ الحبيبَ سرْفِذُونا — غادرْتَ غُنْماً لِلأَخائيينا
وَقاكُمُ من أَزمةِ الدَّراهسِ — وما وَقيتهُ مِنَ النَّواهسِ (٢)
فَرأَيِيَ الآنَ على أَصحابي — بأَنْ يعدُّوا أُهْبَةَ المآبِ
عَنكمُ الى الأَوطانِ يَنْثَنونا — فَينزِلُ الوَيلُ على إِلْيُونا
فلو لَكُم بَسالةُ الشُّجْعانِ — في ذَوْدِهمْ عن ساحةِ الأَوطانِ
لِجُمْلةٍ صُلْنا ونحوَ البلَدِ — سِرْنا بفطْرُقلَ بلا تَردُّدِ (٣)
بِسَرْفِذُونَ والسِّلاحِ الأَزهرِ — يَؤمُّنا العِدى بلا تأَخرِ

---

(١) عرض الجند اي عامتهم

(٢) الدراهس الشدائد والنواهس الكلاب • يقول غلوكوس هذا القول لانه لم يكن يعلم ما كان من امر سرفيذون وذهاب افلون به ليدفنه بامرزفس في وطنه

(٣) اي نحو اليون

إِذْ إِنَّ فَطْرُقْلَ أَعزُّ النَّاسِ لَدى أَخيلَ القَرْمِ رَبِّ الباس
لَـٰكِنْ لِآياسَ الذي تَراهُ وَهَنْتَ عَزْماً قبلَ أَن تَلْقاهُ
هَيهاتِ هَيهاتِ فَلَنْ تَنفَرِدا لَهُ وتَدْري أَنَّهُ أَسْمَى يَدا »
فَقالَ مُنْعِماً حَديدَ النَّظَرِ : «كَفاكَ يا غلوكُسُ أَنْ تَفْتَري
خِلْتُكَ ذا عقْلٍ رَجيحٍ قدسَما فَوقَ بَني لِيقِيَةٍ إِنْ حَكَما
لَـٰكِنْ أَرى الخِلافَ فيما تَزْعَمُ أَنِّي لَدى أَياسَ جُبْناً أُحْجِمُ
ماراعَني الطَّعْنُ ولا وَقْعُ خُطَى جُرْدِ الوَغى لَـٰكِنَّما زَفْسُ سَطا
وَهوَ وَلِيُّ الأَمْرِ قد يَخْذُلُ مَن يَحُثُّ لِلإِقْدامِ في حَرِّ الفِتَنْ[(1)]
فَادْنُ إِليَّ الآنَ واشْهَدْ تَنْظُرِ ذا اليومَ مِنْ هكْطُورَ حقَّ الخَبَرِ
أَكانَ مِهْياباً كما تَقُولُ أَم هُوَ مِحْرابٌ وَغًى يَصُولُ
يُذِلُّ قَسْراً كُلَّ صِنْديدٍ بَطَلْ لِلذَّودِ عَن جُثَّةِ فَطْرُقْلَ حَمَلْ»
وصاحَ يَعْلُو صَوتُهُ بَينَ الزُّمَرْ: «طَرْوادُ لِيقيُّونَ أَبناءَ الظَّفَرْ
يا آلَ دَرْدَانُوسَ هُبُّوا وقِفُوا بِبَأْسِكُم فَذاكَ ذاكَ المَوقِفُ
وإِنَّني ماضٍ أَشُكُّ مُقْبِلا بِعُدَّةِ القَرْمِ أَخِيلَ عَجِلا
تِلكَ التي سَلَبْتُ مِن فَطْرُقْلِ» ثُمَّ انْثَنى يَعْدُو حَثِيثَ الرِّجْلِ

---

(١) قال بعضهم :

وما كل ما يخشى الفتى نازلٌ به ولا كل ما يرجو الفتى هو نائلُ
فو الله ما فرّطت في جنب حيلةٍ ولكنه ما قدر الله نازلُ
وقد يسلم الانسان من حيث يتقي ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافلُ

فصحْبهُ أدركَ من بعدِ أمدْ — من قبلِ أنْ تبلغَ إليونَ العُدَدْ
فثمَّ عن وقعِ القنا بمعزلِ — ألقى لهمْ شكتَهُ في العجلِ
يأمرُهمْ أنْ يحملوها للبلدْ — وشكَّ في سلاحِ آخيلَ وجدْ[1]
ذاكَ سلاحٌ ليسَ يعروهُ البلا — حباهُ آلُ الخلدِ فيلا البطلا
ولابنِهِ مذْ شاخَ تلكَ العُدَدُ — ظلَّتْ ولنْ يشيخَ فيها الولدُ[2]
وعندما هكطورَ زفسُ نظرا — معتزلاً بدرعِ آخيلَ انبرى
أجالَ رأسهُ بنجوى نفسهِ : — «واويحهُ شتَّ الرَّدى عن حدْسهِ
هكطورُ قد كادَ يوافيكَ الأجلْ — وأنتَ في حلةِ روَّاعِ المللْ
صرعتَ إلفهُ النبيلَ الأبسلا — ونلتَ عنفاً منهُ تلكَ الحُللا
لكنَّني موليكَ نصري السَّامي — جزاءَ ما أُوتيكَ من حِمامي
إذ لنْ ترى في صرحِكَ ارتياحا — عرسكَ كي تلقي لها السِّلاحا»
وموْمِئاً بجفنِهِ زفسُ اعتدلْ — فناسبتْ أعضاءَ هكطورَ الحُللْ[3]

---

(١) ذهب القدماء الى انه كان من مهارة هوميروس ان اوقع سلاح اخيل مغنماً بيد هكطور ليتساوى البطلان والا لما كان لاخيل الفخر بقتل هكطور وسلاح اخيل صنع الآلهة وسلاح هكطور صنع البشر • وهنا أمر آخر يحسن التنبيه اليه وهو ان الشاعر وطأ بهذه المقدمة الى الاتيان على الوصف البديع للسلاح الذي سيصنعه هيفست لاخيل في النشيد التالي

(٢) اي لن يبلغ سن الشيخوخة لانه سيقتل شاباً

(٣) لايفوت الشاعر محل انتقاد الا ويتنبه اليه ويتلافاه • اذ قد يمكن ان يعترض بان عدة معدة لرجل لاتحسن لكبر او صغر او قصر او طول لرجل آخر فقال الشاعر ان زفس جعلها كانما صنعت لهكطور وهو القدير على اكثر من ذلك

وحلَّ آريسُ بهِ فاحتَدَما فتَكَّوا بالبَأْسِ حَشاهُ اضطَرَما
فهَبَّ بالأحلافِ بالهَديدِ يسطعُ بالنُّحاسِ والحَديدِ
يَخوضُ في صفُوفِهِمْ مُشتَدَّا يَحُثُّ للإيقاعِ فرْداً فرْدا
كمِسْتليسَ وغلوكسَ الجري وثرْسِلوخَ ثمَّ ميْذونَ السَّري
وعَسْطرُوفَ ثم هيفوثُوسا فرْقيسَ ذِيسينُورَ إخْرُومِيسا
كذلكَ العرّافِ إِينُومُوسا يثيرُ في أحشاهُمُ النُّفوسا :
« سَمْعاً أيا قبائلاً عَديدَهْ أحلافَنا والجَبرةَ العَميدَهْ
لمْ أدْعُكُمْ مِنْ دُورِكُمْ طُرَّاً أنا لِتَلبَثوا حَشداً بلا جَدْوى هُنا
بلْ لِتَصولوا في لِقا الأعادي ذَوداً عَنِ النِّسْوَةِ والأولادِ
أنْفَدْتُ رِزْقَ الجُنْدِ زاداً وجَدا لكُمْ لِتُعْمِلوا القَنا المُجرَّدا
فانْدَفِعوا بالبأسِ في وجْهِ العِدى والحَرْبُ إمّا ظَفَرٌ إمّا رَدى
فأيُّكُمْ أياسَ صَدَّ وانْثنى بِشِلْوِ فَطْرُقْلَ ولو مَيْتاً لنا
أَحْبُوهُ نِصفَ الغُنْمِ منّي أجْرا وَهْوَ قَريني شَرَفاً وقَدْرا »
فقوَّموا السِّلاحَ فَوقَ السّاعدِ وانْدَفعوا دَفْعَةَ صَفٍّ واحدِ
لِيُنْقِذوا الجُثَّةَ مِنْ أياسِ واوَيْهُمْ في ذلكَ الوَسْواسِ
فكَمْ كَمِيٍّ مِنْهُمُ سيُمْسي مِنْ فَوقِ فَطْرُقْلَ فَقيدَ الحِسِّ
وبِمَنيلا صاحَ آياسُ : « ألا ما خِلْتُ أنَّا قدْ بلَغْنا الأَجَلا
ما جَزَعي لِشِلْوِ فَطْرُقْلَ لدَيْ كجَزَعي الآنَ عليكَ وعليْ

فإنَّ فَطرُقْلَ قريباً يَغتَدي   للطَّيرِ طُعْماً وكِلابِ البَلَدِ
وذا غَمامُ الحربِ فوقَنا انْطَبَقْ   هكْطورُ وَهوَ حيثُما حَلَّ حَرَقْ (١)
فَقُمْ ونادِ صفوَةَ الأَبْطالِ   لَعَلَّهُمْ يَسعَونَ للنِّضالِ »
فَصاحَ أَتْرِيذُ بِهِمْ يَقُولُ:   « ياصَحْبُ يارُتُوتُ ياقُيُولُ
يامَن على مَوائِدِ ابنَيْ أَتْرا   مِنْ قِسمَةِ الجُنْدِ رَشَفْتُمْ خَمْرا
ومَن حَباكُم زَفسُ عالي القَدْرِ   فَقُمْتُمُ بينَ السُّرى بالأَمْرِ
كيفَ أَراكُم وعَجاجُ القَسْطَلِ   يَسْتُرُ عَنّي كُلَّ جُنْدِ الجَحْفَلِ
فَطرُقْلُ كادَ الغُضْفُ والضَّواري   يَنْهَشْنَهُ هُبّوا لِدَرْءِ العارِ »
فَما انْتَهى حتَّى ابْنُ وِيلُوسَ عَدا   أَوَّلَهُمْ مُلَبِّياً ذاكَ النِّدا (٢)
تَلاهُ إيذُومينُ ثُمَّ القَرْمُ   مِرْيُونُ والكُلُّ تِباعاً هَمُّوا
كُماةُ باسٍ لايُحيطُ الفِكْرُ   بِعَدِّهِمْ فَانْبَعَثُوا وكَرُّوا
ونَحوَهُمْ جُنْدُ العِدى تَقَدَّمُوا   في صَدْرِهِمْ هَكْطُورُ ذاكَ الأَيْهَمُ
بِهَدَّةٍ مِثْلِ عَجيجِ البَحْرِ   يَقْذِفُ بالمَوجِ لِثَغْرِ النَّهْرِ
فَتَدْفَعُ الأَمْواجُ فوقَ الجُرْفِ   مُنْتَشِراتٍ بِشَديدِ القَصْفِ

---

(١) يشبه هكطور بغمام الحرب وهو تشبيه غريب ولهذا ذهب بعضهم الى ان هذا البيت دخيل • قلت ولا أراه غريباً بتصرفه به هذا التصرف

(٢) ابن ويلوس هو اياس الاصغر • كان اول قادم اما لانه كان اعداهم كما تقدم • واما لانه كان إلف اياس الاكبر فكان اول مجيب لندائه

وَدُونَها تِيكَ الجُيُوشِ الوافدَهْ　　　تَقَدَّمَ الإِغْرِيقُ نَفْساً واحدَهْ
حَولَ القَتِيلِ كَثَّفُوا الأَجْوَابا　　　وَزَفْسُ أَلْقى فَوقَهُمْ ضَبابا
يَسْتُرُ بَرّاقَ التَّرائِكِ التي　　　أَجَنَّتْ وأَغْراهُمْ بِصَونِ الجُثَّةِ
لِأَنَّ فَطْرُقْلَ عَزِيزًا حُسِبا　　　لَدَيهِ مُنْذُ لِأَخِيلَ انْتَسَبا
فَكَرِهَ الإِغْضاءَ عَنهُ حِينا　　　فَيُشْبِعَ الكِلابَ في إِلْيُونا
ودُفِعَ الإِغْرِيقُ بَدْءَ الأَمْرِ　　　فَانْهَزَمُوا عَن مَيْتِهِمْ بالقَسْرِ
وَلَمْ يَمَسَّهُمْ مِنْ الضُّرِّ سِوى　　　أَنَّ القَتِيلَ ظَلَّ في أَيدِي العِدى
لٰكِنَّما أَياسُ في الحالِ انْثَنى　　　بِهِمْ وفي طَلِيعِهِ الجَيشِ دَنا
أَياسُ مِنْ بَعْدِ أَخِيلَ كانا　　　أَجْمَلَهُمْ وَجْهاً وأَعلى شانا
فانْقَضَّ كالرُّتِّ بِغابٍ عَرْبَدا　　　والغُضْفَ والفِتْيَةَ طُرًّا بَدَّدا (١)
كَذا تَبَدَّدَتْ لَدَيهِ الفِرَقُ　　　لَمّا بِفَطْرُقْلَ جَمِيعاً أَحْدَقُوا
إِذ يَحْسِبُونَ مُنْتَهى فَخارِهِمْ　　　بِحَمْلِهِ فَورًا إِلى دِيارِهِمْ
وكانَ هِيفُوثُوسُ الشَّهْمُ الأَبَرْ　　　فَرْعُ الفَلاسِجِيِّ لِيثُوسَ الأَغَرْ
أَدارَ حَولَ قَدَمِ القَتِيلِ　　　حِمالَةً وَهَمَّ بالقُفُولِ
يَجْتَرُّهُ لِداخِلِ البِلادِ　　　تَقَرُّباً لِسادَةِ الطُّرْوادِ
فَكانَ ذا عَلى الفَتى وَبالا　　　لَمْ يَمْلِكُوا لِدَفْعِهِ مَجالا
إِذْ إِنَّ آياسَ عَلى الفَورِ زَحَفْ　　　ثُمَّ عَلى الخُوذَةِ بالرُّمْحِ قَذَفْ

(١) الرت الخنزير والغضف الكلاب

فَخرَقَ الدِّماغَ هَوْلُ المَضْرَبِ ... فانْهالَ بالدِّماءِ فوقَ الثَّعْلَبِ (١)

فأَفْلَتَتْ مِن يَدِهِ الحِمالَهْ ... وخرَّ فوقَ المَيتِ لا محالَهْ (٢)

ويا لها عليهِ مِن مُصيبَهْ ... في البُعْدِ عَن لَريسةَ الخَصيبَهْ

إذْ لَمْ يُتَحْ لَهُ إداءُ الشُّكْرِ ... لِأَبَوَيهِ قَصُرَ ذاكَ العُمْرِ

فَهَبَّ هكْطُورُ وبالرُّمْحِ حَذَفْ ... لٰكِنَّ آياسَ عَنِ النَّصلِ انْحَرَفْ

فَحلَّ في بَأْديلِ إسْكِيذِيسا ... هُمامِ فُوقِيا فَتى إيفِيتُسا

قد كانَ يرعى أُمَماً كَثيرَهْ ... بِالْجاهِ في فانُوفَهَ الشَّهيرَهْ

فَصلَّ مُذ خرَّ صَرِيعاً يَرْتَجِفْ ... وبَرَزَ السِّنانُ مِن فوقِ الكَتِفْ

وهَبَّ آياسُ وفُرْقيسَ ضَرَبْ ... إذْ دُونَ هيفُوثُوسَ كانَ انْتَصَبْ

فَنَفَذَ السِّنانُ في مُهْجَتِهِ ... بالدِّرْعِ يُلْقيهِ على راحَتِهِ

فَانْهَزَمَتْ طَليعَةُ الطُّرْوادِ ... وبَيْنَهُمْ هكْطُورُ أَيضاً بادي

والأَرْغُسيُّونَ وَراهُمْ عَرْبَدُوا ... وبالقَتيلَينِ خلَوْا فَجرَّدُوا (٣)

وكادَتِ الطُّرْوادُ تَلْوي ذُعْرا ... ونَحوَ إلْيُونَ تَفِرُّ قَسْرا

وَيَظْفَرُ الأَغارِقُ انْتِصارا ... وإنْ يَكُنْ زَفْسُ لَهُمْ قَهَّارا

لٰكِنَّ فِيبُوسَ انْبَرى على الأَثَرْ ... وفي مِثالِ ابْنِ إفيتُوسَ ظَهَرْ

(أَفْنيجِ فِيرِيفاسَ مَن شاخَ لَدى أَبيهِ ذاكَ الشَّيخِ رَغَّامِ العِدى

(١) ثعلب الرمح عوده

(٢) اي حمالة السيف التي اراد ان يجر بها جثة فطرقل

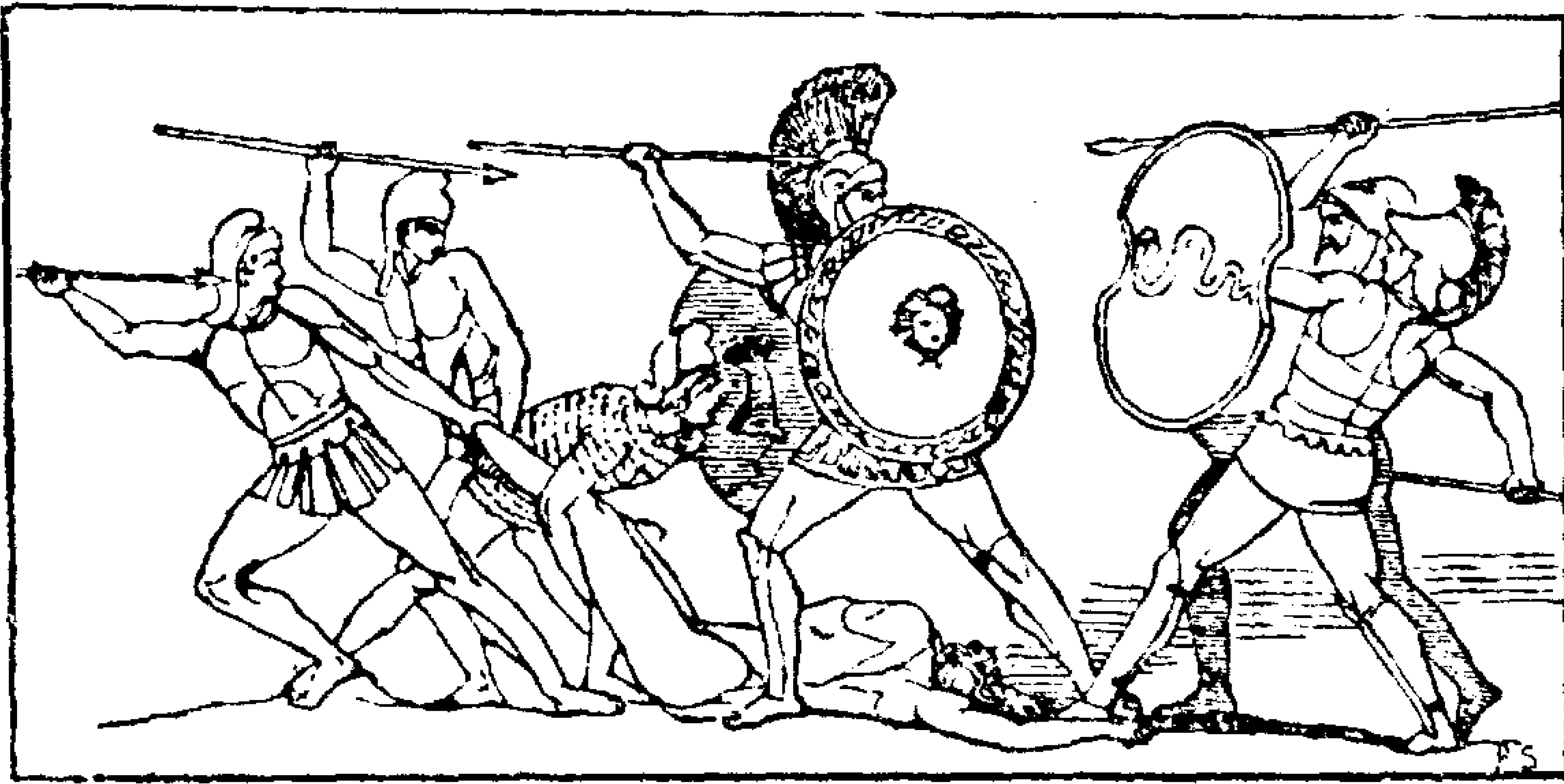
(٣) اي فرقيس وهيفوثوس

لَهُ أُنتمتْ إصالَةُ الآراءِ) فَحثَّ أَنياسَ على الإبْلاءِ :
« أما أَتاكَ كيفَ تحمي الدَّارُ حَتَّى ولو قاوَمَتِ الأَقْدارُ
بالكَرِّ مثلَ كَرَّةِ القومِ الأُولى بَلوتُ في طيِّ زَمانٍ قد خَلا
بالعَزْمِ والإقْدامِ جَدُّوا الجدَّا وبَاسِ أَجْنادٍ تقِلُّ عَدَّا
زَفْسُ لَنا أَحْرَزَ مذْخورَ الظَّفَرْ وكُلُّكُمْ أَحْجَمَ بالجُبْنِ وفَرْ »
فلمْ يَنُتْ أَنْياسَ لمَّا أَحْدَقا بأَنَّهُ رَبُّ السِّهامِ مُطْلَقا
فَصاحَ يَعلُو صوتُهُ الهَدَّارُ : « هكْطورُ ياطرْوادُ يا أَنْصارُ
أَالعارُ كُلُّ العارِ أَنْ نرْتَدَّا تجاهَ إِلْيُونَ بعزْمٍ هُدَّا
والآنَ لي لاحَ مِنَ الأَرْبابِ رَبٌّ تَصدَّى لِيَ بالخطابِ
وقالَ إنَّ زَفْسَ قَيِّمَ الظَّفَرْ ظَهيرُنا إِيهٍ فأَحسنُوا الْمَكَرْ
فَطرْوَلْ ذا لا تَدعُوا الإغْريقا يَلْقَوا بهِ لِفُلْكِهمْ طَريقا »
وأنْقَضَّ في صَدْرِهم ووَقَفا والجَيشُ من وَراهُ طرًّا زَحفا
فَزَجَّ عَن ساعِدِ بَاسٍ قاسِ يُرْدي لِيقْريطَ بْنَ آرِسْبَاسِ
وكانَ لِيقُومِيذُ إِلْفُهُ يرى فَهاجَهُ البَثُّ ونَحْوَهُ جرى
وأَرسَلَ العامِلَ رَمْياً يَرْمي أَفيسُوُونَ بْنَ هِفاسَ القَرْمِ
فَحلَّ في كَبدِهِ فَانْطَرحا وكانَ من فِيُونَةٍ قد بَرِحا
ولمْ يَكُنْ مِن بعدِ عَسْطرُوفِ فَتًى حَكاهُ في أُولى الصُّفُوفِ
فثارَ عَسْطِرُوفُ ثُمَّ وَثَبا فَلَمْ يَنلْ مِنَ الأَخاءِ مَأْرَبا

تَدَرَّعُوا بِشِدَّةِ البُؤُوسِ ... وَراءَ مُعْقِلٍ مِنَ التُّرُوسِ
وبَسَطُوا مِن حولِ فطرُقْلَ القَنا ... إِذَا بآياسَ يَصيحُ عَلَنا :
« عَن شِلْوِ فطرُقْلَ الى الوَراءِ ... لا تَلتَوُوا يا مَعْشَرَ الأَخاءِ
ولا تَهُبُّنَّ إِلى الأَمامِ ... بَلْ حَولَهُ ذُودُنَّ بالإِقْدامِ »
فَاشْتَبَكُوا والنَّقْعُ كالسَّيلِ جَرى ... فأَلبسَ الحَضيضَ ثَوباً أَحْمَرا
وانْبسَطَتْ فوقَ الثَّرى الأَشْلاءُ ... رُصَّتْ كِثافاً ما لَها إِحْصاءُ
أَقلُّهُمْ قَتلى الأَخائيِّينا ... إِذ هُمْ قامُوا مُتَكاتِفينا
يَدْرَأُ بَعْضٌ وافِدَ المَنُونِ ... عَن بَعْضِهِمْ كَراسِخِ الحُصُونِ
والْتَحَمَ القِتالُ كالأُوارِ ... وانْتَشَرَتْ سَحابَةُ الغُبَارِ
حتَّى كأَنَّ الشَّمْسَ بادَتْ والقَمَرْ ... مِمَّا لَدى فطرُقْلَ في الجَوِّ انْتَشَرْ
لٰكِنَّهُمْ في سائِرِ الأَطْرافِ ... تَلاحَمُوا تَحْتَ رَقيعٍ صافِ
لا غَيمَ يَعْلُو الأَرْضَ والجِبالا ... والشَّمْسُ يَزْهو نُورُها جَمالا
بَينَهُمُ بَونٌ فَهُمْ يُبْلُونا ... غِبّاً وهَولَ الحَرْبِ يَتَّقُونا (١)
وظُلْمَةُ النَّقْعِ بِحَرِّ الحَرْبِ ... ما فَتَكَتْ إِلاَّ بِجُنْدِ القَلْبِ
ووَلَدا نَسْطُورَ في الجَناحِ ... ما شَعَرا بالنَّبإِ الفَضّاحِ (٢)
بَلْ حَسِبا فطرُقْلَ في الصُّدُورِ ... حَيّاً دَهى الأَعْداءَ بالثُّبُورِ

(١) غبّاً اي حيناً بعد حين
(٢) ترسيمذ وانطيلوخ

جَيشُهُما انْحلَّ فخلفَ الجحفَلِ ظَلاَّ يَذُودَانِ اتِّقاءَ الفشَلِ
بأَمْرِ نَسطُورَ الحكيمِ عَمِلا إِذْ بِهِمَا الى الخَلايا أَرْسَلا
ودامَ حَولَ جُثَّةِ الجَديلِ مُشْتَجَرُ الرِّماحِ لِلأَصيلِ
حتَّى وَهَتْ أَعضاءُ تلكَ الفِرَق مِن عَيِّها وسَبَحَتْ بالعَرَقِ
فَالتَوَتِ الرُّكْبَةُ والشَّظِيَّةْ خارَت ثِقْلُ القَدَمِ المَضْوِيَّةْ
وكَفَّتِ الكَفُّ وكَفَّ البَصَرُ والجِسْمُ طُرًّا سابِحٌ مُعَفَّرُ
تَأَلَّبُوا تَأَلُّبَ الأَتْباعِ بِأَمْرِ سَيِّدٍ لَهُمْ مُطاعِ
دارُوا حَوالَي جِلْدِ ثَورٍ مُدَّا والشَّحْمُ سَيَّالٌ عليهِ امْتَدَّا
تَجاذَبُوا حتَّى البِلالُ نَضَحا والشَّحْمُ لِلْجِلْدِ مالِيًا رَشَحا (١)
وهكذا تَجاذَبَ القومانِ جُثَّةَ فَطْرُقْلَ بِجُهْدِ العاني
قَومٌ بِهِ أُسْطُولَهُمْ يَبْغُونا ولِحِمَى إِليُونَ آخَرُونا



القتال حول جثة فطرقل

(١) يعلمنا هوميروس هنا كيف كانوا يبسطون الجلود وهو اول من ذكر ذلك فيما نعلم

بَينهُمُ قد حَمِيَ الوَطيسُ بهمَّـةٍ ما عابَها آريسُ
ولا رمَتها آنَ الاحتدام فالاسُ بالتَّثريبِ والمَلام (١)
يومٌ بهِ زَفسُ على الأَجنادِ والخَيلِ أَورى جُذوةَ الجِهادِ
والحَربُ في بونٍ عنِ السَّفينِ أَجَّتْ على مَقرُبةِ الحصُونِ
لذاكَ لم يُحِطْ أَخيلُ عِلما بما بفَطرُقلَ هُنا أَلمَّا
بَلْ ظنَّهُ حيًّا أَتى الأَبوابا فينثني ويُحسِنَ المآبا
إِذ لم يَكُنْ في الغَيبِ أَنَّ البَلَدا لبأْسِ فَطرُقلَ يَدينُ أَبَدا
حتَّى ولو أَخيلُ انقضَّ مَعَهْ ذلكَ سِرٌّ من ثِتيسٍ سَمِعَهْ
أَوحتْ إِليهِ غيبَ زَفسَ في القَدَرْ مُخفيةً مُصابَ إِلفهِ الأَبرّ
هُناكَ ظلَّ نافذُ السِّنانِ يُصمي فيَصطكُّ بهِ القَومانِ
يُشجِّعُ الإِغريقُ بَعضٌ بعضا : « للفُلْكِ عودَ العارِ أَنَّى نَرضى
خيرٌ لنا يا قومُ أَنْ ينشقَّا جوفُ الثَّرى وفيهِ طرًّا نُلقى
مِن أَن نَرى قَتيلَنا يَغيبُ بينَ العِدى وسعيُنا يخيبُ »
وضَجَّتِ الطُّرْوادُ في الصُّفوفِ: « لا تنثَنوا عن موقفِ الحتُوفِ
حتَّى ولو طُرًّا أَبادَنا القَدَرْ مِن حَولِ فَطرُقلَ وفاتَنا الظَّفَرْ
وفي الرَّقيعِ طارَ فوقَ المَعمَعَهْ لِقُبَّةِ النُّحاسِ صوتُ القَعقَعَهْ (٢)

---

(١) اي ان فالاس وهي اثينا ربة الحكمة لا تجد مرمى للوم والتثريب وان كانت مغيظة. تلك اشارة الى ان حدة الغيظ تدفع حتى البصير الحكيم الى كشف معايب غيره. وهي طرفة من طرف هوميروس الكثيرة

(٢) اي الى السماء

هذا وصافنات آخيل انبرت | في عزلة تذرف دمعاً مذ درت
بأن رواض متونها هلك | وفيه هكطور أخو البأس فتك(١)
لم يجد أفطميذ سوط الجبر | على تلطف بها أو زجر
وقد أبت تسير نحو البحر | للفلك أو نحو السرى أن تجري
بل لبثت صماء كالعمود | على ضريح سيد عميد
او قبر ذات عزة وشان | وأطرقت في الارض بالبحران(٢)

(١) لا عجب اذا مثل لنا هوميروس جياد اخيل تذرف العبرات أسىً وحزناً على فطرقل وهي من الجياد الخالدة فلقد روى الرواة في كل الاعصر ان الخيل تبكي وتحرق لهفةً على فرسانها . ذكر امثال هذا ارسطاطاليس وبليناس وذكر سولينوس مثله عن الفيلة اذا أُخذت من مواطنها وقال هذا القول عن الحيوان بعض المتأخرين وقد حذا حذو هوميروس باستبكاء الجياد فرجيليوس فقال :

Post bellator equus, positis insignibus Æthon
It lacrymans, guttisque humectat grandibus ora.

واما شعراء الافرنج فقد اطفوا المعنى اذ اضربوا عن ذرف الدموع وعبروا عن حزن الخيل بجمود العين وتنكيس الرأس وما اشبه كقول راسين في روايته فدر

L'œil morne maintenant et la tête baissée
Semblaient se conformer à sa triste pensée.

وممن استبكى الخيل من شعرائنا عنترة العبسي بقوله :

ولقد تركت المهر يدمي نحره | حتى اتقتني الخيل ثاني جذعم
ما زلت ارميهم بثغرة نحره | ولبانه حتى تسربل بالدم
فازورَّ من وقع القنا بلبانه | فشكا اليَّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى | ولكان لو علم الكلام مكلمي

واما استبكاء الحمام والورق وما اشبه من الطيور فقد صار في لغتنا من المبتذلات السواقط

(٢) ان عادة اقامة النُّصُب على قبور الاموات رجالاً ونساءً قديمة جداً كما ترى . راجع النشيد السابق ص : ٨٤٨

وَهِيَ لَدى المَرْكَبَةِ العَجيبَهْ بلا حَراكٍ تَنْدُبُ المُصيبَهْ
والدَّمْعُ من بَين ما آقيها جرى من كَبدٍ حرَّى الى وجهِ الثَّرى
وانبَسطَتْ أَعْرافُها المُخَضَّبَهْ مَسْدُولَةً من فوق عَرْش المَرْكَبَهْ
فَلاَ ساها رقَّ زَفْسُ وانْعَطَفْ وهاجَ رَأْسَهُ على ذاكَ اللَّهَفْ
وقالَ في نَجْواهُ : « أَوَّاهُ لِما بكُمُ حبَونا المَلْكَ فيلا قِدَما
فَهْوَ مَليكٌ لِبَني المَوتِ انْتَمى وَأَنْتُمُ لاهَرَمٌ ولا فَنا
وَيْحَكُمُ أَكانَ ذا في القَدَرِ حتَّى تَمَنَّوا بَشَقاءِ البَشَرِ
إِذ لَيسَ فيما دَبَّ او تنفَّسا أَشقى مِنَ الإِنْسانِ بُؤْساً وأَسى
لـكِنْ مَهٍ فَلَنْ يُرى هكْطُورُ بِكُمْ على مَرْكَبَةٍ يُغيرُ
فَلَنْ أُتيحَنَّ لَهُ هذا كَفى أَنْ تاهَ في دِرْعِ أَخيلَ شَرَفا
وها أَنا في هَوْلِ ذَيَّاكَ اللَّجَبْ مُوليكُمُ قُوَّةَ قَلْبٍ ورُكَبْ
لِتُنْقِذُوا مِن ساحَةِ الهَيْجاءِ سائِقَكُمْ لِلسُّفُنِ الحَدْباءِ
إِذ قَدَّا تَحْتُ الفَتْكَ والتَّنْكيلا لِلْقَومِ حتَّى يَبْلُغوا الأُسْطُولا
حتَّى يُوافِيَ الغُرُوبُ المُؤْنِسُ مِن ثَمَّ يَتْلُوهُ الظَّلامُ الأَقْدَسُ[1]
ونَفَخَ القُوَّةَ فيها فَمَضَتْ وعَن نَواصيها غُباراً نَفَضَتْ
طارَتْ وأَفْطَميذُ مُنْقَضٌّ بِها مِثْلَ العُقابِ البَطَّ في الجَوِّ دَها
لَمْ يَثْنِهِ البَثُّ عَلى الرَّفيقِ عَنْ مَوْقِفِ الطِّرْوادِ والإِغْريقِ

(١) سبق لنا ذكر السبب في تقديس الظلام (ن ١٤ : ٧٥٦)

كرًّا وفرًّا جُرْدُهُ تَطيرُ　　　　وَهوَ على غيرِ هُدىً يَسيرُ
يَهزِمُهمْ وليسَ يُصمي أَحَدا　　　　مُذْ ظَلَّ في كُرسيِّهِ مُنفَرِدا
إِذ لم يكُنْ في حيِّزِ الإِمكانِ　　　　تَدبُّرُ العِنانِ والسِّنانِ (١)
ابصرَهُ الشَّهمُ ابْنُ لايرْقَ فهَبْ　　　　وَمن وَرائهِ على الفورِ انتصبْ
قالَ : « أأَفطُميذُ مَن أغواكا　　　　وأيُّ رَبٍّ سالبٌ هُداكا
دُفِعتَ مفرَدًا بصدرِ الفيلَقِ　　　　آهِ على إِلفكِ فالحَتفَ لَقي
أَوردَهُ الرَّدى ابْنُ فِرْيامَ وظَلْ　　　　يَعتزُّ مُذْ بثوبِ آخيلَ رَفَلْ»
قالَ « أأَلقميذُ مَن في الجُنْدِ　　　　يُثيرُ أو يَكبَحُ جُرْدَ الخُلْدِ
سواكَ من بعدِ الفتى فطرُقْلَ مَنْ　　　　آلَ العُلى حاكى ذكاءً وفِطَنْ
لكنَّما فطرُقلُ أوَّاهِ مضى　　　　يُنفِذُ فيهِ الموتُ أحكامَ القَضا
فَدونَكَ الصُّرُوعَ والسَّوطَ هُنا　　　　حتَّى على الأعداءِ انقضُّ أنا»
فاحتلَّ ألقميذُ بطنَ العرشِ　　　　وأَفطُميذُ انحازَ عنهُ يَمشي
فصاحَ هكطورُ لدى مرآهُ　　　　ذاكَ بأنياسَ الذي حاذاهُ
وقالَ : « يا أنياسُ يا عَضيدي　　　　أنظُرْ فقدْ أبصرتُ من بَعيدِ
مُطهَّمَيْ أخيلَ منقادَينِ　　　　لسائقَينِ في الوَغى غِرَّينِ
فإِنْ تكُنْ أنتَ ظَهيري في الطَّلَبْ　　　　أحرِزْهما غُنْمًا ويا نِعمَ السَّلَبْ

---

(١) لما قتل فطرقل اصبح افطميذ منفردًا في كرسي المركبة فكان يغير بغير هدى على الاعداء فيهزمهم ولا يقتل احداً منهم اذ لم يكن بامكانه ان يكافح ويطارد في آن واحد

فما لسائقيهما من شدَّةِ على لِقائنا ودفعِ الصَّدْمَةِ »
فانْقضَّ آياسُ وما تَرَدَّدا وانْدفعا قِرْمَينِ قد توَقَّدا
بجُنَنٍ فيها على سِبْتِ البَقرْ صفائحُ النُّحاس تبهرُ النَّظَرْ (١)
معَهُما أستطارَ إخْرُوْمِيُّسُ وذُو المَحاسنِ الفَتى إرِيْتُسُ
طرًّا بغَوْا بالفارسينَ شرًّا والعودَ في تلكَ العتاقِ ذُخْرا
ضَلُّوا فما هُمْ قطُّ راجعُونا ما لم يُرِيقوا الدَّمَ خاسرينا
زفْسَ دعا يَضْرعُ أفْطُميذُ فاشْتدَّ ثُمَّ صاحَ : « ألْقميذُ !
« بهذِهِ الجيادِ قُرْبي ظَلَّا بعاتقي أنْفاسُها تَحُلَّا (٢)
فإنَّما هكْطورُ لا يَنفَكُّ ما لَمْ يَنَلِ النَّصرَ ويَسفُكِ الدِّما
ويَدْفَعِ الجِيادَ والجُنُودا يَفُلُّها مُبَدِّدًا مُبِيدا
او إنَّنا في صَدْرِ جيشِ النُّبَلا نَظْفَرُ فيهِ خاسرًا مُذَلَّلا »
مِنْ ثَمَّ صاحَ : « يا أياسُ الأكْبَرا وَيا مَنيلا يا أياسُ الأصْغَرا
عَن جثَّةِ القَتيلِ عِبْءِ الصَّدِّ ألْقُوا بهِ لِخَيرِ بُهْمِ الجُنْدِ
وأدْرِكُونا نَحنُ حيَّانِ وقَدْ بَرَّزَ هكْطورُ وأنْياسُ وَفَدْ
بصَفْوَةِ الطُّرْوادِ طرًّا أقْبَلُوا ونَحوَنا كُلَّ قُواهُمْ حوَّلُوا

---

(١) الجنن التروس والسبت الجلد المصنوع

(٢) يقول لا تبعد عني بالجياد بل سر دائماً على مقربة مني حتى اشعر بنفسها على عاتقي

لٰـكنَّني أُبْلي ولا أُبالي　　على وَلاءِ زَفْسٍ اتِّـكالي »[1]
رَمى ورُمْحُهُ مضى يَغُـلُّ　　وفي حَشا إِريتُسٍ يحُـلُّ
ما صدَّهُ المِجَنُّ بَلْ منهُ مَرَقْ　　إِلى نِجادِهِ وأَحْشاهُ اخْتَرَقْ
فَهَبَّ هبَّـةً ومن ثَمَّ انْحَرَفْ　　مُسْلَنْقِياً والنَّصْلُ مُرْتَجّاً وقَفْ
كأَنَّمـا ذُو شِـدَّةٍ وبَأْسِ　　قابَلَ ثَوراً بشَحِيذِ الفَأْسِ
من مَنْبتِ القَرْنَينِ بَتَّ العِرْقا　　فهَبَّ ثُمَّ خَرَّ ثُمَّ اسْلَنْقى
فَخفَّ هكْطُورُ وَفوراً طَعَنا　　لٰـكِنَّ افْطُميذَ في الحالِ انْحَنى
فَذَهبَ السِّنانُ من فوْقِ الكَتِفْ مُرْتكِزاً في الأَرْضِ عُنْفاً يرْتجِفْ
وأَوشَكَ القَرْمانِ يَصْطَكَّانِ　　بالسَّيْفِ دُونَ الرُّمْحِ والسِّنانِ
لَولا الأياسانِ اللَّذانِ اندَفعا　　لِرَفْدِ أَفْطُميذَ لَمَّا سَمِعا
فارْتاعَ هكْطُورُ وصاحِباهُ　　وانْقَلبا والْميتَ غادَراهُ
مُنْطَرِحاً مُمزَّقَ الأَحْشاءِ　　فَهَبَّ أَفْطُميذُ كالأَنْواءِ
وجرَّدَ العُدَّةَ عنهُ وابْتَدَرْ يَصيحُ: «عن قلبي انْجَلى بعضُ الكَدَرْ
وإِن يَكُنْ فَطْرُقْلُ لا يُقاسُ　　بذا الفَتى ولَو بَلاهُ البَاسُ»
وَوَضَعَ العُدَّةَ فَوقَ العَجلَهْ　　ثُمَّ اعْتَلى مُنْتَصِباً بالعَجَلَهْ
مُخضَّبَ اليَدَينِ والرِّجْلَينِ　　كاللَّيثِ ثَوراً رَضَّ بالكَفَّيْنِ

---

(١) حيثما نظرنا الى الالياذة رأينا فيها الادلة الساطعة على خالص الاعتقاد بالقضاء والقدر ووجوب التسليم الى الغاية على حد قول المعرّي :

سلم الى الله فكل الذي　　ساءَك اوسرَّك من عندهِ

هُناكَ عَجَّ حولَ فطرُقلَ الوحى | يُثيرُ خطباً فادحاً مبرّحاً
وانحدرَتْ فالاسُ من أعلى السما | بأمرِ زفسَ لإراقةِ الدِّما
أنفذها لتنصرَ الأخاءَ | إذ شاءَ أنْ يُبدّلَ القضاءَ
وسطَ سحابةٍ منَ البرفيرِ | حلّتْ على شأنٍ لها خطيرِ
كأنَّ في قلبِ السَّما قوسَ قزحْ | ألقاهُ زفسُ منبئاً بما سمحْ (١)
يُنذِرُ بالحربِ وقرِّ العامِ | وأزمةِ الحارثِ والسَّوامِ (٢)
فانخرطتْ بينهمُ في السُّحبِ | تحثُّهم منْ طيِّ تلكَ الحُجُبِ
ثمَّ حكتْ فينكسَ شيخاً أكملا تخاطبُ الشَّهمَ منيلا أوّلا :
« ألعارُ والشَّنارُ أنْ تمزّقا | غضفُ العدى خلَّ أخيلَ الأصدقا
قمْ لا يزعزعكَ هزيعُ الحربِ | وصلْ مثيراً بأسَ كلِّ الشَّعبِ »
قالَ: « أجلْ يا أبتا الشَّيخَ ألا | ليتَ أثينا عضدي في ذا البلا
حتّى تبينَ وابلَ النِّبالِ | عنّي ففطرقلَ أقي في الحالِ
فإنَّ موتَهُ فؤادي فطرا | لكنَّما هكطورُ كالنّارِ انبرى
ولمْ يزلْ يُعمِلُ باري الحدِّ | لأنَّ زفسَ خصّهُ بالمجدِ »
فطربتْ إذ ذاكَ ممّا وجّها | دُعاءَهُ قبلَ بني الخُلدِ لها
فشدّدتْ بالحزمِ منكبيهِ | وصلّبتْ بالعزمِ رُكبتيهِ

(١) قوس قزح هنا نذير سوء لا بشير خير كما جاء في التوراة

(٢) القر اشتداد البرد والسوام الدواب والانعام

وحامَ حولَ الميتِ حيثُ انبعثا كأنَّهُ الذبابُ غرثاناً عثا[1]
يدفعهُ المرءُ فلا يظلُّ يمتصُّ من دمٍ لديهِ يحلُو
كذا امنيلا الدمَ بالبأسِ سفَكْ بنصلِ رمحٍ حيثُما حلَّ فتكْ
وكانَ في الطرْوادِ علجٌ يسعى بفودِسَ بنِ إيتيونَ يُدعى
ذُو دولةٍ وصولةٍ يُجلُّهُ هكطورُ وهوَ ضيفُهُ وخِلُّهُ
لم يرعَ مثلَهُ فتىً فذاكا أوردَهُ أتريذُ الهلاكا[2]
وَلَّى فغاصَ النصلُ في نِجادِهِ لجوفهِ يمرُقُ من فؤادِهِ
فخرَّ والعُدَّةُ صلَّتْ وعدا يجترُّهُ أتريذُ من بينِ العدى
فجاءَ آفلونُ هكطورَ على شكلِ ابنِ آسيوسَ فينفسِ العُلا
مِنْ صرحِ آميذُوسةٍ قديما ضيفاً لهكطورَ أتى كريما[3]
فقالَ: «مَنْ هكطورُ يخشاكَ إذا حاذرتَ من سطوةِ أتريذَ الأذى
ما إن عهدتُ البأسَ فيهِ قبلا وهوَ تراهُ قد جرى وأبلى
واجترَّ من بينِ سراكمْ مفردا جثةَ فودسَ الذي أولى الردى»
غشَّى ابنَ فريامَ غمامُ الغمِّ فانقضَّ يجري بالسلاحِ الجمِّ
إذ ذاكَ زفسُ هزَّ للإرهابِ مجنَّهُ الباهرَ ذا الهدَّابِ

---

(١) الغرثان الجائع وعثا أفسد

(٢) لعل الاتيان بفودس هنا ومقتله مقصودان من الشاعر بازاء قدوم فطرقل ومقتله لان هذا خليل اخيل بطل الاغريق وذاك خليل هطكور بطل الطرواد

(٣) اي اسيوس الذي تمثل افلون بهيأته

فَغَشِيَتْ إِيذَةَ دُهْمُ السُّحُبِ   بالبَرْقِ والرَّعْدِ المَخُوفِ المُرْهِبِ
يُشِيرُ لِلطُّرْوادِ بالغَنِيمَةْ   ولِبَنِي الإِغْرِيقِ بالهَزِيمَةْ
وَلَّى فَنِيلاسُ البِيُوتِي أَوَّلا   مُذْ كانَ في صَدْرِ السُّرى مُسْتَقْبِلا
فَزَجَّهُ فُولِيدَماسُ الباسِلُ   فَشُقَّ حتَّى العَظْمِ منهُ الكاهِلُ
وأَنْقَضَّ هَكْطورُ ولِيطُوسَ ضَرَبْ   بِقَبْضَةِ الكَفِّ فَوَلَّى وهَرَبْ
مُلْتَفِتاً مِنْ كُلِّ صَوبٍ يَئِسا   مِنْ مُلْتَقَى العِدى بِزَنْدٍ يَبِسا
في إِثْرِهِ هَكْطُورُ كالبَرقِ رَكَضْ   لٰكِنَّ إِيذُومِينَ في الحالِ اعْتَرَضْ
بِطَعْنَةٍ بالثَّدْيِ كادَتْ تَنْشَبُ   لٰكِنْ بِبَطْنِ الدِّرْعِ قُضَّ الثَّعْلَبُ
فَصاحَتِ الطُّرْوادُ والمَطْعُونُ   زَجَّ فَما أُصِيبَ إِيذُومِينُ
قد كانَ واقِفاً على مَرْكَبَتِهْ   فَمالَ والنَّصْلُ مَضَى بِشِدَّتِهْ
الى فَتَى مِرْيُونَ قِيرانُوسا   تابِعِهِ الأَمِينِ مِن لِقْطُوسا
كانَ إِذُومِينُ مِنَ الخِيامِ   قد جاءَ عادِياً على الأَقْدامِ
وأَوشَكَ الطُّرْوادُ يُحْرِزُونا   بِمَوتِهِ نَصْراً لَهُمْ مُبِينا
لٰكِنَّ قِيرانُوسَ وافى بالعَجَلْ   إِلَيهِ فَامْتَطى على خَيرِ العَجَلْ
مِنَ العِدى أَنْجاهُ لٰكِنْ ما نَجا   ونَصلُ هَكْطُورَ بِفِيهِ وَلَجا
في الفَكِّ تَحْتَ الأُذْنِ والأَسنانا   سَحَّقَ ثُمَّ اسْتَأْصَلَ اللِّسانا
فَخَرَّ والعِنانُ مِن يَدَيهِ   أَهْوَى فَمِرْيُونُ انْحَنى عَلَيهِ
تَناوَلَ الصِّرْعَ وإِيذُومِينا   دَعا: «أَلا سُطْ واطْلُبِ السَّفِينا»(١)

(١) الصرع العنان

أَما رأَيْتَ النَّصْرَ عنَّا وَلَّى — فَما إِلَيْهِ مِنْ سَبيلٍ أَصْلا »
فَخَفَّ نَحْوَ الفُلْكِ بِالجِيادِ — مُرْتَعِدًا مُنْخَلِعَ الفُؤَادِ
رأَى مَنيـلا وأَياسُ حالا — أَنَّ العدى زَفْسُ إِلَيْهِمْ مالا
وقد حَباهُمْ بِبَتاتِ النَّصْرِ — فصاحَ آياسُ بِضيقِ الصَّدرِ :
« ذُو العلمِ وَيلاوالجَهُولُ أَبْصَرا — زَفْسَ أُجْتُبِي اليومَ العدى ونَصَرا
فَكُلُّ سَهمٍ مِنْهُمْ طارَ قَتَلْ — سِيَّانِ إِنْ رَماهُ نَكْسٌ أَو بَطَلْ
فَإِنَّمـا زَفْسُ هُوَ المُصَوِّبْ — وسَهمُنا يَطيشُ حيثُ يَذْهَبْ[1]
فَلْنَفْكِرَنَّ الآنَ مَهما كانا — بِرَدِّ فَطْـرُقْلَ الى حِمانا
لَعَلَّ جُنْدَنا تَسُرُّ طَرَبا — بِعَودِنا فيهِ وإِنْ ساءَ النَّبا
هَدَّهُمُ لا شَكَّ فَرطُ الحَزَنِ — لِما رَأَوا مِن هَوْلِ هٰذي المِحَنِ
فَما يَخالُونَ بِنا مِنْ شِدَّةِ — لِصَدِّ هَكْطُورَ بِهٰذي الشِّدَّةِ
بَلْ حَسِبُوهُ لَنْ يَكُفَّ حَتَّى — يَعْلُو الخَلايا والسُّرى يَبْتَتّا
آهًا أَلا نَلْقَى لَنا رَسُـولا — يَطيرُ بالأَنْباءِ لِأَبْنِ فِيلا
ظَنِّي بِهِ لا زالَ يَجْهَلُ الخَبَرْ — بِقَتْلِ إِلْفٍ وَدَّ مِن فوقِ البَشَرْ
أَوَّاهُ لٰـكِنْ كَيفَ بِالوُصُولِ — فَما إِلى الرَّسُولِ مِن سَبيلِ
فَحُجُبُ الظَّلامِ بِانْسِدالِ — على السُّرى والخَيلِ والعِجالِ

(١) قال البحتري :

متوقد يفري بأول ضربة — ما ادركت ولو أنها في يذبل
واذا اصاب فكل شيءٍ مقتلٌ — واذا اصيب فما لهُ من مقتل

يازَفْسُ أَيُّها الإِلاهُ الأَكْبَرُ أَنِرْ على الإِغْرِيقِ حتَّى يُبْصِرُوا
مِنْ جَوِّكَ أُمْحُقْ حِنْدِسَ الدَّيْجُورِ ثُمَّ أُمْحُهُمْ إِنْ شِئْتَ وَسْطَ النُّورِ»[1]
فَرَقَّ للدُّمُوعِ زَفْسُ وأُنْصَدَعْ وبَدَّدَ الضَّبابَ والغَيْمَ قَشَعْ
وسَطَعَتْ في ساحَةِ الكِفاحِ شَمْسُ العُلى بِنُورِها الوَضَّاحِ
فَصاحَ آياسُ : « مَنِيلا هَيَّا عَلَّكَ أَنْطِيلُوخَ تَلْقى حَيَّا
فَقُلْ لَهُ بِالخَبَرِ المَشْؤُومِ يَمْضِي الى أَخِيلِ الغَشُومِ »[2]
لَبَّى مَنِيلا ومَضى كالضَّاري أُجْلِيَ عن حَظائِرِ الأَبْقارِ
صَدَّتْهُ غُضْفٌ ورُعاةٌ ظَلَّتْ تَرْصُدُهُ اللَّيلَ وَما تَخَلَّتْ
وَلَمْ تُبِحْ لَهُ سَمِينُ الشَّحْمِ فَصَدَّ غَرْثاناً لِذاكَ اللَّحْمِ
تَهْمِي عليهِ في الظَّلامِ الدَّامِسِ شُهْبُ القَنا ولَهَبُ المَقابِسِ
لَمْ يُجْدِهِ البَأْسُ وقَبلَ الفَجْرِ مُمْتَعِضاً وَلَّى بِكَيدِ النَّحْرِ
كَذاكَ فَطْرُقْلَ مَنِيلا كُرْها غادَرَ يَخْشى وَقْعَ خَطْبٍ أَدْهى
يَخْشى إِذا الإِغْرِيقَ هَدَّ الجَزَعُ وَلَّوا وفي أَيْدِي العُداةِ يَقَعُ

(١) لما كان الجو قد اربد واكفهر بما كثف زفس فيه من الضباب وتصاعد من الغبار المتكاثف كالسحاب سُدت سبل البطش في اوجه الابطال فقال اياس في دعائه هذا القول البديع اذ لم يلتمس نجاةً لنفسه ولقومه ولا عوناً علوياً يستمده من زفس بل جل ما رام وتمنى ان تنقشع السحب فيتسع له المجال للكفاح ولاحرج عليه بعد ذلك اذا مات قتيلاً وهو يجاهد ويطارد

(٢) الغشوم الظالم — وقع اختيار اياس على انطلوخ بن نسطور لكونه صديقاً حميماً لاخيل

فَصاحَ : « يا أَياسُ يامِرْيُونُ يا زُعماءَ الجَيشِ لاتَبِينُوا
وأذكُرُوا أخلاقَ فطرُقْلَ وَكَمْ برقةِ الجانبِ لِلْكُلِّ أتسمْ
واويحهُ كم منْ يدٍ بيضاءِ لَهُ قُبيلَ الحتفِ بالقَضاءِ »
ثُمَّ انبرى مستشرفاً حيثُ جرى كالنسرِ أحذقِ الطيورِ بصرا
ذاكَ الذي مِنْ قلةِ السَّحابِ أبصَرَ خِرْنِقاً بوعرِ الغابِ[1]
وَمِن عُبابِ الجوّ كالبرقِ انحدرْ وانشبَ المنسرَ في لمحِ البصرْ
كذا منيلا لحظك النقادا سرحتَ ما بينَ السَّرى ارتيادا
عَلَّ ابنَ نسطورَ لديكَ يَبْدُو حيّاً فتجري نحوهُ وتَعْدُو
إذا بهِ مَيسَرَةَ الأجنادِ يستنهضُ الهماتِ للجهادِ
فخفّ نحوهُ وصاحَ : « ادنُ ترى يا انطلوخُ الصادعَ المفطرا
خطبٌ بنا يا ليتهُ ما حلا جلّ وظنّي بكَ تدري جلا
تدري لنا أعدّ زفسُ العارا وانحاز عنّا للعدى انتصارا
فطرقلُ ذياكَ الهمامُ الأروعُ ميتٌ وهدَّ القومَ منهُ المصرعُ
طِرْ لأخيلَ عاهُ في حسرتهِ ينهضُ في طلابِ عاري جثتهِ
قلْ سوفَ يلقى جسمهُ مجرّدا لأنَّ هكطورَ استباحَ العُدَدا »
أصاخَ انطلوخُ واقشعرّا وظلَّ صامتاً يطيلُ الفكرا
فناضَ دمعهُ وقلبهُ انخلعْ وصوتهُ الهدّارُ في الحالِ انقطعْ[2]

---

(١) الخرنق ولد الارنب

(٢) لاوصف ابلغ للحزن من هذا الوصف الوجيز: اقشعرارٌ وصمتٌ وفكرة

لٰكِنَّهُ أَبَى مَنيلا وَهرَعْ | من بَعدِما سِلاحَهُ حالاً نزَعْ
أَلْقَى بهِ للوُذُقَ الجَوادِ | ظَهِيرِهِ وسائِقِ الجيادِ
وغادَرَ العَسْكرَ والدَّمعُ هَمى | بِنَبَاءٍ جَلَّ وخَطْبٍ دَهَما .
أَبْعَدْتَ أَنْطِلُوخَ يا مَنيلا | ولم تُقِمْ مَقامَهُ بَدِيلا
ساءَ بَني فِيلُوسَ أَن قد نَزَحا | عَنهُمْ وجُهْدُ العَيِّ فيهم بَرَّحا
أَمَّرَ فيهِمْ تَرْسِميذَ المُجْتَبَى | وَنَحْوَ فَطْرُقْلَ عدا مُنْقَلِبا
ولم يَقِفْ حتَّى الأَياسَينِ أَتَى | فقالَ : « قد أَنفَذْتُ لِلفُلْكِ فَتَى
أَنْفَذْتُ أَنْطِلُوخَ بالأَنْباءِ | الى أَخيلَ المُسْتَبِدِّ النَّاءِي
لٰكِنْ على هِكْطُورَ مَهْما اشْتَعَلا | غِلاًّ فَهَلْ نَراهُ يَبْلَى أَعْزَلا
إِذًا عَلَيْنا عِهْدَةُ التَّبَصُّرِ | بِحَمْلِ فَطْرُقْلَ إِلى المُعَسْكَرِ
والعَودِ عن مُشْتَجَرِ السُّيُوفِ | تَمَلُّصاً من داهِمِ الحُتُوفِ »
قالَ أَياسُ بْنُ تِلامُونَ : « أَجَلْ | بِمِثْلِ هذا القَولِ مَن قالَ عَقَلْ
أَنتَ ومِرْيُونُ احْمِلا الفَقيدا | وانْدَفِعا عَنَّا بهِ بَعِيدا
خَلْفَكُما نُقارِعُ الأَعادي | صَدًّا لِهِكْطُورَ ولِلطُّرْوادِ
إِنِّي وآياسُ الفَتَى قِرْنانِ | بالبَأْسِ واسْماً مُتَشابِهانِ
فَكَمْ كَبَحْنا قَبلُ عِلْجاً أَرْوَعا | وَكَمْ تَحالَفْنا على الكَرِّ مَعا »
وما انْتَهى حتَّى سَرِيعاً عَمَدا | ورَفَعا الجُثَّةَ ثُمَّ ابْتَعَدا
فَضَجَّتِ الطُّرْوادُ ثُمَّ انْدَفَعتْ | كالغُضُفِ دُونَ فِتْيَةِ الصَّيدِ سَعَتْ

ودمعٌ وانخلاع قلب وانقطاع صوت

تَعَقَّبَتْ رُتَّاً جَرِيحاً طَمِعَتْ   فِيهِ فَمَالَ نَحوَها فَجَزِعَتْ
وانْهَزَمَتْ يَدفَعُ بَعْضٌ بَعضا   كَعَسكَرِ الطُّرْوادِ لَمَّا انْقَضَّا
تَأَثَّرُوا الإِغْرِيقَ بالمَغَاوِلِ   نَفْحاً وَوَخْزاً بِظُبى العَوَامِلِ[1]
حَتَّى إِذا ضاقَ المَجَالُ انْعَطَفا   كِلا الأَياسَينِ لَهُمْ وَوَقَفا
فامْتُقِعُوا لَوناً وخارُوا ووَهَوا   وجُمْلَةً عن طَابِ الشَّلْوِ سَهَوا
وذانِكَ القَرْمانِ نَحوَ الفُلْكِ   خَفَّا بِهِ فَثَارَ نَقْعُ الفَتْكِ
كالنَّارِ شَبَّتْ تَحتَ قَصْفِ الرِّيحِ   في بَلَدٍ جَمِّ الذُّرى فَسِيحِ
فَالْتَهَمَتْ مَنازِلَ السُّكَّانِ   وهَدَرَ النَّوءُ على المَبَاني



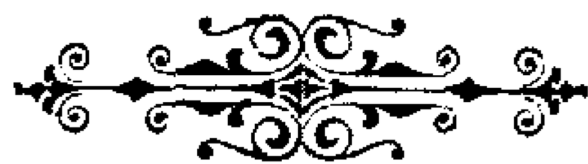
اياس الكبير يحمل فطرقل
ليدفعه الى منيلاوس ومريون

(١) المغاول السيوف وظبى العوامل نصال الرماح

ذاكَ عجُّ الجيشِ والخُيُولِ خلفَهُما في طَلَبِ الأُسطُولِ
ولبثا بالشلوِ يجْريانِ كما منَ الشمِّ جرى بغلانِ
جدًّا بجذعٍ حملا متينِ أُعدَّ فوقَ الغابِ للسفينِ
توغَّلا بشدَّةٍ في الوعْرِ بعرَقٍ في الجُهْدِ رشحاً يجري
أمَّا الأَياسانِ فمنْ خلفهما قد حكيا في بطنِ وادٍ علما (١)
في وجهِ مجرى النَّهرِ جبَّارًا يقفْ فصاغرًا عنهُ سريعاً ينعطفْ
كذا الأَياسانِ بوجْهِ الفرَقِ صدًّا سرايا جيشِها المنْدفقِ
لـكنَّما الطُّروادُ ظلُّوا في العقبْ أَنياسُ يغْريهم وهكْطورُ يثِبْ
قرْمانِ ضجَّتْ لهُما الجُيُوشُ وانْهزمتْ بالرُّعْبِ تستجيشُ
حكَوا سحابةً منَ الزَّرازرِ ولَّتْ لدى منظرِ صقرٍ كاسرِ
رأَتْ بهِ موتاً لها زُؤَاما فانْهزمتْ من وجهِهِ انْهزاما
كذلكَ الإغريقُ في كشفتها مذعورةً ولَّتْ على ذِلَّتِها
وغادرتْ في الحافِ والحفيرِ ما انْهالَ مِن سلاحِها الكثيرِ
وليسَ هذا منْتهى القتالِ وعبثِ الأَزْمةِ والوبالِ (٢)

(١) العلم هنا الجبل

(٢) ان التشابيه الشائقة متلازَّة متزاحمة في آخر هذا النشيد تزاحم الفرسان في حومة الميدان • وحسب المطالع ان يعيد النظر عليها فيرى بدائع التراكيب وغرائب الاساليب قد تطايرت من قريحة الشاعر بابياتٍ قصار تطاير النبال عن سواعد الابطال



النشيد الثامن عشر

تفجع اخيل على فطرقل ووصف الترس الذي صنعه له الاه النار

مجمله

جرى انطيلوخ الى اخيل فأنبأه بموت فطرقل فبكى اخيل وانتحب وأخذ منه الحزن كل مأخذ . فسمعت امه ثيتيس انينه وهي في لجة البحر فصعدت اليه مع بنات الماء فأخذت تصبره وهو لا يتصبر ولا يرى الا الانتقام لرفيقه وحبيبه . وكان فطرقل قد ذهب بسلاح اخيل فبقي اعزل لاقبَل له بالتقاء الاعداء على تلك الحال . فثبطته امه ريثما تحضر له شكةً في اليوم التالي من صنع الاه النار . فصرفت زميلاتها وصعدت الى الاولمب فتلاحم الجيشان حول جثة القتيل وكاد هكطور يظفر بها لولم تأتِ ايريس من قبل هيرا وتأمر اخيل بالاقبال من بعيد على الطرواد . فأقبل الى حافة الخندق وصاح ثلاث صيحات فارتاع الطرواد وانهزموا وخلا الاغريق بجثة فطرقل واتوا بها قبيل المغرب الى خيمة اخيل . وعقد الطرواد مجلسهم فأشار فوليداماس بالتحصن في المدينة فأبى هكطور الا البقاء خارجها . فقضوا ليلتهم متيقظين والاغريق واخيل يندبون فطرقل فغسلوه وطيبوه . وأما ثيتيس فدخلت صرح الاه النار فرحبت بها زوجته ثم اتاها بنفسه فبثت له شكواها والتمست سلاحاً لابنها فدخل معمله واصطنع الترس العجيب والدرع والخوذة والخفين والقى بهن اليها « فاندفعت بها اندفاع الصقرِ »

وقائع هذا النشيد في اليوم التاسع والعشرين وليلة الثلاثين ومجرى حوادثه في مضارب اخيل وفي منزل الاه النار

النشيد الثامن عشر

صدامُهُمْ كأُوارِ النَّارِ مُحْتَدِمُ ... وأَنْطلُوخُ بهِ قَدْ خفَّتِ القَدَمُ
أَلفى أَخيلَ لَدى الأُسْطُولِ يَخْبِطُ في ... بُحْرانِهِ قَلِقاً مِمَّا بَدا لَهُمُ (١)
يئِنُّ وَهْوَ يُناجي النَّفْسَ مُضْطَرِباً: ... «وَيْلاهُ لامَ أَرى الأَرْغُوسَةَ انْهَزَموا
وَلَّوا عَبادِيدَ نَحْوَ الفُلْكِ شارِدَةً ... هَلْ جلَّ خَطْبٌ بهِ الأَرْبابُ قد حَكَمُوا (٢)
خَطْبٌ بهِ أَوعزَتْ ثِيتِيسُ قائلَةً: ... «بُهْمُ الْمَرامِدِ يَلقى الحَتْفَ خَيْرُهُمُ (٣)
«يَغيبُ عنهُ ضياءُ الشَّمسِ فاتِكَةً ... بهِ الأَعادي وحَيٌّ أَنتَ عندَهُمُ»
لا شكَّ فَطْرُقْلُ أَودى وَيحَهُ أَفَلَمْ ... أَقُلْ لهُ دُونكَ النِّيرانُ تَضْطَرِمُ
أَخْمِدْ شِرارَتَها وارْتَدَّ مُجْتَنِباً ... هَكْطورَ لا تَنْخَرِطْ إِيَّاكَ وَسْطَهُمُ»
تِلْكَ الهَواجِسُ هاجَتْ بَثَّهُ فإِذا ... بأَنْطلُوخَ بَدا والدَّمْعُ يَنْسَجِمُ
قالَ: «ابْنَ فِيلا مُصابٌ قد دُهِمْنا بهِ ... يا حَبَّذا لو بَنُو العَلْياءِ ما دَهِمُوا
فَطْرُقْلُ مُلْقًى وهَكْطُورٌ بِشِكَّتِهِ ... والجِسْمُ عارٍ عَلَيهِ النَّقْعُ مُلْتَحِمُ» (٤)

---

(١) الاسطول بمعنى الطائفة من السفن معرّب Στόλος (ستوْلُس) باليونانية
(٢) عباديد اى شراذم ذاهبين في كل وجه
(٣) البهم الابطال ج بهمة
(٤) يتخذ الافرنج هذين البيتين مثالاً لبلاغة الايجاز ودقة التعبير فان انطلوخ أنبأ أخيل بمقتل فطرقل وذكر اسم القاتل وفوزه بسلاح اخيل وتجريد جثة القتيل والتحام الحرب من حولها . ذلك كله ببيت واحد وطأ له ببيت آخر هيأه فيه لسماع ذلك الخطب الجلل ونبهه الى ان ذلك انما كان بمشيئة لا مردّ لقضائها فكأنه قال له فوق هذا بوجوب التأسي والاذعان

فما أنتهى أنطلوخ من مقالته ... حتى محيا أخيل غشت الغمم (١)
وفوق طلعته الغرا وهامته ... براحتيه سناجاً ذر يلتطم (٢)

يتمثل اليونان بهذين البيتين كما يتمثل اللاتين بقول يوليوس قيصر Veni, vidi, vici. ومعناها اتيت فرأيت فظفرت وهي كلمات ثلث كتبها الى مجلس الشيوخ برومية عندما حمل فائزاً من مصر على بلاد مثريداتس في اسيا فاكتسحها

وعندنا في العربيــة امثلة كثيرة لجمع المفاد الطويل بالكلام القليــل كقول امرىء القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل بشطر واحد

وقول بعضهم:

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا ... فسام صـبراً فاعيي نيله فقضى

فجمع الغرام من النظرة الى الحسرة الى الصبر الى القبر

وقول شوقي الشاعر العصري:

نظرة فابتسامة فسلامٌ ... فكلام فموعـد فلقاء

والايجاز في محله كالاطناب في محله منتهى البلاغة فالموقف موقف سرعة واهتمام لا موقف بحث وكلام كما مر بنا في النشيد التاسع اذ أوفد الوفود الى أخيل واخذوا يتجاذبون اطراف الحديث يقضون به ليلتهــم والحرب خامدة والاعــين هاجدة بظلام الليل

ثم ان في بلاغ انطلوخ نكتة أخرى قلّ من ينتبه اليها وهي انه اخبر اخيل بمقتل حبيبه فطرقل بعبارة لا تثقل على السمع فقال « هكطور ملقى » ولم يقل ميت او قتيل كقوله في سائر المواضع

(١) الغمم جمع غمة اي الاكدار

(٢) السناج ما يعلق على الحائط من أثر الدخان . وفي الاصل « ذرّ رماداً اسود » ولعلنا اصبنا بقولنا السناج

كان القدماء من امم الشرق يذرّون الرماد على رؤوسهم عند حلول المصائب

فاسودَّ منهُ محيّاهُ وقد علقتْ بطيبِ أثوابهِ آثارهُ السُّحُمُ (١)
أكبَّ يشغلُ ميداناً بقامتهِ تمرُّغاً وهوَ زاهي الشعرِ يصطلمُ (٢)
وحولهُ انطلقتْ تبكي مولولةً تلكَ السبايا التي غصَّتْ بها الخيمُ (٣)
غيدٌ أخيلُ وفطرُقلُ بيأسهما قد أحرزا سلماً يا حبَّذا السَّلمُ (٤)
لطمنَ بضَّ صدورٍ والتوينَ أسىً فسحَّ من انطلوخَ المدمعُ الرَّذِمُ (٥)
ذراعيهِ أمسكَ حتى لا يثورَ أسىً ونحرهُ يلجُ الصَّمصامةُ الخذمُ (٦)

ويتمرغون على التراب ويجلسون على المزابل • وسيرد ذكر ذلك ببيان أجلى في النشيد الثاني والعشرين

(١) السحم السود ج اسحم ــ تقدم ذكر الطيب (ن ١٤ : ص : ٧٤٧)

(٢) ليس في الالياذة كلها ما يفيد ان اخيل كان جباراً عظيم الجثة كعمالقتنا وعليه فلا ارى بقوله هنا « يشغل ميداناً بقامته » الا اشارة بغلوٍ للفسحة التي كان يتمرغ عليها

(٣) قالوا في سبب ولولة السبايا انهن فعلن ذلك اما حزناً على فطرقل لانه كان يعاملهن بالتؤدة والرفق لما عرف به من الدعة والحنان واما لانهن انتهزنها فرصة لندب حالهنّ وهن في ربقة الاسر • قلت والاولى ان يقال انهن انما فعلن ذلك جرياً على العادة المألوفة في ذلك الزمان من ندب الميت والولولة عليه على ما هو جارٍ في زماننا في مصر وغيرها من بلاد الشرق حتى لقد تستأجر النادبات فينحن ويولولن وهن لا يعرفن الميت وليس بهن عاطفة حنان عليه • وسنرى ذلك باكثر ايضاح في النشيد الاخير بمأتم هكطور

(٤) السلم الاسر والاسير

(٥) الرذم السيال

(٦) الصمصامة الخذم السيف القاطع • اي ان انطلوخ أمسك بذراعي اخيل لئلا يولج اخيل سيفه بنحره فيقتل نفسه من شدة الحزن

فَأَنَّ عن أَلَمٍ من ضَيْمِهِ فَمَضى ... حتَّى لثيتيس ذاكَ الضَّيْمُ والأَلَمُ (١)
فصعَّدَتْ من عُبابِ البحرِ زَفْرَتها ... حيثُ اُستَقَرَّ أبوها نيرُسُ الهرِمُ (٢)
وحولها ثَمَّ في الأعماقِ قائمةً ... في اليَمِّ كُلُّ بناتِ اليَمِّ تلتئِمُ
غلَوْكَة قيمذُوكا ثاليا وثُوا ... وآليا من بعَيْنِ الحورِ تتَّسِمُ
صَفِيَّة نِيسيا أكْتا قِموثُوة ... لِمُنُورة ذُورسٌ فانُوبُ أمفُنمُ
أمفيثُوا ذِيْنَمينا ذِكْسمِينا دُتُو ... غلاطِيا الحُسْنِ من شاعت لها الشِّيَمُ
وحولها يارِيا مِيليتُ آغِيا ... فيرُوزُ قليانِرا إفرُوطُ تزدحِمُ
وأفسُذِيسُ نميرِتيسُ قلينَسا ... أماثِيا من بشَعْرٍ زانها وَسَمُوا
يَاناسُ يا نيرُ إقلِيمِينُ أُورِثيا ... مايِيرُ والكلُّ ضِمْنَ الكهْفِ ينتظِمُ (٣)
كهفٌ لها أبيضٌ حسناً فأرْتكمنَ بهِ ... وفيهِ كُلُّ بناتِ البحرِ ترْتكِمُ

(١) لما كانت ثيتيس والدة اخيل من بنات البحر وهن كما علمت من زمرة الآلهة لم يكن بالعسير عليها ان تسمع انين ابنها وهي في قعر البحر

(٢) نيرس هو الماء ثم مُثّل شخصاً فجعل رب الماء او ملك الماء — قلما تخلو اساطير امة من قوم يأوون الى قاع البحار ويساكنون اسماكها ونينانها وعندنا في الف ليلة وليلة من اخبار السمندل ملك البحر وقومه ما يربو على اقاصيص نيرس وبناته


بنت الماء

(٣) يمثلون بنات اليم ممتطيات ركوبة يسمونها فرس البحر يرسمونه بصور مختلفة والغالب اما ان يجعلوه بوجه انسان او يصوروه كما ترى في الرسم

وَلْوَلْنَ وَلْوَلَةً ثُمَّ ٱلْتَطَمْنَ معاً وَوَلْوَلَتْ عَن فُؤَادٍ كَادَ يَنْفَصِمُ
صاحت: «أُخَيَّاتِ سَمْعاً وا نْتَبِهْنَ اذا لِنِقْمَةٍ قد عَرَتْني دُوْنَهَا النِّقَمُ
وَيْلاهُ وَيْلاهُ مِن أُمٍّ لِقَرْمٍ وَغًى عَن شأْوِهِ قَصَّرَ الأَبْطالُ كُلُّهُمُ
أَنْشَأْتُهُ مِثلَ غُصْنٍ طابَ مَنْبِتُهُ في رَوضَةٍ فإِذا بالسَّادَةِ اخْتَصَمُوا [1]
بالفُلْكِ أَنْفَذْتُهُ للحَرْبِ واحَرَبا والآنَ مَوْطِنُ فيلا دُوْنَهُ حَرَمُ [2]
ما زالَ حيًّا عَلَيهِ الشَّمْسُ ساطعَةٌ وفي حُشاشَتِهِ من ضَيْمِهِ ضَرَمُ
لا أَسْتَطِيعُ لَهُ عَوْناً وها أَنَذا فَوْراً لِرُؤْيَتِهِ ذا الحِينَ أَغْتَنِمُ
أَرَى الحَبِيبَ فأَدْرِي ما أَلَمَّ بِهِ من مِحْنَةٍ وَهْوَ عن قَرْعِ القَنَاوَجِمُ»
وغادَرَتْ كَهْفَهَا يَصْحَبْنَها وغَدا أَمامَهُنَّ عُبابُ البحرِ يَنْقَسِمُ
حتَّى إِذا ما بلَغْنَ السَّهْلَ سِرْنَ إِلى حَيثُ المَرامِدُ تِلكَ الفُلْكَ قد نَظَمُوا
وحَيثُ حَوْلَيهِ قد أَرْسَوْا عِمارَتَهُمْ فأُسْمِعَتْ زَفَراتٍ هاجَها السَّأَمُ
دَنَتْ وأَنَّتْ وضَمَّتْ رَأْسَهُ لَهَفاً وكَلَّمَتْهُ تُجارِي دَمعَها الكَلِمُ [3]:
«بُنَيَّ ماذا الأَسى ما الدَّمْعُ تَذْرِفُهُ بُحْ لي فَبَثُّكَ عَنِّي لَيسَ يُكْتَتَمُ
أَلا تَرى زَفْسَ ذاكَ الوَعْدُ بَرَّ بِهِ لَمَّا بَسَطْتَ لَهُ كَفَّيْكَ تَظَّلَّمُ
ناشَدْتَهُ مُذْ عَنِ الإِغْرِيقِ بِنْتَ إِذَنْ في وَجْهِ فُلْكِهِمِ كَيداً يَكِيدُهُمُ» [4]

---

(١) المراد بالسادة الآلهة

(٢) اي حُرِّم عليه الرجوع الى موطن فيلا ابيه

(٣) يقال في هذا البيت ما تقدم في اول هذا النشيد عن خطاب انطيلوخ فقد جمع فيه عواطف الامهات وحركاتهن بابلغ ما يمكن من الايجاز وصدق التعبير

(٤) جهلت ثيتيس او تجاهلت موت فطرقل وقالت له تخفيفاً لوطأة الحزن

فَأَنَّ عن كَبِدٍ حرّى وقالَ : « أَجَلْ　　قد برَّ وَيلاهُ فيما قد أَذاقَهُمُ
لكنْ إِذا اخترمتْ أَبطالُ صيدِهِمِ　　ما نالني والفتى فطرُقلُ مُختَرَمُ (١)
فطرُقلُ أَرفعُهُمْ شأناً وأَعلقُهُمْ　　بِمُهجتي لا تُضاهيهِ قُرومُهُمُ
بهامتي كنتُ أَفديهِ فوالهفي　　عدِمتُهُ مِثلما كُبّارُهُمْ عُدِموا
مِن بعدِ مصرَعِهِ في صلدِ شكّتِهِ　　هكطورُ ذو القونسِ الطيّارِ مُحتكِمُ (٢)
سلاحُ خُلدٍ مِنَ الأَربابِ أُهديَهُ　　فيلا فما حصرتْ تقويمَهُ القِيَمُ
فيضاً أَنالوهُ لمّا كُنتِ قِسمتَهُ　　يا حبّذا لولَهُ إِنسيّةً قسَموا (٣)
فلو بقيتِ ببطنِ البحرِ قاطنةً　　ما نلتِ مِنْ إِنسِ أَهلِ الأَرضِ ضيمَهُمُ
وما تأَلّمتِ لابنٍ لن يأُوبَ إِلى　　أَوطانِهِ وَهوَ بحرَ الموتِ يقتحِمُ
لا عيشَ لي فَسِناني اليومَ تُنفِذُهُ　　كَفّي لِهكطورَ عن فطرُقلَ أَنتقِمُ »
صاحت وسحّتْ على الخدّينِ عبرتُها :　　« إِذاً حياتُكِ كادتْ آهِ تنصرِمُ
هلاكُ هكطورَ يتلوهُ هلاكُكَ لا　　مِرىً » فقالَ : « اذاً يا حبّذا الشَّبَمُ (٤)

عليه ان كنت تتضور لهفةً وأسى على مصاب الاغريق فقد كنت انت المتسبب به اذ توسلت الى زفس ان يذيقهم من العذاب فها هو منيلك مرامك فتفجعك اذاً عبثٌ وفضول

(١) ما استفهامية

(٢) القونس بيضة الخوذة وذو القونس الطيار لقب من ألقاب هكطور وقد عبرنا عنه في غير هذا الموضع بلفظ هيّاج التريكة اي الخوذة

(٣) اي ان الارباب اهدوا ذلك السلاح الى فيلا والد اخيل اكراماً لثيتيس لا لفيلا نفسه

(٤) الشبم الموت

يا حبّذا الموتُ إذْ غلّت يدي سلفاً | عن صونِ إلفيَ لمّا اشتدّتِ الإزَمُ
فطرُقلُ أودى ولم أبرُزْ لجانبهِ | أقيهِ من صدماتٍ تحتها اصطدموا
فلم أصُدَّ زؤامَ الموتِ عنهُ ولم | أرُدَّ عن فتيةٍ هكطورُ فلّهمُ
فالموتُ فالموتُ لا عودٌ ولا وطنٌ | إذْ لم أهبَّ الى الهيجا أصونهمُ
حملاً على الأرضِ لاجدوى لثقلتهِ | ظللتُ دونَ أساطيلي تجاههمُ
لئنْ يفقْ بسدادِ الرّأيِ بعضهمُ | فإنّني بقراعِ الصّمّ فقتهمُ
فلتهلكِ الفتنةُ الدّهما التي عبثتْ | بالجنّ والإنسِ حتّى أفتلَّ شملهمُ
وليهلكِ الغيظُ من بين الأنام فكمْ | أغرى وأوغرَ منقاداً حكيمهمُ
كالشّهدِ في الصّدرِ يجري وهو منتفخٌ | مثلَ الدّخانِ بهِ أهلُ العيونِ عموا
أتريذُ حدّمني غيظاً وذاك خلا | فلنغضِ ولنمضِ مهما برّحَ الأضمُ (١)
نعم سأطلبُ هكطورَ الذي فتكتْ | كفّاهُ في قمّةٍ تعنو لها القممُ
حتّى إذا شاء زفسُ في بطانتهِ | موتي فإنّ حياتي تلكَ دونهمُ
هرَقلُ لم يغنِ عنهُ بأسهُ وَوَلا | زفسٍ فأودى وإنْ أولوهُ ودّهمُ
أصابهُ كيدُ هيرا والقضاء إذا | فلألقَ ميتاً إذا كانت كذا القسمُ

(١) المصائب مرآة المعايب • يتصف المرء بصفة يمقته لا جلها الناس فلا يبالي حتى اذا نالته من ورائها مصيبة افاق ورأى تلك الصفة باقبح مظاهرها • وهكذا فان اخيل لم ينثن لنصائح نسطور وفينكس وأوذيس وعمي عن رؤية كل ما قالوه بشأن شر الفتنة ووبال الغيظ فلم يفقه شيئاً من كلامهم حتى ضربته الرزية بحليف وده فطرقل فتنبه من تلقاء نفسه وقال ما قال بوصف الفتنة والغضب

وليسَ مِن شاغلٍ ذا اليومَ يشغلُني إلاَّ أُدّخارُ عليَّ تسمو به الهِمَمُ
والدَّرْدَنِيَّاتُ بضَّاتُ الصدورِ يُرى لهنَّ دمعٌ سخينٌ جرْيُهُ دِيَمُ (١)
يَمسحنَ ماسحَّ عن غضِّ الخدودِ وقد هاجتْ تلهُّفَهُنَّ الأبؤسُ الدُّهُمُ
يَعلمنَ أنَّ اعتزالي طالَ فاغتنمَ الْـ أعداءُ بوني وإنّي الآنَ بينهمُ
ما أنتِ مهما بذلتِ النُّصحَ مانِعتي» قالت: «أجلْ أُحكمتْ في قولِكَ الحِكَمُ» (٢)

---

(١) يقول ان الدردنيات اي نساء طروادة سيبتئسن لما أولاهنَّ من المصائب بقتل ازواجهنَّ

(٢) اطال الشراح الكلام على ماحوى جواب اخيل لأُمه في هاتين القطعتين من روائع الالفاظ وبدائع المعاني فان فيهما مرآة ناطقة بشعائر الشهم الابي العظيم والصديق الوفي الحميم والابن الشفيق الكريم يتأفف ويلوم نفسه على تقاعده وينسى ماكان من اذى اغاممنون ويغضي عن زلةٍ منه مضت ويلعن الفتنة والغضب ويقدم على خوض ميدان القتال غير منثنٍ ولا هيَّاب ولو علم انه سيلقى حتفه • يتمنى لو افتدى فطرقل برأسه او مات عقاباً له لتقاعده عن البروز مع صديقه كتفاً لكتف • يتفجع لغمة والدته ويتمنى لو لم يعرفها والده لانها لو لم تلد ابنها الانسي وهي جنّية لما عرفت الضيم والاسى • ثم انه لايتمثل وهو البطل الباسل الا بالبطل العظيم هرقل الذي طبقت شهرته الآفاق وهو مع تلك الانفة الشماء والشعور بطول باعه لايأنف من الاقرار ان بين قومه افراداً يفوقونه حكمةً وسداداً • وهو اقرار يزيد قوله في الفخر وقعاً ورجحاناً — لم ارَ لاخيل في كل انشاد الالياذة كلاماً يشف عن دقة احساس ورقة عاطفة واستسلام للقضاء المبرم كهذا الكلام حتى انه لما استطرد الى التهديد والوعيد لم يقل بجندلة الابطال وصرع الاقيال بل اشار الى مايعقبها من نحيب النساء وذرف العبرات ومسح ما سح منها على الوجنات • وليقل حساد هوميروس بعد هذا ان اخيل لم يكن الا بطل كر وقلب صخر

وَافخرْ مَن عن سَراياهُ وأُسْرَتهِ   أَزاحَ بالبَأْسَ خطباً جلَّ هالَهمُ

معارضة

بين بعض ما جاءَ من قول بطل العرب موافقاً لقول بطل اليونان في هذا الموضع

قال أخيل : وليهلك الغيظ من بين الانام فكم   أغرى وأوغر منقاداً حكيمهمُ
وقال عنترة : لا يحمل الحقد من تعلو به الرتبُ   ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
قال اخيل : وليس من شاغل ذا اليوم يشغلني   الا ادّخارُ علىً تسمو به الهممُ
وقال عنترة : دعني اجد الى العلياء في الطلب   وابلغ الغاية القصوى من الرتبِ
قال اخيل : والدردنيات بضّات الصدور يُرى   لهنَّ دمعٌ سخينٌ جريهُ ديمُ
يمسحن ما سحّ عن غض الخدود وقد   هاجت تلهُّفهنَّ الابؤسُ الدهمُ

وقال ايضاً بعد ابيات :

فكم ثم طروادية دردنيةً   سبينا بدارٍ بأسنا فوقها امتدّا
يَنُحنَ عليك اليوم والليل كلّه   ويلطمن بض الصدر والنحر والخدّا
وقال عنترة : سلي عنا الفزاريين لما   شفينا من فوارسها الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى   قبيل الصبح يلطمن الخدودا
وقال ايضاً : ويل لشيبان اذا صبحتها   وارسلت بيض الظبى شعاعها
وخاض رمحي في حشاها وغدا   يشك من دروعها اضلاعها
وأصبحت نساؤها نوادباً   على رجال تشتكي نزاعها
وقال : وحولك نسوة يندبن حزناً   ويهتكن البراقع واللفاعا
قال اخيل : يعلمن ان اعتزالي طال فاغتنما   أعداء بوني واني الآن بينهمُ
وقال عنترة : سكتُّ فغر اعدائي السكوتُ   وظنوني لاهلي قد نسيتُ

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف اخيل اذ خرج عن قومه غضبان فنزل على بني عامر واقام فيهم فأغارت هوازن وجشم على ديار عبس فارسلوا يستمدون عنترة فأبى وامتنع حتى اذا اعظم الخطب على بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة وطلبن اليه ان ينهض معهنّ لمقاومة العدو والا تشتت شمل العشيرة فاحتمس

لـكنَّ شِكَّتَكَ الغرَّاء فازَ بها أأْ ... عِدَى وهَكطُورُ فيها الآنَ مُتَّسِمُ
ما خلتُـهُ يتَمادى عهـدُهُ زمنـاً ... علمْتُ ساعتُهُ حانَتْ وما علمُوا
فلا تَلجْ لُجَجَ الهيجاء مقْتحماً ... حتَّى تراني غدًا والفَجْرُ يبْتَسِمُ
في شِكَّةٍ من لَدى هِيفَسْتَ شائقَةٍ ... أعودُ فأبْلُ بها وافتَلَّ جمعَهُمُ »
وَغادَرتْهُ وقالتْ لِلْحسانِ : « إلى ... مَ الشَّيْخُ والدُّنا بالصبْرِ معْتَصِمُ

ونهض وانشد ابياتاً استهلها بالبيت السالف الذكر

قال اخيل: حتى اذا شاءَ زفسُ في بطانته ... موتي فان حياتي تلك دونهمُ
هرقل لم يغن عنه بأسـهُ ولا ... زفسٍ فأودى وان اولوه ودَّهمُ
أصابه كيد هيرا والقضاءُ اذاً ... فلأُلقِ ميتاً اذا كانت كذا القِسَمُ

وقال عنترة: اذا كان امر الله امراً يقدَّرُ ... فكيف يفرّ المرءُ منه ويحـذرُ
ومن ذا يرد الموت او يدفع القضا ... وضربتـه محتومةٌ ليس تعبرُ

قال اخيل: فطرقل ارفعهم شأناً واعلقهم ... بمهجتي لا تضاهيـه قرومهـمُ
بهامتي كنت افـديه فوا لهـفي ... عدمته مثلما كبّارهم عُـدموا
نعم سأطلب هكطور الذي فتكت ... كفاهُ في قمـةٍ تعنو لهـا القممُ

وقال عنترة في رثاء زهير بن جذيمة العبسي :

تولى زهـير والمقانب حولهُ ... قتيلاً واطراف الرماح الشواجرِ
وكان اجل الناس قدراً وقد غدا ... اجل قتيـل زار اهل المقابرِ
فوا اسفا كيف اشتفى قلب خالد ... بتـاج بني عبس كرام العشائر
وكيف انام الليل من دون ثأرهِ ... وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

وان من تصفح ديوان عنترة ليعجب من كثرة المشاكلة بين كلامه وكلام اخيل وقد اوردنا شيئاً من ذلك في مواضعه واضربنا عن ذكر الكثير خوف الاطالة • وانا مثبتون الآن ابياتاً قالهـا عنترة في رثاء مالك بن زهير العبسي صديقه يرى المطالع اللبيب شبهها القريب برثاء اخيل لفطرقل في هذا النشيد ومواضع اخرى من الالياذة :

لِجِنَّ العُبابَ إذًا بَلَغْتَهُ وأَنا ... هيفَسْتَأَطْلُبُ فَهوَ العَهْدَ يحترمُ »
فَمُضْنَ وَهيَ اسْتطارَتْ تَبْتَغي مَدَدًا ... في الخُلْدِ حيثُ اسْتقرَّ المَجْدُ والعِظَمُ

ما زالَتِ الطُّرْوادُ تحْتَ القَسطَلِ ... مِن وَجْهِ هَكْطُورَ المُدمِّرِ تَنْجَلي
بَلغَتْ على صَلقاتِها أُسْطُولَها ... وقَتيلُها تحْتَ النِّبالِ الهُمَّلِ
كَشرارَةٍ هَكْطُورُ هَبَّ يَرُومُهُ ... بِعجالِهِ ولَفيفِ ذاكَ الجَحْفَلِ
أَحْنى ثَلاثًا قابِضًا قَدَمَيهِ وَهْ ... وَ يَصيحُ يا جُنْدَ الطِّراوِدِ أَقْبِلي
وكَذا ثَلاثًا صَدَّهُ عَزْمُ الأَيا ... سِينَ المُذَلِّلُ عَزْمَ كُلِّ مُذَلَّلِ
لٰكِنَّهُ ما انْفَكَّ عن عَزَماتِهِ ... مُتَدَرِّعًا بِزَماعِ قَرْمٍ قَيِّلِ
مُتَرَبِّصًا طَورًا يَهُدُّ وتارَةً ... يَلِجُ العُبابَ بِكَرَّةِ المُسْتَبْسِلِ
لَمْ يَبْلُغا أَرَبًا بِهِ لٰكِنَّهُ ... مِنْ حَوْلِ ذاكَ الشِّلْوِ لَمْ يَتَحَوَّلِ

... فلله عينا من رأى مثل مالك ... عقيرة قوم ان جرى فرسانِ
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ ... وليتهما لم يرسلا لرهانِ
... وقد جلبا حيناً لمصرع مالك ... وكان كريماً ماجداً لهجانِ
وكان لدى الهيجاء يحمي ذمارها ... ويطعن عند الكرّ كل طعانِ
به كنت اسطو حينما جدت العدى ... غداة اللقا نحوي بكل يمانِ
فقد هد ركني فقدهُ ومصابه ... وخلى فؤادي دائم الخفقانِ
فوا اسفا كيف انثنى عن جواده ... وما كان سيفي عنده وسناني
رماه بسهم الموت رامٍ مصممٌ ... فياليته لما رماهُ رماني
فسوف ترى ان كنت بعدك باقياً ... وامكنني دهر وطول زمانِ
واقسم حقاً لو بقيت لنظرةٍ ... لقرّت بها عيناك حين تراني

كالليثِ ضوَّرهُ الطوى بفريسةٍ　　يخلو ويزري بالرُّعاةِ البُسَّلِ
ولربَّما بعنائهِ عادَ مظفَّرا　　لو لم تلحْ إيريسُ ترمحُ من علِ
أمَّتْ أخيلَ منَ الأُلمبِ فأقبلتْ　　كالرِّيحِ تُنذِرُ بالوَبالِ المُقبِلِ
هِيرا أسارَتها فلمْ يعلمْ بها　　زفسٌ ولا أربابُ ذاكَ المحفَلِ
قالت: «أخيلُ وأنتَ مغوارُ الوغى　　لِلذودِ عن فطرُقلَ كُرَّ وعجِّلِ
دُونَ السَّفائنِ تحتَ مشتجرِ القنا　　حوليهِ كمْ قرمٍ يخرُّ مجندَلِ
ما بينَ حامٍ يستشيطُ وحائمٍ　　بالشلوِ إليُوناً يرُومُ ويصطلي
وأشدُّهمْ هكطورُ يدفعهُ المرا　　مُ لفصلِ هامتهِ وبتِّ المفصلِ
مِن ثمَّ تُعرَضُ للهوانِ على القنا　　أفتلبثَنَّ عنِ الكفاحِ بمعزلِ
كُرَّنَّ أو فطرُقلُ بينَ نواهسٍ　　في ساحةِ الأعداءِ جثَّتهُ تلي
فإذا بها عبثتْ فأيَّةُ حطَّةٍ　　أبداً تسومكُ ذِلَّةَ المتذلّلِ»
فأجابَ: «إيريسٌ ومنْ أسراكِ لي» قالت: «حليلةُ زفسَ ذي الطَّولِ العلي
لمْ يدرِ بي زفسٌ وسائرُ منْ ثوى　　بذُرى أُلمبٍ بالثلوجِ مكلَّلِ»
فأجابَ: «آهِ وكيفَ أقتحمُ الوغى　　وأخوضُ لجَّتها براحةِ أعزلِ
مالكَ العدى عُددي وأُمّي حتَّمها　　أبقى هُنا بتربُّصِ المتحمِّلِ
حتَّى أراها أقبلتْ في شكَّةٍ　　قد دقَّها هيفستُ أعظمُ صيقلِ
أولا فأيُّ فتىً بشكَّتهِ أرى　　غرَضي خلافَ مجنِّ آياسَ الملي
وآياسُ من حولِ القتيلِ إخالهُ　　قدحامَ يطعنُ في الخميسِ الأوَّلِ»

قالت: « علمنا كلَّ ذلك إنّما إنْ تبدُ للطُّرّادِ دونَ المَعقِلِ
ذُعِرُوا وصحبُكَ يا نسونَ بجهدِهِمْ فعلى البُرُوز لدى سُراهمُ عوّلِ
ضاقت منافسُهمْ وفي دارِ الوحى هيهاتِ تؤمَّلُ راحةٌ لمؤمِّـلِ »
طارت فهبَّ فألبستَهُ مجنَّها فالاسُ في هدّابـهِ المسترسلِ
وعلى مُحيّاهُ غمامـةَ عسجدٍ ألقتْ يفيضُ لها لهيبُ المشعَلِ
فكأنّما بلدٌ بقلبِ جزيرةٍ حُصِرتْ علامنهُ الدُّخانُ المُعتلي
خرجتْ بنوهُ الى مبارزةِ العدى وقضوا نهارَهمُ بقرْعِ الانْصُلِ
حتى اذا برحتْ براحِ تألَّقتْ نيرانُهمْ من تحتِ ليلٍ أليَلِ (١)
أملاً بجيرتِهم ترى فتمدُّهمْ بعمارةٍ تُجلي العدوَّ المبتَلي
وكذا أخيلُ لهيبُ هامتِهِ سما حتّى الرّقيعِ لمقلةِ المتأمّلِ
فوقَ الحفيرِ أقامَ لا يطأُ الوغى إذْ عن مقالةِ أمّـهِ لمْ يغفُلِ
بالقومِ صاحَ وصوتُ فالاسٍ علا فتقلقلَ الأعداءُ أيَّ تقلقلِ

---

(١) برحت براحِ اي غابت الشمس • يقول ان الدخان يعلو من الجزيرة نهاراً فاذا غابت الشمس ظهرت النيران لان النار لا ترى عن بعد نهاراً فلا يظهر اللهيب حتى تغيب الشمس وذلك على نحو ما جاءَ في سفر الخروج : وكان الربّ يسير امامهم نهاراً في عمود من غمام ليهديهم الطريق وليلاً في عمود من نار ليضيءَ لهم ليسيروا نهاراً وليلاً (خر ١٣ : ٢١)

وما أحسن ما قال ابو تمام وقد ذكر ضوءَ النهار وظلمة الدخان في الحريق :

ضوءٌ من النار والظلماءُ عاكفـةٌ وظلمة من دخان في ضحى شحبِ
فالشمس طالعة من ذا وقد افلت والشمس واجبة من ذا ولم تجبِ

كالصُّورِ خلفَ السُّورِ ينفُخُهُ العِدى　　تحتَ الحِصارِ تبيَّنُوا الصَّوتَ الجَلي

كانوا يتفاهمون بالاشارات النارية كما يتفاهمون الآن على اسلاك البرق . والنار المقصودة هنا انما هي نار الحرب وقد كان لها شأن عظيم في جاهلية العرب وأوائل الاسلام ومنها النار التي أوقدها سهل بن صباح العبسي في حصار بعلبك . قال : فطلعت الى ذروة الجبل فعلوته واشرفت على العسكرين وجعلت انظر الى حربهم وقتالهم وقد طمعت الروم في العرب ... فأسرعت الى جرائم الشجر فجعلت اكسرها واعي الحطب بعضه على بعض وعمدت الى زناد كان معي فاوقدت النار وعبيت حطباً اخضر ويابساً حتى علا منه دخان عظيم وكانت علامتنا اذا أردنا ان يجتمع بعضنا الى بعض بارض الشام في الليل وقود النار وانارة الدخان . قال فما هو ان علا الدخان وتصاعد الى الافق حتى نظر اليه سعيد بن زيد واصحابه وضرار بن الازور واصحابه فنادى بعضهم بعضاً الحقوا الامير اباعبيدة (الواقدي)

لم أر في الالياذة الا نارين من النيران المعروفة عند العرب وهما نار الحرب هذه ونار القرى ذكرت تلميحاً غير مرة ولا ريب انه كان لهم نيران اخرى لم يذكرها الشاعر . اما نيران العرب فكثيرة جمع جلها الشيخ ناصيف اليازجي بقوله

أول نار عنـدهم نار القرى　　وذكر نار الوسم بعدها جرى
ونار الاستسقاء والتحالف　　والصيد والحرب لدى التزاحف
ونار غدر وسـلامة تعدْ　　ونار راحل كذا نارُ الأسدْ
والنار للسليم والفـداء　　فجملة النـيران هـؤلاء

فنار القرى كانت توقد للضيوف اذا حضروا او ارشاداً لهم الى محل الضيافة . ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها المسم التي كانوا يسمون بها إبل الملوك لترد الماء اولاً . ونار الاستسقاء كانوا يوقدونها تبركاً طلباً للمطر اخذاً عن المجوس . ونار التحالف توقد عند التحالف على امر . ونار الصيد توقد للظباء لتعشى ابصارها . ونار الحرب توقد على جبل اعلاماً للاحلاف الاباعد كما ذكر هوميروس . ونار الغـدر كانوا يوقدونها بمنى أيام الحج اذا غدر الرجل بصاحبه ثم يقولون هذه غدرة فلان . ونار السلامة توقد للقادم من سفر سالماً . ونار الراحل توقد للمسافر اذا لم يحبوا ان يعوده

صُدِعُوا وأَعْرافُ الجيادِ تَطايَرَتْ جزَعاً وفَرَّتْ خَيْلُهُمْ بتَجَفُّلِ
بعجالِها انْقَلَبَتْ تفرُّ بساقةٍ ذُعِرَتْ لِذَيَّاكَ اللَّهيبِ المُنْجَلي
مِن حَوْلِ هامتِهِ أَثينا أَجَّجَتْ ذاكَ السَّعيرَ يَرُوعُ عَينَ المُجتَلي
فوقَ الحَفيرِ علا ثلاثاً صوتُهُ وكَذا ثلاثاً أَجفَلُوا بتبلْبُلِ
وتجَنْدَلَ اثْنا عشرَ من أَبطالِهِمْ برِماحِهِمْ تحتَ العِجالِ العُجَّلِ (١)
فخَلا بفَطْرُقْلَ الأَغارِقُ وانْثَنَوا نائِينَ عن مَرْمى الرِّماحِ الذُّبَّلِ
وَضَعُوهُ فوقَ سريرِهِ وتَقاطَرَتْ خُلاَّنُهُ تبكي لِهَوْلِ المَقْتَلِ
وافاهُمُ آخيلُ مُنْتَحِباً على إِلْفٍ بهِ لَعِبَتْ حُدُودُ المُنْصُلِ
هُوَ ساقَهُ لِلحَرْبِ فوقَ جيادِهِ لكِنَّهُ واوَيحَهُ لم يَقْفُلِ
فهُناكَ هِيرا أَنْفَذَتْ شَمْسَ العُلى فتخَلَّلَتْ بطنَ العُبابِ لِتَختَلي
فتثَبَّطَ الإِغْرِيقُ عن هجماتِهِمْ وتَرَبَّصُوا تحتَ الظَّلامِ المُسْبَلِ
تخَلَّفَتِ الطَّرْوادُ لمَّا الدُّجى أَرْبَدَا مُغِيرًا وحلُّوا من عِجالِهِمِ الجُرْدا

ونار الاسد توقد عند الخوف من سطوة الاسد حتى اذا رآها ينفر منها • ونار السليم اى الملسوع توقد له ويكره على السهر على ضوءها • ونار الفداء توقد لنساء الاشراف كانوا اذا سبيت نساء الاشراف منهم وفدوهن يخرجوهن ليلاً ويوقدون لهن ناراً يستضئن بها

(١) ذلك مبلغ ذعرهم رهبةً من اخيل حتى تبلبلت الرجال وانقلبت الجياد بالعجال واختلط عليهم الامر فباتوا لايعون امراً وكانت نصالهم تنفذ في صدورهم فتصرعهم بايديهم وهم لايشعرون

وُقوفاً قُبيلَ الزَّادِ حَشْداً تأَلَّفُوا ... ولم يجلسُوا رُعباً وإنْ أُثقلوا جهْدا
لَقد هالَهُمْ أنَّ ابْنَ فيلا بدا لَهُمْ ... وبَعدَ اعتزالِ الحرْبِ قد عادَ مُشتدّا
بِهِمْ فُولِداماسُ الحكيمُ ابْنُ فَنْثُسٍ ... تبدّى خطيباً يفقهُ الحلَّ والعقْدا
نَظُورٌ لما ياتي خَبيرٌ بما مضى ... وَلِيٌّ لِهكْطور ومن رَهطِهِ عُدّا
لقد وُلدا في ليلةٍ بيدَ أنّهُ ... بدا دُونهُ بأْساً كما فاقهُ رُشْدا
فقالَ: « أُصَيْحابي اقتفُنَّ نصيحتي ... هلُمُّوا الى إِلْيُونَ ذا الحينَ نرْتدّا
لدى الفُلكِ في ذا السّهلِ للفَجرِ لا أَرى ... مُقاماً وعنّا السُّورُ تدْرُونَ قد نَدّا
لقد كانتِ الأَرغُوسُ أسهلَ مأْخذا ... وآخيلُ مُشتدٌّ بعزلتِهِ حِقْدا
وكم شاقني إذ ذاكَ ليلي بقُربِها ... على أملٍ بالقُربِ أن نبلُغَ القصْدا
ولكنّني أخشى وأدري بأنّهُ ... بحدّتِهِ لن يرضَينَّ هنا الحدّا
يجُوزُ مرامي الجحفلين مُغادِرًا ... ليمتلكَ الأسوارَ والأهلَ والولْدا
صدقتُكُمُ نُصحاً فسيرُوا بنا فإنْ ... يكُفَّ فذاكَ الليلُ في وجهِهِ اسوَدّا
ولكنْ إذا ما أصبحَ الصُّبحُ وانْبرى ... بعُدّتِهِ أيقنتُمُوهُ الفتى الفَرْدا
لإِلْيُونَ مَن وَلّى فمُستبشرًا نجا ... ويُشبِعُ طيرَ الجوِّ والغُضْفَ مَن يُرْدى
فلا طرقتْ هذي النّوازلُ مسْمَعي ... ولكنَّ علمي ذا وإنْ ساءَكُمْ جِدّا
إذاً فلنقُمْ في الليلِ حشْداً مُكثَّفاً ... بإِلْيُونَ أسبابَ الوِقايةِ نعتَدّا
فأبراجُها الشمَّا وأرْتاجُها التي ... بأَصفاقِها زُلّجنَ نُخْلي بها الوفْدا (١)

(١) الارتاج الابواب والاصفاق المصاريع وزلجن قفلن

وعِندَ بُزُوغِ الفَجرِ بالعُدَدِ الأُولى ... تَأَلَّقْنَ نَبْدُو فوقَ مَعقِلِنا حَشْدا
فَهَيْهاتِ آخيلُ يَفوزُ إذا بَدا ... بمُمْتَنِعِ الأَسوارِ مَهما عَلا جَهْدا
يَعودُ إذا ما أَجْهَدَ الخَيلَ حَولَها ... مَغارًا الى أُسطُولِهِ لاهِبًا وَجْدا
سَتَفرِسهُ غُضفُ الكِلابِ قُبَيلَ أَنْ ... يَحُلَّ بِهِنَّ اليومَ او يُعْمِلَ الحَدّا »
فَأَحْدَقَ شَزْرًا فيهِ هكطورُ صارِخًا : ... «لَقَدجِئتَ أَمرًا فُولِداماسُنا إدّا
أَتَدخُلُ إليُونًا فَهلّا عَيِيتَ مِن ... مُقامِكَ مِنْ خَلفِ المَعاقِلِ مُنْهَدّا
لَقَد مَلأَ الأَسماعَ ما أَرْضُنا حَوَتْ ... نُضارًا بَهِيًّا او نُحاسًا بها صَلْدا
وقد نَفِدَتْ جُلَّى الكُنُوزِ وبُدِّدَتْ ... فَلَستَ لَها تَلقَى بأَفْنائِها عَهْدا
بِإِفْرِيجِيا بِيعَتْ وأَرضِ مِيُونَةٍ ... على حِينَ عَنّا زَفْسُ مُنْتَقِمًا صَدّا
وها هُوَ عَنِّي الآنَ راضٍ مُنِيلُني ... مِنَ النَّصرِ ما لِلْفُلْكِ يَطْرُدُهُمْ طَرْدا
تَعِسْتَ فَصَهْ لا تَخْدَعِ الجُندَ لن يَرَوا ... بِرَأْيِكَ نُصْحًا او أَرُدُّهُمُ رَدّا
هَلُمُّوا إذًا لِلـزَّادِ لا تَتَشَـتَّتُوا ... وكُلُّ فَتًى في حِينِهِ يُحْسِنُ الرَّصْدا
ومَن باتَ في خَوفٍ على المالِ فَلْيَقُمْ ... ويَجْمَعْ لَدَيهِ المالَ يُطْعِمُهُ الجُندا
فَخَيرٌ لَنا نَلْهُو بِهِ جُمْلَةً ولا ... تُمَتَّعُ بالأَموالِ أَعداءَنا اللُّدّا
وإنْ طَرَّ وَجْهُ الصُّبْحِ دُجِّجَ جَيْشُنا ... فَتَعْقِدُ دُونَ الفُلْكِ كَرَّتُهُ العَقْدا
فإنْ كَرَّ آخيلُ الى ساحةِ الوَغى ... رَأَى عَجَبًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِدَ الوِرْدا
أُبارِزُهُ لا هالِعًا أَو مُوَلِّيًا ... ولا بُدَّ مِنّا ماجِدٌ يُحْرِزُ المَجْدا
لِكُلِّ هُمامٍ كانَتِ الحَرْبُ مَنْهَلًا ... فَكَمْ بَطَلٍ فيها يَصُدُّ العِدى أَصْدَى(1)

(1) اصدى مات

فَضَجَّتْ لَهُ الطُّرْوادُ جَهْلاً وما دَرَوا بأَنَّ أَثينا قد أَضلَّتْهُمُ عَمْدا
وَهكْطُورَ طرًّا وافقوا يُغْفِلُونَ ما لهُمْ فُولداماسُ بحِكْمَتِهِ أَبْدى
ومالُوا وما زالُوا بِملء انْتِظامِهِمْ لِزادٍ لَهُمْ ما بينَ تلكَ السُّرى مُدًّا
وأَما بَنُو الإِغْرِيقِ آناءَ لَيلِهِمْ فقد لَبِثُوا في مَأْتَمٍ هَدَّهُمْ هدًّا
وَبينَهُمُ آخيلُ في زَفَراتِهِ يحِنُّ لِفطْرُقْلٍ وقد أَكْبَرَ الفَقْدا
على صَدرِ ذاكَ الإِلفِ أَلقَى أَكُفَّهُ يحُاكي إِذاما أَحْدَقَ الأَسَدُ الوَرْدا
كأَنَّ بِبَطْنِ الغابِ أَشْبالَهُ بها خلا قانِصٌ فأَزْبَدَّ واشْتدَّ واحْتَدَّا
وَهبَّ على آثارِهِ بِجَزازَةٍ تحَدِّرُهُ وَهْدًا وتُصْعِدُهُ نجْدا
فَصاحَ: «أَلا رَبَّاهُ واعُظْمَ مَوْعِدٍ وَعَدْتُ مِنتْيُوسًا وَلَنْ أَصْدُقَ الوَعْدا[1]
بِمَنْزِلِهِ عاهَدْتُهُ لأُفْطِسٍ أُعيدُ ابْنَهُ مِن بَعدِ أَن يَقْهَرَ الضِّدَّا
وَيَهدِمَ إِليُونًا وَيرْجِعَ غانِمًا وهَيهاتِ زَفْسُ كلَّ آمالنا أَسْدى
بإِلْيُونَ قد خُطَّ القَضاءُ بأَنَّ مِن دِماءِ كِلَينا الأَرْضُ مُحْمَرَّةً تَنْدى
فلَنْ يَتلَقَّاني أَبي الشَّيخُ عائِدا وثِيتيسُ أُمِّي بعدَ أَن أَعظَما البُعْدا
أَفَطْرُقْلُ مُذْ سِيقَتْ لِذا التُّرْبِ أَعظُمي وبَعدَكَ لي قد خُطَّ أَن أَنْزِلَ اللَّحْدا
فَلستُ مُتِمًّا مَأْتَمًا لكَ قَبلَ أَنْ أُذِيقَ الرَّدى هكْطُورَ قاتِلَكَ الجَلْدا
وشِكَّتُهُ تُلقى لدَيكَ ورأْسُهُ فأُذْكي لكَ النيرانَ مُدَّخِرًا حَمْدا
ومِن حَولِها اثْني عَشَرًا سأَبْصارِمي أُقَضِّبُ مِنْ طُرْوادَةٍ فِتْيَةً مُرْدا[2]

(١) منتيوس والد فطرقل

(٢) هذا نذرٌ ينذرهُ اخيل قبل ان يقيم مأتم هكطور وسيبرّ به كما سترى ·

فظلَّ إذاً ملقًى لدى الفلْكِ ريثما أبرُّ فذا عهدي ولنْ أُخلِفَ العهدا
فكمْ ثمَّ طرْوادِيَّةً دَرْدَنيَّـةً سبينا بدار بأْسنا فوقها اُمتَدَّا
ينحْنَ عليكَ اليومَ والليلَ كلَّهُ ويلطمنَ بضَّ الصدرِ والنَّحرَ والخدَّا »
وأوعزَ أن يُغلى على النَّارِ مِرجلٌ وفي غسلِ جسمِ الميتِ من حينِهمْ يُبدا
فلبّوا وفيهِ الماءَ صبُّوا وأشبعوا لهُ النَّارَ تذْكو مِن جوانبِـهِ وقْدا
ولمَّا غلى في ساطعِ القِدْرِ ماؤُهمْ فَفي غسْلِهِ جدُّوا وقدأحسَنوا الجدَّا
ونقَّوْهُ مِن تلكَ الدّماءِ وبادَرُوا لِزَيتٍ كثيفٍ يدْلُكُونَ بهِ الجِلْدا
وفي كلِّ جرْحٍ أفرَغوا بلْسماً مضى لِتسعةِ أعْـوامٍ تقادُمهُ عهْدا
وألقوْهُ مِنْ فوقِ السَّريرِ واسبلُوا مِنَ الرَّأسِ حتى تحتَ أقدامهِ بُرْدا
ومن فوقهِ سترٌ مِنَ النَّسْجِ أبيضٌ وناحُوا وآخيلٌ مدى ليلِهِمْ سُهْدا[1]
فقالَ لِهيرا زَفسُ في قبَّةِ العُلى : « فَلَحْتِ فآخيلٌ لقدأنفَ الصَّدَّا
فلا ريبَ في أنَّ الأغارِقَ قد نُمُوا إليكِ وأضحى منكِ طارفُهمْ تِلْدا»[2]

وفي اخبار العرب كثير من امثال ذلك في ايام الجاهلية والاسلام • روي انه لما قُتل حمزة بن عبد المطلب في غزوة أُحد وكان قاتله وحشي مولى جبير بن مطعم عظم قتله على صاحب الشريعة الاسلامية فنذر ان يقتل به سبعين رجلاً من قريش وكبّر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة

(١) يبسط لنا الشاعر في الابيات السالفة كيف كانوا يغسلون الميت ويطيبونه ويكفنونه

(٢) نموا نسبوا والطارف الحديث والتلد القديم • لايخفى ما في هذا البيت من التهكم الظاهر والوعيد الخفي

فقالت : « أَلا يا ظالماً قد هزأْتَ بي ... وللإِنس تلقى الإِنسَ قد أَحسنوا العضْدا
ولم يبلغوا من راسخ العلم علمنا ... ولا مثلنا أُوتوا بأَرضهمِ الخلْدا
وإِني وإِن ما كنتُ أَسمى إِلاهةٍ ... وبعلي أَخي مَنْ لا أَقيسُ به نِدًّا (١)
فلم أُعْطَ أَن أُولي الطراودَ ذِلَّةً ... ولا قومَ أَرغوسٍ أُنيلُ هنا رفْدا »

ذاكَ الحديثُ في السماء يجري ... ونحوَ هيفستٍ ثِتيسُ تجري
حيثُ بنى الأَعرجُ زاهي القصْرِ ... صرحاً من النُّحاسِ عالي القدْرِ (٢)
في الخلْدِ يسمو راسخاً للدهْرِ

(١) كان زفس بعل هيرا واخاها . قالت اني وان كنت اعظم الآلهة وبعلي الذي هو اخي اسمى الاله فلم يسعني ان انصر اوليائي الاغريق ولا ان اخذل اعداءهم الطرواد . كأنها قالت انك لا تذخر لي رعاية ولا تحفظ لي حرمة . يمثل هوميروس تنافر الزوجين بخلوتهما وان كانا في مصاف الآلهة

(٢) الاعرج لقب هيفست ويلقب ايضاً بالحداد وهو اله النار ومطرّق الصواعق ومشعل البراكين . لقب بالاعرج لانه ولد قبيح الصورة فالقت به امه من اعالي السماء كما سيأتي بعد ابيات — هذا سبب تلقيبه بالاعرج بحسب نص الرواية الميثوليجية . اما سبب تلقيبه بالحداد فمأخوذ من صناعته . على ان الباحثين في التعليل الرمزي لاصل العبادات ذهبوا في ذلك مذاهب نعتمد منها على رواية هرقليذس اذ قال ان هيفست ممثل النار وابوه زفس ممثل الاثير وامه هيرا ممثلة الهواء فالنار سقطت الى الارض من الهواء والرقيع اما بفعل الصواعق واما بوجه آخر . لقب بالاعرج لان النار لا تشتعل بلا وقود كما ان الاعرج لا يستطيع المشي ما لم يستند الى عضد يعضده . واما قول هيفست عن نفسه في ما يلي انه لولا ثيتيس وافرينومة لكان هلك فتأويله انه لو لم تقع النار في محل يمكن حفظها فيه لاضمحلت وتلاشت — قيل اخذ

أَلْفَتْهُ سَحَّ عَرَقاً فوَّارا　　يُدِيرُ مِنْفَخاً ويُذْكي نارا
مَناضِداً عِشْرِينَ قد أَدارا　　على الجِدارِ تَبْهَرُ الأَبْصارا (١)
مَرْفُوعةً على عِجالِ تِبْرِ
حتَّى بها بأَعْجَبِ العُجابِ　　مِن نَفْسِها لمَجْلِسِ الأَرْبابِ
تُسْرِعُ بالذَّهابِ والإِيابِ　　تَمَّتْ سوى مَقابِضِ الأَجْنابِ
مَعَ عُراها الشَّائقاتِ الغُرِّ
أَمامَهُ قد حَمِيَ الوَطِيسُ　　يُشْغِلُهُ إِذْ أَقْبَلَتْ ثِيتِيسُ
فأَبْصَرَتْها عِرْسُهُ خارِيسُ　　فبادَرَتْ بِفَرْعِها تَمِيسُ
وصافَحَتْها بِعَظِيمِ البِشْرِ :


هيفست الاه النار

اليونان عبادته عن المصريين حيث كان يسمى فْتالي • والاهة النار عند البلاسجة والطرواد ثم الرومان تدعى فستا تطرقت اليهم عبادتها من الفرس • ومن الغريب ان يكون هذا التشابه بين المعبودين واحدهما ذكر والاخرى انثى • والاغرب من ذلك ان أول صيقل لجميع المصنوعات الحديدية والنحاسية في التوراة هو توبل قاين (تك ٤ : ٢٢) وتوبال اوطوبال باللغات التترية ومنها التركية الاعرج وقين باللغات السامية ومنها العربية الحداد وكلاهما لقب هيفست مع ان توبل قاين كان قبل عهد هوميروس بحسب نص التوراة بنحو الفي عام • ولم أر من انتبه الى هذا التفسير مع انهم بحثوا فيه بحثاً طويلاً واستخرجوا اصل قاين السامي

(١) تقدم لنا بحث وافٍ في المناضد ن ٩ : ص ٥٥٧

« يارَبَّةَ المِقْنَعةِ المَسْدُولَهْ ثِيتِيسُ يا خِلَّتَنا الجَليلَهْ
عَلامَ أَنتِ عِندَنا نَزِيلَهْ عَلى خِلافِ عادَةٍ جَميلَهْ
هَيِّي بِنا حَيثُ الضُيُوفَ نَقْري »
وأَجْلَسَتْها طَلْقَةَ الإِيناسِ عَرْشاً بَدِيعاً مُحْكَمَ القِياسِ
قَتِيرُهُ مِنَ اللُّجَينِ القاسي ذامَوطِىءٍ لأَرْجُلِ الجُلاَّسِ[1]
وزَوجَها نادَتْ بِصَوتِ الجَهْرِ :
«هِيفَسْتُ قُمْ ثِيتِيسُ عَونَكَ ابْتَغَتْ» فقالَ: «أَهْلاً بِإِلاهةٍ سَمَتْ[2]
تِلْكَ التي الكُرْبَةَ عَنّي فَرَّجَتْ لَمَّا مِنَ السَّماءِ بي أُمّي رَمَتْ
تَكَتُّمُ عاهَتي بِشَرِّ الكِبْرِ
فَهْيَ وأُفْرِ يْنُوْمَةُ الإِحسانِ بِنْتُ المُحيطِ الجازِرِ الهَتّانِ

---

(١) قتيره اي مسامبره

(٢) مما يروى عن سبيل التفكهة ان افلاطون كان في صغره مغرماً بنظم الشعر تحدثه نفسه بالتشبه بهوميروس فينظم القصيدة ثم يقابلها بمنظومات هوميروس فيظهر له البون الشاسع فيعدل عنها الى غيرها وهكذا الى ان تحقق انه لم يكن ذا سليقة شعرية سامية . فأخذ منه اليأس كل مأخذ وجمع كل ما سطر من الشعر والقى به الى النار . على انه لم يتمالك وهو على تلك الحال ان ذكر شيئاً من منظوم هوميروس نفسه فعلق بذهنه هذا الشطر ولكنه عوضاً عن ان يقول

هيفست قم ثيتيس عونك ابتغت

قال :

هيفست افلاطون عونك ابتغى

قالوا وهذا هو السبب في كراهة افلاطون للشعر وتنديده به شأن من يقبح على الحسناء جمالها لاعتصامها عليه

بالبِشرِ والأُنْسِ تلقّاني   أَوْلا فما كانَ إذًا أشقاني
ووارَتاني في عُبابِ القَعْرِ
حللتُ كهفًا حولَهُ قد دارا   مجرى الخضمّ مُزْبدًا هدّارا
كم صغْتُ فيهِ لهما سِوارا   خواتمًا قلائدًا أزْرارا
تِسْعَةَ أعوامٍ بطيّ السِّتْرِ
سِواهُما في الارضِ والسَّماءِ   لا أحدٌ درى مقامي النائي
هُما هُما قد خففا شقائي   والآنَ ثيتيسُ هُنا إزائي
أنّى أُؤدّي حقّ فرضِ الشُّكْرِ
خاريسُ وافيها بواجبِ القِرى   حتّى أُريحَ منفخي وأحضُرا»
وغادرَ العلاةَ عنها مُدْبِرا   تخمعُ ساقاهُ بهِ فأخّرا (١)
منفاخهُ عن حرّ واري الجمْرِ
وأودعَ العُدّةَ دُرجَ فِضّةِ   يعمدُ مِن ثَمَّ إلى إسفنجةِ
يمسحُ صدرَهُ وعالي الجبهةِ   كذا يديهِ ومتينَ الرّقبةِ
ثُمَّ اكْتسى بُرْدًا وعادَ يَسْري
بصولجانٍ شائقٍ صُلْبٍ ذَهَبْ   مُعتمدًا على وصيفتَيْ ذَهَبْ (٢)
أُعطيتا صوتًا وعقلًا وأَدَبْ   لخدمةِ الأربابِ في كُلّ أرَبْ

(١) العلاة السندان
(٢) الوصيفة الجارية

كَغادَتَينِ أُزْدانَتا بالفِكَرِ

وَلِيتا هيفَسْتَ مِن حيثُ أُنثَنى　　حتَّى الى ثِيتِيس بالجُهْدِ دَنا
حَلَّ على عَرْشٍ بَهِيٍّ مُعْلِنا　　تَرْحابَهُ لَها ومِنْ ثَمَّ انْحَنى

مُصافِحاً لَها بِقَولِ الحُرِّ :

« يا رَبَّةَ المِقْنَعَةِ المَسْدُولَهْ　　ثِيتِيسُ يا خِلَّتَنا الجَليلَهْ
عَلامَ أَنْتِ عِندَنا نَزِيلَهْ　　على خِلافِ عادَةٍ جَمِيلَهْ

مُرِي فإِنَّني رَهِينُ الأَمْرِ »

قالت تُسيلُ الدَّمعَ:«هَلْ مِثْلِي تَرَى شَقِيَّةً ما بَينَ رَبَّاتِ الوَرى
دُونَ بَناتِ الماءِ زَفْسُ قَدَّرا　　عَلَيَّ أَنْ أُصِيبَ بَعلاً بَشَرا

فِيلا وأَمْضى أَمْرَهُ بالقَسْرِ

فِيلا لَقَدْ أَقْعَدَهُ فَرطُ الكِبَرْ　　عَجْزاً وَزَفْسُ كَادَني كَيداً أَمَرْ
أُعْطِيتُ نَجلاً فاقَ أَبطالَ البَشَرْ　　أَنْشَأْتُهُ كالغُصْنِ في رَوضٍ أَغَرّ(١)

فَثارَتِ الحَربُ على ما تَدْري

أَنْفَذْتُهُ في الفُلْكِ لِلطِّعانِ　　آهِ فَلَنْ يَعُودَ لِلأَوطانِ

---

(١) تشبه ثيتيس ابنها أخيل بالغصن • وما أحسن ما قالت الخنساء في نفسها وفي أخيها صخر:

كنا كغصنين في جرثومة بسقا　　حيناً على خير ما ينمى لهُ الشجرُ
حتى اذا قيل قد طالت عروقهما　　وطاب غرسهما واستوثق الثمرُ
أخنى على واحد ريب الزمان وما　　يبقي الزمان على شيءٍ ولا يذرُ

قَصَّرَ عن إمْدادِهِ بَناني حيًّا ولكِنْ ثائرَ الأشجانِ
يَرى سَنا الشَّمْسِ قَصِيرَ العُمْرِ

حبَتْهُ غادَةً بَنُو الآخاءِ جزاءَ حُسْنِ الذَّودِ والإبْلاءِ
فَرامَها أَتْرِيذُ بالدَّهاءِ أقعدَهُ الكَيدُ عنِ الهيجاءِ
فَشهَرَ الطُّرْوادُ سيفَ النَّصرِ

ودَفَعوا الإغريقَ لِلأُسطُولِ فَهبَّتِ الصِّيدُ الى أَخيلِ
تُطْمِعُهُ بنائلٍ جَزيلِ أبى قَبُولَ تحفَةِ القيُولِ
لٰكنْ دَعا فَطرُقلَ لِلمَكرِّ

أَلْبسَهُ شِكَّتَهُ سِلاحا فَهبَّ في أَصْحابِهِ وراحا
فكافَحوا عِداهمُ كِفاحا لِسُورِ إليُونِهِمِ اكْتِساحا
فأَوْشكَتْ تعنُو لهُمْ بالقَهرِ

لٰكِنَّما فِيبُوسُ فَطرُقلَ قتَلْ لَمَّا رآهُ مَزَّقَ الجَيشَ وفَلْ
وخوَّلَ النَّصرَ لِهكْطُورَ البَطَلْ لِذاكَ بادَرْتُ إليكَ بالعجَلْ
أَبْسُطُ فوقَ رُكْبَتَيْكَ عُذْري

أَحْسِنْ إذاً لِوَلَدي الحَبيبِ مَن سيُلاقي المَوتَ عن قَريبِ
بخُوذَةٍ ومِجْوَبٍ عَجيبِ ولأْمةٍ معَ حِذًا قَشيبِ (١)
تحْرِزْ ثَنائي وجَميلَ الأَجْرِ »

---

(١) المجوب الترس واللأمة الدرع والقشيب الجديد

قالَ :«أطمَئني آهِ لو يومَ القدرْ يُتاحُ ان أقيهِ أهوالَ الخطرْ
كما يُتاحُ الآنَ في هذا المقرْ إعدادُ عُدَّةٍ لهُ أيُّ نظرْ
الى سَناها بِسواها يُزْري »

ثمَّ مضى يُديرُ نحوَ الكُورِ منافخاً دارتْ بلا مُديرِ
فأجَّجتْ بمثلِ لَمحِ النُّورِ عِشرينَ موقداً لظى السَّعيرِ
تُفرِغُ ما يحتاجهُ بالقدْرِ

تَهُبُّ طوراً هبَّةَ الأنواءِ وتارةً تنفُخُ بالإبطاءِ
ثمَّ رمى بالعسْجدِ الوضَّاءِ للنَّارِ فوقَ الفضَّةِ الغرَّاءِ
فوقَ فِلزِّهِ وصلْدِ الصُّفْرِ

وإذْ دحى سنْدانهُ المَهيلا ففي يدٍ مِطرقهُ الثَّقيلا
وفي يدٍ مِلقاطهُ الطَّويلا أعلى وقامَ شاغلاً مشغُولا
يَشرَعُ في المِجَنِّ بدْءَ الأمرِ

تُرسٌ عظيمٌ شائقُ الأوصافِ وطوقهُ البهيُّ فوقَ الحافِ (١)
يَكنِفهُ مثلَّثَ الأطرافِ على حمائلِ اللُّجينِ الصَّافي
يَزهو على خمسِ طِباقِ الظَّهرِ

أودعهُ نقشاً بهِ تَحارُ لحُسنهِ الأنظارُ والأفكارُ
فالأرضُ والسَّماءُ والبحارُ منهنَّ لاحتْ فوقهُ الآثارُ
وساطِعُ الشَّمسِ وتَمُّ البدْرِ

(١) الحاف جمع حافَّة

وَصاغَ فِيهِ جملَةَ الدَّراري　　مِثلَ الثُّرَيَّا الجمَّةِ الأَنْوارِ
والدَّبَرانِ وَلِقا الجبَّارِ　　دُبٍّ دَعوا مَرْكَبَةً دوَّارِ
مِنْ دُونِها لا يَرْتَوِي بالبَحْرِ (١)

وَبَلْدَتَينِ غَصَّتا بالنَّاسِ　　إِحْداهُما بالبِشْرِ والإِيناسِ
زُفَّ بِها الزَّوجانِ بالأَعْراسِ　　بَينَ غِناءٍ وَسَنا مِقْباسِ
وَرَقْصِ فِتْيَةٍ لَهَتْ وَصَفْرِ (٢)

وَنَغْمَةُ الرَّبابِ والشَّبَّابِ　　تَصْدَحُ والنِّساءُ في الأَعْتابِ
وَقِفْنَ لِلزَّفَّةِ بالإِعْجابِ　　وغيرُ هذا الحَشْدِ بانْتِصابِ
حَشْدٌ بِشُوراهُمْ عَسِيرُ الحَصْرِ

هُنالِكَ اثْنانِ اسْتَطالا جَدَلا　　لِدِيَةٍ حَقِّ قَتِيلٍ قُتِلا
هذا ادَّعى إِيفاءَها مُكَمَّلا　　يُعْلِنُ ذاكَ الأَمرَ ما بَينَ المَلا
وذاكَ مُنْكِرٌ أَشَدَّ النُّكْرِ

كِلاهُما يَطْلُبُ حُكْمَ القاضي　　والنَّاسُ بَينَ ساخِطٍ وراضِ

---

(١) اي من دون تلك الدراري

(٢) رسم بلدتين احداها دار سلم والاخري دار حرب لتحسن المقابلة ثم مثل احسن مايحصل أثناء السلم في الواحدة واقبح مايحدث أثناء الحرب في الاخرى. فأخذ اعظم مزايا البلد الامين فأورد افراح الاعراس واقامة القسطاس للعدل بالناس كما سترى

زعم الاقدمون انه اشار الى أثينا لانها كانت السابقة الى وضع سنن الزواج وهي اول بلدة عندهم جُعل فيها عقاب القاتل القتل

ضَجُّوا لِأَيٍّ ساعةَ التقاضي　　أَحْسَنَ والفيُوجُ بِاعْتِراضِ
تأْمُرُ بالصَّمْتِ لِحَسْمِ الأَمْرِ

هُنالكَ الشيُوخُ مِن ضِمْنِ حَرَمْ　　على مَقاعِدٍ مِنَ الصَّخْرِ الأَصَمْ
قاموا بأَيْدِيهِمْ على مَرْأَى الأُمَمْ　　صَوالِجُ الفيُوجِ يبْدُونَ الحِكَمْ
قاضِينَ عَن رَوِيَّةٍ وخُبْرِ

فَرْدًا فَفَرْدًا أَدَّوُا الأَحْكاما　　أَمامَ هاتِيكَ السُّرى قِياما
وشاقِلانِ ذَهَبًا تَماماً　　بينَهُمُ قد أُودِعَتْ إِكْراما
لِمَن مَحا بالعَدلِ شَرَّ الوِزْرِ (١)

والبَلْدَةُ الأُخرى هَفَتْ رُسَما　　جَيْشَينِ حولَها عَليها هَجَما
جَيشٌ لقد آلى بأَنْ تُهَدَّما　　وذاكَ نِصفَ المالِ يَبْغي مَغنَما
وأَهْلُها تَحَصَّنُوا بالسِّرِّ

كَمِينُهُمْ بينَهُمُ أَعَدُّوا　　وفوقَ سُورِهِمْ أَقامَ الوُلْدُ
والأَهلُ والشيُوخُ ثُمَّ امْتَدُّوا　　أَمامَهُمْ رَبُّ الكِفاحِ الصَّلْدُ
كَذا أَثِينا مَلْجَأُ المُضْطَرِّ

(كِلاهُما مِنْ ذَهَبٍ وَضّاحِ　　بالجِسْمِ والمَلْبَسِ والسِّلاحِ

---

(١) في الابيات السالفة قطعة تاريخية بوصف هيئة تقاضيهم في تلك الايام اختلاف النقلة بقوله « وشاقلان .... اودعت اكراماً لمن محا بالعدل شر الوزر » . فقال بعضهم ان ذينك الشاقلين يعطيان للقاضي الناطق بالحكم العادل وقال الآخرون وهو الاصح انهما يعطيان لمن ثبت الحق في جانبه

تَراهما العينُ على البَراحِ أعظمَ قدّاً من سُرى الكِفاحِ
ما مسَّ آلَ الخُلْدِ شَينُ الصِغْرِ)

فَبلَغوا جِدَّةَ نهرٍ جاري مَورِدُ غُرِّ الشاءِ والثِّيار (١)
فوَقفوا بالرُمحِ والبَتّارِ وأرصَدوا عَينَين لِلصوّار (٢)
لِيرقُبا عِندَ وُرودِ النَّهْرِ

فأقبلَتْ أمامَ راعِيَيْنِ بنَغمةِ المِزمارِ لاهِيَيْنِ
عَنْ ذلكَ الكَمينِ غافِلَينِ فوَثَبوا وقَتَلوا الغُرَّينِ
ونحَرُوا السوّامَ شرَّ النَّحْرِ

فارْتفعت عجاعجُ الضَّوضاءِ فبَلغتْ مسامعَ الأعداءِ
فأقبلُوا بغارةٍ شعواءِ واشْتبكُوا وانْهالَ باللِّقاءِ
غيثٌ منَ النِّصالِ فوْقَ الثَّغْرِ

بينَهمُ فتنةُ والغَوغاءُ كذا مُبيدُ الأُمَمِ القَضاءُ
يَعلُو على كاهلِهِ رِداءُ تَسيلُ منْ أطرافِهِ الدِّماءُ
يَفرُّ عن هذا وذاكَ يَفْري

وآخرًا أمسَكَ بالأقدامِ يُزيحُ عن مواقفِ الصِّدامِ (٣)

---

(١) الجدة الثغر

(٢) العين الرقيب والصوار القطيع

(٣) لافائدة من مجاراة الشراح على التخرص لمعرفة البلدة التي اشار اليها الشاعر داراً للحرب ولعله لم يشر الى محل معين • ولكنه لابد من الاشارة الى براعة

تِلكَ رُسُومٌ بِذَكا الرَّسَّامِ تُرَى على المِجَنِّ كالأَجْسامِ
تَسْحَبُ مَوتاها وبَرْياً تَبْرِي
ودُونَ هذا الرَّسْمِ رَسْمُ حَقْلِ خَصْبٍ ثَلاثاً حَرَثُوا بالفِعْلِ
رِجالُهُ قامتْ بِعِبْءِ الشُّغْلِ قد عَمَّقُوا الثَّلْمَ بِسَطْرٍ عَدْلِ
يَرْتَشِفُونَ مِن لَذِيذِ الخَمْرِ (١)
في مُنْتَهى الأَرضِ انبرى غُلامُ إذا انْقَضى ثَلْمُهُمُ التَّمامُ
ناوَلَهم كَاساً وَهُمْ قِيـامُ فَانْقَلَبُوا ونِـيرَهُمْ أَقاموا
بِكُلِّ وُجْهَةٍ بِمِلْءِ الصَّبْرِ
والأَرضُ سَوداءُ تَلُوحُ لِلنَّظَرْ وإِنْ تَكُنْ مِن ذَهَبٍ تلكَ الصُّوَرْ
كأَنَّما الفَلَّاحُ في الحالِ عَبَرْ نَعَمْ فَذي مُعْجِزَةٌ مِمَّنْ قَدَرْ
أَنْ يُخضِعَ العُسْرَ لِأَمْرِ اليُسْرِ

الشاعر بالاحاطة باسباب الحرب ووقائعها ولواحقها بهذا الايجاز البديع . وابدع منه وصف القضاء قبل الانتقال الى مشهد آخر فلقبه « بميد الامم » وهيأهُ بصورة شخص بعلو كاهلهُ رداء تسيل الدماء من اطرافه وهو بلا سبب معقول يفر عن هذا ويفري ذاك ويمسك بقدمي الآخر يزيحه عن موقف الصدام . واي وصف يصدق عليه كهذا الوصف اللهم الا ان يكون قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمتهُ ومن تخطىء يعمر فيهرم

(١) انتقل الشاعر الى منظر آخر ابان فيه انه لم يكن بالقرع والصرع اعلم منه بالزرع والضرع فوصف الحالة الزراعية بدقائقها كأنه آلى على نفسه ان لا يطرق باباً الا ويلج مكتشفاً كل ما بدا وراءهُ وما استتر كأنه استجمع له في صدره كلَّ ما وسع زمانه من مكنونات العقل ومذخورات النقل

وقُرْبَهُ يانعُ زرعٍ بادي دارَتْ بهِ مَناجِلُ الحُصَّادِ
ومِن وَراها زُمْرَةُ الأَولادِ تجمعُ ما يلقى على التَّمادي
وخلفهمْ ثلاثةٌ تَستقري
تَضمُّ ما أَلقوا لهم ضِمنَ حُزَمْ وثَمَّ رَبُّ الأَرضِ ما بينَ الحشَمْ
قد قامَ صامتاً يرى تِلكَ الهِمَمْ مُعْتَمِداً على عصاهُ فابْتَسَمْ
يَنظُرُ بالبِشرِ لِوَفْرِ الذُّخرِ
وتحتَ سِنديانَةٍ قامَ النَّدَلْ يُهيِّئُونَ الزَّادَ في ذاكَ المحَلْ (١)
قد ذَبحُوا ثوراً بهِ الكلُّ اشْتَغَلْ وعاوَنتْهُمُ النِّساءُ في العَمَلْ
على لحومِهِ الدَّقيقَ تَذْري
كَذاكَ كَرْمٌ بِدَوالي ذَهَبِ قامتْ فَمالَتْ تحتَ ثِقْلِ العِنَبِ
سُمُكُهُ مِن فِضَّةٍ لم تُشَبِ قد سُطِّرَتْ دُونَ وَشيعٍ أَشْهَبِ (٢)
يَكْنِفُها وخَنْدَقٍ مُغْبَرِّ
لَيسَ لَهُ الاَّ طَريقٌ رُسِما يَعْبُرُهُ الكِرامُ أَيَّامَ النَّما
ولِلْرُدُ تُبْدي والعَذارى الهِمَا تجْني وفي السِّلالِ تُلْقي كُلَّ ما
جَنَتْهُ مِنْ قِطْفٍ ذَكا مُحْمَرِّ (٣)

(١) النَدل خدمة الطعام
(٢) السمك الاوتاد والوشيع الحجار المعروف بالسياج
(٣) القطف العنقود

بينهمُ فتى بعودٍ قاما　　　مُرَدِّدًا بنقرهِ الأنغاما

نَشيدَ لِينُوسَ الذي تَسامى　　　فَرَدَّدُوا النَّشيدَ والأَقداما[1]

في الأَرضِ دقُّوا وفقَ ذاكَ النَّقْرِ

ودُونَ ذا سِربٌ مِنَ الثِّيارِ　　　مِن الفِلزِّ ومِنَ النُّضارِ

مُنْدَفِعٌ يزأرُ لِلبَراري　　　يُرَى لدى نَهرٍ على مَجارِ

مُحاطةٍ بالقَصَبِ المُخْضَرِّ

رُعاتُهُ أَربعةٌ مِن عَسجَدِ　　　وتِسعةٌ كِلابُهُ لِلرَّصَدِ

وثَمَّ لَيثانِ مَرُوعا المَشهَدِ　　　قد فَرَسا ثَورًا فكرَّتْ تَغتَدِي

رُعاتُهُ وغُضْفُهُ في الإِثرِ

قد مزَّقاهُ مَغنَمًا بينهُما　　　وازدَرَدا الأَحشاءَ وامتَصّا الدِّما

فأَوغرَ الرُّعاةُ مِن خلفِهما　　　كِلابَهُمْ فهالَها بَطْشُهُما

هَرَّتْ وهَدَّها شَديدُ الذُّعرِ

ودُونَ ذا في مَرْجةٍ خَضْراءِ　　　صَرائفٌ مُحكَمَةُ البِناءِ[2]

---

(١) لينوس في اساطيرهم أول من نطق بالشعر . أبوه افلون أو هرمس (عطارد) وأمه قليوبا او اورانيا . كان معلماً لهرقل وثميريس وأرفيوس فانتهر هرقل يوماً لتلاهيه فضربه هرقل ضربة كانت القاضية عليه . ويقول الثيبيون بوجود لينوس آخر اقدم من هذا كان يناظر افلون بالانشاد فاهلكه افلون

وكان من عادة اليونان ان يقيموا للينوس مأتماً سنوياً ينوحون فيه عليه كما يقام مأتم عاشوراء في هذه الايام . ذلك ما أشار اليه هوميروس بقوله « نشيد لينوس الخ »

(٢) الصرائف الاكواخ

لَدى حَظائرٍ تَسُرُّ الرَّائِي   بَينَ مَراتِعٍ لِغُرِّ الشَّاء
كَذا غِياضٍ فَوقَ رَوْضٍ نَضْر

وقُرْبَ هذا رَسمُ مَغْنى طَرَبِ   كَأَنَّهُ نادٍ بَديعُ العَجَبِ
أَلَّفَ فيأَ كْنُوسَ ذِيذالُ الأَبي   لِحَظِّ أَريانا بماضي الحِقَبِ (١)
مِنْ فِتْيَةٍ ومِن عَذارى زُهْر

رِداهُمُ المَنْسُوجُ كالزَّيتِ بَرَقْ   وبُرْقُعُ الحِسانِ بالحُسْنِ نَطَقْ
وحَلْيُهُمْ سَيفٌ مِنَ التِّبْرِ انْطَلَقْ   على نِجادٍ فِضَّةٍ هيفَسْتُ دَقْ
لٰكِنَّ حَلْيَهُنَّ تاجُ زَهْرِ (٢)

تَعاضَدُوا بالكَفِّ والإِبْهامِ   فَرَقَصُوا بالعِلْمِ والإِلْمَامِ
كَأَنَّهُمْ بِخِفَّةِ الأَقْدامِ   مَحالُ خزَّافٍ رَماهُ الرَّامي (٣)
ثُمَّ جَرُوا سَطْرٌ وراءَ سَطْرِ

حَولَهُمُ حَشْدٌ وفي وَسْطِهِمِ   قامَ مُغَنٍّ بِشَجِيِّ النَّغَمِ
إِنْ نَقَرَ العُودَ فَمِنْ بَينِهِمِ   قَرمانِ دارا بِخَفيفِ القَدَمِ
رَقْصاً يُرَدِّدانِ لَحْنَ الشِّعْرِ

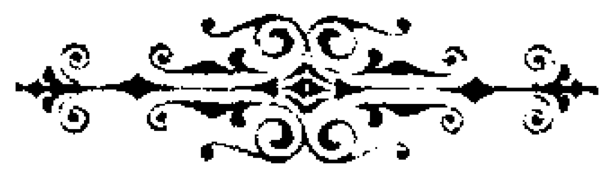
(١) ذيذال شخص خرافي ينسبون اليه كثيراً من خوارق الاعمال ويزعمون ان النساء لم يكنَّ يرقصن مع الرجال فأخذ سبعة فتيان وسبع فتيات فعلمهم الرقص على النمط الذي يشير اليه هوميروس ولا يزال مستعملاً في بلاد اليونان واني إِخال الكدريل الافرنجي ضرباً منه

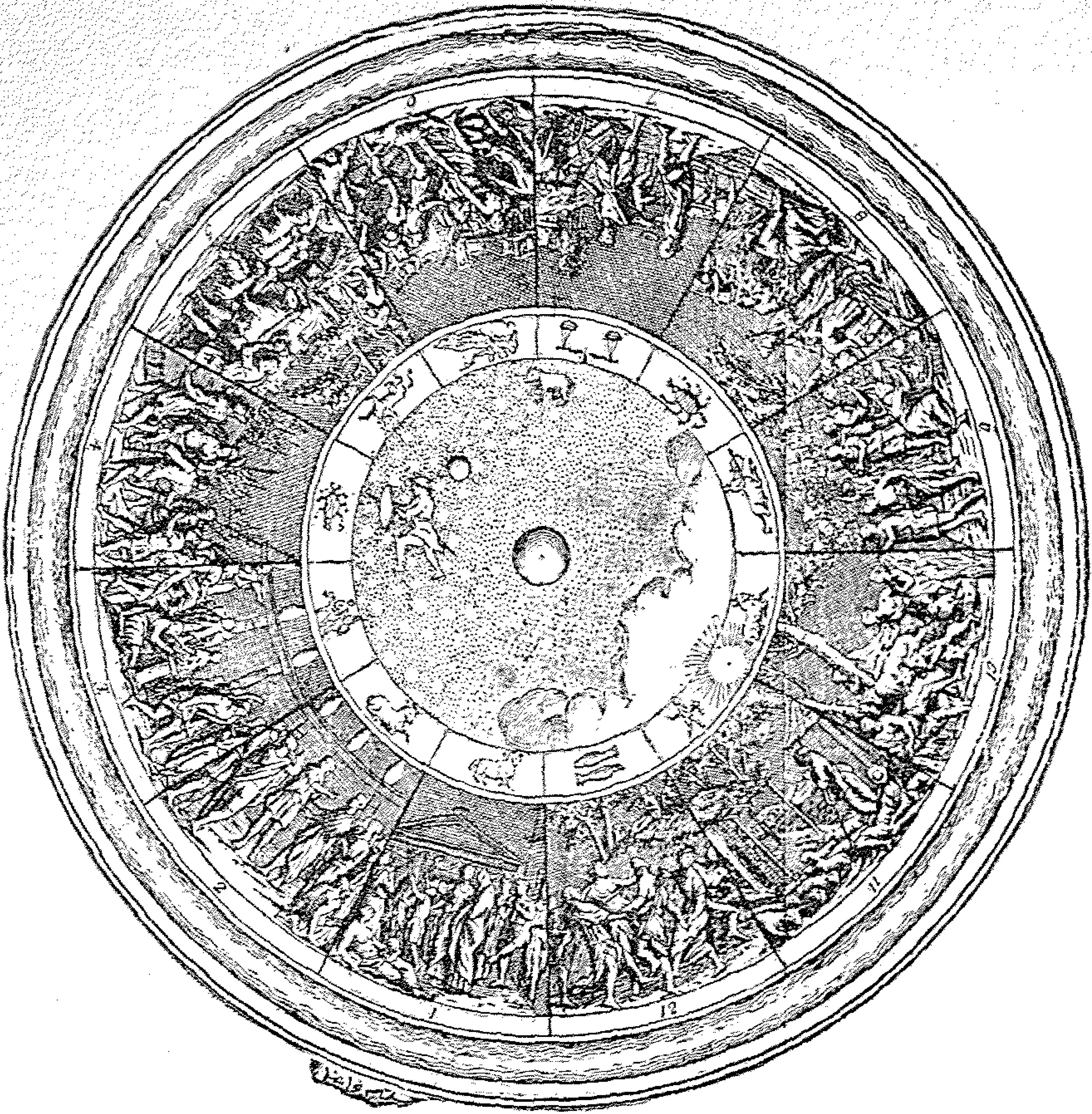
(٢) واي حلي أبهج من تلك الحلى: للرجال السيوف وللعذارى تيجان الزهر

(٣) المحال جمع محالة وهي الدولاب

وعِندَ ما أَتمَّ هاتيكَ البدَعْ　　مجَاريَ المحيطِ في الحافِ وَضعْ [1]
فأَكملَ المجنَّ مِنْ ثَمَّ ابتدعْ　　دِرْعاً سَنَاها كسَنا الشَّمْسِ سَطَعْ
ما صلُحتْ إلاَّ لِذاكَ الصَّدْرِ
وخُوذَةً بِقَونَسٍ جَميلِ　　مِن عَسْجَدٍ وَمحْمَلٍ ثَقيلِ
لاقَت لِذاكَ البَطَلِ الجَليلِ　　ومِنْ نُحاسٍ لَيّنٍ مَصقُولِ
طَرَّقَ خُفَّين تمامَ البرِّ
وإذْ أَتمَّ كُلَّ تِلكَ الغُرَرِ　　أَلقى بها لأُمِّ آخيلَ السَّري
مِنْ لَدْنِ رَبٍّ تُحْفَةً لِلبَشَرِ　　فَانْحَدَرتْ مِنَ الأُلمْبِ أَزْهَرِ
وٱندَفعَتْ بِها ٱندِفاعَ الصقْرِ

(١) الى هنا انتهى الشاعر من وصف الترس فأودعه من مكنونات الطبيعة ما لم يبق معه موضع لاسهاب فأتى على ذكر سائر القطع موجزاً كل الايجاز بعد هذا الاطناب الوحيد في شكله الفريد في بابه





ترس آخيل

مقسوماً الى اثني عشر جزءًا

ثلثة منها للبلدة مسالمة ١ حفلة زفاف ٢ مجلس شورى ٣ مجلس قضاء
وثلثة لبلدة محاربة ٤ حصار ٥ رعاة وكمين ٦ قتال
وثلثة للزراعة ٧ حراثة ٨ حصاد ٩ كرمة
وثلثة لرعاية المواشي ١٠ سباع وانعام ١١ خراف ١٢ رقص وطرب

هذا هو الترس العجيب الذي اطنب هوميروس بوصفه • وكأنه لم يكتف بجعله اسطرلاباً للافلاك فأودعه جميع مخلوقات الله من اجرام وسماء ويبس وماء • واخاله اختار الترس مستودعاً لتلك البدائع دون سواه من قطع السلاح لانه كان من عادتهم ان يزخرفوا تروسهم برسوم ونقوش • وقد نسب هسيودس الشاعر وصفاً من هذا

القبيل . ثم انه فضلاً عن ذلك لم يكن يصلح سواه لرسم الكون باجمعه . وهو سواء كان بيضيًّا كما ذهب البعض او مدوراً كما هو في الرسم يصح به تمثيل كروية الارض والسماء

ولقد اصاب هذا الترس من نقد النقاد وهذر الحساد ما اصاب غيره من اللآلئ الهوميرية كقولهم مثلاً انه لم يكن يعقل ان المناضد تدور من نفسها على عجالها كأنه لا يسوغ لشاعر يروي اعجوبة لرب باعتقاده قدير ان يتصور امراً تقول الشعراء اعظم منه لبشر باعتقادهم قصير الباع مقيد الذراع كقول ابي الطيب لسيف الدولة :

اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً ... مضى قبل ان تاتي عليه الجوازمُ

وقوله في محمد بن زريق الطرسوسي :

لو كان ذو القرنين اعمل رأيهُ ... لما اتى الظلمات صرن شموسا

او كان لج البحر مثل يمينه ... ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى

او كان للنيران ضوء جبينه ... عُبِدت فكان العالمون مجوسا

واذا أردنا مجاراتهم وأتينا الامر من حيث اتوه طلباً لاثبات الممكن المعقول أفلا يكون ذلك ممكناً ونحن نرى من الاعيب الصبية ما يسير بنفسه . والعجب ان الذين قالوا هذا القول صمتوا عن مغالاة الشاعر بارتجاج السموات وزلزال الارضين وانفجار البحار باشارة من اربابهم ذوي الهيبة والاقتدار . وكقولهم ان الترس لم يكن ليتسع لكل تلك الرسوم والنقوش البارزة كانه لم يكن بوسع ذلك الصيقل العلوي ان يكبر ويصغر حسبما يشاء . وهي كما تراها بادية على رسم صغير مع انه يؤخذ من نص هوميروس وغيره ان مجانهم كان كبيرها يستر الجسم من الرأس الى ما تحت الركبة

وقد اثبتنا هنا صورة الرسم الذي صُنع لبوب فادرجه بترجمته الانكليزية المطبوعة سنة ١٧٢٠ واليك تفصيله تتمة للفائدة : —

الظاهر من كلام هوميروس انه شرع في بسط المعدن خمس طبقات فاكمل المجن وطوقه طوقاً

يكنفهُ مثلَّث الأطرافِ ... على حمائل اللُّجين الصافي

ثم اخذ يرسم وينقش فبدأ به من وسطه فرسم فيه الارض وفي دائرة من حولها القمر والكواكب وفي دائرة اخرى الشمس والبروج وجعل ما وراء ذلك دائرة

اكبر اودعها المألوف من احوال البشر فكانت اثني عشر جزءًا

الجزء الاول — البلدة المسالمة

وبلدتينِ غصتَّا بالناسِ   احداهما بالبشرِ والإيناسِ ...

ترى في الرسم العروسين يتقدمهما حملة المصابيح ويكتنفهما الراقصون والراقصات ووراءهما العزفة والمغنون

ونغمةُ الرَّبابِ والشبَّابِ   تصدحُ والنِّساءُ في الاعتابِ

وقفنَ للزَّفةِ بالاعجابِ

الجزء الثاني — مجلس شورى الامة

هنالكَ اثنانِ استطالا جدلا   لِديةٍ حقَّ قتيلٍ قتلا ...

رسم فيه والد القتيل والقاتل والشهود والحضور . والمدعي والمتهم

كِلاهما يطلبُ حكمَ القاضي   والناسُ بينَ ساخطٍ وراضِ

وهذا الجزء مع الذي يليه في حلقة واحدة وفيهما المجال المتسع لتصوُّر امهر المصورين

الجزء الثالث — مجلس الشيوخ أو القضاء

هنالك الشيوخُ من ضِمنِ حرَمْ   على مقاعدٍ من الصخر الأَصَمْ

الشيوخ في وسط الرسم يتكلم احدهم واقفاً وقد هم الآخر بالوقوف ليشرع في الكلام والجمع محدق بهم بين سامع ومتفرج

الجزء الرابع — البلده المحاربة

والبَلدَةُ الأُخرى هنستُ رَسَما   جيَشَينِ حولهـا عليها هجما

جيشٌ لقد آلى بأن تُهدَّما   وذاكَ نِصفَ المالِ يبغي مغنما

واهلُها تحصنوا في السرِّ

يعبر عن البلدة بما يبدو للنظر من مجموع الرسم وزعماء الجيشين امام الاسوار اخذ فريق منهم بمقابض السيوف وهم ينظرون الى البلد اشارة الى انهم يرومون فتحه عنوة والفريق الآخر يهوّن عليهم الامر وينهاهم عن ذلك اما اهالي البلد فقد ذُعروا

. . . .　　وفوق سورهم اقامَ الولدُ

والأَهلُ والشيوخُ ثم امتدُّوا　　امامهم ربُّ الكفاحِ الصلْدُ

كذا أثينا ملجأُ المضطرّ

وقد ميز الشاعر بين رسوم الآلهة ورسوم البشر كما جرت به عادة ابناء ذلك الزمان فافرد لرب الحرب وربة الحكمة وصفاً خاصاً وجعلهما اعظم قدًّا كما كانا ارفع قدراً

الجزء الخامس — الكمين

فبلغُوا جـدَّةَ نَهرٍ جاري　　مَوردغُرِّ الشاْءِ والثّيارِ ...

ان اعتراض هذا القسم بين الذي تقـدمه والذى يليه يمثـل اويقات الراحة والسكون في زمان الحرب . فان فيه نهراً وعلى احدى ضفتيه شجر تتفيأ الجنود بظله . وعلى الضفة المقابلة رقيبان يرصدان الماشية

فاقبلت امام راعيينِ　　بنغمةِ المزمارِ لاهيينِ

عن ذلك الكمينِ غافلينِ

الجزء السادس — القتال

فوثبوا وقتلوا الغرّينِ ...

في صدر الرسم الراعيان قتيلان والسوام منحورة وباقيه صدام وكفاح واهم مافيه صورة «القضاء مبيد الامم»

يعلو على كاهلهِ رداءْ　　تسيلُ من اطرافهِ الدِّماءْ

الجزء السابع — الحرث

وَدُونَ هذا الرَّسمِ رَسمُ حقْلِ   خَصْبٍ ثلاثاً حرَثوا بالفعلِ...

في الرسم صورة الحرث والحارث وأرضه والات الزراعة وابدع ما فيه من مؤثرات النظم الهوميري ذلك الغلام الذي قام في طرف الارض المحروثة

. . . .   اذا انتهى ثَلْمهُمُ التَّمامُ

ناولهم كأساً وهم قيامُ   فانقلبوا ونيرَهم اقاموا

بكل وجهةٍ بملء الصبرِ

الجزء الثامن — الحصاد

وقُرْبَهُ يانِعُ زرعٍ بادِ   دارت بهِ مناجل الحُصادِ...

فالحصّاد في صدر الرسم محولون وجوههم نحو الجمع المحدق بهم وخلفهم الفعلة والاولاد يجمعون ويرزمون • وفي وسط الرسم رب الارض قام بينهم آمراً مطاعاً يشير بعصاه وتليهم سنديانة قام تحتها الخدم

. . . .   يهيئون الزاد في ذاك المحل

قد ذبحوا ثوراً به الكلُّ اشتغل   وعاونتهم النساء في العمل

على لحومهِ الدقيقَ تذري

الجزء التاسع — الكرمة

كذاك كَرْمٌ بدوالي ذَهَبِ   قامت فمالت تحت ثقل العنبِ...

هنا الكرمة بدواليها وقطوفها ووشيعها وسمكها وخندقها وفيها الغلمان والعذارى

تجني وفي السّلال تُلقي كلما   جنتهُ من قُطفٍ ذَكا مُحْمَرّ

وبينهم فتى ينقر عوده وينشد وهم اذا غناهم صوتاً طربوا

فردَّدوا النشـيد والأَقداما بالأَرضِ دقوا وفق ذاك النقرِ

ليس على المجن رسم اوقع في النفس من هذا

الجزء العاشر — الحيوانات

ودون ذا سرْبٌ من الثيارِ . . . مندفع يزأر للبراري . . .

سوام ورعاة وكلاب وسباع فالاسود في وجه الرسم قبض احدها على ثور والآخر آخذ في تمزيق ثور آخر والرعاة تثير الكلاب للذود عن القطيع • وامام هذا المشـهد مشهد قطيع آخر منهـزم رعباً ووراءهُ رعاته وكلابه والنهر في ما وراء ذلك

الجزء الحادي عشر — الخراف

ودون ذا في مرجةٍ خضراء صرائفٌ محكمة البناء

لدى حظائرٍ تسرُّ الرائي بين مراتعٍ لغرِّ الشاء

كذا غياض فوق روض نضرِ

لم يكن للشاعر بد بعد هول منظر الجزء السابق من اراحة المخيلة بمشهد عزلة وسكون تسرح فيها الفكرة بين مناظر الطبيعة • فأتى بهذا التخيل البديع

الجزء الثاني عشر — المرقص

وقرب هذا رسم مغنى طرَبِ كأَنه نادٍ بديع العجبِ . . .

جعل هوميروس هذا المشهد خاتمة المشاهد التي نقشها على ظهر المجن وحسب المطالع الرجوع الى المتن شرحاً وافياً للاعجاب بهذا المنظر الراقص المرقص • فالفتية والعذارى بابهى الملابس • حلى الفتية السيوف وحلى العذارى اكاليل الزهر وقد

تعاضدوا بالكفِ والإِبهامِ فرقصوا بالعِلمِ والإِلمامِ

كأنّهم بخفّـةِ الأَقـدامِ   مَحال خزّافٍ رماه الرامي

ثم جرَوا سطرٌ وراءَ سطرِ

وهناك على ربوة صاحب العود يضرب ويطرب ثم هو

ان نقر العود فمن بينهم   قرمانِ دارا بخفيفِ القَدَمِ

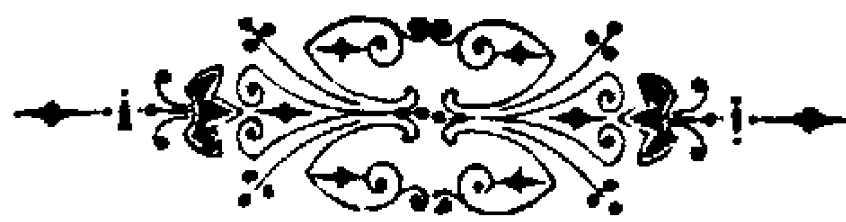
رَقصاً يُرَدِّدانِ لَحنَ الشّعرِ

افلا يليق ان تتخذ هذه خطة تتبع حتى في أيامنا هذه

حاشية المجن

وعندما اكمل هاتيك البدَعْ   مجاريَ المحيط في الحافِ وَضَعْ

لم يزد الشاعر على هذا الكلام بوصف حاشية المجن • وفيه ما يغني عن الاطناب وقد استبقى المحيط الى الحاشية لتكنف المجن كما تكنف المياه اليابسة • فكان مجنه جامعاً رسوم العالمين من علويات وسفليات



النشيد التاسع عشر

مصالحة اغاممنون واخيل

مُجْمَلُهُ

ما اشتمل الفجر بثوب الجسادْ　　من يمّه يبرز فوق العبادْ

حتى انبرت ثيتيس الى ابنها أخيل بالشكة التي اصطنعها الاه النار وحسنت له مصالحة أغا ممنون . وأفرغت بمنخري فطرقل مادة تحفظها من الفساد أثناء غيابه فحشد أخيل الجمع وتصالح مع أغا ممنون وأنبأ القوم انه على أهبة القتال في تلك الساعة . فاعترف أغا ممنون بخطائه والقى تبعة فعله على القضاء والقدر ورغب الى أخيل ان ينتظر ريثما يؤتى له بالتحف التي مرّ تعدادها فأبى أخيل الا الكر بلا توان لما بلغ منه الغيظ على مقتل حبيبه فطرقل . فاعترضه أوذيس محتجاً انه لا بد للجيش من تناول الطعام ودعا أخيل الى الغذاء في مضرب أغا ممنون فآلى أخيل ان لا يذوق طعاماً قبل الاخذ بثأر فطرقل . فأكل الجيش وأحضرت تحف أغا ممنون ومعها بريسا سبية أخيل وأقسم أغا ممنون امام الجمع انه لم يمسسها أثناء اقامتها عنده . وأرسلت التحف الى خيام أخيل وأخذت الجواري وبريسا يبكين فطرقل ويندبنه . وأخيل كل تلك الآونة متوجع متفجع لا يرى الا القتال ومن حوله الملوك يرومون له تعزية فلا يتعزى بل يندب وينتحب كالطفل . ثم تقدم أخيل بالجيش مستلئماً درع هيفست وشد أفطوميذ الخيل الى مركبته فاعتلى وعنف الجياد فنطق أحدها وأنبأه بمصرعه القريب فلم يعبأ بنبوته

وحث في صدر السرى جرده　　بهدة تدوي بتلك النجادْ

مجرى الوقائع في اليوم الثلاثين

النشيد التاسع عشر

ماأُشتَمَلَ الفجرُ بثوبِ الجِسادْ مِنْ يَمِّهِ يَبرُزُ فوقَ البلادْ[(١)]
يَرْمقُهُ مَعبودُها والْعِبادْ

حتَّى أُنبرَتْ دُونَ الخلايااثتيْنْ في تُحَفِ الرَّبِّ هِفَستٍ تَميسْ[(٢)]
فأَبْصرَتْ آخيلَ فوقَ الثَّرى مُعانِقاً فطرُقلَ واري الفُؤَادْ

يَشْهَقُ بالعَبْرَةِ هامي الجُفُونْ وحَولَهُ أَصْحابُهُ يَنْدُبونْ
وَسْطَهمُ حلَّتْ بتِلْكَ الشُّجُونْ

ويَدهُاُ جترَّتْ وقالت: «أَلا مَهْما طَما الخَطْبُ وطَمَّ البَلا
دعْ ثَمَّ فطرُقلَ على التُّرْبِ إِذْ في قَدَرِ الأَرْبابِ بالغَيبِ بادْ

بُنَيَّ قُمْ وَأُرْفُلْ أَتاكَ السِّلاحْ مِنْ لَدْنِ هِيفَستٍ زَهِيَّ الصِّفاحْ[(٣)]
ما قَطُّ إِنْسيٌّ بهِ قَبْلُ لاحْ»

---

(١) الجساد الزعفران والمراد به الزعفران الاحمر الذي ينبت في بلاد اليونان وجبال أوروبا • راجع ما قلناه بهذا الصدد ن ٨ ص ٥١٥ • مثّل الفجر شخصاً يبرز من يم البحر مشتملاً بثوب يشبه الزعفران باحمراره

(٢) الخلايا السفن

(٣) ان القول باهداء الآلهة شيئاً من اسلحتهم للبشر قديم وكثير باعتقاد الامم الخالية وقد أشار هوميروس الى ذلك غير مرة ووصف السلاح الذي انعم به زفس على فيلا ابي اخيل • ووصف ڤرجيليوس السلاح الذي القت به الزهرة الى ابنها آنياس • وفي الفصل الخامس عشر من سفر المكابيين الثاني وافى ارميا النبي يهوذا بالرؤيا « وناوله

مِن ثَمَّ أَلقتهُ لَدَيهِ فصَلْ　　وَهدَّقَلبَ المِرْمِدُونَ الوَجَلْ[1]
لم يَستَطيعُوا رَمْقَ أَنوَارِهِ　　بَلْ عَنهُ صدُّوا جُمْلَةً بِارْتِعادْ

لٰكِنَّما آخِيلُ مُذْ أَحدَقا　　فِيهِ حَشاهُ غِلُّهُ مَزَّقا
وطَرْفُهُ نارًا ذَكَتْ أُلقا

مُستَبشِرًا قلَّبَهُ في يَدَيْهْ　　يَنظُرُ بالبِشرِ مَليًّا إِلَيْهْ
وقالَ يا أُمَّاهُ لَيسَتْ سِوى　　تُحفَةِ رَبٍّ جادَ فيها أَجادْ

هَيهاتِ إِنسيٌّ كَذا يَبتَدِعْ　　وها أَنا مِنْ ساعَتي أَدَّرِعْ
لٰكِنْ فؤَادي جُملَةً يَنخَلِعْ

لِهاجِسي بالشِّلْوِ إِنَّ الذُّبابْ　　يَعيثُ ما بَينَ جِراحِ الذُّبابْ[2]
ويَنشُرُ الدُّودَ بِهِ عابِثاً　　فَيعتَري جِسمَ الحَبيبِ الفَسادْ»[3]

سيفاً من ذهب وقال خذ هذا السيف المقدس هبة من عند الله به تحطم الاعداء » ع ١٥ و ١٦ ٠ ورواية التوراة لاتتعدى حالة الرؤى العادية على ان فيها اشارة الى شيوع ذلك المعتقد اذ لايحلم بشيء غير معروف او مسموع

(١) أي فصلّ السلاح وارعب المرمدون قوم اخيل

(٢) الذباب الاولى الهوام المعروف والثانية يراد بها حدود المناصل

(٣) كانوا يحتفظون كل الاحتفاظ بجثة الميت لئلاَّ يدركها الفساد قبل ان تحرق او تدفن ولهذا ترى الشاعر حريصاً على تدوين ذلك المعتقد وحيثما اراد حفظ كرامة ميت تذرع بكل الوسائل لحفظ جثته نقية سليمة فيستعين بالآلهة لئلاَّ يتجاوز المعقول بعرفهم ٠ فهنا ثيتيس تباشر الامر بنفسها كما عني زفس وغيره من الآلهة بحفظ جثة سرفيدون في النشيد السادس عشر وسترى الزهرة وافلون محتاطين بجثة هكطور في النشيد الثاني

قالت: « دَعِ الفِكْرَةَ إِنّي أُزِيلْ عَنهُ جَرَاثِيمَ الذُّبابِ الوَبِيلْ
تِلكَ التي تَنْهَشُ لَحْمَ القَتِيلْ
حتَّى وَلَو عاماً هُنا الجِسْمُ ظَلْ ماخِلْتَ ذا التَّشْوِيهِ إِلاَّ اضْمَحَلْ
فَنادِ للشُّورى كِبارَ السُّرى وصافِ أَتْرِيذَ وأَلْقِ العِنادْ

وشُكَّ وَالْبَسْ ثَوبَ بَأْسٍ مَنِيعْ » وأَهْبَتْهُ بالزَّماعِ الذَّرِيعْ
ثُمَّ انْثَنَتْ تَلْفِتُ نَحْوَ الصَّرِيعْ
في مِنْخَرَيْهِ أَفْرَغَتْ عَنْبَرا وسَلْسَبِيلاً صافِياً أَحْمَرا
لِيَسْلَمَ الجِسْمُ وفورًا جَرى آخيلُ فَوقَ الجُرْفِ يَذْكُو اتِّقادْ (١)

وصاحَ صَوتاً بالسَّرايا قَصَفْ فَكُلُّهُمْ لَبَّى مُجِيباً وَزَفْ
حتَّى الذي بالفُلْكِ دوماً وَقَفْ
ومَنْ على السُّكَّانِ ظَلَّ المُقِيمْ ومَنْ على الأَرْزَاقِ كانَ الزَّعِيمْ

والعشرين — اما قولهم ان ثيتيس حفظت جثة فطرقل من الفساد لانها من بنات البحر فيفيد انهم ملحود فحفظوه وهذا من باب التكلف الذي لاحاجة بنا اليه خصوصاً وانه قال بعد هذا انها افرغت بمنخري القتيل العنبر والسلسبيل

(١) كانوا يعتقدون بوجود مأكول ومشروب للآلهة يدعون الاول Ἀμβροσία (أمبرُوسيا) وهو مادة لطيفة لذيذة الطعم تقتل الموت فيخلد آكلها وقد تقدم ذكرها (ن ١٤ : ٧٤٧) والثاني Νέκταρ (نكتار) وهو نوع من الخمر الاحمر شائقٌ بطعمه ولونه ذكيٌّ برائحته وكلاهما مضادللفساد • وقد عربنا الاول بالعنبر لتقارب اللفظين والثاني بالسلسبيل لتقارب المادتين • وربما يحسن تعريب هذا بالكوثر كما سيأتي بعد ابيات

طُرًّا الى الشُّورى سعَوا مُذْ بَدا　　آخيلُ لِلْهَيْجاء بَعْدَ البعادْ (١)

ثُمَّـةَ ما عـتَّمَ أَنْ عرَّجا　　يَعرُجُ أُوذِيسُ إِمامُ الحِجا
كذا ذِيُومِيذُ الفتى المُرْتجى
توَكَّأَا على كُعُوبِ الرِّماحْ　　بشدَّةِ الضَّيمِ وَهَولِ الجِراحْ
تَصدَّرا في النَّادِ ثُمَّ أَنبَرى　　بَعْدَهُما أَتْرِيذُ رَبُّ القِيادْ

أَثقَلَهُ جُرحُ كُوُوْنَ الهُمامْ　　يَومَ عَلا النقْعُ بِحَرِّ الصِّدامِ
وما إِنِ انْضمُّوا وتَمَّ النِّظامْ
حتَّى بهِمْ آخيلُ فوراً نَهَضْ　　وصاحَ: «يا أَتْرِيذُ بِئْسَ الغَرَضْ
ما كانَ أَولى السِّـلْمَ ما بَيننا　　مُذْ ثارَتِ الأَحقادُ تُوري الزِّنادْ

يا حبَّذا لَو يَومَ كِدْتُ العُداهْ　　بِقَهرِ لِرْنيسا وسَـبْيِ الفتاهْ
مِنْ أَرطَمِيسِ فَخرِ صيدِ الرُّماهْ
أَدرَكَها في الفُلْكِ سَهْمُ الرَّدى　　لَمَا بِنا جلَّتْ خُطوبُ العِدى
وعَضَّتِ الـتُّرْبَ صَنادِيدُنا　　وَنالَتِ الطُّرْوادُ مِنَّا المُرادْ

أَقْعَدَني الغِلُّ بِبُونٍ بعيدْ　　تِلْكَ إِذًا عُقْبى الخِصامِ الشَّدِيدْ

---

(١) يقول ان جميع الجيش التفَّ متهافتاً للقتال اجابةً لنداء اخيل حتى الذين كانوا يقعدون عن الهيجاء جبناً فيلجأُون الى السفن او يقيمون على سكان السفينة اي دفتها او يتولون تقسيم ارزاق الجند . كل ذلك لما كان لصوته من الوقع في نفوسهم

يَذْكُرُها الإِغْرِيقُ دَهرًا مَدِيدْ

قد فَدَحَ الأَمْرُ فَدَعْ ماذَهَبْ   وَلْنُغْضِ ولْنُخْمِدْ سَعِيرَ الغَضَبْ
فَلَسْتُ بالحافِظِ حِقْدًا مَضى   فَقُمْ إِذًا أَضْرِمْ أُوارَ الجِهادْ

واُحْمِلْ على الأَعْداءِ حتَّى أَرى   أَتَطْلُبُ الأُسْطُولَ تِلكَ السُّرى
لٰكِنَّني أَدْري ومِثْلي دَرى
أَنَّ الَّذي مِنْهُمْ هزِيماً نَجا   مِن عامِلي يأْنَسُ حَيثُ الْتجا»(١)
فَضَجَّتِ الإِغْرِيقُ بِشْرًا لَهُ   إِذْ غادَرَ الأَضْغانَ تَوًّا وَعادْ

فَقامَ أَتْرِيذُ وَلم يَمْتَثِلْ   في الوَسْطِ بَلْ مِنْ عَرْشِهِ يَرْتَجِلْ:
«يا صَحْبُ أَتباعَ أَرِيْسَ الْمُذِلْ
يا دانَوِيُّونَ اُصْمُتُوا لِلخِتامْ   فَلَيسَ باللاَّئِقِ قَطعُ الكَلامْ
فَكُلُّ نادٍ قد عَلا ضَجَّةً   لا مُسْتَفِيدٌ فيهِ مِمَّنْ أَفادْ

مَهْما عَلا صَوتُ خَطِيبٍ خَطَبْ   واُتَّقَدَتْ نارُ حِجاهُ اُضْطَرَبْ(٢)
آخِيلَ لَبَّيْتُ إِلى ما اُنْتَدَبْ
فَاُصْغُوا فَكَمْ لُمْتُمْ بِمُرِّ الكَلامْ   وَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِذاكَ المَلامْ

---

(١) اي انه لا ينجو من بطشه الا من فاز بالهزيمة فيأنس بذلك الفوز — ان في كلام اخيل من الانفة وعلوّ الهمة ما شاءَ اذ اغضى عن كل ما مضى وهو لا يرى الا الاثئار ودفع العار

(٢) اي يضطرب الخطيب للغط والغوغاء

ما الذَّنبُ ذنبي حِينَ حِرْمانِهِ فتاتهُ إذْ قد حُرِمتُ الرَّشادْ
بَلْ ذنبُ زفسٍ ذا وذنبُ القَدَرْ والظُّلمةِ الدَّهْماءِ ذاتِ العِبَرْ
فَهُمْ هُمُ أعموا عليَّ البَصَرْ
وما تُرى قد كانَ في طاقتي لمَّا أستباحتْ فتنةٌ باحتي
فتاةُ زفسٍ تلكَ غدَّارةٌ تقودُ مَنْ شاءتْ وليستْ تُقادْ[1]
تجري وفوقَ التُّربِ ليستْ تدوسْ لكنَّها تهشُمُ شُمَّ الرُّؤوسْ
وتَبتلي النّاسَ بدُهمِ البُؤوسْ
وزفسُ قوَّامُ الدُّنى والعُلى أدركَهُ منها عَميمُ البلا
مُذْ بهرقلٍ ألقمينا أتى الـ مخاضُ في ثيبةَ ذاتِ العِمادْ
زوجتَهُ والتْ وثيقَ الوَلاءْ فأعملتْ فيهِ دهاءَ النِّساءْ[2]
إذْ قالَ مُعتزًّا بدارِ البَقاءْ:
« أربابُ يارَبَّاتُ سمعاً لما نفسي تُناجيني بأنْ يُعلَما
« رأسُ المواليدِ إليثيَّهْ ترئسُ هذا اليومَ أسمى وِلادْ[3]
« في الإنسِ مِنْ ذُرّيَّتي أيُّهمْ بالبأسِ فيهمْ سائدًا يحكمُ »
قالتْ لهُ هيرا الدَّها تكتُمُ:

(١) اي الفتنة بنت زفس
(٢) اغرت الفتنة هيرا فخدعت هيرا زفس كما اغرت الحية حواء فخدعت حواء آدم
(٣) الاهة المواليد وقد تقدم ذكرها

«كَذَبْتَ لَنْ تُنْفِذَ هذا المَقالْ أَو لا فأَيْمانَكَ أَغلظْ ثِقالْ
« بِأَنَّ مَنْ تُلْقِيهِ إِنْسِيَّةْ ذا اليومَ مِنكَ الإِنْسَ بالبأْسِ سادْ»

فأَغْلَظَ الأَيمانَ زفْسُ وما أَدْرَكَ مغزاها فيا بُؤْسَما
فانْدَفعَتْ هِيرا كَسيلٍ طما
تَجْرِي وَتَدْرِي أَنَّ في أَرْغُسا عِرْسَ سَتِينِيلٍ فَتَى فِرْسِسا
حُبْلى شُهوراً قد خَلَتْ وَهْيَ في أَوائِلِ السَّابِعِ دُونَ ازْدِيادْ

فوَلَّدَتْها الطِّفْلَ مِنْ قَبْلِ حِينْ وَاسْتَوْقَفَتْ في أَلْقَمِينا الجَنِينْ
وَزفْسَ جاءَتْ بالبَلاغِ اليَقِينْ :
« ياقاذِفَ البَرْقِ اسْمَعَنِّي فقدْ أَقْبَلَ مِنْ نَسْلِكَ ذاكَ الوَلَدْ (١)
إِفْرِسْتِسٌ يُدْعى وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ الإِغْرِيقَ أَنَّى أَرادْ »

فَنَفْسُهُ جاشَتْ على قَهْرِها وَفِتْنَةَ أَمْسَكَ مِنْ شَعْرِها
آلى بِأَنْ تُنْفَى مَدَى دَهْرِها
مِنْ مَجْلِسِ الأُولمْبِ والأَصْفِياءْ وَمِنْ رَقِيعٍ بالدَّرارِي أَضاءْ
ولِلثَّرى أَلْقَى بِها قاذِفاً مِنْ بَعدِ ما بالكَفِّ عُنْفاً أَمادْ (٢)

(١) لان فرسيس والده من نسل زفس

(٢) لانكاد نجد أمة من امم الاقدمين لاتعتقد بوجود ملاك كابليس أُهبط من السماء فكان على الارض علة الشرور والبلاء ٠٠ وهذه « فتنة » هنا بنت زفس القى بها زفس من قبة الزرقاء الى وجه الغبراء فكان منها ما كان وقد رأينا فيما مضى كيف نكل زفس بالطيطان (ن ١٤ : ص ٧٥٧)

وَكَمْ تَلَظَّى زَفْسُ لَمَّا اُحْتُكِمْ　　إفْرِسْتُسٌ ثُمَّ فَتَاهُ حَكَمْ
يَسُومُهُ الأَمْرَ بِجَافِي العِظَمْ

كَذَاكَ لَمَّا لِلْخَلايَا انْدَفَقْ　　هَكْطُورُ يُصْمِي بَيْنَ تِلْكَ الفِرَقْ
ما كَانَ لِي طَاقَةُ رَدٍّ لَهَا　　لَكِنَّمَا لِي الآنَ حُسْنُ ارْتِدَاد [1]

أَضَلَّنِي زَفْسُ وَعَقْلِي انْحَرَفْ　　لَكِنْ لَكَ اليَوْمَ تُنَالُ الطُّرَفْ
فَكُرَّ إِنْ تَزْحَفْ فَكُلٌّ زَحَفْ

وَكُلُّ ما أَمْسِ أُذِيسٌ وَعَدْ　　لازَالَ طُرًّا لَكَ عِنْدِي مُعَدّ
فَإِنْ تَشَأْ فَالْبَثْ يَسِيرًا تَرَى　　وَإِنْ تُعَلْ صَبْرًا لِقَرْعِ الصِّعَادْ

فَلْيُحْضِرَنَّ الآنَ تِلْكَ الغُرَرْ　　قَوْمِي مِنَ الفُلْكِ وَعَيْنًا تَقَرّ» [2]

---

(١) لها اي للفتنة . يشير الى انها استولت عليه حتى غاظ اخيل على كره منه ولم يكن في ذلك مختاراً

(٢) ان موقف اغاممنون هنا لمن احرج المواقف اذ لابد له من الاعتذار والاسترضاء مع الاحتفاظ بهيبة الملك ورئاسة الزعماء فجمع بين الامرين . قام ولا قيام غيره بل لبث على سدته يخطب واسترعى الاسماع وأطال الكلام في القاء تبعة ما فات على الآلهة والقضاء ووصف الفتنة ذاك الوصف البليغ تهويناً على اخيل ثم مثّل بفعلها مع من هو أعظم شأناً منه ومن اخيل (اي زفس وهيرا) وقص الخرافة القائلة ان زفس انبأ الملأ الاعلى يوم ميلاد هرقل ان اول مولود من نسله بين البشر في ذلك اليوم سيكون ملكاً عظيماً فاستوثقت منه هيرا زوجته بالايمان ليبرنّ بذلك الوعد وولدت زوج ابن فرسيس بن زفس في اول شهرها السابع فاضطر زفس الى توليته بدلاً من هرقل ثم كان ماكان من امرها مما أبنتاه في النشيد الثامن . وقد قصد اغاممنون بهذا الاسهاب تحويل غيظ اخيل بما لايحط من قدر كليهما . ولما

فقالَ : « يا أتْرِيذُ مَولى البَشَرْ

أنتَ وَلِيُّ الأَمرِ والمَرْجعِ   إنْ شِئْتَ فامْنحْ أوتَشأْ فامْنَعِ [1]

لـكِنَّما ذا الحينُ حِينُ الوَغى   فلا نُضِعْ باللَّغوِ وَقْتَ الجِلادْ

مَكرُّنا تدرُونَ ما أُنجِزا   كُرُّوا ترَوا آخِيلكُمْ بَرَّزا

بِعامِلٍ يَفْري ولَنْ يَعْجزا

كُرُّوا وكُلٌّ مِنكُمُ فَلْيَصُلْ   مُبارِزاً مِنهُمْ كَمِيّاً عُتُلْ » [2]

فَقالَ مُحْتَجّاً على قَولِهِ   أُوذِيسُ ذو الحِكمَةِ رَبُّ السَّدادْ :

« آخيلُ يا عِدَّ سَراةِ الخُلُودْ   مَهْما تَحَدَّمْتَ فَخَلِّ الجُنُودْ

لا تَدْفَعَنَّ الجَيشَ دُونَ الحُدُودْ

وَهُمْ صِيامٌ فاذا النَّقْعُ ثارْ   واصْطَدَمَ الجَيشانِ تَحتَ الغُبارْ

وَهاجَتِ الأَرْبابُ كُلَّ السُّرى   يَطُولُ لا رِيبَةَ أَمْرُ الطِّرادْ

فَمَنْ إذا يُؤتى بزادٍ وراحْ   فَذاكَ يُولِي البَأسَ يومَ الكِفاحْ

فَمَنْ الى المَغرِبِ مُنْذُ الصَّباحْ

أنس تحقيق مرامه وتأثير كلامه امر باحضار الطرف التي اعدها لاخيل • وهو دهاء ما فوقه دهاء

(١) من أحسن ما قيل بهذا المعنى قول ابي نواس :

يرجو ويخشى حالتيك الورى   كأنك الجنة والنارُ

(٢) الكمي العتل الفارس الشديد

يَقْوى عَلى الإِبلاءِ فوقَ السَّغَبْ　　مَهْما عَاتَ هِمَّتُـهُ والْتَهَبْ (١)
يُنْهِكُهُ الـعِيُّ عـلى رَغْمِـهِ　　وَهُوَ بلا قُوتٍ ضَئِيلٌ وصادْ (٢)

لَـكِنَّهُ إِمَّا اُكْتُفي وارْتَوى　　نَهارَهُ قاتَلَ جَمَّ القُـوَى
بِقَلْبِ بَأْسٍ لم يَنَلْهُ الطَّوى

وَلا يُبالي باُصْطِدامِ الطِّعَامْ　　مِنْ غُرَّةِ الكَرَّةِ حتَّى الخِتامْ
فَوَزِّعِ الجُنْدَ على فُلْكِهِمْ　　ومُرْ إِذًا يُؤْتى بِراحٍ وَزادْ (٣)

وَلْيُحْضِرَنْ أَتْرِيذُ لِلْمَجْلِسِ　　ما لَكَ مِنْ ذُخْرٍ حَوى أَنْفَسِ
في مَشْهَدِ القومِ بِهِ تأْنَسِ

وَواقِفاً بالجُنْـدِ فَلْيَحْلِفِ　　أَنَّ بَرِيسا قَطُّ لم يَعْرِفِ
مِنْ ثَمَّ في خَيْمَتِهِ فَلْيُقِمْ　　مأدَبَةً تَضْمَنُ صافي التَوادْ

ويُحْسَمُ الأَمْرُ فتَرْضى إِذا　　تَطِيبُ نَفْساً وتَعافُ الأَذى
وأَنتَ يا أَتْرِيذُ مِنْ بَعْدِ ذا

---

(١) السغب الجوع

(٢) صاد أي عطشان

(٣) يشبه كلام اوذيس هنا خطاب ابي عبيدة بن الجرّاح في جند المسلمين وهم على حصار بعلبك • قال غياث بن عديّ الطائي : فلما صلينا صلاة الفجر نادى منادٍ من قبل ابي عبيدة رضي الله تعالى عنه يقول عزيمةً مني على كل رجل من المسلمين لايبرز الى حرب هؤلاء القوم حتى يبرز الى رحله ويصاح لهُ طعاماً حارّاً يأكله ليكون بذلك شديدًا على لقاء العدو (الواقدي)

أَنْصِف فَمَنْ قوَّامَ قومٍ أَهانْ لا بِدْعَ إِنْ يسترْضِهِ كُلَّ آنْ »
فقالَ أترِيذُ : « أَيا أُوذِسُ أَدَّيْتَ بالحِكْمَةِ كُلَّ المَفاذْ

أَجَلْ يَميني صادِقاً أَحلِفُ أَمامَ رَبٍّ كُنْهَهَا يَعْرِفُ
ولَسْتُ بالحانِثِ لٰكِنْ قِفُوا
وأَنتَ يا آخيلُ مَهْما اسْتطارْ في لُبِّكَ الذَّاكي شِرارُ الأُوارْ
مَهْ رَيْثَما تَبدُو الهَدايا هُنا فَنُبْرِمَ العَقْدَ لِعَهْدِ الوَدادْ

وَأَنْتَ يا أُوذِيسُ بالأَمْرِ سِرْ مِنْ نُخْبَةِ الفِتْيانِ وَفْداً أَسِرْ
لِلفُلْكِ يَأْتُونا بِذُخْرٍ ذُخِرْ
أَعْدَدْتُهُ لِابْنِ أَيالَ أَنا وَتَلْثِيوُسُ يُضَحِّي لَنا [1]
رُتَّ لِزِفْسٍ وَلِشَمْسِ العُلَى وَاسْتَقْدِمُوا كُلَّ السَّبايا الخُرادْ » [2]

فقالَ : « يا أَتْرِيذُ هٰذا المَجالْ نَخُوضُهُ بَعدَ اصْطِدامِ الرِّجالْ
في هُدْنَةٍ تَبْدُو عَقيبَ القِتالْ
إِذْ تَسْكُنُ الغُلَّةُ في مُهْجَتي أَما تَرى صِيدَ سُرى الحَمْلَةِ
صَرْعَى فَرَى الحَديدُ أَجْسادَها مُذْ زِفسُ هَكْطُورٌ بِهِ القَوْمَ كادْ

(١) أيال جد اخيل وقد مرّ مثل هذه التكنية بالجد دون الاب

(٢) الرت الخنزير • كان من عادتهم ان يضحوا بخنزير في بعض الاحوال فاخذ الرومان عنهم تلك العادة وجعلوا التضحية بالخنزير دليلاً على التحالف والتواثق

شاقكما الزَّادُ فلا لَنْ أَحولْ أُحرِّضُ الآنَ جميعَ القُيولْ (١)
لِلْكرّ لازادُ قُبَيْلَ القُفولْ
نُؤَجِّلُ الأَدْبةَ حتَّى المَغيبْ مِنْ بَعدِ أَنْ ننقمَ عمَّنْ أُصيبْ
فالقُوتُ والمَشرَبُ لَنْ يَدخُلا فمي وما إِنْ خُضْتُ تلكَ الوِهادْ

كيفَ وفي الخيمةِ إِلْفي يُرى مُخَضَّباً بِحَدِّ نَصْلٍ فَرى
مِنْ حَوْلِهِ الصَّحْبُ بِدمعٍ جرى
قَدْ حَوَّلوا رِجْلَيْهِ لِلْمَدْخَلِ آهِ فَأَنْ يَحْلُوَ ذا اليومَ لي (٢)
إِلاَّ انْفِجارُ النَّقْعِ والبَطْشِ والْ إِبْلاءِ بينَ الزَفَراتِ الشِّدادِ »

فقالَ أُوذِيسُ: « ابنَ فِيلا أَجَلْ قد فُقْتَني بَأْساً وفُقْتَ المِلَلْ
لكِنَّ لي فضلَ رَشادٍ أَجَلْ
حَنَّكَني العُمْرُ وطُولُ اخْتِبارْ فانْظُرْ إلى قَولي بعينِ اعْتِبارْ
تُضْوَى القُوَى أَيَّانَ تَمضي القَنا في الهامِ كالسُّنْبُلِ وقتَ الحِصادْ

ولا يَهُونُ الأَمْرُ حتَّى يُميلْ مِيزانَهُ زَفْسُ لِأَمْرٍ جَليلْ
فليسَ لِلإِغْريقِ نَدْبُ القَتيلْ
بالصَّومِ إِذْ في كُلِّ يومٍ تَخِرْ قَتْلاهُمُ أَنَّى إِذًا نَسْتَقِرْ

---

(١) يريد بقوله شاقكما اغاممنون واوذيس
(٢) تلك عادة كانت متبعة في ازمانهم

نَدْفِنُ قَتْلانا ونَبْكي أسىً يوماً ولا نُضْوَى ونأْلُو اجْتِهادْ

ومَنْ يَعيشُوا بَعدَ ذاكَ القِراعْ عليهمِ أَنْ لا يَظَلُّوا جِياعْ
لِيُدْرِكُوا قَهرَ العِدى بالزِّماعْ

فذاكَ رأْيي لا تُطيعُوا سِواهْ مَنْ ظَلَّ بَينَ الفُلْكِ وافى بَلاهْ
نَكُرُّ طُرًّا كَرَّ عَزْمٍ على أَعْدائِنا رُوَّاضِ جُرْدِ الجِيادْ »

وما انْتهى أُوذِيسُ حتى انْدَفَعْ في وُلْدِ نَسْطُورٍ إمامِ الوَرَعْ
ثُوَاسَ مِيجِيسَ ومِرْيُونَ مَعْ

لِيقُومِذٍ يَصْحَبُهُمْ مِيلَنِيفْ فَسارَعُوا طُرًّا بِسَيرٍ خَفِيفْ
خَيْمَ أَغامَمْنُونَ أَمُّوا الى أُوذِيسَ يَنْقادُونَ أيَّ انْقِيادْ

عادُوا بِمـا أَتْرِيذُ فيها ادَّخَرْ مَناضِدٌ سَبْعٌ تَشُوقُ النَّظَرْ
يَكْنُفُها عِشْرُونَ طِساًّ أَغَرْ

وَمِنْ بَناتِ السَّبْيِ سَبْعٌ حِسانْ قَدْ أَبْلَغَتْهُنَّ بَرِيْسا الثَّمانْ
طُرًّا تَثَقَّفْنَ بِصُنْعِ النِّسا كَذلِكَ اثْنا عَشْرَ رَأْساً جَوادْ

أَمامَهُمْ أُوذِيسُ في عَشَرَةِ شَوَاقِلٍ مِنْ ذَهَبٍ عُدَّتِ
سائِرُهُمْ في سائِرِ التُّحْفَةِ

سارُوا وأَلْقَوها أَمامَ الحُضُورْ فقامَ اتْرِيذُ المَلِيكُ الوَقُورْ

وَثلثبيُوْسُ هُناكَ أنْبَرى إِلَيهِ والخِرنَوْصَ في الحَالِ قادْ

مِنْ ثَمَّ أَتْرِيذُ انْتضى مِديَةً إزاء غِمْدِ السَّيْفِ ملوِيَّة
أَدَّى فُرُوضاً صانَ مَرْعِيَّة

ناصِيَةَ الخِرنَوْصِ مُذْ قصَّ مَدّ يَديْهِ مِنْ زَفْس يَرُومُ المَدَدْ
وسائرُ الإغْريقِ أَصغَوا لَهُ يعتَقِدُونَ الخيْرَ خيْرَ اعْتِقادْ

ثُمَّ تَلا يَنْظُرُ نَحْوَ العُلَى : « بِزَفْسَ إنِّي مُقْسِمٌ أَوَّلا
أَجَلَّ آلِ الخُلْدِ بَينَ المَلا

بالأَرْضِ والشَّمْسِ كَذا أُقْسِمُ وبِبَناتِ النَّارِ مَنْ تَعلَمُ
حَقائِقَ الأَمْرِ وَتحْتَ الثَّرى بِكَيْدِها الحالِفُ زُوراً يُكادْ

أنَّ بَرِيسا لبِثتْ باحْتِرامْ ما قطُّ مسَّتْها يَديْ في الخِيامْ
لا لِافْتِراشٍ او لِأَمْرٍ يُرامْ

وإنْ أَمِنْ فَلأَلْقَ كلَّ الخُطوبْ شأْنَ الذي يُقْسِمُ وَهُوَ الكَذُوبْ»
وعُنْقَ ذاكَ الرَّتِّ رمْياً رَمى فَوراً بِنَصْلٍ ساطِعِ الحَدِّ حادْ

وتَلْثِبيُوسْ تلقّى الذَّبيحْ يَطْرَحُهُ في قَعْرِ بَحْرٍ فَسيحْ
في اليَمِّ لِلأَسْماكِ قُوتاً أُبيحْ [١]

(١) القوا بجثة الخنزير الى البحر لانه كان محرماً عليهم اكل الذبائح التي تنحر توثيقاً لايمان

فَصاحَ بينَ الجمعِ آخيلُ: «كَمْ يا زَفْسُ فوقَ الخَلْقِ هِلْتَ النِّقَمْ
لو لم تشأْ نكبةَ أبطالنا ما سامَني أَتْرِيذُ قطُّ احتِدادْ

كلّا ولا حُمْقاً فتاتي استَباحْ لٰكِنْ مَضى الماضي وآنَ الرَّواحْ
هُبُّوا الى زادِكُمُ بارْتِياحْ
ثُمَّ على أعدائنا نَحمِلُ طرًّا» كذاكَ انصرفَ المَحفِلُ
وارْفَضَّتِ الجُنْدُ وكلٌّ مَضى يَجْري الى أُسطولهِ باشتِدادْ

وقومُ آخيلَ حثيثي القَدَمْ ساروا بذيّاكَ الحِبا للخِيَمْ
وأجلسوا الغيدَ وبعضُ الحَشَمْ
ساقوا جيادَ الخيلِ بينَ الجُموعْ فاندفعَتْ تذري بَرِيسا الدُّموعْ
مُذْ أبصرتْ فَطْرُقْلَ قد مزَّقتْ أعضاءَهُ صُمُّ الحُدُودِ الحِدادْ

أهوَتْ عليهِ بالبُكا والعويلْ تلطِمُ ذيّاكَ المُحيّا الجميلْ
وصدرَها البضَّ وجيدًا أميلْ
كأنّها الزُّهْرةُ في المَشهَدِ جَلالُها فَرْعُ هوى عَسْجَدي
صاحتْ: «أيا فَطْرُقْلُ وَيْلاهُ يا خِلَّ فتاةٍ لازمَتْها النّآدْ [1]

ألمْ أُغادِرْكَ قُبَيلَ الذَّهابْ حيّاً فألفيتُكَ عندَ المآبْ
مَيْتاً فكمْ يتلو مُصابي مُصابْ

(١) النآد الداهية والمصيبة

أَبي وَأُمّي أَنكَحاني فَتى　　قد أَبصَرَتْهُ مُقلَتي مَيِّتا
دُونَ الحصُونِ اختَرَمَتْهُ القَنا　　مُكافِحاً يحْسِنُ عَنّا الذِّيادْ

وإخوَتي لمّا استطارَ الغُبارْ　　ثلاثةً بادُوا بِذاكَ النَّهارْ
وعاثَ آخيلُ بِتلكَ الدِّيارْ

بَلدَةَ مينيسَ العظيمِ اكتَسَحْ　　وفي الْتِحامِ الحَرْبِ بَعلي ذَبَحْ
وَلَمْ تُبِحْ لي آهِ فَطرُقْلُ أَنْ　　أُهمِي عَلَيهِ عَبَراتِ الحِدادِ

عَلَّلْتَني أَنَّ أخيلاً يَسيرْ　　لإفثيا بي فوقَ فُلْكٍ تَطيرْ
يُولِمُ الأَفراحَ حتَّى أَصيرْ
عِرْساً لَهُ يا مَعدِنَ اللُّطفِ آهْ　　عَليكَ أُهمي الدَّمعَ طُولَ الحَياهْ»[١]
وَانفَجرَتْ أَجفانُها وَانبَرَتْ　　كُلُّ السَّبايا حَوْلَها بِاحتِشادْ

يَندُبْنَ في الظّاهِرِ فَطرُقْلَ بَلْ　　يَندُبْنَ خَطْباً جَلَّ فيهنَّ حَلْ[٢]

(١) ان في ندب بريسا قطعة تاريخية تمثل حالة السبايا في تلك الازمان . هنا سبية أميرة قتل أخيل بعلها واخوتها ودمر بلادها تعلل النفس باتخاذه بعلاً اذ لم يكن لها الا الرضاء بذلك اوالاستسلام للرق المؤبد . ولا شك ان فتاةً هذا شأنها في عصرنا يغلب ان تؤثر الرق . على ان لكل زمان اخلاقاً وعادات بل كانت بريسا تذرف عبرات الشجي على رجل كان يعللها بنيل تلك الامنية . وقد باحت بها في الختام تذكيراً لاخيل بوعده لعله ينجزه وقد أرجعت الآن اليه وصارت في قبضة يديه

(٢) لم يكن نواح السبايا كنواح بريسا اذ لم يكن فيهن من يطمع بالعتق والنجاة من الرق

وحولَ آخيلَ سَراةُ المِلَلْ

ساعُونَ في اُستِرْضائهِ أنْ ينالْ   شيئاً مِنَ القُوتِ فبالبَثّ قالْ :
«أستَحلِفُ الأحبابَ أنْ يرعَوُوا   ولا يسُومُوا ما أقولُ انتِقادْ

لاقُوتَ لاشُرْبَ فقَتْلُ الحبيبْ   أجّجَ في قلبي أُوارَ اللّهيبْ
أصُومُ حتّى الشَّمْسُ عنّا تَغيبْ
وليسَ يُؤذِيني طُولُ انتِظارْ »   وصرَفَ القومَ وظلَّ الكِبارْ
أتْرِيذُ أتْرِيذُ أذِيسُ ونسْـ   طورُ إذُومِينُ فِنكْسُ الجَوادْ(١)

ظلّوا وراموا سَلْوَةً تَجمُلُ   يلهُو بها وا بُعْدَ ما أمّلوا
سُلْوانهُ أن الوغى تَشغَلُ
وطأْتَها . فكّرَ في نفسِهِ   وأنَّ مُغتمّاً على بُؤسِهِ
وصاح : « واويْكَ يا ذا الذي   قد كُنتَ لي إلفاً وَثيقَ العِهادْ

كمْ قبلُ في خيمي بذلتَ الهِمَمْ   في أُدْبَةٍ تُقيمُ يومَ النِقَمْ(٢)
مُذْ طلبَ الجيشُ العِدى واقتحَمْ
وأنتَ ذا الآنَ طَعينٌ طَريحْ   كلّا فنفسي الزّادَ لاتستبيحْ

---

(١) قوله اتريذ واتريذ اي اغاممنون ومنيلاوس

(٢) لا عجب ان يتذكر اخيل في هذا الموقف همة فطرقل في المآدب والجند لاهون بطعامهم ولعل هذه الذكرى كانت سبباً آخر لامتناعه عن مشاركة القوم في طعامهم

ماعِشتُ لَنْ ينتابَني حادِثٌ يَبدُو كما ذا الحادِثُ اليومَ بادْ

كَلاَّ ولو يوماً أَتاني النَّبا أَنَّ أَبي في إِفْثيا قد خَبا
ذاكَ الَّذي بالدَّمعِ دوماً صَبا
لِابنٍ نأى عنهُ بِدارِ اغترابْ فيها يثيرُ الحربَ تحتَ الحِرابْ
وذاكَ مِنْ آثارِ هيلانةٍ أُسِّ الرزايا والعوادي الغوادْ

كَلاَّ ولو أُنبِئتُ فَرْعي الوحيدْ نِيُطُولِمُ ربُّ الجمالِ الفريدْ
إِنْ لم يمتْ لِلآنَ أَضحى فقيدْ
أَمَّلتُ لكنْ خابَ كلُّ الأَملْ أَنِّي بإِلْيُون أُوافي الأَجلْ
أُودي بعيدًا عن حمى أَرغُسٍ وأَنتَ يا فَطرُقْلُ حيٌّ تُزادْ

إِسكِيرُساً أَمَّلتُ أَنْ تطلُبا حيثُ ترى نِيُطولماً قد رَبا
أَمَّلتُ مِنْ ثَمَّةَ أَنْ تذهبا
لِإِفثيا في فُلْكِكَ الأَسحمِ لِيَدِهِ تُدْلي بما ينتمي
لي مِنْ عَقارٍ أَو سبايا ومِنْ منازلٍ شاقتْ وكلِّ العتادْ

فإِنَّ فيلا الهمَّ لاشكَّ ماتْ أَو إِنَّهُ في جُرُفِ اللَّحدِ باتْ
يُشفِقُ دوماً أَنْ توافي الثِّقاتْ
مُبْلِغَةً حتفي لهُ بغتة » وجادَ بالدَّمعِ وهمْ جُمْلَةً (١)

(١) كان فطرقل خليلاً كفوءاً حسباً ونسباً وسناً وبأساً وهو مع هذا يلازم أخيل

هزَّتهمُ الذِّكرى لأوطانهم وكلُّهمُ بفائضِ الدَّمعِ جاذْ
فرقَّ زفسُ لهمُ وانثنى نحوَ أثينا رفقةً معلِنا :

ملازمة الاخ النصوح والخادم المطيع يقرأ اوامره بعينه فيلبي الامر قبل ان ينطلق من شفتي اخيل • وهذا اخيل رواع الابطال يبكي بكاء الاطفال ويتمنى لو أتيح له ان يفديه برأسه وأبيه ووحيده وأن يموت دونه وهو حي يقوم لابي اخيل مقام الولد ولابنه مقام الوالد • فلا عجب بعد هذا ان تضرب الامثال مدى الدهور بهذا التوادّ

ولقد جمع اخيل برثائه خليله فطرقل رثاء الابيرد الرياحي بقوله :

فليتك كنت الحيَّ في الناس نادباً وكنت انا الميت الذي غيب القبرُ

ورثاء كعب بن سعد الغنوي بقوله :

اخ كان يكفيني وكان يعينني على نائبات الدهر حين تنوبُ

وقول الخادرة :

أفبعد من ولدت نسيبة اشتكي زوّ المنية او أرى اتوجعُ
ولقد علمت ولا محالة انني للحادثاتِ فهل تريني أجزعُ

وقول الهذلي :

فوالله لا أنساك ما عشت ليلة صفيّ من الاخوان والولد الحتم

وقول الآخر :

اجاريَ لو نفس فدت نفس ميتٍ فديتك مسروراً بنفسي وماليا
وقد كنت ارجو ان املاّك حقبةً فحال قضاءُ الله دون قضائيا
الا ليمت من شاءَ بعدك انما عليك من الاقدار كان حذاريا

وقول البحتري :

فوا اسفا الاّ اكون شهدته فخاست شمالي عنده ويميني
والا لقيت الموت احمر دونه كما كان يلقى الدهر اغبر دوني
وان بقائي بعده لخيانة وما كنت يوماً قبله بخؤونِ

وقول الحطيئة :

ولو عشت لم املل حياتي فان تمت فما في حياتي بعد موتك طائلُ

« لِمْ يا ٱبْنتي أَلقَيْتِ عِبْءَ العَنا
بالشَّهمِ آخيلَ أَلَمْ أُلفِهِ في خَيْمِهِ يَبْكي على إِلفِهِ
كُلُّهمُ لاهُونَ في زادِهِمْ وَهْوَ عَنِ الخَمْرَةِ والزَّادِ صادْ

هبّي ٱسكُبي العَنْبَرَ والكَوْثَرا في صَدْرِهِ الضَّامِرِ كي يَصْبِرا »
فٱنبعَثَتْ مِنْ شُمِّ تِلكَ الذُّرى
كَنَسْرِ بَحْرٍ في عَظيمِ الجَناحْ يَدْوي بِساحاتِ الرَّقيعِ الفِساحْ
قد هاجَها زَفْسُ وفي نَفْسِها وُدٌّ لِآخيلَ فلا تُسْتَزادْ

فأَفْرَغَتْ في صَدْرِهِ كَوْثَرا وعَنْبَرَ الخُلْدِ لِكَيْ يَصْبِرا
والجَيشُ يَسْتَلئِمُ مُسْتَبْشِرا
عادَتْ الى صَرحِ أَبيها الرَّفيعْ ومِن خِلالِ الفُلكِ هَبَّ الجَميعْ
فٱنتَشَرُوا كالثَّلجِ في شَمْأَلٍ تَرْمي بِهِ فٱمْتَدَّ أَيَّ ٱمْتِدادْ

تَرائكٌ تَسْطَعُ مِن فَوقِ هامْ مِن دُونِها زانُ العَوالي ولامْ
وَصُمُّ أَجْوابٍ تَصُدُّ الحِمامْ (١)
فَطَفِقَتْ تَبْسِمُ تِلكَ البِطاحْ يَشُقُّ فيها الجَوَّ لَمْعُ السِّلاحْ
وٱرْتَجَّتِ الأَرْضُ لِوَقْعِ الخُطَى وصَبْرُ آخيلَ ٱعتَراهُ النَّفادْ

(١) الترائك الخوذ والعوالي الرماح واللام مخفف اللام الدروع والاجواب التروس

اَسْنانُهُ صَرَّتْ صَرِيرًا وَطارْ　مِن لَحظِ عَينَيهِ أُوارُ الشِّرارْ
وَلُبُّهُ لِلْبَطْشِ بالقومِ ثارْ
وَسْطَهُمُ هَبَّ إلى شِكَّتِهْ　مِن فَضلِ هِيفَسْتٍ ومِن صَنْعَتِهْ
فَزَرَّ خِفَّيْهِ لِساقَيْهِ في　عُرَى لُجَينٍ شائِقاتٍ جِدادْ

ثُمَّ كَسا الصَّدْرَ بِدِرْعٍ تُنِيرْ　وبينَ كِتْفَيهِ الحُسامُ الخَطِيرْ
مِنْ فِضَّةٍ قد دُقَّ فيهِ القَتِيرْ
والجَوْبُ ذاكَ الجوبُ أنَّى ارْتفعْ　كالبدرِ بَدرِ التِّمِّ نُورًا سَطَعْ
في قُبَّةِ الجَوِّ مَضَى لامِعًا　يُنِيرُ أطرافَ الرَّقِيعِ البِعادْ

كأنَّهُ والنَّوءِ عُنْفًا قَصَفْ　حَتَّى الى اليَمِّ بِفُلْكٍ قَذَفْ
وعَن مَجالِ الأَمْنِ فيهِ انْحَرَفْ
لَهِيبُ نارٍ في مَحَلِّ اعْتِزالْ　يُبْصِرُهُ المَلاَّحُ فوقَ الجِبالْ
وبَعدَ هذا خُوذَةٌ قد غَدَتْ　كَكَوكَبٍ في أُفُقِ الجَوِّ غادْ

قَوْنَسُها الوَارِي عَلَيهِ أَدارْ　هِيفَسْتُ تَزْهُو عَذَباتِ النُّضارْ
ثُمَّتَ في الشِّكَّةِ آخِيلُ دارْ
يَخْبُرُها هل وافَقَتْ جِسْمَهُ　أَو أَزْعَجَتْ في ثِقْلِها عَزْمَهُ
إذا بها مِثلَ الجَناحَينِ قد　خَفَّتْ بها يَرْتادُ كُلَّ ارْتِيادْ

وسَلَّ مِن غِمدٍ سِناناً صَقِيلْ يُثْقِلُ كلَّ البُهْمِ إلاَّ أخيلْ
أَهْداهُ خيرُونُ لفيلا الجَلِيلْ

قَنَاتَهُ قد كانَ قبلُ انتقى مِن رُعْنِ فِلْيُونٍ لِيومِ اللِّقا (١)
مُـرَّانَةٌ شَمَّاءُ أَهْـوالُهـا عادتْ على الأبطالِ أَدهى مَعادْ (٢)

وأفْطُمِيذُ الخَيلَ في الحالِ شَدْ وأَلْقَمِيـذٌ بِبَهِيِّ العُـدَدْ
فَأُلْجِمَتْ والصَّرْعُ لمَّا اسْتَنَدْ

لِلْعَرْشِ أفْطُمِيذُ في الكَبْكَبَهْ في سَوطِهِ هَبَّ إلى المَرْكَبَهْ
تَلاهُ آخِيلُ كَشَمْسِ الضُّحَى عُدَّتُهُ تَزْهُو وتَجْلُو السَّوادْ

بِصَوتِهِ الهَدَّارِ بالجُرْدِ صاحْ: « يا نَسْلَ فُوذَرْغَةَ نَسْلَ الفَلاحْ
زَنْثُ أَبالِيسُ بِجُنْحِ النَّجاحْ

بي لِلْحِمى عُودا إذا ما ارْتَوَيْتْ لا تَتْرُكاني إنْ أَمُتْ ثَمَّ مَيْتْ
نَظِيرَ فَطْرُقْلٍ » فَزَنْثُ انْحَنى يُطْرِقُ بالمِضْمَدِ تحتَ القِلادْ (٣)

(١) اي من جبال فليون

(٢) يظهر انهم كانوا احياناً يتخذون غمداً لسنان الرمح كما يتخذ الغمد لنصال السيف — ترى من هذه الابيات ان رمح اخيل لم يكن صُنْع هيفست بخلاف سائر قطع سلاحه وقد مرَّ ان فطرقل ذهب بكل شكة اخيل الاولى ما عدا هذا الرمح لانه لم يكن يقوى على حمله فبقي عند اخيل ولم يكن بهيفست حاجة الى اصطناع رمح آخر وخصوصاً ان هيفست كان حداداً ولم يكن نجاراً ليصطنع القناة لا يفوتن القارىء النظر الى هيبة مشهد اخيل وهو يشك بسلاحه

(٣) اردنا بالقلاد حلقة المضمد وهو النير

قالَ وَهـيرا خوَّلتـهُ المَقالْ ولِلثَّرى أعْرافُهُ بانْسِدالْ :
« أجلْ اخيلُ اليومَ شدَّ النِّزالْ
نَقيكَ لـكنَّ المَنايا إليْكْ دنَتْ ولم نَجْنِ بهذا عَليْكْ
لـكنَّما الجاني إلاهٌ سطا وقَدَرٌ ما رَدَّهُ قطُّ رادْ [1]

فإنْ يَكنْ فطْرُقْلُ قد جرِّدا فَلا لِعجْزٍ مِنْ كِلَينا بَدا
لِيطُونَةٌ تِلكَ فَتاها اعْتَدى [2]
رَماهُ في صَدْرِ الثَّرى إذْ أغارْ يُولي ابْنَ فِرْيام شعارَ الفَخارْ
فالرِّيحَ إنْ نَسْبُقْ فإنَّ الرَّدى في الغَيْبِ مَحْتُومٌ فَلا يُسْتَعادْ

لا بُدَّ أن يُصْمِيكَ تَحتَ النِّصالْ رَبٌّ وقَرْمٌ بِقُوَى الرَّبِّ صالْ » [3]


الأقدار او الاهات القدر

(١) يمثلون الاقدار الاهات اناثاً ثلاثاً بايديهن المغازل يغزلن عليها الاعمار ثم يقطعن حبال الحياة عند حلول الاجل ولهنَّ شأن عظيم في اعمال الخلق ورقابة العالم والثواب والعقاب • يذكرهن هوميروس مرة واحدة بصيغة الجمع (ن ٢٤) وفي ما سوى ذلك يعبر عن القدر بالاهة واحدة

(٢) فتى ليطونة اي ابنها هو افلُّون

(٣) رأينا فيما تقدم جوادَي اخيل يذرفان الدمع حزناً على فطرقل وها هنا احدهما يتكلم بل ويتنبأ ـ ولا غرو فان الشاعر اعد السامع لرواية الغرائب عن

وصوتهُ أخفتْ بناتُ الوبالْ

فما بحرفٍ بعد هذا نطقْ　　　فقال آخيلُ بملءِ الحنقْ :

« لِمْ بالرّدى يا زنثُ أنبأتني　　　فمنكَ ذا المنطقُ لا يُستجادْ

فلستُ بالجاهلِ حكماً مضى　　　عليَّ بالموتِ غريباً قضى

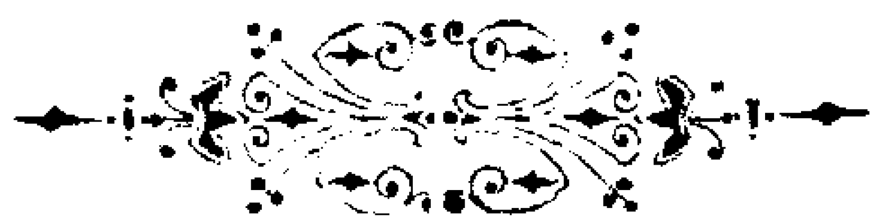
فلا أُبالي لا ولنْ أُعرضا

حتّى أرى الطّرْوادَ سيموا الجزعْ　　　وثقلةُ العيِّ عليهمْ تقعْ »

وحثَّ في صدرِ السُّرى جُرْدَهُ　　　بهدّةٍ تدوي بتلكَ النّجادْ

هذين الجوادين منذ ذكرها لاول مرة اذ قال انهما من جياد الخلد فكان لا بد ان يميزها عن سائر الخيل تمييزه للآلهة عن البشر ثم هو ينسب الى هيرا ايلاءهما قوة الكلام ليقلل من غرابة الرواية

ان امثال هذا الكلام المروي عن الحيوانات كثيرة عند الاقدمين فقد روى بلينوس كلاماً لثورين • ولا نساوي بتلك الحيوانات حمارة بلعام وظبية القاع فكلامهما لا يزال مروياً باعتقاد



النشيد العشرون

تحفّز الآلهة للقتال وبطش اخيل

مُجْمَلُهُ

عقد زفس مجاسه واذن للآلهة بمعاضدة ايٍّ شاؤا من الفريقين فانحازت هيرا وأثينا وفوسيذ وهيفست الى الاغريق وآذيس وأفلون وارطميس ولاطونة وزنش والزهرة الى الطرواد . فاتخذ افلون هيئة ليقاوون وحث آنياس على البروز لاخيل . فرامت هيرا ان تنفذ فوسيذ واثينا لشد ازر اخيل ولكن افلون رأى ان الاجدر بهم ان تجتنب الآلهة قتال البشر وترقبهم عن بعد . ولما رأى اخيل آنياس مقبلاً عليه انذره بالقتل ان لم يرجع فابى الا مبارزة اخيل وكاد يهلك لولم يبادر فوسيذ الى انقاذه فغشّى على بصر اخيل . فاحتدم اخيل غيظاً واقدم يستحث صحبه على الفتك بالاعداء . وهكطور من الجهة الاخرى يستنهض همم صحبه وهمَّ بالاقبال على اخيل لولم يصده افلون فرجع وانقض اخيل على الطرواد يذبحهم ذبحاً حتى فتك باحد ابناء فريام الملك . فلم يتمالك هكطور عن الكر للطلب بثأر اخيه . وكاد البطلان يصطدمان لو لم ينقذ افلون هكطور ويواريه في سحابة . ولما لم ينل اخيل منالاً من هكطور جعل يبطش يمنةً ويسرةً بجنود الطرواد حتى جرت مركبته فوق القتلى

وبراحتيه وقد تخضبتا نقع المجاج على الدما جمدا

مجرى هذه الواقعة في اليوم الثلاثين ايضاً

النشيد العشرون (١)

لكَ يا ابْنَ فِيلا الباسِلَ احْتَشدا　　حولَكَ قومكَ يَنظِمُ العُددا
أنتُمْ إزاءَ الفُلْكِ قابَلكُمْ　　فوقَ الهِضابِ يَعِجُّ جَيشُ عِدى

(١) أن من ضعف عجزة الشعراء ان يفرغوا جعبة تصوراتهم في بدء قصائدهم فلا تأتي على ربع المنظومة الا وترى مخيلة الناظم قد فرغت من كل معنى بليغ او تصور مبتكر • وهذه الالياذة تقرأها من اولها الى آخرها فلا تفرغ من نشيد منها وتشرع في تلاوة الآخر حتى تخال الشاعر كالفارس المتضور للحرب بعد الراحة المستطيلة لم ينفد شيء من قواه المدخرة • فاذا كرر معنى فانما يكرره بزيادة او تعديل يشوق السامع • واذا أعاد نوعاً من الاطراء فانما يعيده ليأتي بأحسن منه • واذا اكثر من ذكر شيء فلا يزعجك بالاطناب الممل فينوّع الاساليب وينتقل تنقلاً ينسيك ماكان من ذلك الاطناب والاسهاب بل يشوقك ان تمنى لو زادك منه • فجميع شعره كسلّم لا تبرح درجة منه حتى تطأ درجة اعلى

رأيناه يصف بسالة اخيل وهو بمعزل عن مواقع الكفاح ومشتجر السلاح بما يسوق الى الظن انه لم يبق ولم يذر وانه سيبدو بعض الضعف بوصفه حاملاً على الاعداء وسترى في مايلي ان ما قيل قليل بالنسبة الى ما سيقال • نسب في اوائل الالياذة فشل الاغريق الى اعتزاله حتى اضطروا الى ايفاد الوفود اليه فلم يفلحوا (ن ٩) • ثم فاز الطرواد ذلك الفوز المبين فكادوا يلتوون فشلاً لمجرد توهمهم ان اخيل يراهم • (ن ١٣) ثم ارتدوا مخذولين وكاد يحطم بعضهم بعضاً لمجرد نظرهم الى سلاحه ومركبته • (ن ١٦) وما هو ان اشرف عليهم اعزل وصاح بهم صوتاً حتى تخلعت قلوبهم وولوا مدبرين (ن ١٨) —

تلك هيبة اخيل ولم يأت بعد امراً مذكوراً فما عسى ان يفعل وقد اقبل مدججاً بسلاحه ؟ لم يبق وهو يخوض تلك الغمرات الا ان ترتج السموات والارضون وتهيج البحار وتفيض الانهار وتنقض الارباب لمواقع الضراب • ذلك ما سيبسطه الشاعر استجماعاً لاساطير ذلك الزمان.

وتَميسَ زَفْسُ دَعا فَأَنفَذَها تَدعُو ذَوِيهِ لَمجْلسٍ عُقِدا [١]
طارَتْ مِنَ الأُولمبِ جائبَةً كُلَّ الوَرى تَستَقدِمُ العُمَدا [٢]

لَبَّوا وغيرُ الأُوقيانُسِ لا نَهرٌ تَخلَّفَ بَلْ جَرَوا عَجَلا [٣]
لَمْ يَبقَ مِنْ حُوريَّةٍ سَكَنَتْ نَبعاً جَرى أو جَدْوَلاً جُدِلا
أو غابَةً أو رَوضَةً نَضُرَتْ إلاَّ سَعَتْ فَوراً لِتَمتَثِلا
فَإذا بِهِمْ والصَّرحُ غَصَّ بِهِمْ مِن حَولِ زَفسَ بِمَحْفَلٍ حُشِدا

جَلَسُوا على سُدَدٍ تَفيضُ سَنا لأَبيهِ هِيفَستُ النَّبِيلُ بَنى
ومُزَعزِعُ الأَرَضِينَ مِنْ لُجَجِ الـ أَعماقِ هَبَّ مُلَبِّياً عَلَنَا [٤]
ثمَّ أنبَرى إذ قَرَّ وَسطَهُمُ مُستَفسِراً عَمَّا دَعاهُ هُنَا :
« ياذا الذي يَرْمي الصَّواعِقَ ما أَفضى لِحَشْدِ بَني العُلى وَبَدا

أَبِذَينِكَ القَومَينِ تَفتَكِرُ والحَربُ بَينَهُمُ سَتَستَعِرُ »
فَأَجابَ رَكَّامُ الغُيُومِ : « نَعَمْ أَدرَكتَ ما عَلِقَتْ بِهِ الفِكَرُ

---

(١) تميس الاهة العدل . لم يكن اليق منها لتأدية الرسالة

(٢) العمد الرؤساء والمقصود الآلهة

(٣) الاوقيانوس اصل الاصول وابو جميع الارباب . اطالوا البحث في سبب تخلفه بما لا محل لبسطه هنا . وكفى بكونه الاب الهرم المعتزل سبباً لاجتناب حفلات البنين

(٤) يريد بمزعزع الارضين فوسيذ

ما زِلْتُ دوماً عانياً بهم حتّى ولو هلكوا ولو دُمِرُوا
فأنا أُسَرِّحُ ناظري جذلاً فوقَ الأُلمبِ إذا اللظى اتّقدا

وجميعكم بين السُّرى انقسموا وبسالكِ أيِّ شئتمُ انتظموا
ما خلتُ طرواداً تطيقُ لِقا آخيلَ لو فذّاً بدا لهمُ
مرآهُ راعهمُ فكيفَ وقد أضحى على فطرقلَ يحتدمُ
لا بِدْعَ إنْ دكّ الحصونَ وإنْ قصدَ القضاءِ خلافَ ماقصدا» (١)

فبهمْ أُوارُ الفتنةِ التهبا وتطايروا كلٌّ كما رغبا
للفلكِ هيرا اسرعتْ وكذا فالاسُ ثمّةَ فوسذٌ ذهبا
وكذلكَ القوّامُ هرمسُ وال جبّارُ هيفستُ القوى عقبا
يجري ويخمعُ لا تطيقُ لهُ ساقاهُ حملاً إنْ جرى وعدا

---

(١) انتقد البعض على هوميروس قوله هذا اذ لا يمكن تحويل القضاء باعتقادهم . وأطال آخرون في الدفاع عنه . ولا أرى وجهاً لذلك الانتقاد فالرجل يتكلم بالشعر . ولا يتسع مجال للتأويل والتخريج اتساعهُ للشاعر وفضلاً عن ذلك فقد جاء مثل هذا الكلام في الشعر والنثر حتى وفي الكتب المنزلة . قال ابن هانىء للخليفة المعز لدين الله :

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدارُ فاحكم فانت الواحد القهّارُ
فكأنما انت النبيُّ محمدٌ وكأنما انصارك الانصارُ

وقال ابو الطيب المتنبي في ممدوحه ابن زريق :

بشر تصور غايةً في آيةٍ تنفي الظنون وتفسد التقييسا
لو كان صادف رأس عازر سيفهُ في يوم معركةٍ لأعيا عيسى

وأَرِيسُ رَبُّ القَوْنَسِ القَلِقِ أَمَّ الطَّرَاوِدَ بادِيَ الحَنَقِ
مَعَ أَرْطَمِيسٍ في كِنانَتِها مَعَ عَفْرُذِيْتَ المَبْسِمِ الطَّلِقِ (١)
وكَذاكَ لاطُوْنا وزَنْثُ جَرى من ضِفَّتَيْهِ جَرْيَ مُنْدَفِقِ
وكَذاكَ فِيبُوسٌ مَنِ انْسَدَلَتْ تَزْهُو غَدائِرُهُ لِكُلِّ مَدى (٢)


الزهرة

ومثل ذلك قول المعرّي وقد تكلم بلسان منجّمي زمانه وكأنه عبر تعبيراً هوميرياً اذ قال :

اذا البرجيس والمرّيخ راما
سوى ما رمت خانهما الكيانُ

والبرجيس المشتري او زفس والمريخ آريس الاه الحرب كما لا يخفى

(١) عفرذيت هي الزهرة يمثلونها عريانة على صورٍ شتى

(٢) علل افستاثيوس سبب انحياز كلٍّ من الآلهة الى أحد الفريقين تعليلاً لطيفاً قال : جعل هوميروس في جانب الاغريق هيرا وأثينا وفوسيذ وهرمس وهيفست • اما هيرا فلان من خصائصها حفظ العلائق الزوجية ومعاقبة الخائن ومعلومٌ ان سبب الحرب خيانة زوجة وعشيقها • واما أثينا فلانها الاهة الحكمة والحرب ومن جملة شؤونها تعقُّب الغادر • وفوسيذ الاه البحار وكان اليونان في عداد اتباعه لكون معظمهم سكنة جزر وسواحل بحار • وهرمس من مزاياه النظر في خدَع الحرب ومعلوم ان الاغريق لم يظفروا بطروادة الا بخدعة اوذيس وحصانه الخشبي • وهيفست عدو الفسَقة والفجّار ورب الصناعة فسبب ميله الى الاغريق ظاهر

وقُبَيلَ ما آلُ العلى انحدرُوا كرَّتْ سُرى الإغريق تفتخرُ
آخيلُ عادَ عقيبَ عزلتهِ ولهول رؤيتــهِ العدى صغرُوا
أَلفَوهُ مشتدًّا بشكَّتــهِ كأريسَ هولِ الإنسِ يستعرُ
وبنو العلى بالنّاسِ ما اشتبكوا حتّى غمامُ الفتنةِ التبــدا

فالاسُ بينَ الثغرِ والحفرِ صاحتْ تشدِّدُ جملةَ الزمرِ
وأريسُ هبَّ هبوبَ عاصفةٍ يغري طراودةً على الأثرِ
بهضابِ سيموسٍ يهدُّ وفي قللِ المعاقـلِ واريَ الشررِ
فكذلكَ الأربابُ فتنتهمْ صدعتْ وزفسُ منَ العلى رعدا

فتنوا سُرى الجيشينِ فاصطدما وفسيذُ هزَّ الأرضَ محتدما
فارتجَّ إيذا من دعائمهِ حـتَّى أمادَ بميـدهِ القمما
وتزعزعتْ طروادةٌ وغـدا بالفلكِ وجهُ اليمِّ ملتطما
حتَّى بجوفِ الأرضِ آذسُ عن عرشِ الجحيمِ اهتزَّ مرتعدا

وجعل في جانب الطرواد آريس والزهرة وارطميس ولاطونة وزنثس وفيبوس • فآريس رب الحرب ومن خصاله السلب والنهب وقد بدأ بهما الطرواد • والزهرة ربة الجمال والفسق وامرها مع هيلانة وفاريس مشهور • وارطميس من جملة مميزاتها الرقص وكان الطرواد امهر فيه من اليونان • وزنثس نهر طروادي فهو اولى بقومه • وفيبوس رب النبال وجل اعتماد الطرواد كان على رماتهم • وأما لاطونة فما من سبب ظاهر لانحيازها الى الطرواد الا ان تكون مالت اليهم مشوقة بميل اولادها

بالوَيلِ صاحَ وهالهُ الخَبَرُ ‏ يخشى فجاجُ الأرضِ تنفجرُ
ومنازلُ الظُلماتِ ظاهرةً ‏ تبدو يراها الجنُّ والبشرُ
تلكَ الوِهادُ اللاءِ مخبرُها ‏ حتّى بنو العليا لهُ ذُعِروا
ولذاكَ زلزالُ العوالمِ إنْ ‏ بسرى العلى عادي الشقاقِ عدا

لفُسيذَ مالكِ الهولِ مذْ ظهرا ‏ فيبوسُ بين سهامهِ صدرا
ولهرمسٍ لاطونةٌ برزتْ ‏ والى أثينا آرسُ انحدرا
ولزوجِ زفسَ بدتْ شقيقةُ مَن ‏ في القاصياتِ سهامهُ نشرا
هيَ أرطميسُ تميدُ ساطعةً ‏ قوسُ النُضارِ بكفِّها ميدا (١)

وعلى هفستَ انقضَّ مصطفقا ‏ ذيّالكَ النهرُ الذي اندفقا
في الخلدِ زنثُ جرى اسمهُ وكذا ‏ بالإسكمندرِ في الورى انطلقا
هذي هيَ الأربابُ فتنتهمْ ‏ وأخيلُ ظلَّ يؤجُّ محترقا

(١) ان لهوميروس تنبهاً غريباً الى كل منقول ومعقول حتى اثناء الخوض في ابعد الخرافات • فقد انزل في قتال الآلهة كل شيءٍ منزلته • قال افستاثيوس برز افلون لفوسيذ لان احدهما ممثل الرطوبة والآخر اليبوسة • وبرز آريس لاثينا لانه ممثل الغلطة وهي ممثلة الحكمة • وبرزت هيرا لارطميس اشارةً الى تضادّ الزيجة والعزوبة • وهيفست وزنثس يمثلان النار والماء

ويظهر من سياق الكلام ان الآلهة تهيأوا كما تقدم كلٌّ لندّه وتحفزوا تحفزاً ولم يتقاتلوا • وهذا موضع انتقاد عظيم على هوميروس اذ لم تسفر هذه المقدمات الهائلة عن نتائج طائلة • ولكن هذا الانتقاد مدفوعٌ بقتالهم في النشيد التالي

لِلِقاءِ هكطُورٍ وخَرْقِ سُرَى　　　تِلكَ الكَتائِبِ صَبْرُهُ نَفِدا

يَذْكُو لِيَزْوِي في تَحدُّمِهِ　　　رَبَّ الوَغى السَّفَّاكَ مِنْ دَمِهِ
لٰكِنَّ فِيبُوساً أَثارَ لَهُ　　　أَنْيَاسَ يَعْصِمُ بَأْسَ مِعْصَمِهِ
في شَكْلِ لِيقاوُونَ خاطِبَهُ :　　　« أَنْيَاسُ أَينَ صِلى تَعَظُّمِهِ
آلَيتَ لِلطُّرْوادِ مُرْتَشِفاً　　　لَتُلاقِيَنَّ أَخِيلَ مُنْفَرِدا »[1]

قالَ : « أبْنَ فِرْيامٍ عَلامَ على　　　رَغْمي إِلَيهِ تَسُوقُني عَجَلا
لَيسَتْ بِأَوَّلِ مَرَّةٍ ثَبَتَتْ　　　قَدَمي لَدَيهِ فَسامَني فَشَلا
في إِيذَةٍ مِن وَجْهِ صِعْدَتِهِ　　　وَلَّيتُ قَبلاً هالِعاً وَجِلا ،
لَمَّا أَسْتَبَاحَ صُوارَنا وَرَمى　　　لِرِنِيسَةَ وفِداسَ مُضْطَهِدا[2]

لٰكِنَّ زَفْسَ مُشَدِّدًا رُكَبي　　　وقُوايَ أَنْقَذَني مِنَ العَطَبِ
أَولا فَكانَ أَبادَني عَجَلا　　　وأَمامَهُ فالاسُ في الحُجُبِ
تُوْلِيهِ نُصْرَتَها لِيَقْتَضِبَ ال　　　لِيلِيغَ والطُّرْوادَ بِالقُضُبِ
ما كانَ إِنْسِيٌّ لَهُ كُفُوءًا　　　وبَنُو العُلَى كانُوا لَهُ عَضُدا

---

(١) اي اقسمت للطرواد وانت ترتشف الكأس

(٢) الصوار قطيع البقر — كم من قطعة تاريخية ورواية خرافية حفظ لنا هوميروس بادماجها في منظوماته كقوله في هذا الموضع ان اخيل غزا لرنيسة وفداس

إن يُرْمَ صانُوهُ وحيثُ رَمى طارَتْ مَناصِلُهُ تُسيلُ دَما
فلَو أنَّهمْ ما بيننا عدَلُوا ما سامَني ذُلاًّ كما زَعَما
حتَّى ولو صلُبَتْ مفاصِلُهُ مِثلَ النُّحاسِ وصالَ واقْتحَما »
فأجابَ فيبُوسُ: «ادْعُ أنتَ إذًا رَهطًا بأكنافِ العلى خالدا

فلعفَرُذيتٍ ساقكَ النسَبُ ولبِنْتِ شَيخِ البَحرِ ينْتسِبُ
فإذًا لكَ الرُّجحانُ عن ثِقَةٍ حسَبًا وزَفسُ لِعفَرُذيتَ أبُ
فهَلُمَّ بادِرْهُ بنَصْلِكَ لا يأخُذْكَ مِن نَعراتِهِ الرُّعُبُ»
مِنْ ثَمَّ أفرَغَ فيهِ قدْرَتَهُ فانْقضَّ لا يرْتَدُّ مبْتَعِدا

فرَأتْهُ هِيرا بارِزًا يَثِبُ مِنْ جيشِهِ لِأخيلَ يقْتَرِبُ
فدَعَتْ إليها مِن بِطانَتِها مِنْ نُصْرَةِ الأرْغُوسةِ اطَّلَبُوا
قالت : «ائتِينا فُوسِذُ انْتبِها لِمآلِ حَربٍ دُونَها الحَرَبُ
أنِياسُ رامَ أخيلَ مُدَّرِعًا بَأسًا على فِيبُوسَ مُعْتَمِدا

فِيبُوسَ فلْنَدْفَعْ بلا مَهَلِ أو بعضُنا فورًا أخيلَ يَلي
ويُخوِّلَنْهُ فوقَ شِدَّتِهِ بَأسًا ويَعْصِمهُ مِنَ الوَجَلِ
فيَرى عِيانًا صِيدَ أُسْرَتِنا أولُوهُ وُدًّا جَلَّ عن مَثَلِ
وجَميعُ أحلافِ الطَّرَاوِدِ ما هالُوا وعنَّا يقْصُرُونَ يَدا

أَفَما انْحَدَرْنا لِلْكِفاحِ هُنا | لِنَقِي أَخيلَ اليومَ كُلَّ عنا
فَإِذا كَتَمْنا الأَمْرَ ثُمَّ بَدا | في وَجْهِهِ رَبٌّ عَنا جَبُنا (١)
فَمَناظِرُ الأَرْبابِ مُرْعِبَةٌ | ولِأَيِّ إِنْسِيٍّ بَدَتْ وَهَنا
مِنْ ثَمَّ فَلْيَرِدِ الحِمامَ كَما | غَزَلَ القَضاءُ سِنِيهِ مُذْ وُجِدا»
فَأَجابَ فُوسِيذٌ: «دَعِي الشَّطَطا | ما كانَ شَأْنُكِ أَعْهَدُ الغَلَطا
ما رُمْتُ إِذْ كُنّا أَشَدَّ قُوىً | حَرْبَ العِبادِ نَلي فَنَنْخَرِطا
لِلْإِنْسِ خَلِّي الحَرْبَ نَرْقُبُها | مِنْ فَوقِ ذاكَ التَّلِّ طَيَّ غِطا
وإِذا أَرِيسُ وفِيبُسُ اعْتَدَيا | فَوراً عَمَدْنا مِثْلَما عَمَدا
وأَخيلَ إِنْ رَدّا وإِنْ رَدَعا | فَهُناكَ بَأْسُ أَكُفِّنا صَدَعا
وهُناكَ ظَنِّي لِلْعُلَى هَلَعاً | نَلْقاهُما لِسُرَى العُلَى رَجَعا»
مِنْ ثَمَّ فُوسِيذٌ بِأُسْرَتِهِ | هَرَعُوا إِلى السُّورِ الذي ارْتَفَعا
سُورٌ لِأَجْلِ هِرَقْلَ قَبْلُ بَنَتْ | فالاسُ والطُّرْوادُ مُذْ جُهِدا
مِنْ وَجْهِ وَحْشِ البَحْرِ فيهِ لَجا | لَمّا عَلَيهِ هاجِماً خَرَجا
فَهُناكَ فُوسِيذٌ بِمَنْ مَعَهُ | في طَيِّ حُجْبِ غَمامَةٍ وَلَجا
وإِلى رِياضِ هِضابِ سِيمِيسٍ | فِيبُوسُ مالَ وآرِسٌ عَرَجا
بِجَميعِ أَنْصارِ الطَّراوِدِ مِنْ | حَولَيهِما فَوقَ الرُّبَى قَعَدا

(١) اي اذا كتمنا عن اخيل ولاءنا له ثم بدا له ربٌّ من الارباب فربما يهوله فيجبن

وكَذا مِنَ الصَّوبَينِ قائمةً لَبِثَتْ سُرَى الأرْبابِ ناقمةً
ظَلَّتْ هناكَ بظِلِّ عِزْلَتِها عن ساحةِ الهيجاءِ واجمةً
لٰكنَّ زفسَ بعرْشِ عِزَّتِهِ قاضٍ بأَنْ تنقَضَّ هاجمةً
وصَفائِحُ الجيشينِ ساطعةٌ أَجَّتْ ونقعُ خُطاهُما صَعِدا

والأَرضُ تحتَ الرَّجْلِ والعَجَلِ مادَتْ لوَطْأَةِ هاتِهِ المِلَلِ
مِن كُلِّ جيشٍ زفَّ مقْتَحِماً بطَلٌ تحدَّمَ أَيُّما بَطَلِ
أَنْياسُ رَبُّ البأْسِ قابلَهُ آخِيلُ رَبُّ البِيضِ والأَسَلِ
هزَّ القَناةَ مُبرِّزًا وعَدا أَنْياسُ في المَيْدانِ مُنْجَرِدا

في رأْسِهِ أَعرافُ خُوذَتِهِ قد هاجَ يرْفَعُ صلْدَ جُنَّتِهِ
فانقضَّ آخِيلٌ كلَيثٍ شرَى نَهَضَ الجُمُوعُ لِكَسرِ شوكَتِهِ
فزِعَتْ لهُمْ كُلُّ البلادِ فلَمْ يَعبأْ وظَلَّ على سَكينَتِهِ
حتَّى رَماهُ بهِمْ فِتْيَتُهُمْ بِقَناً فأَحدَقَ مُرْغِياً زَبَدا

حَنِقاً تقدَّمَ فاغِرًا فمَهُ يَصْلَى بمُهْجَتِهِ تَضَرُّمَهُ
أَسنانُهُ صرَّتْ ومُقْلَتُهُ بشرارِها تُذْكي تحَدُّمَهُ
ولذَيلِهِ في صفْحَتَيْهِ غدا قَرْعٌ يُرَوِّعُ مَن توَسَّمَهُ
فيَهُبُّ منقضّاً لِيَهْلِكَ أَو لِيُبيدَ مِن أَبطالِهِمْ عَدَدا

فَلَذَاكَ آخيلُ تَحَرُّقُهُ — لِلِقاءِ أَنْيَاسٍ يُشَوِّقُهُ
حَتَّى إِذا ضاقَ المَجَالُ أَتا — هُ مُخاطِباً بالعُنْفِ يَرْمُقُهُ :
« أَنْيَاسُ جَيْشُكَ لِمْ أَراكَ كذا — بَرَّزْتَ عَنْهُ إِلَيَّ تَسبِقُهُ
أَزَعَمْتَ فِرْياماً يُشاطِرُكَ الْ — أَحْكامَ في طِرْوادَةٍ أَبَدا

كَلاَّ فَلَنْ يَجْزِيكَ ذاكَ فَما — هُوَ قاصِرٌ حُكْماً بِها حَكَما
كَلاَّ وإِنْ ما بي ظَفِرْتَ هُنا — فَلَدَيهِ أَبْناءٌ سَمَوا عِظَما
وَلَعَلَّهُ إِنْ بي فَتَكْتَ إِذاً — مِنْ أَرْضِهِ لَكَ يُجْزِلُ الكَرَما
بُقَعاً زَهَتْ كَرْماً وَمَزْرَعُها — خِصْبٌ فَتَحْشُدُ كُلَّ ما حُصِدا

هَيهاتِ تُدْرِكُ ها هُنا الأَرَبا — أَفَما لَوَاكَ مُتَّقِيٍّ هَرَبا
أَفَما ادَّكَرْتَ اليومَ يومَ عَلى — إِيدا فَرَرْتَ لَدَيَّ مُضْطَرِبا
إِذْ عَنْ سَوامِكَ قد فَصَلْتُكَ لَمْ — تَلْفِتْ فَرَدْتُ وَراءَكَ الهِضَبا
فَلَجَأْتَ في لِرْنِيسَةٍ وَأَنا — هَدَّمْتُ مِنْ لِرْنِيسَةَ العَمَدا

زَفْسٌ وآثينا بِعَونِهِما — إِذْ واصَلاني شُدْتُ مُغْتَنِما
وَسَبَيْتُ مِنها الغِيدَ مُسْتَلِباً — حُرِّيَّةً مُتِّعْنَها قِدَما
لٰكِنَّ زَفْسَ وَآلَهُ حَفِظُوا — أَنْيَاسَ حَتَّى ناجِياً سَلِما
وَإِخالُهُمْ ذا الحِينَ ما يَئِبُوا — فِيهِ فَصانُوهُ كَما اعْتَقَدا

فأْرْجعْ نصحتُكَ بين قومكَ لا تتصدَّ لي فتُسامَ شرَّ بَلا
فالغرُّ ليسَ بذاعنٍ أَبدًا الاَّ إذا بهوانه اتَّصلا »
قال: «ابْنَ فيلالسْتُ أعْجزُعن فظِّ الكلام فذلكَ ابْتُذِلا
أَزعمْتَ إرْعابي بقولكَ ذا أو خلْتَ تلقى ها هنا وَلَدا

إن غابَ عن أبصارنا الأثرُ ما غابَ عنّا العلْمُ والخبرُ
فلقدْ روى الرَّاوُونَ قبلُ لنا آثارَ أسلافٍ لنا اشتهروا
لأَبيكَ إمَّا كُنْتَ متَّصِلاً وكذا لثيتيْسٍ كما ذكرُوا
للزُّهرةِ الغرَّاءِ منْتَسِبي والشَّهْمُ انخيْسُ أبي عهدا

لا بُدَّ إحدى الأُسرتَين ترى ذا اليومَ نادبةً فتىً قهرا
ما كانَ لغْوُ القول فاصلنا عن موقفِ الطَّعْنِ الذي استعرا
ولئِنْ ترُمْ تحقيقَ نسبتِنا وقفاً لما قد ذاعَ وانتشرا
فاعلمْ فدرْدانُوسُ وهوَ فتى زفسٍ بنى درْدانيا بلدا

إليُونُ في ذيَّالكَ الزَّمنِ في عرْضِ هذا السَّهْلِ لم تكنِ
والنَّاسُ قد كانت منازلهُمْ في سفحِ إيذا الشَّامخِ القننِ
مِنْ ثمَّ دَرْدانوسُ منهُ نشا الـ دولى إرخثُونُ فتى الفطَنِ
أثرى الورى طرًّا مسارحهُ مرحتْ بهنَّ خيولهُ رَغَدا

ألفٌ وألفا حِجْرَةٍ سرحتْ مِنْ خلفها أفلاؤها مرحتْ

بُرْياسُ هامَ ببَعضِها فَحَكى　　　مُهْرًا نَواصيهِ لَقَدْ سَبَحَتْ[1]
فَعلَقْنَ باُثْنَي عَشْرَ ماسَحَقَتْ　　　قِمَمَ السَّنابِلِ حَيثُما رَمَحَتْ
وإِذا هَبَبْنَ على البِحارِ فَمِنْ　　　فَوقِ المِياهِ وَثَبْنَ مُطَّرِدا

هٰذا إِرِخْثُونٌ ومِنهُ نَما　　　أُطْرُوسُ مِن طِرْوادَةَ حَكَما
إِيلُوسُ عَسَّاراقُسٌ وكَذا　　　غانِيمِذٌ أَبناؤُهُ العُظَما
غانيمِذٌ لِجَمالِ طَلعَتِهِ　　　رَفَعَتْهُ أَبْناءُ العُلى فَسَما
لِيَكُونَ ساقِيَ زَفسَ بَينَهُمُ　　　فَلِذاكَ في أُولَمْبِهِمْ سَعِدا[2]

إِيلوسُ كانَ لِلَوْمِذُونَ أَبا　　　ولِلَومِذُونَ طِثُونُ انْتَسَبا
وكَذاكَ فِرْيامُ قَلِيطِيسٌ　　　هِيقَيطَوُونُ ولَمْبُسُ النُّجَبا
وبِنَجْلِ عَسَّاراقُسٍ عَرَفُوا　　　قافِيسَ جَدِّي مَن عَلا رُتَبا
فَأَبي ابْنُهُ أَنْخِيسُ كانَ كَما　　　فِرْيامُ هكْطُورٌ فَتاهُ غَدا

هٰذا فَخاري نِسبَتي وَدَمي　　　وَلِزَفْسُ ذٰلِكَ قَيِّمُ الأُمَمِ
إِن شاءَ أَعْلى هِمَّةً وَإِذا　　　ما شاءَ أَوْهَنَ عاليَ الهِمَمِ
فَهُنا مَجالُ الطَّعْنِ لَيسَ لَنا　　　كَالوُلْدِ فيهِ ساقِطُ الكَلِمِ
فَلِسانُ كُلِّ فَتًى بِفيهِ يُرى　　　ذَلِقًا وَمَهْما يَبْتَغي سَرَدا

---

(١) برياس او بوريس ريح الشمال وهو من جملة الآلهة وقد تقدم ذكره

(٢) مرّ ذكر غنيمذ ورسمه (ن ٥ : ص ٤٠٠)

مَيدانُ هٰذا اللَّغْوِ مُتَّسِعُ وسِبابُهُمْ مَنْ أَسْمَعُوا سَمِعُوا
إِنْ نَبْغِ يَشْحَنْ لَغْوُنا فُلُكاً مِئَةٌ أَرادِمُهُ ولا يَسَعُ [١]
فَعَلامَ كَامْرَأَتَيْنِ أُشْرِبَتا سَفَهاً بِمَوْقِعِ حِطَّةٍ نَقَعُ
شَتْماً تَقاذَفَتا بِقارِعَةٍ كَذِباً على صِدْقٍ بِغَيْرِ هُدَى

كَلاَّ فَلَسْتَ بِرائِعي جَزَعا أَقْبِلْ نُجِلْ صُمَّ النِّصالِ مَعا »
مِن ثَمَّ أَرْسَلَ رُمْحَهُ فَمَضى وَعلى الْمِجَنِّ سِنانُهُ وَقَعا
فَعَلَيْهِ صَلَّ وفَوقَ هامَتِهِ آخيلُ صَلْدَ مِجَنِّهِ رَفَعا
قد خافَ أَنَّ الرُّمْحَ يَخْرِقُهُ لٰكِنَّماذا الخَوفُ كانَ سُدى

هَيْهاتِ عَجْزُ الإِنسِ يَعْمَلُ في ما أَوْلَتِ الأَرْبابُ مِنْ تُحَفِ
وَقَفَ السِّنانُ على النُّضارِ فَلَمْ يَنْفُذْ وَلَوْلا ذاكَ لَمْ يَقِفِ
خَمْسُ طِباقُ التُّرْسِ طَرَّقَها هِيفَسْتُ تَدْفَعُ آفَةَ التَّلَفِ
نَضَدَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الفِلِزِّ على ظَهْرِ المِجَنِّ وَنِعْمَ ما نَضَدا

وَعلَيْهِما لَوْحٌ مِنَ الذَّهَبِ ومِنَ النُّحاسِ صَفيحَتا عَجَبِ
خَرَقَ النُّحاسَ النَّصْلُ يَرْجِعُ عن لَوحِ النُّضارِ رُجُوعَ مُضْطَرِبِ
فَرَمى أَخيلُ سِنانَهُ فَمَضى في جَوبِ أَنْياسٍ وَلَمْ يَخِبِ
في صَفْحَةٍ حيثُ النُّحاسُ عليهِ السِّبْتُ رَقَّ وطائِراً صَرَدا [٢]

(١) الارادم الملاّحون

(٢) السبت جلد الترس وصرد نفذ

مُتَلَمْلِماً أَنْياسُ مُسْتَتِرا مَدَّ المِجَنَّ أَمامَهُ حَذِرا
فَقَناةُ فِلْيُونٍ بِهِ نَفَذَتْ والجَوبُ مادَ يَصِلُّ مُنْكَسِرا[1]
والنَّصْلُ أَنْياسٌ رَآهُ إِلى وَجْهِ الثَّرى عَن وَجْهِهِ صَدَرا
فَلَقَ الحَضِيضَ يَغُلُّ مُرْتَعِشاً فِيهِ وَكادَ يُفاقُ الكَتَدا[2]

فَنَجا ولَـٰكِنْ صَدْرُهُ انْتَفَضا وأَخيلُ صاحَ ودُونَهُ اعْتَرَضا
سَلَّ الحُسامَ وفي حَزازَتِهِ أَنْياسُ هائِلَ صَخْرَةٍ قَبَضا
بَطَلَينِ تَجْهَضُ في زَمانِكَ ذا فَبِها بِغَيرِ تَكَلُّفٍ نَهَضا
ومُزَعْزِعُ الأَرَضِينَ بَأْسَهُما مِنْ حَيثُ قَرَّ مُراقِباً شَهِدا[3]

لَوْلاهُ أَنْياسٌ بِحِدَّتِهِ لَرَمى أَخيلَ بِصَلْدِ صَخْرَتِهِ
وَلَكانَ صانَ أَخيلَ مَجْوَبُهُ أَو خُوذَةٌ لَمَعَتْ بِجَبْهَتِهِ
وَلَكانَ سَيفُ أَخيلَ في يَدِهِ أَنْياسَ أَدْنى مِنْ مَنِيَّتِهِ
لَـٰكِنَّ فُوسِيذا بِأُسْرَتِهِ في الحالِ صاحَ يُنِيلُهُ المَدَدا :

« أَنْياسُ آخِيلٌ سَيَقْتُلُهُ أَسَفاً ونَحْوَ أَذِيسَ يُرْسِلُهُ
فِيبُوسُ اغْواهُ فَدانَ لَهُ جَهْلاً وذا فِيبُوسُ يَغْفُلُهُ
فَعَلامَ وَهْوَ البَرُّ تَدْهَمُهُ نُوَبُ الأَنامِ ونَحْنُ نُهْمِلُهُ

(١) فايون هو الجبل الذي قطعت منه قناة اخيل على ما مرّ
(٢) الكتد مجتمع الكتفين أو الكاهل
(٣) مزعزع الارض لقب من ألقاب فوسيذ إلاه الجحيم

ما قطُّ عن بَثّ الفُرُوضِ لها ... بَينَ العِبادِ لِكُلِّ مَنْ عَبدا

لاشكَّ زَفسُ يُغاظُ إن سفكا ... دمهُ أخيلُ فاتَّقوا الملَكا
يأبى القضاءُ لهُ الهلاكَ هُنا ... وَسَليلُ دَرْدانُوسَ ما هَلَكا
أوَ كيف دَرْدانُوسُ أُسْرَتُهُ ... طُرّاً تَبيدُ وَتألَفُ الدَّرَكا
وَهوَ الذي مِنْ نَسلِ زَفسَ لَهُ ... في الإنسِ عَهدُ الوُدِّ قد عُقِدا

فَعلى بَني فِرْيامَ قد غَضِبا ... زَفسُ وَأَنياسَ اُجتَبى وَحَبا
فَلذاكَ سَوفَ يَسودُ مُحتَكِماً ... بَينَ الطَّراوِدِ كَيفَما رَغِبا
وَبَنُوهُ ثُمَّ بَنُوهُمُ وَكَذا ... مَنْ بَعدَهُمْ مِنْ وُلْدِهِمْ نُجُبا» (١)

---

(١) هنا رواية تاريخية بحتة سبكها هوميروس بقالب نبوءة أنطق بها فوسيذ • ذلك ان اعقاب انياس كانوا لعهد هوميروس يحكمون قسماً عظيماً من بلاد طروادة اتصل اليهم الملك بانقراض سلالة فريام بعد ان دك الاغريق حصون اليون ودمروها• وكان من امر آنياس عند تبديد شمل القوم ان استقل أباه الهرم أنخيس على كاهله ولاذ بالهزيمة ثم جمع زمرة من شذاذ قومه وأبحر بهم يطلب أرضاً ينزل بها فساقته الاقدار الى قرطاجة ومنها الى ايطاليا فانزله الملك لاتينوس منزلاً رحباً وزوجه ابنته لاڤينيا في خبر طويل ثم استخلفه على الملك • وقد زعموا ان من عقبه روملوس مؤسس رومة ولهذا كان يفخر قياصرة الرومان باعلاء نسبهم اليه

وكان اسم انياس في زمن هوميروس مرادفاً للبسالة والورع والبر بالوالدين ولهذا وسّط هوميروس فوسيذ في امره مع ان فوسيذ كان عدوًّا لدوداً للطرواد اشارةً الى ان العناية الالهية لاتهمل عبداً برًّا وبشراً اتّقى

ولا يخفى ان آنياس هذا هو بطل منظومة ڤرجيليوس الكبرى حذا فيها حذو هوميروس بوصف بسالة آنياس ونقل منها نبوءة هوميروس حرفاً حرفاً واطنب بتقوى آنياس إطناباً لم يبلغه أحد من الشعراء

قالَتْ لَهُ هيرا: «بِرَأْيِكَ رُمْ　　　أَوْ نَجْوَةً أَوْ كَشْفَةً وَرَدى[1]

لٰكِنَّما فالاسُ أقسمتِ　　　وَلٰكُمْ أَنا أَقْسَمْتُ مِنْ جِهَتي
أَنْ لا نُعِينَ بَني الطَّراوِدِ لَوْ　　　إِلْيُونُ بالنِّيرانِ أُلْهِبَتِ»
فَانْقَضَّ فُوسِيذٌ لِمُشْتَجَرِ الْأَ　　　رْماحِ حَيْثُ الصُّمُّ صَلْصَلَتِ
حَيْثُ ابْنُ أَنْخِيسٍ بِصَخْرَتِهِ　　　وَحُسامُهُ آخيلُ قد جَرَدا

فَلَدى أَخيلَ غَمامَةً نَشَرا　　　غَشِيَتْ نَواظِرَهُ فَما نَظَرا
وَمِنَ الْمِجَنِّ اجْتَرَّ زانَتَهُ　　　وأَمامَهُ أَلْقى بِها وجَرى
وَبِوَثْبَةٍ فَوقَ الرِّجالِ ومِنْ　　　فوقِ العِجالِ بِنَدِّهِ عَبَرا
فَإِذا بِهِ طَرَفَ الكَتائِبِ حَيْثُ　　　مُعَسْكَرُ القَفْقُونَةِ انْتَضَدا

قالَ: «ابْنَ أَنْخِيسٍ وأَيُّ سَري　　　أَعْماكَ فَاسْتَهْدَفْتَ لِلْخَطَرِ
آخيلُ آلُ الْخُلْدِ تُؤْثِرُهُ　　　وَلَقَدْ عَداكَ فَكُنْ على حَذَرِ
أَوْلا فَدارُ أَذِيسَ تَبْلُغُها　　　بالقَسْرِ عَمَّا خُطَّ في القَدَرِ
وسِواهُ في الإِغْرِيقِ لا بَطَلٌ　　　تَلْقى إِذا لاقَيْتَهُ الشَّدَدا

وإذا القَضاءُ أَبادَهُ فَجُلِ　　　صَدْرَ الكَتائِبِ باطِشاً وَصُلِ»
مِنْ ثَمَّ غادَرَهُ بِمَوْقِفِهِ　　　وخِلافَ هٰذا القَوْلِ لم يَقُلِ
وأَنارَحَوْلَ أَخيلَ فَانْقَشَعَتْ　　　تِلْكَ الغَياهِبُ عَنْهُ في العَجَلِ

(١) الكشفة الفشل . تقول افعل ما شئت فلك ان تنجيه او تهلكه

فرأى وصعّدَ حرّ زفرتهِ — لهفاً يناجي النفسَ والخلدا :

« ربّاهُ أيّ عجيبةٍ رمقا — طرفي فذا رمحي الذي انطلقا
لا أبصرُ القِرْمَ الذي طعنتْ — كفّي أرومُ هلاكهُ حُمقاً
قد خلتُ أنياسَ أنتمي خطأً — لبني العلى فإذا به صدقا
إنْ ينجُ حيناً حسبهُ فرجٌ — أبداً فهذا الوِرْدَ لنْ يرِدا (١)

ولأدفعنّ كتائبي وأنا — لي عنهُ في بهمِ العُداةِ غنى »
ومضى يجوبُ صفوفَ فيلقهِ — علناً يمنّيهمْ بنيلِ منى :
« هلاّ رأيتُ بني أخايَ هُنا — كلُّ امرىءٍ منهمْ فتى طعنا
ما كانَ لي ما صلتُ منفردا — اردي وأحطمُ جحفلاً أجدا (٢)

لا آرسُ ذا الجمعُ إنْ هجموا — او تفسُ فالاسِ تصدُّهمُ
سأكرُّ ما ثبتتْ قوى قدمي — ويدي أصولُ بهمْ ولا أجمُ
وأخوضُ كلَّ سرى كتائبهمْ — في همّةٍ منْ دونها الهممُ
ما خلتُ منْ يلقى ظبى أسلي — هذا اللقاءَ هنيهةً حمدا

فهنا أخيلُ يحثُّ عصبتهُ — وهناكَ هكطورُ بطانتهُ :
« نبلاءَ طروادٍ أخيلُ فلا — تخشوا تبجّحهُ وصولتهُ

(١) أي لن يعرض نفسه بعد للقائي
(٢) أجداً اي قوياً

وأنا أُطيقُ كذاكَ عن حُمُقٍ رَهطُ الخُلودِ أُهينُ حُرْمتهُ
لٰكنْ إذا بدتِ القنا علناً باتَ الهُمامُ أمامَهمْ خرِدا (١)

إنْ قالَ بعضَ القولِ ثمَّ وفى فبسائرِ الأقوالِ قد هرَفا
فلأبرُزَنَّ لهُ لوِ التهبتْ كالنّارِ كفّاهُ كما وصفا
كالنّارِ لو كفّاهُ ألهِبتا أو كالحديدِ الصلْبِ لو وقفا»
فارتدّتِ الطرْوادُ مُسبِلةً سُمرَ القنا مُشتدّةً جلَدا

وتكنّفوا وعلا هديدُهمُ لٰكنْ جرى فيبوسُ بينهمُ
قالَ: «ابنَ فِرْيامٍ أخيلَ على حذَةٍ هنا إيّاكَ تقتحمُ
قابلْهُ في قلبِ السُّرى أبدا إذْ غصَّ بالدُّرّاعِ حشْدُهمُ
أو لا فإنْ فاتتْكَ صعدتُهُ ماعنكَ حدُّ حُسامهِ شرَدا» (٢)

فارتاعَ هكطورٌ لما سمعا وانصاعَ بينَ جنودهِ هلِعا
وأخيلُ صاحَ تروعُ هدّتهُ وبعزْمهِ بينَ العدى اندفعا
بسليلِ أُطرُنتٍ إفيتِيُنٍ منْ خيرِ صيدِ جنودِهمْ شرَعا
في سفحِ إمولٍ بهيذةَ ذا تِ الخِصبِ منْ حوريّةٍ وُلدا

لاقاهُ آخيلٌ بكرّتهِ بالرُّمحِ يفلِقُ صلْبَ هامتهِ

---

(١) الخرد الجبان
(٢) الصعدة سنان الرمح

فهوى يَصِلُّ سلاحُهُ وعدا   آخيلُ مفتخرًا بنصرتِهِ :
«يا أشجعَ الأبطالِ أنتَ هنا   ميتٌ نأى عن أرضِ نشأتِهِ
عن بحرِ غيغسَ حيثُ هيلسُ وا   هدّارُ هرمسُ قد سقى الجُددا» (١)

غشّى ظلامُ الموتِ مقلتَهُ   والمركباتُ ترضُّ جثّتَهُ
وأخيلُ ذيمولَ بنَ افلطرٍ   ذا الباسِ أوردَهُ منيّتَهُ
في الصُّدغِ وارى رمحَهُ فمضى   للعظمِ مخترقًا تريكتَهُ
فضَّ الدماغَ فقضَّهُ بطلًا   واري العزيمةِ باسلًا نجدا

وهنودماسَ رماهُ مذ وثبا   عن خيلِهِ متملّصًا هربا
في ظهرِهِ فأكبَّ يزأرُ مثـ   لَ الثورِ قِيدَ لفوسيذٍ قُربا
ومزعزعُ الأرضينَ يجذلُ في   هيليقةٍ لعجيجِهِ طربا (٢)
وكذاكَ عجَّ هنودماسُ إلى   أن فارقتْ أنفاسُهُ الجسدا

مِن ثَمَّ آخيلُ انثنى وسعى   وفليذرُ ابنَ مليكِهم صرعا
مِن ولدِ فريامٍ وأحدثُهم   سِنًّا وأعداهم إذا طلعا

---

(١) الجدد جمع جدة وهي الساحل والشاطىء

(٢) هيليقة بلدة كانت في اخايا وكان فيها هيكل لفوسيذ يحتفلون فيه سنوياً بنحر ثور • فاذا عج الثور وهم يقودونه للذبح تفاءلوا خيراً وأيقنوا بنيل بغيتهم وان لم يعج تشاءموا وايقنوا بسخط معبودهم فاسترضوهُ بوسيلة أخرى

وأَحبُّهمْ طـرًّا إلَيـهِ لذا منعَ الوغى عنهُ فما امتنعا
فجرى بصدرِ الجيشِ مفتخرا في عدوهِ حمُصاً وما رشدا

آخيلُ وافاهُ بعدوتـهِ في الظهرِ ينفذُ حدَّ صعدتهِ
حيثُ النجادُ هناكَ يكنفهُ حلقُ النضارِ ووصلُ لأمتهِ
نفـذَ السنانُ إزاءَ سرّتهِ فأكبَّ يشهقُ فوقَ ركبتهِ
امعاؤهُ اندلعتْ فأمسكها بأكفهِ للأرضِ مستندا

فرآهُ هكطورُ فهاجَ أسى فورًا وعينيهِ الظلامُ كسا
فانقضَّ مثلَ النارِ يؤلمهُ أنْ ظلَّ من آخيلَ محترسا
بشحيذِ منصلهِ انبرى ومضى يجري أخيلُ وباللقا أنسا
قال: «اطمئني نفسُ هالكِ بدا من قد أذابَ حشاشتي كمدا

ذا قاتلُ الخلِّ الحبيبِ دنا فعسى هنا فصلُ الخطابِ لنا
ما أبعدَ هذا القربِ من فرجٍ بلياذنا بالجيشِ يفصلنا »
من ثمَّ أحدقَ ثمَّ صاحَ بهِ: «هيّ ادنُ فالموتُ الزؤامُ هنا»
فأجابهُ من غيرِ ما جزعٍ: « افخلتَ تلقى ها هنا ولدا

لن تجزعني هاتهِ الكلمُ لن يعجزني شتمُ من شتموا
لن أبخسنَّكَ طولَ باعكَ لا إذ فقتني والبهمَ كلّهمُ

لٰكنَّما الأَرْبابُ عِصمَتُنا يُؤْتُونَ من شاءوا وَلاءهمُ
ولعَلَّ ذا النَّصْلَ الشَّحيذَ إذا وافاكَ في أَحْشائك اُطَّرَدا»

وَرَمى القَناةَ وفي الخفاوقفتْ فالاسُ تَنفُخُ حِينما حُذِفتْ
رَجعَتْ لدى قَدَمَيه ساقِطَةً وعنِ ابْنِ فِيلا في الهوى انْحَرَفتْ
فعَدا أَخيلُ ثائِرًا حَنِقاً في هَدَّةٍ بين السُّرَى قَصَفتْ
لٰكِنَّ فِيبُوسًا بِقُدْرَتهِ وولائه هكَطُورًا افْتَقَدا

بغمامَةٍ دَهماءَ حجَّبَهُ وَأَخِيلُ مُنْقَضًّا تَعَقَّبَهُ
فعدا ثَلاثًا ضارِباً حَنِقاً بَطنَ الغَمامِ يُضيعُ مَضْرَبَهُ
ثُمَّ انْبَرى كالرَّبِّ رابِعَةً بِهِدِيدِهِ يُوري تَلَهُّبَهُ :
« ذي نَجْوَةٌ اخرى وذاك جِدا فِيبُوسَ يا كَلْباً وأيُّ جدا[1]

ما خُضْتَ نَقْعَ الحَرْبِ مُزْدَلفا إلاَّ لَجَأْتَ لِعَوْنِهِ سَلَفا
فَلَئِنْ أَنَلْ نَصْرًا الأُولى نَصَرُوا ما عُدْتُ إلاَّ مِنْكَ مُنْتَصِفا
والآنَ لي بِسواكَ عَنكَ غِنى في كُلِّ مَن بَلَغتْ يَدي وكَفى »
وبِجِيدِ ذَرْيُوفٍ مُثَقَّفَهُ واري فأهْوى يَكْدُمُ الثَّأْدا[2]

---

(١) الجدا الكرم . يقول فيبوس وقاك بكرمه وفضله

(٢) الثأد الثرى

وسَـلِيلَ فِيلِيتُورِ البَطَلا ذِيمُوخُساً وافى وقد قفلا
في طعْنَةٍ نفذت بِرُكْبَتِهِ فرمَتْهُ ثُمَّ بسيفِهِ حملا
وعَليهِ أَجْهَزَ ثُمَّ كَرَّ على ولَدَيْ بِيَاسٍ عُمْدَةِ النُّبلا
أَلقَرْمِ دَرْدَانُوسَ يَصْحَبُهُ لُوغُوسُ مَنْ لِوُفُودِهِ فئِدا(١)

فكلاهما كانا بِمَرْكَبَةٍ وكلاهما خرَّا بِصاصِلَةٍ
هذا بَرَاهُ بالحُسَامِ وذا بمُثَقَّفٍ لِلْدَوتِ مُنْصَلِتِ
وغدا فَلاحَ فتى أَلَسْطُرَأُطْ روسٌ لَدَيهِ بِقَلْبِ مُعْمَعَةٍ
فلِرُكْبَتَيْ آخيلَ مُرْتَمِياً أَحْنَى ومُنْهَدَّ القُوَى سَجَدا

قالَ: «اعْفُ وارْفُقْ بالصِّبا كَرَما مُذْ كُنْتُ تِرْبَكَ واحْقِنَنَّ دَمَا»
وا جَهْلَهُ قد فاتَهُ حُمُقاً أَنَّ ابْنَ فِيلا قَطُّ ما رَحِما
لِندائِهِ ما رَقَّ يَسْمَعُ بَلْ بِحُسامِهِ ذلكَ النِّدا حَسَما
في طَعْنَةٍ فَهَقَتْ بِسَيْلِ دَمٍ واسْتَخْرَجَتْ مِن جَوفِهِ الكَبِدا

مِن ثَمَّ مِن مُولِيُّسَ اقْتَرَبا وبِصَعْدَةٍ ذلكَ الفتى ضَرَبا
خَرَقَتْهُ مِنْ أُذُنٍ الى أُذُنٍ فأَكَبَّ فوقَ الأَرضِ مُنْقَلِبا
وتَلاهُ إِيخِكْلُوسُ آغِنُرٍ بِمُهَنَّدٍ في رَأْسِهِ نَشِبا
والسَّيفُ حتَّى كَعْبِ مِقْبَضِهِ بِدَمِ القَتِيلِ بِكَفِّهِ وَمِدا(٢)

(١) فئد اضطرب فؤاده خوفاً

(٢) ومد حمي

وبِرَنْدِ ذُوقِلْيُونَ البطَلِ　　وارى السِّنانَ بمجمعِ العضَلِ
فأميلَ ساعِدُهُ بِثِقْلَتِهِ　　فثوى يُراقِبُ وافِدَ الأَجَلِ
بحُسامِهِ آخيلُ هامَتَهُ　　أنأى بخُوذَتِهِ ولم يَمِلِ
مُتَناثِراً طارَ الدِّماغُ وَمِنْـ　　ـهُ الجِسْمُ ظَلَّ هُناكَ مُنْجَرِدا

وتَلاهُ رِغْمُوسُ بْنُ فِيرُسَ من　　كانت لهُ إثراقُ خَيرَ وَطَنْ
فسِنانَهُ آخيلُ أنفذَ في　　رِئَتَيْهِ لَمَّا بالسِّنانِ طَعَنْ
فارْتاعَ آرِيثُوسُ سائِقُهُ　　فلوى العِنانَ وللفرارِ رَكَنْ
في ظَهرِهِ آخيلُ بادَرَهُ　　فأَكَبَّ والخَيلُ انْثَنَتْ زُؤُدا (١)

هذا أخيلُ وتلكَ سَطْوَتُهُ　　كالرَّبِّ صالَ تَرُوعُ صَوْلَتُهُ
حيثُ انْبَرى أجرى سُيُولَ دَمٍ　　واجْتاحَتِ الأعداءَ كَرَّتُهُ
مِثْلَ اللَّهِيبِ بِقُنَّةٍ كُسِيَتْ　　أجَماً بها تَشْتَدُّ هَبَّتُهُ
حيثُ الرِّياحُ جَرَتْ بِهِ انْتَهَمَ الْـ　　أشْجارَ يَخْطِمُ كيفما وَقَدا

وكأنَّما في بَيْدَرٍ طُرِقا　　ثوْرانِ فوقَ السُّنْبُلِ انْطَلَقا
بُسِطَ الشَّعيرُ لَدَيْهِما فَغَدا　　بخُطاهُما يَنْدَقُّ مُنْسَحِقا
داسا وعَجَّا تحتَ نِيرِهِما　　ومِنَ السَّنابِلِ حَبُّها انْدَفَقا (٢)

(١) زؤدا رُعباً
(٢) لايزال الزراع في كثير من أرياف مصر وبلاد العراق وبعض أطراف سوريا وغيرهنَّ من بلاد الشرق يدوسون الحبوب كما كانت تداس منذ ثلثة آلاف عام

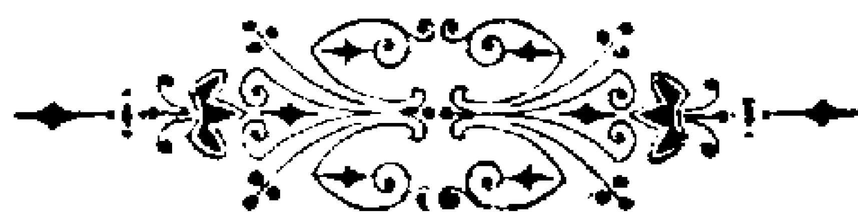
وكذا بمَرْكَبَـةٍ أَخيلُ جَرى ... فمضَتْ تَدُوسُ البُهْمَ والزَّرَدا

ومِنَ ٱلمحالاتِ النَّجيعُ غدا ... ومِنَ الحوافِرِ طائرًا أَمَدا
مُتَفَجِرًا سَيلاً يُخَضِّبُ ذا ... كَ الجِذْعَ تحتَ الخَيلِ والعُدَدا(١)
وَأَخيلُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ وَلِلْ ... عِزِّ ٱلمَنيعِ بِهِ ٱلمَرامُ حَدا
وبِراحَتَيهِ وقد تَخَضَّبَتا ... نَقْعُ ٱلعَجاجِ على الدِماجَمَدا(٢)

(١) قال أبو الطيب

تركنَ هامَ بني عوفٍ وثعلبةٍ ... على رؤوس بلا ناس مغافرهُ
وخاض بالسيف بحر الموت خلفهمُ ... وكان منه الى الكعبين زاخرهُ
حتى انتهى الفرس الجاري وما وقعت ... في الارض من جثث القتلى حوافرهُ

(٢) يشبه ختام هذا النشيد ما اختتم به الشاعر النشيد السابع عشر من حيث تزاحم التشابيه وتراصها بعض فوق بعض • وله امثال ذلك في بعض أثناء النظم اذا انتقل من باب الى آخر • كأنه اذا استتم بحثه بقيت قريحته ملئى بالتصورات فيفرغ منها ما شاء الى أن تطيب نفسه



النشيد الحادي والعشرون

وقائع اخيل وقتال الآلهة

مجمله

انهزم الطرواد امام اخيل حتى بلغوا ضفة نهر زنثس وساد بينهم الرعب فاندفع بعضهم الى المدينة والقى الجم الغفير منهم بأنفسهم الى النهر وقبض اخيل على اثني عشر فتى غض الشباب ليقتلهم بدم فطرقل . ثم التقى بليقاوون بن فريام فقتله وطرحه في النهر . فحنق النهر وحث عسطروف على قتاله فظفر به اخيل وقتل كثيرين من صحبه . فسالت الدماء في النهر وارتفعت فيه الاشلاء . ثم هاج وماج وطغى على اخيل ليغرقه . واستغاث اخيل زفس فبادرت اثينا وفوسيذ لاغاثته . فنجا من طغيان زنثس . فاستصرخ ذلك النهر نهر سيمويس المحاذي له وتألبا على اغراق أخيل . فكاد يهلك لولم تبادر هيرا الى انفاذ ابنها الاه النار أخذًا بيده . فانقض هيفست واشتعل والهب الضفتين وجفف المياه الطاغية في السهل فالتمس النهر رحمة هيرا صاغرًا فتشفعت له . وهناك انحدر الآلهة الى حومة الوغى والتحم القتال بينهم فبرزت اثينا لالاه الحرب وصرعته وبادرت الزهرة فذهبت به . فتعقبتها اثينا ولطمتها . وبرز فوسيذ الى افلون . ثم انبرت هيرا فلطمت ارطميس واجترت من على كتفيها قوسها وكنانتها فشكت ارطميس امرها الى ابيها زفس فطيب خاطرها وسكن بلبالها . ثم دخل افلون الى اليون ورجعت الآلهة الى الاولمب . وظل أخيل متدفقًا كالسيل وفريام يراه من فوق البرج فأمر الحرس بفتح الابواب ليتسنى لشذاذ الجيش المنهزمين أن يدخلوا . وانهض أفلون البطل أغينور فتربص للقاء أخيل وكاد يهلك لولم يبادر أفلون لاغاثته فواراه ثم تمثل بهيئته وانهزم امامه فابعده عن الحصون حتى لجأ جميع الطرواد الى مدينتهم

« ولم ينج الا حثيث الخطا »

لا تزال وقائع هذا النشيد في اليوم الثلاثين

النشيد الحادي والعشرون (١)

لَدى ثغرِ زَنْتَ الذي اُنْدفقا　　زُلالاً وَمِنْ زَفسٍ اُنبثَقا (٢)
أَخيلُ جيُوشَ العِدي بَدَّدا　　فَشَطْرٌ تَدافَعَ مُرْتَعِدا
لِإِلْيونَ فوقَ السُّهُولِ التي　　بِها أَمسِ أَرْغُوسَةٌ وَلَّتِ
وَهامَتْ بِقَلْبٍ قَدِ اُنْخلَعا　　وهكْطُورُ مِنْ خَلْفِها اُنْدَفعا
وَفوْقَ الطَّراوِدِ هيرا البُخارْ　　أَثارَتْ لِتُثقِلَهُمْ بالفِرارْ (٣)

---

(١) ترى من مجمل هذا النشيد انه كله قراع وصراع فتخال انك مقبل على تلاوة وصف معارك كالتي سلفت فتتشاءم بالملل لكثرة الخوض بهذه المواقع . على انك لاتكاد تتلو بعض أبيات حتى ترى انك في روض من التصور بديع لم يحط البصر بشيءٍ من مثله في سائر الانشاد ولهذا قيل ان قوة الابتداع الفكري والاختراع الشعري لم تتوفر لشاعر توفرها لهوميروس في هذا النشيد

يشتد هنا الكفاح ولا اشتداده في ما سلف : ابطال تحرق واشلاء تمزق وانهار تتدفق ونار وماء وارض وسماء ومعمعة بين الثرى والسحاب تجاول فيها البشر وتتصاول الارباب . كأن كل ما في السماء والارض جذوة نار اتقدت اجلالاً لبطل الرواية . كل هذه أمور على غرابتها وُبعدها عن مألوف الذوق العصري تشوق المطالع وتلذ السامع لما يرى فيها من التفنن في التبويب وتطبيق المقول على المعقول بعرف أبناء تلك القرون

(٢) زنث أو زنثس (Ξανθος) ومعناها الاشقر او الاصفر نهر في طروادة . قال هوميروس في موضع آخر ان الآلهة يسمونه بهذا الاسم ويدعوه البشر إسكمندر . واسمه الآن مندرصو وقرق كوزلر

قال انه انبثق من زفس لان زفس ممثل السماء ومنها تنهمل الامطار فتملأ الانهار

(٣) تشير هيرا البخار لانها ممثلة الهواء

وَشَطْرٌ بمَجْرى المياهِ العميقْ تَرامى بصَلْصَلَةٍ وَشَهيقْ
يموجُ بِفضّيِّ موجٍ يمورْ له يقصفُ اليمُّ حتّى الثغورْ
صراخٌ شديدٌ ورجعُ صدى وجندٌ تراموا بغيرِ هدى
كأنَّهمُ بحثيثِ الفَرْ جرادٌ منَ النّارِ للنّهرِ فرْ
يثورُ اللهيبُ على أثرهْ فيلجأُ للماء منْ شَرَرِهْ [1]
كذاكَ أخيلُ الطّراودَ ساقْ إلى زنثَ فوقَ المجاري العماقْ
خليطاً بهمْ غصَّ ذاكَ المجالْ كباشُ رجالٍ وجُرْدُ عجالْ [2]
وألقى بعامله فاستندْ على أثلةٍ فوقَ تلكَ الجُدَدْ
وكرَّ بصارمهِ المنتضى كربِّ بذُهمِ البؤوسِ قضى
وخاضَ العبابَ يبتُّ الرّقابا ويقتلُ كلَّ كميٍّ أصابا [3]
وما ثمَّ إلاَّ زفيرُ كُماةْ ونقعٌ يخضّبُ وجهَ المياهْ
فمنْ وجههِ اندفعوا بالثّبورِ إلى النّهرِ والتجأوا للصّخورِ

---

(١) كان من عادتهم اذا انتاب الجراد مزارعهم ان يوقدوا له نيراناً عظيمة فينهزم منها مندفعاً الى الماء . وقد دفعه هوميروس هنا الى النهر كما دُفع في التوراة الى البحر وكما زفاه في البر بجير بن بجرة بقوله :

كأنهم والخيل تتبع فلهم جرادٌ زفته الريح يوم ضبابِ
اذاما فرغنا من ضراب كتيبةٍ سمونا لاخرى غيرها بضرابِ

(٢) اي ابطال رجال وجياد مركبات

(٣) قال عنترة :

بحسامٍ كلما جردتهُ بيميني كيفما مال قطع

كأنهم سمك ذعرا   لدلفين هول وراه جرى
فأم الشقوق بثغر أمين   لينجو من شر موت مبين
ولما من الفتك كلت يداه   ونال مناه بكيد العداه
من اللجة استخرج اثني عشر   غلاما كخشف الفلاة اقشعر
وكل فتى بزهي نطاقه   هنالك أحكم شد وثاقه
لفطرقل كفارة تدخر   الى الفلك أرسلهم ثم كر
إذا بلقاوون قد خرجا   من النهر يحسب أن قد نجا
(هو ابن لفريام كان أسر   أخيل قديما بليل عبر
دهاه الى تينة قد عمد   بأرض أبيه بنصل أحد
وغض الغصون لقد قطعا   لأكناف مركبة صنعا
وأركبه معه السفنا   فبيع بلمنوس ممتهنا
هنالك ابن إيسون منه شراه   وإيتين الإمبروسي افتداه
وأرسله بعد بذل الكرم   لأرض أرسبا فمنها انهزم
وعاش قريرا لثاني عشر   نهار بأوطانه حيث قر
فسيق بحكم إلاه عظيم   لآخيل ينفذه للجحيم)
وما عبر النهر حتى سحق   قواه العياء وسح العرق
فألقى على الجرف شكته   قنا ومجنا وخوذته
وألفاه آخيل مرتعشا   فبادره صائحا دهشا :

« لِعَيْنِيَ رَبَّاهُ لاحَ العُجَابْ ... أَمِنْ أَرْضِ لِمُنُوسَ ذا القَرمُ آبْ

إِذَنْ مَنْ ابَدتُ بِهِم الجُنُودْ ... مِنَ اللُّجَجِ الدُّهْمِ سَوفَ يَعُودْ

نَعَمْ آبَ واليَمُّ ما عاقَهُ ... وَإِنْ عاقَ بالرَّغمِ أَرْفاقَهُ

إِذَا حَدَّ ذا النَّصْلِ فَلْيَجرَعنْ ... لِنَعْلَمَ هَلْ بَعدَ ذا يَرْجِعَنْ

أَوِ الأَرْضُ هَدَّامَةُ العَزَماتِ ... تُبِيدَنَّهُ كَرَثِيثِ الرُّفاتِ »

فَهاجسُ آخِيلَ ذا هَجَسا ... وَذَيَّاكَ نَجْوتَهُ الْتَمسا

دَنا يَرْتَمِي فَوقَ رُكْبَتِهِ ... وَآخِيلُ أَوما بصعْدَتِهِ

فَأَهْوَى وعَنْ ظَهْرِهِ انْحَرَفَتْ ... وَفِي الأَرْضِ غَرْثانَةً وقفتْ[(١)]

فَمَدَّ لِقاوُونُ كِلْتا يَدَيهِ ... يَمسُّ بإِحْداهما رُكْبَتَيْهِ

وَتِلكَ بِها النَّصلَ عنفاً قَبَضْ ... وصاحَ: «آخِيلُ أَصَبْتَ الغَرَضْ

فَها أَنَذا لاثِمٌ رُكْبَتَيكا ... فَرِقَّ لِمَرْءٍ ذَلِيلٍ لَدَيكا

عَلَيكَ لَهُ حَقُّ حَقٌّ الوَلاءِ ... فَقَدْ ذاقَ زادَكَ قَبلَ الجَلاءِ[(٢)]

قُبَيْلَ المَسِيرِ بِهذا الأَسِيرْ ... يُباعُ بِلِمْنُوسَ عَبْداً كَسِيرْ

نَعَمْ بِي ظَفِرْتَ بِرَوضٍ أَغَنْ ... وَأَنْأَيتَنِي عَن أَبِي والوَطَنْ

---

(١) غرثانة اي جائعة للفتك • وهي استعارة من نظايرها (ن ٨ : ٥٢٣ ون ١٥ : ٧٩٠)

(٢) كان من مألوفهم حفظ كرامة النزيل كما كانت عادة العرب ولا تزال في البادية • فمن ذاق زادك فقد وجبت عليك رعايته وامتنع عليك الغدر به وأصبح متذمماً بك وجاراً لك • قال قائد بن سليم الاسدي :

فنعشت قومك والذين تذمموا ... بك غير مختشعٍ ولا متضائلِ

وما نِلتَ مِن ثَمَني ٱلمُستَفادِ　　سِوى مئَـةٍ مِن عُجُولِ البِلادِ
فَإِنْ تَعْفُ عَني فَحَقٌّ الفداءِ　　مِئاتٌ ثَلاثٌ وَصِدْقُ الوَلاءِ
نَهارِيَ ثانِيَ عَشَرَ نَهارْ　　بِهِ عُدْتُ بَعدَ العَوادِي الكِبارْ
وَقد ساقَني لِيدَيكَ القَدَرْ　　فَكَمْ قد قَلانِيَ مَولى البَشَرْ
أَجَلْ آهِ أُمّيْ لِعيشٍ قَصيرِ　　لَقَدْ وَلَدَتْني وَوَيلٍ كَثيرِ
(لَوُوْثُوَةٌ بِنتُ أَلْتِيسَ مَنْ　　على ثَغْرِ سَسْتِينُوِيسَ قَطَنْ
وَشاخَ بِفِيداسَةٍ حَيثُ سادْ　　قُرُومُ اللّيلغِ رِجالُ الجِلادْ)
لِفِرْيامَ زَوجاً غَدَتْ ولكمْ　　لَهُ غَيرُها زَوجَـةٌ مُذْ حَكَمْ
فَأَوْلَدَها عِنْـدَهُ وَلَدَينِ　　وأَنْتَ سَتُثْكِلُها البَطَلَينِ
فَلْيُذْرُ مَنْ كَإِلاهٍ صَدَرْ　　بِرَأْسِ ٱلْمُشاةِ بِبَأْسِكَ خَرْ
وَبِي قد رَمى بَعضُ آلِ العُلَى　　إِلَيكَ لِأَجْرَعَ كَأْسَ البَلا
أَلا مارَحِمْتَ فَكُنْتُ العَتيقا　　فَلَسْتُ لِهَكْطُورَ تَدْري شَقيقا
وَما وَلَدَتْنِيَ أُمٌّ فَتى　　حَشاكَ لِفَطْرُقْلَ قَدْ فَتّا»
كَذاكَ لِتَاوُونْ أَلْقى ٱلخِطابْ　　ذَليلاً فَأُسْمِعَ مُرَّ الجَوابْ:
«تَعِستَ فَلا تَذْكُرَنَّ الفِدا　　فَفَطْرُقْلُ قَبلَكَ قد فُقِدا

ومثله قول حسان بن نشبة

أبوا ان يبيحوا جارهم لعدوهم　　وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

قال ابن الاعرابي : « والعرب تحلف بالملح والماء تعظيماً لهما ويقال بين الرجلين مِلحٌ و مِلحة أي حرمة وذمام ويقال مالحت فلاناً أي آكلته وهي الممالحة »

فكَمْ بكُمُ قبلُ مِن بَطَلِ   أَسَرْتُ وبِعْتُ ولم أَقْتُلِ
ولكنَّني اليومَ أَيَّا رماهْ   بقبضةِ كفّيَ أيُّ إلاهْ
يَبيدُ ذَليلاً ولا سيَّما   بَنو المَلْكِ فِرْيامَ حامي الحمى
فَمُتْ صاحِ مُتْ ودعِ الحسراتْ   فَفَطْرُقْلُ أرفعُ شأناً وماتْ
أَلَمْ تَرَ قدّي وهذا الجمالْ   وفيلا أبي الشيخُ شخصُ الكمالْ
وأُمّي مِنَ الخالداتِ العظامْ   وما كُلُّ ذا لِيَقيني الحِمامْ
ولا فرقَ إمَّا نهارًا يُتاحْ   وإمّا مساءً وإمّا صباحْ
فَلا بُدَّ قرمٌ بنصلٍ يطيرْ   يُجَنْدِلُني أو بسهمٍ طريرْ »(١)
فخرَّ لِقاوُونُ مُمْتَقِعا   ومِن جوفِهِ لُبُّهُ انخلعا
وعافَ القناةَ ومدَّ يدَيهِ   وآخيلُ في الحالِ مالَ عليهِ
بسيفٍ بحدَّيهِ غاصَ بصدرِهْ   بِتَرْقُوَةِ الجيدِ مِن تحتِ نحرِهْ
فخرَّ على وجهِهِ والتوى   ووَجهُ الثرى مِن دماهُ ارتوى
وآخيلُ ألقاهُ مِن قدمِهْ   إلى النهرِ مُختضباً بدمِهْ
وصاحَ: « فرُحْ مطعماً للسَّمكْ   يَمُصُّ بهامي الجِراحِ دمَكْ

(١) في كلام أخيل من الحماسة وحقر الموت ما يدل على ما وعى صدره من الهمة الشماء والنفس الأباء . يقول انه لابد ان يفاجئه الموت فلا يبالي به ايان أتاه . ثم يختتم بقوله انه لابد ان يجندله بطل من الابطال بنصل يطير او بسهم طرير اشارة الى انه لايجسر أحد ان يقابله وجهاً لوجه بل جل ما تبلغ الفرسان من قتاله ان تحذف بالنصال عليه عن بعد خوفاً من بطشه

فَلا أُمَّ ثَمَّ عَليكَ تَصيحُ هُنَا الإِسكَمَندَرُ فِيكَ يَسيحُ
فَيُلقِيكَ لِلبَحرِ حَيثُ يَدِبْ إِليكَ مِنَ اللجِّ حُوتٌ يَثِبْ
ومِن شَحمِكَ الغَضِّ يُؤتى الغِذا أَجَلْ فَلتَبيدُنَّ طُرًّا كَذا
تَفِرُّونَ دُوني وَسَيفي يَفُلُّ كَذاكَ بإِليُونِكُمْ نَستَقِلُّ
فَلَيسَ بِواقِيكُمُ النَّهرُ ذا بِفِضِّيِّ مَجراهُ شَرَّ الاذى
وَلا ما ذَبَحْتُمْ لَهُ مِن عُجُولِ وَلا ما طَرَحتُمْ بِهِ مِن خُيُولِ (١)
نَعَمْ سَتَبيدُونَ طُرًّا هُنَا فِداءً لِذِي البَأسِ فَطْرُقْلنا
وجُنْدٍ بِسَيفِكُمُ قُتِّلُوا وَآخِيلُ إِذ ذاكَ مُعتَزِلُ »
كَذا قالَ والنَّهرُ زادَ اُحتِداما وَفَكَّرَ كَيفَ يَنالُ المَراما
وَكَيفَ بِصَدِّ اخِيلَ يُزِيلْ عَنِ القَومِ شَرَّ الهَلاكِ الوَبيلْ

(١) كانوا في بعض الاحوال يطرحون في الانهر جياداً حيةً وهي عبادةٌ ظلّت شائعة في كثير من بلادهم حتى زمن الرومان من بعد وكما كان المصريون من قبل يلقون في النيل بانواع الضحايا من الانسان والحيوان الى ان أبطلها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب اذ أنفذ عمرو بن العاص علم بن سارية بالخمس الى المدينة فلما اقضى مهمته قال «يا أمير المؤمنين ان عمراً يسلّم عليك ويقول لك ان القبط كانوا استنوا سنّة في نيلهم كل سنة وذلك انهم كانوا اذا أبطأ عليهم الوفاء في النيل يأخذون جارية من أحسن الجوار ويزينونها بأحسن زينة ويرمونها في البحر فيأتي الماء ويوفي النيل وقد قرب ميقات ذلك ولا يفعل عمرو شيئاً الا باذنك . فكتب عمر بن الخطاب بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت مخلوقاً لا تملك ضرًّا ولا نفعاً وأنت تجري من قبل نفسك وبأمرك فانقطع ولا حاجة لنا بك وان كنت تجري بحول الله وقوته فاجرِ كما كنت والسلام .

ولكنّ آخيلَ بالرُّمحِ زَفْ على عَسْطرُوفَ سليلِ الشَّرَفْ[1]
(هوَ ابْنُ فِليغُونَ مَنْ نُسبا لأَكْسِيُّسٍ وإلى فِيرِبا
فأكسيُّسُ النّهرُ قد كانَ هامْ بها فَحَبَتْهُ بذاكَ الغُلامْ[2]
ألا وهْيَ ذاتُ المكانِ المكينْ وبكرُ بناتٍ لدى أكسمينْ)
لهُ عَسْطرُوفُ بواري الزَّماعْ تَربَّصَ مُحتَدِماً لا يُراعْ
برُمحيهِ قامَ يرُومُ لِقاهْ وَزَنْثُ بِبأسٍ شَديدٍ حَباهْ
وكم كادَ زَنْثَ أخيلُ بما بهِ مِنْ خِيارِ الجُنودِ رَمى
ولمّا تدانى بذاكَ البَراحْ كِلا البطلَينِ فآخيلُ صاحْ:
«أياذا الذي لَمْ يَرُعْهُ جِلادْ أخيلَ فَمَنْ أنتَ مِن أيِّ نادْ
فَويلَ أبٍ لَمْ يَهْنِي ابْنُهُ فلا شكَّ يُنهِكُهُ حِزْنُهُ»
فقالَ: «وما بانْتِسابي تَرُومْ فَداري البَعيدَةُ دارُ القُرُومْ
فِيُونا الخَصيبَةُ مِنها الرِّجالْ معي أقبَلُوا بِرِماحٍ طِوالْ
وَمُنذُ بَلَغتُ لِهذا المَقرّ يُبهِمِيَ ذا اليومُ حادِيَ عَشَرْ
وَجَدِّيَ أكسيُّسُ خيرُ نَهرِ بِماءٍ زُلالٍ على الأرضِ يَجري

وأمره ان يدفع الكتاب الى عمرو بن العاص يرميه فيه وقت الحاجة .... وتوقف النيل عن الوفاء وقد ايس الناس من الوفاء في تلك السنة فمضى عمرو الى النيل وخاطبه ورمى فيه كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما رماه فيه هاج البحر وزاد الى فوق الحد ببركة عمر رضي الله عنه » (واقدي)

(١) زف أسرع

(٢) اكسيس نهر في مكدونيا كانوا يعبدونه يدعى الآن وستر تزا

وَأُنبِئْتُ أَنِّي سَليلُ فَتاهْ　　فليغُونَ ذي البأسِ رَبِّ القَناهْ
فأَقبِلْ إليَّ » فأَوما أخيلْ　　عَليه بِعُودِ القَناةِ الطَّويلْ
فَزجَّ هُنا عسطُروفُ إليْهِ　　بِكلتا قَناتيهِ مِن راحتَيْهِ
وقد كانَ يحْكمُ زَجَّ النِّصالِ　　بِكفٍّ يَمينٍ وكفٍّ شَمالِ
فَنصلٌ بظَهرِ المِجَنِّ وَقعْ　　بِعَسْجَدِ هيفسْتَ حيثُ ارْتَدعْ
ونَصلٌ ذِراعَ أخيلَ قَشرْ　　فَمِنهُ يسيرُ النَّجيعِ انْفجَرْ
وغَلَّ يَغُوصُ بفَرطِ ظَماهْ　　الى النقْعِ فوقَ الحَضيضِ إزاهْ
فَآخيلُ بالرُّمحِ فورًا قَذَفْ　　فَطاشَ إلى الجُرْفِ حيثُ وَقفْ
وغاص الى وَسْطِهِ باضْطِرابِ　　مِنَ العُنفِ يَرتجُّ فوقَ التُّرابِ
فَسلَّ أَخيلُ حُساماً صَقيلا　　على جَنْبِهِ الصُّلْبِ كانَ أُميلا
ورامَ الفِيُونيُ اقْتِلاعَ القَناهْ　　ثَلاثًا فخابَتْ ثَلاثًا مُناهْ
ولمَّا انْثَنى خاسرًا وبَدا　　عَياهُ إلى كَسرِها عَمَدا
لَواها ولٰكِنْ أَخيلُ وَثَبْ　　عَليهِ بِبَتَّارِهِ وضَرَبْ
فَخرَّ وأَجفانُهُ انْطبَقَتْ　　ولِلأَرضِ أَحْشاؤُهُ انْدفقَتْ
فَفي صَدرِهِ داسَ يَدَّخِرُ　　صَفائحَهُ وهْوَ يَفْتخِرُ :
«هُنا مُتْ فَليسَ يَهُونُ على　　بَني النَّهرِ حَربُ سَليلِ العُلَى
فَإنْ كُنتَ مِن نَسلِ نَهرٍ كَبيرِ　　فإِنِّي مِنْ آلِ زِفسَ القَديرِ
أَبي فيلُ المِرْمِدُونِ الحَميدْ　　أَبوهُ أياكُ بنُ زِفسَ المَجيدْ

لِزَفسَ عنا كُلُّ ربٍّ فَخُورِ وأَبْناؤُهُ فوقَ وُلْدِ النُّهُورِ
فَذا زَنْثُ دُونَكَ هيهاتَ أَنْ يَقيكَ ويَدْفعَ عنكَ الْمِحَنْ
وَمَنْ ذا الذي دُونَ زَفْسَ يَقِفْ وَمِنْهُ أَخلُوِّسُ يَرْتَجِفْ (١)
وَتَفْسُ الْمُحيطِ أَبي كُلِّ بَحرٍ وَنَهرٍ وَيَنْبُوعِ ماءٍ وَبئْرِ
إِذا زَفْسُ مِنْ جَوِّهِ رَعَدا تَراهُ بِلُجَّتِهِ ارْتَعَدا »
وَجَرَّ مُثَقَّفَهُ وَهُناكْ ثَوى عَسْطَرُوفُ بِغَيرِ حَرَاكْ
على الْجُرْفِ مِنْ حَوْلِهِ تَنْدَفِقْ مِياهٌ بِنينانِها تَصْطَفِقْ (٢)
تَقاطَرُ مُنْدَفِعاتٍ لَدَيهِ لِكَي تَنْهشَ الشَّحْمَ مِنْ رِئَتَيهِ
وَقَومُ الْفِيُونَةِ مُذْ أَبْصَرُوا زَعيمَهُمُ دَمُهُ يُهْدَرُ
وَزَنْدُ أَخِيلَ رَماهُ قَتِيلا لَدَيهِ على زَنْثَ وَلَّوا فُلُولا
وَخَلْفَهُمُ ابْنُ أَيَاكَ انْطَلَقْ يُبيدُ القُرُومَ بِتِلْكَ الفِرَقْ
كَثَرْسِيلُخٍ مِيذُنٍ إِينيُوْسا أُفِلِسْتَ عَسْطِيفِلٍ ثَرْسِيُوسا
كَذا إِمْنِسُوْسَ وَلَوْلا تَصَدَّى لَهُ النَّهْرُ فَلَّ الْجُمُوعَ وَأَردى
تَصَدَّى لَهُ حانِقاً وَخَرَجْ بِزِيِّ فَتًى مِنْ عُبابِ اللُّجَجْ
وصاحَ بِصَوتٍ دَوى بِالْجُدُودِ: « أَخِيلُ رَعَتْكَ سَراةُ الْخُلُودِ
لَقَدْ فُقْتَ بالبَأْسِ بِهِمَ الزُّمَرْ كَما فُقْتَهُمْ بِعُتُوٍّ وَشَرْ

(١) اخلويس الالهة نهر كانوا يعتقدون بقوته وجبروته
(٢) النينان الحيتان والاسماك

إِذا زَفسُ أَولاكَ قهرَ العدى ، أَما لَكَ في السَّهلِ كلُّ المَدى
فَدعني فسيلي هذا الدُّفاقْ بأَشلاءِ قتلى الطَّراودِ ضاقْ
فَلا مَنفذٌ لغَصيصٍ زُعابَهْ إِلى البحرِ ممتزجاً بعُبابَهْ
كَفاكَ صدَقتُكَ فتكٌ ذَريعُ فَقد راعَني منكَ هذا الصَّنيعُ»
فقالَ: «أَمَرتَ وأَنتَ المُطاعْ أَيا إِسكمنْدرُ في تِي البقاعْ
على أَنَّهُ لَيسَ لي من مَردْ إِلى أَن أَردَّهمُ للبَلَدْ
وهكطورَ أَلقى ببأْسٍ شَديدْ يَبيدُ بهِ أَو حَياتي يَبيدْ »
وهبَّ كَربٍّ وراهمْ يَصولُ فَصاحَ بفيبُوسَ زَنْثُ يقولُ:
« أَيا ربَّ قوسِ اللُّجينِ الأَغرْ أَفاتكَ مطلبُ زفسَ الأَبرْ
أَما بكَ أَرسلَ معتمدا الى قوم طُرْوادةٍ عَضُدا
تُدافعُ حتَّى براحِ تَغيبْ ويُسبلُ سترُ الظَّلامِ القريبْ »(١)
وَأَمَّا أَخيلُ فَما ارْتَدَعا وَللنَّهرِ مِنْ ثَغرِهِ انْدفعا
هُنالِكَ زَنْثُ احْتداماً طَغا وَأَزبَدَ مُنتَفخاً ورَغا
وَثارَ وَعجَّ كثَورٍ يَخُورُ بتَيَّارِهِ مُستَشيطاً يَمورُ
وفاضَ على جُثَثٍ طَرحا بمَجراهُ آخيلُ مجترحا
فَمَنْ ماتَ أَلقاهُ في ثَغرِهِ ومَن عاشَ واراهُ في قَعرِهِ
وحولَ ابنِ فيلا جُحافاً جُرافا تَدافعَ حتَّى على الجوبِ طافا(٢)

---

(١) براح علم للشمس
(٢) جحاف جراف أي سيل جارف أخّاذ يذهب بكل شيء • يقول

به قدماهُ تقلقلتا ‏ فما بهما بعدَ ذا ثبتا
تشبثَ بالمهجةِ الزاهقهْ ‏ بدردارةٍ غضةٍ باسقهْ
فمالتْ وآصلها تتفككْ ‏ الى الأرض أهوت بهِ تتبتكْ
ويانعُ أغصانها انتشرا ‏ ووجهُ الحضيضِ بها انقشرا
وظلتْ كجسرٍ عظيمٍ يحولْ ‏ وصدتْ مجاري تلكَ السيولْ
فريعَ أخيلُ وفرَّ يطيرُ ‏ الى السهلِ فيهِ حثيثاً يسيرُ
ولكنْ تقفاهُ ذاكَ الإلاهُ ‏ بتيارهِ المدلهمِّ وراهُ
يرومُ لهُ ذلةً وانخذالْ ‏ فيكفي الطراودَ شرَّ الوبالْ
فخفَّ أخيلُ كطيرٍ يدفُّ ‏ على بعدِ مرمى الرماحِ يزفُّ
كحالكِ نسرٍ عتا بالطيورِ ‏ وقصَّرَ عنهُ هفيفُ الصقورِ
وراحَ يفرُّ على ذعرهِ ‏ يصلُّ السلاحُ على صدرهِ
وفي إثرهِ النهرُ حيثُ التوى ‏ تعقبهُ طاغياً ودوى
كأنَّ امرءًا بنضيرِ الغياضْ ‏ سقى بدفاقِ العيونِ الرياضْ
فطهرَ قبلَ انصباباتهِ ‏ مجاري المياهِ بمسحاتهِ
فما خلتَ إلاَّ انبجاساً تدفقْ ‏ تدافعَ فوقَ حصىً تترقرقْ
وخرَّ خريراً مذِ انحدرا ‏ يسيحُ ودافعهُ قصرا

ان النهر طغا وتدافع وتدفق سيلاً جارفاً واكتنف أخيل حتى طاف على ترسه • ان في الاصل اليوناني لهذه الابيات من حكاية الصوت ما يدهش له السامع ولعل في التعريب شبهاً أو اثراً من تلك المشاكلة

كذا حيثُ دارَ أخيلُ يميلْ ... بآثارهِ زَنْثُ سدَّ السَّبيلْ
ولا بدعَ فالنَّاسُ لا قِبَلا ... لَهُمْ أَبداً بِمَوالي المَلا
فكمْ مرَّةٍ بخُطاهُ تربَّصْ ... لِزَنْثَ يرى هل إِذاً يتخلَّصْ
وهل كلُّ آلِ العلى اعتصبُوا ... عليهِ لِيَخذلَهُ الهَربُ
فما كانَ مِنْ زَنثَ إلاَّ ارْتفعْ ... إلى كَتفيهِ بتلكَ التُّرعْ
فَهبَّ ومُحْتَفِزاً وثَبا ... بأزْمتهِ فعلا الهِضَبا
ولكنَّ زَنْثَ التُّرابَ جرَفْ ... فَمَوقِفُ آخيلَ فيهِ انْخَسَفْ
هُنالكَ الْتوَتْ هلعاً رُكْبَتاهْ ... فأَنَّ وصاحَ يرُومُ النَّجاهْ :
« أَيا زَفسُ هلْ لا إِلاهٌ قديرْ ... يَرِقُّ لِحالي بهِ أَستجيرْ
فإنْ أَنجُ مِن زَنثَ فلينْزِلِ ... عليَّ بلا النُّوبِ الهُمَّلِ
فليسَ بآلِ العُلى جمْلَةً ... كأُمّي مَن سامَني ذِلَّةً
فكمْ خدَعتني بقولِ الكذُوبِ ... وكمْ زَعمتْ باشتدادِ الخُطُوبِ
بأَنّي قُبالَةَ هذي الحُصُونْ ... بسهمِ أفلُّونَ أَلْقى المَنُونْ
علامَ بعاملِ هكْطورَ لا ... هلَكتُ وأَخْبرُهُ البَطَلا
لوِ اجتاحني وسِلاحي سلبْ ... لقيلَ هُمامٌ هُماماً ضَرَبْ
على أنَّني اليومَ في ذا المكانْ ... أَمُوتُ بذا النَّهرِ موتَ الهَوانْ
كراعي خنانيصَ غِرٍّ ولجْ ... خليجاً فما مِنهُ قطُّ خرجْ »[1]

---

(١) ان في هذا الدعاء مرآة ينعكس عنها ماتكنه صدور الابطال من الزماع

فَلَمَّا ٱنْتَهى فُوسِذٌ أَسْرَعا ... لِنَجْدَتِهِ وأَثينا مَعا
بِهَيْئَةِ إِنْسٍ لَهُ ٱعْتَرَضا ... وبِالأُنْسِ راحَتَهُ قَبَضا
فَخاطَبَهُ فُوسِذٌ أَوَّلا : ... «أَلا يا ٱبْنَ فيلادَعِ الوَجَلا
إِلاهانِ رَفْدَكَ راما هُنا ... أَثينا بِحِكْمَتِها وأَنا
بِنا زَفْسُ أَسْرى إِذًا فَٱسْمَعِ ... وكُلَّ نَصائِحِنا فَٱتْبَعِ
فَزَنْثَ سَتَلْفيهِ عافَ أَذاكا ... وما كانَ في الغَيْبِ فيهِ رَداكا
فَلا تُغْمِدِ السَّيْفَ حَتَّى تَرى ... بِإِلْيُونَ جَيْشَ العِدى ٱنْحَصَرا
وَهَكْطُورَ تُصْمي وَلِلسُّفُنِ ... تَعُودُ بِمَجْدٍ رَفيعٍ سَني»
هُما ٱنْقَلَبا لِلْعُلى والبَطَلْ ... بِجُمْلَتِهِ لِلْكِفاحِ ٱشْتَعَلْ
ومِنْ حَوْلِهِ السَّهْلُ حَيْثُ لَمَحْ ... بِما فاضَ مِنْ زَنْثَ طُرًّا سَبَحْ
غَثا بِسِلاحٍ عَلَيْهِ يَطُوفُ ... وأَشْلاءِ قَتْلى أَبْتَرَتْها السُّيُوفُ
فَكَرَّ وَما بَعْدَ ذا نالَهُ ... خُمُولٌ وَزَنْثُ فَما هالَهُ
أَثينا أَنالَتْهُ عَزْماً جَديدْ ... فَما راعَهُ بَعْدُ مِنْهُ الهَديدْ
فَبَرَّحَ بِالنَّهْرِ ذاكَ الغُرُورُ ... فَزادَ ٱضْطِراباً وَعَجَّ يَمُورُ

وطول الباع وهو يشبه دعاء اياس (ن ١٧) اذ اربدَّ الجو وتكاثفت فيه الظلمات وضاق الاغريق ذرعاً فقال مخاطباً زفس :

من جوّك امحق حندس الديجورِ ... ثم امحهم ان شئت وسط النورِ

تلك أمنية اياس • وأخيل يتمنى هنا لو رماه افلون بسهم فأهلكه أو طعنه هكطور فجدله ذلك خيرٌ له من أن يموت غريقاً لا يقوى على صراع ولا دفاع

وَصاحَ بِسمُويسَ مُستَنجِدا : « أُخيَّ هلُمَّ فعجزي بَدا
هلُمَّ كِلانا هُنا نعتَصِبْ على رَجُلٍ واحدٍ ونَثِبْ
وإلاَّ فمعقِلُ فِرْيامَ ذَلْ لهُ والطَّراودُ سِيموا الفَشَلْ
هلُمَّ وَفِضْ بالعُيونِ الكِبارْ وأَجْرِ السُّيولَ غِزارًا غِزارْ
وقُضَّ الصخُورَ على الشَّجَرِ فتَفْتُرُ عزْمةُ ذا المُفتَري
عَتا مُستَبِدًّا كَرَبٍّ فَخُورْ وعاثَ اعْتِسافًا يَهِيلُ الثُّبُورْ
فَلا نالَ في حُسْنِهِ وقُواهُ ولا بِصَفائحِه مُبْتَغاهُ
سيَلْبَثُ ذاكَ السِّلاحُ المَتينْ بِقعْرِ المِياهِ دَفينَ الغَرينْ (١)
وأَطْمِرُ بالرَّمْلِ ذاكَ الجسَدْ عَليهِ يُهالُ قَضيضُ الزَّبَدْ
هُناكَ يُقيمُ بِشَرِّ مُقامهْ فَلا يَهتَدي قومُهُ لِعظامهْ
وأَكْفيهِم عِبْءَ قَبرٍ يُشادْ لهُ يومَ يَلتَزِمونَ الحِدادْ »
ومِن ثَمَّ هاجَ عليهِ وماجْ ودَمْدَمَ يَذْوي بذاكَ العَجاجْ
رَغا زَبَدًا ودَمًا وخَبَثْ وتيّارُهُ أحْمَرٌ تحتَ الجُثَثْ (٢)
ومادَ بآخيلَ يَضطَرِبُ وهيرا بِسُدَّتِها تَرْقُبُ
فَصاحَتْ تُوَلْوِلُ مذْ أَطْبقا عَليهِ فأَوشَكَ أَنْ يَغْرَقا :

(١) الغرين الطين

(٢) قال جرير :

وما زالت القتلى تمجُّ دماءَها بدجلة حتى ماءُ دجلة اشكلُ

« بُنَيَّ حَبِيبي الأُعيرجُ طِرْ فقرْنُكَ زَنْثُ فقيهاُ استَعِرْ (١)

هَلُمَّ أَنجُدنَا بنارٍ تَثُورْ وأُغري الجَنُوبَ أَناوالدَّبُورْ

مِنَ اليَمِّ بالنَّوءِ تَصْطَدِمانْ فَتَأْتِهِمُ نارُكَ كُلَّ مَكانْ

تُذِيقُ الطَّراوِدَ دُهْمَ البُؤُوسْ وتُفْني صِفائِحَهُمْ والرُّؤُوسْ

فَلا تُبْقِ في ثَغْرِهِ شَجَرا وفي قَلْبِهِ أَنْقَضَّ مُسْتَعِرا

وَلا يُغْرِيَنَّكَ لا بِفَدِيدِ ولا بِالْتِماسٍ ولا بِوَعِيدِ (٢)

ولا تُخْمِدَنَّ أُوارَ السَّعِيرِ الى أَنْ أَصيحَ بِصَوتٍ جَهِيرِ »

فأَرَّثَ بالسَّهْلِ نارًا ذَكَتْ بِأَشْلائِهِمْ أَوَّلاً فَتَكَتْ

كُماةً رَماهُمْ أَخِيلُ العَنِيدْ وما كانَ أَكْثَرَ ذاكَ العَدِيدْ

فَما خَلَتَ الاَّ الثَّرى يَبِسا وطُغْيانَ زَنْثَ بِهِ أَنْحَبَسا

كَرَوضٍ سَقاهُ الحَياءُ تَهِفُّ شَمالُ خَرِيفٍ بِهِ فَيَجِفُّ

فَيَجْذَلُ زارِعُهُ طَرَبا : ومِنْ ثَمَّ هِيفَسْتُ مُلْتَهِبا

أَدارَ على زَنْثَ نارَ الشِّرارِ فَثارَ بِمَجْراهُ واري الأُوارِ

فَدرِدارُهُ بادَ مِنْ أَصْلِهِ بِصَفْصافِهِ وكَذا أَثْلِهِ

كَذا السُّعْدُوالسِّدْرُوالخَيْزُرانْ بِأَصْلِها والفُرُوعِ الحِسانْ

بِرُمَّتِها أَتَّقَدَتْ شَرَرا فَلَمْ تَبْقَ عَيناً ولا أَثَرا

---

(١) تريد بالاعيرج هيفست الاله النار وهو لقبٌ له كما مر (ن ١٨ : ٩١٠)

(٢) الفديد الصياح

وأسماكُهُ كُلُّ حيتانها وحيَّاتها فوقَ نينانها
تَغُوصُ فلولاً بضيقِ النَّفَسْ لِهَولِ المَهبِّ وحرِّ القَبَسْ
وفي قلبِ زَنثَ اسْتطارَ يَعيثُ حَميمُ الصلا فدعا يستغيثُ :
« هِفَسْتُ بناركَ مالي قِبَلْ فأيُّ إلاهٍ تَطلَّبْتَ ذَلْ
كَفى كُفَّ وليَفْتُكِ ابْنُ أياكا بطرْوادةٍ فيُذيعُ الهلاكا
فما لي وهذا الوَبالُ الأَلَدْ » كذا صاحَ لكنْ هِفَسْتُ استَبَدْ
وأجَّ بغُدْرانِ زَنثَ فَفارْ كقِدْرٍ تفورُ بنارٍ تُثارْ
يَسيحُ بها شَحْمُ رَتٍّ سَمينْ على حافِها يُسْرَةً ويَمينْ
ومِنْ تحتِها يابسُ الحَطَبِ بِمَوقدِهِ فادِحُ اللَّهَبِ
كذا زَنثُ لمَّا به اشْتعَلا سَعيرُ هِفَسْتَ عَلا وغَلا
ولَمْ يجْرِ بَلْ فارَ مُتَّقِدا فَهيرا دعا يطْلُبُ المَدَدا :
« علامَ بِحقِّكِ دونَ سِوايا سليلُكِ هَبَّ يرومُ أذايا
أمِنْ كُلِّ أنْصارِ طرْوادَ هَلْ تخالينَ أنّي المسيءُ الأضَلْ
فإنْ شئْتِ لا جئْتُهمْ بعدَ ذا كَناهُ كَفى فليَكُفَّ الأذى
وَإنْ أبْتغي بعدُ رِفْدَهُمُ بذاكَ نَعَمْ عَناً أُقْسِمُ
وَلَو كُلُّ طُرْوادَةَ احْتَرقَتْ بنارِ الأخاءةِ وامَّحقَتْ »
فهيرا اسْتجابَتْ وصاحَتْ: « كَفى بُنَيَّ فَقِفْ ذاكَ حَدُّ الجَفا
فما فوقَ ذا جازَ أنْ نَشْجُنا بَني الخُلْدِ مِنْ أجْلِ قومِ الفَنا » (١)

(١) ان في قتال أخيل وزنثس على غرابته شيئاً من الحقيقة صاغها الشاعر

فَأَخْمَدَ هِيفَسْتُ نِيرانَهُ وأجرى كذا زَنْثُ غُدْرانَهُ
وَهـيرا بِغُلِّ مَرارَتِها إِلَيـهِ سَعَتْ بِوَساطَتِهـا
فَتَمَّ بِكَشْفَةِ زَنْثَ الوِفاقُ وثارَ بِآلِ الخُلُودِ الشِّقاقُ
فَقامَتْ لَهُمْ ضَجَّةٌ وَعجيجْ مِنَ الأَرضِ لِلجَوِّ يُعْلِي الضَّجيجْ
وَزَفسُ لِفِتْنَتِهِمْ والصَّخَبْ لَقَد هَزَّهُ بِعُلاهُ الطَّرَبْ (١)
وما لَبِثَ الخَطْبُ أَنْ فَدَحا فَهَبُّوا يُثِيرُونَ تِلْكَ الوَحى
وَاوَّلُهُمْ خارِقُ الجُـنَنِ أَرِيسُ تَصدَّرَ لِلفِـتَنِ
أَثينا أَتى بِشَحِيذِ الذُّبابِ وَصاحَ: «اُخْسَئِي ياذُبابَ الكِلابِ (٢)
عَلامَ بِنا هِجْتِ هذا اللَّدَدْ بِشَرٍّ عُتُوٍّ عَدا كُلَّ حَدّ
أَأُنْسِيتِ يَومَ ذِيُوميذُ صالْ عَلَيَّ وَأَغْرَيْتِـهِ لِلنِّضالْ

(١) لقد يعجب المطالع لطرب زفس وارتياحه لفتنة الآلهة • ويتشوف لمعرفة سبب ذلك الارتياح — قال افستاثيوس ان زفس وهو سيد المخلوقات ورب الطبيعة وما حوت من أرض وسماء وماء وهواء يرتاح الى نزاع الآلهة لان توازن الاتفاق لا يحصل الا بهذا الشقاق فالارض في نزاع مع الماء والهواء مع الارض والماء مع كليهما • والخلاف لا بد منه ابداً بين الحر والبرد والرطوبة والجفاف فيحصل من هذا التنازع تعادل في قوى الطبيعة والنتيجة خصب الارض وارتداء السهول والجبال بثوب الجمال والاعتدال

(٢) ذُباب الكلاب (Κυνάμυια) لفظة تحقير كما لا يخفى • وقد تحاشى اكثر نقلة هوميروس ذكر ألفاظ كهذه كما اسلفنا غير مرة اما لعجز في لغاتهم واما لوقوعها موقعاً خشناً في الشعر • على اني رأيت ان لا أشوه الاصل بمثل هذا الخروج عن جادة الاستخراج

وَسَدَّدْتِ عاملَهُ فاْستُطارْ ومزّقَ جلْدِي فثارٌ بثارْ »[١]
وإذْ ذاكَ عاملُهُ دفعا ففي ظَهْرِ مجْوَبِها دفعا
مِجَنٌّ وَهيهاتِ تَفعَلُ بِهْ صَواعِقُ زَفسَ على غَضَبِهْ
فما كانَ إلاّ أنِ الْتَوَتِ وجُلْمُودَ صَخرٍ تَناوَلَتِ
هُنالكَ ذا الصَّخْرُ مُنذُ القَديمْ اتاكَ المعالِمِ حدّاً أُقيمْ
ثوى هائلاً حالِكاً خَشِنا رَمَتْهُ بِهِ بيَسيرِ العَنا
فَحلقُومَهُ دَقَّ فاْنقَلَبا وسَبْعَةَ أَفْدِنَةٍ حَجَبا[٢]
فعفّرَ بالتُّرْبِ ذاكَ الشَّعَرْ وصلَّ السّلاحُ عَلَيهِ وَصَرْ
فَصاحَتْ إذاً بتَسَمتْ جذَلا: « جَهِلْتَ وما الحَقُّ أنْ تجْهلا
وفاتَكَ حُمْقاً سُمُوُّ قُوايا فأقْبَلْتَ مُسْتَهدِفاً لِبَلايا
فَذُقْ مِن صَلى أُمِّكَ اللّعَناتِ لَظى أَزَماتٍ على أَزَماتِ[٣]
جَزاءَ اطّراحِكَ رِفْدَ الأَخاءِ وعَونِ الطّراوِدِ أُسِّ البَلاءِ »

---

(١) يشير الى حادثه مع ذيوميذ في النشيد الخامس اذ طعنه ذيوميذ باغراء اثينا

(٢) اي ان جسمه امتد على مسافة سبعة افدنة ٠ وهذا التعبير على ما فيه من الغلو ليس على شيء من الغرابة بازاء ما في خرافات كتّابنا من وصف ملائكتنا بل وبشرنا ايضاً كالعمالقة وعوج بن عناق الذي كان يتناول السمك من البحر ويشويه في الشمس !!

(٣) الصلى النار وام آرس هيرا وهو كان منحازاً الى فئة اعدائها فكان نكبته كانت عقاباً لهُ على مخالفتها

وَعَنهُ بألحاظها أعرضَتْ هنا عفرُذيتُ لهُ عرضت
وَقادَتْهُ من يدِهِ تتدفّقْ دِماهُ بحِسٍّ تضعضعَ يشهَقْ
وهيرا على البُعْدِ تُبصِرُها فصاحت بفالاسَ تُوغِرُها :
«ألا فانظري قِحةَ الزُّهرةْ تفاقمُ والحربُ مُستَعِرةْ [1]
عليكِ بها فلقدْ أدبرَتْ بآريسَ هَولِ المَلا وجرَتْ»
فهمّتْ أثينا وقد طفحا لِذا لُبُّ مُهجتِها فرحا
براحتِها صدرَها لطمتْ فخارتْ قُوى عزمِها وارتمت. [2]
كذا عفرُذيتُ وآريسُ ظلاّ طريحينِ فوقَ التُّرابِ وذلاّ
هما لبثا بعنا وزفيرِ وفالاسُ صاحتْ بداوي النّعيرِ:
«كذا فليبدْ منْ لطرْوادَ مالْ وسامَ الأغارقَ شرَّ النَّكالْ
فلو أنَّ جُملةَ أنصارِهمْ الى الحربِ ثاروا بكبّارِهمْ
بعزمٍ كما عفرُذيتُ بدتْ لِنجدةِ آريسَ مُذْ عربدتْ
لكُفَّ القتالُ العنيفُ الوبيلْ وإليونُ دُكّتْ لِعهدٍ طويلْ» [3]
فهيرا لِذا ابتسمتْ واستطارْ إلى سيّدِ النُّورِ ربُّ البحارْ: [4]
«أوارُ سَراةِ العُلى مُضطرِمْ لِماذا إذًا نحنُ لا نصطدِمْ

(١) الزهرة هي عفرذيت
(٢) اي ان اثينا لطمت براحتها صدر الزهرة
(٣) تريد ان تقول ان آرس والزهرة ضعيفا العزم واهيا العزيمة
(٤) اي الى فيبوس فوسيذ

أترضى الهونَ وعارَ القفولِ لِقبَّةِ زفسَ بهذا الخمولِ
الى الحربِ فيبوسُ قمْ وتهيَّا فإنَّكَ أحدثُ سِنّاً فهيّا
تقدَّمتُ عهدًا وزدتُ اختبارْ فبادرْ فحقُّكَ بدءُ البدارْ (١)
فهلّاَ ادَّكرتَ أأحمقُ كمْ بإليونَ برَّحَ فينا الألمْ
بنا زفسُ أرسلَ دونَ الجميعْ إلى لومِدُونَ فجئنا نُطيعْ
لِنعملَ عاماً بخدمتِهِ فنقبضَ معلومَ أجرتِهِ
فشدتُ الحصونَ الحِسانَ الفساحْ تعزُّ امتناعاً ولا تُستباحْ
وأنتَ سرحتَ بتلكَ البقرْ على شمِّ إيذا الكثيفِ الشجرْ
ولمَّا عنا جهدُنا اكتملا وحانَ لنا نقبضُ البدلا
وأقبلتِ الساعُ بالفرجِ أبى لومِدُونُ لِما نرتجي (٢)
فأرسلنا خاسئينَ وأقسمْ وهمَّ بآذانِنا أن تُصلَّمْ
وهمَّ بِغَلِّكَ رجلاً وزندا وبيعكَ في جزُرِ البحرِ عبدا



(١) اي ان الفتى الحدث اولى بالشروع في القتال لنزقه وحدته فلا يتأنى ويتروّى — فيبوس لقب افلون الاه النور وله مزايا شتى ذكر هوميروس شيئاً منها كقوله « رب السهام » و « مطرب الآلهة » • كانوا يمثلونه دائماً بصورة فتى جميل الطلعة ذي شعر طويل مرسل وبيده قوسٌ وسهامٌ او قيثارٌ كما ترى في الرسم

(٢) الساع الساعات وقد مر ذكرها مؤلهة

فيبوس (افلون)

(ن ٥ : ٤٢٦)

تَعَمَّدَ شَرَّ خِيانَتِنا فَعُدْنا بِغُلِّ حَزَازَتِنا
أَمِنْ اجلِ هذا وَليتَ بَنِيهِ ولم تَنتَقِمْ مِثلَنا مِن ذَوِيهِ
لِنُفْنيَ طُرْوادَةَ الكافِرَهْ وأَبْناءَها والنِّسا الطَّاهِرَهْ» (١)
فقالَ: « أَفوسِيذُ هلْ خِلْتَني قَصِيرَ الحِجَى فاقِدَ الفِطَنِ
فمنْ أَجْلِ منْ أَنا أَبْرُزُ لكْ أَمِنْ أَجلِ إِنْسٍ ثُواةِ الدَّرَكْ
وَما الإِنْسُ في الأَرْضِ إِلَّا وَرَقْ تَراهُ نَشا يانِعاً وَبَسَقْ
مَعيشَتُهُ مِنْ نِتاجِ الثَّرى ولٰكِنَّهُ صاغِرًا دَثَرا (٢)
فَدَعْنا إِذًا مِنْ وَبِيلِ النِّضالِ وَدَعْهُمْ يَجُولُوا بِحَرْبٍ سِجالِ»
وَعنْهُ تَقَهْقَرَ مُحْتَجِبا لِقاءَ أَخي زَفْسَ مُجْتَنِبا

(١) في اساطيرهم ان زفس غضب يوماً على افلون وفوسيذ فطردهما من السماء وانفذهما لخدمة لوميدون ابي فريام ملك طروادة بعد ان نزع منهما سلطان الارباب فبنيا له حصونها واقاما له سدودها • اي ان زفس سخر للوميدون الشمس والبحر فاعاناه بصفاء الجو وسكون البحر على اتمام العمل • وقد مرَّ ذكر هذه الخرافة في النشيد الخامس

(٢) بسق ارتفع — مر تشبيه الناس بورق الشجر في النشيد السادس ص٤٤٧ ولكنه اشار هناك الى التلاشي والتجدد معاً اذ قال :

وكلٌّ على إِثْر كلٍّ مشى فجيلٌ تلاشى وجيلٌ نشا

واما هنا فاكثر مرماه الى الاضمحلال كقول يزيد بن الحكم :

ما عذر من هو للمنو نِ وريبها غرض رجيم
ويرى القرون أمامهُ همدوا كما همد الهشيم
ويجرب الدنيا فلا بؤس يدوم ولا نعيم

ومثله قول عدي بن زيد :

فَلاحَتْ هُناكَ لَهُ أُختُهُ قَنيصُ الضَّواري تُبكِّتُهُ :[1]
«أَراكَ ٱنْهزَمْتَ أَرامي السِّهامِ وَخوَّلتَ فُوسيذَ كُلَّ المَرامِ
لِماذا بَرَزْتَ بقَوسٍ طَحُورْ وأَبْرَزْتَ بينَ الصُّدُورِ الغُرُورْ[2]
فَهَلْ بَعدَ ذُلِّكَ ذا تَزْعَمُ بِباسِكَ فُوسيذَ تَقْتَحِمُ »
فَصَدَّ ولم يُلْقِ بِنتَ شَفَهْ وَهيرا ٱسْتَطارَتْ بِها الأَنَفَهْ
عَلى أَرْطَميسَ ٱنْثَنَتْ بالخِطابِ تُعَنِّفُها بِشَديدِ السِّبابِ
وَصاحَتْ : «أَيا كَلبَةً يا وَقاحْ أَفي ظِلِّ وَجْهي هذا الصِّياحْ
سَتَصْلَينَ نيرانَ غَيظي وإنْ بَرَزْتِ بقَوسٍ لِغَيري تَرِنْ
جُعِلْتِ نَعَمْ لَبْوَةً لِلنِّسا تُنيلينَ مَنْ شِئْتِ مُرَّ الأَسى[3]
أَلا ما فَتَكْتِ بِوَحْشٍ رَبا بِشُمِّ الجِبالِ وغُرِّ الظِّبا
وَعِفْتِ البُرُوزَ بِحُمْقِ الشَّطَطْ لِمَنْ لا تُطيقينَ لُقْياهُ قَطْ
أَرُمْتِ إِذاً خُبْرَ هَوْلِ المَكَرْ خُذيها إِذاً عِبْرَةً تُعْتَبَرْ»

ثم اضحوا كأنهم ورقٌ جـــفَّ فالوت به الصبا والدبورُ
وقول ربيعة بن مقروم :
واضحت بتيماء اجسادهم يشبهها من رآها الهشـيما
ويجري مجراه قول لبيد :
وما المرء الا كالشهاب وضوءهُ يحورُ رماداً بعد اذ هو ساطعُ
(١) اخت افلون ارطميس ولقبت بقنيص الضواري اي صيادتها لانها كانت الاهة الصيد
(٢) القوس الطحور البعيدة المرمى • وقوله الصدور اي صدور الجيش
(٣) لقبت أرطميس (وهي ديانة الرومان على ما علمت) بلبوة النساء

هُنا قَبضَتْ مُذْ تَدَنَّتْ إِليَها ... بيُسْرى يَدَيها على مِعْصَمِيها
وَمالَتْ بيُمْنى على مَنْكِبيَها ... تُجَرِّدُ قوساً تَوُجُّ عَليها
وباسِمَةً أُذْنَها ضَرَبَتْ ... بِتِلْكَ الكِنانَةِ فاضْطَرَبَتْ
وَدَارَتْ بجُملَتِها تَنْتَثِرْ ... وأَسْهامُها دُونَها تَنْتَثِرْ
وغادَرَتِ القَوسَ وانْهَزَمَتْ ... بِذِلَّتِها والدُّمُوعُ هَمَتْ
كَوَرْقاءَ يَذْعَرُها وَجهُ صَقْرِ ... تَزِفُّ لِتَلْجأَ في شَقِّ صَخْرِ
وما كانَ قَبلُ لَهُ قُدِّرا ... بِها قَطُّ أَنْ يَنْشِبُ المِنْسَرا
وَصاحَ بلاطُونَةٍ هِرْمِسُ: ... «بِحَرْبِكِ هَلْ خِلْتِني آنَسُ
فَمَنْ رامَ عِرْسَ أَبي السُّحُبِ ... بِسُوءٍ فَقَدْ ضَلَّ في مَذْهَبي
فَأُمِّي بَني الخُلْدِ وافْتَخِري ... عَلَيَّ بِبأْسِكِ والظَّفَرِ» (١)
فَفَوراً لِجَمْعِ النِّبالِ انْبَرَتْ ... عَنِ الأَرْضِ مِنْ حَيثُ قَدْ نُثِرَتْ
وَسارتْ عَلى أَثَرِ ابْنَتِها ... بِفارِجِها وَكِنانَتِها (٢)
وإِذْ لِلأُلَمْبِ أَتَتْ أَرْطَمِيسُ ... بِقَصْرِ النُّحاسِ تَبَدَّتْ تَميسُ
بِعَبْرَتِها أَقْبَلَتْ تَسْبَحُ ... عَلى رُكْبَتَي زَفسَ تَنْطَرِحُ

لانهم كانوا ينسبون اليها كل موت فجائي يصيب النساء كما ينسبون الى افلون موت الرجال وهي فضلاً عن ذلك ممثلة القمر ورقيبة المواليد لعلاقة القمر بالحمل والولادة

(١) قالوا ان هرمس (عطارد) لايقاتل لاطونة لانه كوكب وهي الاهة الظلام وليس للكواكب ان تقاتل ظلام الليل لانه لولا الليل لما سطع للكواكب نور

(٢) الفارج القوس

ومِن حَولِها البُرْقُعُ العَنْبَري تَأَلَّقَ يَسْطَعُ لِلنَّظَرِ
الى صَدرِهِ ضَمَّها وٱبْتَدَرْ يَهَشُّ لها وَٱسْتَقَصَّ الخَبرْ :
«مِنَ الخُلدِ مَن ذا عليكِ ٱفترى كما لو أتيتِ ٱبْنَتي مُنْكَرا»
فقالَتْ: «أبي تلكَ زَوجكَ مَنْ أثارتْ بآلِ السَّماءِ الفِتَنْ»
كَذا بحَديثهما ٱشتَغَلا وَفيبُوسُ طُرْوادَةً دَخَلا
لِئلاَّ يَدُكَّ العُداةُ الحِصارْ برَغْمِ القَضاءِ بذاكَ النَّهارْ
وَسائرُ آلِ العلى رَجعُوا لِأُولمبهمْ حَيثما ٱجْتَمعُوا
لَدَى زَفْسَ ذاكَ بنُصْرَتهِ طَرُوبٌ وذا بحَزازَتـهِ
وظَلَّ أَخيلُ بحَرِّ الجِلادْ يُبيدُ كُماةَ العِدى والجِيادْ
وَحَيثُ بَدا لَهُمُ فَتَكا بِهِمْ وَدِماءَهُمُ سَفَكا
كَنارٍ بغَيظِ بَني الخُلْدِ شَبَّتْ بِبَلْدَةِ قَومٍ عُصاةٍ فَهبَّتْ
وَأَعلَتْ دُخاناً رَقى لِلرَّقيعْ فَسيمَ الجَميعُ البَلاءَ الفَظيعْ[1]

(١) كأني بهوميروس يشير بهذين البيتين الى ما روي له اثناء اقامته في مصر عن سدوم وعمورة على ما جاءَ في التوراة • او اتصلت اليه رواية هلاك عاد • قالوا انه لما رأى قوم عاد انه لاغالب لهم من الناس تجبروا واحتقروهم فبعث الله اليهم هوداً فأبوا ان يكفوا عن الظلم وكذبوا وتمادوا فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى هلكت مواشيهم واصابهم الضر الشديد ثم اهلكهم بنار كنار هوميروس انبعثت في الجو من غمامة سوداءَ • وكان اول من نظر ما في تلك السحابة امرأة منهم يقال لها مهد فصفقت بيديها ونادت باعلى صوتها ويلكم عليكم بهود فقد اتاكم العذاب وانشدت

وَفِي البُرْجِ فِرْيَامُ مُنْتَصِبا على البُعدِ آخيلَ قد رَقَبا
إذا بالطَّراودِ قد ذُعِرُوا وكلُّهُمُ شُرَّدًا أَدْبَرُوا
فَمِنْ ثَمَّ مُكْتَئِبًا نَزَلا يُحَذِّرُ حُرَّاسَهُ وَجِلا :
« أَلا فَافْتَحُوا كُلَّ أَبْوابِكُمْ إلى أَنْ تَدُوسَ بِأَعْتابِكُمْ
فُلولُ السُّرى . فَأَخيلُ هَجَمْ مُغِيرًا وَوَاهَوِلَ هاتي النِّقَمْ
وَإِنْ لَجَأَ الجُنْدُ طُرًّا إلى مَعاقِلِنا فَاقْفِلُوا عَجِلا
لِئَلَّا يَحُلَّ بِحَرِّ العِراكْ أَخيلُ بِها وهُنَاكَ الهَلاكْ »
فَفُتِّحَ في الحالِ كُلُّ رِتاجِ وَقد رَفَعُوا مِنهُ كُلَّ زِلاجِ (١)
وشُذَّاذُ طُرْوادَةٍ شُرَّدُ قَضِيضًا قِلاعَهُمُ وَرَدُوا
يُغَشِّيهِمِ نَقْعُهُمْ والصَّدى يُحَرِّقُ مُهْجَتَهُمْ كَمَدَا (٢)
وفِيبُوسُ خَفَّ أَمامَهُمُ يُسَهِّلُ ثَمَّ انْهِزامَهُمُ

اني ارى وسط السحاب نارا تنثر من ضرامها الشرارا
يسوقها قومٌ على خيول تهتف بالاصواتِ والصهيلِ
وهي عذاب يالَ عاد فاعلموا فوحدوا الله لكي ما تسلموا
ثم استجيروا بالنبيّ هودِ نبي رب واحد معبود
فقد اتاكم عن قريب داهيه فليس تبقي منكمُ من باقيه

فلما اراد الله اهلاكهم امر خازن الريح العقيم ان يخرج منها مقدار ثقب الخاتم فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة فلم تدع من عاد احداً الا اهلكته. وقد فصلنا هذه الرواية في دائرة المعارف (مجلد ١١ : ٤٢٨)

(١) الرتاج الباب والزلاج القفل

(٢) الصدى العطش والنقع الغبار

وَراهمْ أَخيلُ حَديدُ الفؤَادِ ‏ يُجيلُ حُدُودَ الحَديدِ الحِدادِ
وكادَ يَجُوزُ بِعَسْكرهِ ‏ مَعاقِلهمْ بتَسَعُّرِهِ
فأَغْرى أَفلُونُ آغنُرا ‏ أخا العَزماتِ ابْنَ أَنْطنُرا
وأَلهَبَ بالبأْسِ مُهْجَتَهُ ‏ وبالسُّحْبِ حَلَّ قُبالَتَهُ
الى زانَهٍ قُرْبَهُ اسْتَنَدا ‏ لِيَدْرأَ عَنهُ ثَقيلَ الرَّدى
لآخيلَ آغنُرُ وَقفَا ‏ ولٰكِنَّهُ مَعَ ذا ارْتَجَفا
وفي نَفْسهِ قالَ: «إِنْ أَجِمِ ‏ لآخيلَ آهِ وأَنْهَزِمِ
كما جُنْدُنا هلَعاً هَرَبَتْ ‏ لَدَيهِ فعُنْقي لا شكَّ بَتْ
وإِنْ اعْتَزِلْهُمْ وشأْنَهُمُ ‏ وآخيلُ مُكتَسِحٌ لهمُ
واضرِبْ بذا السَّهْلِ مُجْتَهِدا ‏ حَثيثاً لإِيذَةَ مُبْتَعِدا
وفي بَعضِ آجامهِ أَسْتَتِرْ ‏ نَهاري ومِنْ بَعدِ ذا أَنْحَدِرْ
وفي النَّهرِ أَغسِلُ رَشيحَ العَرَقْ ‏ وأَرْجِعْ لإِلْيُونَ عندَ الغسَقْ
أَفِرُّ ناجياً ـ لا فما ذا الصَّوابْ ‏ ولا لا عَلامَ انا بارْتِيابْ
أَليسَ يَراني طلبْتُ الخلاصْ ‏ فينقضُّ إثْري وأينَ المَناصْ
ومَنْ اينَ لي عَدْوُهُ وقُوى ‏ بها الخَلْقُ طرّاً لَدَيهِ سَوا
إِذا فلأَقِفْ دُونَ هذي القِلاعِ ‏ للقياهُ مُحْتَفِزاً للدِّفاعِ
فَليسَ لهُ غيرُ نفسٍ تُنالْ ‏ وجِسْمٍ يُشَقُّ بحدِّ النِّبالْ [١]

---

(١) من خرافات الميثولوجيين انه لما ولد أخيل امسكته والدته برجله وغمسته بنهر الستكس فبات السلاح لا يعمل في شيء من جسده الا في عقبه حيث حالت يد

نَعَمْ زَفْسُ عَظَّمَهُ إِنَّمـا   عَلِمْنا لِقَومِ الفَناءِ اُنْتَمى »[١]
ومِن ثَمَّ تحتَ السِّلاحِ تَلَمْلَمْ   بِقَلبٍ لِحَرْبِ اُبْنِ فِيلا تَضَرَّمْ
كَبَبْرٍ قَدِ اُنْقَضَّ مِنْ أَجَمَهْ   على قانِصٍ واريَ العَزَمَهْ
فَلا يَلْتَوِي لِشَدِيدِ النّباحِ   ولا لِلصّياحِ ولا لِلسّلاحِ
ولَيسَ يَذِلُّ ولَو نَفَـذا   بِعاتِقِهِ مُنْصَـلٌ شُحِذا
فإِمَّا البُلُوغُ لِمُنْيَتِـهِ   وإِمَّا لِيَومِ مَنِيَّتِـهِ
كَذاكَ اُبْنُ أَنْطِنُر لَبَّا   لِصَدِّ أَخِيلَ وَما اُكْتَرَثا
فَهَـزَّ القَناةَ وَمَـدَّ اُلْمِجَنَّا   وصاحَ: « اُبْنَ فِيلا هُنا أَقْبِلَنَّا
فَهَلْ خِلْتَ ذا اليَومَ إِلْيُونَنا   تَذِلُّ فَتَبْلُغَ مِنْها اُلْمُنَى
تَعِسْتَ فَمِنْ دُونِ ذا غَمَراتُ   تُمَنَّى بِها وكُماةٌ ثِقاتُ
أُباةٌ حُماةٌ لِأَوْطانِهِمْ   وَأَوْلادِهِـمْ ولِنِسْوانِهِمْ[٢]
إِذاً أَنْتَ أَنتَ سَتَلْقَى رَداكا   هُنا اليَومَ مَهْما اُسْتَطالَتْ قُواكا »
وَآخِيلَ بالرُّمْحِ فَورًا طَعَنْ   فَفِي ساقِهِ بالصَّفائِحِ رَنْ

والدته دون الماء — تلك خرافة قال المحققون انها لم تكن معروفة في زمن هوميروس والا لما كان به حاجة الى ذلك السلاح وتلك الصفاح ولما أُثر له فضل مغوار الابطال في حومة القتال

(١) المراد بقوم الفناء البشر اي انه لا يستحيل قتله وهو انسان

(٢) قال الحطيئة وأجاد :

أولئك آباء الغريب وغاثة الـ   صريخ ومأوى المرملين الدرادقِ
أحلوا حياض الموت فوق جباههم   مكان النواصي من وجوه السوابقِ

وَمُرْتَدِعاً بالفضاء انْطَلَقْ وكيفَ نُحاسُ هِفَسْتَ يُشَقْ
فَهَمَّ أبْنُ آيالِكَ يَسْتَعِرُ وكادَ بأغنرَ يَظْفَـرُ
ولكنَّ فِيبُوسَ في الحالِ حالْ فَحَجَّبَهُ بِغُيُومٍ ثِقالْ
وأرْسَلَهُ سالماً يَذْهَبُ أميناً وما مَسَّهُ عَطَبُ
وجاءَ آخيلَ بحيلَتِهِ كآغنرَ تحتَ هيئَتِهِ
لَدَيهِ على السَّهلِ وَلَّى بهِمْ لِيُنْئِيهِ عَنْ فَلِّ جَيشٍ هَزِيمْ
وراوَغَهُ طَيَّ بَوْنٍ قَليلِ لِيُطْمِعَهُ بأرْتِواءِ الغَلِيلِ (١)
عَلى إسْكَمَنْدَرَ راحَ يَجِدْ وآخيلُ في إِثْرِهِ مُبْتَعِدْ
وَطَرْوادَةٌ بِمَناسِرِها وَهَلَّعِ جُنْدِ عَساكِرِها (٢)
لَهُمْ لاحَ في بُعْدِهِ الفَرَجُ بِغَيرِ هُدَى سُورَهُمْ وَلَجُوا (٣)
لَدى البابِ لا أحَدٌ أحَدا تَرَبَّصَ يَرْقُبُ مُفْتَقِدا
لِيَعْلَمَ مَنْ بادَ مِمَّنْ سَلِمْ وَكُلُّهُمُ هالِعٌ مُنْهَزِمْ
فَغَصَّتْ وماجَتْ بِهِمْ لَغَطا ولَمْ يَنْجُ إلاَّ حَثِيثُ الخُطى

(١) أي طاوله ولم يكن يبعد عنه كثيراً
(٢) مناسر الجيش طلائعه
(٣) لو روى هذه الرواية مؤرخٌ لقال فرَّ اغينور من وجه أخيل فاختفى في غابة وشغل أخيل تعقبه عن صد الجيش فاتسع المجال للطرواد فلجأوا منهزمين الى معاقلهم ولكن قول الشاعر غير قول المؤرخ

النشيد الثاني والعشرون

مقتل هكطور

مُجْمَلُهُ

لم يبق من الطرواد خارج الاسوار الا هكطور فانقض أخيل عليه فشهد فريام ذلك واستحلف ابنه ان يتقي الخطر ويدخل السور فلم يصغ هكطور الى كلام أبيه فأخذت أمه هيقاب تتوسل اليه وتنذره بالخطر المحدق به فلبث مكانه لا يتزعزع تتقاذفه الافكار. واذا بأخيل كاد يدركه فانهزم مرتاعاً فجرى أخيل في أثره حتى دار ثلاثاً حول اليون. فرقّ زفس لهكطور ومال الى انقاذه فعارضته أثينا وابت الا انفاذ القدر المحتوم. فأذعن زفس لها فاندفعت اثينا من السماء وحاول أفلون ان ينقذ هكطور. فأخذ زفس قسطاسه فوزن قدر الفريقين فاذا بأجل هكطور قد حل فتخلى عنه أفلون. وتمثلت أثينا بصورة ذيفوب اخي هكطور فحسنت له التربص لملاقاة أخيل. ولما التقى البطلان رام هكطور ان يتواثق وأخيل على ان القاتل منهما لا يدنس جثة القتيل. فأبى أخيل موائقته على شيء. فتبارزا فأطلق هكطور رمحه فلم ينل من خصمه اربا. فالتفت الى أخيه واذا به قد توارى فعرف الخدعة واستبسل وقاتل حتى خر صريعاً. وقبل ان تفيض روحه سأل أخيل ان يعيد جثته الى أهله فشتمه أخيل فتنبأ له هكطور ساعة الموت بالحمام القريب. فاجتمع الاغريق حول الجثة ومثّلوا بها ثم ربطها أخيل الى مركبته ودار بها حول البلد والطرواد ينظرون ويتوجعون والنساء يندبن وينتحبن. وكانت أندروماخ امرأة هكطور غافلةً لا تعلم بما جرى فسمعت عويل حماتها فصعدت الى البرج تستطلع الخبر فرأت الجثة فأغمي عليها ورثت زوجها رثاء تتفطر له الاكباد

وكل نساء اليونِ ذرفنَ لنوحها العبرا

لم تنته حتى الآن حوادث اليوم الثلاثين

النشيد الثاني والعشرون (١)

قَضِيضُ الجيشِ مُذْذُعِرا　　هزيماً كالظِّبا تَفرا
إلى إِلْيُونَ حيثُ هناكَ خلفَ حصارِهِ انحصرا
يُجَفِّفُ في ظِلالِ قِلاعِهِ عَرَقاً بهِ سَبَحَتْ
كَتائبُهُ ويَرْوِي غُلَّةً فيها قدِ اسْتَعَرا
وَراءَهمُ الأَخاءَةُ والجَواشِنُ في عَواتِقِهِمْ (٢)

(١) لكل نشيد من اناشيد الالياذة مزية يمتاز بها عن سواه ولهذا النشيد مزيتان كبيرتان

الاولى انه بيت قصيد الالياذة يتضمن اهم حوادثها فكل ما تقدمه توطئة له وكل ماوليه ذيل • بنيت الرواية على غضب اخيل وكيده ويتلو ذلك في الخطورة مقتل هكطور • وكلا الامرين باديان فيه بأجلى بيان

والثانية انه جمع بين السهولة والبلاغة والشدة والرقة واحاط بكل مايتسنى للمخيلة ان تدركه في جميع الابواب التي طرقها الشاعر فبينا تراه يصعد الى قمم الهـام المنتصبة على الهمم الشماء اذا به ينحدر الى اعمـاق القلب فيثير العواطف ويهيج البكاء • ولهذا قال كثيرون انه اجمل الانشاد

ولست أرى نشيداً يصلح مثلهُ ان يكون منظومة مستقلة لاتفتقر في تلاوتها الى ما قبلها وما بعدها فاناشد المطالع اللبيب اذا وقع نظره على هذه الحاشية ان يتصفح هذا النشيد دفعة واحدة من اوله الى آخرهِ فاذا صدق ظني به وظني انه يصدق فليقل لله در هوميروس على هذا الاستنباط البديع الغريب والا فليقل سامح الله الناقل فقد قصر في التعريب

(٢) الجواشن التروس

جرَوا لـكنَّ هكطُورًا ترَبَّص يرْقُبُ القـدَرا
لدى أبْوابِ إسكيًا قضاءُ الشُّؤمِ ثبَّطهُ
وبابن أيالكَ آفلُونُ أحْدق يصدُقُ الخـبرا : (١)

«علامَ وأنتَ من بشَرٍ جرَيت تجُدُّ في أثرِي
أتجهـلُ أنني ربٌّ فثُرْتَ بلاهِبِ الشرَرِ
ترَكتَ هنـاكَ طرْوادًا تفـرُّ إلى معاقلِها
وجئتَ هنا فلا لا لنْ تفوزَ تعسْتَ بالظفرِ
فلسْتُ بمائتٍ أبدًا» فقالَ أخيـلُ متَّقـدًا :
«أزجَّاحَ السِّهامِ وشرَّ آلِ الخُلدِ والكـبَرِ
أرى أنْ أنأيتني عن سُورِهمْ مكرًا وإلاَّ كَمْ
فتًى عضَّ الحضيضَ قُبيلَ ما بحصارِهِ أسْتترا

بغدْرِكَ للحمى دخلُوا ومجْدي شابهُ الخللُ
ولم تخشَ العقابَ فآهِ لو بكَ كانَ لي قِبلُ»
ونحـوَ السُّورِ راحَ بكبْرِهِ يسْـعى كلَهْميمٍ
مُجـلٍّ بالعجـالِ طوى المجالَ وفاتهُ المَلَلُ (٢)

(١) ايالك جد اخيل كثيراً ما يعرّفه الشاعر به
(٢) اللهميم الجواد المبرّز في الرهان . والمجلي السابق . وسيأتي وصف سباقهم في النشيد التالي

وكانَ الشيخُ فِرْيامٌ على الأَبْراجِ يرْقُبُهُ
فَلاحَ لهُ بكرَّتهِ عليهِ تَسْطَعُ الحُللُ
ككوكبةِ الخَريفِ إذا بديْجُورِ الدُّجى ظَهرَتْ
تخالُ الزُّهرَ لا نُورٌ حواليها لَها ظَهرَا (١)

(دَعوْها الكلْبَ جبَّارا لِما عن شُؤْمِها دارا
تؤجُّ وإنَّما يَصلى الوَرى مِن حرِّها نارا)
فأنَّ الشيخُ مُلتطِماً ومَدَّ يديْ ضَراعتهِ
وهكطورَ الحبيبَ دَعا ووَجْداً قلبُهُ فارا

(١) كثيراً مايشبه العرب السيد العظيم بين السادة الصغار بنور كبير بين انوار ضئيلة كما قال هوميروس في هذا الموضع

قالت مريم بنت جرير ترثي اخاها :

كنا كأنجم ليل بينها قمرٌ يجلو الدجى فهوى من بينها القمرُ

وقال جرير في رثاء الوليد بن عبد الملك :

أمسى بنوه وقد جلت مصيبتهم مثل النجوم هوى من بينها القمرُ

وقال أبو تمام :

كأن بني نبهان يوم وفاته نجوم سماء خرَّ من بينها البدرُ

على ان هوميروس يصف هنا اخيل حياً ويزيد تشبيهه بلاغةً ما استطرد اليه في البيت التالي بقوله

تؤج وانما يصلى الورى من حرها نارا

كأنه اراد ان يقول انه وان شاق منظرهُ وعظمت هيبته ففيه النكال في الهيجاء والوبال على الاعداء

ولٰكِنْ ظَلَّ هَكْطورٌ لدى الأَبْوابِ مُحْتَدِماً
لِحَربِ أخيلَ مُضطَرِماً لِيَدْرَأَ باللِّقا العارا
فَمَدَّ أَبُوهُ كَفَّيْهِ إِلَيْهِ وصاحَ مُكْتَئِباً :
« حَبِيبي لا تَهُمْ فَذًّا لِآخيلٍ فَتَنْدَحِرا (١)

نَعَمْ هُوَ فائِقٌ عَزْما فيُؤْتِيكَ الرَّدى رَغْما
نَعَمْ وَيلاهُ ما أَعْتاهُ في سَفْكِ الدِّما ظُلْما
فَلَوْ آلُ العلى وَدُّوهُ وُدِّي خالتَ جُثَّتَهُ (٢)
كِلابُ البَرِّ والعِقْبانُ تَنْهَشُ لَحْمَها حَتْما
وَفارَقَ مُهْجَتي ضَيْمٌ يُبَرِّحُ بي لِوُلْدٍ في
أَقاصي البَحْرِ وا لَهَفي عَبِيداً باعَ أَو أَصْمَى
وَأَيْنَ الآنَ لِيقاوُونُ أَيْنَ فُلِيْذُرٌ فَهُنا
فُلُولُ الجَيْشِ لٰكِنّي لِذَيْنِكَ لا أَرى أَثَرا

أَفي جَيْشِ العُداةِ هُمَا لِنُجْزِلَ في فِدائِهِما
نُحاساً أَو نُضاراً في خَزائِنِ مَنْزِلي رُكِما
فَإِنَّ الشَّيْخَ أَلْتِيساً حَبا مِنْ قَبْلِ ابْنَتَهُ
لَوُثُوا عَنَ أَزْواجي جَزِيلَ كُنُوزِهِ كَرَما

---

(١) فذًّا أي منفرداً
(٢) يقول ودوه ودي تهكماً أي ابغضوه بغضي

ثُمّ انْحَدرا بموتهما إلى ظُلُماتِ آذِيس
وثَمَّ الْبَثُّ والحَسَرَاتُ تدهمُني وَأُمَّهُما
ولٰكِنْ لِلْعزاء ترى سبيلاً كُلُّ أُسْرَتِنا
إذا لَمْ يَقْضِ آخيلٌ بموتِكَ ها هُنَا الوَطَرا

فَلُذْ لِلسُّورِ لُذْ عَجِلَا　　حَبيبي وَاتّقِ الفَشَلَا
وذُدْ عن جُنْدِ طرْوادٍ وَنِسْوةِ جُنْدِها النُّبَلا
وَلا تتعرضَنَّ إلى الحِمامِ بوجْهِ آخيلِ
فَتلْبسَهُ حُلى المَجْدِ الأثيلِ ويَبْلُغُ الأَمَلا
وَرِقَّ لِوَالِدٍ هِمٍّ نَصُوحٍ زَفْسُ قَدَّرَ أَنْ
يَبِيدَ بعيدَ أَنْ يَدْهاهُ كُلُّ بَلا وَأَيُّ بَلا (١)
إِبادَةُ وُلْدِهِ طرًّا وذُلُّ بَنَاتِهِ أَسْرًا
ونَهْبُ مَنازِلٍ فيها الْعَدُوُّ يَعِيثُ مُنْتَشِرا

---

(١) أحسّ فريام بالخطر المحدق به فتكلم كلام المتنبئ بما سيناله وبلاده من البلاء العميم بعد مقتل هكطور وفوز الاغريق فسرد الدواهي الدهم التي تنتاب الامة المغلوبة على بلادها • وقد سبق للشاعر مثل هذا المعنى في النشيد التاسع اذ قال :

للمباني حرقاً وللقوم ذبحاً　　والغواني والولد ذلاًّ وأسرا

ولكن الشاعر زاد هنا في التفصيل فأكثر بلسان فريام من ذكر الملمّات الشداد كبحاً لجماح هكطور

وكَنَّـاتٌ بذِلَّتِهـا تُجَـرُّ على مَرارَتِهـا
وأطفالٌ بكفِّ الظُّلْمِ تُرمى دَن أُسرَّتِها
هُنالكَ أبوكَ تُهْلِكُهُ الحُتُوفُ وسوفَ تُدْرِكُهُ
بِبَتَّارِ الأعادي أو بِسَهْمٍ مِن كِناتِها
فأُطْرَحُ دُونَ أعتابي تُمَزِّقُني كِلابٌ قد
غَذَوتُ بِظِلِّ أبوابي حُماةً لي بجُمْلَتِهـا
دَمي تَمْتَصُّ ناهِشَةً فَتَرْوي حَرَّ غِلَّتِها
وثَمَّ تَنامُ مَلأى دُونَ لَحْمٍ بَينها انْتَثَرا

لَئِنْ ماتَ الفَتى الجَلْدُ وَفيهِ أَنْفَذَ الحَدُّ
صَريعاً ظَلَّ لٰكِنْ جَلَّ فيهِ الحُسْنُ والمَجدُ
ولٰكِنْ حَيثُ شَيخُ العَجزِ حُرْمَتُهُ قَدِ انْتُهِكَتْ
كِلابٌ دُسْنَ شَيْبَتَهُ وناصِعَ لِحْيَةٍ تَبْدُو
فَتِلكَ النَّكْبَةُ الدَّهْماءُ لا رُزْءٌ يُشاكِلُها
بِمَرْءِ البُؤْسِ ما اشْتَدَّتْ بِهِ أَرْزاؤُهُ الأُدُّ » (١)

---

(١) مهما قيل في استعطاف أب لابنه لايمكن ان يقال أبلغ من خطاب فريام لهكطور . ملكٌ كبير وشيخٌ هرم ذو بسطة وجاه وسلطان برّحت به الايام نهدّت اركان همته وعزيمته وقوضت دعائم مجده وناطت بقية آماله بولد يراه على قاب قوسين او ادنى من الموت الزؤام ومن وراء ذلك دك البلاد والفتك بالعباد فتتوالى عليه الذكرى لما سلف ويأخذه الاشفاق من الخطب الفادح القريب فيجمع بقية حواسه وينهض لدرء الخطب

وظَلَّ يَنُوحُ مُصْطَلِماً بِكَفَّيْ عَجْزِهِ شَعَراً
وهكْطُورٌ يَصُدُّ كأَنَّهُ بأبيهِ ما شَعَرا

هُنالِكَ أُمُّهُ انْدفعَتْ　　بِهاطِلِ عَبْرَةٍ هَمَعتْ
لَدَيهِ صَدرَها كَشَفَتْ وثَدْيَيها لَهُ رَفعَتْ
وَصاحت :« آهِ هكْطُورٌ بُنَيَّ ارْفُقْ بوالِدَةٍ
وهذا الصَّدرَ فارْعَ فكَمْ بِعَهدِ صِباكَ قبلُ رَعَتْ
وهذا الثَّديَ فاذْكُرْ كَم رَضعتَ فنُحتَ مبْتَهِجاً
تَعالَ تَعالَ فالأَسْوارُ في وَجهِ العِدى امْتَنَعَتْ
إِلَيها لُذْ وقاتِلْ ذلكَ العاتِي بسُتْرَتِها

وقلبه يتلظى تلهفاً على ابنه ومحط آماله ثم على آله وبلاده ونفسه فيشرع في تحذير هكطور من خصمه الباسل ولا يكاد يذكر اسم ذلك الخصم حتى تتوارد على خاطره سوابق فتكه فيتوجع ويتفجع ويتمنى لو راحت جثته مطعماً للطير والكلاب • وهو على كل ما ناله من المصاب يرى سبيلاً الى العزاء اذا نجا هكطور من ذلك المأذق الحرج • ولما كان فريام على يقين ان هكطور لا يرضى عار الاحتجاب ولو انتصب له الموت التمس له عذراً عظيماً بانَّ في ليانه الى السور شرفاً أرفع ومجالاً اوسع لابراز بأسه وقوة ساعده حيث يقيم مقاتلاً فيذود عن البلاد والجند ويحفظ الاهل والولد وشرح له بعد ذلك ما يكون من عقبى عناده لو بقي خارج السور واتى بكلام يخرق اللب على وصف ما يأول اليه امر المنازل والمعاقل والبنين والبنات والاطفال والكنات ثم أخذ في رثاء نفسه ووصف مآل امره لما يعلم من حب هكطور له وبرّه به واختتم بتلك المقابلة الفريدة بين هلاك الفتى قتيلاً خالد الاثر رفيع المنار وهو يذود عن الاوطان وموت الشيخ ذليلاً مغلول الذراع باكناف الديار ميتة الضعة والهوان

ولا تتربَّصنَّ لهُ وَحيدًا واتَّقِ الخطرا

فإِن دمك السخين سفكْ فلا نعشٌ يهيَّأُ لكْ
نَنُوحُ أنا وعرسُك حولهُ والحتفُ قد صدعكْ
ولكن تغتدي عندَ السفائنِ نائِياً عنَّا
طعاماً للكلابِ بذلَّةٍ فيها الشقيُّ هلكْ » (١)
كذاكَ كلاهما انتحبا ولكنْ صمَّ هكطورُ
وظلَّ بوجهِ ذاكَ القرمِ لا يخشى عنا ودركْ
كأفعى الشمِّ حولَ الوكرِ نقعُ السمِّ في فمها
ترى ملتفةً حنقاً وتقدحُ عينُها شررا

وتلبثُ في انتظارِ فتى عليها بالسلاحِ أتى
كما هكطورُ في وجهِ العدوِّ بأرضهِ ثبتا
فأتكا جوبهُ للسورِ يخبطُ في هواجسهِ :
« لئنْ ألجِ الحصارَ ففوليداماساً أراهُ عتا (٢)

---

(١) لئن أتى فريام بابلغ اقوال الرجال والآباء فقد اتت زوجته بابلغ اقوال الامهات والنساء٠ وكفى بكشف صدرها خطاباً ناطقاً لا تعادله بلاغة في مقال ٠ ثم هي الام الشفيقة لاتتفجع الا على ابنها وما تأول اليه حالها من بعده فلا تتخطى بكلامها هذا الحد فناحت نوح النساء وناح فريام نوح الرجال وحفظة الذمار والملوك الكبار

(٢) يقول ذلك اشارة الى الجدال العنيف الذي جرى بينه وبين فوليداماس في النشيد الثامن عشر حيث اشار عليه فوليداماس بالالياذ الى المعاقل فأبى هكطور واستكبر

يُعنِّفُني على مَنعي الطَّرَاوِدَ عَنْ مَعاقِلِهمْ
وسَيفُ أَخيلَ لاحَ لَنا بذاكَ الليلِ مُنْصَلِتا
فَلمْ أَفقَهْ نَصيحَتَهُ وإنْ حَسُنَتْ وَسِرْتُ على
مَرامِ النَّفسِ فَأُمْحِقَتْ سَرايا الجَيشِ وانْكَسَرا

ورُبَّ مُعارِضٍ جَحِدٍ أَمامَ الغِيدِ والعُمَدِ[1]
يَقُولُ : « عُتُوُّ هكْطُورَ المُكابِرِ عِلَّةُ الشِّدَدِ »
فَكَلّا لَنْ أَعُودَ إذاً فإمَّا قَتلُ آخيلِ
وإمَّا مَصْرَعي بالعِزِّ في ذَوْدِي عَنِ البَلَدِ ...[2]

---

(١) الجحد قليل الخير والمراد بالعمد الرؤساء

(٢) هذه آخر مبارزة في الالياذة وبها تنتهي وقائعها • والمبارزات في ماسلف وان كانت تعد بالعشرات فليست بحصر المعنى من باب البراز البحت الا في ثلاثة مواضع اولها واجدرها بالذكر براز منيلاوس وفاريس في النشيد الثالث اذ كاد يترتب عليه حقن الدماء واخماد الفتنة لو برّ الطرواد بميثاقهم • وهو من وجه آخر براز معقول لوقوعه بين زوج سبية وسابيها • والثاني وان لم يكن اقلها خطورة فهو اقلها تأثيراً بمجرى الوقائع لانه من المبارزات التي تقع كل حين بين المتبارزين في الحروب لايترتب عليها عقد سلام وغمد حسام نعني به براز هكطور واياس في النشيد السابع • والثالث وهو اعظمها براز هكطور واخيل هذا لوقوعه بين بطلين كلٌّ منهما عماد جيشه على الاطلاق • وهو وان لم يكن من لوازمه كف الكفاح ووضع السلاح فقد كانت فيه الضربة القاضية على فريق من المتحاربين

وفي كتب العرب من مثل هذه المبارزات اشباه لاتحصى ببعض خلاف • ذكر صاحب الاغاني (١٠ : ٨٠) برازاً لجميل وتوبة من اجل بثينة نورده لغرابته • قال : « كان توبة قد خرج الى الشام فمر ببني عذرة فرأته بثينة فجعلت تنظر اليه فشق ذلك

وما ظنّي إذا أُلقي التَّريكَةَ وأُلمِجَنَّ هُنا
وَأُتْـكَى عامِلي لِلسُّورِ مُنْبَعِثاً بلا عُدَدِ
وَأُطْعِمُهُ بِرَدِّ هِلانَةٍ وجَميعِ ما ذَخَرَتْ
وَما فارِيسُ قَبلُ أَتى بِهِ في الفُلْكِ وَأَدَّخَرا

فَتِلكَ العِلَّةُ الكُبْرى لِيَخلُ بِها بَنُو أَتْرا
وَمِمَّا في خَزائِنِنا نُبيحُ لَهُمْ كَذا شَطْرا
وكُبارُ الشُّيُوخِ يَمينَ صِدقٍ يُغلِظُونَ لَهُمْ
بِأَنَّهُمُ عَلَيْها جُمْلَةً ما أَسْبَلُوا سِتْرا... (١)
شَطَطْتُ فَتِلْكِ أَضْغاثٌ بِها قَلْبي يُحَدِّثُني
فَعُذْري لَنْ يَرُوقَ لِعَينِهِ إِنْ أَلْتَمِسْ عُذْرا

على جميل وذلك قبل ان يظهر حبه لها فقال له جميل من انت فقال له انا توبة بن الحمير قال هل لك في الصراع قال ذلك اليك فشدت عليه بثينة ملحفة مورسة فاتزر بها ثم صارعه فصرعه جميل ثم قال هل لك في النضال (رمي السهام) قال نعم فناضله فنضله جميل ثم قال هل لك في السباق فقال نعم فسابقه فسبقه جميل . وقال له توبة يا هذا انما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ولكن اهبط بنا الوادي فلما هبطا صرعه توبة ونضله وسبقه »

وفي وقعة بدر الكبرى جرت مبارزات كثيرة بما يدل على شيوع تلك العادة في الجاهلية ثم بقيت في الاسلام وكان لها فيه شأن عظيم

(١) أي نعطيه علاوة على اموال هيلانة وما اتى به فاريس يوم سباها نصف ما في خزائننا من اموالنا ويقسم الشيوخ انهم لم يخفوا شيئاً منها

فَيبْطُشُ بي بغَيرِ تَرَدُّدٍ فابيدُ كأمْرأةٍ
إذا عُرِّيتُ مِنْ عُدَدٍ تَصُدُّ الخطْبَ حيثُ عرا

فَما هذا المجالُ هُنا مَجالٌ لِلْحديثِ لَنا
فأَبْذُلَ في الخِطابِ لهُ عَميقَ السِّرِّ والعلَنا
كَما شاقَ الحديثُ فتىً وغانيَةً بلا حَرَجِ
لَدى مَاْولةٍ أَو صَخْرَةٍ في ظِلِّها أمنا
فَليسَ لَنا سِوى قَرْعِ النِّصالِ أَجلْ بلا مَهلِ
فَيظْفرُ مَنْ أَبُو الأُولْمبِ زَفْسُ دِماءَهُ حقَنا » [1]
كَذلِكَ ثارَ هاجِسُهُ وآخيلٌ بعامِلِهِ
كَرَبِّ الحرْبِ هيَّاجِ التَّرائكِ لِلْوغى ابْتَدرا

بَريقُ الدِّرْعِ قدسَطَعا عليهِ كَبارِقٍ لمعا
تألُّقَ أو كنُورِ الشَّمْسِ في كَبدِ السَّما طلَعا
وهكْطُورٌ لِرُؤْيتِهِ تقطَّعَ وَصْلُ عَزْمتِهِ
فَفَرَّ وَخلْفَهُ آخيلُ طيَّارُ الخُطَى انْدفعا [2]

---

(١) تلك مناجاة هكطور لنفسه يتردد تردد الشاعر بقرب الاجل ثم يؤثر الموت وهو يكافح العدو على النجاة بجوة الهزيمة والعار

(٢) قد كنت اود ان لايشوّه جمال هذا النشيد بفرار هكطور من وجه أخيل ولا اراها الا هفوة من استاذنا هوميروس مهما امكن ان يقال في الدفاع عنه

كَبازٍ يَطْلُبُ الوَرْقاءَ وَهيَ تَزِفُّ هالِعَةً
وما جارى بُزاةَ الشُّمِّ طَيرٌ في الفَلا ارْتَفَعا
تَعَقَّبَها بِصَرْصَرَةٍ تُذِيبُ لُبابَ مُهْجَتِها
فَراغَتْ وَهْوَ مُنْقَضٌّ بِنافِذِ مِخْلَبٍ شَهْرا

كَذا الأَبوابَ هكطورُ تَجاوَزَ وَهْوَ مَذْعُورُ
تَطِيرُ بِهِ خُطاهُ وَهْوَ دُونَ أَخِيلَ مَدحورُ
فَجازا مَرْقَبَ الأَرْصادِ حَتَّى التِّينَةِ العُظْمى
عَلى جَدَدِ العِجالِ حِيالَ خَطٍّ فَوقَهُ السُّورُ (١)
إِلى أَنْ بَلَغا الحَوضَينِ حَيثُ الماءُ مُنْبَجِسٌ
بِيَنْبُوعَينِ مِنْ زَنْثٍ تَؤُمُّ رُباهُما الحُورُ
فَيَنْبُوعٌ سَخِينٌ والبُخارُ عَلَيهِ مُنْتَشِرٌ

وسبحان المعصوم • لان بطلاً كهكطور يتحرق نهاره وليله لقتال اخيل ثم يناجي نفسه تلك المناجاة ويعول على ورود كأس الحمام مؤثراً ذلك على الهزيمة ويتقدم لبراز خصمه ثم ما هو ان رآه حتى فرمنهزماً لايجدربه ان يكون بمقام هكطور • ولقد التمس الشراح لهوميروس اعذاراً كثيرة منها قولهم انه لولم يكن محل لهذا الفرار لما تحداه فرجيليوس وجعل طورنوس يفرمن وجه آنياس • ومع كل ذلك فما قرأت قط هذه الفقرة الا وددت ان لاتكون

(١) جدد العجال طريق المركبات ومرقب الارصاد الموضع المشرف الذي كانوا يرقبون منه العدو

وينبوعٌ بماءٍ كالجليدِ تخالُهُ انفجرا (١)

هناكَ مغاسلُ الصَّخرِ لِغَسْلِ مَلابسٍ غُرِّ
لَها قد كانَتِ الغاداتُ مِنْ قَبلِ الوَغى تجري
تَعدَّاها كِلا البطلَينِ ذا عادٍ وذا تالٍ
شُجاعٌ فرَّ مِمَّنْ كانَ أشجَعَ مِنهُ بالكرِّ (٢)
وما انبَرَيا بميدانِ الرِّهانِ لجلدِ ثورٍ أو
لِذبحٍ يُحرِزُ العدَّاءُ يومَ الفوزِ بالنَّصرِ (٣)
ولٰكِنَّ السِّباقَ هُنا على أنفاسِ هكطورٍ
ثلاثاً حولَ إليُونٍ إزاءَ حِصارِها عَبَرا

كسُبَّاقِ القَيادِيدِ تُغيرُ بمأتمِ الصيِّدِ (٤)
إلى غَرَضٍ عَلى أَمَدٍ يُقامُ لهُنَّ مَحْدُودِ

---

(١) يظهر جلياً من كلام هوميروس انه كان يجري الى نهر زنتس ينبوع ماء حار وليس الامر كذلك الآن ولعل هذا الينبوع كان موجوداً في ايامه فغار في الارض بعد ذلك

(٢) هزبرٌ مشى يبغي هزبراً ومغلباً من القوم يغشى باسل القوم اغلبا
(البحتري)

(٣) اي لذبيحة يضحي بها

(٤) القياديد الطوال من الحيوان والمراد هنا الخيل • والصيد الزعماء — كان من عادتهم ان يتراهنوا ويتسابقوا في المآتم كما سترى في النشيد التالي بمأتم فطرقل

وجائزةُ المُجلّي تِلكَ إمّا خَيرُ مِنضَدةٍ
وإمّا غادةٌ مَسبيّةٌ مِن صفوةِ الغيدِ
وآلُ الخُلْدِ قاطِبةً مِنَ الأُولْمبِ راقِبةٌ
فَصاحَ أَبُو سَراةِ الخُلْدِ والناسِ المَناكيدِ :
« أرى بَشَرًا أُحِبُّ تَعَقَّبُوهُ حَولَ إِليُونٍ
لِهَكْطورَ الفتى الوَرِعِ الفُؤَادَ أَراهُ مُنفَطِرا

فَكَم في إيذَةٍ قِدْما وفي أَبْراجِها الشَّمّا
بِخَيرِ الثَّورِ لي ضَحَّى يُسيلُ اللَّحْمَ والشَّحْما
وهاكُمْ خَلفَهُ آخيلَ مُنْقَضًّا بِخِفَّتِهِ
عَلَيهِ فاحْكُموا فِيما عَسى أَن نُصْدِرَ الحُكْما
أَنُرْجِعُهُ سَليماً أَم بِبأسِ أَخيلَ نُهلِكُهُ »
فآثينا انْبَرَتْ تَحْتَجُّ : « ذَاكَ إِذَنْ غَدا ظُلْما
أَتُنقِذُ مِن زُؤَامِ المَوتِ مَن حُتِمَ القَضاءُ لَهُ
فإنْ تَفعَلْ فَما في الخُلْدِ رَبٌّ خِلتَهُ شَكَرا »

فقالَ لَها أبو السُّحُبِ : « بُنَيّةُ لا تَقضي أَرَبي
فَما شِئْتِ ابْتَغي عَجلاً وَسيري وَاْمَني غَضَبي »
فثارَت فَوقَ ثَورتِها وطارت عَن مِنصَّتِها

وَهكْطُورُ وَراهُ أَخيلُ ظَلَّ يجدُّ في الطَّلبِ
كأَغْضَفَ رامَ رِيماً في الكِناس فَهبَّ مُنْبَعِثاً [١]
لَدَيهِ ضارِباً في الطَّودِ بينَ مَشاعبِ الهضَبِ
فَلا أَزْيافَ تحْمِيهِ ولا أَيْكٌ يُوارِيهِ
وحَيثُ جَرى فَفي أَعْقابِهِ داعي المَنُونِ جرى

كَذا هكْطورُ ماوَجدا سَبِيلاً للنَّجاةِ بدا
فَآخيلٌ على آثارِهِ مُسْتَظهِرٌ ابدا
فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ أَبْوابَ إِلْيُونٍ ومعقلها
بَغى لِتُهالَ أَسهُمُها بوَجْهِ عَدُوِّهِ بَرَدا [١]
وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ آخيلُ قامَ بِوَجْهِهِ فَعدا
هَزِيماً فَوْقَ ذاكَ السَّهلِ عنْ إِلْيُونَ مُبْتَعِدا
كَما لو في الكَرى طيفٌ بَغاكَ فلمْ تُطِقْ هرَباً
وإِمَّا رُمتَهُ قَصَّرْتَ عَنهُ كَيْفَما صَدَرا [٢]

---

(١) الاغضف الكلب وكناس الريم أو الظبي بيته

(٢) اي ان هكطور كان يحاول ان يدفع أخيل الى الحصون حيث يمكن ان تدركه نبال الطرواد واخيل يقف بوجهه فيصده عن الجري وجهة اليون

(٣) قال أبو النجم العجلي :

طيف سرى يخبط افنان السمر اني اهتدى مضجع حيران حسر

فَلا هذا نجا هَرَبا وَلا ذا مُدْرِكٌ أَرَبا
وإنَّ بعَدْوِ هكْطُورٍ بذيّاكَ المَدى عَجَبا
وَلا بِدْعٌ فَآفُلُّونُ أَفْرَغَ فِيهِ قُدْرَتَهُ
وَخِفَّتَهُ لِكَيْ لا يَلْتَوي بِفِرارِهِ تَعَبا (١)
وَآخِيلٌ بِعِزَّتِهِ إِلى الأَجْنادِ أَوما أَنْ
قِفُوا كَيْ لا بِهِكْطُورٍ يُرى نَصْلٌ لَهُمْ نَشِبا
لِئَلاَّ يُحْرِزَ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ بِقَتْلِهِ عَلَناً
سِواهُ فلا يَنالَ فَخارَ ذاكَ اليَومِ والظَّفَرا (٢)

وإِذْ بَلَغا مُتابَعَةً إِلى العَيْنَيْنِ رابِعَةً
مَوازِينَ النُّضَارِ أَبُو العِبادِ أَقامَ ساطِعَةً
بِها قِدْحَيْ رَدىً أَلْقى لِذا سَهْمٌ وَذا سَهْمٌ

ولم يكن الا كما ارتد النظر كالكوكب انقضّ اوالبرق خطر
بقدر ما نفّر وجدي ونفر

(١) كان اخيل اعدى أهل زمانه فلم يكن من المعقول انه يعجز عن ادراك هكطور ولهذا قال الشاعر ان افلون افرغ في هكطور قدرته فبطل العجب ودُفع الاعتراض . قال هذا حتى لا يقول ان المنهزم بطلب النجاة اجد في السير من الساعي للانتقام

(٢) في المقطوعة السابقة يحاول هكطور ان يدفع اخيل الى مرمى النبال وهنا اخيل يومىء الى صحبه ان لا يرموه بنصل ولا بنبل فذاك سابق فارّ يطلب النجدة وهذا لاحق كارّ يأباها بل يخشاها لان لهُ ثأراً يود ان ياخذ به بيده لا بيد

وَلاحَتْ كَفَّةُ في وَسْطِها في ٱلحَالِ رَافِعَـةً
فَهكْطُورٌ أُمِيلَتْ لِلْجَحِيمِ هُنَاكَ كِفَّتُـهُ
وَفِيبُسُ صَدَّ عَنْهُ وَبَادَرَتْ فالاسُ هارِعَةً (١)
أَتَتْ آخِيلَ قالَتْ: « يا حَلِيفَ ٱلمَجْدِ حانَ لَنا
بِأَنْ نَحْبُو ٱلخَمِيسَ بِنَصْرَةٍ ما مِثْلَهَا ٱنْتَصَرا

فَهَكْطُورًا بِشِدَّتِـهِ نُمِيتُ بِوَجهِ أُسْرَتِهِ
فَيَهْلِكُ دُونَ أُسْطُولِ الأَخاءَةِ في مَذَلَّتِـهِ
وَلَنْ يَجِدَ ٱلمَناصَ وَلَوْ أَفُلُّونُ ٱرْتَمَى وَجَلاً
عَلى قَدَمَيْ حَفِيظِ الجَوبِ مُزْدَلِفاً لِنَجْدَتِهِ (٢)
هُنا قِفْ وَٱسْتَرِحْ حَتَّى أُوَافِيَهُ وَأُغْرِيَهُ
بِحَرْبِكَ فَٱنْثَنَى آخِيـلُ مُبْتَهِجاً بِجُمْلَتِهِ
وَقَامَ إِلى القَنَاةِ هُنَاكَ مُسْتَنِدًا وآتِينا
أَتَتْ هَكْطُورَ في زِيٍّ بِهِ ذِيفُوبُ قد شُهِرا (٣)

قومه وطمعاً بفخار يضن به على غيره

(١) ابو العباد زفس . اي ان زفس القى قدحي موت في كفتي ميزانه الذهبي ليرى بموت اي البطلين يقضي . فهبطت كفة هكطور دلالة على افول نجمه وحلول اجله . راجع ما تقدم في حواشي النشيد الثامن (ص ٥٢٠)

(٢) حفيظ الجوب رب الترس وهو زفس . اي نقتل هكطور ولو توسط له افلون فترامى على قدمي زفس

(٣) ذيفوب من اخوة هكطور

وصاحَتْ: «ياأُخيَّ كَفى أَرى آخيلَ زادَ جفا
وَسامكَ بالهزيمةِ والفرار أمامَهُ الضُّعَفا
فَقِفْ نتَربَّصَنْ لهُ فيَرْجعَ خاسئاً عنَّا »
فَسُكِّنَ رَوْعُ هكطُورٍ وقالَ لها وقدْ وَقفا:
قَدرْتُكِ فوْقَ سائرِ وُلْدِ فِرْيامٍ وإيقابٍ
فَأنْتَ شَقيقُ هكْطُورَ الشَّفيقُ وَمن بِهِ كَلِفا
وَكَيفَ وقد شهدْتَ الخَطبَ والطُّرّادُ طرًّا في
معاقِلِهمْ قَدِ انْحصَرُوا أَتيتَ إليَّ مُنْحدِرا »

فقالت: « ياأُخَيَّ أَبي وَأُمي قَبَّلا رُكَبي
وكُلُّ الصَّحْبِ حولَهُما بقلبٍ هدَّ مُكْتئبِ
يَرُوعُهُمُ بُرُوزي خارجَ الأَسْوارِ فَالْتمَسوا
سُكوني في معاقِلِهمْ بدَمعٍ سَحَّ مُنْسَكِبِ
أَبتْ نفسي البقاءَ وأَنْتَ مُنْفرِدٌ لآخيلٍ
فأَقْبِلْ نَشْحَذَنَّ لهُ صَقيلَ النَّصْلِ والقُضُبِ
إِخالُ دِماءَهُ هُدِرَتْ بِرُمْحِكَ أَوْ لِأُسْرَتِهِ
مَضى في جُثّتَينا ظافراً ودِماءَنا هَدَرا

ورَاحَتْ تَحتَ سُتْرَتِها لِتُعْمِلَ كُلَّ خُدْعَتِها

تَسـيرُ امامهُ فخطا يجِدُّ وراءَ خطوتِهـا
وحينَ تقابلَ البطلانِ صاحَ يقولُ هكطورُ :
« أخيلُ هاكَ نفسي الآنَ جاشتْ في حميّتِها
أبتْ مِن بعدُ أن تنصاعَ هالعةً كما نفرتْ
ثلاثاً حولَ إليونَ أمامكَ في هزيمتِها
وإنّ الآنَ حدَّ الفصلِ لكنْ فلنقمْ علنـاً
ونعقدْ عقدَ ميثاقٍ ونقسمْ هاهنا جهرا

ونستشهدْ بني الخلدِ على الأيمانِ والعهدِ
فهمْ خيرُ الشهودِ على الورى في القربِ والبعدِ
لئنْ أوتيتُ نصرًا مِن لدى زفسٍ فحسبي أنْ
تموتَ وأن تجرّدَ مِن زهيِّ سلاحِكَ الصلْدِ
ولكنّي أردُّكَ للأخاءةِ لا هوانَ ولا
أذى عندي إذا في مثلِ هذا صادقَ الوعدِ »
فأحدقَ فيهِ شزرًا يلتظي آخيلُ قالَ : « صهٍ
ولا تذكرْ وفاقًا لا وفاقَ بيننا ذكرا
أبينَ الناسِ والأُسدِ وفاقٌ محكمُ العقدِ
وهل خلتَ العهودَ تصحُّ بينَ الذئبِ والنقدِ[1]

(١) النقد صغار الغنم ويراد بها الغنم على الاطلاق

فَكُلُّ قَلبُهُ بِضَغائِنِ الأَحقادِ مُتَّقِدُ
كَقَلبٍ بَيننا في غُلَّةِ الأَضغانِ مُتَّقِدِ
ولا عَهدٌ لنا إِلاَّ نِصالُ الصُّمِ نُعمِلُها
فَيَجرَعُ آرِسٌ دَمَ مَن ثَوى في هاتِهِ الجُدَدِ
فأَبرِز بالبِرازِ لنا قُواكَ ولا مَناصَ هُنَا
وقَوِّمْ رُمحَكَ العالي وأَنْمِلْ سَيفَكَ الذَّكَرا (١)

أَثينا الآنَ تَبتَدِرُ بِرُمحي مِنكَ تَثَّئِرُ
لِبِهِمٍ قد أَبَدتَ وأَنتَ بالهَيجاءِ تَستَعِرُ » (٢)
وأَطاقَ رُمحَهُ فَمَضى وهَكطُورُ انحَنى حَذَرا
فَجاوَزَ رأَسَهُ لِلأَرضِ لا يَنتابُهُ ضَرَرُ
ولكِن بادَرَتْ فالاسُ تَنزِعُهُ على عَجَلٍ
وتُرجِعُهُ لِآخيلٍ وَعَن هَكطُورَ تَستَتِرُ
فَصاحَ فَتى الطَّراوِدِ : « قد شَطَطتَ وتَدَّعي زُورًا

(١) قال بعضهم :

وردوا اليك الرسل والصلح ممكن وقالوا على غير القتال سلامُ
فلا قول الا الضرب والطعن عندنا ولا رسل الا ذابل وحسامُ

(٢) لا غرو ان يكون هذا التباين بين كلام هكطور واخيل فهكطور الفتى الباسل الورع الغيور على حفظ مقامه حياً وميتاً وليست في صدره تلك الحزازة على اخيل بل قد روى غلته بالفتك بفرسان الاغريق • واخيل المغوار الغضوب الواثق بالفوز عليه فلا يعاقده ويواثقه ولا يبرد غله أن يظفر به حياً بل يسوقه الغيظ والاثئار الى ان يكسوه رداء الحطة والشنار ميتاً

بِعِلْمٍ مِنْ لَدى زَفسٍ بما لي في القَضا سُطِرا

أَأَنْتَ المَينَ والكَذِبا لِتَثْنِيَ هِمَّتي رُعُبا
فَلَستَ بِطاعِنٍ ظَهري ولَستُ بِمُنْثَنٍ هَرَبا
ودُونَكَ لِلِّقا صَدري إذا زَفْسٌ بذاكَ قضى
وذا رُمحي عسى أَلْقاهُ في أَحْشاكَ مُنْتَصِبا
فَوا طَرَبَ الطَّراوِدِ إنْ تَمُتْ فَلأَنتَ آفَتُهُمْ
وبَعدَكَ حَرْبُهُمْ لا أَزْمَةَ فيها ولا حَرَبا »
وزَجَّ فَطارَ عامِلُهُ لِقَلبِ مِجَنِّ آخِيلٍ
وَعنهُ ارْتَدَّ لا يَلقى العَدُوُّ بِنَصْلِهِ الضَّرَرا

فَهَكْطُورُ الْتَظى قَهْرا لِنَصْلٍ زاهِقاً طَرّا
فَصاحَ يَرُومُ ذِيفُوْباً ويَطْلُبُ صِعْدَةً أُخْرى (١)
ولا أَثَرٌ لِذِيفُوبٍ يَلُوحُ لَدَيهِ فَاضْطَرَبَتْ
جَوارِحُهُ وأَدْرَكَ كُنهَ ذاكَ النُّكْرِ والمَكْرا
وصاحَ يقُولُ : « وا لَهَفا أَرى الأَرْبابَ قاضِيَةً
عَلَيَّ فَخِلْتُ ذِيفُوباً إِلَيَّ مُسارِعاً جَهْرا
فَلَم يَتَعَدَّ أَسوارَ الحِصارِ وتِلكَ فالاسُ

---

(١) الصعدة النصل

علـى عيـنيَّ غشَّتْ والحِمامَ أَراهُ مُنْتَظرا

فَلانجوى وزَفسُ قضى وآفلُّونُ ما اُعتَرَضا
وَكم قد أَوْلَياني قَبلُ ظِلَّ حِمايَةٍ وَرِضا
ولـكنَّ القَضاءَ أَتى فَأَهْلاً بالقَضاءِ فلا
مَرَدَّ وَخاتِهُ ما حطَّ مِنْ هِممي ولا خفَضا (١)
أَموتُ بِعِزَّةٍ تُـتْرى لِأَجْيالٍ فَأَجْيالٍ
وَمجدٍ باذِخٍ بي فوْقَ أَبْراجِ العُلَى نَهضا » (٢)
وَسلَّ حُسامَهُ من غِمْدِهِ بِلَباقَـةٍ وَمضى
بِقلبٍ لا تُغيِّرُهُ الخُطُوبُ ولا يَرى الغِيرا

كَنَسْرٍ مِن عُلى السُّحُبِ يَزِفُّ الى رُبى كَثَبِ
عَلى حَمَلٍ يرى أَوْ أَرْنَبٍ في مَشْعَبِ الهِضَبِ
وآخِيـلُ انْبَرى مُتضرِّماً غَيْظاً بِعزْمتِهِ
بِجُنَّتِهِ التي في الكونِ أَضْحَتْ آيةَ العجَبِ
وخُوذَتُهُ التي مِنْ صُنْعِ هِيفَسْتٍ بِهامَتِـهِ

---

(١) قال شبيب بن البرصاء :

دعيني اماجد في الحيوة فانني اذا ما دعا داعي الوفاة مجيبُ

(٢) لاكلام اشد تأثيراً من كلام هكطور هذا . تخلت عنه جميع القوى العلوية فغادره افلون وصرف زفس وجهه عنه وأيقن بدنو اجله وهو لايفكر ساعة موته الا

تَهيجُ مُنيرةً وَيَهيجُ فيها قَونَسُ الذهبِ
وَصعدَتُهُ تَوَجُّ كما بليلٍ حالكٍ سطعتْ
تَفُوقُ الزُّهرَ كَوْكَبَةُ المَساءِ وَتَبهَجُ النَّظَرا (١)

فَسرَّحَ طَرْفَ مُقْلَتِهِ بِهَكْطُورٍ وَشِكَّتِهِ
لِيُبْصِرَ مَنفَذًا فِيهِ يُوارِي حَدَّ صِعدَتِهِ (٢)
وهَلْ تَمضِي النِّصالُ بِعُدَّةٍ فَطرُقْلُ كَرَّ بِها
وَما هِيَ قَطُّ غيرُ سِلاحِ آخيلٍ ولأْمَتِهِ
فأَبْصرَ بَعْدَ حِينٍ نَحْرَهُ بَرَزَتْ مَفاصِلُهُ
فَبَيْنَ الجِيدِ والكَتِفَينِ بادَرَهُ بِطَعْنَتِهِ
فَغاصَ سِنانُهُ في مَخْرَجِ الأَرْواحِ مُنتَصِباً
ولٰكِنْ في مَجارِي الصَّوتِ والأَنفاسِ ما صَدَرا

فَخَرَّ وللثَّرى ضَرِجا وصاحَ أُخيلُ مُبتَهِجا :
« أَخِلْتَ تَعِسْتَ فَطرُقلاً يَبِيدُ هُنا وَلا حَرَجا

ان يموت ميتة البطل الباسل عظيم الاجر خالد الذكر

(١) يريد بكوكبة المساء الزهرة ويدعوها أيضاً كوكبة الصباح وكوكبة الراعي

(٢) كانت على هكطور شكة اخيل التي ألبسها فطرقل فلم يكن من سبيل لاختراقها بضرب وطعن ولهذا تشوف اخيل واحدق ليرى له منفذاً بجسم هكطور يطعنه به

أَغَرَّكَ أَنَّني قد كُنتُ يا هكطورُ معتزلا
وَلَمْ تَعلَمْ لِفَطْرُقلٍ ظَهيرًا يَقْحَمُ اللُّجَجا
فتىً وافاكَ مُحْتَدِماً مِنَ الأَشْراعِ مُنْتَقِماً
فَبِدْتَ وَلَمْ تُزَعْزِعْهُ قُواكَ وَلا لَها اخْتَلَجا
فَرُحْ طُعْمَ النَّواهِسِ والصُّقُورِ وَثَمَّ فَطْرُقْلُ
بِمأْتَمِهِ لَفِيفُ الجيشِ سارَ بِحُرْمَةٍ وَسَرى »

فقالَ بِغُصَّةِ الحَتْفِ: «بِرُوحِكَ مَصْرَعي يَكْفي
بِحُرْمَةِ والدَيْكَ وَرُكْبَتَيكَ عَلَيكَ باللُّطْفِ
وَخُذْ ما شِئْتَ مِنْ أَبَوَيَّ مِنْ ذَهَبٍ وَمِنْ صُفْرِ
فَلا تَخْلو الكِلابُ بِجُثَّتي في ذٰلِكَ الجُرْفِ
وَجُدْ لَهُما بِجِسْمي يَذْهَبانِ بِهِ لِصَرْحِهِما
فَتُحْرَقُ أَعْظُمي وَعليَّ يَهْمُرُ وابِلُ الطَّرْفِ »
فَصاحَ أَخيلُ: « وَيْلَكَ لا بِحُرْمَةِ والدَيَّ وَلا
بِقُبْلَةِ رُكْبَتَيَّ تُجابُ يا ذا الكَلْبُ مُعْتَذِرا

وَدِدْتُ لَوَ انَّني غَضَبا بِلَحْمِكَ أَقْتُلُ السَّغَبا
لِما جَرَّعْتَني غُصَصاً وَما أَوْرَثْتَني كُرَبا [١]

(١) السغب الجوع • قال عمر بن أبي ربيعة عن لسان عائشة بنت طلحة :

فلا غيرُ الكلابِ تشُقُّ رأسكَ لو همُ بذلُوا
فِداءَكَ عشْرَ أو عشرينَ فِديَـةَ ميّتٍ ذهبا
ولوْ فِريامُ أدّى ثِقلَ جسْمِكَ عسْجدًا صِرْفاً
فأُمُّكَ حوْلَ نعْشِكَ أنْ تَفيضَ شَجىً وتنْتَحبا »
فقالَ بزاهقِ الأنْفاسِ : « آهِ أجلْ بَلوْتُكَ ذا
جنَانٍ كالحديدِ فلنْ يلينَ أسىً وينكَسِرا

ألسْتَ الآنَ تخْشى أنْ　　يُهالَ عليكَ غيثُ محَنْ
وتنْقَمَ لي سَراةُ الخُلْدِ منكَ ولَو عقيبَ زمَنْ
وتُنْكَبَ يومَ فاريسٌ وفيبُوسٌ بإسْكِيا
بقتْلكَ يخْمدانِ صلى احْتدامٍ بالفؤادِ كمَنْ » (١)

حتى لو استطيع مما قد فعلت بنا　　اكلت لحمك من غيظ وما نضجا
ويقرب منه قول ذو الاصبع العدواني :
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم　　ولا دماؤكم جمعاً تروّيني
(١) يتنبأ هنا هكطور ساعة موته بدنو اجل اخيل كما تنبأ فطرقل وهو يُحتضر بدنو اجل هكطور وفي هذا دليل آخر على انهم كانوا يعتقدون ان نفس المحتضر تنطق بالمغيبات — وكأن هكطور يقول لاخيل قول الحارثة بن بدر :
يا أيها الشامت المبدي عداوته　　ما بالمنايا التي عيرت من عار
تراك تنجو سليماً من غوائلها　　هيهات لابد ان يسرى بك الساري
أو قول الفرزدق :
اذا ما الدهر جرّ على اناسٍ　　كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا　　سيلقى الشامتون كما لقينا

وأَسْبَلَ فَوقَ مُقْلَتِهِ ظَلامُ المَوتِ سُتْرَتَهُ
وأَمَّتْ رُوحُهُ سَقَراً تَطِيرُ على اسىً وشَجَنْ
وتَنْدُبُ بَأْسَهُ وشَبابَهُ ومَصِيرَهُ فَثَوى
هُنَاكَ وصاحَ آخِيلٌ بذاكَ الفوزِ مُفْتَخِرا :

« أَلاَمُتْ صاغِراً وأَنا أَمُوتُ إِذا الحِمامُ دَنا
ورُوحي حينَ يَقْضي أَمرُ زَفْسَ تُفارِقُ البَدَنا »
وجَرَّ سِنانَهُ مِن نَحرِهِ يُلْقِيهِ في طَرَفٍ
وجَرَّدَهُ السِّلاحَ فنالَ أَبْعَدَ بُغْيَةٍ ومُنى
وأَقْبَلَتِ الأَخاءَةُ حَولَ ذاكَ القَرمِ مُكْبِرَةً
جَمالاً زانَ طَلْعَتَهُ وكُلٌّ طَعْنَةً طَعَنا [١]
يَقولُ :« الاَأَعْجَبُوا ما كانَ أَرْوَعَهُ وقد أَوري

---

(١) يستفاد من هذه العبارة وما اشبهها انهم كانوا يمثلون بالقتلى كسائر الامم في العصور الخالية — كانت المثلة كثيرة في جاهلية العرب حتى لربما خرج النساء الى ميدان القتال ومثلن بقتلى الاعداء اشنع مثلة . قال ابن الاثير : « ووقعت هند وصويحباتها (في غزوة أحد) على القتلى يمثلن بهم وقد اتخذت هند من آذان الرجال وآنافهم خزماً وقلائد » ولكن الاسلام بعد تلك الغزوة نهى على المثلة . ذلك أنه لما قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ووقف عليه النبي وقد مثل به كان منظره موجعاً لقلبه فقال له : « رحمك الله اي عم فقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات فلئن ظفرني الله بالقوم لامثلن بثلاثين رجلاً منهم » قال مؤرخو العرب فنزلت الآية « وان عاقبتم ... ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » فصبر النبي ونهى عن المثلة

سَفَائِنَنا فَها هُوَ لا يَرُوعُ ولا صِلاهُ يُرى »

وَآخِيلٌ مُذِ انْتَزَعا جَمِيعَ سِلاحِهِ هَرِعا
يَصِيحُ بِذُرْوَةٍ مِن حَيثُ سائرُ جَيشِهِ سَمِعا :
« أَلا يا صَحْبِ يا أَقْيالُ فالأَربابُ قد دَفَعَتْ
لَكُمْ مَنْ زادَ هَولاً عن جَمِيعِ الجَيشِ مُجْتَمِعا
أَلا ما رُمْتُمُ إِلْيُونَ بِالبَتَّارِ نَدْهَمُها
لِنَعْلَمَ ما عَلَيهِ أَهْلُها والخَطْبُ قد صَدَعا
أَيَنْصاعُونَ مُنْحازِينَ عَنْ أَبْراجِ مَعْقِلِهِمْ
أَمِ ارْتَأَوُا البَقاءَ وَثابَرُوا في عَزْمِهِمْ كِبَرا

عَلامَ العَزْمُ قد هَجَسا بِصَدْرِي الكَرَّ مُلْتَمِسا
وفَطْرُقْلٌ صَرِيعٌ لا يَفِيضُ عَلَيهِ دَمْعُ أَسى
ولا قَبْرٌ يُوارِيهِ ولا أَحْبابَ تَبْكِيهِ
فَنَفْسِي آهِ لَنْ تَنْساهُ ما بِي رَدَّدَتْ نَفَسا
سَأَذْكُرُهُ ولَو في مُنْتَهى أَعْماقِ آذِيسِ
ولَو كُلٌّ سَلا كُلَّ الأَنامِ هُناكَ إِن حُبِسا (١)

---

(١) اي لن انساه حتى ولو مت وانحدرت الى اعماق الجحيم حيث ينزل كل ميت وحيث ينسى كل انسان جميع الناس — هذا أخيل ثمل بخمرة الانتصار يفتك بألد خصومه وتذل له أعداؤه وتبتهج به احباؤه فلم يبق من ثمة مانع يمنعه

بنا يا فتيةَ الإغريقِ سيروا للسَّفينِ إذا
بهكطورٍ على نغمِ النَّشيدِ نمرّجُ الكدرا :

« قتلْنا القرْمَ هكْطُورا وعادَ الجيشُ مَنْصُورا
فأينَ فتى الطَّراودِ مَن كَرَبٍ كانَ مَقْدُورا » [١]

من دك معاقل الطرواد وكلهم هالع رعباً فيهمُّ بالاندفاع الى اليون مع جيشه المتعش واذا بذكرى فطرقل تهيجه اسى فيرجيء ذلك الى ان يتم الاحتفال بمأتم حبيبه فيؤثر واجب الولاء على ابادة الاعداء • وهو تصرف من الشاعر بديع اذ اسافف ان تدمير اليون لايتم على يد أخيل فلم يكن يصح ان يخالف ماضي قوله فالتمس لاخيل بالعودة عذراً هو اجمل الاعذار

(١) ان سير الجماعات على نغم الانشاد عادة متبعة منذالقدم في جميع الامم ولا سيما اذا كانوا سائرين في مهمة لامر جالل • يشبه غناء الاغريق هنا وهم راجعون الى سفائنهم تغني بنات اسرائيل عند رجوع داود من مقتل جالياد الجبار الفلسطيني اذ هتفن وقلن « قتل شاول الوفه وداود ربواته » (١ مل ١٨ : ٧) والغالب في هذه الاغاني ان تكون عبارات مختصرة تكرر وتردد مراراً كما هي العادة اليوم في بادية العرب يقول واحد او اكثر من المنشدين قسماً منها ويردد الباقون ما بقي وعلى هذا فلا اخال الا اخيل منشداً وحده قوله

قتلنا القرم هكطورا وعاد الجيش منصورا

والباقون يرددون قوله :

فأين فتى الطراود من كرب كان مقدورا

وتعرف هذه الاناشيد عند عرب البادية لعهدنا باسم « الهوسة » يدعونها بهذا الاسم لانهم يتهوسون به لامر خطير • ولكل عشيرة منهم هوسة خاصة بها • فهوسة عنزه « القلايع ياسْبَقة • خيال العشوة مطرفي » يتحمسون بذلك على اخذ قلائع الفرسان • وهوسة شمر « صبيان زوبع ياهلي » يقولون ذلك من باب المنافرة والحماسة • ولهم فضلاً عن ذلك هوسات ينظمونها عند مسيس الحاجة كقول عشائر الهندية

وبالغَ في الهوانِ فشقّ كعبيهِ يشدُّهما
بسيرٍ للعجالِ وظلّ رأسُ الميتِ مجرُورا (١)
وحلّ بعرشهِ وسلاحُ هكطور براحتهِ
وساقَ الجُردَ فاندفعتْ تثيرُ النقعَ ديجُورا
وحالِكُ فرعِ تلكَ الهامةِ الحسناء منتشرٌ
عليها وهيَ سائلةٌ دماها تلطمُ الحجرا

كذلكَ زفسُ ألقاهُ هناكَ لهُونِ أعداهُ
يدنّسُ حسْنَ طلْعتهِ بعثيرِ أرضِ منشاهُ
وإيقابُ ببرقعها رمتْ تبكي مُولْولةً
تقطّعُ شعرَها وتصيحُ نائحةً لمرآهُ
وفريامُ لجانبها يئنُّ بغلّ حسرتهِ

وهي تحارب مدحت باشا والي بغداد بقيادة شيخها وادي « قم وادي وبغداد ارتجت » وهي عبارة يرددونها مئات والوفاً من المرات .

(١) شق اخيل كعبي هكطور ليربطه الى المركبة فتجره كما كان يروى في جاهلية العرب عن ربط الاسرى والقتلى باذناب الخيل وهي مبالغة في الهوان وغير جديرة بمخلوق يدعي انه انسان ولكنه لم يكن بد من ذكر ذلك استكمالاً لعتو اخيل وجريه على مألوف ذلك العصر . ولربما تنبه القارىء مما رأى قبل هذا انه حيث اضطر الشاعر الى ذكر شيء من الفظائع ذكرها استتماماً للفائدة ولكنه لا يلبث ان يستهجنها ويشمئز لها كقوله في هذا الموضع « وبالغ في الهوان » كأنه يريد ان يقول ان الفظيع من الاعمال انما يذكر تنفيراً للناس منه وليس ارتياحاً لحفظ الرواية عنه

وحَولَهما عَلا وبكُلِّ تِلكَ الارضِ مَنعاهُ
وضجَّ الجيشُ مُنتَحِباً كما لو كُلُّ إليُون
سَعيرُ النارِ أَلْهَبَها وكُلَّ رُبُوعِها دَمَّرا

وكادَ الشَّيخُ يَنهَزِمُ مِنَ الأَبوابِ رَغْمَهُمُ
فَصَدُّوهُ وما كَذُوا وفي أَحشائِهِ ضَرَمُ
فخَرَّ على السَّمادِ تَمَرُّغاً مُستَحْلِفاً هٰذا
وذٰلكَ مُستَغيثاً ثُمَّ قامَ يَصيحُ بَينَهُمُ : (١)
« بحقِّكُمُ دَعُوني أَبْرَحِ الأَبْراجَ مُنفَرِدا
الى فُلكِ العُداةِ ولَو بعادي الآنَ ساءَكُمُ
لَدى ذَيَّالِكَ العاتي بِشَيبي وانْحِنا ظَهري
أَذِلُّ فَرُبَّما لَهُما بِعَينِ عِنايَةٍ نَظَرا

فَإِنَّ لَهُ أَباً هِمّاً نَظيري يُدْرِكُ الهَمّا
ويا لِخَلِيمَةٍ أَهمَتْ عَلَينا الأَبْؤُسَ الدُّهْما
ومَهْما نالَكُمْ مِنْ شَرِّهِ فَبَلِيَّتي أَدْهى

---

(١) كانت عادة الاقدمين اذا اصيبوا بمصيبة ان يذرّوا التراب على رؤوسهم ويجلسوا على الرماد والسماد فان ايوب لما ابتلي جلس على الرماد • ولما عاده اصحابه « رفعوا اصواتهم وبكوا وشق كلٌّ منهم رداءَهُ وذروا تراباً فوق أرؤسهم نحو السماء وجلسوا معه على الارض (أيوب ٢ : ١٢ — ١٣)

فَكَم لي في الشَّبابِ الغَضِّ أَفْنى فِتْيَةً بِهِما
بَكيتُهُمُ وأَبْكيهِمْ ولكِنْ كُلُّ حَسْرَتِهِمْ
جميعاً لا تُوازي حُزْنَ هَكْطُور فَوا غَمَّا
أَيا هَكْطُورُ حُزْنُكَ سَوفَ يَنْزِلُ بي الى قَبْري (١)
أَلا ما بَينَ أَذْرُعِنا صَرَمْتَ بِموتِكَ العُمُرا

لَكانَ هُنا العزا دارا فأَشْبَعَ لاعِجاً ثارا
بِقَلْبِ أَبٍ وأُمٍّ يَذْرِفانِ الدَّمْعَ مِدْرارا »
وغَصَّ بِفائضِ العَبَراتِ والحَسَراتِ مُنْتَحِباً
وَمِن حَولِهِ دَمعُ القَومِ بَحرا فاضَ ذَخَّارا
وبينَ نِساءِ طُرْوادٍ بَدَتْ إِيقابُ نادِبَةً :
« بُنَيَّ عَلامَ أَشْقى بالحَياةِ وأَلْتَظي نارا
وأَنتَ بُنَيَّ مُتَّ وكُنتَ في يَومي وفي لَيلي
فَخاري وابْتِهاجي وابْتِهاجُ جَميعِ مَن حَضَرا

وكُنتَ ظَهيرَنا البَرَّا تَشيدُ لِقَومِكَ الفَخْرا
تَكادُ تَكونُ بالإِجلالِ مَعبُودَ السُّرى طُرًّا
ودَفَّاعَ البَلا عَن بِهِمْ طُرْوادٍ ونِسْوَتِها

(١) كثيراً ما يقال هذا الكلام عند اشتداد الحزن على فقيد. قالت الخنساء :
فلا والله لا انساك حتى افارق مهجتي ويشق رمسي

فها قد غالَكَ الحتفُ المُريعُ بحُكمهِ قسرا » (١)

وأمّا أنذروماخُ فما إنْ جاءها نبأٌ
بأنّ القرمَ هكطوراً وراءَ حصارهِ خرّا
وكانتْ في أعالي القصرِ تنسجُ ثوبَ برفيرٍ
تُبطِنُهُ وتنقشُ فوقهُ مِن وشيها غرَرا

وقد قامت جواريها لدى النيرانِ تُذكيها
وتحمي الماءَ في قِدرٍ ليسبحَ زوجُها فيها
فيا لمُصابها لم تدرِ آتينا به فتكتْ
بكفّ أخيلَ لا غُسلٌ لبعلٍ لن يُوافيها
فقامتْ ضجةٌ في البُرجِ بينَ بُكىً وولوَلةٍ

---

(١) ما اشبه رثاء ايقاب برثاء ام بسطام بن قيس لابنها بسطام المقتول يوم الشقيقة بين بني شيبان وبني ضبة بن ادّ • قالت :

ليبكِ ابن ذي الجدين قيس بن وائلٍ فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم نجوم سماءٍ بينهن هلالها
عزيز المكرّ لا يهدّ جناحه وليث اذا الفتيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائذ محجرٍ تحل اليه كل ذاك رحالها
سيبكيك عانٍ لم يجد من يفكه ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكي اسرى طالما قد فككتهم وارملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الخطوب ومدرك الا حروب اذا صالت وعز صيالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة وتلك لعمري عثرة لاتنالها

فَخارَتْ بينَ بَلْبلَةٍ وأَشْجانٍ تُلَظِّيها
وكَفَّاها الوَشيعةُ منهما سقطتْ بدهشتها (١)
وصاحت بالحِسانِ وشَعْرُهنَّ جدائلاً ضُفُرا :

« أَلا مِنكُنَّ ثِنْتانِ مَعي فورًا تَسيرانِ
لِنَنْظُرَ ما جَرى فَبُكى حماتي هاجَ أَشْجاني
فَقلبي خافِقٌ حتَّى يَكادَ يَطيرُ فوقَ فمي (٢)
وثِقْلةُ رُكْبَتيَّ تَكادُ تَطْرحُ جِسْميَ العاني
أَرى خَطْباً فَظيعاً داهِياً أَبْناءَ فِرْيامٍ
فَلا طَرَقَتْ نَواعي الخَطْبِ آهِ وآهِ آذاني
كأَنِّي بابنِ فِيلا حالَ دُونَ قُفُولِ هَكْطُورٍ
وفي آثارِهِ في السَّهلِ صالَ عَليهِ مُنْتَصِرا

نَعَمْ هَكْطُورُ آهِ لا يَذِلُّ لِمِحْنَةٍ أَصْلا
وَيَقْتَحِمُ المَعامِعَ في الصُّدُورِ ولا يَرى ذُلاً »

(١) الوشيعة خشبة النسج

(٢) راجع ما تقدم لنا بهذا المعنى (ن : ٩ ص : ٥٥٠) ٠ قال الشماخ :
وبات فؤادي مستخفاً كأنه خوافي عقاب بالجناح خفوقِ
ومن هذا القبيل قول عنترة :
كأن فؤادي يوم قمت مودعاً عبيلة مني هاربٌ يتفججُ

وَمِنْ ثَمَّ أُنبَرَتْ تَعدُو بِغيرِ هُدًى وِنِسوَتُها
جَرَينَ وَراءَها حتَّى عَلَونَ المَعْقِلَ الاعلى
فَسَرَّحَتِ النَّواظِرَ في السُّهُولِ فَلاحَ هَكْطُورٌ
بِهِ خَيلُ ابنِ فِيلا قد طَوَتْ وَاويلهُ السَّهْلا
رَأَتْ وجفُونُها انْطَبَقَتْ وَفي أَنفاسِها شَهقَتْ
وَاهوَتْ فوقَ وَجهِ الأَرْضِ لاحِساً وَلا بَصَرا

وَمِنْ فَوْقِ الثَّرى أُنْتِثَرَتْ حُلِيُّ الفَرْعِ وَأُنتَشَرَتْ[1]
جَدائِلُ طُرَّةٍ وَضفائِرٌ في وَفْرَةٍ وَفَرَتْ
وَهُدَّابُ الذَّوائِبِ والشِّباكُ وَخيرُ مِقْنَعَةٍ
لَهـا مِنْ قَبلُ عَنْرُوذيتُ يَومَ زِفافِها أُدَّخَرَتْ[2]
وَخَفَّتْ وَأُنبَرَتْ مِنْ حَوَلِها أَخواتُ هَكْطُورٍ
وَكُلُّ نِساءِ إِخْوَتِهِ تُجِلُّ الخَطْبَ مُذْ نَظَرَتْ
على راحاتِهِنَّ رَفَعْنَها والنَّفْسُ زاهِقَةٌ
وما لَبِثَتْ أَنِ أُنتَعَشَتْ وغَيثُ دُمُوعِها أُنْهَمَرا

---

(١) الفرع الشعر

(٢) يظهر من وصف هوميروس لحلي شعر النساء انهنَّ كنَّ يجدلن شعرهن ويضفرن الوفرة التي في مقدمة الراس وحول الصدغين وباقيها مضفورة على قمة الراس ويجمعن اليها الذوائب ويسبلن على كل ذلك شبكة تجمعه ثم يضعن البرقع او القناع على الوجه وفي ذلك من حسن الذوق ما لا يفوته تفنن بنات عصرنا

وَصاحت تَفطرُ المُهجا : « أَيا هكطورُ واوَهجا
أطالِعُكَ الشَّقيُّ بطالِعي من يَومهِ امتزجا
وُلِدْنا أنتَ في طُرْوادَ بينَ قُصُورِ فِرْيامِ
وفي ثِيبا أَنا في صَرحِ إِيتْيُنِ لِعَيشٍ شَجِي
نَشَأْتُ وليتَني ما إِنْ نَشَأْتُ بِنعمةٍ لأَبي
فَيا لِشقا ابْنَةٍ وَشقا أَبٍ بِنُشُوئِها ابْتَهَجا
فَأَنتَ الآنَ يا هكطورُ مُنْحَدِرٌ الى سَقَرٍ
وزَوجُكَ أَيِّماً تَبقى بِصَرْحِكَ تَلتَظي سَقَرا (١)

وهذا الطِّفلُ في المَهْدِ نِتاجُ الغَمِّ والجُهْدِ
فلنْ تُجْدِيهِ نَفْعاً أَنْتَ وَهُوَ النَّفعَ لَنْ يُجْدي
فَإِنْ هُوَ مِن خُطُوبِ الحَربِ يَنْجُو كَم بَلا وبَلا
يُحِيقُ بِهِ وَكَم ذاتٍ تَجاوَزَ خُطَّةَ الحَدِّ
تَعيثُ بِهِ مَطامِعُهُ فيَسلُبُهُ مَزارِعَهُ
وما إِنْ لِليَتِيمِ يُرى صَدِيقٌ صادِقُ الوُدِّ

---

(١) من رثاء عاتكة بنت عمرو بن نفيل لزوجها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق :

فآليت لاتنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فتى طول عمري ما ارى مثله فتى اكرَّ واحمى في الهياج واصبرا
اذا شرعت فيه الاسنة خاضها الى القرن حتى يترك الرمح احمرا

فَيُطْرِقُ ذِلَّةً وتَسِيلُ أدْمُعُهُ ويَذْهَبُ في
طِلابِ رِفاقِ والِدِهِ إذا ما ذَلَّ وافْتَقَرا

يَجُرُّ رِداءَ ذا خَجَلا ويَسْحَبُ بُرْدَ ذا وَجَلا
وإن ما نالَ مِنْهُمْ نالَ كأْساً ما رَوَتْ نَهَلا
يَبُلُّ بمائِها شَفَتَيهِ ظَمْآناً على ظَماءٍ
وهَيهاتِ اللَّهاةُ على صَداها تَرْتَوي بَلَلا
وَرُبَّ فَتًى فَخُورٍ في أبِيهِ وأُمِّهِ قِحَةً
على الأُدْباتِ يَلْطِمُهُ ويَصْرُخُ فيهِ : « قُمْ عَجَلا
لُعِنْتَ فما هُنا لِأَبِيكَ حَظٌّ في وَلائِمِنا » (١)

---

(١) تتلهف اندروماخ على ماسينال ابنها اليتيم من الذل في الولائم وذلك مصداق قول العرب « اضيع من الايتام في موائد اللئام » — الظاهر من مواضع كثيرة في الالياذة ان مآدب القوم كانت كثيرة الاشكال مختلفة الاحوال يعنون بها ويفخرون ولكنه لم يفصل انواعها كما جاء اكثرها مفصلاً في كتب العرب وقد جمعها صاحب مجمع البحرين بقوله :

للنفساء الخُرس والعقيقه ... للطفل عند عارف الحقيقه
كذلك الإعذارُ للختانِ ... وذو الحِذاق حافظ القرآنِ
للخطبة المِلاك والوليمه ... للعرس والميت له الوضيمه
وللبناء جعلوا الوكيرة ... وللهلال رجب العقيره
وقيل تحفة لزائر يرد ... وشندخٌ لما يضلُّ اذ وُجد
كذا نقيعة القدوم من سفر ... ثم القرى للضيف عند ما حضر

فَـيَرْجِعُ أَسْتِيانَاسُ إلى يَنُوحُ مُنْتَهِرا

بِجِرابٍ وأَيِّ أَبٍ يُغَذِّيهِ على الرُّكَبِ
عَلَى مُخٍّ وشَحْمٍ مِن سَمِينِ الضَّانِ قَبلُ رَبي
وإنْ أَجْفَانُهُ انْطَبَقَتْ نُعاساً وارْتَوَى لعِباً
على راحاتِ مُرْضِعِهِ يَنامُ بِفُرْشِهِ القُشُبِ
فَأَضحى الآنَ واوَيلاهُ إذ يَتَّمتَهُ طِفلاً
أَيا هَكْطُورُ إلْفَ عَنا عَقِيبَ اللَّهْوِ والطَّرَبِ
دَعَوْهُ أَسْتِيانَاساً لِذَودِكَ عَن مَعاقِلِهِمْ
وبِتَّ الآنَ طُعْمَ الغُضْفِ والدِّيدانِ مُحْتَقَرا (١)

وَعُرْيَاناً لَدى السُّفُنِ غَدَوتَ بِزِيِّ مُمْتَهَنِ
وكَمْ من حُلَّةٍ لَكَ في الدِّيارِ تَجِلُّ عن ثَمَنِ
سأَطْرَحُها جَمِيعاً لِلَّهِيبِ وَلَيسَ لي أَرَبٌ
بها مِن بَعدِ أَن حَرُمَتْ على ذَيَّالِكَ البَدَنِ

وحيثما لم يك من ذاك سبب فانها مأدبة عند العرب
وان تعم دعوة فالجفلى تدعى وان خصت فتلك النقرى

(١) الغضف الكلاب . ومعنى استياناس ملك المدينة وهو الاسم الذي يسمي به الطرواد ابن هكطور . اما الاسم الذي كان يعرفه به أبواه فهو اسكمندريوس (راجع ن ٦ ص ٤٧١)

لِتَذهَبْ حُرْمَـةً لَكَ مِنْ لَدى الطُّرْوادِ مُحْرَقةً
لِذَوْدِكَ طولَ عُمْرِكَ عن ذِمارِ الأَهْلِ والوَطَنِ »
كَذلِكَ أَنْدَرُوْمَاخُ بِلاهِبِ لُبِّها ناحَتْ
وكُلُّ نِساءِ إِلْيونٍ ذَرَفْنَ لِنَوْحِها العِبَرا (١)

(١) لا أحاول وصف بدائع المعاني بل معجزاتها في مناخ أبي هكطور وأمه وامرأته فقد تستحيل عليّ توفيتها حقها • واني مجتزئ باستلفات نظر المطالع الى تصرف الشاعر الذي لايفوته جزئي ولا يغفل عن كلي فيضع كل شيء موضعه كأن الشعر بين يديه طينة يجبل منها ما شاء لما شاء

أبرز لنا بادئ بدء فريام الشيخ يستطلع طلع الاخبار شأن الملك الساهر على رعيته فكان أول شاهد لمقتل ابنه فأخذه الجزع واليأس وما بعد ذلك الا ان يتمرغ على الارض ويلتطم وينوح ويهم بالالقاء بنفسه الى خارج الاسوار بغير هدى فراراً الى قاتل ابنه يستوهبه اياه ميتاً ليحتفل بمأتمه قياماً بواجب الملك القاضي باجلال ذكر الابطال وواجب الابوة القاضي باعلاء ذكر البنين — ثم بدت لنا ايقاب تندب ابنها ندب الامهات اللائي علمن بعجز رجالهن ورمين بكل أبصارهن الى أبنائهن البارين بهن المشفقين عليهن ــ واذ انتهى من ذلك مثل لنا اندروماخ فكان بمرآها ومبكاها صورة ناطقة للمرأة الأيم وبين يديها طفل يتيم لايعي شيئاً من ذلك المصاب الاليم وانما ستكون حياته كلها ألماً ومصاباً فكان حزنها فوق حزن الامهات والاباء وبلاؤها فوق كل بلاء • ولم يوقفها مع من وقف على السور اذ اراد ان يبين انها اشغل بزوجها منه بسواه حياً وميتاً فهي تنسج له (او لابنه) ثوباً من البرفير وبين يديها الجواري يعدون له المـاء ليغتسل من غبار المعارك • وله بذلك مأرب آخر وهو ان يوطىء تلك التوطئة ليبلغها الخبر فجأة فيكون له في نفسها ذلك الوقع ليرسم الحزن باشق حالاته • وما هي ان بصرت بزوجها صريعاً حتى شهقت « واهوت فوق وجه الارض لاحساً ولا بصرا » وما انفتح جفناها حتى أخذت تنوح تلك المناحة التي تتفتت لهـا الاكباد ويتفطر الجمـاد بعبارة تُرى على سذاجتها صاعدة من لب الفؤاد

النشيد الثالث والعشرون

مأتم فطرقل

مُجْمَلُهُ

شرع اخيل في التأهب لمأتم حبيبه فطرقل فأمر باعداد الطعام . فسأله اصحابه ان يغتسل من الدماء التي تخضب بها فأبى الا ان يبقى على حاله الى ان يدفنه . وبعد اللتيا والتي تناول شيئاً من الطعام في مضربه ولكنه لم يغتسل وأرفض الجمع كلٌّ الى مرقده . فظهر فطرقل في الرؤيا لاخيل وطلب اليه ان يعجل بدفنه فمدَّ اخيل يده ليقبله فاستيقظ واذا به حلمٌ . ولما بزغ الفجر اسرع الجند الى جبل ايذة للاحتطاب فجمعوا الوقود والقوا عليه الجثة فقص اخيل شعره ليحرق مع القتيل وذبح خيلاً واثني عشر فتى من الطرواد ليحرقوا فوق جاحمه . واما هكطور فحفظته الزهرة وافلون من الفساد . واضرموا النار فلم تضطرم الا قليلاً فتضرَّع اخيل الى الرياح فبادرت واضرمت اللهيب ولما احترقت الجثة جمعت العظام ودُفنت ثم تهيأوا للالعاب المعتادة وأعد اخيل الجوائز فتسابقوا بالعجال ثم برزوا للكلام والصراع والسباق عدوًا والبراز بالسلاح والتخاطر بقذف الكرة والمناضلة وزج الرماح وهكذا انتهت الحفلة

ينتهي اليوم الثلاثون في اول هذا النشيد وفي الليلة التالية يظهر فطرقل لاخيل • واليوم الحادي والثلاثون للاحتطاب • والثاني والثلاثون لاحراق الجثة • والثالث والثلاثون للالعاب • ومجرى ذلك على شاطىء البحر

النشيد الثالث والعشرون (١)

إِلْيُونُ بالنَّحيبِ والحِدادِ وفَيْلَقُ الإِغْرِيقِ بأُرْتِدادِ

(١) يرى الجم الغفير من شراح هوميروس وقرّائه ان هذا النشيد والذي يليه لم يكونا في الاصل من الالياذة وانما أضيفا اليها بعد حين . وحجتهم في ذلك ان وقائع الالياذة انتهت بمقتل هكطور وليس في هذين النشيدين شيء من مواقع الطعان ومواقف الجيشين حول اليون وهي محصورة . ولهذا خطأ بعضهم هوميروس على اضافة هذين النشيدين . وقال آخرون بل هما من نظم شاعر آخر الصقهما بالالياذة . وكلا القولين فيما أرى خطأ فاحش . اما القول بكونهما لشاعر متأخر فغير معقول واي قريحة تنتج من مثل هذه اللآلئ ولا تحرص على احراز فخر ابتداعها فتنسبها الى غيرها وان قيل انه ربما ذهب اسم الناظم ضياعاً بتقادم العهد فهوميروس اقدم عهداً على ما يعلمون . وفضلاً عن ذلك فسلسلة الالياذة حلقات آخذ بعضها برقاب بعض فحيثما بدا تراخٍ ولو طفيف في تلاحمها ظهر ذلك ظهور الشمس كما ابنا الامر في مواضعه . واسلوب نظم هذين النشيدين ولغتهما والتصرف بمعانيهما وارتباط حوادثهما بما سلف كل ذلك يؤيد القول انه لايمكن ان يكون ناظمهما الا ناظم ما تقدمهما من الانشاد كما اسلفنا في المقدمة

اما تخطئة هوميروس على الحاقهما بالالياذة فخطأ أعظم لانه لم يفت القارىء اللبيب ان موضوع المنظومة غضب أخيل وليس مقتل هكطور وذلك بيّن من أول بيت في اول نشيد . فلو اقتطع الشاعر منظومته عند مقتل هكطور لكان في وقوفه نقصٌ يلام عليه اذ لم يبدِ بعد من اوجه الغضب الا اوجه العنف والانتقام . فلو وقف بنا الشاعر هنا لمثّل لنا اخيل وعليه بنيت كل المنظومة وحشاً ضارياً لا بطلاً أنوفاً ابياً تزينه على خشونة الابطال مزايا اكرم الرجال — كان آخر عهدنا به يشق عقبي هكطور فيشده الى مركبته فيجرره على الثرى جر الهوان بعد ان شفى غلته بقتله وهي فعلة لامه عليها نفس الشاعر . ولم نر بعد شيئاً من حلمه وسكينته وعفوه ورفقه بوالد هكطور الشيخ اليفن ودفعه اليه جثة ابنه لتدفن دفن الرفعة والاجلال . افيكون النشيدان دخيلين لا اصيلين وفيهما هذه الحلية الرفيعة والحلة البديعة

للثَّغرِ والسُّفُنِ حيثُ انتشرُوا ... كُلٌّ الى أُسطُولهِ يَبْتَدِرُ
لـكنْ أبي آخيلُ أنْ ينْحلاَّ ... خَميسهُ بَلْ في سُرَاهُ ظَلاَّ (١)

ثم لايفوتن اولي الادب ان هوميروس لم يكن راوية قصّاصاً يحوم بالمطالع حول ضالته وهي دفينة في ثنايا مخيلته ويظل يراوغه الى آخر الرواية حتى اذا استنزف صبره ابرزها له في الختام على احد صورها وغادره وشأنه يطلق لفكرته عنان التصور بقياس ما سيكون على ماكان . بل هو شاعر مؤرخ يفرغ التاريخ بقالب شعري ويدون روايات كان معظمها معروفاً في عصره فوشاها ورصعها وما ابتدعها وانما ابتدع فيها ابكار المعاني . وشاعرٌ مهذِّب حكيم يأتيك بالحكمة من حيث لاتدري ويمثلها لك تمثيلاً فلا تمّحي من ذاكرتك فينطق لك الحي والجماد وما هو منطق غير الخُلق العظيم . وشاعرٌ عالم يحيطك علماً بما بلغه عصره من معرفة وما ادخره من علم ضاع لولاه . وشاعرٌ مطرب مجيد اجتمعت فيه علاوة على ما تقدم كل مزايا الشعراء فلم يكن من شأنه ان يبتر منظومته في آخر النشيد السابق ويلقي علينا عبء التكهن بما سيكون من مأتم فطرقل ومناحة هكطور وما يتبع ذلك من فوائد لم يستبقها لهذا الموضع الا لعلمه انه مدّخر لها موضعها

ولا بدَّ من التنبيه الى فائدة اخرى لاتحصل الا بتلاوة النشيدين الاخيرين . فلطالما رأينا الشاعر اثناء تدوين مواقعه يضع نفسه موضع سامعه فاذا انس منه مللاً من اطالة شرح فكهه بقصة تعترض في الحديث او نكتة تلهيه هنيهة او حكمة تصرف عنه العناء فينتقل مع جليسه من باب الى آخر وهذا دابه أبداً حتى لا تأخذ السامع السآمة فيظل متشوقاً الى ما يلي متشوقاً الى استتباع البحث — فاذا كان هذا شأنه في كل نشيد من انشاده فما الظن بمجمل منظومته . لقدكان هوميروس اعظم من ان يجهل ان من اتى على تلاوة آلاف من الابيات ورأى ما رأى فيها من طراد وجلاد واسنة حداد وازمات شداد لابد ان يتوق الى الابتعاد عن مواقف الحرب ويغادر الطعن والضرب ليأنس بمشهد جديد يخفف به عن نفسه ويسكن ثائر حسه وان لم يكن من محسنات هذين النشيدين الا هذا لكفى

(١) الخميس الجيش والسرى رؤساء الكتائب . رأينا في النشيد السابق ان

قامَت على انتظامِها الصفوفُ   فصاحَ وهوَ بينهُم يطوفُ :

« مِرْميدُ يا فرسانُ يا رجالي   لا تفصلوا الخيلَ عنِ العجالِ (١)

بلْ قرِّبوهنَّ بذا المجالِ   نبكي ونرثي غرَّةَ الأبطالِ

فطرقلَ فالنَّدبُ بلا محالِ   فرضٌ على ميْتٍ صريعٍ خالِ

فإنْ روينا غلَّةَ النَّكالِ   حلَّتْ وهيَّأنا بلا بلبالِ

وضيمةً نعدُّها في الحالِ » (٢)

فهطلَتْ دموعُهمْ جميعا   وخفَّ الخيلُ بهمْ سريعا

وحولَ فطرقلَ ثلاثاً داروا   بخيلهمْ ودمعُهمْ مدرارُ

تزيدُهمْ ثيتيسُ حزناً عيلا   فولولوا واكثروا العويلا

حتَّى جرى ما سحَّ من تلكَ العبرْ   غيثاً على السلاحِ والسهلِ انهمرْ

اخيل قتل هكطور وهم بالهجوم على اليون ثم فكر بفطرقل فارتد بالجيش ليقيم له مأتماً ويدفنه فانحل عقد الاغريق ورجع كلٌّ الى سفينته واما هو فحفظ نظام جنده اجلالاً لرفيقه وهذا ما يدعونه اليوم بتأدية واجب الشرف العسكري (Honneurs Militaires)

(١) نظمنا هذا النشيد من بحر الرجز واتبعنا فيه اسلوباً جديداً فجعلنا قوافيه في الخبر كسائر الاراجيز المزدوجة اي مصرَّعة شطرين شطرين واما في الانشاء فاراجيزه مقفاة اذ تتوالى القوافي الى ان يتم الخطاب كما ترى في تعريب كلام اخيل هنا

(٢) الوضيمة طعام المأتم وهي في اليونانية (Τάφον) ومعناها المدفن ويراد بها طعام المأتم على الاطلاق سواءٌ كان قبل الدفن كما ترى هنا او بعده كما سيأتي في النشيد الاخير بمأتم هكطور — ان اقامة الولائم في المآتم عادة قديمة جدًّا اخذها الرومان عن اليونان ووصفها شاعرهم فرجيليوس ولا تزال متبعة في كثير من بلاد الشرق وافريقية وكان لها شأن في جاهلية العرب . راجع مادب العرب (ن٢٢: ١٠٤٩)

أَمامَهُمْ أَخيـلُ بالنَّحيبِ يَشْهَقُ قُرْبَ خِلِّهِ الحَبيبِ
عَلَيهِ أَلْقى يُكْبِرُ المَقالَهْ بَينَهُمُ أَكُفَّهُ القَتَّالَهْ :
« أُقْريكَ يافَطْرُقْلُ السَّلاما وإِنْ تَهِمْ في سَقَرٍ هِياما
فَها أَنا والجَيشُ حَولي قاما أَبَرُّ بالوَعْدِ هُنَا تَماما
فَساعِدي هَكْطُورَ ذُلاًّ ساما وسَوفَ أُلْقيهِ هُنا طَعاما
لِلْكَلْبِ يَفْري اللَّحْمَ والعِظاما والنّارُ إِذْ تَذْكُو لَكَ اضْطِراما
أَذْبَحُ مِن طُرْوادَةَ انْتِقاما من حَولِها اثْنَي عَشَراً كِراما » (١)
وزادَ وَهْوَ لاهِبٌ سَعِيرا على هَوانِ المُجْتَبى هَكْطُورا

(١) مما قال المهلهل بعد قتل اخيه كليب :

ولأوردن الخيل بطن اراكةٍ ولاقضين بفعل ذاك ديوني
ولا قتلن حجاحجاً من بكركم ولابكين بها جفون عيوني
حتى تظلّ الحاملات مخافةً من وقعنا يقذفن كل جنين

وما ابلغ ما قاله الامام عليّ عند دفن امرأته فاطمة :

« السلام عليك يارسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك . قلّ يارسول الله عن صفيتك صبري ورقّ عنها تجلدي الا ان لي في التأسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ . فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري نفسك . انا لله وانا اليه راجعون . فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة . اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم . وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال . هذا ولم يطل العهد . ولم يخلُ منك الذكر . والسلام عليكما سلام مودع لاقالٍ ولا سئم . فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين »

فَكَبَّهُ لِوَجْهِهِ مُعَفَّرا حِيالَ نَعْشِ المَيتِ في وَجْهِ الثَّرى
مِنْ ثَمَّ حَلُّوا صاهِلاتِ الجُرْدِ ونَزَعُوا زاهي السِّلاحِ الصَّلْدِ
وحَولَ فُلْكِ ابْنِ أَياكَ الْتَأَمُوا وذلكَ الزادَ الشَّهِيَّ اقْتَسَمُوا
فَمِنْ خِرافٍ وثِيارٍ غُرِّ هالِعَةٍ تَخْفُقُ عِندَ النَّحرِ
ومِن عُنُوزٍ ثاغِياتٍ تَرْتَجِفْ أَمامَها الجَزَّارُ بالنَّصْلِ يَقِفْ
وَمِن رُتُوتٍ صَلْدَةِ الأَنْيابِ تَسِيلُ شَحْماً باللَّظى اللَّهَّابِ (١)
دِماؤُها كَذا جَرَتْ سُيُولا وأَقْبَلَ الصِّيدُ إلى ابْنِ فِيلا
وَذَهَبوا بِهِ وما كادُوا لِما عَلى حَبِيبِهِ تَلَظَّى أَلَما
وإِذْ أَتَوا خَيمَ أَغامَمْنُونا صاحُوا على الفُيُوجِ أَجْمَعِينا
أَنْ يَرْفَعُوا المِرْجَلَ فَوقَ النَّارِ ويُوسِعُوا الجاحِمَ بالأُوارِ (٢)
لِغَسْلِ ما لَطَّخَهُ مِنَ الدَّمِ لكِنْ أَبى يُغْلِظُ بَرَّ القَسَمِ : (٣)

---

(١) الرتوت الخنازير

(٢) الجاحم الوقود

(٣) كان القدماء يتفننون بمظاهر الحزن والحداد على الميت فقد جاء في التوراة أمثال ذلك كلبس المسوح والامساك عن الاكل والتمرغ في التراب والامتناع عن الغسل • وفي أخبار عرب الجاهلية شيء كثير من هذا القبيل قالوا ان المهلهل اذ بلغه خبر قتل أخيه كليب جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب الى ان يأخذ بثأر اخيه • وكان العرب يحرمون الخمر على انفسهم الى ان يدركوا ثأرهم وفي مثل ذلك يقول امرؤ القيس وقد ظفر ببني اسد ثائراً بابيه :

لا تسقينّي الخمر ان لم يروا قتلى فثاماً بأبي الفاضلِ
حتى أبير الحي من مالكٍ قتلاً ومن يشرف من كاهلِ

« بحقِّ زفسَ السائدِ المُخلَّدِ أُقسِمُ لا قطرةٌ مسَّتْ جسدي
ما لم اشدَّ ضريحَ خلّي الأوحدِ من بعدِ أنْ أُحرقَهُ في كمدي
حيثُ لهُ أقصُّ شعريَ العسجدي مهما أعشْ فلنْ تلظّى كبدي (١)
أسىً كهذا اللاعجِ المتّقدِ فأرضخُ الآنَ على توقّدي
الى اقتسامِ الزادِ في ذا المشهدِ لكنْ إذا طرَّ الصباحُ من غدِ
على ابنِ أتراسَ المليكِ الأمجدِ انْ ينفذَ القومَ بلا تردُّدِ
في طلبِ الوقودِ ثمَّ نبتدي بمأتمٍ حقٍّ لميتٍ يغتدي
منْ فورهِ الى الظلامِ الأبدي حتّى إذا جثّتُهُ ذاكَ السيّدِ
ذابتْ وفزْنا بجميلِ المقصدِ للحربِ عدْنا بزهيِّ العددِ»
لبّوا وكلٌّ هبَّ يبغي الزادا فنالَ منهُ سهمَهُ المعتادا
حتّى إذا طاهُ ولّى والسغبْ لخيمهِ في طلبِ النومِ ذهبْ
وفي فجاجٍ قربَ جرفِ البحرِ لدى دويِّ الموجِ فوقَ الثغرِ

ومن بني غنم بن ذودان اذ نقذف اعلاهم على السافلِ
نعلوهم بالبيض مسنونةً حتى يروا كالخشب الشائلِ
حلت لي الخمر وكنت امرءًا عن شربها في شغلٍ شاغلِ

(١) أي لن تتلظى بحذف التاء وهو كثير في كلام العرب سواءٌ كانت التاءُ الاولى للتأنيث كما في قول الفرزدق :

الا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تمطى من دمشق بخالدِ

أي تتمطى . أو للخطاب كما جاءَ في سورة النساء « واتقوا الله الذي تساءَلون به أي تتساءَلون »

أَخيلُ والعيُّ بهِ قد برَّحا ما بينَ جيشِ المِرمِدُونِ انْطَرحا
أَنهَكَهُ العدُوُ وَرا هكطُورا فنامَ في ظِلِّ الكرى قريرا
فرُوحُ فطرُقلَ بطيفِ الحُلمِ قامتْ على هامتهِ كالجسمِ
بقَدِّهِ والحُللِ المسدُولهْ وصوتهِ والمُقَلِ الجميلهْ (١)
قالت: «أآخيلُ لهُ طابَ الكرى حتَّى عنِ الحبيبِ غضَّ النظَرا
أَهملَني ميتاً فهلاَّ ذكَرا ودادهُ لي وأَنا حيٌّ أَرى
بادِرْ إلى دفنيَ حتَّى أَعبُرا أَبوابَ آذيسَ ولا أُحقَّرا
صدَّتنيَ الأَرواحُ عن أَن أَصدُرا ما بينهنَّ فأَخوضَ الانهُرا
فرُحتُ هائماً بِلُجاتِ الثرى وجئتُكَ الآنَ ودمعي انهمرا
فانهضْ وأَعدِدْ لي صِلىً تسعَّرا فبعدَ ذا لن أَبرَحنَّ سقرا (٢)

---

(١) ان في ظهور روح فطرقل لاخيل لمشهداً جديداً من أجمل مشاهد الالياذة • والاعتقاد بظهور أرواح الاموات للاحياء نشأ مع نشوء الانسان ولا يزال في أكثر الملل والنحل • وقد أراد الشاعر هنا ان يبلغ بالسامع الى منتهى درجات التوادّ والتواثق بين الخليلين فلم يقف عند ذكر ما تقدم من تفاني فطرقل حياً بخدمة أخيل ووفاء أخيل وتفجعه على فطرقل وتمنيه لو فدّاه بنفسه واقتحامه غمرات الموت انتقاماً له واشتغاله مع كل الجيش بمأتمه • بل أراد أن يظهر ان ذلك الود الصميم لبث مستقرّاً في روح فطرقل بعد انفصالها عن جسمه على حد قول بعضهم

ولو وقفت ليلى بقبري وقد عفت معالمه واستفتحت بسلام
لحنت اليها بالتحية رمتي ورنت بترجيع السلام عظامي

(٢) يتضح من هذه الابيات انهم كانوا يعتقدون ان لورع الاحياء دخلاً بسعادة الاموات وهو ما لا يزال يعتقده فريق عظيم منا • الا انهم كانوا يزعمون ان اقامة

آهِ فقد فاتَ زمانٌ غـبَرا　　　حيّيْن فيهِ نعقدُ المؤتمرا
في عزْلةٍ فيها تحاشَينا السُّرى　　　منذُ نشأْتُ كانَ هذا القدرا
فغالني وفيهِ قِدماً سُطِرا　　　حَتفُكَ في أَكنافِ سُورٍ حُصِرا (١)

المأتم تعجل بتخفيف وطأة العذاب عن الميت وقد تقدم انه لابد لكل نفس من ان تنحدر بعد الموت الى الظلمات ومن ثم فاما ان تبقى هناك واما ان تعبر نهر الستكس الى مقام الصلاح • وتظل الروح هائمة الى ان يحرق الجسد او يدفن • واذا بلي الجسد في العراء فان الروح تبقى مائة عام هائمة على وجهها

ومن هذا القبيل ماكان يعتقد العرب من انه اذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثاره خرج من راسه طائر يسمى الصدى ويسميه بعضهم الهامة فلا يزال يصيح على قبره اسقوني حتى يؤخذ بثأره • ومنهم من كان يزعم ان ذلك الطائر هو نفس الانسان تنشط من جسمه اذا مات او قتل • قال المجنون :

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها　　　ومن دون رمسينا من الارض منكبُ
لظل صدى رمسي وان كنت رمةً　　　لصوت صدى ليلى يهش ويطربُ

وقال آخر :

فيارب ان اهلك ولم ترو هامتي　　　بليلى امت لا قبر اعطش من قبري

ومن مزاعم العرب ايضاً ان الميت يبعث بجسده من قبره فكان عندهم من لوازم رعايته ان يعقلوا ناقته عند قبره ويتركوها حتى تموت يزعمون انه يركبها اذا بعث من القبر • وفي مثل ذلك قال المجنون يرثي اباه وقد مات قبل اختلاط المجنون وتشوشه :

عقلت على قبر الملوح ناقتي　　　بذي السرح لما ان جفته أقاربه

ويسمون الناقة المعقولة هكذا البلية

(١) كانوا يعتقدون ايضاً ان روح الميت لا تظهر للاحياء وتخاطبهم الا اثناء هيامها في لجج الارض اي قبل ان تنخرط بين الارواح في سقر • واذا خاطبتهم فقد تنجلي لها الغوامض فتنطق بما هو مكنون في الغيب كإنباء فطرقل اخيل هنا بانه قد سُطر في القدر ان يقتل في اكناف سور اليون

أَجِبْ إِذا ٱلْتَمَسي مَهْما جَرى فَمِثْلَما مَعاً قَضَينا العُمُرا
مِنْ يَوم مِينِتيُوسُ بي غَرَّاسَرى لِصَرْحِ فِيلامِنَ أُفْنِطٍ مُدْبِرا
مِن وَجْهِ رَهْطٍ رامَني مُثَّئِرا لَمَّا قَتَلْتُ (وصِلي الجَهْلِ عَرا
وقد لَعِبْنا بالكِعابِ عَسْكَرا) فرعاً لأَمْفِيدامَسٍ مُسْتَكْبِرا(١)
ومِثْلَما قَبلاً أَبوكَ ٱسْتَبْشَرا بي فَنَشَأْتُ ناعِماً مُوَقَّرا
في حِجْرِهِ كما نَشَاتَ الأَصْغَرا دَعْ هكذا رُفاتَنا أَنْ تُقْبَرا
معاً فَلا تَنْحَلَّ هاتِيكَ العُرى ولتُلْقَ في حُقٍّ لَدَيكَ ٱدُّخِرا
مِن لَدنِ ثِيتيسَ نُضاراً بَهِرا »(٢)

فَقالَ آخِيلُ : « عَلامَ يامُنى نَفْسي أَتَيتَني بِذا البَحْثِ هُنَا
فَكُلَّما رُمْتَ سَيُجْرَى عَلَنا فَٱدْنُ وعانِقْني فلاعِجَ العَنا

(١) أي صففنا الكعاب عسكراً نلعب بها ولعب الكعاب ان لم يكن اقدم لعب الصبيان فهو بلا ريب من اقدمها

(٢) يرمي فطرقل بل روحه في هذا الكلام المؤثر الى غايتين : ان يسارع اخيل الى اقامة مأتمه وان يدفن رماد الخليلين في حق واحد حتى يظلا مجتمعين حيين وميتين . وهذا الامر الاخير كان ولا يزال مطمع جميع المتحابين في كل ملة ودين . قال مجنون ليلى :

ألا ليتنا نحيا جميعاً وان نمت نصير اذا متنا ضجيعين في قبرِ

ومثله قوله :

ولو شهدتني حين تأتي منيتي جلا سكرات الموت عنى كلامها
فياليتنا نحيا جميعاً وان نمت تجاور في الهلكى عظامي عظامها

راجع (ن ١٦ : ٨٤٨)

نُوري ونَزْوي بالعِناقِ الشَّجَنا »

ومَدَّ كَفَّهُ الى العِناقِ ... لٰـكِنَّهُ فَطْرُقْلَ لم يُلاقِ
فَرُوحهُ مِثلَ الدُّخانِ طارَتْ ... صافِرَةً وفي الثَّرى توارتْ
فقامَ آخِيلُ وكَفَّيهِ صفقْ ... بِدَهْشَةٍ ثُمَّ لِسانُهُ انْطَلَقْ :
« نَعَمْ نَعَمْ رَبَّاهُ حتَّى لِسقَرْ ... يَسْري مِثالُنا وأَرْواحُ البَشَرْ
لٰـكِنَّما الحَياةُ في ذاكَ المَقرْ ... لَيسَ لَها بَعدَ المَماتِ مِنْ أَثَرْ
فَإِنَّ فَطْرُقْلَ مَدى اللَّيلِ ظَهَرْ ... بِرُوحهِ لي بِشَقاءٍ وكَدَرْ
حكَتْهُ حتَّى قُلتُ بالنَّفسِ ٱبْتَدرْ ... مُقْتَرِحاً يأْمُرُني بِما أَمَرْ »
وَما انْتَهى حتَّى جَهيرُ النَّدْبِ ... مِن حَولِهِ عَمَّ جَميعَ الصَّحْبِ
وَابْتَ الدَّمْعُ سَخيناً يَجْري ... حتَّى بَدا وَرْدُ بَنانِ الفَجْرِ
هُنَا أَغامَمْنُونُ هَبَّ حالا ... وأَنْفَذَ الرِّجالَ والبِغالا
فبادَرُوا فَوراً إِلى الذَّهابِ ... بأَمْرِ مِرْيُونَ لِلاحْتِطابِ
ساقُوا يَجِدُّونَ الى الجِبالِ ... بِقاطِعِ الأَفْؤُسِ والحِبالِ
أَمامَهُمْ تِلكَ البِغالُ مُسْرِعَهْ ... مُتْهِمَةً مُنْجِدَةً مُنْدَفِعَهْ
ضارِبَةً في وَعْرِ تِلكَ الهِضَبِ ... وعَقَباتِ مَشْعَبٍ فَمَشْعَبِ
حتَّى عَلَتْ إِيذَةَ في الصَّعيدِ ... فَأَعْمَلُوا مَناصِلَ الحَديدِ
بِشامِخِ الدُّلُولِ فالفُروعُ ... خَرَّتْ تُشَقُّ تحتَها الجُذُوعُ
وقَطَعُوهُ قِطَعاً وشَدُّوا ... أَحمالَهُمْ مِنْ فَورِهِمْ وارْتَدُّوا

وَاشْتَاقَتِ البِغَالُ لِلسُّهُولِ فَانْحَدَرَتْ فِي الوَعْرِ بِالقُفُولِ
وراءها كُلُّ فَتىً جِذْعاً حَمَلْ أَمرُ لِمِرْيُونَ لَهُ الكُلُّ امْتَثَلْ
والثَّغْرُ فِيهِ كَدَّسُوا الوَقُودا وَانْتَظَمُوا مِن حَوْلِهِ قُعُودا
حَيثُ أَخيلُ رامَ أَن يُعَيِّنا مَدْفَنَ فَطْرُقْلَ وفِيهِ يُدْفَنا
وصاحَ بِالمِرْمِيدِ أَن يَجِدُّوا وَلِلعِجالِ خَيلَهُمْ يَشُدُّوا
وأَن يَشُكَّ الكُلُّ فِي السِّلاحِ كَأَنَّهُمْ فِي حَومَةِ الكِفاحِ
فَسارَتِ العِجالُ فِي المَيدانِ بِساسَةٍ وسادَةٍ فُرْسانِ
خَلْفَهُمُ المُشاةُ كَالسَّحابِ وَصَحْبُ ذاكَ المَيتِ بِاكْتِئابِ
سارُوا بِهِ تَسْتُرُهُ النَّواصِي قُصَّتْ لَهُ دَلالَةَ الإِخْلاصِ (١)

---

(١) أسبل الجند على جثة فطرقل نواصي الشعور كما نسبل على النعش في ايامنا اكاليل الزهور • ولقد علمت مما مر ان عادة اطلاق الشعر كانت شائعة عندهم كما كانت شائعة بين اكثر أمم المشرق كالعبرانيين ومن واليهم من العمونيين والموابيين والادوميين والعرب وكما هي شائعة لعهدنا عند الصينيين وبعض قبائل البادية • وفي الأثر ان الاسكندر قص شعره حزناً على صديقه هفستيون كما فعل اخيل حزناً على فطرقل • ومن الروايات المشهورة في كتب العرب ان المهلهل قص ناصيته حين بلغه خبر قتل كليب اخيه كما تقدم • وكانت النساء أيضاً يحلقن شعورهن حزناً على الميت ومعنى قولهم دعاءً على الرجل « امك حالق » انهم يدعون عليه بالموت • الا ان قص الشعر لم يكن دائماً اشعاراً بالحزن بل ربما كان لحادث آخر من نحو دهشة وفرح ووفاء بنذر وما اشبه • ويقص العرب ايضاً ناصية الاسير وفي مثل ذلك قول الخنساء:

جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنون ان لاتجزّا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لايصاب فقد ظن عجزا

ومثله قول زهير في هرم بن سنان :

ومِن ورائهمْ أَخيلُ رَفعا ... هامَةَ فطْرُقل بلُبٍّ خلعا
وأَنزَلوهُ المَنزِلَ المَعْهُودا ... وبادَرُوا فَهيَّأُوا الوَقُودا
وعَنهمُ آخيلُ منْحازًا عَدا ... لِغَرَضٍ في نَفْسِهِ مبْتَعِدا
وقصَّ فرْعاً زاهياً جميلا ... للنَّهْرِ إِسفَرْخيُّسٍ أُطيلا (١)
وصاحَ مُحْدِقاً بلُجِّ الْيمِّ ... مُضْطَرِماً يَصلَى أُوارَ الغمِّ :
« يا نهْرَ إِسفَرْخيُّسَ الكَبيرِ ... واخَيْبةَ القُرْبانِ والنُّذُورِ
نَذْراً لكَ أَنْتَوى أَبي شُعُوري ... ومِئَةً مِن نُخْبَةِ الأَبْقُورِ (٢)
ومِن ضَحايا الغَنَمِ الذُّكورِ ... خمْسينَ عِنْدَ هيكَلِ البَخُورِ
في مَرجِكَ الْمُقَدَّسِ المَبْرُورِ ... في القُرْبِ مِن مَنْبَعِكَ المأْثُورِ
بكُلِّ ذا آلى لدى مَسيري ... لِمَوطِني بالبِشْرِ والسُّرُورِ
فما اُسْتُجِبْتَ سُؤْلَ مُستَجيرِ ... ولمْ تَكُنْ مِنَ الرَّدى مُجيري

حدب على المولى الضريك اذا ... نابت عليه نوائب الدهر
عظمت دسيعته وفضله ... جز النواصي في بني بدر

ويقال عكس ذلك في الملل التي لم تكن تطلق شعر الراس فانها انما كانت تطلقه لامر جلل وهذا من قبيل الامساك عن التزين مدة من الزمن في هذه الايام لحلول مصاب — اما الطرواد فيظهر انهم كانوا يقصون شعر الراس ولكن بعضهم كان يتزين به اخذاً عن الاغريق ولقد رأينا هكطور في النشيد الثالث يعير أخاه فاريس على اطالة شعر رأسه حلية

(١) أسفرخيوس نهر في تساليا (اسمه الآن هلاّذا) كانوا يعبدونه عبادة المصريين للنيل وقد كان فيلا نذر له شعر اخيل كما نذر ممنون المصري شعره للنيل

(٢) الابقور البقر

وَأَنْ أدُوسَ بابَ تِلكَ الدُّورِ　　لِذا على فَطْرُقْلَ والسَّعيرِ
اطْرَحُ فَرْعَ وَفْرَتي المَوْفُورِ »
وبينَ كَفَّيْ خِلِّهِ أَلْقاهُ　　وجَيشُهُ طرًّا عَلا بُكاهُ
وأَوشَكُوا حتَّى غُرُوبِ الشَّمْسِ　　أَنْ يَنْدُبوا بكُرْبَةٍ وبُؤْسِ
لٰكِنَّ آخِيلَ لأَتْرِيذَ دَنا　　وصاحَ مابينَ الجُمُوعِ عَلَنا :
«أَتْرِيذُ قدحقَّ لكَ الخضُوعُ　　فمُرْ إِذاً تُكفْكَفِ الدُّمُوعُ
ومِن هُنا تَنْصَرِفِ الجُمُوعُ　　يُهيِّئُوا الزادَ فلا يَجُوعُوا
فَإِنْ مَضَوا فنَحْنُ نَسْتَطِيعُ　　وصِيدُنا الأُصُولُ والفُرُوعُ(١)
نُحْرِقُ مَيتاً وَدَّهُ الجَميعُ »
فَفَضَّ أَتْرِيذُ الجُمُوعَ فَمَضَتْ　　الى سَفِينِها وعَنْهُمْ أَعْرَضَتْ
وحَولَهُ ظَلَّتْ سَراةُ المَوكِبِ　　تَرْكُمُ لِلْمَيتِ وَقُودَ الحَطَبِ
حتَّى لَهُ شادُوا على السَّهْلِ هَرَمْ　　قِياسُهُ عَشْرٌ وتِسعُونَ قَدَمْ
ورَفَعُـــوا لِقِمَّةِ الإِبالَهْ　　فَطْرُقْلَهُمْ بأَدْمُعٍ مُنْهالَهْ (٢)
وسلَخُوا الثِّيارَ والخِرْفانا　　لِيُحْرِقُوها معَـهُ قُرْبانا
وخفَّ آخِيلُ لِقَطعِ الشَّحْمِ　　يُسْبِلُهُ مِن فَوقِ ذاكَ الجِسْمِ
وحَـولَهُ أَلْقى بلا إِبْطاءِ　　لُحُومَها وسائرَ الأَعْضاءِ

(١) أي انه أراد صرف الجموع ليتفرغ زعمـاء الجيش لاقامة مأتم فطرقل
(٢) الابالة حطب الوقود

مِنْ بَعدِ ذا صَبَّ قَوارِيرَ العَسَلْ والزَّيتَ فوقَ نعشِ ذَيَّاكَ البَطَلْ
وزادَ وَهوَ لاهِبُ الفُؤادِ أَرْبَعَةً من ضُمَّرِ الجيادِ
وفي كِلابهِ التي في نِعمَتِـهْ قد نَشأَتْ أَعمَلَ حدَّ شَفْرَتهْ
مِنْ تِسعَةٍ مِنْ فَورِهِ اثْنَينِ ذَبَحْ ولِلوَقُودِ جُثَّتَيهما طَرَحْ
وهامَ الاثْنَي عشَرَ بالسَّيفِ قَطَعْ من بَهُم إِلْيُونَ وَبِئْسَ ماصنَعْ (١)
وأَرَّثَ النّيرانَ حتّى تَلتَهِمْ وصاحَ والدَّمعُ سَخيناً يَنْسَجِمْ :
« أَفْرِيكَ يا فَطْرُقلا السَّلاما وإِن تَهِمْ في سَقَرٍ هِياما
فَها أَنا والجيشُ حَولي قاما أَبَرُّ بالوَعدِ هُنا تَمـاما
وها هُنا تَلتَهِمُ الْتِهاما نِيرانُكَ اثْنَيْ عَشَرًا كِراما

(١) ذكر هوميروس قطع رؤوس الاثني عشر فتى من اسرى الطرواد تدويناً لجريهم على خطة ذبح الاسرى ولكنه لم يفته ان اعلن استهجانه تلك العادة القبيحة ولهذا استدرك بقوله « وبئس ما صنع » — كان العرب في جاهليتهم يقتلون الاسرى الاَّ من كان بينه وبين آسره موآكلة وممالحة فانه يؤمَّن • وربما أخذوا عقال الاسير أي فكاكه وأطلقوه بعد جز ناصيته • وكانت في مكة سوق لبيع السبايا والاسرى • اما السبايا فكنَّ يستبقين اماء وزوجات واما الاسرى فكانوا الا فيما ندر يباعون لذوي الثأرات عليهم أو على عشائرهم فيقتلون بمن قتلوا • أو يفتديهم ذووهم وأصحابهم بمال يدفعونه الى آسريهم • وكان افتكاك الاسرى من اعظم مفاخرهم • قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وفككنا غلَّ امرأ القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناءُ

ولما جاء الاسلام بطل الاسر والسبي من الاسلام وفي الحديث « لا سبأ على عربي ولا سبأ في الاسلام ولا رق على عربي في الاسلام » ولكن الاسر والسبي ظلا مباحين للمسلم من غير المسلمين

لٰكِنَّ هَكْطُورَ فلا ضِراما　　يُذْكي لهُ بل يَغتَدي طَعاما
لِلكَلْبِ يَفري اللَّحْمَ والعظاما » (١)
لٰكنَّما الكلابُ لم تَدْنُ إلى　　جُثَّةِ هكطورَ بهاتيك الفلا
فإنَّما الزُّهْرَةُ بالمِرْصادِ　　تدفعُ كُلَّ صادرٍ وغادِ
وأفرَغَتْ قُدسيَّ عِطْرِ الوَردِ　　فيهِ فَلا يُعْطَبُ خلفَ الجُرْدِ
وفيبُسُ مِنْ قُبَّةِ السَّماءِ　　جلَّلهُ بغَيمةٍ سَوداءِ
حتَّى يَظَلَّ تَرِفَ المَجَسِّ　　ولا يجفَّ بشُعاعِ الشَّمْسِ (٢)
وَالنارُ في الوَقُودِ لم تَذْكُ وَلا　　أُوارُها من حَولِ فَطْرُقْلَ عَلا
فَلَوَسيلةٍ أَخيلُ عَمَدا　　وانحازَ عن جُمهُورِهِ مُبتَعِدا
واستَنْجَدَ الدَّبُورَ والشَّمالا　　لِتُلْهِبا الإبالَةَ اشْتِعالا
وتلهَمَ الأَجْسادَ ثُمَّ نَذَرا　　غُرَّ الضَّحايا لهُما وابْتَدَرا
يُريقُ فَوقَ الأَرضِ صِرْفَ الخَمْرِ　　بكأسِ عَسْجَدٍ تَمامُ البِرِّ

---

(١) كرر أخيل هنا نفس الخطاب الذي خاطب به فطرقل ولكنه زاد عليه تشفّيه من هكطور توطئة للابيات التالية

(٢) المراد من هذه الابيات الخمسة ان جثة هكطور بقيت سليمة • فلو كان هوميروس مؤرخاً لقال ان الهواء كان جافاً بارداً فلم يعترها الفساد وكانت محاطة بالجند فلم تدنُ اليها الكلاب • ولكنه الشاعر المتصرف بالمعاني المتلاعب بالافكار الموشى شعره برموز عصره فادخل فيبس والزهرة وجعلهما العانيين بحفظ الجثة اما الاول فلانه ممثل الشمس وهي التي تتصاعد بحرارتها الغيوم فاظلته بسحابة حفظته من الحر واما الثانية فلانها ربة الجمال فكانها هي التي اولته تلك المحاسن وهكطور مشهور بحسن طلعته وطلق محياه

وَصوتَهُ إِيريسُ لمَّا سَمِعَتْ لِمُنتَدى الرِّياحِ حالاً أَسْرَعَتْ
إِذا بِهِمْ في مَجْلِسِ السُّرُورِ على وَليمةٍ لَدى الدَّبُورِ [1]
فَنَهَضُوا طرًّا لَها إِجْلالا وأْنتَدَبُوها لِلْقِرى أْحتِفالا
فَوَقَفَتْ في عَتَباتِ الصَّخْرِ تَأْبَى وقالت بجَميلِ العُذْرِ:
« ماليَ الى الجُلُوسِ مِنْ سَبيلِ فإِنَّـني بنيَّـةِ الرَّحيـلِ
لِشَعْبِ إِثْيُـوبيَةَ النَّبيـلِ فَهُوَ على المُحيطِ بالتَّبْجيـلِ
يُهَيِّئُ ضَحًّى مِنَ العُجُـولِ لَنا فَلا نُدحةَ مِن قفُولي
ولِلشَّمالِ مِنْ لَدى أَخيلِ ولِلدَّبُورِ جِئْتُ كالرَّسُولِ
لِتَعْصِفا بالقَبَسِ المَشْعُولِ تَحتَ شَـلا فَطْرُقْلِ القَتيلِ
حَيثُ بَنُو الإِغْرِيقِ بالعَويلِ ولَهُما جَزاءَ ذا الجَميـلِ
آلى بِنَذْرٍ شائِقٍ جَزِيلِ »
ثُمَّ تَوارَتْ عَنْهُما فَقَصَفا وبَدَّدا الغُيُومَ حيثُ عَصَفا
وزَمْزَما في لُجَّةِ العُبابِ فَهاجَ وَجهُ اليَمِّ بأْضْطِرابِ
وأْنْدَفَعا في السَّهْلِ يَقْصِفانِ فَأْرْتَفَعَتْ زَهزَمةُ النِّـيرانِ

---

(١) الدبور الريح الغربية • والرياح كانت كسائر ممثّلات الشاعر اشخاصاً ناطقة بل آلهة فائقة وهي كالشمس ذكور لا اناث ولهذا استعملنا لها هنا وفيما يأتي ضمير العاقل المذكر فقلنا « اذا بهم » ولم نقل بها او بهنّ

يؤخذ من هذا الموضع وامثاله من الالياذة ان الآلهة كانوا يكثرون من المآدب والمآكل وهو دليـل على انها كانت في تلك الاعصر الخوالي من اعظم اسباب المسرات والملاهي

فالنَّوءُ كُلَّ الليلِ فيها قد قَصَفْ　　　وليلَهُ آخيلُ سَهْرانًا وَقَفْ
خَمْرًا بكُوبٍ عَسْجَدٍ مُزْدَوَج　　　يَسقِي الثَّرى مِن حُبِّ تِبْرٍ بَهِجٍ (١)

(١) الحب الخابية وهي الزير بعرف اهل مصر



حرق جثة فطرقل

وَهوَ يُناجي رُوحَ فَطْرُقْلَ وَمنْ … حَولَ ضِرامِ النارِ بالبَثِّ يئِنْ
فَهيَ عَلى أَعظُمِهِ تَثُورُ … وَهوَ لَدَيها لاهِباً يَدُورُ
كَوالدٍ يُحْرِقُ أَعظُمَ ابْنِهِ … بِكَفِّهِ مُخْتَنِقاً بِحُزْنِهِ
عَلى فِراشِ العُرْسِ قد ماتَ الفَتى … وقَلْبَ والدَيهِ حُزْناً فَتَّتا
وإِذْ بَدَتْ بالنُّورِ في أَوجِ العُلَى … كَوكَبةُ الصُّبْحِ تُبَشِّرُ المَلا
وخَلْفَها امْتَدَّ سَناءُ الفَجْرِ … بِحُلَّةِ الجِسادِ فَوقَ البَحْرِ (١)
أُخْمِدَتِ النِّيرانُ والنَّوآنِ … كِفْهُما أَمَّا يُدَمْدِمانِ
بِبَحرِ إِثْراقَةَ مَرَّا فَاخْتَلَجْ … مُلْتَطِماً في يَمِّهِ المَوجُ وَعَجْ (٢)

(١) الجساد الزعفران — من غريب ما استلفت نظري مراراً في شعر هوميروس تنبهه الى الكلي والجزئي مما يعلق بمعاني شعره . فاذا كرر قولاً او معنى فلا بد ان يلصق به ما يلائمه ولو باشارة خفية . فقد ألبس الفجر ثوب الجساد في النشيد الثامن فقال:

كسا الفجر وجه الارض ثوباً مزعفرا … وزفس أبو الارباب في ارفع الذرى

فكان المكسو وجه الارض لانه كان يصف الارباب وهم في معتصمهم العالي ينظرون الى البر والبحر

وقال في النشيد التاسع عشر :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد … من يمه يبرز فوق البلاد
حتى انبرت فوق الخلايا الخ … . . . .

فابرز الفجر صاعداً من اليم بتلك الحلة لانه كان يصف ثيتيس بنت البحر وهي صاعدة من اليم فجر يومها وهو هنا يقول:

بحلة الجساد فوق البحر

لان الموقف في ساحل بحر وبين السفن

(٢) لو جردنا هذا الكلام من حلته الشعرية لقلنا ان الرياح كانت ساكنة

فَٱرْتاحَ آخيلُ إلى الهُجُوعِ | في عُزْلَةٍ عَن لَغَطِ الجُمُوعِ
أَنْهَكَهُ العيُّ فَبالنَّوم ٱسْتَكَنْ | ولَمْ يَكَدْ يَذُوقُ لَذَّاتِ الوَسَنْ
حتَّى ٱسْتَفاقَ لِعَجِيجِ الجُنْدِ | مِن حَولِ أَتْرِيذَ الزَّعيمِ الجَلْدِ
فَهَبَّ ثُمَّ قامَ ثُمَّ ٱرْتَجَلا : | «أَتْرِيذُ يا صيدَ السَّراةِ النُّبَلا
خَمْرَكُمُ السَّوداءَ صُبُّوا عَجَلا | تُخْمِدْ وَقُوداً باللَّهيبِ ٱشْتَعَلا
ثُمَّ ٱجْمَعُوا أَعظُمَ فَطْرُقْلَ الأُولى | تَبْرُزُ إِذْ في الوَسْطِ كانَ ٱعْتَزَلا
(والناسُ والخَيلُ خَليطاً جُعِلا | في الحافِ فيهِ لَهَبُ النارِ عَلا)
نُودِعُها حُقًّا مِنَ التِّبْرِ غَلا | والشَّحْمُ سِتْرانِ عَلَيها أُسْبِلا
تَبْقى بِذاكَ الحُقِّ حتَّى أَنْزِلا | لِلظُّلُماتِ يَومَ أَلْقى الأَجَلا
ولا تَشِيدُوا القَبْرَ قَبْراً أَمْثَلا | بَلْ فَٱعْتَنُوا بِهِ ٱعْتِناءً مُجْمَلا

فلم تلتهب النيران ثم ما لبثت الرياح ان عصفت فاضرمت الوقود وعلا اللهيب حتى التهمت النار جثة فطرقل • ولكن الشاعر حام حول هذا المعنى على جاري خطته • واليك حل رموزه حسبما شرحها افستاثيوس قال : ان ايريس ممثلة قوس قزح تدل على الامطار والرياح ولهذا كانت هي الداعية للرياح فلُبي نداؤها وقضيت حاجتها « ونهضوا طراً لها اجلالاً » اي انه اذا ظهر قوس قزح تحرك الرياح

فوقفت في عتبات الصخرِ | تأبى وقالت بجميل العذرِ
ما لي الى الجلوس من سبيلِ | فانني بنية الرحيلِ

اي ان قوس قزح لا يقيم طويلاً ولكنه سريع الظهور سريع الزوال • وولجت المحيط او الاوقيانوس • اي ان مادة قوس قزح من الماء فلم يكن يصلح لها ان تمثل والجة في اليبس • وقوله:

ومَنْ يَعِشْ بَعْدِيَ مِن هذا المَلا   يَشِدْ ضَرِيحاً شائقاً مُكمَّلا » (١)
لَبَّوهُ طرًّا وأَراقُوا الخَمْرا   حيثُ ذَكَتْ نارُ الوَقودِ جَمْرا
فَجَرَفَتْ تَلًّا مِنَ الرَّمادِ   وابْتَدَرُوا بِغُلَّةِ الفُؤادِ
أَعْظُمَهُ البَيضاءَ يَجْمَعُونا   وعَبَراتِ الحُزْنِ يَذرِفُونا
فَأُودِعَتْ حُقًّا مِنَ التِّبرِ غَلا   والشَّحمُ سِتْرَينِ عَلَيهِ أُسْبِلا
أَلْقَوهُ في الخِيامِ تَحتَ أُزْرِ   مِنَ النَّسِيجِ الشَّائقِ الأَغَرِّ
وَرَسَمُوا في مَوضِعِ اللَّهِيبِ   دائِرَةَ الضَّرِيحِ بالتَّحبيبِ
وَوَضَعُوا الأَساسَ ثُمَّ رَفَعُوا   تَلًّا مِنَ التُّرابِ ثُمَّ رَجَعُوا

اذا بهم (اي الرياح) في مجالس السرور   على وليمة لدى الدبور
اشارة الى ان طبيعة الرياح واحدة او ان الغالب في تلك البلاد هبوب الريح الغربية • واما وقوف ايريس في عتبات الصخر وامتناعها عن ولوج كهفهم فاشارة لطيفة الى ان قوس قزح يظل سابحاً على سطح الارض فلا يتخلل الاعماق

(١) اراد اخيل بقوله هذا ان ينفذ وصية فطرقل فيودع رماده في حق من الذهب ويدفنه ثم لا يشاد الضريح على ما يجب الا اذا مات اخيل وضم رفات اعظمه الى رماد اعظم فطرقل فيقام لهما ضريح واحد • وهكذا فانهم على ما ترى كانوا يجمعون بين حرق الجثث ودفن رفاتها وقد تقدم لنا بحث في منشأ تلك العادة (ن ٧ : ٥٠٥)

ومن بدائع فلسفة ابي العلاء المعري قوله مستحسناً حرق الجثث :

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم   وذاك اروح من طول التباريح
ان حرقوه فما يخشون من ضبع   تسري اليه ولا خفي وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا   غباً واذهب للنكراء والريح

الألعاب

فاستوقف الجمعَ أخيلٌ وعمدْ ... لرسم مجلسٍ به الكلُّ قعدْ (١)
واستحضر الجوائزَ السَّنيَّهْ ... آنيةً مناضداً بهيَّهْ
والخيلَ والبغالَ والعجولا ... والغيدَ شدَّتْ منطقاً جميلا
وناصعَ الحديدِ من ثمَّ انطلقْ ... يلقي لديهم اولاً كلَّ السَّبَقْ (٢)

السباق

فللمجلِّي غادةٌ حسناءُ ... تفاخرتْ بوشيها النِّساءُ
ومعها دسيعةٌ ذاتُ عرى ... قياسها اثنانِ وعشرونَ جرى
وللمصلِّي حِجْرَةٌ ما ذُلِّلتْ ... في عامها السادسِ بغلاً حملتْ
وللمسلِّي مرجلٌ قشيبُ ... ما تحتهُ بعدُ علا اللَّهيبُ
اربعةً يملأ بالمكيالِ ... وشاقلان ذهباً للتَّالي
وصلةُ المرتاحِ كوبٌ مزدوجْ ... من ذهبٍ في النارِ قطُّ لم يلجْ (٣)

---

(١) امامنا الآن بحثٌ جديد ووصف شائق للالعاب التي كانت تقام في المآتم. وقد اشار اليها في ما مر وهو الآن يفصلها ويبوّبها . فشرع في السباق واسهب فيه ولا بدع فقد كان له المقام الاول في جاهلية معظم الاقوام

(٢) السبق جائزة السباق . نرى ان أخيل هو الذي يرأس هذه الحفلة مع ان الزعامة لاغاممنون ولكن الشاعر خص اخيل بتولي هذه المهمة لان المأتم يكاد يكون مأتمه وله خلا ذلك فخر النصر في ذلك اليوم وقتل البطل المغوار هكطور الذي كانت ترتعد لهيبته فرائص الاغريق

(٣) المجلي هو السابق الاول من الخيل والثاني المصلي والثالث المسلي والرابع

وصاحَ يُغري طالبي الرِّهانِ:　　«أتريدُ يا أرغوسُ آلَ الشَّانِ
هذي تَرونَ تُحَفُ الفُرسانِ　　فلو تخاطَرْنا لِميْتٍ ثاني
أحرزْتُ حتماً خَطَرَ الرِّهانِ　　فما جيادي مِن نِتاجٍ فاني
ولا لَها كُفُوٌ بِذا المكانِ　　بها حَبا في غابرِ الزَّمانِ
فُوسِيذُ فيلا فَبِها حَباني　　لِذاكَ لا حاجةَ لِلبُرْهانِ
حتَّى بها هذا العَنا أُعاني　　قَدْ نَدَّ آهِ قابضُ العِنانِ
ذاكَ الذي قد كانَ بالإحْسانِ　　يَغسِلُ بالماءِ بِلا تَواني
أَعْرافَها وأَكْثَرَ الأَحْيانِ　　بالزَّيتِ يَطْليها بِجَهْدِ العاني
فَهْيَ هنا بِدَمْعِها الهَتَّانِ　　قدأَسْبَلَتْ بِفائضِ الأَحْزانِ
فوقَ الثرى نَواصِيَ التِّيجانِ　　فَأَنْتُمُ يا نُخْبَةَ الفِتْيانِ
فَمَنْ يَثِقْ مِنْكُمْ بِهذا الآنِ　　بِعَجَلٍ مُحْكَمَةِ المَباني
وخيلِهِ يَبْرُزْ الى المَيدانِ »

وَما أُنْتَهِي حتَّى اُنْبَرى السُّوَّاقُ　　إِفْمِيلُ أَذْمِيتَ الفَتى السَّبَّاقُ
رَوَّاضُ جُرْدِ الخَيلِ هَبَّ الأَوَّلا　　ثُمَّ ذِيُوميذُ أَخُو البَاسِ تَلا

المرتاح وفي قول التالي وهكذا الى العاشر فان لكل منها اسماً خاصاً به . واما في الاصل اليوناني فقد عبر عن المجلي بالاول ثم بالثاني والثالث والرابع ولم أرهذا التخصيص باسماء خيل السباق في لغة غير لغتنا . وقد جمعها الشيخ ناصيف اليازجي بقوله

أول سابقٍ هو المجلي　　ثم المصلي بعدهُ المسلي
تالٍ ومرتاح عابه يقبلُ　　والعاطف الحظيُّ والمؤملُ
كذلك اللطيم والسكيتُ　　فاحفظ فما أعطيتُ قدأعطيتُ

بخَيلِ طُرْوادَ التي كانَ اغتَنمْ في الحَربِ من أَنْياسَ بالنَّصْلِ الأَصَمْ

لمَّا أَفاوُن وَقى الطُّرْوادي يُنْجيهِ عَن مَواقِفِ الجِلادِ [١]

ثُمَّ ابْنُ أَتراسَ مَنيلا الأَشْقَرُ بفَرَسَيْ رِهانهِ يَبْتَـدِرُ

فُوذَرْغُسٍ حِصانهِ الثَّمينِ وإِيثيا حِجْرِ أَغامَمْنُونَ

تِلكَ التي بمِضْمَدِ العِجالِ تَشْتاقُ خَوضَ شاسِعِ المَجالِ

كانَ ابْنُ أَنخيسَ إِخيفُولُ حبا بها أَغامَمْنُونَ لمَّا انْتُدِبا

لِلْحَربِ تحتَ معْقِلِ الطُّرْوادِ قَبلاً لِيعْفى مِن عَنا الجِهادِ

وفي رُبى سِكْيُونَةٍ قَريرا يَظَلَّ معْتَدًّا غِنىً وَفيرا [٢]

وَأَنْطِلوخُ رابِعاً هَبَّ إِلى جِيادِهِ القُبِّ وَشَدَّ واعْتَلى [٣]

خَيلٌ عِتاقٌ جَمَّةُ الأَعْرافِ من فيلُسٍ كَريمَةُ الأَوصافِ

إِزاءَهُ والِدُهُ الجَليـلُ نَسطُورُ قام نَحْوَهُ يَميلُ

يُرْشِدُهُ ويُحْسِنُ التَّعْليما وإِن يَكُنْ بِنَفْسِهِ حَكيما : [٤]

---

(١) مر بيان ذلك في النشيد الخامس

(٢) هنا اشارة الى عادة كانت متبعة عند اليونان ولهـا امثلة بعدهم في تاريخ الرومان ذلك أنه كان يقضي على كل رجل صحيح البدن ان يزحف في من زحف للحرب واذا بدا له ان يتخلف فعليه ان يقدم بدلاً عنه فرساً أو فارساً أو اكثر وهو ما نعرفه الآن بالبدل العسكري ويؤخذ في بعض البلاد نقوداً • وكان البدل مألوفاً في جاهلية العرب فان ابا لهب بن عبد المطلب لم يحضر غزوة أُحد بل ارسل من ينوب عنه فيها

(٣) الجياد القب الضامرة الرقيقة الخصر وفي الاصل السريعة

(٤) علم القراء مما مر ما لنسطور الحكيم في نفس الشاعر من التجلة

«بُنيَّ قد ودَّكَ زفسُ وارتَضى ... وفُوسِذٌ وثقَّفا مُنذُ الصبا
وعلَّماكَ الجَريَ بالجُردِ فلا ... حاجةَ أن أزيدكَ العِلمَ أنا
نبغتَ في استقبالِ نَصْبٍ يُبتغى ... لكنَّما خيلُكَ يعرُوها البطا [1]
أخشى بها ينالُكَ اليومَ البلا ... وسائرُ الجيادِ أعدى في المدى
لكنَّكَ السَّابقُ في سُبلِ الهُدى ... أقدمُ إذا بحزمٍ ميقادِ الحِجى
ولا تقِفْ بُنيَّ عن نَيلِ الجزا ... فإنَّما الحطَّابُ نالَ المُرتجى

والاعظام فهو دائماً دائب على ان يجعل لهُ في كل مقام مقالاً وفي كل ميدان مجالاً اظهاراً لفوائد فضله واستدراراً لفرائد عقله ونبله فلم يعدم وسيلة ينظمه بها بين فتية الفرسان في ميدان الرهان فانطقه بهذا الخطاب الذي لم يكن يصح لغيره . فأوضح حالة الشيخ الذي اذا ضعفت ذراعه قويت حجته وبهرت حكمته فيسد قوله المسند الى مدخر دربته على توالي الايام مسد بأس ساعده الواهن بتقادم العهد وتتابع الاعوام . ومثل حالة الاب الحريص على تثقيف ولده المشفق عليه من الفشل اكثر من اشفاقه على نفسه من دنو الاجل . فلا تلوح له لائحة خيراو شرالا ونبهه اليها فمال به عنها او اقبل به عليها . حتى تكاد تخال ان البارز الى ميدان السباق هو الاب دون الابن وانه هو الممتطي صهوة المركبة يميل بها يميناً ويسرى ويجاول ويصاول ويسارع ويصارع ويهب ولا هبوب ابنه انطلوخ . ورسم صورة الحكيم الذي يفرغ قصارى جهده بافاضة روح حكمته على ولده من بعده فيعلمهم ان الرأي قبل شجاعة الشجعان والفوز للعقل والجنان دون اليد والبنان . خطة يختطها لهم بحياته يود ان يسيروا عليها بعد مماته . وهو غرس سيرينا الشاعر ثمره عما قليل فان جوادي انطلوخ وان لم يكونا من خيار الجياد فقد برزا بالطراد وفازا بالسبق فكانما السابق حكمة نسطور دون همة انطلوخ وفرسيه

تلك هي الحيلة التي تذرع بها الشاعر لخرط نسطور بين هاته الفتية وما اجملها حيلة

(١) النصب العلم المنصوب في منتهى الميدان

بالحذق والصنعة ليس بالقوى كذلك الربان بالحذق سرى
بفلكه في البحر في وجه الهوى والفارس الفارس بالحذق رمى
فمن يثق بخيله ضل وما تراه للسبيل في الجري اهتدى
وراح في البراح يجري وغدا لا يستطيع كبحها ولو بغى
لكنما الحاذق حتى لو على خيل تراءت دون سباق السرى
فالنصب نصب عينه دوماً يرى حتى لديه ينثني إلى الورا
لا يغفل العنان كيفما انثنى يديره بثبت كف وكذا
يرقب من أمامه قسراً غدا وها أنا أريك حد المنتهى
فالنصب هاك ليس في طي الخفا باعا عن الحضيض فانظره نتا
جذع ولم يعبث به دهر خلا من شامخ الداول أو أرز الفلا
يعضده صخران أبيضا الصفا حيث طريق السهل ضاق وانزوى
وحوله المضمار بالعدل استوى لعله قبر به قيل ثوى
أو علماً كان قديماً مثلما قدرامه الخيل ذا اليوم لنا
فإن تدنيت فسط وانخز الى يسراك في الكرسي وصح صوتاً دوى
والفرس اليمين سق فإن جرى أطلق عنانه بذياك الفضا
وباليسار مل إلى النصب هنا حتى تخال القطب والنصب سوى[1]
وحاذر الصدمة بالصخر إذا دنوت كيلا يعتري الخيل الأذى

---

(١) المراد بالقطب دولاب المركبة

أَو يُسْحَقُ النَّيرُ فيَشمَتُ العِدى وأَنتَ بينَ القَومِ يَغشاكَ الحَيا
بُنيَّ كُنْ ثَبْتاً فإِنْ نِلتَ المُنى وجزْتَهُ ولم يُضَعضِعْكَ العَيا
لا سائقٌ جارَكَ حتَّى لو عدا وراكَ أَرْيُونُ الجَوادُ المُجتَبى
جَوادُ أَدْرَستَ ومِنْ نَسْلِ العُلى أَو خيلُ لَوْمِذُوْنَ التي حوى
بهذهِ الأَصقاعِ تَنهَبُ الثَّرى »

كذاكَ نَسْطُورُ ابنهُ مُذْ أَرْشَدا عادَ إِلى مَجلِسِهِ وقعَدا
وَهَبَّ خامساً الى السِّباقِ مِرْيُونُ في جيادِهِ العِتاقِ
ثُمَّ اعتَلَوا وطَرَحُوا الأَزلاما يُجِيلُها أَخيلُ استِقساما
فَسَهمُ أَنطِيلُوخَ أَوَّلاً ظَهَرْ فَسَهمُ إِفْمِيلَ فأَتْرِيذَ الأَغرْ
وبَعدَهُ مِرْيُونُ والأَخيرُ أَبسلُهُمْ ذِيُومِذُ الشَّهيرُ
فانتَظَمُوا صفّاً وآخيلُ اعترَضْ يُريهِمُ في السَّهلِ بارزَ الغَرَضْ(١)
وأَنفَذَ المُحَنَّكَ النَّبيلا فِينِكْسَ روّاضَ خُيُولِ فِيلا
لِيَرقُبَ الفُرسانَ في المِضْمارِ ويَنثَني بصادِقِ الأَخبارِ
فرَفَعُوا سِياطَهُمْ وحَثْحَثُوا جيادَهُمْ طُرًّا مَعاً وانبَعَثُوا

---

(١) قوله انتظموا صفاً فيه نظر • ذهب الاقدمون من رواة هوميروس الى ان المتسابقين وقفوا صفاً يتقدم فيه احدهم على الآخر والا لما كانت بهم حاجة الى الاستقسام لو كانت مواقف الجميع متساوية • وقالت مدام داسيه بل وقفوا صفاً متساوياً اجتناباً لجنب والفائدة من الوقوف أولاً ان للمتقدم مزية في قصر المسافة اذ ان المضمار كان على شبه دائرة وكلما بعد الراكب عن قطبها كان شوطه في الجري أبعد

فانْدفعت تضربُ في السهُول نائيةً عن موقفِ الأسطُولِ
تحتَ الصدُور ثائرُ الغُبارِ كالغيمِ أو عجاجةِ الإعصارِ
أعرافُها تَطيرُ في الهواءِ وخلفها العجالُ كالأنواءِ
حيناً تُرى بالأرضِ رامحاتِ وتارةً في الجوّ سابحاتِ
وراءها الفرسانُ فوقَ السُّدَدِ تخفقُ قلباً لبلُوغ الامدِ
صاحوا فراحتْ بهم تُغيرُ بعثيرٍ فوقهمُ يطيرُ
وعندما انتهتْ وعادتْ تجري منقلباتٍ نحوَ ثغرِ البحرِ
هُناكَ ثارتْ همّةُ الفتيانِ فأطلقوا أزمةَ العنانِ
فبرزتْ خيلُ ابنِ فيريسَ ولمْ تكدْ فإثرها ذيوميذُ هجم (١)
بجُردِ طِرْوادَ فرقّتْ عقبَهْ كأنّها راقيةٌ للمركبَهْ
تنفخُ في عاتقِ إفميلَ النفَسْ حرّاً كأنّهُ بظهرهِ قبسْ
طارت وهامها على هامتهِ ألقتْ تُباريهِ على غارتهِ
حتّى بها أوشكَ أن يجتازا ذيومذٌ أو مثلهُ يمتازا
لكنّ فيبوساً بسُخطهِ سطا والسوطَ من يديهِ حالاً أسقطا (٢)
فخيلهُ ونتْ وتلكَ انطلقتْ وملءَ عينيهِ الدمُوعُ اندفقتْ
ولمْ تفُتْ فالاسَ تلكَ الحيلَهْ فابتدرتْ تدرأُ شرَّ الغيلَهْ

---

(١) ابن فيريس افميل

(٢) لا يبرح من الذهن ان افلون لا يزال ساخطاً على ذيوميذ لوقوفه في

أَعادَتِ السَّوطَ لهُ وجدَّدَتْ   عَزماً بِهِ جِيادُهُ تَشدَّدَتْ (١)
ثُمَّ أُنْبِرَتْ حانِقةً وسَحقَتْ   مِضْمَدَ إِفْمِيلَ وَعَنْهُ انْطَلقَتْ
فَسقَطَ المِضْمَدُ والخَيلُ جرَتْ   جامحةً وَفي البَراحِ نفرَتْ
ونَفْسُ إِفْمِيلَ على التُّرابِ   أَهوى مِنَ الكُرسِيّ للدُّولابِ
يَسيلُ مِن فيهِ ومِنْخرَيهِ   نجيعُهُ كَذاكَ مِنْ يَدَيهِ
وانْفضَخَتْ جَبهَتُهُ حِينَ وَقعْ   وفاضَتِ العَبْرَةُ والصَّوتُ انْقطَعْ
ومِنْ أمامِهِ ذِيُوميذُ انْدفَقْ   وسائرَ الخَيلِ مُبرّزًا سَبَقْ
تُفْرِغُ آثِينا القُوَى بالجُرْدِ   حتَّى تُنيلَهُ أَعالي المَجْـدِ
تَلا مَنِيلا فَفتَى نَسطُورا   مُطَهَّمَيْهِ سائقاً مُغِـيرا
يَصيحُ: «هلاَّ تفْرغانِ كلَّما   عَدوًا لِمثْلِ الحِينِ ذا أُعْطِيتُما
سَبقَ ذِيُوميذَ نَعمْ لَنْ أَزْعَما   فَفرَساهُ اليومَ طارَتْ بِهِما
فالاسُ تعْلي مجدَهُ لكِنَّما   وراءَ اتْرِيذَ اسْتَفِزَّا الهِمَما
فَأَدْرِكاهُ أَفلا أُخْجِلْتُما   وإِيثِيا حِجْرٌ جرَتْ دُونَكُما (٢)

وجهه في النشيد الخامس

(١) اي انه اوقف الجياد وتناول السوط من على الارض . وانما وسط الشاعر فالاس الاهة الحكمة ليصح سبق ذيوميذ لافيل في ما يلي

(٢) يقول عرب باديتنا «راعي الفرس سابق وراعي الحصان مسبوق» يريدون بذلك ان الحصان وان كان أحياناً أعدى من الحجر فانه يجد في جريه حتى يبلغها فاذا ادركها بقي وراءها ولم يتعدها ولهذا يؤثرون في الغزو والسباق اناث الخيل على ذكورها

شأنكما السَّبقُ فلمْ أبطأْتما ... لأُقسمنَّ وأبرَّنْ قسما
عَنْ سابقاتِ الخيلِ إنْ قصَّرْتُما ... وغيرَ أطرافِ الجزا لمْ تغنما
لا خِلتُما نسطورَ يُغنى بكما ... بلْ بظُبى أنصلِهِ أُهلِكتُما
إيهِ إذاً فانبعثا وعندما ... نبلغُ ذيَّاكَ المضيقَ المُظلما
نُعمِلُ فيهِ حيلةً فنقتحما ... لمَّا أضلَّهُ السَّبيلَ الأقوما»(١)
فجزعا لِهَولِ ذاكَ الزَّجرِ ... واندفعا حيناً ببطنِ البرِّ
فأنطلوخُ أبصرَ المضيقا ... حيثُ السيولُ هدَّتِ الطَّريقا
وانحدرتْ جوارفُ الأمطارِ ... بهُوَّةٍ تُنذِرُ بالأخطارِ

ويستدل من كلام انطيلوخ هنا ان الامركان بعكس ذلك عنداليونان اذ انه يعيب على جواديه سبق حجر منيلاوس وهي انثى

(١) لقد انكر بعض الشراح على هوميروس انطاق انطيلوخ جياده بهذا الخطاب . وما هذا الانكارالاالجهل هؤلاء المنكرين مزايا الذوقالشعري . والذي يخاطب الاطلال والآثار هو أولى بمخاطبة الجياد في حلبة المضمار . واليك مثالاً من الحريري يخاطب به أبو زيد السروجي مطيته بنفس خطاب انطيلوخ ونفَسه فيحث حثه ويقسم قسمه قال :

سروجُ يا ناقُ فسيري وخدي ... وأدلجي وأوِّبي واسئدي
حتى تطا خفّاك مرعاها الندي ... فتنعمي حينئذٍ وتسعدي
وتأمني ان تهمي وتنجدي ... ايه فدتك النوق جدي واجهدي
وافري اديم فدفد ففدفدِ ... واقتني بالنشح عند الموردِ
ولا تحطي دون ذاك المقصدِ ... فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمدِ ... انك ان أحللتني في بلدي
حللت مني بمحل الولدِ

بنفسهِ من ثَمَّ أترِيذُ انحدرْ منفرداً يخشى لقا الخيلِ الأُخرْ
فأنطلوخُ من على الكرسي انحرفْ وغادرَ المنهجَ يبغيهِ وخفْ
فصاحَ أترِيذُ بملءِ الجزَعِ : « أأنطلوخُ لِمْ أراكَ لاتعي
جيادكَ اكبحْ للطريقِ الأوسعِ فسوفَ تجتازُ بذاكَ المهيعِ (١)
فإنْ تزاحمني كلانا نقعِ »
فلمْ يصخْ وساطَ ثمَّ اندفعا بخيلهِ كأنَّهُ ما سمعا
فاجتازَ مرمى كرةٍ قد قذفا بها فتى بأسٍ عليها أُتلفا
فارتدعتْ خيلُ منيلا القهقرى ولمْ يسقْ خشيةَ خطبٍ اكبرا
خشيةَ أنْ تصطدمَ العجالُ فتسقطَ العجالُ والرجالُ
وهكذا في طلبِ الفخارِ تعفَّرُ الأوجهُ بالغبارِ
وصاحَ أترِيذُ بغلِّ الكدرِ : « أأنطلوخُ بينَ كلِّ البشرِ
ما قطُّ حاكاكَ شقيٌّ مفترِي ندَّ عنِ الإغريقِ صدقُ الخبرِ
وهمْ يخالونكَ بالعقلِ حري فلنْ تفوزنَّ مهٍ بالظفرِ
أو تقسمِ الآنَ أمامَ الزمرِ »
وفرسيهِ ساطَ ثمَّ صاحَ : « لا يورثكما الغمُّ حذارِ المللا
دونكما مذكيانِ أثقلا سناً وسوفَ يجهدانِ عجلا » (٢)
فجزعا لصوتهِ وثارا وأنطلوخَ أدركا تكرارا

---

(١) المهيع الطريق المتسع
(٢) المذكي الفرس المسن

وظَلَّتِ الصِّيدُ بتلكَ الحَلقَهْ — تَرقُبُ تِلكَ الضُّمَّرَ المُنْدَفِقَهْ
تَنْهَبُ قَلبَ السَّهلِ والعَجاجُ — لِلْجَوِّ منْ وَقْعِ الخُطَى وهَّاجُ
وكانَ عَنْهُمْ لِليَفاعِ ٱنْعَطَفا — قَيْلُ إكْرِيتَ وَمِنهُ أَشْرَفا
فَأَبْصَرَ الخَيلَ وَهمْ لم يُبْصِرُوا — وسَمِعَ الصَّوتَ الذي يَزْدَجِرُ
فَعَرَفَ الفارسَ عَن بُعدِ الأَمَدْ — والأَشْقَرَ السابِقَ في تِلكَ الجُدَدْ
في وَجْهِهِ الغُرَّةُ لاحتْ كالقمرْ — فقامَ ثمَّ صاحَ يَصْدُقُ الخَبَرْ :
« ياصَحْبِ ياعِصابةَ الأَقْيالِ — أَلَكُمُ بَدا الذي بَدا لي
أَرى جِيادًا بَرَزَتْ حِيالي — وفارِساً غيرَ الذي في البالِ
فَالسَّابِقاتُ أَصْبَحتْ تَوالي — لاشَكَّ أَلْفَتْ قَدَرًا ذا بالِ
رَأَيْتُها والنَّصْبُ بادٍ عالِ — جازَتْهُ والآنَ بِلا ٱنْفِصالِ
أُسَرِّحُ الطَّرْفَ على الأَطْلالِ — كأَنَّني أَسْعَى الى المُحالِ
لاشَكَّ عِندَ العَودِ والإِقْبالِ — طارَ العِنانُ مِن يَدِ الخَيَّالِ
أَو جَمَحَتْ فيهِ ولَمْ تُبالِ — وقَضَّتِ النِّيرَ وبالإِجْفالِ
وَلَّتْ فَأَلْقَتْهُ على الرِّمالِ — قُومُوا ٱجْتَلُوا حَقائِقَ الأَحْوالِ
فَلَمْ أَكُنْ ظَنِّيَ بِالمُغالي — وخِلْتُني أُبْصِرُ في الأَوالي
قَيلَ الإِتُولِ الشَّائِعَ الأَفْضالِ — رَوَّاضَ مَتْنِ الجُرْدِ ذا الأَهوالِ

ذِيُومذَ القَرْمَ أَخا المَعالي »

هُنا ٱبْنُ وِيلُوسَ لهُ تَصَدَّى — وصاحَ فيهِ حانِقاً مُحْتَدَّا :

«أَإِيذُمِينُ لَمْ تَكُنْ بالمُنصِفِ هَرَفْتَ أُلْفِيكَ بما لَمْ تَعْرِفِ
فتِلكَ تلكَ الخيلُ شُمُّ المعطفِ تَنْتَهِبُ السهلَ وما الأَمْرُ خفي
ما كُنتَ بالغضِّ الشَّبابِ التَّرِفِ بلْ شابَ أَنظارَكَ عيبُ الضَعَفِ
والهَذرَ عُوِّدتَ بقولِ المُرجِفِ أَفُقْتَ أَهْلَ الحُكْمِ في ذا المَوْقِفِ
حتَّى تَشَدَّقْتَ بهذا الصَّلَفِ فَخَيلُ إِفميلَ نَعَمْ لَمْ تَختفِ
بلْ لَمْ تَزَلْ في الصَّدْرِ لَمْ تَنْحَرِفِ يُديرُ صِرعَها بلا تَكَلُّفِ»
فقالَ إِيذُومِينُ يَصْلَى حَنَقا: «أَيَاسُ تَسْمُو قِحَةً وحُمُقا
ومَنْطِقاً بِكُلِّ خُبْثٍ ذَلِقا وفي سوى ذاكَ عَجِزْتَ مُطْلَقا
فَقُمْ وخاطِرْني فأَيٌّ صدَقا يُحْرِزُ قِدْرًا أَو إِناءً نُمِّقا
حتَّى إِذا أَتْرِيذُ عدلاً نطقا هُناكَ تَدْري خاسرًا ومُنْفِقا
أَيَّ جوادٍ في الرِّهانِ سَبَقا»
فَهَبَّ آياسُ على الأَقْدامِ يَثُورُ لِلْجَوابِ باحْتِدامِ
وكادَتِ الفِتْنَةُ تَذْكُو ضَرَما لٰكِنَّ آخيلَ تَصَدَّى لَهُما
فقالَ: «إِيذُومينُ آياسُ كفى لا كانَ مِنْ مِثْلِكُما هذا الجَفا
سِواكُما لَوْ حَلَّ هذا المَوْقِفا عَنَّفْتُماهُ فاجْلِسا وانْعَطِفا
أَقْبَلَتِ الخيلُ انْظُراها تَعْرِفا سابِقَها مِنَ الذي تَخَلَّفا» (١)

---

(١) هذا مشهد آخر من مشاهد السباق لا بد منه في كل مضمار فقد أبان الشاعر فيه حالة الواقف موقف الشاهد اذ لا بد له من ان يتمنى الغلبة لفريق دون آخر اما لضلع له

ثُمَّ ذِيُوميذُ هُناكَ لاحا مُنْتَهِباً بِخَيْلِهِ البِطاحا
تَسْبَحُ في الهواءِ والسَّوطُ على أَكْتافِها والنَّقْعُ لِلْجَوِّ عَلا
وَراءَها مَرْكَبَةُ المَغارِ تَسْطَعُ بِالنُّحاسِ والنُّضارِ
طارَتْ فأَضحى أَثَرُ الدُّولابِ يُوشِكُ أَن يَخْفى على التُّرابِ
حَتَّى إِذا بَيْنَهُمُ حَلَّ انْتَصَبْ ثُمَّ عَنِ الكُرْسِيِّ للأَرْضِ وَثَبْ
وَمِن صُدُورِها الى الأَرضِ انْدَفَقْ كَذاكَ مِنْ أَعْرافِها رَشْحُ العَرَقْ
والسَّوطَ لِلْمِضْمَدِ أَلقى وابْتَدَرْ مِنْ فَوْرِهِ إِسْتِينِلُ الى الخَطَرْ
فالبِكْرَ والدَّسِيعَةَ المُكْتَسَبَهْ أَلقى لِصَحْبِهِ وحَلَّ المَرْكَبَهْ (١)
إِذا بِأَنْطِلُوخَ لِلْقَومِ بَدا قَبْلَ مَنِيلا خُدْعَةً لا مَطْرَدا
لٰكِنَّهُ ما نَدَّ عَنْهُ وسَبَقْ إِلّا كَما الجَوادُ بالنِّيرِ الْتَصَقْ
(إِذا لَدى مَرْكَبَةِ القَيْلِ انْدَفَعْ وذَيْلُهُ حَوْلَ المَحالاتِ ارْتَفَعْ) (٢)

معه او لغرض آخر او لميل تدفعه اليه نفسه وهو لايعلم مصدرهُ • فلا غرابة اذاً في مثل هذه الاحوال ان تتباين الاميال فيحصل الجدال وقد يشتد فيعقبه القتال وهذا ما اراد الشاعر اثباته • ولكنه جعله سليم العقبى بوساطة اخيل • ولو كان بين عبس وفزارة حكَم كاخيل لما ثارت بينهم الحرب على اثر سباق داحس والغبراء

(١) استينيل رفيق ذيوميذ وحوذيه والخطر جائزة الرهان • أي ان ذيوميذ وصل الأول ولم يكن له معارض فبادر رفيقه الى استلام الخطر المعد للمجلي وهو الغادة البكر والدسيعة

(٢) أي ان انطلوخ كان بمزاحمته منيلاوس قد ابتعد عنه مسافة مرمى كرة (أو قرص) أي سبقه شوطاً غير يسير ولكن منيلاوس جد وراءه فادركه ولصق

قد كانَ مرمى كُرَةٍ عنهُ ابتعدْ لـكن مضى بإيثيا يجري وجدْ
ولو مجالُهمْ يسيرًا طالا لأحرزَ السَّبقَ وفخرًا نالا
ثمَّ على مرمى مثقَّفٍ أتى حوذيُّ إيذومينَ مريونُ الفتى
فليسَ ذا سلاهبٍ كرامِ وليسَ بالمضمارِ ذا إلمامِ
وآخرَ الحلبةِ مقطوعَ الصلَهْ لاحَ ابنُ أذميتَ يجرُّ العجلَهْ
وخيلَهُ يسوقُ في محنتهِ فرقَّ آخيلُ لدى رؤيتهِ
وصاحَ ناهضاً: «أرى الجديرا بالسَّبقِ أضحى هاهنا الأخيرا
فلا نُضِعْ إقدامهُ المبرورا ذلكَ نالَ الخطرَ الخطيرا (١)
فلنجعلِ الثانيَ ذا الأميرا » (٢)
فاستصوبوا وكادَ يعطي الحجرا لو لم يعارضْ أنطلوخُ جهرا
وصاحَ: « يا أخيلُ إنِّي أنقمُ منكَ اذا اعتديتَ فيما تحكمُ
تحرمُني حقِّي وانتَ تزعمُ إفميلُ فيهِ الخيلُ وهوَ الأيهمُ
قدأصبحتْ عنِ السباقِ تحجمُ فلو سراةَ الخُلدِ عوناً منهمُ
رامَ لما كانَ أخيرًا يقدمُ فإنْ بهِ تُعنى وأنتَ الأكرمُ

به كما يلصق الجواد بعضد المركبة ويرتفع ذيله فوق دواليها

(١) قوله ذلك اي ذيوميذ

(٢) لقد راعى اخيل بقوله هذا جانب الوجدان والرفق دون الحظ والعرف لان افيل وهو من اشهر فرسانهم كانت خيله اجود خيلهم جميعاً • وكان السابق في الشوط الاول وانما تأخر عرضاً لحادث طرأ له

فَفِي خِيامِكَ المَنالُ الأَقْوَمُ مِن ذَهَبٍ ومِن نُحَاسٍ يُرْكَمُ
والغِيدُ والخَيلُ بها والنَّعَمُ أَما لهُ إِنْ شِئْتَ فيها مَغْنَمُ
مِن صِلَتِي أَوفَى نِعَمْ وأَعظَمُ عاجِلُهُ بالبِرِّ إِذًا فَتَعْلَمُ
كُلُّ السُّرى أَنَّكَ أَنتَ المُنْعِمُ لٰكِنَّنِي في مَغْنَمِي لا أُرْغَمُ
ومَن يُعارِضْنِي بِهِ فالحَكَمُ ما بَيْنَنا الصُّمُّ بها نَسْتَعْصِمُ »
فَهَشَّ آخِيلُ لَهُ مُنْتَصِبا إِذْ كانَ إِلْفَ وُدِّهِ مُنْذُ الصِّبا
وقالَ: « مُذْ قَدْ رُمْتَ أَنْ أُنِيلا مِنْ مَنْزِلِي جائِزَةً إِفْمِيلا
فالآنَ يُعْطَى الجَوْشَنَ الثَّقِيلا جَوْشَنَ عَسْطَرُوفٍ الصَّقِيلا (١)
ذاكَ الذي طَرَحْتُهُ قَتِيلا حَلَقُهُ صُفْرٌ زَها جَمِيلا
وَهْوَ جَزاءٌ خِلْتُهُ جَلِيلا »
ثُمَّ الى أَفْطُومِذٍ أَشارا فَهَبَّ مِن ساعَتِهِ وسارا
وأَحْضَرَ الدِّرْعَ وإِفْمِيلُ حَبا بِها فَفاضَ جَذَلاً وطَرَبا
لٰكِنْ مَنِيلا قامَ وارِيَ اللَّهَبْ على أُبْنِ نَسْطُورَ وبادِيَ الغَضَبْ
مِن كَفِّ فَيْجٍ صَوْلَجاناً قَبَضا يَأْمُرُ بالصَّمْتِ السُّرى مُذْ نَهَضا (٢)
وَصاحَ: « أَنْطِلُوخُ يا ذا العَقْلِ لِمَ اجْتَرَحْتَ اليَوْمَ شَرَّ الفِعْلِ

(١) الجوشن الدرع فارسية معربة بلفظها
(٢) كانوا اذا اراد احدهم ان يخطب فيهم قبض على صولج واشار به فيصمتوا والغالب ان يتكلموا وبايديهم صوالج الفيوج (وهم الرسل والمنادون) وقد مرت امثال ذلك (راجع ن ٢ : ٢٥٧ و ٢٦٢)

وسِمْتَ شأني الخذْلَ شرَّ الخذْلِ أحرَجْتَ خيلي وبخيلٍ خطْلِ
جُزْتَ سَراحيبي الكرامَ الأَصلِ فيا سَراةَ القوم آلَ الفضلِ
هيُّوا أفصلُوا ما بيننا بالعدْلِ كي لا يُقالَ بعدَ هذا الفصلِ:
« غدرًا منيلا قد غدا يستعْلي وأحرزَ الحِجرَ بفضلِ النُّبْلِ
«والبأسِ لا بالجرْيِ فوقَ السهْلِ» وها كُمُ حكمي بذا المحلِّ [1]
ولا إخالني رهينَ العذْلِ إذْ إنَّني بالحقِّ حكمي أُملي
قُمْ أَنطلوخُ وفقَ عُرْفِ الأهْلِ وقِفْ هُنا قُرْبَ الجيادِ مثْلي
والسَّوطَ ذا السَّوطَ الذي من قبلِ سقْتَ بهِ اقبضْ بيدٍ وخلِّ
يدًا على الخيلِ أمامَ الكُلِّ واحلفْ بهدَّامِ الورى الاجلِّ
أنَّكَ لمْ تغدِرْ ولمْ تحتَلْ لي »

فقالَ: « صبرًا يا منيلا صبرا جاوزتني سِناً وفُقْتَ قدْرا
فنزقُ الشَّبابِ تدري خبرا يدفعُ فورًا ويُضلُّ الفكرا
جهْلُ الصبا هذا وأنتَ أدرى فالطيشُ فيهِ عِلَّةٌ لا تبرا
أنتَ إذًا بالعفوِ كُنتَ الأحرى فدونكَ الحجرَ فخذْها جهرا
وإنْ تشأْ زدتُ صلاتٍ أُخرى فذاكَ خيرٌ لي يا ابنَ أترا
مِنْ أنْ تسومَني قِلىً وهجرا وعندَ آلِ الخُلْدِ أجني وِزْرا» [2]

---

(١) يقول اذا حكمتم لي فاحكموا لي بالعدل ولا تحرفوا معي فتنيلوني الجزاء لعلمكم اني اشد بأساً من انطيلوخ او ارفع قدراً منه فنحن في حلبة رهان فيجب ان نحسب متساويين

(٢) يمثل لنا الشاعر انطيلوخ بن نسطور الحكيم فتى طابت فطرته وأحسنت

وَقادَها بِيَدِهِ يُلْقِيها إِلَيْهِ فَاعْتَزَّ بِها بَدِيها
ومِثْلَما السُّنْبُلُ (والطَّلُّ فَرَشْ حُبابَهُ في مائِدِ الزَّرْعِ) انْتَعَشْ[1]
كَذاكَ يا أَتْرِيذُ لُبُّكَ انْشَرَحْ وَغُلَّةُ الغَمِّ عَلى الفَوْرِ اطَّرَحْ
وقالَ: «أَنْطِلُوخُ عِفْتُ الغَضَبا والآنَ لِيَ الإِذْعانُ والغَيْظُ خَبا
قَدْ كُنْتَ دَوْماً ذا حِجىً مُهَذَّبا لٰكِنَّما بالعَقْلِ قَدْ عاثَ الصِّبا
لا تَخْدَعَنَّ بَعْدُ قَيْلاً أَنْجَبا مِنْكَ فَلا سِواكَ فَوْراً أَذْهَبا
عَلَيَّ وَقَدْ شاهَدْتُ فِيما ذَهَبا كَمْ نَصَباً عانَيْتُمُ وَنَصَبا
أَنْتَ وَثْرَسِيمِيذُ ذاكَ المُجْتَبى والشَّيْخُ نَسْطُورُ وَكُنْتُ السَّبَبا[2]
عُذْرُكَ قَدْ قَبِلْتُهُ مُسْتَصْوِبا والحِجْرُ لِي خُذْها حَلالاً طَيِّبا
لِيَشْهَدَ الإِغْرِيقُ فِي هٰذِي الرُّبى أَنَّ جَنانِيَ العَسْفَ والكِبْرَ أَبى»
ثُمَّ إِلى رَفِيقِهِ نُومُونا أَلْقى بِها فَاقْتادَها مَأْمُونا
لِذاكَ بالمِرْجَلِ أَتْرِيذُ ذَهَبْ وَخُصَّ مِرْيُونُ بِشاقِلَي ذَهَبْ
إِذْ كانَ تالِياً أَتى عَلى أَمَدْ وَصِلَةَ المِرْتاحِ لَمْ يَنَلْ أَحَدْ[3]

تربيته ولكن نزق الصبا وحب الفخار يدفعانه الى الاسترسال في الغلواء على انه لايكاد ينبّه الى خطأه حتى يرعوي بكرم عنصره ويرى ان تلافي الوصمة اقرب الى العصمة وان الاقرار خيراً من الاصرار وأبقى

(١) اي ان منيلاوس انتعش انتعاش السنبل اذا فرش الطل حبابه على سنبله القائم في الزرع المائد

(٢) يريد ان يقول اعرف لكم صنيعكم بجهادكم معي في هذه الحرب التي اضطرمت بسببي على هيلانة

(٣) لم ينل احد صلة المرتاح وهو الرابع لان جياد افميل اتت رابعة وحكم

لِذاكَ بالكوبِ أخيلُ راحا　　يُهْدي الى نَسطورَ ثُمَّ صاحا :
« خُذْ أيها الشيخُ فهذا الذُخْرُ لكْ　　ذِكراً لفطرُقلَ الذي آهِ هلكْ
ولن تراهُ بعدُ في هذي الدَّرَكْ　　إليكَ قد أهديتُهُ إذ أثقلكْ
عجزٌ فلنْ تكونَ ممَّن اشتركْ　　لا بلكامٍ أو صراعٍ أو سَلَكْ
في العَدْوِ والطعنِ بهذا المُعترَكْ » (١)
والكوبَ ألقاهُ لهُ فطابا　　نفساً ومِنْ ساعتِهِ أجابا :
« بُنيَّ قد نطقتَ بالحقِّ نعمْ　　قد وهتِ الكفُّ وخارتِ القَدَمْ
آهِ فيا ليتَ شبابي ما انصرمْ　　ودامَ لي إقدامُ غابرِ القِدَمْ

له اخيل بالسبق كما رايت ثم حباه بصلة من عنده فبقي الكوب المعد للرابع بلا صاحب ولم يكن اجدر به من نسطور فاهداه اخيل اليه وان لم يكن له دخل في الدابهم وهي مراعاة لا اوقع منها في محلها

(١) هذا سباق اليونان لايكاد يختلف عن سباق العرب بشيء من كلياته الا ان هذا على صهوات الخيل وذاك على سدد العجال . والسباقان في ما سوى ذلك متشابهان فالحلبة والخطر والمضمار والخدع والشهود كلها تتشابه في الفريقين حتى لقد يتشابه ما يحتاله المتخاطرون لاحراز قصب السبق على غير السبيل المشروع فان انطيلوخ احتال بما رأيت على منيلاوس . وقد حصل ما يشبه ذلك في سباق داحس والغبراء اذ عقد قرواش بن هانىء العبسي وحمل بن بدر الفزاري رهناً على سباق هذين الفرسين وكان احدهما لقيس بن زهير العبسي والآخر لحذيفة بن بدر الفزاري ثم ارسلوهما في المضمار . وكان حمل الفزاري قد أقام كميناً في الطريق حتى اذا سبق داحس ينفره لتسبق الغبراء . فكان كذلك ووقع الخلاف بين الحيين فنشبت على اثره حرب قتل فيها خلق كثير في حديث طويل ليس هذا موضعه . وهم يتشابهون ايضاً بارسال الخيل وحثها ومخاطبتها وتسميتها باسمائها الى غير ذلك مما يكاد يستوي به اكثر الناس مهما تباعدوا

لَمَّا الإِفيُّونَ بِبُفْراسِ النَّعَمْ ... سَعَوا الى دَفْنِ عَمارِنْقا الحَكَمْ
وَوُلْدُهُ قد أَجزلوا والحَشْدُ تَمْ ... جوائزَ الأَلعابِ حتَّى تُقْتَسَمْ
فلم يَكُنْ في كُلِّ هاتيكَ الأُمَمْ ... منهُمْ ومن فيلوسَ أَرْبابِ الشِّيَمْ
كذا منَ الإِيتُولِ مَنْ مَعي انتظمْ ... فإِقْلُطُومِيذُ بْنُ إِينُفْسَ اصْطَدَمْ
مَعي لِكاماً فانْثَنى واري الأَلَمْ ... ثُمَّ الفُلُوْرُونِيُّ أَنْقاصُ هَجَمْ
نَحْوي صِراعاً فانْثَنى بادي النَّدَمْ ... ثُمَّ إِفِكْلُوسُ الفَتى مَنِ اتَّسَمْ
بِعَدْوِهِ قَصَّرَ عَنِّي وَاعْتَصَمْ ... ثُمَّ بِزَجِّ الرُّمْحِ فِيلاسَ الأَشَمْ
وفُولِذُوراً جُزْتُ مَاثُورَ العِظَمْ ... لٰكِنَّني بِسَبْقِ العِجالِ لَمْ
أَفُزْ وإِنْ كانَ لَهُ القَدْرُ الأَهَمْ ... فَوَلَدا أَكْتُورَ أَدْرَكا العَلَمْ
قَبْلِيَ يَغْنَمانِ خَيْرَ مُغْتَنَمْ ... والفَوزُ لِلْكَثْرَةِ بالفَضْلِ حَكَمْ
والتَّوْأَمانِ انْبَرَيا فَذا اقْتَحَمْ ... بِسَوْطِهِ وذا الأَزِمَّةَ اسْتَلَمْ (١)

(١) هذا نسطور كجاري عادته بل كجاري عادة الشيوخ يذكّر القوم ويفاخرهم بماضيه حيث لا يسعه ان يتفوق عليهم بحاضره • اشار بحديثه الى خطار سابق كان الراجح في كل ابوابه ما خلا السباق واعتذر عن ذلك بغلبة الكثرة على القلة وفي هذا القول ابهام لا يتضح للقارىء الا اذا رجع الى اصل هذه الحكاية في اساطيرهم • قالوا ان مخاطر نسطور في ذلك الرهان كان فتى بل فتيان لاصق احدهما بالآخر منذ خلقا فلما برزا لسباق نسطور طلب ان يبرز معه فارس فذٌّ مثله فالفارس له يدان ولهذين التوأمين اربع ايدٍ فلهما مزية على الفارس الفرد فلم يعبأ القوم باعتراض نسطور فجرى معهما وقصر وهذا تفسير قوله

• • • • • • ... والفوز للكثرة بالفضل حكم
والتوأمان انبريا فذا اقتحم ... بسوطه وذا الأزمة استلم

ذٰلكَ شاني كانَ منْ قبلِ الهرَمْ والآنَ للفتيانِ إبرازُ الهِمَمْ
أَتِمْ إِذَا مَا تمّ إلفكَ الأَحَمْ وَها أَنا أَقبلُ بالبشرِ الأَتَمْ
ذُخرَكَ إِذ أكرمتَ يانعِمَ الكرَمْ حرمةَ شيخٍ كانَ منْ أهلِ الحرَمْ
فلتجزِكَ الأَربابُ موفورَ النِعَمْ »

الملاكمة

فبعدَ أَنْ اصغى إلى نسطُورا أَخيلُ راحَ يخرُقُ الجمهُورا
مُستحضِراً جائزةَ اللِّكامِ بغلاً عتا في سادسِ الأَعوامِ
ماريضَ بلْ يُوشكُ أَنْ لا يقرَبا وقدَحاً لمنْ عِياناً غلبا (١)
وصاحَ: «أيُّ اثنينِ فاقا الجُندا وفي أساليبِ اللِّكامِ اشتدّا
فليبرُزا فذا الجزا أُعِدّا فمَنْ بنصرٍ فيبسٍ أُمِدّا
وشَهِدَ الجمعُ لهُ فيُهدى إليهِ ذا البغلُ القويُّ جِدّا
والكأسُ للمغلوبِ حقّاً يُسدى »

فقامَ قرمٌ باسلٌ كبيرُ إِفيُوسُ فانُوفَ الفتى الخبيرُ
أَلقى على البغلِ يداً وقالا : «يامنْ يرُومُ القدَحَ ابرُزْ حالا

قال الراعي : فلست بالاكثر منهم حصىً وانما العـزة للكاثرِ

(١) ترى ان الجوائز في جميع الالعاب كانت توزع على الغالب والمغلوب حتى اذا احرز الظافر فخر الغلبة وعاد بصلة نفيسة لايحرم المغلوب صلة دونها تجبر كسرهُ وتثبت انه من ذوي الخطارة لانه لايتبارى الا الاكفاء او الذين يكادون يكونون كذلك

فلاسِوايَ البَغلَ مِنكُمْ نالا ـــ فَتًى ومثلي خاضَ ذا المَجالا[1]
حَسْبيَ أنْ لا أُحسِنَ القِتالا ـــ مَن ذا الذي كُلَّ مَجالٍ جالا
قُلْتُ وإنّي صادِقٌ مَقالا ـــ مَن قامَ لي قَطَّعْتُهُ أَوْصالا
ولْيُعْدِدِ الصَّحْبُ لَهُ الرِّجالا ـــ تَحْمِلُهُ مُثقَلاً نَكالا »
فَصَمَتُوا طُرًّا سوى فُرْيالِ ـــ عِدِّ بَني الخُلْدِ أَبي الأَهْوالِ
فَرعِ مِكِسْتَ بْنِ طَلاوُسَ وَمَن ـــ قدكانَ مِن أَعظَمِ لُكّامِ الزَّمَنْ
قد كانَ في مَأْتَمِ أُوذِيبَ ظَهَرْ ـــ في ثِيبَةٍ وآلَ قَدْمُسٍ قَهَرْ
وَنَحْوَهُ ذِيُومذٌ مُستَنْهِضا ـــ بادَرَ يَبْغي فَوزَهُ مُحَرِّضا
شَدَّ لَهُ النِّطاقَ حَولَ الخَصْرِ ـــ والجُمْعَ غَشّى جِلْدَ ثَورٍ بَرّي[2]
فَنَزَلا السّاحَةَ يَرْفَعانِ ـــ كَفَّيْهِما مَعاً ويَلْكُمانِ
حتّى هُناكَ الجُمْعُ بِالجُمْعِ اشْتَبَكْ ـــ وَرَشَحَ الأَعْضاءُ واصْطَكَّ الحَنَكْ
فانْقَضَّ إِفيُوسُ وَفُرْيالَ لَطَمْ ـــ بِوَجْهِهِ لَطْمَةَ صِنديدٍ غَشَمْ
فَلَمْ يُطِقْ لِهَولِها احتِمالا ـــ وارْتَجَفَتْ أَعضاؤُهُ ومالا

(١) لايصلح ان يكون الرابح في هذا المجال الا بغلاً يجاز بغلاً وكأَن هوميروس فطن لذلك فاختار للكام عتلاً ضخم الجثة قوي الهامة لم يكن له شيء من الشأن في مضارب الفرسان واجاز هذا البغل بغلاً نظيرهُ

(٢) الجمع الكف حين تقبض • كان ذيوميذ صديق افريال ولهذا بادر اليه يحرضه وينشطه ويلبسه لباس اللكام فشد له النطاق على حقويه واعطاه قفاز الجلد ليغشي به كفه كما يفعل المتلاكمون في هذه الايام

كالحُوتِ والنَّوءُ بشَمْأَلٍ عصَفْ في الجُرْفِ بينَ زَبَدِ البحرِ ازَّحَفْ

لٰكنَّ إفيُوسَ انْحَنى عليهِ يرفَعُهُ ما بينَ ساعِدَيهِ
وصحبُهُ خفُّوا بهِ وٱلتَوَتِ ساقاهُ والهامةُ أيضاً أهوَتِ
يَسيلُ وَهوَ لايعي شُعُورا نَجيعُهُ مِنْ فَمِهِ غَزيرا
كَذا بهِ سارُوا بِملْءِ اليأسِ ولم يفتْهُمْ أخذُ تلكَ الكاسِ (١)

الصراع

ثُمَّ انبَرى أخيلُ للخطابِ مُنتَدِباً لثالثِ الألعابِ
يُري القُرُومَ تُحَفَ الصِّراعِ مُنْتَخِباً لِهَولِهِ الرَّوَّاعِ
للصارِعِ الفائزِ مِرجَلٌ أَغَرّْ قِيمَتُهُ اثْنا عشَرٌ مِنَ البقرْ
ولِلصَّريعِ غادةٌ مُروَّعهْ قِيمتُها لا تَتعدَّى الأربعهْ
وصاحَ: «يا أبطالُ مَن منكمْ رَغِبْ بخوضِ ذا الميدانِ حالاً ينتَصِبْ»
فقامَ أَوَّلاً أياسُ الأكبَرُ ثُمَّ أُذيسُ السائسُ المُدبِّرُ
تَمَنْطَقا وبرَزا بلا عُدَدْ والتَقَيا واشتَبَكا يَداً بِيَدْ
تَلاصقا تَلاصُقَ الجِسْرَيْنِ في السَّقْفِ بالبناءِ قائمَينِ
قد رُسِّخا بحِكمةِ البَنَّاءِ لِصَدِّ فِعْلِ الغيثِ والأنواءِ
حتَّى عُرَى الأَضْلُعِ كادتْ تَنكَسِرْ والرَّشْحُ سيَّالٌ كَغَيْثٍ مُنْهَمِرْ

---

(١) هذا بلا ريب اقبح انواع الرياضة ولا اعلم وجه الحكمة في بقائه حياً في بلاد تعد في مقدمة البلاد الحية واكثرها تفنناً في الالعاب الرياضية ٠ ولا ارى له اثراً

وكَلَفُ الدِّماءِ حُمْرًا تجري   على الصِّفاحِ وفقارِ الظَّهرِ [1]
والكُلُّ وارٍ بأُوارِ الأَمَلِ   للفوزِ بالنَّصرِ وذاكَ المرجَلِ
فلا أُذيسُ بأياسٍ ظَفِرا   ولا أياسُ نالَ منهُ وَطَرا
فضجرَ الحُضَّارُ أجمعونا   فعندَ ذاصاحَ ابنُ تيلامونا :
«أُذيسُ طالَ الأمرُ فارفعني هُنا   وإنْ تشأْ رفعتُكَ الآنَ أنا
وزفسُ موكولٌ لهُ باقي العَنا »
ثمَّ على الفورِ أياسُ رفعَهْ   ولم يكُنْ ذاكَ لِيَنسى خُدَعهْ
عُنفًا على السَّاقِ أياسًا ضَرَبا   فالتوتِ الرُّكبةُ ثمَّ انقلَبا [2]
وفوقَ صدرِهِ أُذيسُ وقَعا   والجمعُ يستعجبُ ممَّا صنَعا
ثمَّ أُذيسُ رامَ أنْ يحتمِلَهْ   لكنَّهُ لم يقْوَ أن يُقلقِلَهْ
حتَّى لوى الرُّكبةَ والقرمانِ   كِلاهُما خرًّا يُعفَّرانِ
ثالثةً همَّا بأنْ يصطَدِما   لكنَّما الأمرُ أخيلُ حسَما:
«كُفِي صِراعًا وكفى أذيَّهْ   كِلاكُما قد أبرزَ الحميَّهْ

في مخاطرات العرب في جاهليتهم

(١) يظهر من رؤية كاف الدماء على جسدى المتصارعين انه لم يكن عليهما من اللباس الا السترة المعتادة في مثل هذه الاحوال وهو ما لا يزال جارياً في بلاد العجم بين مصارعيهم (او بهلوانيتهم)

(٢) هذه خدعة كثيرة الاستعمال بين المتصارعين وهي حيلة يلجأ اليها الاقل قوة الاخف حركة والعرب يقولون ضربه الشغزبية او الشعربية اذا لف ساقه على ساق خصمه وتقول عامة اهل الشام « فركشه » ويقولون في مصر « شكة مقلب »

فلكما الجزاء بالسَّويهْ كُفَّا إذاً لتبرز البقيَّهْ»

فسمعا وأمرهُ أطاعا وانفصلا وغادرا الصِّراعا

ونفضا الغبارَ ثمَّ لبسا كلٌّ رداهُ ومضى فجلسا [1]

الحضر

وخطرَ الحضرِ أخيلُ ابرزا حقاً من اللجينِ كانَ أحرزا [2]

منمنمٌ مكيالهُ ستاً وزنْ ما مثلُهُ حقٌّ بذيّاك الزَّمنْ

زخرفهُ أبناءُ صيدا وخرجْ قومُ فنيقيا بهِ على اللُّججْ

حتَّى إذا لمنوسَ جاؤا وقفوا حيثُ بهِ القيلَ ثواسَ أتحفوا

وإفنسُ بنُ إيسنٍ بينَ العدى بهِ ابنَ فريامَ لقاوونَ افتدى

---

(١) حكم اخيل للمتصارعين بالجزاء على السواء ولم يقل الشاعر كيف تساوت القسمة اذ كان الجزاء مرجلاً قيمته اثني عشر ثوراً وسبية قيمتها اربعة من الثيران . ولقد استاءت عقيلة داسيه لهذا البخس في قدر بنات جنسها . ولكن فاتها ان المراد هنا سبية رقيقة والارقاء من الذكور كانوا يباعون بتلك الاثمان وابخس منها . وفاتها ايضاً ان هوميروس وان ذكر للنساء حطة كما قال في هذا الموضع فقد بوّأ المرأة اعلى مراقي الرفعة في مواضع اخرى أوليس هو القائل عن هيلانة

ليس بدعاً ان كان هذا سناها وعليها تلاحمت امتان

— لا شك ان الصراع اقدم ما مر وما سيجيء من الالعاب لانه الاصل في اسباب الهجوم والدفاع . كان له شأن عظيم عند العرب كغيرهم وذكروا كثيرين ممن اشتهروا بقوة ذراعهم وخفة بدنهم ومن اشهرهم هلال بن الاشعر المازني ذكر له صاحب الاغاني وغيره اخباراً من قبيل الخوارق بغرابتها

(٢) الحضر العدو او الركض

لِذَاكَ فَطْرُقْلُ عَفَا عَنْ دَمِهِ   والآنَ قد أُبْرِز في مَأْتَمِهِ
أَعَدَّهُ خَلِيلُهُ لِلسَّابِقِ   وَخيرُ ثَورٍ قارِحٍ لِلاَّحِقِ
ولِلأَخِيرِ نِصفُ شاقِلٍ ذَهَبْ   مِنْ ثَمَّ بَينَ القَومِ ناهِضاً خَطَبْ
وصاحَ: «ياسَرَاةُ مَنْ مِنْكُمْ رَغِبْ   بِخَوضِ ذا المَيدانِ حالاً يَنْتَصِبْ»
فَانْتَصَبَ ابْنُ وِيلُسٍ أَياسُ   ثُمَّ أُذِيسُ اللَّبِقُ النِّبْراسُ
فَأَنْطِلُوخُ سابِقُ الأَتْرابِ   وانْتَظَمُوا صَفًّا على اقْتِرابِ
ولَهُمُ أَخِيلُ أَعْلَنَ الغَرَضْ   فَانْبَعَثُوا انْبِعاثَ عَدَّاءٍ رَكَضْ
إِذا بِأَياسَ سَرِيعاً سَبَقا   لٰكِنْ وَراءَهُ أُذِيسُ طَبَّقا
يَدْنُو كَما النَّسَّاجَةُ البَدِيعَهْ   لِصَدْرِها قد دَنَتِ الوَشِيعَهْ(١)
(إِذا بِها بِنَوْلِها أَمَرَّتِ   سِلْكاً بِهِ تَحُوكُ ثُمَّ اجْتَرَّتِ)
خُطاهُ في خُطى ابْنِ وِيلُسٍ تَقَعْ   مِن قَبْلِما العِثْيَرُ عَنْهُنَّ ارْتَفَعْ
يَجْرِي على أَعْقابِهِ ونَفَسُهْ   بِرَأْسِ آياسَ يَثُورُ قَبَسُهْ
والقَومُ طُرًّا يَرْتَجُونَ الغَلَبَهْ   لَهُ وضَجُّوا وَهُوَ عادٍ عَقِبَهْ

---

(١) الوشيعة خشبة الحائك • أي ان أوذيس كان مطبقاً وراءَ أياس يكاد يلصق به كما تكاد تلصق الوشيعة بصدر النساجة وهي تحوك • قال ذلك اطراءً لسرعة المتسابقين • ولا يخفى ان صناعة النسج والحياكة كانت من خصائص النساء عند الاقدمين ولهذا قال هوميروس الحائكة ولم يقل الحائك • ومثل ذلك قول المسيب بن علس اذ شبه سرعة مطيته بسرعة يدي المرأة التي تحوك ثوباً وقد همت قبل المساء باكمال جدّاده اي باقي خيوطه :

مثل السريعة بادرت جدّادها   قبل المساءِ تهم بالاسراعِ

حتى إذا على الخِتامِ أشرفا أُذيسُ فالاسَ دعا وهتفا :
«عونكِ يا ربَّةُ قوّي قَدَمي» وذلكَ الدُّعاءُ في الحالِ نُمي
فَشدَّدَتْ بالعَزمِ مِعصميهِ وخففتْ بجريهِ رِجليهِ
وحينَ همّا أن يُصيبا الخَطَرا أياسَ فالاسُ رمتْ فعثرا
أكبَّ في خِثي ثِيارٍ ذُبحا أخيلُ في مأتمِ فطرُقلَ ضُحى
بهِ امتلا فُوهُ وأنفُهُ وخَفْ أُذيسُ أوّلاً الى أولى التُّحفْ
وأسرعَ ابنُ ويلُسٍ يَليهِ وَالخِثيُ حَشْوَ أنفهِ وفيهِ
لِقرنِ ذاكَ الثَّورِ حالاً مالا وَصاحَ وَهوَ يَتفُلُ الدَّمالا:[1]
«واخيبةَ الهِمّةِ والإقدامِ فَربَّةٌ تِلكَ لَوَتْ أقدامي
وَعن أُذيسَ أبدًا تُحامي كالأُمِّ مُنذُ غابرِ الأيامِ»
فارتفعتْ قهقهةُ الجُمهورِ وأنطلوخُ صاحَ بالحُضُورِ
قالَ لهمْ مُبتسمًا مَسرُورا وإنْ غدا مَغنَمُهُ الأخيرا:
«هلاّ أيا صحبِ خبرتمْ خُبْري آلُ العلى تُجِلُّ قدرَ العُمْرِ
أياسُ فاتني نَعمْ بِنَزْرِ لكنْ أُذيسُ إلْفُ ذاكَ العَصرِ
شَيخٌ ولكنْ ذو جَنانٍ نَضرِ ما مَعهُ قَطُّ بهذا الدَّهرِ
خَلا أخيلَ مِنْ مُجارٍ يَجري»[2]

---

(١) الدمال الخثي او روث الحيوان

(٢) لم يكن أنطيلوخ بالفتى المكابر كما علمت من محاورته مع منيلاوس ولكنه

أَجابَ آخِيلُ لِذا الإِطْراء : «ما كُنتَ مَدَّاحي بلاجزاء[1]
لِذاكَ قد زِدْتُكَ مِن حِبائي نُضارَ نِصفِ شاقِلٍ وضَّاء»
وعاجلاً تَحفَهُ بالذَّهَبِ فَراحَ مُنْتَزًّا بِمِلءِ الطَّرَبِ[2]

الطِّعان

ثُمَّ أَتى بِعامِلٍ طَويلِ وخُوذَةٍ وَمِجْوَبٍ ثَقيلِ
سِلاحِ سَرْفَدُونِ الذي اُستُلِبْ فَطْرُقلُ لَمَّا ذٰلك القَرْمَ غَلَبْ
بَينَ الجُمُوعِ طَرَحَ الجَميعا وصاحَ يَستَنهِضُهُمْ سَريعا :
«أَبسَلُ مَن في القَومِ قَرْما صَدِّ فَليَبْرُزا بِكُلِّ ماضي الحَدِّ
الى الطِّعانِ بَينَ كُلِّ الجُندِ وَمَن هُنا سالَتْ دِماءُ النِّدِّ
بِطَعْنِهِ فَوقَ الحَديدِ الصَّلْدِ نُعْطيهِ سَيفَ عَسْطَرُوفَ الجَلْدِ
ذاكَ الذي اكْتَسَبْتُهُ بِجِدِّي قَتيرُهُ الفِضِّيُّ زاهي الوَقْدِ

غالباً ومغلوباً فتىً لبقٌ متجمل بحكمة أبيه نسطور ٠ التمس لنفسه عذراً حسناً بتقصيره عن ندّيه وختمه بمدح أخيل مدحاً استماله فيه اليه

(١) انه وان كانت الالياذة خلواً من البحث في مدائح الشعراء وجوائز الملوك فانه يظهر من قوله « ماكنت مدّاحي بلا جزاء » وأمثالها انهم كانوا يجيزون المدح بالمال الوافر نظير العرب ولكنهم لم يغالوا فيه مغالاة أصحابنا سامحهم الله

(٢) الحضر أيضاً مما كان يتنافس به العرب وهم عدّاءون مشهورون كالشنفرى وشيبوب العبسي أخو عنترة وتأبط شرّاً ولكن اعداهم الحارث بن عمرو التميمي الملقب بسليك السلكة قيل له ذلك لان أمه كانت تلقب بالسلكة وهي أنثى الحجل ٠ وكانت العرب تسميه سُليك المقانب وهي جماعات الخيل لانه كان أعدى العرب على رجله لاتلحقه الخيل الجياد وله بهذا المعنى أخبار عجيبة لامحل لايرادها

لكنْ سِلاحَ سَرْفدُونَ نُهدي الى كِلَيهما شِعارَ مجدِ
ولهُما مِنّي جميلُ الوعدِ في الخيم أُدْبةٌ بضافي الرَّغدِ»
فقامَ آياسُ التلامونيُّ ثُمَّ ذِيُوميذُ الفتى السَّريُّ
تَسلّحا في طرَفِ الكتائبِ وبرزا بُرُوزَ ليثٍ واثبِ
يحتَدِمانِ للقَا أُوارا بأَعيُنٍ قادِحةٍ شِرارا
تدانَيا ووقعُ ذاكَ المَنْظَرِ لهولهِ ارْتاعَ جميعُ العسكرِ
كرّاً ثلاثاً وثلاثاً أعلنا طُبى القَنا ثُمَّ أَياسُ طعَنا
فخرقَ المجوبَ لكنْ ما وَلَجْ في الجسمِ بل في اللأَمةِ الرُّمحُ اختلجْ
ثُمَّ ذِيُوميذُ أجالَ العامِلا بهِ أَياسَ طالباً مُقابِلا
يرْقُبُ فُرصةً لشقِّ الجيدِ من تحتِ تُرسِ ذلكَ الصِّنْديدِ
فاشْفقَ القومُ على أَياسِ وأَمرُوا بالكفِّ خوفَ البأسِ
وقسمةِ الجزاءِ بالسَّواءِ لكنَّ آخيلَ بلا إِبطاءِ
أَلقى إلى ذِيُومذَ الحُساما والغِمْدَ والنِّجادَ ثُمَّ قاما (١)

(١) يستفاد من ثلاثة مواضع بباب الطعان انه لم يكن المقصود منه ان يقتل أحد المتطاعنين الآخر بل ان يجرحه فقط اذ قال أولاً « ان الذي يسيل دم مباريه يفخ بالجزاء الاول » ولم يقل ان الجزاء للقاتل • ثم جعل جزاءً للطاعن والمطعون دلالة على انهما يبقيان حيين وأرانا الشاعر بعد ذلك انهم كانوا يراقبون المتطاعنين حتى اذا خيف البطش باحدها فصلوهما كما يُفعل بلعبة السيف والترس في بعض البلاد الشرقية وبالمتبارزين بالسيوف في بعض بلاد الغرب - ومهما كان من خشونة هذا البراز فهو اقل حماقة واكثر معنى ولباقة من الكام

الكرة

يُلْقي على مَرْأَى جميعِ الصِّيدِ   هائلَ أُكْرَةٍ مِنَ الحَديدِ (١)
كانَ بها يَقْذِفُ إِيتيُّونُ   مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكَهُ المَنُونُ
بهِ أَخو البأسِ أَخيلُ مُذْ فَتَكْ   بِمُلْكِهِ اُسْتَقَلَّ كُلَّ ما مَلَكْ
فصاحَ: «مَنْ بِذا الجَزاءِ طَمِعا   مِنكُمْ أَلا ما الآنَ فَوراً أَسْرِعا
فهْوَ لِمَنْ أَبْعَدَ مَرْمًى رَفَعا   مَهْما نما مَزْرَعُهُ واتَّسَعا
ما بَعْدَ ذا خَمْسَةَ أَعْوامٍ سَعَى   لِبَلَدٍ يَبْغي الحَديدَ المُودَعا
لِحارِثِ الأَرْضِ وَلِلَّذي رَعَى   بَلْ فيهِ ما يَكْفيهِ هذا المَطْمَعا» (٢)
فَهَبَّ فُولِيفِيتُ الجَبَّارُ   ثُمَّ لِيُنْطُ الباسِلُ القَهَّارُ
ثُمَّ أَياسُ الأَكْبَرُ المِغْوارُ   والقَرْمُ إِفِيُوسُ وَصَفًّا دارُوا
أَوَّلُهُمْ إِفِيُوسُ أَلْقَى بالكُرَهْ   فَانْدَفَعَتْ دائِرَةً مُنْتَثِرَهْ
فَقَهْقَهَ الجَمْعُ وبَعْدَهُ قَذَفْ   بِها لِيُنْطُ ثُمَّ آياسُ وَقَفْ
وإِذْ بِعَزْمِ زَنْدِهِ مُشْتَدًّا   رَمَى بها مَرْماهُما تَعَدَّى

---

(١) ان لفظه (Σόλος) باليونانية لاتعني الاكرة او الكرة كما عربناها ولا تفيد القرص كما فسرها الاكثرون ولكن معناها قطعة حديد على الاطلاق . فعربناها بكرة لقرب اللفظة الى مفهومنا وعرفنا وفسروها بالقرص لقربها الى لفظه (Δίσκος) ومعناها القرص

(٢) يقول ان من ربح هذا الجزاء لحديده يكفيه خمسة اعوام مؤونة السعي الى المدن في طلب الحديد لمحراث او سكين وما اشبه

لٰـكنَّ فُوْلِيفيتَ لمَّا أَلْقى ... بِها على الجَميعِ حازَ السَّبْقا
فَانْبعثتْ بِمَشْهَدِ الحُضُورِ ... مُبْعَدةً عَن مَجْلِسِ الجُمْهُورِ
كَبُعدِ مَرْمَى مِحْجَنِ البَقَّارِ ... يَغُلُّ فَوقَ راتِعِ الثِّيارِ
والجَمْعُ ضَجَّ وبِتلكَ الصِلَةِ ... لِمَلْـكِهِ أَصْحابُهُ بادَرتِ

النّضال (١)

ثُمَّ أَخيـلُ صاحَ بالنُّبَّـالِ ... يُطْمِعُهُمْ بالأَفْؤُسِ الغَوالي
عِشرينَ مِن صُلْدِ الحَديدِ قدْ أَعَدْ ... عَشْراً بِحَدَّينِ كَذا عَشْراً بِحَدْ
ثُمَّ على مَسافةٍ في السَّـهلِ ... سارِيةً أَرْكَزَ فوقَ الرَّمْلِ
بِمَسَـدٍ دَقَّ عَليها عَلَقا ... حمامةً بِرِجْلِها قد أَوْثَقا (٢)
حتَّى تَكُونَ الغَرَضَ المَقْصُودا ... ثُمَّ دَعا يَسْتَنْهِضُ الجُنُودا :
«أَلأَفْؤُسُ الأُولى لِمَنْ أُنيلا ... بِأَنْ يُصيبَ الطَّائِرَ الذَّليلا
وَذي لِمَن يُخْطِئُهُ قَليـلا ... ثُمَّ يُصيبُ المَسَدَ المَفْتُولا »
فَهَبَّ طِفْقِيرُ الاميرُ ونَهَضْ ... مِرْيُونُ تِبعُ إِيذُمينَ واعْتَرَضْ
فاسْتَقْسَما بِخُوذةٍ مِن صُفْرِ ... فَلاحَ طِفْقِيرُ بِبَدْءِ الأَمْرِ
بِالعَزْمِ والزَّماعِ سَهماً أَرْسَلا ... لٰكنْ عَنِ النُّذُورِ عَفْواً غَفَلا
لِفِيبُسٍ لَم يَنْوِ عِندَ ما عَزَمْ ... مِن غُرَرِ القُرْبانِ أَكْبارَ الغَنَمْ

---

(١) النضال المباراة في رمي السهام

(٢) المسد الحبل

فلم يُصبْ بسهمِهِ الحمامهْ ... إذ إنّ فيبساً بغى إرغامهْ
لكنْ إزاءَ الرِّجلِ في الحبلِ وقعْ ... مريشُهُ والحبلُ في الحالِ انقطعْ (١)
ومالَ والطائرُ مذْ نالَ الفرجْ ... حاقَ في الجوّ وكلُّ الجمعِ ضجْ
فاْتاشَ منهُ القوسَ مريونُ وفي ... يديهِ سهمُهُ بلا توقُّفِ
ومئةَ الخرافِ أبكاراً نذرْ ... ضحيّةً لذي السِّهامِ تُدَّخرْ (٢)
ورشقَ النَّبلَ بلا اضطرابِ ... مُسدِّداً والطيرُ في السَّحابِ
فمنْ جناحِ الطائرِ السَّهمُ برزْ ... ثمَّ لدى مريونَ في التُّربِ ارتكزْ
والطيرُ فوقَ الدَّقلِ الموتودِ ... أهوى هديلَ الجنحِ لاوي الجيدِ (٣)
فخمدتْ أنفاسُهُ وهبطا ... وللثَّرى عنهمْ بعيداً سقطا
وأعينُ الجميعِ بانصبابِ ... عليهِ راقبتْهُ باستعجابِ
لذاكَ مريونُ القوُوسَ الأُولا ... نالَ وباقيها لطفقيرَ خلا (٤)

(١) مريشه اي سهمه المريش

(٢) ذو السهام افلون

(٣) الدقل السارية

(٤) قد رأينا ان طفقير كان ارمى رماة الاغريق ومع هذا فقد قصر في نضال مريون وذلك لأنه اتكل على براعته ومعرفته ولم يتوسل الى مولاه فكان الفائز مريون وانما فاز بتقواه دون قواه • وهي حكمة ينبه اليها الشاعر كلما سنحت له سانحة • ولقد رأينا قبل بضعة أبيات ان أوذيس الكهل كان أعدى من فتيين اطرأ الشاعر خفة اقدامهما مراراً ولكن أوذيس لم يتكل على خفة قدمه بل دعا فاستجيب دعاؤه — كان النضال من اسمى اسباب المنافسات في جاهلية العرب • وقد تقدم لنا ذكر نضال جميل وعتبة عشيقي بثينة (ن ٢٢:١٠٢٢)

المراشقة

ثُمَّ أَخيلُ عاملاً مُثقَّفا ... أَلْقى وأَلْقى مِرْجَلاً مُزخْرَفا
مُزَيَّناً بِصُوَرِ الأَزْهارِ ... لَمْ يَعْلُ قَطُّ بعدُ فوقَ النّارِ
جائِزَةً لِلرّامِحِ المُجيدِ ... بِالرَّشْقِ بِالصِّعادِ مِنْ بَعيدِ (١)
فَقامَ ذُو الطَّوْلِ أَغامَمْنُونُ ... كَذا انْبَرى مُنْتَصِباً مِرْيُونُ
فَصاحَ آخيلُ: «وَهل مِنّا أَحَدْ ... يَجْهَلُ يا أَتْرِيذُ كَمْ فُقْتَ العُمَدْ
وكَمْ بِزَجٍّ وقُوًى كُنتَ الأَشَدْ ... إِذا لَكَ الجَزاءُ بِالحَقِّ مُعَدْ
خُذْهُ الى فُلْكِكَ مِنْ غَيرِ مَرَدْ ... وإِنْ تَشَأْ ماشِئْتُ في هذا الصَّدَدْ

فَلْنَحْبُ مِرْيُونَ بِذا الرُّمْحِ وَقَدْ »

بِذاكَ أَتْرِيذُ لَهُ أَبْدى الرِّضا ... والرُّمْحَ مِرْيُونَ حَباهُ فَمَضى
ثُمَّ أُسْتَقِلَّ الخَطَرَ النَّفِيسا ... يُلْقي بِهِ لِلْفَيجِ تَلْثِبْيُوسا (٢)

---

(١) الصعاد الحراب

(٢) احسن الشاعر ايما احسان باستبقاء اغاممنون الى آخر الحفلة واستنهاضه للخطار بامر يتبارى به الملوك والزعماء فأدى الشاعر مفاداً كثيراً بهذا الكلام الوجيز اذ اثبت انه لم يكن يليق باغاممنون واليه منتهى الرئاسة ان يبقى بمعزل عن القوم فلا بد ان يمتاز بامر خطير • ولم يكن يجدر به ايضاً الا ان يهتم لمأتم فطرقل رعاية لاخيل • ولم يكن يصح ان تختتم الحفلة على غير يده ففعل وكان الفائز • ثم وجب على اخيل بعد هذا ان يرعى حرمة اغاممنون فأجله وحكم له بالجزاء فوراً وهي مجاملة لم يبدها لاحد غير اغاممنون • فثبت من كل تقدم ان التصافي قد احكم بين الخصمين وزالت كل اسباب الخلاف

النشيد الرابع والعشرون

اعادة جثة هكطور الى اهله

مُجْمَلُهُ

ارفض جيش الاغريق الى سفنهم يستطيبون الزاد والرقاد
وظل اخيل والكرى قاتل الاسى   بذكراه فطرقلاً يؤرقه السهدُ

ولما لاح الصباح دار ثلاثاً حول قبر فطرقل بجثة هكطور فعطفت الآلهة على هكطور وسعت في انفاذ هرمس لرفع الجثة فعارضتهم هيرا واثينا فاستدعى زفس ثيتيس فحاسنها وانبأها بانه يود ان يعيد اخيل جثة هكطور الى والده الشيخ. فذهبت ثيتيس بالامر فاستمع اخيل مطيعاً. ثم انفذ زفس ايريس الى فريام يأمره بافتداء ابنه. فأخبر فريام امرأته بذلك فعارضته ولم تذعن حتى اطمأنت برؤية نسر أرسله زفس. فركب فريام مركبته واستصحب أذيوس فأدركه هرمس في السهل ورافقه حتى أدخله الى خيمة أخيل ولم يشعر به أحد. فقبل أخيل الفداء وسلّم فريام الجثة وواعده أحد عشر يوماً ليتسنى له القيام بمأتمه. ولما أظلم الليل ايقظ هرمس فريام وسار به قافلاً الى اليون. ولما اقترب البلد أبصرت كسندرة ابنته جثة أخيها يعود بها أبوها فصاحت وناحت واندفع الناس أفواجاً لملاقاة ملكهم. فدخل فريام واستقبله الجمهور ورثت هكطور امرأته اندروماخ وأمه ايقاب وامرأة أخيه هيلانة. ثم بادر الجمع الى الاحتطاب واضرموا النار وقضوا بالمأتم عشرة أيام ثم جمعوا عظامه ودفنوها في قبر اعدوه له

ولهم قدم المليك طعاما   كان في مأتم الفقيد ختاما

يستغرق هذا النشيد ثلاثة وعشرين يوماً منها اثنا عشر يوماً أثناء اقامة جثة هكطور خيمة اخيل واحد عشر يوماً مدة الهدنة ومجرى الحوادث في خيمة اخيل واليون

النشيد الرابع والعشرون [١]

إلى الفُلْكِ لَمَّا أُرْفِضَ ذَيَّالِكَ الحَشْدُ　　تَفرَّقَ يَبغي الزَّادَ وَالوَسَنَ الجُنْدُ
وظَلَّ أَخيلٌ وَالكَرى قاتِلُ الأَسى　　بِذِكْراهُ فَطْرُقْلاً يُؤَرِّقُهُ السُّهْدُ
يَنُوحُ عَلى إِقْدامِهِ وَزَماعِهِ　　وَكُلُّ سَجاياهُ لِخاطِرِهِ تَبْدُو
وَيَذْكُرُ كَمْ حَرْباً بِها جُهِدا مَعاً　　وَكَمْ بِعُبابِ البَحرِ نالَهُما الجُهْدُ
يُكِبُّ فَيَسْتَلْقي يَسيراً فَيَنْثَني　　عَلى صَفْحَتَيْهِ والهَواجِسُ تَشْتَدُّ
فَيَنْهَضُ مُلْتاعاً تَسُحُّ دُمُوعُهُ　　وَفي الجُرْفِ يَجْري جَرْيَ مَنْ فاتَهُ الرُّشْدُ
فَهامَ إِلى أَنْ أَبْلَجَ الفَجْرُ ساطِعاً　　بِهِ يَسْتَضِيءُ البَحْرُ وَالغَورُ وَالنَّجْدُ
لِمَرْكَبِهِ شَدَّ الجِيادَ وَخَلْفَهُ　　لَقَدْ شُدَّ هكْطُورُ عَلى التُّرْبِ يَمْتَدُّ
عَلى قَبْرِ فَطْرُقْلٍ ثَلاثاً بِهِ جَرى　　وَعادَ ابْتِغاءَ النَّومِ لِلْخَيْمِ يَرْتَدُّ
وَغادَرَ هَكْطُوراً مُكِبّاً عَلى الثَّرى　　وَلكِنَّ فِيبُوساً بِهِ هاجَهُ الوَجْدُ
فَمَدَّ عَلَيْهِ عَسْجَدِيَّ مِجَنِّهِ　　فَلا مَسَّهُ ضُرٌّ وَلا مُزِّقَ الجِلْدُ [٢]

---

(١) يتضمن القسم الاول من هذا النشيد وصف حالة اخيل بعد اداء ما عليه من واجب الاخاء وقضاء حق الوفاء بمأتم فطرقل وانشاءه الى جثة قاتله هكطور يسومها الذل والهوان . وقيام الآلهة للبحث في هذا الامر — وقد جعلنا قوافيه مختلفة باختلاف السياق والموضوع

(٢) مضى على مقتل هكطور اثنا عشر يوماً وهي مدة تنحل فيها اعضاء الجثث وتفسد . ولم يكن هوميروس ليجهل انه يعترض عليه بمثل هذا فاستدرك بقوله ان افلون حفظه « ومد عليه عسجدي مجنه　　فلا مسه ضرٌّ ولا مُزّق الجلدُ »

فَساءَتْ بَني العَلْيا مَهانَتُهُ لِذا لَدى هِرمِسٍ طُرًّا بإِنْقاذِهِ جَدُّوا [1]
عَلى أَنَّ آثينا وهيرا وفوسذًا تَصدَّوا وَلكِنْ لَيسَ يُجديهم الصَّدُّ
(عَلى قُدْسِ إِليُونٍ وَفِرْيامَ لُبُّهُمْ وَأَقْوامِهِ ما زالَ يُلْهِبُهُ الحِقْدُ
فَفارِيسُ سامَ الرَّبَّتَيْنِ مَهانَةً بِمَرْعاهُ قِدْماً وَهُوَ غَضُّ الصِّبا وَغْدُ
غَدا قاضِياً بالفَضْلِ لِلرَّبَّةِ التي أَباحَتْ لَهُ بُؤْسَ المُنى وَمَضَتْ تَغْدُو) [2]
وَمُذْ لاحَ ثاني عَشْرَ فَجْرٍ مَقالَهُ أَفُلُّونُ أَلْقى يَسْتَشيطُ وَيَحْتَدُّ :
«بَني الخُلْدِ آلَ الجَوْرِ كَمْ ساقَ سَخْلَةٍ وَثَوْرٍ لَكُمْ هكْطُورُ مِنْ قَبْلُ أَحْرَقا
فَها هُوَ مَيْتٌ لَيسَ مَنْ تَسْتَفِزُّهُ لِإِنْقاذِهِ نَفْسٌ تَجيشُ تَرَفُّقا

وهو قول اذا أُخذ على ظاهره يستفاد منه ان فيبوس وهو ربٌّ قدير حفظ الجثة من الفساد . واذا لجأنا الى التأويل قلنا ان فيبوس (او افلون) ممثل الشمس ومن جملة مزاياه انه وليّ الطب والاطباء وأخيل مريد خيرون رأس الاطباء فاما ان يكون اخيل عالج الجثة بدواء يقيها الفساد ربما يروي غلته بزيادتها هواناً وتحقيراً . واما ان يكون بعض عبدة أفلون فعل ذلك . وعلى كل حال بطلت الغرابة ببقاء الجثة سالمة طول هذه المدة وهي غاية الشاعر

(١) هرمس رسول الآلهة

(٢) اراد بقوله « الربة التي اباحت له بئس المنى » الزهرة وان لم يسمها . وفي هذه الابيات الثلاثة اشارة الى خرافة قديمة . قالوا انه لما حملت ايقاب بفاريس رأت في الحلم أن في احشائها جذوة نار تلتهب فتضطرم بها اسيا وأروبا فقصت رؤياها على زوجها فريام فلما ولد الولد هم فريام باهلاكه فوارته ايقاب عنه وائتمنت عليه رعاةً في جبل ايذا فشب بينهم يرعى الانعام . وفي تلك الأثناء حدث الخلاف المشهور في اساطيرهم بين أثينا وهيرا والزهرة فتقاضين الى فاريس ورغبن اليه ان يحكم في جمالهنّ فاستمالته الزهرة ربة الهيام فقضى لها

فترمقُهُ زوجٌ وأُمٌّ ووالدٌ   وطِفلٌ وشَعبٌ هامَ وجدًا ليرمُقا
يقومونَ بالفَرضِ الاخيرِ وحولَهُ   تأَلَّقُ نيرانُ الوَقُودِ تالقا
فآخيلَ آثرتُمْ وآخيلُ ما أرى   بهِ أَثرًا للدِّينِ والعدْلِ مُطْلَقا
كَليثٍ غشُومٍ فاتِكٍ متَغَشمِرٍ   دهى السِّربَ منْقضًا وعاثَ ومزَّقا
فما هوَ ذُو رِفقٍ وقَدْ غادرَ التقى   نعَمْ والحيا أُسَّ السعادَةِ والشقا
فقدْ يفقدُ المرءُ ابْنَهُ وشقيقَهُ   وخلاًّ فيبكي ناحبًا متحرِّقا
فيَسلُو ولِلأَقدارِ حكْمٌ إذا مضى   رأيناهُ قابَ الخَلْقِ للصبْرِ شوّقا[1]
وهذا أخيلُ مُنْذُ قتْلِ عدُوِّهِ   يجرِّرُهُ حولَ الضَّريحِ معلَّقا
فما ذا ليُجْديهِ ومهما عتا فهلْ   بأمْنٍ غدا منْ أنْ نغاظَ ونحنَقا
ونَستاءَ منْ إفراطِهِ بإساءَةٍ   لجسْمٍ فقيدِ الحسِّ بالتُّربِ أُلْحِقا»
فصاحتْ به هيرا: «ولو كُفؤًا غدا   لآخيلَ هكطورٌ مقالُكَ صُدِّقا
فذاكَ غذتْ إنسيةٌ بلبانِها   وذا ربّةٌ ربّتْ وفي المجدِ أعرَقا
بجِجرِسيَ قد أنشأتُها وأجتُها   لفيلا الذي مِرْقاةُ وُدِّكُمُ رقى
حضرْتُمْ جميعًا للزِّفافِ وليمةً   بها كُلُّكُمْ حولَ الطّعامِ تأنَّقا
وقدْ كُنتَ بالقيثارِ في العُرسِ عازفًا   أربَّ الخنى إلفَ الأُولى نبذُوا التُّقى»[2]

---

(١) يجمع معنى هذين البيتين قول الشاعر العربي :

بليت وفقدان الحبيب بليةٌ   وكم من كريم يبتلى ثم يصبرُ

(٢) تقول هيرا ان هكطور ليس كفوءًا لاخيل فلا يجب ان نحفل به وننزله منزلة اخيل لان ذلك انسيٌّ ابن انسية وهذا وان كان انسيًّا فامه من بنات الخلود ثم

فعارضها زفسٌ وقال لها : « قِفي أهيرا وأبناءَ العلى لا تُعنّفي
فهكطورَ لن نرعى كآخيلَ إنّما بإليونَ لا مرءٌ كهكطورَ نصطفي
مدى عُمرِهِ لم يسهُ عن قُرُباتِه لنا وعنِ التبجيلِ لم يتوقَّفِ (١)
ولم يخلُ يوماً مذبحي من مُدامةٍ وشحمٍ وإيلامٍ بحُسنِ تصرُّفِ
وما أنا باغٍ ان نُواريه خِفيةً فما الأمرُ عن آخيلَ قطُّ ليختفي
فثيتيسُ بالمرصادِ في كلِّ ساعةٍ عليَّ بها أسترضِها بتلطُّفِ
فيقبلَ من فِريامَ آخيلُ فِديةً ويدفعَ هكطورًا إليهِ ويكتفي »
فإيريسُ هبَّت كالرياحِ تغوصُ في خضمِّ عُبابِ البحرِ يدوي لها الجدُّ
وما بينَ ساموسٍ وإمبرُسٍ مضت إلى القعرِ حيثُ اليمُّ في اللجِّ مُزبَدُّ
كما دونَ قرنِ الثورِ غاصت رَصاصةٌ لأسماكِهِ فيها المنيةُ تُعتَدُّ (٢)

ايدت قولها بذكر الحفلة التي اقيمت لزفاف ثيتيس الى فيلا • ولا بأس من ايراد هذه القصة — كانت ثيتيس اجمل بنات الماء فهام بها الارباب وفي مقدمتهم زفس وأخواه افلون وفوسيذ وكادوا يختصمون عليها لو لم يروا في علم الغيب انها ستلد ابناً يفوق اباهُ سطوةً وجاهاً • فأحجم الارباب عنها وقضوا بزفها الى انسيّ فتولت هيرا الامر واختارت لها فيلا بعلاً فأبت ثيتيس بادىءَ بدءٍ ان تكون عرسهُ ثم اضطرت الى القبول في حديث طويل • واقيمت للزفاف حفلة شائقة حضرها جميع الارباب الا « الفتنة » لان زفس كان قد اجلاها من السماء واقصاها عن محافلهم فنقمت عليهم واضمرت السوءَ • ثم انتهزت فرصة غفلة منهم وطرحت بينهم تفاحة ذهبية نقش عليها: « هذه لأجمل الربات » فادعتها هيرا وأثينا والزهرة وتخاصمن الى فاريس فقضى للزهرة كما تقدم

(١) القربات جمع قربة ما يتقرَّب به الى المعبود من برٍّ وطاعة

(٢) اي ان ايريس غاصت في اليم كما تغوص الرصاصة المعلقة بالشص اذا طرح

فثيتيسَ أُلفتْ في غيابةِ كهفِها　　وحشدُ بناتِ الماءِ من حولها عِقْدُ[1]
تنوحُ على ابنٍ في بعيدِ اغترابهِ　　من الموتِ في طُرْوادَ ليس لهُ بُدُّ
فصاحتْ: «أثيتيسُ انهضي زفسُ ذو النهى　　لقاءك يبغي فاستطيري الى اللقا»
فقالتْ: «وماذا رامَ ذو الطَّوْلِ إنَّني　　أنا أتحاشى مجلسَ الخلدِ والبقا
ولكنْ بنا سيري فمهما يهجْ أسىً　　فؤادي ففي زفسَ الجلالَ تحققا
ومهما يكنْ منْ نطقهِ ومقالهِ　　بغيرِ صوابٍ لنْ يفوهَ وينطقا»
وإيريسُ سارتْ وهي طارتْ وراءها　　عليها نقابٌ حالكُ اللونِ مسودُّ
أمامهما انشقَّ العبابُ فهبَّتا　　من الجرفِ للعلياءِ حيثُ ثوى الخلدُ
وحيثُ ميامينُ العلى منتداهمُ　　بهِ زفسُ ربُّ المجدِ كلَّلهُ المجدُ
لدى زفسَ فوراً أجلستها بعرشها　　أثينا وهيرا أقبلتْ نحوها تعدو
وهشَّتْ تعزِّيها وألقتْ بكفِّها　　لها قدحاً يزهو بعسجدهِ الوقدُ
ولمَّا قضتْ منهُ ارتشافاً وأرجعتْ　　لهيرا فزفسُ صاح يبلغُ ما القصدُ:
« أثيتيسُ إنّي بالتياعكِ عالمٌ　　وقد جئتني طوعاً فبغيتيَ اعرفي

الشص في البحر لصيد السمك وقرن الثور طافٍ على وجه المـاء

كان صيادوهم كصيادي هذا الزمان يربطون رصاصة فوق الشص لتغوص به في المـاء ولكنهم كانوا يتخذون قطعة من قرن او نحوه بدلاً من قطعة الفلين وما اشبهها ممـا يعلق الآن على مسافة من الشص ليبقى طافياً على وجه المـاء ويستدل باضطرابه على نشوب الشص بالسمكة

(١) الغيابة القعر

سُرَاةُ العُلى شقَّ الشقاقُ لفيفَها لِتسْعةِ أيامٍ ولمْ تتألَّفِ
وَهِرْمِسَ حثّتْ أن يسيرَ بخِلْسةٍ بجُثّةِ هكطورَ الصَّريعِ فتشتفي
ومُذْرُمتُ أستصفيكِ وُدّاً وحرمةً لآخيلَ أُنبي فضلَ هذا التعطُّفِ
فطيري إليهِ بلّغي غيظَ قومنا ومِنْ فوقِهِ غيظي وفرطَ تأسُّفي
فهكطورَ استبقى لدى الفُلْكِ حانقاً ليُرْجِعَهُ خوفُ السُّخْطِ إنْ يتخوّفِ
وها أنا إيريساً لفريامَ مُنْفِذٌ ليمضي إلى الأسطولِ حقَّ الفدا يفي
فيتحفَ آخيلا بما طابَ قلبُهُ بهِ من عتادٍ شائقٍ ومُزخرَفِ »
فلبّتْ وهبّتْ مِنْ ذُرى الطَّوْدِ تنثني لخيمِ ابنها ألفتْهُ أكمدَهُ الكمْدُ
وقدْ ذبحَ الأنصارُ إذْ ذاكَ نعجةً ودارُوا حواليهِ وزادَهُمُ مَدُّوا
فخفّتْ تحاذيهِ ومنها تزلُّفاً تدورُ على أعطافِهِ الكفُّ والزَّنْدُ
وقالتْ: « إلى مَ القلبَ تقضَمُ كآبةً ولا زادَ تبغي أو فراشاً منمَّقا [1]
ولا بأسَ أنْ تلهو أخيلُ بغادةٍ فسهمُ المنايا موشِكٌ أن يُفوَّقا [2]

---

(١) القضم الاكل والكسر باطراف الاسنان وقضم القلب كآبة وحزناً استعارة غريبة ولكنها ذات وقع • ولم أر لها مثلاً في العربية مع ورود قضم الجمر وعض الاصابع غيظاً او حزناً كقول ابي الطيب :

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الاهواز

او كقول الوأواء الدمشقي :

واسترجعت سألت عني فقيل لها ما فيه من رمق دقت يداً بيدِ
وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(٢) زعم البعض ان هذه العبارة دخيلة في الالياذة لان هوميروس احرص

بُنَيَّ وَزَفْسُ اخْتَصَّنِي بِرِسالَةٍ ... فَحِقْدُكَ أَرْبابَ السِّيادَةِ أَقْلَقا
فَغِيظُوا وَزَفْسُ اشْتَدَّ يَلْهَبُ غَيْظُهُ ... لِحِفْظِكَ هَكْطُورًا لَدى الفُلْكِ مُوثَقا
بِهِ ادْفَعْ وَخُذْ عَنْهُ الفِكاكَ بَدِيلَهُ» ... فَقالَ: «قَضَى زَفْسٌ وَلا رَيْبَ مُشْفِقا
لِيَأْتِ إِذًا مَنْ يَبْذُلُ المالَ فِدْيَةً ... فَيَرْجِعَ فِيهِ شائِقًا وَمُشَوَّقا» (١)
فَهٰذا حَدِيثُ الأُمِّ فِي الفُلْكِ وَابْنِها ... وَزَفْسُ دَعا إِيرِيسَ قالَ لَها: «ادْلِفِي (٢)
بَلاغِيَ مِنْ شُمِّ الأُولِمْبِ بِهِ اذْهَبِي ... وَفِرْيامَ فِي إِلْيُونَ بِالأَمْرِ كَلِّفِي
لِيَذْهَبْ إِلى الأُسْطُولِ هَكْطُورَ يَفْتَدِي ... وَآخِيلَ يَسْتَرْضِي وَبِالغُرِّ يَتْحَفِ
وَلا يَمْضِ مَعْهُ غَيْرُ فَيْجٍ مُعَمَّرٍ ... لِسَوْقِ بِغالِ المَرْكَبِ الآنَ مُسْعِفِ
وَيَرْجِعُ فِيها قافِلاً بِابْنِهِ الَّذِي ... قَدِ اجْتاحَ آخِيلٌ بِحَدِّ المُثَقَّفِ

الشعراء على ادب الاخلاق فلم يكن من شأنه ان ينطق والدة اخيل بهذه العبارة الدسمة • ولكن من تأمل في ما جريات ذلك العصر عصر الزهرة لا يعجب لورود عبارة كهذه بل يعجب لاسباله الستار على الكثير مما هو اعظم وادسم • ويعلم ان هوميروس كان ارقى اهل زمانه عفة وادباً • فثيتيس قد قالت قولاً مرت عليه وانتقلت منه مسرعة الى بحث آخر وليس الامر كذلك عند رواة الاقدمين من الكلدان الى المصريين الى العبرانيين الى اليونان الى الرومان الى العرب فهوميروس بهذا المعنى اسبلهم ستراً واحرصهم

(١) هذا جواب مقتضب من اخيل يذعن فيه حالاً لاشارة امه اذعاناً لمطلب زفس فلا يطاول ولا يحاول بل يبادر الى الرضوخ بلا ممانعة فكأن نفسه طابت وروى معظم غلته بتدنيس جثة هكطور • والآمر زفس ولا مرد لامره فاجاب صاغراً لعلمه ان المكابرة لا تجدي • وقد احسن الشاعر بجعل هذا الحكم صادراً من زفس والا فلم يكن ثمة سبيل لحمل اخيل على اخماد سورة غضبه واجابة فريام الى طلبه

(٢) ادلفي اسرعي

وَلا يَضْطَرِبْ خوفاً ولا يَرْهَبِ الرَّدى　　فقاتِلَ أَرْغُوْصٍ نُسِيرُ فَيَقْتَفي
فذاكَ دَليلٌ مَعْهُ يَذْهَبُ آمِناً　　لِمَنْزِلِ آخِيلٍ بآمَنِ مَوْقِفِ [1]
وآخِيلُ لَنْ يَغْتالَهُ مُتَعَسِّفاً　　ويَحْميهِ مِمَّنْ رامَهُ بتَعَسُّفِ
فَلا هُوَ ذُو جَهْلٍ وَلا ذو حَماقةٍ　　ولا نابذُ التَّقْوى بِشَرِّ التَّعَجْرُفِ [2]
وَلٰكِنَّهُ يَرْعى ولا رَيْبَ حُرْمَةً　　لِمَنْ جاءَهُ في ذِلَّةِ المُتَزَلِّفِ »
فإِيرِيسُ مِثْلَ الرِّيحِ فِرْيامَ يَمَّمَتْ　　فأَلْفَتْهُ وَسْطَ الدّارِ مِنْ حَوْلِهِ الوُلْدُ

---

(١) قاتل ارغوص هو هرمس سفير الآلهة كما قدمنا • كان علاوة على اختصاصه بالسفارة رب المنطق والفصاحة وكانوا يمثلونه تارةً بصورة رجل تنبعث من فيه سلاسل تعلق باذان السامعين وطوراً بصورة فتى جميل الطلعة على رأسه قبعة وله جناحان على كاهليه وجناحان بعقبيه وفي يده صولجان الفيوج يلتف عليه افعوانان — رأينا الشاعر في كل ما مر يرمي الى إكبار اخيل واعظام شأن اليونان وهنا قد كادت الالياذة تبلغ حد الختام فأراد ان يبقى الامران في ذهن السامع فاستنبط هذه القصة فبلغ بها مراميه • اما اخيل فلا اسمى لاكباره من جمع الآلهة للبحث في امره واشتغال سكان السماء والارض في استمالته وتسكين غيظه • واما الاغريق فقد ابدى الشاعر ضمناً ما كانوا عليه من اليقظة والانتظام حتى لم يكن مخلوق دون الآلهة يصاح ان يخترق صفوفهم ويبلغ اخيل سالماً وان كانوا في زمن موادعة ومأتم عظيم



هرمس (عطارد) سفير الآلهة ورب المنطق والفصاحة

(٢) كانوا يقولون ان اسباباً ثلاثة تحمل الانسان على إتيان الخطيئة وهي الجهل والحماقة والكفر او قلة الورع ولم يكن اخيل على شيء من ذلك فلا بد اذاً من ان يرضخ لامر زفس

وَلَمْ تُلْفِ غَيرَ النَّوحِ بَلَّتْ ثِيابَهُمْ　　دُمُوعُهُمُ وَالعَزْمُ بالحُزْنِ مُنْهَدُّ
وَفِرْيامُ مِمَّا قد حَثا مُتَمَرِّغاً　　يُدَنِّسُهُ خَثْيٌ وَيَكْنُفُهُ بُرْدُ (١)
وَفي صَرْحِهِ كَنَّاتُهُ وَبَنَاتُهُ　　يَنُحْنَ لِبُهْمٍ بَعْدَهم عَظُمَ البُعْدُ (٢)
تَدَنَّتْ إِلَيهِ وَهْوَ مُنْتَفِضٌ أَسىً　　بِرِعْدَتِهِ مِمَّا بِهِ بَرَّحَ الفَقْدُ
وَقالَتْ بِرِفْقٍ: «ياابْنَ دَرْدانُسٍ فَلا　　تَخَفْ فَبِأَنْباءِ الأَسى لَمْ أُكَلَّفِ
وَلٰكِنْ بِخَيرِ العِلْمِ زَفْسُ أَسارَني　　نَعَمْ وَهْوَ أَسْمَى مُشْفِقٍ لَكَ مُنْصِفِ
يَقُولُ اُمْضِ لِلأُسْطُولِ هَكْطُوراً افْتَدي　　وَآخيلَ فَاسْتَرْضِي وَبِالغُرِّ أَتْحِفْ (٣)
وَلا مَعْكَ يَمْضي غَيرُ فَيجٍ مُعَمَّرٍ　　لِسَوقِ بِغالِ المَرْكَبِ الآنَ مُسْعِفِ (٤)
فَيَرْجِعُ فيها قافِلاً بِابْنِكَ الذي　　قَدِ اجْتاحَ آخيلٌ بِحَدِّ المُثَقَّفِ
وَلا تَضْطَرِبْ خَوفاً وَلا تَرْهَبِ الرَّدى　　فَقاتِلُ أَرْغُوصٍ يُسيرُ فَتَقْتَفي
فَذاكَ دَليلٌ مَعْهُ تَذْهَبُ آمِناً　　لِمَنْزِلِ آخيلٍ بِآمَنِ مَوْقِفِ
فَآخيلُ لَنْ يُؤْذِيكَ مِنهُ تَعَسُّفٌ　　وَيَمْنَعُ حَتْماً عَنْكَ كُلَّ تَعَسُّفِ
فَلا هُوَ ذُو جَهْلٍ وَلا ذُو حَماقَةٍ　　وَلا نابِذُ التَّقْوى بِشَرِّ التَّعَجْرُفِ
وَلٰكِنَّهُ يَرْعى وَلا رَيْبَ حُرْمَةً　　لِمَنْ جاءَهُ في ذِلَّةِ المُتَزَلِّفِ»

(١) اي انه كان متمرغاً بالدمال ولابساً مسحاً — راجع ما قلنا بهذا الصدد (ن٢٢ : ١٠٤٣)

(٢) البهم الابطال

(٣) أي أتحفه بالهدايا الغر فكاكاً لهكطور

(٤) اي لايذهب معك غير فيج أي رسول مسن يعينك على سوق بغال المركبة

طارَتْ وَفِرْيامُ لِساعَتِهِ أَمَرْ أَبْناءَهُ لِتُعِدَّ مَرْكَبَةَ السَّفَرْ
وَلَها تَشُدُّ بِغالَها وَتُعلِّقَ الـ ـزَّنْبيلَ ثُمَّ لِحُجْرَةِ النَّوْمِ انْحَدَرْ
هِيَ غُرْفَةٌ عِطْرِيَّةٌ جُدْرانُها شَمَّاءُ بالأَرْزِ ازْدَهى بُنْيانُها
قَدْ كانَ ثَمَّ أَعَدَّ كُلَّ نَفيسَةٍ وَثَمينَةٍ يَشْتاقُ رُؤْيَتَها البَصَرْ
إِيقابَ نادى قالَ: « مِنْ شُمِّ العُلى زَفْسُ الَّذِيَّ إِلاهَةً قَدْ أَرْسَلا
لِأَسيرَ لِلأُسْطُولِ وَابْنيَ أَفْتَدي وَأَخيلَ أُتْحِفَ ما يَشاءُ مِنَ الغُرَرْ
فإِذا بِفِكْرِكِ لي سَريعاً صَرِّحي أَمَّا أَنا فَلِذاكَ غايَةُ مَطْمَحي
وَالقَلْبُ يَدْفَعُني إِلى فُلْكِ العِدى وَجُيُوشِهِمْ » قالَت وَمَدْمَعُها انْهَمَرْ:
«وَيْلاهُ أَينَ حِجىً عُرِفْتَ بهِ لَدى طُرْوادةٍ حتَّى وفي قَوْمِ العِدى
أَتَسيرُ وَحْدَكَ لِلسَّفينِ الى فَتىً لَكَ كَمْ فَتىً بَطَلٍ هُمامٍ قَدْ قَهَرْ
لا شَكَّ قَلْبُكَ كَالحَديدِ أَلا تَرى آخيلَ غَدَّارًا عَتا وَتَجَبَّرا
فَلَئِنْ رآكَ أَتَيْتَ لا رِفْقٌ ولا عَطْفٌ لَدَيهِ وَخِلْتَهُ فَوراً غَدَرْ
فَلْنَنْدُبَنَّ بِصَرْحِنا في مَعْزِلِ فَسِوى الهَوانِ لَهُ القَضا لَم يَغْزِلِ (١)
وَلَهُ الهَلاكُ أُتيحَ مُنْذُ وَلَدْتُهُ في البُعْدِ عَنَّا لا تُبَلِّلُهُ العِبَرْ
وَفَريسَةً لِلغُضْفِ وَيْلا يَغْتَدي بِحِمى عَتِيٍّ ظالِمٍ مُتَمَرِّدِ
مَنْ لي بِذا السَّفَّاكِ أَقْضَمُ كَبْدَهُ قَضْماً فَلا أُبْقي عَلَيهِ وَلا أَذَرْ (٢)

(١) تقدم (ن ٢٠ : ٩٦٦) ذكر غزل العمر . وغزل الهوان هنا من ذاك القبيل

(٢) تقدم لنا ذكر شواهد بهذا المعنى (ن ٢٢:١٠٣٨)— تمنت امهكطور ان

إنْ يَقْضِ هكطورُ فلا نِكْساً قضى لـكنْ لِكُلِّ كريهةٍ متعرِّضا
في الذَّوْدِ عن طُرْوادةٍ ونسائها ما أَنْتابَهُ جزعٌ ولا عرفَ المفرْ » (١)
فأَجابها بجـلالِ ربٍّ عُظِّما : « خلّي المَلامَ فقدْ نويتُ مُصمِّما
لنْ تَصرِفي عزْمي فلا تقفي إِذاً كوُقوفِ طيرِ الشؤْمِ في هذا المقرّ

تأكل كبد آخيل وقد فعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان تلك الفعلة بعد ايقاب بنحو الفي عام وكان ذلك في غزوة أُحد التي تقدم ذكرها اذ بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وتناولت كبده فلاكتها ومضغتها فلم تقدر ان تسيغها فلفظتها • ومن قبيل تحرّق ايقاب تحدّم سلافة بنت سعد بن سهيل اذ نذرت حين قتل عاصم بن ثابت ابنها يوم احد المذكور لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر • قال عنترة :

واني قد شربت دم الاعادي باقحاف الرؤوس وما رويتُ

(١) رسم الشاعر بحديث فريام وايقاب صورة الزوجين اضعفهما كرور الاعوام وانتابتهما الرزايا العظام فيتشاكيان ويتشاوران فالرجل قانطٌ من حياته لا يرى الا ان يموت ببقيةٍ من سالف مجده قرير العين ببلوغ أمنية تمناها • والمرأة وقد عدمت العون والنصير ترى حياتها بحياة ذلك الزوج • فبرزت ايقاب هنا بصورة المرأة الظنون والام الحنون والزوجة الشفيقة على زوجها المشفقة على نفسها • علمت انه متكل على زفس بذهابه الى العدو فلم تعبأ بهذا الاتكال بل ربما توهمت انها حيلة اختلقها فريام ليخفف عنها فشكت وبكت ولامت وقامت تحول بينه وبين امنيته • واعظمت عليه الامر حتى اذا اتت على ذكر اخيل قاتل ابنها ثار بها ثائر الغيظ فندت وعددت فاذا به كله قبائح • ولما اتت على وصف ابنها اسبل الحنو ستره على بصرها فلم تر فيه الا الجلال والكمال وانساها الحب الوالدي فراره من وجه اخيل فوصفته وصف الخنساء بقولها:

ياصخر انت فتى مجدٍ ومكرمةٍ تغشى الطعان اذا ما احجم البطلُ
كالليث يحمي عريناً دون اشبلهِ ثبت الجنان اذا ما زعزع الاسلُ
خطّاب اندية شهّاد انجيـةٍ لا واهن حين تلقاه ولا وهلُ
ضخمُ الدسيعة سهلٌ حين تطرقهُ لافاحش برم نِكسٌ ولا خطلُ

لو جاءني بالأمرِ عرّافٌ هنا أو كاهنٌ أو عائفٌ متكهنا
لرغبتُ عنهُ وقلتُ ذلكَ كاذبٌ وصرفتُ فورًا عن مقالتهِ النظرْ
لكنّ تلكَ الإلاهةَ أبصرتُها وسمعتُها وبذا اليقينِ أطعتُها
ولقدْ رضيتُ بأنْ يوافيني الردى بينَ العدى إنْ كانَ ذا حكمَ القدرْ
فلئنْ أضمُّ ابني الحبيبَ وغلّتي أشفي ليقتلْكَ بي أخيلُ بذلّتي »
ثمّ الخزائنَ قامَ يفتحُ مخرجًا من كلِّ منضودٍ بهنّ اثني عشرْ
من بُرْدها ونقابِها وشعارِها وكذاكَ من زِرْبيّها ودِثارِها
وأعدَّ منْ ذهبٍ شواقلَ عشرةً وكذا جفانًا أربعًا كانَ ادَّخرْ
ومنصتّينِ كذلكَ الكأسَ التي إثراقةٌ قدمًا إليهِ أهدتِ
وبها حبتْهُ وافدًا برسالةٍ فأضافها لفكاكِ هكطورَ الأبرّْ
وتكأكأَ الطرّوادُ في أبوابهِ فمضى يعنّفهم بمرِّ خطابهِ :
« عنّي أيا قومَ الهوانِ افرنقعوا أفلمْ يبرّحْ في مقامكمُ الكدرْ
أوما لكمْ منْ تندبونَ بدوركمْ حتّى تزيدوني أسىً بزفيركمْ
أوليسَ حسبي أنْ يلظّيني أسىً زفسٌ وأبسلُ فتيتي هكطورُ خرّ
ولسوفَ تلقونَ الأذى كلَّ الأذى إذْ بتُّمُ مذْ ماتَ أسهلَ مأخذا
لا أبصرتْ عينايَ ذاكَ معاقلي منْ لي بزجّي قبلَ ذلكَ في سقرْ »
واستاقهمْ بالصولجانِ فأدبروا منْ وجههِ وبنيهِ أقبلَ يزجرُ (١)

(١) علمت ان فريام كان ملكاً رفيع الشأن عظيم السلطان كثير الولد قوي

هِيلِنُساً فاريسَ هِيفُوثُوساً فَمونَ ذيفُوباً أَغاثُونَ الأَغرّ
أَنطِيفُناً فُولِيتَ سَفَّاكَ الدِّما وكَذاكَ تاسِعهُمْ دِيُوسَ الأَيْهما(١)
أَلْقى أَوامِرَهُ عَلَيْهِمْ ساخِطاً حَنَقاً وَكُلُّهمُ بِجِدَّتِهِ أُنْتِهِرْ :
«عَجَلاً أَوُلْدَ السُّوءِ يارَهْطَ الفَشَلْ يالَيْتكُمْ طرّاً فِدا ذاكَ البَطَلْ
وَيلاهُ واعظَمَ الشَّقاءِ فَكَمْ فتىً لي كانَ في إِلْيُونَ قَرْمٍ ذِي خَطَرْ
لَمْ يَبْقَ لي أَحَدٌ فَلا لَهَفاهُ لا مِسطُورُذاكَ القرنُ قرنُ بَنِي العلى(٢)
وَأَبُو الفَوارسِ إِطْرُويلُ وَمنْيَتي هكْطُورُ مَنْ رَبّاً غَدا بَينَ البَشَرْ
قد كانَ أَشْبَهَ بِابْنِ رَبٍّ مُعْرِق مِنهُ بِمَوْلُودٍ لإِنْسِيّ شَقِي
طرّاً أَبادَهمُ الوَغى مُسْتَبْقِياً لي زُمْرَةً واقبحها بَينَ الزُّمَرْ
رَنَّامَةً رَقَّاصَةً كَذَّابَةً وَبَني البِلادِ سَوامَها سَلَّابَةً(٣)
أَفَلا شَدَدْتُمْ مَرْكَبي وَنَضَدْتُمُ هذا المَتاعَ لِكَيْ أَسِيرَ على الأَثَرْ»

لجند اخنى عليه الدهر فزعزع اركان مملكته وضعضع احوال دولته وعاث العدو ببلاده وبطش بأولاده واراهُ هكطور وهو مطمح ابصاره وحامي ذماره قتيلاً يسام شر الهوان فلا بدع بعد ذلك ان يرى النور ظلاماً ويفقد الرشد وتنهال شتائمه على القريب والبعيد كأن الارض في عينه بقعة سوداء لاتحمل اليه الا الاعداء وهذا منتهى الجزع

(١) عربنا كلمتي (Διον αγαυον) بذيوس الايهم او الباسل على ما جرى عليه الاكثرون ولكن بعض النقلة جعلوا العلم الكلمة الثانية فقالوا اغابون الالهي او العظيم وهكذا قال مونتي (Agavo di divina sembianza)

(٢) القرن السيد والقرن المقارن الكفوء

(٣) الرنام المترنم

جزِعَ البنُونَ لِزجرِهِ وتألّبوا ... ولشدِّ مَرْكَبةِ البغالِ تأهّبوا
طيّارةٌ صُنعتْ حديثاً وازْدهتْ ... فبسطحها الزّنْبيلُ في الحالِ استقرْ
والنّيرُ نيرُ البقسِ كانَ على الوتَدْ ... مُحقوقفٌ في ظهرِهِ حلقُ العدَدْ
فأتوا بهِ وكذاكَ بالسيرِ الذي ... فيهِ وتسعةَ أذرُعٍ طولاً قدرْ
بالنيرِ رأسَ الجذعِ حالاً أدخلوا ... والسّيرَ حولَيهِ ثلاثاً حوّلوا
من تحتِ ذاكَ الجذعِ أحكمَ عقدهُ ... من ثَمَّ كلّهمُ إلى الصّرحِ ابتدرْ (١)
منهُ استقلّوا يشحنونَ المركبهْ ... بفكاكِ هكطورٍ لآخيلٍ هبهْ
قرنوا لها بغلينِ من ميسيّةٍ ... فريامُ نالَ هديّةً وبها افتخرْ
من بعدِ ذا عمدُوا الى فرسينِ في ... أكنافِ عنّتهِ غذا بتلطّفِ (٢)
فبنفسه مع فيجه في صرحه ... في الحالِ شدّهما ولم يرعَ الكبرْ (٣)
وأتتهُ إيقابُ يحزّها النّصبْ ... بشهيِّ صرفِ الرّاحِ في كأسِ الذهبِ
وقفتْ أمامَ الخيلِ تندُبهُ إلى ... صبِّ المدامةِ قبلَ أنْ يلجَ الخطرْ
قالت: «إليكَ الكأسَ خذْها واسكُبِ ... زُلفى وحسنَ العودِ من زفسَ اطْلُبِ

(١) يصف الشاعر هنا اجزاء المركبة وكيفية اعدادها • فالمراد بالزنبيل صندوق من القصب وما اشبهه يلقى على المركبة اما مجلساً للركاب واما محملاً للمتاع • والنير كنير الحراثة وفي أعلاه حلق تمر به الاعنة منفصلة الى فكي الحيوانين والسير الذي يناط بالنير كان يبلغ طوله تسعة اذرع لانه كان يُلف ثلاث مرار حول الجسر او الجذع (العريش) وهكذا فكانت الحيوانات تجر المركبة بالجذع وليس بالسيور

(٢) العنة الحظيرة

(٣) لابد من التنبيه هنا الى ان فريام ذهب بمركبتين احداهما تحمل الرياش والمتاع المعد لفكاك هكطور وتجرها البغال والاخرى لركوبه وتجرها الجياد

مِنْ زَفس مَنْ إِلْيُونَ يَرْمُقُ طَرْفُهُ   مِنْ طَود إيْذا حيثُ في عَلْيَاهُ قرْ
تَمْضِي على رَغْمِي فَسلْهُ يُرْسِلِ   لَكَ طيرَهُ الميْمُونَ ذا الطَّوْلِ العلي
فإذا أَتاكَ الى يمينكَ سانحاً   ورَأَيتهُ جئْتَ العُداةَ بلا حذَرْ (١)
لـكنَّما إنْ ظَلَّ زَفسٌ مُعْرِضا   وَبذي الرِّسالةِ منهُ لم يُبْدِ الرِّضا
لا أُغْرِينَّكَ انْ تَسيرَ لفُلْـكِهِمْ   مهْما رَغبْتَ ولُبُّ مُهْجتكَ اُستْعَرْ»
فأَجابها: «لَنْ أَعْصِيَنَّكِ يا اُمْرَأَهْ   بَسْطُ الأَكُفِّ لِزَفس نِعْمَ التَّوطئَهْ
فَلَعَلَّهُ عطْفاً يَرِقُّ» وأَمْرُهُ   فوراً لجارِيَةٍ بخدْمَتهِ صدَرْ
فَدَنَتْ بإِبْرِيقٍ وطَسٍّ تَذْهَبُ   ماءَ الطَّهُورِ على يَدَيهِ تَسْكُبُ
والكأْسَ من بَعدِ الوُضُوءِ أَراقها   فوقَ الحضيضِ لِزَفس دَفَّاعِ الضَّرَرْ
وَإِلى السَّماءِ أَقامَ يَنْظُرُ واقفا   في وسْطِ تلكَ الدَّارِ يَصْرُخُ هاتفا:
«اأَبا العوالِمِ زَفس مَنْ إيذا عَلا   يامَنْ لأَمْرِ جَلالِهِ الكُلُّ اُأْتَمَرْ
سَكِّنْ أَخيلَ فلي يَرِقَّ وأَرْسِلِ   لِي طَيرَكَ الميْمُونَ ذا الطَّولِ العلي
فإذا أَتاني عَنْ يَميني سانحـاً   ورَأَيْتُهُ جئْتُ العُداةَ بلا حذَرْ»
فَدُعاءَهُ زَفسُ اُستَجابَ وأَرْسَلا   في الحالِ أَصْدَقَ كُلِّ أَطْيارِ الفَلا
نَسْراً زَفيفاً كاسراً ذا قُتْمةٍ   بالأَسْمَرِ الفتَّاكِ في العُرْفِ اُشْتَهَرْ
جِنْحاهُ قَدْ نُشرا كَصِفقَي حُجْرَةٍ   شمَّاءَ في صَرْحِ الغِنا مَبْنِيَّـةِ
فتَنَسَّمَ الطُّرْوَادُ خَيرَ ظُهُورِهِ   لَمَّا يَميناً فوقَ إِلْيُونٍ ظَهَرْ

(١) تقدم لنا ذكر السانح والبارح (ن ١٢ : ٦٧٩)

فَهُناكَ فِرْيامُ لِساعَتِـهِ على كُرْسِيِّهِ بِجَميلِ بُشراهُ اُعتَلى
وَاُستاقَها فَمَضَتْ تَغِـيرُ بِدارِهِ وَرِتاجُها مِنْ وَقْعِ ذاكَ الجَرْيِ صَرّ (١)
وَأَمامَهُ حَثَّ البِغالَ وأَسْرَعا إيذوسُ مُعْتَلِياً مَحالاً أَرْبَعا (٢)
جَرَيا بإلْيُونٍ وكُلُّ ذَويهِ في الـ آثارِ تَنْدُبُ نَدْبَ مَنْ مَيتاً قَبَرْ
حتَّى إذا اُجتازا بأَسْواقِ البَلَدْ لِلسَّهْلِ جِدًّا لا يَحُوطُهُما أَحَدْ
وَإلى دِيارِهِمِ اُنْثَنى الأَبْناءُ والـ أَصْهارُ مَعْ كُلِّ الجَماهيرِ الأُخَرْ

لَمَّا رَأى زَفْسُ وَالشَّيخانِ قد وَلَجا في السَّهْلِ رَقَّ لِفِرْيامٍ وهاجَ شَجا
نادى اُبْنَهُ هِرْمِسَ المَحْبُوبَ قالَ: « لَكُمْ أَحْبَبْتَ بَينَ بَني الإِنْسانِ أَن تَلِجا
وإِنْ تَشَأْ تَسْتَجِبْهُمْ فاُصْحَبَنَّ إِذًا فِرْيامَ فَهْوَ إِلى الأُسْطُولِ قد خَرَجا
لا يَعْلَمَنَّ بِهِ بَينَ المَلا أَحَدُ حتَّى اذا جاءَ آخيلاً فلا حَرَجا »
لَبَّاهُ قاتِلُ أَرْغُوصٍ وفي عَجَلٍ خِفَّيهِ أَوْثَقَ في رِجْلَيهِ مُبْتَهِجا
(خِفَّانِ مِنْ عَنْبَرٍ صِيغا وَمِنْ ذَهَبٍ في البَحرِ والبَرِّ مِثْلَ الرِّيحِ قد دَرَجا) (٣)

---

(١) الرتاج الباب الكبير

(٢) المحال الدواليب او العجل • كانت مركبات الحمل على اربعة دواليب ومركبات الركوب والحرب على دولابين

(٣) العنبر هو تلك المادة السماوية التي تقدم الكلام عليها (ن ١٤ :٧٤٧) والظاهر انه يكاد يستعمل لكل غرض من اغراض الآلهة فهو طعامهم كما ذكر في غير موضع وطعام خيلهم كما مر في النشيد الخامس وطيبهم الذي يتطيبون به اذ تطيبت به هيرا (ن ١٤) ودواؤهم اذ استعملته ثيتيس (ن ١٩) مضادًّا للفساد فأفرغته في منخري فطرقل وهو قتيل وهو هنا داخل في ملبسهم • ولا يسهل علينا تأويل كل

والصَّواجانُ الذي يُلْقي السُّباتَ على مَنْ شاءَ أَو يُوقظُ الوَسْنانَ إِن خلجا[١]
بهِ مَضى مثلَ لَمحِ الطَّرْفِ ينْزِلُ في تلكَ السُّهُولِ بجُرْفِ البَحرِ مُدَّلجا
وَراحَ يَحْكي أَميرًا جَدَّ نَحْوَهُما عذارُهُ خطَّ في شَرْخِ الصِّبا بَلِجا[٢]
وَقَـبْرَ إِيلُوسَ لمَّا جاوَزا وَقَفا وقد اغارَ على الغَبْراءِ جَيشُ دُجى
هَمًّا بأَنْ يُورِدا لِلنَّهرِ خيلَهُما مَعَ البغالِ فَهبَّ الفَيْجُ مُـنْزَعِجا
رَأَى الإِلاهَ فَنادى: «يا ابْنَ دَرْدَنُسٍ تَرَوَّ وَانْظُرْ وَقِفْنا مَوْقِفاً حَرِجا
أَرى امْرَءًا جاءَنا بالحَتْفِ هلْ هَرَباً نلْوِي الجِيادَ وَفَوْرًا نَطْلُبُ الفَرَجا
أَو فَوقَ رُكْبَتِهِ نَحْني وَمَرْحَمةً نَرْجُو عَساهُ لَنا انْ يَسْتَجِيبَ رَجا»
فَارْتاعَ فِرْيامُ خَوفاً واقْشَعرَّ أَسىً وَقد غَدا مُرْبَئِرَّ الشَّعْرِ مُلْتَعِجا
لٰـكِنْ دَناهِرْمِسٌ يَهْوي عَلى يَدِهِ يُلْقي السُّؤَالَ بلِينِ القَولِ مُمْتَزِجا:
«عَلامَ يا أَبَتا والنَّاسُ قدْ وَسِنَتْ بذي البِغالِ وهٰذي الخَيلِ تَرْتَحِلُ[٣]
هُنا الأَخاءَةُ هلاَّ خِفْتَ شَرَّهُمُ وَكُلُّهُمْ لكَ بالعُدْوانِ مُشْتَعِلُ

تلك المزاعم على اختلافها الا اذا رجعنا الى معنى اللفظة في الاصل وعرفنا انها تفيد الخلود

(١) خلج حرك — اشباه هذا الصولجان كثيرة في روايات القُصاص حتى وبعض المؤرخين وليس هذا الصولجان الذي يتصرف باليقظة والوسن باعجب من خاتم المارد الذي يعمل كل نوع من المعجزات . أو القضيب الذي يحرك بساط الريح ويطيره وهلمَّ جرًّا

(٢) البلج الطلق المحيا

(٣) لايزال شبان الترك وغيرهم من ابناء الشرق اذا خاطبوا شيخاً قالوا له يا أبتاه كما قال هرمس فيقال لهم يابنيَّ كما أجاب فريام فيما يلي

ما بالُكَ الآنَ لو وافاكَ أيُّهُمُ بذا الرِّياشِ وَسِتْرُ اللَّيلِ مُنْسَدِلُ
ما كُنْتَ غضَّ شبابٍ والرَّفيقَ أرى شيخاً فما لكَ في دفعِ الأذى قِبَلُ
فلا تخفْ ضَرَري بلْ فاُقِ بي عَضُداً لكَ أنبرى وأباهُ فيكَ يمتثلُ» (١)
فقالَ فِريامُ يعلوهُ الجلالُ: «أجلْ بُنَيَّ غيرَ مقالِ الحقِّ لم تَقُلِ
لكنْ أرى بعضَ آلِ الخُلْدِ قد بسطُوا عليَّ كفَّهُمُ في الموقفِ الجَلَلِ
إليَّ أسرَوْا بسيَّارٍ نَظيرِكَ ذي قَدٍّ وَحُسْنٍ وعقلٍ نادرِ المَثَلِ
أهلاً وَطوبى لأهلٍ أنتَ فرعُهمُ» فقالَ: «ياشيخُ خيرَ القولِ ترتجلُ
فأطلعنّي طلعَ الأمرِ أينَ تُرى يُساقُ في الليلِ هذا الحليُ والحُلَلُ
أتطلبنَّ بقاصي الدّارِ مؤتمناً لهُنَّ أم كُلَّ إليُونٍ عرا الوَجَلُ
فرُمتُمُ هجرَها لمّا نأى وقضى هولُ الأخاءةِ هكطورُ بنكَ البطلُ»
فقالَ: «مَنْ أنتَ منْ أيِّ الارُومةِ يا مَنْ ذِكْرُ حتفِ ابنيَ المُنتابِ ينبسطُ لي»
أجاب: «ياشيخُ هلْ ذاكَ امتحانُكَ لي إذْ جئتُ خُبْرِيَ عنْ هكطورَ أمتثلُ» (٢)
فكمْ بَصرتُ بهِ للفُلْكِ مُكتسِحاً جيشَ الأخاءِ وسيفُ الحتفِ يمتشلُ» (٣)
وكمْ رأينا وأكبرْنا ومانَعَنا آخيلُ غيظاً على أتريذَ نقتتلُ
في قومِ أعوانِهِ وافيتُ منتظماً بفُلْكِهِ وإلى المِرْميدِ أتَّصِلُ
أبي فلِقْطُورُ منْ أهلِ اليسارِ غدا شيخاً حكاكَ بنوهُ سبعةٌ كَمُلوا

---

(١) يمتثل يتصور
(٢) امتثل ابين
(٣) امتشل السيف استله

فَعِنْدَهُ سِتَّةٌ ظَلُّوا وسابِعُهُمْ أَنا حَمَلْتُ مَعَ الإغريقِ مُذْ حَمَلُوا
لَمَّا اقْتَرَعْنا فَسَهمي دُونَ أَسهُمِهِمْ بَدا فَأَمْرَ أَخيلٍ جِئتُ أَمْتَثِلُ
والآنَ أَنْفَذَني لِلسَّهْلِ مُرْتَقِباً فَقَدْعَرا القَومَ مِنْ كَفِّ الوَغَى المَلَلُ
سَيَحْمِلُونَ على إليُونَ مِنْ غَدِهِمْ وَالصِّيدُ عَنْ رَدْعِهِمْ ضاقَتْ بِها الحِيَلُ»
فَقالَ فِرْيامُ: «إِمَّا كُنْتَ مُنْتَسِباً إلى ابْنِ آيَاكَ فَاصْدُقْني بِلا مَهَلِ
أَجِسْمُ هَكْطُورَ آخيلٌ رَمَى قِطَعاً لِلغُضْفِ أَمْ قُرْبَ تِلْكَ الفُلْكِ لَمْ يَزَلِ» [1]
فَقالَ: «لا مِنْسَرٌ لا نابَ عاثَ بِهِ لٰكِنَّ جُثَّتَهُ لِلْخَيْمِ قَدْ حَمَلُوا
في القُرْبِ مِنْ فُلْكِ آخيلٍ لَقَدْ بَزَغَا ثْنا عَشَرَ فَجْراً عليهِ وَهُوَ مُعْتَقَلُ
فَلا عَراهُ فَسادٌ او تَخَلَّلَهُ دُودٌ تَخَلَّلَ بُهْماً في الوَغَى قُتِلُوا
وَكُلَّما طَرَّ فَجْرٌ حَولَ صاحِبِهِ أَخيلُ طافَ بِهِ بِالعُنْفِ يَجْتَذِلُ [2]
لَتَعْجَبَنَّ إِذا أَبْصَرْتَهُ تَرِفاً لا نَقْعَ دَنَّسَهُ والجُرْحُ مُنْدَمِلُ
كَمْ طَعْنَةٍ فَهِقَتْ فيهِ قَدِ انْدَمَلَتْ كَأَنَّ آلَ العُلَى تِلْكَ الدِّما غَسَلُوا
لا شَكَّ وَدُّوهُ حَتَّى بَعْدَ مَصْرَعِهِ عَنْ ذٰلِكَ البَطَلِ القَهَّارِ ما غَفَلُوا»
فَطابَ قَلْباً وَصاحَ الشَّيْخُ: «واوَلَدا يا حَبَّذا البِرُّ لِلأَرْبابِ مِنْ عَمَلِ

---

(١) لاغرو ان يشفق فريام من طرح جثة ابنه هكطور للغضف أي الكلاب لما كان يعلم من تحدم اخيل غيظاً عليه — في تواريخ العرب ان سليمان بن علي عم السفاح العباسي قتل بالبصرة جماعة من بني أمية وأمر بهم فجروا بأرجلهم وألقوا على الطريق فأكلتهم الكلاب

(٢) يجتذل يطرب

لم ينسَ ما عاش أرباب الألبِ ولا … هم أغفلوه ولو بعداً انقضا الأجلِ
فهذه الكأس خذ مني وكن عضدي … بعون آل العلى في هذه السُّبُلِ
حتى لخيمة آخيل تبلغني » … فقال هرمس : « ليست شيمتي النِّحَلُ
مهما أكن حدثاً ما أنت تطمعني … بنائلٍ عن أخيلٍ خفيةً تصلُ
أخشاه والنفس تأبى أن تمدّ يدي … لسلبه إنّ عقبى ذلك الفشلُ (١)
لأصحبنّك حتى لو بغيت الى … بلاد أرغوس ذات الشأن تنتقلُ
وليس برّاً وبحراً ما ظللت على … عهدي تمسّك من كفّ العدى الأسلُ »
وهبّ هرمس للكرسيّ واستلم الـ … عنان والسوط ثم استاق منتهجا
وهمة الخيل أورى والبغال وبا … حفير حالاً لأسوار الحمى أتلجا (٢)
ألفى العيون أعدّت زادها فعلى … أجفانهم صبّ تهجاعاً بها أندمجا (٣)
وراح يفتح أرتاج الحصار بلا … عنا ويدفع أزلاجاً بها زُلِجا (٤)

---

(١) كأني بهوميروس وهو ينظم هذين البيتين قد القى بروح النبوءة امثولة على الجم الغفير من عمال حكومات هذا الزمان ينبههم بها كيف كانت اداب المأمور في زمانه وعظة يفيدهم بها ان كل صلة يُنفح بها التابع فتمد اليها يده خفية عن المتبوع تعد رشوة وسرقة • وكل رشوة تؤخذ انما تعد اختلاساً من بيت المال لانها توجب نقصاً في دخله اذ لو قبل هرمس هدية فريام واخذ منه الكأس لنقصت من التحف المهداة الى أخيل

(٢) اتلج ولج

(٣) أي الفى الارصاد متأهبة لتناول الطعام فصب الهجوع على اجفانها وهذا التعبير الاخير من التعبيرات الهوميرية المألوفة

(٤) الارتاج الابواب والازلاج الاقفال وزلج الباب اغلقه بالازلاج • والمراد بالحصار السور الذي بناه الاغريق وراء السفن

وَبالهـدايا وَفِرْيامٍ وَمَرْكَبِـهِ أُمَّ الخيامَ وفي بَطْنِ الحمى زَلَجا[1]
حتَّى إلى الخيْمَةِ الشمَّا التي رفعَ الـ مِرْميدُ لِابْنِ أَياكٍ مَلْكِهِمْ عَرَجا
من أَسؤُقِ السَّرْوِ شِيْدَتْ تحتَ أَغْمِيَةٍ منَ المُروجِ بها البَرْدِيُّ قد مَرَجا
وحَولَها الدَّارُ شِيدتْ تحتَ أَعْمِدَةٍ وَالبابَ مِزْلاجُ سَرْوٍ واحدٌ رَتَجا[2]
ثَلاثَةٌ مِنْهُمُ بالعُنْفِ تَدْفَعُـهُ لـكنَّما دَفْعُـهُ آخيـلَ ما زَعَجا
بوَجْهِ فِرْيامَ خفَّ الرَّبُّ يَفْتَحُهُ وَبالهَدايا إِلى ذاكَ الفِنا وَلَجا
وَصاحَ مِنْ بَعدِ ذا لمَّا تَرَجَّلَ: «يا ذا الشَّيخُ هِرْمِسُ مَنْ والاكَ لا رَجُلُ
أَبي نَصيرًا إِليْكَ اليومَ أَنْفَذَني وَها أَنا الآنَ ماضٍ عنكَ أَنْفَصِلُ
اَنْ أَظْهَرَنَّ لآخيلٍ فما لِبَني الأُ لَى جِهارًا وَلاءَ الإِنْسِ تَبْتَذِلُ
وأَنتَ رُحْ وانْطَرِحْ مِنْ فوقِ رُكْبَتِهِ وَسَلْهُ رِفْقاً عَسى يُصْغِي لِما تَسَلُ

---

(١) زلج خف واسرع

(٢) الاغمية السقوف • والمزلاج المغلاق ورتج اقفل ـ يصف لنا الشاعر خيمة اخيل او صريفته اذ لم تكن مصنوعة من القماش بل كانت مبنية من سوق شجر السرو ومسقوفة بالبردي (وفي الاصل القصب ذي الزغب) المقطوع من تلك المروج محيط بها دار متسعة قائمة على اعمدة • ويستفاد من هذا الوصف ومما تقدمه في النشيد التاسع انها كانت مقسمة عدة أقسام ففيها الحرم وفيها المضيف وفيها غرف اخرى • فلما أوفد أوذيس وجماعته لاسترضاء أخيل وبات فينكس عنده أفرزت له غرفة وبات فطرقل وحظيته بغرفة وأخيل بغرفة اخرى هذا خلا منازل السبايا والمضيف الاكبر وهي اشبه شيء بصرائف شيوخ العرب النازلين في البقاع الزراعية كبر العراق لايامنا هذه الا ان الغالب في هذه الصرائف ان يكون المضيف فيها منزلاً متسعاً منفصلاً عن الحرم

ولا شك ان امثال هذه الصرائف لم يكن يقام الالازعماء في أزمنة الحصار الطوال

وَبِاسْمِ فيلا وثِيتيسٍ ونِفْطُلْمٍ ناشِدْهُ يَرِنْ لِدَمْعٍ منْكَ يَنْهمِلُ(١)

هـكذا هرمسُ أتمَّ الخطابا وتوارى إلى الأُلِمْبِ وآبا(٢)

(١) أي ناشده باسم أبيه وامه وابنه

(٢) قضى هرمس رسالته وابلغ فريام سالماً الى منزل اخيل ثم توارى وقفل عنه راجعاً

يرى حفظة التوراة لأول وهلة شبهاً غريباً بين رسالة هرمس ورسالة الملاك الذي رافق طوبيا وقد أرسله ابوه الى غابيلوس بمدينة راجيس بأرض الماديين وهو يجهل الطريق « فبينما خرج طوبيا اذا بفتى بهيّ قد وقف مشمراً كأنه متأهب للمسير فسلم عليه وهو يجهل انه ملاك الله وقال من اين اقبلت يافتى الخير قال انا من بني اسرائيل فقال له طوبيا وهل تعرف الطريق الآخذة الى بلاد الماديين • قال اعرفها وقد سلكت جميع طرقها مراراً كثيرة وكنت نازلاً باخينا غابيلوس المقيم براجيس مدينة الماديين » فدخل طوبيا بالملاك على أبيه فسأله ان يذهب بابنه دليلاً الى راجيس على أن يؤدى له اجرته « فقال له الملاك آخذه واعود به اليك فقال له اخبرني من أي عشيرة ومن اي سبط انت فقال له رافائيل الملاك أفي نسب الاجير حاجتك ام في الاجير الذي يذهب مع ابنك ولكن لكي لا اقلق بالك انا عزرْ يا بن حننيا العظيم » • فرافق طوبيا وجرت المعجزات على يده ورجع به سالماً الى والديه ولما سئل ان يأخذ اجرته قال « اني رافائيل الملاك ••• والآن قد حان لي ان ارجع الى من ارسلني ••• وبعد ان قال هذا ارتفع عن ابصارهم فلم يعودوا يعاينونه بعد ذلك » (سفر طوبيا فصل ٥ — ١٢) • وامثال ظهور الملائكة للبشر كثيرة في التوراة والانجيل والقرآن كقوله « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » ولهذا قال بعض الشراح ان هوميروس اخذ هذه الرواية عن التوراة اذ كان عالماً بما تلقنه من اليهود أثناء اقامته بمصر ان الباري عز وجل قد ينفذ ملائكته رسلاً الى البشر

ولا اخال هذا الزعم صادقاً في كلياته وان امكن صدقه في هذه الرواية لان الاعتقاد بالصلة بين الخالق والمخلوق عامٌّ لجميع الاديان منزلة كانت او غير منزلة •

فعدا الشيخُ راجلاً وأنابا

إيذيوساً فظلَّ عندَ العجالِ عانياً في جيادِها والبغالِ

ومضى يقصدُ ابنَ فيلا فألما هُ تنحَّى وعنهُ أنأى الصحابا

ما لديهِ غيرُ الفتى أفطُميذِ وكذا فرعِ آرسٍ ألقميذِ

كانَ عن زادِهِ ورشفِ النَّبيذ

قامَ والزادُ لا يزالُ لديهِ وهُما قائمانِ بينَ يديهِ

كلُّهمْ ما رأوهُ فانسلَّ وانصبَّ على رُكبتي أخيلَ انصبابا

ويديهِ اللتينِ كم من فتىً جلْ من بنيهِ أبادتا قبلُ قبَّلْ

دُهشوا عندَ ما على الفورِ أقبلْ

دهشةَ القومِ من وفودِ غريبِ ساقهُ فادحُ القضاءِ المُريبِ

قاتلاً من بلادِهِ فرَّ يلجا لديارِ امرئٍ تعلَّى جنابا (١)

فانشاد هوميروس لا يكاد يخلو منها نشيد من مخاطبة او رسالة بين الآلهة والبشر وجميع الآثار الباقية من كتّاب اليونان الذين احاطوا علماً بمعتقدات اليهود او لم يحيطوا ملأى بمثل هـذه الروايات فضلاً عن روايات من هم اقدم منهم من المصريين والكلدان والاشوريين

(١) اي ان اخيل واصحابه دهشوا لرؤية فريام قادماً عليهم وليس بحسبانهم انه قادم كما يدهش القوم في دار رجل ذي عزوة وشأن اذا دخل عليهم فجأة رجل جانٍ يطلب اللياذ . فهم على ما ترى كابناء البادية اذ كانوا ولا يزالون يحمون الصريخ وينزلونه منزلة الجار والنزيل وان عظمت جنايته وضعفت عزوته . قال الكميت :

فأَجالُوا الأَبصارَ باستعجابِ   وَهوَ أَلقى خِطابَهُ باكتئابِ:

« يا ابنَ فِيلا مقرَّبَ الأَرْبابِ

أذكُر اذكُرْ بشيبتي والدَّالكْ   دركَ العجزِ آهِ مثلي أَدْرَكْ

رُبَّ جارٍ أصابَهُ ببلاءِ   وَهوَ لاعونَ صدَّ عنهُ المُصابا

إنَّما لِلسُّرُورِ يَلْقى سَبيلا   ذاكَ إن أَبلَغوهُ حيَّاً أَخِيلا

فَيُرَجِّي لَهُ مَعاداً جَميلا

لِيَراهُ من بَعدِ طُولِ اغْتِرابِ   وأَنا آهِ أَلْتَظي بالْتهابِ

كَم فَتىً باسلٍ بإِلْيُونَ لي كا   نَ فَطرًّا بادُوا وأَضحَوا تُرابا

عِندَ ما جاءَتِ الأَخاءَةُ بَحرا   حُسِبُوالي خَمسينَ عدًّا وحَصْرا

مِن نِساءٍ شَتَّى وَتِسْعَةَ عَشْرا

عُصْبَةً إِخْوَةً أَشِقَّاءَ كانُوا   جُلُّهُمْ بالجِهادِ لِلْحَتْفِ دانُوا

واحِدٌ ظَلَّ مِنْهُمُ بِذِيادٍ   عَن سُرانا يَقِي البِلادَ الخَرابا

وجيش نصيرجاءَنا عن جناية   فكان علينا واجباً ان يزوّرا

أي ان يكرم ويؤخذ بيده • ومثله قول سليم بن محرز :

ونمنع سرب الجار ان رامه العدى   جهاراً بخطيّ تهز سلاهبه

وقول عنترة :

واني لاحمي الجار في كل زلة   وافرح بالضيف المقيم وابهجُ

ذاكَ هكطورُمن قتلتَ أخيرا		وَهوَ يحمي ذِمارَهُ والعشيرا
ذاكَ ما ساقني هنا مُستجيرا

فأَممتُ الأُسطُولَ في ذا السّبيلِ		ولقد جئتُ بالفكاكِ الجزيلِ
فسراةَ العلى أخيلُ اتَّقي واز		فُق بحالي واذكرْ أباكَ اهتيابا

لا جديرٌ في الخلق بالرّفق مثلي		لا ولا في الورى امرؤٌ ذلّ ذُلّي
هذه الكفُّ أسُّ بؤسي وخذلي
وبها ابني أضحى قتيلاً جديلا		وأنا قد قبّلتُها تقبيلا» (١)
فبذا الشيخُ هاجَ مدمعَ آخيـ		لَ لذكرى أبيهِ فيلا اكتئابا

فبرفقٍ أناهُ عنهُ وأجرى		عبراتٍ سحّتْ على الفور حرّى
فكلا القيّمين ناحَ لذكرى
ذا لهكطورَ ساجدًا لأخيلا		وأخيلُ فطرُ قلَ يبكي وفيلا
لبثا ينحبانِ ثمَّةَ حتّى		لهما اهتزّتِ السقوفُ انتحابا

وأخيلٌ لمّا روى بنحيبهْ		غلّهُ قامَ مغضيًا عن كُروبهْ
أنهضَ الشّيخَ رافقًا بمشيبهْ
ولهُ وجّهَ الخطابَ فقالا :		«إي نعم سامكَ القضاءُ وبالا
كيفَ قُل لم تخفْ فجئتَ الى الفلْ		كِ وحيدًا لمن بنيكَ انتابا

---

(١) مهما رسم الرسامون من مثال لمنتهى الشقاء والذل فما هم بآتين بمثل

لَكَ قلبٌ مثلُ الحديدِ الصلّيبِ فانْهَضِ اجلسْ ولْنُبقِ طيَّ القلوبِ
غُصَصَ النفسِ لاشتدادِ الخطوبِ
ليسَ يُجدي بكاؤنا والنحيبُ فالرزايا لكلّ مرءٍ نصيبُ
ليسَ يخلو سوى بني الخلدِ منْ هـمّ ولكنْ لنا أعدُّوا العذابا

فبأعتابِ زفسَ قارورتانِ ذي لخيرٍ وذي لشرّ الهوانِ
فيهما كلُّ قسمةِ الإنسانِ
فالذي منهما مزيجاً أنالا زفسُ يلقى خيراً ويلقى وبالا

هذا المشهد المهيب : ملكٌ نبيل وشيخٌ جليل يجرر شيبه على قدمي فتى فتاك ويقبّل اليد التي سلبته نعيم الدنيا وبطشت بولدٍ هم صفوة ابطال زمانهم — ومهما شحذت القرائح فما هي بمنتجة ابلغ من خطاب فريام لاخيل وأوقع منه في النفس حتى هاج مدمع ذلك القلب الصلب . فاجأ فريام اخيل وقومه وما احسوا الا ان هو بينهم فبهتوا فانسل واهوى على ركبتي أخيل وأخذ يقبل يديه . وقبل ان يبسط مرامه افتتح كلامه بقول يلين الجلمود اذ أمرّ على مخيلته بعبارة وجيزة ذكرى أبيه فيلا وهو كما علمت اعز الناس على اخيل وقد أدركهُ العجز وكساه الشيب حلة الجلال ثم قابل بين حالته وحالة ذلك الشيخ النائي فاذا هو اجدر بالرفق بما لا يقاس . ثم مر عجلاً على ذكر مقتل ابنائه حتى اذا أنس من اخيل ارتياحاً أتى على ذكر هكطور ومقتله ولم يذكر من مناقبه الا انه كان يحمي ذماره وعشيرته وليست سواها منقبة تعلي قدره لدى اخيل وتعطفه عليه وان كان عدوه الالد ووطّأ للختام بتكرار ذكر فيلا واختتم بعبارة أخذت بجميع اطراف المذلة والتعاسة وهي قوله

هذه الكف أسُّ بؤسي وذلي وبها ابني اضحى قتيلاً جديلا وانا قد قبلتها تقبيلا

فلا بدع بعد ذلك ان ينتحب أخيل على عزة نفسه وقد نُصبت لعينيه كل هاتيك الرسوم

والذي لا يَنالُ إلاَّ مِنَ الشـَّ　　　رِّ فَتَنْتابُهُ الخُطُوبُ انْتِيابا

بِطَواهُ يَطْوي البِلادَ كَليلا　　　تائِهاً في عُرضِ الفَلاةِ ذَليلا
مِن بَني الخُلدِ والوَرى مَخذُولا (١)

فَلفيلا الأَرْبابُ خَيرَ الهِباتِ　　　أَجزَلوا مُذْ بَدا لِهٰذي الحَياةِ
فاقَ جاهاً وثَروةً وعلى المِرْ　　　مِيدِ أَضحى قَيْلاً مُطاعاً مُجابا

ولَئِنْ كانَ فانِياً وأُبْنَ فانِ　　　أَنْـكَحُوهُ إِلاهَةً ذاتَ شانِ

---

(١) يقول ان في اعتاب زفس قارورتين (او دنّين) قارورة جعل فيها شراب الخير وقارورة شراب الشر فيسقي الناس اما من احداهما واما من كلتيهما فالذي يُسقى مزيجاً من الخير والشر يلقى خيراً ويلقى شرًّا والذي يسقى من الشر لا يلقى الا الشر والشقاء

وفي هذا التوزيع حكمة صادقة قل من ينتبه اليها وهي انه لم يقل بوجود بشر يسقى من قارورة الخير وحدها اشارة الى انه لا راحة تامة لاحد من بني الانسان

هذه خرافة من خرافات القوم ولكنها تتضمن حقيقة راسخة وفيها استعارة لطيفة ورد امثالها في التوراة اذ ذكر صاحب المزامير كأساً بيد الحق جلّ جلاله . ونكاد نجد في كلام شعرائنا كأساً لكل محمود ومكروه . قال عنترة :

لا تسـقني كأس الحيـاة بذلة　　　بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ

وقال ابن الفارض :

سقتني حُميا الحب راحة مقلتي　　　وكأسي محيا من عن الحسن جلّتِ

ومن مرويات الزمخشري :

ما ارجي بالعيش بعـد أُناسٍ　　　قد اراهم سقوا بكأس حلاقِ

والمراد بكأس حلاق الموت

وعلى ذا مَنَّوهُ بالأَشْجانِ

بجماهُ لم يُعطَ قطُّ بَنِينا بَعدَهُ في بلادِهِ يَحْكُمُونا
فَرعُهُ واحدٌ سيَقْضي قَرِيباً غيرَ مُجدٍ مَشيبهُ حينَ شابا

كيفَ أُجْدي وقدشَطَطْتُ دِيارا وبإِلْيُونَ قُمتُ والهَولُ دارا
لكَ أُهْمي وآلِكَ الأَكْدارا

وكَذا أَنتَ قد رَوى الرَّاوُونا لَكَ يا شَيخُ طالِعاً مَيمُونا
كُنْتَ ذا دَولةٍ ومالٍ وأَبْنا ءِ بِشَرْخِ الصِّبا سَمَوا أَنْجابا

مِن ذُرى لِسبُسٍ مَقَرِّ مَقارِ لِفريجا لِجُرفِ هذي البِحارِ [1]
سُدْتَ جَمَّ القُوى رَفيعَ المَنارِ

إِنَّما مُنْذُ ذا القِتالِ الوَبيلِ لا تَرى غيرَ قاتِلٍ وقَتيلِ
فاعْتَصِمْ بالعَزاءِ لاتَجْعَلِ الضَّيْمَ أَسىً فيهِ تَقْطَعُ الأَحْقابا

لَيسَ يُجْدِيكَ حُزْنُ هكْطُورَ نَفْعا لَنْ تُقِيمَنَّهُ بِذَرْفِكَ دَمْعا [2]

---

(١) كانت مملكة فريام ممتدة من سواحل بحر هيلا (الدردنيل) شمالاً الى لسبوس جنوباً الى فريجيا شرقاً . وذكر اسطرابون انها كانت تسع ممالك منضمة جميعاً تحت لواء فريام فقول هوميروس هنا قول عالم بجغرافية زمانه محقق

(٢) قال اراكة :

لعمري لئن اتبعت عينك ما مضى به الدهر او ساق الحمام الى القبرِ
لتنتفدن ماء الشؤون باسره وان كنت تمريهنَّ من ثبج البحرِ
تأمل فان كان البكا رد هالكاً على احدٍ فاجهد بكاك على عمروِ

رُبَّ خَطْبٍ إليكَ مِن بَعدُ يَسعى » (١)

قالَ يَحكي فِرْيامُ آلَ الخُلُودِ: «يا ابنَ فيلا لا تَدْعُني للقُعُودِ
إِنَّ هَكطُورَ في خيامِكَ لا قَبْرَ يُواريهِ في التُّرابِ احْتِجابا

أَعْطِنيهِ حتَّى بِعَيني أَراهُ وجَزيلَ النَّفائسِ اقْبَلْ فِداهُ
فَبِها قد أَتيتُ أَبْغي سَلاهُ
مِنكَ يا مَن حيًّا قدِ استَبْقاني أَنظُرُ النُّورَ ساطِعًا بالأَمانِ
فَبِها اهْنَأ عَساكَ تَرْجِعُ لِلأَوْطانِ مِن بَعدِ ما نَأَيتَ اغْتِرابا»

عِندَ هذا أَخيلُ أَحْدَقَ شَزْرا قالَ: «يا شَيخُ لا تَغِظْنِيَ قَسْرا
لَكَ هَكطُورُ سَوفَ يُعطى فَصَبْرا
بِنتُ شَيخِ البِحارِ أُمّي أَتَتْني مِن لَدى زَفسَ أَمرَهُ بَلَّغَتْني
وأَنا عالِمٌ بِأَنَّ إِلاهًا بكَ حتَّى الأُسطُولِ جاءَ فَغابا

أَيُّ مَرءٍ ولَو بِشَرْخِ الشَّبابِ يَخْرُقُ الجَيشَ قاصِدًا أَبْوابي

---

(١) لقد اكبر الشاعر بطله اخيل بهذا العطف على فريام فوق اكباره اياه بسائر ما قال اذ ابرزه هنا ذا عاطفة وحكمة وحنان فبات المستعطَف المستعطِف وهي براعة من الشاعر نادرة المثال اذ اضاف الى مناقبه منقبة هي اعظمهن وابعدهن عن ذهن المطالع فلا يأتي على ختام الالياذة الا وقد رسخ في تصوره ان اخيل من اعاظم الخلق بأساً وكرامة وعزة وشهامة وهو وان كان صعب المقاد صلب الجنان فلا يخلو عنصره من اصفى جواهر الكرم والورع والاحسان

عن عيونِ العيونِ طيَّ الحجابِ
أَوَ أَزلاجنا لهُ يتهيا دفعُها أُصمتُ إنْ شئتَ تلبثْ حيّا
لا تهجني فزفسَ أعصي ولا أزْ عى ذليلاً همّاً وشيخاً مصابا»(١)

جزعَ الشيخُ للوعيدِ مطيعا وأخيلٌ كالليثِ هبَّ سريعا
غادرَ الخيمَ آمراً متبوعا
معهُ من رفاقهِ تبعانِ بعدَ فطرُقلَ أقربُ الفتيانِ
أفطميذْ والقميذُ أخو العزْ مِ جميعاً عدوا وجازوا البابا

ذلكَ الفيجَ أدخلوا وأحلّوا مجلساً والبغالَ والخيلَ حلّوا
ومنَ المركبِ الرياشَ استقلّوا
غيرَ بردينِ شائقينِ جمالا وشعارٍ مزخرفٍ يتلالا
رامَ آخيلُ أنْ يكفّنَ هكطو رُ بها عندَ ما يتيحُ المآبا

والجواري لغسلِ هكطورَ نادى ولتطييبهِ هناكَ بعادا
خشيةَ أنْ يرى الأبُ ابنًا ابادا
فيثورُ الأوارُ ضمنَ فؤادهْ وأخيلٌ يشتدُّ داعي اشتدادِهْ

(٣) عيون العيون نواظر الارصاد — هذه آخر شرارة قذفها اخيل عن زناد غضبه الذي بنيت عليه الرواية • وهنا خبت ناره فبات دعة وكرماً بعد ذلك الاحتدام الوهاج

وَبهِ يُعْـمِلُ الظُّبى لا يُبالي أنَهى زَفْسُ أمْ أُنيلَ العقابا

غَسلَتْهُ وَطَيَّبَتْهُ الجَواري وَبِبُرْدٍ كَفَّنَّهُ وَشِعارِ (١)
وأخيـلٌ أَلْقاهُ خلفَ الدَّار

فَوْقَ نَعْشٍ وَذانِ بأُسْتَعْجالِ رَفَعاهُ لِظَهْرِ كُبْرى العِجالِ
عِندَ هذا بكَى أَخيلُ وفَطْرُوْ لَ دَعا قالَ: «لا تَسُمْني عِتابا

لا تُغظ إن بلُجّ آذيسَ يَنْمى لَكَ أنّي أعَدْتُ هَكْطُورَ رَغْما
فَأَبُوهُ أَدّى الفَـكاكَ الأتَمّا
وأَنا مِنهُ سَهْمَكَ المُعْتادا سَوفَ أُبْقي» وللضَّريفةِ عادا (٢)

---

(١) قد علمت مما مر من التمثيل بجثة هكطور ووعيد اخيل وهديده انه كان ينوي لها شر النيات • اما الآن وقد انطفأت جذوة غيظه وارعوى الى الصواب فقد رجع الى اجراء الواجب بعرفهم من رعاية جثث الموتى فأمر بتكفينه وتطييبه على ما يليق بمقامه — تلك كانت حالة العرب في جاهليتهم فقد كانوا اذا اشتد بهم الكيد يمثلون بالقتلى مثلة قبيحة ولكنهم كانوا فيما سوى ذلك يحترمون جثث القتلى ولو من اعدائهم • وقد جاء في الاثر ان جساساً لما قتل كليباً وضع على جثته حجاراً لئلا تأكلها السباع • والتمثيل بالقتلى مما نهى عنه الاسلام كما تقدم • وفي الحديث عن عائشة : «كسر عظم الميت ككسره حياً» اي انه لايهان كما لايهان الحي • ومن مرويات الحديث ايضاً : «لأن يجلس احدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخاص الى جلده خيرٌ له من ان يجلس على قبر» ومن هذا القبيل قول المعري :

خفف الوطء ما اظن اديم الا أرض الا من هذه الاجسادِ
وقبيحٌ بنا وان قدم العهـ ـدُ هوان الاباءِ والاجدادِ

(٢) حبذا لو ذكر الشاعر في جملة خطاب اخيل لفطرقل امر زفس بالتخلي

حَلَّ في عَرْشِهِ البَهيّ لَدى الحا ئطِ يُلْقي أَلفاظَ نُطْقٍ عِذابا :

« لَكَ يا شَيخُ قد أُعيدَ فَتاكا وَهْوَ في نَعْشِهِ فَنَلْ مُبْتَغاكا
فإِذا الفَجْرُ بُكْرَةً وافاكا
فَمَلِيًّا تَراهُ عِنْدَ المَعادِ إِنَّما الآنَ حانَ وَقْتُ الزَّادِ
فَنِيُوْبا لَمْ تَسْهُ عن زادِها في صَرْحِها مُذْ أَصابَها ما أَصابا[1]

وُلْدُها اُثْنا عَشْرٌ بِرَيعِ الحَياةِ فِتْيَةٌ سِتَّةٌ وستٌّ بَناتِ
فَتَكَتْ أَرْطَمِيسُ بالغاداتِ

عن هكطور لأن ذلك يحمّل عذره لديه فهو اقرب الى اظهار الاضطرار من قبول الفكاك واستبقاء سهم فطرقل منه

(١) أشار اخيل الى قصة مشهورة في خرافاتهم مؤاساةً لفريام وحثاً له على تناول الزاد . ذلك ان نيوبا ابنة الطنطال وامرأة امفيون ملك ثيبة كانت تعتز بكثرة اولادها وهم ستة بنين وست بنات ففاخرت بهم لاطونة عشيقة زفس ولم يكن للاطونة سوى ولدين فيبوس (الشمس) وارطميس (القمر) فحنقت لاطونة واغرت ولديها فقتلا جميع أولاد نيوبا فلبثوا تسعة أيام مجندلين على التراب بدمائهم لا يضمهم لحد لأن زفس كان يمسخ كل من دنا اليهم حجراً . ولما كان اليوم العاشر دفنتهم الآلهة . ثم مُسخت نيوبا



نيوبا واحد اولادِها

وبقَوسِ اللُّجينِ فيبُوسُ أَردى وأَبادَ الفِتْيانَ غيظاً وحِقْدا
ذاكَ إِذ فاخرَتْ نيُوبا لطُوْنا الـ ـحُسنِ يوماً بِضَنْوِها إِعجابا[1]

فَلَها اُثنا عشرٌ وتلكَ اُثنانِ إِنَّما قد أَفناهمُ هذانِ
أَنهرا تِسعةً بموتِ الهَوانِ
لَبِثُوا لا قبرٌ فزفْسُ جِهارا مَسَخَ النَّاسَ حولَهمْ أَحجارا
وسَراةُ الخُلُودِ عاشِرَ يومٍ دَفنُوهمْ والأُمُّ تجرَعُ صابا

شَعَرَتْ بالطَّوى بجُهْدِ البُـكاء وَهيَ لِلآنَ تلتظي بِشَقاء[2]
نالَها مِن لَدى سَراةِ السَّماء
بَعدَ أَنْ أَصبحَتْ بسِيفِيلَ صخرا بجبالٍ شُمٍّ يُرَوِّعنَ ذُعْرا
حيثُ مثْوى الحُورِ اللواتي على جُرْ فِ أَخِلُوِّسٍ لَها الرَّقصُ طابا

وكَذا نحنُ زادَنا نأْتيهِ وأُبْنكَ القرمَ باكِرًا تَبكيهِ
عِندَما لِلبلادِ تُرْجِعُ فيه

صخراً كما تحولت امرأة لوط أنصب ملح على ما جاء في التوراة (تك ١٩ : ٢٦) ولكن نيوبا بقيت على كونها جماداً تتألم

يقول اخيل لفريام ان مصاب نيوبا بأولادها فوق مصابك ومع ذلك فقد شعرت بالجوع واكلت فهذا وقت الطعام وللنوح والبكاء وقت آخر

(١) الضنو الاولاد
(٢) الطوى الجوع

فَهُناكَ الدُّموعُ ماشِئْتَ تَهْمَرْ» ثُمَّ شاةً بَيضاءَ أَقبَلَ يَنحَرْ
وَذَوُوهُ مِن بَعدِ أَن سَلَخُوها أَرَّبُوها وسَفَّدُوا الآرابا (١)

واشْتَوَوْها بِلاهِبِ النِّيرانِ ثُمَّ مَدُّوا الشِّواءَ فَوقَ الخِوانِ
والفَتى أَفْطُمِيدُ لِلضِّيفانِ

وَزَّعَ الخُبزَ بِالقِفاعِ امْتِثالا وأَخيلُ اللُّحُومَ قَسَّمَ حالا
والأَيادي مُدَّتْ الى الزّادِ حَتّى أَنِفُوا الزّادَ جُمْلَةً والشَّرابا

وابنُ دَرْدانُسٍ أَخيلَ تَأَمَّلْ يُعْظِمُ القَدَّ والجَمالَ المُكَمَّلْ (٢)
ومُحَيّا الأَربابِ إِنْ هُوَ أَقْبَلْ

وأَخيلٌ فِرْيامَ أَعظَمَ قَدْرا لِوَقارٍ ومَنْطِقٍ زانَ فِكرا
لَبِثا بُرْهَةً وكُلٌّ بِكُلٍّ مُحْدِقٌ مُكْبِرٌ لَهُ اسْتِعجابا

ثُمَّ فِرْيامُ قالَ: «آخيلُ دَعْنا بِلَذيذِ الهُجُوعِ ذا الحِينَ نَهْنا
فَأَنا لَم أُغْمِضْ لِعَينَيَّ جَفْنا

مُذْ قَضى هالِكًا بِساعِدِكَ ابْني بَلْ بِبَثّي ما زِلْتُ أَشقى بِحُزْني
أَتَلَوّى عَلى الدَّمالِ بِصَحْنِ الـ ـدّارِ أَصْلى لَظى الأَسى اللَّهّابا

إِنْ أَذُقْ زادَكَ الذي لي تَهَيَّا أَو تَراني رَشَفْتُ كَأْسَ الحُمَيّا

---

(١) أرّبوها قطعوها والاراب القطع وسفدوا شكوا في السفافيد
(٢) ابن دردانوس فريام

فإلي الآنَ لمْ أَذُقْ قطُّ شيًّا »

فأَخيلٌ في الحالِ أَصدَرَ جهْرا لِلْحَواشي ولِلسَّبيَّاتِ أَمْرا
أَنْ يعِدُّوا في البابِ فُرْشًا ويُلقُوا لُحُفَ البِرْفِيرِ الحِسانِ قِشابا

ويَمُدُّوا فوقَ الفِراشِ الزَّرابي وعَلَيها مُكثَّفُ الأَثوابِ[1]
فالجَواري جرَيْنَ للأَعْتابِ
معَهُنَّ المِصْباحُ للبابِ رُحْنَ وفِراشَينِ في المَجازِ طَرَحْنَ
ولِفِرْيامَ قالَ إِذ ذاكَ آخيـ ـلُ يُريهِ مخافَةً وارْتيابا :

« أَيُّها الشَّيخُ خارجاً نَمْ قَريرا خَشْيَةً أَن تَلْقى بخَيْمي أَميرا
قادِماً في الدُّجى هُنا مُسْتَشيرا
فَهُنا في أَبحاثِنا نَستَفيدُ ذاكَ عُرْفٌ جرى عَليهِ الصِّيدُ
فإِذا ما رَأَوكَ في اللَّيلِ أَثْرِ نْذُ دَرى والأُمورُ باتَتْ صِعابا[2]

(١) الزرابي الطنافس والبسط

(٢) يقول أخيل انه قد جرت عادة الزعماء (بعد مقتل هكطور) ان يجتمعوا لديه يتشاورون في أمرهم ولهذا أمر ان يعد فراش فريام خارج السابط لئلاَّ يراه احد فيعلم به أغاممنون والجيش فيصعب عليه الخلاص بعد ذلك

قصد الشاعر بقوله هذا ان يثبت مرة أخرى كرم اخلاق أخيل وان يعيد ذكرى ما له من علو المقام بين الرؤساء وان لم تكن الرئاسة له وان يوطىء توطئة حسنة لما يلي اذ لو كان فريام داخل الخيمة لما تيسر له الفرار ليلاً كما سيجيء

وَلَعَلَّ المَلِيكَ يُرْجِي الفِكاكا فَقُلِ الآنَ لي صَرِيحاً مُنَاكا[1]
كَمْ نَهاراً تَبْغي لِدَفْنِ فَتاكا
قُلْ فَنَفْسي أَصُدُّ عن أَهْوائي وأَرُدُّ السُّرى عَنِ الإِبْلاءِ »
فَعَلى ذا فِرْيامُ وَهْوَ يُحاكي بِوَقارٍ رَبَّاً مَهِيباً أَجابا :

« إِنْ تُبِحْ أَنَّ حَفْلَةَ الدَّفْنِ تُجْرى تِلْكَ آخِيلُ مِنَّةٌ مِنْكَ تُتْرى
قَدْ حُصِرْنا تَدْري بِإِلْيُونَ حَصْرا
والمَدى شاسِعٌ لِقَطْعِ الوَقُودِ بِالرَّواسي والرُّعْبُ هَدَّ جُنُودي
ولَنا لِلْبُكاءِ تِسْعَةُ أَيَّا مٍ بِها نَذْرِفُ الدُّمُوعَ انْسِكابا

ثُمَّ يَومٌ لِلدَّفْنِ والإِيلامِ ثُمَّ يَومٌ لِلرَّمْسِ والإِتْمامِ
وإِذا ما اقْتَضَتْ دَواعي الخِصامِ
نَتَهَيَّا لِلْحَرْبِ إِنْ تَأْتِ فَجْرا بَعْدَ هٰذي الأَيَّامِ ثانيَ عَشْرا »
قالَ : « ما شِئْتَ فَلْيَكُنْ وبِهٰذا حِينَ نَلْوي عَنِ الحُرُوبِ الحِرابا »

ثُمَّ يُمْنى فِرْيامَ أَمْسَكَ عَهْدا لِوِفاقٍ جَرى وأُبْرِمَ عَقْدا[2]
خَشْيَةً أَنْ يَسُومَهُ الرُّعْبُ جُهْدا
عِنْدَ هٰذا فِرْيامُ والفَيْجُ قاما وبِظِلِّ الرِّواقِ بِالأَمْنِ ناما
وأَخِيلٌ في عُزْلَةٍ بِحِماهُ وبَرِيساطِيبَ الهُجُوعَ اسْتَطابا

(١) يرجي يؤخر وأراد بالمليك اغاممنون
(٢) التواثق بالتصافح قديم العهد • راجع مطالعتنا بهذا الباب (ن ١٠ : ٦١٩)

وجَميعُ الأَرْبابِ والناسِ طرًّا　　هجعُوا والظَّلام أَسْبلَ سِتْرا
إنَّما ظَلَّ هِرْمِسُ لا يكْرى
فاكِراً في فِرْيامَ كيفَ يَبينُ　　عَن حِمى القوم لا تَراهُ العيُونُ
فعلى رَاسِهِ اُستَقرَّ ونادا　　هُ: «أَيا شَيخُ هلْ أَمنتَ الطِّلابا

نِمْتَ بَينَ العِدى بأَمْنٍ أَخيلِ　　وَلقدْ جُدْتَ بالعَطاءِ الجزِيلِ
لاُفتِكاكِ اُبنِكَ الكَريمِ النَّبيلِ
إنْ تُلاقي هنا أَغامَمْنُونا　　والسُّرى كذتَ وُلْدكَ الباقينا
عنكَ يُعْطُونَهُ ثلاثَةَ أَضعا　　فِ الذي قد أَدَّيتَ مالاً لُبابا»(١)

قامَ فِرْيامُ يُنهِضُ القَيجَ رُعْبا　　وَلِشَدِّ العِجالِ هِرْمِسُ هَبَّا
وبِها جَدَّ يَنْهَبُ السَّهْلَ نَهْبا
لا يَراهمْ مِنْ ذلكَ الجيشِ رائي　　فأَتوا آمنينَ مَجْرى المـاءِ
فَوقَ جُرْفٍ فيهِ تدفَّقَ زَنْثُ الـ　　ـمُنْتمي نَشأَةً لِزَفْسَ اُنتِسابا

لأَعالي الأُولمبِ هِرْمِسُ راحا　　وَبدا بُرْقُعُ الجِسادِ صَباحا
فهُنا الشَّيْخانِ اُستَباحا النُّواحا
ثُمَّ حثّا الجِيادَ نَحْوَ البِلادِ　　وبِغالاً قَلَّتْ جَدِيلَ الجِلادِ

(١) اي اذا درى بك اغاممنون وقومه بذلوا لاخيل ثلاثة اضعاف ما بذلت واخذوك فقتلوك فتزيد مصاب ابنائك الباقين بعد هكطور

جَرَيا لا يَراهُمَا بَعْدُ مَرْءٌ أَوفتاةٌ في الأَهْلِ حيثُ اُجْتابا

....

بِهِما ما دَرى بِذاكَ الْمجالِ غيرُ كَسَنْدَرا فتاةِ الدَّلالِ
مَنْ تَجلَّتْ كَعَفْرُذِيتِ الْجمالِ
أَشْرَفَتْ مِنْ فِرْغامَ فَوْقَ الوِهادِ فأَباها رَأَتْ وذاكَ المُنادي
وأَخاها رَأَتْ على نَعْشِهِ فيهِ اُذْلَعبَّتْ بِغالُهُ اُذْلِعْبابا (١)

ولْوَلَتْ والدُّموعُ مِلْءُ المآقي ثُمَّ جدَّتْ تَصيحُ في الأَسْواقِ :
« يا رَفيقاتِ يا خِيارَ الرِّفاقِ
إِنْ تَكونُوا حَيِيتُمُ هكْطورا وَهْوَ حيٌّ بِعَوْدِهِ مَنْصُورا
وَجَذِلْتُمْ بِمُلْتَقاهُ جَميعاً فانْهَضُوا رَحِّبُوا بِهِ تَرْحابا »

أَكْبَرُوا الخَطْبَ والأَسى والوَبالا وإِلى البابِ بادَرُوا اُسْتِقْبالا
كُلُّهُمْ كُلُّهُمْ نِسا وَرِجالا
وَأَمامَ الجَميعِ زَوْجٌ حَليلَهْ أَعْظَمَتْ خَطْبَهُ وَأُمٌّ جَليلَهْ
بِعَويلٍ وَقَطْعِ شَعْرٍ وَنَدْبٍ جاءَتا النَّعْشَ تَلْمسانِ النِّطابا (٢)

وحوالَيهِما الْجُمُوعُ تَنُوحُ بِأَساها وَبالنَّحيبِ تَصيحُ

(١) اذلعبت جدَّت
(٢) النطاب الرأس اي راس هكطور

أَوَشَكُوا كُلَّ يَوْمِهِمْ أَنْ يَنُوحُوا

بَينَ تِلكَ الأَبْوابِ مِنْ حَوْلِ نَعْشِهْ إِنَّما الشَّيخُ صاحَ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهْ:

« إِفْتَحُوا لي السَّبيلَ للصَّرْحِ مِنْ ثَمَّ اُسكبُوا الدَّمعَ فَوْقَهُ تَسكابا »

فَلَهُ وَسَّعُوا الطَّرِيقَ فَجدًّا وأَتَى القَصرَ خَلفَهُ القَومُ حَشْدا

وَضَعُوا المَيتَ فَوقَ نَعْشٍ أُعدَّا

وأَقامُوا حَولَيــهِ نَدَّابينــا بِشَجِيِّ الأَنغامِ تُورِي الشُّجُونا(١)

يُنْشِدُونَ الرِّثاءَ بَينَ نِساءٍ وَفْقَ ذاكَ النَّشيدِ نُحْنَ كِئابا

وَاُنْبِرَتْ أَوَّلاً فَعَمَّ العَوِيلُ أَنْدَرُوماخُ والدُّمُوعُ تَسِيلُ

فَعلى رأسِهِ تَرامَتْ تَقُولُ:

«مُتَّ بَعلاهُ بالشَّبابِ النَّضِيرِ وأَنا أَيِّمٌ بِهٰذِي القُصُورِ

وهُنَا الطِّفلُ طِفلُنا ونِتاجُ الـ حُزْنِ لَنْ يُدرِكَنَّ آهِ الشَّبابا

قَبلَ ذاكَ الزَّمانِ خِلْتُ الدِّيارا أَصْبَحَتْ قَفْرَةً وباتَت دَمارا

(١) يظهر من كلام هوميروس في هذا الموضع ومن مظانّ في التوراة وكتب العرب ان النياحة كانت مهنة تحترف بها طائفة من الناس وهي من لوازم المآتم . وقد ذكر صاحب الاغاني جماعة كانت هـذه مهنتهم كابن سريج وغريض وغيرهما . وفضلاً عن ذلك كان النساء يندبن الموتى صارخات ومغنيات وعازفات . ذكر ابن الاثير وغيره من مؤرخي العرب ان نساء المشركين خرجن بعد غزوة بدر وبأيديهنّ الدفوف ينقرن عليها ويندبن الموتى . وقد قضت الحضارة على هذه العادة فتلاشت من اكثر البلاد وهي مع ذلك لاتزال فاشية في الاقاليم المصرية وبعض البلاد الشرقية

إنْ تَمُتْ لاسواكَ يحمي الذِّمارا

وجميعَ البَنينَ والأطفالِ والعذارى والمُحْصَناتِ الخَوالي
سَوفَ يُمْسينَ في الخَلايا سَبايا وأَنا بَينَهُنَّ وا أَوْصابا

وَكَذا أَنتَ يا بُنيَّ سَتُمْسي حيثُ أُمسي تعنو بذُلٍّ وبُؤسِ
لِفَتىً ظالمٍ عتا ذي بأْسِ
أَو عدُوٍّ يسِمَ الوَبالَ الثَّقيلا يَتوَخَّى لكَ الحِمامَ الوَبيلا
بِكَ يُلقي مِن فوقِ بُرجٍ فَيَشفي غُلَّةً كادَتِ النُّفوسَ الغِضابا

بابْنِ هكطورَ يشتَفي في انْتِقامِ لأَبٍ أَو أَخٍ رَمى أَو غُلامِ
فَهُماماً قد كانَ أَيَّ هُمامِ
وَلَكَمْ باسِلٍ بِجَيشِ الأَعادي كَدَمَ الأَرضَ دُونَهُ في الجِهادِ (١)
فَلِهذا بَكَتْهُ طُرْوادُ طرًّا وَعليهِ الفُؤادُ بالبَثِّ ذابا

جَلَّ عن واجِبِ التَّأَسّي أَساكا وَلَقد هَدَّ والِدَيكَ رَداكا
إِنَّما لي فَوقَ الجَميعِ شَجاكا (٢)

(١) كدم الارض للقتيل وعض الثرى واكل التراب من المجاز المألوف في أكثر الالسنة — قال عنترة :

كم شجاع دنا اليَّ ونادى يا لقومي انا الشجاع المهيبُ
ما دعاني الا مضى يكدم الار ض وقد شُقّقت عليه الجيوبُ

(٢) لاغرو ان تقول اندروماخ ان مصابها بهكطور فوق مصاب ابيه وأمه

آهِ لو فُهْتَ لي ببعضِ الكَلامِ   تَبْسُطُ الكَفَّ لي أَوانَ الحِمامِ
لَتَذَكَّرْتُهُ نَهاري ولَيلي   ودُمُوعي تَنْصَبُّ عُمري انْصِبابا»

ثُمَّ غصَّت بفائضِ الزَّفَراتِ   والعَذارى يَجُدْنَ بالعَبَراتِ
ثُمَّ صاحَتْ إِيقابُ: «واحَسَراتي
وا أَعزَّ البَنينَ وا هكْطُورا   كَمْ رَعَتْكَ الأَرْبابُ حَيًّا قَرِيرا
وَهْيَ مِنْ بَعدِ فاجِعاتِ المَنايا   بكَ تَعْـني تَجِلَّةً وثَوابا

بأَقاصي البِحارِ في إِمْبَرُوسِ   أَو بِساموسَ أَو رُبى لِمْنُوسِ
باعَ مِن فِتْيَتي أَخيلُ البُؤُوسِ
كُلَّ مَن في يَدَيهِ أَضْحى أَسِيرا   إِنَّما أَنتَ مُذْ رَماكَ مُغيرا
بِكَ ما زالَ طائفاً حولَ رَمْسٍ   لِخَليلٍ أَنفَذْتَ فيهِ الذُّبابا (١)

كُلُّ هذا لمْ يُحْيِ ذاكَ الخَليلا   وأَمامي أَراكَ رَطْبـاً جَميلا
مِثلَما لو ذا الحِينَ رُحْتَ قَتِيلا

وسائر ذويه وهو قول يصدق على كل أيم • قالت جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليباً :

ياقتيــلاً قوّض الدهر به   سقف بيتيّ جميعاً من علِ
ورماني قتله من كثبِ   رمية المصمى به المستأصلِ
يانسائي دونكنّ اليوم قد   خصني الدهر برزءٍ معضلِ
خصني قتل كليب بلظىً   من ورائي ولظىً مستقبلِ
ليته كان دماً فاحتلبوا   درراً منه دمي من أكحلي

(١) الذباب حد النصل — اشارت بقولها لخليل الى فطرقل

مِثْلَ مَنْ فِيبُسُ أَبادَ بِسَهْمٍ   دَقَّ عَنْ صَوْلَجِ الحَنِيَّةِ يَرْمِي » (١)
وَعَلا النَّوحُ ثُمَّ هِيلانَةُ ثا   لِثَةٌ وَلْوَلَتْ تُزِيحُ النِّقابا :

يا أَحَمَّ الأَصْهارِ إِلْفَ الوِدادِ   أَعْلَقَ الأَهْلِ كُلِّهِمْ بِفُؤادي
لَمْ أَرى مُذْ عِشْرِينَ عاماً بِلادي
مُنْذُ فارِيسُ مُجْتَبى الخالِدِينا   ساقَنِي قادِماً إِلى إِلْيُونا
لَيْتَنِي قَبْلَ أَنْ أُفارِقَ شَعْبِي   وَبَنِي أُسْرَتِي أُنْشَعَبْتُ انْشِعابا (٢)

شَأْنُكَ الرِّفْقُ بِي لَقَدْ كانَ دَوْما   قَطُّ ما سُمْتَنِي المَهانَةَ يَوْما
وَإِذا كادَنِي سِباباً وَلَوما
أَيُّ صِهْرٍ أَوْ زَوْجُهُ أَوْ شَقِيقَهْ   أَوْ حَماتِي إِيقابُ تِلْكَ الشَّفِيقَهْ
(غَيْرُ فِرْيامَ مَنْ بَدا كَأَبٍ لِي)   كُنْتَ رِفْقاً عَنِّي تُزِيحُ السِّبابا

سَوْفَ أَبْكِيكَ سَوْفَ أَبْكِي شَقائِي   لَيْسَ لِي راحِمٌ وَإِلْفُ وَلاءِ
قَدْ قَلانِي الجَمِيعُ فَوْقَ بَلائِي » (٣)

---

(١) الصولج الفضة والحنية القوس . أي لا أزال اراك رطباً جميلاً غير مشوّه بالجراح ولا معفر بالتراب كمن اماته فيبوس بسهم دقيق رماه به عن قوسه اللجيني أو بعبارة أخرى كمن مات حتف انفه

(٢) انشعبت مت

(٣) لاحاجة بنا الى ايراد مطالعة على مناحة زوجة هكطور وامه وامرأة أخيه فقد تقدم لنا كلام بهذا المعنى (ن ٢٢ : ١٠٥١) يصدق مجملاً على هذا الموضع وانما ننبه الى ان الشاعر لم ينطق فريام هنا بشيء مما أنطقه هناك لانه لم يكن لكلامه

وبَكَتْ والجُمُوعُ ناحت جميعا ثُمَّ فِريامُ صاحَ فيهمْ سَريعا :
«ياسَراةَ الطُّرْوادِ قُوموا فَسيروا وَاجْمَعُوا وافِرَ الوَقُودِ احتطابا

لاتخافوا منَ الأخاءةِ غدْرا فأخيلٌ لي قالَ أن لن يَكرَّا
قبلَ فجرٍ يَلُوحُ ثانيَ عشرا »

أسْرَعُوا جُمْلَةً لِشَدِّ البغالِ وقويِّ الثِّيرانِ حولَ العِجالِ
ثُمَّ سارُوا بهِنَّ فورًا وَجدُّوا وإلى السُّورِ أَقبلُوا أَسْرابا

أَنْهُرًا تِسْعَةً بجمعِ الضِّرامِ لَبِثُوا ثُمَّ عاشرَ الأَيَّامِ
رَفعُوا الميتَ والعيُونُ هوامِ

فَوقَ ذاكَ الوَقُودِ ثُمَّ النَّارا أَضْرَمُوها بهِ تؤجُّ أوارا
وَلهُمْ حينَ لاحَ وردُ بَنانِ الـ فَجْرِ مِنْ حولهِ أَقامُوا عِصابا

حَيثُ هبَّتْ لَواهِبُ النّيرانِ أَخْمَدُوها بِصِرْفِ خَمْرِ الدِّنانِ

موضع بعد ان افرغ كنانة حزنه في كل اجزاء هذا النشيد • ولم يكن بدّ من انطاق هيلانة لانه لايصح ان تختم المنظومة وقد سدل عليها ستار النسيان وهي سبب كل هذا البلاء • وهكذا فان الشاعر جعل الوصف كاملاً والحزن شاملاً واختتم هذا النشيد وفيه ختام الالياذة بمشهد من اشد المشاهد تأثيراً في النفوس • فالامة كلها قائمة قاعدة للاحتفاء بملقى هكطور ميتاً • وشقيقته كلها جزع وحزن قلقة على شرفات الابراج • وأبوه الشيخ الهرم عائد به بعد ان خاطر بحياته لاجل جثته • وزوجه ترثي رثاء الأيم المتوقعة غدرات الزمان • وامه تندب الجمال والكمال وتئن انين الرؤوم • وهيلانة تنوح نوح الفاقدة النصير الموقنة بسوء المصير • وعلى الجملة فان الدنيا برمتها متمثلة للقارىء عناء وشقاء

ولفيفُ الإخوانِ والخُلّان

جمعوا كلَّ أعظُمِ الميتِ جمعا بكئيبِ الفؤادِ يذرُونَ دمعا
أودعوها مِنْ ثَمَّ حُقَّ لُجينٍ وكسوهُ بِرفيرِهمْ جِلبابا

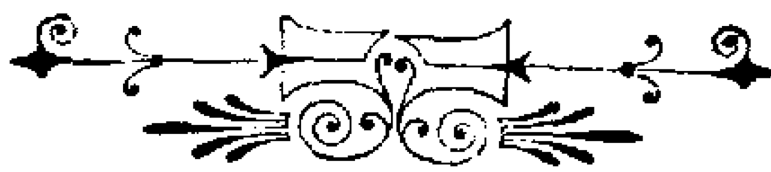
أنزلوها في حفرةٍ حفرُوها وبجلمودِ صخرِهِمْ طمرُوها
ثُمَّ شادُوا الضَّريحَ إذْ دفنُوها

وحواليهِ اوقفوا الأرصادا من سراةِ السُّرى قرُوماً شدادا
خشيةً مِنْ عدوِّهِمْ أنْ يُفاجي بغتةً حينَ غفلةٍ واحتسابا

وإذِ القبرَ أكملوا وأتمُّوا صرحَ ذاكَ المليكِ فريامَ أمُّوا
حيثُ حوليهِ للعزاءِ انضمُّوا

ولهمْ هيَّأَ المليكُ طعاما كانَ في ماتمِ الفقيدِ ختاما
ذاكَ ما كانَ مِنْ مناحةِ هكطُو رَالذي روَّضَ الجيادَ الصِّلابا(١)

(١) لم يطل الشاعر في وصف مأتم هكطور لانه لم يبق محل لذلك بعد أن اسهب ذلك الاسهاب في مأتم فطرقل



ثتمة حوادث الإلياذة

يتشوف القارئ وقد أتم تلاوة الالياذة الى الالمام بمآل الاعيان من أولئك الرجال وهاتيك النسوة وما كان من عقبى الحرب المضطرمة بين الاغريق والطرواد مما هو مروي في الأثر

بنيت الالياذة على غيظ اخيل فأخذ الشاعر بجميع اطراف ذلك الغيظ حتى اذاقضى وطره واستتم خبره ختم الكلام

واننا موردون الآن بأوجز عبارة ماكان من خاتمة الحرب ومصير كبار القوم

لما انقضت الموادعة استأنف الفريقان القتال • واذ أعيت الاغريق الحيلة في فتح إليون لجأوا الى خدعة هيأها لهم داهيتهم أوذيس فصنعوا حصاناً كبيراً من خشب على شكل كبش مما كان يُستعمل في الحروب ونصبوه لدى ابواب البلد وفيه الكماة المدججون بالسلاح ومن جملتهم صاحب الخدعة وذيوميذ ونيُفطوليم ابن اخيل وكان قد لحق بقومه في أُخريات أيام الحرب وهو بعدُ صبي • ثم تظاهروا بالسأم والملل والتأهب للانصراف فانخدع الطرواد وخرجوا فادخلوا الحصان • فلما كان الليل خرج منه رجال كمينه وقتلوا الحراس وفتحوا الابواب فدخل الاغريق البلد ودمروه واستباحوه نهباً وقتلاً وسبياً ولم ينجُ الا نفرٌ قليل ممن لاذ بالهزيمة

اما اخيل فقتل قبل فتح البلد بسهم رماه به فاريس فأصابه بعقبه فتنازع اوذيس واياس الكبير على سلاحه ففاز به أوذيس فغيظ اياس وانتحر كيداً

واما سائر الزعماء فتفرقوا وعادوا كلٌّ الى بلاده ولكنهم تجرعوا مضض الاهوال وهلك معظمهم

فأغاممنون غدرت به زوجته ومشعوقها اغستوس وكان قد استعمله اغاممنون على بلاده أثناء غيابه

واخوهُ منيلاوس رجع بامرأته هيلانة فوصل بلاده بعد عناء ثمانية اعوام ولم يقم طويلاً حتى مات

وذيوميذ كاد يصيبه من غدر زوجته ما اصاب اغاممنون لو لم يلجأ الى الفرار فشخص الى ايطاليا بشرذمة من اتباعه وبنى فيها عدة مدائن

واياس الصنير عصفت الريح بسفائنه وهو راجع بها فأغرقتها فلاذ الى صخر وقف عليه ثم ما لبث الصخر ان انشق تحت قدميه فمات غرقاً

وأوذيس لعبت بسفنه العواصف فهام عشرة اعوام على وجه المياه في حديث طويل بني عليه هوميروس منظومته « الاوذيسية » وكانت امرأته بديعة الجمال طاهرة الذيل فطمع بها عظماء قومها فحاولت وطاولت الى ان عاد زوجها فشكت اليه امرها فقتلهم جميعاً . ومات اوذيس قتيلاً بيد ابنه تليغون قتله في معركة وهو لا يعلم انه ابوه

ونسطور عاد الى بلاده سالماً فقضى بقية ايامه بأمن وسلام

اما فريام ملك طروادة فذبحه نيفطوليم بن اخيل امام الهيكل بعد فتح اليون

وابنه فاريس مات قتيلاً قبل الفتح

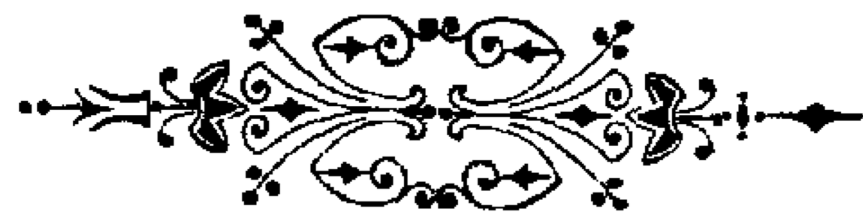
وزوجه ايقاب كانت في سهم اوذيس عند اقتسام السبايا فاسترقّها

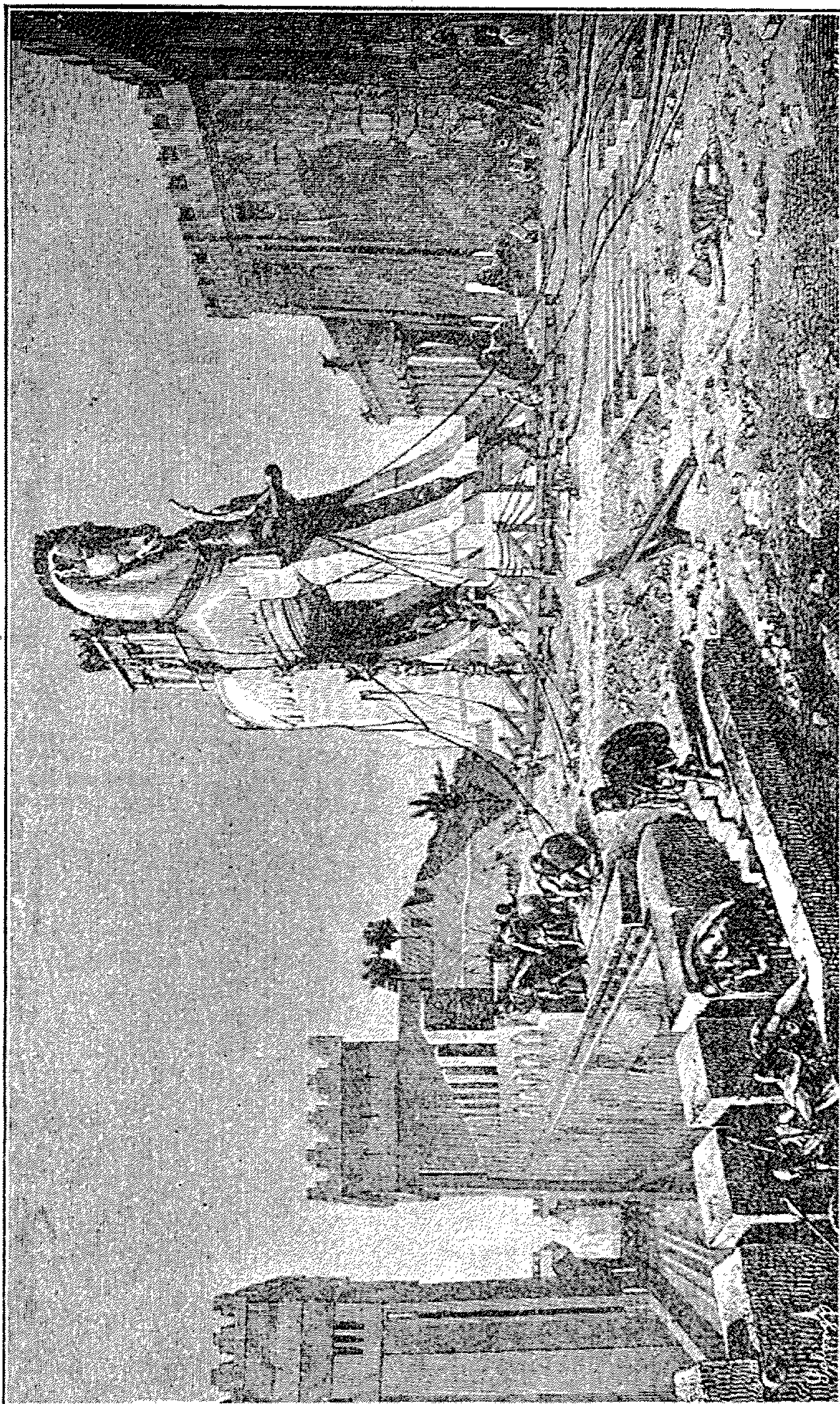
وابنته كسندرا كانت من سبايا اغاممنون

وكنته اندروماخ امرأة هكطور استأثر بها ابن اخيل وعاد بها الى بلاده وتزوجها ثم طلقها وازوجها هيلينوس احد ابناء فريام — واما ابنها استياناس فألقى به ابن اخيل عند فتح البلد من شاهق كما كانت تقول متشائمة وهي تندب هكطور (ن ٢٤: ١١٤٥)

وهيلانة بقيت مع منيلاوس في اسبارطة الى ان توفي فاضطرت الى مغادرة البلاد فذهبت الى رودس فشنقتها احدى ارامل الابطال الذين هلكوا بحصار إليون

واوفر رجال القومين حظاً واحسنهم منقلباً كان انياس بطل منظومة ڤرجيليوس فانه تمكن من الفرار واسس دولة كبيرة كما تقدم (ن ٢٠ : ٩٧٣)





رسمٌ وهمي للحصان الخشبي الذي اصطنعهُ اوذيس

فهرس الصور

فهرس القوافي

على حروف المعجم



مُعْجَم

الالفاظ اللغوية

تنبيه · قد توخّينا سهولة النظم واجتناب الالفاظ المُهملة والتراكيب الشاذة والكلام المُغلق الا ما كان منه لفظًا وضعيًّا لايعبّر عنه بغيره او قافيةً لا يمكن العدول عنها او تعبيرًا ليس ما يفضله في الكلام المأنوس · وقد اتينا في الحاشية على تفسير اكثر الالفاظ التي يصعب فهمها على بعض القرَّاء ولكننا لم نكرر التفسير كلما تكررت اللفظة ولهذا اثبتنا هذا المعجم الموجز ليرجع اليه المطالع عند الاضطرار

ا

اجد · الاجَد القويُّ الشديد

ادب · الأُدْبة المأدبة والوليمة

ادم · الأَديم الجلد ووجه الارض

ازق · المَأْزِق المضيق والشدة

اسل · الأَسَل الرماح واحدهُ أَسَلَة

اسو · الآسي الطبيب · ج أُساة وإِساء

اضم · الأَضم الحقد والغضب

افل · أُفول القمر غيابه ويراد بالافول مجازًا الموت

الو · الأَلوة القَسم واليمين

اور · الأُوار اللهيب والدخان وحرُّ النار والعطش

ب

بأدل · البأديل اللحم بين الإِبط والثَّنْدوة او لحم الثدي

بثث · البثُّ الغمُّ والضيّم

بجد · البجاد الكساء

بدر · بَدَرَ تقدم

برح · البَرْح الشدة والالم

برق · البوارق الغيوم مفردها بارقة

بطرق · البَطريق والبِطريق القائد والزعيم ج بَطارق وبطاريق وبطارقة · لاتينية

بلو · بلاهُ امتحنه وجرَّبه واختبره

بهم · البَهمة الشجاع ج بُهْم

بور · البَوار الخراب والدَّمار

بوق · البوائق الدَّواهي مفردها بائقة

بين · بانَ يبِينُ بَعُد يبعد وأَبان أَبعد

ت

تبر · التَّبار الهلاك

تبع · التِّبْع التابع والرديف · والتَّبِيع ولد البقرة لحول واحد مؤنثه تبيعة ج تِباع وتَبائع

ترب · التِّرب المساوي في العمر

ترع · اترع الاناءَ ملأَه

ترك · التَّريكة الخوذة

ث

ثبر . الثُّبور الهلاك
ثرب . التَّثريب اللَّوم وتقبيح الفعل
ثعلب . ثَعْلب الرمح سنانه
ثقف . ثقَّفهُ هذَّبه ودرَّبه . والمثقَّف الرمح
ثلل . الثَّلَّة القطيع من الماشية

ج

جأى . الكتيبة الجأواء المسودَّة لكثرة السلاح والدروع
جبى . المجتبى المختار . تعبيرٌ استعملناه بمعنى قول هوميروس الالاهي او الربَّاني
جدد . الجُدُّ والجَدُّ والجُدُّ والجِدَّة والجُدَّة الشاطئ وجانب الطريق والساحل . وجدُّ الطريق وجهه
جذو . الجَذْوَة والجُذْوَة والجِذْوَة القبسة والجمرة ج جُذًى وجِذًى وجِذاء
جرد . الأَجرَد الفرس القصير الشعر ج جُرْد
جعل . الجُعَل الحصة والسهم . واجتعل اقتسم
جنح . الجوانح الاعضاء مفردها جانحة
جنن . الجُنَّة التُّرس ج جُنَن وجنَّات ومثلها المِجَنُّ ج مجانّ
جوب . الجوب الترس ج اجواب ومثلهُ المِجوَب ج مجاوب

ح

حذف . حَذَّف هيَّأ وصنع
حسر . الأَحسَر كليل البصر وضعيفه وقصيره
حصر . الحصار المحاصرة والحُصْن
حصف . الحَصافة الرَّازنة
حضر . المَحضَر القوم الحضور وقد يُراد به المجلس والمجتمع
حمس . الأَحمَس الشُّجاع
حملق . الحِملاق والحُملوق باطن الجفن
حوذ . الحُوذِيُّ السائق

خ

خذم . المِخذَم القاطع ويراد به السيف
خرص . الخُرْص قناة الرمح او سنانه ج خُرصان
خرم . تخرَّم اضمحلَّ واندثر
خرنص . الخِرنَوص ولد الخنزير ج خرانيص
خزل . الخَزْل والاختزال القطع
خشرم . الخَشْرَم والخِشْرِم طائفة النحل وخليَّته ج خشارم
خطر . الخُطورة المكانة والرفعة والسموّ
خطل . الخَيطَل الكلب
خنق . المِخنَق السيف
خلق . الخليقة الطبيعة والخُلُق والمخلوقات ج خلائق
خلل . الخَلَّة الخصلة والسجية ج خِلال
خلو . الخليَّة السفينة وبيت النحل ج خلايا

خمس · الخَميس الجيش
خمص · خَمصَ ضَعُف وأَخْمَص القَدَم باطنها و يستعار للقدم كلها

د

دجج · تَدَجَّج دخل في السلاح
درع · أَدْرَع وتَدَرَّع لبس الدِّرع والدارع لابس الدرع ج دُرَّاع
درهس · الدَّراهس الشدائد
دفع · دُفَّاع الشيء مُعظَمهُ والمتدافع والمتدافعون
دلف · دَلَف تقدَّم
دمل · الدَّمال السرقين وروث الحيوان
دول · ادال اليه فلانًا من عدوّه جعله يظفر به

ذ

ذبح · الذِّبح الذبيح وقد يراد به الضحية
ذرو · الذرا الظلُّ · الذُّرْوَة والذِّرْوَة القمَّة والمرتفع ج ذُرًى وذِرًى
ذكر · الذُّكَرَةُ الحديد والفولاذ
ذوى · ذوى العود ذبل

ر

ربع · المَرْبَع المُقام والمنزل
رتت · الرُّتّ العظيم والزعيم والخنزير
رتج · رَتَجَ الباب اقفله والرِّتاج الباب
رحو · رحا الشيء يرحوه أَداره
رعن · الرَّعون المتردد
رمض · أَرْمَضَهُ أَوجعه وآلمهُ
رهف · المُرهَف السيف المحدَّد
رود · إِرْتاد طَلَبَ والمرتاد المطلوب · المزيد المتطوع والتابع
ريش · المَريش السهم ذو الريش

ز

زجج · الزُّجُّ الرمح القصير · وزَجَّ طرح ورمى بالزُّجّ
زجو · زَجى دفع او دفع برفق
زرب · الزُّرْبيُّ والزِّرْبيُّ واحد الزَّرابيّ وهي النمارق والبسط
زرف · الزَّرافة الجماعة
زعب · الزُّعاب السيل المتدافع
زلج · زَلَجَ اقفل والمِزلاج القفل

س

سبط · السِّبط ابن البنت
سحم · الأَسحم الأَسود
سخل · السِّخال الغنم والمعز مفردها سَخْلَةٌ
سرح · المسارح المراعي مفردها مَسْرَح
سرو · السُّرى جمع سَرِيّ السادة الاشراف وقد توسعنا باستعمالها فاطلقناها على سائر الجند
سرى · السَّرِيّ النهر الصغير · والسرِيَّة النصل والقطعة من الجيش
سطل · الأُسطول طائفة السفن · يونانية

سعر · المُسْعَر المضطرم
سغب · السَّغَب الجوع
سفد · السَّفُود الحديدة التي يُشوى عليها اللحم او يُشكّ بها ج سفافيد
سفن · السَّفين السُّفن جمع سفينة اواسم جمع
سلهب · السَّلْهَب الجوادالطويل ج سلاهب
سنن · السَّنين المسنون القاطع
سهم · السَّهم النَّبل والحصة والنصيب
سوج · السَّاجة واحدة الساج شجرة
سيح · السَّيح الماء الجاري

ش

شجر · شَجَرَ طعن · الشواجر الطواعن · مُشْتَجِر الرماح ملتقاها
شرع · الأَشراع السُّفن مفردها شَرَعة
شظى · الشَّظِيَّة الساق او عظمها
شعو · الغارة الشعواء المتفرقة على غير انتظام
شكك · الشِّكَّة السلاح الكامل
شمم · الاشَمّ المرتفع العالي مونثه شمَّاء ج شُمّ
شنر · الشَّنار · منتهى العار

ص

صدد · الصَّدِيد الصياح
صعد · الصَّعدة الرمح وهي في الاصل الرمح القصير ج صعاد
صفق · صِفْق الباب مصراعه ج صِفاق · والصِّفاق جلد البطن
صفن · الصوافن الخيل
صلق · الصَّلْقة الصيحة الشديدة ج صَلَقات
صلو · الصِّلي والصِّلاء النار
صمى · أَصمى رمى فقتل
صوب · الصَّيِّب المُنْصَبُّ المنهمر · والتصويب النزول
صور · الصُّوار والصِّوار القطيع من البقر
صيد · الأَصْيَد السيِّد والرئيس والملك ج صِيْد

ض

ضحضح · الضَّحاضح رقارق الماء مفردها ضَحْضاح
ضمد · المُضْمَد النير
ضنن · الضَّنين البخيل
ضوى · ضَوِيَ ضَعُف وهزَل · أَضوى اضعف وأَذَلَّ

ظ

ظبو · الظُّبى والظُّبات حدود المناصل مفردها ظُبة

ع

عتق · الفرس العتيق الكريم الرائع ج عتاق وعتائق
عثر · العِثْيَر التراب والعجاج
عدد · العِدُّ النظير والمساوي · العُدَّة السلاح ج عُدَد

عدو · عداه عن الشيء صرفه وشغله

عرس · المُعَرَّس المنزل

عرف · العَرْف الريح الطيبة · العُرْف شعر عنق الفرس ج اعراف

عزل · الاعزل الذي لا سلاح معه

عزم · اعتزم تطلب وتعدد وعزم

عسجد · العَسْجَد الذهب

عسل · العاسِل الرمح يهتز لينًا

عشي · عَشِيَ أكل العشاء

عضب · العضب السيف او نصله

عقص · عَقَصَ غدائره ضفر شعره

عقل · المَعْقِل الحصن

علو · العاليات الرماح الطويلة

عهل · العاهِل الملك والسيد

عوص · اعتاص الامر تعقد والتاث

غ

غدق · الغَدَق الماء الكثير · الغيوم الغَوادق الكثيرة المطر

غرب · الغارب الكاهل ولوى غاربه ارتد ورجع · الغُراب السفينة ج أَغْرِبة

غرث · الغَرْثان الجائع

غرغر · تغرغر تردد

غضف · الأَغْضَف الكلب المسترخي الاذن وقد يراد به الكلب على الاطلاق ج غُضْف

غطرس · الغِطْرِس المتكبر الظالم ج غَطارِس

غفر · المِغْفَر زَرَدٌ يلبس على الرأس وقد يراد به الخوذة ج مغافر

غنى · المغنى المنزل والمحل

ف

فذذ · الفَذُّ الفرد

فرع · الفرع الشعر والغصن وكل ما يتفرع من اصل كالولد والسليل

فلل · الفلول الجماعات مفردها فَلٌّ · وفلول الجيش منهزموه

فند · الفَنْد الغصن ج افناد

فنى · فِناء الدار وصيدها او الفسحة التي امامها

فهق · فهقت الطعنة بالدم اسالته

فوج · فاج انتشر

فوق · الفُوق موضع الوتر من السهم وفوَّق السهم جعل له فوقًا ليرمى به

فيج · الفَيج الرسول والساعي ج فيوج

ق

قبب · إقْنَبَّ قطع

قبل · القُبَل يراد بها مجازًا النذور مفردها قُبْلَة

قتر · القَتير والقُتُر مسامير الدروع والتروس وغيرها

قدح · القِدح السهم للرمي والاقتراع

قرب · المُقرَبات الخيل المسوّمة المكرمة · والقُرُبات جمع قُربة ما يُتقَرَّب به الى الله تعالى من اعمال البر والطاعة

قزر · القَزُّ البَرْد
قسطل · القَسْطَل الغبار
قصم · قَصَم كَسَرَ وتقصَّم تكسَّر
قضب · القُضُب السيوف مفردها قضيب
قلد · المَقَالِد المفاتيح
قلل · قَلَّ حمل ورفع ومثله استقل
قلو · قلى وقلا ابغض والقِلى والقلاء والقِلاء البغض
قمئ · القميء الضعيف
قنع · تَقَنَّع لبس السلاح
قومس · القَومَس الامير والزعيم ج قوانس · لاتينية
قونس · القَونَس بيضة الخوذة ج قوانس
قيل · القائلة نصف النهار والظهر وساعة اشتداد الحر · القَيْل والقيِّل السيد والرئيس والملك ج اقيال وقيول
قين · القَين الحدَّاد · القَيْنة المنشدة والمغنية ج قِيان وقَينات ويراد بهنَّ ربَّات الشعر والانشاد

ك

كسأ · كَسَأَ القوم تعقبهم وطعن فيهم
كلم · الكليم الجريح والكُلُوم الجراح
كمى · الكميّ الشجاع ولابس السلاح ج كماة
كنس · الكِناس بيت الظبي
كور · كَوَّرَ فلانًا طعنه فالقاه مجتمعًا
كوكب · كوكَبَ برق وتوقَّد

ل

لأم · الَّلأْمة الدرع ج لأْم · استلأم تدرَّع
لجب · لَجِبَ اضطرب واللَّجِب المضطرب
لجن · اللُّجَين الفضَّة
لحد · لَحَدَهُ وضعه في اللحد ودفنه
لحى · اللَّحْي عظم الحنك
لده · انظر ولد
لهذم · اللَّهْذَم الرُّمح

م

مرر · المِرَّة المرارة والصفراء
مرق · مَرَقَ نَفَذَ
معض · مَعَّضَهُ أغضبه وآذاه
مقع · امْتُقِعَ تغير لونه وبُهِت جزعًا وخوفًا

ن

نبل · النَّابل رامي النبال
نثر · النَّثْرة الدرع ج نَثَرات
نجد · نِجاد السيف حمائله · والنَّجِد القوي الشديد
نجع · النَّجيع الدم
نجذ · النَّواجذ الاضراس مفردها ناجذ
نحي · النِّحْي الزقّ والوعاء
نزر · النَّزْر الشيء القليل
نسر · مِنْسَر الطائر ومَنْسَره منقاره
نضد · الأَنضاد الجبال المتراكبة بعضها فوق بعض
نعر · النَّعرة الصَّيحة

نقع · النَّقْع العَجاج والغُبار
نكس · النِّكس الجبان والضعيف
نور · النَّور الزَّهر
نوى · إِنْتَوى بمعنى نَوى
نيزك · النَّيْزَك الرمح القصير والسهم فارسية

ه

هدد · الهَدَّة والهَديد الصياح الشديد
هزم · تَهزَّم الرعد صوَّت
هصص · هصيص النار و بصيصها بريقها ولمعانها
همم · الهِمُّ الشيخ العاجز الهَرِم
هوم · هَوَّم نام قليلاً
هون · الهُون الهَوان

و

وتن · الوَتين عِرْق القلب
وجب · الوَجيب الخفقان
وجم · الوُجوم الصَّمت خشيةً ورهبةً
وزع · الاوزاع الجماعات المتفرقة
وشر · الوَشْر النَّشْر · يقول عرب العراق وخليج عمان وشَر السفينة بمعنى بناها وقد استعملناها بهذا المعنى
وشع · الوشيع الحِجار المعروف بالسياج وقد عبرنا بها عن حِجار الخندق والاوتاد المُقامة حوله
وشل · الوَشَل الماء المتحلّب
وقذ · وقَذَهُ اوجعه وآذاه
ولد · لِدَة المرء تِربُهُ المساوي له في العمر
ومق · وَمَق أَحَبَّ والوامق المُحِبُّ

ي

يهم · الأَيْهَم البطل الشجاع



معجم الالياذة

يتناول هذا المعجم المتن الشعري والشرح واما المقدمه فلها فهرس خاصّ

تنبيه · الرقم بين هلالين يشير الى عدد فقرة الشرح

وللاناث ولعٌ كولع الانسيّات بالتبرُّج والزينة ولهنَّ حليٌ وطيب ٧٤٧ . يدللن على ازواجهنَّ ويستهوينهم ٧٥٩ ويخاصمنهم ٢٤٣ ويستعنَّ بالذكور والاناث ٧٥٦ عليهم لقضاء لبانةٍ منهم

وهم كالبشر درجاتٌ بعضها فوق بعض يشبهونهم بالمعنى شبههم لهم بالمادة . يمليون على العباد صفاح الحكمة والواح الفضيلة ثم يمالئونهم على العبث بها . ففيهم الجشع وفيهم الطمع وفيهم الكذب والمخاتلة والغدر والغضب . ومنهم الحقود والكنود . ومنهم الباغي والباغية والطاغي والطاغية والزاني والبغيَّة . وحسبك من ذلك موائد انسهم ٣٤٩ وحديث الطيف الكاذب ٢٤٩ وفتك ارطميس ٤٧٣ و١١٣٧ وكيد هيرا ٣٥١ وبطش اريس في كل مواقعه وغدر افلون ٨٥٤ وتهتُّك الزهرة ١١٠٧

ولكنهم من وجهٍ آخر يأْمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . يثيبون ويعاقبون ويراقبون الخلق كآلهة سائر الاجيال

وفي صفاتهم من التناقض ما لا يقل عنه في اعمالهم . فبينا تراهم خالدين نفساً وجسداً فاذا بهم على شفا جرف الهلاك ٤٠٦ وبيناهم ممتعون بالنعيم الابدي فاذا بهم يتألمون ويشقون ٤٠٦ و٤٠٨

ولكل الاه والاهة مزيةٌ خاصة وولاية لايمكن تعديها الى غيرها . ولكن يد زفس فوق ايديهم جميعاً فهو الآمر الناهي والحاكم المطلق حتى اذا نظرت اليه من هذه الوجهة رأَيت قومه صعدوا به درجةً في مرقاة التوحيد وفي ما يلي بيان مجمل مزاياهم :

زفس (المشترى) كبير الآلهة وسيدهم يبرم ماشاء متى شاء ٢٠٥ . وله العظمة والاقتدار ٥١٥ . يعتز بعلياه ٦٢٩ مترفعاً عن سائر الآلهة ٢٤٠ . وهو وليُّ البرايا من عابد ومعبود واليه المرجع ٤٣٣ . الحول حوله والقضاء قضاؤُه ٥١٥ يزعزع العالم بحركةٍ من جفنيه ٢٤١ وتدين الآلهة لكلمة من فيه ٢٤٤ . بيده قسطاس الاقدار ٥٢٠ وفي اعتاب عرشه قارورتا الخير والشر ١١٣١ . يعلم الغيب ويولي النصر من يشاء ٨٦٧ . يثيب العبدة الابرار ١١٠٩ ويعاقب الكفرة الاشرار ٢٥٩ — (رسمه ٨٠٣ . مجلسه ٣٤٩ . محاربته لطغاة الملائكة ٧٥٨)

هيرا . زوجة زفس ممثلة الهواء والرقيع وربة الزواج (رسمها ٨٣٩)

افلون . ممثل الشمس والاه النور . وله يد في القضاء والقدر وضلع في الحكمة (رسمه في مجلس زفس به وبجانبه المثلث ٣٤٩)

اثينا . الاهة الحكمة والصناعة ولها ضلع في القوة والبسالة (رسمها ٦١٥)

اريس (المريخ) . الاه الحرب ورب الفتك والبطش (رسمه ٥٢٩)

الزهرة اوعفروذيت . الاهة الغرام والتهتك وربة الجمال (رسمها ٩٦١)

فوسيذ . الاه البحار ومزعزع الارضين (رسمه ٧٢٥)

هيفست . (بركان) الاه النار ومثير البراكين والصواعق وحداد الآلهة (رسمه ٩١١)

آذيس . الاه الظلمات والموت وولي العالم السفلي (رسمه ٥٦٠)

هؤلاء هم كبار الآلهة تشاد لهم الهياكل واكثرها لزفس ثم لافلون واثينا والزهرة واما آذيس رب الظلمات فلم يقيموا له معبداً اذ لم يكن ثمة رجاء باسترضائه

ودون هؤلاء آلهة اخرى مثل :

ثميس احدى سعاة الآلهة وتلقب بربة العدل ٧٨٠

وذيونيس الاه الكرمة والخمرة ورب اللهو والطرب (رسمه ٧٦١)

وهرمس (عطارد) رسول الآلهة (رسمه ١١١٣)

وايريس سفيرة زفس ٩٠٢

وهيبيا الساقية ربة الصبا ٣٤٩

وذيميتير الاهة الزراعة (رسمها ٤١١)

والقيان ربات الاغاني ومنشدات الشعر ومستنشداته (رسمهن ٢٨٧)

وهناك فئة كبيرة يحسن التعبير عنها بالحور والملائكة والجان مثل :

البهجات الخرائد (رسمهن ٤٠٤)

وغزالات القدر (رسمهن ٩٥٥)

وبنات البحر . (رسمهن ٨٩٤)

والسلة رواة الاخبار ٨٢٧

وبنات الينابيع والنهور والغاب والرياض ٩٥٩

وقد يحسن ان يلحق بهم رهط من البشر استصفاهم الآلهة فرفعوهم الى السماء احياء فاسكنوهم الجنان واولوهم النعيم مثل :

غنيميذ ساقي زفس (رسمه ٤٠٠)

وطيثون زوج غزالة الصباح ٤٢٣

وقوم آخرون الّهم البشر مثل :

اسقليبيوس الاه الطب (رسمه ٣٦٢)

صاحب الالياذة منذ بضعة آلاف عام — كان معسكر الاغريق على شاطئ البحر قبالة اليون ووراء مضارب كل زعيم منهم سفنه على مقربةٍ من الجرف . وفي الصف الاول على الجناحين جند اخيل واياس اشد الزعماء بأساً ٦٢٥ . وفي القلب مضارب اياس الصغير وافروطسيلاس ٧٢٦ . ووراء الصف الاول مضارب اوذيس في القلب ٦٢٤ ويليه معسكر اغاممنون الزعيم الاكبر . والى جانبه مجلس الشورى ٢٥٥ . والى شمالي المعسكر نهر سيمويس يجري على شمالي اليون فيتصل به نهر الاسكمندر على ثلث المسافة بين المعسكر والمدينة . والاسكمندر هذا مجموع ينابيع ينفجر اثنان منها تحت اسوار اليون . فلم يكن للاغريق بدٌّ من احدى اثنتين للوصول الى الطرواد : اما ان يعبروا الاسكمندر الى يمين سيمويس واما ان يتقدموا بين الاسكمندر والبحر وقد حاولوا الامرين ٣٠٥و٦٣٤ — واما معسكر الطرواد فيتضح من وصف ذولون ٦١٣ انه لم يكن اقل احكاماً من معسكر الاغريق اذ كانوا فرقاً بعضها متحصنٌ في اليونٌ ومقيمٌ بعضها على مشارف البلدة . انظر خطب نسطور واوذيس وفوليداماس الخ



الاعلام

تنبيه . تسهيلاً لمحبي البحث في كتب الافرنج قد كتبنا الاعلام بالفرنسوية الى جانب اللفظ العربي وحيثما اختلف اللفظ الافرنجي عن الاصل اليوناني اضفنا رسم اللفظة بحروفها اليونانية

٧٥,٧٤,٧٣,٧٢, ٧١,٦٨,٦٧,٦٦,
٨٤,٨٢،٨١،٨٠,٧٩, ٧٨,٧٧,٧٦,
٩٣, ٩٢, ٩١, ٩٠,٨٩, ٨٧,٨٦,٨٥
٩,١٠٠٨ — ٩٩,٩٨,٩٦,٩٥,٩٤,
٢٤, ٢٢,١٨,١٧,١٥,١٢,١١, ١٠,
٣٣,٣٢, ٣١,٣٠, ٢٩,٢٨,٢٧,٢٥,
٤٥، ٤٠، ٣٩، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤،
٦٣، ٦٢، ٦١، ٥٩، ٥٦، ٥٥، ٥٤،
٧٧، ٧٣، ٧١، ٦٩، ٦٧، ٦٥، ٦٤،
٩٤، ٩٢، ٩٠، ٨٧، ٨٦، ٨٤، ٧٨،
٢، ١، ١١٠٠ — ٩٩، ٩٨، ٩٦، ٩٥،
١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ٩، ٨، ٦، ٤،
٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢١، ٢٠، ١٩،
٤٠، ٣٩، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٠، ٢٩، ٢٨
٤٨، ٤٢، ٤١

أَخِيلُوُس · آخِلُوُس (Achéloüs)
١ً نهرٌ يدعى الآن أَسْپرو پوتامو
٩٩٣
٢ً نهرٌ في فريجيا ١١٣٨

أَخِيناذة (Echinades) مجموع الجزر
المدعوة الآن كَرْتسولاري ٢٩٦

أَخيوس · إِيخِيوس (Echios) رأس
الافعى ـ ومنها أَخيون بالعربية
للنبات المعروف بهذا الاسم ·
١ً اغريقي قتله فوليت ٧٩١
٢ً طروادي قتله فطرقل ٨٣٥

اداماس · آداماس (Adamas) غير
مقهور · قهَّار ـ طروادي ٦٧٣
٣٠,٢٠,٧١٩,

ادْراقُس (Dracius) زعيم الايفيين ٧٢٧

أَذْرَسْتُس · أَذْرَسْت (Adraste)
محتوم · لا يُرَدّ ـ ١ً امير اغريقي
١٠٧٨,٧٤٤,٢٩٤
٢ً زعيم من حلفاء الطرواديين ٣٠٦
٤١,٤٤٠
٣ً طروادي قتله فطرقل ٨٥٠

أَذْرَسْتِيا (Adrastée) بلدة منسوبة الى
اذرست في ميسيا ٣٠٦

أَذْميت (Admète) غير مقهور ·
قهّار ـ امير اغريقي ١٠٧٤,٣٠٠
١٠٨٦,

إِذومين · انظر ايذومين

أَذيس · آذيس · آذس (Ἀδης, Ἀιδης
Pluton, Hades) غير المنظور ـ
الاه الظلمات والسافلين ٢٠٤ ـ ٤٠٦
٩٣, ٣٢, ـ ٦٠,٥٣٨ ـ رسمه ـ ٨٣ ـ
٤٦,٦٣٨ ـ ٨٧,٨٥,٧١,٧١٢ ـ
٨٤٥ ـ ٧٤,٧٢,٩٦٢ ـ ١٠١٨
٥٩,٤٠,

أُذيس · انظر اوذيس

أُدْيُس · أُوذِيُس (Odius) زعيم
الاليزونة ٨٧,٣٠٧

أَنْتيا (Antéa) ابنة ملك ليديا ٤٤٩

أَنَثا · انثيا (Anthée) مدينة لاغاممنون ٥٦٠, ٦٧

أَنثيدُون (Anthédon) بلدة في بيوتيا ٢٩٠

أَنثيمِيُن (Anthémion) طروادي ٣٧٩

أَنْخستا (Oncheste) بلدة بيوتية ٢٨٩

أَنخيالُس (Anchiale) سواحلي · محاذي لجرف البحر · اغريقي قتله هكطور ٤١٨

أَنْخيس (Anchise) مثيل · نظير — ١ً والد انياس ٣٠٦, ٩٨, ٩٩ — ٧١٣ — ٩٦٩, ٧٠, ٧٤

٢ً امير سكيوني ١٠٧٥

أَنْذَرِمون (Andrémon) امير ايتولي ٢٩٧ — ٧٠٣

أَنْذَرُوماخ (Andromaque) امرأة هكطور ٤٦٩ — ٥٢٧ — ١٠٤٥ — ١١٤٤

أَنسفا (Enispé) بلدة في ارقاديا ٢٩٥

أَنطفات (Antiphate) طروادي قتله لينطس ٦٧٦

أَنطيفُس · انطفوس (Antiphus)

١ً زعيم اغريقي ٢٩٨

٢ً ابن فريام ٣٨٠ — ٦٣٠, ٣١

٣ً حليف للطرواد وزعيم الميونيين ٣٠٨

انطيفون (Antiphon) منتقم — ابن فريام ١١١٨

أَنْطيلوخ · انطيلوخُس (Antiloque) المتقدم على الكمين — ابن نسطور ٣٧٩ — ٤١٥, ٤٠ — ٦٩٧ — ٧١٢, ١٧, ١٩, ٧٤ — ٨٠٢, ٣٠, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٩١, ٩٢, ٩٣ — ١٠٧٥, ٧٨, ٨١, ٨٢, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٨

أَنْطِماخ · انطيماخس (Antimaque) مناضل — طروادي ٦٣٢, ٣٣

أَنْطينور (Anténor) امير طروادي ٣٠٦, ٢٤, ٢٥, ٣٠, ٣٤, ٣٧, ٥٤, ٨٨, ٨٩ — ٤٦٤ — ٥٠٦ — ٦٢٨, ٣٦, ٧١, ٧٢, ٩٩ — ٩٧٧ — ١٠١٠, ١١

أَنكَوُس · أَنقاص (Ancée) آخذ بين ذراعيه · محتضن — ١ً امير اغريقي ٢٩٥

٢ً مبارز ايتولي ١٠٩١

أَنُوموس · اينوموس · أَنوم (Ennomus)

١ً ميسي قتله اخيل ٣٠٨ — ٨٦٨

٢ً طروادي قتله اوذيس ٦٤٥

أَنُوف · اينُفس (Enops) ١ً ميسي ٧٧٠

٢ً والد ثسطور ٨٣٤ — ١٠٩١

آنياس · أَنْياس (Enée) هائل — اكبر زعيم من حلفاء الطرواد ٣٠٦, ٩٥, ٩٨, ٩٩ — ٤٠١, ٤, ٥, ٨, ٩, ١٠, ١٢, ١٣, ١٤, ١٥, ٤٣ —

٣ً طروادي ٧٦,٦٧٣
اورَنُس · اورانس (Uranos) الاهٌ هو ابن الارض ٤٣٤
اوريبات · اوربات (Eurybate) واسع الخطى — فيج اغريقي ٢٢٨ و ٦٢ — ٥٦١
اوريفيل · اورفيليُس (Eurypyle) ١ً زعيم أُرمينيا ٣٠١ ,٨٩ — ٤٤٠ ,٩٥ — ٥٣١ —٦٤,٥٧,٥٤,٦٥٣ ,٦٧,٦٥ — ٩٤,٧٩٣ — ٨١٣
٢ً ملك قوص ٢٩٩
اوطونووس (Autonoüs) طروادي قتله فطرقل ٨٥٠
أُوفُرْب (Euphorbe) جيد الغذاء — بطل طروادي قتل فطرقل وقتله منيلاوس٦٢,٦١,٦٠,٥٩,٥٦,٨٥٥
اوفلست · انظر افياست
أُوفَلْطِيُس (Opheltius) ١ً طروادي قتله ذيوميذ ٤٣٩
٢ً اغريقي قتله هكطور ٦٤٠
أُوفموس (Euphémus) حسن الطالع · بخيت — حليفٌ للطرواد ٣٠٧
أُوفُنْطَة · اوفُنطُس (Oponte) كثيرة العصارة (النباتية)—عاصمة اللقربين ٢٩١ — ٩٠٨ — ١٠٦١
أُوفيت (Euphètes) حسن القول · سديد — ملك ايفيرة ٨٠٠
أُوفيتِس (Opitès) اغريقي قتله هكطور ٦٤٠
أُوقيانُس (Océan) سريع (المجرى) — النهر المحيط بالارض وهو الاهٌ لا الاه فوقه الا زفس ٢٣٥ — ٣١٢ — ٦٠,٥٥,٧٥١ — ٨٢٢ — ٩٥٩
وقد نعبر عنه بالمحيط ٩٩٣
أُوكالِغون (Ucalégon) متنبه · يقظ— شيخ طروادي ٣٢٥
أُوكاليا (Ocalée) مدينة في بيوتيا ٢٨٩
أُولِمْب · أُولِمْبُس (Olympe) جبل الآلهة · يدعى الآن أَلِمْبُو او لاشا ٤٤,٤٢,٣٥,٣٤,٣٣,٢١,١٠,٢٠٧ ,٦٢, ٨٧ — ٣٤٣ — ٣٣,٣٢٦ ,٨٥ — ٤١,٤٠,١٧,١٦,٥١٥ — ٦٢٩ — ٨٠,٧٤,٥٣,٤٦,١٨,٧٠٤ ,٩٣,٨٥,٨٢,٨١ — ٣٩,٢٤,٩٠٢ ,٧٠,٦٠,٥٩ - ٢٧, ٢٤,٨,١٠٠٧ — ٤٢,٢٧,٢٥,١١١٢
أُولُوسُون (Olosson) بلدة في تساليا هي أَلاسونا الحديثة ٣٠١
اوليزُون (Olizon) صغيرة ــ بلدة في مغنيسيا ٣٠٠
اولينيا · اولِينُس (Olène) عقبة في الاليذة ٢٩٦ — ٦٦١

ايسيتيس (Esyète) طروادي هو والد القاث ٣٠٥ـ٧١٣

ايسمن (Esymne) اغريقي قتله هكطور ٦٤٠

ايسندر (Isandre) ابن بليروفون ٤٥٢

ايسون (Jason) الشافي الآسي ـ امير اغريقي ٥١٢ ـ ٩٨٦ ـ ١٠٩٦

ايسيفس · ايسيف (Æsèpe) ١ً نهر في ميسيا الصغرى ٥٤,٣٠٦ ـ ٦٦٧

٢ً ابن بوقليون ٤٣٩

ايغس · ايغاس (Aiges) عاصفة ـ مدينة اغريقية ٥٢٨ـ ٦٩٣

ايفرس · انظر افيرة

ايفستروف · ايفستروفس (Epistrophus) شاخص ـ ١ً زعيم فوقي ٢٩٠

٢ً ابن ملك لرنيسة قتله اخيل ٢٩٩

٣ً حليف طروادي ٣٠٧

ايفسيفيلا (Hypsipyle) ابنة ثواس ملك لمنوس ٥١٢

ايففلاقيا (Hypoplacus) بلحف (جبل) فلاقة ـ لقب ثيبة ٤٧٠

ايفقلوس (Iphiclus) واسع الشهرة ـ ابن فيلاقس ٣٠٠ ـ ٧٢٧ـ ١٠٩١

ايفلط (Epaltès) ليقي قتله فطرقل ٨٢٥

ايفلوخ · هفولوخ (Hippolochus) كامن (فارساً) ـ ١ً ابن بليروفون ٥٣,٤٥٢ ـ ٦٨٣

٢ً ابن انطيماخس ٣٣,٦٣٢

ايفم · انظر ايمون

ايفيا · ايفية (Epée) بلدة في الالياذة ٢٩٦ ـ ٣٨٢ ـ ٧٢٧ ، ٩٩

ايفية (Epéa) ثغر من املاك اغاممنون ٦٧١٥٦٠

ايفيتس · راجع افتيوس

ايفيداماس (Iphidamas) غلاّب غالب بقوّة ـ ابن انطينور ٣٧١٦٣٦

ايفيريا · راجع افيرة

ايفيس (Iphée) طروادي قتله فطرقل ٨٣٥

ايفيس (Iphis) سبية لفطرقل ٥٨٩

ايفينس (Iphinoüs) حاذق شديد الذكاء — اغريقي قتله غلوكس ٤٨٥

ايفينوس (Evénus) حلو — ١ً ملك ايتولي ١٠٩٦

٢ ملك لرنيسة ٢٩٩ — ٥٨٢

ايفيون (Epéens) امة اغريقية ٦٥٩ ٦١, — ١٠٩١

ايقاب (Hécube) امرأة فريام ووالدة هكطور ٨٥١ ـ ٤٢,١٠٣١ ـ ١١١٥ ٤٧١٤٦١١٩١

ايقارة (Icare) جزيرة هي نيكاريا الحديثة ٢٦٠

ر

ز

سِميلا (Sémélé) ثائرة ـ والدة رب الخمر ٧٦١

سِنْت . سنتيُون (Sintiens) لصوص ـ اقدم سكان لمنوس ٢٤٥

سَنْغاريُس (Sangarius) نهر في بيثينا يدعى الآن صقارجه ٣٢٨ ـ ٨٥١

سيسامُس (Sésame) سمسم ـ مدينة بفلغونة ٣٠٧

سِيسيف (Sisyphe) والد غلوكس ٤٤٨

سِيفِيل (Sipylus) جبل على حدود ليديا وفريجيا يدعى الآن مياس ١١٣٨

سيلَبْيُس (Sélépius) ملك لرنيسة ٢٩٩

سِيلِيِيس . سِلِّيِيس (Selleïs) نهر في ايفيا ٢٩٨ ـ ٣٠٦ ـ ٦٧١ ـ ٨٠٠

سِيما (Syme) جزيرة قرب رودس تدعى الآن سيمين ٢٩٨

ش

شَرُوفُس (Charopus) فَرِح ـ

١ً طروادي قتله اوذيس ٦٤٥

٢ً والد نيريوس الجميل ٢٨٨

شيرون . انظر خيرون

ص

صَفيَّة (Speïo) كهفيَّة . ساكنة الكهوف ـ احدى بنات البحر ٨٩٤

صوقوس (Socus) طروادي قتله اوذيس ٤٦١٦٤٥

صيدا (Sidon) عاصمة الفينيين ٤٦٣ ١٠٩٦١

ط

طالَيُون (Talaïon) ملك ارغوسي ٢٩٣

طَرْطار . طَرْطر (Tartare) وادٍ تحت الجحيم ٥٤٣ ـ ٧٥٧

طَرْنا (Tarné) بلدة في ليديا ٣٨٧

طُرْواد . طروادة (Troie, Troade)

١ً مملكة فريام ٢١٨,٤٠ ـ ٥٣١٣٠٦ ـ ٥٤ ـ ٥٠٦ ـ ٨٧١٦٦٩ ـ ٩٦٨ ـ ٤٤,١٠١٨

٢ً طروادة او طرويا عاصمة تلك المملكة ويقال لها ايضاً اليون نسبةً الى ايلوس كما ان طروادة نسبة الى اطروس وكلاهما من أسلاف فريام ٢٥٩ ـ ١٠٤٨ ـ ١٦,١١١٠

طُرواد . طراود . طروادة (Troyens) قوم طروادة مملكة فريام . وتطلق توسعاً عليهم وعلى حلفائهم ٢١٧ ،٢٤١ ـ ٧٨،٥٩،٥٣, ٥١،٥٠،٤١,٣٤١ ٤٦,٣٣، ٢٤١ ٢١، ١٨، ١١١٣٠٤ ١٨،٩١٨١٥ ٤٠٠ ـ ٨٧ ٥٩،٥٤١ ٨٦ ٨٥، ٧٦,٤٥ ٤٣ ٤٠ ٣١,٢٠١ ٧١٥, ٣،٢, ٥٠١ ـ ٩٨،٩٧ ٨٨،

ع

منستس ٣٧٠ — ٦٨٦

فيثُس (Pnythos) اقليم في فوقيا ٢٩١

فيداس (Pedas) ١ً مدينة لاغاممنون ٦٧,٥٦٠

٢ً مدينة طروادية هدمها اخيل ٩٨٨

فيدِبُّس (Phidippe) روّاض الخيل — زعيم اغريقي ٢٩٨

فيذَس · فِذاس (Pedase) طيّار — ١ً طروادي ٤٣٩

٢ً اسم جواد لاخيل ٨٢٢, ٣٨

فيذِيتس (Pıdytès) طروادي قتله اوذيس ٤٤٠

فيذِيُس (Pédœus) ابن انطينور قتله ميجيس ٣٨٨

فيذِية (Pedée) مكان ببلاد طروادة ٧٠٠

فيرا (Phère) عاصمة اذميت ٣٠٠

فيراس (Pyrasus) طروادي قتله اياس ٦٤٨

فيريا (Peribée) ابنة اكسمين ٩٩١

فيرثُوُس · فيرثو (Pirithoüs) اداهم — ملك لافيثي ٢٢٥ — ٣٠١ — ٧٦٠

فيرُس (Pirus) والد رغموس ٩٨١

فيرس (Phères) جد افميل ٣٠٣ — ١٠٧٩

فيرِس (Pyris) طروادي قتله فطرقل ٨٣٥

فيرس · فرِيس (Pnérès) مدينة لاغاممنون اطلالها قرب كلاماتا الحديثة ٤١٤ — ٦٧,٥٦٠

فيرفيت (Periphète) ١ً طروادي قتله طفقير ٧٧٤

٢ً اغريقي قتله هكطور ٨٠٥

فيرُوز (Phéruse) احدى بنات البحر ٨٩٤

فيروُس (Piroüs) زعيم الثراقيين ٨١,٣٠٧

فيريا (Pérée) ما جاور مدينة فيرا من البلاد ٣٠٣

فيريرِس (Périères) والد بورُس ٨٢٤

فيريم (Périme) حكيم — ليقي قتله فطرقل ٨٥٠

فيسَنْدر (Pisandre) ١ً ابن انطيماخ قتله اغاممنون ٣٣,٦٣٢

٢ً طروادي قتله منيلاوس ٧٢١, ٢٢

٣ً زعيم مرميدوني ٨٢٥

فيسوس (Pésos) بلدة في اسيا الصغرى ٤١٨

فيسينُور (Pisénor) والد قليطاس ٧٩٦

فيغس (Phégée) ابن كاهن طروادي قتله ذيوميذ ٣٨٦

فيلا (Pélee) ملك المرميدونة والد اخيل وبه يكني اخيل ٢٠٣ ,٢٦, ٢٧, ٩٨

قِمَنْدِيس(Cymindis) طائر خرافي كالنسر ٧٥٩

قَنطُور. قنطورُس ج قناطرة(Centaure) مُثير الثيران — القناطرة امة خرافية رسمها ٢٢٥ — ٣٠١ — ٦٦٥

قُورِنْثُس (Corinthe) بلدة شهيرة على خليج قورنثس من املاك اغاممنون ٢٩٤ — ٧٢٥

قُوص (Cos) جزيرة اغريقية ٢٩٩ — ٧٧,٧٥٥

قِيثِيرا (Cythère) بلدة في لاقونيا اسمها الآن سريغو ٧٩٥

قيفارِس · قيباريسة (Cyparisse, Cyparissée) غابة سرو — ١ً بلدة لنسطور ٢٩٥ ٢ً مدينة او غابة سرو في فوقيا ٢٩١

قيلادُن · قيلادون(Céladon) هدّار — نهر ٤٩٤

قيمذُوقا (Cymodocé) متصدرة للموج — احدى بنات البحر ٨٩٤

قِيموثُوَة (Cymothoé) متاوجة · سريعة كالموج — احدى بنات البحر ٨٩٤

قِينُس (Cynus) مدينة في لقريا تدعى الآن كينو ٢٩١

ك

كاسُوس (Casos) هي جزيرة كاسو الحديثة ٢٩٩

كالِدْنية (Calydnes) مجموع جزر اغريقية ٢٩٨

كالِدونة · كليدونا (Calydon) مدينة ايتولية ٢٩٧ — ٥٨١ — ٧٠٣, ٤٣

كاميرُس(Camire) بلدة في رودس ٢٩٧

كرِسْته (Caryste) بلدة في اوبيا تدعى الآن كارستو ٢٩٢

كرفاثس. اكرافثس Carpathos,Crapathos جزيرة بين اكريت ورودس تدعى الآن إسكرْبنتو ٢٩٩

كروكيليا (Crocylées) من املاك اوذيس ٢٩٧

كَسْتُر(Castor) اخو هيلانة ٣٣٢

كَسَنْدَرا (Cassandre)ابنة فريام واخت هكطور ٧١٠ — ١١٤٣

كسيل · انظرا كسيل

كِفالينيا(Céphallénie)مملكة اوذيس ٢٩٧

كفاليون (Cephalléniens) قوم اوذيس ٣٧٠

كَلْخاس (Calchas) متفكر · متأمل — عرّاف اغريقي ٢١٢, ١٣, ٧٢, ٧٣ — ٦٩٥, ٩٦

كَلَسِيُوس (Calésius) داعٍ — ثراقي قتله ذيوميذ ٤٣٩

ل

ن

هِيفُونُوس (Hipponoüs) خبير بالخيل ـ اغريقي قتله هكطور ٦٤٠

هِيفِيرُن (Hypéron) طروادي قتله اوذيس ٣٩٣

هِيفِيرِيا · هفير (Hypérie) ينبوع ٣٠١ — ٤٧٦

هيفيرينور (Hypérénor) مقحام — ابن فنثوس قتله منيلاوس ٨٦٠,٧٧٤

هيفيرِيسيا (Hypérésie) بلدة لاغاممنون ٢٩٤

هِيقِيطَوُون · هيقطان (Hicétaon) ملتمس — اخو فريام ٣٢٥ — ٨٠٠ — ٩٧٠

هِيكَمِيذا (Hécamède) سبية عند نسطور ٦٥٥ — ٧٣٥

هيلا · هيلة (Hylæ) غابة — ١ً بلدة في بيوتيا ٢٨٩ — ٤٢٢
٢ً مدينة في قاريا ٤٩٨

هيلانة (Hélène) قيل اصلها من Eλαvη بمعنى مقباس او مشعل لانها سببت اضرام الحرب — امرأة منيلاوس ومعشوقة فاريس ٩٤,٧٥,٦٢,٢٦١ — ٤٢,٤٠,٣٥,٣٣,٢٣,٢٠,٣١٨ ,٦٧,٦٦,٤٦٣ — ٦٠,٥٠,٤٧,٤٤, ٦٨, — ٧١,٦٧,٥٨,٩,٥٠٦ — ٤٩,٤٣,٦٣٢ — ٩٥٠ — ١٠٢٣ — ١١٤٧

هيلانيُّون (Héllènes) تطلق في الاصل على سكان هلاس وتوابعها ثم على قوم اخيل ثم توسعاً على جميع الاغريق ٢٩٩

هيلُس (Hyllus) نهر في يونيا ٩٧٧

هيلنُوس · هيلينُس · هيلين (Hélénus) مقباس · نبراس — ١ً عرَّاف طروادي هو ابن فريام ٨٦,٤٤٣ — ٦٧١ — ٣١,٣٠,٢١,٧٢٠ — ١١١٨
٢ً اغريقي قتله هكطور ٤٢٣

هيلوس · هلوس (Hléos) ١ً ثغر من املاك منيلاوس ٢٩٤
٢ً بلدة من املاك نسطور ٢٩٥

هيليقة · هيليقا (Hélice) دَوَران — مدينة كبيرة في مملكة اغاممنون ٢٩٤ — ٥٢٨ — ٩٧٧

هِيليقَوُون (Hélicaon) ابن انطينور ٣٢٤

هيمون (Hémon) زعيم اغريقي ٣٦٨

هِيمَّبُولس (Hyampolis) مدينة في فوقيا ٢٩١

و

ويلُس · ويلوس · ويلا (Oïlée) ١ً امير لقري هو والد اياس الصغير وبه يكنى اياس ٢٩١ — ٣٠١ — ٦٨٦ —



فهرس الكتاب

الخاتمة

في الشعر واللغة




الالياذة


اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢١٢	٢	قائفاً	عائفاً
٢١٧	١٢	الخَصْب	الخِصْب
٢٤١	٣	هَبَّة	هِبَّة
٢٤٢	٨	كرهتُ	كرَهتَ
٢٤٤	٤	ينجيكَ	ينجيكِ
٢٥١	١١	نوايا	طوايا
٢٥٥	٩	المتطائر	المتطاير
٢٥٦	٦	استرعووا	استرعوا
٢٧٨	١٨	غرَّب ...عنه	عارض···فيه
٢٨٩	٢	أكلورنيس	إكلُوِرنيس
٢٩١	٣	نبولس	نبولُس
٢٩١	٥	قَفيس	قِفيس
٢٩٣	٤	يرؤسها	يرأسها
٢٩٥	٣	ايفيجينيا	امفيجينيا
٢٩٥	١٢	أَرخومينس	أُرخومينس
٢٩٧	٢	ابتاكا	ايثاكا
٢٩٨	١٣	فيلبُّس	فيدبُّس
٢٩٩	٤	أُلوسيين	أَلوسيين
٣٠٠	٦	اغلاميرا	اغلافيرا
٣٠١	٣	اترمكاوابتوم	اتريكاوايثوم
٣٠١	٤	فولذير	فوذلير
٣٠١	١٥	كرولن	كرونس

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠٢	١	ابنان	انيان أ
٣٠٢	٦	فيناوس	فينيُّس
٣٠٥	١٥	مرين	مرينا
٣٠٨	١	اونوموس	أُنوموس
٣٠٨	٤	اسكينوس	اسكانوس
٣٠٨	٥	اسكينية	اسكانية
٣١٩	١١	حجُّه	حجَّه
٣٢٤	١٠	قوَّض	قوَّس
٣٦٥	٢٠	اليتامى	الايامي
٣٧٣	٣	أخمس	احمس
٣٧٣	٤	ليقوفنطس	فوليفنطس
٣٧٩	٢	ايخوفولس	ايخيفولس
٣٨١	١٠	ذيورُس	ذيورِس
٣٩٠	١١	الفنان	القنان
٤٠٣	٧	الحجفلا	الجحفلا
٤٠٦	٣	افيلطُس	افيلطِس
٤٠٩	٦	ذيتا	لاطو
٤١٤	٥	أَرسيخلوس	أُرسيلخوس
٤٢٠	٩	افطوليم	اطلوفيم
٤٢٦	٧	ذَروته	ذُروته
٤٣٢	٤	غيرُ	غيرَ
٤٩٣	١٧	هذه	هذا

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٥٥	۱۰	لباسي	لبأسي	٦٧٦	۳	منيون	مينون
٤٩٤	٦	إريثوس	أريثوس	٦٨٦	۹	قيلوميذ	ليقوميذ
٤٩٨	۸و۱۲	حدَّف	حذَّف	٦٩٤	٤	أمبرس	إمبرس
٥۲۲	۳	إيناس	أنياس	٦۹۷	۲	ثاوس	ثواس
٥۲٦	۱۲	ايتن	ايثن	۷۲٦	۳	فروطُسيلاس	فروطَسيلاس
٥۳۲	۳	أرسيلوخ	ارسيلوخ	۷٥۹	۱	لمبروس	إمبروس
٥۲۳	٥	ليقوفنطُس	ليقوفنطِس	۷۷۰	۱٥	لأنوف	لأنوف
٥۳٦	۲	السّتر	السّتْر	۷۷٦	۱۲	أخمُص	أخمَص
٥٤۳	۹	يافث	يافت	۷۷۹	۲	يكساهم	يكسأهم
٥٥۳	۱۱	السؤم	السأم	۷۹۱	۸	ايناس	انياس
٥٦۲	٥	دك ايتونة	دار ايتيُّن	۷۹٥	۱٥	نسطور	مسطور
٥۷۸	۱٤	الذولون	الذولوف	۸۰٦	٥	تبثّ	تبثْ
٥۸٦	۳	وتير	وثير	۸۲٥	٥	لرفيس	لرقيس
٥۸۹	٦	فُريا	فَربا	۸۳۱	٤	اميسودْر	اميسودَر
٥۸۹	۸	ايفس	اينس	۸٦۰	۱۳	فرنثيس	فرنتيس
٦٤۰	۹	زلنس	ذلنس	۸٦۲	۷	ميتيس	منتيس
٦٤۲	۱۷	نشب	انتشب	۸۷۱	٦	اسكيذيس	اسخيذيس
٦٥۰	۳	ماذق	مأزق	۸۸۰	۲	إريتس	أريتس
٦٥۰	۱۱	الوجود	الوجوه	۸۸۲	۱۰	اميدوسة	ايبدوسة
٦٥۱	۱۲	نوال	منال	۸۹٤	۸	قلينُسا	قلينَسا
٦٥۳	٤	افون	افسون	۹۲۳	٤	اريانا	اريَدْنا
٦٥٥	۱۰	إرسينوس	أرسينوس	۹۳٦	۱۰	لَرينسا	لِرنيسا
٦٦۰	۱٤	ألتس	ألفش	۹٤٦	۱	ثلثبيوس	تلثبيوس
٦٦۱	۱۳	ولَدي	مُلَيني	۹۸۰	٤	لوغوس	لوغون
٦٦۱	۱۳	ومَلينا	كليهما	۹۸۸	٦	سستينوبس	سَتَنيوُيس






Bibliotheca Alexandrina
03744428